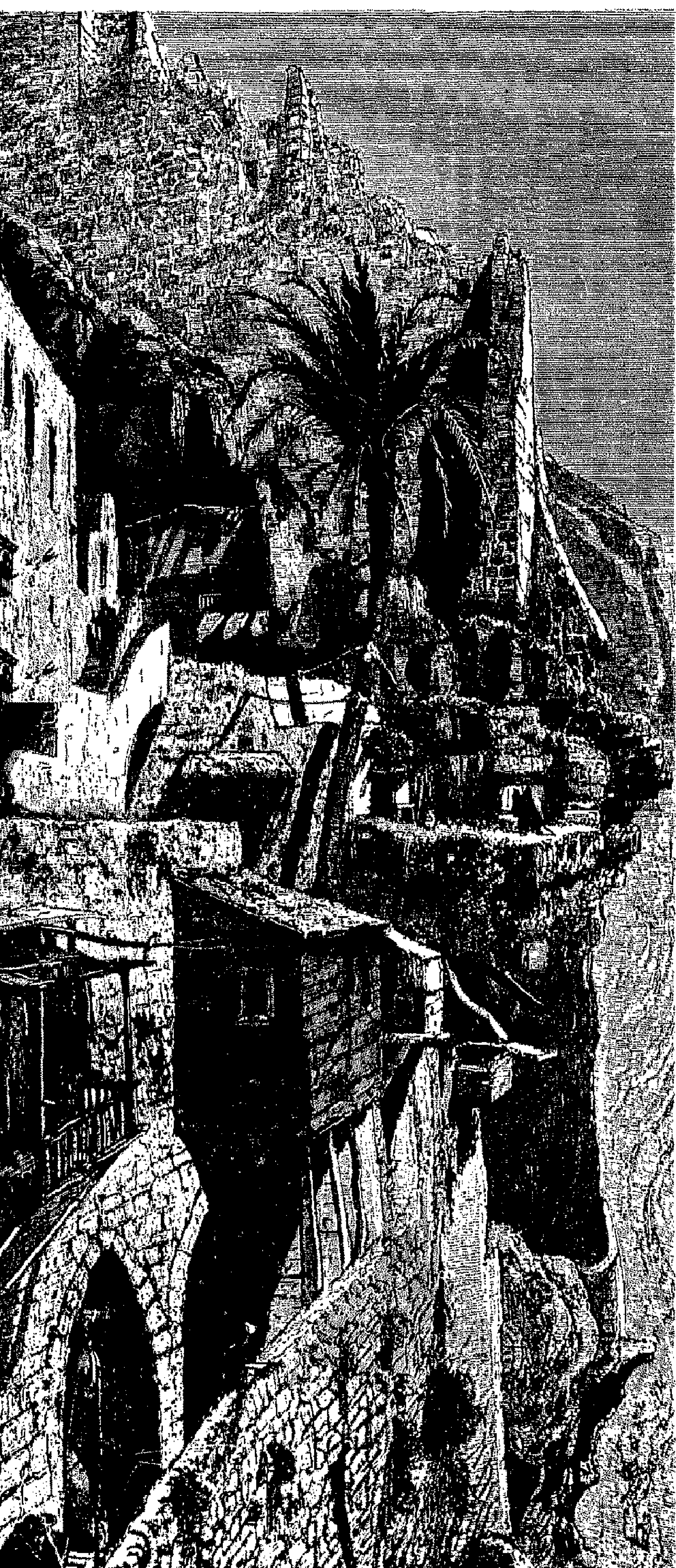
شؤون فلسطينية

١٠

حزيران (يونيو) ١٩٧٢



شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ١٠ — حزيران (يونيو) ١٩٧٢

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر شهريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت ـ لبنان ، ص. ب ١٦٩١ ، تلفون ٣٥١٢٦٠ ، برقيا مرابحاث ، بيروت .

ثمن العدد (بريد جوي) : ٢½ ل.ل. في لبنان وسائر الوطن العربي، ٤ ل.ل. في آسية وافريقية واوروبة ، ٦ ل.ل. في الاميركتين واوسترالية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان والوطن العربي، ٥٠ ل.ل. (١٦ دولارا اميركيا) في آسية وافريقية واوروبة، ٨٠ ل.ل. (٢٦ دولارا اميركيا) في الاميركتين واوسترالية . (بريد عادي) ٤٠ ل.ل. (١٣ دولارا اميركيا) في سائر الدول الاجنبية .

يعطى حسم ٥٠٪ (عدا البريد) على الاشتراكات للمقاتلين والعمال اذا جاءت الطلبات من خلال التنظيمات او النقابات او الاتحادات .

صورتنا الغلاف : دير مار سابا بين القدس واريحا

المحتويات

١٢٢ **الجيش الاردني في حرب ١٩٦٧** ، ف. المنصور [باحث في الاعلام الاسرائيلي في م. أ.] .

١٤٠ **تقريران عن الاوضاع في الضفة الغربية المحتلة في السنتين الاوليين للاحتلال** ، مراسلة خاصة في الارض المحتلة .

١٦٠ **كتب أجنبية حول معركة الخامس من حزيران ١٩٦٧** ، د. صادق جلال العظم [مستشار قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.] .

١٨٤ **حرب حزيران بين كتابين** ، المقدم الهيثم الايوبي [الكاتب العربي العسكري] .

١٩٩ **السينما والقضية الفلسطينية** ، ندوة ادارها وحررها هاني حوراني [فنان وناقد أردني] .

٢٢٩ **تقارير** : زيارة نيكسون لموسكو [اعداد مركز التخطيط في م. ت. ف.] . علاقات رومانيه مع اسرائيل : خلفيتها وأبعادها ، شحادة موسى [باحث في قسم الدراسات الفلسطينية في م. أ.] . فلسفة التربية للشعب العربي الفلسطيني [اعداد قسم التخطيط التربوي في مركز التخطيط] .

٢٥١ **رسالة من موفد خاص الى الارض المحتلة** ، ا. ت.

٢٥٦ **شهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية ، بلال الحسن [رئيس قسم الدراسات الفلسطينية في م. أ.] . (٢) القضية الفلسطينية عربيا ، ناجي علوش [الكاتب الفلسطيني] . (٣) القضية الفلسطينية دوليا ، ص. ج. ع. (٤) السياسة الاسرائيلية ، أ. خ. و م. د. (٥) المناطق المحتلة ، ع. م.

شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

تهتم « شؤون فلسطينية » بحزيران اهتمام الامة العربية به : شهر الذكرى المؤلمة الذي سيظل ، والى ان تذوي ذكراه امام اول انتصار عربي ساحق ، حريا بالدرس وبالتأمل. ولكن ان كنا ننقب في حزيران ١٩٧٢ عما حصل وعما لم يحصل في حزيران ١٩٦٧ فاننا لا نفعل ذلك تعبيرا عن عطش اكاديمي للمعرفة ولا سعيا وراء حقائق جديدة نثري بها كتب التاريخ المعاصر . اذ اهم من التأريخ الصادق (على جلال هذا المسعى النبيل) ان ندرس حزيران كمصدر للعبرة ، كحدث فعال فينا (شعبا فلسطينيا وامة عربية) وفي عدونا المنتصر (داخل الارض المحتلة وخارجها) . ومهما كتب في هذا الشهر ، وقد كتب فيه الكثير في السنوات الخمس الماضية ، تظل امامنا قائمة طويلة من المواضيع المتعلقة به التي تدعو الى المزيد من الدرس . من هنا خصصت « شؤون فلسطينية » مئة وعشرين صفحة من عددها العاشر هذا لتناول بعض المسائل الحزيرانية التي يجدر بالمثقف العربي ان يقف عندها قليلا : اولها ، كيف تناول الاديب ، العربي والاسرائيلي ، موضوع حزيران. وقد كان بودنا ان نكتب ايضا عن اثر الحدث نفسه في المفكر العربي. لكن باحث هذا الموضوع منعه مرضه من انجاز دراسته في الموعد المحدد (والمرض ، واحيانا التمارض ، خصم تقليدي لتقديرات اي رئيس للتحرير ولترتيباته ولمخططاته ، خاصة انه لا يهجم الا في اللحظة الاخيرة) . وثانيها ، مراجعات عدد منتخب من المعالجات الحزيرانية ــ وقد اكتفينا بما صدر من كتب اجنبية في مدى سنة من العدوان ، وبكتابين عربيين فقط صدرا منذ العدوان . وقد استعضنا بهذين المقالين عن باب « المراجعات » المعهود لهذا العدد . وثالثها ، التطورات التي حصلت على المجابهة الاسرائيلية للاعلام العربي بعد حزيران وبسببه. ورابعها، تحر لاوضاع العرب في الارض التي احتلها العدو في العدوان . وخامسها ، دراسة لدور جيش واحد من الجيوش العربية التي هزمها العدو ، وان كنا نكتب في هذا الموضوع الخطير والحرج والمؤلم فلاننا نعتبر الجيوش العربية جيوشنا ونعتبر جنودها ابناءنا ولاننا نريدهم ان يكونوا ابطال العودة والتحرير ، والسند الاكبر والاقوى للثورة الفلسطينية ، ولا نريدهم ان يظلوا ، كما يريد سياسيوهم ومسؤولوهم المنتفعون من الهزيمة والمعتادون عليها ، طاقة مقيدة وقدرة معطلة . اننا اذ نتكلم عن جيش عربي ما فانما نتكلم بالامل وبالحب وبالايمان ، وبالثقة الكاملة به : مؤسسة لا بد ان تقف على قدميها وتنطلق نحو النصر .

معالم المشاركة العربية في الثورة الفلسطينية

الدكتور كلوفيس مقصود

لم تكن الثورة الفلسطينية في تاريخها المعاصر ثورة فلسطينية منفصلة عن ارتباطها القومي بالساحة العربية بل كانت في الواقع ثورة عربية بين الفلسطينيين في فلسطين. لا يزال هذا الواقع الموضوعي يتحكم بمسيرة الثورة الفلسطينية في المرحلة الراهنة الى حد بعيد. اصيب هذا الترابط الموضوعي بين الثورة الفلسطينية وواقعها العربي بصدمة عنيفة اثر هزيمة الخامس من حزيران ١٩٦٧. كانت الهزيمة بالنسبة للشعب الفلسطيني اكثر من مجرد هزيمة للعرب في معركة رئيسية مع اسرائيل، وكانت اكثر من مجرد هزيمة ناجمة عن فقدان التصور الاستراتيجي والفكر الاستراتيجي لدى القيادات العربية العسكرية، وكانت اكثر من مجرد بروز النتائج السلبية لتسييس الجيوش العربية وبالتالي لعدم قدرتها على الممارسات السياسية الواضحة بينما فشلت في مواصلة دراسة الفنون العسكرية الحديثة. لقد كانت هزيمة الخامس من حزيران بالنسبة للفلسطينيين هزيمة المؤسسات القومية والتقدمية التي ارتبطوا باطاراتها وحركيتها الجماهيرية ارتباطا ثوريا وفكريا ومصيريا. هذا الفهم الفلسطيني للهزيمة عنى، فيما عنى، ان الثورة العربية في فلسطين وبين الفلسطينيين، فقدت مبرراتها الجهازية، والى حد كبير مبرراتها النظرية والسلوكية. كان من جراء ذلك حدوث ارتداد الى الدعوة لتركيز فلسطينية الثورة، اي جعلها بمنأى عن تحكم العلاقات والروابط العربية. كان هذا الارتداد في الواقع حكما فلسطينيا على الحركات القومية، اي على الحركات الثورية ذات الامتداد القومي، ذلك لان الطلائع الفلسطينية كانت، خاصة بعد قيام اسرائيل، في حالة تمرد وثورة مستمرة لكن هذه الثورة لم تتخذ طابعا فلسطينيا محضا او غالبا. لقد كان التعبير عن الارادة الفلسطينية الثورية يتجلى في المشاركة العضوية الحميمة في كل الصياغات التنظيمية والحزبية والحركية الجماهيرية التي كانت تفرزها الساحة العربية. من هنا كان القطاع الفلسطيني في حزب البعث وفي حركة القوميين العرب وفي الحركة الجماهيرية التي تزعمها وعبر عنها الرئيس جمال عبدالناصر، كانت كلها مؤشرات الى قناعة اساسية لدى الشعب الفلسطيني بأن لا سبيل للتحرير الا الوحدة، وبأن الوحدة لا تتحقق الا ببرامج تستهدف تحولات جذرية في التركيب الاقتصادي والاجتماعي للمجتمعات العربية. لهذا فقد كان استعداد الشعب الفلسطيني وطلائعه المتمردة او الثورية لتذويب الشخصية الفلسطينية في الصياغات القومية والتنظيمات القومية، يعود الى اقتناع الفلسطينيين بمعادلة نظرية صحيحة، كانت صحيحة ولا تزال كذلك، تقول بأن عملية التحرير الشامل لا يمكن ان تتحقق الا من خلال الوحدة العربية او من خلال الصيغة التنظيمية للوحدة، وبأن اية خطوة وحدوية في الساحة العربية انما هي اقتراب من موعد التحرير. لم يكن لدى الفلسطينيين اي رغبة او امل في التوصل الى السلطة او في ممارسة سلطة مباشرة من وراء انضمامهم ومشاركتهم في الاحزاب القومية او في الحركات الجماهيرية العفوية، لكن المستمرة، كالحركة الناصرية مما ميز الانتساب الفلسطيني لهذه الاحزاب والحركات وجعله متقدما

عن الانتسابات الاخرى لها . لانه وان كانت هناك شرعية في التوجه للاستيلاء على السلطة من قبل المنتسب الى حزب معين، الا ان الفلسطينيين كانوا يعتبرون ان السلطة التي يريدون هي استمرارية الثورة واستمرارية الالتزام باهدافها. لقد كان الفلسطينيون صلة الوصل بين الاحزاب والحركات العربية الثورية وبين اهدافها البعيدة المدى بينما اثبتت تجارب السنوات العشر الماضية بأن وصول حزب قطري الى الحكم اجهض ، في كثير من الاحيان ، مواصلة التزامه بالثورة القومية الشاملة . لم تكن الفوارق بين الفلسطينيين وبين غيرهم من العرب المنتسبين او المشاركين في الاحزاب والحركات الثورية واضحة في البداية لان حملات التعبئة السياسية كانت تشدد على التذويب والانصهار . الا ان الاقتراب من السلطة ومن ثم ممارستها اوجد التمايز بين الفلسطينيين وسواهم مما جعل العلاقة بين الفريقين متوترة . لقد بقي الفلسطينيون متمسكين بتقييمهم السابق لدور الاحزاب والحركات الثورية وبأن استلام السلطة وممارستها انما هو تعجيل لعملية الوحدة والتحرير وليس عملية معطلة لاستمرارية مسيرة التحرير . وهذا ادى بالفلسطينيين الملتزمين بهذه الحركات والاحزاب ، التي استلمت السلطة وقامت ، في بعض الاماكن والمراحل ، بممارسات قمعية او ارهابية او سلبية تتعارض مع القيم والمفاهيم المذهبية والثورية ، ادى ذلك بالفلسطينيين الى تبرير هذه التعبيرات السلبية اقتناعا منهم بأن هذه الممارسات هي في سبيل تأكيد السلطة وترسيخها خاصة وان السلطة هي ، في النهاية ، القوة المادية القادرة على متابعة ومواصلة الالتزامات العقائدية والمذهبية من اجل التحرير .

الارتداد عن الذوبان

كان الخامس من حزيران فاصلا اساسيا بين حقبتين . فالذوبان السابق للشعب الفلسطيني وللطلائع الثورية الفلسطينية في العمل القومي بمستوييه التنظيمي والحركي، كان ذوبانا بمعنى القناعة الوحدوية لكنه لم يكن الغاء لخصوصيات الهدف الفلسطيني الا من حيث ان هذه الخصوصية لن تتحقق الا من خلال الوحدة العربية العضوية . كانت الهزيمة ، كما قلنا ، هزيمة للصياغات التنظيمية وللمؤسسات النظامية التي لم تفشل فقط في ساحة المعركة بل وفشلت في اثبات جدوى هذه المعادلات التنظيمية . وهكذا مر الشعب الفلسطيني ، باستثناءات محددة ، بحالة من الارتداد عن الذوبان القومي لان الذوبان ادى الى تعميق اليأس من جدوى العمل القومي فتوجهت القيادات الفلسطينية الى المنطق الاقليمي المتمرد الذي يؤكد الاقليمية بمقدار ما اكدت، هذه القيادات منطق الذوبان في السابق . لقد كان هذا الارتداد الى الاقليمية ظاهرة تمرد اكثر مما كان انسلاخا عن الواقع القومي ، كان تعبيرا عن ادانة للمؤسسة العربية الواحدة اكثر مما كان ادانة للصيغة النظرية التي يرتكز عليها العمل القومي في سبيل التحرير ، وكان ادانة لمظاهر القسر والارهاب التي لازمت ممارسات السلطة في الاقطار العربية وخاصة تلك التي سميت اقطارا تقدمية . وهكذا ، وبينما برر الفلسطينيون في السابق القسر والارهاب والقمع باعتبارها أدوات لتأكيد السلطة أداة التحرير ، أخذوا بعد الهزيمة يؤكدون على اهمية الديمقراطية من حيث دراسة البدائل المطروحة وجعل السلطة قادرة على استيعابها واختيار الافضل من بينها على ان يكون المعيار في ذلك، الالتزام الثوري. ان الديمقراطية في هذا المضمار تعني ان الثورة لا يمكن أن تتحقق وخاصة بالنسبة للتحديات التي تمثلها اسرائيل ، الا عبر مشاركة عملية في النفاذ الى كافة التعقيدات التي يطرحها التحدي الذي يواجهنا . ان العقل العلمي الثوري المتوجه لحل هذه التعقيدات مطالب بأن يتعرض لمختلف الاجتهادات والاحتمالات . وتنتفي الديمقراطية حين يتردد المجتهدون او اصحاب الراي في الادلاء بآرائهم لادراكهم بأن هذا الاجتهاد او الراي يخالف مفهوم السلطة او قناعتها او ارادتها . وبنتيجة ذلك يخرج قرار السلطة او قرار الحزب

الحاكم نتيجة ممارسة هذا الارهاب الذي لا يسمح بالاجتهاد او بالتهديد بالارهاب مستثنيا قدرة المجتمع والسلطة والاجهزة على ان تكون مسلحة بالاحتمالات المختلفة السلبية والايجابية التي تترتب على اتخاذ قرار ما . وهذا ما جرى بالفعل بالنسبة لكثير من القرارات العربية السابقة لهزيمة حزيران والتي لم تنطو على كل الاحتمالات والبدائل والمعلومات المتوفرة بالنظر الى تغييب هذه المعلومات عن السلطة قصدا لان السلطات القيادية المقررة كانت تثبط اية محاولة لطرح هذه المعلومات والنظريات . لقد كانت القرارات منقوصة لان المشاركة في صياغتها كانت ناقصة ايضا .

هذا النفاذ الفلسطيني الى مسألة غياب الديمقراطية الحقيقية والى سيادة مناخ الارهاب الفكري والسياسي على الحكم العربي بقطاعيه المحافظ الرجعي والتقدمي الوطني ، جعل الفلسطينيين يدركون ان المعادلة النظرية السابقة القائلة بضرورة التنظيم على المستوى القومي كانت تعاني من فقدان الاصرار على الديمقراطية الحقيقية مما افقد هذه النظرية فعاليتها وقوتها . ان القوة الحقيقية للسلطة ليست فيما تنطوي عليه من قدرة على ممارسة القهر ، بل بمقدار ما تنطوي عليه من معرفة . ان السلطة الثورية هي سلطة المعرفة الدقيقة . وهكذا يمكننا القول بأن عدم التوجه للالتزام بالديمقراطية الثورية في العمل القومي السابق كان من السلبيات الرئيسية التي أدت الى الهزيمة . والا فكيف نفسر ظاهرة ارتباك او انهيار المجتمعات القومية التي تبدو متماسكة امام الازمات الحادة ؟ وكيف نفسر المعادلة التي كانت تقوم على ان الظهور بمظهر القوة وشمول السلطة يجب ان ينفي وجود اية مشاكل اساسية في المجتمع لكنه ما ان يصطدم بأزمة حادة حتى تبدأ مؤسساته في الانهيار ؟ وبالمقابل ، وحيث تتوفر المناهج الديمقراطية الفعلية نجد المشاكل والازمات تطفو على سطح المجتمع انطلاقا من القناعة بأهمية المشاركة الجماهيرية في التصدي للازمات، فالمجتمع قوي بمقدار ما يطرح مشاكله للبحث علانية وضعيف بمقدار ما يخفيها . المجتمع قوي بمقدار ما يوحي بادراك الصعوبات التي تقف امام آماله ، وضعيف بمقدار ما يعتقد أن ترديد الاماني هو تعويض عن معالجة المشاكل. لذلك فان الثورات العربية ، وفق هذا المعيار الاكبر للثورية ، هي انتفاضات متقطعة اكثر مما هي ثورات متواصلة رغم اهمية التحولات الاساسية والانجازات الهامة التي حققتها في مجتمعاتها ، لكن تسميتها بالثورات كان اكبر من انجازها . وعندما تصبح التسمية اكبر من الانجاز تتولد لدى الجماهير الامال المغلوطة. وحين لا تتحقق هذه الامال او اكثرها ، ترتد الجماهير عن التزاماتها وتصاب بالشلل . فالجماهير ، بحسها الثوري الاصيل ، تكون اكثر ثقة بقياداتها اذا كانت قياداتها اكثر ثقة بها . اما الذي كان في الساحة العربية فغير ذلك . لقد كان وهج العلاقة بين القيادات والجماهير اشد من الثقة بينهما ، والوهج يولد فورات أكثر انتشارا وقدرة على انبهار الجماهير ، بينما تتطلب الثقة مؤسسات للمحاسبة المستمرة . لم يكن هناك مؤسسات جادة للمحاسبة حتى لدى اكثر القيادات ارتباطا بقضايا الجماهير .

وهكذا ، واذا كان للردة الاقليمية عند الشعب الفلسطيني وجه سلبي ، الا انها كانت ردة مرحلية انطوت ، ولو بشكل غير مقصود ، على الابتعاد عن عدم احترام الديمقراطية والاصرار على ضرورة تأمين المشاركة المتواصلة . من هنا ، ورغم انتقادنا المرير ، لكن المتفهم ، للنزعة الاقليمية التي نشأت في الفترة ما بين ١٩٦٧ — ١٩٦٨ ، يمكن ان ندرك بعض الفوائد الايجابية لهذه النزعة من حيث انها ادركت حاجتها لا لتعزيز قوتها الذاتية فحسب بل ولتقوية مؤسساتها الخاصة التي اتسمت بنزعة ملحة لاحترام الموضوعية العلمية واحترام التفاصيل ودراسة كل البدائل قبل الوصول الى قرار ما . كان هذا التوجه لتعزيز مراكز الابحاث والتخطيط والدراسات من قبل الطلائع الفلسطينية المثقفة والملتزمة ، بمثابة تصحيح لما افتقدته الاحزاب القومية الثورية والحركات القومية

الجماهيرية من معلومات . ان الاندفاعات الجديدة بعد ١٩٦٧ لمركز الابحاث الفلسطينية ولمؤسسة الدراسات ومركز التخطيط كان من شأنهـا تقوية البنيـة الهيكلية للشعب الفلسطيني التي تؤهله ، من خلال التثقيف الموضوعي المتواصل ، للتوجـه نحو نزع الصفة الدغمائية ، اي صفة التزمت المذهبي ، ونزع الصفة الديماغوجية كذلك ، والتي تجهز الشعب الفلسطيني ، بمختلف قطاعاته وتنظيماته ، بمناعة المعرفة بحيث يتمكن من امتصاص الازمات الحادة ومن تخفيف وطأة هذه الازمات . هذا الاحترام للمعرفة ، هذا الاصرار الفلسطيني على استيعاب كافة اوجه التعقيد في القضية الفلسطينية وعـلى الاتصال المثابر بالصعوبات والتوجه ، بدون عقد ، نحو معرفة مصادر القوة الاسرائيلية بالاضافة الى اوجه الضعف في المجتمع الاسرائيلي ، كل هذا يشير الى ما ينطوي عليه الواقع الفلسطيني من احتمالات النضج الثوري . ان الثورية غير الناضجة تركز عـلى استغلال مكامن الضعف لدى العدو ، بينما يركز النضج الثوري على امتـلاك معرفة عناصر القوة عند العدو . لكن امتلاك المعرفة وحده لا يكفي ، الا اذا كانت القيادة ، التي يفترض ان تكون المستفيدة من هذه المعلومات ، قادرة على تقييمها التقييم الصحيح .

معركة الكرامة وعودة نسيج العلاقة العربية

جاءت الاقليمية الفلسطينية ترد على هزيمة العرب في ٥ حزيران لتؤكد بانها تأبى الوصاية العربية ليس بالمعنى الاستعلائي لكلمة وصاية بل من حيث بعض مظاهر السلوك العربي تجاه الفلسطينيين وقضيتهم . لكن هذا التعبـير عن الاقليمية كاد يتحول الـى عملية انسلاخ لولا معركة الكرامة وما ادت اليه من تأجيج الجماهير العربية باسرها مما أوضح للمقاومة ان حصر علاقاتها السابقة مع الانظمة ومع الاحزاب في بعض الانظمة ورضوخها السابق لعملية اقصاء الجماهير عن المشاركات الفعلية ، ان ذلك ادى الى تعطيل دور الجماهير وتحويلها الى قوة غير مستفاد منها بالمقدار المطلوب . لكن الجماهير العربية التي اندفعت عشية معركة الكرامة متعاطفة مع المقاومة الى حد كادت تغرقها بتعاطفها، لم تنتظم في علاقة سليمة مع المقاومة . ان الجماهير العـربية التي صدمتها هزيمـة الخامس من حزيران والتي واجهت انظمتها المهزومة بالعجز عن القيام بأية عملية تغيير او تصحيح ، توجهت الى المقاومة الفلسطينية لا لتتعاطف معها فحسب ، بل لتستبدل ، وهي مدفوعة في ذلك بحسها التاريخي ، ولاءها الثوري السابـق للرئيس عبد الناصر والاحزاب الثورية التقدمية ، بولاء مشترك للناصريـة والاحزاب الثوريـة والمقاومة الفلسطينية ، بل واكثر من ذلك فقد مالت الجماهـير في بعض الاحيـان لترجيح ولائها للمقاومة على علاقاتهـا بقياداتها التقليديـة . وهكذا ارتبطت الجمـاهير بالمقاومـة الفلسطينية كقيادة سياسية معنوية لها ولكنها أبقت على بعض ولاءاتها للقيادات القومية الملهمة التي كان عبد الناصر ابرزها والى حد اقل للاحزاب المسماة تقدمية . لعل تلك كانت المرة الاولى منذ قيام دولة اسرائيل ، التي تصبح فيهـا الجماهـير موالية لقيادة تمردت على الهزيمة واستمرت في المقاومة ، وابقت في الوقت ذاته على علاقاتها بالانظمة التي كان فشلها في حزيران ١٩٦٧ سببا في انضاج عملية التمرد عند الشعب الفلسطيني والمقاومة الفلسطينية ، اي ان الجماهير العربية فرضت شركة بين المقاومة المستحوذة على وجدانها وبين الانظمة العربيـة المستحوذة عـلى مصالحها الآنيـة . ولعله من المفارقات المؤلمة ان هذا الولاء الوجداني للمقاومة ابعـد الى حد كبير قـدرة الجماهير العربية على ادانة ومعاقبة الانظمة العربية التي أفشلتها في مواجهتها للعدو الصهيوني. وهكذا استبدلت الجماهير ، بما تنطوي عليه من حيوية ومن احتمالات تصحيحية ثورية ، وظيفتها ومهمتها الاساسية بالتعاطف الحميمي مع المقاومة . كان من جراء ذلـك ان استغلت الانظمة العربية هذا التوجه وركبت موجة التعاطف فظهرت امـام الجماهير العفوية غير المحصنة بالادراك السياسي لمهامها الاساسية ، وكأنها مستعدة للوفـاء

بالمطالب الوجدانية لهذه الجماهير . بهذه الطريقة تمكنت الانظمة العربية من كسب الوقت ومن ارضاء العفوية الوجدانية عند الجماهير ما دامت هذه العفوية تفرغ الجماهير من قدراتها الصدامية مع الانظمة ، او على الاقل من قدراتها على الادانة العلنية المتواصلة لها وانزال العقوبات السياسية بها . واذا كانت الجماهير قد سارت في هذا الاتجاه الخاطىء من جراء فقدانها الوضوح النظري والتنظيم الثوري السليم ، ومن جراء ما عانته من اقصاء فعلي لها عن المشاركة الديمقراطية في مهمات العمل الوطني ، فان المقاومة الفلسطينية ، وفي تلك المرحلة بالذات التي اكسبتها تعاطف الجماهير معها ، ارتضت بهذا التعاطف الفوري في الوقت الذي جاءت فيه معركة الكرامة لتؤكد صحة نظرية الابتعاد الاقليمي الفلسطيني عما سمي بالوصاية العربية .

كان هذا التعاطف الجماهيري مع المقاومة وهي تتبرعم ، مدخلا لان تتصور المقاومة الفلسطينية من حيث هي تمرد قتالي على الهزيمة ، انها قيادة ثورية بديلة للجماهير العربية . لقد ادت ظاهرة المقاومة الفلسطينية ونمو هذه الظاهرة على الساحة العربية والعالمية التقدمية وما اوجدته من امواج التعاطف المتزايد والمتعاظم معها ، وما استقطبته من اهتمامات اساسية من قبل القوى التقدمية في العالم ، وما مثلته من تماثلها مع ثورة الاجيال الصاعدة في كل مكان في سبيل تأكيد الذات والمشاركة ، ادت كل هذه الظواهر والنتائج الى افتقاد الجماهير ادراكها لضرورة توجهها نحو تعزيز قدراتها الذاتية ، والى افتقاد المقاومة الفلسطينية قدرتها على تجاوز هذا الوهج الذي اوجدته لها الجماهير ولتتمكن من التخطيط لمواجهة المراحل الصعبة المقبلة . كان هذا الوضع منسجما مع طبيعة تكوين المقاومة الفلسطينية في تلك المرحلة ، هذا التكوين الذي ، وان استتبعه فيما بعد انفتاح على البعد القومي ، فهم التعاطف الجماهيري مع المقاومة في الساحة العربية على انه يعني بان المقاومة اصبحت قيادة للتحرك الجماهيري وليست طليعة من طلائعه . بالطبع ، لم تكن المقاومة مسؤولة وحدها عن هذا الفهم الخاطىء اذ ان الاعتداد بالنفس يلازم كل انتفاضة تمردية تعقب هزيمة او صدمة عنيفة . وبنتيجة هذا الاعتداد ، ظهرت المقاومة وكأنها خلقت من عدم وهي ليست كذلك رغم ان حركة التحرير الوطني الفلسطيني — فتح — نفسها تعتبر انها انشئت عام ١٩٦٥ وانها كانت نقطة انطلاق الثورة الفلسطينية . ان الثورة الفلسطينية حالة ثورية متواصلة وان تنوع اشكالها او اشكال التعبير عنها يعكس تقلبات موازين القوى في الواقع العربي القومي . فاذا تلاشت العلاقات العربية الوحدوية او بهتت ، تأكدت فلسطينية الثورة ، واذا نضجت خطوات عربية وحدوية او اخذت طريقها للتنفيذ ، تأكد الارتباط القومي للثورة العربية في فلسطين فلا تعود الثورة ثورة فلسطينية في فلسطين .

تجربة السنوات الخمس الماضية

والان ، كيف تستعيد الثورة الفلسطينية كونها ثورة عربية في فلسطين او قطاع الثورة العربية في فلسطين ، وكيف يسترجع الفلسطينيون استعدادهم للذوبان المقبل في الحركة العربية الثورية الموحدة لا بشكل قفزي بل بصورة تدريجية واعية لكل مرحلة ولكل خطوة ؟ لقد عالجت كل منظمات المقاومة وكل الملتزمين والمتعاطفين معها هذه القضية المركزية لكن بشكل متقطع فاقد للمنهجية الصحيحة في السنوات الخمس الماضية . كانت العلاقات بين المقاومة الفلسطينية والجماهير والاحزاب العربية علاقات متقطعة غير مرتكزة على مؤسسات فكثر فيها الاستنساب الظرفي ، فانهمكت المقاومة الفلسطينية ، بعد معركة الكرامة ، في اقامة علاقات مع الاقطار العربية تتميز بتعامل محتوم بينها وبين الانظمة العربية ، وواصلت اتصالها بالجماهير دون ان تصل الى مستوى التداخل المبرمج معها . وهكذا فان المقاومة — باستثناءات محددة — لم تتمكن ان تربط نظريا وعمليا ما بين سلطتها المعنوية على الجماهير وبين قدرة هذه الجماهير على الضغط على

انظمة الحكم في اقطارها حتى تتمكن من تلبية الاحتياجـــات المتجددة والضرورية لمسيرة النضال التحرري الفلسطيني . وكانت الانظمة العربية تشجع المقاومة على الفصل بين تداخلها المتقطع مع الجماهير ، وبين تعاملها معها لان هذا الفصل كان باستطاعتـــه ان « يكوّع » تصاعد الضغط الجماهيري على الانظمـــة بشكل مباشر . وبالتالي كانت الانظمة تسعى لان تنتزع ، من جراء التعامل مع المقاومة ، شرعية الاستمرار في وجه منطق المطالبة باحداث تغييرات جذرية في الوضع العربي . وهكذا بقيت العلاقة بـــين الجماهير والمقاومة علاقة تعاطف وانجرار وراء المقاومة دون ان يتحول هذا التعاطـــف الى قوة مادية فاعلة الى درجة المساندة المباشرة للمقاومة الفلسطينية ومواجهة ترددات وذبذبات الانظمة في بلادها . وبالنتيجة فقد تغلب التعامل بين المقاومة والانظمة ، على أولوية التداخل مع الجماهير في المرحلة التي كان فيها التداخل مع الجماهير قادرا على العزل السياسي للانظمة التي خرجت من حرب حزيران وهي فاقدة رصيدها الشعبي والجماهيري وقدرتها على مواجهة هذه الجماهير وتصاعد ضغطها .

وبنتيجة هذا الوضع ، اصبحت الجماهـــير العربية ، من حيث اندفاعاتهـــا التلقائية والعفوية مع المقاومة الفلسطينية ، ومن حيث استمرار ارتباطهـــا بالقيادة التاريخية للرئيس عبد الناصر ، وفي غياب انتظامها وانضباطها عقائديا وتنظيميا ، اصبحت هذه الجماهير تفرض من حيث تريد أو لا تريد استمرارية التلاحم بين القيادة الناصرية وبين المقاومة الفلسطينية . كـــان الارتباط الوجـــداني بين الجمـــاهير العربية والمقاومـــة الفلسطينية فرصة لتسييس هذه العلاقة وتنظيمها . لكن هـــذا لم يحدث ، وان حدث فبمستوى ضئيل وباهت ، مما مكن المعادلة السابقة لحرب حزيران ١٩٦٧ ، المتمثلة في علاقة الجماهير مع القيادة التاريخية لجمال عبد الناصر ، ان تحتفظ بمستواها السياسي، والى حد ما ، بمستواها التنظيمي بما ينطوي عليه التنظيـــم بالمفهوم الناصري ، مـــن انفلاش في العمل السياسي المنتظم . وهكذا ولدت حالة من الازدواجية : ولاء وجداني للمقاومة ، ولاء سياسي للقيادة الناصرية . لكن العلاقـــة الوجدانية بين الجماهـــير والمقاومة تصبح عرقلة للهدف من ورائها اذا لم تنظم وتسيس بالمعنى الثوري والعلمي للتنظيم والتسيس ، كما ان العلاقات السياسية بين الجماهير والقيادة المصرية الوطنية المتمثلة بعبد الناصر ، اذا افرغت من ابعادها الوجدانية ، تفرغ من طاقاتها على التحريك الثوري . حالت هذه المشاركة ما بين المقاومة وقيادة عبـــد الناصر في ولاء الجماهـــير حالت دون ان ترمي الجماهير العربية وقسم كبير من الجماهير الفلسطينية بالذات بثقلها مع احدى القيادتين عندما تعارضتا او اختلفتا . كان الارتباط السياسي يرجح ما يسمى بالواقعية ، وكان الارتباط الوجداني يرجح الاعتبارات الثورية . ولما اصطدمت مقتضيات الواقع مع مقتضيات الثورة ونظراً لحالة المشاركة القائمة ، اصيبت الجماهير بحـــالة ضياع . ومن جهة ثانية ، فان المقاومة الفلسطينيـــة لم تتمكن من ان تبقـــي العلاقة الوجدانية بينها وبين الجماهير بالمستوى المطلوب وتصعدها بالنظر لواقع التشرذم الذي حصل في المقاومة نفسها . ان العلاقات الوجدانيـــة الثورية بين الجماهـــير والمقاومة تصبح سريعة العطب اذا افتقرت الى اطر واقنية المؤسسات التنظيمية والعلاقـــات السياسية الواعية . حين تكون العلاقات وجدانية ، تصبح الصورة التي تتركها المقاومة في نفس الجماهير بنفس أهمية واقع المقاومة ذاته .

التعامل مع النظام الاردني

وفي هذه الاثناء ، اي في الفترة ما بين اذار ١٩٦٨ وايلول ١٩٧٠ ، كان انهماك المقاومة الفلسطينية في التعامل المكثف الضروري مع النظام الاردني ينطوي على الرغبة في تحقيق الاحتمالات العملية التي تمكن الاردن من ان يكون مجتمع التأهب للعمـــل الفلسطيني الفدائي . ان طبيعة النظام الاردني تجعله نظاما متربصا بالمقاومة لكنه ، بحكم مقتضيات

الهزيمة ، مضطر للتعايش معها . وقد أدى توجه المقاومة المكثف للتعامل مع النظام الاردني ، وبحكم محدودية امكانياتها وتصوراتها الاستراتيجية ، الى الاكتفاء بوهج العلاقة الرومانسية الوجدانية مع الجماهير ، والايحاء بان تعايشها مع النظام ، وان لم يكن هو الصيغة الاوفق لمقتضيات نضالها واهدافها . انما هو صيغة مرحلية لطمس مواقع التربص عند النظام الاردني المخطط للانقضاض عليها . هذا التصور جعل المقاومة تهمل تنظيم الجماهير في الساحة الاردنية سياسيا وتنظيميا ، فكان التجمع الوطني الاردني في ذلك الحين يلعب دور التعبئة السياسية عند الحاجة الملحة ولا يقوم بعمل سياسي تجهيزي لحماية المقاومة في الساحة الاردنية . يتساءل البعض ، وهذا هو محور المناقشات بين عدد من فصائل المقاومة ، فيما اذا كان هذا التعاون بين النظام الاردني بما ينطوي عليه هذا النظام من تصميم مخفي للادوات الداعية للانقضاض على المقاومة الفلسطينية ، يعكس عجز المقاومة عن النفاذ للحقائق الاساسية التي يمثلها النظام الاردني ؟ ام كان عدم الاعلان عن الاستنتاجات الكلية للمقاومة عن طبيعة النظام الهاشمي منطلقا من تقييم لموازين القوى في الاردن ولم يكن نقصا في التقييم بل جزءا من المخطط ؟ هناك منظمات تعتقد ان عدم اعلان الفصيل الاكبر ، أي فتح عن ادراكها لحقيقة عوامل التربص من قبل النظام الاردني ناتج عن عدم استكمال فتح لمقدرتها على التقييم الدقيق النافذ الى طبيعة التكوين الطبقي والمصلحي للنظام الاردني والمرتبط مع الامبريالية العالمية . يستتبع هذا ان الشعار الذي طرحته فتح في هذه المرحلة والقائل بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية ، رغم كونه يعكس بشكل واقعي موازين القوى في المنطقة بين الانظمة والمقاومة ، الا انه شعار يعبر عن عدد من السلبيات الاساسية في تفكير المقاومة فهو يعبر اولا : عن تسليم بان الادانة والعقوبة الموجهة من الجماهير للانظمة بعد حزيران ١٩٦٧ لن تحصل ما دامت لم تحصل . وثانيا : جاء هذا الشعار بمثابة تطمين اضافي بان المقاومة الفلسطينية لن تترجم التعاطف الوجداني الى ضغوط سياسية . وثالثا : عبر هذا الشعار ، ولو بشكل غير مباشر ، عن الاقليمية الفلسطينية التي كادت ، باسم نزع الوصاية العربية ، تصبح جزءا من النظام العربي . لكن هذا الشعار ، رغم هذه السلبيات الهامة والمعيقة ، كان يعبر ، بالمقابل ، عن مخاوف حقيقية لدى المقاومة وفتح على الاخص من ان الانظمة العربية ، وخاصة النظام الاردني ، تحمل في ثناياها مخالب مهيأة للانقضاض عليها .. وبالتالي فقد كانت فتح تطرح هذا الشعار باعتباره مهادنة تكتيكية ولكن بسبب رجحان قوى الانظمة وعلى الاخص النظام الاردني ، كانت مضطرة الى اظهاره على انه مهادنة استراتيجية رغم ما كانت تدركه من ان هذه المهادنات ستؤدي الى سحب نسبة كبيرة من رصيدها العقائدي والثوري والى تثبيت مواقع الفصائل الاخرى الاصغر حجما ولكن الاكثر تقدما من حيث التركيب النظري . حين هادنت المقاومة الفلسطينية النظام الاردني تكتيكيا ، كانت تنطلق من تقييم لها لواقع العلاقة بين الانظمة العربية والنظام الاردني . وبالتالي ما كان لهذه المهادنة ان تبرز بهذا الشكل الطاغي لو كانت هناك قناعة بان أحدى آثار الهزيمة العسكرية على الانظمة الوطنية كانت المهادنة مع الانظمة الرجعية والمحافظة في المنطقة ومع النظام الاردني على الاخص والتي تمثلت في مقررات مؤتمر القمة الذي عقد في الخرطوم في العام ١٩٦٧ . لقد كانت الجماهير المرتبطة بقيادة عبد الناصر ، ممتعضة وجدانيا من مهادنة الانظمة الرجعية والمحافظة لانها اعتادت لسنوات متعددة على ان تتحرك ثوريا . وهكذا عندما جاءت المهادنة السياسية ومعها المقاومة الفلسطينية وارتباط الجماهير وجدانيا معها ، ما كان باستطاعة الجماهير الا ان تعوض عن المهادنة السياسية بعدم المهادنة الوجدانية . لذلك ، وعندما لم تتوضح عناصر التعايش بين المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني ، ارتبكت الحالة الوجدانية او المعادلة الوجدانية بين الجماهير والمقاومة واصبح بامكان بعض الفصائل الاخرى كالجبهة

الشعبية والديمقراطية وغيرها ان تبدو وكأنها اكثر استيعابا لتصميم الجماهير على الحركة الثورية لانها رفضت هضم المهادنات المفروضة على الانظمة والمهادنات المفروضة على المقاومة . وقد تمكنت، هذه المنظمات الاكثر قدرة على التعبير عن وجدانية الثورة من استقطاب قطاعات من الجماهير وجدت فيها مرسى لقلقها وضياعها . لكن صغر حجمها لم يمكنها من الاستقطاب العام نظرا لضآلة فعاليتها على الساحة الاردنية الاساسية . كانت احدى نتائج هذا الارتباك في صيغ العلاقة مع الجماهير ان تأثرت علاقة فصائل المقاومة مع بعضها بعضا وبدأ وهج العلاقة الوجدانية بين الجماهير والمقاومة الفلسطينية يبهت . ومع ان الجماهير العربية تدرك بحسها الثوري ان لا بد من تعقيدات تواجهها المقاومة الفلسطينية وان على المقاومة ازاء هذه التعقيدات ان تقوم بانحناءات تكتيكية امام النظام الاردني او امام الانظمة العربية الاخرى ، الا ان غياب المشاركة وغياب انتظام التفكير بين المقاومة والجماهير ، جعل من هذه الانحناءات التكتيكية تبدو وكأنها تخل عن المضامين الثورية لحرب التحرير الشعبية التي يفترض بالمقاومة ان تضع التصور الاستراتيجي لها وان تقوم بمتطلبات التعبئة لها وتنظيم عملياتها .

في هذه المرحلة بالذات ايضا ، اشتدت الخلافات بين فصائل المقاومة الرئيسية واشتدت عملية الانشقاقات فيما بينها مما زاد في عملية ارتباك العلاقة بينها وبين الجماهير ، مما أدى الى جعل الجماهير العربية مكتفية الى حد كبير بعلاقاتها السياسية الباهتة نسبيا مع القيادة المصرية . كانت هذه العلاقات السياسية مع القيادة المصرية علاقات اصيلة ومستمرة الا انها لم تعد علاقات ثورية.كأن الارتباك في علاقتها بالمقاومة، جعل الجماهير تقبل بمنطق تحقيق الممكن بدلا من اجتراح المستحيل ، أي ان قوة الجماهير التي كانت تكمن في طموحها ، اصبحت هذه القوة تكمن في استمرارها ، وكأن المقاومة الفلسطينية عندما دخلت في وجدان الجماهير ابقت الطموح لديها ولكنه كان طموحا بدون توجيه بينما تمكنت القيادة المصرية ، برصيدها الثوري الوطني السابق ، ان تحتفظ بالعلاقة السياسية ، فرغم ان الهزيمة انتزعت من هذا الرصيد قيمته الثورية ، الا انها لم تنتزع قيمته الموضوعية . وحين نؤكد على عامل الارتباط بين الجماهير والقيادة المصرية المتمثلة بالرئيس عبد الناصر ونحن في معرض الحديث عن الاردن ، فلان الساحة الاردنية كانت تضم القوى الثلاث الرئيسية : قوة النظام الاردني الهاشمي ، قوة الحائل الناصري ، وقوة المقاومة الفلسطينية . كانت قوة الحائل الناصري تلتحم وتتناسق مع القوى الذاتية للمقاومة الفلسطينية وتشكل لها بالتالي الحماية النسبية التي تمكنها من ان تتحرك ثوريا وفدائيا .

المقاومة والقيادة الناصرية

ان الواقع الذي كانت تعيشه الجماهير العربية اجمالا من حيث التلاحم بما نسميه اعتباطا حركة الجماهير الناصرية ، اي المتأثرة بقيادة عبدالناصر ، وبالثقة المتراكمة لديها به ، كان يجيز للمقاومة الفلسطينية التعامل مع الانظمة ويمكنها في الوقت ذاته من التحرك الجماهيري . وقد كانت السياسة المصرية في هذا الحين تؤكد على امكانية التوازي بين العمل من اجل الحل السياسي بموجب قرار ٢٤٢ الصادر عن مجلس الامن وعمل المقاومة من اجل التحرير الكامل . ورغم التنافر العلمي والعملي بين هذين السلوكين : السلوك بموجب قرار مجلس الامن والمحاولات السياسية والدبلوماسية لتنفيذه ، وسلوك المقاومة الفلسطينية الذي يتجاوز هذا القرار ويواصل التخطيط والعمل في سبيل التحرير على المدى الطويل ، فقد كان هناك اصرار لدى الطرفين : القيادة الناصرية والمقاومة ، على الظهور بمظهر عدم التناقض بالنظر الى ارتباط الجماهير سياسيا بعبد الناصر ووجدانيا بالمقاومة الفلسطينية . اذا ، كان هذا الارتباط

المزدوج والمتوازي ، والى حد اقل المتناقض ، هو الذي فرض على عبد الناصر وعلى المقاومـــة عدم التصدي لبعضهما بعضا في المرحلة الاولى ، وفرض عليهما مستوى من الارتبـــاط والتلاحم لا تجيزه التزامـــات كل منهما : التزامـــات القيادة المصرية بالحل السياسي ، والتزامات القيادة الفلسطينية بالحل التحريري . وقد تمكن الرئيس عبد الناصر ، في الخطاب الذي افتتح به المجلس الوطني الفلسطيني السادس في حزيران ١٩٦٩ ان يعبر عن منطقيـــة التوفيق بين مطلبين همـــا ، في اي امتحان او معيـــار ، متناقضان . وانصافا نقول ، بأن الجماهير العربية وكذلك القيادة المصرية كانت تفسر هـــذا الموقف بان احتمـــالات تنفيذ قرارات مجلس الامـــن ليست واردة بالنظر لتعنت اسرائيل ومراوغتها ، وبالنسبة لطبيعة الذهنية والحركية الصهيونية وتصميمها عـــلى التوسع ومواصلة العدوان . لذلك فان الثقة السياسية للجماهير العربية بقيادة عبد الناصر ، كانت نابعة من اقتناعها باستحالة تنفيذ قرار مجلس الامن الذي من شأنه ، في حالة تنفيذه ، تصفية القضية الفلسطينية ، لانه من الاستحالة ان يسهم عبد الناصر في هذه العملية التصفوية . وفي الوقت ذاته ، كانت الجماهير مرتبطة وجدانيا والى حد ما سياسيا بالمقاومة الفلسطينية ، لانها كانت تعتبر ان سياسة التحرير هي التي تلبي تطلعاتها القومية وامالها الثورية . ولكنها ، اي الجماهير ، كانت تعتقد بانه ليس بمقدور المقاومة ان تقوم بالتحرير وحدها ، انما بمقدورها ان تبقي قضية التحرير مفتوحة وحية ومتفاعلة . بقيت هذه العلاقة الثنائية من قبل الجماهير مع كل من المقاومة وقيادة عبد الناصر ، قادرة على فرض مستوى من التنسيق حتى في احلك لحظات اللاتفاهم ، وكانت قادرة على ان تنجز هذا المستوى انطلاقا من قناعة وطنية اساسية عند الرئيس عبد الناصر بأهمية ابقاء الجماهير في حالة متقدمة من الاستعداد للتلاؤم الذي كان متوفرا عند القيادة الفلسطينية وعلى الاخص فتح وعند قطاعات كبيرة من الشعب الفلسطيني خاصة في الضفة الغربية وقطاع غزة . على اي حال مهما كـــانت التباينات مع مصر ، ومهما كانت المقتضيات الظرفية التي تحـــول دون قدرة مصر على التحـــرك الثوري الجماهيري الكامل ، فان اي اسقاط لمصر من حسابات اشاعة روح المقاومة وتعميقها على الساحة العربية ، هو اسقاط يفرغ العرب من احدى الادوات الرئيسية الضاربة ضد اسرائيل . وهكذا كان على المقاومة الفلسطينية رغم عدم تواجدها الحميمي داخل الارض المحتلة بمعنى ارتباط اهلنا في الارض المحتلة بقيادة المقاومة وتوجيهاتها وليس بمعنى التعاطف معها ، كانت المقاومة قادرة على التقاط هذه الضغوط والاستجابة لها وبالتالي الابقاء على علاقة عضوية مع القيادة المصرية رغم تشنجات طرأت في عدد من المراحل تمثلت في ادانـــة تخلي التعبير السياسي المصري عن مفرداته الثورية بالنظر الى مهادنة الانظمة العربية والى تقلص ، والى حد ما تخلي القيادة المصرية ، عن الفعل الثوري في المنطقة العربية . اذا ، فقد كانت المقاومة الفلسطينية وكذلك الرئيس عبد الناصر ، على استعداد للقبول بوجهة النظر الاخرى رغم عدم وجود استعداد لدى اي منهما لتبني وجهة النظر الاخرى . هذه العلاقة الحميمة لكن المتوترة في الوقت ذاتـــه ، العضويـــة والمستقلة في نفس الوقت بين هـــاتين القيادتين الجماهيريتين بقيت تحمي التواجد الفلسطيني المكثف وعمل المقاومة في الاردن ، والى حد ما في لبنان .

مشروع روجرز

ظلت العلاقة على هذا النحو : حميمة ومتوترة في آن واحد ، الى ان تقدم وزير الخارجية الاميركية بمشروعه المسمى « المبادرة الاميركية للتسوية » . وكان الرئيس عبد الناصر قد ذهب الى موسكو واجتمع بالزعماء السوفيات ، وتباحث واياهم في موضوع القبول بهذه المبادرة . تبين بالنتيجة ، ان السوفيات ، وان كانوا يرغبون في مضمون هكـــذا مبادرة ، الا انهم المحوا الى ان من الافضل ان تأتي هذه المبادرة من فرنسا بدلا من ان

تجيء من الولايات المتحدة حتى لا تثير تعبئة جماهيرية فورية ضدها . كان التقييم السوفياتي في ذلك الوقت يتطلب تنفيذا متمرحلا وليس فوريا شريطة ان تكون المراحل متتابعة ومتصلة بحيث لا تقفل اية مرحلة ما يستتبع من مراحل . الا ان الرئيس عبد الناصر اصر بأنه ما دام هناك قبول بالمبادرة فلتأت من المصدر الفعلي لها حتى يكون بالامكان الزام الولايات المتحدة بان تتحرك في سبيل التنفيذ وان تحاسب ، على ضوء مبادرتها ، على كل تصرفاتها تجاه اسرائيل عملا بمنطق « الحق العيار لباب الدار » . ورغم ان عبد الناصر كان مدركا للمغامرة التي يتضمنها القبول بالمبادرة الاميركية بالنظر الى الشكوك العميقة التي تساور الجماهير العربية من اية مبادرة تأتي من الامبريالية الاميركية ، الا انه خلص الى ان رصيده يكفي لان يحمي ثقة الجماهير به فأعلن قبوله بمبادرة روجرز امعانا في تأكيد التزامه أمام الرأي العام الدولي والمجتمع الدولي بالتسوية السلمية لحل النزاع العربي — الاسرائيلي وليعطي الفرصة الاخيرة للولايات المتحدة بأن تترجم تباينها الشكلي مع اسرائيل الى تناقض بين مقتضيات الدبلوماسية الاميركية بموجب المبادرة وتعنت اسرائيل ، وحتى يفوت على الاميركيين بالذات اية فرصة للامعان في المراوغة وفي التطابق الكامل مع اسرائيل . نقول هذا لا تحليلا لدوافع الرئيس عبد الناصر لقبوله مشروع روجرز ، انما نقوله لنثبت الحقائق والاستنتاجات التاريخية الاربعة التالية : اولا — ان الرئيس عبد الناصر لم يستوعب اهمية التخلي الوجداني عن علاقة الجماهير بقيادته السياسية ، وبالتالي فان قبوله بمشروع روجرز حمل الجماهير اكثر من قدرتها على التحمل . ثانيا — ان قبول المشروع شكل بالنسبة للمقاومة الفلسطينية وللوجدان الجماهيري فرصة تثبت امكانية واقعية للبدء في تنفيذ قرار مجلس الامن وافساح الفرصة امام هذا القرار كي يترجم مستقبلا الى واقع جغراسي موضوعي في المنطقة . ثالثا — لم تقيم المقاومة الفلسطينية من جانبها احتمالات تجاوب اسرائيل مع هذه المبادرة وسلمت بانه ما دامت المبادرة اميركية فلا بد ان يكون التجاوب الاسرائيلي معها آليا . ولذلك ، وبدلا من الاسترسال في التوجه نحو التقييم الأدق والاكثر استيعابا للتفاصيل في شأن العلاقات بين اسرائيل والولايات المتحدة ، وفي كون هذه المبادرة لم تكن مبادرة في الصميم بقدر ما كانت استمرارا في المراوغة الاميركية ، فقد كان قبول الرئيس عبد الناصر بالمبادرة من وجهة نظر المقاومة شحنة في تغليب التوتر في العلاقات على حميمية هذه العلاقات . رابعا — ولما عجزت المقاومة الفلسطينية عن التوجه الدقيق لتحليل ما يمكن ان يستتبع مبادرة روجرز من اجراءات تنفيذية محددة ، اي عندما لم يستعرض التقييم استحالة قبول اسرائيل بمشروع روجرز ، وتبعت المقاومة اجتهادات الفصائل الاصغر التي كانت اصلا ترفض اسلوب التعامل الحميمي وان كان متوترا بين المقاومة والقيادة المصرية فنظرت الى مبادرة روجرز على انها تأكيد على صحة تقييمها السابق ، عند ذلك جاءت مبادرة روجرز مضخمة في اهميتها فلم تتمكن المقاومة من النفاذ الى كون قبول عبد الناصر استمرار في الملاحقة التكتيكية للدبلوماسية الاميركية .

من مشروع روجرز الى مجزرة ايلول

كان من جراء عدم الاخذ بالتفاصيل الدقيقة للتقييمات المتبادلة بان ترجمت اعتراضات قيادة عبد الناصر على المقاومة ، واعتراضات المقاومة على القيادة المصرية الى مدخل جديد لتصعيد التوتر من جهة ، والى السماح للتناقضات بان تتحول الى تصادمات سياسية علنية بدلا من الاستمرار في علاقة التوازي التي كانت قائمة في السابق . نتج عن ذلك مواقف انفعالية تتولد حتما كلما يتغلب التوتر على التفاهم في اية علاقة حميمة . صعدت اجهزة الاعلام الفلسطينية الحملة على القبول بمشروع روجرز وشحنت الحملة بالتشكيك في القيادة المصرية . كان هذا الموقف لحاقا اعلاميا من قبل التيار العام

للمقاومة بالمواقف المتشددة غير المراعية لضرورات استمرار التنسيق والعلاقة مع القيادة المصرية . أدى هذا الموقف الى ارباك المعادلة السياسية بين الجماهير وقيادة عبد الناصر ، مما حدا بالقيادة المصرية لاتخاذ اجراءات انفعالية الى حد ما فاقفلت اذاعة صوت العاصفة وطوقت القدرات الاعلامية الاخرى للمقاومة . كانت هذه الاجراءات بمثابة اعلان عن التناقض . وبالنظر الى افتقاد المقاومة الفلسطينية والقيادة المصرية لاية علاقات تنظيمية مع الجماهير العربية ، وبالنظر الى افتقاد الاقنية التي تمكن الجماهير العربية من ممارسة ارادتها وضغطها وثقلها على القيادات التي تمنحها ولاءها ، كانت علنية التناقض مدخلا للانقسام ولشل قدرة الجماهير على التحرك السياسي القادر .

ولعل أهم أو أخطر نتائج هذا التناقض العلني ان فاعلية الحائل الناصري في الساحة الاردنية تعطلت فلم يعد قادرا على تحديد سياسته وتوجهه ففقد قدرته على الحيلولة دون انقضاض النظام الاردني على المقاومة في أيلول مثلما تمكن هذا الحائل الاردني الجماهيري ، ذو الولاء السياسي لقيادة عبد الناصر ، ان يفعل في الازمات المتتالية بين المقاومة والسلطة الاردنية في ١٩٦٨/١١/٢ و ١٩٧٠/٢/١٠ و ١٩٧٠/٦/٥ ، أن الشلل الذي اصاب هذه القوى السياسية الحائلة دون الاصطدام المباشر او دون استمرارية هذا التصادم ، هو الذي جعل المقاومة تقف وحيدة في مجابهة مباشرة مع النظام الاردني ، وهو الذي مكن انياب النظام الاردني المتربص للانقضاض ، ان يتحرك وان يجر المقاومة الى الفخ الذي نصبه لها النظام الاردني المتواطىء مع اسرائيل والامبريالية الاميركية . لقد كانت مبادرة روجرز بمثابة تغييب المظلة الوقائية التي شكلتها الجماهير الناصرية للمقاومة الفلسطينية . صحيح ان الجماهير لم تتخل عن المقاومة من حيث تعاطفها ، ولكنها افرغت من فاعليتها . ورغم ان عدة محاولات قد بذلت لرأب الصدع وللتفاهم ، الا ان التناقضات بين الانظمة العربية التي ارادت وراثة جزء من الجماهير المرتبطة سياسيا بعبد الناصر ، وجدت الفرصة مناسبة لها لتصعيد هذا التناقض وتعميق الصدع باشعار المقاومة بأن علنية تناقضها مع النظام المصري لا تعني عزلتها عن بعض الانظمة . وهكذا تجرأت المقاومة على القيادة المصرية بما يتجاوز المقتضيات المرحلية الموضوعية لعلاقاتها مع مصر ورضيت بالتجاوب اللفظي الذي عبرت عنه انظمة عربية اخرى ، محافظة وتقدمية ، التي استهدفت في الواقع تصعيد الاستعداد الذهني لدى المقاومة للتصدي للقيادة المصرية واسقاط مصر من الحسابات الاساسية للمجابهة مع النظام الاردني واسرائيل ، دون ان تدقق المقاومة بمدى الاستعداد العملي والموضوعي لترجمة المواقف الاعلامية المعلنة من قبل هذه الانظمة الى ممارسات فعلية من شأنها ان تعوض للمقاومة ما قد تفتقده من جراء علنية تناقضها مع القيادة المصرية .

كانت السلطة الاردنية ، بالدراسات التي كانت تعدها لها باستمرار اجهزة المخابرات الاميركية ومخابراتها الذاتية ، مستعدة لان تهيء نفسها لما كانت تخطط له منذ معركة الكرامة اي الانقضاض على المقاومة الفلسطينية بغية تكريس اهليتها للنطق باسم الشعب الفلسطيني وتقرير مصيره ومصير قضيته . جاء التصدع في العلاقة بين القيادة المصرية والمقاومة الفلسطينية ، وجاء تغييب الجماهير السياسية ذات الولاء الناصري في الوقت الذي كانت فيه المقاومة الفلسطينية في حالة من الانقسام تجعلها دون المستوى الذي يمكنها من حماية نفسها . من هنا جاءت قضية خطف الطائرات التي قامت بها الجبهة الشعبية ، وطرح شعار كل السلطة للمقاومة الذي طرحته الجبهة الديمقراطية في مرحلة لم تتمكن المقاومة فيها من السيطرة على انضباطية يسارها المذهبي كما انها لم تتمكن من ضبط علاقاتها السابقة بالقوى الاساسية في المنطقة . وهكذا كانت كل

الظروف غير ملائمة لترجيح ميزان القوى في الاردن لصالح المقاومة .

نحن هنا لسنا بصدد تقييم او اصدار حكم على صحة او سلامة الشعارات التي طرحتها الجبهة الديمقراطية مثلا او العمليات التي قامت بها الجبهة الشعبية ، او مثابرة حركة فتح على احتواء عملية انقضاض السلطة على المقاومة ، انما الاعتراض الاساسي هو ان هذه الشعارات والعمليات والمحاولات لم تنبثق من قيادة مركزية موحدة وبالتالي ، فانها لم تصب في عملية تحصين المقاومة ومناعتها . ولذلك ورغم عدم استعدادنا لتحميل هذه الشعارات او العمليات او المحاولات المسؤولية المباشرة لما حصل في ايلول ١٩٧٠ لان هكذا موقف يتضمن ، بشكل مباشر او غير مباشر ، تبرئة — ولو جزئية — للنظام الاردني ، او تجاهلا للخط البياني المتصاعد والمستمر لتربص السلطة الاردنية بالمقاومة الفلسطينية بعد معركة الكرامة وبكل مقاومة فلسطينية صحيحة منذ قيام دولة الاردن . ان الاعتراض على هذه الشعارات او العمليات هو من حيث جرها المقاومة الى مواقع غير مدروسة وغير مخطط لها وهذا يعود الى افتقاد المقاومة في تلك المرحلة العصيبة الى مستوى من الوحدة العضوية بين فصائلها وقيادتها . وسهل تغييب القطاع الجماهيري المتعاطف وجدانيا مع المقاومة والمرتبط سياسيا مع عبد الناصر ، مهمة السلطة الاردنية في تنفيذ مخططات الحرب السياسية والنفسية التي وضعتها ورسمتها المخابرات الاميركية والاسرائيلية من اجل تعميق التناقضات الديمغرافية بين اردني وفلسطيني ، وحال بالمقابل دون تمكين المقاومة الفلسطينية من تعميق وترسيخ القطاع الاردني الجماهيري المتجاوب معها والذي كان باستطاعته ان يؤدي وظائف اكثر مما ادى لحماية المقاومة . لقد تمكنت السلطة الهاشمية بمساعدة المخابرات الاميركية واجهزة الحرب النفسية فيها من ان توصل الادوات الضاربة للسلطة الاردنية الى مستوى متطرف من الشراسة ضد الشعب الفلسطيني مما يؤكد مرة اخرى على تجاهل المقاومة الفلسطينية والحركات التقدمية والثورية العربية معها ، القوى الكائنة في المجتمع العربي والمرشحة لان تكون امتدادات للطبقات الحاكمة ولمصالحها الاساسية . لقد كشف نجاح المخابرات الاميركية في ايجاد ثم تعميق الفجوة بين الاردنيين والفلسطينيين عن مدى قابلية الجماهير للعطب . هذه القابلية التي كانت الناصرية غطاء لها . فلما غاب الغطاء الناصري ، تعرضت الجماهير ، وهي غير منظمة ، بحيث تكون بمنأى عن العطب الذي يمكن ان تلحقه بها التيارات الانفصالية وغيرها ، لوسائل الحرب النفسية فوقعت تحت براثنها . لقد سلمت المقاومة الفلسطينية بسطحية الولاءات القومية عند الجماهير دون ان تدرس بعمق نقاط ضعف الجماهير وقابليتها لمواجهة التحديات والحرب النفسية .

اتفاقية القاهرة وغياب عبدالناصر

جاءت مجزرة ايلول بمستوى من الشراسة اعاد للانظمة العربية علاقاتها الوجدانية بالمقاومة ولكنه لم يعد لها علاقاتها السياسية العضوية بها الا بمقدار ما انفكت العلاقات السياسية بين الانظمة العربية والنظام الهاشمي . كما ان المجزرة اعادت للجماهير العربية علاقتها الوجدانية السابقة بالمقاومة لكن هذه العلاقة تمثلت بشعور بالاثم لدى الجماهير على موقفها السابق من المقاومة واثناء المجزرة نفسها . وقد جعلها هذا الشعور بالاثم تسهم بشكل ما بالضغط على الانظمة العربية لتدين الاردن ادانة واضحة دون ان تصر على ترجمة الادانة الى عقوبة . وكلما كانت حدة الادانة اشد، كلما ضعفت احتمالات العقوبة . كان ذلك محصلة غياب مؤسسات العلاقات بين الجماهير العربية والفلسطينية من جهة والقيادة السياسية لمصر من جهة اخرى . وهكذا اصبحت الجماهير ترضى بما لم يكن يرضيها وما لا يجب ان يرضيها . كانت عقدة الاثم وراء التلبية السريعة لدعوة الرئيس عبدالناصر لمؤتمر القمة الذي كان تعبئة وجدانية لعلاقة

الجماهير بالمقاومة الفلسطينية ، وتجديدا لمستوى العلاقة السياسية بين الجماهير والقيادة الناصرية . لكن العلاقة الوجدانية المستجدة لم نكن من نوعية العلاقة السابقة التي وجدت بعد معركة الكرامة . آنذاك كانت الجماهير تعتبر المقاومة بوصلة التحرك الوجداني للجماهير العربية ، بينما كانت العلاقة الوجدانية المستجدة في أيلول ١٩٧٠ ناتجة عن عقدة الاثم بسبب التخلي السياسي عن المقاومة في المراحل السابقة .

كان يمكن لعقدة الاثم ان تكون أداة تثوير للجماهير تفرض مستوى متقدما للعلاقة الحميمة بين القيادة المصرية والمقاومة الفلسطينية ، الا ان اتفاقية القاهرة في ٢٧ ايلول ١٩٧٠ كانت صيغة توفيقية عبرت عن عودة الالتحام بين الوجدان الجماهيري المتجدد في علاقته مع المقاومة الفلسطينية من خلال عقدة الاثم وبين علاقاته السياسية مع قيادة عبدالناصر الذي اثبت ، من خلال تحركه في سبيل درء مخاطر انقضاض السلطة الهاشميـــة على المقاومة الفلسطينية وعلى الشعب الفلسطيني ، انه تحرك سياسيا من خلال معطيات وجدانية وان ترسب في هذه المعطيات بعض التوترات التي لازمت التحرك السياسي للرئيس عبدالناصر بعد قبوله مبادرة روجرز مما أخر الى حد ما سرعة التجاوب المصري مع المقاومة وضد الاستفزاز الاردني الصارخ في أيلول ١٩٧٠ . وبالاضافة الى ذلك ، فقد كان التردد في الموقف المصري من ادانة الملك حسين والسلطة الاردنية ادانة كاملة، ناتجا عن نقص في التقييم ونقص في المعلومات واعتقـــاد بأن هذا تكرار لما سبـــق من اصطدامات بين السلطة الاردنية والمقاومة الفلسطينية . لقد كانت اتفاقية القاهرة معبرة عن الثقل الذي تتمتع به الانظمة العربية داخل الساحة الاردنية ، وجاءت محصلة وانعكاسا لمستوى العلاقات بين المقاومة والجماهير ، أي ان الاتفاقية عبرت عن مستوى ادنى لتداخل المقاومة مع الجماهير ولكنها كانت في الوقت ذاته محاولة من قبل الانظمة العربية لحماية حق المقاومة بالتواجد داخل الساحة الاردنية . هذا التوفيق بين الواقعية السياسية والمقتضيات الوجدانية هو الذي مكن عبدالناصر في لحظة وفاته من ان يختصر للجماهير ضرورات التحليل التاريخي اذ ما كاد يعلن نبأ وفاته حتى استعادت الجماهير التحامها ولفترة زمنية معينة لكنها رجعت فيما بعد الى مواقعها السابقة لان التحامها كان شعوريا ولم يكن منظما .

مما لا شك فيه ان قيادة عبدالناصر كانت حدثا تاريخيا من حيث قدرته على تحريك الجماهير والاستحواذ على ولائها السياسي . لكن بمقدار مـــا كانت قدرته على ذلك واضحة ، كانت قدرته على تنظيم الجماهير غير واضحة . فلما غاب عبدالناصر عن المسرح العربي اثر اتفاقية القاهرة التي صاغت طبيعة العلاقات بين النظام الاردني والمقاومة الفلسطينية، طرأت فترة من الركود على قضية التداخل بين المقاومة والجماهير فقد اعتبر ان هذا الركود في التداخل مطلوبا لاعطاء فرصة للانظمة العربية وللمقاومة الفلسطينية لان تترجم بنود هذه الاتفاقية عمليا بدون الضغوط الجماهيرية التي من شأنها ان تربك وتؤزم حالة انعدام الثقة بين المقاومة الفلسطينية والسلطة الاردنية .

تواقتت اتفاقية القاهرة مع الفرصة التاريخية التي سنحت للمقاومة بأن تملأ المقاومة ، بوضوح خطها السياسي ، الفراغ الذي نشأ اثر غياب القيادة التاريخية لعبدالناصر . الا أن خروج المقاومة الفلسطينية بحالة من الارهاق وتوجهها لمعالجة القضايا الملحة على صعيد الوجود الفلسطيني في الاردن ، وعلى صعيد اعادة النظر في خطوط الاتصال والتموين لقواعدها في الاردن ، كل هذا جعل من هموم المقاومـــة الفلسطينية داخل الساحة الاردنية الاساسية اكثر من اهتمامات المقاومة بعلاقاتها مع الجماهير العربية . كان هذا منتظرا ومنسجما مع الحالة التي آلت اليها الجماهير التي شعرت اثر غياب عبدالناصر بالضياع وبتلاشي قدراتها الذاتية، فأخذت ترجح همومها الآنية على اهتماماتها المصيرية والقومية. عزز ذلك استشراء التيارات الانفصالية في المنطقة العربية ومحاولات

استغلال الخسائر الفلسطينية للحيلولة دون تثوير الجماهير الفلسطينية بل ولتمييع علاقة الشعب الفلسطيني بالمقاومة . وبكلام آخر : كانت هزيمة ١٩٦٧ مدخلا للامبريالية والرجعية العربية لان تمعن في فك الارتباطات القومية العربية ، وكانت مجزرة أيلول بالنسبة للامبريالية والرجعية واسرائيل فرصة لفك العلاقات العضوية الوطنية بين الشعب الفلسطيني والمقاومة الفلسطينية .

وبعد غياب عبدالناصر شعرت مصر بأن فشل مبادرة روجرز يدفعها نحو مزيد من العمل السياسي فتوجهت الدبلوماسية المصرية الى العزل المعنوي لاسرائيل . لكن موازين القوى في المنطقة بقيت ، الى حد كبير ، مرتهنة بالمعادلة الدولية بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة اكثر مما هي مرتهنة بالطاقات الذاتية للعرب. لذلك ورغم ابقاء موازين القوى بين مصر واسرائيل على الاخص في حالة لا تمكن اسرائيل من القيام بأعمال عدوانية رئيسية من شأنها اذلال مصر ، فان الولايات المتحدة استمرت في تمكين اسرائيل من ابقاء قوتها راجحة تحت ستار المحافظة على توازن القوى .

الوحدة وميزان القوى

وهكذا نشأ في المنطقة العربية واقع لا يجيز مطلقا بقاء واقع التجزئة ويؤكد على ضرورة التوجه الوحدوي كسبيل لتعديل ميزان القوى لا يمكن للاميركيين اخذه منا كما انه ليس من نوع السلاح الذي يمكن للاتحاد السوفياتي ان يعطينا . ان طبيعة العلاقات الاستراتيجية الاميركية ــ السوفياتية تحتم على الدولتين العظميين ابقاء نوع من التعادل والميزان بين قوة اسرائيل وقوة مصر والعرب اجمالا . لكن هذا التوازن غير طبيعي لانه يوازن بين قوى بشرية وسياسية وموضوعية غير متوازية كالعرب واسرائيل . اذا فالسياسة الاميركية أمبريالية من حيث انها تعمل على افتعال حالة توازن بين قوى غير متوازنة . اما السياسة السوفياتية فتقوم على ابقاء حالة التوازن بين العرب ، ومصر على وجه التخصيص ، واسرائيل ، لكن مع تمكين العرب من اتخاذ الخطوات اللازمة لان يتحقق ترجيح قوتهم دون التأثير على المعادلة الاميركية ــ السوفياتية الشاملة .

ما هي هذه الخطوات التي لا يمكن للامبريالية الاميركية واسرائيل ان تأخذها كمأخذ على انتهاك الاتحاد السوفياتي لمبادىء توازن القوى ؟ لا يمكننا مطالبة الاتحاد السوفياتي ، في ظل واقع المعادلات الدولية وحساسية هذه المعادلات على المستوى الكوني ، بأكثر مما يمكن له ان يعطي لان كل مطالبة بأكثر من ذلك الى جانب عدم واقعيتها ، فانها تعني التخلي عن مهمات قومية اساسية . فاذا أردنا تجاوز قرارات مجلس الامن والدخول في حيز العمل التحريري لفلسطين ، فاننا لا نستطيع ان نعتمد في ذلك على الاتحاد السوفياتي كليا . اذا ، ما هي هذه القوى التي تستطيع ان تلغي فاعلية الامبريالية الاميركية التي تفتعل موازنة بين قوى غير متوازية ؟ انها الخطوات الوحدوية بين الدول العربية . ان الوحدة او اية خطوة نحوها من شأنها ان تجعل الصراع العربي ــ الاسرائيلي بمنأى عن جر الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الى احتمالات تصادم عامة . قد يقول بعض الكسالى في فهم الواقع العالمي بأننا في سبيل التحرير يمكن بل ويجوز لنا ان نجر العالم الى المغامرات ، لكن طبيعة العلاقات الدولية والمعادلات الاستراتيجية ، وطبيعة موقعنا في العالم ، تجعلنا نستنتج بأن العالم غير مستعد لان يركب المغامرات بسببنا او على ضوء اعتبارات تحددها نحن . ان للاتحاد السوفياتي حسابات في مناطق أخرى من العالم لا تمكنه من ربط مواقفه بما نفرضه عليه نحن من ظروف ووقائع . ان ادراك هذه المحدودية في علاقاتنا مع الاتحاد السوفياتي ضروري لصالح علاقتنا به لكن هذه المحدودية يجب أن لا تدفعنا الى الافتراء على الاتحاد

السوفياتي او بأن نطالبه بأكثر مما هو قادر على تلبيته وما نحن قادرون على استيعابه. ان الاتحاد السوفياتي يدرك بأن القوى الذاتية العربية قادرة ، بعد تأمين موازاة الاسلحة بين العرب واسرائيل ، على ترجيح الميزان فهو ، ككل اصدقاء العرب ، ينتظر من العرب تعبئة وتوحيد قواهم الذاتية . وبالمقابل فانه لا يمكن للولايات المتحدة ان تزيد من تسليحها لاسرائيل بحيث ترجح ثقلها العسكري وتتجاوز المعادلات الدولية بين الولايات المتحدة واسرائيل .

وهكذا عندما تخطو الامة العربية خطوات وحدوية ، يصبح افتعال الولايات المتحدة لموازين القوى استفزازا للاتحاد السوفياتي لان اي ترجيح للعرب نابع من تزايد قوتهم الذاتية هو ترجيح مشروع بالمفاهيم الاستراتيجية الدولية بل هو ترجيح مطلوب ومؤثر حتى على السياسة الاميركية من حيث تقليص فعلها الامبريالي داخل الولايات المتحدة وفي المنطقة نفسها. هذا الوضع هو الذي يجعل من تسليح فيتنام من قبل الاتحاد السوفياتي لا يؤثر على المشروعية الاستراتيجية الدولية رغم وجود قوات عسكرية اميركية فيها . وهو الذي يجعل دعم الاتحاد السوفياتي للهند اثناء الحرب الهندية الباكستانية عملا مشروعا . وفي هذا الوضع ، كما في الشرق الاوسط ، افتعلت اميركا واقعا متساويا بين قوى غير متساوية . وحين اثبتت الهند قدرتها على التحرك الثابت الموحد ، جاءت المساعدات السوفياتية ترجح ، دون ان تؤثر ، على الموازين الاستراتيجية الكونية . وفي الشرق الاوسط ، وحتى تنقلب المساعدات المادية والعسكرية من قبل الاتحاد السوفياتي للعرب ، الى ترجيح لكفتهم في صراعهم مع الامبريالية واسرائيل ، لا بد من التوجه الوحدوي الحاسم . وفي هذا الاطار ، فان على المقاومة ان تعمل على تحريك الطاقات الوحدوية على الساحة العربية وان تعمل على اعادة النظر بمعادلاتها مع الانظمة العربية لان الموازنة بين العرب واسرائيل تجعل من تنفيذ بنود قرار مجلس الامن حتى في التفسير السوفياتي العربي ، اقصى ما يمكن الوصول اليه ، بينما قد يؤدي الضغط للقيام بخطوات عربية الى اجهاض قرار مجلس الامن موضوعيا والى وضع الامة العربية في مسيرة التحرير . ان الوحدة هي طريق التحرير وليس العكس . هذا يعني انه رغم ضرورة متابعة العمل التحريري القتالي ، فان المطلوب اتخاذ خطوات وحدوية تسبق عمليات التحرير . لا بد من التأكيد هنا على ان الوحدة لن تتحقق قفزا كما ان التحرير لن يتحقق قفزا . فليس المطلوب في هذه المرحلة تحقيق التحرير بل المطلوب ان يبقى العرب على طريق التحرير وهذا يعني انهم لن يتحولوا في الاشهر القليلة القادمة عن هذا الطريق ويرضخوا لمقتضيات التسوية .

كيف نجعل من مطلب التحرير احتمالا واردا في ظل تلاشي التوجه الوحدوي في المنطقة العربية الحاصل بسبب التجزئة في الساحة العربية وفي مجال العلاقات بين المقاومة والجماهير العربية ؟ ان استمرار التجزئة هو في صالح الانظمة العربية لانها لا تستطيع الاستمرار والرسوخ الا في ظل واقع التجزئة . وبالتالي فمهما تباينت شعارات الانظمة واختلفت التزاماتها اللفظية بقضية التحرير ، فانها تبقى مشدودة لواقعها ولقبولها بحالة التجزئة في الامة العربية وبالتالي بمنطق التسوية . ان هذا الثالوث : الانظمة والتجزئة والتسوية لن يقوى على الاستمرار والترسخ ما دامت العلاقة غير محددة بين الجماهير والمقاومة . ولذلك لا بد من ان تتحدد اولوية العلاقة العضوية بين الجماهير والمقاومة حتى تكون هي المدخل لجعل التحرير مرحليا وفي الحسابات الواقعية مرجحا على التسوية .

اولوية القضية

تتضح أولوية تحديد علاقة المقاومة الفلسطينية بالمؤسسات العربية الحزبية والشعبية

بالنظر الى ضرورة ارجاع المقاومة الفلسطينية الى كونها مقاومة عربية في فلسطين . ان تحديد هذه العلاقة من شأنه ان يعيد الى القضية الفلسطينية أولويتها في الاقطار العربية ، وبين الجماهير العربية . ان الارتباك الذي من شأنه ان يرسخ ويعمق مفاهيم التجزئة يستند الى دفع الشعوب والاقطار العربية لتتخلى عن منحها الاولوية للقضية الفلسطينية . وبذلك فان التحدي الاساسي للحركات الشعبية والحزبية وللجماهير العربية ، يتمثل في كيفية ارجاع القضية الفلسطينية ، الى كونها القضية الاولى في جدول الاولويات في الاهتمامات العربية . ان هذه الاولوية هي التي تجعل من قضية التحرير الفلسطيني المدخل لترجيح قضية التحرير على قضية التجزئة . اذا هناك علاقة جدلية وعضوية بين الوحدة والتحرير . وبالتالي فان اولى مهمات المقاومة الفلسطينية هي ان تكوّن بذاتها علاقات عضوية ، مع الطلائع الجماهيرية في الوطن العربي ، التي يمكن لها داخل الاقطار التي تتواجد فيها ، أن تقوم بنضالاتها القطرية ، ولكن ان تجعل للقضية الفلسطينية أولوية على هذه النضالات القطرية . كيف يمكن الوصول الى هذا المستوى ؟

ان بدهية علاقة التحرير بالوحدة يجب ان لا تؤدي بنا الى ابقاء هذه العلاقة معلقة وخارج حيز الترجمة العملية ، بل المطلوب هو الوصول الى التنظيم القادر على جعل قضية الوحدة متلازمة مع قضية التحرير . ان كل دعوة للتحرير ، لا تنطلق من الالتزام العميق بالوحدة ، انما هي شعار مفرغ من قدرته على التنفيذ . لا يمكن لمطلب التحرير ان يتحقق بشكل فوري او بشكل قفزي ، لكنه يتحقق في الالتزام بتصور واضح للتحرير ومن ثم بتصور واضح للمراحل التي لا بد للمجتمع العربي والفلسطيني ، على الوجه الاخص ، ان يمر بها حتى يتسنى له الوصول الى التحرير ؛ من خلال هذا التصور الواضح للهدف.

لقد تشكلت لدى الثورة العربية في ربع القرن الماضي ، وعلى الاخص في العقد الاخير من تاريخها ، عقدة تجاه التمرحل ، اذ اعتقدت او تصورت ان التمرحل هو تمييع للالتزام . ولذلك كان مفهوم الثوريين العرب في اكثر الاحيان ، مرتبطا باعلان الالتزام اكثر من اهتمامهم بدراسة حقول الالغام التي تمر بها الثورة العربية . كان التمرحل بالنسبة لمسيرة الثورة العربية ، يعني المساومة والقبول بالحلول الوسط ، لكن هناك فـرقا اساسيا وجوهريا بين المساومة على المبادىء وبين الانحناءات التكتيكية التي تفرضها موازين القوى بين الثورة وأعدائها . كما ان اعلان الالتزام او اعلان هدف التحرير او الوحدة ، مجردا بل ومتجاهلا لمقتضيات الدراسة المستفيضة للعراقيل القائمة ازاء الوحدة ، والمشاكل القائمة والتي ينطوي عليها واقع التجزئة ، وتفسخ الواقع العربي ، كان يجعل من الثوريين العرب ، بمختلف التزاماتهم المذهبية ، حريصين على عدم ابراز اهمية تحديد المراحل . انا أعتقد ان هذه العقدة البورقيبية ، التي فرضت على الكثير من دعاة الثورة العربية وقادتها ، الدمج بين التمرحل والمساومة هي من احدى النواقص الهامة في أدبيات الثورة العربية المعاصرة . وفي الوقت الذي لم يكن فيه التوجه الثوري العربي نحو تحديد المراحل توجها واضحا او مدروسا ، جاء التحرك الثوري العربي مشحونا بالتعبئة الجماهيرية الظرفية دون ان يكون مكثفا بخط بياني مستمر قادر على ايجاد البنية المتماسكة داخل الحركات الثورية التي من شأنها ان تدرك ان مطاليبها لا تتحقق بالشكل القفزي . لكن هذه الفجوة النظرية في ادبيات الثورة العربية ، لم تلازمها الى مدة طويلة اذ أن عددا من القوى التي كانت محسوبة على الثورة العربية وعلى اليسار العربي ، كانت بنفس الوقت تمارس السلطة ، في عدد من الاقطار العربية . لذلك فان ممارسة السلطة وضعت كثيرا من القوى الثورية العربية، في مجال الممارسات اليومية ، مما جعل الشعارات الثورية التي تنادي بها ، غـير قابلة للتصديق عند الجماهير ، نتيجة لابتلاع السلطة لكل الاندفاعات الثورية فيها ، أو لان السلطة كانت بمستوى من القوة بحيث اعتبرت ان الحزب هو مجرد احدى امتدادات السلطة ، وليس هو المهيمن عليها .

لذلك عندما هزمت الانظمة العربية عام ١٩٦٧ ، جاءت المقاومة الفلسطينية غير قادرة على تحديد علاقات عضوية مع الملتزمين بكلية اهدافها ، وكان من جراء ذلك ان برزت عدة نظريات للخروج بمعادلة يمكن ان تحقق علاقة عضوية مستمرة ونامية بين المقاومة الفلسطينية والجماهير العربية . كانت هناك دعوة لترك المقاومة الفلسطينية ، تتحمل أعباء تنظيم الشعب الفلسطيني بمنأى عن التداخلات العربية فيها ، نظرا لان تجربة التنظيمات القومية السابقة أثبتت عجزها عن تنظيم الشعب الفلسطيني بالمستوى الثوري المطلوب . كما ان سمة انشداد الشعب الفلسطيني الى القيادة التاريخية للرئيس عبدالناصر ، صدمت بعد عام ١٩٦٧ . وكانت هذه الجماهير عفوية في وطنيتها وفي ثوريتها فاصيبت بحالة من الضياع التنظيمي لكنها سرعان ما توجهت الى الاطار ، الذي ثبت بالتجربة بأنه تنظيم فلسطيني يمتاز بالوطنية الاصيلة والابهام المذهبي في آن واحد . كان هذا التنظيم هو المعادلة التوفيقية التي استجابت لمستوى الوعي والالتزام عند الاكثرية الساحقة للشعب الفلسطيني . ومن هنا قبلت هذه الجماهير بقيادة حركة التحرير الفلسطيني اي فتح . وهكذا نجد بأن فتح كانت الى حد كبير ، بمثابة التعبير الاصيل عن التيار السائد للالتزام السياسي للشعب الفلسطيني . ولذلك فلا بد من النفاذ الى مفهوم فتح للعلاقات العربية .

فتح والعلاقات العربية

أدركت فتح بأنها تستقبل بعد ١٩٦٧ نزعة تمردية على ما سمي بالوصاية العربية ، اي أنها تستلم تيارا اقليميا يتحكم في رد الفعل الفلسطيني لهزيمة ٥ حزيران . ولعل شعار عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية ، لم يكن كما صور ، تعبيرا عن مذهبية اجتماعية محافظة ، بمقدار ما عبر عن تيار فلسطينية الثورة الفلسطينية . لقد أدركت فتح بأن هذا التيار الاقليمي ، هو انفعال وليس قناعة ، هو ردة اكثر مما هو حاجة . حين استقبلت فتح هذا الطوفان الفلسطيني داخل اطاراتها بعد الكرامة حولت ذاتها الى اطار للشعب الفلسطيني ، بكل ما ينطوي عليه هذا الشعب من ترسبات وامكانيات وبكل ما يعيشه من قلق ومعاناة ، وكل ما ينطوي عليه من ارادة ثورية جذرية . وكان الابهام النظري ، الذي ميز حركة فتح ، هو بالتالي الصيغة التوفيقية الملائمة لمستوى الشمول الذي حوته فتح في اطاراتها . ولذلك عبرت فتح عن تحالف القطاعات الفلسطينية فأكدت بأنها حركة وليست حزبا . وقد جسدت فتح هذا التحالف عبر تعايش تيارات مذهبية مختلفة ، تؤكد أولوية التعايش على ضرورات التوضيح النظري والعقائدي . لان ضرورات التعايش المذهبي ، كانت على ضوء تقييم فتح ، حاجة ملحة لتثبيت ركائز الشخصية الفلسطينية ازاء واقع التمزق والانهزامية ، الذي استشرى في الدول العربية . من هنا كانت مقاومة فتح للتحديد النظري مع العلم بأن عددا كبيرا من قيادات وقواعد فتح ، أدركت اهمية التحديد وضرورتها ؛ الا انه تشكلت لدى قيادة فتح، في مرحلة ٦٨ — ٦٩ وأوائل ١٩٧٠ قناعة بأن الشخصية الفلسطينية ، وان عبرت عن التيار الاقليمي ، الذي جاء قويا اثر هزيمة حزيران فان التأكيد عليها ضروري من اجل مواجهة الضياع والتشتت العربي وحتى تكون هذه الشخصية في مرحلة مقبلة أداة استقطاب والتحام للشعوب العربية . لذلك غدا التميز في الشخصية الفلسطينية ، بعد عام ١٩٦٧ وازاء الاوضاع المتردية على الساحة العربية ، ويا للمفارقة ، مطلبا قوميا لا بل وحاجة قومية .

كانت فتح تؤكد الناحية الذرائعية من حيث ان قراراتها أو شعاراتها ، كانت تشكل ، بالنسبة الى حجمها الواقعي ، الزاما لها والى حد ما للشعب الفلسطيني . وبالتالي فقد كان الشعار الذي طرحته بعدم التدخل بالشؤون الداخلية للاقطار العربية ، بمثابة مرحلة استعادة النفس للشعب الفلسطيني ، حتى يحدد معالم توجهه من خلال تأكيد

شخصيته. وكانت الموافقة العربية على هذا التميز الفلسطيني باعتباره نوعا من تخليص واقع التجزئة من خطر الوحدة عليه. لذلك نشأت بين الواقع الفلسطيني والواقع العربي حالة تنطوي على الكثير من التناقض الظاهري تمثل ، من ناحية ، في التأكيد على تميز الشخصية الفلسطينية باعتباره حاجة قومية ازاء الواقع الموضوعي للتردي العربي بعد الهزيمة ، ومن ناحية اخرى ، في اعتبار الانظمة الضالعة في تأكيد التجزئة العربية لهذا التميز تثبيتا فلسطينيا لواقع التجزئة . من هنا يأتي الاصرار على تحديد البعد القومي للمقاومة الفلسطينية لان هذا التميز الفلسطيني ، اذا انتقل من كونه مرحلة الى كونه قناعة ، فانه سيشكل عنصرا داعما ومدعما للتيارات الانفصالية القائمة في المجتمع العربي .

المنظمات الاخرى

من هنا لازمت المخاوف بأن يطغي التميز الفلسطيني كقناعة على التميز الفلسطيني كحاجة مرحلية العديد من الملتزمين بالتحرير وبالمقاومة . ولذلك أخذت فئات فلسطينية ، تعبر عن مخاوفها ، بأن أوجدت لذاتها ، تنظيمات للمقاومة واضحة في ارتباطاتها ، والتزاماتها القومية ، فبلورت في ذهنها أن التميز الفلسطيني مرحلة وان الانتماء القومي هو القناعة . هذا كان شأن الجبهة الشعبية والصاعقة وجبهة التحرير العربية . الا أن هذه التنظيمات ، أو هذه الفصائل أكدت ارتباطاتها القومية بأشكال مختلفة . جبهة التحرير العربية ومنظمة الصاعقة ، كانتا بمثابة امتدادات فلسطينية لتنظيمات قومية تستمد امكاناتها المادية والعسكرية من جراء ارتباطها بسلطات البعث الحاكمة في سوريا والعراق . كان لمثل هذا الارتباط تبريرات تاريخية ، فحزب البعث لا يعتقد أنه سقط كحزب أو كفكرة بعد عام ١٩٦٧ ، بل أكثر من ذلك ، فان بقاءه في ممارسة السلطة في بلدين عربيين ، كان ، في المفاهيم النظرية لحزب البعث ، انه يمارس سلطة قطرية دون أن ينزع ذلك عنه حقه في الممارسات التنظيمية على المستوى القومي العام . لذلك فان تنظيمه الفلسطيني داخل المقاومة ، اعتبر ترجمة واقعية لتنظيمه القومي ، وبالتالي وان كانت هذه الفصائل المرتبطة بحزب البعث ، بشقيه ، امتدادات ، الا أن هذا من موقع الافق القومي لافكار البعث أمر لا غبار عليه . ان تواجد هاتين المنظمتين في الساحة الفلسطينية ، من حيث التجريد النظري لمدلولات البعد القومي ، هو تواجد مشروع قوميا،الا أن المحاذير والاعتراضات التي تركزت على ان هاتين المنظمتين لا تأخذان بعين الاعتبار ، وبشكل كاف ، مقتضيات ابقاء المقاومة الفلسطينية بمنأى عن ارتباط اجزاء منها بسلطات حاكمة في أي بلد عربي . فقد قامت المقاومة الفلسطينية على تقييم مغاير لتقييم الاحزاب الحاكمة ، من حيث ان الذي سقط في حزيران كان النهج الذي تحكم في اوضاع السلطات في كثير من البلاد العربية بما في ذلك الجزء الوطني والتقدمي منها . هذا التقييم الفلسطيني لم ينف ضرورة الارتباط العضوي في تنظيمات قومية ، ولكنه بقي مصرا على أن يأتي هذا الارتباط من مواقع التقييم الفلسطيني لهذا الارتباط وليس انعكاسا لتقييم تنظيم حزبي حاكم .

اما الجبهة الشعبية فكانت تسلم من حيث خلفيتها التاريخية ، بضرورة وجود حزب عربي على امتداد الساحة القومية يكون له فرع في الساحة الفلسطينية ويتميز بمقدار تميز الحالة الفلسطينية ، لكنه يرتبط في الوقت ذاته بالتنظيم القومي الجماهيري بمقدار ضرورات الارتباط . لقد كانت الجماهير الفلسطينية والعربية أكثر استعداداً لتقبل صياغات تنظيمية قومية ، اذا توفرت حرية التحرك الثوري بمنأى عن الارتباطات مع السلطة . هذا كان شأن الجبهة الشعبية والجبهة الديموقراطية . وكان أيضا شأن حركة فتح ، الا ان طابع التميز الفلسطيني ، كان أوضح من طابع العلاقة القومية بالنسبة لفتح . لكن فتح ، من حيث تأكيدها لضرورات التعامل مع الاقطار العربية

والتداخل مع الجماهير العربية ، كانت تؤكد بأنه ما دام هدف التحرير هو في مرحلة التحرر الوطني ، فليس مطلوبا من حركة التحرر ذلك المقدار من الفرز المذهبي الذي أصرت عليه الجبهة الشعبية والجبهة الديموقراطية . من هنا كان التوجه للجماهير العربية ، من قبل فتح ، توجها صادقا ، لكنه كان توجها سهلا ، من حيث ان الالتزام بالمقاومة الفلسطينية لم ينطو على التزام بمذهبية عقائدية محددة . من هنا لاقى توجه فتح العربي ، قبولا عاما مكنها من التحرك العربي الاسهل . لكن سهولة تحركها جعلها أكثر استعدادا ، لان تكون علاقاتها العربية أقل عضوية ، وأقل الزاما باعتبار انها تؤكد على ضرورة تنمية القوى الذاتية للشعب الفلسطيني وتكتفي بالدعوة لان يؤخذ من العرب ما يمكن للعرب ، في كل مرحلة ، ان يعطوه . وكانت علاقة فتح بالجماهير العربية تمتاز بالتقطع والشمول في آن واحد وكانت تعتمد على عفوية الجماهير دون ان تسعى الى تنظيمها . وبالمقابل كان توجه الجبهة الشعبية والجبهة الديموقراطية ، في هذا المضمار ، أكثر صرامة ، في تحديد الملتزمين وبالتالي جعل المشاركة بالثورة الفلسطينية في الساحة العربية تعني التزاما متطابقا مع مسؤولية الفلسطينيين. من هنا كان التجاوب العربي مع الجبهتين التزاما اكثر تقدما في المعيار الثوري ، لانه كان على مستوى الساحة الجماهيرية استثناء وليس شاملا . ومن ناحية أخرى ، فان سوء التوقيت فيما يتعلق بالتوجه المذهبي المتقدم للجبهتين يهدر من صحة التوجه . وهكذا كان لكل من توجهات فصائل المقاومة على المستوى العربي محاذير وامكانيات ، ولعل تعدد التوجهات ظهر في ركاكة العلاقات الجماهيرية العربية مع المقاومة الفلسطينية ، رغم بقاء التزامها بضرورة وجود مقاومة . وهكذا فان علاقة المقاومة الفلسطينية بالجماهير العربية في السنوات الخمس الماضية ، لم تكن علاقات بالمستوى المطلوب ولا بالمستوى التي تستحقه . ولذلك فان أولى شروط وحدة المقاومة مع الجماهير العربية هو الوصول الى وحدة التوجه العربي ، ووحدة التوجه لا تأتي الا من خلال وحدة التقييم للمرحلة ولتتابع المراحل التي يمر بها نضال الشعب الفلسطيني ونضال الشعوب العربية في سبيل الوحدة والتحرير .

ان اول شروط التوجه الوحدوي للمقاومة الفلسطينية هو نجاح تجربة الجبهة الوطنية العضوية ، بين الفصائل الرئيسية لحركة المقاومة ، ولقد حصل في الاسابيع التي تلت انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني التاسع ، خطوات عملية نحو توحيد المؤسسات الوظيفية لمنظمة التحرير ، وهذا من شأنه أن يعوّد فصائل المقاومة المختلفة مذهبيا على مناخ الوحدة في قطاعات اساسية ستصبح ، بنتيجة الخطوات الوحدوية ، مؤسسات جماهيرية مشتركة . ان الصيغة الجبهوية لا ترمي الى الغاء الفروقات المذهبية لكنها تسعى الى ان تصب الاجتهادات الناشئة عن تباين مذهبي او سياسي في محصلة للرأي ، تكون ملزمة لكافة فصائل المقاومة ، دون ان تكون هذه المحصلة مطابقة كل التطابق لسياسة او مذهبية اي من هذه الفصائل ، الا بمقدار مماشاة سياسة المنظمة لمحصلة الرأي . ان هذا التفاعل السياسي يقضي على سلوكية تربص فصائل المقاومة ببعضها ، وتحين الفرص لوراثة بعضها او ابتلاعها ، الا ان الصيغة الجبهوية بالمقابل تجيز غارات عقائدية بين فصائل المقاومة ، لان مثل هذه الغارات تدفع المنغلق لان يكون اكثر انفتاحا وتشجع المتزمت لان يكون أكثر مرونة في الاقناع . اذا فالغارات العقائدية والسياسية هي من داخل الشرعية الثورية للجبهة الوطنية . لكن تركيز العلاقات على التوتر وجعل كل من المنظمات تتعصب تنظيميا لحماية نفسها ، يناقض الوحدة في الساحة الفلسطينية المطلوبة . قلنا ان وحدة التقييم تؤدي الى وحدة التوجه للمقاومة على الساحة العربية ، ولعل أهم ظاهرة في هذا المضمار ، هي ان تدرك المقاومة الفلسطينية أن أولوية توجهها هي للساحة العربية . فالساحة العربية بالنسبة لكل فصائل المقاومة الفلسطينية هي الساحة الطبيعية التي ينتمي اليها الشعب الفلسطيني والتي لا يفكر بتجاوزها قبل ان

يثبتها . لذلك فتلقائية التوجه العربي لدى المقاومة الفلسطينية مضمونة من حيث انها حددت انتسابها القومي العربي ولم يعد أمامها الا أن تترجم هذا الانتساب . ان المقاومة الفلسطينية ، بعد التجارب المريرة والمأساوية في بعض الاحيان مع الانظمة العربية ، أخذت تدرك — ولعل هذا الادراك أعمق في فتح لانها كانت أقل ادراكا لذلك من غيرها في السابق — بأن على المقاومة الفلسطينية ، رغم كل الاعتبارات الظرفية، ان تغلب تفاعلها مع الجماهير واسهامها في تنظيمها على تعاملها مع الانظمة العربية . ان هذه القناعة التي تتعمق يوما بعد يوم تفسح المجال أمام الاجتهادات التي سبق لها ، أن اكدت ضرورة التنظيم الثوري بين المقاومة الفلسطينية والملتزمين العرب وتفسح المجال أمامهم لان يجدوا لصياغاتهم السابقة ، والتي أعلنت في غير وقتها ، تجاوبا اوضح .

القبول بالوساطة

وفوق كل ذلك فقد اخذت المقاومة الفلسطينية بعد معارك جرش وعجلون في تموز ١٩٧١ تدرك أن علاقتها مع الانظمة هي تمكين للانظمة من الديمومة والاستمرار . وان الانظمة، وان تناقضت مع بعضها ، تدرك بأن انفلات حلقة منها بعد عام ١٩٦٧ قد يؤدي الى تتابع في انفراط عقدها . لذلك أدركت المقاومة الفلسطينية أن الانظمة العربية تفاوتت في تصميمها على اخراج النظام الاردني من حيز اطاراتها . ولعل ظاهرة الوساطة العربية — المصرية السعودية — بعد أحداث تموز ١٩٧١ في الاردن ، تجربة تعكس الى حد كبير مأزق المقاومة ، في علاقاتها العربية . ولعلها ، بالمقابل ، حسمت الى حد كبير الكثير من الترددات السابقة ، باتجاه توجه جماهيري أوضح في ثوريته وفي انطلاقه .

كان مشروع الوساطة المصرية السعودية بمثابة المجهود العربي ، المنبثق عن واقع المهادنة بين الانظمة العربية ، وعن تأكيد لاهتمام الانظمة العربية بأن تستمر المقاومة الفلسطينية بالتواجد في الساحة الاردنية. وكان هذا التواجد في الساحة الاردنية ، يعتبر من قبل القيادة السياسية والعسكرية للمقاومة الفلسطينية حاجة استراتيجية اساسية. ولذلك ورغم كل المجازر التي أعدتها ونفذتها السلطة الاردنية ، وحلفاؤها ، للمقاومة ، ورغم أن التواجد في الساحة الاردنية ، أصبح أكثر استحالة ، الا أن الحسابات الجافة لاستمرارية المقاومة ، كانت تؤكد على ضرورة التواجد المكثف في الساحة الاردنية لان تغييب المقاومة عن الساحة الاردنية ، هو تحول كيفي في عمل المقاومة وفي تصوراتها الاستراتيجية والسياسية ومخططاتها المرحلية والبعيدة الامد . ورغم ان بعض المذهبيين أصروا على أنه لا يمكن للتواجد الفلسطيني المقاوم ان يكون في الساحة الاردنية ، الا من خلال وبعد اسقاط النظام الاردني الهاشمي ، الا أن هذا المتطلب النظري السياسي السليم بقي ، بالنسبة الى التيار العام للمقاومة الفلسطينية ، خاضعا لاولوية التواجد ، حتى ولو كان على حساب سلامة هذه النظرية . لذلك كان قرار اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية في أيلول ١٩٧١ بالوساطة ، قرارا ينطوي على الكثير من انتظار غير المعقول بالاضافة الى انطلاقه من مقتضيات الاستراتيجية الفلسطينية بأن تتواجد في الساحة الفلسطينية ، مهما كلف الامر ، ومن ضرورة التواجد السياسي المنظم ، داخل مخيمات الفلسطينيين ، وفي القطاع الفلسطيني في الضفة الشرقية للاردن ، ومن الاهمية العسكرية لانطلاق العمل الفدائي من الاردن . كل هذه الاعتبارات، جعلت قيادة المقاومة تكبت غضبها على النظام الاردني وتعمل جاهدة على احتواء من يزايد على خطها المرحلي، رغم ان المزايدة لم تكن ، في المعيار التاريخي ، مزايدة بل تأكيدا لاستنتاج حقيقي لكون السلطة الاردنية جزءا من المحور الامريكي — الاسرائيلي في المنطقة . لقد كان قرار قيادة المقاومة بالقبول بالوساطة ، يشابه الى حد ما قرار الرئيس عبدالناصر بالقبول بمبادرة روجرز . وبقبولها بالوساطة ، وضعت المقاومة القوى المادية المرجحة لصالح السلطة الاردنية والقوى المعنوية والسياسية التي تشكلها المقاومة في الميزان . اعتبرت المقاومة

الفلسطينية بعد خروجها من المجازر المأساوية في ايلول عام ١٩٧٠ وتموز ١٩٧١ بحالة من الارهاق العسكري ، والارتباك التنظيمي ، والغياب لفعلها في كثير من الاماكن في الساحة الاردنية اعتبرت ان الوساطة توازن ما بين القوة المادية الشرسة للنظام والقوة المعنوية السياسية للمقاومة وان هذا التوازن ينطلق من موقع الانظمة العربية بشقيه المحافظ والتقدمي . كان هذا يعتبر كافيا بالنسبة للمقاومة ليمهد الطريق نحو المطلب الاستراتيجي والمرحلي المطلوب بالحاح وهو عودة التواجد الفدائي للساحة الاردنية . لكن الاعتبارات الاستراتيجية والتكتيكية والعسكرية والسياسية ، وضعت دون استكمال التقييم الدقيق للحقائق الاساسية في الواقع الاردني ، وهذا ما أشارت اليه قوى داخل فتح والجبهة الشعبية والديموقراطية ، والتي عللت رفضها للوساطة من حيث اقتناعها بأن السلطة الاردنية، انما هي خط دفاعي أمامي للمحور الاسرائيلي الاميركي في المنطقة.

لذلك فقد كانت الوساطة ، بالنسبة الى فئات متزايدة ، بحجمها وثقلها داخل المقاومة الفلسطينية ، مرفوضة بالنظر الى الاعتبارات الاساسية التالية : اولا : ان الاستمرار بمنطق التعامل مع الانظمة العربية ، يخلق آمالا مغلوطة عند الجماهير ، فيجعلها تنتظر من الانظمة اكثر مما باستطاعة هذه الانظمة ان تعطي . واشارت هذه الفئات الى ان اتفاقية القاهرة بعد مجزرة ايلول ٧٠ كانت بمثابة ادانة سياسية ضخمة لكن بدون اية عقوبة مهما هزلت. لذلك فان الادانة بدون العقوبة مكنت السلطة الاردنية، بأن تستأنف هجمتها الشرسة ضد المقاومة الفلسطينية . وبالتالي فان ادخال الانظمة العربية ، طرفا يتحكم بصيغة العلاقات بين المقاومة والسلطة الاردنية ، انما هو ادخال يرجح ، في نهاية الامر ، ومهما كانت الصياغات اللفظية له ، ابقاء وتركيز السلطة الهاشمية . ثانيا : كان الاعتراض على الوساطة ناتجا عن كون السلطة الاردنية تشكل موقعا اسرائيليا في المنطقة انطلاقا من النتائج الموضوعية لمسلكيتها وارتباطاتها مع الامبريالية. وهذا يحتم على المقاومة واقع الاصطدام معها . لئن كانت هناك اعتبارات كثيرة تتحكم بالاصطدام مع اسرائيل ، غير رغبة الاصطدام ومشروعيته؛ الا انه كان لا بد من حسم ما يتعلق بتقييم المقاومة للسلطة الاردنية. ان الاعتراض على الوساطة كان ينبثق من تصور استراتيجي ثوري ، بأن المقاومة الفلسطينية يجب ان لا تبقي نفسها سجينة اللاحسم . من هنا كانت الوساطة مدخلا للنظام الاردني ليستعيد مشروعية عربية له . وبالتالي كان كل تعامل مكثف او باهت مع السلطة الاردنية هو في النتيجة الموضوعية النهائية ، تعامل عربي مع اسرائيل . هذا التقييم الثوري المتقدم عن المراحل السابقة لمعادلات المقاومة الاردنية مع النظام الاردني ، جاء في اعقاب وضوح مخططات السلطة الاردنية من حيث تركيزها على محو المقاومة من الساحة الفلسطينية ، وجعل النظام الهاشمي المؤهل الاوحد للبت بمصير الشعب الفلسطيني وبالتالي انهاء القضية . اذن كانت الوساطة مدخلا تجريبيا للمقاومة الفلسطينية لتعيش معاناة تحديد اولوية مطاليبها . هنا تمكنت السلطة الاردنية ، أثناء مناقشات الوساطة ، بأن تسلك سلوك الاسرائيليين عندما كانت تسأل ازاء تباين آراء فصائل المقاومة : من هو الذي يتكلم باسم المقاومة ؟ لقد كانت مراوغة السلطة الاردنية ومحاولاتها لكسب الوقت ؛ ولترسيخ سلطتها وسطوتها في الساحة الاردنية ، ولالغاء فاعلية المقاومة ، وتطويق نمو الوعي السياسي والحركي للشعب الفلسطيني ، تماثل ما تفعله الدبلوماسية الاسرائيلية من حيث مراوغتها في المجتمع الدولي ، عندما تتساءل عن احتمالات وكيفية تنفيذ قرار مجلس الامن . وهي تهدف من وراء هذه المراوغة وهذا التعنت الى ترسيخ احتلال اسرائيل للاراضي العربية والى الغاء المعارضة والانتفاضة الفلسطينية ، وهو في ذلك يلتقي مع السلطة الاردنية في ازالة القضية الفلسطينية كقضية طارئة في المجتمع الدولي وفي الساحة العربية ، اذن فان اي نفاذ الى سلوك الوفد المفاوض الاردني ، أثناء مباحثات جدة ، كان يؤكد نمط

التصرف الذي كان الى حد كبير نسخة طبق الاصل عن نمط التصرف الاسرائيلي في الامم المتحدة .

حسم الموقف من النظام الاردني

جاء مقتل وصفي التل يحسم قضية الوساطة ويشير الى ان الشعب الفلسطيني لا يقبل بهذه الذبذبة في تحديد نوعية النظام الاردني . كان مقتل وصفي التل على الساحة الاردنية ، بمثابة عودة معركة الكرامة بالنسبة لوجود اسرائيل . أشرنا بنوع من التفصيل لقضية الوساطة لانها كانت الحلقة الاخيرة ، قبل قرار الحسم من قبل المقاومة الفلسطينية باسقاط النظام الاردني ذهنيا داخل اطاراتها كشرط مسبق لاسقاط النظام الاردني عمليا . ان هذا التطور في مواجهة النظام الاردني ، وفي اعتبار اسقاط النظام الاردني شرطا أساسيا من أجل تمكين المقاومة من متابعة نشاطها على الساحة الاردنية، احتل مكانة سياسية هامة ظهرت في مقررات المؤتمر الشعبي الفلسطيني والمجلس الوطني في ٦ نيسان ١٩٧٢ . ماذا تعني قضية اسقاط النظام الاردني ؟ هل تعني أن المقاومة الفلسطينية أخذت على عاتقها القيام بعمليات تصحيحية داخل الانظمة العربية ، بمعنى ان تتحمل مسؤوليات خارج اطار مسؤولياتها المباشرة في تنظيم وتعبئة وتثوير الشعب الفلسطيني ؟ ان الاجابة على هذا السؤال المشروع والذي يتردد على السنة الكثيرين دون ان يكون بصوت عال ضرورية ، نظرا لما ينطوي عليه هذا الشعار من اهمية استراتيجية مستقبلية بالنسبة للعمل الفلسطيني الثوري وبالنسبة للمجهودات الساعية للمشاركة العربية الفلسطينية . الاجابة تكمن فيما اذا اعتبرنا ان النظام الاردني ، هو بالفعل خارج أي مستوى من مستويات الارادة العربية ، اي أنه لا يشكل جزءا أو قطاعا من اية ارادة عربية ، بل انه يشكل جزءا من الارادة الاسرائيلية الامبريالية في المنطقة . واذا كان هناك من تردد في هذا الموضوع ، فقد جاء مشروع الملك حسين الذي تقدم به في ١٦ آذار ١٩٧٢ دليلاً ثبوتيا على ذلك تماما مثلما كان تشمبي في كاتنغا ، جزءا من ارادة الاستعمار والمؤسسات الاستثمارية الاجنبية في الكونغو . اذا لم نحسم في هذا الموضوع حسما نهائيا ، فان كل المواقف ، مهما كانت عنيفة في ألفاظها ، تبقى ناقصة من حيث أنها تربك مستوى العلاقات العربية الفلسطينية ومستوى العلاقات الفلسطينية الاردنية . لذلك حتى ولو كان هناك خطأ في التفاصيل ، من حيث هذا الحسم بأن السلطة الهاشمية هي اداة من أدوات المحور الامبريالي ـ الصهيوني ، فان القناعة الجماعية لا تخطيء في التوجه . ان تسلسل العمليات القمعية التي قامت بها السلطة الهاشمية ، والسلوك الذي انتهجته ، مهما كانت دوافع الملك حسين من وراء مثل هذا القمع أو مثل هذا السلوك ، ومهما كان باستطاعة المخابرات الامريكية المركزية، وأجهزة المخابرات والحرب النفسية الصهيونية، اخضاع قطاعات واسعة في الاردن الى عملية غسل دماغ سياسي ، توحي بأن الملك حسين انما ينطلق في سلوكه وسياساته من رغبة في المحافظة على عرشه فقط دون ان يكون حلقة من التآمر الصهيوني الامريكي على المنطقة ، ورغم أنني من غير المقتنعين بالجوانب الذاتية لدوافع الملك حسين ، الا اننا لو سلمنا بأن هذه الدوافع هي ذاتية في الاصل ، فان هذا لا يحرفنا عن التقدير العلمي والموضوعي والتاريخي ومؤداه بان هذا السلوك انما هو تعبير عن ارادة اسرائيل في المنطقة . اذا لا بد من أزاحة السلطة الاردنية من كل حسابات العلاقات القومية المقبلة في المراحل القادمة .

صحيح ان وحدة التقييم ووحدة الموقف جاءتا نتيجة التجربة والخطأ ، وان المراحل السابقة ادت بكثير من الضحايا وان ترسبات التقييمات الخاطئة في مضمونها او في موقفها ، جاءت تربك حركة المقاومة ، وتربك العلاقات العربية الفلسطينية ، وتحول دون فرص انضاج وحدة الجماهير العربية حول المقاومة ، ومعها . الا ان الاسابيع

الماضية التي اعقبت المؤتمر الشعبي الفلسطيني شهدت وحدة في الموقف الفلسطيني نحو التوجه الى الساحة العربية . هذا لا يعني أن المعوقات السابقة لوحدة الموقف قد أزيلت نهائيا ، الا انها أخضعت لمقتضيات ومستلزمات الوحدة .

كيف تحقق الوحدة مع الجماهير ؟

ما هي المشاكل الفورية لتحديد مجالات هذه الوحدة الجبهوية بين المقاومة والجماهير العربية ؟ لعل أول سؤال يتبادر الى اذهاننا هو مع من تتفاعل المقاومة الفلسطينية حتى تؤمن لذاتها علاقة مباشرة مع الجماهير العربية ؟ هناك في الساحة العربية احزاب تتفاعل بنسب متفاوتة مع المقاومة الفلسطينية ، من هذه الاحزاب احزاب تمارس السلطة كحزب البعث في سوريا وحزب البعث في العراق والجبهة القومية في اليمن الديمقراطية الشعبية ، ومنها من يعارض السلطة في بعض الاقطار العربية كالحزب الشيوعي في السودان والمعارضة التونسية واتحاد القوى الشعبية في المغرب وغيرها . منها من هو داخل في جبهة حاكمة مثل الحزب الشيوعي في سوريا وفي العراق والوحدويين الاشتراكيين في سوريا ، كما ان هناك اقطارا مثل مصر وليبيا والسودان حيث الجهة السياسية هي الاتحادات الاشتراكية فيها ، وهي ليست حزبا حاكما بالمعنى الحقيقي ، انما هي الجبهة السياسية المسؤولة عن علاقة السلطة مع الجماهير . هذه النماذج المتعددة تعتبر حلقات وسيطة لعلاقة المقاومة الفلسطينية بالجماهير العربية . السؤال الذي يتبع هو : هل ان المقاومة الفلسطينية بحاجة الى الحلقة الوسيطة ؟ أو هل باستطاعة المقاومة الفلسطينية ، من حيث هي تعبير عن المقاومة العربية في الساحة الفلسطينية ، التوجه بموازاة مع الحلقات الوسيطة ، الى انشاء علاقات مباشرة مع الجماهير ؟ يتبع هذا تساؤل آخر وهو : انه بالاضافة للاحزاب الحاكمة والاحزاب المتحالفة ، هناك احزاب معارضة ، فكيف تكون طبيعة العلاقات معها ؟

لا بد أن تتحكم بطبيعة العلاقات بين المقاومة الفلسطينية وهذه القوى الموجودة على الساحة العربية اعتبارات اربعة أساسية : **أولا** : أن المقاومة الفلسطينية من حيث هي قطاع من واقع أو احتمال ظاهرة المقاومة على الساحة العربية ، فانها ليست منفصلة عن الجماهير العربية ، حتى تكون صيغة تفاعلها معها مرتهنة بعلاقتها ، اي المقاومة ، مع أحزاب أو قوى محددة . اذا هناك حق طبيعي للمقاومة الفلسطينية بأن تكون علاقاتها مع الجماهير العربية ، علاقات تلقائية مباشرة مستمرة . هذا الحق الطبيعي منبثق عن وحدة الانتماءات القومية للشعب الفلسطيني والشعوب العربية . **ثانيا** : ان المقاومة الفلسطينية بممارستها المقاومة تكتسب مشروعية تجيز لها حق التداخل والتعامل والتفاعل بدون الحلقات الوسيطة من أحزاب حاكمة أو متحالفة مع الانظمة أو معارضة لها ، لانه باعتبار الثورة بعيدة المدى ، لا تستطيع حتى ، ولو كانت في اقصى درجات الانسجام مع حزب حاكم او غير حاكم ، ان تعتبر ان المجتمع لا يمكن ان يفرز عمليات ثورية مستجدة . لذلك فان علاقاتها رغم انها — يجب ان تكون شديدة ، الا انها يجب ان لا تكون نهائية . وهذا يجب ان لا يؤدي الى عقدة لدى الحكم أو الحزب الحاكم . وهذا ، بالمقابل ، يخضع الاحزاب لمبضع التقييم العلمي والثوري ولمقتضيات نضالاته القطرية والمرحلية ولعملية انتقال في سلم اولوياته التي لا ترتبط فقط بمتطلبات النضال الفلسطيني . ان المقاومة كمقاومة تكون في موقع طليعي متقدم داخل اطارات الجماهير الشعبية . فالحلقات الوسيطة من احزاب واتحادات وهيئات تكون اقنية التفاعل بين المقاومة والجماهير بالنسبة لاستعداداتها لتلبية حاجات المقاومة ، وحاجات نموها واتساع رقعتها ، ورضى الجماهير عنها ، وقبولها بقياداتها وباستعدادات الجماهير ان تتفاعل مع المقاومة من خلالها . ان جدوى الحلقات الوسيطة المشار اليها تحددها المقاومة نفسها وتحددها الجماهير نفسها ، لذلك فان العلاقة

الاصيلة القائمة هي بين المقاومة والجماهير وليست بين الحلقات الوسيطة والمقاومة ، الا بمقدار اصالة العلاقة بين الحلقات الوسيطة والجماهير . **ثالثا** : ان المقاومة الفلسطينية تكتسب مشروعية ثورية في تفجير الطاقات التصحيحية داخل المجتمعات العربية ، وبالتالي فان كل علاقة لها مع الاحزاب والقوى ، التي تمارس سلطة او تعارض ، تتحدد بمقدار استعدادات هذه الاحزاب والقوى ، أن تكون هي نفسها عناصر التصحيح . ولقد يقال في هذا المضمار بأن الاحزاب هي التي تحدد ما هو المطلوب من التصحيح ، الا أن التحديد الثوري لمعنى عملية التصحيح ونتيجتها هو المعيار الذي يجعل لقضية التحرير اولوية في سلم اهتمامات هذا المجتمع العربي أو ذاك . ومن حيث ان المقاومة الفلسطينية هي طليعة واقع أو احتمال المقاومة العربية فهي مؤهلة لتحديد مدى اقتراب قوى عربية أو احزاب عربية معينة من عملية التصحيح ومدى ابتعادها عنها . هذا لا يعني بأن تحتكر المقاومة الفلسطينية قدرة التحديد في هذا المضمار الا ان طبيعة موقعها المصطدم بشكل مباشر مع المعادلة الامبريالية الاسرائيلية في المنطقة ومن حيث انها ابعد القوى عن الوصول الى السلطة وممارستها،فان عندها من تلقائية البراءة ما يجعل معاييرها صحيحة وعلمية بالمستوى الموضوعي، وانتخلل هذه المعايير اخطاء في التفاصيل . **رابعا** : يستتبع هذا بالضرورة تأمين حالة انفتاح الاقطار العربية على تمكين المقاومة الفلسطينية من ممارسة حقوقها القومية الطبيعية ، وحقوقها المشروعة الثورية ، في التعبئة والتثقيف والتنظيم الجماهيري . هذا الانفتاح لا يعني بالطبع ان المقاومة الفلسطينية تصبح طلائع بديلة قطرية ، بل بالعكس فانها تصبح عوامل مساندة لجعل الطلائع المناضلة داخل هذه الاقطار ، بحالة من التوافق النظري والتطبيقي ، حتى اذا ما جاء التنسيق بين المقاومة الفلسطينية وبين القوى الجماهيرية، يأتي التنسيق ملبيا حاجات المقاومة وموزعا ادوار المقاومة على المستوى العربي العام.

ان هذا الانفتاح يقتضي تكثيف العلاقات بين قطاعات الشعب الفلسطيني المنتظمة على المستوى المهني والنقابي مع النقابات المهنية والعمالية والطلابية في الساحة العربية ، لان العلاقات من خلال المؤسسات الشعبية والنقابية ، هو الذي يدفع النقابات الطلابية والعمالية والمهنية ، في الاقطار العربية ، ان تبقي لقضية التحرير اولوية في نضالاتها الطبقية ، كما تبقي القطاعات النقابات الفلسطينية في قدرة من مواصلة نضالاتها الطبقية الاجتماعية التصحيحية ، داخل المجتمع الفلسطيني بالاضافة الى تأكيدها اولوية التحرير على اهتماماتها الاساسية . كذلك الامر بالنسبة الى ضرورة تعبئة القطاع الثقافي من حيث ان دائرة العلاقات الثقافية هي التي تخصب الدورة النفسية الواحدة بين الشعب الفلسطيني والشعوب العربية ، اذ أن التوجه نحو انماء الوعي الثقافي العربي عند الشعب الفلسطيني هو الذي يجعل من التميز الفلسطيني في الواقع العربي تميزا واعيا لمرحليته . كما انه علينا ملازمة هذا الوعي الثقافي بثورة ثقافية عند الجماهير العربية حتى تعتبر هذه الجماهير بأنقضية فلسطين هيمحور همومها لا القومية فحسب،بلمحور اهتماماتها الوطنية والقطرية أيضا. من هنا تصبح قضية فلسطين بالنسبة لكل الاجيال، ليست عملية تبرئة ذمة ، بل ممارسة يومية ، داخلة في صميم الوجدان الحياتي والوطني والقومي . لذلك فان واقع التفاعل التلقائي من خلال المؤسسات النقابية والثقافية ، من خلال مؤسسات البحوث والدراسة ، يوجد نمطا من العلاقات الثابتة ، التي هي كفيلة بأن تقف بوجه المحاولات المستمرة والمتكررة التي تقوم بها اجهزة الحرب النفسية ، الخاضعة للمخططات الاميركية والاسرائيلية في المنطقة ، من حيث أن هذا المحور يؤمن استمراره ونمو نفوذه ، وسلطته في المنطقة ، لا من حيث قواه المادية والعسكرية فحسب ، بل أيضا من خلال انسياب معالم التكامل الانفصالي على الوحدة القومية . فاذا ما تمكن هذا المحور الامريكي الاسرائيلي من ان يصوب هذه الحرب النفسية لفسخ الشعب الفلسطيني عن انتماءاته القومية،وحتى اذا عجز عن سلخه،لكنه

تمكن على الاقل من جعل علاقاته وانتماءاته متوترة ، والى حد ما متنافرة ، فانه يكون قد تمكن من خلال تنمية الظاهرة الابتعادية عند الشعب الفلسطيني ، من تقليص كل الانتماءات القومية عند الجماهير العربية . ان قضية الشعب الفلسطيني ، تبقى بسبب طبيعة الغزوة الصهيونية لفلسطين وبسبب الصمود الفلسطيني والمقاومة الفلسطينية في نصف القرن الماضي ، هي القضية المحورية القومية في الوجدان الجماهيري .

حركة المقاومة العربية

لذلك فان المؤسسات الثابتة المنتمية قوميا والحائلة دون انسياب الافكار الاقليمية والانفصالية ، والمحصنة للجماهير الفلسطينية بشكل خاص والعربية بشكل عام ، وخاصة حيث يكون هناك تواجد فلسطيني مكثف ، تؤدي الى الحيلولة دون نمو الظواهر الابتعادية وتؤدي الى تقوية وتعميق تلقائية العلاقة وعفوية الانتماء القومي وطبيعيته . اذا تأمنت سلامة المناخ القومي ، عطلت المحاولات الساعية الى تفكيك العلاقات القومية العضوية ، عندئذ تصبح المقاومة في حالة علاقة دائمة مع الجماهير ، وعندئذ فان هذه العلاقة هي التي تحدد دور ونوعية الحلقات الوسيطة . ان الحلقات الوسيطة أي الاحزاب والقوى السياسية المنظمة هي ، في أي توجه اساسي ، قوى وتنظيمات مرحلية، واذا صدقت في شعاراتها فانها لا تتصور نفسها أكثر من أنها تعبير عن ضرورات مرحلية ، لكن الاحزاب العربية بشتى تشكيلاتها ، أثبتت عجزا في التعبئة الجماهيرية الشاملة . ورغم أننا لسنا في صدد تقييم هذه الاحزاب ، الا من خلال كونها جسورا للعلاقة بين المقاومة واحتمالات المشاركة الجماهيرية العربية ، فانه لا بد لنا من ان نحدد ان المطلوب ، اذا اجيز لنا الاختصار الاستنسابي ، اننا بحاجة الى ما يشابه حزب المقاومة العربية . مما لا شك فيه ان فئات كثيرة من العاملين داخل هذه الاحزاب والقوى يشكلون نواة مثل هذه الحركة ، الا أن الاحزاب لا تحاكم بنواياها او ببرامجها، انما بسلوكها وممارساتها ، وان تجربة العرب المريرة خلال السنوات التي عقبت قيام اسرائيل ، كلها تشير الى فجوة عميقة او الى هوة عميقة بين البرنامج المعلن والممارسة على أرض الواقع . واذا نحن قفزنا الى اعلان نتيجة ، وهذا غبن قد الحقه بالبعض ، الا ان هذه الهوة ، هي التي مكنت ، تمحور القيادة السياسية في زعامات فردية ملهمة ، وهو الذي مكن قيادة عبد الناصر ، من خلال مواقف حادة، حاسمة ، واضحة ، مبسطة ، ان تستقطب الجماهير التي كانت مصالحها الوطنية والطبقية متوجهة تلقائيا نحو المؤسسات والاحزاب التي عجزت أن تكتسب ثقة الجماهير على فترات زمنية طويلة . ثم ان قيادة عبد الناصر في هذا المضمار ، عودت الجماهير ان تكون مشدودة الى القيادة ، دون ان تكون مرتبطة بمؤسسات . لكن عبد الناصر لم يتمكن من ان يصدق بأن الاحزاب التي تعامل معها ، هي أحزاب بالمعنى الذي طرحت نفسها به ، اذ انها اجازت للانقلابية العسكرية ، أن تتسلق الثورات وان تجهضها . لذلك فان فئة عسكرية ، تختبيء وراء شكلية التنظيم الحزبي ، لا تضفي على هذا الحزب شرعية الوجود الحزبي . كما ان الاحزاب الشيوعية في الوطن العربي ، رغم ما أسهمت به من حيث عملية الايقاظ الجماهيري ، والتوعية وتوجيه هذه النضالات في عدة مراحل ، وما أعطته ، بالمشاركة مع حزب البعث وحركة القوميين العرب ، للجماهير من قدرة على عدم الانزلاق في مهاوي التفكير اليميني التبسيطي ، الا ان الاحزاب الشيوعية ، باستثناءات فردية أو فئوية ، لم تظهر او تثبت قدرتها على الاجتهاد النظري والحزبي الذي يعجز عن الابداعية النظرية يعني انه عاجز عن الالتصاق الحميمي بالجماهير . فالاحزاب الشيوعية في المنطقة العربية ، لم تتمكن من ابراز فهم ثوري واضح لبعض المميزات والخصائص الملازمة للتحرك الثوري العربي ، مثلما تمكنت الاحزاب الشيوعية في الصين والفيتنام وايطاليا والى حد ما بشكل مختلف يوغوسلافيا وفي شيلي وكوبا .

كل هذه التململات في الواقع الشيوعي العالمي ، برزت أثر نمو القناعة عند الاحزاب الشيوعية وتزايدها بضرورة ادخال المعاناة الوطنية والقومية ، في صميم النظريات الاممية . وان واقع الثورة العربية المعاصرة ، التي كانت بحاجة قصوى ، الى مثل هذه الابداعية الثورية ، التي تلازم معايشة المعاناة بكافة جوانبها ، بقيت حالة جماهيرية ، ولم تستكمل هيكلها لان تصبح ثورة منتجة ، لذلك فان هذه الحالة الثورية، التي هيأتها الظروف الموضوعية والحاجات الملحة والتحديات الامبريالية والرجعية والصهيونية ، هذه الحالة الثورية مكنتها أو جعلتها ، في غياب منظماتها الثورية المبدعة، ان تصبح مستباحة للانقلابات العسكرية . فكان في بعض الاحيان ان تقلصت الثورات الممكنة الى انقلابات متتالية . وما ينطبق على الاحزاب الشيوعية من خلال افتقارها الى طاقة الابداع ينطبق أيضا على باقي الاحزاب ، التي اشرنا اليها ، والتي كانت تعبيرا أصيلا مثل حزب البعث وحركة القوميين العرب ، عن تطلعات قومية متطورة ولكنها استساغت السلطة ، بشكل جعلها تخضع اجهزة الحزب الى من سهل لها تسلق السلطة . وقد ظهر ايضا على الساحة العربية بحركات اليسار الجديد ، التي وان تمكنت من أن تفلت قطاعات من الجيل الجديد من مكتبية الاحزاب الشيوعية ، وعسكرية احزاب البعث ، وعشوائية الاتحادات الاشتراكية ، الا انها كانت يسارا جديدا ، بمقدار أنها تطور جديد في المنطقة ، لان المطلوب ليس يسارا جديدا بل يسارا متجددا . واليسار المتجدد العربي يشمل اليسار الجديد ، ولكنه يتجاوزه ، وهذا اليسار الجديد المتجدد ، كامن في حركة المقاومة الفلسطينية من خلال ممارساتها أكثر مما هو ظاهر من خلال مذهبيتها. لان الممارسة تنشيط لعملية التجديد ولان الركود في الممارسة يعصب المذهبية ، ويجعل من التزمت العقائدي تعويضا لفقدان قدرة الممارسة النضالية . بهذا المضمار يتراءى لنا ان المطلوب ليس يسارا جديدا يضيف الى التنظيمات والقوى اليسارية او المتيسرة الموجودة على الساحة العربية ، انما المطلوب يسار متجدد ، يتمكن من استقطاب كافة الملتزمين بأولوية قضية التحرير الفلسطيني ، داخل اطار جديد ، داخل اطار يكون بمثابة نقطة الالتقاء للذين يعانون القلق الحقيقي داخل احزابهم ومنظماتهم ، من جراء ما حصل من انحرافات او من ممارسات خاطئة او من تغليب القول على الفعل ، والشعار على الممارسة . ان التجاوز المطلوب هو أن عددا كبيرا من الملتزمين باولوية قضية التحرير مبعثرون في احزاب ومنظمات مختلفة ، يشكلون أقلية وجدانية داخل الاحزاب الحاكمة، ويشكلون طلائع صراعية داخل احزاب معارضة، ينطلقون من مفاهيم واحدة ، لكنهم يعملون في اجهزة وتنظيمات مختلفة . ان ما عنيناه بالمقاومة كونها اداة تفجير طاقات التصحيح ، داخل المجتمعات العربية ، هو ان مستلزمات المقاومة وجودا ونموا هي المعايير الموحدة لكل ملتزمي التحرر . لذلك فالمقاومة الفلسطينية اذ تتوجه بقوة الآن نحو تنظيم مشاركاتها العربية ، وتنظيم المشاركات العربية مع المقاومة الفلسطينية لا بد من ان تكتشف أنها تعمل في مستويات اربعة مختلفة : **المستوى الاول** : هو مستوى التفاعل والتعامل مع ما هو متوفر وظاهر. هذا المستوى قادر على فرز الملتزم من المتعاطف من المتملق . **المستوى الثاني** : ان المقاومة الفلسطينية ستدرك ان مهماتها الاساسية تتعلق في الاسهام بتنظيم الملتزمين ، وتكثيف عملية تعبئة المتعاطفين ، وتحييد ثم عزل المتملقين والانتهازيين . هذا الفرز سيكون أكثر دقة في تبيان الفروقات بين الملتزم والمتعاطف والمتملق كلما توضحت معالم الطريق الطويل لعملية التحرير . **المستوى الثالث** : ان المقاومة الفلسطينية ستكتشف ، ان لم تكن قد اكتشفت بعد ، ان الجماهير العربية ، التي يكثر الناطقون باسمها ، تجد نفسها غير منضوية داخل الاطارات الحزبية القائمة ، وان كانت تؤيد تحالف البعض منها في مراحل محددة ، وان هذه الجماهير العربية تختزن في ذاتها حيوية ثورية ، عبرت عن نفسها بانتفاضات ولكنها لم تعبر عن نفسها بعمليات ثورية متواصلة ، كما

أن هذه الجماهير من حيث اختزانها لهذه الطاقات الثورية غير المستحدثة ، لديها استعداد للانضباط ، وان مدخل انضباطها السياسي هو مدى التوافق بين المقاومة الفلسطينية وبين من هم على استعداد للانتظام في أطاراتها . **المستوى الرابع** : ان ما سميناه اعتباطا حركة المقاومة العربية ، او طموحا حزب المقاومة العربية هو الاطار الذي تنتظر الجماهير انضاجه ، من حيث كون هذه الحركة ، هي التي تحسم بأن اولوية التزاماتها هي القضية الفلسطينية أي قضية التحرير . وأن هذه الحركة غير المرئية هي التي كان منتظرا أن تقوم اثر هزيمة « حزيران وأن لا يكتفى بكونها ظاهرة فلسطينية محضة ، والا فقدت المقاومة الفلسطينية قدرتها على الاستمرار والمجابهة . فاذا كانت المقاومة الفلسطينية قطاعا من حركة عربية ، فليس باستطاعة المقاومة الفلسطينية ، ان ترضخ لتركيبة عربية جبهوية ، ليست من صميم معدنها النظري والسلوكي والتنظيمي ، اذ ان ابقاء الشعب الفلسطيني في مستوى مختلف من التنظيم الثوري والسياسي عن باقي الجماهير العربية ، يعني ابقاء مسؤولية التحرير مسؤولية فلسطينية في الاساس ، يشترك باقي العرب فيها من حيث المساندة والتعاضد ، لكن الرد على هذا المستوى من التنظيم يكمن في ان التركيب الديموغرافي ، والخلفية التاريخية للشعب الفلسطيني ، من حيث هو الضحية الاولى للغزوة الصهيونية ، يضع الشعب الفلسطيني ، في وضع المرشح للتثوير اكثر من باقي الشعوب العربية ، التي تعيش في مجتمعات ابنيتها الادارية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية الى حد ما متكاملة وراسخة. هذا التفاوت في الظروف بين الشعوب العربية والشعب الفلسطيني، هو الذي يجعل من حركة المقاومة العربية ، متنوعة في الاسلوب ولكنها مركزية في التنظيم والتوجيه . لان جعل تباين اوضاع الشعب الفلسطيني مدخلا لتعدد اوجه التنظيم في الساحة العربية الجماهيرية ، يحرف توجه الطاقات العربية الثورية نحو التحرير أولا ، ويحرفها ايضا عن تعميق مفاهيم التزاماتها الوحدوية ، كما يزيح عن بصيرتها الادراك بأن هناك تلازما حتميا بين الثورة الاجتماعية الجذرية، داخل المجتمعات العربية والخطوات الوحدوية والتحريرية في الساحة الفلسطينية والعربية . فاذا لم يكن هناك مركزية في التوجيه ، مع التسليم بضرورة التعدد والتنوع في الادوار ، عندئذ نسلم بأن التميز الفلسطيني ، لم يعد من ضمن الخصائص المرحلية للنضال الثوري الفلسطيني والعربي ، انما هو تميز يحمل في ثناياه احتمالات الانسلاخ عن طاقات الثورة العربية ، وهي الطاقات نفسها القادرة على تجديد حيوية المقاومة وتطويرها الى ثورة .

لذلك أشرنا الى أن المقاومة الفلسطينية ، في حال انجازها خطواتها الوحدوية الوطنية داخل اطارها تصبح بشكل مباشر او غير مباشر ، اداة التفجير للطاقات الوحدوية والتصحيحية داخل المجتمع العربي . فاذا ما تفجرت طاقات التصحيح اكتشفت وحدتها، من خلال رفضها لواقع التجزئة ، وما ينطوي عليه واقع التجزئة من ممارسات خاطئة تصيب المقتل في عملية تحرير فلسطين . ومن هنا فان المقاومة الفلسطينية تصحح ايضا الكثير من ترسبات الحركات والمنظمات والقوى التقدمية والعربية ، من خلال التزامها بمفاهيم علمانية تقدمية . لذلك فان ما أشرنا اليه ان نتيجة عملية التصحيح في الساحة العربية ، هو بروز اليسار المتجدد الذي يتمكن في مراحل لاحقة ان لا يجعل من القلق الذي تعيشه الاوساط الملتزمة العربية حالة ضياع ، بل ان تكتشف من خلال حيوية القلق طاقات الثورة التي تنطوي عليها ، ومن خلال اكتشافها لهذه الطاقات تكتشف الجماهير التي تختزن هي بدورها الطاقات الثورية المكبوتة ، التي كبتها الارهاب او اقصتها السلطات التي تخاف من الجماهير .

ان توجه المقاومة الفلسطينية الآن نحو وضع صياغات المشاركة يجب أن يعتبر عملية انتقالية مرحلية وليس صياغة للعمل المستقبلي .

ناحوم غولدمان :
الوسيط تحت الطلب

الدكتور اسعد رزوق

أوراق اعتماد ناقصة

منذ ربيع ١٩٧٠ أخـذت الاضواء في التسليط اكثر من ذي قبل عـلى شخصية الزعيم الصهيوني العالمي ناحوم غولدمان ، وبنوع خاص على الآراء والتصريحات التي يدلي بها والمواقف التي يتخذها . وليس القصد من وراء تسجيـل هذا الاهتمام بما يصدر عن غولدمان ان يتم تجاهل التاريخ الحافل الذي خلفه وراءه في ميدان العمل الصهيوني وعلى صعيد النشاط اليهودي العالمي . فالرجل شغل منصب الرئاسة في المنظمة الصهيونية العالمية طيلة اثني عشر عاما (من ١٩٥٦ الى ١٩٦٨) ، وتسلم عـام ١٩٤٩ رئاسة المؤتمر اليهودي العالمي بالوكالة لكي يصبح رئيسه الاصيل منذ عام ١٩٥٣ ، حيث مـا زال يشغل هذا المنصب الاخير حتى الآن . لكن اسم غولدمان قفز الى عناوين الصحف العالمية في ربيع ١٩٧٠ بمناسبة ما أشيع عن اتصالات تمهيدية قام بها بغية التوصل الى لقاء الرئيس الراحل عبـد الناصر والتفاوض معه حول ايجاد حـل سلمي لما يعـرف بـ « أزمة الشرق الاوسط » ، وعلى سبيل التحديد : للنزاع العربي ـــ الاسرائيلي . ولقد سبق لناحوم غولدمان في أعقاب تسلمه رئاسة المنظمة الصهيونية العالمية (١٩٥٦) ان حاول القيام بمسعى مماثل للاجتماع الى الرئيس عبد الناصر ، فجاء العدوان الثلاثي على مصر آنذاك ليقطع الطريق على مشروعه ويفسد مسعاه(١)*. بيد ان النجاح الذي احرزه غولدمان على صعيد اللقاء المنشود ظل محصورا باجتماعه الى الملـك الحسن الثاني في الرباط وبتاريخ ٢٤ حزيران (يونيو) ١٩٧٠(٢). وازاء التصريحات الرسمية المتكررة من جـانب المسؤولين الاسرائيليين : بان ناحوم غولدمان لا يمثـل الـدولة الصهيونية ، ولا يحق له بالتالي التصرف على هذا الاساس دون الرجوع الى الاوساط الحاكمة في اسرائيل ـــ حرص الزعيم الصهيوني ورئيس المؤتمر اليهودي العالمي علـى ابراز الامور التالية من خلال حديث أجرته معه الاذاعة الاسرائيلية : أ ـــ الاجتماع الى ملك المغرب تم بناء على رغبة الحسن الثاني وطلبه ، وعن طريق احد اصدقاء الطرفين (وهو شخص فرنسي مقيم في باريس ولعب دور الوسيط) . ب ـــ اشترك غولدمان في المقابلة بصفة شخصية ، وليس باعتباره رئيس المؤتمر اليهودي العالمي أو أحـد المبعوثين الديبلوماسيين لدولة اسرائيل . ج ـــ خلال الاجتماع حصل بين الرجلين تبادل في الآراء حول أزمة الشرق الاوسط .

والذي يسترعي انتباهنا في هذا الصدد ، ولا سيما بالنسبة لزيارة غولدمان التي لم تتم الى القاهرة ، هو تلك الضجة المفتعلة التي قامت في اسرائيل ولدى أوساطها الحاكمة بنوع خاص . حتى ان الجنرال عيزر وايزمان (القائد السابق لسلاح الجو الاسرائيلي ،

ثم وزير المواصلات في حكومة التكتل الوطني ، والرئيس الحالي للجهاز الاداري في حركة حيروت) اعتبر ما أسماه بـ « الغولدمانية » من الظواهر التي تميزت بها مرحلة حرب الاستنزاف في مطلع صيف ١٩٧٠(٣) . كما نقلت وكالات الانباء العالمية في ذلك الحين وعن الصحف الاسرائيلية بالذات (« يديعوت احرونوت » و « معاريف ») ان غولدا مئير قامت بتوجيه أقسى التهم الى ناحوم غولدمان بسبب اللقاء الذي كان يزمع اجراءه مع الرئيس المصري . وقيل آنذاك ــ على لسان الصحف المذكورة اعلاه ــ ان رئيسة الحكومة أعربت عن استهجانها الشديد لموقف غولدمان من النزاع العربي ــ الاسرائيلي، هذا الموقف الذي كـــان له « وقع الصدمة القاسية » في نفسهـــا . ثم استطردت مئير بقولها ان غولدمان ليس مؤهلا لتمثيل اسرائيل في أية محادثات تجري مع مصر . وكانت مقالة ناحوم غولدمـــان المنشورة في مجلـــة « فورين أفيرز » الاميركية تحت عنـــوان « مستقبل اسرائيل » قد نادت بالدعوة الى « تحييد » اسرائيل واخراجها من دائـــرة سياسة القوة في العالم الراهن ، كما اشارت الى ما يستتبع عن هذا التحييد من تمركز قوات دولية رمزية وبصورة دائمة في دولة اسرائيل(٤) . لكن الجهـــات النافذة داخـــل اسرائيل ارتأت الاشارة الى دعوة « التحييد » هذه في معرض قولها ان ناحوم غولدمان ــ كما يستفاد من مقالته تلك ــ يضع وجود الدولة بالذات موضـــع التساؤل . مما أفسح المجال أمام رئيسة الحكومة لكي تتساءل في غمرة الهجوم على حامل الجنسية الاسرائيلية ــ والرئيس السابق للمنظمة الصهيونيـــة العالمية بالاضافة الى رئـــاسته الحالية للمؤتمر اليهودي العالمي ــ بما يلي : « كيف يمكن ايفاد مثل هـــذا الرجل الى القاهرة ؟ وباسم من ينطق غولدمان ؟ » .

أما الناطق الرسمي بلسان حكومة اسرائيـــل فقد استبق الحملة التي شنتهـــا رئيسة الحكومة على الدكتور غولدمان ، وأدلى عقب اجتماع مجلس الوزراء الاسرائيلي في مطلع نيسان (ابريل) ١٩٧٠ بالتصريح التالي نصه : « توصلت الحكومة الى نتيجة مفادها أن كل اعلان عن الاستعداد من جانب الرئيس المصري لعقد اجتماع يمكن خلاله مناقشة القضايا التي تهم مصر واسرائيل سوف يقابل من جانبها هي بنوايا طيبة ، شرط ان تترك الحرية لكل جهة في تسمية ممثليها . ولهذا السبب جاء الرد بالنفي عندما طلب الدكتور غولدمان الى الحكومة ان تمنحه الموافقة على لقائه مع الرئيس المصري » . ومضى الناطق قائلا : « ان عضوا بمفرده فحسب من بين أعضاء الحكومة البالغ عددهم ٢٤ وزيرا أعرب عن موقف مغاير لموقف زملائه . وهـــذا العضو لم يكن وزير الـــدفاع ، موشيه دايان »(٥) .

توزيع الادوار

لكن التصريح الرسمي الاسرائيلي ــ وهو الذي جرت صياغته على النحو المشار اليه ــ لم يضع حداً نهائيا لأزمة الزيارة والملابسات التي أحـــاطت بها . فقد صرحت أحـــدى سكرتيرات غولدمان في القدس بان « الدعوة » الى القاهرة لم تأت نتيجة مبادرة صدرت عن ناحوم غولدمان . وتبين فيما بعد ان الروايات متضاربة ، على الاقل في ظاهرها . فهناك رواية أدلى بها أحد الناطقين بلسان الحكومة الاسرائيلية كالآتي : قام الدكتـــور ناحوم غولدمان ــ وهو الذي يحمل الجنسيتين الاسرائيلية والسويسرية ، ويقيم بمدينة جنيف ــ بابلاغ رئاسة الوزارة في اسرائيل منذ اسبوعين (خلال النصف الثاني من شهر اذار ، ١٩٧٠) في ان « جهات عديدة » تلح عليه الحاحا شديدا لحمله على السفر الى القاهـــرة والاجتماع هنـــاك الى الرئيس عبد الناصر . بينما اشترط الرئيس المصري ــ على حد قول الناطق اياه ــ لاتمام هذا اللقاء ان يجري بمعرفة الحكومة الاسرائيلية وموافقتها ، وان يذاع أمره علانية(٦) .

وفي رواية غولدمان ، التي أفضى بها خلال مقابلة أجرتها معه مجلـــة « دير شبيغل »

الالمانية ونشرتها في أواخر نيسان (ابريل) ١٩٧٠ ، تطالعنا الامور التالية : ان مسألة تلقيه الدعوة لزيارة القاهرة كان حظها بالحدوث يتراوح بين ٥٠ و ٦٠ بالمائة، واقترنت بشرطين هما ذهابه بصفة شخصية وليس كممثل للحكومة ، وضرورة ابلاغ رئاسة الوزراء الاسرائيلية بالامر . وبناء عليه ، فقد سافر غولدمان الى اسرائيل ، حيث اجتمع الى غولدا مئير وحذرها من مغبة عرض الطلب على مجلس الوزراء بصورة رسمية ، لئلا تكتسب مهمته طابعا رسميا وتتسرب اخبارها بالتالي الى خارج القاعات المغلقة . لكن مئير لم تأبه لتحفظات غولدمان ، بل عمدت الى طرح الموضوع بصورة رسمية على مجلس الوزراء لكي يصار الى ادماجه في صلب الموقف الاسرائيلي وتخريجه على الشكل الذي تضمنه البيان الصادر عن الناطق الرسمي . اما كيف حصل ذلك ، فتقول رواية غولدمان ان الانباء تسربت الى مراسل صحيفة « لوموند » في القدس ، اندريه سكيماما . وعندما تبين للحكومة ان المراسل المذكور على علم بما يجري ، بادرت الى عقد اجتماع لها على جناح السرعة وارتأت اذاعة الخبر بنفسها وعلى طريقتها الخاصة(٧) . ثم جاءت تصريحات غولدا مئير في استهجان موقف غولدمان والتساؤل عن الجهات التي خولته صلاحية النطق بلسانها ، لا بل التشكيك في أهلية الزعيم الصهيوني واليهودي وصلاحيته للقيام بدور اعتبرته «تمثيل اسرائيل في محادثات مع مصر » . ونقلت الصحف الاسرائيلية في حينه على لسان رئيسة الحكومة ان رواية غولدمان عن احاديثه مع اعضاء الوزارة الاسرائيلية بشأن زيارته « المرتقبة » الى القاهرة لا تنطبق على الوقائع بدقة . كما هددت غولدا مئير باللجوء الى افشاء المضمون الحقيقي على الملأ ، فيما لو تمسك الدكتور غولدمان بروايته .

ومما تجدر الاشارة اليه ان غولدمان لم يحاول التنصل من صفاته الاسرائيلية والصهيونية ، بل اعتبر زيارته بمثابة الدعوة التي يتم توجيهها لاول مرة الى مواطن اسرائيلي كان طيلة سنوات عديدة على راس المنظمة الصهيونية العالمية — كما افصح عن ذلك في المقابلة المذكورة أعلاه . فقد سألته « دير شبيغل » اذا كان رفض الحكومة الاسرائيلية لقيامه بدور الوسيط بين الطرفين مرده الى الانتقادات التي وجهها لسياسة اسرائيل ، واجاب بطريقته الديبلوماسية التي تتفادى الاحراج قائلا : « لم يكن لدي ثمة قصد في اجراء مفاوضات . وكما قلت للسيدة مئير ، لم تحدوني الرغبة في القيام بدور الوسيط : « يارينغ اليهودي » . ثم استطرد غولدمان فقال انه ابلغ غولدا مئير وأبا ايبان وموشيه دايان وغيرهم من الوزراء بانه لا ينوي التقدم بمقترحات خلال الزيارة . فلو سئل في القاهرة ، مثلا ، عما سيحل بكل من الضفة الغربية وقطاع غزة ، لكان جوابه على هذا السؤال : « انا لا اعرف ذلك ، لان حكومة اسرائيل بالذات لا تعرفه »!(٨) .

ولئن كان ناحوم غولدمان على عادته في البوح بما يراه ملائما للظروف فحسب ، فلا يغير هذا التحفظ الديبلوماسي شيئا من الدور الذي يضطلع به الزعيم الصهيوني واليهودي في خدمة الاهداف والمخططات الاسرائيلية . ولم يتهيأ لتلك التهديدات الصادرة عن غولدا مئير اخراج غولدمان عن طوره وحمله على التراجع عن روايته . كما اتضح لاحقا — وهذا ما سنبادر الى تناوله بعد قليل في سياق تحليلنا — بان اختلاف الروايات وتضارب التفسيرات في الظاهر ينم عن شيء من التنسيق المسبق في المواقف بين « الغولدمانية » والمؤسسة الحاكمة في اسرائيل . فالرجل الذي جردته رئيسة وزراء اسرائيل في ربيع ١٩٧٠ من كافة المؤهلات والصلاحيات التي تكرس انتدابه للقيام بمهمات حيوية ضمن الخط الرسمي للسياسة الاسرائيلية ، وناحوم غولدمان بالذات ، قد استعاد اعتباره بعد مضي عامين تقريبا على قصة الزيارة التي لم تصله دعوتها وكادت مختلف الروايات المنسوجة حولها ان تؤدي الى نشوب ازمة مفتعلة . وفي منتصف شباط

(فبراير) ١٩٧٢ تبين بما لا يقبل الشك ان ناحوم غولدمان ما زال حائزا على ثقة غولدا مئير ورضاها ، رغم كل التصريحات والتكذيبات . فقد أكدت رئيسة وزراء اسرائيل مؤخرا بانها خولت رئيس المؤتمر اليهودي العالمي ، ناحوم غولدمان ، صلاحية القيام باجراء اتصالات مع مصر لترتيب لقاء سري يحضره ممثل لكل من الطرفين ، المصري والاسرائيلي ، بغية التباحث في أمر احتمال التوصل الى اساس يصلح لايجاد التسوية السلمية بين الدولتين : مصر واسرائيل . واعترفت مئير هذه المرة بان القاهرة رفضت الاستجابة للطلب المعروض من الجانب الاسرائيلي وعن طريق ناحوم غولدمان والاوساط الدائرة في فلك اتصالاته « الشخصية » ــ بعد ان سبق لها نفي الانباء المتعلقة بمحاولات غولدمان في هذا الاتجاه ونعتها بالتلفيق والغلط . حتى انها وجدت من المناسب ايضا وصف الرواية التي أدلى بها غولدمان عن فشل المحاولات الرامية لتدبير اللقاء بـ «الصحة» والاصابة(٩) .

والمعروف ان غولدمان أفضى بمعلوماته عن طريق مقابلة هاتفية في باريس اجرتها معه الاذاعة الاسرائيلية ، ثم عاد وكرر القصة في حديث خاص مع وكالة الصحافة الفرنسية (١٩٧٢/٢/١٨)(١٠) . فقد صرح غولدمان ــ هذه المرة ايضا ــ بان «الوسطاء» الذين فاتحوه بالامر لتدبير اللقاء بين الطرفين لم يتقدموا منه « بدعوة صريحة للغاية » ، بل كانت المسألة محصورة بمحاولات ترمي الى « جس النبض » لدى الاطراف المعنية . ورغم ذلك بادر من طرفه الى احالة الموضوع على غولدا مئير ، فأتى ردها بالايجاب . لكن تفشيل اللقاء كان مرده الى عزوف الجانب المصري عن المشاركة في ايجاد تسويات من هذا القبيل ومن خلال لقاءات لا تزال سابقة لاوانها في الظروف الراهنة .

هل طرأ تحول ؟

نتوقف هنا لطرح سؤال يتعلق بأوجه الشبه او المفارقة بين الصيغتين اللتين انتشرت حولهما مختلف الروايات في الصحف والتصريحات . ثم ننتقل الى التساؤل عن طبيعة « التحول » ــ اذا جاز هذا الوصف ــ الذي طرأ على موقف غولدا مئير وحكومة اسرائيل من ورائها .

اكدت غولدا مئير في تصريح صادر عن مكتب رئاسة الوزراء مساء الثلاثاء (١٥ شباط ، ١٩٧٢) ان محادثات سرية لاجراء اتصالات مصرية ــ اسرائيلية قد تمت عن طريق الدكتور غولدمان . وجاء هذا التصريح الرسمي في اعقاب خبر أوردته صحيفة « يديعوت احرونوت » عن اجتماع عقد يوم الاثنين بين غولدا مئير وفريق من الاساتذة الجامعيين ونوقشت خلاله مسألة الاتصالات الجارية . لكن غولدمان فوجىء على ما يبدو باذاعة الخبر رسميا ، فقال يوم الاربعاء (١٦ منه) بانه لا يفهم لماذا سمحت غولدا مئير بنقل المسألة الى الصعيد العلني وترك الاخبار تنتشر(١١) . واستهجان الدكتور ناحوم غولدمان هذه المرة يقابله الاستهجان الذي اعربت عنه رئيسة الحكومة الاسرائيلية في المرة السابقة . ويضاف اليه هذا الطابع التصديقي الذي أسبغته غولدا على غولدمان .

ويؤخذ من الانباء الواردة حتى كتابة هذه السطور ان رئيسة الحكومة الاسرائيلية أعطت موافقتها على المسعى الغولدماني هذه المرة دون الرجوع الى اعضاء وزارتها واستشارتهم في الامر . فقد كشفت غولدا مئير أمام اجتماع ضم ١١٠ اشخاص من اساتذة الجامعة العبرية بالقدس ان الموافقة حدثت في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) من العام الفائت . واختارت التعبير على النحو الآتي : « كان الامر يتعلق بشخصية لا اتفق معها في الراي تمام الاتفاق ، ولكنها تحظى بتقديري » . فالدكتور ناحوم غولدمان هو المقصود بهذا الكلام دون شك . وهناك معلومات تفيد ان بعض المثقفين الفرنسيين من

اليساريين هم الذين كانوا وراء تحريك المساعي الرامية الى ترتيب لقاء غير رسمي بين ممثلين عن الاطراف المتنازعة في الشرق الاوسط ، وان المسألة تتصل عن كثب بالاستعدادات التي كانت تجري في روما (نيسان ، ١٩٧١) لعقد « مؤتمر السلام والعدالة » في مدينة بولونيا الايطالية . فالمعروف انه تقرر عقد المؤتمر المشار اليه في غضون شهر كانون الاول (ديسمبر) من العام الفائت ، كما ان حزب « مابام » الاسرائيلي لعب دورا بارزا في انتقاء العناصر الاسرائيلية على نحو يضمن اشراك مؤيدين للصهيونية الى جانب الفئات المناهضة لها . فقد علمت « نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية » (١٩٧١/١٢/١) ان تشكيل الوفد الاسرائيلي جرى بصورة شبه سرية ، مثلما سعى القيمون على اشراك الوفد الاسرائيلي من جماعة « نيو اوتلوك » والمابام الى جعل التمثيل وقفا على عناصر معينة واستبعاد غير المرغوب فيهم — أمثال الدكتور يسرائيل شاحك (رئيس عصبة حقوق الانسان في اسرائيل والمعروف بمواقفه الجريئة ضد الاضطهاد الذي تمارسه سلطات الاحتلال في المناطق العربية) . وليس بمستغرب ان يلجأ الذين اشرفوا على تشكيل الوفد الاسرائيلي — الصهيوني الى جعل الاشتراك مشروطا بالامتناع عن طرح موضوعات في المؤتمر تتعلق بمصير سكان غزة واضطهاد العرب في المناطق المحتلة .

وجاء على لسان غولدمان ان العناصر اليسارية الفرنسية التي ندبت نفسها لرعاية المؤتمر المذكور ناشدته لكي يمد يد المساعدة . فالزعيم الصهيوني « المتقاعد » يعتبر نفسه بمثابة « الوسيط الفيور » عن هوى في الوساطة والتوسط . لكن فشل المساعي المبذولة هذه المرة جعل ناحوم غولدمان يقول بلهجة تنم عن الاستسلام : « هذه نهاية مبادراتي الشخصية » (انظر مجلة « دير شبيغل » الالمانية ، العدد ٩ : ٢١ شباط ، ١٩٧٢ ، ص ١٣٠) .

في المرة السابقة كانت اتصالات غولدمان مع شخصيات لا تتمتع بصفة رسمية ، لكنها — على حد قوله — مقربة من السلطات الحاكمة في مصر . ومع ان غولدمان امتنع عن افشاء هوية السفير الذي فاتحه بأمر الاتصالات(١٢)، فقد بادر هذه المرة الى ربط محاولاته السابقة باقتراح يوغوسلافي يرجع تاريخه الى العام ١٩٦٩ . واعترف بأن المحاولة التي قام بها عام ١٩٧٠ « فشلت بسبب رئيسة وزراء اسرائيل » بعد ان روى القصة على النحو الآتي : « كان الرئيس تيتو ، الذي التقيه من حين الى آخر وتربطني به علاقات طيبة ، يعتقد انه من المفيد ان اقابل الرئيس عبد الناصر الذي وافق تقريبا على ذلك في نهاية الامر ، وان كان طلب احاطة مئير بالموضوع دون اشتراط موافقتها بالضرورة »(١٣). اما المحاولة الثانية فقد احبطتها — كما يقول غولدمان — وفاة الرئيس عبد الناصر ، وهي ما زالت في طورها التمهيدي . وفي المحاولة الاخيرة جرى العدول عن فكرة الزيارة الى القاهرة ، وقر الرأي مبدئيا على اختيار ارض محايدة لعقد اللقاء المنشود بعد استبعاد كل من القاهرة والقدس لتكون مكان الاجتماع . ومن البادي تماما ان الموقف الاسرائيلي يتعمد هذه المرة القاء مسؤولية الفشل والتفشيل على عاتق الجانب المصري في اتصالات الدكتور ناحوم غولدمان ، محاولا استغلال القضية على صعيد السياسة الرسمية التي تعلنها اسرائيل بقصد احراج مصر امام المجتمع الدولي والرأي العام العالمي . هذا بالاضافة الى استخدام قصة اللقاء الفاشل قبل ان يتم لاغراض السياسة الداخلية وتسخيره لازالة بعض الصعوبات التي تواجه حكومة غولدا مئير في اوساط اسرائيلية لها وزنها داخل الحياة العامة . وقد تمثلت هذه الصعوبات مؤخرا في البرقية التي وقعها ٣٤ شخصا من كبار المثقفين وارسلوها الى غولدا مئير طالبين اليها تعديل سياستها ازاء مصر .

من الصحيح ان حكومة غولدا مئير لا تواجه معارضة بارزة عمليـا داخل الكنيست وحول المسائل الجوهرية التي تتناول الموقف الاسرائيلي الرسمي من قضايا الحرب او السلام . لكن بعض اوساط المثقفين ، من اساتذة جامعات وادباء ، بدأت تتمخض عن ولادة حركة جديدة يحددها الشعور لمنازعة السياسة التي تسير عليها حكومـة اسرائيل . فقد بعث اندريه سكيماما ، مراسل صحيفة « لوموند » ، برسالة مـن القدس تحدث فيها عن البرقية التي حملت ٣٤ توقيعا ، ولا يمكن — حسب معلوماته — الصاق تهمة « اليسارية » بواحد من الموقعين . وجاء في هذه البرقية الموجهة الـى غولدا مئير بتاريخ ٢٥ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧١ ، ما يلي : « نحن الموقعين ادناه نعيش اليوم على الشعور الذي يخامرنا بان الحكومة الاسرائيلية لم تقم بعد باستنفاد جميع الاحتمالات التي عرضت عليها بالنسبة لاجراء مفاوضات مع مصر والحيلولة دون خطر استئناف الحرب . ولذا نتوجه الى الحكومة باقتراح يناشدها تعديل مواقفهـا المعلنة رسميا والتقدم بمقترحات — ليس من شأنها الحاق اي ضرر او مساس بأمن اسرائيل — لكنها تصلح لتشكيل اساس واقعي لاجراء مفاوضات في خاتمة المطـاف مـع مصر »(١٤) .

ان هذه البرقية تنم عن صياغة معتدلة في اللهجة وبعبارات جرى اختيارها بعناية فائقة — كما يؤكد ذلك مراسل الصحيفة الفرنسية . ومن بين الذين قاموا بتوقيعها تذكر « لوموند » الاسماء التالية : بنحاس روزين (وزيـر العدل السابق) ، سيجفريـد موزيس (المدير السابق لديوان المحاسبة) ، ويعاكوف ارنون (المدير العام لوزارة المالية حتى فترة حديثة العهد وأحد الاعضاء النافذين في الحزب الحاكم الذي تنتمي اليه غولدا مئير) ، والبروفسور دان باتنكين (وهو من الاقتصاديين اللامعين ، وأحد الذين تزعموا الحملة لارسال البرقية) . ثم تقدم باتنكين من غولدا مئير طالبا اليهـا تحديد موعد لاستقبال اصحاب البرقية ، فردت عليـه رئاسة الوزراء بابلاغـه ان اصدقاءه سوف يكون لديهم الوقت الكافي لعرض مقترحـاتهم خلال انعقاد جمعيـة الاساتذة المنتمين الى الهيئة التعليمية في الجامعة العبرية بالقدس — في غضون شهر شبـاط .

وما ان ترامت اخبار الالتماس المرفوع من جانب هؤلاء ، حتى تنادى خمسة من مؤيدي الحكومة وسياستها — وعلى رأس هؤلاء البروفسور يوفال نيمان ، رئيس جامعـة تل ابيب — الى توقيع برقية مضادة يعلنون فيها تاييدهم لسياسة الحكومة ويستنكرون التحرك الذي قام به الفريق الآخر تحت قيادة باتنكين . حتى ان غولدا مئير استجابت لطلب الخمسة وحددت موعدا لمقابلتهم على جناح السرعة . ويعلق سكيماما على هذه البادرة من جانب رئيسة الوزراء بقوله ان غولدا مئير في اختيارها الا تخص بالاستقبال غير الذين يوافقون على سياستها قـد اثارت اشـد الاستياء في عدد من الاوسـاط الجـامعيـة .

وليس بمستبعد ان يكون التوقيت المفاجيء للدكتور غولدمان في اذاعة البيان الرسمي عن اتصالاته التي ثبت فشلها منذ شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧١ ، بمثابة اجراء اسرائيلي على صعيد تهدئة الاوساط التي أخذ يساورها الشعور بان الحكومة لا تزال مقصرة في الاستفادة من جميع الاحتمالات والامكانيات المعروضة عليها للوصول الى تسوية والحؤول دون تجدد الحرب . ان هذا الاستنتاج يؤكده النبأ القائل بان صدور البيان الرسمي عن مكتب رئاسة الوزراء قد جاء في اعقاب ما اوردته صحيفة «يديعوت احرنوت» عن الاجتماع الذي تم بين غولدا مئير وفريق من الاساتذة الجامعيين وجرى

البحث خلاله في موضوع الاتصالات اياها تمهيدا لعقد لقاء بين ممثلين عن الجانبين : الاسرائيلي والمصري . كما ان الظروف الاسرائيلية الراهنة سمحت هذه المرة لرئيسة الحكومة بعدم خذلان الدكتور غولدمان وتفشيله لجهة صحة الرواية التي ادلى بها عن مسألة اتصالاته والموافقة التي حصل عليها من غولدا مئير في شهر تشرين الاول (اكتوبر) من العام الفائت .

« قضية غولدمان »

لنعد قليلا الى الوراء ، ونتوقف عند بعض الملابسات التي احاطت بأزمة « الزيارة » الخائبة الى القاهرة في ربيع ١٩٧٠ . ان الضجة التي رافقتها في اسرائيل حينذاك اتخذت ابعادا مختلفة تماما ، وتبدت مضاعفاتها على اكثر من صعيد واحد . وبالنسبة للدكتور غولدمان ، لم تؤثر تصريحاته التي اطلقها في لندن بصدد الموقف الصهيوني من يهود الاتحاد السوفياتي — وتسببت في اقصائه عن منبر المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين لالقاء الخطاب الافتتاحي — على صدق روايته وصحتها هذه المرة بقدر التأثير الذي احدثته آراء الرجل في الاوساط الرسمية الاسرائيلية ابان تلك الفترة الحرجة من ربيع ١٩٧٠ . فالمراقبون السياسيون في القدس لم يفاجئهم حينذاك الرفض الذي قوبل به مسعى غولدمان من جانب الوزارة الاسرائيلية . والاوساط الرسمية في اسرائيل كانت تستشيط غضبا ونقمة على الآراء التي عبر عنها غولدمان فجاءت خارجة على الخط السياسي الذي يتقيد به الموقف الاسرائيلي الرسمي .

لقد سبقت الاشارة الى مقالة غولدمان المنشورة في عدد نيسان (ابريل) ١٩٧٠ من مجلة « فورين افيرز » الاميركية ، والدعوة التي تضمنتها الى تحييد اسرائيل على غرار الصيغة المتبعة في سويسرا ، وجعل « الحياد الاسرائيلي » مرهونا بضمانات من جانب الدول الكبرى والبلدان العربية . وفي مطلع الازمة كانت عناوين الصحف الاسرائيلية ملأى باخبار المقالة ودعوة غولدمان في التحييد . كما ان صحيفة « هآرتس » ، التي تحتل مكانة مرموقة بين صحف اسرائيل ، اخذت تنشر تباعا سلسلة من المقالات بتوقيع الدكتور ناحوم غولدمان . وقد تهجم في احداها على السياسة الاسرائيلية ناعتا اياها بـ « العناد المفرط اكثر من اللازم » ، فلم يترك ناحية دون التعرض لها بالنقد الشديد . مثلما اتهم اسرائيل بانها تعرض على العرب شروطا للسلام لا يمكن القبول بها ، وسجل على الحركة الصهيونية في اسرائيل ان نظرتها الى الوجود العربي في الشرق الادنى وداخل الدولة حاليا تتسم « بكثير من الاستخفاف »(١٥). ومن المؤكد ان غولدمان دعا الى الانسحاب الاسرائيلي من المناطق العربية المحتلة في اثناء حرب حزيران ١٩٦٧ ، وتحويل القسم الاعظم منها الى مناطق مجردة من السلاح تحت اشراف قوات دولية . فالمقالات التي نشرتها « هآرتس » ابان ذروة الازمة على الصعيد الداخلي الاسرائيلي ضاعفت النقمة على رئيس المؤتمر اليهودي العالمي ، ولا سيما تلك المقالة التي ضمنها مشروعه المؤلف من تسع نقاط لحل النزاع العربي — الاسرائيلي . والى جانب مناشدته الدول الاربع الكبرى (الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وبريطانيا وفرنسا) تقديم الضمانات والعمل جديا على وضع حد لسباق التسلح في الشرق الاوسط على اساس فرض المراقبة الدولية الفعالة ، طالب غولدمان بتجريد المناطق العربية التي احتلتها اسرائيل في حرب حزيران من السلاح ، مثلما ايد وجوب السماح بعودة اولئك اللاجئين العرب الى اسرائيل من الذين يرغبون في العودة ، وندد بعملية ضم القدس العربية رسميا من جانب اسرائيل لكي يطالب بتحديد وضع للمدينة يجعل منها مدينة يهودية في طابعها الغالب(١٦).

هذه الآراء اغضبت الاوساط الحاكمة في اسرائيل دون ريب . واهتمام الصحف بنشرها

والتعليق عليها اثار حفيظة القيمين على شؤون الدولة والحكم . حتى ان حكومة غولدا مئير ذهبت الى الكنيست لتطرح الثقة بنفسها على اساس السياسة التي تتبعها في قضية الشرق الاوسط . فنالت الثقة المطلوبة بأكثرية ساحقة من ٦١ صوتا ضد ٥ اصوات ــ علما بأن عدد اعضاء الكنيست الاسرائيلي يبلغ ١٢٠ نائبا . ومن الملاحظ ان ثقة الكنيست جاءت مقرونة برد التهمة القائلة ان الحكومة قامت عمدا باحباط المحاولة الرامية الى اجراء تبادل في الراي بين الرئيس المصري عبد الناصر ورئيس المؤتمر اليهودي العالمي ، ناحوم غولدمان . حدث كل ذلك بالطبع بعد اقدام وزير خارجية اسرائيل ، ابا ايبان ، على تأكيد استعداد حكومته للاجتماع الى كل واحد من رؤساء الحكومات والدول العربية بقصد التفاوض حول النزاع في الشرق الاوسط(١٧) .

لكن « قضية غولدمان » لم تنته آنذاك بالثقة التي نالتها حكومة غولدا مئير في الكنيست على سياستها ، واقترنت بالتنصل من محاولة احباط المساعي الغولدمانية . فقد شهدت شوارع القدس المحتلة تظاهرات قام بها اعضاء ينتمون الى احزاب يسارية وحركات للشبيبة . واعتصم المتظاهرون بالقرب من مبنى الكنيست ، بعد محاولتهم اقتحام مقر رئاسة الوزراء ، لكي يطالبوا بذهاب غولدا مئير . كما سقط منهم بعض الجرحى نتيجة الاشتباكات مع قوات الشرطة . ويقال ان التظاهرة انطلقت بعد اجتماع حاشد لتأييد موقف غولدمان ، وجرى اعتصام المتظاهرين في اشد الشوارع ازدحاما بحركة السير .

وعندما قامت تظاهرة ثانية في غضون الاسبوع ذاته ، لاحظ المراقبون الاجانب ان الصحافة الاسرائيلية حاولت التقليل من شأن التظاهرات عمدا . فلم تنشر الصحف الصادرة في اليوم التالي اية صور تظهر فيها اشتباكات المتظاهرين وقوات الامن . حتى ان صحيفة « الجيروسالم بوست » ، وهي المقربة من الاوساط الحاكمة ، امتنعت عن نشر اية صورة للتظاهرات تحت وطأة الضغط عليها من «فوق» . غير ان مراسلي الصحف الاجنبية سجلوا على الصحافة الاسرائيلية محاولتها المتعمدة لاعتبار التظاهرات بانها من عمل فئة قليلة العدد وتعاني من الخيبة السياسية . فقد كتب بيتر فيليب ، مراسل صحيفة « سود دويتشه تزايتونغ » الالمانية يقول ان التفسير الذي اعطته صحافة اسرائيل للتظاهرات هو اكثر من تفسير مغلوط : و « رغم كون المتظاهرين يشكلون اقلية صغيرة فحسب ، فانهم يمثلون قسما كبيرا من سكان اسرائيل . لقد تظاهروا بالنيابة عن الجميع من اولئك الذين يغمرهم الاستياء من موقف الحكومة في قضية غولدمان ، كما يساورهم القلق من سياسة اسرائيل التوسعية وشهوتها المتزايدة في ضم الاراضي العربية ، لكنهم ليسوا على استعداد للنزول الى الشارع في سبيل الأعراب عن موقفهم ورفع صوتهم بالاحتجاج »(١٨) .

بينما عمد الدكتور غولدمان من جانبه الى الادلاء بتصريحات للصحف الاوروبية والاذاعات العالمية معربا فيها عن دهشته وسروره لردود الفعل العنيفة التي صدرت عن قطاعات واسعة لسكان اسرائيل ازاء موقف الحكومة من مهمته الفاشلة . ورأى في تظاهرات الشباب بنوع خاص دليلا على رغبة عميقة في الاستفادة من كل فرصة ضئيلة للتوصل الى احلال السلام . كما تنبأ غولدمان بان تغيير الاجيال في اسرائيل سوف يترك اثرا حاسما على السياسة المتبعة في المستقبل نحو الدول العربية . فالعناصر الشابة ــ على حد قوله ــ هي اقل تورطا بالتركة العاطفية واكثر انفتاحا على الافكار الجديدة . والاسرائيليون الذين يقفون على الجبهة هم بنظره اكثر واقعية واشد استعدادا لانهاء الحرب . ثم يستطرد غولدمان قائلا : ان من اطرف الامور للغاية هو الاستماع الى هؤلاء الشباب كيف يتملكهم الاسف ويغمرهم

السخط العميق عندما يتحدثون عن الضرورات التي ترغمهم على شن الحرب اطلاقا(١٩).

وفي الوقت نفسه كانت مؤسسات استفتاء الرأي داخل اسرائيل تقوم بحملة غرضها تدعيم سياسة الحكومة والوصول الى نتيجة مفادها ان الاكثرية الاسرائيلية تؤيد اتباع سياسة متصلبة ولا تقبل التنازلات . فقد جاء في النتائج التي اسفر عنها احد الاستفتاءات ان كل شخص اسرائيلي بين ثلاثة أشخاص يقف ضد الاستعداد للقيام بتنازلات نحو العرب ويؤيد « سياسة القبضة الحديدية » . بينما اعرب كل شخص رابع عن وجوب الاعتدال والتساهل في تقديم التنازلات . ومضت الصحيفة الاجنبية التي اوردت ذلك الى القول بأن هذا التوزيع في الآراء بين السكان ينطبق تقريبا على تركيب الحكومة الاسرائيلية ، حيث نسبة تمثيل « الصقور » تفوق عدد « الحمائم » . ثم ارتأت الاشارة الى مقارنة النتائج الحالية بما اسفر عنه استفتاء مماثل في صيف ١٩٦٧ — اي في اعقاب حرب حزيران . فالصورة التي اعطاها ذلك الاستفتاء تختلف تمام الاختلاف عن صورة ١٩٧٠ ، لان الاكثرية الساحقة حينذاك اعلنت تأييدها لاحلال « سلام عاجل على اساس التعقل » مقرونا بشروط سخية حيال البلدان العربية المجاورة(٢٠).

ان جميع هذه المواقف والتخريجات لم تترك اثرا سلبيا على الخط الرسمي للسياسة الاسرائيلية ، بل جرى استخدامها لاغراض داخلية ليس اقلها شأنا تعزيز الموقف الحكومي وحشد التأييد الاكثري له . والغضبة التي استبدت برئيسة الوزراء لكي تنصب على ناحوم غولدمان ، فتنتزع منه اوراق الاعتماد الصهيوني ، كانت معدة في المقام الاول للاستهلاك الداخلي تحت وطأة ظروف عصيبة . هنا يجوز لنا استحضار التحليل الذي اجراه عيزر وايزمان لفترة حرب الاستنزاف وتحدث فيه عن « الغولدمانية » باعتبارها من الظواهر السلبية والمؤسفة التي تبدت خلال الايام الصعبة . وليس من قبيل الشطط او المبالغة وصولنا الى نتيجة مؤداها ان رئيس المؤتمر اليهودي العالمي هو « العوبة » و « اداة » بيد السياسة الرسمية لدولة اسرائيل ، يجري استخدامها لاغراض معينة وحسب الظروف السائدة والحاجات الملحة . فالآراء المنسوبة الى الدكتور غولدمان — والتي اثارت غضب المؤسسة الحاكمة على شخصه وصلاحيته — لم يطرأ عليها اي تبدل بارز بين ربيع ١٩٧٠ وشتاء ١٩٧٢ . والحق يقال ان معظم آراء الزعيم الصهيوني واليهودي وردت ، قبل ان تحملها المقالات والتصريحات ، بين دفتي كتابه الصادر اصلا عام ١٩٦٩ ، والمنقول الى عدة لغات وفي طبعات مختلفة منذ عام ١٩٧٠ .

كما ان التحرك الغولدماني في خدمة اسرائيل والصهيونية العالمية ، وعلى صعيد تأمين التغطية اللازمة للنوايا التوسعية في اوساط الراي العام العالمي ، ترجع الى فترة مبكرة من الشهور التي سبقت حرب الخامس من حزيران (يونيو) واعقبتها مباشرة .

ازدواجية المظاهر

ففي ربيع ١٩٦٧ عاد ناحوم غولدمان — بصفة كونه يجمع بين رئاسة المؤتمر اليهودي العالمي ورئاسة المنظمة الصهيونية — من جولة قام بها داخل بلدان اوروبا الشرقية بقصد استطلاع احوال اليهود هناك واجراء الاتصالات مع كبار المسؤولين والنافذين . وعقد الرئيس المزدوج مؤتمرا صحفيا في جنيف تحدث خلاله عن انطباعات الجولة التفقدية التي قام بها ، لكي يعلن بان اليهود في كل من يوغوسلافيا (٧ آلاف يهودي) ورومانيا (حوالى مائة الف يهودي ، منهم ٣٠ الفا في بوخارست) وهنغاريا (٨٠ الف يهودي ، منهم ١٠ آلاف في بودابست) وتشيكوسلوفاكية (٢٠ الف يهودي) ، وبولونيا (٣٠ الف

يهودي) يتمتعون بحرية تامة في حقوقهم وثقافتهم وشؤونهم الدينية . ثم خلص الى القول « ان الاشتراكية واليهودية ليس بينهما من تناقض » ، وبأن حقيقة كون اليهود في الاتحاد السوفياتي يعانون وضعا هو اشد سوءا في جوهره من الوضع الذي توجد عليه الاقليات القومية الاخرى — هي مشكلة تتناول روسيا السوفياتية وحدها ، وليست بالمشكلة الشيوعية(٢١) .

لكن تصريحات غولدمان لم تثر آنذاك نقمة الاوساط الحاكمة في اسرائيل ، بقدر ما اغضبت المسؤولين عن حركة حيروت . فقد سبق لهذه الحركة ان اوعزت للشباب الصهيوني التصحيحي في منظمة « بيتار » اليمينية المتطرفة بالتظاهر ضد رئيس المؤتمر اليهودي العالمي ، فضلا عن رئاسته للمنظمة الصهيونية العالمية . وفي اثناء انعقاد جلسة لجنة العمل الصهيونية بالقدس قام المتظاهرون من « بيتار » بتوزيع منشورات ضد ناحوم غولدمان واتهموه فيها بخيانة اليهود السوفيات (« انت خائن ليهود روسيا ») مثلما طالبوا باخراجه وطرده : (« اخرج يا غولدمان » و « اطردوا غولدمان ») .

فالمعروف ان غولدمان يخشى على نقاوة الفكرة الصهيونية ، كما يعز عليه ان يرى الصهيونية في اسرائيل « قد اصبحت لفظة ازدراء واحتقار بالنسبة الى كثير من الشبان الاسرائيليين ، ومرادفة للمثالية البالية وغير العملية » (« السيرة الذاتية لناحوم غولدمان » ، ص ٣٢٣) . وفي معرض حديثه عن النزعات المتطرفة داخل اسرائيل يعمد ناحوم غولدمان الى القاء تبعة التطرف على عاتق الصحافة الاسرائيلية التي تخضع لسيطرة التصحيحيين واشرافهم . فهو يقول ، مثلا ، في سيرته الذاتية ما يلي : « ثمة قطاع من الصحافة الاسرائيلية ، ولا سيما تلك الصحف الشعبية الصادرة بعد الظهر والتي يقوم على تحرير القسم الاكبر منها اشخاص تصحيحيون سابقون او من مؤيدي حزب حيروت المغالي في التطرف ، وهذا القطاع يشجع النزعات المتطرفة بين الناس » . ويمضي غولدمان الى تعليل النفوذ المتزايد للصحافة في اسرائيل — باعتباره « يفوق نفوذ الصحافة في كثير من البلدان الديمقراطية الاخرى » — على اساس « التركيب المختلط لسكان اسرائيل » ، لكي يخرج بتبرير يسترعي الانتباه ويثير الدهشة في آن واحد . فهو يخبر القارىء الذي يدفعه فضوله نحو طلب المزيد من التفسيرات بان النفوذ المشار اليه يتجلى على الشكل الآتي : « ان اكثر من نصف السكان يضم اليهود الشرقيين ، وهؤلاء تسيرهم العواطف العنيفة وتصدر عنهم ردود فعل متطرفة ، والكلمة المطبوعة لها سلطان في نفوسهم يفوق سلطانها على العقل الشكاك لدى اليهود المتحدرين من بلدان اوروبا الغربية او الشرقية » (ص ٣٠٣ من السيرة الذاتية) .

بيد ان هذه التغطية الغولدمانية للموقف الاسرائيلي لا تلبث حتى تتخذ صيغة اخرى . ففي النصف الاول من العام ١٩٦٨ انفجرت ازمة مماثلة بين غولدمان والاوساط الحاكمة في اسرائيل — او بين حكومة التكتل الوطني والمنظمة الصهيونية العالمية ، التي كان ناحوم غولدمان على رأسها حينذاك . وظهرت بوادر الازمة عقب الانباء المقترنة بتحركات رئيس المنظمة الصهيونية العالمية واتصالاته الديبلوماسية . فقد ذهب غولدمان الى مقابلة السناتور وليام فولبرايت ، رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الاميركي ، لكي يطلب اليه ممارسة الضغط على اسرائيل حتى « يأتي موقفها من ازمة الشرق الاوسط اكثر اعتدالا » .

وسارعت صحيفة « هايوم » الاسرائيلية (١٩٦٨/٤/٤) الى القول : ان النشاط الديبلوماسي الذي يقوم به ناحوم غولدمان قوبل لدى الاوساط الحكومية في القدس باستياء شديد . كما سبب حديثه مع فولبرايت ارتباكا لوزارة الخارجية الاسرائيلية ، فعمدت هذه الى اجراء تحقيق في الامر . لكن غولدمان لجأ الى الانكار بانه تقدم من

فولبرايت بمثل ذلك الطلب . واعترف بتزويده للسناتور الاميركي بمعلومات « ليست للنشر » حول التركيب الائتلافي للحكومة الاسرائيلية . فقد اعرب غولدمان لرئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الاميركي عن اعتقاده ان « حكومة اسرائيل لم تتوصل بعد الى اتخاذ قرار حول السياسة المستقبلية ، لانها تمثل ائتلافا موسعا لجميع الاحزاب من اليمين واليسار ، وهي احزاب تسود بينها خلافات في الرأي » . ومضى في روايته مؤكدا انه وان صارح السناتور الاميركي بضرورة اقدام الحكومة الاسرائيلية على اتخاذ قرارها وصياغته — « حتى انني قلت له ان العناصر المعتدلة تملك اكثرية داخل الحكومة » — فهو لم يطلب اليه ، « في اي حال من الاحوال » ، ممارسة الضغط الاميركي على اسرائيل(٢٢) .

وازاء هذا التراجع الغولدماني لم تهدأ حملة الاوساط الاسرائيلية على رئيس المنظمة الصهيونية العالمية . فقد اعتبرت تلك الاوساط الرسمية ان النشاط الديبلوماسي الذي يمارسه ناحوم غولدمان في الولايات المتحدة يعود باضرار سياسية لا حصر لها على اسرائيل . واعترفت الاوساط ذاتها بان الزعيم الصهيوني يقوم في الولايات المتحدة الاميركية باجراء محادثات مع كبار الموظفين في وزارة الخارجية ومع ممثلي الدول المختلفة ، ومن بينهم ممثلون سوفيات . لكن ممثل حركة حيروت في اللجنة الدائمة للمؤتمر الصهيوني بادر الى الاعلان بانه لن يقترح ترشيح غولدمان لرئاسة المنظمة ، بينما طالب نائب الامين العام لحركة العمل الصهيونية (صحيفة « هايوم » ٦٨/٥/١٧) باقالة غولدمان من منصبه « على اثر تصريحاته غير المسؤولة والتي تشكل عبئا لا يطاق على كاهل الحركة الصهيونية » .

واذا كانت جميع الاحزاب الصهيونية قد حملت على ناحوم غولدمان وهاجمته بشدة ، فوجهت اليه شتى الاتهامات لكي تطالب بعزله من رئاسة المنظمة العالمية على الفور (« لا سيما وانه اجرى اتصالات في دول اوروبا الشرقية ») ، فان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية لم يتردد عن التصريح بانه اجرى اتصالاته بمعرفة رئيس الحكومة ووزير الخارجية وغيرهما من اعضاء الوزارة الاسرائيلية . فقد نقلت صحيفة «دافار» (٦٨/٤/١٠) عن لسان غولدمان ما يلي : « ومن الطبيعي ان اطلعهم على المعلومات الكاملة حول هذه الاتصالات ، وهذا ما ينطبق على الاجتماع الذي عقدته مع سفير الاتحاد السوفياتي في واشنطن » .

ان غولدمان لا يتوانى عن تقديم الغطاء اللازم للتخفيف من وقع النوايا التوسعية في تصريحات المسؤولين الاسرائيليين على اسماع الرأي العام العالمي ، فهو يتحرك كلما اشتدت الوطأة على الصهيونية واسرائيل وازداد الشعور بخطورة الموقف على صعيد الاطماع التوسعية المفضوحة والرغبة المزعومة في السلام . والتهجم الغولداماني على حكومة التكتل الوطني يكاد لا يتعدى القول بأن المشاكل او التناقضات الداخلية في اسرائيل هي المسؤولة عن الشلل الذي يعتري تلك الحكومة . اي ان ناحوم غولدمان يعرف تمام المعرفة ما هو الشعور السائد في اوساط الرأي العام خارج اسرائيل وفي الاندية الديبلوماسية العالمية . ولذا يتبنى لنفسه الدور القائم على ايهام الناس في الخارج بان رغبة اسرائيل في السلام هي ضحية التشويه الناجم عن كون الحكومة الاسرائيلية تضم عناصر متناقضة ! كما يعرف غولدمان ان التناقضات لا تخلو من انعكاسات على صعيد المنصب الذي كان يحتله في الحركة الصهيونية العالمية . فقد اوردت صحيفة « هايوم » (١٩٦٨/٧/٩) — عقب انتهاء المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين و « عزوف » ناحوم غولدمان عن ترشيح نفسه لرئاسة المنظمة — خبرا مفاده ان اشكول يؤيد بقاء الدكتور غولدمان في منصبه ، بينما غولدا مئير تعارض هذا البقاء بشدة .

والرجل الذي يدعي لنفسه واجب السهر على « نقاوة الفكرة الصهيونية » وقف خلال احتفال صهيوني بمناسبة مرور سبعين عاما على انعقاد مؤتمر بازل الصهيوني الاول ليقول ان « تنفيـــذ فكرتنا ، هذا التنفيذ الذي كان الوظيفة المنوطة بدولة اسرائيل طيلة العشرين عاما الماضية ، لم تتهيأ له اداة اشد تأثيرا وابلغ روعة من الجيش الاسرائيلي، بدون انتصارات هذا الجيش من الراجح ان اسرائيل ما كانت لتوجد ، ولا الفكـــرة لتتحقق ... ان الجنرال اسحق رابين هو القـــائد الاعلى لتلك الاداة العظمـــى التي وجدناها لتحقيق فكرتنا ... وما حدث في اسرائيل خلال شهر حزيران كان من اعظم الاحداث ، ليس في تاريخ اسرائيل فحسب ، بل في حوليات الشعب اليهودي على مر آلاف السنـــين قاطبة » .

فهل تختلف آراء ناحوم غولدمان الصادرة من على منبر الاحتفال الصهيوني عن آرائه التي اخذت تطالعنا بها تصريحات الرجل منذ اقصائه عن رئاسة المنظمـــة الصهيونية العالمية في صيف ١٩٦٨ ؟ ان التحولات الغولدمانيـــة تتم على ما يبـــدو وفقا لبواعث صهيونية في جوهرها ، بينما تلعب الظروف السائدة في اوساط العالم الخارجي وبميدان الحياة الدولية دورها البارز لاسباغ طابع التحولات على ظاهر المواقف التي يتبناها ناحوم غولدمان ويسارع الى الاعراب عنها حتى ولو جاءت متناقضة في الظاهر مـــع اتجاهات الموقف الرسمي لدولة اسرائيل .

---

١ * ـ اشار غولدمان في « سيرته الذاتية » الى تلك المحاولة ، حيث سعى عن طريق الديبلوماسي الاميركي شستر بولز ، وبناء على اقتراح تقدمته اليانور روزفلت ، الى مقابلة جواهر لال نهرو بغية توسيطه لدى الرئيس الراحل عبد الناصر . والفكرة التي بنى عليها مشروعه « الغولدماني » حينذاك كانت تتعلق باقامة اتحـــاد فدرالي في الشرق الادنى ، يضـــم اسرائيل والدول العربيـــة وينطوي على حل للنـــزاع العربي ـ الاسرائيلي . ثم قال ان الرئيس المصري لم يستبعد صلاحية الفكرة كأساس لايجاد التفاهم ، لكنه ابلغ الذين فاتحوه بالامر ان صاحب الفكرة لا ينطق بلسان اسرائيل . واستنتج غولدمان بان العرب لن يتفاوضوا مع بن غوريون تحت اية ظروف . كما نسب الى الرئيس عبد الناصر العبارة التالية بنصها الانجليزي : « المستر غولدمان لا يستطيع تسليم البضاعة » : "Mr. Goldman cannot deliver the goods" . والمعنى المقصود بهذا القول لا يحتاج الى مزيد من الايضاح . (انظر : **« السيرة الذاتية لناحوم غولدمان »** ، ص ٣١٠ . وسياتي الحديث عنها لاحقا) .

٢ ـ يبدو من الصور التي اختارها غولدمان للنشر في كتاب سيرته الذاتية (ذكريات ناحوم غولدمان) انه قام بزيارة سابقة للمغرب ، وذلك في مطلع العام ١٩٥٢ وقبل نيل المغرب استقلالها . فهناك صورة تمثله بين لفيف من يهود المغرب وزعمائهم . وتحمل العبارة التالية : « الدار البيضاء ، في ٢٧ شباط (فبراير) ١٩٥٢ » . ولا ريب في ان هذه الزيارة كانت وثيقة الصلة بمسألة تهجير اليهود من شمال افريقيا الى اسرائيـــل .

٣ ـ أشار عيزر وايزمان الى هذه الظاهرة « السلبية » التي دعاها « الغولدمانية » في معرض حديثه عن ظواهر أخرى من طراز مماثل : « رسائل الصفوف الثامنة » ، وهي الرسائل الموجهة من طلاب الصفوف الابتدائية العليا في المدارس الاسرائيلية الى ارباب الحكم للاعراب عن مخاوف الناشئة من الموت الذي ينتظر المجندين على جبهة القناة وفي باقي المناطق العربية المحتلة . فقد اعلن الطلاب فيها امتناعهم عن تأدية الخدمة العسكرية في تلك المناطق الساخنة ، حيث يتربص بهم الموت الاكيد . وأتى وايزمان على ذكر الظاهرة الثالثة ناسبا اياها الى تلك المسرحية الهزلية ـ « ملكة الحمام » ـ التي صبت جام نقدها اللاذع بطريقـــة السخرية على موقف الزعامة الاسرائيلية والفئات الحاكمـــة في أثناء حرب الاستنزاف . (انظر **ن. م. د. ف.** ، العدد ٥ من السنة الاولى ، ١٩٧١/٦/١ ، ص ٧٦ ـ ٧٧) .

٤ ـ راجع ما يلي : Nahum Goldman, "The Future of Israel", in *Foreign Affairs*, Vol. 48, No. 3, April 1970, pp. 443-459.

وانظر الصفحات التالية بنوع خاص ٤٥٣ ـ ٤٥٦ ، حيث يرى غولدمان ان « التحييد » الـذي يدعو له

باستطاعته تشكيل الاساس لايجاد تسوية بين العرب واسرائيل واحلال السلام الدائم . وسوف نشير الى المقالة المذكورة بعبارة « مستقبل اسرائيل » .

٥ — صحيفة ((**سود دويتشه تزايتونغ**)) ، في يومي ٧ و٨ نيسان (ابريل) ، ١٩٧٠ (العدد ٨٣ و٨٤) .

٦ — **المصدر نفسه** ، عدد ٨٣ .

٧ — انظر مجلة ((**دير شبيغل**)) ، العدد ١٨ (١٩٧٠/٤/٢٧) ، مقابلة مع رئيس المؤتمر اليهودي العالمي تحت عنوان « الزمن يعمل ضد اسرائيل » . ص ١٣١ — ١٣٦ .

٨ — **المصدر نفسه** ، ص ١٣٦ .

٩ — ((**سود دويتشه تزايتونغ**)) ، ١٩٧٢/٢/١٧ (العدد ٣٩) ، نقلا عن وكالة اسوشيتدبرس في القدس .

١٠ — انظر **النهار** ، عدد يوم السبت : ٧٢/٢/١٩ (نقلا عن وكالة الصحافة الفرنسية) .

١١ — ((**الدايلي ستار**)) (نقلا عن وكالة رويتر) ، ٧٢/٢/١٧ .

١٢ — سئل غولدمان في مقابلته مع مجلة « دير شبيغل » هل يكون سفير الدولة ذات الاهمية هو السفير اليوغوسلافي ، فأجاب انه قطع عهدا على نفسه بالامتناع عن تسمية البلد المعني بالامر .

١٣ — **النهار** ، ٧٢/٢/١٩ .

١٤ — انظر صحيفة ((**لوموند**)) ، ١٤ كانون الثاني (يناير) ، ١٩٧٢ .

١٥ — ((**سود دويتشه تزايتونغ**)) ، ٧٠/٤/٧ (العدد ٨٣) .

١٦ — **المصدر نفسه** ، ١٩٧٠/٤/٩ (العدد ٨٥) .

١٧ — **المصدر** نفسه .

١٨ — **المصدر** نفسه ، ١٩٧٠/٤/١٣ (العدد ٨٨) .

١٩ — **المصدر نفسه** ، ٧٠/٥/١٤ (العدد ١١٥) . والمقابلة اجرتها مع غولدمان صحيفة Tages-Anzeiger الصادرة في مدينة زوريخ .

٢٠ — انظر صحيفة ((**دي فلت**)) ، ١٩٧٠/٥/١٤ (العدد ١١٠) .

وفي استفتاء أجرته صحيفة « هآرتس » — ونقلت نتائجه وكالة الصحافة الفرنسية — جرى طرح ثلاثة أسئلة على ٢٠٠ شخص يمثلون مختلف الاوساط الاسرائيلية ، أجاب ٦٥ ٪ على السؤال المتعلق بتصرف غولدا مئير حيال قضية غولدمان بقولهم ان الحكومة قد احسنت التصرف . بينما نسب ٢٠ ٪ الى الحكومة ارتكاب بعض الاخطاء ، وقال ١٢ ٪ انها ارتكبت خطأ فادحا (و٣ ٪ — لا رأي لهم) . لكن السؤال الثاني عن الطريقة التي ينبغي للحكومة الاسرائيلية اتباعها في حال وجود مبادرة عربية لاحلال السلام حظي بالتوزيع الآتي : ٣٤ ٪ قالوا يتبغي عليها الرد بصورة ايجابية وقاطعة ، و٤٠ ٪ ان يأتي الرد بالايجاب وفق بعض الشروط . بينما قال ٢٠٪ انه يجب رفض اية مبادرات عربية ، و ٦٪ كانوا بلا رأي . والسؤال الثالث حول سياسة الحكومة بشكل عام حظي بهذه الاجابات : ٧٤ ٪ من الذين اشتركوا في الاستفتاء اعلنوا تأييدهم لها ، و١٣ ٪ رفضوها بشكل قاطع ، و١١ ٪ أيدوا قسما منها ، والذين كانوا بلا رأي بلغت نسبتهم ٢ ٪ .

٢١ — راجع صحيفة ((**سود دويتشه تزايتونغ**)) ، ١٩٦٧/٤/١٩ (العدد ٩٣) .

٢٢ — اعتمدنا في متابعة أوجه الازمة على ((**الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٨**)) ، القسم الثالث : «الوضع السياسي والاجتماعي في اسرائيل » ، ص٢٥٥ — ٣٥٦ (مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ١٩٧١) .

من جذور مشروع الملك حسين
مشروع جامعة نيويورك لانشاء "كومنولث فلسطيني"

احمد بهاء الدين

يعرف الذين سافروا ودرسوا وتأملوا أن رئاسات الدول الكبرى ، ووزارات خارجيتها ، وبصفة عامة كل الجهات « صانعة القرارات السياسية فيها » تستفيد الى حد كبير في اتخاذ قراراتها من خيرة الادمغة والخبرات المتاحة لها في شتى المجالات . فالقرار السياسي البعيد المدى ، او الخطة السياسية التي ترسم لمواجهة مشكلة معقدة خلال فترة طويلة ، لا ترتجل ارتجالا ، ولا تأتي كمجرد رد فعل ، بل ولا تقتصر دراستها على « السياسيين » الغارقين بحكم عملهم ومسئولياتهم في مواجهة المشاكل الملحة يوما بيوم . انما يدخل في « الاعداد » لهذه القرارات خبير الاقتصاد والجغرافيا والتاريخ وعلوم الاجتماع ، الى جانب خبراء العلوم الدولية ذاتها . وربما كانت الولايات المتحدة بالذات ، من اكثر البلاد استفادة من هذا الاسلوب ، واستخداما للاساتذة الذين يسمح لهم عملهم بالعكوف على القضية شهورا وربما سنوات ، متفرغين لها . ولعل كل مشتغل بالقضايا العربية عامة وبالقضية الفلسطينية خاصة ، قد صادف وجادل هنا وفي الخارج ، منذ يونيو ١٩٦٧ ، افواجا من الاساتذة الجامعيين الاجانب ، والخبراء ، والجمعيات ، الذين يقابلون ويناقشون وينقبون بحثا عن فهم اعمق للتيارات والمشاكل ، ويحاولون تقديم حلول ومقترحات وأفكار حول ما يسمى بأزمة الشرق الاوسط ، او الصراع العربي الاسرائيلي .

وعندما اعلن الملك حسين عن مشروعه الخاص باقامة « المملكة العربية المتحدة » من قطرين ، قطر اردني وقطر فلسطيني ، ثم توالت تصريحاته التي تشرح وتضيف ملامح جديدة عن هذا المشروع ، خصوصا حول علاقة المملكة المقترحة باسرائيل ، تذكرت الكثير من هذه المشروعات التي حملها اساتذة وخبراء من الولايات المتحدة ، يزورون البلاد العربية واسرائيل ، ولم يكن صعبا ان يجد المرء ان بعض جذور المشروع الاردني تمتد الى هذه الافكار التي طرحت في الولايات المتحدة من حين لآخر ، مشروعات وافكار يجب ان يعرفها المفكر العربي ويناقشها ويحلل ما وراءها . وذكرت بوجه خاص ، انني عندما كنت في الولايات المتحدة الامريكية في نوفمبر ١٩٧١ خلال دورة الامم المتحدة ، دعيت الى جامعة نيويورك لمقابلة مجموعة عمل اكاديمية لديها مشروع من هذا النوع ، أو بالاحرى عدة مشروعات عن كل جوانب القضية : اسرائيل وفلسطين ، اسرائيل ومصر ، اسرائيل وسوريا . وكان الذي استوقفني منها ، وما اريد عرضه هنا هو الجزء الخاص بالمشكلة بين اسرائيل والاردن ، والذي يتعلق بمستقبل الفلسطينيين بالذات .
وكان رئيس المجموعة ومحرك المشروع استاذ لامع من اساتذة القانون الدولي في الجامعة هو البروفيسور « جيدون جوتليب » ، مدير « برنامج دراسات السلام » في الجامعة . ولم تترك لدي المناقشة شكا في ان هذه الدراسات والمشروعات ليست جهدا

يتسلى به اصحابه « كرياضة عقلية اكاديمية » ، ولكنهـــا افكار مطروحـــة بالفعل على الجهات والشخصيات صانعة السياسة في الولايات المتحدة الامريكية وفي اسرائيـــل . والمشروع يحمل عنوان حل المشكلة عن طريق انشاء « كومنولث فلسطيني » يضـــم اسرائيل وباقي فلسطين والاردن .

ومنطق المشروع يمضي متسلسلا ، بعبارات اصحابه تقريبـــا ، على النحو التـــالي :

● تتوصل حكومتا الاردن واسرائيل الى اتفاق مبدئي على مستقبل فلسطين وسكانها يعرض للاستفتاء العام . وفي اطار هذا الاتفاق المبدئي تتفاوض الدولتان بعد ذلك على حل مشكلة اللاجئين ، ورسم الحدود الآمنة المعترف بها ، ومستقبل القدس ، وصولا الى السلام العادل المستمر . ● ان التوفيق بين العـــرب واليهود في فلسطين يستلزم العثور على تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين ، واحترام حقوق كل السكان العرب واليهود في كافة ارض فلسطين على اساس من الاعتراف المتبادل ، وحق كل من الشعب العربي واليهودي في فلسطين في تقرير مصيره بعيـــدا عن التهديد باستخدام القوة ، او الغزو ، او التهجير .

وبعد هذا التمهيد ينطلق اصحاب المشروع الى طرح فكرتهم بالتسلسل التالي :

١ ـــ وحدة كل ارض فلسطين ـــ وهي في نفس الوقت بالنسبة لليهود كل ارض اسرائيل التاريخية ايضا Eretz Israel وهي تشمل ضفتي نهر الاردن كما حددها صك الانتداب في عصبة الامم [اي ان ارض فلسطين كما سيرد في المشروع تشمل فلسطين وما يسمى الآن بشرق الاردن ، اي بقية المملكة الاردنية كلها] . فالعرب كما يقول المشروع يطلبون هذه الوحدة ، واليهود كذلك يحلمون بهذه الوحدة .

٢ ـــ فلسطين ـــ بهذا الوصف ـــ هي **الوطن القومي** للشعبين العربي واليهودي .

٣ ـــ ولكن ، طبقا للقانون الدولي المتعارف عليه ، لا يمكن قيام دولتـــين لهما سيـــادة متساوية على نفس الوطن .

٤ ـــ فالحل اذن : ان يقبل اطراف النزاع الفلسطيني اقامة « كيان شرعي ذو سيادة » ، له شخصية دولية شرعية ، هو « كومنولث فلسطيني » يتكون من عدة دول متساوية ذات سيادة ، عربية واسرائيلية ، على أساس حق كل من الشعبين العربي واليهودي في فلسطين في ممارسة حق تقرير مصيره . ويكون « الكومنولث الفلسطيني » ، والدولة العربية ، والدولة اليهودية ، اعضاء في الامم المتحدة .

٥ ـــ لا يمنع الاتفاق دولة الاردن من اقامة دولة فلسطينية مستقلة في الضفـــة الغربية لنهر الاردن كدولة ثالثة في الكومنولث الفلسطيني تكون بدورها عضوا في الامم المتحدة . اي ان العرب في اطـــار الكومنولث يمكـــن ان يكونوا دولة واحـــدة ، أو دولتـــين اذا ارادوا ذلـــك .

٦ ـــ الهوية القومية والعرقية لكل شعب مـــن الشعـــوب المشتركـــة في الكومنولث الفلسطيني يجب ان تحترم ، ويجب ان تسن القوانين والتشريعات التي تحترم رغبة كل شعب من هذه الشعوب في ان يعيش حياة مستقلة متحررة من اي تدخل خارجي .

٧ ـــ السلطات والحقوق التي سوف تمنح « لحكومة الكومنولث الفلسطيني » يجب ان تحددها وتتفق عليها حكومات الدول الداخلة في الكومنولث ، مع مراعاة احترام المبـــدأ السابق ذكره تحت رقم ٦ .

٨ ـــ الحل العادل لمشكلة اللاجئين ، وكذلك تحديد خطوط الحدود الآمنة والمتفق عليها، ووضع القدس ، يكون محل اتفاق الاطراف المعنية على اساس استعدادها لتطبيـــق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

٩ ـــ اي فلسطيني عربي أو يهودي يعتبر انه في « وطنه القومي » حيثما اراد ان يقيم

في أي جزء من « الكومنولث الفلسطيني » . وتحتفظ كل دولة من دول الكومنولث بحقها في تحديد شروط الاقامة فيها وسلطتها على المقيمين فيها .

١٠ ـ رعايا كل دولة من دول الكومنولث الفلسطيني ، يمكن ان يكونوا في نفس الوقت رعايا لدولة الكومنولث ذاتها (كما ان رعايا كندا ونيوزيلندا مثلا يعتبرون في نفس الوقت رعايا بريطانيين) .

١١ ـ لا يجوز اعتبار اي عربي أو يهودي « اجنبيا » في أي دولة من دول الكومنولث يختار الاقامة الدائمة فيها . وسيكون للمقيمين بصفة دائمة نفس حقوق المواطنين في اي دولة من هذه الدول .

١٢ ـ ترتيبات الامن المتعلقة بالاراضي التي سوف تنسحب منها القوات الاسرائيلية الى حدود آمنة ومتفق عليها ، يمكن ان تتم من خلال لجان مشتركة للامم المتحدة ولجان فلسطينية مشتركة بترتيبات أخرى .

١٣ ـ « عودة » العرب او اليهود الى دولهم الداخلة في الكومنولث الفلسطيني تحددها وتحكمها القوانين التي تصدرها كل دولة من هذه الدول في هذا الشأن ، والتي ستراعي فيها كل دولة حماية الهوية القومية والعرقية لها .

١٤ ـ المقصود من سيادة كل دولة في الكومنولث في هذا الشأن ان تتمكن حكومة الدولة العربية في فلسطين وذات العلاقات الخاصة بالدول العربية الاخرى ، من حماية شعبها العربي من سيطرة الدولة اليهودية بواسطة تفوقها التكنولوجي ولمنع اي اشكال غير مرغوب فيها من الروابط باسرائيل . وان تتمكن حكومة اسرائيل من حماية الشعب اليهودي من التفوق العربي العددي .

١٥ ـ « حكومة الكومنولث » ليس لها اي سيطرة على أي جزء من دول الكومنولث العربية واليهودية ، الا على « منطقة العواصم » التي سيأتي ذكرها بعد قليل .

هذه الاشارة الى « منطقة العواصم » ، هي الحل الذي يقدمه المشروع لمشكلة القدس، وتتلخص أهم نقاطه في التالي :

١ ـ وحدة مدينة القدس .

٢ ـ توحيد القدس رمز لتوحيد كل شعوب فلسطين .

٣ ـ السلطة الروحية والمعنوية على الاماكن المقدسة تعطى للجهات الدينية صاحبة الشأن .

٤ ـ تتحول القدس ، مع توسيع نطاقها ، الى « منطقة عواصم » لها وضع خاص في الكومنولث ، تكون فيه عاصمة دولة الكومنولث ، وعاصمة دولة اسرائيل وعاصمة الدولة العربية او الدولتين العربيتين في فلسطين .

٥ ـ السلطة القانونية والادارية على منطقة العواصم تقسم بين الدول المشتركة في الكومنولث بناء على مناطق محددة يتفق عليها .

٦ ـ كل العرب القاطنين في القسم الاسرائيلي من القدس يمكنهم الاختيار بين الرعوية العربية او الاسرائيلية دون أن يفقدوا الحقوق التي تخولها لهم الرعوية الاسرائيلية .

٧ ـ كل اليهود القاطنين في الاقسام العربية من القدس لهم حق الاختيار بين الرعوية العربية او الاسرائيلية دون ان يفقدوا الحقوق التي تخولها لهم الرعوية العربية .

٨ ـ يراعى في الحكم الاداري «لمنطقة العواصم» التي هي القدس الموسعة أن تكون ، رغم تقسيمها ، مدينة واحدة تتوفر فيها حرية الحركة والتنقل واستخدام الاماكن المقدسة للجميع .

٩ ـ يتم هذا التوحيد الاداري عن طريق « لجنة عمل » من عمدة اسرائيلي وعمدة عربي ينتخب كل منهما بواسطة شعبه في القدس .

١٠ ـ يتم توسيع منطقة القدس بحيث تتسع لتكون منطقة عواصم وسوف يستدعي هذا ضم اماكن من بينها مدينة بيت لحم والمناطق المحيطة بها .

١١ ـــ ادارة مدينة القدس سوف تكفل المحافظة في كل قسم منها على احترام هوية كل شعب وتعليمه وديانته وثقافته الخاصة .
١٢ ـــ تتكون قوة بوليس خاصة للاماكن المقدسة (المدينة القديمة وكل الاماكن المقدسة خارجها) تكون خاضعة للادارة المشتركة للمدينة .

تلك هي الخلاصة الجوهرية للمشروع . وهناك بالطبع تفاصيل اخرى كثيرة عن اسلوب المفاوضات ، وعن قرار مجلس الامن ، ومهمة يارنج ، وكل ما له صلة بالقضايا والمحاولات التي طرحت منذ عدوان يونيو ١٩٦٧ . ولكنني آثرت التركيز او الاكتفاء بالجانب الاساسي في المشروع وهو فكرة « الكومنولث الفلسطيني » .

ولالقاء مزيد من الضوء على هذا المشروع وتعقيداته القانونية وأهدافه السياسية ، اسجل هنا بعض فقرات ، بحذافيرها تقريبا ، من الملاحظات التي ختم بها البروفيسور « جيدون جوتليب » مشروعه ، كالآتي :

● انه يعتبر هذا الاقتراح « طريقة جديدة للنظر الى المشكلة وفك تعقيداتها » ، قد تفيد رجال السياسة من شتى الاطراف ، اكثر مما هو « مشروع متكامل » كحل سياسي للمشكلة الفلسطينية ، وبالتالي فهو قابل للتعديلات الكثيرة .

● انه في تفكيره حول هذا المشروع ، حاول ان ينطلق مما يسميه « الاهداف المعلنة لطرفي النزاع » ، وهم منظمات المقاومة الفلسطينية من جهة ، وزعماء اسرائيل من جهة اخرى . كيف ؟ ان ممثلي حركة المقاومة الفلسطينية يقولون ان هدفهم هو « اقامة دولة ديمقراطية علمانية يتساوى فيها العرب واليهود » ، وان كان «البعض» يعتقد ان هذا الهدف « المعلن » غير حقيقي ، وان الهدف الحقيقي لهم هو « تدمير دولة اسرائيل وطرد اليهود » . وزعماء اسرائيل يقولون ان هدفهم هو السلام الكامل والنهائي ، وان كان « البعض » يعتقد ان هذا الهدف المعلن غير حقيقي وان اسرائيل تضمر في الواقع نوايا توسعية صهيونية . ولكنه يبدأ في تفكيره من « الاهداف المعلنة » لكل من الطرفين ، وينطلق من تصديقها . وفي نفس الوقت ، هناك « رفض معلن » ايضا لكل من الطرفين . فالمقاومة الفلسطينية ترفض قيام دولة صهيونية اسرائيلية ، الدولة بشكلها الراهن ، على جزء من ارض فلسطين . وجولدا مايير ترفض الاعتراف « بحقوق قومية » للشعب العربي في فلسطين . ولكنها تتحدث عن حدود ما مع دولة عربية هي الاردن . اي ان اسرائيل تقبل قيام دولة عربية على جزء من ارض فلسطين في لغة العرب او ارض اسرائيل التاريخية Eretz Israel [وهي، كما سبق ان ذكرت، شيء واحد في رأي صاحب المشروع وتشمل فلسطين وشرقي نهر الاردن] . وهو يرى أن الطرفين يتفقان على وحدة أرض فلسطين ، وان ارض فلسطين في لغة العرب وأرض اسرائيل في لغة العبريين هي جغرافيا فلسطين والاردن التي منحت عصبة الامم انجلترا صك الانتداب عليهما ، وقامت انجلترا بتقسيمهما الى فلسطين وأردن . وهو لهذا يفضل ان يضم الكومنولث دولتين فقط دولة عربية ودولة اسرائيلية ، الا اذا رأى العرب ان يقسموا الجزء الخاص بهم الى دولتين عربيتين فيصبح في الكومنولث ثلاث دول . المهم ان شرق الاردن داخلة في الكومنولث الفلسطيني .

● انطلاقا من هذه المواقف المعلنة للطرفين ، بدأ صاحب المشروع محاولة التوفيق « بين حقوق العرب وحقوق اليهود في فلسطين » لا كأفراد ، ولكن كشعوب . وهنا يضع قناعة اخرى انطلق منها وهي : **ان اي حل ينطلق من رفض فكرة حق الوجود القومي لاحد الشعبين داخل اطار سياسي ما خاص به ، هو حل غير قابل للتطبيق .**

من نقطة « الاهداف المعلنة » للطرفين ، ومن قناعة « عدم امكانية حل لا يعترف بالوجود القومي لاحد الشعبين » وصل الى هذا الاقتراح الذي يرى انه يوفق بين اشياء كثيرة.

ـــ فالفلسطيني العربي امامه كل أرض فلسطين « وطنا قوميا له » يستطيع ان يعيش ويمارس حياته ويتنقل في اي مكان منها كما يشاء. والاسرائيلي لديه كل Eretz Israel « وطنا قوميا له » يستطيع ايضا ان يعيش ويمارس حياته ويتنقل في اي مكان منهـــا كما يشاء .

ـــ ان فكرة الدولة الصهيونية المنغلقة غير موجودة ، كما ان الدولة العربية المعادية بالنسبة لليهودي غير موجودة . ولكن هناك درجة كبيرة من التبادل والاندماج بين الشعبين تقترب كثيرا من صيغة المجتمع المثالي « الديمقراطي العلماني الذي يتمتع فيه اليهود والعرب بحقوق متساوية » .

ـــ ويعتقد البروفيسور جوتليب ايضا ، انه وان كانت المشكلة الفلسطينية هي المشكلة الاكثر تحديا وتعقيدا ، الا انه من ظواهر هذا العصر الحديث : تفجر الحركات القومية ، واصرارها على حق تقرير مصيرها حتى تلك التي عاشت قرونا في اطار دولة واحدة (يمكن ان تساعد مشاكل القوميات اليوغوسلافية في هذا المجال كنموذج) واصرار كل قومية حتى ولو كانت جذورها قبلية او عددها قليلا على الاستقلال ، الامر الذي قفـــز ـــ مثلا ـــ برقم العضوية في الامم المتحدة ، اذ دخلت «دول» لا يزيد عدد سكان بعضها على مئات الآلاف .

ولهذا فالمشكلة ، في رأيه ، تطرح على الفقه الدستـــوري والـــدولي التقليدي تحـــديا جديدا ، حيث ما زال السائد في هذا الفكر هو صورة الدولة « ذات البناء الرأسي » والسلطة الهرمية الواحدة ، الامر الذي لم يعد يلبي الحاجة الى صيغ جديدة : بالنسبة للدول ذات المجتمعات المتعددة ، صيغا ونماذج اكثر مرونة ، وتوفق بين : رغبات التفرد والتميز والاحتفاظ بالهوية الذاتية لدى مجتمعات معينة ، وبين الابقاء على حد ادنى من كيان « الدولة » الذي بغيره لا يمكن ممارسة التقدم المنشود في هذا العصر .

وهو يعتبر مشروعه عن « الكومنولث » الفلسطيني تجربة في هذا المجال . وما فيه من ابتكارات وتعقيدات اهل للموازنة بين امكانيات التعاون ورغبة كل مجتمع في الاحتفاظ بهويته واصراره على حق تقرير مصيره .

هذا هو جوهر المشروع في ايجاز . ومفتاحه كما يبدو ، من الناحية القانونية ، هو التفرقة بين « المواطنية » اذا جاز التعبير وبين « الجنسية الرسميـــة » . فهو يجعل « فلسطين كلها » وطنا قوميا لكل من الشعبين العربي والاسرائيلـــي ، ثم يقيم عدة « دول » يحمل كل فريق جنسية دولة منها بما في الجنسية من حقوق سياسية . وهو يفتح الابواب بين الدول المشتركة في الكومنولث على آخرها ، ويبقي لكل دولة حدا ادنى من السلطة يكفي للاحتفاظ « بالهوية القومية » الاساسية لكل شعب . فهو نوع مـــن الاتحاد الفدرالي ، وهي فكرة ترددت في عناوين الصحف ومقالات المعلقين وتصريحات بعض الرسميين أحيانا . ولكنه أكثر من اتحاد فدرالي ، لان نسبة التداخل والامتزاج فيه اكبر بكثير ... فهو اكثر من قول ابا ايبان منذ اسابيع انه يريد ان يرى الشرق الاوسط « منطقة مفتوحة كبلاد السوق الاوروبي المشترك » .

وقد لا يتسع المجال هنا هذه المرة لمناقشة مفصلة للمشروع ، ولردود اعتقد ان غيري سوف يحب ان يساهم بها . وقد يلاحظ المرء انه يعطي لاسرائيل حدودا جديدة ، تريدها فعلا ، تشمل الاردن وتلتصق بحدود العراق ... واشياء اخرى كثيرة . ولكن مـــن الضروري تسجيل ملاحظة اساسية جوهرية هي :

انه حين تكون كل التصرفات الاسرائيلية ـــ والامريكية بالذات ـــ تحمل معنى التصميم على ان حجر الاساس في كل تخطيط او تفكير هو « الاحتفاظ بتفوق اسرائيلي ساحق » ،

فان هذا يلقي ظله على كل مشروع مطروح . ذلك اننا نعرف جميعا ان كل النصوص القانونية في الحياة الدولية لا يفسرها قضاة محايدون ، او محكمة منزهة ، ولكن تفسرها « علاقات القوى الفعلية » في الساحة .

الى قارىء شؤون فلسطينية :

لعله ما من موضوع كتب به الكثير ، محليا وعالميا ، لأثره في حياة الملايين من البشر لمدة طويلة من الزمن ، ومع هذا لا يزال يعاني من جهل غالبية الشعوب لتفاصيله وأساسياته مثل موضوع القضية الفلسطينية . ويزيد في خطورة هذه الحقيقة ان غالبية الناس لا تعترف بهذا الجهل ، بل انها ، وفي معظم الاحيان ، تستبدل الحقائق والبدهيات بمعتقدات مشوشة وبمعلومات مغلوطة وبتصورات متجنية . وذلك تحت تأثير عوامل تاريخية ونفسية تستغلها وتوجهها لمصلحتها أجهزة دعاية معادية ومغرضة قوية تتحكم في عقول الشعوب وتبني حولها أسوارا عالية تعجز المحاولات الفلسطينية ، قصيرة النفس والمتقطعة والضيقة نسبيا ، عن اختراقها ولو بشكل جزئي .

الا أن الشعب الفلسطيني لن ييأس .

فهو ، أولا ، صاحب حق . وعلى صاحب الحق ان يثابر وان يواصل رسالته مهما كانت العقبات . وهو ، ثانيا ، شعب ثائر . وعلى الثائر دائما أن يعلن لماذا هو يرفع بندقيته في وجه الظلم والطغيان . وهو ، ثالثا ، يؤمن ان العالم أسرة واحدة ، بالرغم من وجود مصاصي الدماء (من أفراد وطبقات وأنظمة وتكتلات مصلحية) يفرقون بين الشعوب ويضللون الجماهير ، ويؤمن أن ثورته أنما هي جزء عضوي من ثورة جميع المضطهدين في العالم . وبالتالي فانه يجب ان يفهم اخوانه وزملاءه حقوقه ومشاكله وظروفه واهدافه حتى لا يبقى لوحده على ارض الجهاد وحتى تكمل ثورته جهود اخوانه في بقاع اخرى من العالم نحو التحرر والنمو .

وليس كتاب « فلسطيني من الملايين الثلاثة » اكثر من محاولة ، بالصورة وبالقليل جدا من الكلمات ، لنقل صوت الشعب الفلسطيني الى العالم بهدوء وببساطة ، ولكن بحزم وبصدق وبتصميم .

لقد روى غازي دانيال ، من اسرة مركز الابحاث وشؤون فلسطينية ، قصته . وحررها هاني فارس من باحثي المركز ومراسل المجلة في كندا . واخرجها زاهي خوري ، المستشار الفني للمجلة وللمركز .

أرسل ليرة لبنانية واحدة الى قسم التوزيع في مركز الابحاث (ص ب ١٦٩١ بيروت) تحصل على نسخة من الكتاب لتهديه الى صديق اجنبي او صديقة اجنبية . اما اذا طلبت مئة نسخة او اكثر فتحصل على حسم قدره ٥٠ ٪ من السعر .

الهجرة الى اسرائيل :
مشاكلها وكيفية التصدي لها

عبد الحفيظ محارب

من أهم الاسلحة التي تعتمد عليها الصهيونية لتحقيق مآربها سلاح الهجرة اليهودية الى فلسطين من اجل خلق دولة اسرائيل وتعزيزها . وقد اعتمد هذا السلاح في الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، حين خلق في فلسطين حتى عام ١٩٤٨ ما يعرف بـ « اليشوف » اليهودي بواسطة ست موجات من الهجرة جاءت في فترات متقطعة ، أدت لتحويل « اليشوف » الى دولة اسرائيل التي تعززت بفضل موجات اخرى من المهاجرين ، ومكنتها مع عوامل اخرى من الوقوف على قدميها ومن ثم احراز نصر عسكري في الخامس من حزيران ١٩٦٧ والسيطرة على مزيد من الاراضي العربية تصل مساحتها ثلاثة اضعاف ونصف ضعف ما كانت قد حصلت عليه عام ١٩٤٨ . فالهجرة اليهودية الى فلسطين كانت الوسيلة الوحيدة لقيام دولة اسرائيل ، كما وانها لا زالت تعتبر الوسيلة الاساسية والفعالة لتعزيز الكيان الاسرائيلي . ولا يمكن للعقل ولو للحظة تصور وجود « اليشوف » في فلسطين بدون الهجرة اليهودية ، كما لا يمكن له ايضا تصور تزايد نمو الكيان الاسرائيلي بدون هذه الهجرة . وعليه فان عامل الهجرة يعتبر من أهم مرتكزات ومقومات المجتمع الاسرائيلي . فهذا المجتمع يعتبر ، بالرغم من مرور حوالي قرن على بداية موجات الهجرة ، مجتمع مهاجرين ، ويتميز بالخصائص العامة التي يتميز بها اي مجتمع مهاجرين . فلو القينا نظرة على الواقع الديموغرافي في اسرائيل لاتضح لنا ان الاكثرية الساحقة من يهود اسرائيل هم مهاجرون او ان آباءهم مهاجرون . ففي عام ١٩٦٨ وصل عدد السكان اليهود البالغين (من سن ١٥ فما فوق) الى ١،٦٨٩،٢٨٦ نسمة ، منهم فقط ٢٤ ٪ من مواليد البلاد ، اما الذين يعتبرون هم واباؤهم من مواليد البلاد فتبلغ نسبتهم ٤ ٪ فقط(١).

وبما ان اي مجتمع مهاجرين جديد يتسم ايضا بالطابع الاستيطاني ، حيث ان الاستيطان يعتبر الخطوة العملية الاولى لترسيخ اقدامه ، وتعميق جذوره في الارض الجديدة ، كذلك هو الحال بالنسبة للمجتمع الاسرائيلي الذي يعتبر مجتمع مستوطنين ويتميز بالخصائص العامة لاي مجتمع مستوطنين . فقد وضع مجتمع المهاجرين اليهود في فلسطين قبل وبعد قيام الدولة على رأس سلم الافضليات ، اقامة المستوطنات في كل مكان يستطيع فيه ذلك ، وهذا امر طبيعي ناجم عن طبيعة المجتمع الاسرائيلي — مجتمع المهاجرين — الذي يضع نصب عينيه ترسيخ اقدامه على الارض الجديدة بكل ثمن ، وليس من الغريب في شيء ان يقوم هذا المجتمع بعد حرب حزيران باقامة مستوطنات في الاراضي العربية المحتلة بالرغم من انه لم يضمها اليه رسميا ! ذلك ان مجتمع المهاجرين لا يمكن ان تقوم له قائمة بدون تحويله الى مجتمع مستوطنين . ومن المعروف ان المجتمع الاسرائيلي يمر في المرحلتين في آن واحد ، فهنالك « يهود الشتات » الذين يبلغ تعدادهم حوالي ١٤ مليونا ويمدون اسرائيل بموجات من المهاجرين سنويا ، وفي

مقابل ذلك تقوم اسرائيل باشادة المستوطنات لاستيعاب هؤلاء المهاجرين ، وتحويلهم الى مستوطنين .

ليس هنالك مثيل في التاريخ الحديث لمجتمع المهاجرين والمستوطنين في اسرائيل ، الا ان هنالك بعض اوجه الشبه بينه وبين المجتمعات التي تكونت نتيجة الهجرة والاستيطان ، مثل المجتمع الامريكي ، والمجتمع الاسترالي ومجتمع البيض في افريقيا الجنوبية ، منها اعتماد هذه المجتمعات على موجات الهجرة الوافدة عبر البحار والمحيطات للارض الجديدة ، وعلى العمل الاستيطاني لترسيخ اقدامها هناك ، واصطدامها بالشعوب المالكة للارض ، وان كان هذا الاصطدام يختلف في حجمه بين بلد واخر . أما اوجه الخلاف فكثيرة واهمها (١) ان المجتمع الاسرائيلي يعتمد في تكوينه بالاساس (على خلاف مجتمعات المهاجرين والمستوطنين) على فكرة « عودة » اليهود المشتتين في كافة انحاء المعمورة الى بلاد الاباء والاجداد في فلسطين وتكوين دولة فيها دون التقيد سلفا بحدود محددة لهذه الدولة . وقد تبلورت هذه الفكرة في المؤتمر الصهيوني الاول الذي عقد في بازل عام ١٨٩٧(٢). ان فكرة «العودة» او الهجرة ليست ناجمة عن دوافع استعمارية تقليديةومعيشية كما هو الحال بالنسبة لمجتمعات المهاجرين والمستوطنين ، بقدر ما هي نابعة عن واقع اضطهاد اليهود في اوروبا ، واشتداد هذا الاضطهاد في القرن التاسع عشر حتى غدا يعرف بـ «الحركة اللاسامية». وكرد فعل لهذه الحركة ولدت الحركة الصهيونية التي اخذت تتعزز بفضل عاملين ، الاول يتمثل في حالة الضغوطات والقيود والاضطهاد التي كان اليهود يعانون منها في المجتمعات الاوروبية ، والثاني حالة الحنين الى « صهيون » القدس ، التي تعبر عن نفسها لدى الفئات الدينية من اليهود . وقد استغل هذان العاملان بمهارة فائقة واعطيا ثمارهما في عامي ١٨٩٧ و ١٩٤٨ . (٣) اقتصار الهجرة على عنصر واحد فقط ، الا وهو العنصر اليهودي ، بعكس الهجرات التي استطاعت تكوين مجتمعات اخرى ، فقد كانت تشتمل على عدة عناصر وان كان هنالك عنصر متفوق يضفي عليها صبغته . (٤) الاختلاف في الحجم البشري والحضاري للمجتمعات التي واجهتها مجتمعات المهاجرين والمستوطنين ، فبالنسبة للمجتمعات التي اوشكت على الانقراض في امريكا واستراليا ، كان حجمها العددي يشكل نسبة ضئيلة من عدد المهاجرين الاوروبيين ، الذين كانوا يتعززون مع مرور الايام بموجات جديدة من الهجرات على امتداد الساحة الاوروبية ، كما وان حضارة تلك المجتمعات كانت متدنية بالنسبة للحضارة الاوروبية التي كانت قد قطعت شوطا بعيدا في الثورة الصناعية ، وحلول السيطرة البرجوازية محل السيطرة الاقطاعية . وفيما يتعلق بالمجتمع الذي يواجهه مجتمع المهاجرين والمستوطنين الاسرائيليين ، فانه يتفوق من الناحية العددية على مجموع « يهود الشتات » الذين يشكلون معين الهجرة ، بنسبة تسعة الى واحد ، كما وان مقوماته الحضارية وامكانياته الاقتصادية ، بالرغم من كافة اسباب التخلف الراهنة العالقة به ، تحميه وتصونه من عوارض الاندثار والانقراض ، وتؤدي به اذا ما ازيلت اسباب التخلف الى استئصال جذور المجتمع الاستيطاني الاسرائيلي من اساسه .

لا يزال المجتمع الاسرائيلي يتسم بالخطوط الاساسية المميزة بشكل عام في مجتمع مهاجرين ، ويتضح ذلك من خلال القاء نظرة على العلاقات القائمة بين الفئات المختلفة الاجناس التي لا زالت في طور الانصهار في بوتقة واحدة ، ففي مجتمع كهذا نجد ان الروابط الاجتماعية والطبقية لا تزال في دور التطور ، والاحساس بالانتماء الطبقي او الافتخار به لا يزال يعتريه الوهن والضعف ، بينما نجد في المقابل ان الشعور العفوي بالانتماء الى الوطن الام (مسقط الرأس) او الى الطائفة التي ينتمي اليها اشد واقوى ، وهذا ما يحدث بالفعل لدى كل مجتمع مهاجرين لم يصل بعد الى عملية الانصهار ، ومن

هنا ندرك جيدا اهميـــة الدور الــذي يلعبه العامل الاثني في بلورة وتجسيد المجتمـــع الجديد . ففي الفترة التي سبقت عـــام ١٩٤٨ (فترة اليشوف) كان اليهود الاشكنـــاز الوافدون من اوروبا يشكلون اغلبية السكان (حوالي ٩٠٪) بينما كانت نسبة اليهود الاسفاراديم (ابناء الطوائف الشرقية) تقتصر على ١٠٪ ، الامر الذي عكس نفسه على مجتمع اليشوف ومن ثم على المجتمع الاسرائيلي بالرغم من الهجـــرات شبه الجماعية ليهود الطوائف الشرقية في مطلع الخمسينات والتي ادت الى انخفاض نسبة الطوائف الغربية عن منتصف الخمسينات من ٩٠٪ الى ٥٠٪ ، فقــد استمر تطور المجتمـــع الاسرائيلي وفق الخصائص والميزات التي اضفتها عليه فئة الاشكناز في كافة المجالات الثقافية والتعليمية والاقتصادية والتنظيمية دون ان يكون لفئة الطوائف الشرقية دور يذكر في فرض طابعها على هذه المجالات الحيوية . ولذا نجد ان التناقض القائم في المجتمع الاسرائيلي يتمثل في المقام الاول ، في الصراع بين الطوائف المختلفة ومن ثم في الصراع بين الطبقات المختلفة ، على خلاف ما يجري في المجتمعات الاخرى .

وهنالك ميزة اخرة تضيف طابعها على مجتمع المهاجرين والمستوطنـــين في اسرائيل ، تتمثل في النزعة الجامحة للمجتمع الاسرائيلي للوقوف ضد الحركات التحررية والثورية ليس في منطقة الشرق الاوسط فحسب ، بل على امتداد الساحة العالمية ، والوقوف مع القوى المضادة للثورة والتغيير في كل مكان دون استثناء ، ويبدو ذلك في المواقف المتناغمة والمتناسقة للسلطات الرسمية والرأي العام في اسرائيل تجاه الاحداث الدائرة في المنطقة وفي العالم . فالموقف الرسمي الذي تتخذه الحكومة الاسرائيلية تجاه الثورة الفيتنامية او الذي اتخذته سابقا تجاه الثورة الجزائرية او تجاه حركة التغيير التي قادها لومومبا في الكونغو ، مثلا ، هو نفس الموقف ــ ان لم يكن اكثر اعتدالا ــ الذي تقفـــه الاكثرية الساحقة من السكان اليهود في اسرائيل ، على خلاف ما يحدث في معظـــم مجتمعات العالم . ليست هذه النزعة متأصلة بالانسان اليهودي لكونه يهوديا ، بل نابعة اساسا من واقـــع السير المرحلي للمجتمـــع الاسرائيلي ، الذي لا يـــزال في مرحلـــة الهجرة والاستيطان في منطقة لم يسلم بها اهلها ، واذا ما استطاع اجتياز هذه المرحلة ، وحصل على تقبل اهالي المنطقة له (وهذا أمر مستحيل) فمن الطبيعي حينذاك ان تخف تلك النزعة ولا سيما بين السكان العاديين .

تحتل الهجرة الى اسرائيل مكانا مرموقا في برامج الاحزاب الاسرائيليـــة ، والمنظمات الصهيونية المنتشرة في العالم . « فجمع يهود الشتات » اصبح أمرا شبه مقدس بالنسبة للاحزاب والمنظمات الصهيونية ، ويتقدم في كثير من الاحيان على موضوع « أمـــن اسرائيل » باعتبار « انه الدرع الواقي لامن اسرائيل » . ومما تجدر الاشارة اليه انه لا يوجد هنالك اي تنظيم سياسي في اسرائيل يقف ضد الهجرة ، بالرغم من وجود تنظيمات « مناوئة للصهيونية » مثل المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية المشهورة باسم « متسبين » والقائمة الشيوعية الجديدة المعروفة باسم « راكاح » ، فبرامج هذين التنظيمين لا تخلو ابدا من « التنديد » بالصهيونية باعتبارها حركة « عنصرية » ، الا انها تخلو تماما من اتخاذ موقف واضح تجاه الهجرة اليهودية الى اسرائيل ، مع العلم ان الهجرة هي الوجه الآخر للصهيونية ، ولا يمكن تصور وجود دعوة صهيونية ، بدون دعوة للهجرة ، لان الصهيونية تعني باختصار هجرة « يهود الشتات » الى فلسطين لاقامة « الوطن القومي اليهودي » دون تحديد حدود هذا الوطن !

ومن الجدير بالذكر ان الحركة الصهيونية ووسائل الاعلام الاسرائيلية قد استحدثت بدل كلمة « الهجرة اليهودية الى اسرائيل » مصطلحا جديدا يكسب الكلمة مـــن الناحية النفسية ، وقعا ومعنى ساميين ، فبدل كلمة الهجرة (هجيراه) تستخدم كلمة « علياه » اي الصعود ، اما المهاجر الى اسرائيل فيدعى بالصاعد ، وفيما يتعلق بالهجرة اليهودية

من اسرائيل الى الخارج اي الهجرة المعاكسة فتدعى « هيريداه » اي الهبوط ، اما المهاجر من اسرائيل فتلصق به كنية « الهابط » . ولا تخفى الدوافع الكامنة وراء خلق هذه المصطلحات .

لكي ندرس الهجرة الى اسرائيل ونصل الى الاستنتاجات المتأتية عن ذلك ، وضرورة اتخاذ خطوة عربية عملية في وجه الهجرة ، لا بد لنا من استعراض موجات الهجـــرة الى اسرائيل التي وفدت اليها منذ قيامها وحتى الان .

الهجرة الى اسرائيل

لم تكن الهجرة الى فلسطين قبل قيام اسرائيل متاحة لكل من يرغب في ذلك من اليهود ، بل كانت مقيدة « بحد أقصى » من قبل سلطات الانتداب البريطاني . وكان هذا « الحد الاقصى » يعتريه الهبوط والارتفاع بين الفينة والاخرى بسبب مراوغة سلطات الانتداب بين طرفي النقيض العربي والصهيوني . كانت الهجرة تقسم الى قسمين، هجرة «شرعية» بموافقة سلطات الانتداب ضمن « الحد الاقصى » المسموح به ، وهجرة غير شرعية وتتم عن طريق التسلل الى البلاد ، ومن ثم تنشط المؤسسات الصهيونيـــة في اضفاء « الشرعية » عليها بواسطة علاقاتها الخاصة مع السلطة المنتدبة . بيد ان هذا الوضع انقلب راسا على عقب عند اعلان قيام دولة اسرائيل فقد غدت الهجرة الى اسرائيل مفتوحة امام كل يهودي يرغب في ذلك . ولاهمية هذا الموضوع تضمنت « وثيقـــة الاستقلال » التي اعلنت يوم قيام اسرائيل ، بندا ينص على « ان دولة اسرائيل ستكون مفتوحة امام الهجرة اليهودية وجمع الشتات » ثم حظي هذا النص بتصديق برلماني عليه عام ١٩٥٠ ، عندما أقر البرلمان الاسرائيلي قانونا يعرف باسم « قانون العودة ١٩٥٠ » . وأهم البنود التي وردت فيه هي : « ان لكل يهودي الحق في العودة الى البلاد » واستثنى من ذلك « كل من يعمل ضد الشعب اليهودي او يعرض الصحة العامة او أمن الدولة للخطر »(٢). ويعتبر هذا القانون سابقة في التشريعات العالمية ، ويفصح بشكل واضح جلي اكثر من اي قانون او تشريع آخر في اسرائيل عن الهدف الذي قامت من أجله اسرائيل ، كما يوضح مدى الاهمية التي تعلقهـــا السلطات الاسرائيلية على الهجرة اليهودية . وبالاضافة الى قانون العودة واستكمالا له ، اقر البرلمان الاسرائيلي عام ١٩٥٢ « قانون الجنسية » الذي يمنح الجنسية الاسرائيلية لكل يهودي يهاجر الى اسرائيل بمجرد وصوله اليها .

عند قيام الدولة انهمكت المنظمات الصهيونية والسلطة الجديدة في دراسة شؤون الهجرة على ضوء الاحداث المستمرة ، وامكانية نقل مهام الاعتناء بالهجرة والمهاجرين على كاهل « السلطة الرسمية » . غير انه اتضح بأن هذا الامر غير ممكن ، ولـــذا قررت اللجنة التنفيذية الصهيونية في مؤتمر عقدته في تل ابيب بعد مضي ثلاثة اشهر على قيام الدولة « ان الهجرة الى البلاد واستيعابها ليست وظيفة رسمية فقط ، بل هي هدف قومي ينبغي على كافة يهود الهجرة المساهمة الفعالة لانجازها »(٣). ونتيجة لهذا القرار بقيت مهام الهجرة اليهودية على كاهل الوكالة اليهودية ، وبذلك قدر لهذه الوكالة التي كانت قد لعبت دورا اساسيا في تكوين اليشوف وتجسيده ، ان تلعب دورا آخر يتمثل في تعزيز « الدولة اليهودية » . وقد حددت اللجنة التنفيذية الصهيونية مهام الوكالة اليهودية : تنظيم الهجرة اليهودية الى اسرائيل ، استيعاب المهاجرين في اسرائيل ، والعمل على دمجهم في اقتصاد الدولة ، وتوطينهم في المزارع ، وتثقيف ابنائهـــم ، وتمهيد الاراضي والقيام بأعمال تشجير . ومن اجل ذلك انشأت الوكالة اليهودية خمس دوائر : دائرة الهجرة ، دائرة الاستيعاب ، دائرة الشبيبة ، الدائرة الاقتصادية ودائرة الاستيطان(٤). بيد ان ذلك لا يعني ان الحكومة الاسرائيلية تركت شؤون الهجرة بيد الوكالة لوحدها ،

بل اخذت تساهم بها ، وتحاول توسيع صلاحياتها ، الامر الذي احدث نوعا من التداخل في صلاحيات الطرفين ، مما دفع البرلمان الاسرائيلي الى ان يقر قانونا عـام ١٩٥٠ ، ويستكمله بالتصديق على اتفاقيـة عام ١٩٦٤ ، حددت بموجبهما صلاحيات كل طرف ، حيث بقيت معظم المهام الرئيسية مناطة بالوكالة اليهودية التي أصبح عليهـا بموجب اتفاقية ١٩٥٤ ان تعمل على « اساس برنامج متفق عليه مع الحكومة او مصدق عليه بواسطة لجنة التنسيق »(٥). ومن الجدير بالذكر ان لجنة التنسيق مكونة من ممثلين عن الوكالة اليهودية ، وممثلين عن الحكومة بمستوى وزير . غير ان رغبة الحكومة في توسيع صلاحياتها دفعتها عند مطلع ١٩٦٧ الى احداث تغيير في هيكل المؤسسات العاملة في شؤون الهجرة ، حيث تمت الموافقة بين الحكـومة والوكالة عـلى انشاء « سلطة مشتركة للهجرة والاستيعاب » تضم خمسة وزراء وخمسة اعضاء من الوكالة ، كمـا اقيمت دائرة لاستيعاب المهاجرين ، يشترك فيها كبار موظفي وزارات العمـل والمالية والاسكان والشؤون الاجتماعية واعضاء عن الوكالة اليهودية ، كما تم تقليص الدوائر الخمس التابعة للوكالة عندما تقرر احداث دمج بـين بعض هذه الدوائر ، واصبحـت تقتصر على ثلاث فقط . ثم خطت الحكومـة الاسرائيلية خطوة اخرى في سبيل توسيع صلاحياتها اثارت سخط الوكالة اليهودية ، حين قررت في ١٩٦٨/٦/٩ استحداث وزارة جديدة تحمل اسم « وزارة الهجرة والاستيعاب » برئاسة نـائب رئيس الوزراء يجال آلون ، الامر الذي دفع رئيس ادارة الوكالة اليهودية اريه بنكوس الى تقديم استقالته ، ولكنه عدل عن خطوته تحت الحاح كبار موظفي الوكالة بالبقاء في منصبه . وقـد أدت خطوات الحكومة الرامية الى توسيع صلاحياتها على حساب صلاحيات الوكالة الى توتر العلاقات بين الطرفين ، وتبادل التهم بينهما بين الفينة والاخرى ، ومع ذلك فان الاعمال الاساسية والرئيسية لا زالت بيد الوكالة اليهودية .

موجات الهجرة اليهودية

شهدت اسرائيل بعد قيامها موجات من الهجرة ، تتسم حينا بالارتفاع ، وتارة بالهبوط ، وطورا بالاستقرار . ومن اجل توضيح الصورة قسمناها الـى فترات زمنية حسب الارتفاع والهبوط والاستقرار .

الفترة الواقعة بين ١٩٤٨ ـــ ١٩٥١ : تعرف هذه الفترة باسم « الهجرة الجماهيرية » بسبب سيل الهجرة الذي تدفق على اسرائيل خلالها ، مما تأتى عنه مضاعفة سكان اسرائيل خلال ثلاثة اعوام ونصف ، فقد وصل عدد المهاجرين خلال هذه الفترة حوالي ٦٨٥ ألف مهاجر ، بينما كان عدد سكان اليشوف عشية قيام الدولة ٦٥٠ الف نسمة ، وبذلك تكون الحركة الصهيونية قد أنجزت خلال هذه الفترة القصيرة أكثر مما أنجزته خلال عشرات السنين .

لم يتوقف سيل الهجرة عام ١٩٤٨ بسبب المعارك ، فخلال الاشهر الاربعة الاولى التي أعقبت قيام اسرائيل ووسط اشتداد المعارك قدم حوالي ٣٣ ألف مهاجر معظمهم مـن الشبيبة الطلائعية والمتطوعين ، وقد أرسل قسم كبير من هؤلاء « مباشرة من السفينة الى جبهات القتال »(٦).

بدأت « الهجرة الجماهيرية » والتي تعرف ايضا « بهجرة الانقاذ » بسبب هجرة عدد كبير من يهود المعسكرات في اوروبا ، بدأت في شهر سبتمبر من عام ١٩٤٨ . ويمكن تقسيم الروافد الاساسية لهذه الهجرة الى ثلاثة روافد (١) معسكرات اليهـود في اوروبا الغربية وقبرص (٢) بلدان اوروبا الشرقية (٣) العالم العربي . ففي عام ١٩٤٨ بدأت الوكالة اليهودية تنشط بين يهود المعسكرات في كل من المانيا والنمسا وايطاليا ، لتنقل قسما منهم الى اسرائيل عن طريق مينائي مرسيليا في فرنسا ، وباري في ايطاليا ، وكذلك

قامت بتصفية معسكرات اليهود في قبرص ، التي كانت قد اقامتها سلطات الانتداب لليهود الذين تسللوا الى فلسطين بطرق غير شرعية . وفي نفس الوقت بدأت هجرة واسعة ليهود البلقان (خاصة يهود هنغاريا ويوغوسلافيا) وكذلك قدم الى اسرائيل عدد كبير من يهود تركيا . وقد حدث في بداية هذه الفترة هبوط في حركة الهجرة من بولونيا ورومانيا نتيجة وضع قيود على حركة الهجرة منهما ، غير ان هذه القيود أزيلت مؤقتا بفضل نشاط المنظمات اليهودية والصهيونية ، مما ادى الى هجرة ١٠٠ الف يهودي من بولونيا و١٢٠ الف يهودي من رومانيا الى اسرائيل . اما رافد الهجرة الثالث الذي اخذ يصب في اسرائيل فقد أتى من الاقطار العربية ، ففي صيف عام ١٩٤٩ بدأت عملية « البساط السحري » لتهجير يهود اليمن الى اسرائيل ، عند موافقة السلطات اليمنية على ذلك(٧) وقد استغرق تنفيذ هذه العملية التي نقل فيها حوالي ٤٥ الف يهودي بالطائرات الى مطار اللد حوالي العام . وقبل ان توشك عملية « البساط السحري » على الانتهاء شرع في انجاز عملية اخرى تعرف باسم عملية « عزرا ونحميا » التي جاءت لتهجير يهود العراق الى اسرائيل . وقد تحققت هذه العملية بطرق « شرعية » ، بفضل اقدام البرلمان العراقي على سن قانون في شهر آذار من عام ١٩٥٠ « يسمح لليهود بالهجرة من العراق »(٨) . بدأت الهجرة من العراق بأحجام صغيرة الا انها وصلت الى قمتها بين شهري آذار وحزيران ١٩٥١ وانتهت بعد ذلك بعدة شهور . وقد ترتب على عملية « عزرا ونحميا » وصول ١٢٤ الف مهاجر يهودي الى اسرائيل !! وهكذا تكون الهجرة اليهودية من العراق قد احتلت الرقم القياسي للهجرة الجماهيرية في تلك الفترة . ولم تقتصر الهجرة اليهودية الى اسرائيل على اليمن والعراق فقط ، بل شملت ايضا ليبيا حيث قدمت الى اسرائيل معظم الجالية اليهودية (٣٠ الفا من مجموع ٣٥ الفا) في عامي ١٩٤٩ و١٩٥٠ في خط مباشر الى اسرائيل او عن طريق الموانىء الايطالية والفرنسية ، كما وهاجر في هذه الفترة قسم من يهود مصر ، وقسم ضئيل من يهود شمال افريقيا الى اسرائيل .

لم يكن العامل الصهيوني هو الحافز الاقوى في الهجرة الجماهيرية الى اسرائيل بل كانت هنالك عوامل اقوى منه نجمت عن الاوضاع الصعبة التي عاشها اليهود في أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية ، فقد « كان الكثيرون من مهاجري أوروبا الشرقية والوسطى وخاصة الشباب منهم ، غرباء عن الثقافة والتقاليد اليهودية وحتى عن وجهة النظر الصهيونية »(٩) . وفيما يتعلق بيهود العالم العربي فان الحوافز الدافعة لهجرتهم ليست نابعة من العامل الصهيوني (وليد الحركة اللاسامية في اوروبا) بقدر ما كانت ناجمة عن العوامل السياسية والاقتصادية . يقول يعقوب كوهين في حديث له عن اسباب هجرة يهود العالم العربي الى اسرائيل : « ان حافز الهجرة نجم عن الضغوط السياسية والاقتصادية وقد جاءت الهجرة نتيجة لاعتبارات اقتصادية وسياسية صريحة ، وكانت اسرائيل الامكانية الاخيرة ... امكانية عدم وجود خيار لاولئك اليهود الذين لم يكن بامكانهم الاندماج في بلدان اوروبا واميركا . لقد هاجر الاثرياء والاكاديميون فقط عند اشتداد وطأة الضغوط السياسية . ومن المؤكد ان ثمة يهودا هاجروا الى البلاد بدوافع صهيونية وحوافز دينية او لاسباب شخصية ، غير ان العامل البارز والحافز الاساسي ، يتمثل في الوضع الاقتصادي والسياسي »(١٠) .

كان من نتيجة الهجرة الجماهيرية الواسعة النطاق — علاوة على تعزيز القوة البشرية لاسرائيل — ان ظهرت على السطح في المجتمع الاسرائيلي مشاكل حادة بسبب اختلاف الاجناس والحضارات ومستويات المعيشة ، وللتناقض بين المهاجرين الجدد والمهاجرين القدامى ، بين الاشكناز والاسفارديم الذين اخذوا يحتلون نسبة لا بأس بها في المجتمع

الاسرائيلي بفضل هجرة يهود البلقان وتركيا والعالم العربي الامر الذي أدى الى ولادة ما يعرف « باسرائيل الثانية » .

الفترة الواقعة بين ١٩٥٢ — ١٩٥٤ : شهدت هذه الفترة هبوطا حادا في عدد المهاجرين ، اذ بلغ مجموع ما وصل خلالها الى اسرائيل حوالي ٥٠ الف مهاجر فقط ، بسبب الازمة الاقتصادية الحادة وما نجم عنها من بطالة واسعة في تلك الفترة . وتعود اسباب هذه الازمة الى مضاعفة سكان الدولة خلال فترة وجيزة ، وتخصيص مبالغ كبيرة لمتطلبات الامن ، مما ترتب على ذلك حدوث عجز خطير في ميزان المدفوعات. وقد دفع هذا الوضع الوكالة اليهودية الى اتباع سياسة جديدة تجاه الهجرة تعتمد على أسلوب الاختيار ، اشترطت بموجبها ان يجري اختيار ٨٠ ٪ من المرشحين لهجرة الشبيبة والطلائعيين ، واصحاب المهن الحرة الذين لا تزيد اعمارهم عن ٣٥ عاما وان يجتاز المهاجر فحصا طبيا دقيقا باشراف طبيب اسرائيلي . اما المهاجرون الذين يتمكنون من ترتيب امورهم بأنفسهم دون اللجوء الى الوكالة اليهودية فبوسعهم ان يفعلوا ذلك بدون حدود او قيود(١١). كان من نتيجة ذلك ان طرأ هبوط على حركة الهجرة ، وبلغ الهبوط ذروته في عام ١٩٥٣ حين زاد عدد المهاجرين في اسرائيل على عدد المهاجرين اليها . وقد ترتب على هذا الواقع ان اصبح الكثير من اليهود المرشحين للهجرة وخاصة يهود شمال افريقيا يترددون في القدوم الى اسرائيل ، ولكن بالرغم من ذلك ارتفعت في هذه الفترة نسبة اليهود الشرقيين (٧٨ ٪) معظمهم من تونس ومراكش ، بينما انخفضت نسبة المهاجرين من الاقطار الاوروبية .

الفترة الواقعة بين ١٩٥٥ — ١٩٥٧ : شهدت هذه الفترة تصاعدا في حركة الهجرة اليهودية لاسباب داخلية وخارجية اهمها تحسن الحالة الاقتصادية والعمالية بفضل اتفاقية التعويضات مع المانيا الغربية التي اخذ يسري مفعولها في عام ١٩٥٣ مما ترتب عنها تدفق ملايين الدولارات ، وزيادة الانتاج لامتصاص الايدي العاملة ، وتخفيف حدة البطالة . اما العوامل الخارجية التي استغلتها الحركة الصهيونية لصالحها فتتمثل في الاحداث السياسية التي وقعت في كل من هنغاريا وبولونيا في اوروبا ، واشتداد ساعد الحركة الوطنية في شمال افريقيا .

وفيما يتعلق بروافد الهجرة لهذه الفترة فهي تقريبا نفس الروافد السابقة : اوروبا الشرقية والعالم العربي . الا ان نسبة الوافدين من الاقطار العربية تتفوق هذه المرة على نسبة الوافدين من اقطار اوروبا الشرقية . اذ كانت حصيلة الهجرة تناهز الـ ١٦٠ الف مهاجر ، احتل فيها المغرب مكان الصدارة ، بعد ان كان العراق متربعا على كرسي الصدارة في فترة « الهجرة الجماهيرية » فقد بلغ عدد اليهود الوافدين من المغرب ٧٠ الف مهاجر ، واما تونس فقد قدم منها ١٥ الف مهاجر ومصر ١٢ الف مهاجر ، اما بقية المهاجرين فقد قدمت من بولونيا وهنغاريا وبعض الدول الاوروبية والامريكية .

الفترة الواقعة بين ١٩٥٨ — ١٩٦٠ : حدث هبوط نسبي في هذه الفترة على حركة الهجرة . اذ بلغ عدد المهاجرين خلال الاعوام الثلاث حوالي ٧٥ الف مهاجر اي اقل من نصف عدد المهاجرين في الفترة السابقة . ومن بين الامور التي ساعدت على هذا الهبوط قيام الحكومة المغربية بعد الاستقلال بمنع الهجرة ، وقيام السلطة الجديدة في تونس (في عهد الاستقلال) بنشاط لابقاء اليهود في بلدهم . اما مصادر الهجرة فقد بقيت على حالها في دول اوروبا الشرقية ، ويهود اسيا وافريقيا (معظمهم من العالم العربي) وقد بلغ نصيب اليهود في هذه الهجرة حوالي الثلث .

الفترة الواقعة بين ١٩٦١ — ١٩٦٤ : تميزت هذه الفترة بالارتفاع النسبي المستقر في حركة الهجرة لاسرائيل . وقد تأتى ذلك بفضل انتعاش الاقتصاد الاسرائيلي خلال هذه

الاعوام . اما روافد الهجرة الاساسية فهي نفس الروافد السابقة : العالم العربي واوروبا الشرقية . شكل اليهود الشرقيون الوافدون من آسيا وافريقيا معظمهم من المغرب وتونس والجزائر نسبة ٥٤ ٪ من عدد المهاجرين . ومن الجدير بالذكر هنا ان اسرائيل كانت قد علقت عشية استقلال الجزائر ، آمالا كبيرة على اليهود هناك ، الذين شرعوا بهجرة واسعة النطاق الى فرنسا . وقد بذلت الوكالة اليهودية جهودا كبيرة لتحويل سير هجرتهم الى اسرائيل ، الا ان محاولاتها لم تعط الثمار المرجوة منها ، فقد نجحت في جلب ٧٥٠٠ يهودي فقط من مجموع ١١٠ آلاف فضلوا الهجرة الى فرنسا والبقاء فيها(١٢). اما بقية المهاجرين فقد قدموا من الاقطار الاوروبية (وخاصة دول اوروبا الشرقية) ومن اماكن متفرقة من الدول الغربية .

الفترة الواقعة بين ١٩٦٥ ـ ١٩٦٧ : اتسمت هذه الفترة بهبوط بارز شبيه بالهبوط الذي حدث في الفترة التي أعقبت الهجرة الجماهيرية ، بسبب توقف حركة البناء وتفشي البطالة وسياسة التقشف الاقتصادي التي انتهجتها الحكومة الاسرائيلية عام ١٩٦٥ . وقد بلغت حصيلة الهجرة خلال هذه الاعوام الثلاثة حوالي ٥٤ الف مهاجر ، شغل بها اليهود الشرقيون نسبة ٦٩ ٪ .

الفترة التي أعقبت حرب حزيران : شهدت هذه الفترة ارتفاعا نسبيا طفيفا خلال الاعوام الاربعة الماضية . فقد بلغ المعدل السنوي للمهاجرين والمهاجرين المؤقتين خلال هذه الفترة حوالي ٣٤ الف مهاجر ، الا انها تتميز عن الفترات السابقة بتعدد روافد الهجرة التي كانت شبه مقتصرة على العالم العربي وأوروبا الشرقية ، أما في هذه الفترة وبعد نضوب معين الرافدين فقد أصبحت الهجرة تنبع من مصادر متعددة ومختلفة ، برزت فيها دول أوروبا الغربية وأميركا الشمالية ودول اميركا الجنوبية ، وكذلك الاتحاد السوفييتي خاصة في عام ١٩٧١ حين بلغ مجموع اليهود المهاجرين منه في ذلك العام حوالي ١٤ الف مهاجر(١٣).

ومن الجدير بالذكر ان اسرائيل تقسم دول العالم الى قسمين رئيسيين على اساس واقع اليهود فيها ، القسم الاول « بلدان الرخاء » وتعني بها دول اوروبا الغربية واميركا الشمالية وبلدان اميركا الجنوبية واستراليا وافريقيا الجنوبية ، القسم الثاني « بلدان الضيق » ويقف على راسها الاتحاد السوفييتي وبلدان أوروبا الشرقية والعالم العربي . ان هذا التقسيم ، ينبع من خلال النظرة الصهيونية لواقع اليهود السياسي والاقتصادي والثقافي في كل بلد على حدة ، دون الاخذ بعين الاعتبار مدى « رفاهية » او « ضيق » ذاك البلد ، بل اقتصار النظرة على واقع رفاهية او ضيق اليهود فيه ، حسب المفاهيم الصهيونية . لقد جاءت موجات الهجرة اليهودية الاساسية الى اسرائيل من « بلدان الضيق » اوروبا الشرقية والعالم العربي ، وقد نضب معين الهجرة من هذه البلدان ، وتحولت انظار اسرائيل الى يهود الاتحاد السوفييتي ويهود العالم الغربي الا انها تواجه مشكلتين اساسيتين :

١ ـ مشكلة يهود الاتحاد السوفييتي : لا يزال الاتحاد السوفييتي يفرض قيودا على الهجرة بالرغم من هجرة الـ ١٤ الف يهودي في عام ١٩٧١ . ومن المحتمل ان يتخذ خطوات مشددة وحازمة تجاه هذا الموضوع اذا ما قام الطرف العربي بخطة عملية لمواجهة الهجرة اليهودية لاسرائيل .

٢ ـ مشكلة يهود « بلدان الرخاء » : ان مشكلة هؤلاء لا تتمثل في عدم السماح لهم بالهجرة الى اسرائيل او في الضغوطات السياسية والاقتصادية ، بل تتمثل في المستوى المعيشي والاقتصادي الذي يفوق المستوى القائم في اسرائيل ، الامر الذي جعل الهجرة اليهودية من هذه البلدان ضعيفا ويقتصر بشكل عام على « الفئة الصهيونية » ، كما ان

« بلدان الرخاء » تشكل تحديا آخر بالنسبة للهجرة اليهودية ، فعلاوة على ان الهجرة اليهودية منها ضعيفة ، فان نسبة اليهود المهاجرين اليها من اسرائيل تعتبر قوية .

مراحل الاستيعاب

مرت عملية استيعاب المهاجرين الجدد بعدة مراحل، اثرت الى حد كبير في بلورة وتجسيد المجتمع الاسرائيلي . وقد بدأت المرحلة الاولى بعيد اعلان استقلال اسرائيل وتعرف باسم مرحلة المخيمات . لم يكن بوسع اسرائيل في ذلك الوقت استيعاب آلاف المهاجرين الذين أخذوا يتدفقون عليها ، كما ان الوكالة اليهودية التي كانت قد أخذت على عاتقها الاعتناء بشؤون المهاجرين ، اصبحت تواجه وضعا صعبا ، فهي من ناحية مكلفة باستيعابهم بيد انها في الوقت نفسه لم تكن لتستطيع توفير أماكن سكنية وتقديم خدمات ثقافية او صحية لهم . ازاء ذلك ، وجدت الوكالة ان خير طريقة لمواجهة سيل المهاجرين توجيهه نحو البيوت العربية المهجورة . وقد بدأت بالفعل خلال النصف الثاني من عام ١٩٤٨ باحلال المهاجرين اليهود في المنازل العربية المهجورة ، وبذلك غدت المدن العربية التي كانت قد خلت من اصحابها ، مثل حيفا ويافا والرملة واللد وبئر السبع وطبريا وصفد وعكا والخالصة ومجدل عسقلان وبينى وغيرها ، غدت تغص بالمهاجرين اليهود . ومن الجدير بالذكر ان المهاجرين كانوا يتسابقون على المدن العربية للحصول على المساكن الجيدة في الاحياء الجديدة ، اما الذين لم يسعدهم الحظ فقد سكنوا في الاحياء القديمة التي تعرف بمنازلها القابلة للانهيار ، وقد حدث بالفعل ان انهارت بعض البيوت على سكانها الجدد ، الامر الذي دفع الوكالة اليهودية الى اخلاء المهاجرين من الاحياء القديمة خشية وقوع حوادث شبيهة ، الا ان هؤلاء عادوا اليها لعدم توفر بديل آخر ، واحدثوا بعض التصليحات عليها . وقد بدأت هذه الاحياء تستقطب ابناء الطوائف الشرقية وتتحول مع مرور الزمن الى بؤر للتفجرات الاجتماعية في اسرائيل ، مثل حي وادي الصليب في حيفا عام ١٩٥٨ ، وحي المصرارة في القدس عام ١٩٧١ .

لم يكن بوسع المنازل العربية المهجورة استيعاب كافة المهاجرين ، ولذا وجهت الوكالة اليهودية اولئك الذين لم يستطيعوا الحصول على بيت عربي نحو المخيمات العسكرية التي تركها الجيش البريطاني على اثر انتهاء الانتداب ، كما وجه قسم ضئيل الى الكيبوتسات والمدن الاسرائيلية ، الا انه بعد انتهاء المعارك العربية الاسرائيلية ، وعودة الكثير من المجندين الى قراهم ومدنهم في الوقت الذي كانت فيه موجة الهجرة آخذة بالتصاعد ، بدأت عملية الاستيعاب تدخل مرحلة حرجة وصعبة . وازاء هذا الوضع شرعت الوكالة اليهودية في بناء « مخيمات اللاجئين » حيث بدأت المخيمات تبرز تباعا وبكثرة في اماكن مختلفة من السهل الساحلي الفلسطيني بغرض استيعاب « الهجرة الجماهيرية » وأدت الى تغيير المنظر المألوف للقسم الذي احتل من فلسطين . ومن الجدير بالذكر ان نفس التغيير قد طرأ في نفس الفترة على الجانب الاخر من الخريطة الفلسطينية حيث بدأت المخيمات تنصب هنا وهناك لاستقبال « الهجرة الجماعية » للشعب الفلسطيني .

بذلت الوكالة اليهودية جهودا كبيرة للتغلب على مشاكل الاستيعاب حيال سيل الهجرة ، وكان عمالها ينشطون في بناء المخيمات قبل وصول السفن المحملة بالمهاجرين ، وكان يحدث في بعض الاحيان ان يهبط هؤلاء من السفن التي تقلهم دون ان يجدوا مأوى يلتجئون فيه « فيقوم عمال الوكالة بالسرعة المكنة ، على مرأى منهم ، بدق الاوتاد ورفع الخيام »(١٤). وقد وصل عدد سكان هذه المخيمات في شهر اغسطس عام ١٩٤٩ الى اكثر من مئة الف مهاجر ، وكانت مشكلة التفاهم بلغة مشتركة من اصعب المشاكل التي واجهت المهاجرين الجدد والوكالة اليهودية ، فقد أتى هؤلاء من اماكن شتى ومن

اصول حضارية مختلفة دون ان تكون لديهم دراية باللغة العبرية ، الامر الذي ساعد بشكل عفوي على تنمية الشعور لدى مجموعات المهاجرين بالانتماء الطائفي ، مما احدث نوعا من العلاقات الجافة بين هؤلاء المهاجرين الذين لم يكن بوسعهم ايجاد لغة مشتركة فيما بينهم وفي بعض الاحيان لم يكن بوسعهم « تناول الطعام معا » . ومما زاد الطين بلة ظهور التمييز في توزيع وجبات الطعام التي كانت الوكالة تشرف عليها « فقد اتهم المسؤولون عن توزيع وجبات الطعام باظهار العداء تجاه اولئك الذين لا يحسبون من ابناء طوائفهم »(١٥) والانكى من ذلك قيام الوكالة اليهودية باعداد الطعام وفق الطريقة الغربية التي تستهوي أذواق فئة معينة فقط ، مما « آثار استياء كبيرا بين صفوف اليهود الشرقيين الذين لم تستهو أذواقهم وجبات الطعام المعدة في مطابخ المهاجرين حسب الطريقة الاوروبية »(١٦) .

كان المهاجرون الجدد من سكان المخيمات يعيشون على حساب الوكالة دون ان يقوموا بأعمال تذكر ، لعدم توفر فرص العمل ولبعد المخيمات عن مصادر العمل البسيطة في المدن والقرى . ولذا اخذت الظواهر السلبية تتفشى بين صفوف المهاجرين ، واخذت المخيمات تتسم « بالتعفن الاجتماعي واليأس » حيث دبت في نفوس المهاجرين روح الاتكالية وغدوا متعودين على حياة البطالة ، الامر الذي « كبت فيهم حافز العمل والتكيف في حياة مستقلة » . وعلى ضوء ذلك ارتأت الوكالة اليهودية ان خير طريقة للخروج من المأزق الحالي ، والتخلص من مظاهر الاتكالية والكسل ؛ الانتقال الى مرحلة استيعاب جديدة .

مرحلة المعابر : اخذت الوكالة عند منتصف عام ١٩٥٠ ببناء وحدات سكنية مصنوعة من الخشب والالمنيوم والخيام بالقرب من المدن والقرى الاسرائيلية بغرض نقل سكان المخيمات والمهاجرين الجدد اليها ، وتشغيلهم في مصادر العمل الموجودة في المدن والقرى الزراعية. ولكثرة هذه الوحدات طرأ تغيير على المنظر المألوف للمدن والقرى الاسرائيلية، فقد نبتت في مطلع الخمسينات بالقرب من كل مدينة او بلدة او مصادر عمل وحدات سكنية بائسة تدعى « معبروت » (مشتقة من كلمة « معبار » اي انتقال) جاءت لاستيعاب آلاف المهاجرين ضمن اطار سكني مؤقت ، كمرحلة انتقال فقط مع خلق فرص عمل جديدة للمهاجرين ، لكي يعيشوا حياة مستقلة معتمدين على انفسهم بمساعدة الوكالة اليهودية . لم تكن عملية نقل المهاجرين الى « المعابر » الجديدة عملية سهلة ، فعندما أرادت الوكالة تنفيذ العملية واجهت صعوبات جمة اهمها رفض قسم كبير من سكان المخيمات الانتقال الى المعابر ، لانهم اعتادوا على حياة البطالة والكسل ، وفضلوا العيش في المخيمات على حساب الوكالة ، على الانتقال الى المعابر حيث يضطر المهاجر هناك الى الاعتماد على نفسه في بناء عائلته . وقد ساعد هؤلاء « الاتكاليين » اثناء نقاشهم مع الوكالة في شتاء عام ١٩٥٠ هطول امطار غزيرة حالت دون البدء بعملية الانتقال الواسعة ، الا انه بعد تحسن حالة الجو وتحت اصرار الوكالة اليهودية على الانتقال ، بدات موجات من مهاجري المخيمات بالاضافة الى المهاجرين الجدد تنتقل الى المعابر التي بلغ تعدادها عند منتصف عام ١٩٥٢ ، ١١٣ تضم حوالي ربع مليون نسمة . لم تفتقر عملية الاستيعاب في المعابر الى المشاكل ، فبالاضافة الى مشاكل السكن ظهرت مشاكل اقتصادية واجتماعية حادة ، كانت الوكالة اليهودية تبذل جهودا كبيرة لتذليلها ، الا ان مشكلة البطالة « التي هددت بتحويل المعابر الى بؤر غليان وسخط اجتماعي ، انحرفا اكثر من مرة الى مجرى طائفي »(١٧)، كانت تقف على راس هذه المشاكل ، الامر الذي دفع الوكالة الى خلق مصادر عمل بكل ثمن ، للحيلولة دون العودة الى صيغة الاستيعاب التي كانت متبعة في فترة المخيمات حين شرعت في ايجاد اعمال غير ثابتة او مستقرة يتقاضى فيها العمال رواتبهم حسب الساعات او الايام التي يشتغل بها خلال

الشهر، مثل القيام بأعمال التحريش، وشق الطرق، وازالة الاعشاب البرية في الحقول. وبذلك خلقت الوكالة اليهودية سابقة في مجال العمل في اسرائيل عند اقدامها على خلق اعمال تعرف « بأعمال الطوارىء » (عفودات داحك) لا زالت قائمة حتى الان ، يعمل فيها المسنون ويتقاضون رواتبهم حسب ساعات العمل المخصصة في الشهر . لم تكن الاعمال التي « خلقتها » الوكالة اليهودية ذات مردود اقتصادي بقدر مـا كانت ذات مردود اجتماعي ، فقد ارادت منها عدم العودة الى أسلوب المساعدات المباشرة في فترة المخيمات الذي ولد لدى المهاجرين « ظواهر الكسل والتهرب من العمل » .

امتدت فترة استيعاب المهاجرين بواسطة الوحدات السكنية المؤقتة (المعابر) حتى عام ١٩٥٤ ، لتحل مرحلة أخرى في تاريخ الاستيعاب ، وهي مرحلة تحمل اسم « من السفينة الى القرية » . ففي اعقاب انتهاء موجة «الهجرة الجماهيرية» وتلقي اسرائيل مساعدات مالية اميركية في عام ١٩٥٢ ، وسريان مفعول اتفاقية التعويضات مع المانيا الغربية في عام ١٩٥٣ ، اخذت الوكالة اليهودية بالتعاون مع الحكومة الاسرائيلية في خلق مشاريع عمرانية كثيرة في اماكن مختلفة ، من بينها انجـاز مد انبوب للمياه بين نهر العوجـا (اليركون) والنقب كمقدمة لمشروع المياه القطري ، والبدء بتجفيف مياه بحيرة الحولة ، والشروع باقامة منشآت صناعية ، واعمـال بناء واسعة في المستوطنـات مما مكن الوكالة من تحويل سيل الهجرة الى اماكن سكن دائمة وليست مؤقتة .

جرت عملية الهجرة « من السفينة الى القريـة » بمحورين : من السفينة الى نقـاط الاستيطان الزراعي ، ومن السفينة الى قرى التطويـر . غير ان المهاجرين واجهـوا صعوبات جمة في هذه القرى لعدم درايتهم بالشؤون الزراعية الامـر الذي وضع عبئا ثقيلا على مؤسسات الاستيعـاب التي ارتأت ان تقيم مخيمـات مؤقتة بالقـرب من « الموشافات » (قرى زراعية تعاونية) لتدريبهم على الاعمال الزراعية لفترة معينة ، ومن ثم يتم نقلهم الى اماكنهم الثابتة .

انتهت هذه المرحلة في عام ١٩٥٦ . وبذلك انتهت مراحل الاستيعاب التي تميزت باتباع وسائل مؤقتة لمواجهة سيل الهجرة عن طريق التجربة والخطأ ، لتحل محلها مرحلـة استيعاب جديدة تتميز بالدراسة والاعداد والتخطيط ، حيث بدأت الوكالة اليهودية مع السلطات الحكومية باقامة مزيـد من الضواحي السكنية بالقرب من المـدن وباشادة المستعمرات الزراعية وقرى التطوير في الامـاكن النائية لتستوعب المهاجرين بشكـل دائم . الا ان المشكلة الرئيسية التي واجهت عملية الاستيعاب هي « صهر » المهاجرين على اختلاف اجناسهم وطوائفهم « في بوتقة واحـدة » بواسطـة اقامة مستوطنـات وضواح مختلطـة ، ولكن تجربة الصهر لم تعط الثمار المرجوة منها ، بل اظهرت بشكل واضح استحالة عملية الدمج ، ممـا ترتب عنها بداية استقطـاب القرى والاحيـاء للمهاجرين ، حسب انتمائهم الاثني او الطائفي ، واصبح العامل الطائفي او الاثني هو الطابع المميز لكل حي او ضاحية او قرية ، حتى غدت الضواحي والقرى تعرف بالاضافة الى اسمائها « بضاحية الرومانيين » او مستوطنة اليمنيين او موشاف المراكشيين . . . ومع ذلك فقد يحدث في بعض الاحيان صراع بين ابناء المستوطنة الواحدة ذات الطابـع الاثني الواحد لاسباب طائفية ، ففي احدى مستوطنات النقب (يسكنها يهود مصريون، الاكثرية من طائفة القرائين والاقلية من طائفة الربائيين) حدث انشقاق كبير بين ابنـاء الطائفتين ، « ولم يكن هنالك من مناص من نقل عشرات العائلات اليهودية المصرية الى مستوطنة اخرى قبل فوات الاوان »(١٨).

بالرغم من عمليات البناء الكبيرة ، بقيت قضية « المعابر » قائمة في اسرائيل حتى الان . ففي عام ١٩٥٤ عند ابتداء مرحلة الاستيعاب « من السفينـة الى القريـة » اخـذت

مؤسسات الوكالة والسلطات الاسرائيلية على عاتقها تصفية المعابر في أقرب وقت ممكن . وقد هبط عدد سكان المعابر في عام ١٩٥٦ الى ١٢٧ الف نسمة ، وكان من المتوقع ان تتم عملية التصفية خلال النصف الثاني من الخمسينات الا ان المشكلة بقيت قائمة في الستينات واستمرت في مطلع السبعينات ! ففي شهر ديسمبر ١٩٦٣ صرح وزير الأعمار في ذلك الوقت يوسف الموغي « اننا نقترب من اللحظة السعيدة التي نستطيع فيها الاعلان عن انتهاء قضية المعابر في اسرائيل ... وسيتم في العام القادم تصفية بقايا المعابر »(١٩) وبعد مضي عامين على هذا التصريح اي في عام ١٩٦٥ ذكر مدير وزارة الاسكان انه بقي في المخيمات ٣٢٥ عائلة و ١٧٠ من المسنين فقط ! الا ان الاحصائيات الرسمية التي صدرت عند مطلع عام ١٩٧٠ ذكرت انه « يوجد في اسرائيل حوالي ٥٠ الف نسمة يعيشون في ظروف المعابر ... »(٢٠) ومن بين المعابر التي لا زالت قائمة حتى الان « جبعات اولغا » و « نابليون » و « مشمار هيام » و « ومحانيه يسرائيل » و « بئير يعقوب » و « باته يام » . يعيش سكانها بظروف صعبة للغاية ويعتبرها البعض منهم « مقبرة للاحياء » . يقول يتسحاق ملكا احد سكان جبعات اولغا : « ان اطفالنا يمرضون وليس لدينا صندوق للمرض (كوبات حوليم) ... اننا نعيش هنا لوحدنا ، فعندما يشاهد اطفالنا اناسا غرباء يشرعون بالبكاء نتيجة الخوف ، وعندما نذهب الى اي حفل او عرس « خارج المعبراه » يتطلعون علينا كأننا هنود حمر »(٢١) .

ومن الطبيعي ان تكون الغالبية العظمى من السكان الذين يعيشون في المعابر من ابناء الطوائف الشرقية وخاصة من اليهود المغاربة . لقد كانت المعابر في مطلع الخمسينات تمثل مرحلة انتقال فرضتها الضرورة في ذلك الحين ، اما في مطلع السبعينات فقد غدت رمزا لتعاسة وفقر الطبقات المسحوقة و « وصمة عار على جبين المجتمع الاسرائيلي في عام ١٩٧٠ »(٢٢) .

تحديات الهجرة ومشاكل المهاجرين

يمكن ايجاز التحديات التي تواجه الهجرة اليهودية في الوقت الحاضر في الامور التالية : (١) نضوب معين الهجرة اليهودية من الاقطار العربية وبلدان اوروبا الشرقية . (٢) القيود المفروضة على هجرة اليهود من الاتحاد السوفييتي . (٣) تحسن اوضاع اليهود الاقتصادية والمعيشية والثقافية في الدول الغربية ، الامر الذي يشكل حجر عثرة في سبيل الهجرة اليهودية من هذه البلدان وينشط الهجرة المعاكسة في اسرائيل . وفيما يتعلق بمشاكل المهاجرين في اسرائيل فانها كثيرة سنركز الحديث على اهمها وهي مشاكل الاستيعاب والتكيف مع الأوضاع الجديدة ، والروتين الحكومي ، والامتيازات ، ونظرة المجتمع الاسرائيلي .

تعتبر مشاكل الاستيعاب وصعوبة التكيف مع الاوضاع الجديدة على راس القضايا التي يواجهها المهاجرون الجدد في اسرائيل . لا تقتصر قضية الاستيعاب على المساكن المريحة والاماكن الجميلة التي يصر المهاجرون على السكن بها ، في الوقت الذي تسعى فيه السلطات الى استيعابهم في القدس وقرى التطوير والمستوطنات ، بل تشمل قضايا الاندماج والتكيف في المجتمع الجديد (مجتمع المهاجرين) . يقول وزير الاستيعاب نتان بيلد في معرض حديثه حول صعوبة الاندماج والتكيف التي تواجه المهاجرين الجدد : « لقد اوضح لي مهاجر من الولايات المتحدة صعوبات الاستيعاب حين قال انه عندما نقل مكان سكناه من نيويورك الى لوس انجلوس ، لم يبدل نقوده واستمر في التحدث بالانجليزية وبقي في نفس الدولة ، ومع ذلك فقد مر عليه عام حتى استطاع التأقلم في المكان الجديد ، والبدء بالاحساس كأنه في بيته ، اذا كان الامر هكذا في الولايات المتحدة،

فما وجه الغرابة في اسرائيل ، حيث ياتي الينا مهاجرون من بلدان مختلفة لا يتحدثون لغتنا ، فضلا عن أن العلاقات هنا علاقات جافة بما فيه الكفاية بين المرء وزميله ، وخاصة تجاه المهاجر الجديد ... ان هذه عملية تكمن في ثناياها الالام ...!»(٢٣).

ان جوهر المشكلة يكمن في العلاقات التي تتحكم في مجتمع المهاجرين المستوطنين حيث التناقضات الاثنية والطائفية ، والتناقضات بين المهاجر « القديم » والمهاجر « الجديد » مما يسبب فتورا في العلاقات بينهما تصل الى درجة « البرودة والجفاف » التي لا تطاق ، وتدفع بعض المهاجرين الى العودة من حيث أتوا . يتحدث دافيد يونس (مهاجر من اميركا ، هاجر من اسرائيل بعد مضي سبعة اشهر على قدومه اليها) حول هذه العلاقات قائلا : « في عيد الفصح جلسنا وانتظرنا . لماذا ؟ انتظرنا ببراءة تامة دعوة من قبل عائلة يهودية للاحتفال بهذا العيد ... لم نتلق اية دعوة ! اين الجالية اليهودية في العفولة ، اين الحرارة اليهودية... وكذلك في راس السنة لم نتلق دعوة من اية عائلة ... لم يكن حولنا صديق او زميل . لقد كانت البرودة تحيط بنا » . اما امرأته « شارون يونس » فقد افصحت عن جوهر هذه العلاقة بقولها : « من المشكوك فيه ان كانوا قد تفهمونا ، في جملة واحدة استطيع القول : ان المشكلة ليست الجامعة او العمل ، المشكلة الحقيقية هنا ، البرودة القائمة حتى في اشهر الصيف الحارة ... قل لي كيف تستطيع امريكا ان تكون اكثر يهودية من دولة اسرائيل ؟ »(٢٤).

لا تقتصر العلاقات على « البرودة » فقط بل تتسم احيانا بالقطيعة شبه التامة والتامة بين المهاجرين الجدد والمهاجرين القدامى ، وتجعل المهاجر الجديد يشعر كانه منبوذ في المجتمع الجديد ويفضل العودة في بعض الاحيان من حيث اتى . فهنالك على سبيل المثال اربع عائلات يبلغ تعداد افرادها ٣٢ نسمة كانت تسكن في مدينة نتانيا اضطرت للعودة الى فرنسا « ليس لدينا ادعاءات ضد السكن والعمل... ولكن لم يأت اي واحد للتحدث معنا خلال ستة اشهر من وجودنا هنا »(٢٥).

ولعل الارقام توضح لنا بشكل اوضح مدى هذه القطيعة ، فقد اتضح في استفتاء ، ان ٤٨٫٥٪ من المهاجرين قد « اتصلوا في فترات متباعدة او انهم لم يتصلوا مطلقا مع اسرائيليين خلال عام من قدومهم »(٢٦).

اما الروتين الحكومي فلا يزال مشكلة مزمنة يشكو منها المهاجرون الجدد ، خاصة وان دعاة الهجرة في الخارج يسهبون في تبسيط الامور والتفوه بالوعود الوردية . ويبدأ الروتين فور هبوط المهاجر الى ارض المطار او الميناء ، حيث يصطدم مع الواقع الاسرائيلي « في الوقت الذي كان فيه قلبه مفعما بالامل ، وعيونه تذرف دموع الفرح مع احساس كأنه في بيته ، يصطدم فجأة بالواقع الاسرائيلي ، ورويدا رويدا تتحول فرحة الامل الى تعابير غضب وخذلان ، ودموع الفرح الى دموع بلهاء »(٢٧).

فعندما يهبط المهاجر من الطائرة او السفينة ، يقف امام شرطي يقوم بتسجيله في سجل تعداد السكان التابع لوزارة الداخلية مع ملء نموذج خاص للهوية الاسرائيلية ثم ينتقل الى موظف وزارة الاستيعاب الذي يبدأ بتسجيل التفاصيل الشخصية من جديد على نموذج خاص لوزارة الاستيعاب لكي يحصل على هوية مهاجر ، لينتقل بعد ذلك الى موظف قسم الهجرة والاستيعاب التابع للوكالة حيث يبدأ بتسجيل التفاصيل من جديد لالزام المهاجر بدفع تكاليف السفر حسب حجم عائلته ، لينتقل بعد ذلك الى موظف الوكالة اليهودية لاخذ التفاصيل في نموذج خاص للحصول على آثاث بسيط لبيته (طاولة، اسرة، صحون ...) حسب عدد افراد العائلة ؛ بعد ذلك يجد المهاجر نفسه امام موظف شركة « عميدار » يبدأ بتسجيل التفاصيل من جديد ، ثم يطلب من المهاجر التوقيع على نموذج خاص بالسكن دون الاشارة الى مكان السكن... ثم يعود مرة اخرى الى موظف

وزارة الاستيعاب ليقرر حجم المنزل ومكان السكن في المدينة او القرى الزراعية حسب قائمة المباني التي تعدها وزارة الاستيعاب في ذلك التاريخ ... وهنا يبدأ الجدل ويأخذ بالاشتداد عندما يطلب المهاجر منزلا وفي اماكن معينة ... « ويتطور الجدل في بعض الاحيان الى صراخ ، وتنصب المسبات واللعنات على موظف شؤون الاستيعاب »(٢٨). وحينذاك تتحول « دموع الفرح الى دموع بلهاء » . ولا يقتصر الروتين الحكــومي على المطارات والموانىء فقط ، بل يشمل ايضا كافة الدوائر التي يتردد عليها المهاجر الجديد في المرحلة الاولى من قدومه .

من بين الامــور التي ساعدت على احــداث ثغرة في العلاقـــات بين المهاجرين الجدد والمهاجرين القدامى في اسرائيل ، قضية الامتيازات التي يحظى بها المهاجرون الجدد ، وتتلخص الامتيازات في الامور التالية : ١ ــ منح المهاجر قرضا لشراء سيارة وقطع آثاث معفاة من الرسوم الجمركية . ٢ ــ منح المهاجر قرضا بحدود ٥٠ الف ليرة لشراء منزل. ٣ ــ اعفاء المهاجر من دفع الضرائب طيلة الاعوام الثلاثة من قدومه ، وبانتهائها يبــدأ بدفع الضرائب وتسديد الديون . واتبعت هذه الامتيـــازات بغرض تشجيع الهجرة من « بلدان الرخاء » وقد واجهت انتقادات شديدة من جانب عدد كبير من الاسرائيليين الذين طالبوا بالغائها ، غير ان ذلك يعتبر امرا صعبا ويؤثر على الهجرة « فالغاء الامتيازات يعتبر بمثابة ضربة مميتة للهجرة من الدول الغربية »(٢٩) .

ومن الجدير بالذكر ان هذه الامتيازات التي قصد منها تشجيع الهجرة ، تستغل في بعض الاحيان في صفقات تجارية ، وتدفع بعض المهاجرين الى الهجرة المعاكسة ، ومن الامثلة على ذلك المحامي شمعون ايلنبرغ الذي هاجر مع عائلته قبل عامين ، وعند وصولـــه استلم منزلا مكونا من اربع غرف في ضاحية اشكول في القدس بواسطة وزارة الاستيعاب مقابل ٦٠ الف ليرة (نصف القيمة الحقيقية) وبعد ذلك قرر لاسباب شخصية العودة الى الولايات المتحدة وباع المنزل بــ ١١٧ الف ليرة اي بربح صاف وصل الى ٥٧ الف ليرة(٣٠) .

كان من نتيجة هذه الامتيازات ان بدات نظرة الاسرائيليين العاديين تتحول وتتغير تجاه المهاجرين الجدد « فكيف يمكن الطلب من مواطن اسرائيلي عادي ، يرزح تحت وطـــأة ديون الشقة وربما السيارة ، والضرائب ، ان يتصرف بمنطق تجاه المهاجر الذي يسكن في شقة مريحة ، ويقود سيارة كبيرة معفاة من الرسوم الجمركية ؟ ان الشعب هنا ليس من الملائكة ولا يمكن للايمان بالهجرة وبعث البلاد ، ان ينسيهم متاعبهم اليومية »(٣١) .

من بين التحديات التي اصبحت تواجه الهجرة ، وتنفر المهاجــر من وضعه الجــديد الظواهر الاجتماعية الناجمة عن التمييز القائم في مجتمع المهاجرين ، وعلى راسها ظاهرة الفهود السود التي برزت في الساحة الاسرائيلية في مطلع ١٩٧١ كنتيجة طبيعية لاتساع الهوة الاجتماعية بين الطوائف الشرقية والطوائف الغربية . فقد طالبت هذه الحركـــة بتوفير منازل سكنية للطبقات المسحوقة من ابناء الطوائف الشرقية ، اسوة بما يحصل عليه المهاجرون الجدد ، واخذت توجه نقدا شديدا وتقوم بتظاهرات عنيفة ضد مجمل سياسة التمييز التي يرزح تحتها ابناء الطوائف الشرقية ، ومن بينهـــا الامتيازات التي يحصل عليها المهاجرون الجدد ، الامر الذي اثر على حركة الهجرة من الخارج ، واثـــر على نفسية المهاجر الجديد في الداخل . ويستشف ذلك من رسالـــة بعثت بها مهاجرة اميركية الى عضو مجلس بلدية القدس « منشيه نحمياه » جاء فيها : « سمعت من بعض الاصدقاء ، وشاهدت بأم عيني اطفال ضاحية القطمون كيــف يتحدثون ويصرخون في وجوهنا ، في بعض الاحيان يرجموننا بالحجارة لكوننا مهاجرين جددا من اميركا ونتلقى منازل جميلة . اردت ان اشاهد بنفسي القطمون لاعرف سبب غضب الاولاد علينا . . .

تحدثت مع اناس هناك وشاهدت بيوتهم ... ان ذلك لامر فظيع — لا اثاث ولا اسرة تكفي الجميع ، ولا يوجد مكان جلوس باستثناء الاسرة ، ولا مكان للدراسة او اللعب... الان اعرف لماذا يلقي الاولاد بالحجارة علينا او يصرخون في وجوهنا ... لقد قالوا اننا نحصل على مبان جميلة وهم لا يستطيعون ذلك (لا افهم لماذا) . من المؤكد انني لا اريد ان اعيش بشكل جيد على حساب الاخرين ... انني لا اريد استلام شقة في الوقت الذي لا يستطيع فيه الاخرون الحصول عليها . انني قلقة ازاء ما يخبئه المستقبل اذا ما استمر هؤلاء الناس يربون اطفالهم في هذه البيوت التي شاهدتها ... انني اتخوف ان يحدث هنا ما يحدث في اميركا ، ويكره الواحد الاخر ... »(٣٢).

وهنالك ظاهرة اخرى برزت على سطح الاحداث في نفس الفترة التي ظهرت فيها حركة الفهود السود ، ظاهرة « الازواج الشباب » أثرت هي الاخرى على نفسية المهاجر الجديد . نجمت هذه الظاهرة عن اتساع شقة الهوة الاجتماعية بين ابناء الطوائف الشرقية والغربية ، الا انها تختلف عن حركة الفهود السود بان وضعت نصب عينيها هدفا واحدا معينا : « الانقضاض » على المنازل المعدة للمهاجرين الجدد « واحتلالها بالقوة » . ان السبب المباشر لعمليات « الانقضاض والاحتلال بالقوة » للازواج الشباب يتمثل في عدم توفر اماكن سكنية للشباب خاصة من ابناء الطوائف الشرقية حين يقدمون على الزواج ، حيث يضطر قسم كبير منهم على مشاطرة ابائهم الغرف البسيطة وخروجا من هذا المأزق ارتأى قسم من هؤلاء ان خير طريقة للخروج من مأزقهم احتلال المنازل الفاخرة المعدة للمهاجرين الجدد . وبالفعل بدأت مجموعات من الشباب تنتظم في امكنة مختلفة على حدة ، وتقوم بين الفينة والاخرى « بغزو » مباني المهاجرين « مع اولادهم واثاثهم » وتحتل كل عائلة شقة لها « اننا لسنا فهودا بيضا او سودا ، اننا نريد ان نعيش كبشر . لقد خدمنا في الجيش ونحن الان نخدم في سلك الاحتياط . لماذا لا نتلقى على الاقل ما يتلقاه المهاجر الجديد ؟ »(٣٣).

ومن الجدير بالذكر ان عملية احتلال الازواج الشباب للمنازل الجديدة المريحة لا تستمر مدة طويلة ، فقد تستغرق بضعة ساعات ، وان اسعدهم الحظ يقضون بها ليلة واحدة الى ان تأتي قوات الامن وترغمهم على اخلائها ومغادرتها .

الى جانب حركة الفهود السود وظاهرة الازواج الشباب ، ظهرت منظمة اخرى تدعى « منظمة مواليد البلاد الذين يعانون من الضائقة السكنية » اخذت تنشط في الاونة الاخيرة ضد المهاجرين الجدد الذين « يسلبون » على حد ما ورد في منشور وزعته المنظمة على المهاجرين الجدد ، حقوق مواليد البلاد والعائلات الكبيرة والازواج الشباب. « ليكن معلوما لديك ايها المهاجر الجديد بأننا لن نسمح لك بأن تسلب انت واصحابك حقوقنا في هذه الدولة . اعلم أنك أداة في يد السلطة . اعلم ان الشباب الذين ولدوا وحاربوا في هذه الدولة مضطهدون بسببك ، فانت تهضم حقوق العائلات الكثيرة الاولاد وحقوق الازواج الشباب . اعلم بانه حين قدومك الى البلاد ووصولك الى مطار اللد سيستقبلك الالاف باكاليل الزهور ، ولكن عند وصولك القدس سيستقبلك الالاف من مواليد البلاد بالاعلام السوداء . ايها المهاجر الجديد ! ان المعابر تنتظرك ! الرجاء ان تجربها ، ودعنا نجرب المباني الفاخرة المعدة لك »(٣٤).

لقد اخذت نظرة رجل الشارع في اسرائيل تتحول رويدا رويدا تجاه المهاجرين الجدد بسبب الامتيازات التي يتمتعون بها ، وغدا ابناء الطبقات المسحوقة يرفعون اصواتهم ضد التمييز الواقع عليهم « لقد خدم ابي في الجيش وسلك الاحتياط ، وانهى زوجي خدمته العسكرية قبل عام . اننا نعيش في بيت ابي لاننا لا نملك عشرات الالاف من الليرات . وهنا يأتي مهاجرون من جميع ارجاء المعمورة ويتلقون منازل فاخرة » كما تقول احدى

النساء ، وقد افصحت امرأة اخرى عن استيائها من التمييز القائم بسردها قصة رجل وامرأة طاعنين في السن قدما من بريطانيا « وعند قدومهما استلما شقة فاخرة . مــاذا يستطيعان ان يفعلا من اجل الدولة ؟ ان زوجي يذهب الى الحدود للدفاع عنهما »(٣٥) .
ما هي نظرة المجتمع الاسرائيلي تجاه الهجرة والمهاجرين ؟ واجــابة على هذا السؤال لا بد من الفصل بين الهجرة والمهاجرين ، فبالنسبة للهجرة لا توجد هنالك احــزاب او هيئات تعارضها ، مع ان الحماس لها قد خف بــين صفوف الاسرائيليين امــا بالنسبة للمهاجرين فيمكن القول ان الجمهور الاسرائيلي بشكل عام لا يريد المهاجرين وهنالــك قول اصبح دارجا في اسرائيل « الاسرائيليون يريدون الهجرة ولكنهم يكرهون المهاجرين» . للوهلة الاولى يبدو ان هنالك تناقضا في هذا القول ، اذ كيف يتفقون مع الهجرة ويكرهون المهاجرين الذين هم نتيجة طبيعية للهجرة التي يودونها ؟

لقد كانت الهجرة اليهودية الى فلسطين حيث خلق « اليشوف » اليهودي هناك تعتبر أهم مطلب قومي بالنسبة لليهود ، وكانت بمثابة أمر شبه مقدس ، ثم اصبحت بعد قيــام اسرائيل من اهم المطالب القومية لتعزيز الكيــان الاسرائيلي ، ولكن بعــد ان اصبــح الجمهور الاسرائيلي يشعر بالقوة نتيجة انتصارات متكررة حققها في ثلاث حروب مــع العرب ، وبعد ان ظهرت التناقضات الاجتماعية على السطح من خــلال حالة الهدوء الراهنة ، اخذت حماسته تخف تجاه الهجرة الا انه لا يقف ضدها بل يحبذهــا بسبب مجموعة الاحاسيس الدفينة المشفوفة بالقدسية تجاه الهجرة اليهودية التي عايشت كافة الاجيال قبل وبعد قيام الدولة . وفيما يتعلق بكراهيتــه للمهاجرين ، فان هذا الشعور ناجم عن الاحساس بأن المهاجر الجديد سيؤثر على مستواه المعيشي ويقلل من امكانية فرص تقدمه ، او كما جاء على لسان احد الخبراء الاجتماعيين في اسرائيــل « يبــدأ الاسرائيلي بالتخوف من ان يغدو المهاجر الجديــد بمثابة حجر رحى على صدره ويبدأ في اظهار ضيقه به »(٣٦) .

ان الجو العام في اسرائيل لا يشير مطلقا بأن رجل الشارع الاسرائيلي يرحب بالمهاجرين الجدد ، ويعترف كبار موظفي الوكالة اليهودية بهذا الواقع ، فيقول المتحدث الرسمي باسم الوكالة اليهودية « اوري براك » « انني اعــرف ان الجمهور الاسرائيلي لا يظهر تعاطفا تجاه المهاجرين ، وفي الاونة الاخيرة تكشفت مظاهر عداء تجاه المهاجرين بسبب الامتيازات التي يحصلون عليها »(٣٧) . اما ناحوم غولان مدير قسم الهجرة في شمــال اميركا فقد رد على سؤال وجه اليه عن رايه في استقبال الجمهور الاسرائيلي للمهاجرين قائلا : سأكرر قولا سمعته وأؤمن به ، ان اسرائيل تريد الهجرة بيد ان الاسرائيليين لا يريدون المهاجرين ، فهم لا يدعونهم الى بيوتهم ، ولا يقدمون لهم يد المساعدة ، في الوقت الذي يحتاج فيه هؤلاء الى المساعدة والزمالة . انهم غرباء هنا . ان الشعور بالاغتراب شعور صعب للغاية »(٣٨) .

نتيجة للتناقضات القائمة في مجتمع المهاجــرين والمستوطنين في اسرائيــل ، اخــذت مجموعــات من اليهود تهاجر من اسرائيــل الى البلدان التي قدمت منها او الى العالم الغربي . ولا نريد هنا ان نقف على دراسة الهجــرة المعاكسة ودوافعهــا ، بل نكتفي بالاشارة الى ان معظم الفئات التي تشملها الهجرة المعاكسة تتكون من ابناء الطوائف الغربية ، بينما يمثل ابناء الطوائف الشرقية الذين اصبحوا يشكلون اكثرية السكان في اسرائيل نسبة ضئيلة في هذه الهجرة .

هنالك ثلاثة اسباب تحول دون ارتفاع نسبة اليهود الشرقيين في الهجــرة المعاكسة : ١ ــ صعوبة التكيف في المجتمعات الغربية . ٢ ــ عدم توفر الامكانيات المادية لتغطية تكاليف السفر واقامة حياة جديدة . ٣ ــ والاهم من ذلك كله الصعوبات التي تواجههم،

اذا ما قرر البعض منهم العودة الى اوطانهم الاصلية وخاصة العالم العربي ، على خلاف المهاجرين الاخرين . ومع ذلك فهنالك ـــ بالرغم من كافة الصعوبات ـــ من يقرر العودة الى وطنه مثل « يوسف مندل » وعائلته الذي قرر في بداية عـــام ١٩٧١ « العودة الى لبنان لانه وجد ان ظروف المعيشة صعبة في اسرائيل »(٣٩). وهنالـــك من يفكر بالعودة الى وطنه الاصلي المغرب ، مثل « دافيد بيرتس » مع عائلته المكونـــة من ١٤ شخصا « لانه لم يبق امامه الا استنتاج النتائج »(٤٠) والعودة الى وطنه الام .

ضرورة اتخاذ خطة عربية لمواجهة الهجرة

اتضح لنا من خلال دراستنا لموجات الهجرة اليهودية الى اسرائيل ان الاقطـــار العربية كانت تشكل المعين الرئيسي للهجرة ، مع ان هذه الاقطـــار هي المتضررة اساسا من النتائج المتمخضة عنها .

لقد تمت هجرة اليهود من الاقطار العربية في فترتين : ١ ـــ فترة ما قبل الاستقلال مثل بلدان شمال افريقيا وعدن . ٢ ـــ فترة ما بعد الاستقلال مثل العراق خلال العهد الملكي واليمن خلال حكم اسرة حميد الدين وبعض الاقطار الاخرى .

ماذا فعلت الاقطار العربية من خلال جامعة الدول العربية لمواجهة الهجرة الى اسرائيل؟ الحقيقة التي لا يختلف عليها اثنان ان هذه الاقطار مجتمعة او منفردة لم تلتزم بأية خطة عملية جدية لمواجهة الهجرة اليهودية ، اللهم الا بعقد الاجتماعات او القاء التصريحات التي لا تسفر عن شيء يذكر ، مع العلم ان كافة الاقطار العربية وخـــاصة في الوقت الراهن اصبحت حساسة تجاه الهجرة ولا سيما بعد حرب حزيران حيث اخـــذ العالم العربي يدرك اكثر من اي وقت مضى خطورة مجتمع المهاجرين والمستوطنين الذي لا يمكن له ان يتعزز ويقوى بدون الهجرة .

ان ذلك يقودنا الى السؤال التالي : ماذا ينبغي علينا ان نعمل لمواجهة الهجرة اليهودية الى اسرائيل ؟ قبل الاجابة تجدر بنا الاشارة الى التحديات التي تواجه الهجرة اليهودية في الوقت الراهن (١) مشكلة يهود الاتحاد السوفييتي التي تتمثل في فرض قيود عـــلى هجرتهم (٢) مشكلة يهود « بلدان الرخاء » التي تتمثل في مستواهم المعيشي والاقتصادي الذي يفوق المعدل العام لمستوى المعيشة في اسرائيل . (٣) مشكلة الجمهور الاسرائيلي « الذي يريد الهجرة ويكره المهاجرين » .

هذه هي التحديات الثلاثة التي تواجه الان مجتمع المهاجرين والمستوطنـــين ، دون ان يكون هنالك اي تحد عربي !! كيف يكون التحدي العربي ؟ الحقيقة انه يمكن ان يكـــون هنالك تحد عربي يزيد من حدة التحديات الثلاثة الراهنة ويسهم بشكل فعال في تصفية الكيان الاستيطاني العنصري المغروس في قلب الوطن العربي . ويمكن للتحدي العربي ان يعطي ثماره اذا ما التزمت الدول العربية من خلال جامعة الدول العربية بالتالي : **١ ـــ فتح أبواب العودة لاخوتنا يهود البلدان العربية الذين كانوا قد هاجروا الى اسرائيل لسبب أو لاخر ، مع اعتبار العودة حقاً لهم . ٢ ـــ منح كل عائد الى وطنه جنسية القطر العائد اليه بمجرد وصوله . ٣ ـــ انشاء وكالة عربية تشرف عليها جامعة الدول العربية لتقوم من خلال مكاتبها في أوروبا بمساعدة كل من يرغب في ذلك من يهود الدول العربية الموجودين في اسرائيل او في الخارج ، الى ان يندمج العائد في مجتمعه وفي وطنه الام .**

---

١ ـــ المعطيات مأخوذة من **الكتاب السنوي الرسمي** لعام ١٩٦٦ .

٢ ـــ موشي ليسك واخرون (محررون) **مهاجرون في اسرائيل** (عبري) اكدمون الجامعة العبرية ، القدس ١٩٦٩ ، ص ٢٠ .

٣ ـــ ١٦ عاما من استيعاب المهاجرين في اسرائيل . **مهاجرون في اسرائيل** ص ٦٢٣ .

٤ — يعكوف شتس (محرر) **عشرون عاما لاستقلال اسرائيل** (عبري) مكتب رئيس الحكومة ، القدس (لا تاريخ) ، ص ٢ .
٥ — **نفس المصدر** ص ٢ .
٦ — شموئيل اتينجر ، **تاريخ شعب اسرائيل في العصر الحاضر** ، المجلد الثالث ، (عبري) دبير ، تل ابيب ١٩٦٩ ،ص ٣٥١ .
٧ — موشي ديفيس (محرر) ، **اسباب الهجرة من دول اسيا وافريقيا** (عبري) الجامعة العبرية ، القدس ١٩٦٨ ، ص ١٦ .
٨ — الهجرة الى اسرائيل ١٩٤٨ — ١٩٥٣ . **مهاجرون في اسرائيل** ص ١٠٧ .
٩ — **تاريخ شعب اسرائيل في العصر الحاضر** ص ٥٥٢ .
١٠ — **اسباب الهجرة من بلدان اسيا وافريقيا** ص ٢٣ .
١١ — الهجرة الى اسرائيل ١٩٤٨ — ١٩٥٣ . **مهاجرون في اسرائيل** ص ١٠٧ .
١٢ — **عشرون عاما لاستقلال اسرائيل** ص ١٧ .
١٣ — **معاريف** ١٩٧١/١/٥ .
١٤ — ١٦ عاما من استيعاب المهاجرين في اسرائيل . **مهاجرون في اسرائيل** ص ٦٢٨ .
١٥ — **عشرون عاما لاستقلال اسرائيل** ص ٧ .
١٦ — ١٦ عاما من استيعاب المهاجرين في اسرائيل . **مهاجرون في اسرائيل** ص ٦٢٨ .
١٧ — ١٦ عاما من استيعاب المهاجرين في اسرائيل **مهاجرون في اسرائيل** ص ٦٣٣ .
١٨ — دراسات في مشكلة صهر اليهود . **مهاجرون في اسرائيل** ص ٢٩ .
١٩ — **معاريف** ٧٠/١٢/٢٣ .
٢٠ — **نفس المصدر** .
٢١ — **نفس المصدر** .
٢٢ — **نفس المصدر** .
٢٣ — **ملحق هآرتس** ٧١/١/٢٢ .
٢٤ — **يديعوت احرونوت** ٧١/١١/١٨ .
٢٥ — **معاريف** ٧١/٩/٢٤ .
٢٦ — **المصدر نفسه** .
٢٧ — **هآرتس** ٧١/١/١٥ .
٢٨ — **هآرتس** ٧١/٥/١٤ .
٢٩ — **هآرتس** ٧١/٥/٦ .
٣٠ — **هآرتس** ٧١/٧/٢١ .
٣١ — **هآرتس** ٧١/٥/٦ .
٣٢ — **يديعوت احرونوت** ٧١/٣/١١ .
٣٣ — **يديعوت احرونوت** ٧١/٥/١٧ .
٣٤ — **معاريف** ٧٢/١/١٠ .
٣٥ — **هآرتس** ٧١/٢/٢١ .
٣٦ — **يديعوت احرونوت** ٧١/٥/٧ .
٣٧ — **يديعوت احرونوت** ٧١/١١/١٨ .
٣٨ — **هآرتس** ٧١/١/٣١ .
٣٩ — **يديعوت احرونوت** ٧١/٧/٨ .
٤٠ — **يديعوت احرونوت** ٧١/٨/١٦ .

مؤتمر بولونيا للسلام والعدل في الشرق الاوسط: تقديم . تساؤلات . تحفظات اولية

احمد خليفة

في أوائل آذار الماضي تواجد في روما وفد اسرائيلي مكون من ثماني شخصيات بارزة تمثل ما يسمى بـ « قوى السلام في اسرائيل » ، ومندوبون عن خمس دول عربية هي مصر والجزائر وسوريا والعراق ولبنان ، وممثلون عن عدد كبير من الاحزاب اليسارية والليبرالية في أوروبا الشرقية والغربية والاتحاد السوفياتي وأمريكا الشمالية والجنوبية . وقد تواجد هؤلاء جميعا في روما استجابة لدعوة اللجنة التحضيرية الايطالية لمؤتمر « السلام والعدل في الشرق الاوسط » . وكان الهدف من التواجد — حضور الاجتماع التحضيري الثاني العام للمؤتمر المذكور ، بعد ان كان الاجتماع التحضيري الاول قد عقد في روما في نيسان (ابريل) من العام الماضي . ان الاجتماع ، لاسباب سيرد ذكرها فيما بعد ، لم يتم ، واستعاضت اللجنة الايطالية عنه بعقد مشاورات ثنائية مع مختلف الوفود ، كانت نتيجتها صدور بيان عن اللجنة يذكر انه تقرر عقد المؤتمر في سياق العام الراهن في مدينة بولونيا الايطالية . وقد وصف أوري أفنيري ، النائب في الكنيست وعضو الوفد الاسرائيلي ، البيان بأنه « انجاز كبير وخطوة هامة الى الامام » على طريق تحقيق السلام في المنطقة « لانه لاول مرة تنشر وثيقة بموافقة العرب تقرر بشكل واضح انه سيتم لقاء وجها لوجه بين عرب واسرائيليين » . كما وصف أفنيري المؤتمر ذاته المزمع عقده في خريف العام الحالي بأنه « حدث ثوري وربما تاريخي » لانه يمكن ان « يشق الطريق لمفاوضات مباشرة (بين العرب واسرائيل) عندما يحين الوقت الملائم ويتشكل اساس سياسي لذلك » [هعولام هزه — ٧٢/٣/٨ ص ١٨] . وقبل أوري أفنيري وصف أحمد حمروش، رئيس تحرير روز اليوسف سابقا وعضو لجنة السلام المصرية ، الاجتماع التحضيري الذي كان مقررا ان يتم عقده في أوائل آذار بأنه « عمل من أهم الاعمال التي يمكن ان تؤدي الى اقرار السلام في الشرق الاوسط » . وكان ذلك في مقالة نشرها في روز اليوسف بتاريخ ٧٢/٢/٢١ ، اي قبل اسبوع تقريبا من الموعد المحدد لانعقاد الاجتماع . ان المؤتمر قد بات معروفا في الصحافة العالمية باسم مؤتمر بولونيا ، وهو على حد قول أحمد حمروش امتداد لثلاثة مؤتمرات عقدت تحت اسم « نصرة الشعوب العربية » في نيودلهي وبرلين والقاهرة بعد حرب حزيران ، واستهدفت توليد ضغط عالمي على اسرائيل لدفعها لقبول قرار مجلس الامن ٢٤٢ وتنفيذه . وقد نال اجتماع روما الاخير والمؤتمر المنوي عقده في بولونيا (ايطاليا) اهتماما واسعا من الصحافة الاسرائيلية عامة ، والحزبية خاصة ، وثارت حوله خلافات كبيرة في اوساط ما يدعى بـ « قوى السلام الاسرائيلية » . والسؤال الذي يطرح نفسه الآن : ما هو هذا المؤتمر الذي لم يسمع عنه الا القليل في الوطن العربي رغم الاهمية

« التاريخية » المنسوبة له ؟ ولماذا حقا لم يسمع عنه الا القليل ؟ ان هدف هذا التقرير تقديم المعلومات المتوفرة حوله في الصحف العربية والاسرائيلية ، وتسجيل ما دار في روما في أوائل آذار ، وطرح أسئلة معينة ، ومن ثم ابداء بضعة تحفظات اولية حول المؤتمر .

المؤتمر — تقديم : يقدم خالد محي الدين ، الذي تجمع المصادر المختلفة على انه صاحب فكرة عقد المؤتمر ، المعلومات التالية حوله . وقد وردت هذه المعلومات في تعليق بعث به خالد محي‌الدين لمجلة الحوادث اللبنانية (عدد ٧٢/١/٢١) ردا على خبر منقول عن نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية حول المؤتمر ، كان قـد ظهر في عدد الحوادث الصادر بتاريخ ٧١/١٢/١٧ . يقول خالد محي‌الدين في التعليق : ● ولدت فكرة المؤتمر في روما في يناير ١٩٧٠ اثناء انعقاد اللجنة الدولية لنصرة الشعوب العربية، التي يرئسها كريشنا مينون الهندي ويشغل سكرتاريتها العامة خالد محي‌الدين . وهي اللجنة المنبثقة عن المؤتمر الثاني لنصرة الشعوب العربية الذي انعقد في القاهرة في يناير ١٩٦٩ . فقد قررت اللجنة ان الظروف ليست مهيأة لدعوة مؤتمر عالمي ثالث لنصرة الشعوب العربية وان المطلوب هو مؤتمر اكثر اتساعا فلا نكتفي بالقوى المناصرة للعرب فقط . المطلوب هو مؤتمر عالمي تحت اسم « العدل والسلام في الشرق الاوسط » يجذب اليه ملايين الناس وممثليهم . . . وبعد جهود كبيرة وافق الايطاليون على عقد المؤتمر في مدينة بولونيا الايطالية ● اتفق على عقد الاجتماع التحضيري الاول في روما في ١٩ و ٢٠ ابريل ١٩٧١ ، وقام خالد محي الدين شخصيا بتوجيه الدعوات الى كل المنظمات العالمية والاحزاب السياسية واتحادات العمال والشباب والنساء والمنظمـات السلامية والاجتماعيـة المختلفة . وكذلك شخصيات لها مكانتها العلمية والادبية والفنية . وانعقد الاجتماع فعلا — وحضره مندوبون من مصر وسوريا ولبنان — ومن اغلب بلدان أوروبـا الغربية والشرقية والاتحاد السوفياتي وامريكا الشمالية والجنوبية — كما حضر الاجتماع ممثلون عن السودان وفلسطين ولكـن بصفتهم اعضاء في وفد منظمـة التضامن الآسيوي الافريقي . . . ولم يحضر هذا الاجتماع أي مندوب او شخص من اسرائيل ● اتفق في هذا الاجتماع على بيان عام يحدد أهداف المؤتمر واهمية الدعوة له وجاء فيه انه يدعو الشخصيات والهيئات التي تعارض ضم الاراضي عن طريق القوة وتطالب بضرورة سحب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضي التي احتلت بعد يونيه ١٩٦٧ . ويطالب بتنفيذ قرار مجلس الامن الصادر في نوفمبر ١٩٦٧ وجميع قرارات مجلس الامن الاخرى وكذلك بالتطبيق الكامل لحقوق الشعب الفلسطيني وأحقيته في تقريـر مصيره وكذلك ضرورة تطبيق جميع قرارات الامم المتحدة الخاصة بالشعب الفلسطيني وخاصة قرار ٤ نوفمبر ١٩٧٠ ● رؤي ان يدعى لاجتماع تحضيري ثان في اواخر اكتوبر ١٩٧١ على ان يعقد المؤتمر في نهاية عام ١٩٧١ او اوائل ١٩٧٢ . ولكن الذي حدث هو ان اجتماع اكتوبر لم يتم لظروف طارئة (وضع خالد محي‌الدين تحت الاقامة الجبرية بعد اقصاء علي صبري ومجموعته عن الحكم) . . . واتفق على تكوين لجنة دعوة ايطالية ، وعقدت أول اجتماع لها في يوليه ١٩٧١ . وقد تقرر أن تقوم اللجنة الايطالية بتوجيـه الدعوات لاجتماع تحضيري ثان يعقد في فبراير ١٩٧٢ ● كانت هناك نقطتان في جدول الاعمال : الاولى محاولة التنسيق بين « متطلبات المعركة العاجلة بالانسحاب من جميع الاراضي المحتلة في يونيه ١٩٦٧ وبين التمسك بحقوق الشعب الفلسطيني الكاملة » . . . والنقطة الثانية هو انه «نظرا لكون المؤتمر ذا طبيعة عالمية وسينعقد في ايطاليا، كما سترسل الدعوات من جانب لجنة ايطالية ، فلا يمكن تجنب حضور مندوبين من اسرائيل » . واتفق بأن اي شخص يؤمن بالاهداف المذكورة في البيان **كلها أو بعضها** يمكن أن يحضر المؤتمر . وكان الاتفاق واضحا منذ البداية . . . انه لا يمكن دعوة اية احزاب اسرائيلية مشتـركة في

الائتلاف الحكومي الاسرائيلي أو تؤيد أهداف الحكومة الاسرائيلية أو تزيد عليها ... ولكن قد يدعى بعض الشخصيات الاسرائيلية المنضمة لاحزاب ولكن بصفتهم الشخصية على أن يكون موقفهم واضحا ومحددا من قضية ضم الاراضي مهما كان حجمها وحقوق الشعب الفلسطيني ومعارضة العدوان والتوسع ومشروعات الاستيطان في الاراضي العربية المحتلة .

الى هنا كلام خالد محي‌الدين . وهو واضح فيما يتعلق بالوقائع الخاصة بالخطوات التي اتخذت والاساس الذي سيرتكز اليه المؤتمر والجهات التي ستدعى اليه . ولكنه غامض فيما يتعلق بالهدف منه . ما هو الهدف من وراء عقد المؤتمر ؟ اجراء نقاش عام بحضور ممثلي الهيئات الدولية المعنية بالسلام حول الاحتلال الاسرائيلي للمناطق بعد حزيران ١٩٦٧ ورفض اسرائيل تنفيذ قرار مجلس الامن ٢٤٢ واستمرار تجاهلها للحقوق القومية لشعب فلسطين ومن ثم اتخاذ قرارات في نهايته تعكس رأي غالبية المجتمعين وتمثل ضغطا على اسرائيل من قبل المجتمع الدولي لتنفيذ قرار مجلس الامن ، أم اجراء حوار جدي مباشر بين مندوبي ما يسمى بـ « قوى السلام العربية » ومندوبي ما يسمى بـ « قوى السلام الاسرائيلية » للوصول الى تصور مشترك لابعاد وحلول المسألة العربية ــ الاسرائيلية يكون بمثابة أساس لنضال متواز يقوم به كل فريق في جانبه الخاص من المتراس ؟ ان خالد محي‌الدين في رده المنشور في « الحوادث » لا يتعرض لهذه النقطة ، ولكن سياق النص وروحيته يسمحان للقارىء العربي بأن يضع نفسه في نقطة منظور يبدو المؤتمر من خلالها أقرب الى مؤتمر « ضغط » يشترك فيه اسرائيليون منه الى مؤتمر « حوار مباشر » مع الاسرائيليين ــ فالمؤتمر هو بمعنى ما استمرار موسع لمؤتمرات نصرة الشعوب العربية ، والوفد الاسرائيلي « لا يمكن تجنب حضوره » لكون المؤتمر « ذا طبيعة عالمية » والدعوات سترسل « من جانب لجنة ايطالية » . الا أن أحمد حمروش ، الذي تابع الاتصالات بالجهات المعنية بالمؤتمر بعد وضع خالد محي‌الدين تحت الاقامة الجبرية ، يرى المؤتمر من نقطة منظور مختلفة . انه يذكر في المقالة التي نشرها في روز اليوسف بتاريخ ٧٢/٢/٢١ ان « هناك تيارا شعبيا جادا داخل اسرائيل يضغط على الحكومة من اجل الانسحاب الشامل وتنفيذ قرار مجلس الامن » . ان هذا التيار قد ثبت في ظروف بالغة الصعوبة ويشق طريقه ويكسب ــ حسب رأي أحمد حمروش ــ انصارا جددا في كل يوم . ولا تقتصر دائرة هؤلاء الانصار على أعضاء الحزب الشيوعي الاسرائيلي راكاح وانما تمتد لتشمل « عناصر محترمة من العلماء والمفكرين واساتذة الجامعات والادباء والعمال والشباب منتشرين في مختلف القوى السياسية بما فيها حزب المباي والمبام الحاكمين » . ومن واجب العرب ، في رأي حمروش ، ان يتخذوا مواقف « تشجع هؤلاء الملتقين معهم في افكارهم ... لان انقطاع الصلة يحمل هذا التيار الناشىء صعوبات شديدة في مواجهة سكان اسرائيل » . ومن هنا يكتسب مؤتمر السلام والعدل بالنسبة لاحمد حمروش أهميته . انه يفتح المجال امام العرب والاسرائيليين لاقامة « حوار سلمي وسط وفود من مختلف انحاء العالم في اطار ينطبق تماما مع الحق العربي ، ومع الرغبة الانسانية الشاملة في ضرورة تفادي أخطار الحرب ، وتحقيق العدالة لشعب فلسطين » ويمكن ان يكون بمثابة « نقطة انطلاق جديدة لقوى السلام في المنطقة ... وخاصة داخل اسرائيل » . ان المؤتمر اذن ، في نظر حمروش ، ليس مؤتمر « ضغط » وانما مؤتمر « حوار » ، والاسرائيليون مدعوون ليس لانه « لا يمكن تجنب دعوتهم » وانما ليكونوا الطرف الآخر في حوار متوقع له ان ينتهي نهاية تؤهله لان يكون بمثابة « نقطة انطلاق جديدة لقوى السلام في المنطقة ، خاصة داخل اسرائيل » .

وهكذا بالضبط رأى الاسرائيليون المؤتمر . يذكر سمحا فلابن ، عضو المبام البارز

ورئيس تحرير مجلة اوتلوك التابعة للمابام ، في مقابلة اجرتها معه مجلة « كول هعام » الناطقة بلسان ماكي (عدد ٧٢/٣/١) ، انه كان موجودا في أوروبـــا في فترة انعقاد الاجتماع التحضيري الاول في روما في ابريل من العام الماضي ، وانه عني بمقابلة عدد من المبادرين للدعوة الى انعقاد المؤتمر ، للاستفسار منهم حول بعض النقاط المتعلقة بالمؤتمر . وكان من جملة ما عني بالاستفسار عنـــه طبيعة المؤتمر وطبيعة القـــوى والشخصيات الاسرائيلية التي ستدعى اليه . ويقول فلابن انه فهم من الاشخاص الذين قابلهم بأن « النية هذه المرة متوجهة لعقد مؤتمر مفتوح ، وليس مؤتمرا دعاويا قراراته مصاغة سلفا ـــ مؤتمر يكون بمثابة محاولة لاقامة اتصال لاول مرة بين قوى سلام عربية واسرائيلية » . كما فهم منهم ان اللجنة التحضيرية الايطالية ترتأي اقامة لجنة عامة اسرائيلية تضم كافة « قوى السلام » المعنية بالمؤتمر في اسرائيل . ويستطرد فلابن فيذكر انه بعد عودته الى اسرائيل دعا الجهات التالية لعقد اجتماع لبحث الموضوع : حركة السلام والامن ، لجنة السلام الاسرائيلية ، هيئة تحرير مجلة أوتلوك ، الحزب الشيوعي الاسرائيلي ـــ راكاح . ولكن الحزب الشيوعي الاسرائيلي ـــ راكاح رفض حضور الاجتماع ، وسارع الى اقامة لجنة مبادرة اسرائيلية لمؤتمر بولونيـــا ، ضمت اضافة اليه هعولام هزه ـــ قوة جديدة ، والتحـــالف اليساري ، وعدد مـــن الكتاب والاشخاص البارزين المعارضين لضم أي جزء من الاراضي المحتلة في حرب حزيران . ويفهم من البيان الذي وزعه أوري أفنيري [هعولام هزه : ٧٢/٣/٨ ص ١٥] في اجتماع روما الاخير في أوائل آذار ، ان الاساس الذي قامت عليه هذه اللجنة كان يرتكز الى ثلاث نقاط : تأييد قرار مجلس الامن ٢٤٢ بكليته . ٢ ـــ الاقرار بأنه علـــى اسرائيل الانسحاب من كافة المناطق التي احتلتها في حرب حزيران ، ضمن اطار اتفاق يوفر لها السلام والامن . ٣ ـــ الاعتراف بالحقوق القومية للشعب الفلسطيني . وقد قطع هذا التحرك من قبل راكاح الطريق على المابام (الذي يدعو برنامجه لضم مساحات واسعة من الاراضي المحتلة) لتشكيل لجنة عامة اسرائيلية تضم عناصر تفسر قرار مجلس الامن بأنه لا يعني الانسحاب من كل المناطق . وقد جرت اتصالات عديدة بين راكاح وهيئة تحرير اوتلوك لتوحيد جهود الفريقين العاملين لاقامة اللجنة الاسرائيلية لمؤتمر بولونيا ، ولكن اصرار راكاح على شرط القبول بانسحاب اسرائيل الى حدود الرابع من حزيران ادى ـــ على حد قول سمحا فلابن في مقابلة لمجلة كول هعام ـــ الى فشل الاتصالات .
ويبدو من المقالات التي ظهرت في الصحف الاسرائيلية في شهر آذار الماضي حول المؤتمر انه طوال الفترة ما بين انعقاد اجتماع اللجنة التحضيرية الاول في روما في ابريل ١٩٧١ (دون اشتراك الاسرائيليين) ومشاورات روما الاخـــيرة في آذار الماضي (باشتراك الاسرائيليين) قد جرت اتصالات من قبل كل من الفريقين المذكورين باللجنة الايطالية ، بهدف استيضاح موقفها تجاه الخلاف بينهما ، كما يتضح من تركيب الوفد الاسرائيلي لمشاورات روما الاخيرة ان اللجنة التحضيريةالايطالية قد تبنت وجهة نظر راكاح والفرقاء الملتقين معها ، التي هي في ذات الوقت وجهة نظر أو شرط الجهات العربية ، اذ ضم الوفد الاسرائيلي فقط عناصر وافقت على النقاط الواردة في بيان أفنيري المذكور اعلاه ، ولم توجه الدعوة لحزب المابام . هذا ما دار عليه الخلاف داخل ما يسمى بـــ « قوى السلام الاسرائيلية » بشأن المؤتمر ، ولكن لم يكن ثمة خلاف حول طبيعة المؤتمر والهدف منه . اذ ان الاسرائيليين جميعا انما تحمسوا للاشتراك فيه على اساس انه يوفر لهم فرصة الاتصال المباشر بالعرب واقامة حوار جدي بين الطرفين مرتكز على قبول الطرفين بقرار مجلس الامن ـــ اي الاعتراف باسرائيل (ضمن حدود الرابع من حزيران) كدولة ذات سيادة . ولذا عبر الوفد الاسرائيلي لاجتماع روما الاخير عن خيبة أمله البالغة لما اتضح له لدى وصوله الى روما ان العرب ما زالوا في المرحلة الراهنة يرفضون الجلوس سوية مع الاسرائيليين ، كما عبر عن ارتياحه لموافقتهم على الجلوس معهم للتحاور وجها

لوجه في مؤتمر بولونيا في الخريف القادم . وقد كانت هذه الموافقة بالذات هي التي اعطت المؤتمر اهميته التاريخية في نظر أوري أفنيري وعدد من اعضاء الوفد الاسرائيلي. ماذا جرى في اجتماع روما الاخير في أوائل آذار ؟

اجتماع اللجنة التحضيرية الثاني : نحن هنا مضطرون كلية تقريبا للاعتماد على المصادر الاسرائيلية لاننا لم نستطع العثور في الصحف العربية المتوفرة لدينا على تلخيص من جانب المندوبين العرب لما جرى ، دون ان يعني ذلك اننا جازمون بأنه لم ينشر شيء في الصحف العربية حول الموضوع . تذكر المصادر الاسرائيلية أن الوفد الاسرائيلي الى اجتماع روما كان مكونا من ثمانية أشخاص هم : أوري أفنيري (هعولام هزه ــ قوة جديدة) ٢ ــ عوزي بورشتاين (راكاح) ٣ ــ اميل حبيبي (راكاح) ٤ ــ زئيف ساده (التحالف اليساري) ٥ ــ ناثان يلين مور (قائد منظمة ليحي سابقا وعضو حركة السلام والامن الاسرائيلية ــ مدعو بصفة شخصية) ٦ ــ امنون كابليوك (عضو حركة السلام والامن وعضو المابام ــ مدعو بصفة شخصية) ٧ ــ عاموس كينان (كاتب اسرائيلي مستقل ومعارض لسياسات ضم المناطق) ٨ ــ فكتور تسيغلمان (صحفي بــارز ومعارض لسياسات الضم) . اما المندوبون العــرب فكانوا : ١ ــ خالد محيالدين (مصر) ٢ ــ عبدالكريم غريب (الجزائر ــ رئيس اتحاد العمال الجزائريين في أوروبا) ٣ ــ فاروجان ساتازيان (سوريا ــ لجنة السلام السورية) ، ومندوبان عن كل من العراق ولبنان لا تذكر المصادر الاسرائيلية اسميهما . وتذكر « الانوار » اللبنانية في خبر قصير جدا (عدد ٧٢/٣/٧) ان طلعت التغلبي مسؤول العلاقات الخارجية بالامانة العامــة للاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب قد اشتــرك ايضا في الاجتماعات . ولم ترسل المقاومة الفلسطينية مندوبا الىالاجتماع رغم انها ــ على حد زعم الصحف الاسرائيلية ــ كانت قد وعدت بالاشتراك ، وان كانت ابلغت اللجنة الايطالية بأنها ستسمع رأيها في المؤتمر القادم . وكان من المتوقع ايضا اشتراك أحمد حمروش ولطفي الخولي (رئيس تحرير الطليعة وعضو اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي المصري) باعتبارهما لعبا دورا بارزا في التمهيد لعقد اجتماع اللجنة التحضيرية العام الثاني . وقد وصل الوفد الاسرائيلي الى روما وفي اعتقاده ، بناء على المعلومات التي وصلته من اللجنة الايطالية، انه أ ــ سيتم هذه المرة اجتماع رسمي يجلس فيه المندوبون العرب مع الاسرائيليين الى طاولة واحدة وسط المندوبين الآخرين ليناقشوا ترتيبات المؤتمر ، ب ــ ستكون « قوى السلام » العربية ممثلة بوفد كبير يضــم شخصيات مــن نفس مستوى الشخصيات الاسرائيلية [أوري أفنيري : هعولام هزه ٧٢/٣/٨ ، عاموس كينان : يديعوت احرونوت ٧٢/٣/٧ ، امنون كابليوك : هآرتس ٧٢/٣/١٣ . وستكون هذه اضافة لمقالة أخرى لعاموس كينان في يديعوت أحرونوت عدد ٧٢/٣/١٠ هي المصادر التي سنعتمدها لرواية ما حدث في الاجتماع] . وقد فوجيء الاسرائيليون لدى وصولهم الى روما بحجم الوفد العربي الصغير ، وبأن العرب يرفضون الجلوس معهم وجها لوجه في هذه المرحلة . وفي صدد تحليل دوافع العرب لعدم الجلوس مع الاسرائيليين الان ، مع استعدادهم في ذات الوقت للجلوس معهم في الخريف القادم تحت أضواء الصحافة العالمية التي ستقدم بدون شك تغطية واسعة للمؤتمر، يذكر الاسرائيليون ان العرب فوجئوا بحجم ومستوى الوفد الاسرائيلي الذي جاء أكبر بكثير من المتوقع ، وانهم ذكروا انه لم تتم تهيئة نفسية ملائمة في الوطن العربي بعد لمثل هذا الاجتماع . ويذكر عاموس كينان [يديعوت احرونوت ٧٢/٣/٧] انه كان بامكان الاسرائيليين حزم حقائبهم والعودة الى اسرائيل ، ولكنهم قرروا البقاء والاستجابة لطلب اللجنة الايطالية باجــراء مفاوضات ثنائية بدلا مــن الاجتماعات الرسمية ليوضحوا « مرة والى الابد » في هيئة دولية ذات صفة غير رسمية، تحت اية شروط هم مستعدون للاجتماع بالعرب ، وتحت اية شروط لن يكونوا مستعدين

لذلك » . وقد كانت الشروط الاسرائيلية ، كما يذكر أوري أفنيري [هعولام هزه ٨/٣/٧٢] ، خمسة : ١ — ان يعلن بصورة قاطعة انه في مؤتمر بولونيا سيشترك وفد اسرائيلي ووفود من دول عربية بمكانة متساوية ، ويجلس الجميع الى طاولة واحدة ، ٢ — ان يعترف باللجنة الاسرائيلية لمؤتمر بولونيا كهيئة رسمية تشترك في كل التحضيرات للمؤتمر ، ٣ — ان تسمي اللجنة الاسرائيلية المدعوين الاسرائيليين للمؤتمر ، ٤ — ان يكون هناك ، حتى في مرحلة الاعداد للمؤتمر ، تساو كامل بين الاسرائيليين والعرب ، ٥ — ان يذكر بوضوح في البيان الختامي لاجتماع روما أن الهدف من المؤتمر هو ايجاد السبل لتحقيق السلام . وقد قدم الوفد الاسرائيلي هذه الشروط في الاجتماع الاول الذي عقدته اللجنة التحضيرية مع الوفد الاسرائيلي . ويذكر افنيري ان اللجنـــة الايطالية وافقت ، بعد مناقشات صاخبة ، على كل الشروط الاسرائيلية . كما وافقت على ان يصدر في نهاية المشاورات بيانان احدهما عن اللجنة الايطالية بموافقة كافة المشتركين ، والثاني عن الوفد الاسرائيلي بموافقة اللجنة الايطالية . وهكذا صدر في ختام الاجتماعات بيان عن اللجنة التحضيرية الايطالية أعلنت فيه انها بموافقة كافة المشتركين تأخذ على عاتقها مهمة الدعوة لمؤتمر العدل والسلام في الشرق الاوسط ، على ان يعقد المؤتمر في سياق العام الراهن (الخريف على الارجح) ، ويشترك فيه الاسرائيليون والعرب وممثلو الهيئات والاحزاب التي يرتأى دعوتها ، ويجري التشاور بصدد الترتيبات للمؤتمر بين اللجنة الايطالية (التي سيجري توسيعها بحيث تضم قوى من دول اخرى) وبين كافة اللجان القطرية للبلدان المشتركة . اما البحث فيتم على اساس النقاط الواردة في بيان روما — ابريل ١٩٧١ . ان بيان اللجنة التحضيرية هذا ، كان هو البيان الذي وصفه أوري أفنيري — كما أوردنا أعلاه — بأنه بيان تاريخي ، لانه على حد قوله « لأول مرة تصدر وثيقة بموافقة العرب تقرر بشكل واضح انه سيتم لقاء وجها لوجه بين عرب واسرائيليين » . اما بيان الوفد الاسرائيلي الذي صدر عن الاجتماع بموافقة اللجنة الايطالية فقد تضمن فقرتين هذا نصهما : أ — يعقد مؤتمر بولونيا بمشاركة كل القوى — بما فيها قوى السلام في الدول العربية واسرائيل — المعنية بسلام عادل ودائم بين اسرائيل والشعوب العربية ، وفقا لقرار مجلس الامن ٢٤٢ ومبدأ الاعتراف بالحقوق القومية للشعب الفلسطيني . ب — تبقى اللجنة التحضيرية الايطالية على اتصال دائم باللجنة الاسرائيلية لمؤتمر بولونيا ، وتشترك اللجنة الاسرائيلية في كافـــة الترتيبات التحضيرية للمؤتمر .

واستكمالا لصورة ما جرى ويجري في كواليس روما وكواليس « قوى السلام العربية » و« قوى السلام الاسرائيلية » نقدم الافكار الاساسية الواردة في تلخيص لكراس نشرته صحيفة « أونيتي » الايطالية الناطقة بلسان الحزب الشيوعي الايطالي الذي يلعب دورا مركزيا في التحضير لمؤتمر بولونيا . وقد ظهر هذا التلخيص في الصفحـــة الرئيسية المخصصة للمقالات السياسية الهامة فيها ، وأرسله اليها مراسلها في القاهرة ، مدعيا انه متداول بشكل سري في مصر ، ويمثل آراء الاوساط الماركسيـــة القريبة من خـــالد محي‌الدين في مصر — اي الاوساط المصرية المعنية بعقد مؤتمر بولونيا . وقد وصفت صحيفتا دافار (٧٢/٣/١٠) وعل همشمار (٧٢/٣/١٩) في صدد عرضهما للافكار الواردة في تلخيص الصحيفة الايطالية ، الكراس بأنه بمثابة « برنامج » قوى السلام المصرية لمؤتمر بولونيـــا . ماذا يقـــول الكراس الذي نعتمد بدورنا في تلخيص افكاره ، للاسف ، على صحيفة عل همشمار (٧٢/٣/١٩) ؟

برنامج قوى السلام المصرية لمؤتمر بولونيا ! : يحمل الكراس الغفل من التوقيـــع ، كما تدعي صحيفة اونيتي ، عنوانا رئيسيا « حرب أم سلام ؟ » وعنوانا فرعيا « مساهمة شخصية في النقاش الوطني — اقتراح متواضع للخروج من المأزق الراهن » . ان كاتب

الكراس ينتقد في بداياته النظرات الثلاث السائدة فيما يتعلق بحل المشكلة العربية ــ الاسرائيلية : الحرب التقليدية ، الحرب الشعبية ، والحل السياسي عن طريق الدبلوماسية .

ــ الحرب التقليدية : ان ثلاث حروب مع اسرائيل ، في رأي المؤلف ، قد برهنت بوضوح على انه لا مجال لهزيمة اسرائيل في حرب تقليدية . والاسباب هي : أ ــ ان الجيش المصري هو جيش تقليدي في بنيته، تخنق الاوتوقراطية والتسلسل الهرمي فيه كل مبادرة أو مرونة في التكتيك ، ب ــ ان الحروب التي دارت ، والحرب التي ستدور ، فيما لو وقعت ، سوف تشن في الصحراء حيث العوامل المقررة فيها هي سرعة الحركة والمقدرة التقنية ، والاسرائيليون متفوقون في هذا المجال ، جـ ــ ان الجيش المصري تنقصه الثقافة السياسية الجديدة . وبعد ان يذكر المؤلف ان الجبهة الداخلية في مصر ما زالت غير مستعدة لخوض المعركة يقرر ان اية حرب تقليدية ستكون نتيجتها هزيمة اخرى لمصر .

ــ الحرب الشعبية : بعد ان يعبر المؤلف عن تعاطفه مع مطلب الطلاب المصريين بتسليح الشعب ، يبدي الملاحظات التالية : أ ــ ان هذا المطلب يعبر عن سذاجة سياسية لان حكومة ثورية حقيقية فقط هي التي يمكن ان تثق بالشعب كفاية بحيث تضع السلاح بين يديه . وحكومة مصر ، في رأيه ، ليست ثورية ولا تطرح نفسها كذلك . ب ــ الحرب الوحيدة التي يمكن تصورها بين مصر واسرائيل هي حرب تقليدية تدور رحاها في سيناء واسلحتها الاساسية هي الدبابات والطائرات . وكل ما يمكن ان يفعله الطلاب غير المدربين جيدا في حرب كهذه هو ان يقدموا انفسهم طعاما للمدافع . أما الحديث عن حرب فيتنام والحروب المشابهة لها فانه حديث خيالي لانه لا يمكن ادارة حرب كهذه في مصر الا اذا جن الاسرائيليون واحتلوا الدلتا المصرية الكثيفة السكان ، والجنرالات الاسرائيليون ليسوا بمجانين . جـ ــ ان الكلام عن جماهير مسلحة بدون حزب جماهيري ثوري يقودها هو مجرد هراء . لان هذه الجماهير ستكون عرضة لتحريضات المخربين ويمكن ان تغرق البلد في دوامة حرب اهلية مدمرة . والنتيجة ــ الحرب الشعبية ليست هي المخرج .

ــ الحل الدبلوماسي : يعترف المؤلف ببعض الفوائد للجهود الدبلوماسية ولكنه يقرر انه ليس هو المخرج ، لان الحكومة الاسرائيلية لا تريد السلام وانما تريد التوسع . وحكومة كهذه بحاجة دوما الى عدو خارجي تمتص عن طريقه التوترات الداخلية ، ومن مصلحتها دوما ابقاء التوتر قائما لمنع التناقضات القائمة في المجتمع الاسرائيلي من الانفجار .

واذن ما الحل ؟ وهنا يطور مؤلف الكراس نظرية « السلام الشعبي » الذي يمكن تحقيقه بتحالف كل شعوب المنطقة ، بما فيها الشعب الاسرائيلي ، ضد الامبريالية والعدوان والرجعية . ان المؤلف يهاجم الكتاب والصحفيين المصريين لانهم امتنعوا حتى الآن عن تحليل طبيعة الشعب الاسرائيلي وتبيان التناقضات الطائفية والطبقية وحتى القومية القائمة ، واكتفوا بين الفينة والاخرى بنشر اخبار عن تفجرات هنا وهناك فيه . وبعد ان يحلل الكاتب المجتمع الاسرائيلي يصل الى الاستنتاج بأن عبء النفقات التسليحية بدأ يضغط اكثر فأكثر على العمال والمثقفين والطبقات البورجوازية الصغيرة ، وان هذا الضغط بدأ يولد ردود فعل تجد تعبيراتها في النقد المتزايد داخل اسرائيل ضد سياسات الحكومة العدوانية والتوسعية . ان هذه الفئات المتذمرة ، الداعية لتحقيق السلام مع العرب ، تنقصها بعد قيادة سياسية توحد جهودها وتحولها الى قوة سياسية ضاغطة حقيقية . ومن هنا فان مبادرات على شاكلة مبادرة مؤتمر بولونيا يمكن ان تلعب دورا في ايجاد مثل هذه القيادة . ان مؤتمر بولونيا ، في رأي

مؤلف الكراس ، قد احدث تأثيرا دراماتيكيا على الجماهير الاسرائيلية . ان مجرد « استعداد شخصيات تقدمية عربية للاعتراف اخيرا بوجود قوى تقدمية في اسرائيل ، واستعدادها للجلوس معها على طاولة واحدة للتباحث في انهاء الحرب والعدوان ، عن طريق التفاهم المتبادل والنضال المشترك ، قد ساهم مساهمة كبيرة في توحيد تيارات السلام الاسرائيلية التي كانت حتى الان تناضل ضد سياسات حكومتها كل على انفراد » . ولولا تردد الساسة المصريين ، على حد زعم المؤلف ، بالنسبة لمؤتمر بولونيا لكانت هذه الخطوة قد اعطت ثمارا اكبر .

اسئلة وتحفظات : بهذا نكون قد قدمنا خلاصة موجزة جدا لافكار الكراس المصري « حرب ام سلام » كما أوردت الصحف الاسرائيلية تلخيصه نقلا عن صحيفة اونيتي الايطالية . والاسئلة التي نود طرحها على الجهات العربية التي تنشط لعقد مؤتمر بولونيا ، وبشكل خاص الجهات المصرية ، وبشكل اخص خالد محي الدين باعتباره الشخصية المركزية في هذه النشاطات ، هي :

● ما هي فعلا حقيقة مؤتمر بولونيا للعدل والسلام في الشرق الاوسط ، وما هو الهدف من وراء عقده ؟ هل هو مؤتمر ضغط ام حوار ، وعلى اي اساس سيعقد ؟

● كيف تتصور قوى السلام المصرية التوفيق بين « متطلبات المعركة العاجلة بالانسحاب من جميع الاراضي المحتلة في يونيه (حزيران) وبين التمسك بحقوق الشعب الفلسطيني الكاملة » — على حد تعبير خالد محي الدين في « الحوادث » اللبنانية .

● لماذا هذا التعتيم حول المؤتمر وحول مناقشات روما الاخيرة في الصحافة العربية ؟ ولماذا تدور المناقشات حوله مع الجهات الدولية والاسرائيلية (في الاجتماعات غير الرسمية كما يذكر اعضاء الوفد الاسرائيلي لاجتماع روما) اكثر مما تدور مع الجماهير العربية وحركة المقاومة الفلسطينية ؟

● ما هي علاقة الكراس المشار اليه اعلاه بقوى السلام المصرية الناشطة لعقد المؤتمر ، ولماذا تعنى جريدة الحزب الشيوعي الايطالي ، الذي يلعب الدور الابرز في الاعداد للمؤتمر ، بنشر تلخيص وافر له ؟

ان حجم التحفظات التي يمكن ان يطرحها المرء حول المؤتمر مرتبطة ارتباطا وثيقا بالاجابات التي يمكن ان تقدمها الجهات العربية المعنية بالمؤتمر على الاسئلة المطروحة. اننا لسنا معنيين الآن بمناقشة الافكار الواردة في الكراس ولا نقصد اتخاذ موقف من المؤتمر ، او دعوة حركة المقاومة الفلسطينية لاتخاذ موقف . وانما نود هنا ان نسجل مبدئيا ، بناء على المعلومات المتوفرة (مهما كانت نسبة الصحة فيها) ، التحفظات الاوليـة التالية :

● تحفظ اول : حول الطريقة شبه التآمرية التي يجري بها الاعداد للمؤتمر . ونقول « شبه التآمرية » مدخلين في الاعتبار السرية التي تجري بها الاتصالات والتعتيم المتعمد من قبل الجهات العربية الناشطة لعقد المؤتمر على الاتصالات التي تمت حتى الآن والمناقشات التي دارت بين الجهات الدولية والاسرائيلية .

● تحفظ ثان : حول تعريف احمد حمروش لما يسمى بـ « قوى السلام الاسرائيلية » الوارد في مقالته المشار اليها اعلاه في روزاليوسف .

● تحفظ ثالث : حول استعداد قوى عربية تدعي مناصرة المقاومة المسلحة الفلسطينية للتحاور مع اسرائيليين مواجهة تحت اضواء الصحافة العالمية وبحضور عدد كبير من ممثلي القوى الاشتراكية والتقدمية في العالم دون تنسيق مع حركة المقاومة الفلسطينية ، الممثل الشرعي الوحيد لشعب فلسطين ، على اساس الاقرار

بوجود اسرائيل والاعتراف بها . ان مثل هذا الاقرار يقيم تلقائيا حاجزا بين هــذه القوى العربية والشعب العربي الفلسطيني الــذي اعلن ، عبر قيادتــه الشرعية ، عن تمسكه بحقوقه القومية على كامل تراب وطنه فلسطين. وسوف يكون من المؤسف جدا ، نتيجة لخطوة كهذه ، ان ينشأ وضع تضطر فيه المقاومة الفلسطينية لخوض معركة سياسية لكسب تأييد القوى التقدمية العالمية ضد جبهة تقف فيها قوى عربية تقدمية وقوى اسرائيلية سلامية مزعومة جنبا الى جنب .

● تحفظ رابع : اذا صحت نسبة الكراس المشار اليه أعلاه الى قوى السلام المصرية فانه يصح تسجيل تحفظ رابع حول العقلية الاقليمية التي تناقش الحرب الشعبية من ضمن الوضع الجغرافي لمصر ، ومن ضمن الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي القائم حاليا . ان القول بان الحرب الوحيدة الممكن تصورها مع اسرائيل هي حرب تدور رحاها في صحراء سيناء هو قول يستند الى منطق اقليمي لا يــرى في مواجهة اسرائيل الا مصر ، ولا يهمه في الاساس الا اخراج مصر من مأزقها الراهن ، ولو عن طريق بيع فلسطين مقابل سيناء . ان الحرب الشعبية يمكن ممارستها من كافــة الجبهات ، واستنادا الى قوى من المفروض والممكن ان يحرر طاقاتها عمــل ثوري جدي . ان حذف الحرب الشعبية كحل استنادا الى الاوضاع الراهنة في البلــدان العربية انما يعكس محاكمات منطق شكلي مستسلم امام الواقع وابعد ما يكون عن المنطق الجدلي الثوري المفروض ان يكون خالد محي الدين ، الماركسي القديم ، خير من يمسك بناصيته .

خلاصة القول : ليخرج مؤتمر بولونيا الى الضوء ـــ الآن ، وعندنا ايضا ، وليس فقط في روما وعند الاسرائيليين ، ليصبح بالامكان اجــراء نقاش مفتوح حــوله واتخــاذ موقــف واضح منه .

حزيران والشعر والثورة

فوزي كريم

اين هو الشعر من حزيران ، واين هو حزيران في الشعر ؟ لقد اصيب الشعراء — عبر هذا التساؤل — من تهم المفكرين الكثير ، ولقد أصيب المفكرون ، بدورهم ، من ضيق الشعراء ، الكثير الكثير . وما من هوة عميقة كالهوة التي تفصل بين شعراء العربية ومفكريها . ولعل الصرخة التي اطلقها الشاعر محمود درويش امام النقــاد ومفكري الشعر قائلا « انقذونا من هذا الحب القاسي » ، كانت اكثر ودا واقل قسوة من تلــك السابقة التي اطلقها الشاعر الفلسطيني يوسف الخطيب « يا نقاد العالم ... ارفعوا أيديكم عن قصائدنا ، واقراوا رأس المال »(١) . فلقد كان درويش يحب بتواضع وحياء ان يتعرف على موقعه الحقيقي، وموقع زملائه من خارطة الشعر الشاسعة ، ويخشى كل الخشية ان يكون صوته وصوت زملائه مجرد لافتة مثيرة في مقدمة مسيرة سياسية. ولكن احتجاجه هذا حين يتوجه الى النقاد ذاتهم انما يتحول الى مطالبـــة ، لا تعنى في النهاية بذلك الفاصل الذي يجعل الشاعر والشعر في طرف والنــاقد والفكر في طرف آخر ، ذلك الفاصل الذي كان يوسف الخطيب يريد بغضب العارف ان يجعله حقيقة اساسية : « ان جميع اعباء الفكر — الموضوعية بطبيعتها — قد خلعها النقاد على عاتق الادب عامة، والشعر بصفة خاصة، لا لمجرد لبس في المفاهيم ، بل على الاغلب، هربا ، وتعمية على اصل القضية ، لانه يظل الاسهل ان يتعرض الناقد لشاعر على الرصيف ، من ان يتعرض لشرطي في الدولة ... »(٢).

اذن ، فالامر يعود في النهاية الى دور الشعر ومهمته . هل تملك العملية الابداعية في الشعر وفي غير الشعر ان تكون حصيلة ردود افعال مباشرة لازمات الواقع المعاش . ولماذا يرى المفكر الناقد ان الكاتب الروائي انما يحتاج لفاصل زمني كبير بين حدث الواقع وحدث الرواية من اجل خلق بناء متكامل وخــالد ، ولا يرى الامر ذاته بــين الحدث والشاعر ؟ وكيف نفسر طبيعة العلاقة بين الشعر والالتزام ؟ ومــاذا يعني الشعــر الثوري ، والثورة في الشعر ؟ ان الاجابة الواضحة على مجموع هذه الاسئلة ، واسئلة أخرى كثيرة ، تشكل القاعدة الضرورية لفهم العــلاقة اللازمة بين هزيمـــة ٥ حزيران والشعر الذي تلاها ، والشعر العربي بشكل عام .

لمنح الصلح كلمة يقول فيها « ان حرب الخامس من حزيران لم تكن الا انفجارا داخل الحل السلمي »(٣)، فنحن محكومون — بهذا المعنى — داخل مسيرة هذا الواقـــع لا خارجها. وبهذا المعنى ايضا يجب ان ننظر الى كل انفجار شعري يستوي على ارض الواقع كرد فعل مباشر . فمعظم الاعمال الشعرية التي طمعت وتطمع بهــذا اللقب « الادب الحزيراني » ستمثل في النهاية هذه الاستجابة المباشرة لانفجار عابر ، وستكون تحصيلا موسميا يشبه المهمة الصحفية في تغطية الاحداث ، او « ادبا يؤرخ للازمة » كما يسميه غالي شكري : « لقد آن الاوان لان نفرق الادب الذي « يقاوم » قبل حدوث المحنة ، وهو الادب الذي يرتفع الى مستوى النبوءة ، والادب الذي « يقــاوم » اثناء المعركة

وبعد الهزيمة او النكسة ، والادب الذي « يؤرخ » للازمة بعد انتهائها بوقت طويل او قصير »(٤) .

ان للشعر فعلا حضاريا ، شأنه شأن الموسيقى ، وهذا الرأي الذي قد يراه البعض نزعة لتسام مفتعل ومغلق وبعيد عن الارض ، سيظل وحده ، دون ريب ، محك الاعمال العظيمة . ان شموخ العمل الشعري مسألة تاريخية بالضرورة ، فيه يتفجر الحاضر نحو المستقبل ، وفيه يكمن الماضي كمون البذرة بالشجرة .

ان هذا الفعل الحضاري للشعر هو فعل ثوري ، لانه لا يطمس الحقائق بانفعال وحماس ذي قماشة جاهزة ، ولا يساهم باكذوبة الاناشيد المتوترة التي اتقنتها الاذاعات العربية . بل هو يمتد بأفق داخلي في « ذات » الامة ، مجموعة . فنحن لا نجهل مئات الابواق الشعرية التي نفخت اوداج الواقع المترهل بعد حزيران ، شأنها شأن الصحف العربية حين وضعت الفدائي والعمل الفدائي في دائرة لا حدود لسعتها . ونحن لا نجهل ، بالتالي ، نوبات الضمير التي بدأت تجترها ، وهي تتلمس حطام حبها المخرب . انها ببساطة لم تلتفت الى مهمة الشعر التفاتة مسؤولة، فلقد شاعت ــ بظرف مساعد ــ ان تجعل تحت اسم « الشعر الثوري » كل حديث عن الفدائيين والشهداء وفلسطين . وما عداه مجرد هلوسة خارجيين لا حنجرة لهم . ولقد ساهم النقاد ــ وما اسوأ النقد في العربية وما اقل نقاده ! ــ بتثبيت هذا المفهوم . الا اذا استثنينا بعض الارتدادات المتأخرة .

يقول يوسف الخطيب في مقدمته الهامة لكتابه « ديوان الارض المحتلة » والتي تعتبر في مقدمة المراجع العربية لشعر المقاومة الفلسطينية « ان مواضيع استنباط الافكار قائم في حقل الفلسفة .. في حقل السياسة .. في حقل الطبيعة .. في حقل الاجتماع والاقتصاد .. وليس الشعر ، بل ليس الادب عامة ، الا قوى الرعد والبرق والشمس ، التي تمنح الحياة والاشراق لهذه الحقول جميعا .. لعل ان يفلحها السادة المفكرون »(٥) . ان فاعلية الشعر الثوري ليست هي فاعلية البندقية الثورية . انها اشارة لاولئك الذين يطالبون بان تكون الكلمة كالرصاصة . ان فاعليتهما مختلفة نوعيا . اذ ان المدى بين الرصاصة والهدف لا يمكن ان يوازي ، مهما اختلفت المقاييس ، ذلك المدى الذي يفصل الشعر عن هدفه . ان المشاركة الفاعلة والحقيقية لن تتمكن من النتائج الا بمعرفة مهماتها وحدودها .

لعل اقرب المسائل لهذه النزعة المجحفة تلك التي تجد في موضوع الساعة محكا لا محيد عنه لقيمة الشعر ولثوريته . ولقد اشار الشاعر محمود درويش الى هذه الظاهرة البائسة بقوله « ان الخطأ يكمن في مجرد اجراء عملية المفاضلة ، فليس من الضروري ولا ينبغي ان تكون القضية الفلسطينية منذ نشأتها حتى حزيران هي المحور الاوحد الذي يدور حوله الادب العربي المعاصر ، والا فاننا نصاب بأقصى ضيق النظر ، ونعتبر ان كل التطورات السياسية والاجتماعية في العالم العربي ، منذ ما يزيد من عشرين سنة غير جديرة بتعامل الاديب معها ، او نعتبرها ضربا من ضروب الكماليات لمجرد عدم التصاقها المباشر بالقضية الفلسطينية ، ولعلنا لا نختلف على اعتبار هذا الموقف تنكرا لمسيرة التاريخ العربي . ومن هنا لا يمكن تقويم اعمال الشعراء العرب بميزان مدى تفاعلهم مع قضية فلسطين ، كما ان احدا لم يجر مثل هذه المحاسبة مع الشعراء العرب في مدى اشادتهم بالثورة الجزائرية مثلا او التحولات الاجتماعية العميقة في الجمهورية العربية المتحدة ... »(٦) .

حتى هذه الاشارة التي تبدو للوهلة الاولى حاسمة؛لا تفطن الى مهمة الشعر الاساسية، فدرويش هنا انما يوسع رقعة الاهتمامات من قضية محددة واحدة الى قضايا محددة

عديدة . من قضية فلسطين الى قضايا عربية « التطورات السياسية والاجتماعية » . بالرغم من ان درويش استطاع في الفترة الاخيرة الناضجة من مراحل تطوره ان يفطن بشكل اوضح واعمق الى مهمة الشعر، وطبيعة الثورة فيه. فالثورة طاقة مستمرة على التغيير والتحام حاد بين الموقف من الحياة والموقف من العملية الابداعية ، فهو — اي محمود درويش — لا يملك ان يرى الثوري — اذا كان شاعرا موهوبا — رجعيا داخل الشعر وثوريا خارجه . كذلك شأن الشاعر — اذا كان ثوريا حقيقيا — لا يكون ثوريا داخل الشعر ورجعيا خارجه : « وماذا نعني بالثورة داخل الشعر ؟ الموقف من التراث، والتجديد الدائم للعلاقات القائمة في القصيدة وتغيير هذه العلاقات . لا اعني بالتغيير التدمير او الابادة ، اعني التطوير. ان المحافظة على ما هو حيوي في القديم هي المحافظة على المقدمات لمتابعة الحركة . والجديد — كما نعلم — لا ينفي القديم كله . اننا نصادف موقفين خطيرين من هذه المسألة : موقف العبادة للقديم — وهو موقف متحجر ورجعي ، وموقف الكفر المطلق بالقديم — وهو موقف فوضوي »(٧).

وهذا الموقف المحايد هو الذي يشكل تيار معظم المجددين من شعراء العربية ، ولكنه موقف أعمق من مجرد هذه المحايدة ، فالشاعر خليل حاوي مثلا يرفض « الشعر الذي ينطلق من الرفض ويستقر عليه » ويرى ان الثورة ليست صفة ملازمة لكل جديد كما انها ليست حركة انفعالات سطحية عابرة ، ولا يمكن لها ان تكون جزئية فتقتنع بتحوير بسيط في الشكل الشعري او في بعض المفاهيم السياسية الشائعة . ويرى ان التجارب الاصيلة هي تلك التي حاولت ان تبلغ في الثورة والرفض حد الكشف عن العناصر الحية في تراثنا وتراث الانسان(٨).

وما كان يسميه غالي شكري « الشعر المؤرخ » ، ويوسف الخطيب في مقدمته بـ « ادب الكتبة » — الذين يشغلون وظائف عادية في مختلف مشاريع الصحافة والنقد والفن ، يسميه الشاعر أدونيس « شعر التبشير » او « الشعر — الوظيفة » والذي يقابل في رأيه « شعر الثورة » او « الشعر — الابداع » . ان الثوريين العرب يفهمون الشعر الثوري على انه نوع من تبشير الجمهور العربي بالثورة ، ولا يجوز لابسط ثوري ان ينسى ان تبشير هذا الجمهور لا يبدأ بالشعر ، بل يبدأ بالقراءة والكتابة . يبدأ بأن يكون هذا الفرد موجودا ككائن له الحق بالتعليم والرغيف والكلام »(٩). ولعل هذه الاشارة تعود بنا الى « معضلة » الحديث الذي لا ينتهي حول علاقة الشعر بالجمهور ، وحول « محك » مدى فاعلية هذا الشعر جماهيريا . ان موضوع « الكاتب والكتبة » او «المقاوم والمؤرخ » او « الثائر والمبشر » هو في رأيي الموضوع الاساس الذي يجب ان تبنى عليه كل رؤية تقييمية للشعر العربي وعلاقته بالحركة الثورية العربية بشكلها الاشمل والاعمق ، وبانتصارات هذه الحركة وهزائمها . وبهذا لا نملك ان نقدم من « الكتبة » و« المؤرخين » و« المبشرين » الا صورة مشوهة ، وحصيلة سلبية ، لا نستطيع ببساطة ان نقول عنها انها عابرة ، فهي ذاتها فاعلة بتشويهها وسلبيتها . كم ركب شعر الطبل والزمر ، قبل حزيران وبعدها ، موجات لم تخلف منه الا ركام الاوراق المجانية ، ولم يخلف فيها الا العورات والجذام والآفات . كذلك لا نملك ان نقدم من « الكتاب » و« المقاومين » و« الثوريين المبدعين » — على قلتهم — الا الصورة المعطاءة والحصيلة الايجابية . فكم من عمل عظيم ووجه في أيامه الاولى من قبل ذوي الانفعالات الثورية ، بالصدود والتذمر حينا ، وبالرفض احيانا ، وحتى بالاتهام ، استطاع ان يثبت بقوة « ثوريته » قيما جديدة على حساب قيم قديمة بالية . وان يفعل في الساحة الشعرية العربية ، غير مبال بروح ردود الافعال ، وبطغيان المباشرة الاعمى .

كان محمود درويش شابا يخشى طغيان هذه المباشرة ، فالتفت الى نفسه ، ليتيح لموهبته اصرارها على النمو والنضج ، فكتب مجموعته « آخر الليل » ليبدأ مرحلة اراد

ان تكون فيها « الصورة الغنائية » القديمة التي اعتادها الناس ، « رؤيـا غنائية » جديدة . ولم يفاجأ دون شك بشكوى الجمهور ، فهو يعرف ان قيمته الاساسية انما تكمن في فاعليته الشعرية لا في استجابته. واستمر في اصراره حتى مجموعته « العصافير تموت في الجليل » ، حيث تحولت شكوى الجمهور الى سوء تفاهم ، هذا السوء الذي كان محمود يخشى « ان يتحول الى خلاف قد يأخذ شكل القطيعة » . وقد حصل ما كان يخشاه محمود ، اذا ما واجهنا معطيات الجماهير بالوجـه المباشر . اذ بعد صدور مجموعته الاخيرة « أحبك أو لا أحبك » كان كثير من القراء يلتفتون بكآبة الى قصيدته « سجل انا عربي » والى « صورته الغنائية » السابقة . ولكن هذه المعطيات المباشرة لا تشكل جوهر الحقيقة . بالرغم من انها حقيقة محزنة . فليس من الصحة التصور ان فاعلية الشعر الثوري تكمن في ذلك الحماس او التصفيق الصالوني ــ مهما اختلفت اشكاله ــ السريع الذوبان ، بعد استنشاق الهواء في الخارج .

من حق الشاعر ان يحزن وان يتساءل « هل يترتب علي ، لكي لا ينقطع التفاعل بين شعري وبين الناس ، أن أعود الى التعبير المباشر ، والحث الصريح علـى الكفاح والتمسك بالامل والعقيدة ؟ هل أعلل هذه الظاهرة بعدم وجود نقاد جادين ؟ هل هذه الظاهرة تطرح قضية « التناقض » الفني بين متطلبات التجديد عند الشاعر وبين مدى الامكانيات الفنية المتوفرة لدى قطاع واسع من الناس ؟ »(١٠). ومن حق الشاعر ايضا ان لا يثنيه تساؤله هذا عن فاعليته الاعمق .

حين تكون حرب حزيران انفجارا داخل هذه المسيرة المستسلمة ، فأين يكون الانسان العربي ، والشاعر العربي بالتالي ؟

الاجابات على هذا التساؤل كثيرة ، بحيث اصبحت بسحر الاستجابة ، وجها مجردا « لفكر سياسي » مطلق ، شأنها شأن الانقلابات التي أصبحت وجها مجردا « لنظام عربي واحد » مطلق . ان هذا « النظام الواحد » يعد أمثولة مكثفة لواقع شاسع . أمثولة مكثفة لانها « حزيرانية » ، استطاعت الهزيمة ان تقدمها ، وان شئنا الدقة ، ان تكشفها بكل تجاذباتها و« وحدويتها » المتخلفة الشرسة في وجه الثورة . وفي وجـه التطلع لـ « وحدوية » الجماهير . واذ تكون فلسطين ــ فجأة ــ والفلسطينيون ، نواة لثورة ممكنة ومقبلة ، يتمسك النظام بسطح الواقع الراكد ، وبطبيعة المسيرة المستسلمة . « ويدرك ان هذا اللاجيء الفلسطيني ــ ويسمونه العائد في الاذاعات . . ــ قد أصبح بتأثير جرحه الانساني والقومي ذا حساسية خطرة ملتهبة ، قابلة لان تلتقط « جرثومة الثورة » من سابعة سماء ، فكان لا بد اذن ، في حساب أولئك الرسميين التقليديين ، من ان يحاصروا موطن الداء هذا بكل ما أوتوه من فطنة وحسن تدبير ــ وانهم هنا لجد فطنين جد مدبرين ، اكثر منهم في اي موضع آخر ــ وذلك لئلا يفلت هذا الطاعـون الثوري من عقاله في سماء المنطقة فيجتاح المراعي الفسيحة ، ويزلزل السطح العربي الراكد من تحت الاقدام الصلبة العاتية الضاغطة عليه . . »(١١). وليس قرار ١٩٥٤ لتحديد اقامة « اللاجئين » ، وحصر انتقالهم بحرية عبر حدود الوطن العربي ، وكان القرار الوحيد الذي أجمعت عليه دول الجامعة العربية ، ببعيد .

ان « الرسميين التقليديين » كما يسميهم يوسف الخطيب هـم الذين وحّدهم حزيران ليشكلوا الاساس الذي حدث بعده والذي يسميه منح الصلح « النظام العربي الواحد »، حيث ان الاشتراك في قرار وقف القتال والهزيمة خلف عند الانظمة العربية ردود فعل واحدة أمام الاحداث ، وغرائز ومخاوف واحدة بشكل تبيح لنا ان نقول ان هناك نظاما عربيا واحدا ، له ملامح متشابهة « الحذر من الجماهير ، الازدواجية في القول والعمل ، تناقض السياسة الخارجية مع السياسة الداخلية ، الطرق المتشابهة في مواجهة الازمات

والمشكلات : عدم جدية الالتزام بالمعركة ، وربما عبادة السلطة »(١٢). هذه العبادة التي تمثل أعتى انواع الالتصاق بالوضع الراهن ، الا وهو نوعه السياسي . والذي تشبهه نزعة المبالغة بعصمة التراث وتقديسه ، على صعيد الادب والكتابة . يقول منح الصلح: « في البدء كانت الانظمة توحي للجماهير بأن اتركوا لي فلسطين فأنا أحررها وعندما برز العمل الفدائي ، واجهت هذا العمل بالاتهام والتجريح والتخويف . وبعد الخامس من حزيران ، وتوجه الجماهير نحو العمل الفدائي غيرت الانظمة لهجتها : لا تناقض ، أنا أعد للحرب ، وليعد شعب فلسطين للثورة . واليوم تقول هذه الانظمة : لا تناقض ، فأنا أسالم وليستمر العمل الفدائي في الثورة . ولكن الانظمة لا تعني من خلال هذا التدرج كله الا الوصول الى اليوم الذي تستطيع فيه ان تعلن انها لا تقبل لا بحروب الانظمة ولا بثورة فلسطين »(١٣).

ان النظام هو الشكل السياسي لنزعة التقليد التي ابتليت به المسيرة العربية، هذه النزعة التي أخذت أشكالها العديدة في التربية ، والفكر ، والدين ، ومـــن ثم الادب . وبقوة التعرية التي مارسها « حزيران » لاشكال التقليد المختلفة ، استطاع من جهة ثانية ان يعطي للشعر مهمة جديدة هي مهمة مواصلة التعرية ، لتلك الاشكال ومواصلة التفجر من أجل ان لا يكون هناك انفجار واحد داخل تلك المسيرة المستسلمة ، بل انفجارات متصلة . وهي مهمة ثورية ، والشعر الذي يستلهمها هو شعر ثوري .

ان الشعر الحزيراني هو الشعر الذي عمق حزيران رؤيته لحقيقة طالما كانت ماثلة : حيث اصبحت فلسطين ، والحرية ، والثورة ، والحب ، والارض ، مترادفات لرؤيا واحدة . كما اصبح النظام وكل وجوه التقليد و« الالتصاق بالوضع الراهن » ، حاجزا كبيرا يحول بين الانسان وبين معنى وجوده . وبذلك اصبح الالتفات الـــى فلسطين ــ شعريا ــ مجردة عن مترادفاتها وعن اضدادها ، أشبه بالالتفات الى « المناسبات »، واقرب الى « التبشير » و« التأريخ » منها « للثورة » .

من منا يملك ان يتعرف على معنى « العودة » الى الارض المستلبة ، دون أن يتمثل في اللحظة ذاتها الحرية ــ الغائبة ، والكلمة ــ المحرمة ، والوحدة ــ المجزأة ، والثورة ــ الملجومة ، والجماهير ــ المستعبدة ، والى ما لا نهاية من الاستلابات التي يملك « النظام الواحد » ــ على الدوام ــ تبريراتها الجاهزة . ان الارض المستلبة هي الوجه المباشر لاستلابات عاتية تحيط بالانسان العربي من محيطه الى خليجه . هكذا ، وبشكل واضح « عمق » حزيران مهمة الشعر ، واقول « عمق » لا وجه، لان الصوت الشعري الحقيقي الذي واصل مسيرته من الاحتجاج ــ والرفض ، حتى الثورة ، والذي يتمثل بعدد من الشعراء « المقاومين » و« المبدعين الثوريين » لا « المؤرخـــين » و« التبشيريين » و« الموظفين » ، كان كذلك قبل حزيران ، فلم توجهه الهزيمة بل عمقت احساسه بعنف الفاجعة المرابطة في الواقع على جميع أصعدته . ولم تنبهه ، بل زادته يقينا بصدق رؤياه ورسالته . لذلك فسيبقى وحده الصوت الحزيراني الحق ، لانه صوت النبوءة السابقة واليقين اللاحق .

بعد الاشارة الى اثر حزيران على الصعيد السياسي في تعرية « النظام الواحد » وعلاقة ذلك بالشعر ، ما هو اثره على الصعيد الاجتماعي في « الوجدان » العام و« المزاجية » العامة للانسان العربي . وما هي علاقة ذلك بالشعر ؟ يقول الدكتور حليم بركات : نستطيع ان نرى الانسان العربي مر بثلاث مراحل من حيث تحركه الوجداني ومن حيث المزاجية او العاطفة التي سادت تصرفه : ١) مرحلة اكتشاف الذات ، اثر صدمة قوية جعلته يستفيق من نوم عميق ويتجه الى المرآة ليتفرس بنفسه . وقد امتازت هذه المرحلة بالميل نحو النقد الذاتي . ٢) مرحلة الحماسة والالتفـــاف العاطفي حول المقاومـــة

الفلسطينية وعقد الآمال عليها . ٣) بدء مرحلة الفتور العاطفي والميل نحــو القبول والاستسلام(١٤) .

ان هذه الظاهرة الواضحة التي تشكل صفحة من صفحات الواقع الفاجع ، تشكل من جهة أخرى هدفا من أهداف « الشعر الثوري » ، اذ هي في مدى مراحلها الصغيرة بعد حزيران انما تمثل مسيرة تاريخية عامة لم يكن حزيران الا انفجارا فيها .

ومهما اختلف الشعراء في الجزئيات من وجهات نظرهم حول اثر حــزيران في الشعر العربي ، فهم يتفقون في النهاية على ان التأثير لم يكن جذريا بحيث يتحول الى تغيير . بل هو ان شئنا الدقة اختصر مسافة النمو بعض الشيء ، وفقط لاولئك الشعراء المهيئين بعنف طاقة التغيير في اعماقهم الى هذا التجاوز .

ان سميح القاسم ـــ هذا الشاعر السريع والشديد الانفعال ـــ يبدو اقل منطقية من محمود درويش حين يقول « في الخامس من حزيران ولدت من جديد » اذ ان ولادته ـــ وهو الشاعر ـــ لم تكن شعرية ، بل هداية انسانية حيث كشف حزيران امام عينيه اشياء كثيرة منها « ان الطريق الصحيح أمام حركة التحرر العربي هــي في ممارسة مبادىء الاشتراكية العلمية ، بشكل علمي »(١٥). ان هذه « الولادة الجديدة » يجيب عليها محمود درويش بقوله « ادبيا ، لم تخلق تأثيرا مفاجئا ، ولم تقلب افكاري رأسا على عقب ، ولم تحطم قيمي كما فعلت ، ومن الخير انها فعلت ، بالكثيرين من الشعراء العرب خارج بلادي . . . ولكنها كانت مكاشفة جارحة »(١٦). شيء واحد ، أحسب ان محمود قد عرفه بنفسه حق المعرفة ، بعد خروجه الى العالم العربي والى الكثيرين من شعراء العالم العربي ، بأن حزيران لم يعط الاثر الذي توقع ، وبأن ردود الافعال من جهة و« الكشف الجارح » من جهة ثانية يجب ان يفهم على ضوء فهــم النوعية بين « الشعراء ـــ الكتبة والمؤرخين والتبشيريين » وبين « الشعراء الثوريين ـــ المبدعين » . انني ، لا أعتبره تغييرا ثوريا ، ذلك الانعطاف الذي يفرضه الآحتلال على شاعر تقتضيه رؤياه الشعرية الحقة أن يستبطن جوهر الازمة الانسانية في أمة « محتلة » بشتى ضروب الاحتلال .

فليس من صالح الشاعرة فدوى طوقان ، مثلا ، ان يفاتحها محمود درويش ذات يوم قائلا : « هل ترين يا فدوى ان شهرا واحدا من الاحتلال قد حل ، عندك ، كل المناقشات الطويلة حول الشعر ؟ مشيرا الى الانعطاف الواضح في شعر فدوى بعــد احتلال نابلس »(١٧). ما الفرق ، اذن ، بين شعر «الانعطافات» هذا ، وشعر « المناسبات » ؟ ان الدعوة الى التغيير ، على المدى الدائم ، وبغير توقف ، هو هاجس الشاعر الثوري. انه لا يدخل في دائرة « كأي مواطن ، اصيب بمفاجأة مذهلة ، ولذلك كان صوته يصرخ في كل الاتجاهات » كما يعبر درويش ، انه خارج « الوجدان » و« المزاجية » التي تعرفنا على مراحل آثارها ، والتي يتفق محمود درويش بأنها اصابت الشعر العربي بعــد حزيران ، ولكنني أضيف بأنه الشعر الذي كان وجها من وجوه الفوضى الصادقة التي يقول درويش ذاته فيها « اكاد أشك كثيرا في قدرة اكثرية قصائد تلــك الفترة على البقاء »(١٨).

ليس من السهل ، اذن ، ان نتلمس حزيران وهزيمته في القصائد التي ترفع شعار فلسطين ، والفدائي ، والشهيد ، وقومية المعركة . . الخ . ولا نستطيع أن نتعرف على هاجس الثورة والتغيير في « الشعر الحزيراني » ، في النتاج الذي يستقي من المعطيات المباشرة ، لهزيمة حزيران . بل لا بد لكي نفهم ـــ عميقا ـــ ذلك الهاجس من الالتفات الى مظاهر « الجرأة » وأحيانا « الصمود » ، من أجل نمو اكثر طبيعية ، وأكثر اصرارا ، في وجه ردود الافعال ، والانفعالات العاجلة . ان قاموس العشق الذي فاتحنا فيــه

الشاعر نزار قباني منذ الاربعينات وطوال ربع قرن ، كان أكثر تفاعلا مع حركة التغيير وأكثر ثورية ، من صياغاته « السياسية » التي دفعه اليها حزيران دفعا . قد نحترم حس نزار ، مثلا ، في أهمية « المشاركة » ولكننا نختلف معه في طبيعة هذه المشاركة وطبيعة دوافعها المفاجئة . والا فما هو الفرق بين « انعطافته » هذه وبين انعطافة الشاعرة فدوى طوقان « الثورية ! » بعد احتلال نابلس . ونحن ، على هذا الضوء ، قد نختلف مع كثيرين ممن جعلوا من نزار عاملا من عوامل الهزيمة الكثيرة . شأنهم شأن الذين جعلوا « غياب الايمان الديني » عاملا ، او « النظـــام » ، او « الاحزاب .. والسياسة » الى آخره من النظرات الاحادية المجحفة . فنزار صوت متفرد دون شك ، وهو حين يدافع عن « قصائده السياسية » ـــ كما يسميها ـــ بعد حزيران ، باعتبارها كتبت بدافع الصدق والمشاركة ، لا نملك الا ان نصدقه ، ولكننا حين نواجه « طبيعة » هذا الصدق وهذه المشاركة انما لنتساءل : « هل الصدق وحده يكفي ؟ » اننا حين نبرر نزار بعد حزيران ، يجب علينا بضرورة هذا الصدق ان نبرر كل ركامات القصائد ـــ التي اندثرت ـــ بل كل ردود الفعل على الصعيد المزاجي والوجداني وعلى الصعيد الادبي والفكري . واذا ما اختلفت مع غالي شكري حول تعليلاته لدوافع نزار الشعرية وغير الشعرية وتحولاته من شاعر الحب والحنين الى شاعر يكتب بالسكين ، فانني اتفــق معه في ان خطأ نزار الفادح « انه جعل من حزيران مجرد مناسبة يقال فيها الشعــر وليست تجربة عميقة الاغوار يعانيها حتى النخاع . وشعر المناسبات مهما تنوعت ألوانه وصوره من السياسة الى الجنس الى الوفيات الى المواليد ـــ هو شعر مناسبات : أخطر سماته الفنية النظم البارد الذي يفضله النثر معظم الاحيان ، وأخطر سماته الفكرية السطحية المفرطة في التفاؤل والتشاؤم والمثالية والجزئية ، واقترانه بلحظة سريعـــة الزوال لا يتجاوزها الى ما هو ابعد »(١٩) .

طبعا ، لم يكن نزار وحده في هذا المأزق الابداعي ، اذ يقف معه في ساحته عدد كبير من الشعراء . واذا كان نزار يحمل معه ارثا هاما من العمل الشعري الفاعل يتيح له ان يقدمه وقت الحاجة الى الدفاع عن السمعة فان ذلك العدد الكبير لا يملك ذلك الارث . حين بدأ نزار في الاربعينات كان يحاول بوضوح ان يجمع بين الشعر و« الثورة » ، بمعنى انه لم يفصل بين « الشعر الثوري » و« الثورة في الشعر » بين مواجهة زيف الواقع المتخم بالمحرمات وبين الحاجة القصوى الى التجديد في اللغة القاموسية الزائفة والمتخمة هي الاخرى بالمحرمات . ولكن الذي حصل بعد حزيران وبفعل ردة الفعل والاحساس بالمشاركة ان نزار لم يعد يرى من الشعر الا طرف « حرمة الثورة » ، وطرف المشاركة حتى لو كان الامر على حساب الطرف الاعمق ، والذي لا يملك الشعر ان يكون « ثوريا » دونه الا وهو « الثورة في الشعر ذاته » .

في الطرف النقيض يقف الشاعر أدونيس ، وهو نموذج فذ لهاجس التغيـــير المستمر ـــ والذي أشرت اليه سابقا ـــ المتميز بمظاهر « الجرأة » و« الصمود » من اجل نمو اكثر طبيعية ، واكثر اصرارا في وجه ردود الافعال ، والانفعالات العاجلة . لقد بـــدأ أدونيس في الخمسينات مع بداية فترة التجديد ولكنه لم يتوقف شأن نزار في حدود « التجديد الانتقالي » من قاموس شعري ، الى لغة « عصرية » لا تملك في النهاية الا ان تتحول هي الاخرى الى قاموس شعري جديد « ثابت » . انه بدأ من جوهر فعل التغيير ، حيث « الثورة في الشعر » و« الشعر الثوري » لحمة واحدة لا حدود ولا فواصل بينهما . وأهم ما أود الاشارة اليه هو « الجرأة » و« الصمود » والاصرار على النمو الطبيعي ، دون ان يترك نفسه مرآة تنعكس عليها ظواهر الانفجارات المفاجئة او العابرة . انه داخل الانفجار ذاته ، الانفجار الارادي المتصل . انه ردة فعل كبرى ، بمعنى المواجهة التي تفرضها مسيرة مستسلمة راكدة . ان « الثـــورة » لدى أدونيس ليست ثورة

سياسية ، ولا ثورة جنسية ، ولا ثورة اخلاقية .. الخ من الاحاديات التي ما زالت تصطنع للشعر « اغراضا » مجزأة ومنفصلة شأنها شأن اغراض الشعر العباسي او الاموي . بل هي مجموع هذه الثورات مجتمعة في « رؤيا » جديدة ابداعيــة للفتك بالحاضر ولتفجيره نحو المستقبل .

ولذلك لم « يعطف » حزيران ادونيس ، ولم يقلبه رأسا على عقب . ولكنه « عمق » رؤياه تلك وزادها حساسية ، وعنفا . ان الشراسة الادونيسية التي فجرها حزيران اصبحت قاسما مشتركا بين « الشعر في الثورة » و« الثورة في الشعر » . ولعل ابرز مظاهر الجناحين لطائر الثورة تلك هي الدعوة الى الهدم من أجل البناء ، والتبشير « بساعة الهتك العظيم الآتية وخلخلة العقول » الى جانب الهاجس اللغوي الجديد المتوتر الغاضب والبناء الدرامي المتفاعل الذي يشبه الى حد بعيد الطوفان في أعتى مراسيمه التطهيرية .

لقد كتب أدونيس بعد حزيران ، وبعد مراحله الشعرية المتمثلـة في مجاميعه الهامة « اغاني مهيار الدمشقي » و « كتاب التحولات والهجرة » و« المسرح والمرايا » ، اعظم أعماله الشعرية آلا وهي قصيدته « هذا هو اسمي » وقصيدة « مقدمة لتاريخ ملوك الطوائف »(٢٠) التي اعتبرها جزءا ملحقا . انها تعرية جبارة لم يألفها الشعر العربي ، لا لسطح الواقع العربي وكشف الغطاء عنه فحسب ، بل لمجرى السوس السري الذي ينخر الاعماق . ان التبشير « بساعة الهتك » او الاصغاء الفاجع « للنواح السري في كبد العالم » و« الموت العربي » ، او الاعتراف داخل « البلاد التي رفعت فخذها راية » بأنها « عكازة السلاطين وسجادة الانبياء » ، أقول ان هذه المكاشفة لا تشكل وحدها القيمة الاساسية للثورة ، اذا هي تجردت من صيغتها الابداعية الجديدة . وأريد بها « الشكل » الشعري . هذا « الشكل » الذي فهم طوال مرحلتنا الشعرية الحديثة على انه القشرة الخارجية والثانوية . ان من مهمات « الثورة » لدى أدونيس ، هو هذا العطاء النامي والمتجدد « للشكل » لا بمعناه المجرد ، المنفصل عن « المضمون » ، بل بمعناه المعطى بدءا من لحظة الابداع ذاتها .

ثمة ملاحظة هامة تجب الاشارة اليها . ان الحدث الكبير مهما كانت حصيلته : الانتصار او الهزيمة يظل حدثا كبيرا ، وأشير بذلك الى الصعيد الابداعي ، الفكري او الادبي ، وما يشكلانه كحصيلة لذلك الحدث . وما يجب ان نؤكد عليه هو ان تلـك الحصيلة الابداعية لا يمكن ان تتواجد في فترة ردود الافعال اللاحقة ، والاستجابة الزمنية الآنية . انما هي تتسرب في وعي الامة الداخلي ، نسغا يكمن لفترة قد تتجاوز السنوات العديدة . لينبعث كما تنبعث الروح ، بعد مرحلة « الآثار المباشرة » ، محملا — كطاقة ابداعية — بروح ذلك الحدث ومعانيه وآثاره الحقيقية .

ان السنوات العشرين التي تلت الثورة الفرنسية الجبارة ، كانت محملة باعباء ردود الافعال التي تحولت الى كمود وفراغ ابداعي مطلقين . في حين ظهرت بعد هذه الفترة الطويلة الطاقة الابداعية الحقيقية التي كانت الثورة الفرنسية بذرتها الاولى وجذرها الاساسي . ان قيمة حق الانسان في الحياة ، والحرية ، وقيمــة النزعة الفردية ، والديمقراطية البرجوازية ، التي تمتعت بهــا حركة القرن الثامن عشر الفرنسي كانت ذاتها شعارات الثورة الفرنسية . ولم تخصب العبقرية الفرنسية الا في هذه الفترة عينها ، كنتائج بعيدة المدى ، على يد بلزاك ، واستندال ، وهيجو ، ولامارتين ، والفرد دي موسيه .. الخ .

بهذا المعنى يجب ان نتعرف على مهمة حزيران ، الابداعية ، لا في سنوات الاضطراب وردود الفعل التي تلته ، بل في فترة قادمة لا نملك القدرة على تحديدها . اننا اذ نتحدث

عن حزيران والشعر ، انما نتقصى آثاره الحاضرة لا على الصعيد الابداعي الخالص ، بل على صعيد الساحة الشعرية العربية . ولقد سبقت الاشارة الى بعض تلك الآثار كمواجهة ازمة « النظام الواحـــد » وتعرية « التخلف » الجذري ، وسقوط نزعـــة « المناسبات » و« ضرورة المشاركة » ووجوب « الانعطـــاف » في حالات الضيق او الاحتلال .

لا شك ، ان من آثار حزيران تلك النزعة « الماسوكية » المفاجئة والبارزة ، والتي غطت مساحة لا حدود لها في الشعر العربي . ولا شك ان جزءا من نتاج تلـــك النزعة كان صادقا وايجابيا وفاعلا . فان مواجهة النفس ، ضرورة بالغة ، ولكن بشرط ان تكون مواجهة بهاجس تغييري وثوري لا بهاجس تدميري مرضي . ان بعضا من قصائد نزار قباني وعبدالوهاب البياتي وخاصة في مجموعته الصغيرة « بكائية الى شمس حزيران »، تدخل ضمن هذه النزعة . بالرغم من ان هموم البياتي « الثورية » القديمة بقيت متصلة بخط لا انقطاع فيه ــ مهما اختلفنا في طبيعة هذه الثورية ــ . ولا شك ، ايضا ، ان من آثار حزيران تلك النزعة « الرومانتيكية » المفاجئة والبارزة هي الاخرى ، لتقديم « ادب للبطولة » عربي ، مستوحى مباشرة من ذلك الدفق المعنـــوي الذي املته على الجماهير العربية ، حركة العمل الفدائي ، والتي كانت بعد سنة الهزيمة ، قوة خلاقة ، واثرا شامخا ، زعزع لدى العربي ذلك اليقين الراكد ، وتلك الخيبة ، الجارحة . لقد كان اشبه بذلك الانبعاث التموزي الذي كان الشاعر الرائد بدر شاكر السياب يبشر به في قصائده ، او ذلك الانتصار الخلاق الذي تعرفنا عليه في رحلة « السندباد » الثامنة ، للشاعر خليل حاوي ، وهي الرحلة الداخلية حيث هدم مظاهر الانحطاط وبناء القيم الانسانية الحية ، بدءا من البراءة الاولى . ولكن هذه النزعة بطبيعتها « المستوحية » من الواقع المعاش المباشر ، انما تخلق بذاتها قدرتها المحدودة . ففي الفترة التي خبت فيها قوة الحركة الثورية الفدائية ، بعـــد حصار الانظمة الفاضح ، والهجمة « التترية الجديدة » الشرسة ، خبت معها هذه النزعة .

ظاهرتان مهمتان ــ لهما طابعهما الحزيراني ــ احب ان اقف امامهما في ختام هذه الدراسة . الاولى : نتاج شعراء الارض المحتلة الذي اطلق عليه « شعر المقاومة » . والثانية : ظاهرة الجيل الشاب الجديد الذي واجه في فترة حساسيته المرهفة هزيمة حزيران بكل ابعادها . ولا استثني منه ، بل أؤكد عليه ، الجيل الشاب من الشعراء الفلسطينيين الذين عاشوا بعمق ذلك التجاذب الداخلي بين الواقع ــ المنفى ، وبين الارض ــ الانتماء المستلب .

يقول محمود درويش ــ طليعة شعـــراء الارض المحتلة والذي خـــرج قبل عام الى القاهرة ــ « ان طفولتي هي بداية مأساتي الخاصة التي ولدت مع بداية مأساة شعب كامل ، لقد وضعت هذه الطفولة في النار ، في الخيمة ، في المنفى ، مرة واحدة ، وبلا مبرر تتمكن من استيعابه » ومنذ ذلك الحين « انقلبت الصفة الخاصة لعالم الطفولة ، واصبح ذلك الطفل محروما من الاشياء واللغة التي تميزه عن الكبار ... والتصقت بذهنه وعاطفته كلمات جديدة صار يعرف انها مصيرية : الحدود ، اللاجئون ، الاحتلال ، وكالة الغوث ، الصليب الاحمر ، الجريدة ، الراديو ، العودة ، وفلسطين .. » ، عبر كل هذه الشفرات الحادة القاطعة أمام كافة الطفولة الشفافة صار الصغير يقترب ، بوتيرة سريعة ، من عالم الطفولة الذي صار يعني المكان الذي ستخلصه العودة اليه من هذه الكلمة الجارحة : لاجيء . « وهكـــذا ، تحولت عواطفي الـــى اسيرة لكلمة « العودة » . »(٢١).

انها تسجيل شديد الحساسية وشديد العمق لواقع البذرة وهـــي تنمو في وحشية

« النفي » غير المبرر . من نكبة ١٩٤٨ حتى هزيمة ١٩٦٧ ، امتدت خامة جيل تبحث عن قسماتها ، في مرحلة من أشد مراحل الانسان تأثرا . وهي تحت ضغوط لعنة تاريخية لا ترتخي مخالبها ولا ألسنة نيرانها ساعة واحدة . فيها بدأت بوادر الشعر المقاوم الشاب ، تتعرف على الاعداء ، وتتلمس الارض اللصيقة — المفقودة معا . والمواطن — الغريب معا . وبهذا ، ليس من الصعب ان تنمو تلك الحساسية الشعرية الجديدة على أرض تستحق الغناء . والى جانب ذلك ، ليس من السهل ، ان يكون هذا الشعر هو الهم الكبير .

ان تلك الاصوات من توفيق زياد — الى محمود درويش وسميح القاسم لم تلفت نظر النقاد ولا القراء ، قبل حزيران ، رغم توفرها المعقول ، في حدود ما تبيح له الاسلاك الشائكة ان يخرج ، شأنها شأن عشرات الاصوات الموهوبة على ارض الوطن العربي الواسعة . فكانت العدالة النقدية « الظالمة » واحدة ، وموزعة على الجميع .

بعد حزيران ، التفت الجميع ، جمهورا وكتابا نحو فلسطين ، وكأنها خلقت فجأة مدماة بين مخالب الطمع الخارجي . فعصفت بهم المشاعر ، لتلوين كل جزء من الوطن المحتل بفرشاة ، تنبعث ألوانها من تأنيب داخلي . وكان نصيب نقاد الشعر وقرائه وشعرائه ، أولئك الافراد من الشعراء المعدودين تحت الاحتلال وفوق الارض البعيدة البعيدة والقريبة في كل قلب ،حتى اصبحت بين الكلمة والقصيدة الشعرية في الداخل وبين قرائها ونقادها في الخارج الف غلالة وغلالة من الحب . ولقد عرف شعراء الارض المحتلة الشباب المفاجأة حينها . فأمتعهم هذا الاهتمام المفاجىء ، وأثار حماسهم ذلك التقدير والتقييم الواحد — المتفق عليه — ، حتى الوقت الذي أصبح فيه ذلك الاهتمام وذلك الحماس مقصلة في عنق القيمة الابداعية الحقيقية ، بحيث لم يحتمل شاعر صادق كمحمود درويش ألا ان يصرخ « انقذونا من هذا الحب القاسي » .

وبدأت ، في الفترة المتأخرة ، النظرة المتأنية ، فالشاعر صلاح عبد الصبور يجدهم جميعا « أصحاب تجارب جديدة وانهم لم يبلغوا بعد الدرجة التي تتيح لهم ان يطمئنوا الى اسلوبهم وان يطمئنوا الى الآفاق التي يصبون اليها ويتجاوزونها »(٢٢). والشاعر خليل حاوي يجد في شعرهم « ردة فعل مباشرة صادقة لما نحسه ونعانيه . اما من حيث البناء ، اي ان يبني احد هؤلاء الشعراء بناءا شعريا ضخما يعادل ضخامة الحجر فهذا لم يتحقق بعد . وربما كان للزمن فعل كبير هنا »(٢٣). في حين يتساءل ادونيس : هل في الارض المحتلة « شعر مقاومة » ؟ لست واثقا . بشعر المقاومة اعني اولا الشعر الذي يحمله المواطن على شفتيه وفي قلبه كما يحمل المقاتل البندقية . واعني ثانيا الشعر الذي يكون عاملا يصنع زمانه — يتحول ، بما يحمل من الطين والماء الصافي ، الى نهر كبير يجرف ويغسل ويغير . بل لست واثقا ان في الارض المحتلة شعراء مقاومة، بالمعنى الدقيق الكامل . ان فيها ، بلا شك قصائد مقاومة ، وهي قصائد توحي ، في مجملها ، انها دفاع عن بشر مظلومين وحريات مضطهدة ، اكثر مما توحي بانها هجوم مضاد تقوم به الجماهير كقوة تحرير وتحرير . لذلك يقتصر دور هذه القصائد على تحريك العواطف والمشاعر ، ولا يتجاوزه الى التأثير في مجرى تفكير الجماهير وفي تطورها النضالي والثقافي »(٢٤).

ويكاد الناقد غالي شكري يتفق مع هذا الراي بعض الشيء . الا انه في كتابة « ادب المقاومة » يخضع « لهواية التلاعب بالالفاظ او الافكار » كما عبر درويش . فهو «يختار من مصطلح « ادب المقاومة » المعنى الاوسع للكلمة بمعالجة ما يبدو له انه ادب مقاومة في شتى البلدان وفي شتى الازمنة ، ولكنه يتنازل عن هذا المعنى الواسع ويتشبث بأضيق معاني المصطلح عندما يصل الى بلد ما في منطقة الشرق الاوسط ، فيصبح الموقع

الجغرافي هو معيار تقويم المواقف ، لانه هو الذي حدد ، موضوعيا ، موقفا سياسيا تفصيليا لهذا الشاعر او ذاك ، فتصبح فدوى طوقان ــ على سبيل المثال ــ شاعرة مقاومة لانها لا تعترف بوجود اسرائيل . ولو عاش معين بسيسو في مدينة عكا لما كان شاعر مقاومة لانه لن يكرس شعره للتصريح بانه لا يعترف بوجود اسرائيل . اما محمود درويش ــ على سبيل المثال ــ فلو هاجر الى الكويت لكان شاعر مقاومة ، لان واقعه هناك لن يدفعه الى محاورة اليهود »(٢٥) . وها هو درويش قد هاجر الى القاهرة ، فهل حلت بذلك المشكلة . بالرغم من انه يجيب على السؤال : « هل انت شاعر مقاومة ؟ » بقوله : « لا ادري . ولا يهمني هذا السؤال كثيرا » .

« ليس كل شعر مقاومة شعرا ثوريا » . وبهذا المعنى املك ان أجد في محمود درويش شاعرا ثوريا . اولا قد تتوفر لديه الخامة الاولى التي يتمتع بها معظم شعراء الارض المحتلة . ولانه ثانيا ، وهو الامر المهم ، يجمع في عمله الابداعي طاقتين « الشعر في الثورة » و «الثورة في الشعر» . ان معاناته تركيبة جدلية بين الرؤيا الثورية للانسان والعالم ، والرؤيا الثورية لطبيعة عملية الخلق الشعري . وهذا معنى نموه الدائم والمتغير . ان سميح القاسم وتوفيق زياد ــ بالرغم من ان هذا الاخير ينتمي الى جيل اسبق ــ بقيا وباشكال عدة ضمن العمل الشعري في حدود « الصورة واللغة الغنائية » المباشرة ، والمتوترة ، والمكررة ، وخاصة لدى سميح القاسم . انه حتى مجموعته الاخيرة « الموت الكبير » ــ دار الآداب ، لم يستطع ان يقتنع بقيمة تجاوزه لتلك «الحالة العاطفية » ، التي تعيد نفسها في أطر مختلفة ولكن ضمن دائرة واحدة ضيقة . ان محمود درويش تجاوز «الصورة الغنائية» الى « الرؤيا الغنائية » ، ان النهر الشفاف الصغير فيه ، بدأ يتحد ببحر شفاف جديد . فهو لم يقنع كما كان من قبل « بان اللعبة الفنية عنده ، مكشوفة خلف منديل شفاف » لقد حول هذا المنديل الى شراع فاتن يعكس بحر المعاناة والرؤى المتفجرة . ان قصيدته « سرحان يشرب القهوة في الكافيتيريا » والتي تضمنها ديوانه الاخير « احبك او لا احبك » ــ دار الآداب ، لخير مثال على وجه محمود درويش الجديد .

ثمة جيل جديد تفتح وعيه بتواقت مع الانفجار الحزيراني . هذا الجيل الذي واجه العالم بكل تحدياته في الستينات ، وأخذ يراقبه ويتفاعل معه بعنف . هو وحده دون شك الذي سوف يعكس في المدى الآتي كل تناقضات هذه الفترة الفاجعة ، بعطاءات ابداعية رائعة وهامة . ان بعض شعراء هذا الجيل الشاب ، الذي حمل عبء حزيران على اكتافه ، شعرا مواجها ومعريا وصارخا لا يزيد مسؤولية عن اولئك الآخرين الذين يكتمون حزيران في اعماق تجربتهم ليخرج شجرة رافضة تجتاح كل الحدود من اجل التغيير الاعمق .

ليست الاسماء في هذه الفترة هي المهمة ، فالحدود الفاصلة لم تنضج بعد ، ولكنه المجرى « الحزيراني » العام هو السمة الاساسية ، بكل تياراته ، واختلاف رؤياه للعالم ولعملية الكتابة ذاتها . « ... ان من المنتظر من كل شاعر جديد ، لا سيما متى كان يصدر عن تجربة عجيبة كالتجربة الفلسطينية ، ان يطمح الى زحزحة تاريخ الشعر وكأنه لم يكتب بعد في العالم قصيدة واحدة ، وان القصيدة التي ستحفر في ذاكرة البشر الرعب من الظلم وبتر الاصول وهوان الشعوب ، القصيدة التي ستخترق في العربي قرون النوم وتلامس تلك النقطة النارية المنفية في غور ما وراء الصبر والقبول وراء المصطلحات والامثال ، ووراء شهوة الحكم والترف والحرير الالف ليلي ، هذه القصيدة تنتظر الشعراء في لحظة من لحظات الجحيم الحاضر »(٣٦) .

الحواشي :

١ — **ديوان الوطن المحتل** ، يوسف الخطيب ، دار فلسطين ، دمشق ١٩٦٨ . ص ١٩
٢ — **المصدر السابق** . ص ١٩ .
٣ — مجلة **مواقف** ، عدد ١٠ — ١٩٧٠ .
٤ — **ادب المقاومة** ، غالي شكري ، دار المعارف بمصر . ص ١٣ .
٥ — **ديوان الوطن المحتل** . ص ١٩ .
٦ — **شيء عن الوطن** ، محمود درويش ، دار العودة . ص ٣٢ .
٧ — **المصدر السابق** . ص ٣٢٣ .
٨ — مجلة **الآداب** ، عدد سنة ١٩٧٠ . ص ٢٤ .
٩ — **الاسبوع العربي** ، عدد ٦٢٥ — سنة ١٩٧١ .
١٠ — **شيء عن الوطن** ، ص ٢٦٠ .
١١ — مجلة **مواقف** ، عدد ١٠ . ص ٧ .
١٢ — صحيفة **النهار** ، ١٩٧٠/٩/٢٦ .
١٣ — **المصدر السابق** .
١٤ — **الاسبوع العربي** ، عدد ٦٢٥ .
١٥ — **عن الموقف والفن** ، سميح القاسم ، دار العودة . ص ٤٨ .
١٦ — **شيء عن الوطن** . ص ٢٦٨ .
١٧ — **المصدر نفسه** . ص ٢١٩ .
١٨ — **المصدر نفسه** . ص ٣٢٧ .
١٩ — **ادب المقاومة** . ص ٤٠٦ .
٢٠ — راجع القصيدتين في مجموعة **وقت بين الرماد والورد** ، منشورات مواقف ١٩٧١ .
٢١ — **شيء عن الوطن** . ص ٢٤٢ .
٢٢ — **الآداب** ، عدد ٢ سنة ١٩٧٠ . ص ٢٥ .
٢٣ — **المصدر السابق** .
٢٤ — مجلة **الطريق** ، العدد الخاص في ادب المقاومة ١٠ — ١١ سنة ١٩٦٨ . ص ١٥ .
٢٥ — **شيء عن الوطن** . ص ٣١٩ .
٢٦ — خالدة سعيد — مجلة **مواقف** عدد ١٨/١٧ . ص ١٣٩ .

نماذج من الادب الاسرائيلي المعاصر بعد حرب حزيران ١٩٦٧

رشاد الشامي

كانت حرب حزيران ١٩٦٧ هي الحلقة الثالثة في سلسلة الحروب التي خاضتها اسرائيل ضد الدول العربية بعد حربي ١٩٤٨ و ١٩٥٦ ، لكي تفرض وجودها في المنطقة ، من ناحية ، ولكي تحقق مرحلة من مراحل اطماعها التوسعية لتحقيق دولة الحلم من النيل الى الفرات ، من ناحية اخرى . وهذا الامر لم يخفه قادة اسرائيل، واعلنوه صراحة في تصريحاتهم بعد الحرب ، (وخاصة تصريحات جماعة « دولة اسرائيل الكاملة » التـي تحظى بعطف الزعامة الاسرائيلية) ولم يعد خافيا على أحد . وقد اختلفت الى حد ما احكام الادباء الاسرائيليين بالنسبة لردود فعل هذه الحرب على الواقع الاسرائيلي عامة، وعلى واقع الانسان الاسرائيلي بصفة خاصة. فالاديب الاسرائيلي أهارون امير يقول مثلا: « اذا كنا نعتبر ان حرب ١٩٤٨ هي ذروة فترة من ناحية الجيل الذي حملها على عاتقه ، واذا كانت حرب « قادش » هي مجرد علامة طريق تاريخية او جغرافية دون مغزى خاص بالنسبة لمنفذيها ــ فاننا من الممكن ان نعتبر ان حرب الايام الستـة هي بدايـة لفترة جديدة بمفهوم ان الحرب لم تنته بعد ، بالذات بعد مرور الايام الستة التي شهدت العمليات الضخمة والنصر . وبهذا المفهوم فانها خلقت ابعادا جـديدة لدولة اسرائيل ليس فقط بالمفهوم الاقليمي والاستراتيجي بل خلقت كذلك ابعادا في الرؤية الذاتية وفي الرؤية العالمية عندنا » . ثم يواصل حديثه فيقول : « ان التخطي الذي يشكله انتصار ١٩٦٧ ، هو أولا وقبل كل شيء ، تخط من حالة الحصار النفسي ، ومن حـالة السجن والانغلاق ، الى حالة الارتكاز والثقة بالنفس ، والسيطـرة ، وكذلك الصراع الشجاع وجها لوجه مع وجود البيئة الجغرافية الخاصة بنا مع كل الشحنات المرتبطة بها من ناحية الظروف التاريخية والاهداف في المستقبل »(١) ويختلف معه في هذه الرؤية الاديب الاسرائيلي حانوخ برطوف الذي يشير ايضا الى ان « حرب الايام الستـة قد خلقت حقائق » وان الحرب لا تدور الآن بجوار « كفرسابا » بل « بجوار القنـاة » ، ولكنه رغما عن هذا يعود في سياق حديثه فيؤكد ان « الموقف الاساسي لم يتغير » . والموقف الاساسي الذي يعنيـه حانوخ برطوف هو ما عبر عنه بكلمات فيها مـا يكفي لعكس صراعات الانسان الاسرائيلي . يقول برطوف : « بالرغم من انتصارنا في الحروب ، فاننا نحن المحتلون والمحاصرون لان لدينا تخبطات تكفي للموت . . . » . « ويوجد هنا شعب صغير ، هو بالكاد شعب ، وبالكاد يعيش ، في منطقة هي بالكاد ارض ، مـع كوابيس بسبب حدود لا يعرف ماذا يفعل بها ، ويريد السلام ولا يستطيع الحصـول عليه »(٢). ويعكس هذان الموقفان اللذان يعبر عنهمـا اثنان من اشهر ادباء اسرائيل بحق المناخ الذي ساد اسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ والذي عكسه الانتاج الادبي الذي عبر عن هذه الفترة . ان احدهما يرى ان حرب ١٩٦٧ قد منحتهم الامان والثقة ، والاخر

يرى ان الانتصار في هذه الحــرب لم يغير من الموقف الاساسي شيئا ، بل وزاد مـــن تخبطاتهـــم .

واذا انتقلنا بعد ذلك الى رد فعل هذه الحرب على الانتاج الادبي في اسرائيل ، فاننا لن نجد هناك اختلافا كبيرا بينها وبين تأثير حرب ١٩٤٨ على الادب الاسرائيلي ، الا من حيث التناول الفني للعمل الادبي ذاته على ضوء التيارات المعـــاصرة في عالم القصة والرواية والشعر . فبالرغم من ان حرب ١٩٤٨ قد شهدت فور وقوعها ردود فعـــل ادبية مباشرة ، حيث كتب س. يزهار في البداية قصصه القصـــيرة « خربة هزاعة » (مايو ١٩٤٩) ، و « الاسـير » (نوفمبر ١٩٤٨) ، و « قافلة منتصف الليل » (١٩٥٠) ، الا ان كتابه الكبير « ايام تسيكلاج » الذي يعبر عن حرب ١٩٤٨ تعبيرا شاملا ، لم يظهر الا عام ١٩٥٨ ، اي بعد الحرب بعشر سنوات ـــ وحرب الايام الستة لم تكـــن حربا دامت ستة ايام ، بل هي حرب احدثت في العالم ، وفي منطقة الشرق الاوسط آثارا لم تنته بعد . وبالفعل فان شعوب المنطقة ، وعلى الاخص «الشعب الاسرائيلي» ما زال يعيش في داخل هذه الحرب . وبالطبع فان الاقتراب المباشر من الاحداث يحول غالبا دون كتابة الادب الحقيقي المعبر عن الحدث . ومعنى هذا ان الادب الحقيقـــي المعبر عن ردود فعل المجتمع والانسان الاسرائيلي ازاء حـــرب ١٩٦٧ لم يكتب بعد . ويعبر عن هذا الرأي بطريقته الخاصة الاديب الاسرائيلي يورام كنيوك فيقـــول مجمـــلا انطباعه العام عن الادب الاسرائيلي : « من الصعب أن ننتج في ظروف التوتر التـــي نعيشها . ان فترات الهدوء النسبي التي مرت بنا خلال الخمسين عاما الاخيرة كانت قليلة . والفترات الفاصلة بين المعارك كانت مليئة بالاحداث ، وبالحـــروب الصغيرة الاخرى ، اي بالتوتر ـــ ومن الصعب على الادب ان يصارع معدل السرعة »(٣).

وكذلك فانه كما حدث في اعقاب حرب ١٩٤٨ ، حدث في اعقاب حـــرب ١٩٦٧ ، وظهر سيل مـــن الادب الريبورتاجـــي او الادب الوثائقي ، ثم بدأ بعد ذلـــك الادب شبـــه الريبورتاجي . ومع ان الادب الاصيل المعبر عن هذه الحرب ما زال في طور النضوج بعد ، الا انه قد ظهرت بوادر لانتاج ادبي جديد بأن يؤخذ في الحسبان ، سنتناوله فيما بعد . وقد اثارت هذه الظاهرة ـــ ظاهـــرة الادب الريبورتـــاجي المعبر عن مأســـاة الحرب ـــ احتجاج الاديب « يورام كنيوك » فقال محتجا عليهـــا : « اننـــا من الناحية الوثائقية فقط في حالة فيضان . وفي بعض الأحيان يكون الامر مثيرا للضحك . ان الادب هو محاولة تنقية وبلورة مشاعر وجدانية ، وبحث عن مغزى ، وتعبـــير عن المواجهة الدائمة للموت عند الشـاب . ولا بد من ان ينقضي وقت حتى يصبح من الممكن التعبير عن هذا . ولكن الناس عندنا يفسرون القتل والخوف على الفور ، ويتحول الامر الى شيء ما بسيط الى حد ما »(٤).

الادب الريبورتاجي او الوثائقي في اعقاب حرب ١٩٦٧

لقد عم اسرائيل في اعقاب معارك الايام الستـــة في حزيران ١٩٦٧ فيض مـــن الادب الجورنالي الذي اصطلـــح على تسميتـــه باسم « الادب الريبورتـــاجي » او « الادب الوثائقي » ، اشتمل على الكثير من قصص الصحفيين شهـــود العيان الـــذين رافقوا الجنود في المعارك ووصفوها بصورة واقعية جعلت هذه الكتب تجد رواجا لهـــا في السوق وتشد اليها جمهورا واسعا من القراء . وقد ازعجت هذه الظاهرة أحد كبـــار النقاد الادبيين في اسرائيل وهو البروفسور باروخ كورتسفيل وكتب يقول : « انني في الحقيقة خائف من كل ادب هذه الحرب . وذلك لانه حينما تكون هنـــاك اشياء كبيرة تنشر في السوق بملاليم ضئيلة ـــ فان هذا يهدم الاشياء الكبيرة »(٥). وبالرغم من هذا فان هذا النوع من الادب قد سيطر لفترة من الزمن على عالم ادب حـــزيران بالاضافة

الى بعض الانتاج الادبي الآخر الذي تميز بالعنصرية وبالنشوة من ذلك الانتصار المفاجيء ومن المناطق الجديدة التي سيطر عليها الجيش الاسرائيلي ، وخاصة قصائد اوري تسفي جرينبرج ، وناتان الترمان ، ويتسحاق شيلاف وغيرهم من دعاة الضم وتحقيق دولة اسرائيل الكبرى .

ومن أهم الكتب التي صدرت بعد ان هدأ هدير المدافع ، وتعطي صورة عن الادب الريبورتاجي او الوثائقي ، كتابا : « حديث المحاربين » (سيح لوحاميم) الذي صدر في اكتوبر ١٩٦٧ ، وطبع خمس طبعات كان آخرها طبعة اكتوبر ١٩٧٠ ، مما يشير الى مدى الاقبال عليه من القراء ، وكتاب « مكشوفون في برج الدبابة » (حشوفيم بتسريح) لشبتاي طيبت المحرر العسكري لجريدة « يديعوت احرونوت » العبرية المسائية ، الذي يناقش مشاكل الجندي الاسرائيلي ، ويوضح ما هي الحرب الاسرائيلية . والكتاب الاول « سيح لوحاميم » عبارة عن محادثات مع عدد من اعضاء الكيبوتسات الاسرائيلية ممن اشتركوا في معارك حرب حزيران ١٩٦٧ ، ويقدم تخبطات الجندي الاسرائيلي ابن الكيبوتس عن الحرب ، (يشتمل الكتاب على ثلاثين محادثة اشترك فيها حوالى مائة واربعين عضو كيبوتس) . وهذه المحادثات التي يجرونها مع مقاتلي الكيبوتس حافلة بمادة خصبة من اجل دراسة نفسية المقاتل الاسرائيلي عشية عودته من الحرب وبعد تحقيقه لانتصار لم يكن يحلم به ، وما هي الدوافع التي تحركه للحرب احيانا وتجعله ينبذها حينا آخر ، وما هو موقفه من الحرب ، وما هو موقفه من عدوه العربي عموما ، ومن العدو المهزوم بصفة خاصة . كل هذه الموضوعات تكشف عنها في وضوح وجلاء سطور هذه المحادثات . وبالطبع فاننا لن نتمكن من عرض كل النماذج التي تستحق العرض والقراءة ، ولكننا سنكتفي ببعض المقتطفات التي تعطي لمحة وافية وسريعة عن تخبطات ابن الكيبوتس الاسرائيلي بعد عودته من القتال — يقول عضو كيبوتس عين شيمر الجندي الاسرائيلي ابيشي مصورا انطباعاته عن الحرب : « ... هناك من يحاولون ان يقنعوا انفسهم وهم يتناقشون ويدعون ان هذه هي النهاية وان العرب قد انتهوا ، وليس لهم اي رجاء الخ . وأنا لدي احساس طوال الوقت بأن الجولة القادمة ستكون اكثر قوة بكثير . لانه حتى الآن هناك قسم كبير من العرب لم يكرهنا كرها حقيقيا ، وحسبما هو معروف ، فان كراهية العدو هي احد الدوافع الطيبة للحروب ، وحينئذ — بعد ان اصبحنا اخيرا جيشا محتلا — ... يبدو لي انه في الجولة القادمة ستكون كراهية العرب تجاهنا اكثر جدية ... ولذلك فان الحرب القادمة ستكون اقسى وسيكون ضحاياها اكثر »(٦).

ويقول جافي عضو كيبوتس « جبعات حييم » : « ... ان كل حرب تترك راسبا — لكل واحد ... »(٧). ويتحدث رفيقه موشيه عن حادثة ما زال يتذكرها فيقول : « ان احد الجنود الذين جرحوا واصابهم اضطراب عصبي كان يصرخ وهم يحملونه الى محطة التضميد : لا تعيدوني الى الهضبة ... »(٨).

وقد قامت مجموعة مكونة من عشرة باحثين من علماء النفس بتفريغ الكتاب وتحليل ما ورد فيه تحليلا علميا . وكان التركيز على تحليل مضمون وفحص مواقف المتحدثين تجاه العرب حسبما عبروا عنها في « حديث المحاربين » . وكانت النتيجة التي توصل اليها هؤلاء الباحثون هي ان « حديث المحاربين » هو محاولة جزئية من اجل التغلغل في ثنايا نفس الشاب الاسرائيلي . ولا شك في ان هذه المادة جديرة بأن توضع تحت تصرف مجموعة من علماء النفس والاجتماع العرب لكي يلقوا من خلالها ضوءا واضحا على نفسية الانسان الاسرائيلي وتخبطاته كجزء من محاولة دراسة الشخصية الاسرائيلية الحديثة . والكتاب الثاني « مكشوفون في برج الدبابة » ، هو كتاب وثائقي عن الحرب ، وقد حظي باهتمام كبير من المعلقين والخبراء العسكريين في اسرائيل ،

وقد تناوله بالتعليق على سبيل المثال ، يجآل يادين ، المستشار العسكري لليفي اشكول اثناء حرب حزيران واول رئيس أركان اسرائيلي(٩)، و« ألوف مشنه » (العقيد) دكتور يهودا فالخ ، رئيس قسم التاريخ العسكري في جامعــة تل ابيب(١٠)، وزئيف شيف ، المحرر العسكري لجريدة «هآرتس» المستقلة(١١).. الخ. وهذا الكتاب يتناول فصول القتال الذي دار على الجبهة الجنوبية (جبهة قناة السويس) بواسطة الطوابير المدرعة الاسرائيليه بقيادة « الالوف » (العميد) اسرائيل طل ، قائد سلاح المدرعات . والكتاب مقسم الى ثلاثة اجزاء رئيسية ــ الاستعداد عشية الحرب ، وتاريخ سلاح المدرعات بما في ذلك اشتراكه في حوادث الحدود ، ثم الجزء الاخير الذي يتناول معارك الايــام الستة . ويحدد الكاتب ان المعجزة التي حدثت لاسرائيل في تلــك الفتــرة تكمن في ان الحكومة ترددت واخطأت في وجهة نظرها . كذلك يكتشف المؤلف ان موشي ديان ايضا كان من انصار الرأي القائل بان الموعد والظروف غير طبيعية لمبادرة اسرائيلية ، بالرغم من انه كان يعتقد ان الحرب غير مستبعدة . وحينما عين وزيرا للدفاع غير رأيه .

والمؤلف يحول « الالوف » طل و « الوف مشنه » شموئيل الى « عملاقين اسطوريين » يقفزان فجأة من عالم الآلهة الخرافي . وهذا الامر يتحدد على ضوء الصورة التي عرض بها طيبت النماذج الاخرى من القاده ، التي تظهر كشخصيات انسانية عادية وطبيعية. ويعلق زئيف شيف على هذه النقطة فيقول : « ان الالوف طل قد ساهم بالكثير من اجل سلاح المدرعات ، وعلى الاخص في ادخال الانضباط والاحتراف الى سلاح جمــاعي كهذا ، ولكن ليس هذا بمبرر كاف لتحويله الى اله »(١٢).

وهذه السمة الخاصة بتحويل قادة اسرائيل الى الهة خرافية في الكتابات التي صدرت عن حرب حزيران ١٩٦٧ ، كانت من السمات الشائعة بشكل يدعو للدهشة في الادب الوثائقي عن هذه الحرب . وهذا المأخذ ذاته هو الذي جعل « الوف مشنه » دكتــور يهودا فالخ يرفض هذا التحديد القاطع من جانب طيبت بتأليه طل ويؤكــد « ان بطل الكتاب هو بطل جماعي وهو سلاح المدرعات في جيش الدفاع الاسرائيلي »(١٣). وكان من الواضح بالطبع ان هذه التأكيدات التي وردت في الكتابات النقــدية حول الكتــاب بالنسبة لهذه النقطة بالذات ، هي بمثابة محاولة لاقامة نوع من التوازن .

ويخصص طيبت في كتابه اجزاء كثيرة لمشكلة الانضباط في الطوابير المدرعة الاسرائيلية. ويقول زئيف شيف عن هذه النقطة : « ان طيبت بتأكيده على هــذه النقطة من الممكن ان يساهم في توضيح احدى المشاكل المؤلمة للغاية في جيش الدفاع الاسرائيلي . ومن بين سطور طيبت في هذا الموضوع،يتضح مرة اخرى بعد عشرين سنة انهليس هناك بعد في جيش الدفاع الاسرائيلي طرق مبلورة للانضباط . لقد تقدم جيش الدفاع الاسرائيلي في اشياء كثيرة ، ولكن ما زالت هناك في هذا المجال ارض خالية تنبت فيهــا الاعشاب البرية ، الى جانب الزهرات الطيبة . ان هناك الانضباط الخاص بالمدرعات ، وكذلك الخاص بسلاح الطيران ، والخاص بسلاح المظلات وغيرهم . ولكن ما هو ادهى من هذا بسبعةاضعاف هو انه ليست هناك اي ثقة في ان اكتساب اسس طيبة في الانضباط سوف يبقى حتى الغد وبعد الغد . واذا نجح أحد القادة في هــذا الامر يمكن ، لمــن يخلفه ، ان يقضي على ما فعله دفعة واحدة ، حين تكون وجهة نظره ، او حتى طابعه، مختلفا . وكل هذا بسبب عدم وجود مباديء اساسية »(١٤).

وهكذا فان هذا الكتاب كوثيقة عن دور سلاح المدرعات على الجبهة الجنوبية في حرب حزيران يتعرض لمشاكل الجيش الاسرائيلي التي تقض مضاجع قادته ، ويدرج تحت قائمة الادب الوثائقي عن حرب حزيران ١٩٦٧ .

طفرات الغضب والسخط في الشعر والمسرح

بعد مرحلة الانتصار ، والنشوة التي اطاحت برؤوس قادة اسرائيل ، والامل القريب في السلام مع العرب (انتظار تليفون من العرب) ، في عام ١٩٦٧ ، استيقظ الاسرائيليون من النصر اثر العدوان الى الواقع مع بداية حــرب الاستنزاف ، وتبــددت الامال في السلام . واخلت نشوة النصر وفترة البومات الانتصار مكانها لقراءة الانباء عن الضحايا في القناة ، وبدأ الاسرائيليون ينزلون من عليائهم . وشهدت فترة حرب الاستنزاف هذه مجموعة من ردود الفعل العارمة التي اجتاحت كل قطاعات المجتمع الاسرائيلي بشتى فئاته مطالبة بوضع حد لهذه الحرب وبالسعي الى السلام بأي ثمن من العرب ولو على حساب التنازل عن الاراضي التي احتلتها اسرائيل في حرب حزيران ١٩٦٧ . وكان من اشهر ردود الفعل هذه ذلك الخطاب المتكون من عدة سطور ، والذي ارسله طلاب الصف الثاني عشر في احدى المدارس الثانوية في اسرائيل ، الى جولدا مائير ، رئيسة الحكومة احتجاجا على عدم استجابة الحكومة لاقتراح دكتور ناحوم جولدمان الخــاص بارساله للتباحث مع عبدالناصر حول السلام . وقد جاء في الخطاب : « نحن جماعة تلاميذ الثانوية ، الذين على وشك التجنيــد في جيش الدفاع الاسرائيلي ، نحتج على سياسة الحكومة ازاء قضية جولدمان ـ ناصر ، لقد كنا نعتقد حتى الآن اننا نذهب للحرب وللخدمة لمدة ثلاث سنوات لانه لا خيار امامنا . وبعد هذه القضية ـ ثبت انه حتى حينما يكون هناك خيار ، ولو صغير للغاية ، فانكم تتجاهلونه . وعلى ضوء هذا فاننا وكثيرين آخرين نفكر كيف نحارب حربا دائمة لا مستقبل لها في الوقت الذي توجه فيه حكومتنا سياستها بطريقة تضيع احتمالات السلام . اننا ندعو الحكومة الــى استغلال كل فرصة وكل امكانية للسلام »(١٥).

وكان خطاب الصف الثاني عشر بمثابة سماد انبت بسرعة نباتات جــديدة من انتــاج اسرائيل ، وانضم الشباب علانية وأيدوا حركة « متسبين » (المنظمــة الاشتراكيــة الاسرائيلية) التي اصبحت فجأة موضوع اهتمام اسرائيليين كثيرين . وكان هناك مــن وزعوا صحفا سرية تحمل اسماء مثل « جعشوش » و« نعشوش » (نوعر شومير شالوم ـ الشباب الداعي للسلام) ، متوجة بأسلوب براق وتحوي كلمات احتجــاج صارخة ضد سياسة العدوان والتوسع والحرب الاسرائيلية . وقد حفلت هذه المقالات بصرخات مثل : « لن يبعد اليوم (اذا استمرت الظــروف الحالية في الوجود) الذي نصل فيه حقا الى هذه الحالة : لكل شاب ستكون هناك ثلاث بنات » . او مثل : «انت ايها الشاب اليقظ لمشاكل الساعة ، انت ايهــا الشاب الهادىء الذي لا يتمرد علــى المجتمع ، انت أيها الشاب الذي تسمى ذنبا على السنة العجائز ولا تخجل من هذا ، انت أيها الشاب الميت ، المتعب ، قم وتخلص من جمودك ، وتخلص من وصاية آبائك واجدادك ! قم وتظاهر واخرج ضد الزعامة المجنونة ، التــي بسبب غبائها الشديــد اوصلتنا الى هذا ! كف ، كف عن أن تقول آمين لكل كلمة تقولهــا جولدا او ديان . أخرج الى الشوارع وتخط الحواجز ، وحارب من اجل السلام . لا تقل ان الموقــف الامني لا يسمح بهذا ـــ حارب من اجل تغيير الموقف الامني . ان السلام يجب ان يصل بأي ثمن وكان سيصل لولا غباء الزعامة . لا تقل ان الحرب قد فرضت علينا ، ان هذا القول من الممكن ان يردده الامريكيون في فيتنام والنيجر في بيافرا . انهم لم يفرضوا علينا الحرب بل فرضتها انت على نفسك لانك أيدت طريق زعمائك . . . »(١٦). ولم يكن مثل هذا المناخ المليء برائحة البارود ومشاهد القتلى والجرحى الذين يتساقطون في كل يوم على ضفاف القناة وفي وادي الاردن وعلى الهضبة السورية من الاسرائيليين كضحايا بلا ثمن ليمر دون ان يمزق وجدان الشعراء الاسرائيليين ويجعلهم يطلقون صرخــات الاحتجاج والسخط ضد سياسة التوسع الصهيونية وضد ظاهرة الموت بلا ثمن التي

اصبحت جزءا من الحياة الاسرائيلية بعد تبدد الامـــل في السلام ، وتلاشي اسطـــورة الحرب التي تنهي جميع الحروب .

ولنقرأ سوية قصيدة نشرت غير ممهورة بتوقيع في ملحـــق هاآرتس (١٩٧٠/٩/٣٠) وتعبر في وضوح وجلاء عن النفسية الاسرائيلية في ذلك الوقت ، وليست في حاجة الى تفسير أو تعليق :

مخصص لمحبي الارض والمناطق
كلوا الارض كلوهـــا
واملأوا أكفكم بالتراب
ولكن لا تسفكوا دماءكم عليها .
انكـــم قتلة
حتى اذا قال لكم بعض الشيوخ المحترمين
اقتلـــوا
وامروكم بالقتـــل
من خـــلال اقتناع كامل
بأن هذه هي الطريقة لحب الارض
الارض المسيجـــة
التـــي لا بـــد من حبهـــا
ولا يجـــوز حب سواهـــا
والريح التي تئز
في الآذان المجمـــدة
تدعي ان القتـــل هو من اجل التراب
وتحشون بنـــادقكم
لكي تكونوا معهـــم
مـــع الراقدين وراء السور
وبين المتمرغين في التراب .
الفيضان يجتـــاح البيت بمن فيـــه
والعجائز يجلسن على الدولاب الغارق في الميـــاه
ويرسلون الاولاد للسباحة ضد التيـــار
لكي ينقذوا بقايـــا ماضيهم
ولا يشعرون بأن الفيضان يجعلهم ينهارون .
انهم يجلسون في هدوء على كرسي فوق الدولاب
ويرسلون الاولاد للسباحـــة
وأحيـــانا للغرق
للحظة خاليـــة من الشعارات والمنشورات
من يستطيع ان ينقذ بالتنفس الاصطناعي
غرقـــى القذائـــف .

ولنقرأ تلك القصيدة للشـاعر الاسرائيلي « يهودا عميحي » وهو واحد من ابرز شعراء العبرية المحدثين ، ومن معارضي فاشستية زعماء حركة « أرض اسرائيل الكاملة » التي تطالب بالمزيد من الاحتلال وبالمزيد من الدم . انه في هـــذه القصيدة يحتج على الـــدم المسفوك بلا ثمن ، ذلك الدم الذي ما أن يسيل حتى يصبح باردا ... لانه سفك من أجل قضية غير عادلة ... تلك القضية التي يشبهها الشـاعر بالحجارة ... بالاوثان :

كالكمنجــات هم في دفنهــم
أيسام السلام .
الامهات يطعمن ابناءهن
جبنــة وبرتقــالا
لا ليموتوا في سبيــل الحجارة .
بطولــة الخيول مفيــدة للخيول
وليس للآدميين
والدم في الجسد الحي يكون دافئــا
والدم المسفــوك ... يكون باردا
وهــم حينما يكونون دافئين
يكونون أجمل من جميع حجارة القبور والانصاب
ومن الحجر البــارد .
آمــين ...

والامثلة التي يمكن ان نسوقها تدليلا على نغمة الاحتجــاج الصارخة التي اجتاحــت صفحات الملاحق الادبية في الصحف العبرية ودواوين الشعر معبرة عن وجدان الشعراء، المرآة الصادقة لوجدان الجماهير ، هي امثلة كثيرة . ولنقرأ على سبيل المثال الشاعرة « حدفا روتام » ، وهي تتغنى بقصيدة هي أشبه بمرثية تدلل على مدى الاحباط النفسي الذي عم جيل الشباب من الصهيونيين بعد أن تلاشت اصداء النصر وأطلت معالم الحلقة المفرغة من الحرب والدماء والموت :

أنت لا تسمــع الا صرخة ،
ولا ترى الا وجوها ليست موجــودة ،
ولا تشم الا رائحة القبــور
بطعنات قلمكم السريــع في سفك الــدم
تمــوت نحــن .
وكثيرة هي الجثث بــين السطور
وكثــير هو الدم الــذي في المحبرة
عن عدد المدفونين في المقبرة العسكريــة ؛
وعن الدم الذي يروي احواض الزهور .
ولو قاموا مــن سرير مرضهم
ومعهــم أسرهــم
والاصابــع مشيرة اليكــم
(أو بقايا الاعضاء والعكاكيز) لقــالوا :
بتفاهات أفواهكــم نموت
نقلتم دمنــا على صفحــات الملاحــق
في يــوم الجمعــة .
أخفضوا رؤوسكم أمــام الجندي الميت
الذي جعلتــم عقله سيفــا
ويديــه قوسا
وهو ساذج بــريء .
وليس هنــاك موطيء قدم في هذه البــلاد
ولو كان كل آبائنا قد ساروا فيه
أغلــى عنــدي

مـن جثـة الفتى المتعفنة . (معريف ١٩٦٩/٣/١٤)

والقصيدة التالية للشاعر الاسرائيلي دان عومر التي تحمل عنوان « في سن الثلاثين » هي الاخرى تعبير صارخ عـن ذلك الاحساس بعدمية الحياة ، وبالتحـول مـن لهجة الغرور والصلافة التي كانت السمة المميزة لما بعد حزيران ١٩٦٧ ، الى لهجة الضياع والحيرة والقلق التي أصبحت من سمات ذلك المجتمع الحائر :

في سـن الثلاثـين
أنـا كالبيت المهجـور
يصفر بـين أحلامي رصاصات الحـرب
وأسمـال باليـة
تجفف في داخلـي قطرات الـدم
دم عزلتـي .
مشاعري مدافع عديمـة الارتداد
تنمو في مواسيرها أشواك صفراء
تقصفني الى الـداخل
ويبدو لي العالم الآن كأعشاب بريـة
نامية حـول بيت مهجور
هو حيـاتي !
الا رائحـة القبـور
لـذلـك
ارقـد مستلقيا على ظهري
وأنتظـر
أن تأتـي
لتسد فتحـات أنفي
ولتضع أحجـارا صغيرة
في عيونـي
احمـل التـراب
بقـدر وزنـك
وأهلـه علـي ــ آمين . (معريف ١٩٧٠/٢/٢٧)

وفي قصيدة أخرى للشاعر الاسرائيلي « مائير شيلاف » بعنوان «على مشهد من الفتيان» يصرخ صرخة الاحتجاج المرتفعة ضد من يعبثون بحياة الشباب من شعراء الصهيونية العنصرية دعاة ارض اسرائيل الكبرى ، وضد من يهدرون انسانية البشر ويجعلون منهم مسخا مشوها لخدمة أغراضهم بينما تتتابع صورهم بعد الموت على صفحات الصحف دون ان يبدو انهم قد حققوا شيئا مقابل هذا الموت ، ثم يؤكد بزئير دام انه ليس هناك في الحياة ما هو أغلى من جثة هذا الفتى ... تلك الجثة التي تعفنت حتى ولو كان هذا الشيء هو ارض الآباء بأسرها :

ويل للمحاربين من على الكراسي ،
ولجنـود الورق والقلـم ،
وللراقدين للكمـين في السرير الدافىء
ولمحتلي الاهـداف على المكاتب ،
وللصارخين « الى القتال » المتدثرين بالعباءة .
يا شعراء الدم والعنصر

يـــا خالحي الوجوه
يا من تتحدثون باسم الزمـــان والمكان .
في قبـــور عبثكم العميقـــة
يتمـــدد موتـــاي
وتحت سمائكـــم المقدســـة
يقفز أصدقائي المشوهون .
على مشهـــد من الزمان والمكـــان
وعلى مشهد مـــن الامهات الباكيـــات
وبصرخة الجنـــدي الجريـــح .

ملكة الحمام ... اقفز !

واذا انتقلنا بعد ذلك الى رد فعل حرب ١٩٦٧ ومرحلة حرب الاستنزاف على الحركـــة المسرحية في اسرائيل ، فاننا سنصادف اول ما نصادف مسرحية تعتبر من وثائق الادب العبري الساخط ، هي مسرحية « ملكة الحمام » ، للاديب الاسرائيلي الشاب « حانوخ لفين » وقد ظلت هذه المسرحية لفترة بمثابة الملكة غـــير المتوجة للمسرح الاسرائيلي ، الى ان قامت جماعات المتطرفين بشن موجة من الارهاب ضدها مما اضطر السلطـــات الاسرائيلية الى وقف عرضها ، والحكم عليها بالنفي في ادراج مؤلفها . ومؤلف هـــذه المسرحية اعتصر من قلبه في شرايينها كل الحزن السام والدموع السامة التـــي تخثرت في ضمائر اعداء الحرب في اسرائيل دون ان يعرفوا كيف يطلقون صرختهـــم الدامية : « لا ! » ، تحت وطأة العسكرية الاسرائيلية الصاخبـــة . وقد أثارت « ملكة الحمام » التي تعتبر استعراضا مسرحيا وليست مسرحيـــة حسب المقاييس المتعارف عليهـــا في المسرح ، ما لم يثره اي عمل فني في اسرائيل حتى وقت عرضها . لقد هزت الـــرأي العام الاسرائيلي ، وانفجرت اصداؤها في الخارج كذلك ، لانها كانت صرخة انسانيـــة حقيقية تتلهب فيها صرخات الدماء المسفوكة على حـــرب العدوان ، دماء الضحايا من ابناء الشعبين العربي واليهودي ، والحزن والمرارة اللذان تحولا سما طيبا ، كالزهور الحمراء المتوهجة طيبا ، كشفرات الحب والصوت والحرف . وليس ادل على هـــذه الاصداء التي احدثتها في اسرائيل مما قاله موشي ديان وزير الدفاع الاسرائيلي في معرض تعليقه على هذه المسرحية : « لست أعرف ماذا ومن تعبر عنه هذه المسرحية ... ولست استهين بهذا وقد رأيت جزءا كبيرا من الجمهور المتحيز معهـــا ... لقد فكرت اثنـــاء العرض فيما يحدث بالفعل لو انهم اخذوا هذه المسرحية على ما هي عليه ، وعرضوها في المواقع على الجنود . على الجنود المصريين في الطرف الآخر ، في الطرف الغربي من القناة . أي متعة كانت ستصيب الجيش المصري لو عرض عليـــه المسرح « الكامري » الخاص بحكومة اسرائيل ، والذي تساعده الحكومة والبلدية ويحملـــه الجمهور على الاكف ... لست اتصور اي شيء من الممكن ان يكـــون اكثر تشجيعا وهائـــلا للجيش المصري مما يعرضونه ... انهم يبرئون العرب ، اولئك العرب المساكين الذين نذبحهم طوال الوقت أو نتفاخر بأننا نذبحهم ... »(١٧).

ولكن لماذا اختار المؤلف هذا الاسم ولماذا قرن نقده لموجات العنف والموت التي تجتاح المجتمع الاسرائيلي بالحمام ؟ اننا في هذا الصدد نتذكر العالم الكبـــير ارشميدس رجل سيراكوز الذي يحكي عنه التاريخ أنه اكتشف أحد الاختراعات المذهلة عبر التاريخ لدى استحمامه في الحمام . وكذلك نسمع عن الثوري الفرنسي جان بول مارا منظّر الثورة الفرنسية الذي كان يعاني من مرض جلدي ، واعتاد ان يقضي الساعات الطويلـــة في الحمام . وخلال استحمامه في الحمام كان يخرج بأفكار مقالاته وكتاباتـــه . وذات يوم تسللت الى حمامه فتاة تـــدعى شارلوت كوردا ، وقضت على حياته بواسطـــة خنجر

استلته فجأة من بين طيات ثيابها . ومن يعرف كيف كان سيتطور مصير الثورة الفرنسية لولا تلك المجزرة الدموية في الحمام .

وفي المسرحية صرخة تقول : « اعطوني نقطة ارتكاز على جثة ارملــة ، وانا ارفعكم جميعا » . فمن هو غير ارشميدس الذي أطلق للمرة الاولى صيحته المشهورة عن « نقطة الارتكاز » التي بمساعدتها قصد ان يرفع الكرة الارضية بما عليهــا ؟ وهكذا يتأرجح الموقف من « نقطة الارتكاز » الى أرشميدس ومنه الى الحمام ، ومن الحمام الى الثورة الفرنسية ذهابا و ايابا ـــ لتصبح هناك مسرحية ساخرة ثورية تهز اسرائيل ومؤسساتها . ان حانوخ لفين يجعل من اسرائيل في مسرحيته سلاح طيران يملك دولة ، ويضع على لسان وزير الدفاع كلمات مفزعة ترى ان « مهمة اليهود هي الاعداد مــن أجل نقاط اختيار رئيسية »

الموت بتعذيبات مريعة
والقتل المفزع المثير للرعب
والقتل المريع لدرجة الفزع الذي يقف من هوله شعر الرأس
وسفك الدماء الرهيب مع القسوة المروعة .

ان هذا مجرد جزء من محاولة كاتب المسرحية لان يمركز في سنتيمتر مربع مــن الورق ابشع ما يمارس من ارهاب وقسوة وقتل وتدمير على يد جحافل الشر الصهيونية . وفي مكان آخر يضع كاتب المسرحية يده ببراعة على كل مواطن التحلل والتفسخ في المجتمع الاسرائيلي ، مؤكدا قضية الموت بلا ثمن من اجل دواعي الامــن ، انه ذلك النوع من الموت الذي لا يعلن عنه ولا عن ظروفه الحقيقية ويتحرشون بالقضاء والقدر ليلقوا عليه باللوم باعتباره السبب في موت هؤلاء الفتية في ريعان شبابهم لاخفاء الاسباب والارقام الحقيقية للضحايا . ويستغل لفين هنا ظاهرة من ظواهر المجتمع الاسرائيلي الفاضحة وهي حوادث السيارات التي تعتبر نسبتها في اسرائيل من أعلى النسب في العالم ، وحوادث القضاء والقدر التي تؤدي الى الموت في كل وقت وفي كل ساعة ، فيقول :

بين معركة وأخرى
تقرأ أحيانا في الجريدة
عن شخص ما مضى في رحلة
أحس بسوء وسقط في الشارع .
أو تقرأ عن انسان كان مغموما
خطر له أن يقفز
هكذا لاسباب شخصية .
هناك أيضا لحظات جميلة
فما زال هناك أمل وايمان
بأن الله الطيب ، المطوق بالطيارين في العلاء
يعزينا بقليل من الموتى في كل يوم .
بين معركة وأخرى
تقرأ عن انسان متعب
دست له زوجته السم
ومات في طريقه الى المرحاض
وقد تقرأ عن رجل آخر
كان يعيش في استقرار

ويحمل الابناء والاحفاد الى الحديقة
بين معركة واخرى
حمله ابناؤه وأحفاده .

وفي المسرحية أغنية أو أهزوجة هي « فنجان من الصديد » او بمثابة جيفة فأر لم يجد كاتب المسرحية بدا من امساكه من ذيله ودفعه الى وجوه قادة اسرائيل. انه ذلك المقطع الذي يتحدث فيه عن الاب الثاكل ــ ذلك الاب غير اليهودي من برونكس الذي يقف على جثة ابنه الذي سقط على ضفاف نهر الميكونج ، وهو في الحقيقة ذات يهودية تقف على جثة ابنها الذي من صلبها . وفي هذا المقطع يناجي الشاب المقتول والده بكلمات تقطر أسى ومرارة ، ويتهم الاب بأنه دفعه الى الموت من اجل غاية لا يعيها ومن اجل قضية لا مبرر لها ولا مبرر للموت في سبيلها ، لان موته حينئذ ، هو موت بلا ثمن :

أبي العزيز
حينما تقف الى جوار قبري
عجوزا ومتعبا ووحيدا للغاية
وحين ترى كيف يدفنون جسدي في التراب
بينما تقف فوقي يا أبي
لا تقف آنذاك باعتزاز كبير
ولا ترفع هامتك يا أبي
اصبحنا الان لحما في مواجهة لحم
وهذا هو وقت البكاء يا أبي .
اذن فدع عينيك تبكيان عينـــي
ولا تصمت احتراما لي
فالشيء الذي كان أكثر أهمية من الاحترام
ملقى الان ، تحت قدميك يا أبي .
لا تقل أنك قدمت تضحية
لان الذي ضحى هو أنا
ولا تتفوه بعد ، بالكلمات العليا
لانني أصبحت منخفضا جدا يا أبي !
حين تقف بجوار قبري يا أبي العزيز
شائخا ومتعبا وشديد الوحدة
وحين ترى كيف يهيلون على جسدي التراب
اطلب مني الصفح آنذاك يا أبي .

أليست هذه صرخة دامية تحتج على الحقيقة المرة التي يعانيها المجتمع الاسرائيلي الذي يعيش نهبا لاطماع الايديولوجية الصهيونية ويقدم الضحايا بلا ثمن ويبحث عن السلام فـــلا يجده ؟

والمسرحية الثانية التي عرضت في اسرائيل في أعقاب حرب ١٩٦٧ وكشفت عن تخبطات الجيل الجديد في اسرائيل ازاء المشاكل التي تمخضت عنها حرب ١٩٦٧ هي مسرحية « اقفز » التي أثارت ضجة لا تفوقها سوى ضجة « ملكة الحمام » . وهذه الكلمة عنوان المسرحية ، هي لفظة تستخدم حين يريد احد متحدثي العبرية الاحتجاج بسخرية على موقف أو رأي من ند له ، ولهذا التعبير بقية لا تستخدم الا في أقصى درجات « قلة الحياء » . ومضمون المسرحية يتفق مع العنوان ، فأبطال المسرحية كلهم من الشبان والشابات الضجرين من الحرب ، ومن ظروف حياتهم الراهنة التي تعدها لهم الاسرة

والوكالة اليهودية وسائر المؤسسات الصهيونية ، وتقدمها لهم دون ان يبذلوا كثيرا في سبيلها ، اللهم سوى الدم الذي يراق من حرب الى اخرى !! وهذا العمل المسرحي اقل جرأة من « ملكة الحمام » في تناولها لمشكلة الحرب والموت بلا ثمن . ولا شك ان المؤلف قد خشي التعرض للحملة التي تعرض لها زميله مؤلف « ملكة الحمام » ، ولذلك فقد حاول خلق توازن معين بين وجهات النظر المتباينة في المجتمع الاسرائيلي .

وقد اخترت من هذه المسرحية المقطع التالي ، لانه يعبر عن الصراع الذي يعم الشباب الاسرائيلي تجاه قضايا الحرب والحياة من ناحية ، ويبين محاولة التوازن التي التزم بها مؤلف المسرحية من ناحية اخرى :

ايلي : اذن ، أنت تهرب يا جبان ، اقتد بيوسي

آبي : لا تسخر ، للهروب أوجه حسنة جدا .

ايلي : هروب ؟ انه عدم قدرة على مواجهة المشاكل !

آبي : من قال ذلك ؟ أهو بياليك ؟ أم آحاد هعام ، أم ترومبلدور ؟ عم تتحدث ؟ ثلاثة يهود استطاعوا الهرب من روسيا ، كاتب هرب من ألمانيا النازية ، ومتهم بريء هرب من السجن ، وملحق شهيد هرب من اليونان . أليس لسماع هذه الاخبار فرصة عظيمة ؟ ان كلمة هروب ليست لها نغمة شاذة ، بالعكس تماما ، فهي نغمة الحرية ، ورنين السعادة . انها ليست نغمة المنطق ، أتفهم يا سيدي ؟

موشي : الى الجحيم ! قل لي بأية مقاييس تحكم على الحرب ؟

آبي : بالمقياس الوحيد ، وهو ان حياة الانسان هي الشيء الاكثر سموا وأهمية .

يوسي : وعندما تفنى الاقلية لتمنع فناء الاغلبية ؟

آبي : اذا كان على شخص ان يقتل ويقتل من اجل ان يحيا شخص آخر ، يكون هناك دون شك أمر غير طبيعي .

يوسي : واضح ان هذا غير طبيعي ، ولكن لا مفر !

آبي : لا مفر لان احدهم قرر انه لا مفر .

يوسي : ماذا بك بحق الشيطان ؟ اننا نحارب ونناضل من اجل الحياة لا من أجل الموت . وعندما لا نحارب سنقتل ونفنى . انت تعلم أنني كذلك أسخر من الساسة والسياسيين ، ومن ذلك الجنون ، جنون الشعارات . انما الامر هنا يختلف ، يا آبي اختلافا شاسعا . ليس الامر هنا ان سياسيا مجنونا قد قرر أن الامر ليس كذلك هنا .

آبي : لن اخدم شيئا لا أؤمن به حتى ولو كان هذا الشيء يدعى بيتا او وطنا أو ارضا . سأحاول العيش بشكل آخر ، بالصورة التي أنال فيها أقصى حرية(١٨).

الرواية والقصة القصيرة

بعد حرب حزيران لم تكن هناك وفرة في الانتاج الادبي عن الحرب بصور مباشرة وذلك فيما عدا عدد قليل من القصص القصيرة التي سارع كاتبوها الى الاشادة بالبطولة والروح الخارقة للعادة التي حققها الجندي الاسرائيلي في معارك الايام الستة ومصورين له في صورة اسطورية تذكرنا بأبطال الاساطير اليونانية . وبالاضافة الى هذا ظهرت عدة روايات وقصص قصيرة ، تناولت الجو العام في اسرائيل من خلال نماذج انسانية مختارة بعناية تتفاعل في أعماقها كل تخبطات وصراعات المجتمع الاسرائيلي ، تماما كما تنعكس الصور في شظية زجاجية محطمة . وأهم هذه الروايات : « والله يا أمي اني أكره الحرب » ليجآل ليف، وهي الرواية الاولى عن حرب حزيران ١٩٦٧ والتي سأتحدث عنها بعد قليل ، و« النمل » لاسحاق اورباز ، و« ميخائيل الخاص بي » لعاموس عوز ، و« تاريخ حفا جو تهيلف » لمريم شفارتس ، و« يعقوب » لبنيامين تموز ، و« ليست الحرب للابطال » لايهود بن عيزر ، و« سيدي النهر » لاهارون ابيلفيلد . وفي مجال القصة القصيرة كانت هناك وفرة من الانتاج بالقياس الى الرواية . ومن هذه القصص

على سبيل المثال : مجموعة « في مواجهة الغابات » لابراهام بن يهوشـع ، وقصته القصيرة الطويلة « في بداية صيف ١٩٧٠ » التي تناول فيها مناخ الحرب بعد ١٩٦٧ ، و« وجه جيل وكلب » لاسحق أورن ، و« في الطابق الارضي » لاهـارون أبيلفيلد ، و «اجازة الصيف الاخير» لاوري أوليف ، و « من شارع الى شارع » لشلومو نيتسان ، و« رحلة الى البلاد الكبيرة » لمردخاي طبيب ، و« شكسبير » لشولاميت هراوبين وغيرها وغيرها من القصص القصيرة .

ومعظم هؤلاء الكتاب جربوا وجهات نظر جديدة من أجل اكتشاف العالم الداخلي للانسان الاسرائيلي المعاصر ، وأضاءوا انطباعات الحياة الاسرائيلية بضوء متغلغل من زوايا رؤية مختلفة ، وبطرق تعبير مختلفة ، اعتبارا من الكتابة الواقعية حتى المحاولات الرمزية والسريالية . ومعظم هذه الكتابات تشهد على ان المؤلفين الاسرائيليين ليسوا منطوين على أنفسهم ، وانهم يتخبطون كثيرا في تشكيل اطارات التعبير ، وفي البحث عن طريق موضوعية خاصة بهم. ويواصل عدد ليس قليلا منهم التجارب الادبية الفنية بجهود خاصة بهم ، وذلك للخروج عن الوصف التقليدي والحبكة الخارجية الى التطلع النفسي والتكييف الرمزي للعالم الداخلي . ويهتم هؤلاء الادباء بالتعبير عن عالم الأنا الذي يكتفي بآلامه الذاتية ، والذي تستولي عليه المخاوف باجتيازه لظلمات اللاوعي الخاص به ، وبالتعبير عن الصورة المعوجة للمجتمع مع تعرية واقع الانسان ووجوده الاجتماعي من القمصان الحديدية ، وازاحة قناعات الكذب ، وأنواع الزينة والزخرفة ، وعرض العالم كما هو . ونجد في هذه الكتابات كذلك أن العزلة المريرة ، وفقدان الرابطة مع البيئة ، والتعرف التدريجي المريع للابطال على انفسهم ، والتطور التدريجي للاكتشاف الذاتي ، والعنف الذي يتفجر من داخل الشخصية المعقدة التي تشعر بالاختناق الذي تعـاني منه ، والعدوانية المتزايدة التي تهاجم البيئة القريبة منها من خلال الدفاع عن النفس غـير الواعي ، ومن خلال احتجاج خفي ، ومن خلال خوف عميق كمحاولة للانقاذ والتماسك اثناء مرحلة التحطم الذاتي المتزايدة ، نجد ان هذه هي الموضوعات المشتركة بين الادباء الشبان في اسرائيل وعلى الاخص في كتاباتهم بعد حزيران ١٩٦٧ ، مع اختلاف في طرق الكتابة وفي تكنيك الكتابة .

وبما أن دراستنا هذه تنحصر في الموضوعات ذات الصلـة المبـاشرة بأحداث حـرب حزيران ١٩٦٧ ، فاننا سنختار كنموذج من نماذج الرواية الاسرائيلية في هذا الصدد رواية « والله يا أمي اني اكره الحرب » ليجآل ليف (وهو من مواليد ١٩٣٨ . عضو كيبوتس « جبعات شلوشا » . عمل قائدا عسكريا مقاتلا في حرب سيناء ، ١٩٥٦ ، وفي حرب حزيران ١٩٦٧ . أنهى دراسته في الجامعة العبرية وتخصص في الفلسفة . صدر كتابه الاول بعنوان « سيدي القاضي » عام ١٩٦٤ . ألف مسرحية بعنوان « صرخة السكوت » عرضتها على المسرح فرقة « زوطا » . كتب سيناريو الفيلـم السينمائي « اسرى الحرية » . من محرري صحيفة « معريف » المسائية المستقلة .

هذه الرواية هي من أولى الروايات التي صدرت في اعقاب الحرب . وهي محاولة للكتابة من وجهة نظر شاب هو مقاتل ذاق بنفسه أهوال الحرب . والشخصيات التي يعرضها المؤلف هي شخصيات حية وموجودة — وهي الشخصيات التي أفرزها المجتمع الاسرائيلي وخلق منهم جنودا مقاتلين . وهؤلاء الجنود هم جنـود لحم ودم وليسوا ابطالا، كما تعمهم باستمرار احاسيس الخوف ، والتخبطات والاشواق الى البيت ، والى الحياة اليومية — وذلك منذ تحركهم من اللطرون قبل القتال حتى وصولهم الى ضفاف نهر الاردن في نهاية المعركة .

والرواية حافلة بشخصيات متنوعة . هناك « رامي » الفتى التل ابيبي ، ممثل كل شباب

اسرائيل وهو من دعاة الحرب : « قال رامي هامسا ، وكأنــه يخاطب نفسه : « لن تصدق ، انني أشتهي اندلاع الحرب ، لقد سئمت كل شيء . الاكــل ، والسهرات ، والسرير . انني بحاجة الى شيء يدفعني الى الامام . . . انني بحاجة ماسة الى الحرب، فأنا لا استطيع ان أقرر شيئا بالنسبة لي . صدقني لا قوة لي على ذلك . علي أن أقرر ماذا افعل ، أي مهنة اختار ؟ ومن هي المراة التي اتزوجها ؟ وأنا . . . » (ص ١)

ان الحرب بالنسبة له هي خلاص وحل لمشاكله الشخصية. وليس هذا فحسب انها كذلك حل لمشاكل الدولة في نظره : « .. الحرب فقط هي التي تعمل هذا كله . لولاها لبقينا كما كنا ، نبكي من البطالة ، ومن الهجرة ، ومن الانحطاط الاخلاقي ، ومــن الركود الاقتصادي ، ومن تخفيض قيمة الليرة ، ومن وقاحة الجيران » . (ص ٢٠) . ولكنه في النهاية وبعد أن ذاق أهوال الحرب ومآسيها ، يكرهها. ولكنه يدفع حياته ثمنا لعقيدته هذه في أحد الكمائن .

وهناك « ايتساك » رجل سلاح الاشارة الذي اشتــرك في حرب عام ١٩٤٨ ، وخاض حرب سيناء ١٩٥٦ ، ويستعد لخوض غمار حرب ثالثة كمحارب ذي خبرة . ان هــذا الرجل هو انسان هادىء وطيب القلب ، ويؤدي واجبه .

وهناك « ليفني » الذي كان يكره الحرب أكثر منهم جميعا . « لقد كانت الحرب بالنسبة له كارثة قوضت أركان عالمه ، لا لانها أخلت بنظام حياته الرتيبة ، الحياة العريقة لابن الاطباء الذي انهى دراسته منذ مدة وجيزة، بل لانها لمست أكثر نقاطه حساسية ــ وهي حياة الانسان (ص ١٥). لقد كان يكرر دائما قوله: « كيف أستطيع قتل انسان، في الوقت الذي كرست فيه حياتي لانقاذه » (ص ١٥) . وكان ليفني هذا هو الذي جسد لرفاقه في الوحدة معنى الحرب ومعنى الاستعداد لها ، وتوقع الاهوال البشعة التي ستنجم عنها : « لم يقض ليفني أيامه الاخيرة قبل الحرب مثلنا ، في حب اخير ، ومع أناس يحبون بعضهم . لقد حدثنا عن المستشفيات الكبيرة التي أخليت من المرضى ، وعــن غرف العمليات ، وعن الممرات التي غصت بالاسرة ، وعــن بنك الدم الذي جمــع آلاف الزجاجات . وعن تجهيزات أخرى دقيقة وموزونة بمنطق واحصاء دقيق لعدد القتلى والجرحى » (ص ١٦) . وكانت هذه التجهيزات الدقيقة والمنطقية مصدر فزع لمن على الجبهة في انتظار لحظة اعطاء اشارة البدء بالقتال . ويقول البطل القاص عن الانطباع الذي اجتاحه لدى سماعه عن التجهيزات الدقيقة : « حدثني ايتساك مرة ، انه في حرب ١٩٤٨ ، وقبل أن تهجم فرقته على القسطل وتحتلها ، سمعوا ضربات معول ، فذهبوا ليلا في صف طويل ، واذا برجال المستوطنة الزراعيــة يحفرون قبورا لابنائهــم الذين ذهبوا الى المعركة ! » .

وهناك « داني ران » المهندس الكيماوي (٣١ سنة) الشاب البسيط ، الذي لم يغير علمه وثقافته من طريقة تفكيره المستقيمة ، والذي يحب زوجته حبا خجولا ومكبوتا . انه يقضي وقته على الجبهة وهو في شوق جارف الى بيته وزوجته وأطفاله : « في الاسبوعين اللذين انقضيا منذ ان جندنا حتى بدء المعركة ، ذاب داني كالشمعة . رأيت العذاب على وجهه . كان يغني كالجميع ، ويضحك مع الجميع ، ولكن كان هناك غشاء من الحزن والشوق يلازمه » .

ثم هناك من يحتوي هذه الشخصيات جميعها ويراقبها ويعايشها ، انه البطل القاص ، ذلك القائد الشاب الذي لم يخض الا حربين ثم اصبح « أبا » للجميع ، وهو ما زال بعد في الثالثة والثلاثين من عمره . ولكنه يشعر أن الحرب جعلته أكبر من ذلك بكثير : « لقد كبرت مع ابناء جيلي لدرجة انه بامكان ابن الحادية والعشرين ان يدعوني ببساطة « أبي » ، وحتى دون أن يبتسم » (ص ٢) . وهو انسان لا يختلف عنهم في مخاوفه وفي

تخبطاته وفي ضيق صدره — ولكنه يركع ، اكثر منهم جميعا ، تحت نير المسئولية الملقاة عليه . وكل هذا من اجل التقليد المتوارث في الجيش الاسرائيلي « ورائي ! » .

وبالاضافة الى هذه النماذج توجد شخصيات كثيرة مرسومة بعناية ، ومأخوذة مـن الحياة بالفعل ، نقلتهم الحرب من حياة الهدوء والدعة، الى حياة القلق اليومي ، والخوف من المستقبل .

ومن الجدير بالذكر بالنسبة لهذه الرواية ، « تكنيك الانتقالات » عند المؤلف ، حيث كان ينقل القارىء بصورة تكاد توصف بالتسلسل من حرب عام ١٩٤٨ ، الى حرب عـام ١٩٥٦ ، ثم يجعله يعايش اللحظة الحالية من خلال حرب ١٩٦٧ وما تلاها . وبهذه الطريقة فان الاديب كان يضع أمام القارىء بانوراما للتراجيديا التي تعـم المجتمع الاسرائيلي الذي لا يفتأ يخوض الحروب ويخلق من أبنائه مجرد مقاتلين .

والنماذج التي في المؤخرة ، والنماذج على الجبهة ، وأوصاف المعاناة ومظاهر الصبر التي يعيشها اللاجئون العرب ، والعلاقة بينهم وبين الجنود الاسرائيليين ، وفي خلال هذا كله « الافكار الجنسية » التي تجتاح الشباب الاسرائيلي ، الذين حرمتهم الحرب مـن الاذرع والشفاه والاسرة الدافئة لحبيبات القلب ، والخوف — والحب والموت — كل هذه الموضوعات هي الاطار الذي تجري من خلاله احداث القصة ، والتي ملأ بها يجآل حفنتيه . ولذلك فان القصة تكاد تخلو من ابطال حقيقيين ، وان كان يمكن القول بأن الابطال الحقيقيين فيها هم : « الحرب والانسان والحياة » ، وكل ما يتفرع عنهم .

القصة القصيرة بين تبرير العدوان وكراهية الحرب

وفي مجال القصة القصيرة لن يتيح لنا المجال استعراض كل الاعمال التي كتبها الكتاب الاسرائيليون والتي تناولت من قريب أو بعيد أحداث حرب حزيران ١٩٦٧ ، أو ما بعد هذه الحرب . ولذا فاننا سنكتفي بعرض نموذج لقصة قصيرة تعبر عن اتجاه التبريرية للعدوان والتوسع الاسرائيلي بعد حرب حزيران ، وهي قصـة « شكسبير » للكاتبة الاسرائيلية شولاميت هرأوبين ، ونموذج لقصة قصيرة طويلة تعبر عن مزاج كراهية الحرب ورفض الموت ، وهي قصة « في بداية صيف ١٩٧٠ » للكاتب الاسرائيلي ابراهام بن يهوشع .

وتجري أحداث القصة الاولى « شكسبير » بعد حـرب حزيران ١٩٦٧ واحتـلال الاسرائيليين للقدس الشرقية . يعثر بطل القصة مصادفة بعد توحيد القدس ، وبينما كان يبحث عن اسم احد الموظفين في دليل التليفونات لكي يحدد معه لقاء ، على اسم انطون بشارة . ويتذكر البطل القاص هذا الاسم ، انه اسم صاحب الفيللا التي استولت عليها « الذئاب الشابة الجائعة » خلال احداث حرب ١٩٤٨ وعبثوا فيها ، واستحلوا لانفسهم الاستيلاء على كل ما وصلت اليه أيديهم مما كان فيها ، واطلعوا على اسرار عائلته من خلال المذكرات التي عثروا عليها في غرف أنجاله . ويغادر المحتلون تلك الفيللا بعد أن يستولي البطل القاص على احد كتب شكسبير من مكتبة أنطون بشارة . ويتذكر البطل القاص ان هذه الفيللا اصبحت الان عيادة للاسنان . وفي مونولوج واف تعطي الكاتبة على لسانه ما تريد ان تصل به الى الهدف من قصتها : « حينما رأيت اسم انطون بشارة في دليل التليفونات لم استطع ان احتمل كتاب شكسبير هذا عندي ولو للحظة واحدة أخرى بعد ذلك . لقد شعرت كما لو كانت عندي ، منذ احدى وعشرين عاما ، نقطة خفية من القلق ، سوف تهدأ وتستكين مع اعادة هذا الكتاب . . . انني لست في حاجة بعد الى كتابه . لقد مر الزمن وأنا أبحث عن شيء اتخذ منه جسرا بيني وبينه . فلأقابل ذلك الرجل الذي مرت بي في بيته تلك الليلة الغريبة . لن يكون ما سيجري أكثر من اتصال ، وأكثر من اعادة كتاب الى اصحابه ، واعادة الامور الى نصابها ، ذلك

النصاب الذي لم اعرفه في نفسي ، ولست أعرف كيف اسميه ، وكيف يمكن لانسان ان يبحث عنه . لقد أدركت الآن فقط منذ أن اندمجت القدس ، ومنذ ان وجدت اسمه فجأة ذات صباح تقليدي ، انني يجب ان اقابله وليكن ما يكون »(١٩).

ويذهب بالفعل للقاء انطون بشارة ، ويجري بينهما حوار مثير ، ينتهي بالنتيجة التي تتنبأ بها الكاتبة مقدما ، وهي رفض الانسان العربي أخذ الكتاب الذي أراد الاسرائيلي المغتصب اعطاؤه له ، وإذ به ، يعود قافلا وفي يده الكتاب مرة اخرى ، وفي يده كتاب شكسبير « يوليوس قيصر » . ان هذه القصة هي وثيقة قاطعة تحمل في ثنايا بنيتها الادبية ، وفي تضاعيف مضمونها الفني ، تفنيدا حاسما لكل ما تردده اجهزة الدعاية الصهيونية والاسرائيلية عن رغبتها في السلام مع العرب . ان الكاتبة تقدم في تفاصيل قصتها صورة حية رامزة لعملية الاغتصاب الدموي الذي قامت به الحركة الصهيونية متمثلة في « الذئاب الشابة الجائعة » ، لميراث الانسان العربي، على ارضه في فلسطين . انها تتحدث صراحة عن اغتصاب البيت العربي ، والملبس العربي ، والقوت العربي ، والارض العربية . انها تتحدث عن سلب الارض الفلسطينية روحها العربية الضاربة فيها منذ أبعد الاجيال .

وفوق ذلك فالكاتبة تقدم من خلال عملها الادبي للانسان الاسرائيلي المغتصب النهج الذي ينبغي عليه ان يسلكه تجاه صاحب الحق السليب . انها تقول صراحة للانسان الاسرائيلي الذي اغتصب البيت والارض ، انه اذا لاحت في نفسه صحوة من ضمير أو شاع فيها احساس بالجرم او الذنب بحق صاحب الحق الحقيقي ، فليس عليه الا أن يريح ضميره بأن يبدي استعداده الكريم للتنازل عن عرض شكلي لا يمت الى جوهر الحق السليب بصلة ، وان يخاطب صاحب الحق العربي ليعرض عليه هذه المكرمة المتمثلة في تنازله عن نسخة قديمة بليت أوراقها من احدى الروايات الكلاسيكية لشكسبير . ان الكاتبة ، ممثلة للادب الاسرائيلي الموجه والمجند لخدمة الاغراض السياسية الصهيونية ، ولبث القيم الخاصة في نفس الانسان الاسرائيلي ، تقدم هذا النهج من السلوك وتتنبأ مقدما بنتيجته التي تكفل للضمير الغاصب راحة زائفة ، وذلك عندما تقرر في قصتها ان صاحب الحق العربي سيرفض هذا العرض . وبهذا فانه يكون هو الرافض للتفاهم ، والمصر على العناد القائم على العداء . وفي هذه الحالة لا يكون امام ضمير العدوان الا ان يسيطر ويواصل عدوانه ، وكأن هذا هو رد فعل طبيعي للعناد العربي وللرفض العربي للتفاهم وقبول ما يعرض عليه . انها محاولة توجيهية لضمير الانسان الاسرائيلي حتى لا تعذبه عقدة الذنب ، وحتى يستبيح لنفسه العيش في راحة وهمية بعيدا عن مطاردة شبح الضحية .

في بداية صيف ١٩٧٠

تعكس هذه القصة القصيرة الطويلة بحدة شعرية انفعال الانسان الاسرائيلي بعد حرب حزيران ، وخصوصا في فترة حرب الاستنزاف حين كانت اخبار موت الجنود تجعل المواطن العادي يرهب ساعات نشرة الاخبار في الاذاعة وساعات صدور الصحف !

وملخص هذه القصة ان معلما ، المفروض ان يتقاعد عام ١٩٦٧ يرفض التقاعد ويقرر مواصلة العمل لان المعلمين الشبان استدعوا للخدمة العسكرية ويريد أن يسد ثغرة من الثغرات التي يتركونها . وخلال مواصلته للعمل ، يعود ابنه الوحيد من الولايات المتحدة الامريكية بعد أن طاف العالم من أقصاه الى أقصاه ، وعاد بروفسورا شابا ، ومعه بالاضافة الى الشهادة زوجة شابة ، مثل زهرة ، وطفل صغير . ولا تتكلم الزوجة وابنها الا الانجليزية ، ولذا فان البروفسور يتعامل مع عائلته الصغيرة بالانجليزية . ويستقبل المعلم العجوز ابنه وزوجته وحفيده بحرارة ، ويبهره كل شيء فيهم ، الثقافة الواسعة ،

والانطلاق الحقيقي في العادات والسلوك ، والافق الفكري والاجتماعي المنطلق ، حتى ليعتقد المعلم العجوز ان ولده وزوجته قد وقعا في حرم الجامعة الامريكية في أسر الافكار اليسارية الجديدة . وبسرعة ينتقل البروفسور الشاب مع عائلته الى القدس حيث يعمل استاذا في الجامعة ، ثم يجند . وتتوالى الاحداث بسرعة ، فاذا بالمعلم العجوز ، يتلقى خبرا يفيد ان ابنه قتل في صدام مع « العدو » في وادي الاردن . ويسافر الاب المرعوب الى القدس ويصل الى بيت ولده ، فلا يجد كنته ، بل يجد امرأة عربية عجوزا تنظف الدار . ويذهب مرعوبا الى روضة الاطفال القريبة ليقتاد حفيده الى البيت — يريد ان يحمل حفيده لان فيه رائحة ابنه . ويذهب الى المستشفى ليتعرف على جثة ولده ، ثم لتجري العملية الروتينية عملية دفن « الشهيد » الجديد !!

ولكن ... وهنا يحدث تحول صارخ في الرواية . يكتشف الوالد ان الجثة التي يظن المسئولون العسكريون انها جثة ابنه ليست في الحقيقة جثة ابنه . وهنا ، تستيقظ آمال الاب . ويبدأ الصراع الضاري الذي يتفجر بالانسانية ، بين أمل الاب في ان ابنه ما زال حيا يرزق وبين خوفه من الآمال الفارغة . ويروح المعلم الشيخ يحضر خطابا في الصف الثاني عشر في المدرسة لتوديعه . هذا الصف الذي سيذهب الى الجيش . اذن فان المدير سوف يعطي المعلم الثاكل الفرصة النادرة ، فرصة بث الروح المعنوية في جنود المستقبل !!

وبعد ذلك يذهب المعلم الشيخ مع « الحاخام العسكري » الى المعسكر الذي كان ينتمي اليه ولده . ويقتادون الوالد المبرح بكاء وعذابا الــى وادي الاردن للاتصال بالقيادة الامامية للمعسكر ، لتقصي مصير ابنه . وفي وادي الاردن ، تكون الفرقة قد ابلغت بكل تعقيدات القصة ، وحين يصل الوالد يستقبلونه ، ويخبرونه بسرعة بأن ولده حي يرزق. وبعد وقت قصير تعود الدبابات من « مهمة » وينزل الجنــود واحدا واحدا ، ثم ينزل ولده . وهكذا ينبعث الابن من جديد ، بعد ان مات طوال يوم كامل ، وبعد ان أبنه والده ولبس عليه بذلة سوداء تتناسب مع المصاب الجلل ، وخلال هذا تكون الزوجة ايضا قد جاءت واطمأنت وينامان الى الصباح ، في المعسكر .

القصة باختصار اذن ، هي أن الوالد يبلغ خطأ بأن ابنه قــد مات ، وخلال يوم يكتشف كذب هذا الخطأ . وهكذا فان « أحداث » القصة بسيطة حقا ، « لا تكفي » لتكون خيوط قصة طويلة . ومع هذا ، فان قوة هذه القصة في عنفهــا ، ليس في الاحداث ، بــل في الرداء العاطفي الرائع من الافكار والتخيلات والهواجس والاحلام ، التي تملأ قلب بطل القصة ــ المعلم العجوز ــ الذي تروي كل القصة على لسانه ، بضمير المتكلم . كذلك فان سير الاحداث في القصة لا يأتي « منطقيا » ، من البداية الى النهاية ، بل أن هناك اختلاطا عجيبا ، رائعا ، بين الاحداث والمشاهــد ، اختلاطا ، هــو من الناحية الفنية والفكرية ، تعبير صادق عن ذهول الوالد ، وعن ضياع حدود الزمان والمكان في ذهنه ، وهو يواجه موقفا رهيبا غير عادي . لو تأكد أن ولده مات فعلا لواجه الموقف بالصبر ، او بالانهيار ، ولو تأكد أن ولده لم يمت لانتعش ، ولكنه خلال كل احداث القصة كــان معلقا بين الانهيار والامل ... ومن ناحية أخرى ، فاننا نعتقــد أن كل الوصف القوى لشخصية البروفسور الشاب ، ولشخصية زوجتــه الامريكية الشابــة ، ولشخصية الطفل ، وللعلاقات بين هذه العائلة الصغيرة ، ولافكــار البروفسور وزوجته ، تعطي عنفا خاصا لحبكة الرواية ... هذان الشابان اللذان يتفجران حيــاة وجدية ، اللذان جمعهما القدر في امريكا ، يؤمنان بالسلام وبالحرية ، ويحملان افكارا انسانية عالمية . ابعد هذا يموت البروفسور على مذبح القومية المتعصبة ؟!

لقد تمكن بن يهوشع ، في أسلوب مكثف من ناحية ، في سرد يشبه الهذيان ، او نقــل يشبه أحلام اليقظة عند انسان مرعوب ــ تمكن من طرح قضية من القضايا امام المجتمع

الاسرائيلي في قوة صارخة . . . ويخيل الي ان اللقاء التعيس بين الوالد اليهودي الثاكل، وبين الامرأة العربية التي تعمل في بيت يهودي لتعيش ، والتي تحب الطفل ، وتطعمه بحنان حقيقي يزيد الرواية حدة . وكل مأساة المعلم العجوز تجري دون أن يقدم المؤلف، خلال سير الرواية ، أي ذكر للعرب ، اللهم الا شخصية العجوز التي تنظف البيت . ولا شك أن سرد كل القصة بضمير المتكلم ، من خلال ما يمكن أن نسميه « التجاهل » التام للقارىء ، كأنما المتكلم يحكي مأساة لنفسه ، او لضمير العالم ، لا شك ان هذا قد زاد من قوة تأثير القصة .

ومن ناحية أخرى ، فان الكاتب يبدو ، بعد دراسة متأنية للقصة ، الى أي حد دقيق في استخدام الكلمات . وهكذا تصبح كلمة واحدة أو جملة بمثابة اشارة صارخة تفتح أمام القارىء مجالات للتفكير والتأمل. ومن هذا مثلا مشهد حديث والد البروفسور في المعسكر مع الجنود . هذا الحب الجارف الذي يبديه الجنود له ، كان حبا للابوة وحبا للحياة : « انهم يرتجفون — شيء ما في قصتي يجعلهم يرتجفون فجأة . وبينما كانت عليهم المناشف ورائحة الصابون ، فانهم يسكتون الترانزستورات ، وينسون انهم كانوا في الحمام . ويمسكون بي من ذراعي ويوقفونني — يشتمون الجيش ، وضابطا ما » .

وفي مكان آخر يصف كيف يعد الجنود بظمأ كم سبت بقي لهم في الخدمة حتى اليوم المرتقب — يوم التحرير من الخدمة العسكرية . وهذا مجرد مثل ، ولكن القصة في الواقع غنية جدا بمثل هذه الاشارات ، كما أن بعض الاصطلاحات تعبر بسطوع عن مزاج كراهية الحرب ، عن مزاج رفض الموت ، واحيانا عن مزاج الوقفة المتسائلة الحائرة ، أمام الواقع الرهيب . . والمستقبل الغامض ، وهذه الرواية باعتراف النقاد العبريين ، من أحسن الاعمال الادبية العبرية بعد حرب حزيران ١٩٦٧ واكثرها اثارة ، وهي من حيث ارتباطها ببن يهوشع تعبير صادق عن معاناته المريرة والمتواصلة في التفكير بهذا الواقع ، تعبير عن بحثه ، وتساؤلاته ، واحلامه . وفي الرواية يعيش الكاتب المأساة بحق ويحاول البحث عن نقطة ضوء حقيقي الى مستقبل بلا اعلانات حداد . بلا موت في الجبهة . بلا استشهاد — عن مستقبل آمن فعلا .

---

١ — أهارون امير ، « من الخوف — الى التخطي » ، **معريف** ١٩٦٩/٥/٢ ص ١٣ .

٢ — حانوخ برطوف ، «المنتصرون والمحاصرون»، **معريف** ١٩٦٩/٥/٩ ص ١٣ .

٣ — يورام كنيوك ، « كل جيل يسلم الاخر — السيف والدهشات » ، **معريف** ١٩٦٩/٤/٢٥ ، ص ٢٧ .

٤ — يورام كنيوك ، **المرجع السابق** .

٥ — باروخ كورتسفيل ، **معريف** ١٩٦٨/١٠/١٣، ص ١٨ .

٦ — **حديث المحاربين** ، (فصول انصات وتأمل)، اصدار مجموعة من الاصدقاء الشبان في الحركة الكيبوتسية ، الطبعة الخامسة ، اكتوبر ١٩٧١، ص ٢٥٤ .

٧ — **نفس المرجع** ، ص ٢٦٠ .

٨ — **نفس المرجع** ، ص ٢٦٠ .

٩ — يجال يادين ، « مكشوفون في برج الدبابة » لشبتاي طيبت ، **هاآرتس** ١٩٦٨/٣/١٥ ، ص ١٠ .

١٠ — دكتور يهودا فالخ ، « كيف شكل الفولاذ »، **هاآرتس** ١٩٦٨/٣/١ ، ص ٣ .

١١ — زئيف شيف ، « مكشوفون في برج الدبابة » لشبتاي طيبت، **هاآرتس** ١٩٦٨/٤/٣٠، ص٢٣.

١٢ — **المرجع السابق** .

١٣ — د. يهودا فالخ ، **المرجع السابق** .

١٤ — زئيف شيف ، **المرجع السابق** .

١٥ — عوزي بنيامين ، « بوب والسياسة » ، **هاآرتس** (الملحق) ١٩٧٠/٩/٣٠ ، ص ٢٠ .

١٦ — عوزي بنيامين ، **المرجع السابق** .

١٧ — موشي ديان ، **معريف** ١٩٧٠/٥/١٧ ، ص ١٠ .

١٨ — النص مترجم عن « **هعولام هـازه** » ١٩٧٠/١٢/٩ ، ص ٢٠ — ٢١ .

١٩ — راجع ترجمة القصة الى العربية عن العبرية بقلم رشاد الشامي في « **الاسبوع العربي** » ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧١ ، ص ٤٠ .

٢٠ — ابراهام بن يهوشع ، « في بداية صيف ١٩٧٠ » ، **هاآرتس** ١٩٧١/٤/١٥ ، ص ١٤ — ١٥ .

الاعلام الصهيوني في مواجهة تحدي المقاومة

غيث نجيب الارمنازي

كان من جملة ما أحدثه بروز شأن المقاومة الفلسطينية بعد حرب حزيران قيام حملة اعلامية « فلسطينية » تتمايز في كثير من خصائصها عن الاعلام العربي الرسمي الذي لم يعرف له بديـل الى ان نشأ اعلام المقاومة . وقد ظهر تأثير الاعـلام الفلسطيني من خلال عاملين رئيسيين . اولهما وأهمهما تصاعد نشاط الفدائيين العسكري وتسارع اجهزة الاعلام العالمية الى تغطية هذا النشاط وتحليل طبيعته وابعاده مما ادى الى تسليط الاضواء على هذه الظاهرة الجديدة التي اضافت باجماع المعلقين بعدا جديدا على « أزمة الشرق الاوسط » . فمنذ معركة الكرامة في آذار ١٩٦٨ وحتى مجازر ايلول عام ١٩٧٠ ظلت انباء المقاومة الفلسطينية تحتل أمكنة الصدارة في الصحف الغربية فضلا عن اهتمامات الاوساط الاذاعية والتلفزيونية . فكان « الاعلام » الفلسطيني من هذه الناحية مجرد رد فعل طبيعي ومتوقع على الصعيد العالمي لانجازات عسكرية وسياسية حققتها المقاومة في نطاق نشاطها الفلسطيني والعربي . كما كان هذا النوع من الاعلام في مجمله لا يرتكز على خطة محكمة ذاتية لدى المقاومة ولم يكن بالتالي يتصف في كليته أو حتى في اكثريته باتجاه ودي نحو المقاومة بل على العكس كان هدف معظم اجهزة الاعلام الغربية ابراز النواحي السلبية في المقاومة (كالتشديد كثيرا مثلا على الانقسامات في صفوفها) ومع ذلك فقد ادى في نتيجته ـــ شاءت تلك الاجهزة ام ابت ـــ الى اكتساب المقاومة شهرة عالمية واصبح الحديث عن ازمة الشرق الاوسط دون اعتبار اساسي لدور المقاومة في تلك الازمة امرا غير طبيعي بنظر الاكثرية الساحقة من المعلقين الصحفيين المهتمين بشؤون الشرق الاوسط (وقد تقلص كثيرا دور المقاومة بعد مجازر ايلول بنظر هؤلاء المعلقين ولم يبق اليوم سوى الكلام الذي يردده بعض الافتتاحيات عن ضرورة دخول « الطرف الفلسطيني المعتدل » في معادلة الحل السياسي اي الطرف غير المقاتل المتمثل في بعض قيادات الضفة الغربية) .

اما العامل الثاني الذي ادى الى انطلاقة الاعلام الفلسطيني فقد تمثـل بنشاط المقاومة الداعي من خلال المؤسسات الاعلامية التي اقامتها او اقامها بالنيابة عنها انصارها اما في داخل المنطقة العربية او في الخارج . فبالنسبة للخارج لعبت خلايا المنظمات الفدائية ـــ وخاصة خلايا فتح ـــ بالتعاون مع المنظمات الطـلابية العربية دورا بارزا في دفـع الاعلام الفلسطيني الى الامام وفي تحويل الاعلام « الموضوعي » الناجم عن العامل الاول المذكور اعلاه الى اعلام « ذاتي » منظم يأخذ شكل حملة محددة المنطلقات والاهداف . فقد انشئت مثلا صحف ومجلات تنطق بشكل شبه رسمي بلسان المقاومـة نذكر منها Free Palestine في كـل مـن بريطانيـا والولايات المتحـدة و Fedayin في فرنسـا و Resistancia في المـانيا الغربية . كما شكلت تنظيمات عربية واجنبية كثيرة في الغرب لدعم الكفاح الفلسطيني دخلت فيها المقاومة عضوا وحاولت من خلالها التأثير على الراي العام واقامة درجات من الحوار والتعـاون مع كافة المنظمـات الطلابية والسياسية الغربية خاصة تلك التي درج على تسميتها بـ « اليسار الجديد » .

ان الغرض من هذا البحث هو رسم صورة لرد الفعــل الصهيوني الذي رافق هذا المد الاعلامي الفلسطيني وتحديد بعض ملامحــه وخطوطه العامة علمــا بان الامثلة التي اخترناها من الاعلام الصهيوني تمثل نزعات مختلفة ـ رسمية وغير رسمية ـ قد لا ترتبط بجهاز اعلامي صهيوني مركزي ولكنها موحدة الهدف في التزامهــا الصهيوني ، يمينا كانت أم يسارا ، معارضة للحكومة الاسرائيلية ام موالية لها . فالاعلام الصهيوني يحمل في اطاره كثيرا من التناقضات الداخلية ولكن جميع فروعه ونزعاته ـ مهما تباهت في استقلاليتها ومهما « تطاولت » في انتقادها للفروع الاخــرى ـ تصب في النهاية في مجرى واحد . فاليمين واليسار والوسط الصهيوني يدرك كيف ومتى يتوجب «الافتراق» لكسب تأييد قطاعات معينة من الرأي العام الغربي تشاطره منحاه الايديولوجي وكيف ومتى يتوجب في النهايــة « الالتقاء » لكي ينعم الجميــع كجسم صهيوني واحد بتلـك المكاسب . وكما سنرى فان « وظيفة » مكافحة نشاط المقاومــة الفلسطينية الاعلامي حلت بالدرجة الاولى من « نصيب » الجناح اليساري في الحركة الصهيونية لكون ذلك النشاط قد اثر اكثر ما اثر في صفوف اليسار الغربي .

منذ حرب حزيران والمسؤولون عن الاعلام الصهيوني يراقبون بقلق وحذر تحول اجزاء كبيرة من اليسار الغربي عن مواقفها التقليدية المؤازرة لاسرائيل . فقد اصبح هاجسهم على الاخص تيار معاداة الصهيونية وتأييد حــركة المقاومة الفلسطينيــة الذي اخترق صفوف اليسار الجديد وسيطر عليه او كاد . فقد وضع هؤلاء المسؤولون كل ثقلهــم لمواجهة هــذا التيار بالذات بالاضافــة الى تيــارات اقل شمولا ظهرت في اوســاط « الاشتراكيين الديمقراطيين » و « الليبراليين » . فقد كتبت مجلة « تيارات يهودية » الصادرة في نيويورك تقول بهذا الصدد « ان حق اسرائيل في البقاء كدولة يهودية ، حتى فيما بعد التوقيع على اتفاقية السلام مع جيرانها العرب ، اصبح خاضعا للتساؤل وللنفي من قبل جهات عديدة ومن ضمنها أوساط ومنشورات يسارية . فجريا وراء فتح التي تدعو الى امتصاص اسرائيل داخل فلسطين ديمقراطية وغــير طائفية اصبح بعــض الراديكاليين يعتقدون ان رغبة اليهود الاسرائيليين في العيش كشعب صاحب سيادة في دولتهم هو من قبيل التزمت القومي غير المعقول »(١).

واذا اردنا تلخيص المواضيع التي ركزت عليها الدعاية الصهيونية للرد على اعلام المقاومة ولمحاولة اعادة اليسار الغربي الى حظيرتها فيمكن وضعها ضمن اربع قضايا رئيسية هي : ١) قضية الدولة الديمقراطية الفلسطينية ٢) قضية علاقة اسرائيل بالامبرياليــة ٣) قضية عنصرية اسرائيل ٤) قضية تقدمية حركة المقاومة .

الدولة الديمقراطية الفلسطينية

لقد أدى طرح المقاومة شعار اقامة الدولة الديمقراطية الفلسطينية الى اضطــراب كبير في صفوف القائمين على الاعلام الصهيوني الــذي كان سندهم الاكبر في المــاضي اعتمادهم على فرضية « القاء اليهود في البحر » لكسب عطف الــرأي العام العالمي . فكان لا بد لهم من مواجهة دعوة ليس فقط لا تطالب بالقاء اليهود في البحر ـ كما كانوا ينقلون عن لسان المتحدثين العرب في الماضي ـ بل تدعو بالعكس الى مبــدأ المشاركة والى اعتبار غزاة الامس واليوم مواطني المستقبل في دولة واحدة لا طائفية ولا عنصرية . فقد ادركت الدعاية الصهيونية ان مشروع الدولة الديمقراطية سيلاقي ترحيبا لــدى قطاعات واسعة غربية تقدمية وليبرالية تمرست وتربت على مبادىء معاداة العنصرية وفصل الدين عن الدولة وتعايش الاديان والاجناس فدأبت على مقاومة مفعوله بالاستناد الى منطلقين رئيسيين .

أول هذين المنطلقين كان التركيز على الادعاء بان المقاومة الفلسطينية لا تعني ما تقوله

وان شعار الدولة الفلسطينية الديمقراطية هو مناورة تكتيكية لكسب تأييد الراي العام العالمي . ومن ابرز الاسرائيليين الذين تصدوا لهذا الشعار على اساس « سوء نية » مطلقيه الدكتور يهوشافاط هركبي الذي شغل في الماضي مسؤوليات في جهاز المخابرات الاسرائيلي واصبح اليوم خبيرا في الشؤون العربية عامة وفي شؤون المقاومة خاصة . فقد نشر هركبي عام ١٩٦٨ كتيبا بواسطة مؤسسة الدراسات الستراتيجية (البريطانية) بعنوان « العمل الفدائي والستراتيجية العربية » كما ان له مقالات عديدة في الصحافة الصهيونية والعالمية يعالج فيها شؤون المقاومة ويحاول باسلوب « علمي » الرد على مواقفها السياسية والاعلامية والتشكيك بمقدرتها العسكرية . ففيما يتعلق بشعار الدولة الديمقراطية يحاول هركبي مثلا في كتيبه المشار اليه ايجاد تناقض بين دعوة فتح لاجل قيام الدولة الديمقراطية وبين برنامجها العسكري والسياسي الستراتيجي لتحرير فلسطين وهو ينقل لهذا الغرض فقرات يذكر انها وردت في كراس « دراسات وتجارب ثورية » وفيها اشارة الى ضرورة العمل لاجل انقراض المجتمع الصهيوني . وفي بحث اخر بالانجليزية بعنوان « معنى الدولة الديمقراطية الفلسطينية »(٢) يشكك هركبي في موقف المقاومة ككل من شعار الدولة الديمقراطية بالاستناد الى الاوراق التي قدمتها الجبهة الشعبية الديمقراطية الى المؤتمر السادس للمجلس الوطني الفلسطيني والتي نشر محتواها في بيروت عام ١٩٦٩ . فاعتمادا على تلك الاوراق وعلى تعليقات صحفية ظهرت في ذلك الحين (لا سيما في مجلة « الحرية » البيروتية) يقول هركبي انه كان هناك انقسام كبير في الراي داخل صفوف المقاومة حول شعار الدولة الديمقراطية وان جزءا فقط من اعضاء المجلس الوطني كان يؤيد تبني ذلك الشعار . وينتقل الكاتب من ثم الى التصدي لموقف الجبهة الديمقراطية بالذات الداعية اكثر من غيرها ، في رأيه ، للالتزام بشعار الدولة الديمقراطية والذاهبة ابعد من غيرها في مسألة الولوج في تفاصيله ، يتناول هركبي بالتعليق حديث نشر لنايف حواتمة في مجلة الطليعة فيقول : « ان اقتراح الدول المزدوجة القومية الذي تتبناه جماعة « متسبن » ليس تقدميا بالدرجة الكافية بالنسبة لحواتمه . فحقوق اليهود القومية لا تتعدى حسب رأيه الاستقلال الثقافي لجالية دينية . وهو بذلك لا يأتي بجديد اذ كان السيد الشقيري مستعدا لمنح الشيء ذاته »(٣). ويتابع هركبي كلامه فيجزم ان هناك تناقضا بين موقف الجبهة الديمقراطية من شعار الدولة الديمقراطية وعضويتها في منظمة التحرير وقيادة الكفاح المسلح الفلسطيني آنذاك وبالتالي تعاونها مع جهات يمينية لا تعترف بذلك الشعار . كما يدعي ان « تطرف » الجبهة الديمقراطية في عدائها للحل السلمي وتمسكها بمبدأ الكفاح المسلح يشكل في الواقع الخطر الاكبر على حياة اليهود ويقول بهذا الصدد : « يجب الاخذ بنظر الاعتبار ان موقف الجبهة الديمقراطية ليس معتدلا ولا مصالحا . فبالنسبة للصراع العربي الاسرائيلي السؤال السياسي المطروح حقيقة هو ما هي النظرة تجاه اسرائيل كدولة وتجاه سيادتها . ان الجبهة الديمقراطية قد رفضت رفضا قاطعا حق اسرائيل في البقاء كدولة وكأنها هنا تعوض عن ليونتها تجاه اليهود الافراد باعتمادها القساوة ازاء دولتهم »(٤). ويخلص هركبي الى القول بان « شعار الدولة الديمقراطية مع تضمنه اعترافا معلنا بحقوق جزئية للاسرائيليين يعتبر **تراجعا** بالنسبة للمواقف العربية على الرغم من قوة قناعته الدعائية والدبلوماسية »(٥). اما المواقف العربية السابقة التي يشير اليها الكاتب فهي على الارجح تلك المتعلقة مثلا بقبول قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الذي يعترف بسيادة اسرائيل ضمن حدود آمنة .

وقد نشر هركبي ايضا في « نشرة مكتبة واينر » التي تصدر في بريطانيا تعليقا على البيان المشترك الذي اصدرته القيادة الموحدة للثورة الفلسطينية بتاريخ ٦ ايار ١٩٧٠ . وقد اشار البيان في مادته الخامسة الى ان هدف الكفاح الفلسطيني هو تحرير فلسطين كاملا

حيث سوف يتعايش جميـع المواطنين ويتساوون في الحقوق والواجبات ضمن اطار اماني الامة العربية في الوحدة والتقدم . وحول هذه الفقرة بالذات يقول الكاتب : « على الرغم من انه لن تكون هناك تفرقة في الدولة المحررة (على صعيد الافراد) الا انه لن يعترف باليهود كجماعة . وفضلا عن ذلك فان هذه الدولة لن تكون مزدوجة القومية كما يلمح اليه بعض المتعاطفين مع العرب، فمع ان حقوق المواطنين وواجباتهم متساوية فان الدولة تبقى عربية »(٦). وهنا يشير هركبي الى حجة كثيرا ما يستعملها الناطقون الصهيونيون في محاولتهم للتشكيك بشعار الدولة الديمقراطية الا وهي الادعاء بأن ثمة تناقض بين ذلك الشعار وشعار عروبة فلسطين او الدعوة للوحدة بينها وبين الدول العربية الاخرى .

كما تناول هركبي بالتعليق المادة الثانية عشرة من البيان المشار اليه وهي المادة التي تؤكد على ضرورة القضاء قضاء مبرما على الكيان الصهيوني ولا تعير اهمية للحركات المضادة للصهيونية داخل اسرائيل لصغر حجمها وتأثيرها . يقول الكاتب « ان هذه المادة تعكس الجدل القائم حول اليسار الاسرائيلي ومدى قدرته على تغيير طبيعة الدولة . . . فمتسبن على الرغم من ذكر الجبهة الديمقراطية لها كشريكة محتملة للحوار تعد غير تقدمية بالدرجة الكافية لانها لا تقبل بوجهة النظر العربية الا بتحفظ . وبالتالي فان احتمال قيام القوى التقدمية بتبديل شخصية اسرائيل هو احتمال مرفوض فمجرد فكرة اسرائيل ووجودها مقترنان الى الابد بمفهوم الشر ، ان لمثل هذه النظرة مدلولا بالنسبة لنطاق عملية الافناء التي يجري تصورها ، فهذه العملية ليست مقتصرة على الوجود السياسي لاسرائيل بل تصل الى حد الافناء الكامل لمؤسساتها الاجتماعية والثقافية . ولكن سواء صرح عن ذلك ام لم يصرح فان القضاء على مؤسسات اجتماعية وثقافية يعني ضمنا ، بالطبع ، افناء شعب »(٧). ونأتي هنا ايضا الى ادعاء يتكرر كثيرا على السنة الناطقين الصهيونيين وهو القول بأن القضاء على المؤسسات الاسرائيلية الصهيونية يؤدي في الواقع الى القضاء على الشعب اليهودي بأكمله (ويحلو لهم بشكل خاص استعمال كلمة Genocide لما توحيه للرأي العام العالمي من معان تذكره بجرائم النازية) . فمنطق الاعلام الصهيوني يرتكز على ان هناك تلازما مطلقا بين الشعب اليهودي في اسرائيل ومؤسساته الصهيونية التي سيدافع عن وجودها حتى اخر رمق ، فلا فائدة اذن من محاولة فصل هؤلاء اليهود عن صهيونيتهم وبالتالي فان حرب التحرير ستؤدي اذا انتصرت الى مذبحة او الى « القاء اليهود بالبحر » بغض النظر عن نوايا المقاومة من الناحية النظرية . ولا يخفى على احد مدى حاجة الاعلام الصهيوني للتوكيد باستمرار على بقاء « خطر افناء الشعب اليهودي » الذي در عليه في الماضي فوائد جمة والذي بات مشككا فيه اثر طرح شعار الدولة الديمقراطية . وهذا ما يحدو بهركبي وبكثيرين غيره الى الاهتمام كثيرا باعادة شبح ذلك « الخطر » الى سابق عهده وفاعليته .

ومن « الحجج » الرئيسية الاخرى التي اعتمدها الاعلام الصهيوني لمجابهة شعار الدولة الديمقراطية استنجاده بالمادة السادسة من الميثاق الوطني الفلسطيني للدلالة على سوء نية حركة المقاومة . وقد ذكر هركبي ما يلي في محاضرة القاها في جامعة تل ابيب يوم ١٨ ايار ١٩٦٩(٨): « على الرغم من أن ثقة العرب في قدرتهم على تحقيق هدفهم قد تزعزعت بعد حرب الايام الستة فان تطرف القيادة الفلسطينية الموجودة خارج البلاد قد ازداد نتيجة لتلك الحرب . ان هذا يمكن استنتاجه من مقارنة الميثاق (الوطني الفلسطيني) في صيغته الاولى في ايار ١٩٦٤ ، خلال زمن الشقيري ، بالصيغة اللاحقة التي نتجت عن تأثير يحيى حموده وياسر عرفات وذلك بالنسبة لمستقبل اليهود في الدولة الفلسطينية العربية الحرة بعد ان يتم تحريرها وافناء اسرائيل . فمن الامكان تفسير الصيغة الاولى بحيث نتوصل الى اعتبار اليهود الذين كانوا يقطنون فلسطين عام ١٩٤٧

فلسطينيين ، اي انهم سيتمكنون من البقاء ، بينما في الصيغة الجديدة التي اعتمدت بعد اعادة النظر في الميثاق في الجلسة الرابعة للمجلس الوطني (تموز ١٩٦٨) هناك اعلان صريح بان فقط اليهود الذين كانوا مقيمين بشكل دائم في فلسطين قبل ١٩١٧ سيعترف بهم كفلسطينيين »(٩). وهكذا تصبح المقاومة ــ بنظر هركبي ــ اكثر تعصبا حيال يهود فلسطين حتى من الشقيري (رمز « التطرف العربي » سابقا) وذلك على الرغم من تبنيها « ظاهرا » لشعار الدولة الديمقراطية حيث يعترف منها لجميع اليهود بحق المواطنة . وقد خص هركبي لموضوع الميثاق الوطني الفلسطيني مقالة بكاملها نشرتها صحيفة معاريف الاسرائيلية(١٠). وقد تناول الكاتب بالتعليق مواد الميثاق بندا بندا وعند وصوله الى المادة السادسة ذكر ما يلي : « ان الصيغة المعدلة لهذه المادة تدل على تطرف في وجهة النظر العربية الفلسطينية وتحتوي على دليل واضح عن طبيعة الشعار الذي يطلقه الزعماء العرب عن (الدولة الديمقراطية اللامركزية) . ان مثل هذا الشعار الذي يعبر عنه في الواقع بالقضاء على مليونين واربعمئة الف يهودي انما هو من قبيل ذر الرماد في العيون »(١١). ثم يتابع الكاتب تهجمه فيقول : « يضيف المتحدثون العرب بان الهدف هو ان تصبح الدولة الفلسطينية علمانية ، على عكس اسرائيل التي يشجبونها لكونها قائمة على مبدأ ديني . لكنه جدير بالملاحظة ان جميع دساتير الدول العربية (باستثناء لبنان) تنص صراحة على اعتبار الاسلام دينا للدولة . ان الدستور السوري لعام ١٩٦٤ ينص على ان رئيس الدولة يجب ان يكون مسلما . وفي غالب الدساتير هناك تأكيد على ان الشريعة هي مصدر قوانين الدولة . لقد ناشدت فتح مؤتمرا عقد في جامعة الازهر في ايلول ١٩٦٨ لكي يوصي باعتبار التبرع للفدائيين زكاة ، والحرب ضد اسرائيل جهادا . فهكذا يشنون حربا دينية لاقامة دولة علمانية . كذلك فان تاج الديمقراطية الذي يزين المتحدثون الفلسطينيون به رؤوسهم يثير ايضا الشك نظرا لفشل العرب في اقامة انظمة ديمقراطية »(١٢).

ان الفقرة المذكورة اعلاه تحتوي على ثلاثة خطوط اعلامية « نموذجية » صهيونية . أولها طبعا نص الميثاق الوطني الفلسطيني حول تعريف « الفلسطينيين » والقفز من ثم الى الجزم بأن معنى ذلك هو طرد كل اليهود الذين لا يطالهم هذا التعريف من ارض فلسطين المحررة على عكس ما يفهم من شعار الدولة الديمقراطية . اما الخط الثاني فهو التشديد على « اسلامية » المحيط العربي و « تناقض » ذلك مع الدعوة « لعلمنة » فلسطين . كما ان الخط الثالث ينفي صفة الديمقراطية عن الدول العربية بمجملها وبالتالي يستنتج بأن دولة فلسطينية عربية ستذهب بما ذهبت اليه باقي الدول العربية . وبالاضافة الى المنطلق الاعلامي الصهيوني الذي يعتبر اطلاق شعار الدولة الفلسطينية خدعة تكتيكية تضمر نوايا مبطنة شريرة ، هناك منطلق اخر «يعترف» او يكاد بحسن نية الفلسطينيين ولكن يرفض شعارهم لانه في الواقع « يتعذر تحقيقه » لاسباب وظروف موضوعية وذلك على الرغم مما يتضمنه نظريا من صفات ايجابية . ولقد تجند لاظهار مدى « عدم قابلية هذا الشعار للتحقيق » فئات ومنظمات صهيونية « يسارية » على راسها حزب مابام . ومن ضمن تلك المنظمات ايضا جمعية تشكلت في تل أبيب عام ١٩٦٨ سمت نفسها « رابطة السلام » . وقد وزعت هذه الجمعية على نطاق واسع جدا كراسا يحمل عنوان « أربعة حلول للمسألة الفلسطينية » تلقى نسخا عنه العديد من رجال الصحافة واصحاب الرأي والفكر في الغرب وخاصة اولئك الذين عرف عنهم ميلهم نحو وجهة النظر العربية . والكراس عبارة عن عرض لاربعة حلول مطروحة على ساحة النزاع الفلسطيني ــ الاسرائيلي لايجاد تسوية له . هذه الحلول هي ١) القضاء على اسرائيل ٢) فلسطين وضمنها اقلية اسرائيلية ٣) اسرائيل وضمنها اقلية فلسطينية ٤) اسرائيل والفلسطينيون امتان منفصلتان . ان الحلول الثلاثة الاولى ــ بنظر

الرابطة ــ لا تشكل حلا بالمعنى الصحيح لانها تؤدي الى استمرار النزاع . وتبرز الرابطة بالمناسبة « تقدميتها » برفضها لمشروع الحل رقم ٣ وهو الحل الذي يطالب به « التوسعيون الصهيونيون » ويفترض ضم الاراضي العربية المحتلة بعد حرب حزيران والابقاء على سيطرة الاسرائيليين على أقلية فلسطينية ــ واما مشروع الحل رقم ٢ المطروح من قبل « بعض المنظمات الفلسطينية » اي مشروع الدولة الديمقراطية فهو يشكو من « السلبيات » التالية : ١) انه « عنصري » بنظر الاسرائيليين لانه يرفض الاعتراف « بقوميتهم » ٢) انه يمنح للفلسطينيين « امانيهم القومية » بينما يرفض منحها للاسرائيليين ٣) انه « يرغم » الاسرائيليين على قبول صفة الاقلية و« هذا ما سوف يرفضون القبول به مما يؤدي بالتالي الى استمرار النزاع » . ومن ناحية ثانية يقول الكراس في معرض رفضه لهذا المشروع ان من اسباب « استحالة تحقيقه » « كون الاسرائيليين والفلسطينيين امتين مختلفتين بالنسبة لعاداتهم السياسية وروابطهم الثقافية » وانه « حتى ولو تم اقامة مثل هذه الدولة (اي الدولة الديمقراطية) على اساس الواقع الحالي فانه من الواضح ان الاسرائيليين سيشكلون العنصر الطاغي فيها اقتصاديا وتكنولوجيا وثقافيا . هذا ما لا يمكن ان يرتضيه الفلسطينيون العرب لذلك فان ما يعنيه هؤلاء حقيقة من اقتراح اقامة فلسطين تكون «فوق القوميات» هو اقامة فلسطين يكون الاسرائيليون فيها قد انتزعت منهم بالقوة انجازاتهم الاقتصادية والتكنولوجية » .

يلاحظ من قراءة كراس « رابطة السلام » وجود خط اعلامي اساسي سوف نلتقي به مرارا لدى الاوساط الاعلامية الصهيونية « اليسارية » . هذا الخط الاعلامي يبدأ عادة « بالاعتراف » بالكيان الفلسطيني وبحقوق شعب فلسطين القومية ولكن مع التأكيد بأن ذلك يجب الا يمس « حقوق الاسرائيليين القومية » . ويلي هذا « الاعتراف » في غالب الاحيان طرح الحل « المثالي » الذي يوفق بين حقوق الشعبين وهو قيام دولة فلسطينية ملاصقة لاسرائيل من الشرق (الحل رقم ٤ حسب الطرح الخاص لـ « رابطة السلام » المعروض اعلاه) . والملاحظ كذلك ان هذا الخط لا يعتمد في رفضه لمشروع الدولة الديمقراطية اساسا على حجة « سوء نية الفلسطينيين » (مع ان هناك تلميحا بهذا المعنى في الفقرة المنشورة اعلاه حول مصير الانجازات الاقتصادية والتكنولوجية الاسرائيلية تحت ظل مثل تلك الدولة) ولكنه ينطلق من فرضية عزم الفلسطينيين حقيقة على انشاء تلك الدولة ولكن « النية الحسنة » لا تكفي اذ هناك عوامل موضوعية من قومية وثقافية واقتصادية وتكنولوجية تحول دون تحقيق مثل هذا الهدف .

ويشكل حزب مابام بفروعه العديدة و« واجهاته » المختلفة العمود الفقري للاعلام الصهيوني الموجه للتقدميين واليساريين في الرأي العام العالمي . وقد تصدر هذا الحزب بطبيعته الحملة الصهيونية الموجهة ضد الاعلام الفلسطيني ، ومن جملة ما يعتمد عليه لنشر وجهة نظره في الخارج مجلة « نيو اوتلوك » التي تصدر في اسرائيل باللغة الانجليزية . فبالنسبة لموضوع الدولة الديمقراطية كتب « بيريتز ميرحاف » رئيس المكتب الدولي لحزب مابام مقالا في تلك المجلة تحت عنوان « ازدواجية القومية بين الماضي والحاضر »(١٣) . تناول فيه بالبحث مشروع « الدولة المزدوجة القومية » الذي تقدم به حزب « هاشومير هتسعير » (سليف حزب مابام) وذلك خلال فترة الانتداب البريطاني . وقد ذكر الكاتب ان مشروع «هاشومير هتسعير» يختلف اختلافا جذريا عن الشعار الذي تطرحه المقاومة لانه « لا يحاول فرض التعايش ضمن قومية مزدوجة بل كان يصبو الى ايجاد اتفاق يرتضيه الجانبان معا »(١٤) . كذلك فان الاقتراح « لم يتضمن نزع صفة الصهيونية عن الجانب اليهودي ولا الصفة العربية عن الجانب الفلسطيني بل كان منطلقه هو ان تحقيق الاماني القومية لليهود ينسجم مع الاماني العربية كما أن الاقتراح لم يأت بعد ثلاث حروب بين الطرفين » .

ومن ثم ينتقل الكاتب الى الحاضر فيقول انه « من المستحيل تصور اقدام دولـــة ذات سيادة هي اسرائيل على الاستغناء طوعا عـــن تلك السيادة للدخول في دولة مزدوجة القومية . وأنا اقول هذا على افتراض ان الشريك القومي الاخـــر هو بدوره مستعد للوصول الى اتفاق حول الخطوط العامة لمشروع « هاشومير هتسعير » السابق اذ هناك شك بأن ذاك الشريك لا يزال يرى في مثل هذا الاتفاق سبيلا للقضاء على الدولة اليهودية ولقطع اواصر الاتصال بين الجالية اليهوديـــة في (الدولة الفلسطينيـــة الديمقراطية) واليهودية العالمية مع الاعتماد على مساندة العالم العربي . ان احلاما وشعارات من هذا النوع لا يمكنها ان تحل محل خطط عملية لاقامة تعايش سلمي يقود تدريجيا نحو التقارب مـــع كل ما ينطوي عليه هـــذه التقارب من أمكانـــات كونفدرالية او قوميـــة ازدواجية »(١٥) . ويستطرد الكاتب « فينصح » الفلسطينيين بأن عليهم قبـــل التفكـــير بالقومية الازدواجية ان يعملوا لاجل اقامة دولة فلسطينية « تكون بمحـــاذاة اسرائيل وتتعايش وتتعاون معها ... وخلاصة القول هو ان التعبير اليوم عن فكرة ازدواجية القومية يكون بتبني حل « الدولتين » (bi-state) داخل الوطن التاريخي الواحد »(١٦) .

ان الكاتب كمـــا راينا يخلص الى نتيجتين ، النتيجة الاولى هـــي ان مشروع الدولـــة الفلسطينية الديمقراطية (حتى اذ جاء مطابقا لمشروع «هاشومير هتسعير» وهو مشروع بعيد كل البعد عما طرحته المقاومة خاصة وانه ينص على الابقاء على الروابط الصهيونية ليهود فلسطين) غير قابل للتحقيق لسبب بسيط وهو أن دولة ذات سيـــادة كاسرائيل ليس من المعقول ان تتخلى عن تلك السيادة . أما النتيجة الثانية ـــ وهنا يأتي الجانب « الايجابي » والاكثر خطورة في الرد الصهيوني ـــ فهي أن هناك بديلا (ويحتمل ان يكون حتى خطوة أولى) لقيام الدولة الفلسطينية الواحدة بقيـــام دولتين واحـــدة فلسطينية واخرى اسرائيلية منفصلتين ولكن قابلتان للتعايش والتقارب التدريجي نحو نوع مـــن الاتحاد في المستقبل . وهكذا حسب الخط الدعـــائي لليسار الصهيوني « يقرر شعب فلسطين مصيره » و « يقرر الشعب اليهودي مصيره » كلاهما في جزء من « وطنهمـــا المشترك » . فانطلاقا من ردودهم على شعار الدولة الديمقراطية يحاول « التقدميون » الصهيونيون الايهام بأن للفلسطينيين وللاسرائيليين حقوقا متساوية داخـــل « الوطن المشترك » . وفي الوقت الذي يتعذر فيه دمج الشعبين لاسباب قاهرة ذاتية وموضوعية يتوجب العمل لأجل « الحل الواقعي » الوحيد اي اقامة دولتين يتقرر مصير كـــل من الشعبين داخل كل منهما مع العمل على توثيق عرى الروابط فيما بينهمـــا تؤدي الى صيغة اتحادية في المستقبل . ان لهذه الحجة بساطتها ولا يخفى تأثيرها المنطقي علـــى السذج في الرأي العام العالمي الذين تستهويهم الحلول « الواقعية » التي لا تكلفهم عناء التعمق في الاسس الحقيقية لمشكلة مستعصية كالمسألـــة الفلسطينية . ان الدهـــاء الاعلامي الصهيوني يتمثل هنا في الانتقال من موقع « المدافع » ازاء طرح المقاومة لشعار الدولة الديمقراطية الى موقع « المهاجم » بطرح مشروع « بديل » يحمل في ظاهره عناصر وقعها حسن على الاذن الغربية « التقدمية » و « الليبرالية » . نذكر على سبيل المثال لفظات « تقرير المصير » و « الحقوق القومية » و « التعايش السلمي » التي تتكرر دوما في كتابات الناطقين باسم حزب مابام ومن لف لفهم من « يساريي » الصهيونية . فضلا عن ان مابام يظهر بمظهر المدافع عن حقوق الشعب الفلسطيني والمتيقظ لمصيره ولحقه في وطنه ودولته! بينما لا يقابل هذا الموقف بموقف مماثل في «عدله» من قبل الفلسطينيين .

علاقة اسرائيل بالامبريالية

بالاضافة الى تصديه لمفهوم الدولة الفلسطينية لقد حرص الاعلام الصهيوني «اليساري» على مواجهة انعكاسات المقاومة الفلسطينية على « اليسار الجديد » الغربي الآخـــذ في اتهام اسرائيل والصهيونية بالعمالة للامبريالية وخاصة الامبريالية الامريكيـــة . وقد

توزع على نطاق واسع في الغرب وخاصة على مستوى الكليات والجامعات منشوران يحملان توقيع م. س. ارنوني يشتملان على كثير من النقاط التي تستعين بها الدعاية الصهيونية للحيلولة دون اتساع رقعة التأييد اليساري للمقاومة الفلسطينية .

يقول المنشور الاول الذي هو بعنوان « اسرائيل والامبريالية » : « ان الادعاء بأن اسرائيل هي خليقة الامبريالية هو تحريف مفضوح للتاريخ . فولادة اسرائيل جاءت مغايرة لولادة الاردن الذي كان تمايزه الاثني والقومي مجرد اختراع قامت به الامبراطورية البريطانية لأسباب خاصة بها . كذلك لم تكن الولادة مشابهة للاسس الاستعمارية الفرنسية التي كانت وراء ولادة الكيانين السوري واللبناني . كلا ، فان اسرائيل برزت الى الوجود نتيجة لصراع سياسي وعسكري طويل المدى ضد السلطان البريطاني الذي التزم بمنع تحقيق الاماني القومية لليهود ... لقد ولدت اسرائيل ليس كابن ولا كحليف للامبريالية ولكن كنتيجة لتحديها المباشر للامبريالية » .

فلانه قام هناك صراع في السنوات الاخيرة للانتداب البريطاني بين العصابات الصهيونية وسلطات الانتداب (مرده في الاساس الى التناقضات التي ظهرت بعد الحرب بين امريكا الامبريالية وبريطانيا الامبريالية وبعد ان اصبحت الاولى حليف الصهيونية الاساسي) اصبحت الحركة الصهيونية — بنظر الاعلام الصهيوني — حركة مناهضة للأستعمار ! ان هذا المنطق السطحي المبسط الذي يتجاهل وعد بلفور والتاريخ الطويل للتعاون الوثيق بين الانتداب والحركة الصهيونية يشكل احد العناصر الاساسية التي يعتمد عليها الاعلام الصهيوني لاقامة البرهان على « تقدمية » نشأة اسرائيل . والعنصر الاخر التي تستغله الدعاية الصهيونية في هذا الصدد هو التأييد الذي نالته اسرائيل من قبل المعسكر الاشتراكي في عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ . فقلما نجد « دفاعا » عن « تقدمية الصهيونية الاصيلة » الا وفيه اشارة الى موقف الاتحاد السوفياتي آنذاك معززا بفقرات طويلة من خطب مندوبه لدى المحافل الدولية اندريه جروميكو .

اما فيما يتعلق بعلاقة اسرائيل الحميمة الحاضرة بالولايات المتحدة فيدعي الناطقون الصهيونيون انها علاقة مؤقتة خاضعة لتقلبات عديدة كما هي العلاقات بين كثيرين من حلفاء الامس واليوم . فلو عدنا لمنشور « اسرائيل والامبريالية » نجد التبرير التالي لموقف اسرائيل : « ... ان الدعم الدولي من الولايات المتحدة الذي تقبل به اسرائيل كان مقبولا لدى دول كثيرة مختلفة تحاول اليوم التهجم على اسرائيل . فاذا لم يجد الاتحاد السوفياتي ، اثناء لحظة الخطر التي واجهته ، مانعا من ان يقبل عونا سياسيا وعسكريا واقتصاديا من الولايات المتحدة فكيف ينتظر من اسرائيل اذن خلال لحظة خطرها ان ترفض مثل هذا العون » . وهكذا فان اسرائيل فقط « تقبل » بالدعم الامريكي كما قبله في السابق غيرها . ليس لهذا الدعم اذن ابعاد استراتيجية طويلة الامد بل تتحكم به مشيئة الظروف وتقلبات المصالح الدولية . وبقدر ما تتمسك بهذا المفهوم السطحي للتحالفات الدولية بقدر ما تحاول الدعاية الصهيونية ابراز ادوار تاريخية معينة « شطت » فيها اسرائيل عن قاعدة الولاء للمعسكر الامبريالي . ورد في المنشور بهذا الخصوص ما يلي : « مع عدم واقعية الاعتقاد بأن اية دولة ، بما في ذلك اسرائيل ، يمكنها ان تلقي جانبا بمصالحها الحيوية لاجل الاحتفاظ بنقاوتها الايديولوجية، فان اسرائيل لم تتردد في بعض الاحيان من اثارة امتعاض الولايات المتحدة وتصرفت بما لا يليق ما تتهم به من عمالتها للامبريالية . فقد قاومت باصرار مثلا جميع الضغوط التي شاءت ان تجعلها تعترف بنظام الحكم في سايجون الذي يرعاه الامريكيون . ومما هو اكثر مدعاة للاستغراب بالنسبة لدولة « دائرة في فلك النفوذ الغربي » كون اسرائيل قد اعترفت بخط « اودر — نيس » كحدود شرقية لالمانيا ، وفي عام ١٩٥٦ عندما احتلت اسرائيل اراضي مصرية وجدت نفسها على الجانب الاخر من الجدار الدبلوماسي مع

امريكا . فقد قاومت الضغوط الامريكية لاجلاء شبه جزيرة سيناء لمدة طويلة . هذا الضغط الامريكي تجاهل مصالح اسرائيل الحيوية تجاهلا تاما فكانت تلك بادرة عدائية لم تأت لدعم دولة عميلة . . . ان مثل هذه الضغوط والتهديدات ليس من حاجة لها في التعامل مع عميل مطيع كما انه لا يمكن تجاهل مصالح عميل ما الى هذا الحد » . ان الاعلام الصهيوني نراه هنا في اوقح صوره . فحادثة احتلال اسرائيل لسيناء عام ١٩٥٦ وثم انسحابها منها تحت ضغط الادارة الامريكية التي تعتبر بحق مثالا كلاسيكيا عن ارتباط اسرائيل بالامبريالية وخضوعها في النهاية للطرف الغالب (الامريكي) في المعسكر الغربي الذي انشق مؤقتا آنذاك بسبب تناقضاته ؛ ان هذا المثال الصريح في مدلوله ينقلب بسحر ساحر فيصبح دليلا على « تحرر » اسرائيل وعلى عدم انصياعها لمشيئة الامبريالية ! ولا تكتفي احيانا الدعاية الصهيونية بتبرئة اسرائيل من تهمة العمالة للامبريالية بل تصور اسرائيل كحجر عثرة امام تحقيق مطامع الامبريالية . يعتمد هذا المنطق مثلا على ابراز دور شركات النفط العاملة في البلدان العربية كأدوات ضغط معادية لاسرائيل في الدول الغربية ، يقول منشور « اسرائيل والامبريالية » : « ان انحياز الضغوط النفطية الامبريالية ضد اسرائيل وكذلك انحياز وزارة الخارجية الامريكية الخاضعة لنفوذ تلك الضغوط قد عاصر جميع مراحل الصراع العربي الاسرائيلي . فقد لعبت تلك الضغوط دورا مهما في حمل اسرائيل على التخلي عن الاراضي التي احتلتها بعد الحرب الاسرائيلية ــ المصرية عام ١٩٥٦ وتستمر هذه الضغوط حتى اليوم » . هنا ايضا مثال عن المنطق المبسط الساذج الذي تجيد اسرائيل استغلاله وتحاول منع الولوج الى حقيقته بالسفسطة الكلامية . فالمعادلة هي كالاتي : شركات البترول هي شركات امبريالية تستغل موارد الشعوب العربية ــ هذه الشركات « تعادي اسرائيل » ــ اذن اسرائيل هي عدوة الامبريالية !!

ولا ينحصر الامر في انكار تهمة التبعية للامبريالية او في « تثبيت » معاداة الصهيونية للامبريالية بل يتعدى ذلك الى اضفاء صفة « ثورية » ايجابية على الحركة الصهيونية . فبينما كان عنوان المنشور الاول الذي ذكرناه هو « اسرائيل والامبريالية » حمل المنشور الثاني عنوان « الصهيونية كحركة تحرير وطني » مشيرا الى ما وصل اليه العقل الصهيوني الاعلامي « اليساري » . فبما ان حركات التحرير الوطنية في العالم اخذت تلاقي رواجا في السنين القليلة الماضية بفضل حرب فيتنام مثلا وبفضل المقاومة الفلسطينية وحركات التحرير الافريقية فلا مانع من اعتماد هذه التسمية بالنسبة للحركة الصهيونية كذلك وكأن « اليسار » الصهيوني قد اكتشف « كلمة السر » التي تضعه في مرتبة الثوار الاخرين . وفي هذا المجال تقول مذكرة صادرة عن « حركة السلام الاسرائيلية » بتاريخ حزيران ١٩٦٨ (وهي الحركة التي تنضم تحت لوائها جميع الاحزاب والحركات « اليسارية » الاسرائيلية بما في ذلك مابام والحزبان الشيوعيان ماكي وراكاح ــ لم توقع راكاح على المذكرة المذكورة) : « ان الحركة الصهيونية هي حركة التحرير الوطني للشعب اليهودي ، لولا تلك الحركة لتعذر تصور استيطان ارض اسرائيل من قبل يهود جاءوا من شتى ديار منفاهم او تصور بعث الثقافة العبرانية او اقامة دولة اسرائيل . وكما هو الحال بالنسبة لجميع الحركات الوطنية هناك داخل الحركة الصهيونية جناح رجعي وجماعة في الوسط وجناح تقدمي » . واذا عدنا كذلك الى منشور « الصهيونية كحركة تحرير وطني » نجد الفقرة التالية : « مثل باقي حركات التحرير الوطنية الاخرى احتوت الحركة التي حاربت من اجل اسرائيل وانتصرت على جميع الالوان السياسية من اليسار الى اليمين . ولكن على عكس الكثير من تلك الحركات كان ضمن الصهيونيين دوما اكثرية من القوى التقدمية تتراوح ما بين الليبراليين وحتى الماركسيين اللينينيين . وفضلا عن ذلك فان الحركة الصهيونية بمجموعها اخذت

على عاتقها مهمات اجتماعية لا يطالها في الخارج سوى المصلحين الاجتماعيين اليساريين والثوريين ... هكذا نشأت ظاهرة اقامة بعض الكيبوتزيم من قبل رجال لم يكن لهم معتقد اشتراكي . اذ ان قوة القطاع الاسرائيلي الجماعي والتعاوني التي ليس لها مثيل مستمدة من منحى صهيوني عام بقدر ما هي نتيجة لفعل تيار ايديولوجي » .

ان مثل هذا التأكيد على الادعاء بأن الحركة الصهيونية ككل (بفضل رمزها الابدي ــ الكيبوتزيم مثلا) هي بالنتيجة حركات تقدمية رغم وجود عناصر رجعية فيها تشكل مدخلا لخط اعلامي صهيوني معين يحاول المحافظة على « اصالة » اليسارية في الحركة الصهيونية بالقاء اللوم ليس على الحركة الصهيونية ولكن على بعض اجنحتها الرجعية خلال معالجة موضوع سياسة اسرائيل «المتحجرة» الحاضرة ازاء الفلسطينيين خاصة وقضية ازمة الشرق الاوسط عامة . الامثلة على هذا الخط كثيرة نذكر منها مجلة « تيارات يهودية » التي تنطق بلسان « يهود الولايات المتحدة التقدميين » . وقد ورد في احد مقالاتها مؤخرا تحت عنوان « صقور وحمائم في اسرائيل » : « هناك شبه اجماع عالمي على ان فرص حل ازمة الشرق الاوسط لم تكن في يوم من الايام افضل مما عليه اليوم . ولكن من ناحية أخرى فان ثمن الفشل وعودة الحرب بعيد عن كل تقدير فان اصدقاء اسرائيل في الولايات مدعوون في لحظة كهذه لمساندة حركة السلام في اسرائيل ولعزل تلك القوى في الجالية اليهودية الأمريكية والعامة التي تحاول ربط اسرائيل بعجلة الحرب الباردة »(١٧) . ان هذا المقال صادر عن جهة هي في الواقع صهيونية رغم الفاظها التقدمية وتعلقها بـ « السلام » ومعارضتها « للصهيونيين الرجعيين » . وهذه الجهة تريد ان توحي ان تأزم الوضع في الشرق الاوسط ناجم عن سياسات اسرائيلية وامريكية معينة وان باستطاعة الصهيونيين « التقدميين » الحلول دون تفاقم هذا الوضع بل ان هؤلاء « التقدميين » يحملون في جعبتهم مفتاح السلام النهائي (وقد رأينا نماذج عن ذلك « السلام » فيما اوردناه اعلاه عن مشاريع الدولة الفلسطينية وعن «اعتراف» بعض الصهيونيين « بالحقوق القومية » للشعب الفلسطيني) . يستهدف مثل هذا الموقف الاعلامي امتصاص نقمة اليساريين والتقدميين على اسرائيل والصهيونية وتحويل اتجاهها بحيث تصبح نقمة على ممارسات اسرائيلية معينة وعلى زعماء اسرائيليين معينين مع استمرار العطف والتأييد للحركة الصهيونية « الاصيلة التقدمية » ولاسرائيل وليدة « حركة تحرير وطنية » . وحزب مابام ايضا يجد فائدة كبرى في استقلاله «اللفظي» عن سياسة حكومة اسرائيل . فمجلته «نيو اوتلوك» لا تترك مناسبة تمر الا وتصب حمى غضبها على « المتزمتين والمتعصبين التوسعيين » داخل اسرائيل . فيقول احد كتاب المجلة ، فيكتور سيغلمان ، في معرض رده على « مشروع من تسع نقاط » تقدم به بعض اساتذة الجامعات الغربيين ونشرت نصه المجلة (ينتقد المشروع فيما ينتقد سياسة اعتماد اسرائيل على مساعدات يهود امريكا) « ليس التضامن اليهودي مع الامة الاسرائيلية هو بحد ذاته ما يتوجب انتقاده وانما المساعدة اليهودية وغير اليهودية للسياسات الحكومية الاسرائيلية التوسعية والرجعية »(١٨) . فتبرئة الحركة الصهيونية وتبرئة التضامن اليهودي العالمي من واقع اسرائيل الرجعي يكون بالتهجم بالقول على سياسة حكومة اسرائيل التوسعية التي حزب مابام هو منها براء مع انه عضو في الائتلاف الحكومي الذي يحكم اسرائيل !

اسرائيل والعنصرية

وتشكل قضية عنصرية اسرائيل ميدانا آخر يخوضه الاعلام الصهيوني لتخفيف وطأة تهمة العرقية التي اخذت تلصق باسرائيل اكثر فأكثر من جراء انتشار الاعلام الفلسطيني وتركيزه الانظار على مأساة الشعب الفلسطيني على يد العنصرية الصهيونية . وقد وجدت الدعاية الصهيونية في العنصرية سلاحا حادا موجها ضدها يحمل في طياته خطرا

ربما يفوق الخطر الاعلامي الناجم عن علاقة اسرائيل بالامبريالية . فبينما تهمة التبعية للامبريالية تؤدي الى كسب عداء اليسار تنطوي تهمة العنصرية على مضاعفات خطيرة ليس في صفوف اليسار فحسب بل في صفوف الوسط الليبرالي حليف الصهيونية العريق. قد أصبحت الليبرالية الغربية في هذا العصر ملتزمة بقضايا التفرقة العنصرية والاضطهاد العرقي ان كان ذلك داخل المجتمعات الغربية او في العالم الثالث ولا سيما في افريقيا الجنوبية . اما العنصرية الصهيونية فقد ظلت في منأى عن اهتمام تلك الاوساط الليبرالية لسبب ان « عقدة الذنب » تجاه اليهود وتجارب اليهودية ضد العنصرية المعادية لليهودية وضعت حاجزا بسيكولوجيا ادى الى تغافل الكثيرين من مناهضي العنصرية عن عنصرية اسرائيل على الرغم من ظهور تلك العنصرية للعيان بشكل مفضوح ، فضلا عن ان الكثير من المنظمات المعادية للعنصرية التي ظهرت في اوروبا وامريكا كان يقودها يهود وصهيونيون وجدوا في احتلالهم لمراكز الصدارة في تلك المنظمات ضمانا لاستمرار تجاهل تلك المنظمات للاضطهاد العنصري الاسرائيلي . الا ان المقاومة الفلسطينية استطاعت ان تخترق جدار الصمت هذا ونفذ الاعلام الفلسطيني الى بعض اوساط التيار الليبرالي المناوىء « تقليديا » لشتى انواع الاضطهاد العرقي . ففي بريطانيا مثلا انضمت حركة الشبان الاحرار بحماس للحملة المعادية للصهيونية والمساندة للثورة الفلسطينية القائمة في بريطانيا وكان لهذا الانضمام وقعا قويا اهتزت له التنظيمات الصهيونية في تلك البلاد . واهمية حركة الشبان الاحرار تتمثل في كونها دائما في طليعة الناشطين في حملات مكافحة العنصرية . وقد قادت هذه الحركة مثلا الحملة المعادية لـ « ابارثايد » (سياسة جنوب افريقيا العنصرية) وتسببت في صيف ١٩٧٠ بسحب دعوة كانت موجهة لفريق « الكريكيت » التابع لجنوب افريقيا لزيارة بريطانيا واللعب فيها وكانت تلك بداية لمقاطعة جنوب افريقيا رياضيا . كذلك نذكر على سبيل المثال التيار المعادي للصهيونية الذي اجتاز صفوف حركة السود في الولايات المتحدة التي عانت ما لم يعانه احد من الاضطهاد العنصري والتي تشكل رمزا وقدوة للشباب الابيض الراديكالي والليبرالي المناهض للعنصرية . فقد قلقت اجهزة الاعلام الصهيونية من مواقف الناطقين باسم تلك الحركة وخاصة قواد الفهود السود من الصهيونية ومن امكانية تسربها الى عقول الكثير من انصار تلك الحركة البيض .

فكيف واجهت الدعاية الصهيونية تهمة العنصرية التي وجهت اليها ؟ واجهتها باللجوء الى اسلوب تقليدي عريق تلجأ اليه الدعاية الصهيونية عندما تعوزها حجة اخرى . هذا الاسلوب هو عبارة عن القاء تهمة « معاداة السامية » اي الصاق جرم «العنصرية» بمن يتهم اسرائيل اصلا بالعنصرية . فقد تعرض مثلا زعماء الشبان الاحرار في بريطانيا الى اتهامات من هذا النوع وعلى الاخص زعيمهم السابق « لوي ايكس » . وفي الولايات المتحدة اتهم المتحدثون الصهيونيون زعماء اليسار الجديد وزعماء الحركة السوداء ايضا بمعاداة السامية لتهجمهم على اسرائيل . وقد نشرت صحيفة النيويورك تايمز في عدد مجلتها الاسبوعية الصادر بتاريخ ١٩٧١/١/٣(١٩) نموذجا عن هذه النغمة الاعلامية الصهيونية بشكل مقال طويل للبروفيسور مارتين ليبسيت من جامعة هارفارد . فقد حاول الكاتب تفسير موقف اليسار الجديد والحركة السوداء من الصهيونية من خلال التحليل التالي : « ان الراديكاليين من الطلبة والمفكرين ، من اليهود وغير اليهود ، يميلون تاريخيا الى كره الذات بتأييدهم للحركات المعادية للثقافة ، وقد عرفوا الحكمة على انها تأتي من غريزة الجماهير وغير المتعلمين والفقراء . وفي هذا الزمن فان هذه الظاهرة الماسوخية في الولايات المتحدة تأخذ شكل تبني قيم وبيانات وتكتيك الجماعات السوداء المتطرفة . وكثير من تلك الجماعات قد دأبت على نشر الدعاية المعادية للسامية التي هي في كثير من الاحيان غير مغلفة الا جزئيا بغطاء معاداة الصهيونية » وفي

كلامه عن منظمة الفهود السود يقول الكاتب « على الرغم من عدائهم لجميع الرأسماليين فان الفهود يخصون بهجومهم المصالح اليهودية »(٢٠).

ويرى الكاتب كذلك ان صعود موجة العداء لاسرائيل مرده الى الاسباب التالية : اولا : موجة العداء لامريكا ولكل من هو الى جانب امريكا في العالم . ثانيا : قيم الحق والعدالة المسيحية والليبرالية واليسارية التي تناصر المغلوب على امرهم (اي العرب) . ثالثا : (وهنا بيت القصيد) ظاهرة العداء للسامية التي رافقت المسيحية منذ نشوئها ولم تغب الا ظاهريا عن الانظار خلال فترة ربع القرن الماضية اي بعد الجرائم الهتلرية . وقد اخذت ، حسب زعم الكاتب ، الآن تطل مرة اخرى على السطح لان الجيل الجديد لم يمر بتجربة العصر النازي . فالعنصرية المعادية للسامية المرتبطة ارتباطا عضويا بالمجتمعات المسيحية هي المحرك الاساسي لتيار العداء لاسرائيل حتى ولو جاء هذا العداء على لسان اقصى اليسار او على لسان الحركة السوداء التي وجدت لمكافحة العنصرية . وجدير بالذكر ان اتهام الامريكيين السود خاصة بالعنصرية هو جزء من حملة صهيونية قائمة منذ فترة كرد على ثورة السود على امتيازات البيض السياسية والاقتصادية ومنها امتيازات اليهود . وقد حاولت الصهيونية استغلال نقمة السود لاجل حمل المزيد من اليهود على الهجرة الى اسرائيل . فبالاضافة الى فوائده الاعلامية فان ربط تيار معاداة الصهيونية بتراثه « الاصيل » (اي العداء للسامية) كما يذهب اليه مارتين ليبسيت من شأنه دفع هذه الهجرة الى الامام حسب التقديرات الصهيونية .

وكما في دفاعها عن الصهيونية تجاه تهمة الامبريالية تحاول الدعاية الصهيونية رد تهمة العنصرية بالاستناد الى مواقف سابقة للاتحاد السوفياتي . ففي مقال نشرته مجلة « تيارات يهودية » تحت عنوان « هل الدولة اليهودية دولة عنصرية »(٢١) تورد المجلة فقرة من خطاب لجروميكو القاه في الامم المتحدة في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٤٧ ويقول فيه ان التجربة اثبتت انه ليس باستطاعة العرب واليهود العيش ضمن حدود دولة واحدة وبالتالي فانه يجب ان تقام دولتان على ارض فلسطين . كما تدافع المجلة عن مخطط « النقاوة » اليهودية التي تسير عليه الصهيونية بالاعتماد على « امثولة يسارية » اخرى كقولها : « في محاولتها للتقليل من الاحتكاكات القومية ولاقامة دول قومية متجانسة عملت حكومات اوروبا الاشتراكية على تعديل حدودها وعلى تبادل اقلياتها فيما بينها بعد الحرب العالمية الثانية »(٢٢).

كذلك تعتمد الدعاية الصهيونية كثيرا على بعض عملائها من العرب الفلسطينيين ممن هم مستعدون لان « يشهدوا » على ما يتمتعون به من « حسن معاملة ومساواة » . فالصحف والمجلات الصهيونية وخاصة « اليسارية » منها قلما تصدر الا وضمنها مقالات واحاديث لناطقين عن العرب المتواطئين مع اسرائيل تدعو الى «تعايش عربي ـ اسرائيلي» والى « نبذ الاحقاد » و« الاعتراف بالامر الواقع » مع اصرار هؤلاء الناطقين في اكثر الاحيان على حفظ نوع من « التوازن » بانتقاد بعض السياسات الاسرائيلية ولكن من ضمن الاعتراف « بشرعية » الحقوق القومية الاسرائيلية ، والحزب الاسرائيلي الخبير اكثر من غيره في محاولة ابراز دور العرب في حياة اسرائيل هو حزب مابام الذي « يفتخر » بكونه الحزب الصهيوني الوحيد الذي يقبل عضوية العرب في صفوفه . فقد رأى هذا الحزب مثلا في تعيين عبد العزيز الزعبي مؤخرا نائبا لوزير اسرائيلي انتصارا للاماني القومية للعرب في اسرائيل . لذلك نشرت مجلة « نيو اوتلوك » حديثا اجراه مع الزعبي مراسلها(٢٣) وجاء في مقدمته ما يلي : « ان هذه الخطوة (اي تعيين الزعبي) لم تكن مفاجئة للذين يعرفون عبد العزيز الزعبي كأحد هؤلاء الذين عرفوا كيف يوفقوا بين دورين متناقضين في الظاهر : خدمة مصالح دولة اسرائيل من جهة والعمل من اجل احتياجات شعبه العربي الفلسطيني وامانيه القومية » . اما الحديث بحد ذاته فهو

نموذج عن ذلك « التوفيق » بين اماني « القوميتين » العربية واليهودية الذي طالما تحدث عنه مابام والذي يشكل حجر الاساس في منطلق الحرب الاعلامي للدفاع عن كيانية اسرائيل ورد تهمة العنصرية عن الدولة الصهيونية .

تقدمية المقاومة

وبالاضافة الى المواضيع التي جئنا على ذكرها والتي تصدى لها الاعلام الصهيوني هناك صورة المقاومة او الانطباع الخارجي عنها بالذات الذي حاولت الدعاية الصهيونية تحريفه بكل ما اوتيت من وسائل . وقد حاول الاعلام الصهيوني بشكل خاص تشويه سمعة المقاومة داخل صفوف اليسار الغربي باطلاق التهم عن روابط المقاومة ببعض الدول والقوى العربية وعن « تبعيتها » لسياسات واستراتيجيات تلك الدول . لنقرأ مثلا في هذا الصدد ما كتبته « حركة السلام الاسرائيلية » في المذكرة التي سبق ان اشرنا اليها : « هناك البعض ممن يقارن بين حرب التخريب ومنظمات الارهاب داخل اسرائيل والاراضي المحتلة وبين المقاتلين من اجل الحرية في فيتنام ، ان هذه مقارنة باطلة . ففي فيتنام هناك حرب اهلية تشن ضد نظام فاسد طاغ في الداخل وضد تدخل امبريالي من الخارج . بينما بالنسبة للعلاقة بين اسرائيل وجاراتها العربية الظاهرة هي ظاهرة نزاع قومي بين أمة عادت الى وطنها تمشيا مع القانون الدولي (فقد اعترفت بحق الشعب اليهودي في العودة الى وطنه كل من عصبة الامم والامم المتحدة بمساندة الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية في ذلك الحين) وبين حكومات ترفض الاعتراف بهذا الحق وتتبع سياسة نفي وجود تلك الأمة وتعمل لاجل القضاء عليها كما يتبين بوضوح من خلال الاستعدادات التي قامت بها تلك الحكومات عشية حرب الايام الستة . ان الرومانسية في النظر الى تقييم منظمات الارهاب والتخريب العربية التي تسربت الى بعض اوساط الراي العام والشباب والتي تجلت بمقارنة تلك المنظمات بجبهة التحرير الوطني في الجزائر والفيتكونغ في فيتنام هي امر خطير للغاية يجعلنا مضطرين للتنبيه الى عواقبه . ففي هذا النزاع الفلسطينيون العرب هم مجرد اداة في يد حكام الدول العربية » .

فمحاولة الربط بين سياسات الحكومات العربية والمقاومة الفلسطينية هي جزء اساسي من الاعلام الصهيوني المضاد للمقاومة خاصة وان المقاومة كسبت شعبيتها في الخارج على اساس كونها حركة شعبية مستقلة عن الدول العربية . وقد ذهبت اجهزة الاعلام الصهيونية الى ابعد بكثير من ربط المقاومة بالحكومات العربية . فقد اتهمتها حتى بالتعاون مع الفاشستيين والنازيين . ففي منشور لجماعة بريطانية تدعى « حلقة الدراسات الجامعية لاجل السلام في الشرق الاوسط » وهي منظمة تحاول استعادة المبادرة من مؤيدي المقاومة الفلسطينية الناشطين في الجامعات نقرأ الفقرة التالية : « كثيرة هي الوقائع التي تقيم الدليل اليوم على العلاقة بين فتح والمنظمات الفاشستية ، ففي بلجيكا مثلا يساعد فتح في تجنيد شبان اوروبيين ذوي الخبرة للخدمة في المنظمات الفدائية نازي سابق كان قد خدم في فيلق رومل الافريقي » . ويأتي المنشور كذلك على ذكر علاقة الحاج امين الحسيني بادولف هتلر كمثال « تاريخي » آخر عن خضوع الشعب الفلسطيني « لقيادات نازية » . ثم يخلص المنشور الى القول التالي : « ان التنديد بالعناصر الرجعية والتوسعية التي داخل اسرائيل يجب ان يرتبط بشجب للقوة الفاشستية الشوفينية المتعصبة في قيادة فتح ، كذلك فان مساندة شعب فلسطين المتألم يجب ان يلازمها تشجيع للعمال والطلبة والمثقفين في اسرائيل المناضلين من اجل مجتمع اشتراكي » .

نكتشف هنا خطا اعلاميا صهيونيا « يساريا » ناشطا جدا على مستوى الجامعات والكليات الغربية . هذا الخط يدعو الى تأييد « الشعب الفلسطيني » والى النظر بعطف

الى آلامه كما يدعو من ناحية اخرى الى تأييد « القوى التقدمية في اسرائيل » . امـــا التقدميون فيجب ان يوازنوا بـــين الاوساط التوسعيـــة في اسرائيل وبـــين « قيادات الفدائيين الفاشيست والمتعصبين الشوفينيين » فكلا الطرفين اعداء للشعبين الفلسطيني والاسرائيلي . ومن هنا نجد مدخلا الـــى النظرية الاعلامية « اليسارية » التي يطرحها مابام وهي أن لكلا الشعبين الفلسطيني واليهودي حقا في فلسطين كما ان قيادة الشعبين منقسمة بين يمين ويسار . هكذا يكون واجب كل شعب الاطاحة بقياداته اليمينية في صراع « طبقي » داخلي ومن ثم وفي ظل القيادات التقدمية المنتصرة (في كل شعب على حدة) تتحقق الظروف المؤاتية للتعايش بين الشعبين (كل في دولتـــه طبعا) وتتحقـــق الاماني القومية للفريقين . وتمشيا مع هذا المنطلق يصب الاعلام الصهيوني «اليساري» جمام غضبه على فتح بالذات « حرصا » منه على سعادة و « ثوريـــــة » الشعـــب الفلسطيني شريكه « المنتظر » في بناء المستقبـــل الاشتراكي للشعبـــين « الشقيقين » الاسرائيلي والفلسطيني . وهو يعلم تمام العلم انه اذا استطاع تلطيخ سمعة فتح في الخارج ـــ اي اكبر المنظمات الفدائية واشهرها عالميا ـــ يكون قـــد لطخ بذلك سمعـــة المقاومة بمجموعها في نظر مؤيديها ، ولم يتقاعس الاعـــلام الصهيوني عن استغـــلال الانقسامات في صفوف المقاومة لاجل تنفيذ مهمته هذه . فالانتهازية الاعلامية الصهيونية لا تقف عند اي حدود وآخر ما توصلت اليه من سلاح هو « مناصرة » فريق في المقاومة على فريق آخر لعل ذلك يسهم في تشويه صورة قيادة المقاومة وجناحها الاكبر .

---

١ ـــ *Jewish Currents*, New York, N. Y., U. S. A. Special Israel Issue, May 71 "Is a Jewish State a Racist State", by Sid Resnick.

٢ ـــ *The Wiener Library Bulletin*, London. U. K. Vol. XXIV, No. 2, 1970 "The Meaning of 'A Democratic Palestinian State' ", by Dr. Y. Harkabi.

٣ ـــ المصـــدر ذاته .

٤ ـــ المصـــدر ذاته .

٥ ـــ المصـــدر ذاته .

٦ ـــ المصـــدر ذاته . Vol. XXIV, No. 4, 1970-71 "Scope and Limit of a Fedayeen Consensus", by Dr. Y. Harkabi.

٧ ـــ المصـــدر ذاته .

٨ ـــ صحيفة **معاريف** الصادرة بتاريخ ٢١/١١/٦٩ .

٩ ـــ المصـــدر ذاته .

١٠ ـــ صحيفة **معاريف** الصادرة بتاريخ ١٢/١٢/٦٩ .

١١ ـــ المصـــدر ذاتـــه .

١٢ ـــ المصـــدر ذاتـــه .

١٣ ـــ *New Outlook*, Tel Aviv, March 1971, "Bi-Nationalism. Then and Now", by Peretz Merhav.

١٤ ـــ المصـــدر ذاتـــه .

١٥ ـــ المصـــدر ذاتـــه .

١٦ ـــ المصـــدر ذاتـــه .

١٧ ـــ *Jewish Currents*, المصـــدر ذاته "Doves Vs Hawks in Israel", by W. S.

١٨ ـــ *New Outlook*, May 1971, "Answer to Nine Points Tawards Peace in the Middle East", by Victor Cygleman.

١٩ ـــ *New York Times Magazine*, 3/1/71 "The Socialism of Fools", by Seymour Martin Lipset.

٢٠ ـــ المصـــدر ذاتـــه .

٢١ ـــ المصدر ذاته *Jewish Currents*, "Is a Jewish State a Racist State"

٢٢ ـــ المصـــدر ذاتـــه .

٢٣ ـــ *New Outlook*, June-July 1971 "First Arab Deputy Minister", Interview with Abdul Aziz Zu'abi, by Victor Cygleman.

الجيش الاردني في حرب ١٩٦٧

ف. المنصور

المعروف عن الجيش الاردني انه جهاز عسكري يتمتع بسمعة حسنة داخل البلاد العربية وخارجها . فضباطه هم عسكريون محترفون تتلمذ الكثير منهم على يد الضباط الانكليز الذين كانوا قد انشأوا الجيش العربي في العشرينات وقادوه فترة طويلة . ومع ان كتبا كثيرة الفت عبر السنين عن الجيش الاردني ، وبينها كتب بأقلام بعض قادته السابقين ، الا انه لم يدون قبل اليوم تقييم عسكري لدور هذا الجيش في حرب حزيران ١٩٦٧ . فالكتب التي تناولت بالبحث تلك الحرب لم تركز على دور الجيش الاردني . ثم لما كان معظمها قد نشر بعد فترة قصيرة من الحرب ، فانها لم تكن خالية من التقديرات التي ثبت خطأها اليوم . ويمكن تقسيم الكتب التي الفت عن حرب حزيران الى ثلاث مجموعات : المجموعة الاولى ، تضم الكتب التي الفها الغربيون وهي على درجات متفاوتة من التحيز ضد العرب ، مع انها طبعا ستظل المراجع الرئيسية لمؤرخي المستقبل . والمجموعة الثانية ، وتحتوي على الكتب التي الفها الاسرائيليون ، وهي تتضمن الخليط الصهيوني المعهود من الحقائق **والمغالطات** ، والمجموعة الثالثة ، وهي صغيرة لا يتجاوز عددها اصابع اليد الواحدة ، وهذه صادرة عن العرب ، وبينها « حربنا مع اسرائيل »(١) الذي يتألف من احاديث اجراها الصحفيان الفرنسيان فيك فانس وبيير لوير مع الملك حسين ووصفي التل ويحيى حموده وناطق فدائي ، و « اللواء المدرع/٤٠ »(٢) بقلم اللواء معن ابو نوار ، مدير دائرة التوجيه المعنوي في الجيش الاردني ، وهو كتاب يركز على بطولات اللواء المدرع ويكاد يخلو من الفائدة للباحث ، و « المؤامرة ومعركة المصير »(٣) بقلم سعد جمعه ، رئيس وزراء الاردن ايام الحرب ، وهذا ايضا كتاب لا يحتوي على معلومات جدية ، علاوة على اسلوبه البدائي المجوج الذي اشتهر به مؤلفه . واخيرا يمكن اضافة كتاب سليمان عبد الله شليفر « سقوط القدس »(٤) الى هذه المجموعة الثالثة . وشليفر امريكي اسلم وكان يسكن القدس عندما سقطت بايدي الاسرائيليين . من كتب هذه المجموعات الثلاث يمكن استخلاص المعلومات المتناثرة التي، بعد غربلتها وتقييمها ، باستطاعتنا ان نكون منها صورة تكاد تكون كاملة لدور الجيش الاردني في حرب حزيران . **ويجب ان نبين هنا ان الغرض من هذا البحث هو ليس المفاضلة بين الجيوش العربية التابعة للاقطار المحيطة باسرائيل ، او التي ارسلت قوات للاشتراك بالحرب ، فهذه الجيوش انهزمت جميعا ، ولا مجال للمفاضلة بين المنهزمين ، وانما الغرض هو تقييم لدور الجيش الاردني كوحدة منفصلة ، وفي اطار سمعته كجهاز عسكري من الدرجة الاولى ، ومحاولة التحقق من درجة انطباق آراء بعض مؤرخي الحرب العربية الثالثة على الواقع في تقريرهم ان الجيش الاردني قد بذل اقصى جهوده . فالسؤال الرئيسي الذي نريد طرحه على بساط البحث في هذه الدراسة الموجزة هو : هل بذل هذا الجيش اقصى جهوده حقا ، وهل كانت هزيمته مفروغا منها سلفا ؟**

الكتاب الاول الذي يمكننا الاستشهاد به في هذا الصدد هو « الحملة الاسرائيلية ١٩٦٧ »(٥) تأليف البريغادير (العميد) بيتريونغ ، استاذ التاريخ العسكري في الاكاديمية الملكية البريطانية ساند هرست . وكان يونغ احد اركان الجيش الاردني وقائد حامية القدس في الخمسينات ، وسبق له ان الف كتابا ضمنه تجاربه في قيادة وحدات البدو في الجيش الاردني . ويمكن القول انه بالرغم من اعجاب المؤلف الواضح بالنصر الاسرائيلي الذي يعتبره لامعا ، الا انه في الوقت ذاته يؤمن بالقدرة القتالية الجيدة الكامنة في الجندي العربي ، او الاردني على وجه التحديد ، اذ يذكر اكثر من مرة في كتابه ان سبب هزيمة العرب يعود الى سوء تدريبهم ، وليس الى عدم صلاحيتهم الفطرية للقتال . فهو يكتب في الصفحة ١٤٠ قائلا : « العرب الذين يستطيعون طرد الاسرائيليين من المناطق التي احتلوها يجوز ان يكونوا قد ولدوا ، لكنهم لم يتدربوا بعد » .

ما هو رأي يونغ في دور الجيش الاردني بحرب حزيران ؟ في الصفحة ١٢٠ يكتب هذا الضابط السابق في الجيش الاردني : « في مدرسة شرطة فلسطين القديمة الواقعة شمالي القدس ، قتل ١٠٦ رجال من الحامية المكونة من مئتي رجل قبل سقوط الموقع بيد مظليي الكولونيل موردخاي غور . والسؤال الآن هو : هل كان باستطاعة الاردنيين اعداد خطة افضل ؟ الجواب على ذلك يجب ان يكون انه اذا لم يكن هناك مفر من تورطهم بالحرب على الاطلاق — وهو التورط الذي كان غلطة بالطبع — فقد كان بمقدورهم انزال خسائر اكبر بالعدو ، وذلك بواسطة هجوم قوي يشنونه على العدو بدلا من الجلوس في مواقعهم الدفاعية لمضايقة الجزء اليهودي من القدس وتل ابيب ورامات ديفيد بقذائف المدفعية . انهم اصبحوا عرضة لقنابل النابالم بعد تدمير سلاحهم الجوي ، ولكن حتى بعد ان دمر السلاح الجوي المصري بقيت لدى الاردنيين ميزة . فالاسرائيليون مضطرون الى احترام الاماكن المقدسة وليسوا على استعداد لاستخدام سلاحهم الجوي في بلادهم نفسها خوفا من قتل المواطنين اليهود . وفي ستالينغراد حيث كان الالمان يتفوقون على الروس في الجو ، وجد الروس ان افضل طريقة لمحاربة العدو هي الالتحام به . ولذا فالافضل من عدم القيام بأي عمل على الاطلاق ، كان باستطاعة الاردنيين شن هجوم قوي ، اما في الجزء اليهودي من القدس او صوب تل ابيب . ولكن لا يوجد دليل على ان الجنرال رياض قام بمحاولة في هذا الاتجاه » .

وفي الصفحة ١٢٨ كتب يونغ : « استولى الاردنيون على دار الحكومة (مقر هيئة المراقبة التابعة للامم المتحدة) الا انهم سمحوا للاسرائيليين باجلائهم منه مقابل ثمانية قتلى من الاسرائيليين . واذاع راديو عمان (في الساعة ١٢،٤٥ من بعد ظهر الاثنين ٥ حزيران) ان الجيش الاردني استولى على جبل المكبر ، مما يدل على ان اهميته لم تغرب عن ذهن القيادة الاردنية ، وان كان ذلك لا يعني انه وقع في قبضتهم . وباختصار ، فالفريق رياض استفز الاسرائيليين باطلاق النار بكثافة ، لكنه سلم المبادرة بيد العدو ، وبعد ان شاهد الجيش الاردني يتهشم ، عاد الى وطنه مصر . ان مساهمته في الحرب لم تكن لامعة » .

ينبغي التوقف لحظة عند ملاحظات يونغ عن الفريق رياض . اولا لا بد من التذكير ان يونغ الف كتابه المذكور ونشره عام ١٩٦٧ ليحصل على اهتمام الناس ما دام الموضوع ما زال ماثلا في اذهانهم ، مع انه كمدرس للتاريخ العسكري في اشهر اكاديمية عسكرية ببريطانيا كان يجب ان ينتظر بعض الوقت قبل ان يسرع في تدوين قصة حرب حزيران . فالمؤرخ الجدي يفضل ان يترك فترة كافية من الزمن تمر على الاحداث ، قبل ان يخرج على القراء بتاريخه . ولكن يونغ كان في عجلة من امره . اما غلطته الثانية ، فهي تنكره للمبدأ الذي يحتم على المؤرخ ان يكون موضوعيا ومنصفا في استنتاجاته . فان ملاحظاته عن القائد المصري ظالمة وتنم عن الحقد التقليدي الذي يكنه البريطانيون للمصريين منذ

حرب السويس ، وحتى قبل ذلك . فهل كلف يونغ نفسه عناء التقصي عن مدى تنفيذ الضباط الاردنيين لاوامر قائدهم المصري الذي استلم القيادة العامة قبل ايام معدودة من الحرب ؟ هل هو الذي امر العقيد كمال الطاهر ، قائد لواء المشاة الهاشمي المسؤول عن خط الدفاع في منطقة عبد العزيز واللطرون بالانسحاب عند غروب شمس الاثنين دون اطلاق رصاصة واحدة ، مع ان اللطرون كان في حرب ١٩٤٨ ميدانا لاقوى مقاومة اردنية ضد هجمات اسرائيلية قامت بها الوية بكاملها ، ومع ان هذا الموقع الاستراتيجي البالغ الاهمية حصن في السنوات التي اعقبت تلك الحرب ؟(٦) هل رياض هو الذي اهمل تحصين القدس ، فسقطت بسهولة بيد العدو(٧)؟ هل هو الذي أمر جنود الاحتياط الذين كانوا قد تلقوا التدريب لمدة ثلاثة اشهر فقط ان يدافعوا عن القدس ، فجيء بهم من الخليل ليدافعوا عن مدينة يجهلون منافذها وضواحيها ؟(٨) علما بأن قتال الشوارع المرتقب حدوثه في القدس يتطلب معرفة المدافعين معرفة تامة بمسالك المدينة . هل هو الذي ترك المدينة المقدسة دون مدافع مضادة للطائرات داخلها او حواليها ، ولا دبابات ولا مدفعية ثقيلة ولا اسلحة مضادة للدروع ؟(٩) هل هو الذي ارسل الجنود للقتال دون ان يؤمن لهم الغذاء والماء ؟(١٠).

بل هل يعلم البريغادير يونغ ان خال الملك ، الشريف ناصر بن جميل ، كان هو المسيطر الفعلي على الجيش مع ان القائد العام كان حابس المجالي ؟ يقول شليفر في الصفحة ٤٢ من كتابه : « ذهب انور الخطيب (محافظ القدس) صباح السبت (الذي سبق اثنين الحرب) الى عمان لمقابلة خال الملك الشريف ناصر . وكان اللواء حابس المجالي قائد الجيش ، ولكن كان من المعروف عموما ان الشريف ناصر هو القوة المسيطرة في الجيش. وبما ان المحافظ لم يتلق جوابا عن طلبه السلاح (لتسليح المدنيين) فقد قرر ان يعالج الامر مباشرة . « ارجوك ان لا تتكلم في مثل هذه الامور فنحن لدينا خمسة الوية لحماية القدس ورتبنا كل شيء » قال الشريف ناصر حين طلب الخطيب ١٠ آلاف بندقية « ولكن عندما نشب القتال فعلا ، اكتشف سكان القدس ان لواء واحدا فقط من المشاة والمدفعية ومهندسي الميدان كان موزعا على منطقة القدس ، اي خمس القوة التي كان الشريف ناصر قد وعد بها انور الخطيب . اما لجنة المقاومة فقد تسلمت ٢٦٠ بندقية انفيلد و٢٠ رشاشا (ستين) و٢٠ رشاشا (برين) فقط وكانت هذه الاسلحة هي كل ما وزع في منطقة القدس . ومن الجدير بالذكر ان هذه الاسلحة وزعت في الضواحي القريبة من القدس ولم يوزع منها شيء داخل المدينة المسورة حيث كان الالاف ينتظرون » .

وفيما يلي مقتطفات من كتاب شليفر : « لم يكن مركز الشرطة محصنا . لا اكياس رمل ولا خنادق لتأمين سلامته » . (ص ٥١) . « كانت قد وضعت خطة لتسليح القرويين وحملهم على الهجوم فجأة على الارض المسدودة المسالك بين مستشفى هداسا والجامعة العبرية على قمة التلة (. .) لم يكن القرويون مدربين عسكريا (. .) ولو وقع الهجوم حسب الخطة لكانت وقعت مذبحة» . (ص ٥٥) . « كان الهجوم (على دار الحكومة — مقر رئيس المراقبين اود بول) عملا اعتباطيا اذ لم يكن ثمة تخطيط سابق له ولم تكن في القدس العربية اية دبابات او مصفحات او مدفعية مضادة للدبابات . وكل ما كان ثلاثة مدافع من عيار ١٠٦ ملم لا ترتد عند اطلاق النار منها Recoiless Guns مركزة على سيارات الجيب » . (ص ٥٦) . « اقترح الضابط المتقاعد حازم الخالدي ان يجري تلغيم المسالك المؤدية الى دار الحكومة . فخابر عطا علي ، قائد موقع القدس ، مركز قيادة المهندسين قرب الحرم ، ولكنه لم يجد احدا من الضباط ، وابلغ انه لا توجد مصفحات لنقل المهندسين مع الالغام » . (ص ٥٧) . « المصادر الاسرائيلية المفوضة التي كان في مصلحتها ان تبالغ في مدى تأثير نيران المدفعية الاردنية، اذ ان في ذلك تبريرا مفترضا لاحتلال الضفة الغربية ، أبلغت ان قنبلة واحدة فقط سقطت في منطقة تل ابيب،

وانها لم تطلق الا الساعة ٢١ من يوم الاثنين » . (ص ٥٧) . « وفي دراسة وضعها الميجر د. د. كامبل بعد سنة من الحرب عن استعمال المدفعية في حرب حزيران ونشرها في مجلة المدفعية الملكية البريطانية ، أبدى الضابط المذكور استغرابه حول تصرف المدفعية الاردنية في الجبهة الوسطى حيث انها لم تستفد من فرص ثمينة سنحت لها . فعند بدء القتال كانت كل قواعد الطيران الأسرائيلي ضمن المدافع الاردنية ذات العيار ١٥٥ ملم (ذات المرمى البعيد) فلو ضرب الاردنيون هذه الاهداف الحيوية لكانوا أنزلوا الدمار بالطائرات الاسرائيلية عند عودتها لتتزود بالوقود . وقال الميجر كامبل ان تلك كانت فرصة اضاعها الاردنيون ولو استفادوا منها لكانوا غيروا مجرى الحرب »(١١). (ص ٥٧ ــ ٥٨) .

« ولا تقل غرابة عن ذلك التقارير عن الاوامر التي تلقاها في الصباح الاول من الحرب قسم المدفعية الملحق بلواء الامام علي من المشاة في خان الاحمر شرقي القدس لينسحبوا من مراكزهم المهيأة ، وينتقلوا الى مراكز « افضل للضرب » . وبعد الظهر حين بدأت معركة المدفعية بصورة جادة ، تبددت مدفعية الامام علي الموجودة في مراكز معرضة للاصابة وغير مهيأة سلفا » . (ص ٥٨) . « اكثر الرجال كانوا غير مدربين تدريبا عسكريا » . (ص ٦٠) . « لم تكن هناك اية اكياس رمل لتخفيف وطأة القصف عن بناية الاذاعة » . (ص ٦٠) . « أقل من خمسة آلاف رجل دافعوا عن القدس من جيش يبلغ مجموع رجاله حوالي ٥٦الفا . وضد هذا اللواء الوحيد المدافع عن القدس تجمعت ثلاثة الوية اسرائيلية . لواء مشاة ولواء مظليين تساندهما الدبابات ولواء مدرع. وجميع هذه القوات تحت قيادة الجنرال عوزي ناركيس »(١٢). « كان الجندي الاردني مسلحا بالبندقية الامريكية غاراند ــ ١ وهي بندقية شبه اوتوماتيكية اعتبرت قديمة العهد ايام الحرب الكورية (١٩٥٠ ــ ١٩٥٣) . اما الاسرائيليون فكانوا يحملون جميعا الاسلحة الاوتوماتيكية »(١٣).

ونقطة الضعف لم تكن كامنة في السلاح العتيق فقط ، وانما ايضا في الرجال . ففي أكثر من موضع في كتابه يتحدث شليفر عن تخلي الضباط عن جنودهم وفرارهم الى المؤخرة ، وهو التخلي الذي أدى الى انهيار معنويات الجنود ، فبدأوا هم أيضا يتسللون من ساحة القتال. كما يتحدث في الصفحة ٧٣ من الترجمة العربية لدار النهار عن حالة المستشفيات بالقدس ، فيقول : « بقيت كمية وافرة من الذخيرة ولكن المواد الطبية استهلكت (..) كانت الحالة يائسة ولم يبق دم . طلبوا الدم من بنك الدم فقيل لهم لا توجد عندهم قطرة منه . وكانت وزارة الصحة في اليوم ذاته ترد بالوعود على طلبات الضمادات والادوية الواقية من الجراثيم ، ولكنها لم ترسل جميعا . في جميع المستشفيات كان الموظفون يجودون بدمهم » .

وفي الصفحة ٨٠ من النص الانكليزي الاصلي كما نشرته مجلة الدراسات الفلسطينية ، كتب شليفر : « في المستشفى الحكومي كان مستحيلا حتى تقدير عدد الجنود والمدنيين الذين ماتوا بسبب عدم توفر الدم وبقية المواد الضرورية (..) لا ضمادات ولا دواء ولا طعام ولا حتى الخبز (..) موظفون يعملون بيأس وغرف تكدس فيها الجرحى والمحتضرون وهم يلعنون ضباطهم لانهم تخلوا عنهم ، ويلعنون الملك وخاله الشريف ناصر لعدم توفر المؤن والذخيرة الفاسدة وغياب الامدادات » . كما يستشهد شليفر بافادة مستشفى القديس يوسف التي جاء فيها انه ليس بين جرحى الجيش اي ضباط . (ص ٧٣ ــ النص العربي) . ويختتم شليفر فصله عن سقوط القدس بهذه الكلمات : « **لو كانت القدس (او اية مدينة في الضفة الغربية) مستعدة ، ولو وجدت فيها مقاومة جدية ، فان الازقة التي لا تحصى والشوارع الضيقة والانفاق والسطوح المتقاطعة والبيوت المدعومة جدرانها والازقة المسدودة والاقبية والكهوف**

المنسية والمخازن تحت الشوارع ، لكانت كل هذه اوجدت الغطاء اللازم للمعارك في المدينة وللبلبلة وللاضطراب الكافية لصد فرقة عسكرية أياما . ولو تكرر هذا الامكان المفترض في انتظام ، أي لو سلح شعب الضفة الغربية تسانده ميليشيا بدائية ، ودرب على حرب العصابات ، لكان في مقدور الاردن ان يخلق المشكلة الوحيدة التي لم يسبق للجيش الاسرائيلي أبدا ان واجهها . من الصعب ان نقدر التأثير الذي كان سيتم نتيجة حرب حزيران لو ان الجيش الاسرائيلي المهاجم واجه مقاومة عربية مسلحة في نواح مسدودة نوافذها داخل مدينة القدس المسورة ، وفي نابلس وجنين والخليل ورام الله وبيت جالا وبيت لحم وقلقيلية وأريحا ومخيمات اللاجئين ، بالاضافة الى الخوف من قطع مواصلاته على أيدي عصابات مسلحة من الفلاحين والانصار في القرى ، وذلك في حالة حرب طويلة تثيرها مثل هذه المقاومة الشعبية . ان عوامل معنوية وسياسية تلعب دورها ، عندما تشحذ عزائم شعب بكامله وتستدعي نشاطاته للدفاع عن أرضه — هذه العوامل ليس ممكنا تقديرها وحسبانها بواسطة الآلات الحاسبة في البنتاغون او بواسطة تحليلات الاستخبارات الامريكية » . (ص ٨٣ — ٨٤ النص العربي) .

هذه هي رواية شاهد العيان شليفر لسقوط القدس ، ومع ان كتابه عموما لا يخلو من بعض المآخذ ، الا ان جميع شهود العيان الاخرين يتفقون على ان الصورة التي رسمها هي صحيحة ، وكذلك استنتاجاته . الا ان روايته لا تتفق مع ما صرح به الملك حسين الى الصحفيين الفرنسيين فيك فانس وبيار لوير . ففي « حربنا مع اسرائيل » قال الملك : « القدس سقطت بعد معركة ضارية (..) ولقد حاربنا ببطولة وشرف ودافع جنودنا عن كل شبر » . (ص ٧٨) . كما كتب البريغادير يونغ : « في وجه اعداد متفوقة وتفوق جوي ساحق ، أدى الجيش الاردني أفضل ما لديه ، واذا كانت مناوراته لا تتصف بذكاء لامع على صعيد التكتيك ، فقائده المصري يجب ان يتحمل مسؤولية ذلك » . (ص ١٤٠ من « الحملة الاسرائيلية ١٩٦٧ ») . وتعليقا على ذلك يجب ان نذكر هنا أنه لا يونغ ولا الملك حسين كان في القدس عندما سقطت . يونغ كان في انكلترا وبنى روايته على تقارير مراسلي الصحف ، بينما للملك الاردني مصلحة أكيدة في التستر على ما حدث فعلا في المدينة المقدسة . فلنفحص الان سجل كل من الملك حسين والفريق رياض الذي اعتبره يونغ المسؤول الاول عن الهزيمة . قائد الجبهة الشرقية في حرب حزيران، الفريق عبدالمنعم رياض ، وضع تقريرا مفصلا حلل فيه الحرب في الضفة الغربية ، وهذا هو بالطبع اجراء متبع بعد كل حرب ، الا ان السلطات الاردنية لم تسمح بنشره (مع ان مقتطفات منه تسربت الى خارج الدوائر الرسمية العليا في الاردن) ، كما ان الفريق استشهد عام ١٩٦٨ وهو يدير عمليات الجيش المصري ضد العدو في الخطوط الامامية على القناة ، فهو اذن لا يستطيع دفع الاتهامات عن نفسه . ما هو رأي الملك حسين في الفريق ؟ في حديثه مع الصحفيين الفرنسيين وصفه الملك بأنه « جندي محترف مجرب ، ويعد من ألمع القادة العسكريين العرب » (ص ٤٤) . وردا على سؤال للصحفيين جاء فيه : « كنت شاهدا لجميع القرارات التي اتخذها الفريق رياض . ما رأيكم بتصرفاته ؟ الملك : فعلا شهدت جميع القرارات التي اتخذها الفريق رياض . بل شاركت فيها لان رياض كان يطلب موافقتي بالنسبة الى كل ما يعتبره مهما . كان أصعب قرار اتخذته هو اضطراري الى الموافقة على اقتراح الفريق رياض بسحب قواتنا من الضفة الشرقية للاردن . كان هذا أقسى قرار يمكن اتخاذه تجاه مواطنينا في الضفة الغربية والقدس بصورة عامة ، التي تخلينا عنها . فيما يتعلق برياض ، فأنا اعتبره جنديا أصيلا وضابطا قديرا . ان تربيته ممتازة » . (ص ٨٧) .

وبصدد اشارة الملك حسين الى « اقتراح » الفريق رياض سحب القوات من الضفة الشرقية ، يجب الرجوع الى الكتاب « عاصفة الرمال » تأليف الاسرائيليين ديفيد كمشه

ودان بولي(١٤)، فقد ذكرا ان الملك حسين أصدر أمرا بالانسحاب من الضفة الغربية ثلاث مرات خلال اربع وعشرين ساعة . وكل مرة كان ينقض أمره الاول بالانسحاب بعد ان يكون الانسحاب قد بدأ فعلا ، مما ادى الى حدوث اضطراب بالغ في صفوف الجيش ، نظرا الى ان الجنود كانوا قد غادروا مواقعهم المحصنة وتمركزوا في معسكراتهم تمهيدا لعبور الاردن عندما وصلتهم الاوامر بالعودة الى مواقعهم الاولى . هذا الاجراء تكرر ثلاث مرات ، وكان عائدا الى تردد الملك بين رغبته في الاحتفاظ بالضفة الغربية (ولذا البقاء) وبين حرصه على المحافظة على جيشه سليما (ولذا الامر بالانسحاب) اما في الكتاب « حربنا مع اسرائيل » فذكر الملك حسين في الصفحة ٧٧ : « . . وللاسف ، كان الفريق رياض قد أصدر للتو أمرا الى الوحدات التي لا تزال تحارب في الضفة الغربية للاردن بالانسحاب الى الضفة الشرقية . واعطينا فورا أمرا مضادا الى قواتنا بالبقاء في المواقع التي تحافظ عليها منذ ٢٤ ساعة ، لاننا كنا نريد مهما كلف الامر ، تحديد الاضرار مع الاحتفاظ بأكبر رقعة من الارض » . اي ان الملك يدعي هنا ان التناقض في الاوامر المعطاة للجيش كان بينه وبين الفريق رياض ، وليس بينه وبين نفسه ، مع انه كان يلازم الفريق في مقر القيادة العليا طوال الحرب ، حسب تأكيده هو ، ولا يمكن ان يكون الفريق رياض قد اصدر أمرا بهذه الخطورة العظمى دون علمه ، حتى ينقضه الملك فيما بعد . ولذا ينبغي هنا اعتماد الرواية الاسرائيلية لانها تفسر الكثير مما حدث اثناء الحرب . وعموما يمكن القول انه لا حاجة للاسرائيليين لاختلاق هذه الرواية في حرب كانوا بهـا المنتصرين على طول الخط . بل انهم بالغوا في وصف مدى العنف في مقاومـة الجيش الاردني لهم حتى يبدو نصرهم اعظم وأروع . ولكن فيما عدا اشتباك الدبابات في جنين ، والمعركة من اجل مدرسة شرطة فلسطين في القدس ، كانت الحملة الخاطفة التي بهـا استولوا على البقية الباقية من فلسطين هي مجرد نزهة بالنسبة اليهم .

عن الفريق رياض قال ايضا الملك حسين في « حربنا مع اسرائيل » (ص ٨٨) : « نظرا للطابع الخاص الذي تميزت به معركة الاردن التي قادها رياض دون ان يعرف الارض وامكانات الرجال التابعين له ، وهو تحت رحمة معلومات مهزوزة تتعلق بالوضع على مختلف الجبهات الحليفة ، كان يصعب على الفريق المصري أن يتصرف بشكل افضل » . ولكن بالرغم من هذه التزكية القادمة من القائد الاعلى ، فرأي وصفي التل في رياض كان يحتوي على قدر اقل من الثناء . ففي الصفحة ١٠٩ من نفس الكتاب ، قال التل يصف القائد المصري : « كان رياض محاطا بأربعة او خمسة ضباط مصريين كبار يؤلفون أركان حربه . وكان المصريون في المقر العام يقبضون على الزمام ويتحكمون بالمواقف و المقررات . ومع العلم ان الاصول المتعارف عليها لا تسمح باطالة الاخذ والرد وعرض المقترحات والمقترحات المضادة داخل مقر قيادة العمليات ، الا ان هذا لم يمنع اللواء الاردني عاطف المجالي معاون الفريق رياض من انتقاد بعض المقررات التي اتخذها رئيسه ، غير ان هذا ذهب في التمسك بقراراته الى حد العناد . وهكذا كانت الحال في مراكز قيادات الفرق والالوية المشتبكة مع العدو على الضفة الغربية ، اذ كان معظم أوامر رياض يثير اعتراض ضباط الوحدات المذكورة ، فيبادرون الى الاتصال بعاطف المجالي لاقناعه بخطل رأي الفريق المصري ومطالبته بأن يدافع عن وجهة نظرهم امام الفريق . ودائما كان رياض يتشبث برأيه وينتهي الامر برضوخ الضباط وتنفيذهم الاوامر الصادرة . عبدالمنعم رياض رجل ذكي يضج بالحيوية ، ما في ذلك ريب ، لكنه بدا لي في الظروف العصيبة دون المستوى المطلوب ، وذلك بالرغم من هالة الوقار التي أحاط بها نفسه ليدخل في روع الآخرين انه يعرف أكثر مما يبدو انه يعرف ، مع أن الرجل من خريجي الاكاديمية العسكرية البريطانية وقد امضى سنوات في التخصص في الكليات العسكرية في اميركا وروسيا وحتى في فرنسا . وهو رئيس اركان القيادة العربية الموحدة منذ ١٩٦٤ ، ولهذا

كان مفروضا فيه ان يعرف الجيش الذي دعي الى تولي قيادته ، وان يعرف الارض التي سيناور عليها ، وقد زار الاردن مرارا لهذا الغرض » .

كان من المعروف عن وصفي التل ان عداءه للمصريين لا يقل عن عداء الانكليز لهم وهذا واضح في نبرة التجريح التي يتحدث بها عن الضابط المصري ، عن غروره المزعوم ، و « عناده » وكونه « تحت المستوى المطلوب » . كما ان حديثه عن قبض المصريين على الزمام وتحكمهم بالمواقف والمقررات يتناقض على طول الخط مع ما قاله الملك حسين في نفس الكتاب . ولذا فان نظرة هذا السياسي الاردني الى العسكري المصري لا يمكن اعتبارها تقييما نزيها لشخصية الفريق رياض وكفاءته العسكرية . بنظر التل ارتكب رياض خطأين كبيرين (ص ١٠٨) أولهما « تصديقه ما كانت تردده القاهرة » عن سحقها نطيران العدو . والسؤال الآن هو : كيف يمكن لرياض الا يصدق ما صدقته في البداية حتى قائده الاعلى نفسه : جمال عبدالناصر ؟ ثم يذكر التل ان غلطة رياض الثانية كانت في اقدامه على نقل اللواءين المدرعين من المواقع التي كانا يحتلانها ، دون مبرر استراتيجي . وفي الواقع كان لهذا الاجراء مبرر استراتيجي فائق الاهمية . فالفريق رياض ترك الجبهة الاردنية الشمالية ليدافع عنها الجيشان العراقي والسوري ، وأصدر أوامره للواء الستين بالتوجه الى الخليل ؛ ومنها عبر الحدود الى بئر السبع ، أهم قاعدة للدروع الاسرائيلية ، لتحقيق الاتصال بالعناصر الامامية من الجيش المصري الذي كان يفترض فيه ان يكون قد اخترق خط الدفاعات الاسرائيلية ليتصل بالجيش الاردني في منطقة بئر السبع . هذه كانت الخطة المعدة سلفا ، أما سبب فشلها فلا يعود الى عدم كفاءة رياض، وانما الى تدمير الطيران المصري الذي نتج عنه انسحاب المصريين السريع .

يقول المؤلفان البريطانيان راندولف و ونستن تشرشل في كتابهما «حرب الايام الستة»(١٥) « ان الاسرائيليين كانوا يخشون هجوما أردنيا من منطقة طولكرم ـ قلقيلية صوب الساحل قرب ناتانيا ، لان الحدود الاردنية كانت لا تبعد عن البحر في تلك المنطقة الا مسافة عشرة أميال فقط . وكان من شأن هذا الهجوم لو تم بنجاح ان يشطر اسرائيل الى شطرين ، فيفصل شمالها عن جنوبها» . ويستخلص المعلقون من ذلك ان رياض كان يجب ان يهجم عبر تلك المنطقة وليس في الجنوب من الخليل والسموع باتجاه بئر السبع. ومن هؤلاء شليفر ايضا الذي يقول في كتابه (ص ٥٥) : « ان اختيار بئر السبع كان دليلا على مقدار ما انطوت عليه فكرة الدفاع الملازمة للعرب حتى في خطة « الهجوم المعاكس » . بئر السبع هي مدخل النقب ، والنقب بدوره مدخل سيناء . فالنفاذ الاردني في بئر السبع يخفف من الضغط الاسرائيلي على القوات المصرية في سيناء ، ومن الممكن نظريا ان يرغم الاسرائيليين على الانسحاب سريعا (في حال ثبات المصريين) لتجنب الوقوع في خطر التطويق . لكن قبل حرب حزيران كان كابوس الاستراتيجية الاسرائيلية هو اندفاع عربي عبر السهول الوسطى من مدينتي الحدود الاردنية الامامية ، قلقيلية وطولكرم ، اللتين لا تبعدان عن البحر سوى ١٢ كيلومترا . ونظريا ، نفاذ العرب ١٢ كيلومترا هناك يقطع تل ابيب عن حيفا والقدس الجديدة وطبريا والجليل . » **نظريا** يمكن تنفيذ هذه العملية ، ولكن لانها ظاهريا كاحل أخيل في الخارطة الاسرائيلية ، فلا بد ان الاسرائيليين اعدوا للدفاع عن نقطة الضعف هذه أقوى وحداتهم ، ولذلك كان من الضروري على الفريق رياض ، كأي قائد محنك واسع الحيلة ، الا يهاجم العدو في النقطة التي يتوقع أن يأتي منها هجومه . بيد ان شليفر كان على حق عندما وصف الاستراتيجية العربية بأنها تنطوي على فكرة الدفاع حتى في خطة الهجوم المضاد ، اذ لا ريب ان خطة رياض استهدفت تخفيف الضغط على القوات المصرية في سيناء ، وليس الى الغاء الوجود السياسي لاسرائيل ؛ وتحرير الارض المغتصبة ، فذلك هدف لم يكن ابدا قد خطر

جديا ببال القيادة السياسية العليا للاقطار العربية المتورطة تورطا فعليا في القضية الفلسطينية . اذن فتحت الظروف السياسية الدولية المعروفة ، لم يبق امام الفريق الا التحرك عسكريا داخل النطاق السياسي الضيق الذي عينته قيادته السياسية العليا . اذن فاستراتيجيته لم تكن تهدف الى تدمير اسرائيل ككيان سياسي ، بقدر ما كانت ترمي الى انشاء حالة من **الاعتقار** العسكري بين الجيــوش المتحاربة من شأنـــه ان يؤدي في النهاية الى حل سلمي يجلب معه بعض المكاسب السياسية للعرب . هذا النمط من التفكير فشل طبعا ، لان اسرائيل رفضت الاشتراك في اللعبة والتقيد بقواعدها ، تاركة للعربي ان يرتدي قفاز الملاكمة ويدخل حلبة الملاكمة لينازل خصمه ، ثم ليفاجأ بعدوه الاسرائيلي وهو يأتي بدون قفاز وانما بمدية طويلة يظل يطعنه بها حتى يمزق احشاءه . فما كان بالنسبة للقيادات السياسية العربية استعراض قوة في نطاق رياضي مهذب ، كان لاسرائيل صراعا حتى الموت . هذا هو الاختلاف الاساسي في تولج الفريقين نحـــو المشكلة . أما بقدر ما يتعلق الامر بالفريق رياض ، فالرجل كان جنديا يتلقى الاوامر من الزعامة السياسية ، ويحاول جهد امكانه التصرف داخل قيودها ، لينجز الافضل من مهمة هي في اساسها عفنة حتى الصميم .

ثم هناك نقطة وردت في حديث وصفي التل في « حربنا مع اسرائيل » لا بد من مناقشتها . قال التل : « لم يكن لدينا ضابط ارتباط في مصر ليوافينا بالخبر اليقين » . وهذا هو بلا شك اعتراف من جانب التل باشتراك حكومته في المسؤولية عـــن تفكك الارتباط بين الجيشين الحليفين ، المصري والاردني ، اذ كيف يمكن لدولة ان تخوض غمار حرب الى جانب حليف لها دون ان يكون لها ضابط ارتباط مع جيش ذلك الحليف ؟ هذه هي احدى الامور الاولية البديهية في الحروب . بل حتى محافظ القدس كان لديه ضابط ارتباط مع الجيش الاردني ، بينما الجيش الاردني نفسه لم يكن لديه ضابط ارتباط مع الجيش المصري ليوافيه بالخبر اليقين عن سير الامور في الجبهة المصرية .

للمؤلفين ديفيد كمشه ودان بولي ملاحظات جديرة بالاهتمام في كتابهما « عاصفة الرمال » بصدد تكوين الجيش الاردني . فهما يذكران انه في عهد الجنرال غلوب كان مفهوم الدفاع الاردني قائما على تركيز القوات الرئيسية في مناطق التلال ، مع الاحتفاظ بوحدات دفاعية صغيرة في القرى الامامية . وكانت حجة غلوب (وهي لا ريب صحيحة في نطاق السياسة الاردنية) ان هذا التوزيع من شأنه ان يحبط اية خطط اسرائيلية تستهدف الحصول على موضع قدم في مرتفعات الضفة الغربية . هذا المفهوم الغي في ١٩٦٢ عندما أنشأت الحكومة الاردنية قوات الحرس الوطني المتكونة غالبا من الفلسطينيين وعهد اليهـــا بحراسة المواقع الامامية . ولكن عمان عادت وحلت هذه القوات عام ١٩٦٥ لانها لم تكن تثق بولائها للنظام القائم . ولما بقيت المواقع الامامية دون حراسة كافيـــة ، قررت الحكومة انشاء خمسة الوية نظامية جديدة تتألف في غالبيتها من سكان شرق الاردن ، ولكن حرب حزيران استبقت الاحداث عندما كانت هذه الالوية ما زالت في طور التكوين، فوقع على عاتق القوات المتمركزة في نقط مفاتيحية على التلال ، ان تنتشر على طول الحدود التي يبلغ امتدادها ٦٥٠ كيلومترا ، بينما يجب في حالة الحرب ان تتجمع هذه القوات المبعثرة ، فتلتئم سوية في قبضات حديدية لتحاول اختراق خطـــوط العدو في هجمات مركزة صلبة . وفعلا حاولت هذه القوات التجمع ، ولكـــن السلاح الجوي الاسرائيلي عاجلها بنابالمه ، فمنعها من ذلك وأحرق قوافلها .

بالنسبة لهذا البحث ، فالجملة ـــ المفتاح في تحليل المؤلفين هي المتعلقة بحل الحرس الوطني ، اذ ان ذلك الاجراء كان من أهم الاسباب التي ادت الى ضياع البقية الباقية من فلسطين في أيام معدودة. ومع ان الملك حسين أجاب على برقية من المشير عبدالحكيم عامر طالب فيها الاخير بتسليح المدنيين بسبب تدهور الموقف في الضفة الغربية ، قائلا

(أي الملك) « ان المدنيين مسلحون منذ وقت طويل »(١٦). فالواقع ان الحكومة الاردنية لم توزع الاسلحة الا على بضع مئات من المدنيين غير المدربين ، من بين مليون شخص في الضفة الغربية . ومن اقسى الاتهامات التي تكال اليوم للمقاومة الفلسطينية وأكثرها تجنيا هي تلك التي تشير الى عجز المقاومة عن ارساء قواعد فعالة لها في الضفة الغربية المحتلة . وتناسى الناس قمع النظام الاردني لكل محاولة جرت منذ ١٩٤٨ لتسليح سكان البقية الباقية من فلسطين ، واعدادهم لمواجهة الغارات الاسرائيلية المتعددة ، بل والاهم من ذلك ، لاعدادهم للمقاومة المسلحة في حالة احتلال اسرائيل للضفة الغربية . ومع ان الحكومة الاردنية كانت دائما السباقة الى التخويف من خطط اسرائيل التوسعية ، الا انها لم تفعل شيئا على صعيد الاعداد الشعبي لمواجهة هذا الاحتمال الممكن جدا ، احتمال ان توسع اسرائيل اراضيها على حساب الاردن . بل بالعكس ، بذلت عمان قصارى جهودها لمنع السكان من الاستعداد للحرب . وهذا يعود بنا الى الموضع من كتاب « سقوط القدس » الذي تحدث فيه مؤلفه عن امكانية نشوء مقاومة ضارية للغزاة فيما لو سلح السكان ودربوا على حرب العصابات .

في عام ١٩٦٤ نشرت مذكرات الجنرال غريفاس(١٧)، بطل الثورة القبرصية، التي تضمنت الفقرة التالية : « ان أي بلاد تظن انها قد تتورط في حرب ، وعندما يتم التغلب على العقبة البسيكولوجية التي يبدو انها تمنع الحكومات من الاقرار بهذه الحقيقة ، فانه لامر سهل أن تختزن الدولة الاسلحة والمتفجرات سلفا ، وتعين الرجال الذين بمقدورهم أن يقودوا السكان ويحوزوا على ثقتهم . ويمكن تحقيق أشياء عظيمة بواسطة المواد القليلة كما برهنا على ذلك في قبرص . اما اذا كانت الموارد اللازمة متوفرة ، فالآفاق تصبح بدون حدود » . هذا الحديث الذي دونه واحد من أشهر قادة حروب التحرير في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، كان ينبغي ان يكون الالهام لقطر كالاردن ، يتهدده على الدوام عدو طامع يعد الخطط العدوانية منذ زمن بعيد . عندما تبوأ الملك حسين عرش الاردن قبل عشرين عاما ، وكان آنئذ شابا متحمسا ، اصطحبه الجنرال غلوب ، قائد جيشه وصاحب السلطة الفعلية في البلاد ، في جولة تفتيشية على طول حدود الاردن الطويلة مع اسرائيل ، ليبين له استحالة حراسة كل شبر من الحدود ضد الاعتداءات الصهيونية المتكررة . وطبعا لم يكن الجنرال الكهل ، خريج قتال الخنادق في الحرب العالمية الاولى ، من تلامذة ماوتسي تونغ وغياب ليؤمن بالمقاومة الشعبية وحروب العصابات والانصار . فبقدر ما يتعلق الامر بذهنيته العسكرية الاتباعية ، كان الدفاع عن المملكة الاردنية الهاشمية منوطا بالجيش النظامي . فاذا كان الجيش ، باقرار الجميع ، وحتى باقرار قائده غلوب ، هو غير قادر وحده على صد اي هجوم اسرائيلي محتمل ، فهذه قسمته ونصيبه ، ولا يمكن تغيير ما هو مكتوب على الجبين . اما ان يؤمن غلوب بطاقات الشعب الذي انيطت به مهمة حمايته ، فيدربه على القتال، وينشىء منه وحدات كبيرة لتساند الجيش النظامي في حالة اندلاع الحرب ، فهذا بالنسبة للجنرال الامبريالي هو بمثابة هرطقة عسكرية لا يمكن ان تخطر ببال غير البلاشفة وغيرهم من المشاغبين واعداء المؤسسات القائمة .

قبل خمسة قرون من ميلاد المسيح ، كتب صن تسو(١٨) عن استراتيجية القوتين المتكاملتين في ساحة القتال ، فقال : « الجيش الذي يستطيع صد هجوم العدو دون ان يتعرض للهزيمة هو ذاك الذي يعتمد على قواته العادية وغير العادية . القوات التي تتصدى للعدو هي العادية ، اما التي تهدد جناحه فهي غير العادية ، ولا يوجد قائد جيش يستطيع جني ثمرة التفوق من يد العدو دون استخدام القوات غير العادية » . وكتكملة معاصرة لهذا المذهب في الاستراتيجية ، أضاف ماوتسي تونغ(١٩) يقول : عمليات المقاومة والقوة الرئيسية تكملان بعضهما بعضا ، كالذراع الأيمن والذراع الايسر للانسان (..)

بامكان القوة النظامية بعد أن يشتتها العدو ان تقوم بحرب العصابات ، وعندما تعيد تجمعها تعود الى حرب الحركة (أي الحرب النظامية) كما فعل جيش الطريق الثامن (في حرب التحرير الصينية) . »

ويمكن علاوة على ذلك الاستشهاد بما حدث في روسيا في حزيران ١٩٤٤ عندما استطاع رجال العصابات السوفييت ـــ الذين كانوا في الاساس جزءا من القوات النظامية ـــ ان يشلوا مواصلات الالمان بعد اكثر من عشرة آلاف غارة شنوها علـى الطرق والسكك الحديدية ومحطات الراديو ومقرات القيادة وقوافل التموين، وكان هؤلاء الانصار يعملون في نطاق فرق كاملة كالجيوش النظامية .

اما في الاردن ، فالعقدة السائدة كانت عقدة الحدود ، مما يفسر تردد الملك حسين ثلاث مرات قبل ان يأمر جيشه بالانسحاب نهائيا من الضفة الغربية . وطبعا لم يتحول الجيش المنسحب الى القوة التي تحدث عنها صن تسو ، اذ لم يكن ذلك هو الدور المرسوم له . ولذلك فان انسحاب الجيش بالاضافة الى غياب أية قوة مقاومة اخرى ، وضع حركة المقاومة بالضفة الغربية في طريق مسدود ، وخسرت منظمات المقاومة المئات من رجالها وهي تحاول غرس جذور للمقاومة ضد الاحتلال في أرض كان النظام الاردني قد سبق القوات الاسرائيلية في كيّها حتى لا ينبت فيها رجال يحملون السلاح . يقول توم باري في كتابه عن المقاومة الارلندية ضد الاستعمار البريطاني في العشرينات(٢٠): « في مواجهة ١٢٦٠٠٠ جندي بريطاني في منطقة كورك وقفت قوة ارلندية لم يتجاوز عدد أفرادها في اي وقت من الأوقات عن ٣١٠ مسلحين ، اي كان على كل ثائر ارلندي ان يواجه حوالي اربعين جنديا . فاذا برز التساؤل نتيجة لذلك لماذا لم يستطع البريطانيـون بقوتهم الكبيرة ان يقضوا على الوحدات الارلندية الضئيلة العدد ، فالجواب على ذلك يجب ان يكون : النضال لم يكن بين الجيش البريطاني وبين قوة ارلندية صغيرة ، اذ لو كان الامر كذلك لابيدت القوة الارلندية في أيام ، **ولكن لان النضال كان حربا شاملة بين الجيش البريطاني والشعب الارلندي ، فالمشكلة التي جابهها الجيش البريطاني لم تكن كيف يمكنه ان يحطم وحدات الثورة الارلندية ، وانما كيف يمكن تدمير مقاومة شعب . »**

ولكن لو افترضنا جدلا ان الاحتلال البريطاني لارلندا أتى في اعقاب نظام حكم ارلندي بذل كل جهوده لتحطيم ارادة الشعب، ومنعه عن المقاومة في حالة وقوعه تحت الاحتلال، فهل كان ممكنا عند ذلك ان يقاوم الشعب الارلندي بريطانيا المستعمرة بنفس القوة والعنف والجرأة التي قاوم بها فعلا ؟ اذا كانت المقاومة الفلسطينية لم تنجح حتى اليوم في الضفة الغربية ، فذلك لانها ظلت مقاومة مناضلين معدودين لجيش محتل كبير ، وليس مقاومة شعب كامل له. فاذا تساءل أحدهم لماذا لم يدرس النظام الاردني التجارب التاريخية ، فسيجد الرد على تساؤله في كتاب المفكر الصيني المعاصر هو لنغ(٢١) عن التقاليد الديمقراطية في جيش التحرير الصيني الشعبي . فان هو لنغ سخر من محاولات امريكا المحمومة لدراسة اساليب حروب التحرير الشعبية والاقتباس منها مـن اجـل التوصل الى افضل الطرق لمجابهتها وبالتالي اخمادها . فقد تساءل هو لنغ : كيف يمكن لجيش نظام استعماري غارق في المفاهيم الرجعية ان يفهم طبيعة قوة شعبية تناضل في سبيل التحرر ؟ كيف يمكن للمرتزقة او المجندين ارغاما ان يقاتلوا حسب اساليب الثوار الفيتناميين ؟ انه لتناقض ذاتي يثير السخرية ويجلب الرثاء . ولدينا مثال من التاريخ القريب على اخفاق الانظمة اليمينية في اعتناق أساليب الثورات الشعبية . فقد اصر اوجو كوو ، قائد الحركة الانفصالية في نيجيريا ، على اتباع استراتيجيـة الجبهات الثابتة ، اي الحرب النظامية ، ضد الحكومة المركزيـة ، لان مشاق حرب الانصار وأهوالها تتطلب وجود حوافز لدى المقاتلين وقادتهم لم تكن لديه . ولذا فعندما انهارت

لجبهة في النهاية ، لم يبق اوجو كوو ليشن حرب الانصار ، وانما شحـــن سيارته المرسيدس معه في الطائره التي استقلها ليهرب من بيافرا .

يقول الملك حسين في « حربنا مع اسرائيل » (ص ٢٤) : « امـــا سكان الحدود فقد سلحناهم ودربناهم ، ولكن انى لهم ان يواجهوا هجوما مركزا تشنه قوات كبيره ! » معنى هذا القول ان النظام الاردني لم يسمع بحركات المقاومة الشعبية ابان الحرب العالمية الثانية ، او بالهند الصينيه وقبرص والجزائر واليمن الجنوبي في جيلنا هذا . ان بامكان الولايات المتحدة ان تحتل فيتنام الشمالية كلها في خـــلال اسابيع معدودة ، وكوبا خلال ايام قليلة ، ولكن هل يمكن للبنتاغون ان يقوم بخطوة مثل هـــذه فيعرض جيشه لحرب استنزاف لا تعد خسائره الحالية في فييتنام شيئا بالمقارنة معها ؟ اذ بمقدور المقاومة الشعبية في كل من كوبا وفييتنام الشمالية ان تنزل عقابا بالجيش الامريكي لـــم يعرفه في تاريخه . اذن فليس المفروض ان يواجه سكان الحدود هجوما مركزا تشنه قوات نظاميه كبيرة مسلحة باحدث الاسلحة واثقلها ، فهذا معناه المذبحة ، وحمدا لله ان النظام الاردني لم يسلح ويدفع الى القتال سوى بضعة مئات من المدنيين فقط(٢٢). فالدور الصحيح المناسب للمدنيين المسلحين هو ليس مواجهة الجيوش النظامية فـــوق جبهات ثابتة ، وانما شن الغارات الاستنزافية المنهكة خلف خطوطها وعلى طول جناحها، وليس بالضرورة اثناء الحرب النظامية نفسها ، وانما بعدها ايضا . كانت الخطوة الاولى في المسيـــرة نحو تحقيق تحرير فلسطين يمكن ان تتحقق لو ان النظام القائم كان جادا في المحافظة على اراضي البلاد جديته في الحفاظ على كيانه .

ولكن لنعد الى الحرب نفسها . القوات الاسرائيلية التي هاجمت الاردن لـــم تكن اكبر كثيرا من الجيش الاردني الذي تصدى لها ، وذلك لانشغال الجزء الاكبر من قوات العدو في سيناء . اما الطيران الاسرائيلي ، فان تفوقه الساحق كان سيضحى هزيمة ساحقة لو ان المدفعية الاردنية قصفت قواعده الجوية . ثـــم ان الضفة الغربية بمرتفعاتهـــا وحقولها لا تجعل الجندي المدافع فيها مكشوفا تماما كالمقاتل في صحراء سيناء . وقـــد رأينا ما حل بالطيران الامريكي في حملاته الشهيرة على لاوس ، عندما اسقط له الثوار حوالي ثلاثمئة طائرة في ايام قليلة ، علما ان هؤلاء الثوار لم تتوفر لديهم حتى الطائرات القليلة التي كانت متوفرة لدى النظام الاردني . ومع ذلك شلوا اقوى طيران في العالم ، واظهروا ضعفه امام الجميع .

باستثناء منطقة جنين حيث خاض اللواء الاربعون معارك ضارية حقا ، وبعض جيوب المقاومة في القدس ، فقد انسحب الجيش من الخليل وبيت لحم واللطرون دون مقاومة تقريبا ، وخسر الحرب كلها خلال ايام ثلاثة . وفي تقهقره المضطرب نسي حتى ان يزيل لافتات الطرق من اماكنها ، فبقيت هذه اللافتات ترشد القوات الاسرائيلية الزاحفة الى المواقع التي تبغي الوصول اليها ، مع ان ازالة اللافتات هو من الاجراءات البديهية التي يجب ان يقوم بها اي جيش منسحب ، ولكن الظاهر ان الضباط كانـــوا في عجلـــة من امرهم للوصول الى الضفة الشرقية . ثم هناك قضية محطة الرادار الوحيدة في الاردن، والواقعة في عجلون، اذ يقول الملك في «حربنا مع اسرائيل» (ص٦٣): «منذ صباح الاثنين ٥ حزيران ، وصلنا تقرير من مركز العمليات لسلاحنا الجوي يقول ان الرادار كشف وجود طائرات في منطقتين فوق المتوسط : ١ ـــ على مسافة ٤٠ كيلو مترا الى الشمال من بردويل . ٢ ـــ الى الشمال الشرقي من بور سعيد . وذكر التقرير ان هذه الطائرات المجهولة تختفي عن شاشة الرادار ابتداء من منطقة تقع عند نقطة عمودية من مطار اللد في اسرائيل . ومن جهة اخرى اكتشف الرادار اشياء راسية في المتوسط . وشدد التقرير على ان هناك طائرات تحلق باتجاه اسرائيل ، على مستوى البحـــر ، في نقاط قريبة من هذه الاشياء الراسية . والنتيجة التي توصل اليها التقريـــر هي ان هـــذه

الطائرات تعمل انطلاقا من حاملة الطائرات . ونحن نعرف بطريقة لا تقبل الشك ان ليس لدى اسرائيل اية حاملة طائرات . والرادار لا يعطي جنسية الطائرة . وازداد ارتباكنا لاننا وفقا للمعلومات المصرية عن حصيلة الطائرات الاسرائيلية المدمرة ، يجب الا نواجه هذا العدد الضخم من طائرات العدو المستعدة للحرب استعدادا تاما . وحين قدرنا قوة الطيران الاسرائيلي ، حسب معلومات حلفائنا ، وجدنا ان هذا الضغط الجوي الكبير وغير الطبيعي لا يمكن ان يكون دون مساعدة اجنبية لاسرائيل . والذي زاد من اضطرابنا هو تناقض بعض طيارينا . فهؤلاء اكدوا انهم شاهدوا طائرات مطاردة اسرائيلية مشابهة لطائراتنا (هوكر هنتر) وبدا لنا ان هناك تفسيرا واحدا معقولا : هذه الطائرات هوكر هنتر ، وهي طائرات لا تملكها اسرائيل ، لا يمكن ان تأتي الا من قاعدة قريبة في الشرق الاوسط . وعلمنا فيما بعد ان هذه الطائرات ليست هوكر هنتر بل طائرات مستير اسرائيلية تشبه طائراتنا ويمكن الخلط بينها وبين الهوكر هنتر . وكمثل على الخلط الناتج عن تشابه هذين النوعين من الطائرات ، لن اذكر غير هذه الحادثة : قامت طائرات مطاردة اسرائيلية بمهاجمة احدى وحداتنا الآلية على الخطوط الامامية ، فلم تفعل هذه الوحدة شيئا . والسبب ان جنودنا حسبوا طائرات المستير طائرات هوكر هنتر التابعة لسلاح الجو الاردني (..) لقد اعتقدت في وقت حقا بوجود تدخل من الولايات المتحدة وبريطانيا وعندما اعلنت ذلك كنت مقتنعا به تماما » .

نجد اذن ان اسطورة التدخل الامريكي البريطاني لصالح اسرائيل لم تلد في مخيلة ناصر، كما رددت الدعايات الغربية ، وانما مصدرها هو الرادار الاردني الذي حسب المسؤولون عن تشغيله ان الطائرات الاسرائيلية العائدة الى قواعدها من غاراتها على مصر هي طائرات امريكية او بريطانية قادمة من حاملات الطائرات في البحر المتوسط . اما خلط الطيارين الاردنيين بين المستير الفرنسية الصنع التي تستخدمها اسرائيل منذ منتصف الخمسينات ، والتي يشاهدها سكان الضفة الغربية وهي تحلق في تمارينها كل يوم ، وبين الهوكر هنتر البريطانية الصنع التي يستخدمها الاردنيون منذ نفس التاريخ تقريبا ، فهو أمر يرسم علامة استفهام وتعجب حول سلاح جوي يعد قائده الاعلى نفسه بين نسوره .

ويعترف الملك حسين في نفس الكتاب ايضا (ص ٥٤) بأن طياريه لم تكن لديهم فكرة واضحة عن المهام التي يجب عليهم انجازها ، فيقول : « اما الحديث القصير الذي دار بيني وبين الطيارين فقد عزز تشاؤمي بشأن العمليات التي سيدعى سلاحنا الجوي للقيام بها ، فطيارونا لا يعرفون بالضبط ما ينبغي لهم عمله . انهم طبعا ينفذون الاوامر بحرفيتها دون تردد ، ولكن الاوامر التي نصدرها اليهم مقتضبة جدا ويعوزها الوضوح، ذلك ان افتقارنا الى المعلومات الصحيحة يجعلنا عاجزين عن اصدار تعليمات مفصلة ، فيضطر طيارونا والحالة هذه الى ارتجال المواقف لانهم لا يملكون ، شأن طياري اسرائيل ، معلومات واضحة تمكنهم من اتباع خط سير محدد وتنفيذ خطة واضحة المعالم والاهداف . فالطيارون الاسرائيليون يعرفون كل شيء عن الاهداف المحددة لهم » .

القارىء يستغرب لماذا لم يدر هذا الحديث القصير بين القائد الاعلى ونسوره **قبل** الحرب وليس اثناءها . كما انه يدهش لضعف الاستخبارات الاردنية الى هذا الحد . وهو اذ قد يغفر للاستخبارات المصرية فشلها باعتبار انه على الاقل تقع بين اسرائيل وقلب مصر رمال سيناء المترامية ، فانه يعجب لعقم الاستخبارات الاردنية في الوقت الذي تقع فيه عاصمة اسرائيل على بعد امتار من القدس العربية ، وفي الوقت الذي يمكن لاي ضابط اردني ان يراقب ما يجري في اجزاء كبيرة من اسرائيل الدقيقة الحجم بواسطة المنظار المقرب .

ماذا كانت خسائر الجيش الاردني في الارواح ؟ بعد الحرب مباشرة هول المعلقون

الغربيون من حجم خسائره قائلين ان عدة الاف من جنوده قد قتلوا . فكتب بيتر يونغ يقدر عدد قتلاه بأنه حوالي خمسة عشر الفا ، كما ان أربعة من الويته التسعة ابيدت . اما كتاب اللواء معن ابو نوار عن اللواء المدرع / ٤٠ الذي خاض اعنف المعارك ، فلم يتضمن معلومات يمكن ان يفيد منها الباحث ، وذلك لاكتفاء المؤلف بالتركيز على البطولات الفردية والجماعية لرجال هذا اللواء . ومع ذلك نفهم بطريقة غير مباشرة ان عدد قتلى اللواء بلغ ٩٥ رجلا ، منهم ثمانية ضباط : خمسة برتبة ملازم ، واثنان برتبة رئيس ، وواحد برتبة مقدم . أي ان نسبة القتلى من الضباط هي حوالي تسعة بالمئة ، وهذه نسبة ضئيلة اذا علمنا ان اسرائيل تفخر بأن نسبة القتلى من ضباطها بلغت اكثر من ربع قائمة القتلى الشاملة . والنسبة الاخرى التي تسترعي انتباهنا في شهداء اللواء المذكور هي التي تشير الى ضآلة عدد الفلسطينيين المنتمين الى هذا اللواء ، فقد كان هناك حوالي عشرة قتلى من الفلسطينيين فقط ولا واحد منهم برتبة ضابط .

في الكتاب « حربنا مع اسرائيل » ذكر الملك حسين ان « حصيلة ايام المعركة الثلاثة التي عشناها حصيلة ثقيلة : ٦٠٩٤ قتيلا او مفقودا » . ولكن الذي حدث فعلا انه في نهاية شهر حزيران ، وجد المحاسبون في دائرة صرف الرواتب بالجيش الاردني ، انه باستثناء الجنود الذين وقعوا اسرى بيد العدو ، فان ١٩٣ رجلا فقط لم يظهروا لاستلام رواتبهم. اما شليفر ، فيقول في كتابه (ص ٨٠) : « من الصعب تقدير عدد الجنود الاردنيين الذين قتلوا في معركة القدس او في الضفة الغربية . اني اقدر على أساس سجلات قيد الاوقاف للمدفونين والتقارير التي وضعها شاهدو عيان ان ما يزيد قليلا على ٢٠٠ جندي اردني قتلوا في منطقة القدس **ومعظمهم من الاحتياطيين تحت التدريب** . ولما تم وقف اطلاق النار نقلت المصادر عن عمان ان الجيش قد « ابيد » على الضفة الغربية . وفي ايام قليلة انخفض العدد الى ٧٠٠٠ رجل بين قتيل ومفقود . والرقم غير الرسمي الذي أمكن الحصول عليه الان من دوائر سياسية وعسكرية محترمة هو ١٩٣ قتيلا ، انما هذا لا يضم الاحتياطيين تحت التدريب . ولكون معركة المشاة الوحيدة بين الاردنيين والاسرائيليين وقعت في القدس ، اقدر ان الحقيقة لا تبعد عن الرقم الاخير » .

معنى ذلك ان الجيش فقد في حربه دفاعا عن القدس وبيت لحم ونابلس وطولكرم وجنين ورام الله واريحا وبيت جالا وقلقيلية والخليل لا اكثر من اربعمائة قتيل ، على أبعد تقدير . أي أقل من واحد بالمئة من مجموع قوته التي تبلغ حوالي ٥٦ الف رجل . ولا ريب ان هذا كان السبب الاول في عدم نشر الحكومة الاردنية لاحصاء رسمي عن عدد القتلى والجرحى والمأسورين في جيشها . ومع ذلك ، فعندما سأل الصحفيان الفرنسيان الملك حسين (ص ٨٩) : « هل حاولت ان تحاكم المسؤولين عن بعض الاخطاء التي ارتكبت ، كما حصل في القاهرة ؟ اجاب الملك : لا . كل واحد تصرف وفق مقدرته وامكاناته وطاقاته . البعض قام بعمل فوق طاقته . والبعض الاخر لم يكن بامكانه ان يفعل اكثر مما فعل . والاخرون كانت امكاناتهم المحدودة تجعلنا لا نأمل منهم ان يقوموا بأكثر مما قاموا به » . معنى ذلك ان التصرف وفق المقدرة والامكانات والطاقات يشمل الهرب من ساحة القتال والتخلي عن الجنود ، ولكن الظهور في اخر الشهر لقبض الراتب . ويعني ايضا انه اذا لم يكن باستطاعة جيش النظام ان يثبت مقدرته امام الجيش الاسرائيلي (فيما عدا معركة جنين ومعركة الكرامة) فلا بأس ان يثبت قوته على الشعب الفلسطيني . ومع ذلك ، فحتى ضد الفدائيين المسلحين بالاسلحة الخفيفة، وضد الميليشيا التي لم تسنح لها الفرصة لاستكمال تدريبها ، كان اداء جيش النظام ليس من الدرجة التي تجلب عليه ثناء الخبراء العسكريين . لنقارن بين فتح الاسرائيليين لمدينة عدوة هي القدس ، واقتحام جيش النظام لعاصمة بلاده ، عمان ، في ايلول ١٩٧٠ . في حرب حزيران تمكن الجيش الاسرائيلي من احتلال القدس في اقل من يومين ، مع احداث

أقل قدر ممكن من الاضرار في مباني المدينة المقدسة . اما جيش النظـــام الاردني الذي قطع الماء والكهرباء عن عاصمته ، وحاول اقتحام عمان وكأنه جيش غاز يريـــد تدمير المدينة فوق رؤوس أهلها بعد ان كاد الجوع والعطش يفتكا بهم ، فقد واصل قصفه لها بكل مدافعه الثقيلة والخفيفة حوالي اسبوعين دون جدوى . بعد هذه الحملة ، صرح الملك حسين لجريدة لوموند ان استخباراته كانت قد أكدت له في البداية ان بامكان جيشه تطهير العاصمة من الفدائيين والميليشيا خلال اربع وعشرين ساعة !

ثم ان محاولة الجيش اقتحام عمان برهنت في سياقها على ان تكتيكاته لم تتحسن كثيرا بعد حرب حزيران . فقد أبـــدى الجنود البدو ضعفا فاضحا في قتال الشوارع وذلـــك لاعتمادهم الكلي على المصفحات والدبابات ، مع ان هذه وحدها لا تكفي لتطهير مدينة كبيرة من عدة الاف من المسلحين. بل كان المفروض على وحدات المشاة ان ترافق الدروع للقضاء على جيوب المقاومة في كل بيت وحول كل منعطف بالطريق . ولكن الذي حصل ان البدو قبعوا طوال الوقت تقريبا داخل مصفحاتهم ودباباتهم . كتب المؤلفان البريطانيان بيترسنو وديفيد فيلييس(٢٣) : « ابدى الاردنيون ترددا في توريط مشاتهـــم لاستخراج الفدائيين من مخابئهم ، ولهذا صدرت الاوامر للدبابات والمصفحات باطلاق النيران من مدافعها الضخمة على اي بيت تنطلق منه رصاصة في اتجاههم . وكـــانت نتيجة هذه الاوامر دمارا فظيعا » . كما تحدث المؤلفان عن فشل العميد غاصب في محاولته قطع الطريق المؤدية الى سوريا بمنطقة الرمثا ، بالرغم من ان الفدائيين الذين جابهوا دباباته السنتوريون والباتون لم يكونوا مزودين بعدد كاف من المدافع المضادة للدروع .

ومع ان المقاومة كانت تعاني من عدم وحدة القيادات والضعف في التنسيق ، وبالاضافة الى ذلك ونقص الخبرة القتـــالية وعدم توفر الاسلحة المضادة للدروع والذخـــيرة بكمية كافية(٢٤)، وبالرغم من ان جيش النظام حاول اقتباس بعض اساليب الجيش الاسرائيلي كغزارة النيران لرفـــع معنويات من يستخدمه ، واسلـــوب القبضة الحديدية لخـــرق الخطوط ، فان اداءه في ايلول ١٩٧٠ لم يتفوق كثيرا على ادائه في حزيران ١٩٦٧ .

ويحق لنا هنا ان نتساءل عن سبب هذا التخاذل في جيش يفترض فيه ان يكون محترفا وحسن التدريب ، يتقاضى افراده الرواتب العالية ، ويستعملون الاسلحة الحديثة ولهم تقاليد حربية ارسختها فيهم عدة حروب خاضوها على مدى نصف قرن من الزمن . قبل حرب حزيران ، كلف الملك حسين استاذا في جامعة لندن يدعى فاتيكيوتس ليؤلف كتابا عن الجيش الاردني . وكان فاتيكيوتس اليوناني الاصل الـــذي ولد ونشأ في القـــدس العربية خبيرا في الشؤون العربية وسبق ان الف كتابـــا عن الجيش الاتحادي الـــذي أسسته بريطانيا في عدن وقاده ضباطها ليحمي الاتحاد الفدرالي في جنوب شبه الجزيرة العربية ، وهو الاتحاد الذي تعهدته بريطانيا برعايتها الى ان اسقطته الثورة الوطنية عام ١٩٦٧ وشتت شمل سلاطينه . والبروفسور فاتيكيوتس هو رجـــل لا ينظر بعين العطف الى العرب ، وتشهد بذلك كتبه الاخرى التي الفها عنهم . الا انه عموما يقف الى جانب الانظمة العربية اليمينية ويدافع عنها قدر المستطاع . ولذلك جاء كتابه محـــاولة لتبييض صفحة النظام الاردني . ولكن حتى هـــذا المؤلف اليميني المتحيز ضد العـــرب عنصريا ودينيا ، والراغب في استثناء النظام الاردني من دائرة كراهيته ، حتى هو لم يملك الا ان يقر في خاتمة كتابه(٢٥) بأن الجيش الاردني هو جيش مرتزقة . وفي الطرف المضاد ، توصل خليل هندي الى استنتـــاج مماثل في بحثه المنشور كفصل في الكتـــاب « المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني » فكتب في الصفحة ١١١ : « تلخيصا نقول ان المهمة التي وقعت على عاتق الجيش الاردني منذ البداية كـــانت تأمين سلطة الامـــير عبدالله ومن ثم حفيده حسين على البلاد والوقوف في وجه أية محاولة لتحدي هـــذه السلطة وحماية العائلة المالكة من اي اخطار داخلية تتهددها . أي ان الجيش الاردني

انشىء كقوة قمعية ولا يزال يلعب هذا الدور حتى الان . وبينما حصل الاردن على « استقلاله » عام ١٩٤٦ ، كان الجيش قد شكل ونما وتطور منذ العام ١٩٢١ . اي ان الجيش قد سبق الدولة في نشوئه ويمكن القول ان الجيش بهذا المعنى ، هو الذي خلق الدولة » .

هذا الاستنتاج يكاد ينطبق ايضا على الجيش الاسرائيلي الذي كان يدعى الهاغاناه في عهد الانتداب . مع الفارق طبعا في دوري الجيشين : الاردني والاسرائيلي ، فاذا كان الجيش الاسرائيلي يعتمد على اليهود في مختلف ارجاء العالم ليتطوعوا في صفوفه ويدافعوا عن دولة اسرائيل ، فان « رجال القبائل من جنوب الاردن وصحاري سورية والعراق الشمالية الشرقية والمناطق الواقعة على الحدود الشرقية مع المملكة العربية السعودية يستمرون في التدفق على الفيلق للانخراط به »(٢٦). ثم يلاحظ فاتيكيوتس ان هؤلاء يتركزون كباقي البدو في وحدات المشاة والمدرعات ، حتى ان نسبتهم في بعض الالوية فاقت النصف في عام ١٩٥٦ ، ويستخلص من ذلك ان « هؤلاء المجندين يشكلون اساسا مجموعة من المرتزقة ، **وهذا لا يعني ان الجنود البدو الذين يأتون من الاردن هم بالضرورة اقل ارتزاقا** » ويكتب فاتيكيوتس ايضا : « من الصعب اثارة اهتمام الجنود الذين يشكلون في الجوهر جماعة مرتزقة بأي حركة سياسية ضد النظام الا بالوعود المادية السخية جدا » . وفعلا كانت مجلة تايم الامريكية قد ذكرت في تقرير صحفي عن الاردن ، بأن الملك حسين وهب ، بلا اي سبب معين ، كل جندي في القوات الخاصة (المعدة ضد المقاومة الفلسطينية) مبلغ خمسين دينارا ، هذا بالاضافة الى الزيادات المستمرة في الرواتب التي جعلت افراد الجيش يتقاضون رواتب تفوق ما يتقاضاه اي جيش عربي اخر باستثناء جيش الكويت .

ذكرنا في بداية البحث ان الجيش الاردني كان موضع انتقاد المعلقين العسكريين لان وحداته رفضت في اكثر الحالات ان تغادر استحكاماتها لتلتحم بالعدو . ولعل ذهنية البقاء في مواقع ثابتة هي متأصلة في الجنود المرتزقة دائما . ففي ١٩٦٧ ظهر كتاب(٢٧) الفه ضابط بريطاني من المرتزقة كان قد ساهم في انشاء جيش الليفي في سلطنة عمان وتحدث فيه عن المتاعب التي لاقاها اثناء تدريبه للجنود العرب والبلوش . كتب المؤلف : « بالنسبة للعربي او البلوشي ، لا يوجد هناك الا اسلوب واحد لخوض القتال . انه يتناول بندقيته ويختبىء خلف صخرة ، ثم يطلق النار على العدو . وعندما يرد العدو على اطلاق النار ، يحني راسه خلف الصخرة حتى لا يصيبه الرصاص . فاذا توقف العدو عن اطلاق النار ، رفع عينيه فوق الصخرة واستأنف القتال ، وهكذا دواليك الى ان يحل المساء ، او تنفذ ذخيرته . اما ان يخرج من مخبئه ويهاجم العدو ، فهذه فكرة لا تخطر بباله » . وتحدث المؤلف بعد ذلك عن التمرين الحربي Drill الذي اعده لجنوده المرتزقة كي يجعلهم يتحركون اثناء المعركة ، فيهاجمون ويناورون ولا يكتفون بالاختباء خلف الموانع الطبيعية والمصطنعة طوال الوقت واطلاق النيران من خلفها . ويتضمن هذا التمرين سلسلة من الحركات التي يجب على الجندي ان يقوم بها اثناء المعركة لانماء الروح الهجومية فيه . ومن اجل ان يغرس الضابط البريطاني هذه الروح في نفوس جنوده المرتزقة ، وضع مدربا **خلف** الرجال ليطلق النار فوق رؤوسهم اثناء التمرين ، بينما هم يثبون من موقع احتماء الى اخر صوب مواقع العدو في حركات تكاد تكون اوتوماتيكية .

ان هذا الضابط البريطاني عندما اتهم العرب بانهم لا يقاتلون الا من وراء الاستحكامات، فان خبرته لم تتعد قيادة المرتزقة الذين لا يوجد لديهم اي دافع غير المال لان يجازفوا بحياتهم في سبيل دعوة لا تهمهم . ولكن لو انه اشترك في الحملة البريطانية ضد قبائل ردفان باليمن الجنوبي في منتصف الستينات ، لكان له راي اخر في الموضوع .

ومن الجدير بالذكر ان البريغادير يونغ ذكـر في كتابه « الحملـة الاسرائيلية ١٩٦٧ » (ص ١٣٩) انه كان قد اقترح على رؤسائه اثناء قيادته احدى الويـة الجيش الاردني بالخمسينات ان تدرب وحدات مغاوير ليقوم افرادها بتدمير السلاح الجوي الاسرائيلي النامي ، على الارض ، في عمليات تشبه عمليات الكوماندو اثناء الحرب العالمية الثانية، باعتبار ان هذا السلاح الجوي سيصبح يوما ما خطرا كبيرا على الاردن الذي لن تسمح له موارده ابدا ببناء طيران يماثل طيران العدو قوة . ولذا لا مناص من تدمير الطائرات الاسرائيلية على مدارجها بواسطة المغاوير . ولكن هذا الاقتراح رفض ، كما بين يونغ. ولا ريب ان الذي رفض الاقتراح هو قائد الجيش العام نفسه ، الجنرال جون غلوب ، باعتبار ان الدور الذي ارتئاه يونغ للجيش الاردني لم يكن يتفق مع الدور الذي رسمته له قيادته العليا .

ويقول يونغ في كتابه ايضا ، ان الاسرائيليين عثروا على نص خطـة اردنية ترمي الى القيام بهجوم انتقامي على مستعمرة موتزا ، وقتل جميع سكانها دون استثناء . وقال ان هذه الخطة هي مؤرخة في ٧ حزيران ١٩٦٦ وتحمل توقيع احمد شحاده الحوارثة . سأل الصحفيان الفرنسيان فانس ولوير الملـك حسين عن هذه الخطـة التي ادعت اسرائيل انها عثرت عليها اثناء حرب حزيران ، فاجاب الملك (ص ٤٦) : « ان اسرائيل قد نظمت القرى الواقعة في منطقة اللطرون تنظيما ذا طابع مزدوج : مدني وعسكري . وعلى اثر الاعتداء على السموع ، رسمنـا خطة نرد بها على العـدو ان هو ارتكب اعتداءات مماثلة . ولو انه فعل لكنا قد رددنا له التحية بمثلها . لاننا اعطينا الافضلية في الرد لاهداف ذات طابع شبه عسكري وقررنا ان يأتي ردنا فوريا . وهذه الخطة التي لا علاقة بها بحرب حزيران هي التي زعمته الاستخبارات الاسرائيلية انها عثرت عليها. وانها تشتمل على اوامر بالهجوم على قرى اللطرون . والواقع اننا ما فكرنا قط بشن هجوم على اسرائيل . وهل يعقل ان تجول هذه الفكرة في رؤوسنا وامكاناتنا المحدودة تقعدنا عن القيام بمغامرة من هذا العيار ؟ »

اقوال الملك هذه حافلة بالتناقضات . فهو اولا يقول : « رسمنا خطة وكنا على وشك ان نرد على العدو » . ثم ينهي الفقرة قائلا : « وهل يعقل ان تجول هذه الفكرة في رؤوسنا وامكاناتنا المحدودة تقعدنا عن القيام بمغامرة من هذا العيار ؟ » هل يعني بذلك يا ترى ان الهجوم العام على اسرائيل مجازفة كبرى ، بينما الغارة على مستعمرة اسرائيلية هي مغامرة محدودة العواقب وان اسرائيل ستسكت عنها ؟ ثم ما هو تفسير اعترافه بوجود هذه الخطة ، ثم قوله بعد ذلك « هذه الخطة هي التي زعمت الاستخبارات الاسرائيلية انها عثرت عليها » . ما معنى « زعمت » في هذه الحالة ؟

وعلى كل حال ، فانه لدليل على استعجال القادة الاردنيين لمغـادرة الضفة الغربية ، تركهم الوثائق الخطيرة تسقط بيد العدو . ومع ذلك ، وقف الشريف ناصر بن جميـل يتحدث الى مراسل ديرشبيغل الالمانية بعد ايـام قليلة من الحـرب ، ويخبره ، بصفته احد قادة الجيش الاردني ، بأن جيشـه على الاقل لم يترك خمسة وثمانين الفا من افراده ليقعوا بيد العدو كما فعل الجيش المصري . فاذا ادركنا ان الاسرائيليين انفسهم لـم يزعموا انهم اوقعوا هذا العدد الهائل في الاسر ، علمنا كم هي درجة تحامل هذا الشريف على المصريين . بل انه لم يتوقف عند هذا الحد ، اذ صرح ايضا للمراسل الالماني قائلا: نحن العرب نقف مع المانيا منذ عهد هتلر . فنشر الحديث في المجلة الالمـانية الشديدة العداء للنازية تحت العنوان : نحن العرب نقف مع المانيا منذ عهد هتلر . والظاهر ان الجنرال ناصر لم يكن قد وصله علم بعد بالحساسيات البالغة التي تسود المانيا الغربية اليوم حيال اي مديح للنازية . ومن الطريف انه بعد اشهر معدودة من نشر هذا التصريح البليد لاحد كبار قادة الجيش ، نشرت مجلة دير شبيغل مقالا للملك حسين هاجم فيه

الاعلام العربي في الخارج واصفا اياه بالغباء !

في هذا البحث حاولنا ان نعقد مقارنة بين اداء جيش النظام الاردني في حربين ، اولهما ضد عدو خارجي ، وثانيهما ضد اغلبية شعبه . ولا مناص من القول ان القوات التي قادها حابس المجالي وناصر بن جميل وزيد بن شاكر أبدت حماسا ضد المقاومة الفلسطينية ومؤيديها اعظم من حماسها في مقاتلة العدو الاسرائيلي . فظهرت صحف العالم وهي حافلة بانباء الفضائح التي تعرض لها الشعب الفلسطيني على أيدي البدو الذين سودوا وجوههم بالفحم حتى لا يمكن التعرف عليهم اثناء ارتكابهم المخازي . فقصفت المخيمات بقنابل الفوسفور والنابالم ، ودفن الجرحى احياء ، وانتهكت الاعراض ، وذبح الاناس العزل بالجملة . حتى المستشفيات لم تسلم من الجنود البدو الذين بعد ان قصفوها بالقنابل ، هجموا عليها وذبحوا الجرحى وهم على أسرة العمليات في قاعات الجراحة ، حتى ان الفريق مشهور حديثه ، قائد الجيش السابق ، وصف هذه المذابح بانها كانت بينك فيل اردنية ، نسبة الى مجزرة ميلاي الشهيرة التي قتل فيها الامريكان عدة مئات من الفييتناميين الجنوبيين ، رجالا ونساء واطفالا . وقد اخبر الملك حسين مراسل احدى الصحف الاجنبية بأن الحادثة التي شجعته على ضرب المقاومة هي مشاهدته اثناء زيارة تفتيشية لاحدى الالوية المدرعة ، قطعة ملابس داخلية نسائية معلقة على انتين دبابة ، فلما سأل الضابط المسؤول عن تلك الدبابة عن مغزى ذلك ، اجابه الاخير : معناه اننا اصبحنا نسوان بعد ان اهاننا الفدائيون وتجاوزوا على كرامتنا ! والسؤال الان هو : الم يكن من الانسب لو علق هذا الضابط قطعة الملابس على دبابته في الثامن من حزيران ١٩٦٧ ؟

---

١ — فيك فانس وبيار لوير : **حربنا مع اسرائيل** (دار النهار للنشر — بيروت ١٩٦٨) . عنوان الكتاب في الاصل الفرنسي هو Hussein de Jordanie : *Ma Guerre avec Israel.*

٢ — اللواء معن أبو نوار : **اللواء المدرع/٤٠** .

٣ — سعد جمعه : **المؤامرة ومعركة المصير** الكاتب العربي — بيروت ١٩٦٨ .

٤ — سليمان عبدالله شليفر : **سقوط القدس** (دار النهار — بيروت ١٩٧١) .

٥ — Peter Young, *The Israeli Campaign 1967*, London: William Kimber, 1967.

٦ — كتب شليفر (ص ٦٨) : وبصفته (أي كمال الطاهر) أحد الضباط الاردنيين المقربين بصورة خاصة الى الشريف ناصر فقد أخمد الحركات الثورية في الضفة الغربية في وقت انتفاضة السموع قاطعا التيار الكهربائي والماء وفارضا منع التجول تحت خطر اطلاق النار على كل من يشاهد خارج بيته ، وذلك حين ثار سكان الضفة الغربية في شتاء ١٩٦٦ طالبين السلاح ليقاتلوا اسرائيل . وفي تحليل وضعه قائد الجبهة الشرقية الفريق عبد المنعم رياض اثار قضية اساسية هي كيف استطاع هذا اللواء الذي حشد لقتال الاسرائيليين في قطاع عبد العزيز ان ينسحب بكامله دون ان يمس بمثل تلك السرعة الى اريحا التي تبعد ٤٠ كيلو مترا . وقال (اي رياض) : كانت هذه بلا ريب اسرع حركة في التاريخ العسكري .

٧ — **المصدر نفسه** : ص ٥٣ .

٨ — **المصدر نفسه** : ص ٥٣ .

٩ — **المصدر نفسه** : ص ٥٣ .

١٠ — **المصدر نفسه** : ص ٦٧ . كتب شاهد العيان شليفر : « يظهر ان هذه كانت القاعدة التي فرضت على اللواء المدافع عن القدس بأكمله فكان الناس في الجوار يقدمون الطعام الى الجنود » .

١١ — يجب مقارنة ذلك مع قول الملك حسين في « **حربنا مع اسرائيل** » : « ارتأى الفريق عبد المنعم رياض ، رغبة منه في تكثيف النيران الموجهة الى قواعد العدو الجوية اشراك المدفعية الثقيلة ذات المدى البعيد في عملية التصف » .

١٢ — لما كان الاصل الانكليزي لكتاب شليفر كما ظهر منه فصل في *Journal of Palestine Studies* (العدد الاول) الصادرة عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية — بيروت : ١٩٧١ ،

يختلف في بعض المواقع عن الترجمة العربيـــة كما نشرتها دار النهار ، فهذه الفترة ترجمهـــا الكاتب عن النص الانكليزي الاصلي .

١٣ — **المصدر نفسه** .

١٤ — David Kimche & Dan Bawly: *Sandstorm, The Arab-Israeli War of June 1967, Prelude and Aftermath,* London: Secker and Warburg, 1968, p. 197.

١٥ — Randolph & Winston Churchill: *The Six Day War,* London: Heinmann, 1967, p. 126.

١٦ — « **حربنا مع اسرائيل** » — ص ٧١ .

١٧ — Charles Foley: *The Memoirs of General Grivas,* Longmans, London, 1964, pp. 10-11.

١٨ — Michael Elliot-Bateman, editor: *The Fourth Dimension of Warfare* (Vol. I). Manchester University Press, 1970, p. 138.

١٩ — Mao Tse Tung: *Selected Military Writing,* Peking, p. 321.

٢٠ — Tom Barry: *Guerrilla Days in Ireland,* p. 192.

٢١ — Ho Lung: *Democratic Tradition in the Chinese People's Liberation Army,* Peking, 1965.

٢٢ — راجع حديث شليفر في كتابه عن دفع القيادة الاردنية بعض القرويين غير المدربين لمهاجمـــة جبل المكبر في مكان اخر من هذا البحث .

٢٣ — Peter Snow and David Philips: *Leila's Hijack War; The True Story of 25 Days in September 1970.* London: Pam Books Ltd., 1970.

٢٤ — خليل هنـــدي وفؤاد بوارشي وشحـــاده موسى ، باشراف الدكتـــور نبيل علـــي شعث : **المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني — دراسات تحليلية لهجمة ايلول** — بيروت : مركز الابحاث التابع لـــ م. ت. ف ١٩٧١ .

٢٥ — P. J. Vatikiotis: *Politics and the Military in Jordan: A Study of the Arab Legion: 1921-1957,* London, Frank Cass, 1967.

٢٦ — **المصدر نفسه** .

٢٧ — P. S. Alfee: *Warlords of Oman,* Curtis Books, New York 1967, pp. 135-136.

تقريران
عن الاوضاع في الضفة الغربية المحتلة
في السنتين الاوليين للاحتلال

مراسلة خاصة في الارض المحتلة

التقرير الاول : الاوضاع الامنية

اتبعت اسرائيل في الهيمنة على الضفة الغربية وتهدئتها سياسة برغماتية تعتمد على المرونة والقسوة في آن واحد وفقا لما تتطلبه الظروف . فمن ناحية سمحت سلطات الاحتلال بقدر كبير من الحرية للسلطات المحلية في ادارة شؤون مناطقها بدون تدخلات غير مبررة في كل صغيرة وكبيرة مما خلق جوا من الارتياح النفسي النسبي المفاجىء لدى السكان بالقياس الى القمع الذي كانت تعانيه جماهير الضفة الغربية من ارهاب الحكم الهاشمي، ومن ناحية اخرى كانت اسرائيل ترد على أعمال المقاومة والتمرد ضد الاحتلال بسرعة فائقة وبتدابير قوية وقاسية مما مكنها ، بعد فترة من الزمن ، من تحويل الضفة المحتلة الى منطقة هادئة نسبيا وخاصة اذا قورنت بالوضع المتفجر الذي يعيشه قطاع غزة من حيث مقاومة جماهيره المستمرة للاحتلال وسيطرته . ويرصد هذا التقرير السياسة « الامنية » التي اتبعتها سلطات الاحتلال في الضفة خلال أول سنتين من وجودها هناك بالاعتماد على مصادر المعلومات الاجنبية بما فيها المصادر الاسرائيلية .

بعد أن احتلت القوات الاسرائيلية مدن الضفة الغربية كان أول عمل قامت به هو فرض نظام حظر التجول واستدعاء المسؤولين المحليين للتوقيع على شروط الاستسلام ودعوة السكان الى تسليم ما لديهم من الاسلحة(١). هنا لجأت اسرائيل ، لتبرير اجراءاتها ، الى قانون الطوارىء الذي يسمح لوزارة الدفاع باعلان بعض اجزاء من البلاد « مناطق امنية » ، وطبق هذا الاجراء مباشرة على منطقة اللطرون حيث تقع القرى التالية : يالو وبيت نوبا وعمواس مما ادى الى تدميرها وطرد سكانها البالغ عددهم ٤٠٠٠ نسمة ، كما واقيمت الحواجز لمنعهم من العودة اليها . أما الاراضي الزراعية التابعة لهذه القرى فقد اعطيت لبعض الكيبوتزات لتقوم بزراعتها . واتخذت السلطات العسكرية الاسرائيلية اجراءات مشابهة في قلقيلية وبعض القرى الاخرى الواقعة على خط اتفاقيات الهدنة والى غرب الخليل . ولم يسمح فيما بعد الا لسكان قلقيلية بالعودة الى قريتهم واعادة بناء منازلهم ، الا ان عددا كبيرا منهم كان قد نزح الى الضفة الشرقية(٢).

كذلك أعلنت سلطات الاحتلال المنطقة المحاذية للنهر على انها « منطقة امنية » علما بان ٨٠ بالمئة من سكان اريحا والمخيمات المحيطة بها قد نزحوا الى الضفة الشرقية اثناء الحرب ولم يبق في المنطقة الا حوالي ٩٠٠٠ شخص . كان اكبر تجمع سكاني آخر في المنطقة موجودا في اراضي الجيفتلك على الطريق الرئيسية الى نابلس . كان تعداد سكان البلدة مع مخيم اللاجئين الموجود فيها حوالي ٦٠٠٠ نسمة ، لم يبق منهم سوى ١٠٠٠ شخص بعد وقف اطلاق النار . وقد قام الجيش الاسرائيلي بهدم ابنيتها ومنازلها لمنع الفدائيين من الاختباء فيها(٣). بعبارة اخرى ، جعلت السلطات الاسرائيلية من هذا الشريط من الضفة الغربية « منطقة امنية » مع انه اصبح خاليا من

السكان تقريبا بالاضافة الى حظر التجول المفروض على اريحا . ان اعلان اي قطعة من البلاد على انها « منطقة أمنية » يعني قطع اخبارها عن العالم الخارجي مما يسمح لسلطات الاحتلال بالتصرف بها بحرية تامة وعلى هواها ووفقا لاهدافها التوسعية بدون اية رقابة خارجية وبعيدا عن اي احراج دولي .

خصصت الحكومة الاسرائيلية حوالي ٢٠٠٠٠ جندي لضبط الضفة الغربية وضعتهم في ثكنات الجيش الاردني(٤). وهذه القوات مجهزة للتدخل الفوري حيث تدعو الحاجة ، ومن واجباتها القيام بأعمال الدوريات المنتظمة بمحاذاة النهر وعلى الطرقات الرئيسية خاصة في الليل وفي الساعات الاولى من الصباح . وبما أن دوريات العدو محمولة فباستطاعتها الحصول على النجدات بسرعة كبيرة مما مكنها من السيطرة على مدن الضفة الغربية بدون التواجد فيها بصورة مستمرة وظاهرة . اي أن السياسة التي طبقتها قوات الاحتلال هي السيطرة على المراكز الرئيسية في الضفة الغربية مع تجنب الاحتكاك اليومي بالسكان . وعندما تدخل هذه القوات في عمليات ضد الفدائيين في التلال او بالقرب من النهر فانها تستنجد بطائرات الهليوكبتر وطائرات المراقبة الخفيفة كما انها زرعت الالغام ووضعت الحواجز المكهربة بمحاذاة النهر للكشف عن الفدائيين الذين يعبرون الى المنطقة المحتلة . اما بالنسبة للسكان فقد سيطرت سلطات الاحتلال على تحركاتهم عن طريق اقامة الحواجز في الطرقات وفرض نظام حظر التجول واجبارهم على حمل بطاقاتهم الشخصية باستمرار . ويتم تخفيف هذه الاجراءات او تشديدها وفقا للظروف . على سبيل المثال أزيلت الحواجز ونقاط التفتيش في الضفة الغربية في ايار ١٩٦٨(٥) ولكن اعيد فرضها في كانون الاول من نفس السنة بعد احد الانفجارات الكبيرة التي وقعت في القدس . في خريف ١٩٦٧ اصبح التنقل من اسرائيل الى الضفة الغربية حرا ، كما سمحت السلطات لسكان الضفة بالسفر الى اسرائيل بموجب تصاريح خاصة(٦). ولكن بعد فترة قصيرة عادت السلطات الاسرائيلية الى التشدد مما أوقف كل الرحلات السياحية من الضفة الى اسرائيل . وفيما يلي تلخيص عام لاجراءات حظر التجول كما طبقتها سلطات الاحتلال في الضفة الغربية .

في خريف عام ١٩٦٧ تم تخفيض حظر التجول في مدن الضفة الى ما بين التاسعة مساء والرابعة صباحا باستثناء القدس حيث الغي الاجراء كليا . وفي كانون الاول ١٩٦٧ اصبح نظام منع التجول ساري المفعول في مدن الضفة بين الساعة ١١ مساء و ٢ صباحا ، باستثناء بيت لحم وبلدتين مجاورتين حيث كان الحظر يبدأ في منتصف الليل . أما المناطق الزراعية والطرقات الريفية فقد طبق فيها منع التجول من الساعة السابعة مساء حتى الرابعة صباحا . في صيف ١٩٦٨ رفعت سلطات الاحتلال كافة اجراءات حظر التجول باستثناء « المناطق الامنية » والطرقات التي تستخدمها السيارات العسكرية(٧). هذا لا يعني ان سلطات الاحتلال لم تكن تلجأ الى فرض حظر التجول المؤقت اثناء عمليات التفتيش وحملات الاعتقال ، واثناء المظاهرات والاضرابات .

معروف ان وقوع الضفة الغربية تحت الاحتلال الاسرائيلي بهذه السرعة الفائقة ترك الجماهير العربية هناك في حالة ذهول تامة اول الامر . ولم تواجه القوات المحتلة في البداية اية مقاومة من السكان العرب بسبب اعتقادهم ان الاحتلال سينتهي بسرعة وبسبب التفوق الساحق للقوى الاسرائيلية الغازية . غير أن سلوك اسرائيل بدأ يثير الشكوك في اوساط عديدة من السكان العرب حول نواياها المستقبلة بالنسبة للمناطق العربية المحتلة ، وكان لقيام اسرائيل بضم القدس القديمة الى اراضيها وتعديل المناهج المدرسية في الضفة الغربية اثرهما الحاسم في اقناع السكان العرب بأن الاحتلال سيستمر لفترة طويلة . وفي اواخر تموز ١٩٦٧ ظهرت اول مجموعة من المناشير والبيانات المناوئة للاحتلال واخذت اعمال المقاومة تتراكم وتأخذ شكل الاضرابات التي بدأت في اب ، وتبعها الاضراب الطلابي العام في ايلول وموجة من أعمال العنف ضد المحتل . وقد ميزت السياسة الاسرائيلية القمعية بين نوعين من المقاومة : ١) هجمات الفدائيين التي استهدفت بصورة رئيسية أمن اسرائيل وغايتها منع اتفاقية وقف اطلاق النار من التحول الى وضع ثابت . ٢) الاضرابات والمظاهرات التي كان تأثيرها الاساسي ذا طابع سياسي مع ان المظاهرات العنيفة والكبيرة تؤثر سلبيا على قدرة اسرائيل في الاستمرار بالسيطرة على الضفة . وعالجت

سلطات الاحتلال كلا من هذين النوعين المختلفين من المقاومة باسلوب معين يختلف عن الاسلوب الاخر ساعية بذلك الى فصل تحركات السكان العفوية عن اعمال الفدائيين المنظمة وهجماتهم المسلحة .

حاولت منظمة فتح وغيرها من المنظمات الفدائية تكوين شبكات للمقاومة في الضفة الغربية في خريف ١٩٦٧ . غير ان طبيعة الارض الجرداء التي تفصل مناطق تمركز السكان عن نهر الاردن ودوريات الجيش الاسرائيلي الفعالة بين التلال وبمحاذاة النهر جعلا من المتعذر على الفدائيين تكوين شبكات فعالة للمقاومة في الضفة الغربية . كما ان الانتقام السريع الذي كان ينزله الجيش الاسرائيلي بأي عربي يشتبه بأنه ساعد احد الفدائيين قد اثر سلبيا على امكانات المقاومة هناك . نتيجة لذلك لجأت المنظمات الفدائية الى ارسال جماعات صغيرة من مقاتليها عبر النهر بحيث تقوم بهجمات سريعة ضد القرى والدوريات الاسرائيلية وتختبىء في الكهوف والتلال ثم تعود من حيث أتت . وتدعي الحكومة الاسرائيلية ان ٩٠ بالمئة من هذه المحاولات كان يتم التصدي لها قرب الحدود في غضون ٢٤ ساعة من عبورها مما كان يؤدي الى مقتل او جرح او اسر عدد من الفدائيين(٨). وقد ذكرت التقارير الصحفية مثلا ان الفدائيين قاموا بـ ٩٨ عملية من هذا النوع في تموز ١٩٦٨(٩). وفيما يلي نموذجان عن كيفية وصف العمليات الفدائية في الصحف الاسرائيلية نقتبسهما عن الجيروساليم بوست . « اصطدمت دورية اسرائيلية بمجموعة من الفدائيين كانت مختبئة في شمال شرقي نابلس بعد ان عبرت من الضفة الشرقية . استمرت المواجهة ساعتين ونصف في جو حار جدا وارض وعرة الى اقصى الحدود ، وكانت نتيجة الاشتباك مصرع الفدائيين » . ولم تذكر الصحيفة عدد افراد الدورية الاسرائيلية . « اقامت مجموعة من الفدائيين قاعدة لها في المنطقة الجبلية في جنوب الخليل حيث كانت تهاجم آليات الجيش وحرس الحدود . وكان الفدائيون يتلقون المساعدة من القرى المجاورة »(١٠). الا ان هجمات المنظمات الفدائية لم تتمكن من تخطي مرحلة مجرد مضايقة اسرائيل وازعاجها لاسباب شتى لا سبيل الى ذكرها هنا . ويبدو ان معظم القتال الشديد بين الفدائيين والقوات الاسرائيلية كان يجري في القطاع الواقع على طرف النهر وخاصة في المنطقة الشمالية حيث تقع الكيبوتزات الاسرائيلية في وادي بيسان على مرمى من المدفعية الاردنية . اما في المدن فقد كانت اعمال الفدائيين موجهة بصورة رئيسية ضد المسؤولين العسكريين من العدو وضد المنشآت العسكرية الاسرائيلية . على سبيل المثال ذكرت الصحافة الدولية الهجمات العربية على حرس الحدود الاسرائيلي في نابلس والخليل وأبو غوش في شهري ايلول ١٩٦٧ واذار ١٩٦٨(١١). وبالنسبة للهجوم في الخليل فقد وصفته احدى الصحف الدولية بقولها « أنه يمثل من حيث اسلوبه وتوقيته ومكانه نقطة تحول جريئة في عمل المخربين العرب ، اذ منذ اشهر لم يتعرض الجنود الاسرائيليون في الضفة الغربية الى هجوم في وضح النهار ومن مسافة قريبة بهذا الشكل »(١٢). وذكرت انباء اخرى ان رجال المقاومة القوا قنبلة يدوية على آليات مصفحة وهي تدخل الخليل في تشرين الثاني ١٩٦٨ ، وانهم هاجموا مقر الحاكم العسكري في جنين في ايار ١٩٦٨ بالقنابل اليدوية كما تعرض مركز الحكومة العسكرية في نابلس الى هجمات مماثلة في حزيران ١٩٦٩(١٣). كذلك تعرضت الاعمال التجارية الاسرائيلية الى هجمات مشابهة . على سبيل المثال نذكر ان كلا من فرعي بنك ليومي الاسرائيلي في رام الله ونابلس كان هدفا لهجمات المقاومة في ربيع ١٩٦٩ . وضربت المقاومة العربية مكاتب العمل الاسرائيلية في كل من نابلس والخليل في حزيران ١٩٦٩(١٤). كما هوجم السياح الاسرائيليون في الخليل في شهري تشرين الاول وتشرين الثاني ١٩٦٨ عندما انفجرت قنابل يدوية بالقرب من المزار اليهودي . وقد نتج عن الانفجار الاول جرح ٤٨ شخصا ، وادى الانفجار الثاني الى جرح ستة اشخاص . وفي تموز ١٩٦٩ ادى انفجار قنبلة يدوية في شاحنة مكشوفة في الخليل الى جرح ١٠ اسرائيليين(١٥). من ناحية اخرى اصدرت المنظمات الفدائية تهديدات ضد العرب المتعاونين مع الحكومة الاسرائيلية وشرعت في تنفيذها ، على سبيل المثال جرح شرطيان عربيان في نابلس في ايلول ١٩٦٧ على يد المقاومة العربية ، واطلقت قذيفة بازوكا على منزل طبيب في رام الله كان يدعو الى قيام كيان فلسطيني مستقل في الضفة الغربية ، كما قام الفدائيون باختطاف مختار قرية حلحول مع اربعة من اعيانها واعدامهم في اب ١٩٦٩ بسبب تواطئهم

مع السلطات الاسرائيلية(١٦).

أما بالنسبة لهجمات الفدائيين داخل « اسرائيل » فقد حظيت بدعاية دولية واسعة وكانت اهدافها المنشآت العسكرية وأماكن التجمع المدنية وخطوط المواصلات والكيبوتزات باعتبارها مؤسسات شبه عسكرية(١٧). وعلى هذا الاساس قام الفدائيون بنسف الخط الحديدي بين تل ابيب وحيفا(١٨). وهاجموا مطار اللد في كانون الاول ١٩٦٧ ، ومركز انطلاق الباصات الرئيسي في تل ابيب في ايلول ١٩٦٨ ، وخط انابيب بترول حيفا في حزيران ١٩٦٩(١٩). كذلك وقع انفجار خارج فندق امباسادور الذي يضم مكاتب تابعة للحكومة الاسرائيلية وكان ذلك في حزيران ١٩٦٨ . وفي القدس ضربت المقاومة مكتب وزارة الداخلية الواقع في القطاع العربي وكلا من القنصلية الامريكية والبريطانية هناك بالقنابل اليدوية وكان ذلك في ربيع ١٩٦٩(٢٠). ومن هجمات المقاومة العربية على الاماكن المدنية في داخل اسرائيل الانفجار الذي وقع قرب مكاتب صحيفة **معاريف** في تل ابيب في نيسان ١٩٦٨ ، والانفجاران اللذان حدثا في شارعين رئيسيين في تل ابيب في حزيران وتموز ١٩٦٩(٢١). اما في القدس فقد دمر انفجار وقع في فندق قديم دارا صغيرة للطباعة وعددا من الدور وذلك في أيلول ١٩٦٧ . وبعد شهر اكتشفت قنبلة في احدى دور السينما(٢٢). وفي حزيران ١٩٦٨ وقعت انفجارات في ساحة صهيون وقرب محطة القطارات . وفي ١ آب ١٩٦٨ هوجم مقهى الشرق مما أدى الى اصابة ٢٠ شخصا(٢٣). كما اصيب تسعة اشخاص في ثلاثة انفجارات مختلفة وقعت في ١٨ اب ١٩٦٨ . كذلك انفجرت قنابل في أسواق القدس في تشرين الثاني ١٩٦٨ وشباط ١٩٦٩ . ادى الانفجار الاول الى مقتل ١٢ شخصا والثاني الى مقتل شخصين . ونسفت المقاومة العربية مطعم الجامعة العبرية في اذار ١٩٦٩ وكانت النتيجة ٢٢ اصابة(٢٤). وقامت بثلاث هجمات بالقنابل بالقرب من حائط المبكى في ٢٠ حزيران ١٩٦٩(٢٥). يضاف الى ذلك الانفجار الذي وقع في سوق محنيه يهودا في القدس حيث وضعت المتفجرات في سيارة تحمل لوحة اردنية . وتدل الوثائق الى ان عددا من أعمال المقاومة المذكورة قد قام به فدائيون تسللوا الى الارض المحتلة من الخارج ، الا أن العدد الاكبر منها قامت به عناصر من سكان المناطق المحتلة نفسها بالاضافة الى سكان « اسرائيل » من العرب كما في حادثة نسف مطعم الجامعة العبرية التي ساعد على انجاحها طالبان عربيان من سكان اسرائيل بالتعاون مع عناصر من نابلس . اما الاسلحة والمتفجرات والقنابل اليدوية فقد كان يتم تهريبها من الاردن الى الضفة الغربية لاستعمالها في ضرب السيطرة الاسرائيلية .

من جهة اخرى لم يقدم سكان الضفة الغربية ، بصورة عامة ، المساعدة النشيطة الكافية للعناصر الفدائية التي كانت تعبر الى الارض المحتلة ، وقد ذكر احد المتكلمين باسم فتح أن المنظمات الفدائية لا تنتظر الا « الصمود والمقاومة السلبية » من سكان الضفة الغربية بسبب الاجراءات الانتقامية الشديدة التي تتخذها سلطات الاحتلال ضد الشعب الاعزل . كما ذكر « أن الهدف من الهجمات الفدائية هو افهام اسرائيل بأنها لن تكون آمنة طالما أنها ترفض الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني»(٢٦). كان رد فعل السلطات الاسرائيلية حادا في مواجهة اعمال المقاومة العربية . ومع ان سلطات الاحتلال لم تحكم على اي من المعتقلين العرب بالاعدام الا أن احكاما بالسجن المؤبد قد صدرت على عدد من رجال المقاومة بما فيهم الاربعة الذين هاجموا مطار اللد والعنصرين اللذين فجرا القنبلة في مطعم الجامعة العبرية . كما صدرت احكام بالسجن تتراوح بين عشرين واربعين سنة على عدد من المتهمين بالتسلل وحمل السلاح والانتماء الى منظمة فتح و « أعمال التخريب » . أما العقوبات التي تفرضها سلطات الاحتلال فتصل الى حدود ٢٠ سنة في السجن لمجرد حيازة قنبلة او الانتماء الى منظمة غير مشروعة ، و ١٥ سنة من اجل تهمة التسلل . أما الاشخاص الذين يكون لديهم علم بعملية من عمليات المقاومة قبل تنفيذها ولا يخبر السلطات فيتعرض لثلاث سنوات في السجن باعتباره شريكا في الجرم (٢٨).

وفي ربيع ١٩٦٨ قدرت مصادر مطلعة عدد العرب في السجون الاسرائيلية بحوالي ١٤٥٠٠ شخص ، وقد تضاعف هذا الرقم في السنة التالية . وكان نصف هؤلاء معتقلين اداريا او بانتظار محاكمتهم. على سبيل المثال تم اعتقال رئيس اتحاد طلبة فلسطين في كانون الاول ١٩٦٧ بتهمة التسلل وتزوير تذكرة هوية . غير ان الحكم لم يصدر عليه

حتى اواخر ايلول ١٩٦٨ . وقد اتهم سلطات الاحتلال بتعذيب المساجين نفسيا وجسديا ولكنه اعترف بانها كانت تتجنب وسائل التعذيب التي ينتج عنها عطل دائم(٢٩). بطبيعة الحال انكرت الحكومة الاسرائيلية تهمة التعذيب ، وفي معرض الدفاع عن النفس اشار قنصل اسرائيل العام في لندن في ايلول ١٩٦٩ الى التقرير الذي اصدرته لجنة العفو الدولية والذي جاء فيه ان اللجنة لم تلحظ اي سوء معاملة للمعتقلين في سجون اسرائيل . الا ان السكرتير العام للجنة رد على قنصل اسرائيل بقوله « أن تقرير اللجنة لا يتطرق الى موضوع سوء معاملة السجناء اثناء التحقيق». ثم اضاف « أن التقرير لم يذكر شيئا عن عدم وجود ادلة على استخدام التعذيب من قبل اسرائيل »(٣٠).

وفي اذار ١٩٦٩ تواردت انباء عن وفاة شاب عربي من القدس في احد السجون الاسرائيلية بعد اسبوع من اعتقاله(٣١). وأعلنت السلطات الاسرائيلية المختصة ان اسباب وفاة الشاب هي « اضطراب في الكبد » الا ان المسؤولين العرب ردوا بقولهم أن كبده قد تأثر نتيجة لتعذيبه في السجن وطالبوا بتشريح الجثة من قبل اخصائيين محايدين بدلا من تشريحها من قبل المسؤولين في المستشفى الاسرائيلي . وبطبيعة الحال رفضت اسرائيل هذا الطلب المنصف . وفي مطلع ايلول ١٩٦٨ طالب المعتقلون العرب في سجن نابلس ، بعد اعلان الاضراب عن الطعام ، بمعاملتهم اسوة بالمعاملة السائدة في السجون الاسرائيلية . وبالرغم عن أن المسؤول الاسرائيلي عن السجون كان قد صرح بأن سجون الضفة الغربية قد اصبحت بمستوى سجون اسرائيل(٣٢)، فقد اضطر لسحب تصريحه والاعتراف بالعكس فيما بعد(٣٣)، اذ تبين ان السجناء في نابلس كانوا لا يزودون الا بحصيرة وبطانية في الشتاء وبطانية فقط في فصل الصيف وان سلطات السجن كانت تحشر اكثر من خمسين سجينا في الزنزانة الواحدة(٣٤).

كي تتمكن السلطات الاسرائيلية من القبض على رجال المقاومة بعد نجاح مهمتهم كانت تفرض حظر التجول على القرى القريبة من المنطقة التي وقعت فيها العملية الفدائية ، او تفرضه على ذلك الجزء من المدينة حيث وقع الانفجار . بعد ذلك كانت تقوم بتجميع كل الذكور للتثبت من تذاكر هويتهم ومن ثم تقوم بتفتيش المنازل للكشف عن اية اسلحة او ذخائر قد تكون مخبأة فيها . فيما يلي بعض الامثلة : بعد الانفجار الذي وقع في سوق محنيه يهودا في القدس فرضت السلطات العسكرية حظرا عاما للتجول ، وقامت بتفتيش المنازل واحدا واحدا لمدة ٣٥ ساعة ، ولكنها لم تعثر على الفاعلين كما انها لم تعثر على اية اسلحة ، علما بانها اعتقلت اكثر من ٥٠٠ شخص للاستجواب . وكانت هذه هي العملية الكبيرة الوحيدة التي قامت بها المقاومة العربية ولم تتمكن اسرائيل من كشف فاعليها(٣٥).

بعد الانفجار الذي وقع في محطة الباصات في تل أبيب تم توقيف ٤٠٠ عربي مباشرة واستبقي منهم حوالي ١٥٠ شخصا من أجل المزيد من التحقيق والاستجواب ، ومن اصل هؤلاء تم اعتقال ١٥ شخصا(٣٦). وبعد حادث القنبلة الذي وقع في الخليل في ٩ تشرين الاول ١٩٦٨ تم توقيف المئات من العرب قبل ان يعترف شاب عمره ١٧ سنة بمسؤوليته عن الحادث وورط معه ١٠ اشخاص اخرين كشركاء في الجرم وتسعة من الفدائيين(٣٧). وكانت سلطات الاحتلال تلجأ الى التوقيف على النحو المذكور لقمع المظاهرات والاضرابات كما حدث في نابلس في شباط ١٩٦٨ ، حيث تم توقيف ٧٤ رجلا لم يكن معظمهم يحمل بطاقته الشخصية وقد تمكنت السلطات من العثور على مخبأين للسلاح نتيجة للتفتيش الذي اجرته . وفيما يلي وصف للاسلوب الذي تتبعه السلطات الاسرائيلية في حملات التفتيش التي تجريها نقتبسه من الجيروساليم بوست : « قامت قوات الدفاع بتطويق البلدة القديمة في القدس في الليلة الماضية وبدأت بحملة تفتيش منتظمة من بيت الى بيت ... كانت علامة اكس x توضع على باب المنزل للدلالة على ان تفتيشه قد بدأ . وعندئذ يقوم الجنود بتفتيش الغرف واحدة بعد الاخرى وبصورة منتظمة ، بعد ذلك يأخذون كافة الذكور الذين تتراوح اعمارهم بين ١٥ و ٦٠ سنة الى مناطق في الخارج مخصصة لتفتيشهم . بعد انتهاء العملية يرسم الجنود دائرة حول علامة الاكس على باب المنزل للدلالة على ان عملية التفتيش قد تمت»(٣٨). وعندما كان يرفض اصحاب المنزل تسليم مفاتيح بيوتهم كان الجنود الاسرائيليون يدخلونها عنوة بعد تحطيم الاقفال باطلاق النار عليها . اما المنازل

التي لم يكن ساكنوها موجودين فيها اثنـاء حملة التفتيش فكانت تقتحم ايضا[٣٩].

بالاضافة الى اعتقال رجال المقاومة وشركائهم لجأت سلطات الاحتلال الى نسف بيوتهم متذرعة بقوانين الطوارىء البريطانية التي تم تشريعها عام ١٩٤٥ ، والتي اعتبرها الاسرائيليون اجـراءات « انسانية » لانها موجهة ضد الممتلكات وليس ضد الاشخاص[٤٠]. ومع حلول خريف ١٩٦٨ كانت سلطات الاحتلال قد نسفت حوالي ٢٠٠ بيت في الضفة الغربية ، وكانت اول حادثة نسف ذكرتها الصحافة الاسرائيلية قد وقعـت في ١٩ حـزيران ١٩٦٧ عندما تم تدمير منزل ادعـى الاسرائيليون انهم وجدوا فيه اسلحة وذخائر[٤١]. والجديـر بالذكر هنا ان عددا كبيرا من البيوت قد نسف لمجرد ان احد افراد الاسرة قد اتهم بالتخريب من قبل سلطات الاحتلال . على سبيل المثال تم نسف منزل أحد التجار في نابلس بينما كان ابنه قيد المحاكمة بتهمة القيام بعملية « تخريبية » ضد مركز الحكومة العسكرية في المدينة[٤٢]. وتقوم السلطات بنسف البيت بعـد توقيـف المشتبه بـه مباشرة وقبـل استجوابه او محاكمته . ولا يوجد اي دليل على ان سلطات الاحتلال كانت تهتم باصلاح المنـازل المجاورة التي كانت تتصدع من جراء الانفجارات، الا ان تيدي كوليك ، محافظ القدس ، احتج على أول عملية نسف للمنازل جرت في القدس في ٦ اذار ١٩٦٨ وطلب من الجيش اصلاح البيوت المتضررة من الانفجار[٤٣]. وفي تشرين الاول ١٩٦٨ ذكرت الانباء ان السلطات الاسرائيلية صادرت اربعة منازل في القدس وأغلقتها نهائيا بدلا من نسفها[٤٤]. غير ان هذا التصرف لم يكن يعني عدول اسرائيل عن سياسة النسف لانه في اذار ١٩٦٩ تم تدمير ستة منازل في القـدس بعـد ان ادعت السلطـات الاسرائيلية انها وجدت أسلحة فيها وان عددا من رجال المقاومة قد تدربوا فيهـا[٤٥]. وواضح ان الدافع الكامن خلف احتجاج تيدي كوليك علـى سياسة النسف هو النظرة الاسرائيلية الى القدس على انها ليست جـزءا من الاراضي المحتلة بـل جزءا من دولة اسرائيل نفسها . بطبيعة الحال لقد أثارت سياسة نسف البيوت جدلا في اسرائيـل وخارجها وقد دافع المسؤولون العسكريون عـن سياستهم بقولهم ان السكان العرب لن يرتدعوا عن مساعدة الفدائيين اذا صودرت بيوتهم فحسب اذ يبقى لديهم أمل باستعادتها فيما بعد . ويشبه هذا المنطق ما تقولـه السلطـات الاسرائيلية في تفسيرهـا لعدم فرض عقـوبة الاعـدام عـلى الفدائيين[٤٦] باعتبار ان عقوبة الاعدام ، كمـا تقول هذه السلطات ، تجعل الفدائي يقاتل حتى النهاية بدلا من تسليم نفسه ، كـذلك اذا علـم صاحب المنزل بأن منزله سيضيع الى الابد سيتردد في الالتزام الكلي بالمقاومة . وجدير بالذكر هنا ان لجنة حقوق الانسان التابعة لهيئة الامم المتحدة قد اتخذت قرارين بادانة السياسة الاسرائيلية في تدمير المنازل باعتبارها تصيب الابرياء والمذنبيـن بالضرر وخاصة ان نسف المنزل يتم قبل استجواب المتهم والتأكد من كونه الفاعل حقا . كما ان ناطقا بلسان وزارة الخارجية الامريكية قد بين في ٨ اذار ١٩٦٨[٤٧] ان هذه السياسة الاسرائيلية تخرق بندين من بنود اتفاقيات جنيف (٣٣ و ٣٥) اللذين يحرمان العقوبات الجماعية وتدمير الممتلكات بجميع أنواعها في المناطق الواقعة تحت الاحتلال الاجنبي. بطبيعة الحال تحولت سياسة نسف البيوت الى قضية هامة في تجميع القـوى العربية لمقاومـة الاحتلال والاحتجاج عليه ، الا ان الرأي العـام الاسرائيلي استمر في تأييدها باعتبارها رادعا فعالا في منع السكان العرب من التعامل مع المقاومة . وفي استفتاء للرأي العام نشر في حزيران ١٩٦٩ أيد ٨١ بالمئة من الاسرائيليين سياسة النسف ، وطالبت نسبة ٥٫٩ بالمئة بتعديلها بحيث لا يدمر المنزل الا اذا كان مالكه هو المشتبه به ، وطالبت نسبة ١٫٣ بالمئة بصدور قرار من المحكمة قبـل تنفيذ عملية النسف . ولم يعارض هذه السياسة كليا سوى ٧٫٢ بالمئـة من الاسرائيليـين لانهـم اعتبروها غير فعالة[٤٨].

في السنتين الاوليين من الاحتلال شكلت الاضرابات التجارية والطلابية والمظاهـرات التي رافقتها في مدن الضفة الغربية تحـديا سياسيا اكثر منـه عسكريا للسيطرة الاسرائيلية . في الواقع وجدت سلطات الاحتلال صعوبة اكبـر في مواجهة هـذا النوع من المقاومة مما وجدت في مواجهتها للمقاومة العسكرية المحض . ولكن من ناحية اخرى لم تؤثر الاضرابات والمظاهرات على اسرائيل نفسها بـل أثرت بصورة رئيسيـة على المدارس والاعمـال التجارية العربية . مع ذلك اعتبرت السلطـات الاسرائيلية هذه الاحداث تهديدا لامنها لاعتقادها

بأن رجال المقاومة المحليين كانوا ينبعون من صفوف الجماهير العربيــــة التي كانت تنشط في اعمــــال الاحتجاج السياسية وتشارك فيها . لذلك تشددت سلطات الاحتلال في مواجهة المظاهرات مما ادى ، بطبيعة الحال ، الى اشتداد المقاومة العربية ورفع احتمالات وقوع اعمال العنــف اثناء المظاهــرات والاضرابات .

انطلقت المظاهرات في الضفة الغربيــة بعد فترة قصيرة من وقوع الاحتلال ، اي في شهري تمــوز وآب ١٩٦٧ بسبب قيام اسرائيل بضم مدينة القدس وادخال تعديلات معينة على الكتب المدرسية . وقد بدأت المظاهرات في الوقت الذي وصل فيــه عدد من ممثلي هيئة الامم المتحدة الى المنطقة وبينمــا كان الاعداد يجري لافتتاح الدورة المقبلة للجمعية العمومية . وقد اجتاحت الضفة المحتلة موجة من الاضرابات في شهري ايلول وتشرين الاول ١٩٦٧ احتجاجا على تبديل الكتب المدرسية وعلى اعتقال بعض القادة العرب وابعادهم من قبل سلطــات الاحتلال لانهم رفعوا اصواتهم ضد ضم القــدس وغيرها من اعمال الحكومة الاسرائيلية . وفي ربيع ١٩٦٨ قامت مظاهرات واضرابات بمناسبة الذكرى الاولى لحرب حزيران واحتجاجا على الاستعراض العسكري الذي اقامته اسرائيل في القدس بمناسبة عيد « استقلالها » . ونجح الاضراب كليا في كل من نابلس وجنين وطولكرم والقدس حيث اغلقــت كافة المتاجر والمكاتب والمدارس ابوابها على الرغم من ان معظم المعلمين الذين يتقاضون رواتبهم من الحكومة الاسرائيلية حضروا الى مراكز عملهم . وتحولت مسيرة عربية صامتة متجهــة الى المقبرة خارج القدس القديمة الى صدام عنيف عندما حاول البوليس الاسرائيلي ان يعرقل تقدمها ، وسقط على اثر ذلك ٢٥ جريحا وتم اعتقال ٢٠ شخصا(٤٩).

وفي ايلول ١٩٦٨ كانت نابلس على رأس المحتجين على سياسة نسف البيــوت ، وازدادت حركــة الاحتجاج قوة عندما دمرت السلطــات الاسرائيلية خمسة منازل في الخليل بالاضافة الى سلم يوصل الى الحرم الابراهيمي وكان ذلك في تشرين الاول من نفس العام . ومما زاد الوضع توترا وجــود المستوطنين الاسرائيليين في الخليل وتدنيس الحرم هناك . وانتشرت حركة الاحتجاج هذه في كافة مدن الضفة الغربية بسرعة كبيــرة ولم تتمكن سلطــات الاحتلال من قمعها الا بعد اتخاذ سلسلة واسعة من اجراءات حظر التجول والاعتقال . وفيما يلي وصف للحالة الجماهيرية المتفجرة في الضفة الغربية في تلك الفترة نقتبسه من صحيفة **النيويورك تايمس** « لقد وصل التوتر الذي حركته المظاهرات الطلابية الى ذروته في التصاعد هذا الاسبوع باندلاع العنف وحملات الاعتقال وفرض حظر التجول في رام‌الله . لقد اصدرت السلطات امرها الى اكثر من ٢٥،٠٠٠ شخص من سكان رام الله والبيرة باخلاء الشوارع في الساعة الثامنة صباحا ، وقامت قوات الاحتلال وحرس الحدود الاسرائيلية بالاشراف على ذلك . جاء هذا الاجراء نتيجة للمسيرة التي نظمتها ٤٠٠ فتاة يرتدين الزي المدرسي الاخضر باتجاه رام‌الله. وكانت المتظاهرات يحملن صور عبد الناصر ويهتفن بشعارات مضادة لاسرائيل ويهتفن كلنا فدائيات . لقد نقلت الفتيات الاحتجاج الذي كان يتم داخــل باحة المدرسة الى قلب المدينة . وذكر المسؤولون الاسرائيليون انه عندما بدأت الفتيات برشق الجنود بالحجارة والتف عليهم اضطرت قوات الاحتلال الى مواجهتهـــن بخــراطيم المياه واعـــلان حظــر التجول »(٥٠).

وفي اوائل شباط ١٩٦٩ كانت المظاهرات العنيفة في غزة سببا في اشعال حركــة احتجاج في صفــوف الطلبة في الضفة الغربية . ورافقت هذه الحركة اضرابات في القطاع التجاري استمرت حتى شهــر آذار بالرغم عن اجراءات حظر التجول العنيفة التي فرضتها سلطات الاحتلال . وذكر رئيس بلديـــة نابلس حمدي كنعان ان الاضرابات هي عمل مشروع وسلمي باعتبارها الطريقة الوحيدة المتوفرة للسكان للتعبير عن سخطهم على الاحتلال الاسرائيلي(٥١). الا ان المسؤولين العرب حاولوا هم ايضا تهدئــة المتظاهرين خوفا مـــن تضرر الاعمال التجاريـــة العربية . ففي شتاء ١٩٦٩ قام حمدي كنعان بوضع افراد من شرطة البلدية امام ابواب المدارس مــن اجل تهدئة الطلاب(٥٢). وفي السنة التـي سبقتها قام رئيس دائرة التربية في نابلس بعقد اجتمــاع لرؤساء المدارس والعاملين فيها للبحث في كيفيــة التعاون مع اهل التلامذة لانهاء اضرابهم(٥٣). وكان السبب الكامن خلف سلوك رئيس البلدية هو ضغط سلطات الاحتلال عليه لكي يبقــى ممسكا بزمــام الوضع المحلي وتهديدها باغلاق كل مؤسسة تشارك بالاضراب وتبقى مغلقة . اي اعتبرت قوات الاحتلال السلطات الغربية المحليــة مسؤولــة عن اوضاع الامن ، وقد عبر دايان عن ذلك بقوله « لا نريد

شن الحرب على الاطفال ولكننا نعتبر البلديات والمدن مسؤولة »(٥٤). على هذا الاساس امر دايان باعتقال رئيس بلدية رام‌الله في اواخر تشرين الاول ١٩٦٨ بسبب اعتراضه على سلوك الجنود الاسرائيليين الذين كانوا يستفزون الطلاب العرب بارسال دورياتهم داخل مدارس البنات ، ولم يطلق سراحه الا بعد ان بعث برسالة ، هو واعضاء المجلس البلدي ، الى سلطات الاحتلال يتعهد فيها باتخاذ اجراءات تمنع قيام المظاهرات والاضرابات وتؤمن المحافظة على الامن في المدينة(٥٥).

كانت الاجراءات العسكرية الاسرائيلية ضد مظاهر المقاومة العربية ذات طابع مباشر وسريع ، مثل فرض حظر التجول الشامل لوقف المظاهرات وتفريقها عنوة باستخدام الغاز المسيل للدموع وخراطيم المياه واعقاب البنادق . ومع ان النار اطلقت على المتظاهرين في غزة الا ان الاوضاع لم تصل الى هذا الحد في الضفة الغربية حيث تم اطلاق النار للارهاب فقط . ولجأت سلطات الاحتلال الى اعتقال القادة وابعادهم واغلاق المدارس والمتاجر ، كما فرضت غرامة ١٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية (او سنتين في السجن) على كل شخص يثبت انه حرض الاخرين على الاضراب او قام بنشر دعاية معادية لدولة اسرائيل ، واصدرت تشريعا يقضي بتغريم كل صاحب متجر يغلق متجره في ايام العمل العادية مبلغ ١٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية (او السجن سنة) وبتغريمه ١٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية (او خمس سنوات في السجن) اذا اغلق متجره اثناء الاضرابات(٥٦).

وعلى اثر وقوع اضراب شامل استمر يوما واحدا في القدس العربية (آب ١٩٦٧) اغلقت السلطات الاسرائيلية خمسة متاجر وشركة باصات لمدة اسبوعين(٥٧). كما اعتقلت اداريا مواطنين عربيين لمدة ثلاثة اشهر بتهمة التحريض على الاضراب . اما في نابلس فقد اغلقت سلطات الاحتلال عشرين متجرا واوقفت عن العمل ٣٦ باصا لمدة اسبوعين في تشرين الاول ١٩٦٧ . وصادرت ١٥ متجرا في تشرين الثاني ١٩٦٨ اثناء الاضراب الذي اعلنه القطاع التجاري في المدينة ، بحجة ان موقع المتاجر مهم للحفاظ على النظام وتطبيق القانون ، الا ان احد المراسلين الصحفيين رد على مزاعم السلطات الاسرائيلية بقوله ان جميع المتاجر المصادرة تخص مواطنين معروفين بنشاطهم السياسي وان معظمها ليس له اية قيمة استراتيجية بالنسبة لحفظ الامن(٥٨). وفرضت سلطات الاحتلال حدودا على تنقلات السكان العرب في ايار ١٩٦٨ بعد اعلان الاضراب يوم عيد استقلال اسرائيل . وفي عام ١٩٦٩ لجأت سلطات الاحتلال الى فرض الغرامات على تجار نابلس الذين اغلقوا متاجرهم بمناسبة حلول الذكرى الثانية لحرب حزيران(٥٩)، كما تم اعتقال عدد من السكان العرب بتهمة توزيع المناشير اثناء الاضراب وتحريضهم الآخرين على المشاركة فيه وتوقيع العرائض احتجاجا على الاجراءات الاسرائيلية مثل احلال الكتب المدرسية الاسرائيلية محل الكتب العربية . وفي عام ١٩٦٨ تعرض سائق باص عربي للتوقيف وحكم عليه بالسجن اربعة اشهر وبغرامة قدرها ٥٠٠ ليرة اسرائيلية ، لانه شتم الجيش الاسرائيلي ودولته عندما تعرقل السير بسبب مرور طابور من جنود الاحتلال(٦٠). وقد وردت تقارير عن قيام سلطات الاحتلال بحملات واسعة من الاعتقالات اثناء المظاهرات واضرابات المدارس التي وقعت في تشرين الاول ١٩٦٨ . وابتداء بشهر شباط ١٩٦٩ اخذت سلطات الاحتلال بتحصيل الغرامات المالية مباشرة من المشتركين بالمظاهرات بدلا من اعتقالهم لان الاعتقال كان يؤدي الى تقوية حركة الاحتجاج والمعارضة . ففي رام‌الله مثلا غرمت السلطات كلا من اربع فتيات مبالغ تتراوح بين ٥٠٠ و ١٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية بالاضافة الى الحكم عليهن بالسجن من شهر الى ثلاثة اشهر مع وقف التنفيذ . وفي طول كرم فرضت غرامة ٣٠٠ ليرة اسرائيلية على ١٠ فتيات بالاضافة الى الحكم عليهن بالسجن تسعة اشهر مع وقف التنفيذ(٦١).

خالفت الحكومة الاسرائيلية البنود الصريحة لاتفاقيات جنيف بفرضها الاقامة الجبرية على بعض السكان العرب من اصحاب المكانة الوطنية ومن ثم ابعادهم الى الضفة الشرقية بدون اية محاكمة او حق في المراجعة . في ٣١ تموز ١٩٦٧ نفت سلطات الاحتلال اربعة من القادة العرب في القدس الى قرى داخل اسرائيل بسبب تحريضهم السكان على عدم التعاون مع قوى الاحتلال(٦٢) ، (انور الخطيب ، داوود الحسيني ، ابراهيم بكر ، وعبد المحسن ابو ميزر . وفي بادىء الامر سمحت السلطات للمنفيين بالتحرك بحرية في مكان اقامتهم شريطة ان يثبتوا وجودهم لدى البوليس عدة مرات في اليوم الواحد الا ان الاقامة الجبرية فرضت

عليهم في ايلول ١٩٦٧ لأنهم تلقوا زيارات من اشخاص « غير مرغوب فيهم » . كذلك فرضت السلطات الاسرائيلية على احد القضاة في جنين عدم مغادرة البلدة بسبب تراجعه عن القبول بالتعاون مع سلطات الاحتلال لاعادة فتح المحاكم في الضفة الغربية(٦٣). ومع حلول اواسط حزيران ١٩٦٩ كانت السلطات الاسرائيلية قد ابعدت ٥٣ شخصا من سكان الضفة الى الاردن متذرعة بالبند رقم ١١٢ من قانون الطوارىء . وكان اول المبعدين هو الشيخ عبد الحميد السايح في ايلول ١٩٦٧ . وفي كانون الاول ١٩٦٧ تم ابعاد انطون عطاالله ، مدير احد المصارف العربية ، والذي كان مسؤولا عن المفاوضات الفاشلة مع الاردن لاعادة فتح البنوك في الضفة الغربية ، وقد اتهمته السلطات الاسرائيلية بتخريب المفاوضات وتفشيلها(٦٤). وفي ٧ اذار ١٩٦٨ ابعد روحي الخطيب رئيس بلدية القدس ووجهت اليه التهم التالية : التحريض على الاضراب ، تسهيل تهريب العملة من الاردن وتوزيعها في الضفة الغربية ، نشر معلومات خاطئة في الصحافة الاردنية عن معاملة السلطات الاسرائيلية للسكان العرب في الضفة الغربية والقدس(٦٥). ومع حلول خريف ١٩٦٨ شهدت الضفة الغربية موجة جديدة من الابعاد شملت سيدات مسؤولات عن تنظيم المعارضة النسائية ضد الاحتلال ، ورئيسة مدرسة العائشية في نابلس وبعض المعلمات فيها ، ومفتش التربية في رام الله وعددا من الاطباء والمحامين والمعلمين(٦٦). وبعد ابعاد تسعة اشخاص ممن قادوا احد الاضرابات وصل عدد المبعدين الى ٥٣ شخصا في شهر حزيران ١٩٦٨(٦٧). ومع حلول شهر تشرين الاول ارتفع العدد الى ٩٠ شخصا(٦٨). كان الابعاد يتم ، في معظم الاحيان ، في الساعات الاولى من الصباح حيث كان البوليس يرافق الشخص المنوي ابعاده الى الحدود بدون توجيه اية اتهامات اليه ولا يعلن من اي شيء عن مصيره الا بعد عبوره النهر .

تعرضت سياسة الابعاد الى النقد خارج اسرائيل بسبب مخالفتها لاتفاقيات جنيف ومنعها المحاكمة عن المتهمين ، اما في اسرائيل فقد ارتفعت بعض الاصوات الفردية في نقدها ومعارضتها ايضا ، وعلى سبيل المثال كتب احد الاسرائيليين ما يلي حول هذا الموضوع : « لا تخرج هذه السياسة عن كونها تقليدا لممارسات حكومة الانتداب بفرضها نوعا من العقوبات الذي يصعب السكوت عليه . اذا اقترف احدهم جرما ينبغي تقديمه الى المحاكمة، وفي بعض الحالات الخاصة يجوز السماح له بالاختيار بين الابعاد والسجن . وضمن حدود معلوماتي ان بعض الشخصيات (العربية) التي أبعدت لم تشغل نفسها باعمال التخريب او الارهاب ، ولكنها عبرت عن معارضتها للحكم الاسرائيلي في الضفة الغربية ضمن حدود الوضع القائم . فاذا كان هذا التعبير يشكل جرما يستحق صاحبه الابعاد فاننا نكون قريبين من اليوم الذي سيعامل فيه الآلاف من الناس بنفس الطريقة ، اذ ان سكان الضفة الغربية لا يريدون الحكم الاسرائيلي كما اعترف بذلك دايان نفسه اكثر من مرة »(٦٩).

مع ان هدف اسرائيل من عمليات الابعاد هو التخلص من القادة العرب الرئيسيين الا انه كان لهذه السياسة ردود فعل عكسية بمعنى انها زادت التوتر في المناطق المحتلة ورفعت من احتمالات قيام المظاهرات الشعبية ، كذلك بينت تهافت المزاعم الاسرائيلية بأن المحركات الكامنة خلف مظاهر المقاومة العربية آتية من الخارج وليست نابعة من سخط السكان على الاحتلال نفسه .

وزادت حدة التوتر في الضفة الغربية عندما قام بعض الرعاع من الاسرائيليين ، في اكثر من مناسبة ، بالهجوم على السكان العرب والحاق الاذى بهم وبممتلكاتهم ، كما حدث في القدس مثلا في ١٨ آب ١٩٦٨ ، وفي تل ابيب في ١٤ ايلول ١٩٦٨ ، وفي الخليل في ٩ تشرين الاول ١٩٦٨ ، مما طرح احتمالات قيام صراعات دامية بين المدنيين من العرب والاسرائيليين(٧٠).

يبدو ان الاجراءات التي اتخذتها سلطات الاحتلال لعزل الفدائيين عن سكان الضفة الغربية والسماح لهم بتسيير شؤونهم الذاتية والتعبير المحدود عن عدم رضاهم بالوضع القائم قد خفف من احتمالات قيام انتفاضة شاملة ضد الاحتلال . ولكن يبقى العامل الحاسم هنا هو احتفاظ اسرائيل بقوة عسكرية ساحقة في تفوقها لمواجهة اية حركة مقاومة واسعة النطاق قد تقوم بها الجماهير العزلاء في الضفة الغربية .

الحواشي

١ ــ **جيروساليم بوست** ، ١٣ حزيران ١٩٦٧ .

٢ ــ **المرجع السابق** ، ٢٦ كانون الاول ١٩٦٧ و**نيويورك تايمس** ، ٢٢ و ٢٣ حزيران ١٩٦٧ .

٣ ــ **التايمس** (اللندنية) ١٩ تشرين الثاني ١٩٦٧ ، و
Israel Government, Central Bureau of Statistics, Publication No. 1, *West Bank of the Jordan, Gaza Strip and Northern Sinai, Golan Heights*, Jerusalem, 1967, p. XIX.

٤ ــ *L'Aurore* ، تشرين الاول ١٩٦٨ .

٥ ــ **جيروساليم بوست** ، ٧ أيار ١٩٦٨ .

٦ ــ **المرجع السابق** ، ١ و ٧ تشرين الثاني ١٩٦٨ .

٧ ــ **المرجع السابق** ، ٢٥ و ٢٧ آب ١٩٦٧ ، ٧ كانون الثاني ١٩٦٨ ، ١٨ تموز ١٩٦٨ ، و**نيويورك تايمس** ، ٢٤ تموز ١٩٦٩ .

٨ ــ *The Israel Administration in Judaea, Samaria and Gaza*, Israel Ministry of Defence, 1968, p. 7.

٩ ــ **كريستيان ساينس مونيتر** ، ٦ آب ١٩٦٨ .

١٠ ــ **جيروساليم بوست** ، ١٣ و ٢٧ حزيران ١٩٦٩ .

١١ ــ **نيويورك تايمس** ، ٢٥ ايلول ١٩٦٧ ، و ٥ آذار ١٩٦٨ .

١٢ ــ **المرجع السابق** ، ١ نيسان ١٩٦٨ .

١٣ ــ Jerusalem International Service Broadcast (English), 22 November 1968.
و**جيروساليم بوست** ، ٨ أيار ١٩٦٨ و ٢٧ حزيران ١٩٦٩ .

١٤ ــ **جيروساليم بوست**، ٣٠ كانون الثاني ١٩٦٩ و ٢٧ حزيران ١٩٦٩ ، و
Jerusalem Domestic Service Broadcast (Hebrew), 26 February 1969, and 28 June 1969; Jerusalem International Service Broadcast (English), 7 March 1969.

١٥ ــ **جيروساليم بوست** ، ١٠ تشرين الاول ١٩٦٨ ، **نيويورك تايمس** ، ٢٤ تموز ١٩٦٩ ،
Jerusalem Domestic Service Broadcast (Hebrew), 4 November 1968.

١٦ ــ **جيروساليم بوست** ، ٢٢ ايلول ١٩٦٧ ، ٣١ كانون الاول ١٩٦٧ ، **نيويورك تايمس** ، ٢٦ آب ١٩٦٩ .

١٧ ــ **نيويورك تايمس** ، ٢٦ ايلول ١٩٦٧ ، ٢ تشرين الاول ١٩٦٧ .

١٨ ــ **نيويورك تايمس** ، ١٦ ايلول ١٩٦٧ ، و
Jerusalem Domestic Service Broadcast (Hebrew), 27 January 1969, and 26 March 1969.

١٩ ــ **كريستشن ساينس مونيتر** ، ٧ حزيران ١٩٦٨ ، و**جيروساليم بوست** ، ٥ ايلول ١٩٦٨ ، و
Jerusalem Domestic Service Broadcast (Hebrew), 24 June 1969.

٢٠ ــ **جيروساليم بوست** ، ٢٢ حزيران ١٩٦٨ ، و**نيويورك تايمس** ٢٥ آب ١٩٦٨ ، و ٢٦ شباط ١٩٦٩ ، و
Jerusalem in Arabic to the Arab World Broadcast, 13 April 1969.

٢١ ــ **كريستشن ساينس مونيتر** ، ٧ حزيران ١٩٦٨ ، و**نيويورك تايمس**، ٢٤ تموز ١٩٦٩ ، و
Jerusalem Domestic Service Broadcast (Hebrew), 20 June 1969.

٢٢ ــ **نيويورك تايمس** ، ٢٥ ايلول ١٩٦٧ ، و ١٣ تشرين الاول ١٩٦٧ .

٢٣ ــ **جيروساليم بوست** ، ٩ حزيران ١٩٦٨ ، و ٢ آب ١٩٦٨ .

٢٤ ــ **نيويورك تايمس** ، ١٩ آب ، و ٢٥ تشرين الثاني ١٩٦٨ ، و ٢ آذار ١٩٦٩ .

٢٥ ــ **المرجع السابق** ، ٢٦ حزيران ١٩٦٩ .

٢٦ ــ **ذي ميدل ايست نيوزلتر** ، نيسان ١٩٦٩ ، ص ٤ .

٢٧ ــ **نيويورك تايمس** ، ١١ كانون الاول ١٩٦٨ ، و ٢٤ و ٣١ كانون الثاني ١٩٦٩ ، **جيروساليم بوست** ، ١ تموز ١٩٦٩ .
Jerusalem Domestic Service Broadcast (Hebrew), 22 June 1969.

٢٨ ــ **جيروساليم بوست** ، ١ تشرين الثاني ١٩٦٧ .

٢٩ ــ اسعد عبد الرحمن ، « **اوراق سجين** » ، مركز الابحاث ، بيروت ١٩٦٩ .

٣٠ ــ **ذي لوس انجلوس تايمس** ، ١ ايلول ١٩٦٩ ، والرسائل التي تبادل القراء نشرها على صفحات **التايمس** (اللندنية) في ٣١ تشرين الاول ١٩٦٩ .

٣١ ــ **نيويورك تايمس** ، ٢٩ آذار ١٩٦٩ ، وذكرت رسائل نشرتها **التايمس** (اللندنية) في

١ و ٣ تشرين الثـاني ١٩٦٩ حوادث تعـذيب أخـرى .

٣٢ — **جيروساليم بوست** ، ٢٧ نيسان ١٩٦٨ .

٣٣ — **المرجع السابق** ، ٤ ايلول ١٩٦٨ .

٣٤ — **ذي لوس انجلـوس تايمس** ، ١ أيلـول ١٩٦٩ .

٣٥ — **نيويورك تايمس** ، ٢ آذار ١٩٦٩ .

٣٦ — **نيويورك تايمس والجيروساليم بوست** ، ٥ ايلول ١٩٦٨ .

٣٧ — **جيروساليـم بوست** ، ١٠ تشريـن الاول ١٩٦٨ .

٣٨ — **المرجع السابق** ، ١٣ شباط ١٩٦٨ .

٣٩ — **المرجع السابق** ، ١٣ كانون الاول ١٩٦٧ .

٤٠ — *The Israel Administration in Judaea, Samaria and Gaza*, p. 7.

٤١ — Amnon Kapeliuk, "Unrest on the West Bank," *New Outlook*, November -December 1968, p. 5; *The Jerusalem Post*, 19 June 1967.

٤٢ — **جيروساليم بوست** ، ١٢ ايلول ١٩٦٨ .

٤٣ — **نيويورك تايمس** ، ٨ آذار ١٩٦٨ .

٤٤ — **جيروساليـم بوست** ، ٢٩ تشريـن الاول ١٩٦٨ .

٤٥ — Jerusalem International Service Broadcast (English), 7 and 17 March 1969.

٤٦ — Brigadier Shlomo Gazit, "Israel's Occupation Policies," *New Outlook*, July-August 1968, p. 50.

٤٧ — United Nations ECOSOC Document E/CN. 4/L 1040, 13 March 1968.
و**نيويـورك تـايمس** ، ٤ آذار ١٩٦٨ ، وذي **ايكونومست** ، ١٦ آذار ١٩٦٨ .

٤٨ — **جيروساليم بوست** ، ٢٧ حزيران ١٩٦٩ .

٤٩ — **نيويورك تايمس** ، ٦ حزيران ١٩٦٨ .

٥٠ — **المرجع السابق** ، ٢٤ تشرين الاول ١٩٦٨ .

٥١ — **المرجع السابق** ، ٧ شباط ١٩٦٩ .

٥٢ — **هاآرتس** ، ١٢ آذار ١٩٦٩ .

٥٣ — **جيروساليم بوست** ، ٣١ ايار ١٩٦٨ .

٥٤ — **المرجع السابق** ، ٢٧ تشرين الاول ١٩٦٨ .

٥٥ — **المرجع السابق** ، ٢٥ تشرين الاول ١٩٦٨ ، Jerusalem in Arabic to the Arab World Broadcast, 1 November 1968.

٥٦ — **جيروساليم بوست** ، ٢٠ ايلول ١٩٦٧ ، و Jerusalem Domestic Service Broadcast (Hebrew), 20 October 1967.

٥٧ — **جيروساليم بوست** ، ٩ و ٢٠ آب ١٩٦٧ .

٥٨ — **نيويورك تايمس** ، ٣ و ٥ تشرين الثـاني ١٩٦٨ .

٥٩ — **القدس** ، ١٣ حزيران ١٩٦٩ .

٦٠ — **جيروسـاليم بوست** ، ١٧ تموز ١٩٦٨ .

٦١ — Jerusalem Domestic Service Broadcast (Hebrew), 4 February 1969.

٦٢ — **جيروساليم بوست** ، ١ آب ١٩٦٧ ، ٣ و ٢٩ أيلول ١٩٦٧ .

٦٣ — **المرجع السابق** ، ٢ آب ١٩٦٧ .

٦٤ — مركز الابحاث التابع لـ م. ت. ف. ، **اليوميات الفلسطينيـة** : المجلد السادس ، حزيران ١٩٦٨ ، ص ٤٢٢ .

٦٥ — **المرجع السابق** ، ٨ آذار ١٩٦٩ .

٦٦ — **نيويورك تايمس** ، ٧ ايلول ١٩٦٨ ، و ٣١ تشرين الاول ١٩٦٨ ، و Jerusalem Domestic Service Broadcast (Hebrew), 6 January 1969.

٦٧ — **نيويورك تايمس** ، ٢ حزيران ١٩٦٩ .

٦٨ — **التايمس** (اللندنية) ، ٢٨ تشريـن الاول ١٩٦٩ .

٦٩ — Amnon Kapeliuk, "Unrest on the West Bank," *New Outlook*, November -December, 1968, p. 5.

٧٠ — **جيروساليم بوست** ، ١٩ آب ١٩٦٨ ، و ٥ ايلـول ١٩٦٨ ، **نيويـورك تايمس** ، ٢٠ آب ١٩٦٨ ، و ٥ أيلول ١٩٦٨ ، و Jerusalem Domestic Service Broadcast (Hebrew), 9 October 1968.

التقرير الثاني : الاجراءات الاقتصادية

بعد اجتياح القوات الاسرائيلية للضفة الغربية في مطلع حزيران ١٩٦٧ حاولت سلطات الاحتلال تحقيق هدف مزدوج يتلخص باحكام السيطرة العسكرية الكاملة على الضفة المحتلة من ناحية ، واتخاذ سلسلة من الاجراءات الاقتصادية والسياسية والمدنية التي من شأنها ان تجعل بصورة تدريجية حياة الضفة الغربية مجرد تابع لدولة اسرائيل وخادم لمصالحها الآنية والبعيدة ، من ناحية ثانية . ان الغاية من هذا التقرير هي رصد تحركات اسرائيل بالنسبة للشق الثاني من الهدف الذي تعمل على تحقيقه في الضفة المحتلة استنادا الى مصادر المعلومات الاسرائيلية والغربية عامة . وعلى اساس رصد هذه التحركات يمكننا القول ان اسرائيل اتبعت سياسة احتلال ذكية في التعامل مع الضفة الغربية بمعنى انها اولا عملت كل ما في وسعها لمنع الضفة من التعرض لاية ازمة اقتصادية حادة اذ ان مثل هذه الازمات تؤدي في النهاية الى انتفاضات شعبية ضد السلطات المسيطرة والمحتلة ، ثانيا ، عملت على تنشيط عجلة الاقتصاد في الضفة باتجاه معين يربط حياتها بدولة اسرائيل بصورة تدريجية وتصاعدية ويؤدي الى انفكاكها عن ارتباطها القديم بالضفة الشرقية وباقتصاديات الدول العربية عامة . ومن نافلة القول ان اساس هذه السياسة استغلالي محض يسخر الحياة الاقتصادية في الضفة لاهداف التنمية الاقتصادية لدولة اسرائيل نفسها باسم « التكامل والتنسيق الاقتصادي » بين المنطقة المحتلة ودولة الاحتلال نفسها ، ثالثا ، تنمية الشروط الموضوعية لاية خطوات محتملة من قبل اسرائيل لدمج الضفة الغربية كليا في دولة اسرائيل ، او اقامة كيان فلسطيني فيها ، مستقل شكلا وتابع فعلا ، وفقا لما قد تفرضه ظروف المنطقة في المستقبل وتطورات أحداثها .

مما لا شك فيه ان نزوح خمس سكان الضفة الغربية اثناء القتال والقلق العميق الذي سببه الاحتلال العسكري المفاجيء قد تركا آثارهما السلبية على حياة الضفة الاقتصادية . القطاع الزراعي وحده بقي يعمل في مستوى فترة ما قبل الحرب خاصة وان الحرب اندلعت في ذروة موسم الفاكهة مما اضطر المزارعين لتسويقها قبل فسادها . وقد اتضحت طبيعة السياسة التي تنوي اسرائيل اتباعها في الضفة المحتلة من اول اجراء اتخذته بهذا الشأن وهو السماح للشاحنات المليئة بالفاكهة من عبور النهر الى الضفة الشرقية بحيث تصل الى اسواقها المعتادة .

من جهة اخرى كان على سلطات الاحتلال مواجهة الازمة المالية التي بدأت بالتفاقم بسبب اغلاق البنوك في الضفة الغربية (بأمر من سلطات الاحتلال) وتسرب العملة الاسرائيلية بصورة غير شرعية عن طريق الوافدين من اسرائيل الى المناطق المحتلة . لذلك شكلت الحكومة الاسرائيلية بسرعة لجنة وزارية مهمتها « تنسيق النشاطات الاقتصادية في الاراضي المحتلة » برئاسة وزير المال الاسرائيلي . وقد وضعت هذه اللجنة خططا للتطبيق الفوري واخرى يتم تنفيذها على المدى الطويل نسبيا(١). وتشمل الاخيرة دراسات تتعلق بمستقبل الضفة الغربية والاحتمالات المطروحة على هذا الصعيد ، وتتراوح هذه الاحتمالات بين دمج الضفة الغربية كليا في الاقتصاد الاسرائيلي او اعادتها ، اما كليا او جزئيا ، الى الاردن مرورا بامكانية اقامة كيان فلسطيني « مستقل » فيها تحت الاشراف الاسرائيلي. وقد وضعت اللجنة المذكورة الدراسات اللازمة لتنفيذ كل احتمال من هذه الاحتمالات وفقا لما تمليه الظروف والاوضاع وتطورها على الصعيدين المحلي والعالمي . اما تنفيذ الخطط الفورية فقد ادى الى اعتماد العملة الاسرائيلية في القدس المحتلة وقطاع غزة والجولان باعتبارها العملة الوحيدة المعترف بها رسميا ، وادخال الليرة الاسرائيلية في الضفة الغربية للتعامل بها الى جانب الدينار الاردني ، والى التخفيف التدريجي من العوائق القائمة في وجه التجارة بين اسرائيل والضفة الغربية مع السماح للضفة بالاحتفاظ بسوقها الزراعية في الاردن لان ذلك يريح اسرائيل من مشكلة استيعاب الانتاج الزراعي للضفة (مثل الفاكهة والخضار) والتخلص من مضاربته للانتاج الاسرائيلي المماثل بسبب انخفاض اسعاره وتكاليفه . بعبارة اخرى لقد ساعد الدخل الآتي من مبيع انتاج الضفة الغربية الزراعي في شرقي الاردن على انجاح مخطط الاحتلال الاسرائيلي في منع تفاقم اية ازمة اقتصادية في الضفة من ناحية وتنشيط اقتصادها من ناحية ثانية ، بالاضافة الى تخفيف عبء نفقات الاحتلال على اسرائيل نفسها .

اما بالنسبة لتجارة اسرائيل مع الضفة الغربية خارج القطاع الزراعي فقد تزايدت بشكل ملحوظ ومتصاعد ، وابتداء بصيف ١٩٦٨ سمحت سلطات الاحتلال لسكان الضفة الغربية بالعمل كمياومين في اسرائيل ، بعبارة اخرى ، مع انقضاء العام الاول على الاحتلال نجحت السياسة الاسرائيلية الى حد كبير في اعادة الحياة في الضفة الغربية الى مجراها شبه الطبيعي .

اما القدس المحتلة فلها وضع خاص يميزها عن بقية الضفة الغربية بسبب اخضاعها الفوري لاحكام التشريعات الادارية والاقتصادية الاسرائيلية . على سبيل المثال قامت وزارة السياحة الاسرائيلية ، بعد الحرب مباشرة ، باصدار تصنيفها لكافة الفنادق الموجودة في القدس القديمة (وعددها ٣٤) وقد انضم نصفها الى جمعية فنادق القدس ومطاعمها . واعطت الوزارة الى كل وكلاء السياحة والسفر من العرب اجازات مدتها ثلاثة اشهر على ان تستبدل باجازات دائمة فيما بعد(٢). كذلك فرضت وزارة التجارة والصناعة على جميع المتاجر اعلان اسعارها وارسلت موظفيها للتأكد من سلامة الموازين والعيارات التي يستخدمونها . وحتى تاريخ كانون الثاني ١٩٦٨ كان قد تم تسجيل ٤٠٠ تاجر عربي بالمرق في احد فروع « جمعية القدس لرجال الاعمال الصغار »(٣). وفي شهر آب ١٩٦٨ صدر امر اداري يفرض على جميع رجال الاعمال واصحاب المهن الحرة التسجيل لدى الحكومة الاسرائيلية في تاريخ اقصاه شباط ١٩٦٩ . وكان هذا الاجراء بمثابة الخطوة الاخيرة في اتمام عملية دمج القدس المحتلة بدولة اسرائيل . غير ان السلطات الاسرائيلية اضطرت الى تأخير هذا التاريخ اكثر من مرة بسبب عدم اقبال السكان العرب على التقيد به . وفي النهاية لجأت اسرائيل الى اجراء من نوع آخر لتنفيذ هذا الامر الاداري حيث خولت كل وزارة من الوزارات اتخاذ الاجراءات اللازمة لتسجيل كل من يعنيهم الامر في سجلاتها ، مما رفع عن السكان العرب مسؤولية المبادرة في الخضوع للتشريع الاسرائيلي . وجدير بالذكر ان اسرائيل حاولت استخدام هذا الاسلوب مع المحامين العرب ولكنهم مع ذلك رفضوا ممارسة مهنتهم(٤). وقد ادعت الحكومة الاسرائيلية ان قانون آب ١٩٦٨ يدخل ضمن نطاق الاجراءات الادارية لا اكثر ، الا ان القادة العرب ردوا بقولهم انه طالما ان ضم القدس الى دولة اسرائيل هو عمل غير شرعي في الاساس يكون بذلك قانون آب غير شرعي ايضا وغير وارد اصلا . لقد ميز عرب القدس بصورة عامة بين التعاون السلبي والتعاون النشيط مع السلطات الاسرائيلية لذلك احجموا عن التعاون مع الاحتلال عندما كان ذلك ممكنا طواعية، وعليه لم يسجل في القدس المحتلة سوى الف عربي ، في صيف ١٩٦٧ ، من اصل ١٥،٠٠٠ شخص كانوا يبحثون عن عمل في مكتب العمل الرسمي في القطاع العربي من المدينة(٥).

في بادىء الامر كانت الحكومة الاسرائيلية تريد اصدار عملة خاصة للضفة الغربية يتم التعامل بها الى جانب الدينار الاردني . الا ان تسرب الليرة الاسرائيلية الى الضفة بصورة غير رسمية ، والذي بلغ حدود المليون ليرة اسرائيلية في الشهر الاول من الاحتلال ، حدا بسلطات الاحتلال الى العدول عن خطتها الاولى . وبما ان البنوك المحلية كانت قد اغلقت من قبل الحكومة الاسرائيلية بعد الحرب مباشرة اخذ الدينار يزداد ندرة واخذت الليرة الاسرائيلية تتسرب بسرعة اكبر . وانتهزت سلطات الاحتلال هذه الفرصة المؤاتية بسرعة فحددت في ٢٦ حزيران ١٩٦٧ سعرا جديدا للتبادل بين الدينار والليرة الاسرائيلية مما خفض قيمة الدينار بحوالي ٤٠ بالمئة ، وفي آب ١٩٦٧ تبعت ذلك باجراء ادخل الليرة الاسرائيلية كعملة شرعية الى جانب الدينار الاردني مما خفف لا شك من حدة الازمة المالية(٦). وهذا ما كانت تعمل على تحقيقه اسرائيل ، أي اعادة الامور الى مجراها الطبيعي بقدر الامكان . وبعد اغلاق البنوك العربية والبريطانية في الضفة الغربية قامت لجنة خاصة تابعة لسلطات الاحتلال بمراجعة حساباتها والعمل بصورة ما على استعادة القسم الكبير من الودائع التي نقلت الى مراكز البنوك الرئيسية في عمان اثناء الحرب . لذلك قررت هذه اللجنة عدم السماح باعادة فتح البنوك في الضفة قبل عودة الودائع اليها(٧). وعلى أثر ذلك اجرت سلطات الاحتلال مفاوضات مع مسؤولي البنك المركزي الاردني ، تحت اشراف صندوق النقد الدولي بغية اعادة فتح البنوك في الضفة الغربية ، الا ان اصحاب البنوك في عمان لم يكن بامكانهم الموافقة على الشروط الاسرائيلية التي كانت تدعو الى قطع كل اتصال بين الفروع الواقعة تحت الاحتلال والمراكز الرئيسية في عمان مما ادى الى فشل المفاوضات وبقاء البنوك مقفلة(٨). كذلك

رفضت فروع البنك البريطاني العثماني فتح ابوابها بالرغم عن الامر الصادر بهذا المعنى عن السلطات العسكرية في ايار ١٩٦٨(٩). في مقابل ذلك سمحت الحكومة الاسرائيلية للمودعين في الضفة الغربية بالسفر الى عمان لسحب مبالغ معينة بالدينار الاردني من حساباتهم شرط الا يزيد المبلغ عن ٢٠٠ دينار لكل سفرة ولمدة لا تتجاوز الشهر الواحد(١٠). وفي نفس الوقت قام بنك لئومي الاسرائيلي بفتح تسعة فروع له في الضفة الغربية والقدس المحتلة. وكان التعامل الرئيسي للعرب مع هذه الفروع هو تبديل العملة بالرغم عن توارد بعض الانباء التي تفيد بأن بعض المزارعين العرب حصلوا على قروض موسمية منها(١١). ونتيجة لتجميد الاموال السائلة في البنوك المغلقة تعطل كل من قطاعي البناء والتجارة في الضفة الغربية عن العمل اول الامر . ولم يحصل الا قلة قليلة من العرب على قروض من البنوك الاسرائيلية في تلك الفترة بسبب تردد رجال الاعمال العرب لدوافع سياسية ولارتفاع اسعار الفائدة الاسرائيلية التي تصل الى ٨ او ٩ بالمئة بينما اعتاد تجار الضفة اسعار الفائدة الاردنية التي لا تتعدى ٥ بالمئة على القروض الطويلة الاجل . ومن ناحية ثانية كان رجال المصارف الاسرائيليون يترددون ايضا في تقديم مثل هذه القروض بسبب الغموض الذي كان يحيط بالوضع السياسي عامة غير ان الحكومة الاسرائيلية تخطت هذه العقبة بسرعة عن طريق تقديم الضمانات التجارية والسياسية للبنوك الاسرائيلية بغية تشجيعهم على تقديم مثل هذه القروض(١٢) باعتبارها تساعد على ربط اقتصاد الضفة الغربية باسرائيل وجعله تابعا لها .

معروف ان النظام الضريبي في الضفة الغربية يختلف اختلافا جوهريا عن النظام المعمول به في اسرائيل ، اذ يقوم النظام الضريبي في الضفة على جباية الضرائب العالية على الاملاك وجعل ضرائب الدخل والضرائب غير المباشرة منخفضة نسبيا مع اعفاء المزارعين من ضرائب الدخل . ومع ان الحكومة الاسرائيلية قررت ابقاء النظام الضريبي على حاله في الضفة وباشرت جمع الضرائب على الاسس القديمة فقد فرضت رسوما جمركية على بعض البضائع المتجهة من الضفة الى اسرائيل كي تعوض عن الانخفاض النسبي في الضرائب غير المباشرة في الضفة نفسها . كذلك قامت اسرائيل بتبديل نهاية السنة المالية من ٣١ كانون الاول الى ٣١ آذار وهو التاريخ المعمول به في اسرائيل(١٣). وفي تموز ١٩٦٧ أعادت سلطات الاحتلال فتح المكاتب الاقليمية للضرائب كما اعادت توظيف جباة الضرائب العرب بعد تسريح الذين رفضوا التعاون معها(١٤). وفي اواخر ١٩٦٧ اكدت الحكومة الاسرائيلية للسكان العرب ان ٩٠ بالمئة من الضرائب المجموعة سوف تذهب الى السلطات المحلية و ١٠ بالمئة فقط الى الخزينة الاسرائيلية في محاولة من قبلها لجعل رؤساء البلديات والسكان عامة يتعاونون في جباية الضرائب ودفعها . من ناحية اخرى لجأت سلطات الاحتلال الى اجراء له دلالات بعيدة المدى لانه اعطى اسرائيل كافة المعلومات التي تريدها عن اوضاع الملكية في الضفة . قامت وزارة العدل الاسرائيلية بنقل جميع السجلات المتعلقة بملكية الارض الموضوعة في مكاتب اقليمية في الضفة الغربية الى مكتبها المركزي في القدس حيث استحصلت على نسخ منها قبل اعادتها الى مكانها الاصلي . بعد هذا الاجراء سمحت سلطات الاحتلال لهذه المكاتب بفتح ابوابها واعادت الموظفين العرب اليها(١٥). وفي اواسط حزيران ١٩٦٧ اصدرت السلطات العسكرية تشريعا يمنع كل المبادلات العقارية في الضفة الغربية بدون اذن سلطات الاحتلال . كما عينت قيما على املاك الغائبين واملاك الحكومة الاردنية بموجب قانون اسرائيلي صادر عام ١٩٥٠ . ولم تسمح السلطات للاقرباء بالاضطلاع بمسؤولية الحفاظ على ممتلكات النازحين . اي ان تصرفات اسرائيل ونواياها على هذا الصعيد لم تتغير منذ استيلائها الرسمي على ارض فلسطين عام ١٩٤٨. وهذا واضح من التقرير الذي رفعه السيد جوسنج الممثل الشخصي للامين العام لهيئة الامم المتحدة حيث أثار التساؤلات حول سياسة المصادرة التي اخذت تتبعها اسرائيل بعد الاحتلال . ذكر التقرير « ان القيم الاسرائيلي على املاك الغائبين استولى على بيوت لمجرد عدم كون اصحابها في داخلها ، ففي بعض الحالات كان اصحاب هذه البيوت غائبين بصورة مؤقتة بسبب زيارة كانوا يقومون بها الى عمان مثلا »(١٦).

تتلخص اوضاع الصناعة التي نمت في الضفة الغربية قبل الحرب بكونها بالدرجة الاولى صناعات يدوية وخفيفة . وتؤمن هذه الصناعات ، بالاضافة الى قطاع البناء ، حوالي ١٥ بالمئة من دخل الضفة . ونتيجة لتضافر عوامل عديدة ، مثل اغلاق البنوك ، نزوح السكان ، توقف حركة السياحة ،

صعوبة استيراد المواد الخام ، توقف الانتاج في الضفة ، تولدت حالة من البطالة الواسعة اول الامر . ولكن بما أن الانتاج الزراعي استمر على حاله بعد الحرب كانت الصناعات المرتبطة به هي السباقة في العودة الى العمل بسرعة مثل معامل توضيب البندورة والفاكهة ، بالاضافة الى معاصر الزيت في نابلس وشركة العازارية لصنع السجائر. من ناحية اخرى بقيت السياحة متوقفة في الضفة ، باستثناء القدس ، بسبب اوضاع الامن المضطربة وفرض حظر التجول وغياب السواح من البلدان العربية الاخرى ، بالاضافة الى الاوامر التي تمنع الاسرائيليين من البقاء في الضفة الغربية لمدة تتجاوز ٤٨ ساعة . مع ذلك تمكنت بعض الصناعات السياحية من العودة ببطء الى الانتاج مثل شركة الخليل للزجاج وشركة هدايا بيت لحم التي أخذت تتعامل مع السياح الاتين من اسرائيل . كذلك عادت المعامل التالية الى الانتاج : معمل نابلس للمياه الغازية ، معمل البلاستيك في بيت ساحور ، معمل رام الله للشوكولاتة ، وصناعة المفروشات في بيت لحم . ولم تتمكن هذه المعامل من العودة الى الانتاج الا بعد حصولها على المواد الخام اللازمة من الشركات الاسرائيلية(١٧). غير ان اسعار هذه المواد الآتية من اسرائيل بالاضافة الى الرسوم الجمركية المفروضة عليها رفعا الى حد كبير نفقات الانتاج . اما قطاع البناء الذي كان يوظف قبل الحرب ١١ بالمئة من اليد العاملة وكان يستوعب ٨٠ بالمئة من كل التوظيفات المالية ، فقد بقي راكدا نسبيا لاسباب عديدة منها اغلاق البنوك والاوضاع غير المستقرة عامة .

وكما هو متوقع ارسلت وزارة التجارة والصناعة الاسرائيلية ممثليها الى الضفة الغربية لدراسة الاوضاع الاقتصادية السائدة فيها ، كما فتحت مكاتب فرعية لها في المدن الرئيسية (وسلمتها الى موظفين محليين) مهمتها تسهيل الربط بين عملية الانتاج في الضفة والاقتصاد الاسرائيلي . وقد كانت اول الخطوات بهذا الاتجاه جعل الانتاج في المنطقة المحتلة يعتمد من اساسه على الاقتصاد الاسرائيلي وعلى التسويق الاسرائيلي . لذلك انشأت حكومة الاحتلال صندوقا رأسماله مليون ليرة اسرائيلية لاحياء النشاط الاقتصادي في القدس كما منحت الضفة الغربية ٣٢٥ مليون ليرة اسرائيلية لنفس الهدف(١٨) وفي حزيران ١٩٦٨ سمحت سلطات الاحتلال بتقديم قرض بمبلغ ٦٠٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية الى بيت لحم لاتمام مركز تجاري هناك ، وفي تشرين الاول ١٩٦٨ قدمت قرضا بمبلغ ٢٠٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية بفائدة ٦ بالمئة لمدة ٦ سنوات الى مدينة نابلس من اجل ادخال تحسينات على الكهرباء وشبكة مياه الشرب والمجارير والطرقات(١٩). كما اقامت هذه الوزارة معرضا تجاريا يمثل حوالي ١٠٠ شركة اسرائيلية وجعلته يطوف في مدن الضفة الغربية في ربيع ١٩٦٨ كجزء من حملتها للتسلل الى اقتصاديات الضفة من الداخل والهيمنة عليها ، كما دعت ٣٠٠ من السكان العرب الى زيارة معرض حزيران التجاري في تل ابيب . في الواقع ذهبت اسرائيل الى ابعد من ذلك في تثبيت وضعها في الضفة الغربية ضمن اطار خطتها العامة الرامية الى اخضاع الضفة اقتصاديا اخضاعا تدريجيا للمصالح الاسرائيلية حتى اذا جاءت المناسبة الملائمة لدمجها في اسرائيل يكون كل شيء قد أعد لذلك بصورة مسبقة . على سبيل المثال انفقت مديرية الاشغال العامة التابعة لوزارة العمل (في الفترة الواقعة بين حزيران ١٩٦٧ وآذار ١٩٦٨) مبلغ ١١ مليون ليرة اسرائيلية على تصليح الطرقات في الضفة الغربية ولا يشمل هذا المبلغ نفقات تحسين الطرقات الموجودة وتوسيعها فحسب بل يشمل ايضا شق طرق جديدة بما في ذلك الطرق الموصلة الى المستعمرات الاسرائيلية في منطقة عتسيون وعلى طرف نهر الاردن . وقد تم وضع الخطط اللازمة لانشاء طريق دولية طولها ٣٧٠ ميلا تمتد من جبل الشيخ في مرتفعات الجولان باتجاه الجنوب على الجانب الغربي من نهر الاردن والبحر الميت حتى تصل الى ايلات . ومع حلول عام ١٩٧٠ كانت السلطات الاسرائيلية قد قطعت شوطا بعيدا في شق الطريق الواقعة الى جنوب شرم الشيخ في صحراء سيناء(٢٠). ولا يخفى على القارىء ما لشبكة الطرقات الجيدة والحديثة من اهمية استراتيجية قصوى خاصة بالنسبة لاسرائيل التي تعتمد على الحرب الصاعقة والحركة السريعة في اسلوب قتالها . وقد استخدمت اسرائيل اليد العاملة العربية في انجاز هذه الاعمال(٢١).

في تموز ١٩٦٨ اخذت سلطات الاحتلال تستورد العمال العرب من الضفة الغربية الى اسرائيل كعمال مياومين بالرغم عن ان مؤسسة التخطيط الاقتصادي الاسرائيلي كانت قد اعترضت على مثل هذا الاجراء قبل سنة بحجة انه سيزيد من حدة مشكلة البطالة في اسرائيل(٢٢). لكن يبدو انه بعد

استتباب أمور الاحتلال اخذت السلطات الاسرائيلية تتطلع الى استغلال اليد العاملة العربية الرخيصة والتخفيف من حدة أزمة النقص في اليد العاملة الناشئة بسبب الخدمة العسكرية ، لذلك قامت السلطات بتبديل موقفها من مسألة استيراد العمال العرب الى اسرائيل(٢٣). اصبح على سكان الضفة الغربية الذين يرغبون في العمل في اسرائيل الحصول على تصريح خاص من السلطات العسكرية المحلية وعلى شهادة عمل من احد مكاتب التوظيف الاسرائيلية الموجودة في الضفة . وبطبيعة الحال ركزت سلطات الاحتلال على سكان القدس العربية في سياسة تشغيل العرب في اسرائيل . في تشرين الثاني ١٩٦٨ ذكرت وزارة العمل ان ٥٠٠٠ عامل عربي ينتقلون يوميا الى اسرائيل حيث يعملون بصورة رئيسية في المزارع والاشغال العامة . ومع حلول أيار ١٩٦٩ ارتفع عدد العاملين الذين يأتون من كافة الاراضي المحتلة الى ١٥٠٠٠ عامل(٢٤). وفي أيلول ١٩٦٧ سمحت الحكومة الاسرائيلية لتجار الضفة الغربية باستيراد البضائع من اسرائيل بدون الحصول على تصريح خاص على ان يدفعوا ضرائب الشراء الاسرائيلية كاملة . ومع حلول منتصف تشرين الاول عززت سلطات الاحتلال هذا الوضع المفيد لاسرائيل عن طريق السماح بنقل البضائع من الضفة الغربية الى اسرائيل بدون اي تصريح مع ابقائها خاضعة للرسوم الجمركية ، وطبق هذا الاجراء حتى بالنسبة للتجارة بين القدس المحتلة والضفة الغربية نفسها(٢٥). ومن الدلائل الواضحة على سياسة اسرائيل في اخضاع اقتصاديات الضفة الغربية تدريجيا للمصالح الاسرائيلية اعتراف سلطات الاحتلال انه مع بدء الاحتلال كانت اسرائيل تستورد من المناطق المحتلة اكثر بكثير مما كانت تصدر اليها خاصة عن طريق ما كان يشتريه السياح الاسرائيليون . ولكن مع حلول عام ١٩٦٨ انقلبت الاية اذ اخذت الشركات الاسرائيلية باستغلال الفرص الجديدة في توسيع أسواقها فأخذت ترسل صادراتها الى المناطق المحتلة وتقوم بتزويد الصناعات العربية الخفيفة في الضفة بالمواد الاولية اللازمة لها(٢٦).

وبالرغم من ان الحكومة الاسرائيلية اعلنت لفظيا معارضتها لقيام الشركات الاسرائيلية بانشاء فروع لها في الضفة الغربية الا ان الواقع هو ان عددا من هذه الشركات والمصالح التي تعنى بالخدمات قامت بنشاط مركز في الضفة بالتنسيق مع وزارة التجارة والصناعة . على سبيل المثال قامت شركة ميكوروت للمياه بالعمل على عدد من المشاريع المائية في الضفة الغربية ، وقام تجمع من ثلاث شركات اسرائيلية للمحروقات بتزويد الضفة بالمحروقات بواسطة ناقلات وصهاريج اسرائيلية مما ادى الى رفع اسعار هذه المواد الى مستوى الاسعار السائد في اسرائيل(٢٧). وسيرت شركة ايجيد للباصات ثلاثة خطوط بين اسرائيل والضفة الغربية (نابلس — الناصرة ، القدس — بئر السبع عن طريق الخليل ، القدس — عتسيون) ، كما عملت باصات اسرائيلية اخرى في منطقة القدس الموسعة . كذلك قام وكلاء السفر والسياحة الاسرائيليون بتنظيم رحلات سياحية الى الضفة الغربية والقدس منطلقة من اسرائيل ، مع العلم بأن وكلاء السفر والسياحة الاسرائيليين كانوا يتعمدون ارسال السياح الى ما يسمى « بالقطاع الاسرائيلي » من القدس والغاء الحجوز في فنادق القطاع العربي(٢٨). وقد اكدت الصحف هذه الشكوى وذكرت ان هذا التمييز يحدث بالرغم عن ان الفنادق العربية هي من الدرجة الممتازة ومسجلة في الدليل السياحي الذي تصدره حكومة اسرائيل(٢٩).

مع ان الانتاج الزراعي للضفة استمر بالاتجاه الى أسواقه القديمة ، شرقي الاردن ، الا ان الاحتلال عطل اول الامر التبادل التجاري بالنسبة للمنتجات الصناعية بين الضفتين . لكن سلطات الاحتلال عملت ما في وسعها للسيطرة على الموقف عن طريق محاولة ابقاء الامور في الضفة تسير بأقرب ما يكون الى مجراها الطبيعي لذلك سمحت في اواخر ١٩٦٧ لما يزيد عن ٢٠٠ تاجر عربي بالسفر الى ميناء العقبة للحصول على بضائع كانت قد وصلت منذ انتهاء الحرب . الا ان الرسوم الجمركية الاسرائيلية المرتفعة جدا لم تسمح للتجار العرب ، باستثناء قلة منهم ، بالاستفادة من هذا الوضع بالرغم عن ان البضائع المعنية لم تكن متوجهة الى اسرائيل اصلا(٣٠). وفي شباط ١٩٦٨ قامت السلطات الاسرائيلية بتنظيم قضايا التبادل التجاري المرتبطة بالضفة الغربية عن طريق اصدار تشريع يصنف المنتجات الى ثلاثة اصناف : (١) منتجات الضفة الغربية التي يمكن تصديرها الى الاردن بدون اجازة وهي تشمل الصابون والحلويات ، المصنوعات البلاستيكية ، الخضروات المعلبة ، المفروشات ، أعواد الثقاب والمنسوجات .

(٢) المستوردات التي لا تخضع الى اية رسوم جمركية او اجازة استيراد وهي تشمل القمح والشعير من انتاج الضفة الشرقية ، التوابل ، الجوز وما شابهه مما هو مستورد من الدول العربية . (٣) البضائع التي تخضع للاجازة والرسوم الجمركية(٣١). وفي نهاية ١٩٦٨ ذكرت الحكومة الاسرائيلية انها تلقت ٦٠٠ طلب للحصول على اجازات لهذا الغرض .

سمحت الحكومة الاردنية بالتجارة مع الضفة الغربية مع مقاطعة المنتجات الاسرائيلية . ولكن منذ أن بدأت اسرائيل بتزويد الضفة الغربية بالمواد الخام لصناعاتها اصبح من المتعذر على الحكومة الاردنية التأكد من منشأ البضائع الاتية الى منطقتها من الضفة ، خاصة فيما يتعلق بالمنتجات الزراعية المصنعة . وقد ذكرت سلطات الاحتلال في خريف ١٩٦٨ ان الاردن قد بدأ في الحد من استيراد البضائع التي قد تكون مواد خامها آتية من اسرائيل بما في ذلك المنسوجات والشوكولاته والمشروبات الروحية والاحذية والمفروشات(٣٢). واضطرت الحكومة العسكرية في الضفة المحتلة الى الحد مؤقتا من التجارة عبر النهر في كانون الاول ١٩٦٨ بعد أن تبين لها ان الانفجار الذي وقع في القدس في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٨ سببه مواد متفجرة دخلت الارض المحتلة سيارة تحمل لوحة اردنية . لذلك منعت السلطات الاسرائيلية جميع العربات من المرور عبر النهر لمدة ثلاثة اسابيع ، وفي شهر كانون الاول اقامت نقاط التفتيش على الطرقات بين مدن الضفة الغربية نفسها وبين الضفة واسرائيل ، وتشددت في منح التصاريح ، واخذت تعطيها الى السائقين شرط ان يتبعوا طريقا معينة لا يحيدون عنها مع اعتبار كل سائق مسؤولا عن اي صلة قد يكشفها التحقيق بين شاحنته وأعمال المقاومة العربية . كذلك تشددت سلطات الاحتلال في تفتيش البضائع المارة عبر النهر بحيث كان المسؤولون الاسرائيليون يكسرون قوالب الجبن ويفتحون السيجار بحثا عن المواد التي يمكن ان تستخدمها المقاومة العربية . كما منعت مرور المعلبات وكافة الاوعية المجوفة بسبب تعذر تفتيشها بدقة . وبما أن مثل هذه الاوضاع المتأزمة تفيد روح المقاومة والتمرد لدى الشعب المحتل كانت سلطات الاحتلال تعمل جهدها على تجنبها كلما سنحت الفرصة . لذلك قامت في كانون الثاني ١٩٦٩ بتخفيف القيود التي فرضتها على سفر الافراد الا انه بعد انفجار قنبلة اخرى في القدس في ٢١ شباط اضطرت هذه السلطات الى العودة للتشدد من جديد باستثناء الحالات الضرورية جدا(٣٣). اما فيما يتعلق بالاضرابات في الضفة الغربية والقدس فقد كان رد فعل سلطات الاحتلال عليها حادا جدا خاصة بالنسبة للاوساط التجارية. على سبيل المثال ، بعد اضراب استمر يوما واحدا في القدس في آب١٩٦٧ اغلقت السلطات الاسرائيلية خمسة حوانيت وشركة باصات لمدة اسبوعين(٣٤). وكان خوف العرب من ان تستولي الشركات الاسرائيلية على اعمالهم بالاضافة الى القمع الذي وجهته اليهم القوات المسلحة الاسرائيلية يفسران الفشل الجزئي لاضرابات اليوم الواحد التي جرت في القدس في ٢١ آب و١٩ ايلول ١٩٦٧ . اما في نابلس فقد نجح اضراب ١٩ ايلول نجاحا كليا مما اضطر السلطات الاسرائيلية الى فرض حظر التجول الكامل والتهديد بجعل مدينة جنين ، بدلا من نابلس ، المركز التجاري للقطاع الشمالي من الضفة الغربية(٣٥). وفي ايار ١٩٦٨ ادت احتجاجات سكان رام الله على الاستعراض العسكري الذي جرى في القدس ، بمناسبة عيد استقلال اسرائيل ، الى اجراءات مشابهة استمرت ثلاثة ايام . ومن الاجراءات التي لجأت اليها سلطات الاحتلال تحميل الغرف التجارية المحلية والبلديات مسؤولية منع المظاهرات والاضرابات وأعمال المقاومة . كما ضغطت على التجار كي لا يشاركوا في الاضرابات عن طريق فرض عقوبات قاسية (السجن لمدة سنة او غرامة تساوي الف ليرة اسرائيلية) لمجرد اغلاق المتجر في يوم عمل عادي . اما اغلاق المتجر اثناء اعلان الاضراب فيعني عقوبة خمس سنوات في السجن او غرامة تساوي عشرة آلاف ليرة اسرائيلية(٣٦).

لم يقتصر دخول المواد الخام من اسرائيل الى الضفة الغربية على رفع تكاليف الانتاج وفتح الباب امام احتمالات اغراق سوق الضفة بالمنتجات الاسرائيلية بل تعدى ذلك الى تسبيب ارتفاع كبير في غلاء المعيشة مما اضطر سلطات الاحتلال الى رفع رواتب موظفي الضفة المحليين بنسبة ٢٠ بالمئة في ايلول ١٩٦٧ ، اضيف اليها زيادة بلغت ٨ بالمئة في تشرين الاول ١٩٦٨(٣٧). ومع حلول شباط ١٩٦٨ كانت اسعار المواد الغذائية الاساسية ، باستثناء القمح ، قد تضاعفت . وما ان حل صيف ذلك العام الا وكانت الاسعار في الضفة الغربية

مماثلة الى الاسعار السائدة في اسرائيل في حين بقيت الاجور أدنى من الاجور الاسرائيلية . بعبارة اخرى ، اكتسبت اقتصاديات الضفة الغربية ملامح جديدة تتناسب مع ارتباطها الجديد مع اسرائيل وتختلف الى حد بعيد عن ملامحها السابقة حين كانت جزءا من الاقتصاد الاردني . وبسبب تخلف الضفة الغربية الكامل عن اسرائيل في حقل التصنيع لا شك في ان الصناعات الصغيرة هناك هالكة لا محالة في المستقبل بسبب عجزها عن منافسة المصنوعات الاسرائيلية ، مما يعني ان ما تسميه سلطات الاحتلال « بالتنسيق بين اقتصاديات الضفة واسرائيل » لا يمكن ان يعني في المستقبل الا جعل الضفة مصدرا لليد العاملة الرخيصة وسوقا جديدة للمنتجات الاسرائيلية ، ولم يداور بعض الوزراء الاسرائيليين في التصريح من هذه الحقيقة (٣٨).

قبل العدوان كانت الزراعة تشكل قاعدة رئيسية لاقتصاد الضفة الغربية ، وتؤمن ثلث انتاجها العام وتوفر العمل لنصف القوة العاملة فيها . وضمن مخططها للاستفادة من الانتاج الزراعي للضفة وتحويله بشكل يتناسب مع مصالح الاقتصاد الاسرائيلي ومتطلباته قامت سلطات الاحتلال اول الامر بتنشيط الدوائر الحكومية المرتبطة بالزراعة وشجعت تشكيل اللجان الزراعية المحلية ومؤسسات التسويق . كما استمرت في تقديم الخدمات البيطرية وتطعيم الماشية والدجاج ورش كافة مناطق زراعة الحمضيات في الضفة(٣٩). واعتبرت وزارة الزراعة الاسرائيلية وسائل التحريج التي كانت متبعة في الاردن غير صالحة ولا تفي بالمطلوب لذلك أرسلت عددا من المسؤولين العرب لدراسة الوسائل الاسرائيلية في هذا الميدان ، كما أرسلت خبراء من عندها كي يشرفوا على زراعة مليون غرسة في الضفة(٤٠). واستمرت الحكومة الاسرائيلية بمشروع المراكز الزراعية التجريبية الخمسة العاملة في الضفة الغربية وتشجيع التجارب في هذه المراكز على انواع جديدة من المحصولات تهم الاقتصاد الاسرائيلي بالدرجة الاولى(٤١). وفي نطاق تحويل الانتاج الزراعي في الضفة الى منتوجات تحتاجها اسرائيل قامت وزارة الزراعة الاسرائيلية بنشاط كبير مثل تنظيم دورات مدتها اسبوعين لتدريب بعض العمال الزراعيين العرب ، على استخدام الوسائل الزراعية الجديدة والاستفادة من الاسمدة الكيماوية . ولا بد من الاشارة الى ان سلطات الاحتلال قد نفذت مشاريعها على هذا الصعيد في مرحلتين : كانت الاولى تنشيط الزراعة مجددا في الضفة الغربية بعد الحرب مباشرة ، اما الثانية فتتلخص بتحويل الانتاج الزراعي للضفة تدريجيا لخدمة مصالح الاقتصاد الاسرائيلي . ولا شك ان اهم عامل في تحقيق المرحلة الاولى كان فتح اسواق الضفة الشرقية أمام انتاج الضفة المحتلة بسماح الاردن استمرار التجارة بين المنطقتين مما رفع عن اسرائيل عبء استيعاب انتاج الضفة الغربية الذي كان سينافس الانتاج الاسرائيلي من الفاكهة والخضروات بأسعار تقل بحوالي ٢٠ — ٢٥ بالمئة عن الاسعار الاسرائيلية . في الواقع عملت سلطات الاحتلال اول الامر على عرقلة تصدير الانتاج الزراعي للضفة الى اسرائيل والقدس عن طريق فرض شروط يتعذر توفرها في الانتاج العربي ، مثل فحوص صحية خاصة للمنتجات الغذائية والاصرار على تأمين تصريح خاص لتصديرها وضمانات مسبقة بألا تؤدي المواد المصدرة الى فائض في اسرائيل(٤٢). بالاضافة الى ذلك تم توجيه المزارعين العرب نحو اسرائيل بحيث يشترون البذور والاسمدة والمبيدات الحشرية والآلات وفي بعض الحالات الجرارات الزراعية من الشركات الاسرائيلية(٤٣). وفي هذه الاثناء كانت لجان حكومية اسرائيلية تضع خططها الفورية والبعيدة المدى لتبديل اقتصاد الضفة الغربية وخاصة في ميدان الزراعة . كان الاقتراح الفوري الذي خرجت به اللجان هو خفض حجم انتاج الحاصلات الزراعية الموجهة للاستهلاك المباشر مثل البطيخ والخضروات ورفع حجم انتاج الحاصلات التي تحتاج الى الصناعة مثل القطن والتبغ والسمسم باعتبار ان كل ما له علاقة بالصناعة يزيد من ارتباط الضفة المتخلفة صناعيا باقتصاديات اسرائيل التي تتوفر لديها الامكانيات الصناعية المتقدمة . كذلك اقترحت اللجان المعنية تشجيع انتاج الخضروات الشتوية على الفور لاجل تصديرها الى اوروبا عبر اسرائيل وتشجيع انتاج الحبوب والتين والزيتون بسبب انخفاض محصولها في اسرائيل(٤٤). اما الخطط الطويلة المدى فقد كانت تشمل تحسين وسائل الزراعة والري وتربية المواشي وتحديثها بما يتفق مع المخطط الاسرائيلي في وضع الانتاج الزراعي للضفة الغربية في خدمة المصالح الاقتصادية الاسرائيلية المباشرة وربطه بها ربطا عضويا . في النهاية علينا ان ندرك بوضوح

ان استمرار الاحتلال على حاله سيعني ، بحكم الضرورات الاقتصادية والحيوية ، ارتباط حياة الضفة الغربية بالدورة الاقتصادية الاسرائيلية بصورة محكمة مما يجعل فكرة العودة الى القطيعة العربية التقليدية مع اسرائيل شبه مستحيلة .

---

١ — **جيروساليم بوست** ، ١٢ و٢٢ حزيران ١٩٦٧ ، **واشنطن بوست** ، ٢١ تموز ١٩٦٧ ، Don Peretz, "Israel's New Arab Dilemma," *The Middle East Journal*, Winter 1968, p. 52.

٢ — *Israel Government Yearbook (1967/1968)*, Central Office of Information, The Prime Minister's Office, Jerusalem, 1968, p. 282.

٣ — **جيروساليم بوست** ، ٤ و١٣ أيلول ١٩٦٧ ، ١٠ كانون الثاني ١٩٦٨ .

٤ — **نيويورك تايمس** ، ١٠ شباط ١٩٦٩ ، ٢٨ نيسان ١٩٦٩ .

٥ — **واشنطن بوست** ، ٢٩ تموز ١٩٦٧ .

٦ — **التايمز اللندنية** ، ٢٨ حزيران ١٩٦٧ ، ٢ آب ١٩٦٧ .

٧ — Letter from the Israel Government to the United Nations, July 12, 1967, Security Council Document S/8055.

٨ — **جيروساليم بوست** ، ١١ أيلول ١٩٦٧ .

٩ — **المرجع السابق** ، ٢٩ أيار ١٩٦٨ ، ١١ حزيران ١٩٦٨ .

١٠ — **المرجع السابق** ، ١٢ حزيران ١٩٦٨ ، فيما بعد اصبح المبلغ المسموح به كل شهر ٥٠٠ دينار اردني .

١١ — **المرجع السابق** ، ٢٥ آب ١٩٦٧ .

١٢ — *The Military Government's Civil Administration*, Israel Ministry of Defence, 1968, p. 6.

١٣ — **جيروساليم بوست** ، ١٧ كانون الثاني ١٩٦٨ .

١٤ — *The Israel Administration in Judaea, Samaria and Gaza,* pp. 60-61.

١٥ — **المرجع السابق** ، ص ٦٣ — ٦٤ .

١٦ — **جيروساليم بوست** ، ١٠ آب ١٩٦٧ ، ٧ كانون الثاني ١٩٦٨ ، ١٠ و١١ نيسان ١٩٦٨ . Report to the Secretary-General under General Assembly Resolution 2252 (ES-V) and Security Council Resolution 237, A/6797, S/8158 (1967), Paragraph 85 (g).

١٧ — *The Israel Administration in Judaea, Samaria and Gaza,* pp. 54-57.

١٨ — **المرجع السابق** ، ص ٥٦ ، و **جيروساليم بوست** ، ٦ كانون الاول ١٩٦٧ .

١٩ — **جيروساليم بوست** ، ٢٧ حزيران ١٩٦٨ ، و **هآرتس** ، ٢٠ تشرين الثاني ١٩٦٨ .

٢٠ — "Israel's Public Works Department in Judaea and Samaria," a two-page mimeographed paper issued by the Israel Government Press Office, August 1968; *The Military Government's Civil Administration,* p. 7; *The New York Times*, 5 February 1970.

٢١ — Jerusalem Domestic Service Broadcast (Hebrew), 12 November 1968; *The Israel Administration in Judaea, Samaria and Gaza*, p. 23.

٢٢ — **جيروساليم بوست** ، ٣١ تموز ١٩٦٧ .

٢٣ — **نيو اوتلوك**، تشرين الاول ١٩٦٨، ص ٥٤.

٢٤ — **جيروساليم بوست** ، ٢٠ أيلول ١٩٦٨ ، **دافار** ، ٢ أيار ١٩٦٩ ، **نيويورك تايمس** ، ١٩ نيسان ١٩٦٩ ، Jerusalem Domestic Service Broadcast, (Hebrew), 12 November 1968.

٢٥ — **جيروساليم بوست** ، ٢١ أيلول ١٩٦٧ ، ٢٢ تشرين الاول ١٩٦٧ ، ١٠ كانون الثاني ١٩٦٨ .

٢٦ — *The Military Government's Civil Administration,* p. 5.

٢٧ — *The Israel Administration in Judaea, Samaria and Gaza,* p. 51.

٢٨ — **جيروساليم بوست** ، ٢١ حزيران ١٩٦٨ .

٢٩ — **نيويورك تايمس** ، ٨ شباط ١٩٧٠ .

٣٠ — *The Israel Administration in Judaea, Samaria and Gaza,* p. 55.

٣١ — **المرجع السابق** .

٣٢ — **المرجع السابق** .

٣٣ — Jerusalem Domestic Service Broadcast (Hebrew), December 12, 1968.

جيروساليم **بوست** ، ٢٧ كانون الاول ١٩٦٨ و٢٥ شباط ١٩٦٩ .

وذكرت صحيفة **النيويورك تايمس** ان السلطات الاسرائيلية كانت تصر علـى تفريغ حمولة الشاحنات وفحصها بالمعدات الالكترونية بحثا عن المتفجرات ، كما كانت تفتش ابوابها وبطارياتها وجوانبها بدقة . اما بالنسبة للمواطنين فقد كانت تخضع حقائبهم للتفتيش

الدقيق وتطلب منهم خلع ملابسهم بالاضافة الى استجوابهم . (٢١ آب ١٩٦٩ ، ١٦ و٢٣ أيلول ١٩٦٩) .

٣٤ — **جيروساليم بوست** ، ٨ و٢٠ آب ١٩٦٧ .

٣٥ — **المرجع السابق** ، ٢٢ آب ١٩٦٧ ، ٢٤ أيلول ١٩٦٧ .

٣٦ — Jerusalem Domestic Service Broadcast (Hebrew), 20 October 1967.

٣٧ — **جيروساليم بوست** ، ١٣ أيلول ١٩٦٧ ، ١٨ تشرين الاول ١٩٦٧ .

٣٨ — Aryeh Sheshin, "Post-War Economics of the West Bank," *New Outlook*, October 1968, p. 23.

وبنحاس سابير وجولدا مائير كما ورد كلامهما في **النيويورك تايمس** بتاريخي ١١ تشرين الثاني ١٩٦٨ ، و١٩ نيسان ١٩٦٩ .

٣٩ — *The Israel Administration in Judaea, Samaria and Gaza*, pp. 44-45.

و **جيروساليم بوست** ١٤ تموز ١٩٦٨ .

٤٠ — *The Israel Administration in Judaea, Samaria and Gaza*, p. 45.

٤١ — **المرجع السابق** ، ص ٤٤ .

٤٢ — **جيروساليم بوست** ، ٢٢ تشرين الاول ١٩٦٧ ، دون بيريتز ، ص ٥٤ .

٤٣ — *The Israel Administration in Judaea, Samaria and Gaza*, p. 45.

٤٤ — **المرجع السابق** ، ص ٤١ و٤٤ و٤٧ ، **جيروساليم بوست** ٢٠ تموز ١٩٦٧ و٢٦ كانون الاول ١٩٦٧ ، دون بيريتز ، ص ٥٤ .

كتب أجنبية
حول معركة الخامس من حزيران ١٩٦٧

الدكتور صادق جلال العظم

ما ان انتهت الحرب العربية الاسرائيلية في عام ١٩٦٧ الا وكانت دور النشر وأجهزة الاعلام في الغرب قد اصدرت الكتب والمنشورات حول احداث القتال المثيرة والازمة السياسية العارمة التي سبقتها مستفيدة في ذلك من الجو العام الذي كان قد حول الانتباه كله الى منطقة الشرق الاوسط . ومع مضي العام الاول على انتهاء القتال كان عدد كبير من الكتب والدراسات قد صدر في البلدان الاوروبية وفي اسرائيل حول الحرب وملابساتها ومقدماتها ونتائجها . ولا حاجة لنا هنا الى التشديد على ان الغالبية العظمى من هذه المنشورات كانت موالية ، بصورة من الصور ، للصهيونية واسرائيل ، وان قسما لا بأس به منها لم يكن يتعدى مستوى الدعاية المحض والاثارة الرخيصة . الا ان هذا لا يجب ان يمنعنا عن الاطلاع العام على هذا الانتاج واخذ العلم ببعض محتوياته وتسجيل الاتجاهات العامة التي سلكها ، بالاضافة الى الاستفادة منه في فهم منطق الجبهة المعادية وتحليلاتها ودعاياتها وفهم الكثير من اوجه القصور في السلوك العربي قبل الحرب وبعدها . وبالامكان تصنيف معظم هذه الكتب على النحو التالي :

اولا ، الكتب التي صدر معظمها في الغرب (خاصة باللغة الانكليزية) بعد الحرب مباشرة وهي ذات طابع صحافي وسردي ودعائي سريع الا ان اهميتها تكمن في الانتشار الواسع الذي حققته والتأثير الكبير الذي مارسته على الرأي العام بسبب اللحظة المناسبة (سياسيا وتجاريا ودعائيا) التي ظهرت فيها(١).

ثانيا ، كتب مصورة من الحجم الكبير تعتمد في مادتها على مشاهد عديدة مصورة لحرب حزيران موضوعة كلها من وجهة نظر المنتصر ، صدر بعضها في الغرب والبعض الاخر في اسرائيل من اجل توجيهها الى الرأي العام الغربي وهي مرفقة بتعليقات وشروح تناسب الصور(٢). على سبيل المثال يحتوي كتاب « صاعقة اسرائيل » الذي حرره سول بيت على عدد كبير من الصور المنتقاة بعناية فائقة وذات المستوى الفني الجيد . يبدأ الكتاب بصورة لجنود اسرائيليين يرقصون احدى رقصاتهم الشعبية امام حائط المبكى وقد كتب تحتها « افرحوا يا ابنائي عند حائط سليمان » وينتهي بصورة كبيرة للاجئين العرب عند جسر اللنبي وقد كتب تحتها « ولكن ينبغي ان تكون هناك عدالة » ، في محاولة منتعلة جدا لاظهار الكتاب بمظهر « الموضوعية » وعدم التحيز . وقد تم انتقاء الصور بحيث لا تعبر ، قدر الامكان ، عن القسوة والدمار والعنف التي طبعت الحرب ، وبحيث يبدو الانتصار الاسرائيلي وعليه مسحة من الانسانية خاصة من ناحية التعبير عن الاشفاق على العرب وضحاياهم . لذلك نجد في الكتاب صورة مؤثرة بالالوان لطفلة عربية لا تتجاوز الثالثة من العمر وحيدة تماما امام انقاض بيوت تهدمت كليا اثر غارة جوية ، وهي تبكي وتحتضن ما يشبه الدمية .

---

١ — مثلا الكتب التالية :
Randolph & Winston Churchill, *The Six Day War,* Heinemann, London 1967.
Alex Benson, (ed.) *The 48 Hours War,* New York, In. Publishing Corp. 1967.
Roderick Macleish, *The Sun Stood Still,* Macdonald, London, 1967.
M. D. Japheth and P. K Rajiv, *The Arab Israel Conflict,* Pearl Publications Ltd., Bombay, India.

٢ — مثلا الكتب التالية :
Saul Pett (ed.), *Lightning Out of Israel,* The Associated Press, 1967.
Zeev Anner & Joseph Alkoni, *The War 1967,* Otpaz Ltd., Tel Aviv, 1967.
R. Bashan, *The Victory,* Quadrangle Books, Chicago, 1967.

كتاب مصور آخر ذهب نفس المذهب تقريبـــا في استعراض الحرب وآثارها هو كتاب « الحـــرب ١٩٦٧ » الذي يركز على موضوع رئيسي هو الجيش الاسرائيلي فيعطينا عرضا لردود فعل الجنـــود المنتصرين : حياتهم اليومية في الميدان ، قطع من اسلحتهم ومدرعاتهم ، بالاضافة الى صور اهم القادة الاسرائيليين في الميدان . وهذه الصور كلها ذات طابع ايجابي متفائل لا تظهر جنود العدو وهم منهمكون في عمليات التدمير والضرب والقتال بل في وضع المطمئن والفرح بعـــد الانتصار . كذلك لا يعرض الكتاب اية صور تتعلق بالدمار او حطام الاسلحة العربية أو الاسرى العرب او انسحاب جنودنا في الصحراء . وتقتصـــر الصور المتعلقة بالعـــرب على بعـــض الرؤساء والزعمـــاء العرب بعضها مأخوذ قبل المعركة وبعضها بعد الهزيمة مباشرة بغية تبيان الفارق الواضح على سحنة القادة وتقاطيع وجوههم بين وضعهم الاول والثاني. اما الكتاب المصور الذي يشذ عن هذه القاعدة فهو كتاب « النصر » الذي يركـــز على معركة سيناء وموضوع صوره الرئيسية الجيش الاسرائيلي في اوضاع متحركة قتالية وهجومية منتصرة . يضاف الى ذلك صور القادة الاسرائيليين وهم في ظروف العمل ايضا . يبدأ الكتاب بصورة جويـــة كبيرة واضحة للطائرات المصرية وهـــي تحترق علـــى الارض ، تتبعها صورة كبيرة ايضا لاحد المطارات الرئيسية في مصر بعـــد ان تصفته الطائـــرات الاسرائيلية وعلامات الدمار والخراب بادية عليه بوضوح . بعبارة اخرى يشدد هذا الكتاب على عرض مناظر الدمار التي حلت بالعتاد العربي كما يحوي على صور للاسرى العرب وحراسهم من جنود العدو ، بالاضافة الى صور لطوابير المدرعات الاسرائيلية وهي في وضع متحرك ومسرعة عبـــر الصحراء . كذلك يضم الكتاب صورا لجنود العدو في اوضاع غير قتالية مثـــل ساعات الراحة او الاستماع الى ارشادات القادة او التمتع بنشوة الانتصار بعد انتهاء معركة من المعارك او بعـــد احتلال موقع من المواقع العربية . هناك عدد من الصور المخصصة لمدينة غزة والجنود الاسرائيليين فيها . اكثر من صورة تظهر جنود العدو منهمكين في عملية رفع العلم الاسرائيلي في المواقع التي احتلوها ، وصور اخرى تظهر سكان القرى العربية في الضفة الغربية وهم يرفعون الرايات البيضاء في طريقهم الى عمان اثناء عمليات النزوح . كما يضم الكتاب صورة لقاعدة صواريخ سام بالاضافة الى صور عدد من القطعات البحرية الاسرائيلية . وفي نهاية الكتاب بعض الصور التي تهدف الى اعطاء الطابع « الانساني » لسلوك الجيش الاسرائيلي في المناطق المحتلة مثل الجنود الاسرائيليين وهـــم يساعدون اهل الضفة الغربية على قطع الجسور الى الضفة المقابلة ، وصورة لاحـــد المستشفيات حيث يقوم الاطباء والممرضات بالاعتناء بالجرحى والمرضى . مع ان الكتاب مركز على معركة سيناء لكنه يورد ايضا بعض الصور المتعلقة بالعمليات الاسرائيلية في الضفة الغربية وبالهجوم الاسرائيلي على هضبة الجولان واحتلالها .

ثالثا ، بعض الكتب ذات الطابع العسكري الفني (الصادرة في الغرب وفي اسرائيل) ان كان من حيث تحليل الاستراتيجية العامة التي اتبعت في المواجهة او من حيث سرد تفاصيل احداث الحرب وتحركات القطعات العسكرية والتكتيكات التـــي استخدمت وتسلسل الاحداث على الجبهات مع تقييمات للطرف العربي المقاتل(٣).

رابعا ، كتب ذات طابع وثائقي تهدف الى تدعيم الدعاية الصهيونية حول الحرب عن طريق تقديم وثائق من نوع معين لتصبغ هذه الدعاية بالصبغة الجدية والعلمية والموضوعيـــة وتكسبهـــا بعض الاحترام الذي يكنه الناس عادة للوثائق(٤). على سبيل المثال يضم كتاب Mission Survival كمية كبيرة من « الوثائق » غير الرسمية (٥٠٠ صفحة) ، أي غير الحكومية بالمعنى الدقيق للعبارة . تتألف هذه « الوثائق » من مقالات صحفية مهمة كانت قد نشرت اثناء الازمة ، مقتطفات من كتب لها علاقة بالصراع ، اجزاء من رسائل وصلت من الجبهة ، نصوص المؤتمرات الصحفية للقادة الاسرائيليين ، شهادات أدلى بها الجنود والصحفيون وغيرهم ممن

---

٣ — Brigadier General S.L.A. Marshall, *Swift Sword*, American Heritage, Publishing Co. Inc. 1967.
Brigadier General C. Herzog, *Israel's Finest Hour*, Maariv Book Guild, 1967.
David Dayan, Strike First, Pitman Publishing Co. N. Y. 1967.

٤ — Muriel Chesler, *A Shield About Me*, Nasionale Boekhandel Beperk, Cape Town, South Africa 1968.
Ruth Bondy, Ohad Zmora and R. Bashan (edts.) *Mission Survival*, W. H. Allen, London, 1968.

شارك في الجهد الحربي الاسرائيلي ، هذا بالاضافة الى تعليقات عديدة وملاحظات عامة حول شتى الامور المتعلقة بموضوع الحرب ومقدماتها ونتائجها المباشرة .

هناك انموذج آخر عـن هذا النوع من الكتب « الوثائقية » يأخذ الطابع الرومنطيقي والعاطفي لانه يهدف الى التأثير الانفعالي على قطاعات معينة من الناس تستجيب لهذا النوع من المؤثرات . فكتاب A Shield About Me يضم مجموعة كبيرة من الرسائل التي بعث بهـا يهود من جمهورية جنوب افريقيا العنصرية كانوا موجودين في اسرائيل قبل الحرب واثناءها الى اقاربهم في جنوب افريقيا، كذلك يضم مجموعة من الرسائل التي بعث بهـا المتطوعون اليهود الذين جاءوا من جنوب افريقيا الى اسرائيل مع تأزم الوضع قبل اندلاع القتال . والهدف من نشر هذه الرسائل هو التأثير عن طريق تسجيل انطباعات كاتبيها حول فضائل الحياة في اسرائيل وحسنات المجتمع الاسرائيلي واشادتهم بالتضامن والتعاون والاخوة التـي سادت دولة اسرائيل قبل الحرب واثناءها مع التشديد علـى تضامن يهود جنوب افريقيا خاصة والاقلية البيضاء عامة مع اسرائيل وسياساتها . الا انه لا بد من الاشارة هنا الى ان الوصف الذي تقدمه الرسائل لنشاطات الاسرائيليين العاديين وردود فعلهم في حياتهم اليومية والاعتيادية في الاعداد للحرب تبين المستوى الرفيع جدا الذي خضع له مجتمعهم في الاستعداد للحرب والتنظيم الدقيق الذي شمل كافة الطاقات البشرية استعدادا لساعة الصفر .

خامسا ، بعض الكتب ذات الطابع الرصين والمنهج التحليلي (بغض النظر عن وجهات النظر التي تحتويها) الصادرة في الغرب واسرائيل ، وتتناول الجوانب السياسية للحرب وللازمة التي سبقت نشوب القتال والاحتمالات التي باتت مطروحة بعد انتهائه(٥).

اما نوعية الاشخاص الذين اضطلعوا بمهمة تأليف هذا العدد من الكتب و« المؤهلات » التي يتمتعون بها والظروف التي وجدوا انفسهم فيها مما دفعهم الى الكتابة فيمكن تلخيصها كما يلي : الفئة الاولى من الكتاب تتألف من الصحفيين المحترفين والمراسلين العسكريين الذين جاءوا الى الشرق الاوسط اثناء الازمة التي سبقت الحرب لتغطية الاخبار وتطور الاحداث وبقوا حتى ما بعد انتهاء المعارك . وكان معظم هؤلاء على الجانب الاسرائيلي من الحدود الا ان بعضهم كان قد زار البلدان العربية المعنية قبل اندلاع المعركة . واذكر على سبيل المثال وينستون تشرشل (حفيد رجل الدولة البريطاني المشهور) مؤلف كتاب « حرب الايام الستة » (مع راندولف تشرشل) الذي ذهب الى اسرائيل بعد ان قام بزيارة الاردن ولبنان وبقي هناك اثناء الحرب لاجل تغطيـة انباء القتال لحسـاب صحيفتـين بريطانيتين . بعد ذلك أمضى ثلاثة اسابيع في اسرائيل حيث قام بزيارة ميادين القتال لملاحظتها عن كثب ، ومقابلة عدد كبير من الضباط الاسرائيليين من كافة الرتب بما في ذلك القادة الكبار ، بالاضافة الى عدد من رجال السياسة في البلد . وقد تعمدت المراجع الاسرائيلية المختصة الاهتمام بهذا الصحافي وبتزويده بكافة المعلومات التي تريد ان تنشرها فكانت النتيجة كتابا يعبر الى اقصى الحدود عن وجهة نظر المؤسسة العسكرية الاسرائيلية في كل شيء . يصف تشرشل كل الوقائع والاحداث بلغة مشحونة بالثناء على منجزات اسرائيل والمفاخرة بما حققته من مستوى قتالي وعسكري رفيع ، وهو في تحيزه المطلق والاعمى الى جانب العدو لا يحاول حتى التظاهر بالموضوعية او بنزعة نحو الانصاف . اما الصحافي الذي يحاول ان يضفي على كتابته مظهر الموضوعية فنجـد نموذجا له عند رودريك ماكليش الذي يعمـل لحساب شركة واشنطـن الاذاعية ، بالرغم عن ان محاولته تنفضح وتنهار عند اول مناسبة تضعها على محك حقيقي اي محك الوقائع التي يسردها بنفسه . عندما يواجه هذا الصحافي « الموضوعي » مثل هذا الوضع المحرج يلجـأ بسرعـة الى الغمـوض المتعمـد والـى تمييع التحليلات التي وضعها لتجنب طرح اية احتمالات او التوصل الى نتائج ليست في صالح اسرائيل . وربما كان أوضح مثل على ذلك مناقشة ماكليش لما ادعته اسرائيل حول المكالمة التليفونية المشهورة بين الرئيس عبدالناصر والملك حسين للاتفاق على اعلان اشتراك طائرات الاسطـول السادس في الحرب . وكانت السلطات الاسرائيلية

---

٥ — Aubrey Hodes, *Dialogue With Ishmael,* Funk and Wagnalls, N. Y., 1968.
W. Byford-Jones, *The Lightning War,* Robert Hale, London, 1967.
Walter Laqueur, *The Road to Jerusalem,* Macmillan, N. Y., 1968.

قد زعمت يومها انها التقطت المكالمة على شريط تسجيل واذاعته في كل انحاء الدنيا . وجد هذا الصحافي نفسه ، كما يروي ، غير مقتنع بالرواية الاسرائيلية ، لان المكالمة المزعومة نفسها تفتقر الى التسلسل المنطقي في مجراها ، كما انه لا يوجد اي تفسير معقول للدافع الذي جعل الزعيمين العربيين ان يقوما « بفبركة » قصة من هذا النوع في مكالمة تمت على موجة يعلم كل منهما انهـا مراقبة من قبل العدو . الا انه عندما يصل هذا الصحافي البارع الى عتبة الاستنتاج المنطقي لكل ما يترتب على تحليله من نتائج : اي انه من الممكن ان تكون المخابرات الاسرائيلية قد تلاعبت بالتسجيل الصوتي (على اقل تعديل) فانه يميع الموقف ويمتنع عن تثبيت الاستنتاج الطبيعي للمقدمات التي انطلق منها . وجدير بالذكر هنا ان مسألة هذه المكالمة حظيت بتمحيص دقيق من قبل كاتب آخر هو بايفورد — جونز في كتابه « الحرب الصاعقة ». يرفض هذا المؤلف القصة الشائعة جملة وتفصيلا ويؤكد ان المخابرات الاسرائيلية حاولت تمرير خدعة المكالمة عليه وعلى بقية العالم . ويدعم حجته بالقول ان الظروف سمحت له في السابق بمحادثة الملك حسين والرئيس عبدالناصر مطولا وهو يعرف صوتيهما جيدا ، ولما اسمعته المخابرات الاسرائيلية التسجيل جزم بأنه لم يتعرف ابدا على صوت الملك وظن في بعض اللحظات فقط بأن الصوت الاخر هو صوت عبدالناصر . وعلى أثر ذلك طلب من ضابط المخابرات أدلة أخرى تؤيد صحة الزعم الاسرائيلي بالنسبة للمكالمة الا ان الضابط تهرب وأخذ يردد من جديد بأنه متأكد من صحة المكالمة ، كما رفض السماح لبايفورد — جونز الاستماع الى الشريط بكامله ورفض اخباره عن المكان الذي تم فيه تسجيل المكالمة . على هذا الاساس وصل الكاتب الى استنتاج مدعم بأن المكالمة لم تكن الا خدعة ركبتها مخابرات العدو ليس الا .

ولا بد من الاشارة هنـا الى ان هذه الفئة من الصحفيين ضمت شخصين من العالم الثالث ، وهما صحفيان هنديان (جانيت وراجيف) وضعا كتابا : « النزاع العربي الاسرائيلي » يفترض فيه ان يعبر عن وجهة النظر الهندية في موضوع الصراع في الشرق الاوسط . الا ان نتيجة جهودهما جاءت بمنتهى السطحية بالرغم عن زعمهما انهما يريدان التزام الموضوعية عن طريق وصف الاحداث بتجرد وتقديم كل من وجهتي النظر العربية والاسرائيلية بصورة منصفة . غير ان النتيجة كانت تحيزا تاما وفجا من قبلهما للجانب الاسرائيلي ، اذ يفترض كتابهما في وصفـه للاحداث ومعـالجته للمشكلة المقدمات الاسرائيلية كلية بدون اية مناقشة او ادنى محاولة للتأكد من مدى صحتها . وعلى سبيل المثال يرتكز كتابهما برمته على فرضية اساسية هي ان اسرائيل بدأت حرب الايام الستة ، دفاعا عن وجودها وكيانها فحسب ، ولا يوجد اي ذكر للمطامع التوسعيـة لدى المؤسسة العسكريـة الاسرائيلية الحاكمة ، او للاستعمار العالمي ودوره في المنطقة . في الواقع الكتاب موضوع وكأنه لا يوجد ثمة شيء اسمه الامبريالية في العالم ، وكأن منطقة الشرق الاوسط في معـزل عن القـوى الاستعمارية العالمية ، وكأن الصراع العـربي الاسرائيلي ليس الا نزاعا اقليميا محضا يمكـن تسويته بمجرد الجلوس على الطاولة المستديرة لا اكثر . كما ان الكتاب لا يرى في الشعب العربي الفلسطيني الا قضية لاجئين ينبغي معاملتهم معاملة انسانية وحسنة وايجاد حل عادل لمشكلتهم في سبيل توطيد السلام العالمي ، امـا مشكلة الشعب الفلسطيني من حيث هي قضيـة شعب مضطهد مطرود من ارضه يحاول استعادة حقوقه الوطنية فلا ذكر لها في هذا الكتاب المدعي تمثيل وجهة نظر هندية . كذلك نجد ان الصحفيين مهووسان الى ابعد الحدود بفكرة السلام الذي يجب ان يتحقق كيف ما كان وكيف ما اتفق وحتى لو كان لا يختلف بشيء عن الاستسلام ويعلنان ان هدفهما هو تقديم الموقف في غرب آسيا بصورة يضطر معها القارىء من ادراك خطورة الوضع والحاجة الملحة الى الحل . ووفقا لهذا المنطق ، يصبح من الضروري، على حد زعم المؤلفين ، عدم التركيز على مسألة من من الطرفين على حق بل ينبغي التركيز على كيفية التوفيق بين عناصر ووجهات نظر متناقضة واقعة في حالة حرب . كل ذلك بغية التوصل الى نظرة مشتركة لمشاكل ظلت قائمة زهاء ربع قرن وأربكت حتى منظمة الامم المتحدة . أما « النظرة المشتركة » التي يقترحانها فتتلخص بالمواقف التالية للمؤلفين : ١) لقد حاربت الدولة اليهودية ، بدون اي ريب ، للحفاظ على بقائها ، ازاء تهديد بالابادة من جانب القدرة الموحدة للقوات العربية المتفوقة عدديا. ٢) ان حماسة الهند الزائدة لقضية العرب وادانتها الفورية لاسرائيل بالعدوان ، قد حرم الهند

من امكانية القيام بنفس الدور الفعال الذي نفذته في الهند الصينية وكوريــا وعدة اماكن مضطربة اخرى . وهنا يعترف المؤلفان ان الامر الذي دعا الهند لادانة اسرائيل هو ارتباطاتها الوثيقة بمصر وبالمثل العليــا المشتركة حــول عدم الانحيــاز والاشتراكية . ٣) يرى المؤلفان ان حرب الايام الستة قدمت درسين بارزين على النطاق العالمي :
أ. بامكان شعب صغير عن طريق البراعة والمبادرة والحسم تأمين الانتصار على قوات اكثر تعدادا الى حد بعيــد وان كانت مصممة على ابادته .
ب. ان الامور المشتركة بين الولايــات المتحدة والاتحاد السوفياتي هي اكثر مما هو ظاهر على المسرح الدولي . وواضح ان هذين الصحفيين يرددان بشكل فج ما تقوله الاوساط الغربية الموالية لاسرائيل بالنسبة للنزاع في الشرق الاوسط بدون ان يكون لديهما اي وجهة نظر مستقلة حقا نابعة من مصالح العالم الثالث ومواقفه بصورة عامة ومن مصالح الهند بصورة خاصة . على العكس من ذلك انهما يوجهان النقد واللوم للحكومة الهندية بسبب السياسة المتوازنة التي تتبعها حيال النزاع العربي الاسرائيلي .

وفيما يلي انموذج عن الاستنتاجات « العلمية » التي توصل اليها هذان الكاتبان : ليس هناك من صديق حقيقي للعرب لا يسلم بأن تحقيق معجزة السلام مرهونة باعتراف العرب بوجود اسرائيل في المقام الاول ، ومرهونة بقيام الاسرائيليين والعرب ، في المقام الثاني ، بحل مشاكلهــم ليس في ميدان المعركة ، وانما حول طاولة المفاوضات وهــم متحررون من الضغوط والمؤثرات الدولية . العرب انفسهم مسؤولون عن خلق مشكلة اللاجئين وهناك هدف مزدوج ، على حد قول الكاتبين الهنديين ، يكمن خلف الدعوة للنزوح الجماعي لعرب فلسطين: اولا ، اظهار انه ما من عربي لديه الاستعداد للبقاء في الدولة الحديثة ، وثانيا ، نقل عرب « اسرائيل » على حــد تعبيرهما ، الى مناطق مأمونة، بعيدا عن طريق الجيوش العربية الغازية، التي كان يتوقع منها ان تعبر اسرائيل باحتفال كبير بالفتح والنصر . وبما ان الحرب قد اندلعت في غرب آسيا ، ليس مرة واحدة بل في ثلاث مناسبات ، فان ذلك يفرض على جميع الفرقاء المعنيين استنباط طرق ووسائل حل مشكلة اللاجئين، التي ينبغي الا يغيب عــن بالنا ، انها النتيجة المباشرة ليس لخلق اسرائيل وانما للرد الفعلي العدائي من جانب العرب لقيامهــا . هذه هي النتيجة الاساسية التي توصلت اليها « موضوعية » هذين الصحافيين من العالم الثالث .

أما الفئة الثانية من الكتاب فتتألف مــن الخبراء العسكريين والضباط والعاملين في المخابرات (من الدول الغربية واسرائيل نفسها) الذين اهتموا ، لاسباب شتى ، بالحرب العربية — الاسرائيلية الاخيرة وكتبوا حولها . ومن اهم هؤلاء البريغادير جنرال س. ل. ا. مارشال واضع كتاب « السيف الخاطف » حيث يقدم تحليلا عسكريا فنيا محضا لاحداث الحرب وخططه واستراتيجيته . والجنرال اميركي الجنسية قاتل في الحرب العالمية الاولى واشترك في الحرب العالمية الثانية وفي الحــرب الكورية وله كتاب عن حملة سيناء عام ١٩٥٦ . ويميل هذا النوع من الكتاب الى استخدام اللغة العسكرية الفنية الدقيقة والبعيدة عن الانفعال بالرغم عــن وقوفهم بصورة واضحة الــى جانب المنتصر . الا انهم كثيرا ما يبينون عن تفاهة وجهل عندما يخرجون ، ولو بصورة سريعة ، عن النطاق العسكري الخــالص لمناقشة الجوانب الاخــرى للحرب . هذا ما حصل مع مارشال الذي وقع في مغالطات وهفوات ساذجة جدا عندما حاول تقديم خلفية تاريخية وسياسية للنزاع العربي الاسرائيلي. ومثال على ذلك قوله بأن عرب فلسطين الذين بقوا في اسرائيل قد اصبحوا جماعيــا في وضع اكثر ازدهارا من اي جماعة عربية اخرى في العالم . طبعا حتى اسرائيل نفسها لم تتجرأ على مثل هذا الزعم وهي تحاول ان تجد لنفسها شتى الاعذار والذرائع لتبرر معاملتها للاقليــة العربية داخل حدودها وتفسير اوضاعها الاجتماعية الرديئة . كذلك قوله بأن الهجمات التي حصلت على اليهود في البلدان العربية اثناء حرب ١٩٤٨ وبعدها هي سبب نزوح هؤلاء الى دولة اسرائيل الجديدة ، وقوله بأن الغالبية العظمى من اللاجئين الفلسطينيين قد نزحوا لانهم في حــال فشل الهجوم العربي سيبقون تحت رحمة اليهود ، وفي حال نجاحــه سيكونون تحت رحمة زملائهم العرب !! هناك ايضا البريجادير جنرال حاييم هرتزوغ اول حاكم عسكري للضفة الغربية بعــد الاحتلال والرئيس السابق للاستخبارات العسكرية والمعلق علــى الشؤون العسكرية في الاذاعــة الاسرائيلية اثناء الازمــة السياسية التي أوصلت الى الحرب عام ١٩٦٧ . ومن المفيد الاشارة هنا الى ان هرتزوغ ركز في

كتاباته على تقييم الوضع العسكري العام على كافة الجبهات قبل اندلاع القتال بفترة قصيرة . وهو يعطينا بذلك انموذجا عن التقدير الواقعي المتزن لتوازن القوى قبل وقوع المعركة بدون اي استهتار بالجانب العربي او المبالغة في الطاقات العسكرية الاسرائيلية . ان اول ما يفعله هرتزوغ في تقييمه لتوازن القوى قبل المعركة هو وضع نفسه في موضع القيادة العسكرية المضادة في سيناء ليتعرف على طبيعة المشكلات التي تواجهها في كافة الميادين . يبدأ نقاشه بالتقديرات العالمية التي نشرت حول القوة العربية في محاولة لتقدير فاعلية القوات المصرية التي تم حشدها في سيناء . على هذا الاساس يطرح السؤال التالي : ما هي المشاكل التي تواجه القيادة العسكرية المصرية في سيناء ؟ ويجيب بقوله ان القيادة تتحمل مسؤولية تغطية مساحة شاسعة نسبيا بواسطة آلة حربية تتألف من ٨٠٠٠٠ جندي و٨٠٠ دبابة . يقول هرتزوغ ان حدود اسرائيل مع مصر ، بما في ذلك غزة ، طولها ٢٧٠ كيلومترا ، يضاف الى ذلك طول الساحل في خليج العقبة حتى شرم الشيخ الذي يبلغ ١٥٠ كيلومترا زائد ٢٠٠ كيلومتر هي عمق سيناء حتى القنال ، مما يعني ان القيادة العربية في سيناء تتحمل مسؤولية جسيمة وخطرة جدا في محاولتها السيطـرة على هذه الرقعة الشاسعة بواسطة القوى المتوفرة لديها ، لان ذلك سيعطي الجيش الاسرائيلي قدرات واسعة على المناورة والحركة في حال نشوب القتال . اذا اضفنا الى ذلك مستوى الجيش الاسرائيلي الرفيع واستعداداته الكاملة يتضح لنا ، وفقا لما يقوله هرتزوغ ، ان القيادة العربية تواجه معضلة كبيرة ، اذ انها تعلم ان الاسلحة الحاسمة في الحروب الحديثة هي الطيران والمدرعات ، والقوات الاسرائيلية مزودة بعتاد ومدربة تدريبا هو في اقل تعديل بمستوى ما تملكه القيادة العربية ان لم يكن افضل . يقول الجنرال هرتزوغ نحن نرفض الاستخفاف بالقوة المصرية وقدراتها وفاعليتها ، ولكن امام القيادة العربية معضلات كبيرة بسبب اتساع الرقعة التي عليها تغطيتها بالقياس الى القوى العسكرية المتوفرة لها ، يضاف الى ذلك ان الجيش الذي تقوده لم يبرز في السابق في اية معارك عسكرية يتفوق فيها . انه جيش انهزم عام ١٩٤٨ وخسر معركة ١٩٥٦ . كما ان التشكيلة التي ارسلت الى الكونغو من الجيش المصري عام ١٩٦٠ لم تتمكن من القيام بأية اعمال عسكرية بارزة او انجازات خاصة تميزها كقوة مقاتلة ، يضاف الى ذلك ان الجيش المصري قاتل في اليمن منذ خمس سنوات بدون ان يحرز اية نجاحات باهرة . على اساس هذه التقديرات توصل الجنرال هرتزوغ الى استنتاج واضح : لو اتيحت له الفرصة في ان يختار بين قيادة طائرة عربية الى تل ابيب وبين ان يكون مقيما في تل ابيب نفسها سيختار الاحتمال الثاني وذلك لدوافع محض انانية هدفها السلامة الشخصية والفردية ، لان تل ابيب ستكون اكثر امانا من اية طائرة عربية متجهة نحو تل ابيب لضربها .

اما بالنسبة للحلف الدفاعي الذي عقد بين الاردن والجمهورية العربية المتحدة قبل بدء القتال بأيام معدودة فلم ينظر اليه الجنرال هرتزوغ على انه يشكل اي خطر جديد على اسرائيل ، لان ميزان القوى قبل الحلف بقي على ما هو عليه بعد الحلف. ويشدد هرتزوغ على ان الدوافع الكامنة خلف عقد الحلف ذات طبيعة سياسية معينة ولا علاقة لهـا بالقضايا العسكرية والاستراتيجية . فهو يعتبر ان الملك حسين لم يكن مدفوعا في سعيه للحصول على الحلف الدفاعي بدوافع متعلقة باسرائيل بقدر ما كان مدفوعا بعوامل مرتبطة بانقاذ عرشه من المأزق الذي وجد الملك نفسه فيه . مع ذلك يقول هرتزوغ ان النتيجة الفعلية للتحرك الاردني كانت حلفـا موجها ضد اسرائيل ولا يمكن لاسرائيل ان تنظر الى مثل هذه الخطوات بخفة مهما كانت الدوافع الكامنة خلفها . ومن ناحية اخرى ينبه هرتزوغ الى الاهمية الخاصة للحلف بقوله ان آخر مرة تم فيها عقد حلف دفاعي بين الاردن ومصر كـان عام ١٩٥٦ اثناء وزارة سليمان النابلسي ووجود علي ابو نوار على رأس الجيش الاردني . وقد لمحت اسرائيل الى ان هذا الحلف كان احد الاسباب الكامنة وراء قرارها الشروع في حملة سيناء عام ١٩٥٦ . كانت هذه اشارة واضحة قبل الحرب ومن قبل احد جنرالات العدو البارزين بأن اسرائيل تنوي القيام بحملة جديدة في الايام القليلة المقبلة .

ومن الطبيعي ان يعطي هرتزوغ اهمية لتقييم القوى الجوية في منطقتنا باعتبار ان كافة الاطراف متفقة على اهمية الطيران الحاسمة في المعركة ومقدرته في ظروف معينة على نقل الجبهـة الى المناطق المأهولة بالسكان .. يقول بهذا الصدد ان المواطن

العادي ما زال يحمل في ذهنه صورة عن حرب الطيران تعود الى الهجمات الجوية الخاطفة خلال الحرب العالمية الثانية حيث كانت مئات القاذفات الالمانية تقصف المدن البريطانية ، او حيث كانت آلاف القاذفات البريطانية والامريكية تقصف المدن الالمانية .

ويؤكد هرتزوغ استحالة تكرار ما حدث في الحرب العالميـــة الثانية على صعيـــد الصدام العـــربي الاسرائيلي ويعتقد بأنه من السخف التحدث عن احتمال تعرض اسرائيل لهجوم خاطف من هذا النوع ضمن اطار اوضاع الطيران العربي القائمة حاليا. يبرر هرتزوغ هذا الاستنتاج بقوله اولا ان القوى الجوية العربية خارج نطاق الطيران المصري لا تؤثر الا قليلا على الصورة الكلية للقدرة العربية الجوية، وتبقى المشكلة الرئيسية التي تواجهها اسرائيل هي الطيران المصري . واذا ما استطاعت اسرائيل ايجاد حل لهذه المشكلة فلن تعود للقوى الجوية الاخرى اهمية كبيرة . ثانيا لقد واجه السلاح الجوي الاسرائيلي الطيران العربي مرتين منذ دخول الميغ الى الشرق الاوسط . كانت المرة الاولى في حملة سيناء والمرة الثانية في عام ١٩٦٦ ابتداء بشهر تموز . ويركز هرتزوغ على المواجهة الثانية في استخلاص استنتاجاته لانها تحمل قدرا كبيرا من الاهمية والدلالات نظرا لتناولها مختلف انواع المعدات مما هو متوفر حاليا في المنطقة . كانت نتائج المواجهة كما يرويها هرتزوغ هي اسقاط ١١ طائرة عربية منذ بداية تحليق الطيران العربي فوق مناطق الحدود مقابل لا شيء على الجانب الاسرائيلي : ٨ طائرات سورية وطائرتـــين مصريتين وطائرة اردنية . ولم تصب اي من الطائرات الاسرائيلية بأذى . هذه النتائج ليست بحاجة الى تعليق على حد قول هرتزوغ لانهـــا تبين التفوق الاسرائيلي الجوي بكل وضوح . وعلى اساس تقديراته لعدد الطائرات العربية وانواعها يطرح هرتزوغ السؤال التالي : ما هي مقومات الدفاع الاسرائيلي في وجه هذه القوة الجوية العربية ؟ يجيب بقوله : خط الدفاع الاول هو شبكة رادار حديثة جدا ومصممة بحيث تكشف عن اية طائرة غير صديقة قبل وصولها الى حدود اسرائيل . ثانيا ، صواريخ « هوك » الامريكية الصنع والموجهة من الارض الى الجو والتي تعتبر من افضل القذائف في العالم ضـــد الطائرات المحلقة على ارتفاع منخفض . وفي هذا الصدد يشير هرتزوغ الى ان قاذفة التوبوليف لا تستطيع تأدية مهامها على ارتفاع يزيد عن ٣٠،٠٠٠ قدم في حين يصل مدى صاروخ « الهوك » الى ما يقارب ٥٠،٠٠٠ قدم . يضاف الى ذلك انه ينبغي على طائرة التوبوليف ، التي لا تزيد سرعتها القصوى عن ٥٠٠ كلم في الساعة، ان تناور لتتجنب الميراج التي لا تقل سرعتها الدنيا عن ١٥٠٠ كلم في الساعة . بالاضافة الى ذلك ، باستطاعة اسرائيل استخدام المدفعية المضادة العاملة بالرادار للرد على اي هجوم جوي . ويتم التنسيق بين كل هذه الاسلحة — الرادار والطائرات والصواريخ الموجهة والمدفعية المضادة — بواسطة نظام الكتروني بالغ التعقيد يتيح امكانية الرد في غضون ثوان معدودة. ويشدد هرتزوغ على ان الاهم من ذلك كله هو تفوق الطيار الاسرائيلي الذي يمتلك القدرة على المبادرة في الرد السريع والمعرفة التكنولوجيـــة الحديثة والمتقدمة والسيطرة التامة على سلاح بالغ الفعالية والتعقيد .

من الكتاب العسكريين ايضا دانيد دايان الذي لا يدعي على الاطلاق « الحياد الموضوعي » (او ما شابه ذلك من المزاعم) في كتاباته بل يكتب من وجهة نظر اسرائيلية محض وهدفه اطلاع القارىء على مجرى احداث المعارك باكبر قدر ممكن مـــن التفصيل وذلك بأسلوب مشحون عاطفيا ومفاخرا بالانجازات العسكرية التي تحققت للعدو مما يخدم استمرار تعبئة المشاعر « القومية » في اسرائيل ضد العرب . ودانيد دايان هو كبير المراسلين في اذاعة الجيش الاسرائيلي . يعتمد في كتابه على الشهادات التي ادلى بهـــا القادة العسكريون وضباط الميدان والجنود الاسرائيليون حول التجارب التي مروا بها في المواجهة مع القـــوات العربية المدافعة . ودخلت في هذا المجال ايضا الكاتبة يائيل دايان ، ابنة الجنرال موشيه دايان ، في كتاب عنوانه « يوميات مجندة » وهو عبارة عن الملاحظات التي دونتها في سيناء ابتداء بالاسبوع الاول قبل الهجوم وانتهاء بوقف اطلاق النار على هضبة الجولان . تنزع الكاتبة نزعة رومانسية شبه تصصية في تسجيل انطباعاتها ، واعتقد ان لهذا الاسلوب اهمية لانه يتعمد ان ينزع عن الحرب كل ما يمت بصلة الـــى الحرب والصراع والتوسع والمآسي . تتم عملية النزع هذه بالتركيز على أتفه التفاصيل في حياة الجنود والضباط من ناحية ،

والغزل الرومانسي بالارض التـي يتم التحضير لاحتلالها من ناحية ثانية ، وكأن الارض المعنية مجرد رمال وفراغ واتساع وسماء صافية مليئة بالنجوم يقع الانسان بحبها ليس الا . من هذه الناحية يعكس الكتاب سياسة اسرائيل الغامضة عن عمد حول طبيعة حرب ١٩٦٧ . من جهة تصور المؤلفة الهجوم الاسرائيلي على انه حرب دفاعية محض كان هدفها المحافظة على دولة اسرائيل من الدمار. ومن جهة اخرى تستند صورتها من الحرب على « بدهية » بسيطة هي ان معظم الاراضي العربية المحتلة مجددا هي جزء من الدولة اليهودية اصلا ومن الطبيعي جدا ادخالها ضمن سيادة اسرائيل . بطبيعة الحال لا تعبر يائيل دايان عن هذا الموقف الاخير صراحة ولكنها تفترض صحته وسلامته من اول كتابها الى آخره ، كما تتعمد سلوك مسلك « تجاهل العارف » فيما يتعلق بالتعارض الكامن بين الموقفين : اي موقف الحرب الدفاعية المحض مقابل الحرب التوسعية . ومعروف ان هذا الموقف الغامض عمدا هو من صلب السياسة الاسرائيلية الحالية .

يسجل الكتاب بعض انطباعات للمؤلفة تجدر بنـا الاشارة اليها لانها تؤكد ، عـن طريق الامثلة المحسوسة والبسيطة ، بعض الحقائق الرئيسية والاستنتاجات المهمة حول جوانب اصبحت معروفة من الصراع العربي الاسرائيلي عامة وحول حرب حزيران ١٩٦٧ بالتحديد .

بعد هزيمة حزيران بدأت قيادة الجيش في مصر عملية اعادة بناء قواتها المسلحة علـى اسس جديدة ، فقامت بفصل اعداد كبيرة مـن ضباط الجيش بسبب مسؤوليتهم الجسيمة عن الهزيمة العسكرية وبسبب الاوضاع الفاسدة التي كانت سائدة في اوساطهم وفي ممارستهم للحياة العسكرية عامة . في الواقع هناك شبه اجماع لدى كافة المصادر التي اهتمت بالهزيمة العربية الاخيرة (بما فيها المصادر العربية نفسها) بأن أسوأ ما بلي به جيش مصر هو طبقة الضباط التي كان يفترض ان تقوده الى النصر ، ان افضل ما في جيش العدو هو ضباطه وقياداته . من هنا تأتي اهمية بعض الملاحظات التي تسجلها مؤلفة الكتاب حول ما بدا من تصرفات الضبـاط على الجانب العسكـري العربي .

قبل الهجوم الاسرائيلي ببضعة ايام وقعت دورية مصرية مؤلفة من ثلاثة ضباط وجنديين اسيرة في يد العدو ، صعـق الضابط الاسرائيلي الذي كـان مسؤولا عن اسرها لما بدا وكأنه جهل كامل من قبل الضباط العرب الثلاثة بطبيعة الخطوط العسكرية القائمة على طرفي خط المواجهة ، حتى ان الضباط العرب دخلوا بسيارة « الجيب » مباشرة وسط التحصينات والخنادق الاسرائيلية . وكان اول ما لاحظه العدو واهتم به هو الفارق الكبير بين الضباط انفسهم والجنود المرافقين لهم . كانت مظاهـر الاناقة والترتيب والملابس الفاخرة نسبيا بادية الى أقصى الحدود على الضباط ، بينما كانت المظاهر المعاكسة تماما واضحة على محيا الجنود العاديين وعلى مظهرهم العام . وكان استنتاج الضابط العدو ، الذي قاتل في سيناء عام ١٩٥٦ ، ان الجيش المصري على ما يبدو ما زال حيث كان عام ١٩٥٦ ، مما أعاد شيئا من الطمأنينة الى قلبه وقلب جنوده كما تروي يائيل دايان . وتؤكد المؤلفة ايضا انه عند تفتيش اماكن اقامة الضباط المصريين في مواقع انسحب منها الجيش كان العدو يعثر على اشياء غريبة مثل البزات العسكرية الرسمية المكوية والمعلقة في خزائن تخص الضبـاط في الميدان ، قمصان السبور المصنوعة من الداكرون ، بيجامات النوم والملابس الداخلية النظيفة . هذا بالاضافة الى دزينات من كلسات النايلون السوداء المصنوعة في المانيا الشرقية واقلام الكحل لتزيين العين من صنع شركة ريفلون والعطور وغيرها من أدوات التجميل (من المرجح انها بضائع مهربة من غزة). من الامور التي لفتت انتباه العدو كذلك قلة عدد الضباط العرب بين الاسرى وندرة العربات التابعة للقيادات العسكرية العربية التي قابلهـا ضباط العدو .

بالنسبة للجيش الاسرائيلي نفسه يتضح من عدد من الملاحظات التي توردها المؤلفة انه في الواقع يتعذر على الجندي الاسرائيلي تحمل التعبئة العامة لفترة طويلة بسبب تكوين جيشه وطبيعة تدريبه وتقاليده العسكرية ونوعية المعارك التي خاضها في السابق . اي ان التعبئة العسكرية الشاملة تعني حتما الانتقال الى الهجوم بحكم قوة الاستمرار الكامنة في الآلة العسكرية الاسرائيلية والا دب فيها التفسخ بسرعة . تقول المؤلفة انه بعد بضعة ايام من توزيع القوات الاسرائيلية الرئيسية على جبهة سيناء بدأت الشكوك تساور الجنود ، اثناء فترة

الانتظار التي سبقت الهجوم الاسرائيلي ، باعتبار انهم اعتادوا على العمل العسكري الخاطف والسريع ، وهم غير قادرين على تحمل اعباء نوع آخر من العمل العسكري . اخذ الجنود يدركون انه لو طالت فترة الانتظار والتعبئة لما كان بامكان الجيش الاسرائيلي « البقاء على قيد الحياة » ولما بقيت المعنويات عالية لاكثر من اسبوع ، هذا اذا لم نذكر اثر التعبئة العامة على وضع اسرائيل الاقتصادي . لذلك تشدد المؤلفة على ان اصعب الايام التي امضاها الجنود الاسرائيليون واقساها كانت ايام التردد والانتظار قبل بدء القتال ، حتى ان يائيل دايان نفسها تقول ان ساعات الانتظار والتوتر جعلتها تريد بدء القتال لا لشيء الا لانه المخرج الوحيد من وضع نفسي لم يعد يحتمل بالنسبة للجندي الاسرائيلي . وبطبيعة الحال كان الارتياح كبيرا في الجبهة عندما تم تعيين موشيه دايان وزيرا للدفاع قبل الهجوم الاسرائيلي ببضعة ايام . وتعبر الكاتبة عن ذلك بقولها ان جميع العناصر في الجبهة شعرت ان الجيش قد استعاد روحه التي عرف بها (اي الروح الهجومية الصاعقة) والتي بدت انها كانت قد انكمشت بعض الشيء .

من هذه الفئة من الكتاب ايضا أوري باز الاسرائيلي وبايفورد — جونز البريطاني وكلاهما مرتبط بمخابرات بلاده . أمضى باز ست سنوات في احدى الوحدات العسكرية « الحساسة جدا » حيث استفاد الجيش الاسرائيلي من خبراته الواسعة باللغات ومن ضمنها العربية ، ومن كونه « خبيرا » في شؤون الدعاية وقضايا الشرق الاوسط . و« خبرات » المؤلف هذه بادية بشكل مفضوح لاي قارىء عنده حد ادنى من الالمام بالاساليب الدعائية ، اذ يصل التطرف في استعمال الاسلوب الدعائي ، في بعض الاحيان ، الى درجة لا يتمالك معها القارىء من الضحك . كيف بدأت الحرب الاسرائيلية / العربية الثالثة وفقا للمؤلف ؟ في الساعات الاولى من يوم ٥ حزيران ١٩٦٧ ظهرت على شاشات الرادار الاسرائيلية الاشارات الاولى على تحرك القوات المصرية والطيران المصري باتجاه الارض الاسرائيلية !! وعليه صدرت الاوامر الى الجيش الاسرائيلي بالبدء في تنفيذ خططه الحربية . وما هي سوى لحظات حتى انطلقت اعداد كافية من الطائرات الاسرائيلية الى الجو . ولكن لسبب ما لم تقترب الطائرات المصرية من الحدود الاسرائيلية . غير ان البريجادير جنرال موردخاي هود لم يشأ المغامرة ، وفقا لرواية الكتب المضحكة ، فانتظر حتى عادت الطائرات المصرية الى مطاراتها للتزود بالوقود فأصدر في الساعة الثامنة الاوامر التي جعلت منه بطلا في التاريخ الحربي الحديث ! وفي هذه الاثناء كانت القوات الاسرائيلية تشتبك مع القوات المصرية في قتال مرير منذ ساعات الصباح الاولى حين خرجت القوات الاسرائيلية لرد هجوم قامت به قوات مصرية متحركة في اتجاه اسرائيل ، ولا يذكر الكاتب اية تفاصيل عن هذا الاشتباك المزعوم .

وفي أحيان اخرى يجد القارىء نفسه امام اشياء سمعها من بعض اجهزة الدعاية العربية عن الاسرائيليين ، وقبل ذلك قيلت عن الالمان ولكنها تقال هنا عن الجندي العربي . يذكر الكاتب مثلا دهشة بعض الجنود الاسرائيليين عندما احتلوا المواقع السورية فوجدوا الجنود السوريين مقيدين الى التحصينات التي اقاموها . اما الاسباب المباشرة التي أدت الى الحرب كما يرويها الكاتب فهي الاتية : أرادت اسرائيل ان تقوم باستعراض عسكري في القدس يوم ١٥ ايار ١٩٦٧ بمناسبة عيد استقلالها ، فاحتجت الاردن وباقي الدول العربية وتبعتها الدول الكبرى بمقاطعة الاحتفالات مع انه لم يكن هناك اي مبرر لكل هذه الضجة حسب زعمه . لم تكن اسرائيل تنوي سوى القيام بعرض رمزي لقواتها ، لا دبابات ولا مدفعية ولا طائرات في الجو . وقبل موعد الاستعراض بيومين ، صدف ان اشار رئيس الوزراء ليفي اشكول اثناء مقابلة له مع راديو اسرائيل الى الوضع المتدهور على الحدود السورية الاسرائيلية وحمل سوريا مسؤولية اعمال « التخريب » العربية داخل حدود اسرائيل ، وانذر سوريا بأن عليها ان تتحمل عاقبة هذه الاعمال . كذلك كان قد فعل رابين ومسؤولون آخرون قبل ذلك بأيام . يستمر الكاتب في حكايته هذه حيث يقول : يظهر ان هذه التصريحات افزعت العرب فأخذوا يعدون العدة لمواجهة مثل هذا الاحتمال فسافر رئيس اركان الجيش المصري الى دمشق ثم ذهب الملك حسين الى مصر (الدفاع المشترك ٣٠ أيار ١٩٦٧) . ويعبر الكاتب عن تعجبه الشديد من تصرفات الرئيس عبدالناصر في تلك الفترة . حيث يقول انه لم يستطع احد ان يفهم لماذا اتخذ الرئيس عبدالناصر تلك الخطوات (تحريك الجيش المصري وطلب سحب القوات

الدولية من غزة ثم اقفال مضائق تيران) في هذه المناسبة بالذات .

هذه امثلة عن مدى السطحية والاسفاف والتشويه الذي يمكن ان يصل اليه بعض « الخبراء » في معالجتهم لموضوع الحرب . ويزداد الامر رداءة عندما يحاول الكاتب تدعيم زعمه عن طريق سرد الاحداث اليومية منذ ١٥ ايار حتى يوم ٣ حزيران ١٩٦٧ كما وردت في الصحف . والغاية من هذا السرد اظهار العرب بمظهر البادىء بالعدوان ، ولكن القارىء لا يسعه الا ان يلاحظ ان المختارات التي يقدمها من الصحف لا تحمل المعاني التي يريد لها الكاتب ان تحمل . على سبيل المثال يتضح من هذه المقتطفات ان الرئيس عبدالناصر لم يكن ينوي الهجوم على اسرائيل الا اذا كانت هي البادئة بالعدوان ، وان اسرائيل مصممة على عدم الرضوخ للضغط العربي او تحمل اية مضايقات وانها تنوي اللجوء الى القوة لوضع حد نهائي للضغط العربي المتزايد .

اما بالنسبة لبايفورد — جونز فمن الواضح من كتابه انه مرتبط بالاستخبارات البريطانية وانه عمل في منطقة الشرق الاوسط لحسابها من قبل وهو على صلات وثيقة بالمخابرات الاسرائيلية .. وانطلاقا من هذا الموقف يبدي عداء شديدا لسياسة كل من امريكا والاتحاد السوفياتي وفرنسا في الشرق الاوسط ويشكو بمرارة من الوضع المتردي الذي وصل اليه النفوذ البريطاني في المنطقة ، كما يوجه النقد لحكومة بلاده بسبب عدم نجاحها في ادخال بريطانيا في أزمة الشرق الاوسط بصورة فعالة مما جعل ما يسمى بسياسة شرقي قناة السويس ، على حد قوله ، بغير اي معنى اذ ان الوجود البريطاني في عدن وقبرص والخليج وحتى في البحرين لم يستطع ان يمنع العرب من قطع البترول (بعد الحرب مباشرة) . ويتساءل المؤلف عن جدوى النفقات التي تهدر على الحاميات البريطانية شرقي قناة السويس . وبسبب ولائه البريطاني هذا وعدائه لسياسات الدول الاخرى في المنطقة تمكن بايفورد — جونز من معالجة موضوع المعارك الحربية ومسألة من هو البادىء بالعدوان بصورة موضوعية وجادة على العموم ، ولكن من ناحية اخرى نجده يعالج قضية اللاجئين الفلسطينيين بروح معادية تماما وعلى اساس الافتراء والتجني ليس الا . في الواقع يصل هذا الكاتب الى حدود العداء والحقد الشخصيين نحو اللاجئين باعتبارهم جسدوا اكثر القوى معاداة للدولة التي يخدم مصالحها .

اما الفئة الثالثة من الكتاب فانها تتألف من الاختصاصيين الاكاديميين وشبه الاكاديميين في سياسة الشرق الاوسط والعلاقات الدولية عامة من امثال ولتر لاكور واضع كتاب « الطريق الى القدس » والكاتب الاسرائيلي اوبري هودز في كتابه « حوار مع اسماعيل » . ولاكور مؤلف معروف في الاوساط الغربية المطلعة بدراساته المتعددة عن قضايا الشرق الاوسط السياسية وعلاقات الدول الكبرى بها وخاصة علاقات الاتحاد السوفياتي والكتلة الشيوعية عامة بالدول العربية. وهدف لاكور من وضع كتابه « الطريق الى القدس » ليس الدخول في تفاصيل المعارك بين الجيش الاسرائيلي والجيوش العربية وانما دراسة العوامل العديدة التي تضافرت وادت الى اندلاع الحرب في ٥ حزيران ١٩٦٧ بعد التصعيد السريع الذي طرأ على التحركات العربية السياسية والدبلوماسية في مواجهة التحركات الاسرائيلية المقابلة والمتصاعدة دورها . اي ان الكتاب يركز على الاحداث والتحركات التي تشكل الخلفية المباشرة للهجوم الاسرائيلي الصاعق في اول يوم من ايام الحرب . ولا داعي هنا للاسترسال في الاشارة الى ان الكتاب موضوع من وجهة نظر المصالح الغربية الاستعمارية في المنطقة وموجه الى القارىء الغربي الواعي لهذه المصالح وليس فيه الكثير مما قد يغضب اسرائيل والدعاية الصهيونية . مع ذلك فان هذا لا يعني ان الكتاب عديم الفائدة بالنسبة لنا اذ انه يحتوي على معلومات وتحليلات ووجهات نظر من الافضل ان نكون مطلعين عليها ومستفيدين منها حيث يمكن الاستفادة ، خاصة انه حتى الان لم تصدر اية مراجعة عربية دقيقة وجادة لجملة الاحداث والتحركات التي سبقت اعلان الحرب في ١٩٦٧ ، علما بأن مثل هذه الوقفة العربية امام الموضوع اصبحت مطلوبة بالحاح في الوقت الحاضر . يبدأ لاكور كتابه بعرض تاريخي موجز للنزاع العربي الاسرائيلي ثم يتناول بتفصيل اكبر التطورات التي مرت بالشرق الاوسط خلال السنة التي سبقت نشوب الحرب . الا ان الكتاب يتركز في معظمه على احداث الاسابيع الثلاثة الواقعة بين ١٥ ايار و٥ حزيران ١٩٦٧ . ويعتبر لاكور هذه الفترة اكثر اهمية من الحرب نفسها بالنسبة للاختصاصيين

في العلوم السياسية . يتناول الكتاب كذلك انعكاسات النزاع العربي الاسرائيلي في مختلف انحاء العالم وأثره في الرأي العام وفي سياسات الدول الكبرى . ويعترف المؤلف منذ البداية – ليعطي كتابه طابعا موضوعيا – بوجود قضية عربية تماما كوجود قضية يهودية مماثلة ويؤكد على ان العالم العربي يمر في مخاض ازمة كبرى اذ ان احداث ١٩٦٧ كشفت عن امراض اعمق بكثير من مجرد « النكسة العسكرية » في نسيج المجتمع العربي وحياته . ولكن المثال الذي يضربه عن هذه الامراض سطحي جدا ويتعلق بالدعاية العربية ومستواها المتدني ويستشهد على ذلك بقول لسيسيل حوراني جاء فيه ان العرب وضعوا ميداني الدعاية والتعبير في ايدي ديماغوجيين محترفين وايدي مهووسين من اشباه المثقفين مما أدى بالعالم العربي ليس الى الكارثة فقط بل الى حافة التفكك . ولا لزوم للتعليق على هذا النوع من التفكير السطحي الذي يرد الكارثة والتفكك الى السياسات العربية الاعلامية الرديئة فحسب. اما اوبري هودز فهو من الحمائم في اسرائيل اي من الذين يأخذون موقفا ليبراليا في الظاهر من الصراع العربي الاسرائيلي الحالي ومشكلة الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة وذلك بدعوته للتنازل عن بعض متطلبات الامن الاسرائيلي بالمعنى الضيق والعسكري للعبارة (اي كما يفهمه الجنرالات) لصالح تسوية سلمية شاملة مع الدول العربية مع ترضية الشعب الفلسطيني بصورة ما ، لان مثل هذا الوضع سيفتح امام اسرائيل مجالات اقتصادية واسعة في العالم العربي . اي ان الكتاب يمثل اتجاها خطيرا جدا لانه يعبر عن موقف عقلاني مستعد للتضحية ببعض المطالب الآنية الاسرائيلية في سبيل مكاسب اقتصادية وسياسية مهمة جدا على المدى البعيد ستجنيها اسرائيل في المستقبل . ويغلف الكاتب مشاريعه هذه بالدعوة للتعاون الاقتصادي والاجتماعي بين اسرائيل والعالم العربي بغية تنمية موارد المنطقة وحل معضلاتها وهذا يعني على الصعيد العملي سيطرة الاقتصاد الاسرائيلي على المنطقة .

بالرغم عن تنوع وتعدد الموضوعات التي عالجتها الكتب الاجنبية التي نحن بصددها حول حرب ١٩٦٧ بامكاننا حصر عدد معين من القضايا الرئيسية التي تشكل قاسما مشتركا بين كافة هذه الكتب تقريبا ، وسيكون من المفيد الاطلاع على وجهات النظر الرئيسية التي تم تقديمها حول كل قضية منها . تتالف القضية الاولى من المناقشات التي جرت حول السبب المباشر الذي ادى الى الحرب ، وتراوحت الاراء المعروضة بهذا الخصوص بين نظرية « الاكذوبة السوفياتية » من جهة واعتبار « التطرف السوري » هو سبب الحرب من جهة اخرى مرورا بالقاء اللوم على العمل الفدائي ممثلا بفتح وعملياتها ضد اسرائيل . ومن الواضح ان هذه الآراء ، بغض النظر عن جزئيتها وتبسيطيتها ، لا تتعارض بالضرورة مع بعضها بل تتكامل في كثير من الاحيان مع ان كل كاتب من الكتاب الذين نحن بصددهم يشدد على واحد منها ويعتبره اساسا اكثر من غيره في تفسيره للسبب الكامن خلف الحرب . وعلى سبيل المثال يعتبر مؤلفا كتاب « حرب الايام الستة » (ونستون وراندولف تشرشل) ان الاحداث التي ادت في النهاية الى اندلاع الحرب ترجع الى «اكذوبة» روسية تفصيلها هو ان الحكومة السوفياتية نبهت المراجع المختصة في القاهرة ، في اوائل شهر ايار ١٩٦٧ ، الى وجود تحشدات عسكرية اسرائيلية كبيرة على الحدود السورية . ثم يضيف المؤلفان انه في خلال الاسبوعين التاليين وصلت الى القاهرة اخبار اضافية مفصلة تشير الى ان قوة اسرائيلية تقدر بـ ١١ لواء كانت تحتشد على حدود سوريا .

ويعترف الكتاب انه في اليوم العاشر من شهر ايار ١٩٦٧ لمح الجنرال اسحق رابين الى ان قواته قد تهاجم سوريا وتسقط نظام الحكم فيها ، كما يورد تصريح ليفي اشكول (رئيس الوزراء وقتئذ) في تل ابيب يوم ١٤ ايار الذي قال فيه انه نظرا للحوادث المتكررة التي بلغ عددها اربع عشرة حادثة في مدة شهر واحد فقط قد نضطر الى اتخاذ اجراءات جذرية لا تقل في صراحتها عن تلك التي اتخذناها في ٧ نيسان الماضي .

بالرغم عن اعتراف الكتاب بكل هذه المعلومات وايراده لها بصراحة فاننا نجد ان المؤلفين يؤكدان من ناحيتهما انه لم يكن يوجد على الحدود السورية الا ما يقارب من ١٢٠ جنديا اسرائيليا كما يرفضان بصورة محض تعسفية صدق الاخبار الواردة حول الحشود الاسرائيلية على الحدود السورية لمجرد ان نقطة من نقاط المراقبة التابعة لهيئة الامم المتحدة افادت انها لم تلحظ اية تحشدات او تحركات عسكرية في الفترة الاخيرة في تلك المنطقة .

بطبيعة الحال لا يناقش الكتاب مغزى تصريحات رابين واشكول التي اثبت نصوصها لانه يريد ان يترك انطباعا عند القارىء بأن التهديدين المذكورين لم يكونا جادين ، علما بأن الاسرائيليين لا يطلقون التهديدات جزافا كما علمت التجارب كل من لهم علاقة بالقضية الفلسطينية ، ولا شك ان مثل هذه التهديدات لا تنطلق على لسان رئيس الاركان ورئيس الوزراء الاسرائيليين بدون حد ادنى من الاستعداد العسكري (الحشود على حدود سوريا) لتحويلها الى فعل وتنفيذ فيما لو دعت الحاجة الى ذلك ، والا بدا لاسرائيل انها ستكون في موقف حرج لو ظهر ان تهديداتها ستبقى كلاما لا اكثر .

وعند كلام بايفورد — جونز عن تعقيدات الوضع الدبلوماسي عشية اندلاع الحرب يقدم وجهة نظر مشابهة عن دور الاتحاد السوفياتي مع ادخال سوريا والعمل الفدائي في الصورة ، اذ يعتبر ان اللوم يقع على السوفيات لانهم لم يحاولوا ردع سوريا عن مد العون الى منظمة فتح . في الواقع يدعي المؤلف ان الاتحاد السوفياتي قد شجع سوريا في سياستها هذه عن طريق منع مجلس الامن من اتخاذ اي قرار حاسم بشأن الشكاوى الاسرائيلية حول العمل الفدائي ، كما يتبنى نظرية غلوب باشا القائلة بأن الاتحاد السوفياتي هو الذي ورط الرئيس عبدالناصر في النزاع السوري الاسرائيلي ، اي ينظر المؤلف الى ما يزعم بأنها خطوات السوفيات في الشرق الاوسط على انها جزء من سياسة الاتحاد السوفياتي الدولية التي تبغي تثبيت وجوده في المنطقة وخاصة في البحر الابيض المتوسط الذي ظل لمدة طويلة « بحيرة امريكية » . وتقول هذه النظرية ان السوفيات انتهزوا فرصة ضعف بريطانيا وانشغال امريكا في فيتنام فقاموا بعرض صداقاتهم على الدول العربية وبتشجيعها على طرد المستعمر كي يملأوا الفراغ الناتج في المنطقة . ومع ان شحنات الاسلحة السوفياتية كانت ترضي عبدالناصر الا ان المؤلف يقول ان كوسيغين في زيارته لمصر في أيار ١٩٦٦ نصح الرئيس المصري بأن يحصر نشاطه في اذكاء الثورات في المنطقة بدون التعرض لاسرائيل وان يهتم مع سوريا في تنمية اقتصاديات بلديهما بدون التورط في محاولة لتحقيق مكاسب للفلسطينيين من خلال عرض عضلات جيشه في سيناء . ولكن من ناحية اخرى ارسل السوفيات في ايار ١٩٦٧ الى كل من سوريا وعبدالناصر (بواسطة عضو في وفد من الاتحاد الاشتراكي كان يزور موسكو) نسخا من تقرير للاستخبارات السوفياتية مفاده ان الاسرائيليين يبيتون عدوانا على سوريا بمساعدة وكالة الاستخبارات الامريكية . فاتصل الرئيس المصري مستوضحا لان استخباراته لم تحصل على مثل هذه المعلومات . ويقول الكاتب ان السفير السوفياتي لدى اسرائيل دعي لزيارة شمال البلاد للتأكد بنفسه من عدم وجود حشود اسرائيلية على الحدود السورية الا ان السفير رفض الدعوة وبقيت الادعاءات الروسية بلا اثبات .

نلاحظ هنا ان النظرية القائلة بأن التورط العربي في حرب حزيران ١٩٦٧ قد جاء نتيجة لخديعة سوفياتية لاقت انتشارا واسعا نوعا ما في الاوساط الغربية ولدى عدد من المعلقين على الحرب وأحداثها ومقدماتها . ان الدافع الكامن وراء نشر مثل هذه الافكار هو المرارة التي يشعر بها اصحاب النظرية بسبب انحسار السيطرة الاستعمارية التقليدية في المنطقة ودخول الاتحاد السوفياتي كصديق للعرب منذ صعود حركة التحرر العربي في الخمسينات . وأقل ما يقال في هذه النظرية هي انها مغرقة في التبسيط والسذاجة اذ تعتبر سياسات الدول العربية ناتجة عن مجرد ردود فعل لتحركات الدول الكبرى أو حتى همساتها وتحذيراتها بدون ان يتمتع العرب بأي حرية في الحركة او استقلال في اتخاذ القرارات المصيرية ، كما تهمل تماما الالتزام العربي الاصيل بقضية فلسطين وحقوق الشعب الفلسطيني وضرورة احقاقها عن طريق القوة والحرب اذا دعت الحاجة لذلك. وقد كان هذا الالتزام من صلب حركة التحرر العربي ، بالرغم من كل نواقصها واوجه قصورها، التي عقدت الصداقة مع الاتحاد السوفياتي في معركتها ضد الاستعمار في المنطقة . لكن بالرغم عن كل ذلك يعترف المؤلف بوجود « بعض » التحركات العسكرية لوحدات « صغيرة » ارسلت لتعزز الحاميات في الشمال بسبب التهديدات السورية وهجمات الفدائيين .

ومن ناحية اخرى يقدم والتر لاكور عرضا اقل نجاجة لدور الاتحاد السوفياتي في قضية اندلاع الحرب الا ان هذا لا يمنعه من التخبط في التحليل بسبب فساد المنطلق الاساسي الذي يبدأ منه — كغيره من الكتاب الغربيين الرجعيين — وهو البحث عن المفتاح المطلوب لفهم احداث الحرب

وخلفيتها من خلال عامل واحد هو الاتحاد السوفياتي وعلاقته بمنطقة الشرق الاوسط ومكانتهـا في استراتيجيته العالمية ليخلص بشكل من الاشكال الى القاء التبعة واللوم على الدولة الكبرى صديقة العرب . يقول الكاتب ان الموقف السوفياتي من الولايات المتحدة (والغرب اجمالا ، باستثناء ديغول) كان آخذا بالتصلب مما اثار التساؤلات حول امكانية خلق « جبهة ثانية » في مكان ما من العالم للتعويض عن عدم قدرة السوفيات على تحقيق نجاح اكبر في فيتنام ، ولمواجهة الضغط المتنامي على موسكو لاستعادة زمام المبادرة على الصعيد الدولي ، باعتبار ان هذه هي الطريقة الاكثر ملاءمة للضغط على اميركا ودفعها لانهاء الحرب في فيتنام . وللتدليل على نظريته يذكر المؤلف انه في نهاية شهر آذار ١٩٦٧ قام غروميكو بزيارة غير متوقعة الى القاهرة ، ويرجح المؤلف ان مواضيع سياسية هامة طرحت على بساط البحث . ويشير الى ان بريجينيف دعا في الوقت نفسه الى انسحاب الاسطول السادس من المتوسط وذلك في المؤتمر الذي عقدته الاحزاب الشيوعية الاوروبية في شهر نيسان من نفس العام . ويستنتج لاكور بأن طرح قضية الاسطول السادس مجددا ربما كان يشير الى انشغال السوفيات بالمنطقة وخاصة بعد الاهتمام الذي اظهروه بالانقلاب اليميني في اليونان ، ويرجح ان السوفيات كانوا يحسبون انهم سيجنون مكاسب كثيرة من قيام ازمة في المنطقة او انهم لن يخسروا الكثير من حرب يخوضها العرب بالوكالة عنهم على حد تعبيره . ويؤكد لاكور هذه النقطة بقوله ان القرار السوفياتي بارسال الاسلحة الى مصر والدول العربية الاخرى في اواخر الخمسينات لم تترتب عليه اية مخاطر كبيرة بالنسبة لهذه الدولة الكبرى لانه اذا خسرت مصر حربها فانها ستصبح مرتبطة بالاتحاد السوفياتي لاعادة بناء قواتها المسلحة واذا ربحت الحرب ستتحسن سمعة الاتحاد السوفياتي في العالم العربي بشكل ملحوظ . ولكن يعود المؤلف ليستدرك من جديد بقوله ان هذا لا يعني ان الاتحاد السوفياتي كان يريد حربا في الشرق الاوسط . ويضيف قائلا انه اذا كان التخلص من الاسطول السادس في المتوسط هو احد الاهداف الرئيسية للاتحاد السوفياتي فان نشوب حرب بين مصر واسرائيل لا يشكل الطريقة الفضلى لتحقيق هذا الهدف ، لان حربا كهذه سوف تورط الاتحاد السوفياتي عاجلا او آجلا ، ولو بصورة غير مباشرة ، في مواجهة لا يريدها . الا انه يعود الى الاستدراك مرة اخرى ليقول ان الدول كالافراد لا تتصرف دوما بصورة عقلانية تماما ، وحتى عندما تفعل ذلك يبقى هناك دوما مجال واسع لسوء التقدير . لذلك لا يستبعد ان يكون الاتحاد السوفياتي قد أراد بالفعل امتحانا محدودا للقوى في المنطقة بحيث يفيد منه حلفاؤه ويتضاءل بنتيجته خطر الحرب الى اقصى حد . الواقع هو ان لاكور يتأرجح في تقديراته وتخميناته حول نوايا الاتحاد السوفياتي وليس لديه ما يقوله مما هو ثابت بالدليل والحجة . ويذكر المؤلف هنا ان الاتحاد السوفياتي لم يكن مرتاحا لتزايد الحماسة الثورية من جانب سوريا ضد اسرائيل وخاصة على الصعيد الاعلامي. ويطرح لاكور نظرية تقول ان السوفيات وجدوا ان افضل طريقة لكبح الاندفاع السوري تكمن في ايجاد تقارب بين مصر وسوريا مما جعل كوسيغين نفسه يقوم باقناع الرئيس عبدالناصر ، اثناء زيارته الى القاهرة في ايار ١٩٦٦ ، بعقد معاهدة دفاع مشترك (تضمنها موسكو) لتأمين مصالح جميع الفرقاء . على هذا الاساس تم توقيع اتفاقية الدفاع بين مصر وسوريا في تشرين الثاني ١٩٦٦ . ويعتقد لاكور ان عبدالناصر اعتبر هذا التحرك بمثابة استراتيجية ماهرة ستمكنه من اعادة تثبيت سلطته في العالم العربي ، الا ان الخطوة كانت خطأ قاتلا بالنسبة لمصر على حد تقدير المؤلف . اذ بدلا من ان تلجم الاتفاقية السوريين اعطتهم مزيدا من الثقة بالنفس فأصبحوا اكثر اندفاعا في خطبهم واعمالهم بعد ان شعروا بالامان لمعرفتهم انهم مهما استفزوا اسرائيل فانهم سيجدون في القوة المصرية ضمانة فعالة الى جانبهم ضد الردود الانتقامية .

اما بالنسبة لدور العمل الفدائي في تفجير الازمة التي ادت الى الحرب ، وفقا لهذه الكتب ، فان مجمل الرأي هو ان فتح — والى حد اقل المنظمات الفدائية الاخرى — بتشديدها على ان حرب العصابات ضد اسرائيل ليست سوى المرحلة الاولى من النضال الذي يهدف الى استفزاز اسرائيل كي تقوم بردود فعل عنيفة ضد الدول العربية مما يجعل تدخل الجيوش النظامية وحتى الحرب الشاملة أمرا محتما . اي ان الرأي الذي تروج له هذه الكتب هو ان فتح كانت تخطط ليس لتحرير فلسطين عن طريق حرب شعبية حقيقية وانما عن طريق توريط الدول العربية في حرب ضد

اسرائيل يتم فيها تحرير فلسطين لحساب العمل الفدائي على يد الجيوش العربية . على هذا الاساس يرى اصحاب هذا الاتجاه ان خطط الفدائيين لم تكن موجهة ضد الملك حسين فقط بل ضد الرئيس عبدالناصر ايضا بسبب اعلانه ان الجيوش العربية لم تكن مستعدة بعد للمعركة وانها لن تكون مستعدة لوقت طويل . بعبارة اخرى سبب الحرب وفقا لهذا التأويل هو نفاذ صبر المنظمات الفلسطينية وقصر نفسها ليس الا .

اما القضية الثانية التي عنيت بها الكتب الاجنبية هذه فهي مسألة طلب مصر سحب القوات الدولية من سيناء وملابساتها والجدل الذي ثار حولها بالاضافة الى النقد الذي تم توجيهه الى يو ثانت بسبب السلوك الذي سلكه يومئذ . كان طلب الجمهورية العربية ذا طبيعة محددة ومدروسة اذ دعا الى سحب قوات هيئة الامم من مواقع معينة مرشحة لان تكون مسرحا لمعارك عسكرية ، حرصا على سلامة القوة الدولية . لذلك كان الطلب العربي ينص على سحب القوة الدولية من الحدود وتجميعها في قطاع غزة لضمان سلامتها علما بأن الطلب لم يذكر شيئا بالنسبة للقوة الدولية في شرم الشيخ . غير ان رد فعل يو ثانت كان رفض هذا النوع من الانسحاب الجزئي للقوة الدولية مما وضع القيادة العربية في القاهرة امام اختيار حاسم : اما طلب سحبها نهائيا وكليا او ابقاؤها على وضعها السابق . وفي الجو المحموم الذي سبق المعركة لم يكن امام القيادة العربية من خيار في الموضوع الا الاصرار على سحب القوة نهائيا ، اي ان ما بدا يومها تساهلا من يو ثانت واحتراما من قبله للسيادة المصرية كان في الحقيقة مناورة بارعة لاحراج السياسة المصرية ودفعها الى المأزق الذي وقعت فيه .

اي يتضح من مراجعة مجرى الاحداث قبل نشوب القتال ان القيادة السياسية في القاهرة لم تكن تنوي بالفعل اقتحام اسرائيل عسكريا، بالرغم عن بعض التصريحات العربية الديماغوجية حول الموضوع ، بل كانت تريد مجرد اعادة سيطرتها التامة وسيادتها الكاملة على مناطق من ارضها الوطنية التي كانت قد اضطرت الى المساومة حولها نتيجة للعدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ . غير ان موقف يو ثانت المتصلب حول سحب القوة الدولية نهائيا او ابقاؤها حيث هي دفع الاحراج المصري الى أقصاه وساعد بكل تأكيد على دفع الاحداث نحو الصدام المباشر بازالته لاحد العوائق امام تنفيذ اسرائيل لخطتها الحربية المعدة لضرب مصر والجيوش العربية الاخرى بالاضافة الى التوسع الاقليمي .

وبهذا الصدد يعترف الكتاب ان موقف مصر المعلن رسميا وصراحة في عام ١٩٥٦ ينص على انه ينبغي سحب القوة الدولية من على الارض المصرية حالما تطلب الحكومة المصرية ذلك من هيئة الامم المتحدة. لكن اكثر من كتاب يذكر ، بالاضافة ، أن هامرشولد وضع مذكرة سرية في ٥ آب (اغسطس) ١٩٥٧ قال فيها بأن اتفاقا تم بينه وبين الرئيس جمال عبدالناصر حول الظروف التي يجوز فيها سحب قوة الطوارىء الدولية من مصر . ويبدو ان طبيعة هذا الاتفاق بقيت غامضة نوعا ما ، اذ انه ينص على ألا تسحب القوة الدولية الا بعد ان تكون قد أتمت مهمتها ... وفي حال طلب مصر سحبها فان الموضوع يحال مباشرة الى الجمعية العامة لهيئة الامم لتقرر فيما اذا كانت مهمة القوة قد تمت فعلا أم لا . وحين جوبه يو ثانت ببنود هذه المذكرة ولفت نظره الى عدم تقيده بها ، اجاب بما معناه ان مذكرة هامرشولد ليست من الوثائق الرسمية لهيئة الامم . اي ان يو ثانت بتجاهله لهذا الاتفاق السري وعدم احالته المسألة مباشرة الى هيئة الامم سهل الى حد ما عمل اسرائيل في تنفيذ خطتها الهجومية على الدول العربية . وكان من نتائج هذا السلوك من قبل يو ثانت اظهار العرب بمظهر القوى المصرة على البدء بالهجوم العسكري في حين ان مصر لم تكن تهدف ، في تلك المرحلة ، الى اكثر من استعادة سيادتها الوطنية الكاملة على جزء من اراضيها كما أعلن ذلك يو ثانت نفسه في ٢٧ مايو ١٩٦٧ حين قال في تقريره الى مجلس الامن بعد عودته من القاهرة ان الرئيس عبدالناصر والدكتور رياض اكدا له بأنهما لن يكونا البادئين بأي عمل هجومي ضد اسرائيل ، وان هدف مصر بصورة عامة هو العودة الى الاوضاع كما كانت قبل عام ١٩٥٦ والى تطبيق نصوص اتفاقيات الهدنة بحذافيرها من قبل الطرفين . ومع ان الكتب التي نحن بصددها تثبت نص هذا التصريح بوضوح فانها لا تهتم بمغزاه الموضوعي لان ذلك سيضطرها للابتعاد ولو قليلا عن تحيزها للجانب الاسرائيلي . وقد تعرض يو ثانت الى الكثير من النقد الحاد في الغرب بسبب اصداره الاوامر الى القوات الدولية

بالانسحاب واعتبر تصرفه غير مسؤول اذ كان باستطاعته ان يماطل قليلا قبل اعطاء جوابه او ان يحيل الموضوع برمته الى مجلس الامن . الا ان الواقع ، من ناحية اخرى ، هو انه حتى لو فعل يو ثانت ذلك ما كان الاجراء ليؤثر كثيرا على مجرى الاحداث اللاحقة وتصاعدها لانه كان باستطاعة الجيوش الاسرائيلية المهاجمة تخطي القوات الدولية بكل بساطة ، كما انه كان بامكان مصر اغلاق مضائق تيران بدون احتلال مركز المراقبة في شرم الشيخ . ومع ان البعض يعتقد انه لو أجل يو ثانت البت في الموضوع لاعطى الدول الكبرى المزيد من الوقت لحل الازمة بالطرق الدبلوماسية ، الا ان الحقيقة هي ان عنصر الوقت كان متوفرا للدول الكبرى التي ظلت في جو المفاوضات لمدة ثلاثة اسابيع بعد ان اتخذ يو ثانت قراره وبالرغم عن ذلك بقيت المحادثات الدولية والزيارات الدبلوماسية عديمة الفائدة ولم تؤد الى نتيجة ، ولا يوجد اي دليل يشير الى ان بضعة ايام اضافية كانت ستعطي اية نتائج مختلفة . لذلك يستنتج بعض الكتاب انه بالرغم من ان يو ثانت لم يتصرف بروية الا انه لا يمكن اعتباره المسؤول الاساسي عما حدث في الخامس من حزيران ١٩٦٧ .

اما القضية الرئيسية الثالثة التي تناولتها هذه الكتب فتتركز على وصف الاستعدادات العسكرية وشبه العسكرية لاسرائيل ومن ثم مجرى المعارك الحربية بعد ضربة الطيران الاولى صباح الخامس من حزيران ١٩٦٧ . ومن المفيد هنا تتبع عمليات التمويه والمخادعة في التكتيك التي استخدمتها اسرائيل ببراعة وذكاء على الصعيدين السياسي والعسكري لتنفيذ استراتيجيتها العامة والوصول الى اهدافها .

بعد اغلاق مضائق تيران ، عملت اسرائيل على التأكد نهائيا من رضى الولايات المتحدة الاميركية على مشاريعها ومخططاتها العدوانية ضد العرب ، وتشيرمعظم الكتب الى ذلك مداورة بقولها ان اسرائيل اصبحت متأكدة من شيئين تأكدا تاما وواضحا : اولا ان رئيس الولايات المتحدة لن يغضب عليها كما حدث مع ايزنهاور في عام ١٩٥٦ ، وان الاتحاد السوفياتي لا يمكن ان يتدخل عسكريا وبصورة مباشرة في الحرب . عندئذ اتخذت القيادة الاسرائيلية قرارها النهائي بتنفيذ خطتها الهجومية. في الواقع يتبين من التعليقات الاسرائيلية التي تورِدها الكتب بكثرة ان اسرائيل اعلنت الحرب عمليا على العرب يوم الاثنين ٢٣ ايار (مايو) ، حين اعلن اشكول في الكنيست (بعد اغلاق مضائق تيران في وجه السفن الاسرائيلية) ان اسرائيل ستعتبر اي تدخل في عمليات النقل البحري الاسرائيلي في المضائق عملا حربيا .

وبعد ذلك مباشرة بدأت عمليات التمويه والمخادعة، اعدادا للهجوم في صباح الخامس من حزيران ١٩٦٧ . على سبيل المثال ظهر دايان في يوم ٣ حزيران ، لاول مرة بعد دخوله الوزارة ، في مؤتمر صحفي ليعلن بأن الوقت قد فات للقيام بأي رد فعل مباشر من قبل اسرائيل ضد الحصار الذي فرضته مصر على مضائق تيران . واضاف دايان ان الحكومة الاسرائيلية قد بدأت خطواتها على الطريق الدبلوماسي لتسوية الازمة ، قبل ان اصبح وزيرا للدفاع فيها ، وعلينا ان نترك لها الفرصة لتتابع مسيرتها . وكان هدف هذا التصريح ، كما يقول اكثر من كتاب ، تحويل الانظار عن حقيقة العمل العسكري الذي كانت اسرائيل تعد لتنفيذه خلال ٢٤ ساعة . وفي اليوم التالي ، اي ٤ حزيران ، تسلمت مكاتب الصحف في كافة انحاء العالم صورا فوتوغرافية للجنود الاسرائيليين في طريقهم للتمتع باجازاتهم على شواطىء البحر . ولتنفيذ عملية التمويه هذه ، تم بالفعل ارسال بضعة آلاف من الجنود في اجازات عطلة نهاية الاسبوع لخلق انطباع عام في العالم (وخاصة عند القيادات العربية) ان اسرائيل قد خففت من تعبئتها العسكرية وانها خفضت من حمى الحرب مما يعني انها لا تنوي القيام بأي عمل عسكري سريع ومباشر . واستمرت الخدعة الذكية على ارفع المستويات اذ اجتمعت الوزارة الاسرائيلية في ذلك اليوم واصدرت بيانات وتصريحات تبين ان مجلس الوزراء ناقش أمورا عادية وروتينية لا اكثر . ويبين عدد من الكتب ان هذه الخطة التمويهية الاسرائيلية قد حققت غاياتها تماما بالنسبة للجانب العربي اذ شوهد عدد من القادة العسكريين المصريين مجددا في ملاعب التنس في القاهرة ، ولم يكن هناك ما يشير الى انه كانت لديهم اية فكرة عن الضربة التي كانت تنتظرهم في اليوم التالي . يضاف الى كل ذلك ان دايان كان قد أدلى بتصريح تمويهي آخر الى احد مراسلي الصحف الانكليزية ، حول دور السيطرة الجوية في حسم المعركة ، قال فيه

ان الامور نادرا ما تكون سوداء كليا او بيضاء كليا ، انها دوما بين بين ، لذلك من غير المرجح التأكد من اي من الطرفين المتقاتلين سيتمكن من تحقيق سيطرة جوية كاملة . كان دايان يطفح ، في هذين اليومين ، بالتعقل والاتزان والاعتدال ، الى ان جاء صباح ٥ حزيران حيث اتضح الوضع على حقيقته . مثال آخر يذكره احد الكتب من التمويه التكتيكي الاسرائيلي الذكي (مما يجدر بالعرب الاطلاع عليه) يكمن في نجاح الاسرائيليين باقناع القوات المصرية بنقل ٢٠ طائرة من طائرات الخطوط الامامية (١٢ طائرة من طـراز ميغ ٢١ ، و٨ طائرات من طراز ميغ ١٩) من المنطقة المحيطة بالقاهرة وبقناة السويس ، حيث تتركز القواعد الجوية المصرية الرئيسية ، الى منطقة اخرى في الجنوب حيث اصبحت هـذه الطائرات العشرين خارج المعركة عمليا . وقد نجح الاسرائيليون في تحقيق خطتهم هذه عن طريق ارسال اسراب قوية من طائرات الاستطلاع باتجاه الجنوب فوق خليج العقبة ، الامر الذي اقنع المصريين بأن الاسرائيليين يخططون لهجوم يتم بالتفافة الـى اليسار اي بالدوران حول الطرف الجنوبي لشبه جزيرة سيناء عوضا عن الهجوم بواسطة التفافة الى اليمين فوق البحر الابيض المتوسط كما حدث فعلا . ووجود الطائرات المذكورة في المنطقة الجنوبية جعلهـا بعيدة من المنطقة الرئيسية للتحرك الاسرائيلي . وبعد الهجوم الاسرائيلي الجوي الناجح اتجهت هذه الطائرات العشرون الى الشمال نحو القواعد المحيطة بقناة السويس لتجد المطارات مدمرة الامر الذي مكن الطيران الاسرائيلي من القضاء عليها وكان بالامكان انقاذها لو انها توجهت نحو الجنوب الى قواعد الاقصر ، او سواها مـن القواعد الموجودة في مصر العليا حيث كان بالامكان توفير بعض الحماية لها .

بالرغم عن ان القوات البرية العدوة والطيران الاسرائيلي كانا قد لجأ الى اسلوب الخداع لتضليل القوى العربية الا ان استخدام هذا الاسلوب من قبل العدو كان اكثر اهمية بالنسبة للبحرية ، وذلك بالنظر الى تفوق البحرية المصرية تفوقا كبيرا من حيث الحجم على اقل تعديل . لذلك كان الهم الاسرائيلي الاول على هذه الجبهة اضعاف القوة البحرية المصرية الموجودة في المتوسط الى ابعد حد ممكن لانها قادرة على ضرب تل ابيب والمناطق الساحلية المزدحمة بالسكان ضربا شديدا . لذلك عمل الاسرائيليون على مخادعة القوة المصرية لتحرك بعض قطاعاتها الموجودة في المتوسط باتجاه البحر الاحمر . وقد تم لهم ذلك بارسال اربعة قوارب انزال بالطريق البرية وعبر صحراء النقب الى ايلات . وقد تعمدوا ابراز هذه القوارب وهي تصل الى ايلات في وضح النهار. ولكن اعاد الاسرائيليون القوارب نفسها الى الصحراء في نفس الليلة وتحت ستار الظلام ، ثم نقلوها مرة اخرى الى ايلات في وضح النهار . كرر الاسرائيليون هذه المناورة عدة مرات ، ثم ارسلـوا قوارب الـ MTB الثلاثة الوحيدة التي كانت موجودة في ايلات في دوريات باتجاه البحر الاحمر ، مما جعل القيادة المصرية تظن بأن الاسرائيليين كانوا يعدون لهجوم يستهدف شرم الشيخ ، كما حدث في عام ١٩٥٦ . (لم يكن مدى القوارب الاسرائيلية يسمح لها بالذهاب الى ايلات والعودة منها الا اذا كانت الريح تهب باتجاه الشمال على طريق الذهاب وباتجاه الجنوب اثناء العودة .)

وعند وقوع الهجوم الاسرائيلي كانت ٣٠ ٪ من القوة البحرية المصرية محجوزة في البحر الاحمر حيث لم تكن لتشكل اي خطـر حقيقي بالنسبة لاسرائيل . (عبرت مدمرتان مصريتان قناة السويس الى البحر الاحمر في ٣ حزيران ، اي قبل يومين من نشوب الحرب) .

وكما سبق لطيران العدو وبحريته ان نفذا بنجاح مثل هذه الخدع الحربية ، كذلك تمكنت القوات البرية المعادية من تنفيذ عمليات مماثلة بنجاح . فلو قام الطيران المصري بعمليات استطلاعية في الايام التي سبقت الحرب مباشرة لكانت الصور الجوية قد اظهرت وجود قوة اسرائيلية مكونة من لواءين او ثلاثة ألوية متمركزة في نقطة الحدود الاسرائيلية — المصرية المقابلة لـ «كونتيلا». بينما الواقع هو انه لم يكن هنالك سوى لواء واحد معزز بدبابات خشبية كانت قد وضعت تحت شباك تمويهية بحيث تبدو القوة وكأنها اقوى بكثير مما هي بالفعل . ويبين الكتاب انه كان لدى الاسرائيليين خطـة تمويهية اجمالية تهدف الى اقناع القوات المصرية بأنهم كانوا ينوون الاندفاع جنوبا عبر الساحل باتجاه شرم الشيخ ، تماما كما كانوا قد فعلوا في عام ١٩٥٦ . ويبدو ان خطتهم هذه كانت ناجحة . واستأثرت ضربة الطيران الاولـى التي حطمت

الاسطول الجوي المصري على الارض باهتمام كل من كتب عن حرب ١٩٦٧. وبامكاننا هنا الاشارة الى التفاصيل التالية بالنسبة لهذه العملية الاسرائيلية الخاطفة. لقد تم توقيت اقلاع طائرات العدو على فترات متلاحقة محددة بدقة، بحيث تصل جميعها الى اهدافها في نفس الوقت، مما يضمن اكبر قدر ممكن من المفاجأة. وبالفعل فقد وصلت جميع الطائرات العدوة الى اهدافها ونفذت مهماتها وفقا لما كان مقررا بالتحديد. اما الاسباب الكامنة وراء اختيار اسرائيل الساعة ٧،٤٥ (بتوقيت اسرائيل) موعدا للهجوم صباح ٥ حزيران فهي: ١) في تلك الساعة تكون حالة الاستنفار في القوات العربية قد تجاوزت حدها الاقصى. اذ افترض العدو ان القيادة العربية، منذ بدء الحشد العسكري في سيناء، قد وضعت عدة اسراب من طائرات الميغ ٢١ في حالة استعداد بحيث تكون جاهزة للاقلاع فجر كل يوم في فترة لا تزيد عن ٥ دقائق، هذا بالاضافة الى دوريات الطيران العربية باعتبار ان ساعات الفجر هي اكثر الاوقات ملاءمة لهجوم يقوم به العدو. وعملت القيادة الاسرائيلية على اساس ان حالة الاستعداد القصوى المذكورة سوف تنحصر بعض الشيء اذا لم يحدث اي هجوم في الساعتين او الثلاث التي تلي الفجر وعندئذ تكون القوات العربية قد خففت من درجة يقظتها في الساعة ٧،٣٠ (أي الساعة ٨،٣٠ بتوقيت القاهرة) واقفلت بعضا من راداراتها. ٢) بصورة عامة، ان افضل الاوقات لمثل هذه الهجمات الجوية هو وقت الفجر. غير ان الاسرائيليين اخذوا بعين الاعتبار انه كان على طياريهم أنيكونوا جاهزين قبل موعد التحليق بثلاثساعات مما يعني انه كان عليهم النهوض من النوم عند منتصف الليل، او ألا يناموا مطلقا في تلك الليلة. وهذا يعني انه مع حلول مساء اول ايام الحرب فان الطيارين سيكونون قد حرموا من النوم لمدة ٣٦ ساعة. بالاضافة الى ايام عمل اخرى كانت بانتظارهم بعد الهجوم الاول. اي كان توقيت الضربة الاولى فيالساعة ٧،٤٥ يتيح للطيارين فرصة النوم حتى حوالي الساعة الرابعة صباحا. ٣) معروف انالضباب يفصل الربيعيتجمع في الصباح الباكر فوق معظم النيل، اي في منطقة الدلتا وقناة السويس. كما انه معروف ان الضباب يكون قد تبدد حوالي الساعة ٧،٣٠ بحيث يكون الجو في افضل احواله عند الساعة ٨،٠٠. كما تكون الرؤية ممتازة بسبب زاوية الشمس، ويكون الهواء ساكنا تماما وهذه أمور مهمة جدا بالنسبة لاصابة المدرجات بدقة. ٤) لقد اختارت اسرائيل الساعة ٧،٤٥ (او ٨،٤٥ بتوقيت القاهرة) بدلا من الساعة ٨ او ٨،١٥ مثلا لاسباب تعود الى ان المسؤولين المصريين يصلون الى مكاتبهم في الساعة ٩،٠٠، مما يعني انه اذا تمت الضربة المفاجئة قبل ذلك الوقت بربع ساعة سيكون هؤلاء، بما في ذلك القيادات الجوية، في طريقهم الى مكاتبهم، كما سيكون الطيارون وعناصر سلاح الطيران في طريقهم الى اعمال التدريب او سواها من النشاطات، مما يوفر للعدو افضل الظروف لتحقيق اهدافه من الضربة الاولى.

وكما اصبح معروفا كانت الاهداف الرئيسية للضربة الاسرائيلية الاولى جعل المطارات المصرية غير صالحة للاستعمال وتدمير اكبر عدد من طائرات ميغ ٢١ باعتبارها الوحيدة التي بامكانها ان تعترض بفعالية سلاح الطيران الاسرائيلي، بالاضافة الى تدمير القاذفات المصرية ذات المدى الطويل التي كانتتشكل خطرا كبيرا على السكان المدنيين في اسرائيل.

وفيما كانت الموجة الاولى من الطائرات الاسرائيلية تضرب اهدافها كانت الموجة الثانية قد اصبحت في طريقها الى اهدافها. كذلك كانت الموجة الثالثة قد ارتفعت لتوها في الجو. وكان الفاصل الزمني بين الموجة والموجة التي تليها مدة ١٠ دقائق. وكان باستطاعة كل تشكيلة من اربع طائرات ان تبقى لمدة ٧ دقائق فوق اهدافها، الامر الذي يمكنها من القيام بثلاث او اربع تحليقات فوق الهدف، تخصص احدها للضرب بالقنابل فيما تخصص التحليقات الاخرى للرش. كذلك اعطي الطيارون ٣ دقائق اضافية تحسبا لاي خطأ ملاحي او للقيام بتحليق اضافي فوق الهدف. كان الاسرائيليون يعملون بدقة فائقة. وفيما يلي بيان بالتوقيت المطلوب لضرب القواعد الجوية الاساسية المحيطة بقناة السويس كما يقدمه كتاب «حرب الايام الستة»: الوقت الضروري للوصول الى الهدف: ٢٢١/٢ دقيقة تقريبا. الوقت المحدد للتحليق فوق الهدف: ٧١/٢ دقيقة تقريبا. الوقت اللازم للعودة الى القاعدة: ٢٠ دقيقة تقريبا يضاف الى ذلك ٧١/٢ دقيقة على الارض فيكون المجموع: ٥٧١/٢ دقيقة تقريبا.

وذلك يعني ان الطائرات الاسرائيلية كان بامكانها

الانطلاق لمهاجمة اهدافها للمرة الثانية بعد مرور ساعة واحدة على هجومها الاول وهذا ما حدث فعلا. علما بأنه لم يبق في اسرائيل سوى ١٢ طائرة اثناء الهجمة الاولى كان عليها تأمين حماية الاجواء والمطارات . وقد شكلت ثمان من هذه الطائرات مظلة جوية فيما كانت الاربع الاخرى تنتظر دورها على المدرجات .

من المعلومات التي يؤكدها الكتاب ان التدمير شبه الكلي للطيران العربي وهو على الارض لم يكن عائدا الى عامل المفاجأة وحده بل الى مفعول قنبلة جديدة كان الاسرائيليون قد اخترعوها وطوروها لهدف محدد هو تدمير مدرجات المطارات بأكبر درجة ممكنة من الفعالية . عند سقوط هذه القنبلة من الطائرة يتكيف سلوكها وفقا لصواريخ صغيرة مثبتة عليها مما يجعلها تندفع بقوة تجعلها تخترق ارض المدرج الصلبة ومن ثم تنفجر في وقت لاحق . ان اصلاح المدارج في الحالات العادية يعتبر عملا سهلا نسبيا . غير ان اصلاحها يغدو صعبا ما دامت القنابل الموقوتة مستمرة بالانفجار .

لا شك ان القيادة العربية في القاهرة كانت تعلم جيدا ان الاسرائيليين لم يكونوا يملكون قوة جوية كبيرة نسبيا اذ لا تزيد قوتهم عن ٣٠٠ طائرة ، من بينها ٥٠ — ٦٠ طائرة تدريب من طراز فوغما ماجستر زودها الاسرائيليون بالصواريخ لهدف محدد هو ضرب الدبابات . غير ان القيادة العربية فوجئت بالطائرات الاسرائيلية تهاجم نحو ١٩ قاعدة جوية مصرية لمدة ساعتين و ٥٠ دقيقة دونما انقطاع وهذا ما يفسر قول الرئيس عبد الناصر في خطاب الاستقالة في ٩ حزيران بان الضربة الاسرائيلية كانت اقوى مما توقعنا ، كما كانت ايضا اقوى مما تسمح به امكانيات العدو اذ انه هاجم بقدرة جوية توازي ثلاثة اضعاف قوته العددية . والتفسير الذي تم تقديمه لتحليل الرئيس عبد الناصر يتلخص في ان سلاح الطيران العربي قد وضع خططه على اساس ان تصل طائراته الى اهدافها مرة كل ٣ ساعات، ذلك بمقابل ساعة واحدة لا اكثر كان يستغرقها الطيار الاسرائيلي ليعود الى ضرب اهدافه من جديد مما جعل الطيران الاسرائيلي يبدو وكأنه على ثلاثة اضعاف قوته العددية . ويبدو ان هذه التقديرات تستند الى الوثائق العربية العسكرية التي استولى عليها العدو في قاعدة العريش ، التي بينت ايضا انه بينما كانت الخطط العربية مبنية على اساس ان باستطاعة الطائرة ان تقوم بطلعتين في اليوم ، فقد سجل العديد من الطيارين الاسرائيليين ثماني طلعات او اكثر في اول ايام الحرب .

وهناك شبه اجماع بين الذين اهتموا بهذه الناحية من الحرب على ان الاسباب التالية كانت وراء النجاح الاسرائيلي السريع : ١) التخطيط المركز منذ البداية بانتظار ساعة الصفر المناسبة للهجوم على القوى العربية . لقد اوجز الجنرال هود هذا الامر بقوله لقد تجسدت ستة عشر عاما من التخطيط في الدقائق الثمانين الاولى . « لقد عشنا حياتنا مع الخطة ، ونمنا مع الخطة ، وأكلنا مع الخطة. كنا نحسنها باستمرار » . ٢) المخابرات التي تمكنت من رصد التحركات العربية كلها وكشف مواقع القواعد العربية الجوية وتفاصيل اعدادها مثل كيفية انتشار طائراتنا فيها ، ومعرفة اماكن وجود الرادار ومواقع القذائف الخ . ٣) التحكم في العمليات — لعبت القدرة الاسرائيلية على استيعاب المعلومات الجديدة وادخالها ضمن الخطة القائمة ، دورا هاما في التفوق الاسرائيلي . كما كان للسرعة التي تمكن بها الاسرائيليون من ابلاغ الطيارين ، وهم في الجو ، المعلومات الضرورية والاهداف الجديدة دورا حاسما في نجاح العملية . ٤) كان نجاح الطيارين (الذين يبلغ معدل اعمارهم ٢٣ سنة) في تنفيذ الحلقة الاساسية التالية في سلسلة النجاحات الاسرائيلية . وقد عكس هذا النجاح سنوات من التدريب على الطيران والملاحة الجوية والدقة في التصويب والضرب . وقد دأب الاسرائيليون على التدرب على هذا النمط من الهجوم لسنوات عديدة . القوا آلاف القنابل في النقب الجنوبي اثناء غاراتهم التدريبية على اهداف وهمية . وكانوا يقومون بغارة شاملة على هذه الاهداف مرة كل عام على اقل تقدير مما جعل كافة الطيارين بدون استثناء ينجحون في الوصول الى اهدافهم المحددة في الوقت المناسب عند بدء العدوان .

بطبيعة الحال لم يقتصر المستوى العالي للتدريب على الجو فحسب ، بل كان له اهمية موازية على الارض ايضا اذ ان تجهيز طائرة مقاتلة حديثة في مدة ٧ — ١٠ دقائق مع تقديم الصيانة اللازمة لسلاح طيران قام بأكثر من ٥٠٠ طلعة في اليوم هما أمران يتطلبان مهارة فائقة ومستوى رفيعا جدا من

التنسيق . وقد ذكر الجنرال هود : « في الساعة ٧٤٤٥ من صباح الاثنين كانت الخدمات المقدمة لطائراتنا كاملة بنسبة ٩٩ ٪ ، وقد حافظنا على مستوى الصيانة هذا طوال اسبوع الحرب . ولم نعجز في اي وقت عن صيانة اي من طائراتنا ، اذا استثنينا الخسائر . ولم نصل ابدا الى وضع يزيد فيه عدد الطيارين على عدد الطائرات » .
بالنسبة للمعارك الارضية ان اهم ما يلفت انتباهنا هو ان الكتاب العسكريين (وخاصة الاسرائيلي دافيد دايان في كتابه « اضرب اولا ») قد قدموا في الحقيقة صورة واقعية عن الجنود العرب بمعنى انهم لم ينساقوا مع الدعاية الصهيونية التي ملأت العالم يومها عن الجندي العربي الذي فر بسرعة امام الهجوم الاسرائيلي ، بل يتكلمون عن القتال العنيف والشرس الذي قاتلته القوات العربية دفاعا عن مواقعها في وجه الجيش الاسرائيلي الذي كان يريد اقتحامها وتدميرها . اي ان الكتاب المعادين للقضية العربية وحتى الاسرائيليين منهم قد وضعوا بانفسهم حدا للاسطورة التي شاعت عالميا ونشرتها اسرائيل والاجهزة الصهيونية في كل مكان بانه ما ان شن الجيش الاسرائيلي هجومه على الجبهات العربية حتى ترك الجنود العرب مواقعهم وفروا عائدين الى قراهم واهلهم وما كان على جنود العدو الا الاحتلال والتطهير. يبين اكثر من كتاب ، بوضوح لا لبس فيه ، ان الجيش الاسرائيلي واجه مقاومة عنيفة على كافة الجبهات وفي كل موقع هام احتله. وان الجنود العرب دافعوا بكل شراسة عن تحصيناتهم ومواقعهم . غير ان الهجوم الاسرائيلي كان دوما يتغلب في النهاية على المقاومة العسكرية العربية بسبب فقدان القيادة العسكرية الجدية على الجانب العربي وجبن طبقة الضباط ، لذلك كان الانسحاب يأخذ ، في معظم الاحيان ، الطابع الفوضوي والكيفي مما ساعد العدو على نشر حكاياته حول فرار الجنود العرب . بعبارة اخرى يتضح من اقوال القوى المعادية نفسها ان الجيش الاسرائيلي لم يدخل موقعا مهما ، ولم يحتل نقطة استراتيجية ذات قيمة الا بعد مقاومة عربية قوية وضارية (باستثناء اليوم الاخير من الحرب) .

لكن المقاومة العربية كانت دوما قصيرة النفس ، غير قادرة على الاستمرار الى المدى الكبير الذي كانت تسمح به طاقاتها المادية المتوفرة بكثرة .

وللتمثيل مما قلناه حول القتال الدفاعي العربي الشرس اقدم التلخيص التالي لمعركة رفح كما وصفها دافيد دايان . يقول انه بينما كان المظليون الاسرائيليون يقاتلون عند تحصينات رفح الجنوبية تمكنت الدبابات الآتية من خان يونس من اختراق المواقع المصرية بهجوم مباشر ، ثم جاء المظليون من الخلف ليهاجموا التحصينات المصرية التي كانتعلى شكل سلسلة من الخنادق المحصنة . شن المظليون هجومهم على الخنادق بصورة مباشرة حيث جرى القتال وجها لوجه ويدا بيد . « وكانت النار التي وجهها المصريون ضدنا مخيفة ، لقد فتحوا النار من كافة اسلحتهم ، البنادق والرشاشات والبازوكا ومدافع الدبابات الخ ... واضطر المظليون للقتال من خندق الى خندق » .

وهناك اجماع تام على البسالة التي ابدتها القوات الفلسطينية في القتال وفي الاستماتة في الدفاع من مواقعها كما حدث في معركة خان يونس . يقول دافيد دايان في وصفه لهذه المعركة انه عندما اقتحمت الدبابات الاسرائيلية التحصينات عاد الفلسطينيون رأسا الى الخنادق بعد مرور الدبابات وزرعوا الالغام من جديد على الطرقات وعلى جوانب التحصينات ، كل ذلك قبل مجيء طابور المشاة في عرباته نصف المجنزرة لاحتلال المنطقة التي اخترقت الدبابات دفاعاتها ومرت عبرها . كان المشاة الاسرائيليون يتوقعون المرور في خان يونس بدون متاعب لان الدبابات كانت قد سبقتهم ، غير انهم واجهوا وابلا من الرصاص والنار انطلق من خلف كل ما هو قائم في المدينة . يضيف الكاتب قائلا : « لقد قاوم الفلسطينيون بعناد ، وبالرغم عن النواقص العسكرية التي كانوا يعانون منها في صفوفهم ، كان سلوكهم خلال المعركة نموذجيا » . ووصف الكولونيل يهودا ذلك بقوله : « ينبغي علينا الا نستهين بهم (اي الفلسطينيين) قبل المعركة او بعدها . لقد قاتلت الوحدات الفلسطينية بصورة تفرض الاحترام . كل موقع دفاعي اخترقناه كانت تعاد تعبئته وتزرع الالغام حوله ويتم الدفاع عنه بصورة افضل من السابق . حدث هذا الشيء في المدن وفي كل مكان واجهنا فيه المقاتلين الفلسطينيين . لم يلقوا باسلحتهم ابدا ، ولم يتوقفوا عن القتال الى ان ابيدوا بالمعنى الحرفي للعبارة » . ويستمر الكاتب في وصف معركة خان يونس بقوله ان الدبابات الاسرائيلية انضمت الى وحدات المشاة في القتال العنيف الذي كان يدور

في ضواحي البلدة . واجــه المشاة الاسرائيليون معركة دفاعية شرسة تخللها القتال وجها لوجه ويدا بيد ضد المقاومة العربية في الخنادق والتحصينات ولم يخرج حيا ممن دخلوا هذه المعركة سوى ثمانية ضباط تابعين لقوات هيئة الامم المتحدة . كما ان احتلال خان يونس نفسها كان عملية صعبة للغاية ونقا لما يرويه الكاتب ، اذ ان التحصينات المصرية كانت في مناطق مرتفعة (عند الشيخ محمد ومقبرة البلدة) واخذت تصب نيرانها وحممها على المشاة الاسرائيليين . تمكن المدافعــون العرب ، حسب وصف المؤلف ، من ابراز مقاومة شرسة ضد القوة الاسرائيلية (التي دخلت لاحتلال مدينة خان يونس) التي كانت تنهمر عليها النيران من كافة الجهات ، كما كانت القناصة في كل مكان ، ونصبت الاسلحة المضادة للدبابات على زوايا الشوارع واسطحــة المنازل . ولكن اضطرت خان يونس للاستسلام في نهاية الامر ، امام القوى المتفوقــة التي غزتهــا واعتدت عليها كما نعرف جميعا . وتكررت الدراما نفسها في مدينة غزة عندما جاءت القوات الاسرائيلية لاحتلالها . يصنف مؤلف الكتاب الوضع في مدينة غزة على النحو التالي : فتحت كافــة المواقــع الدفاعية نيرانها المميتــة على القــوة الاسرائيلية وانهمرت النيران على العربات نصف المجنزرة مما اضطر الجنود الى اخفاء انفسهم في الرمال . كان خبراء الهندسة يزحفون تحت هذا البحر من النــار ليعطلوا الالغام ويفتحوا الطريق امام الدروع ، غير ان الفلسطينيين لم يتركوا مجالا لاحد كي يرفع رأسه . كانوا يزرعون الغاما جديدة مكان الالغام التي يتم تعطيلها بواسطة جــرها بالحبال حيــث تستقر على طريق الدروع الاسرائيلية من جديد . حتى بعد ان تمكنت القوات الاسرائيلية من شــق طريقها بعد قتال مرير واقتحــام المواقع العربيــة استمر الفلسطينيون في مقاومتهم الشرسة . لذلك اضطر قائد الوحدة الاسرائيلية (يهودا) الى تغيير خططه لانه على حد قوله : تبين لي بعد بضــع دقائق ان الخسائر كبيرة جدا مما جعلني ادرك انه حتى لو نجحنا في الاندفاع الى الامام سوف يكون ثمن الاقتحام مرتفعا جدا مما سيمنعني من اتمــام مهمتي فيما بعد . لذلك قررت التراجع والعودة الى الهجوم عن طريق آخر دخله المظليون ، وكان ذلك يعني دخول البلدة من الشرق . ولكننا اكتشفنا ان الطريق التي سار عليها المظليون صعبة ايضا لان القوات العربية كانت قد اعادت تشكيل نفسهــا واعدت كمائن شاركت فيها الدبابات والبنادق التي لا ترتد ، وتمكنوا من الحاق خسائر كبيرة بعرباتنا نصــف المجنزرة وبارواح المظليين مــن جنودنا . ويستمر الكولونيل يهودا في وصف الاوضاع التي وصلت اليها وحدته قبل احتلال غزة نهائيا بقوله : في الصباح كانت كل قوتنا قد تجمعت ، ولكنها لم تعد القوة نفسها التي بدأنا بها المعركة . كــانت الخسائر في الارواح كبيرة وكل عرباتنا قد اصيبت. ثم يصف الكولونيل احتلال غزة بقوله : لم يكــن الدخول سهلا ، كانت هناك مجموعات من المقاومة قرب المدينة . دخلت الدبابات المدينة بسرعة وهي تطلق النار بدون توقف مقتحمة كل ما في طريقها . مع ذلك استقبل السكان طابور الدبابات والعربات نصف المجنزرة بنيران المدافع الرشاشة . هنــا تقدم المظليون لضرب طــوق كامل حول المدينــة ، ولمسح الابنية الى مستوى الارض بهدف قصم ظهر المقاومة نهائيا . يتضح بما لا يقبل الجدل من هذا الوصف لسير بعض المعارك (وهو وصف من وجهة نظر العدو الخالصة) ان ما قيل ونشر على نطاق واسع حول فرار القوات العربية امام الهجــوم الاسرائيلي عار عن الصحة في معظم الاحيان ومبالغ فيه كثيرا في احيان اخرى ، ومعلوم ان اسرائيل والاجهزة الصهيونية قد بذلت جهودا ضخمة لتغذية هذه الصورة المشوهة عن الجندي العربي .

وفيما يلي الملاحظة التي ابداها الجنرال غافيتش حول القوات العربية في سيناء : « كــان الجيش المصري مزودا باعتدة حديثة وراقية وكانت لوائحه التنظيمية كاملة كما قاتل جيدا في مواقع الدفاع ، لكنه قاتل بكفاءة متدنية جدا عندما كان عليــه ان يكون في اوضاع متحركة ، وتشتت عندما اضطر لان يقاتل وفقا للايقاع الذي فرضته عليه عملياتنا . كان الجيش الاسرائيلي يعتمــد على سرعــة النــار واتجاهها ، وسرعة الحركة واتجاهها كي يفقــد الدفاعات المصرية توازنها » .

ولم تكن الامور مختلفة جدا على جبهة الجــولان بالنسبة للمقاومة العربية الشرسة وذلك باعتراف الكتاب الاسرائيليين او المنحازين كليا لاسرائيل . فقد وجد المشاة من العدو صعوبات فائقة في اختراق الخنادق المحصنة ومواجهة الاسلحة المتنوعة التي استخدمت في الدفاع عنهــا بالاضافة الى المدفعية السورية التي كانت تضرب باستمرار . وجرى في التحصينات والخنادق السورية الرئيسية قتال مرير

وعنيف عندما التحمت القوات الغازية بالقـــوات المدافعة على حسب وصف اكثر من كتاب . ولا تترك الكتب التي تطرقت الى وصف مجرى المعارك اي شك من ان الاسرائيليين قد استعدوا استعدادا كاملا وعلى مدة سنوات لعمليـــة غزو الجولان واحتلالها عندما تحين الفرصة المناسبة . علـى سبيل المثال كانت الوحدات العسكرية الاسرائيلية المعنية تصنع نماذج مصغرة عن التلال التي كـان عليها احتلالها اثناء المعركة . نمـاذج تبين كـل ممرات التل وتعرجاته وممراته كما ان التصويـر الجوي كان يمكنها من متابعة التعديلات التي كانت تطرأ على التل وتحصيناته . تم تخطيط تفاصيـل الهجوم على هـذا الاساس حيث حفظ الجنـود والضباط كافة ممرات التل عن ظهر قلب ، كذلك بالنسبة لاماكن التجمع ومراكز الانسحاب الخ ... كل جندي في القوة المهاجمة كان يعرف الاهـداف وممرات التقدم والانسحاب على التل، كما كان على علم بالتحركات الهامة في المنطقة كلها وكان كـل قائد سرية عدوة يعرف هو ورجاله تماما وبالتحديد ما ينبغي عليهم ان يفعلـوه ضمن اطار الخطـة العامة . كما اطلع المسؤولون عن شؤون التموين على خطط الهجوم كي يعدوا انفسهم وتجهيزاتهم على اساسها . وبسبب هذا الاعداد المحكم كانت بطاريات المدفعية الاسرائيلية مزودة مسبقا ببرنامج مفصل لتحركات القوات المهاجمة كي تنسق القصف على اساسه . هذا اذا لم نذكر التنسيق المسبق والدقيق في تحديد طبيعة العمليات المشتركة التي تدخل فيها اسلحة الجيش المتعددة . اي ان الآلة الحربية الاسرائيلية كانت معدة اعدادا كاملا ومسبقا لخوض اقسى المعارك واشدها في اكثر القطاعات صعوبة : هضبة الجولان . هذا ما يعترفون به صراحة وبدون اية تورية .

ملحـق

مذكرة همرشولد حول قوة السلام في الشرق الاوسط

فيما يلي نص المذكرة التوضيحيـة التي اعـدها الامين العام للامم المتحدة ، داغ همرشولد ، في الخامس من اب ١٩٥٧ ، ليضمهـا الى ملفاتـه الخاصة بالمفاوضات حول وجود قوات الامم المتحدة في الجمهورية العربية المتحدة . وقبل وفاته ، اعطى السيد همرشولد نسخة عـن المذكرة الى صديقـه ارنست غروس الممثل السابق للولايات المتحدة في الامم المتحدة :

بما ان القرار المتعلق بقوات الطوارىء الدولية قد اتخذ وفق المادة السادسة من الميثاق ، فقد كان واضحا منذ البداية ان القرار لم يحد باي حال من الاحوال من سيادة الدولة المضيفة . وقد اتضح هذا من خلال قرار الجمعية العامة ومن التقريـر الثاني والنهائي حـول قوة الطوارىء . وبالتالي فان الجمعية العامة او الامين العام بتصرفه باسم الجمعية العامة ، لم يخلقوا او يمنحوا مصر حقا بموافقتهما على ان قبولها هو شرط لوجود قوات الطوارىء الدولية وعملها على الاراضي المصرية . لقد كانت مصر متمتعة بهذا الحق والمشكلة الوحيدة هي ما اذا كان من الممكن واللازم في هذا السياق الحد من هذا الحق بصورة ما .

برقية من بيرنز

كانت نقطة انطلاقي في معالجة هذه المشكلة التي اوضحتها — الحد من حق مصر في السيادة من اجل مصلحة التوازن السياسي والاستقرار في مسألـة قوات الطوارىء الدولية هـي ان مصر قد وافقت تلقائيا على قرار الجمعية العامة في الخامس مـن تشرين الثاني (الذي قضى بانشاء قوة الطوارىء) ، وبموافقتها على هذا القرار قبلت بوجود قـوات الطوارىء الدولية للقيام بمهمات معينة ، وبالتالي

فانها لا تستطيع الطلب من قوات الطوارىء الدولية ان تنسحب قبل اتمام المهمات المعينة لها ، دون ان تناقض بذلك قبولها بالقرار المتعلق بانشاء هذه القوات ومهماتها .

اثيرت هذه المشكلة بالنسبة لمصر لاول مرة في برقية وصلت في التاسع من تشرين الثاني بشان مقابلة جرت صباح ذلك اليوم بين بيرنز وفوزي . (أ. ل. م. بيرنز ، الجنرال الكندي الذي كان مسؤولا عن هيئة الرقابة الدولية على خطوط الهدنة في فلسطين، والذي اصبح في تشرين الثاني ١٩٥٦ قائد قوات الطوارىء الدولية . وهو الآن مستشار شؤون نزع السلاح لدى الحكومة الكندية . ومحمود فوزي (كان وزير خارجية مصر عام ١٩٥٦) . في تلك المقابلة طلبت مصر توضيح قضية الفترة الزمنية التي يعتقد بان قوات الطوارىء ستمضيها في منطقة خطوط الهدنة . وعلى هذا السؤال اجبت في اليوم ذاته بما يلي : « من المستحيل تقديم اجابة محددة الآن ، لكن كون هذه القوات قوات طوارىء يربطها بالازمة المباشرة التي اوجدتها كما هو وارد في القرار الصادر في الثاني من تشرين الثاني (المطالب بانشاء القوة) ، وفي حال اختلاف الاراء حول الزمن الذي لا تعود فيه هذه الازمة تستدعي وجود القوات ، يجب التفاوض حول هذه القضية مع الاطراف المعنية » . وفي برقية اخرى الى بيرنز في اليوم ذاته قلت كذلك « ان قوات الامم المتحدة ستوجد بموافقة مصر ولا يمكنها البقاء او العمل ما لم تستمر مصر في موافقتها » .

في العاشر من تشرين الثاني سالني السفير لطفي (عمر لطفي ، رئيس وفد مصر الى الامم المتحدة عام ١٩٥٦ ثم مساعد الامين العام للامم المتحدة . توفي عام ١٩٦٣) بناء على تعليمات من حكومته « ما اذا كان واضحا ومعترفا به انه من الضروري الوصول الى اتفاقية بشان بقاء قوات الطوارىء الدولية في منطقة القناة بمجرد انتهاء مهمتها هناك » . فاجبته بان هذه الاتفاقية ستكون ضرورية من وجهة نظري .

في الحادي عشر من تشرين الثاني قابلني السفير لطفي ثانية . وقال لي حينذاك انه يجب الاتفاق على انه بمجرد زوال موافقة مصر على وجود قوات الامم المتحدة عليها ان تنسحب ، وقد اجبت على ذلك بانني لا اعتقد ان سحب الموافقة يمكن ان يتم قبل انجاز المهمات التي بررت دخولها ، واذا حدث اختلاف في وجهات النظر حول مدى اتمام هذه المهمات ، كما قد يحدث ، فان الامر يجب ان يخضع للتفاوض .

وتم تضمين وجهة نظر لطفي في مذكرة توضيحية بتاريخ اليوم ذاته حيث جاء : « تاخذ الحكومة المصرية علما بما يلي : تم الاتفاق على ان موافقة مصر لا يستغنى عنها لدخول قوات الامم المتحدة وبقائها على اي جزء من اراضيها . واذا لم تعد هذه الموافقة موجودة فعلى هذه القوات ان تنسحب » .

وأجبت على ذلك بمذكرة مؤرخة في الثاني عشر من تشرين الثاني ، قلت فيها : « استلمت مذكرتكم التوضيحية التي تحدد الاساس الذي بموجبه تقبل الحكومة المصرية اعلاني اليوم الوصول الى اتفاق حول ارسال قوات الامم المتحدة الى مصر . انني اريد ان اسجل تفسيري لنقطتين من هذه النقاط » . وبشأن النقطة التي اوردتها سابقا من المذكرة التوضيحية المصرية استطردت قائلا : « اريد ان اسجل ان الشروط التي دفعت الى الموافقة على دخول القوات ووجودها هي ذاتها الشروط التي تعين المهمات المحددة لهذه القوات في قرار الجمعية العامة (الذي طلب الاعداد لانشاء القوات) في الرابع من تشرين الثاني ، ولهذا اعتقد انه من المعترف به ، انه طالما ان هذه المهمة ، كما تم تحديدها ، لم تنجز فان اسباب موافقة الحكومة تظل قائمة ، وان سحب هذه الموافقة قبل انهاء المهمة لا يتعارض مع قبول مصر لقرار الجمعية العامة . وانني افهم الاعلان الذي اوردته سابقا على ضوء هذه الاعتبارات ، واذا وقع خلاف ، سواء كانت الاسباب الداعية لهذه الترتيبات ما زالت قائمة ام لا ، يجب التفاوض حول هذا الامر مع الامم المتحدة » .

رسالة من فوزي

ارسل توضيحي هذا الى البعثة المصرية بعد حديث تلفوني صباح الثاني عشر من تشرين الثاني مع الدكتور فوزي ، اتفقنا خلاله على اعلان اتفاقنا حول ارسال قوات الطوارىء الدولية الى مصر . وفي ضوء المشاورات السابقة لم يكن هناك من سبب يدفعني للاعتقاد بان اعلاني هذا قد يخلق مشاكل جديدة . واعتمدت كذلك على كون مصر قد اصبحت على الاغلب ملتزمة لدرجة تجعلها متشوقة لعدم فتح باب المناقشات من جديد . مع ذلك ،

اعترفت لنفسي بوجود عنصر من المقامرة لم يكن امامي الا تقبله بسبب الخطر الماثل في المزيد من التاخير الذي قد يدفع مصر الى تغيير رأيها وقبول المتطوعين للقتال والقاء مبادراتنا بعيدا .

مع ذلك ، استلمت صباح اليوم التالي ، الثالث والعشرين من تشرين الثاني ، رسالة من الدكتور فوزي تقول ان الحكومة المصرية لا يمكنها الخضوع لتفسيري لقضية الموافقة على الوجود والانسحاب كما ذكرتها في الثاني عشر من تشرين الثاني ، ولهذا ، وعلى ضوء اتصالاتي في ذلك اليوم « شعرت بضرورة عدم اذاعة الاتفاق لحين ايضاح جميع جوانب سوء التفاهم الواقع » . واعادت الحكومة ذكر وجهة نظرها في ان زوال الموافقة يعني وجوب انسحاب قوات الطوارىء الدولية .

اجبت على هذا الاتصال — الذي ادى الى تاخير جديد في نقل القوات الى مصر لمدة ٢٤ ساعة على الاقل — ببرقية ارسلتها فور تسلمي للرسالة . واثناء كتابتي لمسودة الرد شعرت انه من الضروري ارسال القوات الآن ، وانني في موقع يمكنني من ايجاد صيغة تحفظ ماء الوجه لمصر وتحمي موقف الامم المتحدة ، بمجرد ان اناقش القضية شخصيا مع الرئيس عبد الناصر .

في الرد الرسمي بتاريخ الثالث عشر من تشرين الثاني قلت ان اعلاني السابق قد اوضح رأيي الشخصي في ان « اسباب » الموافقة تظل قائمة طالما ان المهمة لم تنجز . وقلت كذلك انه لهذا السبب فان سحب الموافقة الذي يؤدي الى سحب القوات قبل انجاز مهمتها تشكل من وجهة نظري ، كما قلت سابقا ، « خرقا للقبول بالقرار الاساسي للجمعية العامة على الرغم من انه ضمن حقوق الحكومة المصرية » . واستطردت الى القول ان اشارتي للمفاوضات كانت لايضاح ان قضية الانسحاب يجب ان تكون موضع مناقشة حول النقطة التي تختلف وجهات النظر بشانها وهي المدى الذي يحدد ما اذا كانت مهمة الجمعية العامة قد انجزت ام لا . واشرت هنا الى موقفي الذي شرحته سابقا في رسالتي بتاريخ التاسع من تشرين الثاني والتي اوردتها فيما سبق .

حرية التصرف

علقت على الرد الرسمي برسالة شخصية خاصة لفوزي ارسلتها في الوقت ذاته قلت فيها انه « على كلينا ان نحتفظ بحرية التصرف لكن بامكاننا في الوقت ذاته المضي قدما ، آملين في الا تقع ظروف مثيرة للجدال . واذا كانت الترتيبات ستنهار بسبب هذه القضية (الانسحاب عند انجاز المهمات فقط) فانني لا استطيع تفادي احالة الموضوع (الخلاف بيننا على هذه القضية المبدئية) الى الجمعية العامة واترك لها ان تقرر ما يمكن وما لا يمكن ان يكون مقبولا كتفاهم (بيننا) . سيكون هذا الوضع محرجا للجميع لكنني اخشى نتائجه السياسية ، اذ انه من الواضح ان اقلية قليلة جدا ستقتنع بان الاعتراف بحريتكم في التصرف يجب ان تعني انكم بعد سماحكم للقوات بالمجيء قد تطلبون انسحابها في الوقت الذي تكون الاسباب التي دفعتكم للقبول بها ما زالت قائمة بوضوح » . وانهيت رسالتي بالقول انني واثق من ان فوزي يستطيع مساعدتي، على اساس هذه الرسالة الشخصية ، « في وضع الموقف الذي كان علي ان اتخذه بالنسبة لحقوقي في منظوره الصحيح ». عليه اوضحت هذه الرسالة لفوزي انه ما لم تقبل الحكومة بموقفي من الانسحاب كشرط للقيام بمزيد من الخطوات ، فان القضية ستثار امام الجمعية العامة .

وعلى اساس هذين الاتصالين الاخيرين الصادرين عني اعطت مصر اشارة الضوء الاخضر لوصول القوات ، اي انها وافقت في الواقع على موقفي وتركته يتغلب على موقفها الذي جاء في مذكرتها في الثالث عشر من تشرين الثاني .

في جهودي لمتابعة الظرف الذي ساد بعد تبادل وجهات النظر التي اوضحت اختلاف المواقف بين مصر وبيني ، كنت اسير على اعتبار ان مصر تتمتع دستوريا بحق لا شك فيه بطلب انسحاب القوات حتى ولو كانت قد اعطت موافقة مسبقة. لكن من جهة اخرى يجب ان يكون ممكنا ، على اساس الموقف الذي تبنيته والذي قبل في النهاية ضمنيا ، ان نجبرها على اتفاقية تحد بها حرية تصرفها بالنسبة للانسحاب بجعل طلب الانسحاب معتمدا على انجاز المهمة — ومن الواضح ان هذه القضية ، في هيئة الامم ، لا يمكن الا اخضاعها الى التفسير من قبل الجمعية العامة .

عقبات أمام الحل

بالطبع كان افضل الاشياء هو ربط مصر باتفاقية تعلن فيها ان الانسحاب لا يتم الا بقرار من الجمعية العامة . لكن لم يكن بالامكان حل المشكلة ابدا على هذه الصورة المكشوفة . وشعرت بأن الشيء

ذاته ينطبق على اتفاقية تنص على ان الانسحاب يتم على اساس « اتفاق على الانسحاب بين الامم المتحدة والحكومة المصرية » . ومع هذا وجدت انه من المفيد محاولة السير في هذا الخط القريب جدا من الاحتمال الثاني بحيث تعلن مصر بموجبه للامم المتحدة انها ستمارس كافة حقوق السيادة بالنسبة للقوات على اساس حسن النية في تفسير مهمة القوات . وتقوم الامم المتحدة بتعهد مقابل المحافظة على القوات طالما ان مهمتها لم تنته . فاذا تم الوصول الى مثل هذا الاعلان الثنائي في اتفاقية بين الطرفين سيكون واضحا ان الاجراءات المتخذة في حال طلب مصر انسحاب قوات الطوارىء الدولية ستكون كما يلي : يعرض الامر بسرعة على الجمعية — واذا وجدت الجمعية العامة ان المهمة قد انتهت سار كل شيء على ما يـرام ، اما اذا وجدت ان المهمة لم تنته وأصرت مصر على موقفها على الرغم من ذلك وفرضت الانسحاب فانها بذلك تخرق اتفاقها مع الامم المتحدة . بالطبع لم يكن بالامكان الحد من حرية مصر في العمل في اي حال من الاحوال الا باتفـاق ما . والوسيلة التـي استخدمتها كانت تعني فقط انه بدلا من الحد من حقوق مصر على اساس تفاهـم اساسي يطالب باتفاقية « تتعلق بالانسحاب مباشرة » ، خلقنا التزاما من اجل الوصول الى اتفاقية حول واقع انجاز المهمات وبالتالي « تكون شروط الانسحاب قد وضعت » .

اعددت مسودة نص الاتفاقية وفق الخطوط التي كانت في ذهني ليل ١٥ — ١٦ تشرين الثاني في كابوديشينو (ايطاليا) . اطلعت فوزي على النص في اول محادثات بيننا في السادس عشر من تشرين الثاني ، وناقشت هذه القضية عمليا مع عبدالناصر طيلة سبع ساعات مساء وليل السابع عشر من تشرين الثاني . خلال المناقشات النهائية التي تمت على اساسها الموافقة على النص الذي اقترحته مع بعض التعديلات ، اظهر عبدالناصر بانه كان يدرك جيدا بانه بموافقته على تحديد حرية مصر في العمل بالطريقة التي اقترحتها انهم (في مصر) يقدمون على خطوة خطرة اذ انها تعني أن قضيـة مدى انجاز المهمة ستصبح حاسمة بالنسبة لعلاقات مصر مع الامم المتحـدة ، وستقرر حـرية مصر السياسية في العمل . لقد شعر ، وليس بدون مبرر ، ان التحديد المعطى للمهمة في نصوص الامم المتحدة مطاط جدا ، وان ربط حرية تصرف مصر بمفهوم المهمة — الذي يجب ان تفسره الجمعية العامة ايضا — وفي اتفاقية مكتوبة ، يعني انه قد قبل بتحديد ذي آثار بعيدة وذي نتائج لا يمكن التكهن بها . ومن اجل ان ادفع بنص الاتفاقية على الرغم من رغبة عبدالناصر القوية في تفادي ذلك وشكوكه القوية ببنيانهـا القانوني وخاصة بالنسبة للنتائج المحتملة لاختلاف وجهات النظـر حول مهمة القوات — شعرت بانني مضطر خلال سير المناقشات ان اهدد ثلاث مرات انه ما لم يتم الوصول الى اتفاقية من هـذا النوع فان علي اقتراح الانسحاب الفوري للقوات . واذا كان هناك من داع لسرد دليل على نوعية نظرة الرئيس عبدالناصر الى النص المقتـرح فان هذه الحقيقة الاخيرة التي اوردتها تحكي كل شيء .

من الواضح انه بموافقة مصر علـى نص بهذا المضمون الذي ذكرته تكون جميع وجهات النظر المتبادلة سابقا قد تـم تخطيها باعتراف رسمي وواضح من قبل مصر بالموقف الذي اتخذته طوال الوقت وخاصة في التاسع والثاني عشر من تشرين الثاني . ان التبادل السابق للبرقيات لم يعد له اية قيمة تفسيرية اذ انه لم يعرض على الجمعية العامة سوى نص الاتفاقيـة الذي تمت الموافقة عليه بمشاركة مصر ، وقـد كان نصها متكاملا وحاسما . ولهذا فان اية مناقشات مقبلة يجب ان تنطلق من نص الاتفاقية الموجودة في المستند رقم ٣٣٧٥/أ . وتفسـير النص يجب ان يكون هـذا المذكور أعلاه .

حرب حزيران بين كتابين

المقدم الهيثم الايوبي

« ان العقيدة المبنية على القتال والخطر والبطولة والتضحية تعطي لانصارها احساسا بالرضى أعنف مما يعطيه البحث عن النظام والامـن والسعادة » (لويس ليبريش) .

ما أن انتهت حرب حزيران ١٩٦٧ حتى غمرت الاسواق العالمية وبمختلف اللغات كتب وتحليلات ومذكرات كتبها صحفيون اسرائيليون أو أجانب كلفتهـم اسرائيل بالكتابة والتحليل كجزء من مخططها الدعائي لاكتساب الرأي العام العالمي قبل الضربة وبعدها . فاذا استثنينا كتابات مكسيم رودنسون وبيير دمورون وعدد من الكتاب السوفييت مثل بيليايف وبريماكوف وكوليسنيتشنكو وجدنا ان اكثر ما كتب عـن حرب ١٩٦٧ أشبه بمقالات صحفية ، ووصف مشاهدات تفتقر لتحليل كامل يشمل أو يلامس على الاقل كل وجوه المعركة السياسية والعسكرية . ومن المؤكد أن ظهورها بسرعة (ظهر بعضها في عام ١٩٦٧ نفسه والبعض الآخر في عام ١٩٦٨) ، وقبل مرور الزمن الكافي للحكم على الاحداث من وجهة نظر تاريخية صحيحة ، وعدم امتلاك كتابها لكافة وثائق المعسكرين ، والاعتماد الكلي على مصادر غربية واسرائيلية بصورة خاصة ، جعـل هذه الكتابات مفعمة بالاخطاء ، ومتناقضة مع أبسط معطيات العلم العسكري والمنطق السليم ، وتنتهي باستنتاجات سياسية متسرعة أثبتت السنوات الخمس التي تلت الحرب سطحيتها وعدم انطباقها على الواقع .

ومن الصعب أن تحظى هذه الكتب في المستقبل باهتمام المؤرخين او الباحثين العسكريين الجادين ، الذين سيكتشفون بكل يسر انها مؤلفات وحيدة الجانب ، ذاتيـة ، لا تتسم بالتجرد او الحياد العلمي لدرجة تهبط بمعظمها الى مستوى الكتب المغرضة . ولكن هذا سيجعلها تجذب دون أدنى شك اهتمام علماء الاجتماع والمختصين بقضايـا الدعاية والحرب النفسية ، وستقدم لهم أمثلة حية عن الدعاية الديماغوجية ، ومـادة غزيرة لتحليل نفسية المجتمع الاسرائيلي واكتشاف العقد التي تحكمه وتقود تصرفاته على سبل الانتصارات المؤقتة الحالية وهزائم المستقبل .

ومن الامور التي لها دلالاتها الهامة ندرة الكتب والدراسات العربية حول هذه الحرب مع أنها حدث من أهم الاحداث التي شهدها التاريخ العربي المعاصر ، ونكسة خطيرة لا تكمن خطورتها بالفشل على الصعيدين السياسي والعسكري ، بل بما يمكن ان يؤدي اليه هذا الفشل من انعكاسات على قضية فلسطين برمتها، وقضية الصراع العربي ــ الاسرائيلي بل وعلى قضية سيادة العرب واستقلالهم الحقيقي اقتصاديا وسياسيا . من هنا تأتي أهمية كتابين ظهرا في عام ١٩٧١ . كتب أولهما **« حرب الايام الستة »** عسكري محترف هو العميد الركن عزيز الاحدب قائد المدرسة الحربية اللبنانية، وكتب الثاني **« ٥ حزيران »** مناضل تقدمي يعمل في خدمة قضايا الفكر الثوري والحركة الثورية العربية داخـل مجموعة من المثقفين الثوريين العرب في أوروبا ، ويحمل اسما حركيا هو صابر أبو نضال .

ومن الطبيعي ان يتناول الكاتبان المسألة من زاويتين متباينتين . وان يكون تحليلهما لاسباب الحرب ونتائجها ، واقتراحاتهما حول الحلول والتوقعات انعكاسا لواقعين اجتماعيين (طبقيين) متباينين ، ومدرستين فكريتين مختلفتين كل الاختلاف . واذا كان « الاسلوب هو الانسان » (بوفون) فالانسان هو الطبقة التي يعيش فيها ويتفاعل معها ويحمل ايديولوجيتها ويلتزم بالنضال في سبيل سيادتها وسلطتها .

وقبل أن نبدأ الخوض في مضمون الكتابين واسلوب طرحهما لاهم قضايا حرب حزيران ١٩٦٧ لا بد لنا من ذكر ملاحظتين : أولاهما ان القارىء يشعر في كل صفحة من صفحات الكتابين أن المؤلفين العربيين العميد الاحدب وصابر ابو نضال يتمتعان ــ رغم تباينهما الاجتماعي والفكري ــ بحس وطني اصيل ، وارتباط قومي لا يرقى اليه الشك بقضايا الامة العربية، وايمان مطلق بعدالة صراعها وحتمية انتصارها فينضالها العادل المصيري ضد عدوها الصهيوني . بالاضافة الى ألم دفين عاجز ، ورغبة صادقة برؤية تغيير الواقع نحو واقع أفضل يقود الى النصر .

أما الملاحظة الثانية فهي ان الكتابين لم يتضمنا رغم صدورهما في عام ١٩٧١ وبعد خمس سنوات من اندلاع الحرب وثائق دبلوماسية أو سياسية أو عسكرية جديدة لم تنشرها الكتب الاجنبية والاسرائيلية الصادرة في أواخر ١٩٦٧ ومطلع عام ١٩٦٨ . لذا فهما لا يشكلان ــ من الناحية التاريخية ــ أضافة تساعد على القاء الضوء على كثير من الاسرار ، وكشف عدد من المواقف التي لا تزال غامضة مثل : هدف الملك حسين الحقيقي من توقيع اتفاقية الدفاع المشترك قبيل الحرب رغم معارضته لدخول القوات العراقية الى الاردن قبل ذلك ــ حقيقة القرار الذي اخذته القيادة السياسية في الجمهورية العربية المتحدة وهل هو قرار هجومي ام دفاعي والمهمات التي أعطيت للفرق المتحركة الى سيناء ــ ظروف احتلال القنيطرة ــ الاسباب السياسية والعسكرية لبطء رد الفعل السوري والاردني في يومي ٥ و ٦ ــ مكان وتحركات ومهمات اللوائين المدرعين السوريين السبعين والخامس خلال فترة ٥ ــ ١٠ حزيران ودورهما الفعلي في القتال ــ حدود الاستنزاف البشري والمادي (اللوجيستيكي) الذي وصلت اليه القطاعات الاسرائيلية عند وصولها الى قناة السويس ونهر الاردن والقنيطرة ، والمدة التي كان بوسعها القتال بعدها في حالة وجود قوات احتياطية طازجة في العمق العربي ــ سر توقف القوات الاسرائيلية عند الحدود التي وصلت اليها وهل هو ناجم عن الوصول الى « نقطة الذروة » أم الوصول الى الحدود التي رسمتها السياسة الاستراتيجية الامبريالية لها ، أم لاقتناعها بتحقيق المهمة العسكرية (تدمير القوة المقاتلة) وايمانها بأن المهمة السياسية (قهر ارادة العرب واجبارهم على قبول الحلول الاستسلامية) ستتحقق بعد ذلك تلقائيا ، أم لعدم رغبتها بالتورط في مناطق آهلة بالسكان بشكل يزيد الاحساس بالاحتلال ويصعد المقاومة ويضاعف صعوبات وجود القوات العسكرية المنتشرة ــ سر عدم اجتياز القوات الاسرائيلية لقناة السويس (رغم قدرتها العسكرية آنذاك على ذلك) وهل هو رغبتها في اسناد قواتها الى حاجز مائي طبيعي منيع لزيادة قدرتها الدفاعية خلال مرحلة الضغط السياسي التي تلي النصر العسكري ، أم عدم رغبتها باستنزاف جزء من قواتها بمعارك داخل مدن القناة في الوقت الذي تحتاج به لهذه القوات في معركتي الضفة الغربية والجولان ، أم عدم رغبتها باحتلال الضفتين واضطرارها عند ذلك الى فتح القناة مع ان حليفتها أمريكا غير راغبة بفتح القناة المغلقة أمام الامدادات السوفييتية المتجهة نحو جنوب شرق آسيا . وغير ذلك من الاسئلة الهامة في المجال السياسي والاستراتيجي والعملياتي والتكتيكي ، والتي لا يمكن لاية دراسة جديدة تود تقديم اسهام فعلي في شرح وتحليل حرب حزيران ١٩٦٧ الا أن تجيب عليها أجابة مقرونة بوثائق ومعلومات ، أو على الاقل بتحليلات مبنية على أسس

العلم السياسي ـ العسكري والمنطق السليم ، ووفق مبادىء الاستقراء التاريخي .

١ ـ **الخلفية الاجتماعية للحرب** : الحرب صراع بين مجتمعين تتناقض مصالحهما الى حد يتعذر حله بمختلف الوسائل الدبلوماسية والسياسية ، ويدفع المجتمعين نحو الاحتكام الى السلاح . لذا فان من المتعذر فهم الحرب ، أية حرب ، الا بعد فهم المعطيات الاقتصادية والاجتماعية التي تنبثق عنها سياسة المجتمعين التي تؤدي عند تصاعد الازمة الى الصدام .

ولقد أسقط العميد الاحدب التحليل الاجتماعي والديموغرافي للمعسكرين المتجابهين . وبدأ كتابه بالحديث عن « الاسباب الحقيقية للحرب » وكأن الحرب بأسبابها المختلفة تنبثق من الفراغ ، وليست عملا محددا في الزمان والمكان والاساليب يستهدف تحقيق هدف محدد لخدمة سياسة معينة تكرس جهودها لخدمة مجتمع معين واهداف اقتصادية محددة . ولعل الكاتب أراد أن يحصر نفسه ضمن اطار عسكري بحت تاركا المجالات الاخرى لاصحاب الاختصاص ، متناسيا أن دراسة الحرب في المستويات العليا (الاستراتيجية والاستراتيجية العليا وادارة الحرب) تتلامس الى حد بعيد مع دراسة السياسة والاقتصاد والعلوم الاجتماعية . وأن هذه المواضيع تتشابك في كتابات الباحثين العسكريين الكبار (كلاوزفيتز ، ديغول ، ليدل هارت ، بوفر ، سوكولوفسكي ، تايلور، ميكشه) وفي كتابات أعظم السياسيين ـ العسكريين (ماركس ، انجلز ، لينين ، ماوتسي تونغ ، جياب ، كيم ايل سونغ ، جيفارا) . وانها لا تنفصل مطلقا الا في مجال التكتيك والعمليات ولا يمكن أن يقبل انفصالها تحت ريشة عميد ركن .

ولكن كتاب صابر أبو نضال لجأ الى تحليل المعطيات الاقتصادية والاجتماعية للقوتين المتجابهتين (المعسكر العربي والمعسكر الصهيوني) ومن الملاحظ أن الجزء الاكبر من تحليله انصب على المعسكر الصهيوني . وأن نسبة الجهد المعطى لتحليل المعسكر العربي وأوضاعه الاقتصادية والاقليمية والعشائرية والطائفية وانعكاسات هذه الاوضاع على السياسة والحرب عند العرب أقل بكثير من الجهد المبذول لتحليل المعسكر الصهيوني وعقيدته وتأثيرها على العقيدة العسكرية الاسرائيلية .

والشيء الجديد في دراسة صابر أبو نضال لمعسكر العدو ومقارنته مع المعسكر العربي هو تبني مقارنة القوى البشرية والمادية والتقنية التي تملكها البلدان العربية مع قوى الصهيونية كلها سواء أكانت في اسرائيل أم في أوروبا وأمريكا . وهذه مقارنة أكثر صحة من مقارنة قوة اسرائيل وحدها مع قوى البلدان العربية . والاصح منهما مقارنة القوة الصهيونية مع قوة دول المجابهة . لانه اذا كانت الصهيونية العالمية تمثل عمقا بشريا واقتصاديا لاسرائيل ومؤخرة **فعالة ديناميكية** تعمل في خدمة الصهيونيين الاسرائيليين ، فان الدول العربية التي لا تملك حدودا مباشرة مع العدو كانت تشكل عند الصدام عمقا هاما يضم امكانات بشرية واقتصادية واستراتيجية هائلة ، ولكنها بقيت خلال الصراع امكانات **سلبية** غير فاعلة . ولا يزال القسم الاكبر من هذه الدول **حتى الان** عبارة عن قوة احتياطية غير معبأة وغير فاعلة في اي صراع قريب مقبل .

٢ ـ **ميزان القوى العام** : ليست المعركة سوى صدام القوى التي يعبئها الخصمان ويعدانها خلال فترة طويلة . ويأتي فهم طبيعة الصدام من فهم طبيعة القوى المشتركة فيه (حجمها ، اعدادها المادي والمعنوي ، تسليحها) ومعرفة ميزان القوى الحقيقي للقوات المعبأة والقوات المشتبكة .

ولقد كان بوسع العميد أحدب بحكم ثقافته العسكرية أن يقدم تحليلا عدديا ونوعيا لقوات البلدان المعنية خلال الصراع ، وأن يكشف من خلال ذلك :

أ ــ فاعلية نظام الاحتياط والتعبئة في جيش هذا البلد او ذاك لان ذلــك يكشف مدى ديناميكية نظام البلد وقدرته على تطبيق أحــدث الاساليب العلمية في جمــع الاحتياط واعداده وتدريبه وتسريحه بشكل يوفر نفقات الاحتفاظ بجيوش محترفة نظامية كبيرة مدة طويلة .

ب ــ نسبة القوى الاحتياطية الفعلية التي يمكن جمعها وتأطيرها وتسليحها بسرعـــة ، الى مجموع الرجال لان في هذا دليل على مدى قدرة هذا البلد أو ذاك على فهم طبيعة الحرب الشاملة وتطبيق مبدأ الامة المسلحة .

جـ ــ النسبة بين مجموع القوى العامة (النظامية والاحتياطية) والقوى الموجودة فعلا على خطوط القتال . لان هذا يكشف تصميم القيادات العليا الاستراتيجية لكل بلد على القتال واستخدام الحد الاقصى من القوة في الاشتباك . ويحدد مستوى هذه القيادات ومدى قدرتها على تنفيذ مبدأ الحشد في الزمان والمكان المناسبين واستخــدام القسط الاكبر من القوة خاصة **وان عدد القوات العامة لا يعني في القتال شيئا ، والمهم هو عدد القوات المشتبكة أو القادرة على الاشتباك في المعركة** . وتعتبر هذه النسبة فضلا على ذلك مؤشرا يحدد بشكل أبلغ من الالفاظ والدعايات مدى الاعتماد الحقيقي على القوى الشعبية ، وقوى الدفاع الذاتي ، والجماهير المسلحة ، والقوات شبه النظامية لحماية المؤسسات والمنشآت الاستراتيجية الهامة . وحقيقة تلاحم النظام مع الجماهير .

د ــ النسبة بين مختلف صنوف الاسلحة في المعسكرين المتجابهين وعدد فوهات المدافع بالنسبة لكل ألف رجل ، ووزن العتاد بالطن بالنسبة لكل رجل ، وقيمة القوة المحركة بالاحصنة البخارية لكل رجل . لان هذه النسب وحدهــا ــ لا عــدد الجيوش والفرق والالوية ــ هي التي تعطي الصورة الحقيقية لطبيعة القوتين المتجابهتين . وتحدد ميزان القوى المادية في الحرب التقليدية . ثم تأتي بعد ذلك اضافة العوامل المعنوية والعوامل الخاصة بالتدريب والمهارة التقنية وأهلية القيادة ليتحدد ميزان القوى ــ كل القوى ــ بشكل قريب من الواقع ، وليتحدد بشكل مسبق الجهة التي يحتمل انتصارها ، ونسبة احتمالات هذا الانتصار في كل لحظة مع تبدل موازين القوى المحتمل خلال سير المعركة .

هـ ــ النسبة بين حجم القوات المقاتلة وحجم المؤخرات والقيادات الخلفية ففي هذا دليل على خفة الذيول الادارية او ثقلها ، وبالتالي خفة المناورة أو ثقلها ، كما أن فيه دليلا على تضخم أجهزة القيادة ، وما يسببه هذا التضخم من أساليب عمل بيروقراطية تعرقــل اتخاذ القرارات ونقلها في اللحظات المناسبة .

و ــ وزن المؤونة والذخائر والمحروقات بالكيلوغرام لكل شخص يوميا . لان هذا الوزن يحدد مدى ارتباط القطعات بقواعدها الادارية ، ومدى أهمية ضرب المؤخرات ، وقطع طرق المواصلات بالنسبة لهذا الجيش أو ذاك ، ومدى قدرة القطعات على الصمود بعد التطويق أو بعد اصطدامها بسد استراتيجي خلفي .

لقد كان بوسع العميد الاحدب أن يصول في هذا المجال ويكشف الكثير من الحقائــق ، ويحدد العديد من العيوب ، ويصل الى أستنتاجات ودروس . ولكنه لم يعمد الى ذلك . وعزا الهزيمة الى مفاجأة وخدعة وضربة جوية وسوء اعداد . ولم يقدم للقارىء أيــة أرقام تدل على موازين القوى العامة سوى جــدول في الصفحــة الاخيرة بلا تعليق أو استنتاجات بالاضافة الى الملحق رقم ٢ ص ١٥٩ ــ ١٦١ الذي حدد فيه عــدد القوات المشتركة في القتال . ولكنه لم يخلص من هذه الارقام بأية استنتاجات . ولم يلفت انتباهه حتى عدم التناسب بين القوى البرية المصرية العامة ٢٨٠ ألف رجل ــ حسب جدوله ــ والقوات البرية المشتبكة في سيناء ٨٠ الف مقاتل ــ حسب الملحق المذكور ــ ولم يحدثنا اين ذهب ٢٠٠ الف مقاتل . أو اين ذهب على الاقل ١٦٠ الف رجل اذا كان ٤٠ الفــا

موجودين في اليمن ، أو عادوا منذ مدة قريبة ولم يستكملوا استعدادهم لخوض القتال . وعندما ذكر قوات الجمهورية العربية المتحدة في سيناء والقوات الاسرائيلية المجابهة لها في الملحــق رقم ٢ ص ١٥٩ أورد القوات بالفرق والالوية دون أن يحدد هنا ميزان القوى الحقيقية المشتبكة . فمن المعروف أن الالوية والفرق المصرية كانت مشكلة على الطريقة الشرقية ، وأن الالوية الاسرائيلية مشكلة على الطريقة الغربية . ويختلف حجم اللواء المصري عن حجم اللواء الاسرائيلي ، كما يختلف عدد المدافع والدبابات ومدافع الهاون والمدافع عديمة التراجع والرشاشات الثقيلة ... الخ في كل قطعة حسب تشكيلها . ولقد كان على العميد الاحدب ــ وهو بحكم مركزه مطلع على تشكيل القطعات العربية والاسرائيلية آنذاك ولو بصورة تقريبية ــ أن يضع ميزان القوى ليكشف الى أية جهة كانت تميل كفة ميزان التفوق البري . وما هي نسبة هذا الميل ؟ وهل كان هناك تفوق بري اسرائيلي يكفي لتحقيق الخرق في سيناء حتى في حالة فشل الضربة الجوية ؟ وهل كان الخرق الاسرائيلي في العريش وأبو عجيله معجزة عسكرية ؟ وهل كان ميزان القوى مائلا لصالح جيش الجمهورية العربية المتحدة بشكل يسمح لقيادة سيناء العسكرية أن تضع خطة هجومية وأن الضربة الجوية هي التي اجهضت هذه الخطة ؟

لقد اتيحت الفرصة في هذا المجال للعميد أحدب ليرمي سهمه كعسكري محترف مؤهل ، وليكشف في هذا المجال الحقائق التي أراد ذكرها ، وليعطي كتابه وزنا تحليليا كبيرا ، وليعيد الى كل ذي حق حقه ، وليبين حجم الخطأ التكتيكي والعملياتي بالنسبـــة للخطأ الاستراتيجي ، وحجم الخطأ العسكري (في مجال الاستراتيجية والعمليات والتكتيك) بالنسبة للخطأ السياسي . ولكنه لم يفعل ذلــك . ولا يمكن ارجاع ذلــك الى الرغبة بالحفاظ على السرية ، خاصة بعد خمس سنوات من المعركة ، وبعد أن حصلت اسرائيل من الاسرى والوثائق والعتاد المادي المتروك في حقل المعركة عــلى صورة كــاملة عن تشكيل القطعات العربية التي كانت في سيناء .

وكان كتاب صابر ابو نضال أكثر دقة واتساعا في هذا المجال . اذ قام بتحليــل عددي ودراسة نوعية للجيوش المتصارعة . وتطرق الى مسألة النفقات العسكرية وتناقضها مع برامج التنمية . وأكد أن « طريقنا الى النمو ملزمة بالمرور عبر الحرب » وقدم مثال الاتحاد السوفييتي والصين ليؤكد امكانية هذا النمو . ويمكننا أن نضيف الى مثاليه مثال شعوب أصغر هي : كوريا وفيتنام الشمالية وكوبا فلقد استطاعت هذه الشعوب رغم صغرها وفقرها وتخلفها الموروث من مئات سني القهــر والاستعمار ان تنمو وتقــاتل وتصمد أمام أخطر التحديات بفضل جهودها الذاتية الخلاقة ، ودعم الدول الاشتراكية الكبرى المتقدمــة التي قلبت ميزان القوى العالمية ، وحرمت الامبريالية من سيطرتهــا المطلقة في عصرنــا « عصر الثورات الاشتراكية والتحرريـــة الوطنية ، وعصر انهيار الامبريالية وتصفية النظام الاستعماري ، عصر انتقال مزيــد من الشعوب الى طريق الاشتراكية ، عصر انتصار الاشتراكية والشيوعية على المستوى العالمي » .

ولقد استخدم صابر ابو نضال خلال الدراسة العددية والنوعية للقوات المسلحة عددا من الجداول . ووصل الى عدد من الاستنتاجات ، ورد على العديد من الاسئلة التي كان على كتاب « حرب الايام الستة » أن يرد عليها . وتحدث منطلقــا من ايمانه بالجماهير وضرورة تسليحها . وحدد شروط هذا التسليح لشن حرب شعب في بلد نام بوجود تلاحم بين الشعب والحكام ووجود « حزب طليعي صادق بثوريته ، أو على الاقل بوجود ادراك وطني ثابت » . ولكنه لم يصل بالتحليل الى نهايته ، ولم يصل الى جميع الاستنتاجات المطلوبة . ولم يرد على كافة الاسئلة . وليس هناك سبب لهذا النقص باعتقادي سوى نقص الاعداد التقني للمؤلف . فهو مناضل ثوري يحمل حسا عسكريا سليما ، ولكنه لا يمتلك جميع جوانب القاعدة التقنية العلمية اللازمة لمثل هذا البحث الدقيق الذي يبتعد

ـ في الاسلوب ـ عن التكتيك والاستراتيجية والاستراتيجية العليا التي ينبغي على المناضلين الثوريين امتلاك نواصيها ، ولكنه يبقى مع ذلك قاعدة لها ووسيلة لتحليلها .

ويقدم صابر أبو نضال تحليلا للجدول رقم ٤ المذكور في ص ٣١ من كتابه ويتحدث عن النفقات العسكرية للجندي بالدولار . ويشير الى أن نفقات الجندي الاسرائيلي للتثقيف والتدريب تعادل ١٢٤ دولارا سنويا مقابل ٢١ دولارا للجندي المصري . ويعني هذا الامر أن الجيش الاسرائيلي يحاول تعويض النقص العددي (المحتوم) برفع المستوى النوعي التقني . ولكنه لا يصل هنا الى النتيجة المنطقية المنسجمة مع تسلسل أفكاره السابقة ، بل يقع في نفس خطأ الرغبة بالتسابق التقني مع المعسكر المعادي . ولقد كان عليه هنا أن يؤكد أن هذا التفوق التقني لا أهمية له الا في حالة المجابهة التقليدية في مكان وزمان يختارهما العدو (الامبريالي الصهيوني) وبالاسلوب الذي يحدده ويلائمه . ولكن الاستراتيجية السليمة هي حرمانه من هذه الميزة التي تمتع بها في حربي ١٩٥٦ و ١٩٦٧ **ومجابهته في مكان وزمان نختارهما ، وبأسلوب يقلل قيمة التفوق التقني الذي لا نملكه ويزيد قيمة التفوق العددي الذي نمتلكه ، والتفوق المعنوي الذي بوسعنا امتلاكه اذا** ما توفرت لنا عقيدة ثورية تعبىء الشعب للحرب الشعبية .

ولا يعني هذا تجاهل التقنية والاستخفاف بها . ولكنه يعني السعي الحثيث للوصول اليها ورفع مستوى القوات التقني الى ابعد حد ممكن ـ بمساعدة الدول الاشتراكية المتقدمة ـ مع معرفة حدود امكانات الشعوب المتخلفة في هذا السباق ، وحدود دعم الدول الصديقة خلاله . والاستفادة الى الحد الاقصى من التقنية التي يمكننا اكتسابها كعامل فعال لرفع مستوى حربنا الشعبية التي نختار زمانها ومكانها واسلوبها لنحرم العدو من المبادهة ، ونجرده من قسم كبير من تفوقه ، ونزيد حدة سلبياته ، ونقلل ايجابياته في الوقت الذي نرفع فيه مستوى ايجابياتنا ونخفف من حجم سلبياتنا .

ان العدو يعرف هذه القاعدة ويطبقها . فهو يقلل مدة المعركة ، ويجبرنا على المجابهة التقليدية القصيرة ، ويجرنا الى حقول المعارك التي يستطيع تفوقه فيها تقديم مردوده الاقصى ، فيقلل بذلك تأثير سلبياته ، ويستغل تأثيرات ايجابياته . ولا يكون الرد على ذلك بالسباق التقني [هذا لا يعني عدم التقدم التقني بأكبر سرعة ممكنة] . ولكن الرد كامن في استخدام الاسلوب الذي يطيل مدة المعركة ، ويزج فيها أكبر قسط من القوى المادية المسلحة بقوة معنوية متفوقة في زمان ومكان ملائمين .

ان نظرة واحدة على الجدول رقم ٥ الذي أورده المؤلف في الصفحة ٣٢ تساعدنا على اجراء مقارنتين هامتين هما :

المقارنة الاولى : الولايات المتحدة ونفقات الجندي السنوية فيها ٣٦٨ دولارا . والاتحاد السوفييتي ونفقات الجندي السنوية فيه ١٤٧ دولارا . فمن أين جاء هذا الفرق ؟ وهل هذا يعني أن الجندي الامريكي متفوق تقنيا على الجندي السوفييتي وأن اية مجابهة تقليدية بينهما ستكون لصالح الجندي الامريكي ؟ كلا . ولكن هذا يعني أن طبيعة الحياة الامريكية الاستهلاكية وما تحمله من تبديد وتبذير وانعدام الوعي الجماعي الاجتماعي ، وضعف الرقابة ، وتهالك الروابط بين الفرد والمؤسسة العسكرية تنعكس كلها على التدريب داخل الجيش بشكل يرفع المصروفات ، على حين أن طبيعة المجتمع السوفييتي المتقشفة ، ووعي الشعب وارتباطه بالنظام تمنع هذا التبديد وتقلل المصروفات . بالاضافة الى اعتماد الاتحاد السوفييتي على العامل المعنوي الايديولوجي لتعويض جزء كبير من النقص المادي (في حالة وجوده) .

المقارنة الثانية : الولايات المتحدة (٣٦٨ دولارا) وفيتنام الشمالية (٢٧ دولارا) . ان الفرق هنا يعادل ١٣ ضعفا ولكن هل أثر ذلك على نتائج المعارك التي تجابه فيها جنود

وطيارو فيتنام الشمالية مع جنود وطياري أغنى دول العالم ؟ ان نتائج المعارك البرية والجوية لا تؤكد ذلك . وهل كان علـى الفيتناميين الشماليين أن يتسابقوا تقنيا مـع الولايات المتحدة ؟ وهل كان بوسعهم ذلك لو ارادوا وهم يصرفـون ٢٥٪ من الانتـاج القومي على القوات المسلحة في الوقت الذي لا يصرف فيه الامريكيون غير ٩،٨ من الانتاج القومي ؟ (جدول رقم ٥ ص ٣٢) .

لقد رد الفيتناميون الشماليون على التحدي الامريكي باختيار الطريقة الملائمة للصراع . فليست الاستراتيجية الصحيحة هي التي **تتسابق** مع العدو في المجال الذي **يختاره** ولكنها « **اختيار الوسائل المتوفرة على أفضل شكل للوصول الى تحقيق الهدف** » . لهذا كـان رد الفيتناميين عبارة عن توسيع القاعدة المسلحة لتشمل الشعب كلـه ، وربط الشعب بالكفاح ضد القصف البحري والجوي ، ودعم المعنويات بعقيدة راسخة ووطنية صادقة، وقيادة الشعب رغم الصعاب بقيادة واعية منبثقة من الشعب وتعمـل **معه وله وبه** . بالاضافة الى السعي الحثيث لرفع المستوى التقني **ضمن حـدود الامكانات المتوفـرة الذاتية والخارجية** .

٣ ــ **الاستراتيجية العسكرية** : لعل أهم ما في دراسة صابر أبو نضال للخلفية الاجتماعية والاقتصادية هو انه انتقل بعدها من المبادىء والمعطيات الى التطبيق العملي على العلم العسكري . ودرس انعكاسات هذه الخلفية على الاستراتيجية عند الطرفين المتحاربين. وبين سبب تبني اسرائيل للحرب الصاعقة ، ونقل الحرب الى أرض العـدو ، وتوجيه الضربـة نحو مركز الثقل ... الخ في سبيـل تحقيق أهـداف السياسة الاسرائيليـة الديناميكية ، كما بين الاسباب الكامنة وراء تبني الجيوش العربية لاستراتيجيات دفاعية سلبية ما هي في الواقع سوى صورة للاستراتيجية السياسية الدفاعية .

ولقد كـان المؤلف خلال هـذا البحث دقيقا واسع الافق ، اعتمد عـلى مبادىء العلم العسكـري العالمي ، واستشهـد بكلاوزفيتز أكبر الكتـاب العسكريين الاستراتيجيين التقليديين ، وبكتابات مجلة « الاستراتيجية » الفرنسية ، ووصل الى استنتاجات على غايـة من الاهمية تتعلق بتشابه المجتمـع الصهيوني الاسرائيلي مع المجتمـع النازي والاستراتيجية التي تبناها هذا المجتمع « الاسبارطي » وسخرهـا لخدمة العدوان . ونادى بضرورة الرد على ذلـك باستراتيجيـة عربية واضحة مبنية عـلى « الوحدة العسكرية العربية ، واستعمال الامكانات العربية من أجـل حرب طويلة الامد ، وأخذ زمام المبادرة في المعارك (روح هجومية) » .

ولقد ألقى صابر أبو نضال وزر الخطأ كله على القيادة السياسية . وأكـد أن الموقف الدفاعـي والروح الدفاعية كانتا نتاج العقلية السياسية الدفاعيـة التي تسعى لدرء الخطر بدلا من مجابهته . ومحاولة حل الامور سياسيا أمام خصم مصمم على القتال بكل عنف .

والحقيقة أن هناك جدلية وتأثيرا متبادلا في عمل السياسي والعسكري . فعلى حين **يعد** السياسي الظرف الملائم للعمل العسكري ، يقـوم العسكري **بالعمل** ليقدم للسياسي **افضـل** الظـروف للوصول الى هـدف سياسة الدولـة ... ولا شك في أن عقليـة « تشامبرلان » التي سيطرت على السياسة العربية والتي نجم عنها عقلية «خط ماجينو» العسكرية هي اسوأ وضع يمكن به مجابهة عدو مصمم على اللجوء الى القانون الاعلى وهو **الحل الحاسم بقوة السلاح** « وعندما يستخدم العدو هذا السبيل فاننا نجد انفسنا مضطرين للسير على منواله . وعلى الطرف الذي يود استخدام طريقة أخرى أن يتأكد من أن خصمه لن يستخدم الحل الحاسم بقوة السلاح ، والا خسرت قضيته أمـام هذه المحكمة العليا » (كلاوزفيتز) .

لقد عانت أوروبا الغربية من عقلية « تشامبرلان » عندما حاولت هذه العقلية حل التناقض مع المجتمع النازي الديناميكي الراغب بالتوسع . ودفعت بلدان اوروبا الغربية وشعوبها ثمن هذه العقلية احتلالا ودمارا واذلالا . وانتقلت هذه العقلية الى السياسة العربية ، وشهدنا بداية آثارها المدمرة عند مجابهة المجتمع الصهيوني الديناميكي التوسعي العدواني منذ حرب ١٩٤٨ ، وفي فترة التحرشات الاسرائيلية على الحدود المصرية والسورية والاردنية في الفترة بين حرب ١٩٤٨ وحرب ١٩٥٦ ، وفي الفترة التي فصلت العدوان الثلاثي عن حرب ١٩٦٧ ، وفي حرب ١٩٦٧ نفسها ، ولا نزال نعيش هذه الآثار المدمرة حتى الان .

فمن أين جاءت هذه العقلية التي تشل القوة المسلحة العربية وتضعها دائما في معركة غير متكافئة وفي ظروف سيئة لا تحمل اي أمل بالنصر ؟ وهل حكم على العقل السياسي العربي أن يكون سلبيا **دائما** ، وأن يعكس سلبيته على العقل العسكري ، ويجعله عرضة **دائما** للمفاجأة ؟ ان شلل العقل السياسي العربي ناجم ولا شك عن أسباب متعددة تختلف باختلاف الفترات الزمنية وهي :

آ ــ الردع الامبريالي ، سواء أجاء هذا الردع من ارتباط هذا السياسي العربي أو ذاك بسياسة المعسكر الامبريالي ارتباطا مصيريا وعضويا ، أم جاء من الخضوع للغزو الفكري الامبريالي الذي يقنع هذا السياسي باستحالة مجابهة القوة الامبريالية التي لا تقهر ، أم نجم عن الرهبة امام فكرة مجابهة عسكرية مباشرة مع الدول الامبريالية التي ضمنت أمن اسرائيل منذ عام ١٩٥٢ ، وتعهدت بأن لا تسمح للعرب بتغيير حدودها ، والتي كانت تملك من قبل قواعد وقوات على أرض العرب ، وهي تملك الان قوات قريبة من المنطقة العربية ، وأساطيل تجوب شرقي البحر الابيض المتوسط ، مهددة بالتدخل عند الضرورة لتنفيذ تعهداتها ازاء الدولة الاسرائيلية . وينعكس هذا الردع على شكل **واقعية** ابو رقيبة وحسين او على شكل محاولة للحفاظ على « **الوضع الراهن** » وعدم التحرش بالعدو أو الرد على تحرشاته بضربات انتقامية . الامر الذي يخلق لدى المواطن والجندي احساسا دائما بالعجز ، يترسخ مع الزمن ليصبح قناعة بتفوق العدو الاسرائيلي ، ويكون مدخلا نفسيا لقبول مصالحته . وأخطر ما في هذا الامر أن السياسي يرفض الاعتراف بأنه خاضع للردع ، ويلجأ الى خداع الجماهير ، ويظهر التناقض بين قوله وفعله ، وبين آمال الجماهير التي يغذيها وقدرته على تحقيق هذه الآمال وقلبها الى حقائق . الامر الذي يؤدي الى الانقلابات والانتفاضات التي يشنها **من لا يعلمون** ضد من **يعملون** . وما ان ينتقل من **لا يعلمون** الى صفوف **العاملين** حتى يتعرضوا للردع نفسه . الا اذا كانوا يمثلون **طبقة ثورية** مقررة على شن المعركة وعدم الخضوع **للردع** رغم التحديات ، اعتمادا على قوى الشعب الزاخرة الواعية .

ب ــ العجز في مجال رؤية حقيقة الصراع . لقد كان الصراع العربي ــ الاسرائيلي منذ بدايته صراعا بين العرب والامبريالية . وسواء أكانت هذه الامبريالية متمثلة في المنطقة بفرنسا وبريطانيا (حتى عام ١٩٥٦) أو متمثلة بالولايات المتحدة (حتى يومنا هذا) فقد جابه العرب عدوهم في حروبهم الثلاث وحيدين ، على حين كان عدوهم الاسرائيلي ــ الامبريالي مشتركا بالمعركة في معسكر واحد **متلاحم عضويا** . وكانت الخسارة في كل مرة ناجمة عن عدم تكافؤ القوى .

ولم يع الكثير من السياسيين حتى الان انه لم يعد في عصرنا « عصر الصراع بين نظامين اجتماعيين سياسيين متعارضين » أي مجال للحروب بين بلدين دون أن يكون لذلك انعكاس على الصراع الاكبر البارد بين العملاقين الكبيرين : الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي اللذين أصبحا اليوم ثلاثة عمالقة بعد خلاف الصين الشعبية مع الاتحاد السوفييتي ، وبعد انضمامها الى « النادي الذري » . كما لم يع هؤلاء السياسيون أن

« الحروب المحدودة » [بكل معنى الكلمة] أمر اختفى في هذا العصر ، وأن « الحـــروب المحدودة » الحالية جزء من « الحـــرب الباردة » الكبرى ، وأسلوب من أساليب صراع الكبار عن طريق شخص ثالث لمنع المجابهة الذرية .

وينعكس هذا العجز في مجال رؤية حقيقة الصراع بمحاولة حصره داخل اطاره الاقليمي، في الوقت الذي يحاول العدو نقله الى المجال العالمي . وينجم عن ذلك **مجابهة كل القوة بجزء من القوة** . وينتصر **الكل** على **الجزء** في كل مرة . وتتحمل القوات المسلحة العربية والشعب العربي نتائج هذا العمى السياسي الذي لم يعد له ما يبرره بعد ثلاث حروب. لقد كانت الحرب الكورية ، والحرب الهندية ـــ الباكستانية والحرب الاهلية في اليونان (بعد الحرب العالمية الثانية) والحرب الاهلية في الكونغو مجابهة « محدودة » **ومحسوبة بدقة** بين الكبار ، وتحمل الحرب الفيتنامية الصفة نفسها . وسواء أردنا أم لم نرد فان الصراع العربي ـــ الاسرائيلي جزء من صراع الدول النامية المتحررة التي تدعمها الدول الاشتراكية ضد الدول العنصرية المدعومة من قبـــل الامبريالية العالمية . ولكن القصور الذاتي السياسي ، ونقص الاعداد الايديولوجي ، والتردد في مجال الارتباط والتعاون مع الدول الاشتراكية (وهو تردد ناجم عن واقع طبقي ، أو أفكار مسبقة غرسها الاستعمار في نفوسنا منذ أمد طويل) يجعلنا ندخل المعركة مع **نصف** حليف ضد عدو يعمل مع حليف **كامل** .

جـ ـــ عدم تناسب « هدف النزاع » لدى السياسيين العرب والسياسيين الاسرائيليين . ففي الوقت الـــذي يعمل فيه الاسرائيليون وكلهم ايمان بان « هـــدف النزاع » يتمثـــل بوجودهم أو عدم وجودهـــم ، فان الساسة العرب الذين يرددون كـــل يوم بأن الخطر الاسرائيلي كبير يشمل الوطن العربي كله ، لم يكونوا مقتنعين بأن هذا الخطر يشملهم فعلا . أو أنهم اعتقدوا بأنه لن يشملهم في المدى القريب على الاقل اذا ما لزموا السكون. ولقد زال هذا الوهم جزئيا الان . ولكن الدبلوماسية الامبريالية تحاول تغذيته من جديد. ومن المعروف ان اختلاف أهمية « هدف النزاع » في أي صراع يجعل الطرف الـــذي لا يعتبر هذا الهدف « حيويا » يتردد أمام تصرفات الطرف الاخر الذي يرى في هذا الهدف « وجوده » . ويؤدي التردد دائما الى مفاجأة **المتردد** أمام حزم **المصمم** على السير الى اخر الشوط .

د ـــ عدم تلاحم السياسيين مع جماهيرهم ، وعدم استعدادهم النفسي لرؤية دمار البلاد خلال القتال ، وعدم قناعتهم بالامكانيـــات الكامنة في الشعب وقدراتـــه على البناء بعد النصر . وايمانهم الاكيد بأن الشعب لا يثق بهم ولن يبقى ســائـــرا وراءهم مهما كـــانت المشقات . وهذا ما يجعلهم يحجمون ويترددون ويقولون : « لا نريد أن تنقلب بلادنا الى فيتنام » ولا نريد دمار ما بناه شعبنا بدمه وعرقه . ولكـــن الامبريالية المسيطرة علـــى مقدرات ثرواتنا متمسكة بهذه الثروات ومصممة للقتـــال مباشرة أو عن طريق اسرائيل للحفاظ على مواقعها ومكاسبها . ولا يمكن أن تتخلى عن هذه المواقع والمكاسب بمحض ارادتها . ولا يطردها من المنطقة سوى القوة . وهـــذا يعني اننا مضطرون لمجابهتهـــا مجابهة مسلحة اليوم أو غدا . ومن الطبيعي أن يؤدي هذا الصدام الى دمار جزء كبير من مدننا وقرانا ومصانعنا . ولكنه قدرنا التاريخي ، وضريبة لا بد لنا من أن ندفعها كما دفعتها الشعوب التي شاء القدر التاريخي أن تكون متخلفة ومستعمرة ، ثم هبت وجابهت قوى الامبريالية الجوية والبحرية والبرية في سبيل حريتها السياسية والاقتصادية . ان امامنا سبيلين فاما أن نثور ونكون فيتنام ، أو نخضع ونكون ايران ، وليس في عصرنـــا سبيل ثالث .

هـ ـــ النظرة الاقليمية للامور ، وتقديم المصالح الاقليمية المحدودة على المصالح القومية،

الامر الذي يضخم صورة العدو بالمقارنة مع صورة القوة الاقليمية - مع أن صورة العدو تبدو هزيلة أمام صورة القوة العربية المجتمعة تحت **لواء الوحدة** .

لقد أشار كتاب « ٥ حزيران » الى هذا القصور السياسي وان لم يبحث اسبابه التاريخية والاجتماعية ، ولكنه حلل بشكل جيد انعكاسه على شكل قصور عسكري تجسد في هزيمة حرب ١٩٦٧ . فلنر الان ماذا يقول كتاب « حرب الايام الستة » عن هذه النقطة الجوهرية الحساسة . انه لم يتطرق الى بحث الاستراتيجيتين الاسرائيلية والعربية الا بشكل سريع . فلقد ذكر في ص ١٩ وبسطور محدودة غير تحليلية شيئا عن الاستراتيجية الاسرائيلية ، ثم عاد في الصفحة ١٣٩ وكرس سطورا معدودة لهذا الموضوع الهام ، ثم توقف بشكل مفاجىء دون أن يربط الاستراتيجية العسكرية بالسياسة ، ودون أن يحدد انعكاسات احداهما على الاخرى . ثم وقع في خطأ أكبر عندما اخذ يبحث عوامل الاخطاء ، فتحدث عن جميع الاخطاء العسكرية من وجهة نظر تقنية بحتة ـ خطأ في التحركات ، خطأ في الحسابات ، اخفاء المعلومات عن القيادة السياسية ، خطأ في تقدير الموقف . . . الخ ـ دون أن يربط ذلك بالخطأ الاساسي الذي جلب القيادات الضعيفة الى مواقع لا تستحقها ، ولم يحسن اعداد القوى العسكرية اللازمة لتنفيذ هدف السياسة ، وعمد الى استخدام قوة صغيرة لتحقيق هدف كبير ، أو اختيار هدف كبير مع عدم وجود قوة كافية . . . الخ وهو ولا شك خطأ في مجال السياسة والاستراتيجية العليا ، التي وضعت القوات المسلحة في موقع تصرفت فيه بشكل خاطىء . وهكذا كانت الاخطاء العسكرية عبارة عن نتائج . وليس من المعقول البحث في **النتائج** دون العودة الى **الاسباب** التي لم يتعرض المؤلف لها الا في أماكن متفرقة من الكتاب ، وخاصة في معرض الحديث عن الاخطاء التي ارتكبت على الجبهة السورية ص ١٣٢ .

ويتطرق كتاب « ٥ حزيران » الى القتال على الخطوط الداخلية والخطوط الخارجية . وهما شكلان من اشكال القتال يستخدم العدو الاسرائيلي أولهما في قتاله البري والجوي ، على حين تستخدم القوات العربية الثاني . ولقد طرح المؤلف ولأول مرة في كتاب عربي القانون القديم الخاص بحساب القوى في حالة قوات تقاتل على خطوط داخلية وأخرى خارجية . وهو أن قوة الجيش المقاتل على خطوط داخلية تعادل مربع أفراده على حين تساوي قوة الجيوش المقاتلة على خطوط خارجية مجموع مربعات مركباتها لا مربع مجموع هذه المركبات . وهذا يعني أن القوة المقاتلة على خطوط داخلية تتمتع من البداية بميزة تفوقها على القوات المعادلة لها والمقاتلة على الخطوط الخارجية .

والحقيقة أن هذا المبدأ الحسابي المبسط لا يعطي صورة كاملة لمسألة القتال على الخطوط الداخلية والخارجية التي تتأثر بعوامل عديدة متداخلة سنتعرض لذكرها لان كتاب « ٥ حزيران » لم يشرحها بشكل واف ، كما لم يتعرض كتاب « حرب الايام الستة » لها الا بصورة عرضية تطبيقية شغلت حيزا يقل عن ربع الحيز الذي شغلته مسألة رصاصات الطائرة الاسرائيلية التي مزقت مقعد الملك حسين في قصره [!] رغم الاهمية البالغة التي تتمتع بها هذه المناورات في الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، وفي حرب حزيران ١٩٦٧ أو أية حرب مقبلة بين العرب واسرائيل بصورة خاصة .

تحيط الارض العربية باسرائيل من ثلاث جهات . وهذا واقع جغرافي يفرض على العرب استخدام القتال على خطوط خارجية . كما يفرض على اسرائيل القتال على خطوط داخلية . ويحمل كل وضع من هذين الوضعين امكانات سلبية وأخرى ايجابية ويتطلب اسلوبا معينا في اعداد المعركة وتنفيذها . ولا يمكن اعتبار احدهما نعمة والاخر نقمة . ولا بد من النظر اليهما بموضوعية ، والاستفادة من هذا الوضع أو ذاك **بناء على حجم القوى المستخدمة من قبل الطرفين المتنازعين وفاعليتها وقدرتها على المناورة والخرق ، لا بناء على عدد الجبهات ووضعها** ، لان خطوط الحركة الاستراتيجية لا تملك قيمة ذاتية

مؤثرة اذا لم نر معها **مجموع** القوى المتحركة عليها ، ولان قانـــون « الزمان والمكـــان والقوى » لا يعطي **للحركة** معناها الفعلي الا بناء على **وزن** الجسم المتحرك .

وتقدم المناورة على الخطوط الداخلية للجيش الواقـــع في مركز الحركة الميزات التالية : وحدة قيادة القوى الضاربة ، تزايد القوة في حالة الاضطرار الى الانسحاب نحو الداخل، قصر خطوط مواصلات القوات المشتبكة ، تحقيق مبدأ حشد القوى عن طريق جمع كبد القوات في زمان ومكـــان معينين لضرب أحد الخصوم وتحقيـــق التفوق عليه بعد تثبيت الجبهات الاخرى ، والاتجاه بعد ذلك لضرب الجبهات الاخرى بصورة متعاقبة .

ويحتاج استخدام الخطوط الداخلية ضد عدة خصوم لجيش جيد التدريب ، قادر علـــى القيام بحركات سريعة ، وتحقيق صدمة قوية تكفل حسم المعركة مع الخصم الاول بسرعة للانتقال بعد ذلك الى بقية الخصوم ، بالاضافـــة الى أرض تسهل الحركة بين مختلـــف الجبهات ، وتستند الى حدود ومواقع طبيعية قوية تساعـــد على الدفاع بأقل عدد من القوات ريثما يتسنى تحقيق الحشد ضد الخصم الاول . فاذا ما تحققت كل هذه الشروط كانت الخطوط الداخلية نعمة والا اثر ذلك تأثيرا سلبيا على سير الحرب .

وللمناورة على الخطوط الخارجية ميزاتهـــا أيضا وهي : القـــدرة على ضرب العدو من الجانب والخلف بأحد مراكز القوى عندما يكون مشغولا بالقتال ضد مركز آخر ، نقـــل المعركة والتدمير الى بلاد العدو ، الشعور المعنوي الذي يتمتع به المهاجم خاصة وان التقدم يتم نحو العدو من كل جانب . وتفقد هذه المزايا أهميتها اذا انفرد الخصم بالقوى متفرقة ، وتمكن من ايقاف واحدة وضرب الاخرى . أو اذا كان التقدم غير متناسق لعدم وجود قيادة موحدة فعالة .

وتكمن أهمية هذا الشرح النظري في رؤية مدى **انطباق** العمليات الاسرائيلية في حـــرب حزيران ١٩٦٧ على الاسس المحددة . أي مـــدى فهم القيادة الاسرائيلية للواقع الذي فرض عليها ، ومدى استعدادها لتأمين متطلباته والافادة من ايجابياته وانقاص سلبياته الى الحد الاقصى (قوات آلية محمولة ــ سرعة في الحركـــة ــ الدفاع أمـــام الجبهة السورية والاردنية خـــلال ضرب القوة المصرية ، الاستنـــاد الى مستعمرات دفاعية ، تحقيق الحسم مـــع القوة الرئيسية بسرعة ... الخ) . كمـــا انها تكمن في رؤية مدى **عدم انطباق** العمليات العربية على الاسس المعروفة (عـــدم ضرب العدو عند انشغاله على الجبهة المصرية ، عدم وجود وحدة قيادة او تنسيق في العمليات البرية والجوية ، عدم وجود قوة مدرعة ومحمولة جوا قادرة على الخرق بسرعة قبل انتهاء الحسم) .

والاخطر من ذلك ، أن الوضع الجديد الذي ظهر بعد حرب حزيران ١٩٦٧ والذي زاد اتساع الارض المحتلة وباعد بين الجبهات (وهذه سلبيـــات بالنسبة لقوات العدو) قد منح هذه القوات عوامل ايجابية تتمثل في الاستناد الى حاجزين كبيرين هما قناة السويس ونهر الاردن بشكل يؤمن الدفاع بقوة محدودة لتحقيق الحشد عـــلى الجبهة السورية مثلا . بالاضافة الى أن اسرائيل تمكنت من اخراج الاردن من المعركة بأسلوب سياسي ــ دبلوماسي ، وعززت قدرتها الحركية برفع كفاءة قواتها الجوية ، وزيادة حجم القوات المحمولة بالهليكوبتر والآليات .

فهل فعل العرب ما في وسعهم لتقليل سلبيات الوضع الجديد ، وزيادة ايجابياته ، (قيادة موحدة ، زيادة وحدات العبور ، رفع كفاءة القوات الضاربة الجويـــة والمدرعة) ؟ ان هذا ما ستثبته الحرب العربية ــ الاسرائيلية الرابعة .

ويظن البعض ان الجيش المقاتل على الخطوط الداخلية يسعى دائما وقبل كل شيء الى ضرب أقوى خصومه ثم يلتفت الى الخصوم الاخرين . ولكن هذا أمر لا يتسم بالصحة ، اذ قد يلجأ هذا الجيش الى ضرب أقوى خصومه متبعا اسلوب « قصـــم الظهر » وذلك

عندما يكون **متأكدا** من قدرته على حسم المعركة معه بسرعة بفضل المفاجأة بتكتيك معين أو سلاح معين او لاي سبب آخر . وعندها يصبح سقوط الخصوم الباقين أمرا منتظرا وآليا (حرب ١٩٦٧) ولكن اذا احس هذا الجيش بأنه **عاجز** عن مفاجأة الخصم الاقوى وحسم المعركة معه **بسرعة** قبل تدخل الخصوم الآخرين لجأ الى الدفاع امام الجبهة الرئيسية ، وضرب الخصم الاضعف بأسلوب « ضرب البطن الرخو » ويحسم بذلك المعركة بسرعة على الجبهة الثانوية وتكون ضربته هذه ضربة مباشرة للخصم الاضعف مع انها ضربة « غير مباشرة » للخصم الاقوى يتبعها بضربة مباشرة لهذا الخصم ، أو يكتفي بحشد القوى أمامه ومساومته على أرض أو اسرى او اية مكاسب اخرى كسبها من حليفه ليفرض عليه شروطه السياسية دون أن يكون قد اشتبك معه (وهذا احتمال هام في الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة ، واعتبار الجيش العربي السوري جزءا عضويا من جيش دولة الاتحاد لا مجرد حليف لجيش جمهورية مصر العربية) .

٤ ـ **سير المعركة البرية** : بالرغم من أن مؤلف « ٥ حزيران » مناضل مدني ، وبالرغم من ان مؤلف « حرب الايام الستة » كاتب عسكري محترف فقد جاء وصف الحركات العسكرية في الكتاب الاول أشمل وأدق مما جاء في الكتاب الثاني . والادهى من ذلك أن العميد الاحدب لم يتضمن ـ على عكس كتاب صابر أبو نضال ـ شرح التشكيلات القتالية التي أخذتها الجيوش العربية قبل المعركة . واذا كان من المبرر أن لا يقدم صابر أبو نضال تحليلا لمهمات هذه القوات ، وملاءمة حجمها مع عرض الجبهات المكلفة بالدفاع عنها (اذا كان يرى أن الخطة دفاعية) أو الهجوم عليها (في حالة وجود خطة هجومية) ، ونسبة قوات النسق الثاني الى قوات النسق الاول ، وكفاية هذه النسبة للحصول على دفاع ديناميكي قادر على شن الهجمات المعاكسة على مستوى التكتيك والعمليات ، وميزان القوى العددي في المشاة والمدرعات والمدفعية والمدافع المضادة للدبابات ، وانتشار هذه المدافع على الجبهة وفي العمق وكفايتها أو عدم كفايتها لايقاف الهجمات المدرعة المحتملة ، وقدرة مدفعية الميدان وامكانياتها على عمل السدود الثابتة أو المتحركة ، ومفارز السدود المتحركة الهندسية ومواقع تمركزها ودورها مع القوات الاحتياطية المضادة للدبابات خلال المعركة (وهذا أمر على غاية الاهمية في حرب الصحراء) فان من غير المبرر أن يتجاهل العميد مؤلف « حرب الايام الستة » هذه النقاط التي تدخل في صلب اختصاصه العسكري ، ما دام لا يود التطرق الى اعماق المسائل السياسية . أما الخطة التي يقترحها والخاصة بالعمليات البرية ، والقائلة بعدم دفع القوات الى الحدود المصرية ـ الاسرائيلية و « تكليف هذه القوات بمسك المرتفعات التي تحيط بقناة السويس من الشرق ووضع دوريات آلية خفيفة للاستطلاع على الحدود الاسرائيلية العربية » (ص ١٤٩) فهي خطة عسكرية بحتة ، قد تكون صالحة لغرضية عسكرية ـ سياسية اخرى ولكنها تتجاهل الوضع الملموس في حزيران ١٩٦٧ ، وتتجاهل الهدف السياسي الاستراتيجي (الخنق الاستراتيجي واغلاق مضيق تيران) اذ كيف تستطيع القوات المنتشرة على القناة اغلاق المضيق ومنع الملاحة في خليج العقبة الا اذا كان هذا المنع سيتم بحرا ؟ وهل كانت هناك خطة للخنق البحري ؟ ان خطط العمليات لا تنفصل عن الخطة العامة ولا تخدم الا هدفا واحدا هو الهدف السياسي .

ولقد تجاهل الكتابان ـ بنسبة متفاوتة ـ قطاع غزة الذي كان يشكل بروزا عميقا في الجبهة العربية ـ الاسرائيلية والاحتمالات التي كان من الممكن أن يقدمها هذا القطاع في حالة الاستفادة منه كمنطلق للهجوم نحو اسرائيل . والدور الذي كان على الجيش الفلسطيني المتمركز في داخله أن يلعبه في حالة الدفاع ، ومدى اعداد القطاع ليلعب دور (طبرق) في حالة انسحاب الجيش المصري بشكل جزئي .

وبالرغم من الجهد الواضح في شرح المعارك البرية فقد نقل مؤلف كتاب « ٥ حزيران »

بعض الاخطاء التي شاعت في فترة ما بعد الحرب ، ومنها :

أ) ـــ «ومنذ بدء الاشتباكات كان بوسع المصريين اشراك المدرعات في المعركة وفوق أرض العدو ، وبالتالي تحاشي التدمير الكامل . وعندما يقترب الجيشان عند الاشتباك يجد طيران العدو صعوبة في التدخل ، فيبطل دعمه » (الصفحة ٨٢) . وقد يصح هذا القول بالنسبة للمشاة التي يتعذر على الطيران دعمها عندما تشتبك مع مشاة العدو . كما انه كان يصح بالنسبة لاساليب « **الدعم المباشر** » الذي كانت تمارسه الطائرات قبل حرب كوريا (١٩٥٠ ـــ ١٩٥٣) ولكن القوات الامريكية ابتدعت في نهاية الحرب الكورية اسلوبا حديثا « **للدعم القريب** » قادرا على تقديم الدعم للقوات المتلاحمة مع العدو . وزاد من أهمية هذا الاسلوب وفاعليته زيادة كفاءة الاتصالات بين القوات البرية والجوية . وبالاضافة الى ذلك فان من المعروف أن الطائرات الاسرائيلية كانت تنقض على الدبابات العربية في سيناء وتقصفها بالصواريخ من مسافة قريبة جدا وبدقة متناهية . ومهما يكن من امر ، وحتى لو صح هذا القول فانه يصح بالنسبة للانساق الاولى ، أما الانساق الثانية فيمكن ضربها لبعدها عن خط الاشتباك ، كما يمكن تدمير الانساق الاولى عن طريق تدمير قوافل مواصلاتها وتموينها ، او عن طريق قطع التماس معها والانسحاب امامها وجذبها الى حيث يمكن ضربها من الجو .

ب) ـــ « أضف الى ذلك ، انه لو تم تدمير عدد كبير من المدرعات المعادية لتمكنت بقية الجبهات العربية من شن هجومها » (الصفحة ٨٢) . ولكن عن أي هجوم يتحدث الكاتب ؟ وهل كانت الجبهات العربية تنوي الهجوم ؟ ان تحليله لا يشير الى ذلك بل يناقضه .

جـ) ـــ « ان هذا المخطط يبرهن على وجود تطور حقيقي في التكتيك الصهيوني : لبناء مجموعات تكتيكية تتوافق مع كل مهمة ، وتعم فيها الآلة ، متمرسة بالمناورات السريعة بمؤازرة الطيران . ولن نصبح أبدا يوما من الايام قادرين على الحاق الهزيمة بالعدو ، ما لم نطبق نفس هذا المبدأ وبأساليب اقوى » (الصفحة ٩١) . ولكن « المجموعات التكتيكية التي تعم فيها الآلة . . . الخ » أمر معروف منذ الحرب العالمية الثانية . وليست تكتيكا صهيونيا كما يقول المؤلف . ولقد عمد الغربيون الى استخدام هذا الاسلوب لخلق «مجموعات مؤقتة» تضم قوات مختلف الصنوف التي تؤخذ من قطعات المشاة والمدرعات والمدفعية والمهندسين بحجوم متباينة ونسب تختلف باختلاف المهمة ، وتقاتل حتى تحقيق المهمة المحددة ، ثم يعود كل صنف الى قطعاته الاصلية . وتستخدم الجيوش العربية ذات العقيدة الشرقية ، والعاملة وفق نظام الاولوية بهذا الشكل منذ بداية الستينات . فاللواء السوري مثلا : وحدة من مختلف الصنوف (مشاة ، مدرعات ، مدفعية ، مهندسين . . . الخ) وهو يمتاز عن المجموعة القتالية بأن مختلف الصنوف موجودة فيه بصورة عضوية بشكل يؤمن التفاهم والتلاؤم خلال التدريب والقتال .

د) ـــ يذكر المؤلف أن القوات الاسرائيلية التفت حول تحصينات الجولان عبر الاراضي اللبنانية والاراضي الاردنية (الصفحتان ١١١ و ١١٣ والمخطط في الصفحة ١٠٨) ولكن هذه الحركة لم تتم اطلاقا . وليس هناك وثيقة واحدة تثبت وقوعها . وان كانت قد خططت من قبل فان خرق الجبهة السورية جعلها غير ضرورية . كما ان اتجاه الخرق المذكور على المخطط (ص ١٠٨) والذي يجتاز الاراضي الاردنية يمر عبر منطقة وعرة ، ويجتاز وادي اليرموك السحيق [!]

٥ ـــ **العمليات الجوية** : عرفت القوات الجوية خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها تطورا كبيرا . وبدأ الكثيرون يفكرون بأنها لم تعد سلاح دعم للقوات البرية بل غدت سلاحا مستقلا قادرا على تنفيذ مهماته الاستراتيجية بكل فاعلية . وعاد المنظرون

العسكريون الى دراسة نظرية الجنرال الايطالي دوهي التي اكدت السيطرة الجوية . وقدرة الطيران وحده على حسم المعركة ، والتي كانت قد اختفت منذ الحرب العالمية الثانية .

ومن المؤكد ان الطيران لم يثبت في الحرب العالمية الثانية والحروب التي تلتها (الحرب الكورية ، والحرب الفيتنامية ، والحرب الجزائرية ، وحرب السويس ١٩٥٦) قدرته على الحسم الكامل .

وبالرغم من تطور السلاح الجوي في الستينات . وظهور طائرات سريعة بعيدة المدى تحمل كميات كبيرة من القذائف والصواريخ فقد بقيت الجيوش كلها تعتبره قوة اساسية ولكنها غير كافية للحسم . حتى جاءت حرب حزيران ١٩٦٧ فكانت أول تطبيق ناجح تماما لنظرية دوهي . وكان من أسباب هذا النجاح الامور التالية :

١ ـــ استخدام الطيران بكثافة وبكل قوة منذ الضربة المفاجأة الاولى دون ترك طيران لحماية المطارات . ولم يكن بوسع الاسرائيليين اللجوء الى هذا التدبير لولا تأكدهم من بطء رد فعل الطيران العربي (في مصر وسوريا والاردن والعراق) واطمئنانهم لوجود ٥٨ قاعدة جوية في اسرائيل منها عدد من القواعد واراضي الهبوط السرية . ووجود طيران الاسطول السابع (٢٠٠ طائرة) كمظلة احتياطية عند اللزوم .

٢ ـــ الافادة من المعلومات الدقيقة الى أبعد مدى .

٣ ـــ الافادة من اخطاء حرب ١٩٥٦ ، وعدم اجراء القصف من ارتفاعات عالية . فلقد استخدمت قوات العدوان الثلاثي طائرات « فاليانت » و « كامبيرا » في قصف مطارات القاهرة في ليل ٣١ تشرين الاول ـــ ١ تشرين الثاني ١٩٥٦ من ارتفاع ١٤ الف متر . ثم كررت القصف في يوم ١ تشرين الثاني وليلة ١ ـــ ٢ ونهار ٢ فتأكد لها عدم فاعلية القصف الليلي والقصف من ارتفاعات عالية . وارتفاع فاعلية الهجمات النهارية بالقاذفات المطاردة . لهذا استخدمت اسرائيل طيرانها في عام ١٩٦٧ نهارا لقصف المطارات والمدارج من ارتفاعات منخفضة ، مع استخدام قنابل واجهزة فنية حديثة زادت فاعلية القصف .

٤ ـــ الافادة من تجربة الحرب الكورية لضرب الطائرات وهي جاثمة في المطارات نظرا لانها أرخص الاساليب وأسهلها واكثرها فاعلية في تدمير سلاح الطيران المعادي . ونظرا لان تدمير الطائرات خلال القتال الجوي محدود جدا . وتقول الاحصائيات الأمريكية أن القوات الجوية الامريكية خسرت خلال سنتين من الحرب الكورية (وهي أحدث حرب تقليدية بعد الحرب العالمية الثانية) ٥٥٩ طائرة ، سقط منها ٦٩ طائرة فقط خلال الاشتباكات الجوية مقابل ٤٣٤ طائرة اسقطتها المدفعية المضادة و ٥٦ طائرة سقطت لاسباب أخرى . لهذا ركزت اسرائيل خطتها على ضرب الطائرات في المطارات .

٥ ـــ استخدام الطائرات في عملية « قصف القوى » لا في عملية « قصف المدن » أو « قصف الاهداف الاستراتيجية » كطرق المواصلات والجسور والمصانع ... الخ .

فلقد كان الرأي السائد خلال الحرب العالمية الثانية أن القصف الاستراتيجي وقصف المدن قادر على شل العدو وتحطيم معنوياته وقواه المادية . ولكن فشل قصف المدن الالمانية ، والمدن الكورية ، والمدن الفيتنامية في اخضاع الشعوب المقاتلة ، وفشل القصف الاستراتيجي الذي قام به الامريكيون في المانيا وكوريا وفيتنام الشمالية قلب المفاهيم السابقة ، وجعل الطيران يحدد لنفسه مهمة أولى هي تدمير القوى . ولقد لجأ الاسرائيليون لهذا الاسلوب فدمروا القوة الجوية والمدفعية المضادة والمطارات والقوات المدرعة وقوات المشاة حسب تسلسل الافضليات . فوضعوا القوة المسلحة خارج

القتال ، وجردوا العرب من درعهم المسلح ، وحققوا هدف الحرب وهو « نزع سلاح الخصم » (كلاوزفيتز) . واعتقدوا بأنه لم يبق عليهم سوى اقتطاف ثمرة النصر .

٦ ــ التدريب المتواصل الدؤوب .

٧ ــ الافادة من تطبيق نظرية دوهي على افضل أرض لتطبيق هذه النظرية (الصحراء) وفي افضل ظروف الرؤيا (الصيف) .

٦ ــ **اغلاق مضيق تيران** : لم نتطرق لهذا الموضوع الهام في هــده الدراسة ، لاننــا سنفرد له ولموضوعة « الخنق الاستراتيجي » دراسة خاصة لاحقة .

هذه مقارنة لاهم الافكار الواردة في كتابين عربيين ظهرا حول حرب حزيران ١٩٦٧ . ولا تعتبر هذه المقارنة دراسة كاملة للكتابين وتحليلا أو نقدا لكل ما جاء فيهما مــن افكار . ولا اعتقد أن ما جاء في هذين الكتابين من نواقص يفقدهما قيمتهما كمحاولتين عربيتين لاستخلاص الدروس والعبر وسط جو القهر الفكري الذي ما زال سائدا . ولكن حبذا لو حللتفيهما ارقام الخسائر العربية .وحبذا لو درست مدة مقاومة القطعاتالكبرى (الفرق والالوية) على جميع الجبهات وتطبيق قوانين خسائر الطرفين وحجم القطعات المشتبكة ومدة الاشتباك قبل استخلاص دروس حقيقية حول عنف القتال البري . وحبذا لو كان فيهما مزيد من الحقائق المجهولة . وحبذا لو قلل مؤلف كتاب « حــرب الايــام الستة » من تعابير مثل « يقال » (ص ١٨) ، و « قيل » (ص ٢٨) ، و « زعم » (ص ٢٨)، و « احتمالا » (ص ٤٤) ، و « لعل » (ص ١٤٠) ... الخ خاصــة وأنه قد وضع على غلاف كتابه عنوانا صغيرا هو **حقائق وعبر** .

ابراهيم العابــد

مدخل الى الاستراتيجية الاسرائيلية

منشورات مركز الابحاث التابع لــ م. ت. ف. (بيروت)

١١٥ صفحة   ٢ ل.ل.

السينما والقضية الفلسطينية

ندوة
ادارها وحررها : هاني حوراني

عقدت الندوة في جلستين منفصلتين .

اشترك في الجلسة الاولى :

وليد شميط ، ناقد وصحافي سينمائي ، مساعد مخرج ومدير انتاج .
قاسم حول ، اخرج فيلمين فلسطينيين ومثل في فيلم ثالث .
مصطفى ابو علي ، اخرج فيلمين فلسطينيين ويخرج حاليا فيلما ثالثا .
ابراهيم زاير ، مساعد مخرج ، رسام وناقد ومحرر ثقافي .

اشترك في الجلسة الثانية :

كريستيان غازي ، اخرج ثلاثة افلام فلسطينية .
قيس الزبيدي ، اخرج فيلمين ويخرج حاليا فيلمين ، وأسهم في كتابة وتصوير ومونتاج عدة افلام.
فيصل الياسري ، مخرج سينمائي وتلفزيوني ومسرحي ، وصحافي وناقد ومؤلف سينمائي .
عمر اميرالاي ، مخرج انتج فيلما وثائقيا وينتج حاليا فيلما وثائقيا آخر .

(١) الجلسة الاولى : نحو سينما فلسطينية

نرغب في بداية هذه الندوة ان نتطرق الى مسالة « السينما الفلسطينية » ، هل يمكن لنا ان نقول ان هناك سينما فلسطينية في الوقت الراهن ، واذا لم يكن هناك ، ما هي طبيعة الافلام التي انتجت حاليا حول القضية ، وهل يمكن اعتبارها مدخلا لسينما فلسطينية .

وليد شميط : السينما الفلسطينية لم توجد حتى الان فعلا وعلى نطاق ملموس ، والمطلوب ان نوجد هذه السينما الفلسطينية . ومن باب اولي ان نطرح لماذا ينبغي خلق هذه السينما وما هي هيئتها العامة ؟ ومن وجهة نظري الشخصية ، لا يمكن الحديث عن سينما فلسطينية بدون الحديث عن السينما السياسية . والتي أراها مندرجة تحت اربعة اقسام أساسية . أولها سينما الموقف الاجتماعي ، والتي تطرح من وجهة سياسية ، وثانيا السينما التي تأخذ موضوعا سياسيا وتتحدث عنه ، والشكل الثالث للسينما السياسية هو الفيلم النضالي ، الذي من غاياته المشاركة في الثورة والتحريض والتعرية . اما الشكل الرابع فهو الفيلم الثوري ، الذي هو ثوري شكلا ومضمونا . من هذه الاشكال الاربعة نريد ان نتعرف على الشكل المناسب للسينما الفلسطينية ،

وانا ارى ان اول ما ينبغي البدء به هو الفيلم النضالي ، الذي يعتمد اساسا على الشكل التسجيلي . فاذا ما حدث تحرك نضالي تقوم السينما بتسجيله والتعريف به والاعلام عنه كخطوة اولى لسينما فلسطينية على طريق الولادة في المستقبل . فالهدف الان هو خلق سينما فلسطينية ليست موجودة عمليا وواقعيا ، ان تحقيق هذا الهدف يتطلب البدء بما اسميته السينما النضالية التي لها شروطها ، ومنها ان يكون العاملون فيها ذوي خلفية ايديولوجية تمكنهم من تسجيل انشطة الثورة وفعالياتها، وحتى بأن يمارسوا مواقف نقدية لجوانبها المتعددة ، بالاضافة الى لعب دور دعائي واعلامي ازاءها . ويقول جودار بهذا الصدد : اذا كان الثوار هم صانعو الثورة ، فهم ايضا من يصنعون الاشرطة السينمائية ويتحدثون عن الثورة بواسطة الكاميرا ، التي يرى فيها سلاحا يوازي البندقية . بالاضافة الى ما مر ، تعتمد السينما النضالية على تكوينات وتجمعات صغيرة من السينمائيين وتتوجه الى جمهور شعبي ، وجمهور من المناضلين انفسهم .

قاسم حول : اريد ان اعود الى السؤال الذي طرح ، ما هي السينما الفلسطينية . حتى الان لا يوجد ما يمكن ان نسميه سينما فلسطينية ، كل ما هناك ملامح عامة وبضعة اعمال سينمائية متناثرة لا تملك الديمومة ولا تملك المميزات الخاصة . هناك نوعان من الافلام التي انتجت حول القضية ، الاول انتجته الدول العربية الرسمية عن القضية . وهذه هل يمكن اعتبارها افلاما فلسطينية ؟ من وجهة نظري لا اعتقد ذلك ، لا سيما وانها تنتج ضمن مؤسسات انظمة برجوازية ، والتي اذا ارادت ان تتناول القضية ، فهي تتناولها من وجهة نظر مجاملة وخجلة او كتغطية لتصورها في دعم القضية بالشكل الكافي . فالسينما الفلسطينية كما أراها ينبغي ان تنطلق من ارضية الثورة الفلسطينية نفسها ، من منطلق تسجيلي . لهذا من الصعب ان نستفيد من تجارب الشعوب الاخرى والاقطار المتخلفة ، لانها غالبا لها تشكيلات من الانظمة — مهما كانت — ولديها استديوهات وامكانات فنية بالاضافة الى ما لديها من مؤسسات رسمية . ان غالبية الشعب الفلسطيني خارج ارضه ويقاتل عبر مناطق متناثرة. لذلك ارى ان تبدأ السينما الفلسطينية من الشباب الفلسطينيين السينمائيين، ومن اولئك الذين يؤمنون بالثورة الفلسطينية حقا وفعلا ويناضلون داخلها عبر تجمع سينمائي ينطلق من سينما تسجيلية .

ابراهيم زاير : ارى ان طرح موضوع خلق سينما فلسطينية تحمل ملامح وطنية كالسينما الجزائرية او السينما الفرنسية مثلا هو طرح خاطىء . ان القضية الفلسطينية ليست محددة في نطاق موضوع وطني معين ، بل هي تبحث من خلال الثورة المسلحة ، ومن خلال قضية شعب مارس الكفاح المسلح لتحقيق وجوده وللرد على التحدي الاسرائيلي بشريا وحضاريا ، لهذا فان السينما ينبغي ان تأخذ هذه المسائل باعتبارها وتلك التي ترتبت عليها من نزوح جماهير الشعب الفلسطيني الى اقطار عربية اخرى ، وعلاقته بالشعوب العربية نفسها وعلاقة تطاعات هذا الشعب بالقطاعات المماثلة في المجتمعات العربية الاخرى (علاقة البرجوازية الفلسطينية بالبرجوازية العربية، علاقة البروليتاريا الفلسطينية بالبروليتاريا العربية) ، وذلك اذا صح ان نتوصل الى مثل هذا التقسيم . والسينما يجب ان تنطلق من واقع الثورة الفلسطينية والشعب الفلسطيني وواقع النضال الفلسطيني . فلا يمكن ان نفصل واقع نضال عمال فلسطين عن واقع العمال العرب ، ولا يمكن الفصل بين الفكر السياسي في الثورة الفلسطينية والفكر السياسي السائد في المنطقة العربية والممثل في الاحزاب والتجمعات السياسية العربية .

وهناك مسألة أخرى هي نظرتنا للكفاح المسلح كحل لهذا التحدي وللعدوان الامبريالي ضد شعب فلسطين ، وضد شعوب وحركات التحرر الوطني . كيف ننظر لاثر الكفاح المسلح على الشعب الفلسطيني وعلى الشعب العربي ، واثره على التطورات السياسية وغيرها مما يكون الحركة الجدلية للواقع الموجود . هذه المسائل هي ما ينبغي ان تعنى بها السينما الفلسطينية ، والسينما العربية الثورية عبر تجمعات سينمائية ، تعمل عبر طاقم يصور الافلام ويعمل مونتاجها ويقوم بكافة المسائل التكنيكية . والمهم ان يعتمد على الواقع وحركة الواقع اساسا ، وان ينتقد الواقع ويكشفه ، ويظهر النواحي السلبية فيه ، ويوضح الامكانات الايجابية المنتظرة منه في تطوير النضال ووسائله ، ويرصد حركة المجتمع في المخيمات ،

او في القواعد العسكرية او في مستوى حركة العمال الفلسطينيين والعمال العرب ، وفي توضيح العلاقة الايديولوجية المترابطة بين الثورة الفلسطينية وحركة التحرر الوطني العربي .

تبقى مسألة اخرى هي البحث عن امكانيات العمل التكنيكية والفنية . ومن المنتظر ان تواجهنا صعوبات منها عدم توفر امكانات تكنيكية تساند العمل الجماعي الذي يمكن ان تقوم به الطواقم السينمائية الشابة ، وبنفس الوقت ينبغي ان نبحث في ان امكانيات العمل التقنية تستغرق الكثير من الاموال والجهد . وهي حسابات صناعة السينما التي يجب ان نأخذها باعتبارنا ولها مصاعب ينبغي تذليلها ، ويجب على هذه التجمعات ، مهما اختلفت داخلها الاراء ان تتفق وتتضامن لتذليل هذه المصاعب .

مصطفى ابو علي : ردد الزميلان قاسم ووليد ان السينما الفلسطينية غير موجودة . انا لا اتفق معهما في ذلك . لانها موجودة فعلا . واذكر العديد من الافلام منها « النهر البارد » و« بالروح والدم » وفيلم جودار الذي هو في نطاق التنفيذ . وهناك أفلام كثيرة اخرى . اي ان السينما الفلسطينية موجودة لكن ربما لا تكون معروفة بعد . وهناك فرق بين ان تكون غير موجودة ، وموجودة لكنها غير معروفة . هذه تثير نقطة اخرى طرحها الاخ قاسم. هل السينما الفلسطينية هي التي يصنعها فلسطينيون بالضرورة ، ام هي السينما الملتزمة بالقضية الفلسطينية، ورأيي انالسينما الفلسطينية هي تلك التي تلتزم بالقضية الفلسطينية ، وليست تلك التي يصنعها فلسطيني المولد . المسألة هي انتماء ايديولوجي ، وليست انتماء وطنيا او بالجنسية .

قاسم حول : ارغب في توضيح نقطة . انا لم اقل انها غير موجودة اطلاقا . اوضحت انها موجودة في بدايتها . ولكن من خلال انتاج الكثير من الافلام الفلسطينية ، لا بد ان تتوضح بالضرورة ملامح هذه السينما . بعض الاعمال السينمائية الفلسطينية التي انتجت والتي اشرت اليها لم تتناول بعد جوانب القضية الفلسطينية المختلفة . فمثلا لا توجد افلام يمكن ان نقول انها تمثل الكفاح المسلح ومشروعية الكفاح المسلح للشعب الفلسطيني ، هناك الجوانب الطبقية ، والانسانية، والتاريخية لم تتناولها الافلام الفلسطينية . هناك بداية للسينما الفلسطينية ، لكن حتى الان غير واضحة الملامح وقد اوردت ان السينما الفلسطينية لا تمثلها الافلام التي انتجت في نطاق الانظمة العربية، وانما يمثلها الشباب الملتزمون ايديولوجيا بالقضية الفلسطينية .

أرى ان هناك اقتناعا بان السينما الفلسطينية غير موجودة بعد وانما هناك بدايات . لكن القناعة واردة بضرورة وجود سينما فلسطينية . هل يمكننا ان نحدد الاهداف المرجوة من السينما الفلسطينية؟

وليد شميط : أرى شخصيا ان هناك ثلاثة جوانب يجب ان يتوجه لها السينمائيون في تناولهم للقضية الفلسطينية ، في الجانب الاول مخاطبة الفلسطينيين انفسهم ، وثانيا مخاطبة العرب عموما ، وثالثا مخاطبة العالم سينمائيا . وبالنسبة للتوجه الاول ، الفلسطينيون هم الاقدر على طرح مشكلتهم ، وهذا واقع لا تمليه العواطف . من الممكن ان يطرح اي سينمائي فلسطيني القضية بشكل افضل من « جودار » مثلا ، و« جودار » يقول نفس الشيء . أن يحكي السينمائي الفلسطيني عن قضيته ، يعني ان يواجه كل التحديات التي تواجهها قضيته . اما من ناحية ثانية ، فان مخاطبة السينما الفلسطينية للعرب تعني انه مطالب بتعرية المواقف الرسمية لعدد كبير من الانظمة العربية ، والتي تضمنت تنازلات قدمتها على صعيد القضية ، وثانيا تهيىء الجماهير العربية بطريقة علمية ومدروسة لفهم الواقع الفلسطيني ضمن الواقع العربي ، وعلاقة القضية الفلسطينية بالانسان العربي وبالعالم العربي والشعب العربي ككل . كذلك تناقضات الساحة العربية والتي تؤثر على القضية بشكل مباشر او غير مباشر . وبصدد التوجه نحو العالم ، فانها بنظري من اصعب المهمات. فمخاطبة العالم تتطلب لغة غير التي تستعمل على المستوى الفلسطيني والعربي ، اذ يسعى السينمائي الى تحقيق عدد من الاهداف ، اولها اقناع العالم ان الثورة الفلسطينية هي من ضمن ثورات التحرر العالمية ، واقناع العالم بحق الشعب الفلسطيني بأرضه ، وثانيا ايصال كلمة الشعب الفلسطيني الى هذا العالم . وطبيعة هذه الاهداف الثلاثة تتطلب تحديد كيفية تحقيقها بشكل مدروس ، وكيف يمكن ان تصل السينما الفلسطينية الى تحقيق هذه الاهداف . واريد أن أستطرد واقول ان السينما لا تصنع ثورة . وينبغي ان لا نحملها اكثر مما

تحتمل . السينما نستعملهـا كوسيلة تعليميـة وتحريضية وكوسيلة نضج وكوسيلة ترفيه وفن . فالثورة ايضا بحاجة الى سينما الترفيه والـى سينما الفن .

ابراهيم زاير : ذكرنا الاخ وليـد بكلمة مشهورة للينين وخطيرة جدا. ففي سنة ١٩١٧ كانت السينما في العالم في اول خطواتها . قال لينين : ان السينما من بين كل الفنون ، هي الاهم ، فالسينما فعلا اهم وسيلة يمكن ان يستخدمهـا الانسان للتأثير على الاخرين ، بالاضافـة الى الوسائل الاخرى مثل الاحزابوالتنظيمات والفرق العسكرية، ولكن السينما كفن وكصناعة وكأسلوب جديد يفتح آفاقا جديدة ويؤثر بطبيعته علـى الجماهير ، فاستخدام السينما في الثورة هي مسألة مساعدة ، فهي لا تخلق الثورة من فراغ ، لكن السينما تضبط خطواتها مع خطوات الثورة. كما تعكس للجماهير، سواء كانت جماهيرها ، او للرأي العام سواء كان متعاطفا معها ام لا ، تعكس عددا من المسائل من الضروري توضيحها وكشفها واضافة شيء جديد اليها ، او هناك ضرورة لربط علاقـة بين الثورة التي تتحدث عنها السينما وبين الجماهير الاخرى التي تتعاطف او لا تتعاطف معها . لذلك ارى هناك توجهين : توجه للخارج ، للجماهير عامة ولاولئك البعيدين والذين لم يحددوا لهم موقفـا ابدا . وهناك توجه للفلسطينيين وللعرب . على ضوء هذين التوجهين يجب ان تعمـل السينمـا المنشودة ، ولا اسميها السينما الفلسطينية فقط . فهناك العديد من الافلام التي انتجت في اقطـار عربية او افلام اخرى انتجت على ايدي اصدقاء للثورة الفلسطينية في اليابان والمانيا وايطاليا ، عن القضية الفلسطينية وعن فلسطين ، وعن كل ما يتصل بالصراع العـربي ـ الاسرائيلي وهـي معروضة على صعيد العالم . فهل يمكن ان نعتبر هذه الافـلام سينما فلسطينيـة ؟ انهـا تتعلـق بالقضية الفلسطينية وبالثورة الفلسطينية وما نتج عن عدوان ١٩٦٧ . هناك افلام اجنبية منتجة عن القضية الفلسطينية ، ومنطلق هذه الافلام هو ايديولوجي ، لذلك نرى ان الافلام المنتجة في الدول الاشتراكية وعلى أيدي اصدقاء يساريين في اوروبا، ذات منحى ايديولوجي يساري ومعادية للامبريالية والصهيونية ، وتعبر عـن دعمها وتضامنها مع المقاومة ومع الشعب الفلسطيني . وهناك افلام اخرى تنظر للقضية من ناحية انسانية : « شعب مشرد ، يعيش في الخيام ، وهناك بؤس يقع على الشعب الفلسطيني .. الخ » . ورغم الطابع الانساني لهذه الافلام فانها تتضمن اتجاهات خبيثة تؤمن الى هذا الحد او ذاك بالدعاية الاسرائيلية والاستعمارية في كثير من المسائل ، وفي مسيرة تطور القضية الفلسطينية التاريخية . لقـد اردت ان ادلل على اهمية السينما وعلى الشكل واللغة التي يمكن ان تعبر عن قضية ما بصورة من الصور. فكما قال الاخ وليد ، انه لا يمكن ان يتحدث عن قضية الفلسطينيين افضل من الفلسطينيين ، فهو عموما صحيح، ولكن ليسمعنى هذا ان الفلسطينيين هم وحدهم المطالبون بعرض القضية والدفاع عنها. ان الضرورات تتطلب من كل الملتزمين والواعين لقضايا الثورة الفلسطينية ولديهم الاستعداد لانتاج افلام ان يساهموا منذ الان بذلك ، ويتحركوا ضمن الواقع القائم ، ويجب ان توضع امامهم كافة الامكانات التي تسمح لهم مـن الناحية الفنية والتقنية ومن الناحية الايديولوجية ، لكي يتمكنوا من التعبير بشمول عن الثورة والقضية الفلسطينية. اننا نعاني من نقص في فهم القضية ، ويدور داخل الثورة الفلسطينية نفسها صراع ايديولوجي حول الاسلوب المتبـع والذي يجب ان يتبع لانتشال الثورة من مأزقها ، عوضا عن الاعتراف او عدم الاعتراف بوجود المأزق ومن المسؤول ..؟ وضمن الواقع المعقد امام السينمائي العربي يجب ان ننطلق من هذا الواقع ، وان نفهمه وان نتحرك على ضوئه . ما هي النقاط التي يجب ان نلمسها برفق او نحيد عنها ، وما هي النقاط التي يجب ان نضع اصبعنا عليها ، واية نقطة يجب ان نتحدث عنها بشكل موضوعي ، واية نقطة يجب ان نتكلم عنها بشكل منحاز . فمثلا لا يمكن ان نتحدث عن مسألة الكفاح المسلح بصورة مواربة او بلهجة معتدلة ، خوفا من استفزاز الانظمـة الرجعية وانما نتحدث عنه كأرقى اشكال النضال والممارسة النضالية ، فيما الرجعية تفكر بأسلوب المفاوضات والحلول التصفوية . فنحن يمكن ان نقول ان الكفاح الفلسطيني هو احـد الادوات لمواجهة اسرائيل ، بينما الكفاح المسلح هو شكل راق من اشكال النضال التي لا يمكن الا ان يؤثر ويزيد من فعالية النضال ويؤججها ويدفع بالشعب الفلسطيني الى مقاومة الاحتلال وتحقيق الاهداف التي يسعى اليها الشعب الفلسطيني مـن خلال منظماته .

هناك التوجه الى الجماهير العربية والفلسطينية ، ومثلما نصدر صحفا وكتبا ونعزز وعي الجماهير بكل الاساليب الممكنة ، يجب ان نرفع وعي الجماهير عن طريق السينما ، ونوعية السينما ترتكز على ذات المنطلقات ولكن هناك نقطة اساسية هي ان الجماهير الفلسطينية والعربية تعي العديد من المسائل التاريخية والراهنة ، وهي في ذاكرة المواطنين السياسية . لكن ما يجب ان تضيفه السينما هنا هو تأجيج حماس المواطن ، وتركز على قضايا عمليةمتصلة بالثورة الفلسطينية، كأن تتناول ان الكفاح المسلح مرتبط بالتنظيم السياسي ، وان التنظيم السياسي مرتبط بالعمل الاجتماعي ، والاخير مرتبط بالعديد من المسائل الاخرى ، مثل كيفية تحرك تنظيم سياسي في مخيم لمسالة سياسية راهنة ويعمل بين الجماهير . ان السينما الموجهة للجماهير الفلسطينية — العربية ليست بحاجة الى العودة الى النقاط التاريخية مثل وعد بلفور وقرار التقسيم .. الخ . هذه يمكن ان نتوجه بها للخارج مثلا . ان تحديد كيفية التوجه للخارج وللداخل معقود على اي تجمع سينمائي فلسطيني ينشأ في المستقبل كذلك تحديد اي من هذه التوجهات ضرورة الان واية منها غير راهنة .

على ضوء تحديد التوجهات المفترضة للسينما الفلسطينية ، ارجو ان نتناول الاساليب التي ترونها قادرة على تلبية هذه التوجهات سينمائيا ، اي ما هي اللغة التي ينبغي ان يعتمدها الانتاج السينمائي في تعاطيه مع قضايا النضال الفلسطيني؟ وما هي الصعوبات التي تواجه السينمائيين في هذه المرحلة ؟

مصطفى أبو علي : السينما بطبيعتها فن جماهيري الى ابعد حد ، بمعنى انها قادرة على الاتصال بالجماهير ، قادرة ان تتحدث بلغتهم ، قادرة على ان تنقل اليهم الواقع . السينما ايضا محصلة الفنون جميعها ، بعناصرها من صورة وصوت ، من الكلمة والموسيقى ، قادرة ايضا على تبسيط الامور . ولان الثورة الفلسطينية شأنها شأن الثورات الشعبية عموما، ثورة تعتمد علىالجماهير، فهي بحاجة الى صلة مع الجماهير ، ومن المفهوم ان الثورة اذا ما ارادت ان تجند الاشكال الفنية (الفنون) فان السينما يجب ان تكون في قمتها . هذه بشكل عام اهمية السينما للثورة . السينما ايضا وسيلة قادرة علي جمهرة البشر ، ومن تجاربنا نلاحظ انه اذا ما اعلنا عن عرض شريط سينمائي في مخيم مثلا ، يتجمهر سكان المخيم ويتزاحمون من كل مكان ، مهما كانت خلفياتهم الثقافية والاجتماعية . هذا الاجتماع ليس فقط مهما من وجهة النظر السينمائية ، وانما يمكن الاستفادة منه لتوزيع نشرة سياسية ويمكن ان تنقل اليهم الفكر السياسي ، ويمكن ان توجه الجماهير . فالشريط السينمائي كما هو وسيلة لنقل المعلومات والواقع ، فهو وسيلة فعالة لاحداث تجمع بشري ايضا . والفيلم بسبب من قدرته على التصوير الحي مثل معركة او تحرك جماهيري (وعلى سبيل المثال ، صورنا في الفترة الاخيرة معارك الجنوب ، وهي في الواقع وثائق حية لمعارك الجنوب . صورنا عملية نقل الجرحى الاسرائيليين بواسطة الهليوكبتر بشكل واضح ، صورنا تفجر دبابات العدو وهذه وثائق حية ايضا . بالامس ايضا صورنا في جنازة تشييع الشهداء في بيروت ، مشاهد جماهيرية عظيمة وهي ايضا وثيقة) بسبب من هذه الصفات، ولكونه قادرا على نقل الصورة الحية ، فهو قادر على التأثير بنفس قدرته على نقل الصورة الحية ، ومن هنا امكانية تأثيره اكثر من اللوحة الفنية واكثر من القصيدة ، واكثر من النشرة ، ومن الجريدة اليومية ، وللاسف لم يستفد من هذه الوسيلة بالشكل الممكن . وهذا يقودنا الى الصعوبات التي منعت من استخدام السينما كوسيلة اتصال بالجماهير . ومن هذه الصعوبات ان هذه السينما قد جاءت عبر الغرب ومن هوليود . وجاءت ايضا من عالم مستعمر وكانت تحمل معالم الاستعمار . وحتى عندما بدأنا بصناعة السينما. سارت السينما العربية على نفس النهج . ففي الوقت الذي كان الفلاح مسحوقا امام الاقطاع وعندما كان الانسان العربي مسحوقا امام الاستعمار لم نجد السينما تنتصر لهذا الانسان العربي . كانت السينما منصرفة الى تكرار عشرات النسخ عن قصة الحب التي تمضي بين الصد والقبول . لا يزال ينظر الى السينما على انها سينما التسلية ، في الوقت الذي لها دور فعال جدا وخطير جدا لا يدركه الكثيرون بعد .

هناك ايضا صعوبات عملية هامة ، هناك المعدات، الخبرة والجهد الانساني التي هي متوفرة ولكن تقف أمامها عقبة التمويل . ومثلما ان السينما من اكثر وسائل الاتصال تأثيرا ، فهي ايضا على

عكس باقي الفنون والوسائط تحتاج الى اموال والى جهد جماعي . وهناك صعوبات اخرى لمستها من تجربتي، لقد سمعت كلاما من نوع « بلا سينما بلا غم » ماذا يدل مثل هذا القول ؟ يدل على عدم فهم حقيقي للسينما ، وعدم وجود قناعة بدورها . وهي مشكلة تأتي في المرتبة الاولى ، وقبل حل مشكلة القناعة من الصعوبة بمكان حل مشاكل التمويل والجهد الانساني والمشاكل التقنية الاخرى . وهي صعوبات ناتجة عن واقعنا المتخلف. وهي بحاجة الى بحث مستفيض ومنفصل .

على ضوء تجربتك ما هي القضايا التي يمكن ان تثيرها السينما لجماهيرها العربية والفلسطينية ؟

مصطفى ابو علي : السينما قادرة عموما على تناول القضايا ، ما يحدد الموضوع هو الظرف السياسي العام في فترة من الفترات . في هذه المرحلة مثلا ، فأن معالجة العزلة والوحدة التي يعاني منها المقاتل الفلسطيني ، هي موضوع هام برأيي — فالاحساس بالوحدة — التي تنتاب مقاتلينا يمكن تبديده باشعاره ان الجماهير العربية معه . وانه ليس وحيدا في مواجهة العدو . وبالفعل جماهيرنا العربية معه، بالامس القريب اثناء تشييع الشهداء في الجامع العمري في بيروت، كان هناك مشهد جماهيري لا ينسى . فاذا نقلنا لمقاتلي الثورة الفلسطينية مشاهد هذا التضامن العربي ، فانها لا شك تشعره رغم الصمت العربي أن الجماهير العربية معه .

وليد شميط : عندما اتحدث عن سينما فلسطينية ، أتحدث عن سينما ثورية لها هدف معين والتزام سياسي قد لا يكون متوفرا في اية سينما اخرى . كما اذكر ، انه قبل صناعة السينما كانت هناك ثورات ، وهذه الثورات كانت تنجح ، فالسينما ليست عاملا اساسيا في قيام ثورة او استمرار ثورة . ولكن بما ان السينما موجودة فلا بد من استعمال هذه الاداة كأي سلاح اخر يمكن ان يوجد بين ايدي الثورة . الهدف من السينما هو ان تكون احدى وسائل الثورة الفلسطينية . ومن دراستنا للواقع الفلسطيني يتحدد هدف السينما من خلال قيام الثورة الفلسطينية ، ماذا تحتاج الثورة الفلسطينية من السينما ؟ في رأيي انها فلسطينيا تحتاج من السينما ان تكون وسيلة تسجيلية للثورة ، وان تكون وسيلة تعليمية للجماهير الفلسطينية والعربية ، وان تكون وسيلة تحريضية للشعب وخصوصا داخل الانظمة العربية.

الهدف التسجيلي مزدوج الاهمية ، اولا لخلق سينما ثورية حقيقية ، لا بد من الفيلم التسجيلي من اجل ديمومتها . والثاني هو تسجيل وقائع الثورة وتطوراتها بالصورة والصوت . حتى يكون لاستعمال الوسائل السمعية مفعول حسي اكثر تاثيرا من مفعول المنشور او اللوحة او المقال السياسي . كذلك فان التوجه التعليمي هو ايضا واجب السينما الفلسطينية كأداة اتصال جماهيرية ذات خصوصية في الواقع الفلسطيني . ان معاناة الشعب الفلسطيني من الاضطهادالقومي والانساني والتشرد وضغوط الفقر وقلة مؤسسات التعليم ، عوامل حدت من توفر الامكانات الطبيعية للشعب الفلسطيني اسوة بالشعوب الاخرى ، لذلك أرى ان على السينما ان تشارك تعليميا في اعداد وتحضير الشعب الفلسطيني ، ليس فقط في المستويات السياسية والاجتماعية ، وانما ايضا في نقل المعارف الحديثة والتجارب التي توصلت اليها الانسانية على صعيد العلوم والفنون والمعرفة عموما . اما التوجه التحريضي ، فهو هدف سياسي مباشر ، وينبغي ان ينطلق من اهداف النضال الوطني سياسيا ، وانا اعني بالتحريض هنا ليس ذاك الغوغائي او اعتماد الشعارات اللفظية وانما التحريض الذي يقوم على ادراك علمي بالتناقضات التي يعيش داخلها الشعب الفلسطيني على المستوى الداخلي والعربي والعالمي .

وانا افهم التوجه الاعلامي للسينما الفلسطينية على مستويين : عربي وعالمي ، اذ ليس صحيحا الاعتقاد السائد الذي يقول بأن الشعوب العربية تدرك أبعاد القضية الفلسطينية ادراكا واعيا وعميقا . اذ غالبا ما تكون العلاقة فقط علاقة انتماء قومي وعاطفي بسيط . وهذا ليس كافيا . لذلك ارى ان تخدم السينما في توعية الجماهير العربية مضامين متقدمة من العلاقة بين الجماهير العربية والفلسطينية . هناك جوانب مثل تناقضات الانظمة العربية مع ارادة التحرير عند الشعب الفلسطيني وتجليات هذه التناقضات في الوقت الراهن ، وهناك ضرورة تنوير طبيعة الثورة الفلسطينية نفسها امام الجماهير العربية كي يفهم علاقته به وواجباته نحوها على اساس ان هناك اهدافا مشتركة ومصالح مشتركة للنضال . وعالميا

فان التوجه الاعلامي للسينما الفلسطينية يتجـه نحو شرح وايصال اكبر كمية اعلامية من القضية، بهدف التاكيد على عدالة نضال الشعب الفلسطيني ضد الاحتلال الامبريالي ـ الصهيوني لارضه وضد الاضطهاد القومي .

قاسم حول : ارغب في التعليق على التقسيم الثلاثي الذي اورده الزميل وليد (فلسطيني ، عربي ، عالمي) وكذلك حول ما اورده من توجيهات تعليمية وتحريضية واعلامية .. الخ . اني ارى ان تلخص المهمات المنتظرة من السينما الفلسطينية بمهمتين ، فاذا افترضنا اننا استطعنا ان نكون الكادر السينمائي او نحقق الامكانات بهذا الشكل او ذاك ، فانا ارى ان نأخذ موضوعيا بمهمتين هما : مهمة آنية ومهمة اساسية . وفي ذهني عدد من المسائل المتصلة بكل من المهمتين ، المسائل الآنية تتضمن أ ـ الجانب الوثائقي ويشمل تسجيل الاحداث السياسية التي تمر بها القضية الفلسطينية في الوقت الراهن على المستوى المحلي والعربي والدولي . وهذا التسجيل السينمائي للاحداث اما ان يعرض او يحتفظ به في ارشيفات خاصة . ب ـ الجوانب الاجتماعية والاعلامية ، والوسائل التوضيحية . اذ يحتاج الشعب الفلسطيني الى الكثير من الوسائل التوضيحية . وعلى سبيل المثال لا يعرف كثير من المقاتلين الاسلحة التي بحوزة العدو ، نوع الدبابات ، كيفية استعمال الاسلحة الفتاكة وكيفية تحقيق خسائر واصابات محققة بها . اني اعرف ان المقاتلين يدرسونها نظريا ، ولكن هذا لا يكفي ، وبواسطة السينما الايضاحية ، بواسطة التصوير والرسم يمكن ان تعطي صورة افضل ، يمكن ان نحدد نوع السلاح والسلاح المضاد له ويمكن ايصال الكثير من المعلومات التقنية الى المقاتلين وهذه خدمة كبيرة لهم . ومن جهة اخرى هناك مهمات آنية اخرى مثل تصوير تراث الشعب الفلسطيني وعاداته وتقاليده وازيائه وذلك للتأكيد على شخصيته التي تتعرض لضغوط خارجية كثيرة. اما المهمات الاساسية فانا احددها على النحو التالي ، ضرورة وجود اشرطة سينمائية تطرح تاريخ القضية الفلسطينية والتناقضات السياسية والطبقية التي حكمتها والتغلغل الاسرائيلي ، والطبيعة العدوانية للامبريالية الصهيونية تاريخيا، وهذه المسائل ليست لها علاقة مباشرة بالاحداث اليومية ويجري انتاجها على المدى الطويل . ان هذه المهمات المقترحة للسينما الفلسطينية لا تطرح تقسيما للتوجه الى هذه الجهة او تلك . فانا ارى ان تعرض هذه الاشرطة على الجماهير الفلسطينية والعربية وعلى الشعوب الاخرى .

وليد شميط : عندما طرحت التقسيم السابق كان بذهني نوعية الجمهور، فعندما نصنع شريطا سينمائيا يجب ان نعرف اولا من سيرى الفيلم ، وماذا نريد منه ، وهل له جمهور معين ومن هو هذا الجمهور . فالفيلم التعليمي خاص بالثورة الفلسطينية ، هذا الفيلم ستكون له طبيعة خاصة، وتدخل فيه العناصر التي تشدد على شخصية الشعب الفلسطيني . وهذه بدهية . وعندما قسمت الجمهور الى ثلاثة اقسام كان بذهني الهدف العام من الفيلم كأداة تستخدمها الثورة الفلسطينية اليوم . فانا لا ارى سينما فلسطينية خارجة عن اطار الثورة الفلسطينية ، وفي الوقت الحاضر الثورة هي اساس كل اشكال التعبير عن القضية الفلسطينية بما فيها السينما . فتحديد اهداف الفيلم على اساس ثلاثة توجهات فلسطينيا وعربيا وعالميا لا ينفي ضرورة عمل افلام آنية وافلام بعيدة المدى . ويمكن على اساس هذا التقسيم ان تكون هناك اهداف آنية واخرى بعيدة المدى .

مصطفى ابو علي : اريد ان اسجل ملاحظة حول التقسيم الذي يطرحه الاخ وليد ، اي التوجه الفلسطيني والعربي والعالمي . وحول اللغة المناسبة للتوجه بها الى كل جهة . انا ارى ان الفيلم البسيط الذي يتناول الحقيقة ، بلغة بسيطة ، سيصل الى كل الناس سواء كانوا فلسطينيين او عربا او كانوا من شعوب اخرى . واعتقد ان هذه نقطة هامة يجب ان تعالج . ومن خلال احلال لغة بسيطة مفهومة من الجميع ،يمكن للسينما الفلسطينية او السينما الثورية في عالمنا العربي ان تنطلق . واذا ما خضعنا للتقسيم السابق كاتجاهات فلسطينية وعربية وعالمية اخشى ان نقع في تقسيمات ليست من طبيعتنا الانسانية . وهذه مسألة خطيرة . فانا مثلا لا استطيع ان اخاطب الفرنسي مثلا بلغة خاصة ، بل من خلال لغتي واذا كانت بسيطة وواضحة ، فان الفرنسي سوف يفهمني . ان منطلق البساطة والوضوح ، هو افضل معيار لكي نصل الى الجميع من كافة الجنسيات والثقافات .

ابراهيم زاير : رد صغير على الاخ مصطفى حول

التكلم بلغة سينمائية بسيطة لكي يفهم الاخرون . لست ضد هذه المسألة انما هناك اعتبارات اخرى ، مثلا هناك سينمائي الماني يساري صنع فيلما قصيرا اسمه « أين تقع فلسطين » . وهو فيلم موجه للجمهور الغربي ومن وجهة نظر يسارية ، هناك الكثير في انحاء مختلفة من العالم لا يعرفون اين تقع فلسطين . وهذه من ابسط القضايا التي نستطيع التحدث عنها بالسينما . مثل آخر : انتجنا (في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) فيلما عن مشكلة الماء في مخيم النهر البارد بلبنان ، لقد رآه الكثير من الاجانب وقالوا انهم رأوا الناس في الفيلم يعانون ويتعذبون ليحصلوا على الماء ولكن لماذا ؟ ما هي القصة ؟ رغم ان الفيلم يحتوي في مقدمته على كلام يتحدث عن ١٩٤٨ ، النزوح الى لبنان ، مشكلة الماء . هناك اسلوب ضروري للتخاطب مع اجنبي لا يعرف شيئا عن القضية الفلسطينية (رغم وجود آخرين يعرفون القضية بشكل جيد) . هناك ضرورات لمخاطبة الجمهور الاجنبي تختلف عن ضرورات مخاطبة الجمهور العربي والفلسطيني ، وفي ذهني الان فيلمان منتجان عن القضية الفلسطينية احدهما انتجه يساريون يابانيون وفيلم هولندي انتجته جماعة ليبرالية رأينا فيه لقطات متشابهة ، رغم ان الجهتين اللتين انتجتا الفيلم متعارضتان ايديولوجيا . ذلك ان التصور المسبق في اذهان الطرفين كان واحدا ، بينما نحن ننظر الى القضية بشكل اخر ، نحن لا نصور في افلامنا مثلا الحيطان المتآكلة للمخيمات او الملابس المنشورة فوق السطوح او الاطفال الذين يلعبون في الازقة الترابية ، ان هذا هو الواقع الذي نعيشه ، اما بالنسبة للاجنبي فانه يفكر في استعمال هذه اللقطات ضمن تصور رمزي للقضية الفلسطينية او هو ينظر اليها جماليا .

بالنسبة لما طرحه الاخ وليد حول كيفية العمل أرى ان الافلام التي ممكن ان تنتج في الوقت الحاضر وحتى على المدى الابعد اقسمها الى ستة اقسام . ١ — افلام دورية اخبارية تتعلق بالقضية الفلسطينية تنتج حول احداث معينة لها اهميتها الخاصة في طرحها للداخل والخارج على شكل جريدة مصورة يباشر باخراجها عند الضرورة ولا بد ان تكون ناطقة بلغات اجنبية . ٢ — افلام تنتج عن قضايا معينة ومحددة وتكون اطول من الافلام الاخبارية وهي تتناول الموضوعات التالية : واقع الشعب الفلسطيني في الوقت الحاضر . افلام تتعلق بارتباط الثورة الفلسطينية بالثورة العربية. افلام عن العمال الفلسطينيين (اين يعملون ، اي مجال عمل مهم بالنسبة لهم) . افلام عن الفنون الشعبية الفلسطينية . ٣ — افلام عن احداث لها اهمية تاريخية آنية (ايلول مثلا ، مثلما صدر كتابان عن مركز الابحاث عن ايلول لا بد من انتاج فيلم عن احداث ايلول) . افلام تتناول التاريخ الفلسطيني (١٩١٧ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣٦ ، ١٩٤٨ ، ١٩٥٦) . ٤ — افلام عن ٥ حزيران . ٥ — افلام روائية قصيرة تنتج عن قصص قصيرة جاهزة لكتاب فلسطينيين وعرب . ٦ — افلام سينمائية بحتة ليها علاقة بالقضية الفلسطينية . من الممكن ان تعكس هذه الافلام تفكيرنا الثقافي وتوجهنا الى جمهور نريد ان نؤثر عليه فنيا .

قاسم حول : اريد ان اوضح مسألتين حول ما طرحه الاخ ابراهيم ، فانا مع الاخ مصطفى فيما طرحه حول كون اللغة السينمائية واحدة والتوجه واحدا ، اذا كانت لغة المخرج بسيطة ورؤياه واضحة ، فقد اعطى الاخ ابراهيم ملاحظة حول فيلم النهر البارد « الذي لم يفهم الجمهور الاوروبي لماذا نشأت مشكلة الماء وخلافه ، وانا اعتقد ان عدم الفهم ربما كان ناتجا عن عجزد اللغة السينمائية عن التعبير عن المشكلة ، المفروض ان نعبر بشكل افضل بحيث يفهمه الشعب الفلسطيني والانسان العربي والانسان بالخارج ، وانا اوافق الاخ مصطفى في ان اللغة السينمائية واحدة ويجب ان يكون هناك وضوح في الرؤيا ينعكس في الشريط السينمائي وتصل المادة السينمائية الى المتفرج . اما الامثلة التي طرحها الاخ ابراهيم حول التقسيمات فهي واردة ، والمبادرة واردة ايضا ، فمثلا احداث ايلول كانت موضوع فيلم نفذه الاخ مصطفى ووضح ما حدث في ايلول وتضمن وثائق عديدة . لكن في ظل الامكانات البسيطة ، وعدم الفهم من قبل العديد من المسؤولين في المنظمات للسينما واهميتها ، يضع السينمائي في حصار ، فلا يستطيع ان يخرقه . وكل هذه النماذج والاقتراحات مطروحة لدينا ولكننا محاصرون . وهناك العديد من الصعوبات تتعلق بمشكلة الكادر ، فكيف تكون الكادر السينمائي وما هي متطلباته وهي مشكلة اظن اننا سنتناولها بعد قليل .

وليد شميط : اود ان اعقب بشكل مختصر ، المشكلة ليست مشكلة لغة سينمائية ، فالفيلم يستطيع ان يتوجه الى اي جهة في العالم اذا كان ناجحا من الناحية الفنية . المشكلة في الغاية او الهدف من الفيلم . فمثلا قد تحتاج الثورة الفلسطينية الى مخاطبة جماهير لبنانية تحديدا، فالضرورة الاعلامية التي تفرضها مهمة الثورة تحدد طبيعة الفيلم . انما اللغة السينمائية هي شاملة وعالمية وتصل الى الجميع .

مصطفى ابو علي : اريد ان اضيف الى ما مر نقطتين : اولا ان تلتزم السينما الفلسطينية بالثورة الفلسطينية ، بحاجاتها ومهماتها الراهنة والاستراتيجية وهذا يشمل التقسيمات التي طرحها الاخ ابراهيم . وقد يشمل اغراضا اخرى . ومن مهمات السينما ثانيا نقل تجارب الشعوب الاخرى للجمهور الفلسطيني والعربي .

ابراهيم زاير : الشعوب الاخرى انتجت افلامها الخاصة بها .

مصطفى ابو علي : اقصد نقل هذه التجارب عن طريق سينما الشعوب الاخرى وتقديمها الى جماهيرنا .

اعتقد ان الزملاء متفقون حول الاسلوب الذي ينبغي ان تتبعه السينما الفلسطينية المنشودة ، ليس المطلوب من السينما ان تقدم القضية الى الجمهور الاجنبي بشكل مختلفعما تقدمه للجمهور الفلسطيني والعربي . فما دامت السينما التي تتعامل مع القضية تنشد الحقيقة وتقدمها ، من المهم نقل السينمائي للحقيقة بلغته وبمنطقه الى الجميع . فما نقوله لجمهورنا هو ما نقوله للراي العام العالمي . وهذا هو السبب الذي يدفع الاخ مصطفى لان يقول ان لديه لغة واحدة فقط ، هي التي يخاطب بها شعبه وبالتالي اذا ما كانت هذه اللغة مستوفية لشروطها الفنية سينمائيا وبسيطة ومفهومة فان الشعوب الاخرى ستفهمها. تبقى هناك حاجات عملية وملحة طرح بعضها الاخ ابراهيم . فمن الضروري مثلا ان نضيف جملة من الحقائق في شريط سينمائي مقدم للجمهور الاوروبي، (كالحقائق التاريخية) ، بينما نحن لسنا مضطرين لذلك معالجمهور العربي الذيبحكم اتصاله بالقضية ومعايشته لها يعتبر مثل هذه الحقائق التاريخية بدهية . بعد كل هذا ، هل نستطيع ان نطرح بشيء من التحديد والتفصيل المهمات التي تقع على عاتق السينمائيين الملتزمين والمتصلين بالثورة الفلسطينية على طريق بناء سينما فلسطينية ثورية وبناء كادرات سينمائية قادرة على انتاج اشرطة سينمائية متقدمة ؟

وليد شميط : اعتقد ان الخطوة الاساسية امامنا الان والتي تتقدم كافة الخطوات الاخرى ، هي ان نتوصل الى اقناع كافة منظمات الثورة الفلسطينية بالسينما وبدور السينما . وهذا يقع على عاتق السينمائيين العاملين في صفوف الثورة الفلسطينية اكثر مما يقع على عاتق المسؤولين الذين يتصدون لمسؤوليات اخرى . واذا ما توفرت القناعة بدور السينما يكون من مسؤولية الفصائل الفلسطينية ان تعمل على بناء الكادرات السينمائية لتتوجه لخدمة اهداف الثورة القريبة والبعيدة حسبما طرحناه سابقا . والحال كما نلاحظ ان هناك العديد من الشبان من كافة الفصائل من يفكرون بعمل تجمع سينمائي لهم ، وهذا ما هو منجز في عدد من البلدان الاوروبية . هناك تجمعات سينمائية ، تضم عددا من السينمائيين والمناضلين الذين ينتمون الى فصائل سياسية متقدمة . هذه التجمعات تمارس السينما بهدف نضالي . وهي تقوم بانتاج الافلام واخراجها وتوزيعها وعرضها وتقوم اخيرا بشرحها . هناك مجموعة (دزيكا مزتوف) في فرنسا او مجموعة (نيوز ريل) في امريكا . كل مجموعة سينمائية يتراوح عددها حسب الامكانات فهي قد تبلغ ١٥٠ شخصا او عشرة او خمسة عشر شخصا . منهم المخرجون ، ومنهم واضعو افكار ، ومنهم كتاب سيناريو ومنهم المحرضون ومنهم السياسيون . ويتفقون جميعا حول هدف معين هو انتاج افلام سينمائية لاغراض نضالية .

اذا ما تحقق وجود تجمعات سينمائية في اطار الثورة الفلسطينية تقوم بكل عمليات الانتاج السينمائي وعرض الفيلم وشرحه للجمهور ، واذا ما تكونت هذه الكادرات فان الخطوة الاولى في طريق سينما فلسطينية تكون قد تحققت . طبعا لا بد من تجهيز هذه التجمعات بآلات ومعدات سينمائية ، ولا بد من ايجاد المنشطين والمحرضين السينمائيين . ولا بد من مساهمة السياسيين في تحديد الاهداف ، وفي تسهيل العلاقات المباشرة مع الجماهير وعرض الافلام . وتتكفل هذه الكادرات حسبما ذكرنا بوضع الاولويات في انتاج الافلام والى

اين تتوجه ؟

مصطفى ابو علي : لقد ذكرت سابقا ان هنـاك بعض الاراء التي تعبر عن قلـة اقتناع باهميـة السينما ودورها . ولكن ليس من الدقة ان نقول انه لا توجد قناعة اطلاقا . ففي الجانب الاخر هناك عدد من الاخوان القياديين المؤمنين بضرورة العمل السينمائي وباهميتـه ودوره . واذا كـان مـن الضروري اقناع من ليس مقتنعا بعد ، فأنـه من الضروري ايضا اقنـاع السينمائيـين العـرب والفلسطينيين للتخلي عن واقعهم وانتاجهم غـير الثوري . الثورة بمعنى من المعاني هي تضحية . ليضح السينمائيون بالامتيـازات والرواتب التي يوفرها لهم عملهم في مؤسسـات غير ثورية ويقبلوا بمخصصات ورواتب اقـل . ليضحـوا قليلا . فضرورة اقناع السينمائيين هي واجب ايضا مثلما هو مطلوب منا اقناع المسؤولين . هنـاك ايضا ظروف تفرض هذا التقصير . فقد تتوفر القناعة لدى عدد من المنظمات، لكن الظروف هي التي تعرقل المساهمة العملية في الانتاج . لذلك فنحن مطالبون باقناع السينمائيين بمراعـاة هـذه الظـروف . وبضرورة العمل في اقسى الظروف واقلها مؤاتاة .

ابراهيم زاير : هذا يجرنا الى حديث اخر حول اقناع السينمائيين ، اذا اردنا ان نقنع السينمائيين فالشبـاب هم الاولى بالاقناع ، وهم سيقتنعـون عندما يرون ان هناك نتيجة ملموسة بعد عملهـم ضمن ظروف طبيعية ودون اشكالات بيروقراطية كالتي تواجهنا الان . ثم رد فعل عرض افلامهـم على الجماهير ومناقشتها ، كيف نستطيع ان نقنـع السينمائيين الشبان بالعمل في الثورة الفلسطينية اذا كانت مشاكلهـم حتى الان شخصيـة . ان السينمائيين الشبان بؤساء امام امكانيات وظروف العمل التي يطمحون الى تجاوزها . انهم بحاجة الى ان تنقذهم الثورة الفلسطينية من واقعهم ، اذا وفرت لهم كل المستلزمات التي تمكنهم مـن العمل ، واذا احسوا انهم عـن طريق الثـورة الفلسطينية سيحققون وجودهـم ومبادءهم . ان السينما الحقيقية الخالصة في البلدان العربية لا تزال في بدايتها (رغم التاريخ الطويل للسينمـا المصرية) ، ان هنا ظرفا خاصا يجـب ان نأخذه بعين الاعتبار اذا بحثنا ايـة قضية وهو ظـرف الثورة الفلسطينية الموضوعي .

قاسم حول : يمكن القول انـه لم تتوفـر قناعة كاملـة بأهمية السـينما ولكن هناك قناعة اولية ، وهناك مبررات مثل الحصول على السلاح اهم من الحصول على معدات للسينما وهي اعتبارات لها وجاهتها . وبالمقابل فان السينمائيين مطالبـون بالعمل ضمن هذه الظروف القاسية التي تعيشهـا الثورة في هذه المرحلة عربيا وعالميا . لتوفير بداية ملموسة من السينمائيين يجب انتعزز وتؤكد القناعة الاولية لدى فصائل المقاومة. وهذا يدعونا الىتجميع الشباب السينمائيين العـرب المتناثرين في هذه المؤسسة او تلك والذين يعملون في ظروف سياسية وانتاجية غير مواتية وفقا لسياسيات الانظمة التي يعملون في ظلها . وهذه كما هو معروف تستنزف طاقاتهم وتستنزف حسهم الثـوري ، وتستنـزف مبادهاتهم وطموحاتهم . يجب ان نستقطب هـؤلاء الشبان عبر تجمع سينمائي يكون النواة ويكـون المنفذ لاستجماع الطاقات ، ولتكن من السـينمائيين تنازلات صغيرة وشخصية وليعملوا من خلال تجمع واحد .

ابراهيم زاير : حول السينمائيين الشباب الذيـن يعملون في الانظمة البرجوازية ، ان هناك الكثير من المخرجين الشباب الذين يعملون في المؤسسات الرسمية التي تؤمم كل نشاطهم ، وليس بالامكان استدعاء اي واحد منهم ليخـرج في اسبـوع او اسبوعين فيلما عن القضية الفلسطينية لانه مرتبط بالدولـة كموظـف يوقع على سجـل الحضـور والانصراف ، ان هناك صعوبة في دعوة زملائنـا المخرجين الشباب لاخراج افلام تتطلب منهم تفرغا كاملا لمدة معينة .

قاسم حول : ان الحل الذي تكلمت عنه هو فكرة التجمع السينمائي العربي ، عندما يحس السينمائي العربي بوجود مؤسسة سينمائية جديدة يمكن ان يمارس نشاطاته من خلالها ، عند ذاك من الممكن ان تحل المشكلة .

هناك مشكلة تعاني منها كل سينما ناشئة ، وهي التوزيع ، خاصة وان السوق لا يكون مفتوحا امام السينما الثورية ويعاني من هيمنة شركات التوزيع الكبرى ، كيف يتمكن الفيلم الفلسطيني ان يصـل الى الجمهور في هذه الاوضاع ؟

وليد شميط : سبق ان اشرت مرارا الى علاقـة السينما الفلسطينية بالثورة الفلسطينية . وهنـا اعود الى التأكيد على دور الثورة الفلسطينيـة

ومؤسساتها في توزيع وعرض هذه الافلام وايصالها الى اوسع قطاعات الجماهير العربية والعالمية . فمن المفهوم ان هذه الافلام تعبر عن واقع الثورة وعن تطورات القضية الفلسطينية وتتصل اتصالا مباشرا بمهمات الثورة الدعاوية والاعلامية والتحريضية . لذلك فالثورة معنية بالدرجة الاولى بايصال الاشرطة السينمائية الى الجماهير . فالجهود الفردية لا يمكن ان تجدي ، كما ان المؤسسات السينمائية الرأسمالية لن تقبل بعرض هذه الافلام ، لطبيعتها النضالية . ومن هنا من الضروري مواجهة مشكلة التوزيع والعرض ،وهي التي تواجه كل التجمعات السينمائية الثورية في العالم . وربما كان تجمع « النيوز ريل » الامريكي وحده هو الذي حل هذا الاشكال عن طريق انتاج افلام اخبارية تقف في مواجهة الافلام الاخبارية التي تنطق باسم الشركات الرأسمالية الامريكية . وهذه المجموعة لديها امكانيات معينة للعرض في حالات معينة . وفي اوروبا يحاولون حل هذه المشكلة عن طريق التنظيمات السياسية التي تعرض الافلام في الجامعات والمدارس والمعامل والنوادي وتعرض هذه الافلام بصورة سرية احيانا وعلنية في احيان اخرى . وتعرض في صالات الفن والتجربة ... الخ . وبالنسبة لظروفنا الموضوعية، ليس لدينا هذه الامكانات ، فيما عدا امكانية مساهمة الثورة الفلسطينية بمؤسساتها الجماهيرية المختلفة . وانا ارى ان المهمة ليست فقط انتاج الافلام واخراجها ، وانما المهمة ايضا في توزيعها، فهذه المادة ينبغي عرضها على جمهور ، واستهلاكها .

قاسم حول : من الممكن ان يلجأ التجمع السينمائي عندما يشرع في انتاجه ، الى بناء علاقات مع التجمعات السينمائية الثورية في العالم ويوثق صلاته بها وهي تجمعات كثيرة جدا ، وقد اوجدت لنفسها ظروفا مواتية وتعرض افلامها في صالات الفن والتجربة وفي اوساط التجمعات العمالية والطلابية . بالاضافة الى وجود العديد من الاقطار الاشتراكية والصديقة التي تبدي استعدادا تاما لعرض الاشرطة السينمائية الفلسطينية في صالات السينما وفي التلفزيون ، وعبر المهرجانات السينمائية الدولية . فهناك ما يقارب عشرة مهرجانات سينمائية في العالم وغالبيتها تهتم بالافلام النضالية والثورية . وهي عبارة عن تظاهرات سينمائية يمكن ان تلتقي عبرها كل الوفود وكل المؤسسات السينمائية وحتى التجارية منها ، وعن طريقها يمكن ان يتم تسويق الافلام عبر العالم . وعلى المستوى الفلسطيني والعربي يمكننا الاستفادة من التجارب المماثلة في عدد من الاقطار، فمثلا هناك افلام مؤسسات ثورية محظورة العرض في الصالات السينمائية العامة ، ولكنها تنتج افلاما بدون علم الدولة وموافقتها الرسمية ، وهي تقوم بعروض سينمائية في المعامل وفي النوادي وفي اماكن سرية متعددة . واعتقد ان الظروف لدينا مواتية اكثر . ونظرا لتواجد تجمعات فلسطينية في عدد من الاقطار العربية فأنه يمكن عمل عروض سينمائية وايصال المادة السينمائية الى قطاعات واسعة من الشعب .

ابراهيم زاير : افكر في طاقم العمل ، او المجموعات التي تعمل على اساس التعاون الجماعي : انني اقترح ، كتسهيل للصعوبات العملية التي من الممكن ان تنشأ ، ان يتعاون كتاب ومخرجون وصحفيون في مساهمة جماعية غير ميكانيكية او بيروقراطية ، واقترح ايضا وجود طاقم جاهز للعمل في اية لحظة . اشبه بدورية سينمائية مسلحة تقوم بعمل آني ، ولدي اقتراح اخر ، على ضوء الواقع ، هو ضرورة تجميع الطاقات السينمائية الموجودة حاليا (في فتح والجبهة الشعبية والديمقراطية ورابطة ٥ حزيران) كخطوة اولية والاتفاق على خطوات عملية للبدء ، وباستطاعتنا في تصوري ان نتجاوز الفجوات الموجودة بين المنظمات وان نعمل بشكل جماعي وايضا نستطيع ان نساعد بعضنا بعضا على انتاج افلام تعبر عن طموحات منظماتنا من خلال هذا التعاون ايضا . (على الاقل لنحقق الوحدة الفلسطينية سينمائيا) . وفيما يخص تسويق وتوزيع الافلام يمكن ان نتفق مع سينمائيين عرب واجانب ومؤسسات حتى بورجوازية على توزيع افلامنا تجاريا . اضافة الى ان ضرورة وجود مؤسسة ادارية ملحقة بالمجموعة الفنية لا ينبغي ان تقف عقبة امام العمل السينمائي .

مصطفى ابو علي : هذا يقودنا الى موضوع طرح مع بعض الزملاء السينمائيين ، وهو مؤسسة السينما الفلسطينية . وانشاء مؤسسة سينما فلسطينية تقوم بكل اعباء انتاج الفيلم ، وتضع نظام التوزيع وتتكفل بتحديد طبيعة الفريق السينمائي العامل في الثورة ، وبحث مضمون الفيلم

وشكله ، اي مؤسسة قادرة على العناية بكل شؤون السينما وقضاياها . ولعل طرح مثل هذه المؤسسة قد يكون مناسبا الآن .

وليد شميط : في الحقيقة انا صدمت بكلمة مؤسسة سينما كذا ، لانها تعني بالنسبة لي كلمة تجارة . نحن نتكلم عن نوع معين من الشريط السينمائي ، وهو الفيلم النضالي ، كخطوة اولى في السينما الفلسطينية . عندما نبدأ بمؤسسة باداريها وفي علاقاتها التجارية وفي بيع وشراء افلام ما شابه ، اخشى ان يضيع الهدف الاساسي من السينما المنشودة وهو الفيلم النضالي . وانشاء مؤسسة سينمائية في الظروف الموضوعية الراهنة لا يمكن ان يخدم السينمائيين الفلسطينيين ، بما تعنى مؤسسات السينما من علاقات ومن طبيعة معينة ، وهو قد يكون هدفا بعيدا .

مصطفى ابو علي : هناك مؤسسة ثورية وهناك مؤسسة بيروقراطية . وفي حالة انشاء مؤسسة ما نحن الذين نحدد طبيعتها ونعطيها الصفات المطلوبة . الهدف هو ان تتاح للعاملين بالسينما القدرة على العمل معا والتخطيط معا وبحث مشاريعهم وطموحاتهم بصورة مشتركة . لنسمها مؤسسة ، جماعة ، تجمع ، لا يهم .

قاسم حول : يبدو ان التسمية تثير حساسية معينة ، المقصود من المؤسسة او التجمع ،مواجهة الاشكالات العملية التي تعترض السينمائيين في عملهم مثل التسويق والحفظ ، فمثلا بعد انتاج الاخ مصطفى لفيلمه عن ايلول ، وضع على الرف لفترة طويلة وواجه مشاكل من اجل عرضه في هذا المخيم او ذاك وفي هذا القطر او ذاك . لو كان التجمع السينمائي قائما ووجدت علاقات انتاجية واضحة ، فان كل سينمائي يستطيع ان يأخذ دوره في العمل بالمستوى الثوري المطلوب .

ابراهيم زاير : ان طبيعة المؤسسة اضافة الى كونها تجارية ، فانها تعني شيئا من البيروقراطية بينما لا ينبغي ان يجد السينمائي العامل في مجال الثورة الفلسطينية نفسه اسيرا للوائح البيروقراطية واشكالاتها . ان التجمع يجب ان يقوم على اساس الحافز الذاتي والجماعي وعلى التعاون والعمل الحي والخلاق .

قاسم حول : لنتفق على ان المقصود من التجمع السينمائي المطلوب هو ان يملك تخطيطا ثوريا على كافة المستويات ،

ان جميع ما طرح الان من محاذير تدور في اذهاننا ومستقاة من التجارب الماثلة في هذا القطر او ذاك . نحن لا نفترض سلفا ان ما ذكر سوف يقع حتما ، فالمسالة برمتها مرهونة بقدرة السينمائيين المتصلين بالقضية الفلسطينية على اعطاء التجمع السينمائي طبيعة ثورية وعلاقات ثورية . ان بعض ما طرح الان يذكرني بعدد من المؤسسات المتصلة بالثورة الفلسطينية. ففي احد مؤتمرات اتحاد الكتاب الفلسطينيين في عمان اخذ المؤتمرون موقف المطالبة من منظمة التحرير ، طالبوا بدار نشر خاصة بهم وبوضع مطبعة بتصرفهم وباصدار مجلة خاصة بهم ..الخ، اي انهم طالبوا بكل شيء . وبالطبع لم يتم تنفيذ اي من هذه المطالب الكبيرة . ما ارجوه هو ان يحدث العكس ، اي ان يكون التجمع السينمائي كائنا ما كان اسمه قائما على مبادرة عناصره السينمائية المتصلة بالثورة الفلسطينية . وان يحافظوا على حيز من الاستقلالية ، بحيث تقرر سياسة وتوجهات وبرامج التجمع من داخل هذا التجمع ، ما دمنا قد سلمنا ان اي تجمع سينمائي فلسطيني يعمل في اطار الثورة الفلسطينية . ومن جهة اخرى ارى ان مسالة التوزيع يمكن ان تعتمد على فعالية التجمع السينمائي في المنطقة . فكما نجحت تجمعات سينمائية اخرى في العالم في توزيع انتاجها رغم ان ظروف التوزيع في الاقطار الراسمالية اصعب مما هي عندنا ، يمكننا ان ننجح في خلق فرص مناسبة لتوزيع وعرض الافلام بدون ان نلجا الى المطالبة والمناشدة والاعتماد على مؤسسات اخرى . هذا يقودنا الى بحث الجوانب العملية التي تدخل في نطاق الانتاج السينمائي . واقترح ان نبدأ بالتمويل . اي كيف يتمكن التجمع السينمائي من توفير مصادر مالية كافية لتغطية نفقات الانتاج ؟

ابراهيم زاير : السينما كصناعة تحتاج الى الكثير من الاموال ، كل مرحلة من مراحل انتاج الفيلم تتطلب انفاقا : التصوير ، الطبع ، التحميض ، المونتاج ، الترجمة ، الفريق العامل ، بالاضافة الى نفقات اخرى لا تخفى عن احد . كلما كان الفيلم اطول كلما زادت النفقات . كذلك عدد النسخ التي نحتاجها من الفيلم ، نوع الخامة ، هل الفيلم ابيض واسود ام ملون . نوع الكاميرا

والعدســـة ، هل نمتلـــك التجهيزات ام هــي مستأجرة . ناهيك عن مسائل العرض . اي ان كل خطوة نخطوها تحتاج الى انفاق .

كيف نمول العمل السينمائي ؟ اولا يجب ان نخلق قناعة لدى اولئك الذين لديهم ايمان ، ولو جزئي ، بأهمية السينما، انها تحتاج لتتحقق اموالا، ثم يجب ان تسهل عملية انتـــاج الفيلم تسهيـــلا تامـــا ، ثم يجب ان يأخذ طاقم انتاج الفيلم بعين الاعتبار ضرورة انتاج فيلم جيد بتكاليف قليلة دون ان يؤثر ذلك على طبيعة الفيلم وتركيبه السينمائي ، ان السينمائيين الشباب ادركوا ووجدوا حلولا لمشاكل التمويل من خلال اختصار الطاقم الفني والتكنيكي. [واستطيع ان اذكر هنا تجربتنا انا وقاسم حول في اخراج فيلم النهر البارد حيث ساهم معنا مصور سينمائي جيد (وليم نعمه) ، لقد عملنا نحن الثلاثة على اخراج هذا الفيلم ونستطيـــع ويستطيع اي ثلاثي اخر او رباعـــي ، ان يخرج حتى فيلمـــا تسجيليا طويلا دون الحاجـــة الى زيادة طـــاقم العمـــل] .

ان البحث عن مصادر تمويل خارج نطاق الثورة الفلسطينية ، يحمل الكثير من المخاطرة والمغامرة ، فاذا طلبنا مساعدة احدى الدول في انتاج الافلام فانها ستساعدنا لفيلم او فيلمين (هذا اذا حدث) ولكنها تتوقف عن مساعدتنا اذ تجـــد ان هـــذه الافلام التي تساعد في تمويلها تتعرض بشكل مباشر او غير مباشر لنظامها السياسي والاجتماعـــي وعلاقتـــه بالقضية الفلسطينية او لعبة الحـــل السلمي . المطلوب ان نبحث مسالة التمويل بشكل دقيق ونجد الحل المناسب والمنطقي لها .

قاسم حول : مسائل التمويل تتخللها صعوبـــات كالتي ذكرها الاخ ابراهيم . بعض الدول تعطي مساعدات تبقى مشروطة وهذا غير وارد بالنسبة للسينما الفلسطينية الثورية . فهذه الدول تفرض ان لا يتعرض الفيلم لطبيعة النظام الاجتماعي ، أو لسياستها ازاء القضية الفلسطينية . ازاء هـــذا الشح المالي الموجود ينبغي ان لا نكون طموحين اكثر من اللازم في توسيع الانتاج وتوزيعه وتعميمه. بل ينبغي ان نبدأ بداية بسيطة جدا وعملية ، اي ندخل من باب الفيلم الوثائقي البسيط التكاليف . ونأخذ بالاعتبار امكانات العرض بالداخل وامكانات التسويـــــق بالخارج والعلاقات مع التجمعـــات السينمائية الثورية بالخارج ، يمكن ان نخلق نواة مادية يجري تطويرها ومضاعفة امكاناتها . فليس من الضروري ان نبدأ بمشاريـــع ضخمة تتطلب الكثير من الاجهزة والاموال . فالبداية الوثائقيـــة البسيطة والتي لا تحتاج الى تجهيزات تقنية كبيره يمكن ان تشكل الخطوة الاولى على الطريق .

مصطفى ابو علي : يمكن ان اضيف بعض الملاحظات الخاصة بالتمويل ، اولا يجب ان يكون هناك تمويل اساسي بحجم يكفي لانتاج بضعة افلام . اي فيلم ننتجه يمكن ان نطبع منه بضعة نسخ ، بوسعنـــا ان نبيع النسخة بما يزيد عن تكاليف هذه النسخة قليلا ، ومع تمتين عـــلاقاتنا وصلاتنا بالتجمعـــات السينمائية الثورية يمكن ان يزيد عدد النســـخ المباعة ، بحيـــث نتمكـــن من تعويض النفقات . وثانيا ، على المستوى المحلي ، اقترح ان تجمع مقابل عرض الافلام محليا تبرعات او مبلغ رمزي من جماهير الفيلم ، فكما نصنع الثورة للجماهير فاننا نصنع ايضا سينما الجماهير ، الكثيرون يدفعون مقابل مشاهدة فيلم مـــن هوليود يخـــدر وعيهم ، الجماهير مطالبة انترى نفسها وهي تخلق مستقبلها وتاريخها . من خلال هذين المصدرين يمكن تغطية نفقات الفيلم ونحصل على مبلغ اضافي يساعد على الاستمرار بانتاج افلام اخرى . وطبعا ، نحـــن نفترض سلفا اننا لن نصنع افلاما ذات تكلفـــة مرتفعة ، ونفترض انه ليس هناك كادر سينمـــائي متخصص جدا مرتفع التكاليف ، مقاييس الجودة الفنية يجب ان تخضع لواقعنا ، يجب ان نتجاوز عقد السينما العربية التـــي تضع معايير سينمـــا هوليود التقنية والتي تحبط نتيجة الواقع المعاكس لكل هذه الطموحات غير الواقعية. لذلك ينبغي ان ناخذ بالدرجة الاولى واقع التخلف وواقع المعاناة والاهم من ذلك واقع النضال ، عند التفكير بانتاج شريط سينمائي .

الا يمكـــن الاستفـــادة مـــن النوادي والمراكـــز الثقافية والاجتماعية في المخيمات ، في تنظيم عروض سينمائية توفر بعض الدخل للتجمع السينمائي ، والتعاون مع هذه المؤسسات الاجتماعية لتكـــون قاعاتها كمراكز سينمائية ايضا تعرض الافلام التي ينتجها التجمع مع الافلام التي يحصل عليها مـــن تجمعات سينمائية عالمية اخرى ومن دول صديقة ؟

وليد شميط : هذا احد المصادر التمويلية التي يمكن ان يعتمد عليها التجمع ، وربما كان اهمها .

ابراهيم زاير : يمكن استخدام سيارة معدة بتجهيزات معينة لتتحرك بين المخيمات ، وان نجري عروضا سينمائية من خلال النوادي الاجتماعية القائمة والمدارس .

مصطفى ابو علي : لقد استخدم هذا الاسلوب جزئيا ولاقى نجاحا جيدا واحيانا كانت العروض تنظم في الهواء الطلق نظرا لضيق القاعات المتوافرة .

اريد ان انتقل الى مسالة اخرى لها حساسية خاصة ، وهي علاقة السينما العربية بالقضية الفلسطينية . اي كيف قدمت السينما العربية القضية الفلسطينية الى الجمهور وخاصة تلك الاشرطة التي ظهرت في السنوات الاخيرة مع اتساع فعالية المقاومة الفلسطينية ؟

وليد شميط : ما من شك ان عددا كبيرا من الافلام التي انتجت في عدد من الاقطار العربية ، قد لعبت دورا سلبيا جدا ونقلت صورة سطحية عن فعاليات الثورة الفلسطينية . وهذه الافلام لا تحتاج الى تقييم لسلبياتها فقط وانما وضعها ايضا في اطارها الطبيعي ، نظرا للدور الذي لعبته ، ونظرا لما يمكن ان تلعبه مثل هذه الافلام التجارية في المستقبل . لقد كان القسم الاعظم من هذه الافلام كاذبا وغير مخلص اولا ، ويستهدف الربح التجاري الرخيص ثانيا . وكانت غايات معظم المنتجين استغلال الثورة الفلسطينية وركوب مدها لتحقيق ارباح مادية ، وكانت النتائج سيئة جدا . ولا اريد ان اقول ان هذه الاشرطة السينمائية قد شوهت الثورة الفلسطينية ، انما نقلت صورة مغلوطة وكاريكاتورية عنها ، لم يكن لهذه الافلام اية خلفية سياسية سليمة ، لم تكن تتضمن اي تحليل سياسي واقعي ، بل كانت غوغائية ، ومتجاهلة للواقع الثوري القائم .

ابراهيم زاير : بالاضافة الى ما اورده الاخ وليد ، يمكن القول ان هذه الافلام مرتبطة فكريا بالقوى المؤثرة في المجتمعات العربية والتي تهيمن على صناعة السينما . كل هذه الافلام عرضت بصورة علنية في البلاد العربية ، وبمعنى آخر ان الموافقة على مثل هذا النمط من الافلام كان لها دلالات سياسية . وان الافكار التي تتضمنها الاشرطة السينمائية لا تتعارض مع طبيعة الفهم السائد في هذا النظام ، او ذاك للثورة الفلسطينية . ولو كانت هناك انظمة ثورية حقا لما قبلت بعرض مثل هذه الافلام المشينة ، لما تحمل من تأثيرات سيئة على وعي الجماهير . فهذه الافلام كنسج الاوهام حول الفدائي وحول العدو ، وحول الانتصار والبطولة وهي الاوهام التي يريد الفكر البورجوازي ان ينشرها لغايات معينة . وهذا الفكر لا يريد اطلاقا ان يظهر الفدائي بصورة حقيقية وفعالة وبأسلوب ولغة سينمائية متقدمة تؤثر وتحرض الجماهير على الاندفاع للمشاركة بل ومن المتوقع ان مثل هذا الفهم لو عبر عنه شريط سينمائي ثوري ، لما سمح له اطلاقا بالعرض . انهم يريدون ان يقدموا الفدائي الذي يقتل العشرات ويدمر العديد من الآليات ، تماما كما تقدم سينما هوليود والسينما الرأسمالية عموما البطل الفردي الخارق الطاقات. ونحن هنا يهمنا المتفرج العادي من شعبنا الذي خضع لسنوات لتأثيرات السينما التجارية ، والذي قدمت اليه مؤخرا القضية الفلسطينية بابتذال صارخ ، هذا المتفرج بحاجة الى افلام نقيضة لما عرف وشاهد من قبل . وهو بحاجة الى الم ـــ لام تحفزه للعمل وليس لاخذ موقف « المتفرج » الذي ينتظر .

قاسم حول : اريد ان اقترح على ضوء فهمنا لطبيعة هذه الافلام التي تصدت بفهم رديء للقضية الفلسطينية ، ان يلعب التجمع السينمائي المنتظر مهمة اساسية وهامة في فضح هذه الافلام ودراستها والكتابة عنها وتوضيح خلفياتها للجماهير ، لا سيما وان هذا التجمع سيضم الكتاب والنقاد والمعنيين بقضايا السينما ايضا . ان هذه المهمة لم يوفها احد حقها وهي مطروحة على النقاد والكتاب التقدميين منذ الان .

وليد شميط : من الملاحظ ايضا ان هذه الافلام التي ظهرت في فترة معينة من عمر الثورة الفلسطينية ، والتي كانت موضع استغلال السينمائيين التقليديين والاكثر تخلفا في السينما العربية ، قد وجدت استجابة عند العديد من اطراف الثورة الفلسطينية. لقد منحوا هؤلاء السينمائيين فرصة استغلال القضية الفلسطينية ، فقد اعطتهم تسهيلات تمويلية ومنحتهم معدات وآليات ووضعت تحت تصرفهم مقاتلين ايضا . وهذا خطأ يجب تلافيه . وكما ذكر الاخ قاسم ينبغي دحض هذه الافلام وتعريتها ، اولا كي تتنبه الفصائل الفلسطينية الى خطورتها وترفضها وتوقف وضع اية تسهيلات امامها ،

وثانيا حتى لا تسقط الجماهير في حبال الاوهام التي يشيعها هذا النمط من الافلام . وعلى سبيل المثال شاهدت في بيروت فيلما مخجلا فعلا لا اذكر اسمه، فبعد عرض حوالي منتصف الفيلم يوقف العرض ويظهر على حلبة المسرح الممثلان الرئيسيان (شاب وفتاة) بثياب فدائية مموهة ، ويلقيان خطبا عصماء تظهر بوضوح انه ليس لهما علاقة — لا من قريب ولا من بعيد — بما تطرحه الثورة الفلسطينية . على اية حال ، لم نعد نشاهد في هذه الايام مثل هذه الاشرطة . الا انه من الضروري ان يكون للتجمع السينمائي دور اساسي في معالجة مثل هذه الظواهر . فكما هناك مركز للابحاث واخر للتخطيط فان هناك حاجة الى جهة مختصة بالسينما يكون لها حق تقرير صلاحية اي فيلم ينتج عن الثورة . فالتجمع السينمائي مثلا يدرس الفيلم من كافة النواحي ويقدم للثورة الفلسطينية وجهة نظره بصلاحيته او بالعكس . فمثلا ينبغي منع استغلال القضية الفلسطينية بافلام تجارية رخيصة ، فيما توضع كل التسهيلات الممكنة امام اي منتج يرغب في انتاج فيلم روائي يمتلك مقومات فنية وسياسية عالية .

مصطفى ابو علي : لا اعتقد ان من مهمات الثورة مراقبة الافلام او منعها . ولكن من الممكن اذا ما اساء اي فيلم لها ان تنقده وتفضحه . وهذا هو دورها . ومن مهماتها ايضا ان تنتج فيلما افضل منه او تساعد على انتاج افلام احسن نوعية . ولكن ان نقف رقباء على الافلام السيئة فهذه ليست من مهمات الثورة الفلسطينية .

وليد شميط : انا افهم الثورة عملية كاملة متعددة الادوار . وهي عادة تتعرض للعديد من المخاطر والمزالق . وانا لا اقول ان تقوم الثورة بدور الرقيب . ولكن اعتقد انه من واجبها ان تمنع استغلالها والعديد من الافلام التي تتحدث عن القضية تشكل استغلالا تجاريا مبتذلا للمقاومة والقضية . وقد علمت انه في فترة من الفترات قدم ما يزيد على مئة سيناريو في بضعة اشهر الى العديد من الفصائل الفلسطينية رفضت جميعها حتى بدون وجود الجهة السينمائية . لماذا ؟ لان هذه الافلام — وهي على الورق بعد — موضوعة لاغراض تجارية محضة ولا تمتلك اية مقومات سياسية وفنية مناسبة . لذلك ارى انه مثلما تطالب المقاومة بالحفاظ على كيانها وعلى صحتها من اي عدو ، فانها مطالبة بأن تنظر الى الفيلم الرديء على انه عدو لها . ومن واجب العمل الثوري ، ان لم يستطع ان يصيب من عدوه مقتلا ، فعلى الاقل ان يبعده عنه ولا يضع بين يديه فرص الاساءة اليه وضربه .

مصطفى ابو علي : ما زلت ارى انه اذا ما كان الفيلم تجاريا وحتى رديئا ، فليس من مهمة الثورة ان تمنع هذا الفيلم . هذه مهمة الجماهير بأن تقاطعه . مهمة الثورة هنا ان توضح ان الفيلم يسيء اليها .

قاسم حول : ارى ان المنع لا يكون بعد عرض الفيلم وانما منذ البداية ، اي من لحظة وضع السيناريو ، فالافلام التي انتجت سابقا حصلت على موافقة بعض المنظمات وقدمت اليها معونات بشرية ومادية . واستطيع ان اورد قائمة بهذه الافلام . ومن جهة اخرى هناك قرار من الجامعة العربية يقول بأنه قبل انتاج اي فيلم عن القضية الفلسطينية يحق لمنظمة التحرير الفلسطينية ان تطلع على السيناريو وان تتدخل لمنعه . وعلى ضوء هذا الحق يبقى ان تتحدد جهة الاختصاص في المنظمةوطرحنا فكرة التجمعهو اقتراح بهذا الصدد.

ابراهيم زاير : ان اهمية فكرة التجمع السينمائي الثوري ، في هذا المجال ، ستكون فعالة ، ذلك انها ستكون مخولة ان تنتج ، وحدها ، وبلا تحفظات ، افلاما جادة ونظيفة عن القضية الفلسطينية ، والذي يشجع في هذا الصدد ان هناك تأثيرا داخل منظمة التحرير الفلسطينية ضد الافلام التجارية الرخيصة المزمع انتاجها عن القضية الفلسطينية .

اقتصرنا حتى الان على تناول الجانب السلبي القائم بين السينما العربية والقضية الفلسطينية والثورة ، وقدم الاخوة اقتراحات لمعالجة هذه السلبيات ، هل يمكن تناول المسألة من جانبها الاخر وهو كيف يمكن للسينما الفلسطينية المرتبطة بالنضال الوطني المثل في المقاومة ان تؤثر ايجابيا على السينما العربية مستقبلا ؟

وليد شميط: لسوء الحظ ان السينما العربية حملت بذور عجزها مع ولادتها ، رغم انها ما زالت فتية . والسينما اللبنانية مثال واضح . لقد كررنا مرارا ان ولادة السينما الفلسطينية مرهونة بولادتها كسينما نضالية ، وبحكم ظروف الثورة الفلسطينية

والشكل النضالي المسلح الذي يسمها ، فانه من الممكن رؤية علاقة السينما الفلسطينية بالسينما العربية بنفس القانون الذي نفهم فيه علاقة الثورة الفلسطينية بالثورة العربية . بحكم هذه الظروف فان السينما النضالية الفلسطينية مطالبة ان تكون طليعة للسينما الثورية في البلدان العربية ، اذا ما ولدت كحركة سينمائية نضالية حقيقية متصلة جدليا بالتطورات اليومية للقضية الفلسطينية . وانا اختصر هذا الدور الطليعي الذي يمكن ان تلعبه السينما الفلسطينية بالنقاط التالية : اولا : يمكن ان تطرح مضامين جدية ومن طبيعة مختلفة عما تطرحه السينما العربية التقليدية مما يؤثر في السينمائيين العرب الشباب . ويحول في مدى تاريخي بعيد نسبيا كل فيلم الى فعل سياسي واضح وعميق . وثانيا : من حيث الشكل ، فان السينما الفلسطينية مضطرة الى اعتماد الفيلم التسجيلي الذي يتعامل مع الواقع في البداية ، ثم ستعالج هذا الواقع بشكل سينمائي جديد مما سيعطي اثارا منتظرة في السينما العربية ، تعاكس الاتجاهات والتيارات التقليدية الموجودة الان . وطبعا لا نراهن على ان مثل هذا الدور سيعطي نتائج مباشرة وقريبة على السينما العربية .

قاسم حول : اريد ان انبه الى ان التركيز على النمط السائد من السينما العربية وهو النمط التقليدي لا ينبغي ان يحجب عنا ملاحظة المحاولات الشابة والجريئة التي تظهر في سينما هذا البلد او ذاك من وطننا العربي . ففي بعض الاحيان نلاحظ ان بعض السينمائيين الشبان والمتقدمين يتوصلون حتى عبر المؤسسات السينمائية الرسمية الى التماعات سينمائية هامة رغم بدايتها . مثل هؤلاء السينمائيين العرب ينبغي ان نوطد علاقاتنا بهم على طريق ترسيخ شكل جديد في السينما العربية وبديلا للنمط السائد المألوف .

ابراهيم زاير : حول هذه المسألة ينبغي ان يتركز اهتمامنا العملي لخلق نوع من التعاون مع هؤلاء الشباب الذين يشير اليهم قاسم ، على ان لا يخرج هذا التعاون عن النطاق الذي يخدم بشكل فعال (وفي قالب فني اساسا) المنطلقات والوقائع التي تعيشها الثورة الفلسطينية . ان الطليعة السياسية الصدامية يجب ان توظف الى جانبها كل الخبرات القادرة على فهم الظرف السياسي والاجتماعي ، الآني ، وآفاقه الستراتيجية ، لا ان تعود لتتلقى دروسا في النضال العملي والتحليل النظري لمسائل بديهية . من هذه النقطة اشدد على ضرورة وجود فنيين سينمائيين يتفاعلون مع الثورة ويتعلمون منها ويتقدمون للآخرين صوتها واسلوب عملها ، ينقدونه او يعرضونه ، بمعنى آخر ان يمارسوا دورهم الحقيقي كفنانين .

وليد شميط : يقول جودار كلمة مشهورة « لا يمكن صنع سينما ثورية في بلد غير ثوري » ، وهو يعني انه اذا كان المناخ الشائع هو مناخ برجوازي غير ثوري ، يستحيل على السينمائي حتى ولو كان ثوريا وملتزما ان يصنع فيلما ثوريا بالمعنى السليم. وهنا نلمس علاقة بين هذا المفهوم وبين تأثير السينما الفلسطينية على السينما في البلدان العربية . بمعنى انه اذا ما كان المناخ العام في السينما العربية هو مناخ تجاري ، واذا كانت طبيعة الفيلم الفلسطيني طبيعة نضالية ، فان الفيلم الفلسطيني سيؤثر خلال فترة معينة على هذا المناخ السائد .

اذا ما نجح التجمع السينمائي الفلسطيني في انتاج افلام من طبيعة متقدمة ، ستكون هذه بمثابة امثولة على نجاح تجربة سينمائية ثورية بعيدة عن الضغوطات الرسمية الكابتة ، فان هذا سيشجع السينمائيين العرب التقدميين بان يخطوا خطوة اخرى الى الامام على نفس الطريق . وهذا يستدعي مزيدا من العلاقات مع السينمائيين الشبان في البلدان العربية ، كما يستدعي ان يقدم التجمع السينمائي فرصا لهؤلاء السينمائيين بانتاج افلام حول القضية وحول قضايا الثورة العربية والجماهير العربية ، ما دام السينمائيون العرب يتعرضون لضغوط رسمية تمنعهم من تحقيق مثل هذه الافلام. واجد الان من المناسب ان اطرح السؤال التالي : هل تشارك السينما في صنع الثورة ؟ ما يدفعني الى مثل هذا السؤال هو تكرار الاخ وليد بان السينما لا تصنع ثورة ، لكن ما يحدث في مناطق اخرى من العالم (وعلى سبيل المثال امريكا اللاتينية) يجعلني اقول بعكس رأي الاخ وليد ، فالسينما هناك تصنع الثورة مع غيرها من ادوات واشكال العمل النضالي الثوري ، السينما في عدد من بلدان العالم شانها شان النشرة الحزبية السياسية واكثر . وحضور عرض سينمائي سري لشريط ثوري مثل حضور اجتماع حزبي سري ، يتضمن عملية « تواطؤ » ضد النظام . وعلى سبيل المثال

ايضا كان العديد من الافلام التي تعرض تنتهي بمظاهرة وحتى باقامة متاريس كما حصل في مونتيفيديو . وقد تنبهت العديد من الحكومات الى خطورة هذه الافلام فوضعت مزيدا من القيود المشددة على العروض العلنية (الارجنتين والبرازيل) لذلك ارجو ان نناقش باختصار هذه النقطة .

وليد شميط : قلت من قبل انه قد قامت ثورات عديدة في العالم قبل ان تخلق السينما . فالسينما ليست من مقومات الثورة ، والسينما كفن وكوسيلة تعبير وكوسيلة اتصال يمكن ان تستعمل في الثورة، وبشكل عام كل الفنون لا تصنع الثورة ، فالانسان هو الذي يصنعها فقط . والثورة تستعمل السينما مثلها مثل اية عناصر اخرى ، تستعمل لاقتناع الجماهير ولتحريض الناس ولنقل معلومات وللترفيه عنهم . ولكن ليس من المطلوب من السينما ان تصنع ثورة .

قاسم حول : السينما ببساطة انعكاس للواقع ، تأخذ الواقع ثم تشارك به وتدفعه وتؤثر به . واحيانا عندما يكون هناك واقع مهيىء ، ولكن غير متفجر ، فمن الممكن للسينما بحكم امكاناتها الصورية والسمعية ان تسهم في تفجير الحس الثوري عند الجماهير وتسهم في الثورة . وان لم يكن هناك اسبقيات حتى الآن .

مصطفى ابو علي : السينما وسيلة للتعبير الانساني كأي فن اخر ، وهي ايضا اذا استخدمت من وجهة نظر ثورية فهي سلاح بيد الثوار . والعكس صحيح . السينما كأداة قائمة ، جاءتنا من الغرب واستخدمت كغيرها من الادوات في الهجمة الثقافية الامبريالية على بلادنا ، فالسينما اذن سلاح يمكن ان تستخدمه الثورة كما يمكن ان تستخدمه الثورة المضادة .

بسبب كون السينما احدث الفنون المعروفة ، وبسبب كونها نتاج تطور صناعي وتقني في الغرب، فان دخول هذه الاداة الفنية التقنية الى عالمنا العربي شان البلدان الفقيرة الاخرى كان مترافقا مع نماذج فنية معينة ومقاييس راكمتها صناعة السينما الراسمالية اساسا . وهذا يدفعني الى السؤال عن اللغة النموذجية التي يمكن ان تاخذ بها السينما الطليعية على ضوء تجربتنا الخاصة .

وليد شميط : هذا يقودني الى الشكل والمضمون في الفيلم الثوري . عموما السينما الثورية هي تلك التي تحمل مضمونا ثوريا في شكل ثوري ، بمعنى ان الفيلم الذي يحمل مضمونا ثوريا ويكون تقليديا في شكله ، فهو ليس بالضرورة فيلما ثوريا . فاذن الفيلم الثوري يعمل بجناحين معا : الشكل يتضمن خلقا وابداعا في اللغة السينمائية ، ويكون المضمون من طبيعة ثورية بالطبع . ولكن هل نحن بحاجة حقا الى سينما ثورية ؟ انا لا ارى ذلك ، وهذا يعود الى اعتبارات موضوعية واعتبارات الحاجات المباشرة لسينما اليوم . ويمكن تلخيص الاعتبارات الموضوعية بأن المرحلة التي نعيشها ، بمعالمها الفكرية والفنية والحضارية والسياسية ، لا تؤهل السينمائي بأن يكون ثوريا في صناعته للشريط السينمائي . اي ان يكون طليعيا في الشكل والمضمون . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، ليس مطلوبا من السينمائيين العرب في هذه الظروف ان يقدموا اشكالا ثورية ، المطلوب بالحاح ان يقدموا سينما نضالية اي ثورية مضمونا بغض النظر عن شكلها ، على الرغم من ان المضمون احيانا كثيرة يفرض على السينمائي ان يبحث في مسالة الشكل ، هذا اذا كنا نتحدث عن سينما ثورية . وعلينا ان نلاحظ ان الفيلم حتى يكون مقبولا من حيث المضامين ، فانه من الشكل يجب ان يقدم بحثا وتحليلا جيدا . وفيه محاولة خلق في الشكل . ان الفيلم الذي يقدم مضمونا جيدا عبر شكل رديء يؤدي الى مفعول عكسي ، اي بدون فعالية ، ولا يصل الى الناس كما هو مطلوب ان لم يسيء الى المضمون . وهناك حالات يؤدي فيها الشكل الرديء لمحاولة طرح ثوري الى ضرر سياسي ، طبعا اضطررت الى هذا التقسيم (مضمون وشكل) لغايات النقاش ، وهذا التقسيم غير وارد بشكل جامد .

مصطفى ابو علي : اني أفهم الفيلم الثوري كتعبير عن تجربة ثورية ، وفي ظروف كظروفنا ، التجربة الثورية هي تجربة الكفاح المسلح ، والفيلم هنا يتجه اساسا الى الجماهير المعنية بالتضحية وبالكفاح المسلح . هذه الجماهير ، كي نخاطبها عبر فيلم سينمائي ، يجب ان تكون لدينا لغة مفهومة ، بمعنى ان اساليب المخاطبة التي تستخدمها سينما « هوليود » قد لا تصلح دائما لمخاطبة جماهيرنا في المخيمات ومقاتلينا في قواعدهم ، نحن نريد ان نتحدث اليهم عن تجربة ثورية وعن مضامين ثورية

وعن واقع نطوره ثوريا وعن مشاكله . هذا المضمون الثوري من الصعب وضعه في الشكل السينمائي الذي تعارفنا اصطلاحا على تسميته « بسينما هوليود » . من هنا يجب ان نبحث عن شكل مناسب لهذا الواقع الثوري الذي يجري خلقه . ومن هنا لا اتفق مع التقسيم الذي يقول : هناك شكل جيد وهناك شكل سيء . هناك شكل يتفق مع الواقع والمضمون الذي نتعامل معه او شكل لا يتفق معه . اذا استسلمنا للتقسيم السابق : شكل جيد ، شكل سيء ، اخشى ان نقع في تقييمات خارجية وجاهزة . المشكلة هي البحث عن هوية سينمائية تتناسب مع واقعنا الثوري . نحن ما زلنا في بداية الطريق للبحث عن هوية للسينما الفلسطينية . ولا يكفي ان نردد انه لا يجوز ان نضع المضامين الجديدة في قوالب جاهزة . يجب ان نبحث عن شكل جديد يتوافق مع المضامين الجديدة ويتوافق مع طبيعة جماهيرنا البسيطة ، بحيث يستطيع الشكل ان يقدم هذه المضامين بسهولة ويسر ولا يكون عقبة في طريقها . ويمكننا ان نورد امثلة عديدة لاشكالات ناتجة من الغربة بين الشكل والمضمون وبين الجماهير .

قاسم حول : انا افهم الشكل الثوري ، هو فهم سينمائي ثوري ، بمعنى ان الفنان عندما يتناول قضية من قضايا الثورة يهمه بالدرجة الاولى ، ان يوصل قضيته الى الجمهور بشكل سهل ، ولا يرغب في التعقيد في مثل هذا الاتصال . وهو من البداية مهيأ لان يقدم العمل السينمائي بشكل واضح ومفهوم . اما البحث عن الوسائل التعبيرية واسلوبية العمل السينمائي ، فهي تدخل ضمن القناعات الشخصية ، فأي فنان عنده رؤية واضحة للقضية الثورية التي يطرحها ، فهو ان اختار اي شكل سينمائي سيصل الى الجمهور .

ابراهيم زاير : اريد فيما يخص مسألة الشكل والمضمون ان اطرح مثالا بسيطا، فنحن نعرف نجيب محفوظ وكتاباته وتأثيراته على التيار الثقافي وعلى جيل كامل من الجماهير القارئة . مع ذلك فاننا حتى الان لم نجد فيلما واحدا تعرض لرواية من رواياته واستطاع ان يوصل نسبة عشرة بالمئة من مضامين عمل من اعماله . ان المضمون يتحكم ، كأساس ، بالشكل الذي يخرج به ، لكن الحاصل ان فوضى العمل السينمائي لا تسمح لاي منطق ان يتحكم بها سوى الاعتبارات الآنية غير الاصيلة،

وفي هذا المجال فان مهمة النقد هي الكشف ، بموضوعية ، عن النقاط الاساسية التي يريد اي فيلم التدليل عليها ، بطرق مختلفة ، ثم اتخاذ موقف ، هو تحريضي بشكل ما ، ازاء الفيلم المعروض ، بمعنى اخر ، ينبغي ان يكون هناك نقد ثوري جذري لا تتحكم به اعتبارات غير اصيلة هي نفس الاعتبارات التي لا ينبغي ان تتحكم بالفيلم .

وليد شميط : نلاحظ بهذا الصدد اننا في ثقافتنا بشكل عام ما زلنا خاضعين لانماط معينة من التأثيرات الايديولوجية — البرجوازية بفعل خضوعنا لفترة طويلة من الاستعمار الغربي . هذه التأثيرات نلمسها في فهمنا للعمل الفني وفي التقييمات النقدية، فنلاحظ مثلا ان جمهورنا في لبنان وهو البلد الآسيوي ، لا يستسيغ الفيلم الياباني مثلما يستسيغ الفيلم الامريكي او الفرنسي . مع انه من المفروض ان يكون الفيلم الياباني اقرب الينا من اي فيلم غربي عموما . والنقد ايضا ما زال متأثرا بمقاييس الثقافة الغربية ، اكثر مما يأخذ بمعايير تنطلق من واقعنا .

عندما تحدثت عن السينما النضالية ، تحدثت عن نوع معين من السينما التي توظف لاهداف محددة . فمثلا في فيلم « زد » او « الاعتراف » غاية كوستا غافرس من الفيلم هي التي فرضت عليه الشكل السينمائي ، وليست القضية او موضوع الفيلم هو الذي فرض ان يأخذ هذا الشكل الجماهيري العام. الغاية تحدد اي جمهور يريد السينمائي ان يصل. وكوستا غافرس اراد في فيلمي «زد» و «الاعتراف» ان يصل الى اكبر جمهور ممكن في العالم . وقد استطاع ان يصل الى هذا الجمهور بهذا الشكل ، لماذا ؟ لانه خضع لتنازلات ، قبلها الجمهور ، اي لجأ الى الشكل التقليدي في السينما الذي اعتاده الجمهور . بينما لو اراد كوستا غافرس ان يصنع فيلما نضاليا فعلا لاستخدم شكلا اخر من السينما ، اي التي تعتمد على التحليل العلمي السياسي العميق .

مصطفى ابو علي : يخشى في محاولة تطوير السينما النضالية ، ان يحكم عليه بمقاييس السينما الرأسمالية . اي واحد منا بامكانه ان يصنع فيلما بامكاناته المحدودة ، التي يمكن ان تقارن بامكانات المقاتل الفلسطيني الذي يحمل البندقية الصينية والكلاشينكوف امام آلة الحرب الاسرائيلية . فكما

لا يمكن مقارنة سلاح المقاتل الفيتنامي بادوات الحرب الامريكية ، فان السينما النضالية تستخدم ادوات بسيطة لا يمكن مقارنتها بتجهيزات السينما الرأسمالية الضخمة . لذلك لا يمكن الحكم على هذه السينما بنفس المقاييس الجاهزة . ان تجارب السينما النضالية في بلادنا ما تزال محدودة ولم تصل بعد الى جماهيرنا ولا احدثت تأثيراتها بعد ، لذلك فان الكثير من الاحكام وخاصة من قبل المثقفين تعتمد على تجربتهم مع السينما الوافدة من الغرب. بالنسبة للناقد ايضا،فان النقد يكون تجليا للخلفيات الثقافية والطبقية ، وهي التي تعبر عن نمط من الفهم ونمط من الممارسة والعمل .

ابراهيم زاير : ان وعي الانسان البدائي لا ينبغي ان يتحكم في تنفيذ فيلم (والسينما فن معقد يعتمد على الايحاء البصري بالدرجة الاولى) لكن لا بد من التحكم بذلك الوعي بفهمه ومعرفة سبل التأثير عليه وتوجيهه وتطويره . ان جماهيرنا لا تعرف ما هي « السينما » حتى الان واستخدامنا للسينما في التوعية الجماعية وفي التحريض يفرض علينا ان نعرف كيف نستخدم هذا السلاح في العمل السياسي — الفني .

قاسم حول : هناك ملاحظة حول عرض الافلام وامكانات المخرج السينمائي ، ففي السينما في فيتنام الجنوبية والتابعة لجبهة التحرير ، بعد ان تجري عملية تحميض الافلام ، لا تجري عمليات المونتاج النهائية على الفيلم ، انهم يرسلونه الى المقاتلين اولا ، ليروا العمل الذي قاموا به ، وتعرض هذه الافلام بدون صوت ودون ان تجري عليها عمليات المونتاج ، بعد ان يشاهدوها ، يذهب بهذه الافلام فريق سينمائي — وهو ايضا من المقاتلين — الى القرى المجاورة وتعرض على السكان وتجري حولها مناقشات لاستكشاف مدى تأثيرها على الجمهور، اي يجري نوع من الدراسة الميدانية والمباشرة لمدى تأثير عملهم السينمائي وهل استطاعوا ان يوصلوا الفكرة التي يريدونها الى الجمهور ام لا وذلك للاستفادة منها في تجارب اخرى . بعد ذلك تجري العمليات التقنية الاخرى مثل الصوت والمؤثرات وتجري عملية المونتاج وترفق المناقشات بالفيلم . من هذه التجربة يمكن ان نستفيد نحن ايضا ، لا سيما ان السينما الثورية هي جديدة على ابناء المخيمات ، فيمكن ان يكون عرض الافلام قبل ان تأخذ شكلها النهائي كجزء من حملة ثقافية تشمل المحاضرات والكتابات حول اهمية السينما ، هذه يمكن ان تسهم في تنمية الحس السينمائي لدى ابناء المخيمات .

اعتقد انه من الضروري ان نتحدث في ختام هذه الندوة عن الفريق السينمائي الثوري . اي ما هي مميزات هذا الفريق عن الطاقم السينمائي التقليدي، وكيف يمارس عمله ؟

وليد شميط : اي تجمع سينمائي ينبغي ان يضم اشخاصا قادرين على انتاج الافلام ، واخرين قادرين على كتابة هذه الافلام ، واخرين قادرين على تصويرها وتمثيلها اذا اقتضى الامر ، تركيبها واخراجها ، كتابة تعليقاتها ، عرضها ، توزيعها ، وتنشيط العروض السينمائية . بمعنى ان طبيعة الفريق المنتج متناسقة وشاملة ، بحيث ان فريقا من خمسة عشر شخصا او عشرين شخصا يستطيع ان يكتب السيناريو ، ويصور ، ويطبع ، ويعمل المونتاج ، ويقوم بكافة الاعباء التقنية في الفيلم .
اي ان الفريق ينبغي ان يتألف من عناصر قادرة على تلبية هذه العمليات الانتاجية بنفسها . فمثلا بالنسبة لمجموعة من السينمائيين البرازيليين التقدميين قاموا بتجميع انفسهم (مخرجين ، مصورين ، مساعدين ، نقاد ، مموليين .. الخ) وبدأوا بانتاج افلام بصورة مشتركة،فقد قام ثلاثة او اربعة مخرجين كمساعدين لمخرج رئيسي ، والمخرج الرئيسي في هذا الفيلم قام بدور مساعد المخرج في فيلم آخر او كتب السيناريو ، او قام بالتصوير ، بمعنى ان التناسق والتعاون كان قائما وكانت الحصيلة جملة من الافلام التي انتجوها بأنفسهم. واخيرا قاموا بتأسيس شركة لتوزيع الافلام ، وخلقوا طريقة جديدة للعرض في البرازيل ، لقد وجدوا ان دور العرض قليلة جدا في البلاد ، كما وجدوا ان امكانيات فتح دور عرض جديدة بشاشات عريضة او ٣٥ ملم هي مستحيلة ، فأوجدوا دورا للعرض لافلام ١٦ ملم ، وجهزوا آلات عرض ١٦ ملم وعملوا قوافل سينمائية متحركة، فالسينمائيون ينقلون افلامهم بأنفسهم الى كافة مناطق البلاد ويعرضونها على السكان وعلى الريفيين الذين قلما شاهدوا فيلما سينمائيا. هذه التجمعات والمحاولات تحصل في أماكن متعددة من العالم . ففي السنغال ايضا ، التي تفتقر لعدد كبير من صالات العرض ، هناك مجموعة صغيرة من الشباب المتعاونين والمتفاهمين فكريا وسياسيا ، تنتج افلامها وتوزعها

وتعرضها على السكان بنفسها ودون اللجوء الى صالات العرض التجارية . اي ان التجمع السينمائي الفلسطيني مطالب بأن يتعلم من تجارب الاخرين وان يأخذ بعين الاعتبار الامكانات المتواضعة لديه وان يأخذ بخط الاعتماد على الذات في كافة مراحل انتاج الفيلم .

مصطفى ابو علي : ارغب في ان اضيف بعض النقاط . نحن نعرف ان الفريق السينمائي التقليدي يتميز بوجود تخصص صارم في عمله ، فكاتب السيناريو هو المسؤول عنه ولا احد يتدخل في عمله ، المخرج هو صاحب السلطة المطلقة . المصور يقوم فقط بعمليات التصوير ، المونتير يقوم بالمونتاج ، وهناك ايضا المساعدون والفنيون الاخرون . هذا الطاقم السينمائي يتكون من اثني عشر شخصا على الاقل . بينما الفريق الثوري يختلف عن الفريق التقليدي بالضرورة لاختلاف طبيعة العمل الثوري نفسه ، فلا وجود لكاتب السيناريو المتخصص ، ولا وجود للمخرج المتخصص ، وكذلك الحال بالنسبة للمصور المتخصص وهكذا . لماذا يلغى التخصص الصارم في الفريق الثوري ؟ لان الفريق معرض لان يفقد احد اعضائه اثناء العمل الثوري نفسه ، وبالتالي يتهدد العمل السينمائي بالتأخير او التوقف ، اذا لم يقم آخر بعمله . لذلك لا بد للتخصص ان يلغي وان يتقن الجميع كافة الاعمال الفنية وان يقوموا بأعمال بعضهم بعضا اذا ما غاب او اعتقل او فقد احد عناصر الفريق . بالنسبة للفريق السينمائي الثوري ليس بالضرورة ان يكون عدده كالطاقم السينمائي التقليدي ، ربما يكون اثنان او ثلاثة او اربعة في افضل الحالات قادرين على تحقيق العمل ، فطبيعة العمل نفسه تفترض ان يكون الفريق صغيرا ، مثلا حتى تصور عملية عسكرية يكفي واحد او اثنين ، وهنا حتى تستطيع ان تصنع سينما غوارية ، فالفريق السينمائي كالفريق الغواري ينبغي أن يكون صغيرا .

وهناك اختلافات اخرى : الفريق التقليدي بعد ان ينتج الفيلم يسلمه للموزع ولا تعود له علاقة به بعد الانتاج . الفريق الثوري يختلف بأنه قادر على القيام بكل العمليات المتصلة بانتاج الفيلم وعرضه والترويج له ، وايضا مطالب بأن يناقش الفيلم مع جمهوره وان يرى الى اي مدى نجح الفيلم في الوصول اليهم . وربما اتهم بالتطرف اذا قلت انه ليس هناك حاجة للتخصص على الاطلاق . يكفي في افراد الفريق السينمائي الثوري ان يمتلكوا وعيا سياسيا وقليلا من التدريب على الالات واستعمالاتها . ليس من حاجة الى الدراسة في المعاهد او الحصول على شهادة .

قاسم حول : في مهرجان لايبزج الاخير تحدثت الى شبان في جبهة التحرير في الفيتنام ، وقالوا لي انه يجري تدريب المقاتلين على التصوير السينمائي الى جانب التدريب العسكري ، حيث يقومون بتصوير لقطات حية للمعارك او للعمليات التي يقومون بها . وهناك تجربة اخرى في كوبا يمكن ان تفيد في تحديد طبيعة الفريق السينمائي الثوري والاستفادة منها ، اذ قام فريق سينمائي كوبي بتجربة ناجحة ، اذ بعد عرض الفيلم يجمع نماذج من المجتمع (عامل ، فلاح ، طالب ، طفل ..الخ) تدور بينهم مناقشة وتصور « صوت وصورة » ثم يجري عمل مونتاج للفيلم وللمناقشة وتعرض معا .

وليد شميط : الفريق السينمائي الذي تحدث عنه الاخ مصطفى ، يقتصر على ناحية واحدة وهي مرافقة المقاتلين في العمليات القتالية ، ولكن السينمائيين العاملين في اي تجمع سينمائي لا يقتصروا على هذا النوع من العمليات . يمكن ان يكون هناك شخص او اثنان مرافقين للثوار لتسجيل العمليات . لكن التجمع يتضمن حاجات اخرى ، هناك افلام تحتاج الى حد معين من التخصص ، فليس كل فرد في الفريق قادرا على ان يخرج فيلما ، اذ لكل منهم طبيعة عمل معين ، الاختصاص ليس ضرورة قصوى ، لكنه ضروري لمصلحة العمل في حدوده الدنيا ، وهذا لا يلغي الحاجة الى تبادل الاختصاصات بين افراد الفريق. اي لا يمكن ان يقتصر عمل الفريق على نمط معين من الاعمال ، كتصوير العمليات العسكرية ، فهذه واحدة من جملة من التوجهات التي تفترض مستوى معينا من الاختصاصات .

مصطفى ابو علي : انا لم احدد عمل الفريق بتصوير العمليات القتالية، لكن ما اريد ان اوضحه هو ان الفريق السينمائي الذي يصور عملية ، ليس هو المصور المتخصص ، انه هو نفسه الذي يقوم بعمل سينمائي بين الجماهير ، ففي الفريق السينمائي ليس هناك فرد متخصص في التفكير وآخر في التنفيذ ، عندئذ يفقد الفريق صفته الثورية .

(٢) الجلسة الثانية : القضية الفلسطينية والسينما العربية

كيف قدمت السينما العربية القضية الفلسطينية من واقع تجربتكم ومتابعتكم الشخصية لها ؟

كريستيان غازي : طرحت السينما العربية القضية الفلسطينية اساسا عبر خطين : التجاري ، والوثائقي الذي نقل بعض الجوانب من القضية فوتوغرافيا وبدون منهجية محددة ، وذلك كما فعلت العديد من المؤسسات السينمائية التي ترغب فقط في نقل صورة تحرك العواطف السطحية بدون ان تقدم مادة الفيلم في اطار سياسي واضح . ولست انوي ان اتناول السينما التجارية لانها بنظري مرفوضة اصلا ، فهي قائمة على استغلال عاطفة الجماهير وعفويتها. لهذا سأتناول السينما الجديدة فقط ، وهي التي تحاول ان تعالج القضية الفلسطينية من منظار محدد . اني ارى في هذه السينما الجديدة طبيعة مزدوجة . انها السينما الروائية التي تأخذ بذات الوقت شكلا تسجيليا ، وهناك ايضا السينما التي تعتمد الخط التسجيلي الذي ينطلق من ذهنية ومن خلفية فكرية متقدمة . وبصدد السينما الروائية — التسجيلية ، كنت اول من قدم هذا النمط من الافلام ، ففي عام ١٩٦٧ أخرجت فيلما عن القضية معتمدا على اقتباس روائي من برخت ، وكان يحمل اسم «الفدائيون» ، ورغم اني عالجت الجانب الوطني وتناولت ضرورة التحام الجماهير العربية بالمقاومة ضد الاحتلال ، اي اعتمادا على تحريك الحس الوطني بشكل مباشر، ولم يطرح الفيلم اية مدلولات طبقية واضحة فانه قد منع في معظم البلدان العربية ، ولم تقبله سوى سوريه واليمن الديمقراطية .

بعد ذلك ، ومع تطور مفاهيم المقاومة والكفاح ضد الصهيونية والامبريالية ، تطرقت في تجربتي الثانية الى مشاكل داخلية تمس بنية المجتمع العربي نفسه . لقد كان طموحي ان انطلق من الخلفية التاريخية للقضية انتهاء بالواقع ، غير ان الامكانات المادية والضغوطات الرقابية لم تسمح لي بالتطرق للمشكلة على هذا النحو . لذلك اقتصرت تجربتي الثانية على جانب واحد هو الواقع الراهن ، اي تناول المجتمع العربي الذي تهيمن عليه ايديولوجية الاستهلاك وبشكله المتخلف ، وليس بشكله النامي كما في البلدان المصنعة . كما تناولت التناقضات داخل الوضع الفلسطيني ، اي بين التيارات السائدة والطموحات التي تطرح مشروعا جديدا لبناء الثورة الفلسطينية ، ومسألة قدرة هذه الطموحات على الترجمة الى ممارسة . لذلك رفضت أن ألعب اللعبة التجارية التي تضع النصر جاهزا على طبق امام الجماهير ، اي تكريس الاوهام والتعامي عن الواقع .

ان هدفي من هذا النمط من المعالجة السينمائية للوضع العربي الداخلي ان اتوصل الى صيغ من الممارسة التي تترجم التحليل بالعمل . وحاولت ان اعبر ان هذه الممارسة لا تنبت بشكلها السليم والواضح الا بين الطبقات المسحوقة في عالمنا العربي ، التي تسند النضال الفلسطيني وتمده بمزيد من الطاقات القادرة على التصدي للقتال . ان المسألة التي شغلتني باستمرار ، وما تزال تشغلني ، هو ان اجد الصيغة السينمائية الجديدة والملائمة لهذا النمط من العمل .

فيصل ياسري : لا نزيد عن تكرار بدهية ، عندما نقول ان القضية الفلسطينية تشغل الحيز الاساسي من اهتمام الجماهير . وبعيد حرب ١٩٦٧ غدت القضية الفلسطينية بتطوراتها المختلفة قضية آنية وملحة عند كل الجماهير ، ولكونها الشاغل الاساسي للجماهير منذ ذلك الحين ، فانه من المتوقع جدا ان يلجأ المنتج التاجر الى استغلال القضية للربح. انها غدت بنظر هذا المنتج البضاعة الرائجة التي ينطبق عليها الشعار السينمائي التقليدي « هكذا تريد الجماهير » ، ان هذا النمط من المنتجين يهتم بقوانين السوق ويتعامل وفقها ، انه يلبي حاجات السوق مثل الجنس او العنف او العواطف المصبوغة بالمواقف الدرامية ذات الاطار الاجتماعي المبتذل والمزيف . هكذا فهم المنتجون اتجاهات السوق الرائجة ، وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ وبروز المقاومة ، كان السباق على اشده ، كل منتج يريد ان يسبق الاخرين في طرح فيلم جديد عن القضية ، وكان هؤلاء المنتجون يدركون ان انتاجهم سيىء ، مع ذلك كانوا متعجلين لانتاج المزيد قبل ان يكتشف الجمهور فسادها، او لادراكهم ان الجماهير يمكن ان تتقبل هذه الافلام لحماستها وحبها للنضال المسلح . وهكذا كانت دفعة الافلام الاولى التي تصدت للقضية من أسوأ الافلام وأكثرها تزويرا وبنفس الوقت كانت أنجحها تجاريا.

لم يطل الامر بالجماهير ان اكتشفت ان هذه الافلام لا تمس القضية الفلسطينية، وانما هي استعراضات لمغامرات « كاوبوي » عربي ، او نسخ سيئة عن مغامرات العسكرية الامريكية في كوريا وغيرها وان طرحت باطار عربي مزيف . لقد كان هناك فارق واحد بين هذه النسخ العربية والاصل الامريكي والطلياني ، وهو ان النسخ العربية كانت تفتقد الى اية براعة في التصوير او الاخراج او التمثيل. لهذا من المتوقع جدا ، من المنتج ــ الذي يشكل الربح مبـرر دخوله الميـدان السينمائـي ــ أن يلجأ الى انتاج افلام تتصدى للبضاعة الرائجة في السوق ، وقد كانت الافلام التي تتناول القضية الفلسطينية لفترة من الزمن مجرد سلع ، وهكذا شهدنا هذا الفيض من الافلام التي تناوب عليهـا المنتجون بين لبنان وسوريا .

على ان هذا الواقـع لا ينفي وجود محـاولات جدية وواعية لطرح القضية الفلسطينية ، هذه المحاولات عانت وما تزال مـن غياب البرمجـة الاعلامية والوضوح في المعالجة ، والتي تنعكس على الافلام الملتزمة بالقضية والتي تتصدى لهـا بجدية ، لذلك أرى ان هناك عددا مـن المداخل لمعالجة القضية الفلسطينية سينمائيا . وهذا يعتمد على توجهاتنا للمخاطبة السينمائية ، فمن الممكن ان ننتج فيلما للمشاهد العربي وآخر لغير العربي. وهناك امكانية لصنع فيلم يشاهده الجميع، اضافة الى هذا كله نلاحظ الحاجة الى الفيلم التلفزيوني الذي يخاطب الاسرائيلي بالذات ، فمن المؤسف ان لا يكون بوسعنا ان ننفذ الى قلب المجتمـع الاسرائيلي ونحاربه في مكمنـه بواسطة الافـلام التسجيلية والوثائقية التـي تفضح الادعـاءات الاسرائيلية عبر التلفزيونات العربية المجاورة ، لكن شيئا من هذا لم يحصل . واخـيرا اسجل ان الفيلم الوثائقي القصـير كان ابرز المحـاولات السينمائية الجادة .

قيس الزبيدي : سأحاول ان اضيف الى ما أورده كريستيان وفيصل بعض الملاحظات ، اذ ان مسألة انصراف الفيلم العربي عن المواضيع التقليدية التي كان يعالجها دائما ، الى القضية الفلسطينية كان دافعها هو شباك التذاكر ايضا . كذلك هناك ظاهرة اخرى يمكن رصدها اذ بالاضافة الى تحول المنتج التقليدي الى هذا الاتجاه ، فقد استدعت حاجات السوق دخول منتجين تجار جدد ، وبشكل خاص في سوريه ولبنان . وهذا يمكن ان يفسر الرداءة في النوعية ، ان خبرة هؤلاء في المعالجة السينمائية ــ اذا سلمنا بوجودها ــ لم تستمد من الواقع الفلسطيني ، والصراع الدائر على ارض الواقع ، وانما استمدت من مشاهدة الافلام الامريكية و« الوسترن » الايطالي التي استعيرت بأسوأ شكل وألصقت على المواضيع الفلسطينية .

كما اننا لا يمكن عزل السمة الاساسية التي ميزت الفيلم العربي في تناوله لمواضيع فلسطينية عن طبيعة هذا الفيلم تاريخيا ، وهي الطبيعة الناشئة عن صلة السينما العربية بشباك التذاكر وليس بالواقع . ان شباك التذاكر هو القانون المحرك للسينما ، وهو الذي يحدد نوعيتها . وقد حافظ الفيلم العربي على هذا القانون وعلى هذه التقاليد حتى في تناوله لقضية مقدسة عند الجماهير وعند المتعاملين بالفن وهي قضية فلسطين .

في مجال السينما الروائية جرت محاولات غـير مبرمجة ، وبشكل خاص في سورية ، وربما كانت المؤسسة العامة للسينما في سوريه لعـدد من الاعتبارات ، اكثر المؤسسات انتباها لانتاج افلام متصلة بالقضية الفلسطينية . وكانت اول محاولة جادة في هذا النطاق، فيلم « رجال تحت الشمس » ويمكن تقييم هذا الفيلم بأشكال عديدة ، بيد ان القيمة الاساسية للفيلم انه اهـم الافلام تناولا للقضية الفلسطينية بطموح فني وسياسي . هناك محاولات اخرى اعتمدت علـى اعمال روائيـة وقصصية مثل فيلم « السكين » لخالد حمادة ، و« المخدوعون » لتوفيـق صالح .. الخ هذه المحاولات رغم كل التقييمات الصارمة التي تمت وسوف تتم ، تبقى الاكثر جدية في معالجة القضية الفلسطينية من هذا الجانب او ذاك .

لكن في رأيي ان الفرصة الذهبية للقضية الفلسطينية كانت وما تزال في الفيلم الوثائقي وليس في الفيلم الروائي ، وذلك على مختلف المستويات السياسية والنضالية والاعلامية ، اذ ان الفيلم الروائي ، حتى في حالاته الجيدة ، يبقى أسير تقاليد درامية يمكن ان لا تكون في هذه المرحلة كافية لطرح القضية بالمستوى المطلوب . مـن هنا ارى ان محاولة كريستيان غـازي مهمة ، بالرغم مـن قصورها ، الذي يعود الى الاوضاع التي واكبت انتاجه ، وهي محاولة مهمة لانه ابتعد عن الاطار السينمائي الدرامي القاصر ، وحاول ان يجسد

صيغة في المزج بين الاساليب التسجيلية وشبه التسجيلية ، والتسجيلية الممثلة . مع ان الربط يبدو عفويا وغير معتمد على قصة يتعرف عليهـا المتفرج ، كأي قصة اخرى ذات بناء درامي (بداية ـ وسط ـ نهاية) تتعرض لمشكلة تشد المتفرج وفي النهاية تنحل سلبا او ايجابـا . حتى هذه المحاولة الجادة تميل اكثر في رأيي الشخصي الى الوثائقية والتسجيلية . ومن هنا ارى ان الفرصة الذهبية امام القضية الفلسطينية سياسيا واعلاميا هي في الفيلم الوثائقي . وفي هذا القبيل ظهرت مبادرات فردية جادة من قبـل سينمائيين عرب عديدين للاهتمام بالواقع الفلسطيني عـن طريق تسجيله واعطاء الوثيقة فرصة الانتشار ونقلهـا الى الرأي العام العربي والعالم . وعلى عاتق السينما فرصة كسر الحصار عن القضية ورفع الضغوط عنها . فالسينما كوسيلة حضارية فعالة وديناميكية لنقل المادة الاعلامية الى الرأي العام العالمي ، تستطيع بحكم طبيعتها الحركية وبوصفها ذات لغة عالمية شرح حقائق القضية الفلسطينية بأبسط الطرق وأكثرها قدرة على التأثير. عوضا عن ذلك فان الفيلم الوثائقي كمتنفس اساسي للقضية في هذه المرحلة يخلق تقـاليد انتاج للسينما الروائية على المدى الطويل ، وعنـد ذلك يمكن معالجة القضية الفلسطينية بالفيلم الروائي . ان الفيلم الوثائقي الذي يعرض بسهولة اينما كان ، يكتسب صفة موضوعية ، فيما الفيلم الروائي ينقل وجهة نظر ، ويعكس واقعا مركبا ومقولبا وتتشكل فيه الحقيقة كما يراها الطاقـم السينمائي وخاصة المخرج . وهنا ثمة احتمالات في ان تشوه الحقيقة عند السينمائي ، اذ يمكن ان يكذب ، ويمكن ان يكون مندفعا او متحمسا ويصور الاشياء من خلال حماسته ، كما يمكن ان تكون خبرة السينمائي ناقصة رغم كل الرغبات المخلصة لقول الحقيقة . النتيجة هي ان الفيلم الروائي يخرج قاصرا . اما في الفيلم التسجيلي فهناك وجهتا نظر : وجهه نظر الطاقم السينمائي ووجهة نظر الواقع كما تقدمه الصورة . وعندي مثال لفيلم وثائقي اخرجه فيصل ياسري ، وهو « نحن بخير » فقد اخذ فيصل عنصرين اساسيين لتركيب الفيلم ، الاول صوتي معتمد على مادة اذاعية مقدمة من اذاعة اسرائيل بالعربية وهو يتضمن رسائل المواطنين الى ذويهم وفيه يؤكد مرسلو الرسائل الصوتية على انهم بخير ، والثاني عنصر بصري استمد مادته مما سجلته وكالات الانباء الاجنبية وبخاصة الامريكية والبريطانية من اشرطـة سينمائية عـن الاحتلال وظروف معيشة المواطنين .. الخ ، لقد كان موقف المخرج هو الجمع بين عنصريـن يقدمان مادتـين متناقضتين ، وبمجرد هذا الجمع بين العنصرين يقود الى حقيقة لا يشوبها الشك ، لقد تحول الفيلم الى وثيقة اعلامية دامغة ضد الاحتلال .

عمر اميرالاي : لا استطيع ان اتحدث عن معالجة السينما العربية للقضية الفلسطينية انطلاقا من النتائج دون ان اضع جملة هذا الانتاج السينمائي في الجو العام . اذ ان العودة باختصار الـى الظروف التي عاشتها القضية الفلسطينية وانطلاق المقاومة الفلسطينية تقدم صورة عـن النوعية والمضامين التي حملها الفيلم الذي تصدى للقضية ، ان حزيران وهزيمـة الانظمة العربية وظهـور المقاومة قدمت الى الحركةالثقافية والفنية موضوعا جاهزا ، كما كان الجو العـام يقدم ضمانات استثنائية بأن يلقى اي انتاج فنـي صدى بين الجماهير سواء كان بوجهه الجاد ام بوجهـه التجاري . اي بكلمة اخـرى كانت الضمانـة الجماهيرية متوفرة ، وقد كان طبيعيا ان تتصدى المحاولات الجادة للتفاعل مع الاحداث وخاصة مع نتائج حرب ١٩٦٧ ، وبنفس الوقت كان الميدان مفتوحا للمتكسبين والتجار . وانطلاقا من واقع نشوء المقاومة ومن وضع الجماهير امام انظمتها، اندفعت العديد من القوى المهزومة الى المراهنة على المقاومة ــ التي أفسحت لها المجال لذلك ــ واخذت تبالغ في اعطاء المقاومة حجمها ومنحتها تسهيلات غير طبيعية وقد التقت هذه القوى وهذه الاتجاهات مع المنتجين التجـار على المستـوى السينمائي في دفع صورة « السوبر كوماندوز » الى الشاشة ، الذي غدا ــ بقبول المقاومة وبتشجيعها احيانا ــ البضاعة الرائجة في فترة ما بعد حزيران لوجود الضمانة الجماهيرية التي تعبر عن التفاف الجماهير حول هذا النهج من النضال .

لا ارغب في الاستطراد بالحديث عن الفيلم التجاري، لخلوه من اية مسؤولية فكرية ، ولكونه سلعة تتكيف حسب ظروف العرض والطلب في السوق ، فكما اننا لم نر هذا الفيلم الا نادرا قبل ١٩٦٧ فاننا نلاحظ تراجعه الان لذات القانون ، اي قانون العرض والطلب . ما يمكن ان نقف امامه هو

الفيلم الجاد ، نظرا لدوره الفعال والمسؤول . ومن مشاهداتي استطيع ان اصنف هذه الافلام على النحو التالي : الافلام الروائية الطويلة التي انتجتها مؤسسات القطاع العام وبخاصة في سوريه ، الافلام الوثائقية التي انتجتها ذات المؤسسات في عدد من الاقطار العربية ، بالاضافة الى التلفزيون ، وهناك الافلام الوثائقية التي انتجتها المقاومة الفلسطينية واخرى انتجتها المنظمات اليسارية المؤيدة للمقاومة الفلسطينية في الخارج .

ان الافلام الروائية المنتجة ضمن القطاع العام لم تخل من محاولة الجدية ، بيد ان قلة هذه التجارب لا تعطينا اية نتائج مبلورة . اما الافلام الوثائقية ، فقد كانت ظاهرة ملموسة على صعيد السينما الناشئة ، ففي سوريه مثلا ، كانت هناك محاولات وثائقية شابة عموما ، وجدت فرصتها التعبيرية في ملاحقة تطورات القضية الفلسطينية سينمائيا ، وكان للقضية فضل اعطاء هؤلاء الشباب ظروفا مناسبة لتبلورهم والوصول الى نتائج جدية .

ان ما استطعت أن أراه من أفلام المقاومة ، يتسم بطابع اعلامي، ولاحظت انها تخاطب الجمهور الاوروبي بكثير من المراعاة ، فعلى سبيل المثال لاحظت ان منظمة فتح كانت معنية بانشاء جبهة اعلامية في اوروبا ، ومن ثم جاءت افلامها تلبي هذه الرغبة ، وموجهة اساسا للجمهور الاوروبي وقد انعكس ذلك بأن كانت افلامها تتجنب اثارة مشاعر الاوروبي بالحديث عن القتال والبندقية . وقد كان للمنظمات الاخرى افلامها لكنها لا تقاس بنتاج المنظمة الرئيسية .

واخيرا هناك الافلام التي انتجتها منظمات يسارية في اوروبا الغربية ، ويهمني ان اتحدث عن تجربة بالذات ، اعتبرها رائدة في الفيلم الوثائقي . « فلسطين ستنتصر » هو عنوان فيلم انتجته مجموعة من السينمائيين الشبان اليساريين في فرنسا (تكونت اثناء انتفاضة الطلاب والعمال في ١٩٦٨) لصالح منظمة « فتح » ، ورغم ان مدة الفيلم لا تزيد عن عشرين دقيقة ، الا انه استخدم كافة الوثائق المكتنة ، الرسم ، اللوحات المكتوبة ، الصور ، واعطى سردا بانوراميا لتطورات القضية منذ نشوء الصهيونية وعبر دخولها لفلسطين وما نتج عن ذلك من ثورات وقتال ثم نزوح ، واخيرا بنشوء المقاومة واوضاعها وصولا الى المرحلة الراهنة . ما يلفت النظر ، انه خلال هذه المدة القصيرة ، استطاع هذا الفريق السينمائي الشاب ان ينسق جملة كبيرة من الحقائق في فيلم قصير بذهن صاف ، ووضعت خلفية تاريخية وافية انتهت بها الى النتائج . وبالطبع لم يكن من المنتظر ان يتحدث الفيلم عن كل شيء ، لكنه بنظري نموذج لتجربة لم اجد مثيلا لها في الافلام الوثائقية العربية او الفلسطينية او بين اصدقاء المقاومة من الاوروبيين .

على ضوء هذا الكشف المكثف لتجربة السينما العربية في طرح القضية الفلسطينية ، خلص معظمكم الى ان الفيلم الوثائقي هو الاكثر استجابة لحاجات المرحلة الحالية ، ما هي الاشكالات التي تواجه الفيلم الوثائقي وما هو دور المؤسسات الفلسطينية في تذليل هذه المصاعب والاشكالات ؟

فيصل ياسري : اود في البداية ان اتناول تجربة المقاومة مع السينما في الاقطار العربية ، فقد كان هناك تحبيذ عام لدى المقاومة الفلسطينية وعدد من المؤسسات الاخرى لظهور اي فيلم عن القضية الفلسطينية . وكان هناك تصور ان هذا هو نوع من الدعاية ومن الاهتمام بالقضية ، ويبدو ان المقاومة لم تدرك ابعاد هذه القضية واعطت المنتجين من الثقة الزائدة اكثر مما يجب ، كما لم تملك اي تقدير حقيقي لمستوى الكوادر والطواقم الفنية التي تقف وراء هذه الاعمال التجارية . لقد منحتها ثقتها ، وقدمت اكثر من ذلك ، المساعدة لهذه الافلام ، من الشباب ومن الاسلحة والملابس وآليات النقل ، وكانت النتيجة ان هذه الافلام خرجت بشكل سيىء ومشين . لقد كنت اسمع من اصدقاء في المقاومة كلمات مثل « المهم ان يخرج فيلم عن القضية » النتيجة هو ظهور نموذج « السوبر فدائي » الذي كان يبدو وكأن ليس له ادنى ارتباط بالواقع وبالارض وبالظروف التاريخية ، من المهم الان ان تأخذ المقاومة مواقف صريحة من هذه الافلام السيئة ، وكنت اتمنى ان تستدرك المقاومة بعد ان ظهرت بوادر هذه الافلام باتخاذ موقف سياسي وفكري منها وان توضح للجماهير بأي شكل ان هذه الاشرطة السينمائية لا تعبر عن فهمها للقضية .

اما بالنسبة للاشكالات التي تواجه السينما في تصديها للقضية ، فسنتناولها على مستوى الفيلم

الروائي والفيلم التسجيلي . فنحن نعرف ان الفيلم الروائي يكلف مبالغ كبيرة ، لا يمكـن لمنتج او مجموعة من المنتجين ان يقامروا بانتاج فيلم روائي اذا لم يضمنوا تقبل السوق لـه ، او يضمنوا مردودا معينا . لهذا ارى ان امكانية انتاج فيلم روائي عن القضية صعبة بسبب عقبتين اساسيتين هما : فكرة الجمهور السلبية عموما عن اي فيلم روائي يتصدى للقضية الفلسطينية من واقع تجربته مع هذه الافلام ، اذ حتى مع توفر سيناريو وعناصر فنية جيدة للفيلم فان اي منتج يرفض المغامرة . وثانيا لان انتاج فيلم جيد عن القضية يستدعي انفاق مبالغ كبيرة ، هي فوق طاقة اي منتج يفكر بعقلية السوق وينتظر ربحا وافرا من وراء مغامرة محدودة . ان اي جهة فلسطينية تفكر في انتاج فيلم روائي ذي طابع جماهيري ، لا بد ان تبحث عن ضمانات مالية كبيرة ، او ضمان توزيعه في عدد من الاقطار او مساهمة عدد من المؤسسات في تمويله . مع ذلك اضع تجربة مؤسسة السينما في سوريه ، فقد انتجت عددا من الافلام الروائية عن القضية لكنها لم تجـد النجاح الجماهـيري المنتظر ، خصوصا ان المؤسسة لا تملك صالات العرض التي تتحدد عادة مواقفها من هذه الافلام على اساس تجاري .

اما بصدد الفيلم الوثائقي الذي هو اقل تكاليف وابعد كثيرا ، فانه يواجه مشكلتين اولهما : ان عرض الفيلم الوثائقي القصير يحتاج الى نوع من التبني من الجهات الرسمية : كأن يفرض الفيلم الوثائقي من قبل الحكومات على دور السينما في بلدانها اذ ما فائدة صنع فيلم ذي مستوى جيد فنيا لا يجد فرصة لعرضه . وثانيا ان يعرض في محطات التلفزيون العربية ، وغـير العربية اذا امكن . ثالثا : توفير الوثائق والمعلومات الممكنة الى السينمائيين المتحمسين لانتاج فيلم ليس وراءه مردود مالي شخصي .

فعلى الاقل ينبغي ان يتحقق للسينما مردود معنوي. وعندي مثال شخصي ، فأنا انتجت عام ١٩٦٩ فيلم « نحن بخير » وقد حاز على جائزة دولية واثار اهتمام الصحافة ، لكن هذا الفيلم لم يعرض في اكثر من بلدين عربيين حتى الان . ولم يعرض في اوروبا الا ضمن مبادرات شخصية . ان قلة الاهتمام العام يهبط من عزيمة السينمائيين العرب وحماستهم لتكرار التجربة .

كريستيان غازي : هناك نقطة يركز الزملاء عليها كثيرا ، وهي الفصل ما بين الروائي والوثائقي . انا ارى ان ليس هناك ما هو فيلم روائي وما هو وثائقي بحد ذاته . في طريق تأدية غرض خدمة القضية الفلسطينية علميا ، وطرح المشكلة امام الجمهور . ولا شك ان الافلام الوثائقية التي انتجت من قبل قيس او نبيل ومن قبل عدد من الزملاء ذات قيمة جدية ، بيد انها لا تتخطى الهدف التحريضي . هناك ضرورات اخرى غير التحريض وهي ضرورات التحليل العلمي والنظري . ان الافلام الوثائقية تعتمد على التحريض المباشر الذي يمكن ان يمت الى الحماسة العاطفية وليس الى التزام علمي وسياسي .

ان الاشكالات التي تتعلق بالانتاج والنوعية وضرورة ايجاد فرص للعرض ، صحيحة ، ولكني ارفض ان يحصر الفيلم الروائي في الفهم الكلاسيكي له « وجود عقدة ووسط وانفراج » وهذا مرفوض . ان القضية التي نعيشها ونعانيها ليست سهلة والحديث عنها لا يمكن ان يتم بالتحريض ، من الضروري ان نلجأ الى التحليل ووضع الجماهير امام مسؤولياتها التاريخية . في فيلم « مئة وجه ليوم واحد » لم تكن طموحاتي طموحات صنع فيلم روائي بقدر ما كانت طموحات وضع المتفرج امام مسؤولياته وحل الاشكالات التي يعاني منها سواء أكانت داخلية أم خارجية ، وذلك بسبيل اتخاذ موقف واضح .

اما الافلام المسماة روائيـة والتي تطرح نموذج السوبر كوماندوز فهي مرفوضة ، ليس لي علاقة بها ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان طموحي هو ان نصل الى أسلوب سينمائي ملتزم بالقاعدة الجماهيرية الواسعة ، ونريد أن نجد الاسلوب الذي لم نتمكن منه بعد ، نريد ان نصنع نوعا من التركيب ما بين التحريض وبين التحليل العلمي الذي نحن بحاجة اليه .

في « مئة وجه ... » لم استطع ان احقق لوحة كاملة للقضية ، واقتصرت على الوضع الراهن ، مع ذلك فقد تعرض الفيلم لتعقيدات وعراقيل كثيرة، ولم يخرج الى النور الا بعد ان بترت منه عشرين دقيقة كاملة . رغم ذلك ما يمكن ان اقوله عن تجربتي الشخصية هو انها تجربة جديدة بمعنى الكلمة ، وليست استمرارا للمفاهيم التقليدية للفيلم الروائي .

قيس الزبيدي : عندما نوهنا باهمية الفيلم التسجيلي ، لم يكن غرضنا ، ابداء موقف من الفيلم الروائي ، او المفاضلة بين الروائي والوثائقي . ولكني ذكرت مثالين ، الاول وثائقي صرف هو « نحن بخير » واخر تركيبي لاكثر من اسلوب ومنهج سينمائي هو « مئة وجه .. » وقد ذكرت ذلك واعيا لاهمية كل اسلوب . واكرر ما نوهت اليه من ان الفيلم العربي يعاني من مرض مزمن وهو صلة هذا الفيلم بالواقع . في الفترة الراهنة ، نلاحظ ان مجابهتنا للواقع تأخذ شكلا حاسما ، بحيث لا يمكن الهروب من معالجة الواقع ، وهذا ينعكس على السينما العربية ، لقد بدأت السينما العربية ، وان كان بشكل سطحي ومهزوز ، بتناول مشاكل واقعية ، بعد ان كانت تتهرب منها ، ان فرص الفيلم العربي ستبقى قائمة ما دامت صلة السينما بالواقع واهية وسطحية .

وعندي مثال هو فيلم « الارض » الذي اخذه المخرج يوسف شاهين عن رواية عبد الرحمن الشرقاوي . فنحن نعرف ان « الارض » عندما خرجت لاول مرة كانت رواية نضالية ، اما في الوقت الذي انتجت فيه ، اصبحت ذات قيمة كلاسيكية من التراث . لقد جاء يوسف شاهين وعالج « الارض » ورغم وجود نوع من التعارض بين موقف الكاتب من العالم وموقف المخرج من العالم ، فقد تم اللقاء بينهما بسبب اهمية طرح الواقع من جديد . لا يكفي ان يستعيد السينمائي الموقف من الادب ، ويأخذ هذا الموقف الى استديو من اربعة جدران ويحدثنا — كجماهير — عن تجربة عميقة من التعامل مع الواقع . لانه في الاساس ، يفتقد السينمائي لهذه التجربة ، هذا شيء جاهز في الادب ولم يفعل سوى ان ادخله على الاستديو ، تماما كما يفعل اي شاعر ينظم قصيدة داخل حجرة مغلقة، اللهم الا ان السينمائي يمنحنا الوهم بأن ما نشاهده على الشاشة هو الواقع .

الفيلم التسجيلي مهما كان نوعه ، سواء كان وثائقيا صرفا ، او كانت مساهمة المخرج اكبر في صنع الوثيقة ، فانه يبقى في مواجهة مباشرة مع الواقع وفي تعامل مباشر معه . واشير هنا الى تجربتي في فيلم قصير عن الاطفال الفلسطينيين في المخيمات وهي تجربة اعتبرها الاهم عندي كسينمائي ، لماذا ؟ لانني بمجرد ان عشت في المخيم فترة من الزمن للتحضير للفيلم والتصوير والتهيئة له ، جعلتني في موقع حساس من المشكلة التي اعالجها في الفيلم . هذا ما اريد ان اصل اليه ، ان الفيلم التسجيلي يفرض نوعية جديدة من الفنانين ، ومواجهة معينة من الواقع ، فاذا انتقلنا الى الفيلم الروائي بهذه التقاليد ، فاننا سنبتعد عن التزييف وسنبتعد عن الاستعارة وعن السطحية في معالجة الواقع .

تجربة كريستيان غازي ، ربما تشكل حالة استثنائية في الفيلم العربي ، لكونه على صلة ومعرفة بالواقع الفلسطيني والمقاومة . فهو من تجربته هذه يحاول ان يصل الى اسلوب . ومع هذا يقرر ان المشكلة بالنسبة اليه ، ليست في تعامله مع الواقع ولكن في الوصول الى اسلوب سينمائي . هذه المشكلة يمكن الانتصار عليها بطبيعة الحال عن طريق الفيلم التسجيلي في المدى الطويل ، عن طريق طرح اشكال سينمائية جديدة تغنى بايجاد صيغة سينمائية جديدة قادرة على استيعاب الواقع ، بدون مواربة او سطحية . وهناك ظاهرة معروفة عالميا ، هي ظاهرة التآلف العميق بين المنهج التمثيلي الروائي والمنهج التسجيلي فهناك الكثير من الافلام التي يطغى المنهج التسجيلي عليها او العكس ، ويبدو ان طريق السينما السياسية النضالية في العالم هي بالمزج بين الاثنتين ، الروائي والتسجيلي ، فلا يستطيع احدهما ان يستغني عن الاخر ، وتبقى المسألة الاساسية هي صيغة اللقاء الذي يقود الى استيعاب الواقع .

وبصدد طرح كريستيان لاهمية وجود منهج تحليلي في السينما ، انا لا ارى ان النهج التحليلي يتناقض مع الفيلم التسجيلي ، على العكس من ذلك ، ارى انه من الممكن ان يأخذ التحليل العلمي فرصته في الفيلم التسجيلي اكثر مما هو ممكن في الفيلم الروائي ، فالاخير يكتسب نوعية درامية وطبيعة مختلفة .

كريستيان غازي : لدي اعتراض صغير ، ان الطبيعة المباشرة في السينما التي قدمت للجماهير، حولت المشاهدين الى جمهور استهلاكي ، توضع امامه مادة جاهزة تغنيه عن التفكير وعن البحث في المشكلة . ما اسعى نحوه ، ليس فقط صيغة ، لكن ايضا الممارسة مع الواقع وتناقضاته وخلالها. ووضع الجمهور تجاه تساؤلات ومسؤوليات ينبغي

ان نتمكن تعبيراً من ان نقوده الى تحليلها والاجابة عليها . ولكن بما ان القضية مركبة وليست بالبساطة التي يظنها البعض ، فلا بد من استخدام صيغة سينمائية مركبة لحلها .

فيصل ياسري : كملاحظة ختامية ، لهذه النقطة بالذات ، ارغب ان اقول ان لكل من الفيلم الوثائقي والفيلم الروائي دورا معينا وهدفا معينا، المهم في هذين النوعين هو قدرتنا على استخدام اي منهما في ايصال مادة معينة الى الجمهور ، مع الاخذ بعين الاعتبار الفروقات بين الطريقتين . ومن المهم دوما لكي نتوصل الى احداث التأثير المطلوب على الجمهور ، ان يكون هناك وضوح في الرؤيا عند السينمائي ، وان يكون صادقا في معالجته . لم يعد اليوم سهلا ان يقدم السينمائي صورة مزورة ومغشوشة عن الواقع وعن قضايا تعيشها الجماهير وتتحسسها يوميا . اما الوسائل او توفر الامكانات التقنية ، فتبقى مسالة ثانوية ، لان في مراحل معينة يتناقل الناس مناشير سياسية، مطبوعة بشكل سيء ، لكنهم يلاحقون محتواها اكثر مما يلاحقون مسائل اخرى ، مثل كيف طبعت وما هي مادة الورق .. الخ المهم هو ما نقدمه للجمهور وهل يهمه ان يراه .

عمر اميرالاي : اريد ان اعقب على كلمة لفيصل، فقد قال ان الفيلم التجاري انتهى برفض الجمهور له من واقع تصديه للقضية الفلسطينية ..

فيصل ياسري : (مقاطعا) قلت ان الجمهور رفض واقع معالجة الفيلم التجاري للقضية الفلسطينية اي انعدمت ثقة الجمهور بالفيلم التجاري ..

عمر اميرالاي : المشكلة مطروحة عندي بصورة اخرى ، هذه الافلام مرتبطة بالجو العام جذريا ، ان عزوف المشاهد العربي عن الفيلم الذي يتناول القضية هو ايضا نتيجة لسلبيات المقاومة الفلسطينية في الفترة الاخيرة .

فيصل ياسري (موضحا) : اعتقد ان عزوف المواطن العربي هو عن اساليب معالجة القضية الفلسطينية ، وليس عن القضية نفسها ،فالقضية لا تعاني من قلة اهتمام الجمهور بها ، بقدر ما مل الجمهور بعض الاساليب في المعالجة على هذا المستوى او ذاك .

عمر اميرالاي : نلاحظ ان الافلام التي تصدت للقضية الفلسطينية عالجت المقاومة الفلسطينية نفسها ، لانها رأت فيها ظاهرة مقبولة جماهيريا ، ونجد ان المنتجين قد توقفوا عن الانتاج لمعرفتهم ان هذه الافلام لم تعد تجد تجاوبا عند الجمهور . اما الان ، فأنا أرى ان مستقبل الفيلم الفلسطيني رهن بتطورات القضية الفلسطينية نفسها ، وبمستقبل وظروف النضال الوطني الفلسطيني . هذه السينما ينبغي ان نشرع بالابتعاد عن الوضع السابق ، وان تكون هناك بداية جديدة ، لا بد ان تكون هناك محاولات دراسية على غرار ما يفعله مركز الابحاث ، لتطورات القضية الفلسطينية بلغة سينمائية علمية ، كما هناك حاجة للقيام بافلام تعليمية .

واخيرا ، لا اتفق مع ما ذكره الاخ فيصل من ضرورة التزام الحكومات بعرض الافلام الوثائقية في دور السينما والتلفزيونات التابعة لها ، او ان تساعد وتمول انتاج الافلام الفلسطينية . ينبغي ان لا نكرر نفس التجربة ونفس السلبيات . لا بد من انفصال تام عن هذه المؤسسات الحكومية ، لا بد من الانفصال عن تأثير او توجيه هذه المؤسسات ، التي لا بد ان تفرض توجيهاتها وخطها السياسي . هذا اذا كنا نريد فيلما فلسطينيا جديدا .

قيس الزبيدي : نحن ندرك انه ليس لدى المؤسسات الجماهيرية العربية والفلسطينية بعد فهما عميقا للدور الذي يمكن ان تلعبه السينما في تشكيل الوعي الاجتماعي للجماهير . فحتى في الدول التي تشرف على انتاجها السينمائي او يخضع الانتاج لمؤسسات القطاع العام ، ما زالت التسلية هي المقولة الاساسية ، ربما كنا نتصور ان هذه التسلية ستكون اكثر تهذيبا ومعقولية ، لكنا اكتشفنا مؤخرا ان لا فرق ما بين قطاع عام، وقطاع خاص .

ان المنظمات الفلسطينية واعية لوسائل الاتصال الجماهيرية الاخرى ، لكن السينما ليست بعد معتمدة كبقية الفنون واشكال الاتصال ، وقد كانت هناك فرصة لنشوء سينما عربية ثورية مع نشوء المقاومة وتطورها ، لكن الحدود التي وقفت عندها السينما المتعاملة بالقضية كانت اولية واحيانا كثيرة كانت سلبية ، اذا اخذنا مثال فيتنام خصوصا في السنوات الاخيرة ، نلاحظ ان السينما في العالم استطاعت ان تقدم للشعب الفيتنامي مساعدات

لا يمكن تثمينها . لقد استطاعت ان تلعب دورا مهما في دعم الفيتنام وفي الحصول على مكاسب دعاوية وسياسية في نضالها ضد التدخل العسكري الامريكي . طبعا لم تقتصر المساهمة السينمائية على جهود السينمائيين الفيتناميين ، وانما منحت فرصا واسعة للسينمائيين التقدميين في العالم في انتاج الافلام التي تحولت الى اسلحة دعاوية فعالة على امتداد البسيطة . المهم هو توظيف السينما كفن عالمي من اجل قضية مقدسة .

هناك مسألة المساعدة الحكومية ، يحتاج الفيلم الوثائقي الى أموال وتسهيلات ، اكثر مما يحتاجه الفيلم الروائي . أحيانا لقطة قصيرة جدا تعطي الفيلم قيمة تاريخية وقيمة موضوعية لا يمكن الحصول عليها بدون تسهيلات رسمية ...

فيصل ياسري : كذلك بالامكان ان تبيع الفيلم الروائي ، اما الفيلم الوثائقي ، فمهما بلغت تكاليفه ، لا يجد من يشتريه في الاوضاع العربية القائمة .

قيس الزبيدي : واذا ما رغبنا في انتاج فيلم وثائقي تاريخي عن القضية الفلسطينية من منشأها حتى الان ، نحتاج الى وثائق ليست متوفرة في الوطن العربي ولا بد من شرائها من الاراشيف العالمية ولا يمكن الوصول الى هذه الوثائق بجهود فردية . الشيء الذي اريد ان انتهي اليه ، هو اذا ما التفتت المنظمات الفلسطينية الى اهمية السينما وشكلت وحدة افلام ووضعت صيغة ونظاما داخليا مرنا وفعالا ، بوسع هذه الوحدة ان تقدم للثورة الفلسطينية وللسينمائيين العرب خدمة لا تثمن ، عندها يمكن ان تطلق مبادرات السينمائيين الشباب للتعبير عن مواقفهم السياسية والفكرية بشتى الاشكال ويمكن ان تعالج القضية الفلسطينية وقضية نضال الشعب الفلسطيني بدون ان نسقط في الدعاوة الذاتية لهذه المنظمة او تلك .

بصدد اجاباتكم السابقة ارغب في ان اسجل صحة العديد من الملاحظات والانتقادات ولكنني لاحظت انكم اقتصرتم على الجوانب السلبية التي تقع على عاتق المؤسسات الفلسطينية ولم تتناولوا مسؤولياتكم كسينمائيين شبان ، كما لاحظت انكم قللتم من الدور الذاتي والمبادرة الذاتية التي يمكن ان يقوم بها السينمائيون العرب الشبان ، بصدد القضية الفلسطينية وقضايا النضال العربي الراهنة ، اذ اني سمعت الكثير من المطالب من الحكومات والجهات الرسمية ، ولم اسمع مثلا رأيا بضرورة تجمع السينمائيين العرب في هيئة واحدة تاخذ على عاتقها مهمات انتاج الافلام باستقلال عن المؤسسات الرسمية ، كما هو الحال مع العديد من التجمعات السينمائية في نواح مختلفة من العالم . هل يمكننا الان الانتقال الى ما يمكن ان يفعله السينمائيون العرب الشبان بهذا الصدد ؟

قيس الزبيدي : حاولنا ان نتحدث عن ما هو قائم ، واذا كنا نفهم عدم وجود وعي لدور السينما من قبل المؤسسات الرسمية العربية لاوضاع ولاسباب معروفة ، فاننا لا نفهم هذا من قبل المقاومة ، التي يعتبر حملها للسلاح قضية حياتية ، والتي اذا ما حققت اية مكسب صغير عن طريق البندقية ، فانه يقربها خطوة الى الامام. ان أية عملية عسكرية تتم ، كانت تطبع بها منشورة وتوزع على الصحف ووسائط الاعلام المختلفة ، ولاننا نرى في السينما اكثر الاساليب واسرعها تاثيرا في الدفع للقضية والنضال المسلح، لذلك يكون احساسنا بالالم والدهشة لقلة الاهتمام هذا .

وبصدد ما يمكن ان يقوم به السينمائيون العرب الشباب ، فقد سبق ان التقى بعض السينمائيين العرب في مهرجان لايبزج وبحثوا مشاكلهم ، وبشكل خاص بصدد غياب السينما في قضية النضال الفلسطيني ، وطرحوا عدم امكانية الجهود الفردية على حل هذا الاشكال ، ثم اصدروا بيانا ودعوا لاجتماع في عمان للدعوة للفيلم التسجيلي الفلسطيني . لكن اتحاد الاذاعات العربية اخذ المبادرة من السينمائيين وعقد الاجتماع بدون حضور سينمائي واحد من الموقعين على البيان . وقد عرض قسم من الافلام ونوقشت وتم تحديد مؤتمر ثان للفيلم الفلسطيني في القاهرة . وقيل ان اتحاد الاذاعات العربية على استعداد لتمويل كل من يرغب في عمل فيلم تسجيلي عن فلسطين . وقد دفن المؤتمر المنتظر على اثر مشروع روجرز والازمة التي ترتبت عليه .

مع ذلك ، ما زالت عندي قناعة كافية ان هذه المحاولة التي فشلت ، لا بد ان تتكرر وان تتعزز من جديد لان السينمائيين الشبان لا يرون في السينما حرفة او مصدرا للتكسب بقدر ما هي

موقف تجاه الحياة والقضايا الاجتماعية . ولا بد ان يسعى السينمائيون العرب للبحث عن فرصة لتنفيذ اعمال تعبر عـن فهمهم وعن موقفهم مـن القضايا الراهنة .

فيصل ياسري : ردا على ملاحظتك بصدد مـا هو قائم من تجمعات سينمائية في الخارج ، أرى انـه لا يمكن ان نعقد مقارنة ميكانيكية بين الامكانـات الفردية في الدول الرأسمالية وتلك الموجودة هنا، من الناحية التكنيكية البحتة ، فمن السهـل جدا على اي انسـان يملك امكانات مادية متوسطة في البلدان الرأسمالية ان يستحصل على كاميرا ، ان يحصل على الخامة ، ان يجد المكان الذي يطبع فيه الفيلم وغير ذلك من العمليات ، ففي بلـدان عربية عديدة ، لو كنت امتلك الامكانات المـادية للعمل ، فانني لا استطيع ان اجد الفيلم الخام في السوق ، هناك شروط معينة للاستيراد والحصول على المادة الخام . لا استطيع ان احصل علـى كاميرا تصوير ، اين احمض الفيلم ، كيف يمكن ان اطبع نسخة منه ، فالمبادرة الفردية في مستـوى الهواة لا يمكن ان تتم الا في حدود ضيقة ، ربمـا لفيلم ٨ ملم ، وهذا لا تستطيع ان تستفيد منه في شيء ، ربما تعرضه في البيت ، ولكن لا يمكن ان تستخدمه اعلاميا وعلى نطاق واسع .

لا بد من توافر المواد الاولية للصناعة السينمائية بأبسط اشكالها ، بكل تواضع التجربة تحتـاج الى تسهيلات ، وهذه تحتاج الى مساعدات ان توفرت عن طريق مركز سينمائي للمنظمات المقاتلة بمجموعها ، فمن الممكـن ان تضم متفرغين لهذا العمل يتعاونون مع اناس اخرين غير متفرغين ، يقدمون افكارا ويساهمون بتقديـم دراسات ، ويساهمون بتنفيذ الافلام كل بجهده وامكانياته . عند ذلك اي سينمائي لديه قناعة بتقديم خدمـاته للمقاومة سوف يلجأ الى هذا المركز حتما . ومـا دامت المقاومة تسعى لتوحيد قيادتها واعمالهـا ، فان من المهم ان تسعى نحو توفير وحدة سينمائية.

كريستيان غازي : عندي بعض المحاذير من فكـرة ايجاد مركز سينمائي موحد ، اذ ليس ممكنا بمجرد موقف مثالي ان نطالب من المنظمات ، التي يمكن ان تتحد سياسيا وعسكريا ، وليس ايديولوجيا ، بأن تؤسس مركزا سينمائيا يستطيع ان يستوعب العديد من وجهات النظر وطرق معالجة وجهـات النظر هذه سينمائيا . انا حـذر جدا في هـذه المسألة ، اريد ان يفسح مجال من الحرية يتيـح لنظرة كل منظمة في العمل ان يأخذ حقه ، مـن الممكن للسينمائيين الشباب ان يلتقوا على ارضية ذات حد ادنى من الذهنية المشتركة ، وحد ادنى من الادراك للامور وللمعالجة .

هناك ملاحظة اخرى بصدد السؤال وهي انه هناك تفاوت في الظروف والامكانات ما بين البلـدان المصنعة وبلداننا ، وحدود قدرة السينمائي علـى التعبير بحرية هنا اقل بكثير من طموحاتنا . لكن هذا لا يعني انه من غير الممكن توحيـد الشباب السينمائي للخروج من الحصار والعمـل معا . وهذه ليست مشكلة المقاومة ومؤسساتها ، هـذه مشكلة السينمائيين العرب ، وليس من المطلوب ان تتبنى انشاء مركز للسينمائيين ونحن نلاحظ ان مجموعة كريس ماركر عندما ذهبت الى الفيتنام وانتجت فيلمها « بعيـدا عن الفيتنـام » فقـد ساعدتهـم الحكومـة الفيتناميـة وقدمت لهـم التسهيلات ، لكن المبادرة جاءت من هذه المجموعة.

قيس الزبيدي : اريد ان اضيف نقطة اخـرى ، ان قضية توحيد جهود السينمائيين ذوي الاتجاهات الفكريـة المتجانسة لا تنفي ضرورة حصول هـذا التكتل السينمائي على المساعدات الممكنة التي لا تتنافى مع المنطلقات التي يحملها .

عمر اميرالاي : في محاولـة لطرح حلول للفيلـم الذي يتحدث عن القضية الفلسطينية ، برأيي ان المشاريع قد طـرحت بمعزل عن طبيعـة القضية بالـذات . هنـاك اكثر من نقطة تساؤل حـول مستقبل القضية الفلسطينية ، فهي تمر بازمـة ، هـذه الازمة تتجسـد في ان الموقـف السياسي الرسمي العام يستهدف تصفية القضية او تعليقها بما يتناسب واوضاع المنطقة السياسية . وبرأيي ان هذا ينعكس في الحصار الاعلامي المفروض على القضية الان . والمقاومة الفلسطينية بوصفها جزءا من حركة التحرر الوطني ترفع شعار حرب التحرير الشعبية ولكونها من الجبهة التقدمية بشكل عام ، لا يمكن عزلها عن جو المنطقة العام . نلاحظ الان وجود ردة رجعية ومحاولة لضرب الجبهة التقدمية والسؤال الذي يطرح نفسه : ما هو الشكـل الذي يمكن ان تكون عليه السينما ، التي تريد ان تكون ناطقة باسم المقاومة والقضية الفلسطينية ؟ كيف يمكن ايجاد شكل سينمائي يتحدث عن هـذه الاوضاع بصراحة وينقد هذه الاوضاع. ان الحديث

الان عن القضية الفلسطينية كالحديث عن اي مشكلة جماهيرية ، تمس استقرار او استتباب نظام معين ، هذه تتحول الى موضوع غير شرعي تماما . لانه يزعج استقرار هذه الانظمة . كما ان هنالك سينما عربية تحاول ان تبحث عن حلول لنقد هذا الواقع وان تكون سينما تقدمية وبديلة . ان السينما الفلسطينية يمكن ان تكون جزءا من هذا البديل . ان تصفية العمل الفدائي ، وان تصبح القضية الفلسطينية غير شرعية والحلول المطروحة على صعيد السياسي والاستراتيجي حول مستقبل المقاومة واحتمالات ان تكون مقاومة غير مكشوفة وسرية هذا ينعكس على هوية السينما . هل يمكن ان تكون مكشوفة ورسمية ام سرية او نضالية ؟ السؤال بالنسبة لمستقبل السينما العربية والسينما الفلسطينية رهن بالمستقبل وبتطور الحركة الجماهيرية في المنطقة .

قيس الزبيدي : يمكننا الان انقوم بنوع من البلورة والتصفية ، ماذا يبقى من السينما كي تكون كما نريد ؟ ان الظاهرة التي نراها على المستوى العالمي ، ان الفن السينمائي الذي يرتبط بالنضالات السياسية الجارية ويتحول الى السرية هو الفيلم الوثائقي . وفي كل مهرجان سينمائي ، الافلام الوثائقية والتسجيلية تكتسب قيمتها ، ليس فقط من كونها قطعة فنية جيدة وانما من حصولها على وثيقة في ظروف عمل قمعية سرية وتسرية قاسية . ومن الضروري هنا ان ترتبط السينما بالقضية وبالاوضاع الجماهيرية ، ومن هنا فان السينما تكتسب نوعية من ذات النوعية التي تكتسبها الحركة الجماهيرية ، مع هذا أرى انه في دول عربية كثيرة بسبب عدم وعي الجهات المسؤولة ، ما تزال امامنا كسينمائيين فرص كثيرة لانجاز اعمال سينمائية تكتسب صفة الجديدة وتسجل حياة الناس او تكتسب صفة الوثيقة . هذه الامكانية لم تستنفذ بعد حتى يتحول الفيلم بين يوم وليلة الى فيلم سري . السرية ينبغي ان تكون تعبيرا عن حاجة وليست ناتجة عن رغبة رومانطيقية وذاتية . هناك شيء اخر اذا ما حصل تجمع للسينمائيين العرب ليس كحرفيين فقط وانما كشباب لهم مواقف سياسية تجاه الواقع والظروف القائمة ، فان هذا التجمع لا يمكن ان يكتسب صفة علنية في عدد من البلدان العربية . لا بد من دراسة ظروف كل مجموعة سينمائية في بلد من البلدان وهذا الشيء يقرره الواقع .

تقارير

زيارة نيكسون لموسكو

لدى كتابة هذا التقرير لم تكـن زيارة الرئيس الامريكي ريتشارد نكسون لموسكو قد تمت بعد ، وانما كانت هناك فقـط اجراءات الاعداد لتلك الزيارة ، فقد طار الى موسكو فريق طليعي امريكي بقيادة الجنرال برنت سكوكروفت للاشتراك مـع سلطات الامن ودوائر البروتوكول السوفييتية في اعداد الترتيبات الخاصة بزيارة الرئيس الامريكي بما في ذلك عمليات الاتصال وتسهيلات التغطيـة الاعلامية للزيارة . كذلـك كـان هنري كيسنجر مستشار الرئيس الامريكي قد قام بزيارة سرية لمدة اربعة ايام اجرى خلالهـا محادثـات مع ليونيد بريجينيف الامين الاول للجنـة المركزية للحـزب الشيوعـي السوفييتي حـول المواضيـع التي سيتناولها نكسون بالبحث مع القادة السوفييت . ان الهدف من هـذا التقرير هو استقـراء الوضع العالمي واتجاهـات سياسة كـل من الاتحـاد السوفييتي والولايات المتحـدة في محاولة للتعرف على القضايا التـي يمكن ان يتناولهـا كل مـن الجانبين ، ولتحسس مكونات موقف كل منهما من هذه القضايا ، دوافعه واهـدافه ، وبالتالـي التنبؤ بمناطق الاتفاق او الاختلاف بينهما ، وحدود الاتفاق او الخلاف ، وبشكل خاص فيمـا يتعلق بالوضـع في الشرق الاوسـط .

اننا نرى لزاما علينا في بداية التقرير تسجيل عدد من الملاحظات على الاستراتيجية الشاملة للولايات المتحدة على النحو التالي :

١ ــ ان السياسة الامريكية منذ الحرب العالميـة الثانية لا تزال كما هي : اي تحاول ان تعيد ترتيب ميزان القوى الدولي بشكل مؤات لها حتى تفرض سيطرتها النهائية على العالم (والحرب الشاملة النووية غير مستبعدة كوسيلة اخيرة لذلك) . وقد اتبعت الولايات المتحدة خطوطا مختلفة ولكنها كلها تصب في هذه الاستراتيجية : أ) مشروع مارشال للسيطرة على غرب اوروبا . ب) سباق التسلح وسياسة حافـة الحرب والتكتـلات العسكريـة والاقتصادية (ايزنهاور ــ دالاس) . ج) محاربة حركات التحرر الوطني **بالحـروب الخاصة** (اي بقوات غير امريكية ولكن بدعم عسكري ومـادي وسياسـي وفني امريكـي) مثل حـرب فيتنام في بدايتها وحرب لاوس حتى الان والعدوان الصهيوني ضد العرب ، او بالحروب المحدودة (اي بقوات امريكية مباشرة) مثل حـرب فيتنام في مرحلتهـا الثانية ابتداء من ١٩٦٥ . وتخريب الاستقـلال السياسي في البلدان الوطنية بالانقلابات (كنيدي ــ جونسون) . د) تصديـر الثورة المضادة في بعض بلدان المعسكر الاشتراكي (المجر ١٩٥٦ ، بولندا ١٩٦٧ ، تشيكوسلوفاكيا ١٩٦٨) وتغذية التناقضات في الحركة الثورية العالمية .

٢ ــ برغم بعض النجاحات الجزئية التي حققتهـا الامبريالية الامريكية الا ان التقييم العام يبين ان الوضـع العالمي يتطور لغير صالح الاستراتيجيـة الامريكية ، ولصـالح الحركة الثورية العالمية ويمكن ان نوجز ذلك على النحو التالي :

أ) **في الهند الصينية** : هزمت حرب التدمير الجوية الامريكية على فيتنام الشمالية . كما هزمت الحرب الخاصة في جنوب فييتنام في ٦٤ ــ ٦٥ ، وهزمت الحرب المحدودة في ٦٨ ــ ١٩٦٩ ، وتشهد سياسة الفتنمة هزيمة قاسية هذه الايام ، كذلـك هزمت الحرب الخاصة في لاوس ، ويعاني انقلاب لون نول في كمبوديا هزائم قاسية متلاحقة ، وفي نفس الوقت تشكلت في جميع انحاء العالم جبهة عالمية امتدت الى داخل الولايات المتحدة لتصيب السياسة الامريكية بعزلة خانقة . ب) نتيجة لنفقات حرب

---

* اعد هـذا التقرير في مركز التخطيط التابـع لمنظمة التحرير الفلسطينية في أوائل مايو ١٩٧٢ .

فيتنام والانفاق العسكري الامريكي في الخارج ، اصيب الاقتصاد الامريكي بضربات قوية ابرزها : انخفاض احتياطي الذهب الامريكي بنسبة حوالي ٤٠ في المائة ، وانخفاض القيمة الشرائية للدولار في الولايات المتحدة بنسبة ٦٠٪ بالمقارنة مع عام ١٩٤٦، مع ما ترتب عليه ارتفاع تكاليف المعيشة من تضخم نقدي غير عادي، واصبحت الولايات المتحدة التي كانت دائنة لمعظم بلاد العالم ، مدينة للعالم بحوالي ٣٠ بليون دولار (وهي تأخذ في الغالب شكل ودائع اجنبية بالدولار الامريكي نتجت عن العجز المستمر في ميزان المدفوعات الامريكي) . وبرزت هذه الازمة بشكل واضح في انهيار قيمة الدولار في الاسواق النقدية العالمية واضطرار الولايات المتحدة لتخفيضه رسميا والتوقف عن دعمه وذلك بمنع تحويله الى الذهب . جـ) ان النمو السريع في اقتصاد بلدان اوروبا ، فرنسا ، المانيا الغربية اساسا ، واليابان ادى الى بروز تناقضات حادة بين الولايات المتحدة وحلفائها (ابرز امثلة له هي الاتجاه المستقل في اوروبا عن الولايات المتحدة الذي تتزعمه فرنسا ، واتجاه المانيا الغربية للانفتاح على اوروبا الشرقية وضغوط اليابان من اجل دور اكبر في اسيا) . وقد ترتب على ذلك سقوط سياسة السور الحديدي الذي اقامته امريكا بين اوروبا الغربية والشرقية بواسطة مشروع مارشال ثم حلف الاطلنطي . كما انهارت سياسة محاصرة واحتواء الصين الشعبية . د) في **الشرق الاوسط** : برغم انتصار العدوان الصهيوني ، وبرغم بروز قوى عربية ضاغطة في اتجاه التفاهم مع امريكا ثمنا لتسوية سلمية ، فان الوجه الاخر من الصورة ، وهو الوجه الاصيل النامي معاكس تماما للمخطط الامريكي : اتساع وتعاظم تأثير الثورة الفلسطينية كحركة شعبية مسلحة على سياسات المنطقة ، رسمية او شعبية ، وتعمق الرفض الجماهيري لخط التسوية السلمية والتفاهم مع امريكا ، وتعاظم الوعي بضرورة تشكيل جبهة وطنية عربية واتساع النشاط من اجلها ، وازدياد الروابط بين المنطقة ، رسميا بدرجة لا بأس بها ، وشعبيا بدرجة كبيرة مع قوى الثورة العالمية وخاصة المعسكر الاشتراكي . كل هذه عوامل مواتية لنمو حركة ثورية شاملة ضد الوجود الامبريالي الامريكي في اهم منطقة في العالم من الناحية الاستراتيجية والاقتصادية . هـ) في امريكا اللاتينية فشلت كل محاولات تحطيم النظام الثوري في كوبا ، كما نشطت الحركة الثورية ، وبرزت شيلي كدولة وطنية ديموقراطية معادية للامبريالية الامريكية ، وازداد نشاط الحركات الثورية المسلحة .

٣ ــ في مواجهة هذا الموقف ، وجد نكسون نفسه مضطرا الى تعديل هذه المرحلة من الاستراتيجية الامريكية (مع بقاء الخط العام والهدف الاستراتيجي النهائي وهو السيطرة على العالم) ويتمثل هذا التعديل في تخفيف الولايات المتحدة من بعض التزاماتها الدولية (دون التراجع عن مواقعها) وذلك حتى تعكف على الوضع الداخلي لاصلاحه (حيث ان الاقتصاد الامريكي يظل هو القاعدة الاساسية للسياسات الامريكية العالمية) ولاعادة صياغة العلاقات مع الحلفاء في اوروبا واسيا (اليابان اساسا) وفي امريكا (كندا حيث هناك اتجاهات قوية ضد السيطرة الاقتصادية الامريكية) ولتثبيت مواقع الولايات المتحدة في بعض اماكن من العالم حيث اهتزت بسبب تركيز الولايات المتحدة على الهند الصينية (مثل الشرق الاوسط ، وافريقيا ، وامريكا اللاتينية) . كل ذلك تمهيدا لانطلاقة عدوانية جديدة في اطار الخط الاستراتيجي العام . وقد لجأ نكسون في هذا التعديل للاساليب التالية : أ) التهدئة الداخلية في الولايات المتحدة بتخفيف التورط الامريكي في فيتنام واستبداله بسياسة الفتنمة ، وكذلك تخفيف الالتزامات الامريكية في اسيا عن طريق زيادة القدرة العسكرية للدول التابعة وفقا لمبدأ «محاربة الاسيويين بالاسيويين». ب) التهدئة مع الحلفاء الغربيين ومع اليابان بتخفيض الدولار اساسا . جـ) التهدئة مع الصين الشعبية وعدم مقاومة دخولها الامم المتحدة او الاعتراف المتزايد من جانب كثير من الدول بها وبالاضافة الى ذلك خلق علاقات اقتصادية وثقافية وسياسية نشطة معها وذلك ضمن اهداف اخرى سياسية واقتصادية ، بهدف ان يؤدي النزاع الصيني ــ السوفييتي الذي سيمتد ، في تقدير نكسون ، الى الامم المتحدة ، والى مجالات عالمية اخرى ، الى امتصاص جانب غير هين من الجهد السوفييتي الموظف في المواجهة السوفياتية ــ الامريكية . د) تمييع الموقف في الشرق الاوسط ، بتحريك القوى العربية الموالية لامريكا ضد القوى المعادية لها وللصهيونية حتى يمكن تصفية الحركة العربية المعادية للامبريالية والصهيونية على ايد

عربية ، مع الاستمرار في نفس الوقت في دعم اسرائيل عسكريا واقتصاديا ، ودعم القوى العربية الموالية لامريكا بمنحها المزيد من عائدات البترول او بمساعدات اقتصادية وعسكرية (حصلت الاردن مثلا على ٨٥ مليون دولار اعانة سنوية كما زادت عائدات البترول للسعودية بمقدار الضعف) . وكانت الفتنمة ، والتهدئة والتقارب مع الصين الشعبية هما الركنان الرئيسيان في هذا التعديل الذي ادخله نكسون على الاستراتيجية الامريكية، كما انهما من ناحية اخرى كانا الورقتين الرئيسيتين اللتين يأمل نكسون بهما ان يكسب انتخابات الرئاسة في نوفمبر القادم . واحاط نكسون وأجهزته سياسته الجديدة ازاء الصين الشعبية وزيارته لها بجو اثارة هائل قصد به ان يعطي انطباعا بأن مفاتيح السياسة العالمية موجودة في واشنطن ، كما حرص نكسون في تصريحاته ، وحرصت اجهزته على خلق انطباع بأن السوفييت منزعجون للسياسة الامريكية الجديدة ازاء الصين، ودأب نكسون على الادلاء بتصريحات بهدف «طمأنة» السوفيات الى انه لا يقصد ايقاعهم في عزلة ، ولا يقصد استغلال الخلافات بينهم وبين الصين . ولكن مناورة نكسون كانت من موقف ضعف مليء بالثغرات ، ومن هنا امكن للسوفيات ان يردوها عليه . فمنذ بداية الربع الاخير من العام الماضي نشطت الدبلوماسية السوفييتية على نطاق عالمي فيما يمكن وصفه بأنه دراسة على الطبيعة لمراجعة الاستراتيجية السوفييتية بهدف تعديلها . فقام بدجورني بزيارة هانوي واعلن عن اتفاقات واسعة للدعم العسكري والاقتصادي (المساعدات السوفييتية للثوار في جنوب فيتنام تذهب عن طريق فيتنام الشمالية) وزار كوسيجين كلا من كندا وكوبا ، والمغرب والجزائر ، وزار بريجنيف باريس ، ودعي برانت مستشار المانيا الغربية لزيارة موسكو ، وعقدت معاهدة هندية سوفييتية بان أثرها في اقامة دولة بنجلادش . وكذلك دعي وفد من الثورة الفلسطينية الى موسكو حيث اجرى محادثات وصفها الاخ ابو عمار بأنها كانت ناجحة جدا . وقبيل زيارة نكسون ، اي في الاسابيع القليلة الماضية ، دعي وفد من ليبيا برئاسة عبد السلام جلود لزيارة موسكو حيث تم اتفاق على التعاون في مجالي البترول والتسليح ، وزار كوسيجين العراق ووقع معها معاهدة للتعاون الاقتصادي والدفاعي ، وزار بودجورني تركيا حيث – برغم عدم النجاح في احياء المعاهدة التركية – السوفييتية – اعلن الطرفان عن اتفاق على عدم سماح اي منهما باستخدام اراضيهما لاغراض العدوان او التخريب ضد الاخر . وهناك انباء من موسكو بأن فيديل كاسترو سيزور الاتحاد السوفييتي في ١٥ ايار ، اي قبل زيارة نكسون بأسبوع . وفيما يتعلق بالصين ، توقفت الدعايات السوفييتية المضادة للصين تماما تقريبا في الشهر الماضي ، وارسلت موسكو ليونيد ايليشيف كبير مفاوضيها حول مشاكل الحدود مع الصين ومعه عروض جادة لحسم هذه المشاكل ، ومن المحتمل ان يتم التوصل الى اتفاق بشأنها قبيل زيارة نكسون مما يضعف من آثار تقاربه مع الصين على محادثاته مع موسكو .

ويمكن القول بشكل عام ان تعديلا طرأ على الاستراتيجية السوفييتية يتمثل في انها اصبحت اكثر هجومية . وهناك ثلاث مناطق برز فيها الطابع الهجومي بشكل واضح :

١ – في شبه القارة الهندية :

أ) بعد توقيع المعاهدة الهندية – السوفييتية شجع السوفييت ودعموا عسكريا وسياسيا العمليات العسكرية التي قامت بها الهند لمساندة حركة بنجلادش لاقامة دولتها ، وما ترتب على ذلك من اسقاط النظام العسكري في باكستان الغربية . ب) دعي مجيب الرحمن لزيارة موسكو . ج) دعي ذو الفقار علي بوتو رئيس باكستان لزيارة موسكو . هـ) بدأت المفاوضات بين الهند وباكستان . وبذلك تكون العلاقات بين الدول الثلاث في شبه القارة والاتحاد السوفييتي هي العامل الاساسي (من الناحية الدولية) في سياسات هذه البلدان . كذلك تكون الاستراتيجية الامريكية في المحيط الهندي وخليج البنغال قد اصيبت بضربة كبيرة .

٢ – في الشرق الاوسط :

حيث بدا الجناح الشرقي والجنوبي الشرقي من العالم العربي مكشوفا حتى ان ايران احتلت لحساب الاستراتيجية الامريكية ثلاث جزر استراتيجية دون ادنى معارضة فعلية ، وحيث بدأت تهدد العراق ، كما بدأت امريكا تعد قاعدة لها في البحرين ، وتبسط نفوذها على دولة اتحاد الامارات . ان توقيع المعاهدة العراقية – السوفييتية قدم ضمانات للعراق ضد اي اعتداء

عليها من ايران — او من الاردن — وذلك سيساعد العراق بعد ان كانت تلك الضغوط تشلها ، على ان تعاود الانفتاح عربيا — محاولة تحقيق الوحدة مع سوريا ومصر — اعطاء مصر ٥ ملايين دينار — دعم المقاومة الفلسطينية — لتكسب مزيدا من القوة في مواجهة المناورات الامريكية لتطويق العالم العربي من منطقة الخليج — هذا اذا استطاع البعث العراقي ان يستفيد من تلك الظروف المواتية لمعالجة المشكلات العراقية الداخلية التي تثقل حركته الخارجية كثيرا — . ويلاحظ انه في نهاية زيارة كوسيجين للعراق ابحرت اول ناقلة بترول تحمل شحنة من حقل الرميلة وهو من اغنى حقول البترول في العالم الى الاتحاد السوفييتي ، كما زارت وحدات من الاسطول السوفييتي ميناء ام القصر عقب انتهاء زيارة كوسيجين . ان ارتباط دولة هي واحدة من الدول الرئيسية المصدرة للبترول بمثل هذه المعاهدة ، كما انها تقع في جوار كل المناطق البترولية الاساسية في المنطقة ، واشتراك السوفييت بمقتضى المعاهدة في تطوير صناعة البترول الوطنية ، مما يمكن ان يحقق الاساس المادي والفني لتأميم كل صناعة البترول في المستقبل ، كل ذلك يمثل هجرة من منطقة من اكثر المناطق حساسية بالنسبة للاستراتيجية الامريكية .

٣ — في الهند الصينية :

ان المساعدات السوفييتية الشاملة لفييتنام الديموقراطية ولقوات الجبهة الوطنية لتحرير جنوب فييتنام ، هي من العوامل الاساسية لنجاح الهجوم الحالي الذي تشنه قوات الجبهة في الجنوب . ويقول خبراء البيت الابيض والبنتاجون ان موسكو كانت تعرف مقدما ولا شك كيف ستستخدم تلك الكميات غير العادية من الاسلحة والمعدات والمواد الاستراتيجية التي تزود بها الفييتناميين وهو استنتاج سليم . ان التعاون السوفييتي الفييتنامي ، والهجوم الشامل في الجنوب ، وتحطيم سياسة الفتنمة قد عكس تماما الصورة التي كان نكسون يريد لمحادثات موسكو ان تسير في اطارها . لم تعد الصورة صورة الولايات المتحدة المنتصرة ديبلوماسيا والتي تمسك بمفاتيح السياسة الدولية ، او المنتصرة عسكريا كما كان نكسون يدعي بتفاخره المستمر بسياسة الفتنمة . ولكن هذا الهجوم في جنوب فييتنام اعاد الولايات المتحدة الى الوضع التعس الذي كانت عليه حتى منتصف العام الماضي : مهزومة عسكريا ، ووجهها اسود في العالم كله ، والاضطرابات الداخلية تنفجر من جديد ضد الحرب . ومع اقتراب موعد الانتخابات فأن اوراق نكسون الرابحة تحترق في جنوب فييتنام ، ويجد نفسه مضطرا الى اعادة ترتيب اوراقه من جديد . لكل ذلك يمكن القول بشكل عام ان نكسون سيفاوض في موسكو من موقع الضعف ، وسيكون عليه ان يقدم تنازلات كثيرة حتى يتمكن من استعادة وضع انتخابي قوى نسبيا .

وهناك العديد من القضايا التي يمكن التوصل الى تفاهم بشأنها في محادثات موسكو دون جهد كبير ، وربما تكفي في حد ذاتها لوصف المحادثات بالنجاح، على الاقل من وجهة نظر نكسون ، ومن وجهة النظر الانتخابية :

١ — اتفاق بشأن الحد من الاسلحة الاستراتيجية، وهو اتفاق يوفر على الدولتين مبالغ طائلة في صنع اسلحة ربما تبدو عديمة القيمة بعد سنوات قليلة نظرا لتطوير اسلحة اكثر كفاءة ، او اسلحة مضادة ، ونكسون يحتاج ذلك لاصلاح الوضع الداخلي ، ولمقاومة التضخم والعجز في ميزان المدفوعات . ولو تحقق له ذلك فستكون هذه ورقة رئيسية في الانتخابات القادمة . ٢ — اتفاق لتسوية ديون الاتحاد السوفييتي لامريكا منذ الحرب العالمية الثانية بمقتضى قانون الاعارة والتأجير . وعدم الاتفاق حول هذه الديون كان يشكل عقبة كبيرة في وجه نمو التجارة بين البلدين . هذه ايضا هدية يمكن ان يقدمها نكسون للاقتصاد الامريكي الذي يعاني قدرا غير هين من الكساد ويفتح له سوقا كبيرة جديدة ، وان كان ذلك ايضا يشكل مطلبا سوفييتيا ملحا . ٣ — مسائل ثانوية ولكن يمكن ان تكون لها قيمة دعائية مثل اتفاق بشأن تجارب مشتركة في الفضاء ، والتعاون لمنع انتشار تلوث الهواء ، وابحاث طبية مشتركة ، واتفاقيات ثنائية .

تبقى ثلاث مناطق اساسية : فييتنام ، والامن الاوروبي ، والشرق الاوسط . فما هي امكانيات الاتفاق بشأنها ؟

حينما رسم نكسون استراتيجية الولايات المتحدة في رسالته الى الكونجرس عن « حالة العالم » في شباط الماضي فان تقديراته كانت قائمة على

اساس نجاح سياسة الفتنة ، ونجاح سياسته الاسيوية الجديدة الخاصة بالصين . ولذلك فانه حدد امكانيات المساومة (من زاوية الاستراتيجية العالمية) في مسألتـي الشرق الاوسط والامـن الاوروبي . وقد ركز في موضوع الشرق الاوسط على ما سماه بالوجود السوفييتي في مصر الذي قال انه يمثل تهديدا لاوروبا الغربية ، وبدا واضحا ان مجال المساومة الذي يحدده هو انهاء ، او تخفيض الوجود السوفييتي في مصر مقابل اعطـاء الضوء الاخضر لعقد مؤتمـر الامـن الاوروبي ، وكخطوة اولى هامة مسألـة اقرار المعاهدتـين المعقودتين بين المانيا الغربية وكل من الاتحـاد السوفييتي وبولندا . ونظرا لاهمية كل من موضوع الامن الاوروبي ، والشرق الاوسط للاستراتيجية السوفييتية ، حيث اي تراجع في الشرق الاوسط بوجه خاص يمثـل كسبا كبـيرا للاستراتيجيـة الامريكية ، فأن السوفييت بفضل الوضع الجديد في فييتنام يمكنهم ان يحولوا منطقة المساومة مـن الشرق الاوسط — الامن الاوروبي الى فييتنام — الامن الاوروبي . ويلاحظ هنا ان محادثات باريس الخاصة بفييتنام استؤنفت عقب رحلـة كيسنجر السرية الى موسكو ما بين ٢٠ — ٢٣ نيسان ، وفي اعقاب ذلك فاز برانت مستشار المانيا الغربية بالثقة في البرلمان بصوتين فقط ، كان يمكن لامريكا شراءهما (وكانت المناقشة اثناء الاقتراع بحجب الثقة عن برانت مركزة حول المعاهدتين) . وهكذا فان اي نقاش حول الشرق الاوسط سيكون علـى اساس الوضع القائم فيه وليس كما كان يريـد نكسون (اي ان تكـون مساومة بين الوجـود السوفييتي والامن الاوروبي) . فما هي الحقائـق الاساسية بالنسبة للطرفين ؟

بالنسبة للولايات المتحدة : في مدى خمس سنوات منذ العدوان استطاعت ان تغير ميزان القوى في المنطقة لصالحها الى حد كبير : فقد نشطت وغذت القوى التي تنادي بالمصالحة مع امريكا حتى اصبح السعي لحل بالتفاهم معها نقطة اساسية في جدول اعمال الدبلوماسية العربية ، وترتب على ذلـك صراعات ادت الى تصفية قوى معارضة للتفاهم مع امريكا وازدياد نفوذ القـوى الموالية لهـا ، ونشطت النظام الاردني ضد المقاومة الفلسطينية، ثم جرته خارج اطار المعركة العربية نهائيا في اتجاه الصلح المنفرد مع اسرائيل ، كذلك نشطت الانظمة العربية المرتبطة بها ، وخاصة السعودية ، لتلعب دورا ضاغطا رئيسيا في توجيه سياسات المنطقة ، وابعدت السودان عن مجموعة الدول العربية التي كانت سياساتها تعتمـد اساسا على علاقاتهـا بالسوفييت ، واخيرا نجحت في ان تطرح العلاقات المصرية السوفييتية للنقاش العلني ، وان يتشكل في مصر تيار له نفوذه القـوي في السلطة مضاد لهذه العلاقات . ومع استمرار الاحتلال الصهيوني دون تحد له ، ومع مواصلة السلطات الصهيونية لسياساتها في الاستيطان والضم ، **فان السياسة الامريكية التي تركز على ان تجعل مسالة الوجود السوفييتي في مصر مسالة لها الاولويـة علـى المشكلة الاساسية ، من مصلحتها الا تقترب مـن الموضوع الرئيسي ، وأن تكسب وقتا تأمل مـن خلاله ان تتغير الاوضاع في المنطقة بشكل جذري لصالحها وخاصة في مصر .**

لذلك فانه من المعتقد ان نكسون سيقتصر فيمـا يتعلق بالشرق الاوسط على محاولة التوصل الى اتفاق بشأن : ١ — تحديد نوع وكمية السلاح الذي يدخل الى المنطقة من الجانبين . ٢ — محاولة الحصول عـلى ضمانات بألا تهـدد النشاطـات السوفييتية في المنطقة مـوارد البترول للغرب . ٣ — صيغة لاستمرار وقف اطلاق النار مع مواصلة السعي لحل سلمي (حتى يظل الباب مفتوحـا للمبادرات الامريكية) . ٤ — صيغة لضمان عدم المواجهة المسلحة بين البلدين في حالة تجدد القتال.

وبالنسبة للسوفييت : فانه برغم مـا بدا علـى الاستراتيجية السوفييتية مؤخرا من طابع هجومي، وبرغم انه ظهر في شبه القارة الهندية وفي فييتنام ما يدل على ان السوفييت اصبحوا يشجعون ويدعمون العمل العسكري**طالما هم واثقون من الانتصار**، فانه لا يبدو انهم فيما يتعلـق بالمواجهـة العربية — الصهيونية يشجعون العمل العسكري — علـى الاقل في المرحلة الراهنة — لسببين جوهريين :

١ — ان القوى التي تميل لحل بالتفاهم مع امريكا قد اكتسبت نفوذا متزايدا في السياسة المصريـة وخاصة منذ مبادرة روجرز ، واصبح وجهها الاخر هو معارضة العلاقات المصرية السوفييتية . ان اي حرب مع وجود هذه القوى ، وبمثل هـذا القدر من النفوذ ، لا يمكـن ان تحقـق نصرا .

٢ — ان اي حرب جديدة ، وخاصة مع احتمالات الهزيمة ، تنطوي على خطر تدخـل مباشر بـين القوتين الكبيرتين وهي مخاطرة يبدو ان الاتحـاد

السوفييتي ليس على استعداد لتحمل تبعاتها . لذلك فالمعتقد ان السوفييت من جانبهم لن يحاولوا الوصول الى اتفاق بشأن جوهر المشكلة . من ناحيـة لان امريكا ليس من مصلحتها ذلك وسترفضه ، ومن ناحية لانهم لا يملكون وسائل ضغط كافية لاجبار نكسون على قبول اتفاق ، ومن ناحية ثالثة لانهم يريدون وقتا تتطور فيه اوضاع المنطقة بشكل اكثر مواتاة وخاصة في مصر . ويلاحظ ان مسألة القوى المعادية للعلاقات المصرية السوفييتية قد طرحت نفسها بشكل قوي في كل من القاهرة وموسكو قبيل الزيارة التي قام بها الرئيس السادات الى موسكو يوم ٢٧ نيسان .

ففي الاجتماع الاخير للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي تحدث الرئيس السادات عن « اليمين الذي يتستر تحت دعوى حماية الاستقلال الوطني بما يسميه النفوذ السوفييتي » ، وقبيل ايام من سفر الرئيس المصري الى موسكو نحي اللواء علي بغدادي قائد السلاح الجوي المصري من منصبه لخلاف بينه وبين المستشارين السوفييت في الطيران ، ولكن يبدو ان « كلام » الرئيس المصري في الاتحاد الاشتراكي ، وتنحية اللواء البغدادي لا يمكن تجاهلها في العاصمة السوفييتية ، كذلك الرئيس المصري بيوم ، قالت ازفستيا الناطقة باسم الحكومة السوفييتية ان المقاومة التي تبديها بعض القوى في مصر للعلاقات المصرية السوفييتية لا يمكن تجاهلها في العاصمة السوفييتية ، كذلك قال مراسل الصحيفة في القاهرة في برقية لـه ان المخططات الامبريالية والصهيونية تلتقي مع القوى الرجعية المحلية في محاولة اضعاف العلاقات المصرية السوفييتية . وما قالته ازفستيا يشير الى ان هذا الموضوع سيكون موضوعا رئيسيا في مناقشات الرئيس المصري في موسكو . ويبدو ان الرئيس المصري ، الذي يستشعر الخواطر على نظامه من هذه القوى ، قد التقى مع السوفييت في تقييم هذه القوى ، وفي القلق بشأن نشاطها حتى أن البيان المشترك عن زيارته لموسكو اشار في اولى فقراته للمؤامرات الهادفة لابعاد البلاد العربية عن حليفها الاول وهو الاتحاد السوفييتي واسرة البلدان الاشتراكية ، كما جاء في البيان . كذلك شن الرئيس المصري حملة عنيفة على هذه القوى في خطابه بمناسبة اول ايار في الاسكندرية، وبينما دافع عن العلاقات المصرية السوفييتية عاب على هذه القوى انها لا « تتشنج » ضد الولايات المتحدة برغم ما تقدمه لاسرائيل من دعم وبرغم ان الامريكيين اثبتوا في مساعيهم لحل الازمة انهم « كذابون، وغشاشون وخداعون » كما وصفهم السادات في خطابه .

وزيارة السادات لموسكو قبيل زيارة نكسون ، وهذا التفاهم الذي يعكسه البيان المشترك بين السادات والقادة السوفييت ، بشأن القوى المعادية للسوفييت ، وشحنات الاسلحة الجديدة لمصر ، وعدم اشارة البيان الى التسوية السلمية او الى مهمة يارنغ ، وانما الى حق الدول العربية « لاستخدام كافة الوسائل » لتحرير اراضيها ، كل ذلك ولا شك من شأنه ان يجعل مركز نكسون في التفاوض بشأن الشرق الاوسط اقل قوة ، ويجعله اكثر حرصا على الابتعاد عن الموضوع الرئيسي في قضية الشرق الاوسط ، وهو موضوع الانسحاب والتسوية .

وفي التقييم النهائي ، فان القادة السوفييت ونكسون لن يحاولا التوصل الى اتفاق جوهري بشأن الشرق الاوسط ، وأنهما سيعلنان عن موقف يسمح لكل منهما بحرية الحركة وبحرية الاختيار . ومن المرجح ان يأخذ هذا الموقف شكل تنشيط مهمة المبعوث الدولي مرة اخرى ، وربما بجهود شخصية من جانب السكرتير العام فالدهايم ، مع كل ما يتضمنه ذلك من مخاطر الفشل ، واتاحة الفرصة مرة أخرى للقوى التي تضغط في اتجاه الحل بالتفاهم مع امريكا ، وفتح الباب لمناورات امريكية جديدة . كما ان ذلك يتيح لاسرائيل فرصة استكمال استيطانها للوطن المحتل وتهويد ارضه وافراغه من سكانه .

وبشكل عام فانه نظرا لسلبيات الموقف العربي ، فان سياسات الاتحاد السوفييتي في المنطقة ستظل محكومة باعتبارات استراتيجيته العالمية التي تسعى الى تحقيق اهدافه وازاحة النفوذ الامريكي حيثما امكن ذلك دون مخاطرة بصدام مباشر مع الولايات المتحدة . وما لم ينشأ موقف ثوري في المنطقة ، يرسم ويضع في التطبيق خطا نضاليا ضد الامبريالية والصهيونية ، ويتحمل هو مسؤولية هذا الخط بشكل رئيسي ، فستظل السياسة السوفييتية في المنطقة هي المحافظة على الاشكال التي اتخذتها علاقات الاتحاد السوفييتي بدول المنطقة ، وستظل سياسات الولايات المتحدة هي محاولة القضاء على هذه العلاقات السوفييتية العربية ، وسيظل

العنوان المعلن لهذه المواجهة السياسية هو السعي لتسوية سلمية بين الاطراف المتنازعة ، اما على اساس قرار مجلس الامن من الجانب السوفييتي ، دون وجود امكانيات عملية وواقعية لمثل هذا الحل، او من خلال تسويات جزئية كما تحاول الولايات المتحدة ، ولان هذه التسويات الجزئية مشروطة باخراج السوفييت فأن احتمالاتها ضعيفـة . ان المواجهة بين السياستين السوفييتية والامريكية هي من الناحية الفعلية حول الوجـود السوفييتي ، والسياستان تحيدان بعضهمـا بعضا الى درجـة كبيرة . انما يمكن الاستفادة من الموقف السوفييتي كحليف مباشر فقط حينما يتشكل موقف نضالي عربي قادر على انيتحمل مسؤولية حسم المشكلة بالقتال، وطبقا للاهداف الاستراتيجية العربية ، اي تحرير فلسطين ضمن مهام الثورة الوطنية الديموقراطية العربية . والمواجهة السوفييتية الامريكية الحالية هي عامل مؤات للقوى الثورية العربية ، من حيث انه لا يبدو معها اي احتمال لفرض حل ما علـى المنطقة على الاقل لفترة تسمح للقوى الثوريـة بفرصة تجميع صفـوفها وتحديد خطها النضالـي واساليبها لانضاج موقف ثوري عربي قادر على ان يتصدى لمهام النضال ضد الامبريالية والصهيونية. لذلك فان الفرصة مؤاتية لقوى الثورة الفلسطينية ان تعمل بشكل جاد مـن اجل وضع البرنامـج السياسي والتنظيمـي للوحدة الوطنية موضـع التطبيق ، حتى تنطلق الثورة الفلسطينية الموحدة بثقل اكبر نحو تشكيل الجبهة الوطنية العـربية المناهضة للامبريالية والصهيونية .

ومع العمل على هذا الخط الاستراتيجي ، فـان هناك مهاما نضالية جزئية تسهم في انضاجـه :

١ ــ تنشيط النضال الجماهـيري على النطـاق العربي ضد القوى التي تسعى لحل بالتفاهم مـع امريكا ، وضد مشاريع الحل السلمـي ، وضد السياسات المناوئـة للثـورة الفلسطينيـة .

٢ ــ الضغط جماهيريا من اجل حريـة الحركـة القتالية للثورة الفلسطينية لما لهذه الحركة من اثر حيوي في خلق مناخ نضالي على الصعيد العربي يساعد على تشكيل الجبهـة الوطنية العربيـة ، ويوجه نضالاتها ضد العدو الرئيسي : الامبريالية والصهيونية ودعاة التفاهم معها .

٣ ــ الضغط جماهيريا من اجل تنشيط الجبهات العربية او على الاقل السماح بفتح جبهات للعمل الفدائي عبـر الخطوط بالاشتراك مع المناضلين العرب مصريين او سوريـين او مـن اي وطـن عـربي آخر .

٤ ــ مواصلة العمل عربيا لمحاصرة النظام الملكي في الاردن .

ليلى قاضي

عرض للعلاقات الامبركية الاسرائيلية

منشورات مركز الابحاث في م. ت. ق. (بيروت)

بالانجليزية — ٢٧٨ صفحة — ٢ ل. ل.

علاقات رومانيا مع اسرائيل : خلفيتها وابعادها

كان من جملة ما اثارته زيارة جولدا مئير الاخيرة لرومانيا ، انها اعادت الى الاذهان قصة العلاقات المتميزة بين رومانيا واسرائيل خصوصا بعد عدوان حزيران ١٩٦٧ . فقد اتخذت رومانيا آنذاك موقفا منفردا عن دول الكتلة الشرقية ، وذلك برفضها ادانة العدوان وقطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل . وفي حين كانت علاقات اسرائيل مع دول الكتلة تتدهور — ومن ثم تنتكس جهودها التي كانت تبذلها للتقرب من هذه الدول — نمت علاقاتها مع رومانيا وتوطدت في مختلف الميادين . امـــا التفسير الذي حرصت رومانيا على تكراره لموقفها هذا فهو انها تسير وفق سياستها « الاستقلالية » التي تنتهجها في علاقاتها الدولية . ونعتقد ان هذه السياسة هي المدخل الحقيقي لفهم العلاقـــات الرومانية — الاسرائيلية وتطوراتها. ولذا سنتناول هذه العلاقات مــن خلال العناوين التاليـــة : (١) اتجاه رومانيا « الاستقلالي » في علاقاتهـــا الدولية — الخلفية الاساسيـــة لعلاقاتها مـــع اسرائيل . (٢) موقف رومانيا تجاه النزاع العربي — الاسرائيلي . و(٣) العلاقـــات الثنائية بـــين البلدين ، كامتداد لهذا الاتجاه .

١ — **اتجاه رومانيا « الاستقلالي »** : بدات رومانيا منذ اواسط الستينات ترفع شعار الاستقلال في انتهاج سياستها الخاصة ، التي تقضي بالتعاون مع مختلف الدول بغض النظر عـــن نظمهـــا الاجتماعية . ولم يكن هذا الشعار سوى ترجمة لابتعاد رومانيا عن مجموعة الدول الاشتراكية ، وانفتاحها على المعسكر الامبريالي ، بما يترتب على ذلك من تخل عن التزاماتها المبدئية لمناهضة الامبريالية ، الى مهادنة هذه الامبريالية واقامة علاقات ودية معها . وتعود جذور هذا الاتجاه الى المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفييتي ، والذي كان بداية الخلاف بين السوفييت وكل من الصين والبانيا . ففي ذلك المؤتمر وافق الوفـــد الحزبي الروماني علـــى خط التحـــول السلمـــي للاشتراكية ، ابرز شعارات المؤتمر ، ولكنه تحفظ حول موضوع ستالين . ومع تطور الخلاف الصيني السوفييتي اتخذت رومانيا موقفا محايدا وان كانت أيدت الصين في لقاء عام ٥٧ في الاصرار علـــى ضرورة عدم تدخل اي بلد في شؤون البلد الاخر ، وعدم اللجوء الى الضغوط الاقتصادية لتسوية الخلافات العقائدية ، وحق كل بلد اشتراكي في اختيار الاسلوب الذي يلائم ظروفه الموضوعية(١). كانت رومانيا تخطو بذلك ، خطوتها الاولى في سياستها الجديدة ، اما الخطوة التالية فجاءت في بداية الستينات باعتراض رومانيا على السياسة الاقتصادية للكوميكون « مجلس التكامل الاقتصادي للدول الشيوعية » والتي كانت تقوم على استمرار الطابع الزراعي للاقتصاد الروماني . كان ذلك حين عرضت موسكو عام ٥٩ مخططا اقتصاديا يحدد مهمة كل من دول الكتلة ، ويقضي بأن تستمر رومانيا والبانيا وبلغاريـــا في تأمين الحاجـــات الزراعية لباقي دول الكتلة. ولكن رومانيا — وكذلك البانيا — رفضت هذا النوع من التخصص واعلنت ان على كل دولة ان تبني اقتصادها الخاص بها عن طريق تنمية الصناعة لا الزراعة فحسب . وفي عام ٦٤ حدث الانعطاف الكبير في الموقف الروماني متمثلا بخـــروج رومانيا رسميا علـــى سياســـة الكوميكون الاقتصادية. فكتب جيورجي ديج ، الامين العام للحزب آنذاك،مقالا في جريدة الحزب الرسمية انتقد فيه سياسة الكوميكون وطالب فيه صراحة برفع القيود عن رومانيا لتطور اقتصادها وترضي حاجاتها الاقليمية ومطالب شعبها اولا . وعقد الكوميكون اجتماعا طارئا في بوخارست اصر فيه السوفييت على ضرورة تقيد رومانيا ببنود الخطة العامة للكوميكون وتفاصيلها ، الا ان رومانيـــا باشرت في تطبيق مشروعاتها لتصنيع البلاد مخالفة المخطط الزراعي المقترح(٢). واستمرت رومانيا في اتخاذ خطوات متلاحقة كانت تزيدها ابتعادا عن مجموعة الدول الاشتراكيـــة ، والتصاقا بدول المعسكر الغربـــي ، وبشكـــل يتخطى الجـــانب الاقتصادي ليكشف الابعاد السياسية الحقيقيـــة للاتجاه الروماني . فبدأت منذ ذلك العام ، ٦٤ ، بعقد عدد من الاتفاقات الاقتصادية خاصة مع فرنسا والولايات المتحدة ، واخذ حجم التبادل التجاري لرومانيا يتضاءل مع الكتلة الاشتراكية ويزداد مع الدول الغربية . وعلى سبيل المثال انخفض حجم تجارتها مع الاتحاد السوفييتي في سنة واحدة ، ٦٧ — ٦٨ ، من النصف الى الثلث(٣). وبين عامي ٦٤ و٦٦ انخفض حجم تبادلها التجاري مع مجموعة الدول الاشتراكية من ٦٧٪ الى ٦٠٪ ، كما انخفضت صادراتها الى الاتحاد السوفييتي من

٨٠٪ في بداية الستينات الى ٥٠٪ عام ٦٨(٤). ويمكن ان يتضح انفتاح رومانيا على المعسكر الغربي من خلال استعراض بعض الامثلة لعلاقاتها مع دوله الرئيسية . في كانون الثاني ٦٧ اتخذت رومانيا خطوة سياسية خطيرة اذ قررت اقامة علاقات دبلوماسية مع المانيا الغربية ، برغم اعتراض الاتحاد السوفييتي وباقي دول الكتلة. وكانت بذلك تلغي عمليا معاهدة فرصوفيا التي وقعتها رومانيا عام ٤٨ وتقضي بأنه « في حال تعرض رومانيا لاي عدوان مباشر من المانيا الغربية ، او من اية دولة حليفة لها بطريقة مباشرة او غير مباشرة فان القوات السوفييتية تتدخل للدفاع عن السيادة الرومانية »(٥). وفي مقابل ذلك قامت المانيا بتقديم قروض طويلة الاجل لرومانيا بلغت قيمتها مليارين و٢٠٠ مليون مارك(٦). وفي شهر آب ٦٧ وقع البلدان اتفاقية للتعاون الاقتصادي والفني تتضمن اقامة مصانع مشتركة في رومانيا ، وتلى ذلك عدة اتفاقات اخرى تتوجت في شهر تشرين الثاني ٦٩ باتفاقية اقتصادية وتجارية طويلة الاجل شكلت اساس التوسع في العلاقات الاقتصادية بين البلدين . ورغم الاجراءات التي اتخذت لتعديل الميزان التجاري بين البلدين الا انه كان يسجل باستمرار ميلا واضحا لصالح المانيا ، اذ بلغت قيمة صادرات المانيا الى رومانيا عام ٧٠ مثلا ٨٢ مليون جنيه استرليني مقابل ٦٦ مليونا للصادرات الرومانية ، اي بعجز قيمته ١٦ مليون جنيه استرليني . وفي شهر ايار ٧١ قام رئيس المانيا الغربية ووزير خارجيتها بزيارة لرومانيا كانت اول زيارة لرئيس الماني لاحدى دول اوروبا الشرقية ، وعقد الرئيسان الروماني والالماني مؤتمرا صحفيا قال فيه تشاوشسكو ان سبب اقامة علاقات مع المانيا نابع من وجوب الاعتراف بحقائق العالم وضرورة اقامة علاقات تعاونية بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة . وجاء في البيان المشترك الذي صدر عن الزيارة ان المحادثات تناولت مسائل ثقافية ودولية كثيرة ، كما عبر الطرفان عن ارتياحهما لتطور العلاقات الحسنة بينهما منذ اقامة العلاقات الدبلوماسية ، وعن رغبتهما في توسيع التجارة وتطوير التعاون في المجالات العلمية والفنية والثقافية فيما بينهما(٧).

وفي عامي ٦٨ و٦٩ تم تبادل الزيارات وتوثيق العلاقات بين رومانيا وبريطانيا . فزار وفد حكومي روماني لندن عام ٦٨ كما قام وزير خارجية بريطانيا بزيارة لبوخارست . وفي ذلك العام قامت رومانيا بخطوة لم يسبق لها مثيل حيث وقعت عقدا بـ ٢٤ مليون دولار مع مؤسسة بريطانية للطيران . وفي ذلك العام وقعت رومانيا وبريطانيا اتفاقية تجارية لخمس سنوات ، وقفزت قيمة التبادل التجاري بين البلدين من ٧ ملايين جنيه استرليني عام ١٩٦٠ الى حوالي ٦٧ مليونا عام ١٩٦٨(٨). وقام رئيس وزراء رومانيا بزيارة الى لندن عام ٦٩ التقى خلالها بممثلي قطاعات الصناعة والعلم والثقافة ، وجاء في البيان المشترك الذي صدر عن الزيارة ان الجانبين قد عبرا عن ارتياحهما الخاص لزيادة التبادل التجاري ، وللتعاون المطرد في المجالات الاقتصادية والتقنية والثقافية والعلمية بين البلدين(٩).

وفيما يتعلق بفرنسا ، قام ديجول عام ٦٨ بزيارة لرومانيا حيث استقبل كبطل . وعلقت مجلة التايم الاميركية على الزيارة بقولها ان الرئيس الفرنسي قد اسمع الرومانيين ما كانوا يودون سماعه فعلا. فقد حث تشاوشسكو — الذي يتشابه في انتقاده لحلف وارسو مع ديجول في انتقاده لحلف الاطلسي — ان يعمل معه لتحطيم نظام الكتل الذي يجزىء اوروبا . ودعا رومانيا ان تسير جنبا الى جنب مع فرنسا نحو اوروبا موحدة متحررة من سيطرة الدول الكبرى . واتفق الزعيمان على تشكيل لجنة لتنسيق جهودهما من اجل هذه الغاية(١٠). وقام تشاوشسكو في اواسط ١٩٧٠ بزيارة لفرنسا واتفق الجانبان على اقامة مشاريع مشتركة في دول اخرى فكانت رومانيا بذلك ، الدولة الاشتراكية الوحيدة التي تعقد معها فرنسا اتفاقيات من هذا النوع(١١).

اما مع الولايات المتحدة فقد وقعت رومانيا عام ٦٨ اتفاقية ثقافية كانت اكبر اتفاقية عقدتها الولايات المتحدة مع دولة اشتراكية . وقام نيكسون عام ٦٩ بزيارة لرومانيا صدر في نهايتها بيان مشترك جاء فيه ان الطرفين عبرا عن قناعتهما بأنه لا توجد بينهما مسائل مباشرة يختلفان عليها ، واكد نيكسون احترام بلاده لسيادة جميع الدول وحقها في الحفاظ على شخصيتها الوطنية . واتفق الجانبان على انشاء مكتبة اميركية في رومانيا ومكتبة رومانية في اميركه ، وكذلك على تطوير وتنوع الروابط الاقتصادية بينهما(١٢).

وفي الوقت الذي كانت رومانيا تشرع ابوابها في وجه الاستثمارات الرأسمالية والثقافية الغربية

كانت تحاول حجب كل النماذج الثقافية والاجتماعية السوفييتية باسم العمل على استعادة التقاليد القومية . ففي شباط ٦٨ انتهت معاهدة الصداقة الرومانية — السوفييتية ، بمرور عشرين عاما عليها . ولقد درجت الدول الاشتراكية في مثل هذه الحالة على تجديد المعاهدة بصورة تلقائية ، الا ان رومانيا تلكأت عدة شهور قبل ان تعيد توقيعها ولمدة خمس سنوات فقط(١٣). وقامت رومانيا في العام التالي باغلاق جمعية الصداقة الرومانية — السوفييتية(١٤). ومن جهة اخرى امتنعت رومانيا عن حضور مؤتمر القمة الشيوعي عام ٦٨ لبحث تطورات الوضع في تشيكوسلوفاكيا وايدت نظام دوبتشيك ، واعادت تشكيل فرق المقاومة الشعبية واعلنت ان اي تدخل في رومانيا سيقابل بالقوة .

وهكذا نرى ان الموقف الروماني المنفتح على الغرب لم يتوقف على الجانب الاقتصادي ، على خطورته ، بل تعداه الى المسائل الثقافية والسياسية المؤدية بالطبع الى مهادنة الامبريالية العالمية والسكوت عن جرائمها ثم التحالف معها . واذا كنا نلاحظ انتقادات الصحافة الغربية لرومانيا، خاصة في المسائل الداخلية ، فما ذلك الا مظهرا للضغط الذي يمارسه الغرب تجاه رومانيا لكي تمد اتجاهها « التحرري » على حياتها الداخلية ، ويسحبها نهائيا خارج المجموعة الاشتراكية .

٢ — رومانيا والنزاع العربي — الاسرائيلي :

خضع موقف رومانيا تجاه النزاع العربي — الاسرائيلي منذ أواسط الستينات الى عاملين اساسيين : الاول هو الاتجاه الروماني الاستقلالي المنفتح على الغرب ، وامتداده الى المنطقة . والثاني ، يتمثل بالعلاقات الثنائية الخاصة التي بدأت تنمو بين رومانيا واسرائيل ، وهو عامل متفرع عن العامل الاول وذو ابعاد دولية ، كما سنرى في القسم الثالث من هذا البحث . وقبل ذلك كانت رومانيا في مواقفها من المنطقة منسجمة مع باقي دول الكتلة الشرقية . فهي مثلا قد سحبت ممثلها السياسي من اسرائيل على اثر العدوان الثلاثي على مصر عام ٥٦ ولم تعده الا عام ٦٦ . وعلى الصعيد الاقتصادي والتجاري كانت علاقتها باسرائيل حتى عام ٦٦ محدودة للغاية . وربما كانت هجرة اليهود من رومانيا لاسرائيل هي الشذوذ الوحيد عن موقف الكتلة ، ومع ذلك كانت الهجرة تتم بحذر وسرية .

مع بداية انفتاحها على الغرب بدأت رومانيا تنظر الى الصراع في المنطقة نظرة محايدة في الظاهر ، مؤيدة لاسرائيل في نتائجها العملية . وحاولت قبل عدوان حزيران تنشيط علاقاتها مع طرفي النزاع ، واستمرت بهذه السياسة الى الان . فقبل عدوان حزيران كانت مثلا تبني قوارب لمصر ، وتصنع الملابس لليبيا والكويت وتفكر في اقامة مصنع للفوسفات في سوريا ، ومصنع للمعادن في السودان(١٥). وفي الوقت ذاته عقدت اتفاقية ضخمة للتعاون الاقتصادي والفني مع اسرائيل . وبرغم موقف رومانيا من عدوان اسرائيل عام ٦٧ ، والمتمثل برفضها ادانة العدوان وقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل ، اسوة بباقي دول الكتلة الاشتراكية ، فقد شهد النصف الاول من عام ٦٨ نشاطا رومانيا اقتصاديا ملحوظا في عدة بلدان عربية . فعقدت اتفاقية مقايضة مع السعودية قيمتها ٥٠٠ مليون دولار تستورد بموجبها النفط السعودي(١٦)، ووقعت اتفاقية للتعاون العلمي والفني مع الجمهورية المتحدة(١٧)، واتفقت مع الكويت على مقايضة النفط الكويتي ببضائع رومانية(١٨)، ووقعت اتفاقية للتبادل الثقافي مع تونس(١٩)، واتفاقية تجارية مع الجزائر ، وبروتوكولا للتعاون الاقتصادي والفني مع اليمن الجنوبية(٢٠). تعثرت العلاقات العربية الرومانية عام ٦٩ على اثر رفع رومانيا لعلاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل الى مستوى سفارة . فأعلنت مصر سحب سفيرها من بوخارست وقطعت كل من سوريا والعراق والسودان علاقاتها الدبلوماسية معها . ولكن رومانيا كانت منسجمة مع اتجاهها العام في علاقاتها الدولية ، ونظرتها « المحايدة » تجاه الصراع العربي — الاسرائيلي ، فردت على الموقف العربي بمقالات رئيسية في المجلة الاسبوعية للشؤون الخارجية ، لوميه ، اتهمت فيها الدول العربية بالتدخل في شؤونها الداخلية . ويعلق الكتاب الاميركي اليهودي على ذلك بقوله : لم تتدهور علاقات رومانيا مع مصر حيث استمرت اتفاقية لمدها بالمواد الغذائية سارية المفعول ، ولم يمنع قطع العلاقات مع السودان توقيع البلدين لاتفاقية تجارية جديدة(٢١). وفي صيف ١٩٧١ ترددت انباء عن عزم رومانيا على شراء ١٣ طائرة بوينج جرى تعديلها في المصانع الجوية الاسرائيلية حسب المواصفات الرومانية ، ودرس مؤتمر ضباط المقاطعة العربية صفقة البوينج والعلاقات التجارية

الرومانية – الاسرائيلية ، واصدر توصية بمقاطعة بعض المنتوجات الرومانية التي يحتمل ان تكون اسرائيلية ، او صنعت في رومانيا من مواد اسرائيلية ، وتتسرب الى الاسواق العربية حيث تقضي احدى الاتفاقات بين رومانيا واسرائيل ان تقوم كل منهما ببيع منتوجات الاخرى لطرف ثالث[٢٢]. ولكن الدول العربية كانت في هذه الفترة تنتهج سياسة « الانفتاح » وعدم المقاطعة ، ربما لقناعتها بضرورة فصل التعامل الاقتصادي عن الموقف السياسي على اعتبار ان القضية العربية تتطلب في هذه المرحلة تأييدا معنويا ، ورومانيا عموما تؤيد انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة !. وهكذا بدأت العلاقات الرومانية – العربية تتحسن مع نهاية عام ٧١ ، فقررت مصر والسودان اعادة علاقتهما الدبلوماسية مع رومانيا على مستوى السفارة[٢٣]. ووقعت مصر معها اتفاقيتين للتعاون الفني والتجاري قيمتهما ١٣٠ مليون دولار[٢٤]، ووقعت الجزائر معها اتفاقية تجارية جديدة . ثم جاءت زيارة تشاوشسكو الاخيرة لبعض الدول العربية ، تلتها دعوة مئير لزيارة رومانيا ، التي حققت على الاقل ، توازنا لزيارة تشاوشسكو للدول العربية ، انسجاما مع سياسة رومانيا باقامة علاقات متساوية مع العرب واسرائيل ، وانطلاقا من مصلحتها الوطنية الخاصة والتي يبدو انها اقتنعت منذ فترة طويلة بأن خدمة هذه المصلحة مرتبطة بتوثيق علاقاتها مع اسرائيل. ولعل استعراض موقف رومانيا من عدوان اسرائيل عام ٦٧ يوضح هذه الحقيقة .

يتلخص موقف رومانيا من العدوان ونتائجه بما يلي : رفضها ادانة العدوان ورفضها مقاطعة اسرائيل ، ثم اعتبارها قرار مجلس الامن الحل السليم للمشكلة ، ودعوتها للمفاوضات المباشرة كوسيلة عملية لتنفيذه . فمع تصاعد التهديدات الاسرائيلية للدول العربية في ايار ٦٧ وتدهور الوضع الى حالة الحرب في المنطقة ، ظهرت بوادر عطف روماني رسمي على اسرائيل ، اتخذت في هذه المرحلة طابع الحياد الظاهري بين الجانبين المتنازعين . وخلافا لدول الكتلة الشرقية امتنعت في اذاعتها عن مهاجمة دور اسرائيل في تصعيد التوتر ، واكتفت باذاعة « الوقائع » فقط[٢٥]. وعند وقوع العدوان وقفت الدول الاشتراكية في طليعة الدول الصديقة التي أدانت العدوان واعلنت تضامنها مع الشعوب العربية ضد الغزو الاسرائيلي . وفي حين قرب الموقف من العدوان يوجسلافيا من دول الكتلة الشرقية ، ابتعدت رومانيا عنها وتفردت في موقفها . ففي التاسع من حزيران ٦٧ عقدت دول الكتلة ومعها يوجسلافيا اجتماعا سريا في موسكو واصدرت بيانا مشتركا امتنعت رومانيا عن توقيعه لانه شجب العدوان ودعا اسرائيل الى سحب قواتها من جميع الاراضي التي احتلتها نتيجة لذلك[٢٦]. ورفضت رومانيا حضور المؤتمر الشيوعي الذي عقد بعد ذلك بشهر واحد ، اي في ١٠ تموز ، في بودابست (هنجاريه) خصيصا لبحث موضوع العدوان الاسرائيلي ، ومساندة الدول العربية . الا ان رومانيا حضرت اجتماعا لدول أوروبه الشرقية في بلجراد في الرابع من شهر أيلول ٦٧ ، ويبدو انها لم توافق على حضور هذا الاجتماع الا بعد ان تلقت تأكيدا بأن المؤتمر سينحصر في مسألة المساعدات الاقتصادية للدول العربية ، ولن يتعداها الى القضايا السياسية والعسكرية . وذكرت صحيفة نيويورك تايمز آنذاك ان رفض رومانيا الموافقة على لوم اسرائيل ووصمها بالعدوان قد ادى الى تأجيل اذاعة البيان المشترك للمؤتمر مدة ١٨ ساعة ، وانه بسبب ذلك الرفض لم يتضمن البيان عبارات تصم اسرائيل بالعدوان ، بل تحدث عن مناهضة الاستعمار دون ذكر اسم اسرائيل . وكان رئيس وفد الاتحاد السوفييتي قد قام قبل انعقاد ذلك المؤتمر بشهر واحد بزيارة خاطفة وسرية الى رومانيا يبدو انها كانت من اجل اقناع رومانيا بحضوره لكي تظهر دول الكتلة الشرقية بموقف واحد في مساندة الدول العربية . وتكرر الموقف الروماني في المؤتمر الذي عقدته الدول الاشتراكية بعد صدور قرار مجلس الامن ، لمناقشة الوضع في الشرق الاوسط على ضوء القرار . فذكرت وكالة اليونايتدبرس ان البيان الذي صدر عن المؤتمر في ٢٢ كانون الاول ووقعته رومانيا ، قد تحاشى وصم اسرائيل بالعدوان ، وذلك تنازلا من دول الكتلة الشرقية لرومانيا لقاء توقيعها البيان الذي اظهر دول الكتلة متفقة في نظرتها لازمة الشرق الاوسط . وبدلا من دمغ اسرائيل بالعدوان قال البيان « ان خططا بعيدة المدى من اعداد اوساط استعمارية في مقدمتها الولايات المتحدة » تكمن وراء حالة التوتر المصطنع وتهدف هذه الخطط الى اعادة النظام الاستعماري الجديد الى منطقة الشرق الاوسط[٢٧].

وعلى كل حال فقد ظلت رومانيا حتى الان متمسكة بموقفها الذي يرفض وصف اسرائيل بالمعتدية . وكانت مجموعة الدول الاشتراكية قد قررت قطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل كتعبير عن موقف هذه الدول من العدوان ، الا ان رومانيا امتنعت عن ذلك بل وزادت من توثيق علاقاتها مع اسرائيل .

لم تكتفِ رومانيا بهذا الموقف السلبي، والمؤيد بالنتيجة لاسرائيل ، بل ذهبت الى حد الدعوة للمفاوضات المباشرة بين العرب واسرائيل كوسيلة لحل الازمة، وبذلك كانت تتبنى تماما الموقف الاسرائيلي — الاميركي . ففي ١٠ حزيران ٦٧ اصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروماني بيانا دعت فيه الجانبين المتنازعين الى التفاوض المباشر لتأمين السلام في الشرق الاوسط وتدعيمه . واضافت صحيفة جيروزاليم بوست التي اوردت النبأ ، ان اذاعة بوخارست تتبع خطا مستقلا كما ظهر من خلال اذاعتها لتصريحات ييجال ألون والتي قال فيها « ان الحرب التي شنت على اسرائيل جعلت اتفاقيات الهدنة لاغية وفارغة »(٢٨). وبعد يومين من اصدار البيان قامت رومانيا بابلاغ سفيري الجمهورية المتحدة واسرائيل ، انها تعتبر انه يمكن حل مشاكل الشرق الاوسط بواسطة المفاوضات بين الاطراف المعنية ، كما ألقى تشاوشسكو ، الامين العام للحزب ، خطابا دعا فيه العرب واسرائيل الى الامتناع عن محاربة بعضهما والى حل مشاكلهما بواسطة التفاهم والمباحثات ، ودعا الاسرائيليين الى التخلي عن الاراضي التي احتلوها(٢٩). وفي الجلسة الطارئة للامم المتحدة ، دعا رئيس وزراء رومانيا الى الانسحاب الى ما وراء خطوط الهدنة ولكنه لم يعتبر هذا الانسحاب غير مشروط فدعا اسرائيل والعرب الى اجراء مفاوضات بينهما . وفي ٧ تموز ٦٩ عقد ممثل رومانيا في اسرائيل مؤتمرا صحفيا في تل ابيب دعا فيه من جديد الى المفاوضات المباشرة فقال ان النزاع العربي — الاسرائيلي يجب ان يحل عن طريق المحادثات ، وعلى الدول ذات المصلحة المباشرة ان تحدد شكل هذه المحادثات ، ولكنه اضاف ان كل اتفاق يجب ان يرتكز على قرار مجلس الامن وعلى بنوده الاساسية : انسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة ، واحترام سيادة اراضي كل دول المنطقة ، ووضع حل لمشكلة اللاجئين يعترف بمصالحهم الوطنية(٣٠). ومن الواضح ان رومانيا لا زالت تعتقد بأن المحادثات المباشرة ضرورية للتسوية السلمية ، وظهر ذلك من خلال ما عرضه تشاوشسكو اثناء زيارته الاخيرة للقاهرة ، على الرئيس السادات . فقد طرح الرئيس الروماني ان التعقيدات الدولية لن تسمح بحل عسكري يؤدي الى هزيمة احد الطرفين، وان المسألة من ثم ستتجمد لفترة طويلة ، « ... ولماذا اذن لا تأخذون الامر مباشرة في ايديكم ، وتقومون باتصال مباشر — ولو سري — مع اسرائيل »(٣١).

ان الموقف الاخير الذي اتخذته رومانيا بعد زيارة تشاوشسكو لمصر بفترة وجيزة ، وذلك بدعوتها جولدا مئير لزيارة رومانيا واجراء محادثات مطولة معها حول أزمة الشرق الاوسط ، يأتي منسجما مع الاتجاه الروماني بكليته . ومن الواضح ان رومانيا مهتمة بتسوية الازمة وانها لذلك تحاول التوسط لحل النزاع . فقد صرح تشاوشسكو بعد محادثاته مع مئير ان لبلاده مصلحة حيوية في التوصل الى حل عادل لمشكلة الشرق الاوسط(٣٢). وبغض النظر عن حيثيات المحاولة الرومانية ، فانها لم تكن الاولى بل ان رومانيا حاولت ذلك في الفترة التي رفعت علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل عام ٦٩ ، كما فتح الرئيس الروماني ، اثناء زيارته الاخيرة للجزائر ، الموضوع مع الرئيس بومدين ، ثم عرضه على الرئيس السادات بعد ذلك في القاهرة(٣٣). تنطلق رومانيا في محاولتها من قرار مجلس الامن ، وتحديدا : انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة ، وحل مشكلة اللاجئين بما يتناسب مع المطامح الوطنية للشعب الفلسطيني — رأتها احيانا فيدولة وطنية مستقلة — وان يقوم الطرفان المعنيان بالتفاوض للوصول الى ذلك . ورد ذلك مثلا في البيان المشترك عن زيارة تشاوشسكو لفرنسا في شهر حزيران عام ٧٠ ، وكرر تشاوشسكو هذا الكلام اثناء زيارته الاخيرة للجزائر والسودان . ولكن هذا هو ما يجعل المحاولة محكومة بالفشل ما دامت الدول العربية ترفض المحادثات المباشرة مع اسرائيل ، وما دامت العودة الى حدود ما قبل حرب حزيران امرا غير وارد بالنسبة لاسرائيل . وعند وصولها الى بوخارست طلبت مئير من رومانيا ان تسعى الى اقناع الدول العربية باجراء مفاوضات مع اسرائيل دون شروط مسبقة ، في حين اكد رئيس وزراء رومانيا تأييد بلاده لقرار مجلس الامن وقال : « لا

نزال نؤيد القرار الذي وافق عليه مجلس الامن في ٢٢ تشرين الثانـي ١٩٦٧ والذي يدعو الى انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة ، والاعتراف باستقلال وسيادة جميع الدول في المنطقة، وايجاد حل لقضية الشعب الفلسطيني، وذلك عن طريق خلق ظروف تمكنه من العيش حياة مناسبة وفقا لرغباته ومطامحه »(٣٤). ويبدو ان اسرائيل ذاتها لم تعلق آمالا كبيرة على المحاولة الرومانية وان كانت زيارة مئير لبوخارست تحقق لها اكثر من مكسب . فقد كتبت مجلة اكسبرس الفرنسية تعليقا على الزيارة جاء فيه « ان الناس في القدس ، التي دهشت اول الامر ثم سرت ثم اصبحت قلقة حاليا ، يتساءلون عما اذا كانت هذه الرحلة قد كتب عليها منذ البداية ان تبقى دون تكملة . لقد ألغت مئير زيارة مقررة الى سنغافورة، لتلبية الدعوة التي حملها مساعد وزير الخارجية الروماني الذي كان في عجلة من امره جعلته ينسى ابلاغ السفير الاسرائيلي امر الدعوة » . وتساءلت المجلة عما اذا كانت هـذه الدعوة « فخا أعده السوفييت والسادات لاظهار ان اسرائيل لا تريد التحرك قيد أنملة في طريق السلام » ! لقد اعلن الرئيس المصـري : « قلت لتشاوشسكو ان الاسرائيليين نهمون . لم يرد ان يصدقني . عندئذ قلت له : قابل جولدا مئير اذن » . واضافت المجلة ان الصحافة الاسرائيلية اكتشفت في هذا الكلام مناورة وتمهيدا لحملة تشهير مجلجلة . ونسبت الى شخصية اسرائيلية قولها : « كنا تخلينا عن هذه الدعوة المزعجة . ولكن كيف يمكن ان نقول لا للرئيس « الاشتراكي » الوحيد الذي نستطيع ان نقول له شيئا ما حتى الان »(٣٥). ومن ناحية مصر ، فقد نفت ان تكون وافقت على الفكـرة الرومانية ، او انه كان لها علم بأن رومانيا ستمضي في محاولتها ، واعتبرت دعوة مئير لزيارة بوخارست بعد ايام قليلة من زيارة تشاوشسكو للقاهرة ، وما رافق ذلك من كلام في الصحف العالمية مفاجأة لها مما جعلها تبعث برسالة الى بوخارست مؤداها ان القاهرة لا تفهم ماذا يجري ، وانها تشعـر بالقلق ازاءه وتطلب تفسيرا محددا ، صدر بعدها بيان روماني مقتضب يقول ان زيارة مئير سوف تقتصر على العلاقات الرومانية الاسرائيلية فقط(٣٦). لقد اكدت الاخبار التي رافقت زيارة مئير على ان مشكلة الشرق الاوسط كانت في مقدمة المواضيع التي نوقشت في الجلسات المطولة مع تشاوشسكو خاصة . واذا كان البيان المشترك الذي صدر عن زيارة مئير لم يشر الى نتائج محددة ، فلا يعني ذلك ان المحاولة الرومانية قد انتهت حتما بانتهـاء الزيارة ، وانما تعزز الاعتقاد لدى المراقبين بأن رومانيا اكتفت في هذه المرحلة بنقل وجهتي نظر الطرفين ، المصري والاسرائيلي ، الى بعضهما . ففي البيان المشتـرك ان الجانبين ، الروماني والاسرائيلي ، اتفقا على مواصلة الجهود من اجل تسوية سلمية للنزاع ، وصرحت مئير بعد انتهاء الزيارة بأنه ليست لدى رومانيا النية لان تلعب دور الوسيط بين البلدان العربية واسرائيل ، ولم تكن لديها هذه النية يوما ، وقالت ايضا انهـا عائدة من زيارة ودية جدا ومهمة ومفيدة(٣٧).

لقد اكتسبت زيارة مئـير لرومانيا اهمية خاصـة واثارت ضجة كبرى ، لعدة اعتبارات . فالطريقة التي وجهت بها الدعوة كانت غير اعتيادية،ورومانيا لها علاقات جيدة مع كل من العرب واسرائيل ، وبالتالي يمكنها وضعها ان تلعب دورا ايجابيـا في الوصول الى حل للازمة ، وتأتي الزيارة قبل فترة وجيزة من زيارة نيكسون لموسكو ، واذا ما اسفرت زيارة مئير عن شيء فقد يكـون مدار بحث بـين نيكسون والسوفييت . ووضع رومانيا بالنسبـة للاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة يساعد على ذلك على اعتبار انه مـن الانسب للسوفييت ان يأتي حل الازمة عن طريق طرف ثالث من ان يأتي عن طريق الولايات المتحدة ، والولايات المتحدة من جهة اخرى ترحب ببروز رومانيا دوليـا مما يعزز موقفها « الاستقلالي » علّه يكون مثالا يحتذى من دول اخرى في الكتلة الشرقية . وعلى اي حال فان الزيارة تحقق لكل من رومانيا واسرائيل مكاسـب على الصعيد الذاتي . فرومانيا يهمها ان تظهر على المسرح الدولي مدعمة لاتجاهها « الاستقلالي » مما يقوي من مكانتهـا وعلاقاتها الدولية . وبالنسبة لاسرائيل ، فانه لم يسبـق ان قـام رئيس وزراء اسرائيلي بزيارة لاحدى دول الكتلة الاشتراكية ، وكانت ولا زالت تهدف الى تغيـير واقع علاقاتهـا المحصورة مع الغرب بينما تتوجه الدول الاشتراكية في علاقاتها نحو العرب ، ولا شك ان اسرائيل تأمل ان تحقق لها الزيارة شيئا من ذلك ولو على الصعيد الاعلامي فقط . ومن جهة اخرى فان الزيارة جاءت لتوازن زيارة تشاوشسكو للقاهرة ، ولان تظـل رومانيا محافظة على خطهـا « الحيادي » تجـاه

الصراع في المنطقة ، ولتؤكد لاسرائيل ان علاقاتها مع الدول العربية لن تؤثر على علاقاتها الجيدة مع اسرائيل .

٣ — العلاقات الثنائيــة بين رومانيا واسرائيل : يمكن ان تكتمل صورة الموقف الروماني من النزاع العربي — الاسرائيلي بعرضنا لتطور العلاقــات الثنائية بين رومانيا واسرائيل . غير ان الفهـــم الحقيقي لهذه العلاقات يجب ان يقفز من مجــرد استعراضها ، الى وضعها في اطارها الطبيعــي والمتمثل بالطائفة اليهودية في رومــانيا وباليهودية العالمية واسرائيل . فاسرائيل واليهودية العالمية تبني موقفها من دول الكتلة الاشتراكية على ضوء موقف هذه الدول من رعــاياها اليهود بالدرجــة الاولى ، وكما عبر عن ذلك ناحوم جولدمان فــي اواخر عام ١٩٦٤ بقوله « يجب ان نأخذ كل دولة من دول الكتلة الشرقية على حدة نظرا لان سياستها تجاه القضــــايا اليهودية مختلفة عن بعضهــــا بعضا »(٣٨).

انعكس موقف رومانيا المنفتح على الغرب منذ عام ٦٤ بانفتاح داخلي على الطائفة اليهودية . فقامت رومانيا خلال ذلك العام باطــلاق سراح عدد مــن المعتقلــين السياسيــين كان من بينهم عدد مــن الصهيونيين . وعلقت الجويش كرونيكل يومها على تلك البادرة بقولها: يبدو ان الافراج عن هؤلاء هو جزء من الجهود المبذولة لخلق جو مناسب لاجراء المحــــادثات المالية والاقتصاديــة مع الولايــات المتحدة(٣٩). وتبع هذا التدبير الذي سبق التقارب الروماني — الاميركي — وربما كان شرطا اساسيا له — تدبير اخر يتعلق بالهجرة اليهودية . فقــد ذكرت مجلة الطائفة اليهودية الرومانية في حزيران ٦٤ ، اي بعد توقيع الاتفاق الاقتصادي الروماني الاميركي ، ان الحكومة الرومانية بدأت تنظر بشعور انساني عميق لقضية اليهود الرومانيين الراغبين بالهجرة الى اسرائيل . وعلق الكتاب الاميركــي اليهودي السنوي على ملاحظة المجلة بقوله « لم يسبق ان صدر تعليق من هذا النــوع فــي مجلــة رومانية »(٤٠)، واكد الكتاب ان السلطات الرومانية سمحت فعلا لعدد من اليهود بالهجرة الى اسرائيل خلال ذلك العام . واستمرت رومانيا بعد ذلك في اطلاق سراح المعتقلين ومن بينهم عناصر مرموقــة بنشاطها الصهيوني ، كما استمرت الهجرة اليهودية من رومانيا قبل عدوان حزيران وبعده ، حيث يذكر تقرير لجامعة الدول العربية ، منتصــف حزيــران ٦٨ ، ان الهجرة مستمرة من رومانيا الى اسرائيل عن طريق موانىء ايطالية يخرج منها اسبوعيا ما يقرب من ٢٠٠ مهــاجر . وعنــدما زار الرئيس الاميركي ، نيكسون ، رومانيا عام ٦٩ طلــب من السلطات الرومانية ان تسهل هجرة ٤٠ الف يهودي آخرين الى اسرائيل(٤١). ومن جهة اخرى ، تمثل الانفتاح الروماني الرسمي على الطائفة اليهودية ، بالاعتراف بها كفئة دينية واقلية قومية معا، وبمنحها حرية كاملة في المجالين الداخلي والخارجي . يبلغ عدد اليهود في رومانيا حــوالي ١٠٠ الف ويشرف على شؤونهم « اتحاد الجاليات اليهودية » الــذي يترأسه الحاخام روزين ، ويعتبر هــذا الاتحــاد رسميا الممثــل الشرعي ليهود رومانيــا تجــاه السلطات . ويقيم هذا الاتحاد علاقات اخوية مع الجاليات اليهودية خارج رومــانيا ، ويشارك في المؤتمر اليهودي العــالمي ، وهو المنظمــة التوأم للمنظمة الصهيونية العالمية . فقد جاء في الكتــاب الاميركي اليهودي السنوي لعام ٦٤ ان السلطات الرومانية لم تبد اي اعتراض خلال ذلك العام على محاولات اتحاد الجاليات انشاء علاقات اخوية مع اليهودية العالمية ، كما اكد روزين في مقابلـة له مع صحيفة جويش كرونيكل في ٣ اذار ٦٦ ان وضع اليهود في رومانيا تحسن جدا . واقامت الجالية اليهودية عام ٦٦ احتفالا ضخمــا بمناسبة مرور ٢٥ عاما على وقوع اول الضحايا اليهود للاضطهاد النازي اشتركت فيه الدولة رسميا وقدمت للحكومة الاسرائيلية هدية من ٣ آلاف مخطوطة من التوراة طلبت ان توزع — اذا امكن — في الكنائس التــي يرتادها المهاجرون الرومانيــون الى اسرائيل* . وفتحت زيارة ناحوم جولــدمان ، رئيس المنظمــة الصهيونية والمؤتمر اليهودي العــالمي ، انذاك ، لرومانيا في اوائل عام ٦٧ ، ابواب رومانيا لغــزو صهيوني منظم . فبعد زيارته باسبوعين قام نائب رئيس منظمة الجبايــة اليهودية الاميركية بزيــارة لرومانيا صرح على اثرها انه توصل الى اتفــاق مع اتحاد الجاليات اليهودية في رومانيا ، وبموافقة الحكومة ، ستقدم منظمته بموجبه مساعدات دائمة ليهود رومانيا(٤٢). وفي حزيران ٦٩ اقامت الجالية

---

* يبلغ عدد اليهود الذين هاجروا من رومانيا الى اسرائيل حوالي ٤٠٠ الف (راجع ديرشبيجل ٢٤ نيسان ٧٢) .

اليهودية احتفالات استمرت خمسة ايام بمناسبة الذكرى العشرين لتنصيب روزين حاخاما ليهود رومانيا ، حضرها ممثلون عن المؤتمر اليهودي العالمي ومنظمة الجباية اليهودية الاميركية واتحاد الكنائس الاسرائيلية وهيئات دينية وغير دينية في اوروبه الشرقية والغربية والولايات المتحدة وكندا ، واصدرت المجلة الاسبوعية للجالية عددا خاصا حملت رسالة مطولة من الاعيان اليهود في اسرائيل واوروبه الغربيةوالشرقية والاتحاد السوفييتي(٤٣). وتصدر هذه المجلة بثلاث لغات هي الرومانية والعبرية واليديش ، وتتناول الاحداث اليهودية داخل رومانيا وخارجها . وفي رومانيا نشاط ادبي ملحوظ بلغة اليديش ، وكانت الحكومة قد ادخلت منذ عام ٦٥ برنامجا اذاعيا بلغة اليديش على برامج الاذاعة الرسمية في بوخارست . وفي اوائل عام ١٩٧٠ عقد ممثلو ٩٨ جالية يهودية رومانية ، عددها ١٠٠ الف ، اجتماعات قومية في مدينة بوخارست برعاية الحاخام روزين الذي اكد ان ١٨٣ معبدا ومؤسسة يهودية في رومانيا تقوم بعملها القومي على اكمل وجه وان اكثر من عشرة آلاف معظمهم من الشباب والطلاب يدرسون اللغة والتاريخ العبريين في رومانيا(٤٤).

ومع انه من غير المعروف تماما عدد اليهود ومراكزهم في المؤسسات الرسمية ، الا ان خمسين الفا من يهود رومانيا يتركزون في العاصمة بوخارست . ومن المعروف تاريخيا ان اليهود في مختلف الدول كانوا ولا زالوا يقيمون بصورة اجمالية في المدن ، مما مكنهم بحكم وضعهم المالي ، ان يكونوا طبقة وسطى متعلمة في تلك المدن ، وفي بوخارست بشكل خاص . فمع بداية التطور الرأسمالي تعرض اليهود ، كجزء من الطبقات الوسطى ، في المجتمعات الاوروبية الى نقمة الفئات الاخرى وخاصة في الطبقات الوسطى التي رأت فيهم خطرا يتمثل في منافستها على رزقها . وشجعت الطبقات الرأسمالية المالكة هذا الاتجاه لكي تظهر للطبقات الاخرى ان عدوها الحقيقي هم اليهود . وفي اوائل القرن التاسع عشر اصدر ملك بروسيا قانونا بحرمان اليهود من ممارسة اية مهنة ، طبق في مختلف بلدان اوروبا الشرقية باستثناء رومانيا ، فأصبحت بذلك محط هجرة للفئات اليهودية من الاقطار الاخرى . وادى ذلك بالطبع الى ان يشكل اليهود في رومانيا فئة مثقفة ونافذة في المجتمع . وعبر روزين عن هذا الواقع حديثا بكلمة امام مؤتمر الجاليات اليهودية الاورثوذكسية في أميركه عام ٦٩ قال فيها ان يهود رومانيا يحتلون مراكز هامة في جميع مستويات الحكم والصناعة والعلم والفنون(٤٥). ومما تجدر الاشارة له هنا هو ان طبقة الانتلجنسيا هذه ، النافذة في جهاز الدولة تجد في الانفتاح على الغرب ارضاء لنزعاتها الليبرالية ، ومن ثم تكتسب قيادة الحزب والدولة تأييد ودعم هذه الطبقة لسياستها العامة . يعطي الكتاب الاميركي اليهودي اشارات الى وضع اليهود في الدولة والحزب فيذكر ان هناك ثلاثة يهود في « الوزارة المصغرة » Inner Cabinet (وهذه تتألف من الوزراء الرئيسيين في الحكومة ، وتكون جلساتهم في العادة سرية لا يحضرها الوزراء الاخرون) منهم جيورجي جاستون مارتن المعروف بأفكاره الاقتصادية الليبرالية ، والذي كان مسؤولا عن التطورات الاقتصادية في الستينات ، وكان رئيس الوفد الروماني الذي ارسل للولايات المتحدة في منتصف ايار ١٩٦٤ لعقد الاتفاق الاقتصادي . وفي المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الروماني ، في شهر آب ٦٩ ، انتخب تسعة يهود في اللجنة المركزية واثنان في اللجنة التنفيذية للحزب . ومع ذلك يشير الكتاب الى ان نفوذ القادة الحزبيين من اصل يهودي قد انخفض لبعض الوقت نتيجة اجراءات تشاوشسكو باستبدال القادة القدامى بقادة من الجيل الجديد(٤٦).

لم يكن الانفتاح الروماني الرسمي على الطائفة اليهودية مجرد انعكاس مبسط للانفتاح الخارجي بل ان له ابعادا اخرى تتعلق باسرائيل واليهودية العالمية . فاسرائيل هي الحلقة المركزية التي تمر بها العلاقات مع الطائفة اليهودية داخليا ومع اليهودية العالمية على صعيد دولي . ولذا فان اقامة علاقات جيدة مع اسرائيل تتطلب سياسة داخلية ترضي الطائفة اليهودية وتمنحها الحرية كاملة على الصعيدين الداخلي والخارجي . ومنذ انفتاحها على الغرب ، كانت رومانيا تعي اهمية اسرائيل ، ومن ثم اليهودية العالمية في تأمين دعم اقتصادي راسمالي غربي . كما كانت ترى ، من جهة اخرى، ان تقوية علاقاتها الثنائية مع اسرائيل تفتح امامها متنفسا اقتصاديا اخر عن طريق فتح اسواق جديدة لمنتجاتها . وفي معرض شرحها للابعاد العميقة لتقرب رومانيا من اسرائيل ، والذي بدأ منذ عام ٦٥ ، قالت الجويش اوبزرفر ان رومانيا كانت ، كما يبدو ، تنظر ، عبر اسرائيل ،

الى اليهودية العالمية لان ادراك رومانيا للاسماء اليهودية العديدة في سجل زعماء الاقتصاد في دول عدة ، جعلها تقدم على اظهار حسن نيتها تجاه اسرائيل . ومن خلال اسرائيل ، يبدو ان رومانيا سعت الى دخول جميع الدول الغربية مرة واحدة وعبر التشتت اليهودي (الدياسبورا). وكان على يهود اسرائيل ان يلعبوا دور جسرها الى الغرب — اي ان الصداقة الرومانية — الاسرائيلية هي في الاساس صفقة سياسية واقتصادية ذات ابعاد عالمية . واعطت المجلة امثلة عن تبادل المنافع اليهودية — الرومانية فقالت ان شراء رومانيا سيارات ليلاند — اشدود كان واسطة رومانيا للتعرف على شركة ليلاند البريطانية التي تعاقدت معها لاقامة معمل تجميع في رومانيا . كما ان الفاكهة الرومانية تعلب في اسرائيل وتجد طريقها الى اسواق اوروبا الغربية(٤٧). وكما لعبت اسرائيل دور الوسيط المالي لرومانيا مع الدول الغربية لتأمين القروض والمساعدات ، فقد لعبت ايضا دور الوسيط التجاري لترويج البضائع الرومانية في الاسواق التي لاسرائيل نفوذ فيها خاصة في افريقيا واميركه اللاتينية(٤٨). اما اسرائيل فتأمل بالمقابل ان تساعدها علاقاتها مع رومانيا في الاطلال على باقي الدول الاشتراكية وان تصل في الوقت ذاته ، المنتوجات الاسرائيلية الى اسواق اوروبا الشرقية . وكانت اسرائيل بدأت تسعى جاهدة في اواسط الستينات لتقوية علاقاتها مع دول الكتلة الاشتراكية لان هذه الدول قد اصبحت بعد عام ٤٨ في وضع المنتقد ان لم تكن معادية لاسرائيل ، وفي وضع الصديق للدول العربية ، بينما اسرائيل ملتصقة بالمعسكر الامبريالي . ويهم اسرائيل جدا ان تبعد عنها وصمة التبعية للامبريالية ، بالاضافة الى المكاسب الاستراتيجية والاقتصادية التي تأمل في تحقيقها اذا ما نجحت في توطيد علاقاتها مع الدول الاشتراكية ، مثل : اضعاف الموقف العربي ، هجرة اليهود من تلك الدول ، وزيادة التعامل الاقتصادي والتجاري معها . ورأت اسرائيل آنذاك في الخلاف داخل المعسكر الاشتراكي من جهة ، والتقارب السوفييتي الاميركي من جهة اخرى ، عاملا يساعدها على تحقيق هدفها . ولذلك قامت اسرائيل عام ٦٦ بعقد مؤتمر لسفرائها في دول الكتلة الشرقية ، في بولنده ، صرح ايبان بعده ان المؤتمر قد وسع الافق السياسي لاسرائيل ، كما علقت الجيروزاليم بوست بقولها ان الدول الغربية ستكون سعيدة ان تشهد مجالا اوسع للاتصال بدول الكتلة الشرقية ، التي لم تعد كتلة متراصة ، بل بدأت دولها تستعيد بروزها الذاتي بعد ان خفت حدة التوتر الاميركي السوفييتي وخفت قبضة السوفييت عليها(٤٩). وعبر ايبان بعد ذلك عن هدف اسرائيل صراحة بقوله ان قصدنا الاكيد هو ان نفعل اي شيء في حدود قدرتنا لنقوي ارتباطاتنا مع دول اوروبه الشرقية(٥٠). ثم قام ناحوم جولدمان ، بعد ذلك بقليل ، بزيارة لدول اوروبه الشرقية ومنها رومانيا ، كخطوة اخرى في سبيل تقوية علاقات اسرائيل مع تلك الدول ، وقد رأينا سابقا ، كيف ان رومانيا خضعت بعد ذلك لغزو صهيوني منظم . ولم يستطع وزير مالية اسرائيل ، بنحاس سابير ، لدى عودته من توقيع عدة اتفاقيات طويلة الاجل للتعاون التجاري والتقني مع رومانيا في اواسط ايار ٦٧ ، من اخفاء شعوره ، حيث قال « منذ شهر واحد كان كل هذا يبدو خيالا »(٥١).

سارت العلاقات الرومانية — الاسرائيلية في خطوات بطيئة اول الامر ، ثم اخذت تزداد توثقا ومتانة حتى الان . قبل عدوان حزيران ٦٧ تمثلت ابرز العلاقات بين رومانيا واسرائيل بتعيين رومانيا لاول وزير مفوض لها في اسرائيل ، وامتناعها في ذلك العام ، ٦٦ ، عن التصويت في الامم المتحدة على اقتراح تقدمت به الدول العربية لتعيين حارس على الاملاك العربية في اسرائيل ثم بتوقيع البلدين اتفاقية كبيرة للتعاون الاقتصادي والفني في اوائل عام ٦٧ . بعد ذلك استقرت هذه العلاقات في مؤسسات ، على حد تعبير صحيفة معاريف ، التي كتبت ، بمناسبة زيارة نائب وزارة الخارجية الروماني لاسرائيل في العام الماضي ، تقول ان هناك اطارا دائما للاتصالات بين البلدين هو عبارة عن لجنة مشتركة بين ممثلي الحكومتين على مستوى وزراء تجتمع لبحث العلاقات القائمة وخصوصا في مجالي الاقتصاد والتجارة ، وتعقد كل ستة اشهر اجتماعات ذات طابع سياسي واضح . لقد سبقت زيارة نائب وزير الخارجية الروماني لاسرائيل زيارة المدير العام لوزارة الخارجية الاسرائيلية ، جدعون رفائيل ، لبوخارست ، وجرى اجتماع خارج حدود رومانيا (في روما) . ان الظاهرة الاكثر وضوحا في العامين الماضيين في علاقات رومانيا باسرائيل كانت كما هو معروف ، القرار الذي اتخذته حكومة بوخارست لرفع تمثيلها

الدبلوماسي في اسرائيل الى درجة سفارة . لم يكن ذلك أمرا سهلا بالنسبة لبوخارست لتعرضها لضغوط كبيرة من جانب موسكو والدول العربية . ولقد توثقت اخيرا علاقات السياحة والتبادل الثقافي والرياضي كما اتفق على تعميق التعاون في المجال العلمي والتقني . وفي المجال السياسي استجابت رومانيا للتوقعات الاسرائيلية ، اذ من المعروف ان شخصيات بارزة في الحكومة السوفييتية تنتقد باستمرار الصحافة في رومانيا التي ترفض باصرار نشر اوصاف متحازة في مجال النزاع العربي – الاسرائيلي(٥٢). ويمكن ايراد بعض الامثلة لتطور العلاقات الرومانية – الاسرائيلية منذ عدوان حزيران وفي مختلف المجالات*.

في المجال السياسي كان بالفعل قرار رومانيا في ١٦ آب ٦٩ برفع تمثيلها الدبلوماسي مع اسرائيل ، هو ابرز ما في هذه العلاقات . وعلقت الجويش كرونيكل يومها على الخطوة فقالت ان انفراد رومانيا بعدم قطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل بعد حرب الايام الستة قد اظهر استقلالا فكريا لرومانيا تحسد عليه . وجاءت خطوتها الان كمثال آخر على هذا الاستقلال . ان اصدقاء اسرائيل في العالم سيقدرون هذه الاعمال التي تطلبت اتخاذ قرارات جريئة(٥٣). وجاءت زيارة مئير الاخيرة لبوخارست خطوة كبيرة جديدة في هذه العلاقات . على صعيد حزبي تقيم رومانيا علاقات مع الحزب الشيوعي الاسرائيلي (ماكي) الصهيوني ، خلافا للدول الاشتراكية الاخرى التي تتعامل مع حزب راكح .

في المجال العسكري ، نقلت صحيفة معاريف بتاريخ ١١ كانون الاول ١٩٧٠ عن مجلة المانية ان رومانيا قد أبدت اهتماما بشراء طائرة الميراج التي تنتجها اسرائيل بقوتها الذاتية . كما ترددت انباء هذا العام عن ان رومانيا تقوم بتزويد اسرائيل بقطع الغيار والذخيرة للاسلحة السوفييتية التي اصبحت بحوزتها بعد عدوان حزيران ، غير ان رومانيا نفت ذلك(٥٤). وفي مجال التعاون العلمي والفني تقدم اسرائيل خبرتها في المجالين الزراعي والصناعي . ففي شهر آب ١٩٧٠ جرى تخريج ٢٠ خبيرا رومانيا بعد أن أتموا تدريبهم على اعمال الري في اسرائيل(٥٥). وكانت رومانيا واسرائيل قد وقعتا اتفاقا في شهر شباط ٦٩ تعهدت اسرائيل بموجبه القيام بمشروع لري ٤٠٠ الف دونم في رومانيا ويكلف حوالي ٢٠ مليون دولار ، وكذلك بانشاء مزرعة نموذجية للدواجن ، وتأسيس مصنعين لذبح الابقار وتعليب اللحوم ، واقامة مبان لتوضيب الفاكهة والخضار ، وتشييد مصنع لانتاج القهوة الاميركية(٥٦). وشكل البلدان عام ٧١ لجنة مشتركة بهدف تعميق التعاون في المجالين العلمي والتقني على اثر زيارة الى بوخارست قام بها وفد من المجلس الوطني للبحث العلمي والتنمية في اسرائيل(٥٧). من جهة اخرى تقوم الفرق الفنية والموسيقية في البلدين بتبادل الزيارات واحياء الحفلات الشعبية . وكان البلدان قد اتفقا في نهاية عام ٦٨ على الغاء سمات الدخول بينهما بهدف تنمية السياحة والنقل بينهما . ويتبادل البلدان اقامة المعارض الصناعية فأقيم عام ٦٨ معرض صناعي اسرائيلي ضخم في بوخارست اشتركت فيه ١٤٢ شركة اسرائيلية ، كما اقيم معرض صناعي روماني في تل ابيب ، واشتركت اسرائيل عام ٧٠ في المعرض التجاري الذي اقيم في بوخارست لاول مرة منذ الحرب الثانية(٥٨). ومن مظاهر الصداقة بين البلدين تقديم اسرائيل قرضا لرومانيا عام ٧٠ قدره ٧ ملايين دولار ، على اثر الفيضانات في رومانيا ، كما قدم التجار الاسرائيليون الذين يتعاملون مع رومانيا مساعدة نقدية وعينية قيمتها ٥٠ ألف دولار(٥٩). على صعيد التبادل التجاري ، حدث التطور الاساسي في آذار ٦٧ حين وقع البلدان اتفاقية طويلة الاجل للتعاون الاقتصادي والتجاري. قبل ذلك كان التبادل التجاري بينهما محدودا لا يكاد يصل حجمه الى خمسة ملايين دولار ، ويجري على اساس التصفية Clearing ، اي دفع القيمة ببضائع مقابلة . اما الاتفاقية الجديدة فحددت العملة الصعبة كأساس للتبادل . وفي نهاية ذلك العام اتفق الجانبان على تشكيل لجنة مشتركة لمتابعة الاتفاقية ، حددت هدفا ان تصل قيمة التبادل الى ٢٠ مليون دولار في كل اتجاه. واعتبرت الصحف الاسرائيلية تلك الاتفاقية اوسع اتفاقية وقعتها اسرائيل مع اية دولة في العالم لان اهمية الاتفاقية لا تنحصر في المجال الاقتصادي بل تتعداه الى المجال السياسي . واتفق الجانبان عام ٧١ على تجديد الاتفاقية لمدة خمس سنوات اخرى ، ويتوقع المسؤولون الاسرائيليون ان تزداد قيمة

* لمزيد من التفاصيل حول هذه العلاقات يمكن الرجوع الى كتاب « علاقات اسرائيل مع دول العالم » منشورات مركز الابحاث ، ١٩٧٠ .

التبادل التجاري ، بموجبها بنسبة ١٥ ٪ سنويا على الاقل ، بالاضافة الى انها « تمكن اسرائيل من الحفاظ على موطىء قدم لها في اوروبه الشرقية »(٦٠). ويبين الجدول الاتي تطور التبادل التجاري بين البلدين بين عامي ٦٦ و٧١ .

التبادل التجاري بين رومانيا واسرائيل
(بآلاف الدولارات)

السنة	الصادرات الاسرائيلية	الواردات الاسرائيلية
١٩٦٦	٢٬٨٢٤	٩٦٩(١)
١٩٦٧	٥٬٥٢٢	٥٬٨٦٤ (٢)
١٩٦٨	١٠٬٠٩٥	١٠٬٧٣١ (٢)
١٩٦٩	١٤٬٨٩٦	١٧٬٦١٣ (٢)
١٩٧٠	١١٬٠٣٠	٢٥٬٠٨٢(٣)
١٩٧١	٨٬٣٩٦	١٨٬٧٦٩(٤)

مصادر الجدول

١ — Statistical Abstract of Israel, 1967. p. 219.

٢ — المصدر السابق ، ١٩٧٠ ، ص ٢١٩ .

٣ — Central Bureau of Statistics, Foreign Trade Statistics, Quarterly, No. 4, (2 issues) Jan-December, 1970, p. 514.

٤ — لتسعة اشهر فقط Monthly Foreign Trade Statistics, September, 1971, p. 32.

خلاصة : لم يكن الاتجاه « الاستقلالي » الروماني سوى ردة فعل قومية ضيقة ، تهدف الى الانفكاك من التزامها تجاه مجموعة الدول الاشتراكية ، وقوى الثورة المناهضة للامبريالية . لقد رفعت رومانيا شعار حرية كل دولة في انتهاج سياستها الخاصة بها في الداخل والخارج ، دون ان يكون لهذا الاتجاه انعكاسه الداخلي ، على غرار ما حدث في تشيكوسلوفاكيا مثلا . فالبيروقراطية الحزبية ، ومراقبة وسائل الاعلام، وتقييد الحريات ظلت على ما هي عليه . ومع ذلك فقد مكنت هذه السياسة زعماء رومانيا من متابعة خططهم . فهي من جهة ترضي نزعة جماهيرية عامة ، والحفاظ على المكاسب الاشتراكية والاوضاع الحزبية القديمة لا يولد ردة فعل لدى السوفييت وباقي دول الكتلة كما حدث تجاه تشيكوسلوفاكيا ، في حين يرضي الانفتاح على الثقافة الغربية النزعة الليبرالية في اوساط البيروقراطية . ولكن توطيد هذا الاتجاه وتوفير الراسمال الغربي له ، لا يمكن ان يتم بدون ثمن ، فكان شعار التعايش والتعاون مع كافة الدول بغض النظر عن نظمها الاجتماعية ، والذي لم يكن سوى تغطية لمهادنة المعسكر الامبريالي وتوثيق العلاقات معه ، وفتح أسواق رومانيا للاستثمارات الراسمالية .

ولم يكن توطيد رومانيا لعلاقاتها مع اسرائيل سوى حلقة في هذا الاتجاه . فاسرائيل هي الجسر الطبيعي للوصول الى اليهودية العالمية التي تشكل بدورها مدخلا للحصول على الدعم المالي والاقتصادي الغربي . كما تشكل اسرائيل ، من جهة ، جسرا للمنتوجات الرومانية لاسواق العالم الثالث ، حيث لا تستطيع هذه المنتوجات على المنافسة الكفوءة في أسواق الدول الغربية المتقدمة . اما اسرائيل فقد واجهت منذ قيامها عزلة نسبية عن مجموعة الدول الاشتراكية ، وهي لا تريد ، انطلاقا من اعتباراتها الوطنية الذاتية ، ان تظهر امام دول العالم الثالث على انها حليف للمعسكر الامبريالي المكروه من شعوب هذا العالم . وبالتالي فان اقامة علاقات جيدة مع الدول الاشتراكية تشكل لاسرائيل متنفسا استراتيجيا هاما . ولذا فان توطيد علاقاتها مع رومانيا يظل يشكل أملا لاسرائيل على امكان خرق الحاجز الاشتراكي سياسيا ، ووصول منتوجاتها الى اسواقه . ولهذا نقول ان العلاقات الرومانية الاسرائيلية صفقة سياسية — اقتصادية ذات ابعاد استراتيجية وعالمية .

شحادة موسى

الحواشي :

١ — جريدة النهار البيروتية ، ٦٧/١٢/٢٠ .

٢ — مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٤ ، ص ٣١٣ .

٣ — الكتاب الاميركي اليهودي السنوي، ١٩٦٩، ص ٤١٤ .

٤ — مجلة التايم الاميركية ، ٦٨/٥/٢٤ .

٥ — جريدة النهار ، ٦٧/١٢/٢٠ .

٦ — المصدر السابق ، ٦٨/٦/٢٧ .

٧ — ملفات كيسنجز لعام ٧١ — ٧٢ ، ص ٢٤٧٠٨ .

٨ — ملفات كيسنجز لعام ٦٩ — ٧٠ ، ص ٢٣٨٠١ .

٩ — المصدر نفسه .

١٠ — مجلة التايم الاميركية ، المصدر السابق .

١١ — النهار ٧٠/٦/١٨ .

١٢ — ملفات كيسنجز ، ٦٩ — ٧٠، ص ٢٣٥١٠ .

١٣ — مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، الكتاب السنوي لعام ٦٨ ، ص ٨٧٧ .

١٤ — مجلة الهدف البيروتية ، ٦٩/٩/٦ .

١٥ — جويش اوبزرفر ٦٧/٤/٢٨ .

١٦ — النهار ٦٨/٥/١ .

١٧ — الاهرام ٦٨/٣/٢١ .

١٨ — النهار ٦٨/٢/١٩ .

١٩ — العمل التونسية ٦٨/٣/١٢ .

٢٠ — النهار ٦٨/٦/١٩ .

٢١ — الكتاب الاميركي اليهودي السنوي ، ١٩٧٠ ، ص ٤٨٧ .

٢٢ — جريدة بيروت اللبنانية ، ٧١/٨/٢٤ .

٢٣ — النهار ٧١/١٢/٢٥ .

٢٤ — الاهرام ٧٢/١/١٩ .

٢٥ — مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، الكتاب السنوي لعام ٦٧ ، ص ٩١٢ .

٢٦ — مركز الابحاث ، اليوميات الفلسطينية ، المجلد الخامس ، ص ٦٠٣ .

٢٧ — المصدر السابق ، المجلد السادس ، ص ٤١٧ .

٢٨ — جيروزاليم بوست ٦٧/٦/١١ .

٢٩ — المصدر السابق ، ٦٧/٦/١٧ .

٣٠ — النهار ٦٩/٧/٨ .

٣١ — الاهرام ٧٢/٤/٢٨ .

٣٢ — الاذاعة الاسرائيلية (عربي) ، ٧٢/٥/٦ .

٣٣ — الاهرام ، المصدر السابق .

٣٤ — النهار ، ٧٢/٥/٦ .

٣٥ — النهار ٧٢/٥/٥ .

٣٦ — الاهرام ، المصدر السابق .

٣٧ — النهار ٧٢/٥/٨ .

٣٨ — جيروزاليم بوست ، ٦٤/١٢/٢٧ .

٣٩ — جويش كرونيكل ، ٦٤/٥/٥ .

٤٠ — مؤسسة الدراسات ، الكتاب السنوي لعام ٦٤ ، ص ٣١٤ .

٤١ — الجمهورية القاهرية ، ٦٩/٨/٢٦ .

٤٢ — مؤسسة الدراسات ، الكتاب السنوي لعام ٦٧ ، ص ٩١٢ .

٤٣ — الكتاب الاميركي اليهودي السنوي ، ١٩٦٩ ، ص ٤١٨ .

٤٤ — لانفورماسيون ، ٧٠/٣/٢٥ .

٤٥ — جيروزاليم بوست ، ٦٦/١١/٢٤ .

٤٦ — الكتاب الاميركي اليهودي السنوي ،١٩٧٠، ص ٤٨٥ .

٤٧ — مؤسسة الدراسات ، الكتاب السنوي لعام ٦٨ ، ص ٨٨٠ .

٤٨ — دير شبيجل ، ٧٢/٤/٢٤ .

٤٩ — جيروزاليم بوست ، ٦٦/٥/٢٠ .

٥٠ — جيروزاليم بوست ، ٦٦/٦/٥ .

٥١ — جويش اوبزرفر ، ٦٧/٤/٢٨ .

٥٢ — راجع نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، السنة الاولى ، عدد ٩ ، ١ آب ٧١ ، ص ١٥٨ .

٥٣ — جويش كرونيكل ، ٦٩/٨/٢٢ .

٥٤ — الدستور الاردنية ، ٧٢/٣/١٧ .

٥٥ — دافار ، ٧٠/٨/٢٥ .

٥٦ — جيروزاليم بوست ، ٦٩/٢/١٠ .

٥٧ — المحرر اللبنانية ، ٧١/٦/٢٥ .

٥٨ — جيروزاليم بوست ، ٧٠/١٠/١٤ .

٥٩ — لانفورماسيون ، ٧٠/٧/١٣ .

٦٠ — هيرالد تريبيون ، ٧١/٢/١٥ .

فلسفة التربية للشعب العـــربي الفلسطيني

فلسفة التربية للشعب العربي الفلسطيني هي محاولة من قسم التخطيط التربوي في مركز التخطيط لوضع اطار فكري وتربوي موحد للشعب الفلسطيني المشتت . وهذه الفلسفة هي حجر الاساس لعمل القسم الذي يهدف الى وضع مناهج تعليمية وطنية وبرامج تثقيفية تهدف الى خلق جيل فلسطيني ثوري يملك الارادة والتصميم والفكر والعلم اللازم لتحمل اعباء مسيرة التحرير الطويلة . ويتوجـــه مركز التخطيط بالشكر للمستشارين التربويين على مساهمتهم الكبيرة في هذا العمل .

تنبثق فلسفة التربيـــة والتعليم للشعب العـــربي الفلسطيني من المنطلقات التالية :

أولا : ان العالم واقع موضوعي يجب ان يدرس موضوعيا وان لا يحكم عليه ذاتيـــا ، وان هذا العالم في حالة حركة مستمرة ولا يمكن ان يدوم واقع ما الى الابد ، وان بامكان الانسان معرفة العالم وتغييره . وبناء على هذه النظرة ، فان فلسفة التربية والتعليم تتجـــه الى رفض كـــل المفاهيم التي تشكك بقدرة الانسان والجماهير على معرفة العالم وتغييره وترفض مواقف الخضوع للامر الواقع والاستسلام له .

ثانيا : ان التاريخ ليس تراكما عبثيا للاحداث او دورة نعيد نفسها بلا انقطاع ، بل هو تطور من الادنى الى الارقى وتلعب الثورات دورا اساسيا في هذا التطور .

ثالثا : ان الانســـان جزء من الشعب الذي ينتمي اليه ، وان مصلحته تكمن في تحقيق مصلحة هذا الشعب وان قيمته تحدد بما يقوم به في سبيل انتصار القضايا العادلة لشعبه وبلاده والانسانية .

رابعا : ان معيار الخير والشر والصحيح والخطأ لا يقوم على اساس الحكم الذاتي وانما هو معيار موضوعي ، فالذي يقرر عدالة قضيـــة او عـــدم عدالتها ، وعدالة موقف او عدم عدالته هو الدور الذي تلعبه تلك القضية وذلك الموقف من تطوير المجتمع ومدى مطابقتهـــا او مطابقته لمصلحـــة الجماهير المريضة وخلق المجتمع الانساني الذي ينتفي فيه الاستغلال والظلم والفقر .

وترتبط فلسفة التربية والتعليم للشعب العربي الفلسطيني بشخصية هـــذا الشعب ومقومـــاته باعتباره جزءا من الامة العربية ، وبمبادىء الثورة الفلسطينية التي تحدد آماله وتطلعاته وتصميمه على التحرير والتقدم ، وبحاجاته القائمة والمنتظرة في ظل الاوضاع التي يعيشها والصعوبات التي يواجهها والنضال الذي يخوضه ضد الصهيونية والامبريالية .

وتواجه فلسفة التربية والتعليم للشعب العربي الفلسطيني واقع هذا الشعب ووجوده مشتتا في مجتمعات وبلدان متعددة مما يستلزم ان يتم التعليم في ظروف فريدة واستثنائية حيث لا توجد الاسس العادية لذلك وحيث هناك ضرورة لمعايشة ثقافات سائدة تمتلك الاسبقية والخبرة والسيادة .

وتهدف فلسفة التربية والتعليم من خلال تحقيق الاسس التي تقوم عليها الى خلق الانسان الثوري قوميا واجتماعيا، الذي سيكون أساس حرب الشعب الطويلة التي يخوضها الشعب الفلسطيني وضمان استمرارها وأداة نجاحها والذي سيكـــون ايضـــا مواطنا في فلسطين الجديدة المحررة .

وتتمثل هذه الفلسفة في الاسس التالية :

أولا : الايمان بالاهداف والمبادىء التالية والعمل على تعزيزها وتجسيدها سلوكا وعملا : أ) الثورة الفلسطينية المسلحة هي الطريق الوحيد لتحرير الارض والانسان مما يحتـــم العمل علـــى تلبية حاجاتها وضمان ثباتها ونموهـــا ونجاحهـــا . ب) الشعب العربي الفلسطيني صاحب الحق في تقرير مصيره وصنع مستقبله ومستقبـــل وطنه . ج) فلسطين ، بعد التحرير الكامل ، دولة عربية ديمقراطية يتساوى فيها جميع المواطنين في الفرص والحقوق والواجبات دون تمييز على اساس الجنس او اللون او الدين . د) الايمان بوحدة الامة العربية وحريتها وشخصيتها في الوطن العربي الموحـــد المتكامل . هـ) التساند والتجاوب مع حركات التحرر الوطني في العالم ودعم نضالها في سبيل الحرية وحق تقرير المصير وتحقيق العدل والمساواة .

ثانيا : غرس وتنمية القيم التالية في نفوس النشء:

أ) حب واحترام الوالدين والزملاء والمسنين . ب) حب الشعب والثقة به . ج) حب الوطن والثورة والثقة بالنصر . د) الروح الجماعية وتعميقها والاعتماد عليها والكفاح من اجلها . هـ) حب العمل والانتاج لخدمة الثورة والشعب . و) المبادىء والقيم الوطنية والثورية والتحرر من العصبية ومن القيم الفردية والقيم التقليدية السلبية . ز) الاحساس بالمسؤولية والانضباط وتقوية الصلابة والمناعة في الخلق ضد الازمات والقوى المضادة للثورة والتهيئة للمشاركة الفعلية في قضايا المجتمع . ح) الثقة في مواجهة المستقبل والاعتماد على النفس لدى الافراد والجماعات وتنمية القدرة على مجابهة التحدي بمختلف اشكاله ومستوياته . ط) روح التفاؤل الثوري وروح حب المستقبل في النفوس . ي) الجرأة وروح التحدي والمخاطرة المسؤولة في اطار العمل الجماعي .

ثالثا : تنمية الروح النضالية لدى الشعب العربي الفلسطيني وذلك عن طريق ما يلي : أ) وضوح الغاية والالتزام بها وتربية الارادة اللازمة لتحقيقها والاستعداد للبذل والتضحية في سبيل ذلك . ب) ضرورة التحلي بالصفات الثورية مثل الصدق والاخلاص والمواظبة والشجاعة والحزم والتواضع والكتمان ومقاومة الانتهازية والوصولية والاغتياب والدس والنفاق والكذب . ج) تعزيز الارتباط العضوي بالارض والوطن في النشء الذي لم يعش في فلسطين ولم يرها والهاب الخيال في تصورها وحبها والحنين اليها . د) ابراز صورة الهوية النضالية للثورة الفلسطينية كجزء من الثورة العربية وارتباط الشعب الفلسطيني بالمجتمع العربي وبالنضال العربي تاريخا وحاضرا ومستقبلا . هـ) ابراز الدور البطولي للشهداء ومدى التضحية التي قدموها وتعزيز روح الامانة لهم والاستعداد لمواصلة الطريق الذي سقطوا عليه . و) تنمية القدرات والاتجاهات والمهارات اللازمة لتحقيق التعبئة الشعبية والمشاركة فيها على اساس التخطيط وفي اطار تنظيم محدد الاهداف والادوار . ز) الممارسة النضالية عن طريق تحويل هذه المبادىء الى الوان من النشاط المنهجي والنشاط المصاحب له لتنمية قيادات مسؤولة واعية .

رابعا : النظر الى التربية على انها بعد من ابعاد الحياة يتعدى ان يكون اعدادا لها ويترتب على هذه النظرة ما يلي : أ) اعتبار التربية عملية دينامية ومتطورة ترتبط ارتباطا وثيقا بالتطور العلمي والتكنولوجي والاجتماعي وتتطلب استمرار معاودة النظر في افكارنا وممارساتنا واعتبار المناهج وتطبيقاتها في تطور مستمر يخضع للتقويم المنتظم ، وتشجيع التجارب والابحاث التربوية من اجل العمل والتحسين على جميع المستويات واتاحة حرية التصرف في ضوء نتائج التجارب والابحاث التي تساعد في تنمية جيل الثورة . ب) تكييف التربية لتتلاءم والحاجات القائمة والمنتظرة للشعب العربي الفلسطيني في ظروف التجزئة التي يعيشها والنضال الطويل الذي يخوضه وتمشيا مع هدف الثورة في التحرير الكامل. ج) عدم فصل التعليم المدرسي عن التعليم البيتي والتعليم الاجتماعي ، وتهيئة الظروف والوسائل المناسبة للتعلم الذاتي وتنمية الاتجاهات والعادات الدراسية والتعليمية التي تمكن الفرد من مواصلة التعلم والتثقف بعد تخرجه من المدرسة . د) الاهتمام بمحو الامية وبتعليم الكبار وتثقيفهم . هـ) اعتماد مبدأ المساواة بين الذكور والاناث بالنسبة للتعليم .

خامسا : العناية بتفجير الطاقات العقلية لابناء الشعب العربي الفلسطيني وتنميتها الى أقصى الحدود الممكنة ، وتنمية القدرة على التعبير والتفكير المستقل والنقد والابداع .

سادسا : تنمية المسؤولية الخلقية واتباع المنهج الديمقراطي في العلاقات الانسانية على ان يتمثل كل هذا في انماط من السلوك الفردي والجماعي وفي ممارسات عملية .

سابعا : مساعدة الفرد على النمو السوي جسميا وعقليا واجتماعيا وعاطفيا وتنمية نواحي الابداع عند الموهوبين ، واتاحة الفرص لسائر المتخلفين كي ينموا ضمن حدود امكاناتهم بحيث يستطيع كل فرد ان يساهم في النضال حسب امكانياته .

ثامنا : الاهتمام بتربية الروح الرياضية وبالتربية البدنية وتدريب الشباب خدمة لاغراض الجماعة.

تاسعا : الاهتمام بالجوانب الصحية الفردية والجماعية عن طريق نشر المعلومات الصحية وتنمية العادات الصحية سلوكا وعملا .

عاشرا : الاهتمام بالتراث الشعبي الفلسطيني

والعربي وتطوير مختلف أوجهه وتنمية المواهب الفنية عند النشء والافادة منها في التعبئة والاعلام.

توجيهات عامة

١ — تترجم المبادىء والاسس التي تقوم عليها فلسفة التربية للشعب العربي الفلسطيني الى اهداف عامة يسترشد بها على جميع المستويات : المناهج المدرسية ، ومقررات المواد الدراسية والمواد التعليمية ، وطرق التعليم والتعلم ، والممارسات الاخرى ، وتدريب المعلمين قبل الخدمة وفي اثنائها .

٢ — توضع المناهج والمقررات الدراسية بحيث تراعى فيها القواعد الاساسية التالية : أ) فلسفة التربية للشعب العربي الفلسطيني وحاجاته القائمة والمنتظرة ، كما هي مبينة في صدر هذه الوثيقة . ب) الاسس النفسية للتعلم التي تراعي مدى نضج الطفل ونموه جسديا وعقليا وعاطفيا واجتماعيا ، والمبادىء التي تقوم عليها نظريات التعلم ، مع ضرورة الارتفاع الى غاية طاقات الطلاب العقلية وقدراتهم الحركية . ج) طبيعة العلوم والمبادىء التي تشكل مقررات المواد المختلفة ، وطرق البحث فيها ، وتطبيقاتها التكنولوجية والعلمية حيث يصح ذلك .

٣ — تراعى في وضع المناهج والمقررات الدراسية الحاجة الى تنمية المهارات الاساسية التالية عند الطلاب ، وهي : أ) ان ينقلوا الافكار بسهولة عن طريق التعبير الشفوي بلغة عربية سليمة . ب) ان ينقلوا الافكار بسهولة عن طريق التعبير الكتابي بلغة عربية سليمة . ج) ان يستعملوا الارقام بيسر في شؤون الحياة العامة . د) ان يتعودوا الاصغاء المركز لكلام المتحدثين والملاحظة الدقيقة لما يجري في البيئة للاستيعاب والتحليل والاستفادة . هـ) ان تتكون فيهم عادة القراءة والمطالعة وتنمو باستمرار بقصد المتعة والاستزادة من المعرفة والتثقف الذاتي. و) ان يتبعوا الاسلوب العلمي في البحث والتفكير والاستنتاج وفي تمييز المعلومات الصحيحة من الخاطئة . ز) ان يلزموا الموضوعية في النقد بقصد التقييم والتغيير والبناء والتقدم المستمر .

٤ — رغبة في تنشئة جيل متكامل ، خلقا وقدرة ، مع محيطه يراعى ان تنمّي في الطلاب في جميع المراحل المهارات اليدوية والتمرس بالالات والادوات الاساسية للحرف والصناعات ، وذلك لخلق الالفة والتحكم فيها ولتنمية احترام العمل اليدوي بجميع انواعه لخدمة متطلبات الثورة .

٥ — زيادة على ما سبق ذكره في الفقرات ١ — ٤ وتجب مراعاته في جميع المراحل تفرد المرحلة الثانوية بالتوجيهات التالية ، تحقيقا للتنويع والتشعيب فيها على نحو يلائم استعدادات الطلاب وميولهم ويفي في الوقت نفسه ، بالحاجات المتطورة للشعب العربي الفلسطيني :

يوضع برنامج مرن شامل للمرحلة الثانوية بحيث تقدم المدرسة الثانوية ، بالاضافة الى المنهج الاساسي المشترك وضمن برنامجها المرن الشامل، مواد ونشاطات لتحقيق كل من الاغراض التالية ، وذلك حسب ما تدعو الحاجة وعلى قدر المستطاع: أ) ادخال مواد اضافية او بديلة ذات مستوى اعلى لذوي الاستعدادات الخاصة مما يوفر على الطلبة المشتركين بعض المواد الجامعية او يؤهلهم لدخول الحياة العملية من نقطة ابتداء اعلى او يكسبهم مهارات ذات صفة مستعجلة . ويغلب ان تكون هذه المواد لغات حديثة او رياضيات وعلوم طبيعية . ب) ادخال مواد فنية او مهنية او تكنولوجية ذات محتوى اكاديمي وعملي يفوق مثيلاتها في المدارس الصناعية مما ينوع مؤهلات المتخرجين ويجعلها اكثر تجاوبا مع متطلبات الحياة المعاصرة . ج) تشجيع النشاطات في مجال الرياضة والجمعيات مما ينمي روح التعاون ويشيع مفهوم الديمقراطية ويربي الكفاءات القيادية والادارية .

رسالة من موفد خاص الى الارض المحتلة

أ . ت .

« ان مما هو في غاية الاهمية نشر كتاب مفصل أمين لتاريخ فلسطين وتوزيعه على أوسع نطاق لكي يدرك احفاد احفادنا أن فلسطين كانت عربية»، هذا ما قاله لي بصورة مؤثرة مؤخرا كاتب معروف في الضفة الغربية .

« أن فلسطين **كانت** عربية !! » هذه العبارة التي وردت على لسان الكاتب المشهور في الضفة الغربية ، هل تراها زلة لسان ؟ أم تراها امارة من امارات اليأس والقنوط ؟ لم استطرد بعيدا في التمعن بمدلول هذه العبارة وأبعادها ، وآثرت الوقوف عند هذا الحد ! ان فلسطين ، بعد انقضاء خمس سنوات على « نكسة » حزيران ١٩٦٧ لم تعد ، في واقع الامر ، عربية . وهي لم تصبح يهودية تماما بعد ، بيد أن عملية لاتعريبها ومحو عروبتها وتهويدها ماضية على قدم وساق وتتسارع بصورة خطرة . وقد قطعت سياسة التهويد هذه شوطا بعيدا من المتعذر الرجوع عنه في اطار تسوية سياسية أو ما يدعى تلطيفا « بالحل السلمي » .

وتعبر العبارة التي وردت على لسان الكاتب المعروف في الضفة الغربية عن مشاعر العجز والقنوط والخوف التي تؤرق خواطر الفلسطينيين الذين يعيشون منذ خمس سنوات في ظل الحكم الصهيوني . ومما يثير الاستغراب ان هذه ليست بين الانطباعات التي تنطوي عليها الكميات الكبيرة من التقارير والتحليلات حول الحياة في اسرائيل والمناطق المحتلة التي يكتبها العدد الوافر من مراسلي الصحف ومحطات الاذاعة والتلفزيون والسياح والحجاج ووفود المسؤولين من الحكومات الاجنبية « وبعثات التعرف على الحقائق » الخ ... الذين يزورون المنطقة . فلم ينشر خلال الشهور القليلة الماضية ، خاصة منذ أن جرى الاجهاز « النهائي » على الفدائيين في الاردن في تموز ١٩٧١ ، ولم يذع الا القليل حول وضع الفلسطينيين في الضفة الغربية ، وحول مشاعرهم ووضعهم النفسي ومخاوفهم وآمالهم . اذ يتركز الانتباه الآن، بصورة كلية تقريبا ، على تسوية « النزاع العربي الاسرائيلي » وفتح قناة السويس للملاحة كخطوة أولية وما الى ذلك من سيل الاقتراحات ، والمبادرات والخطط التي تتجاهل أساس المشكلة وهو قضية فلسطين والشعب الفلسطيني وان أتت على ذلك فلماما وبشكل عرضي . ولعمري كأن العالم قد نسي أو يتناسى واقع ان فلسطين والقدس كانتا دائما عربيتين ، وأن منشأ النزاع هو حول فلسطين وأهلها وارضهم وبيوتهم .

وتصل الى المناطق المحتلة شذرات من التقارير الوافرة التي يكتبها العدد الكبير من المراسلين والزوار الخ ... حول حياة سكان هذه المناطق في ظل الحكم الاسرائيلي بأنها « اعتيادية وهادئة » ، وأن العرب في ظل الاحتلال الصهيوني هم اسعد حالا مما كانوا عليه تحت حكم الهاشميين ، وان معظم سكان المناطق المحتلة « يتعاونون » ، وأن احوالهم الاقتصادية هي أفضل مما كانت عليه قبل عام ١٩٦٧ ، اذ يكسبون نقودا اكثر بعملهم في خدمة الاسرائيليين . وكذلك تصل هذه الصورة المطمئنة المريحة عن الحياة في ظل احتلال العدو الى البلدان العربية حيث يتم تداولها ونشرها على نطاق واسع . فمن التعليقات الشائعة بين العرب هذه الايام « ولكنني سمعت أو قرأت بأن الفلسطينيين في ظل الحكم الاسرائيلي راضون قانعون وأن احوالهم طيبة » وما الى ذلك مما يبدو انه يبرر في نظرهم تجاهل القضية الفلسطينية .

صحيح أن الكثيرين من العرب الفلسطينيين يعملون في اسرائيل ، وليس في **خدمة** اسرائيل ، وانهم يكسبون اكثر مما كانوا يكسبون قبل عام ١٩٦٧ ،

ولكن من الصحيح كذلك ان الايجارات والاسعار والضرائب والرسوم قد قفزت هي الاخرى قفزات فاقت بكثير الزيادات في الرواتب والاجور . وصحيح بأن الحوانيت العربية مفتوحة وتزخر ، بصورة رئيسية ، بالبضائع والمنتوجات الاسرائيلية ، وان الفنادق والمطاعم العربية مزدهرة ، وأن مئات الالوف من العرب يستفيدون من الاتفاق القائم بين الملك حسين واسرائيل على سياسة « الجسور المفتوحة » بزيارة اسرهم وذويهم في المناطق المحتلة، ولكن ان يستخلص المرء من كل ما سبق قوله ان العرب في فلسطين قد قبلوا الوضع وانهم « يتعاونون مع العدو » وانهم تخاذلوا أو استسلموا ، فلا ينم هذا الا عن تفاؤل غر او تطرف أعمى كما لا يصدر الا عن جاهل او هروبي . **وتنطوي هذه الاحكام التي تلقى جزافا بأن « احوال الفلسطينيين هي على ما يرام » على نقد مبطن للفلسطينيين لانهم لم يقدموا على الانتحار الجماعي بتجويع انفسهم حتى الموت احتجاجا على الاحتلال. بيد انه لم يسجل التاريخ في أي مكان من دنيا العرب أن السكان العرب قد فضلوا لانفسهم ولاطفالهم الموت البطيء المؤلم « المشرف » على العيش في ظل الحكم البريطاني او الفرنسي او الايطالي ، مكتفين ، هنا ، بذكر موجات الاحتلال الاجنبي القريبة الى الذاكرة .** والفلسطينيون هم ايضا ، كالآخرين ، لديهم غريزة طبيعية قوية للحفاظ على النوع والجنس ، وهم متشبثون حتى آخر رمق بالبقاء في فلسطين الى ان تتحرر .

ان الوضع في المناطق المحتلة كما يستبين من الداخل لناظري اولئك الذين بوسعهم النفاذ ببصيرتهم الى ما وراء الواجهة الخادعة التي تبدو اعتيادية رتيبة هو وضع محزن غاية الحزن . ان خمس سنوات من الاحتلال في ظل نظام عسكري بطاش حديدي التنظيم متوجه بجنون الى تطبيق سياسة تهويد فلسطين والى افراغها من سكانها العرب ان تيسر له ذلك ، كان لها نتائج مدمرة . ان ما يتراءى انه « قبول » ما هو في واقع الامر الا غلالة رقيقة من المظاهر لذر الرماد في العيون ، انه قناع وقاية ودرع حماية من حرب استنزاف بشنها الاسرائيليون عليهم طوال سنوات خمس مستخدمين اسلحة الارهاب والبطش والتنكيل لتحطيم كافة مقومات هويتهم القومية والاجتماعية والثقافية . ان مظاهر « القبول » هذه هي وقاء دفاعي ضد التأثيرات المدمرة جسميا وذهنيا لتعاقب موجات انثلات الآمال العارمة ونكسات اليأس القاتلة . انها وقاء دفاعي ضد الذوبان البطيء للثقة والايمان في كل شيء تراءى لهم في يوم ما أنه رمز للعدالة والقيم والانسانية . انها وقاء دفاعي ضد الايقان المبرح بأنهم غدروا وطعنوا في ظهورهم. ان مظاهر « القبول » هذه هي ملجأ وحمى مما يعانونه من مشاعر العزلة والخسران .

ان يسلك سكان المناطق المحتلة ويعيشوا بصورة « اعتيادية » لا يعدو كونه وسيلة لاغراق صراخ الصمت الرهيب طوال سنتين من وقف اطلاق النار الذي أطلق عوامل الاضطراب من عنانها فتردد رجع صداها عاليا في انحاء العالم العربي ، وما هو الا هروب من اغراءات تعليل النفس بآمال جديدة ووعود جديدة وقرارات جديدة ومراجعات جديدة للمواقف والامور وهي اغراءات تؤدي بصاحبها الىالجنون، وما هو الا هروب من الشوق الى استعجال الاحداث ومشاعر العجز والخذلان التي تغدو لا تطاق وهم يرون الصهيونيين يغيرون واقع الارض والبلاد ويبنون شيئا فشيئا الصرح الذي « سيؤكد واقعيا » ان فلسطين لم تكن عربية في يوم من الايام ، هذا بينما العرب من حولهم يتخبطون في عمه « ضباب » من صنع أيديهم .

بعد انقضاء خمس سنوات من الاحتلال لم تصبح المدينة المقدسة ، بعد ، يهودية بصورة تامة ، وان كانت لم تعد عربية . لقد سن قانون ضم القدس في حزيران ١٩٦٧ بغطرسة وصلف وقوة على جميع أجزاء المدينة العربية وما جاورها من مناطق ألحقها الاسرائيليون بما دعوه « القدس الكبرى » . وفي المدينة القديمة داخل السور حل حي يهودي جديد وبنايات جديدة وساحة خالية عارية تواجه الحرم الشريف محل مئات البيوت والحوانيت والبنايات والمدارس والمساجد العربية. وطراز العمران عند المستعمرين الجدد مغاير وغريب في روحه وأسلوبه يعلن ، بصورة صارخة، عن الهوية اليهودية للمكان . وقد حولت على عجل ، القدس الشرقية ومناطق واسعة من التلال المفتتحة حولها بأبهة ، وما جاورها من وديان الى « احياء يهودية من طراز راق » ، اذ أنشئت عليها غابات من العمارات السكنية الشاهقة تؤجر شققها أو تباع بأسعار باهظة الى المهاجرين اليهود من « الدرجة العليا » الذين مهمتهم الاولى هي دمغ « عاصمة اسرائيل »

المتوسعة ابدا بالطابع اليهودي والصهيوني .

وفي القدس وفي كثير من انحاء الضفة الغربية أصبحت اشارات السير ، والتوجيهات ، ولوحات الاعلانات ، والاعلانات، والدعايات التجارية باللغة العبرية ، وفي مدينة القدس القديمة قام اليهود المتعصبون بمسح كثير من اسماء الشوارع العربية . فلقد غدا الان لزاما على عرب القدس وفلسطين ، بعد انقضاء ما يزيد على الف سنة من الوجود المتواصل فيها ، ان يتعلموا اللغة العبرية حتى لا يضلوا سبيلهم داخل مدنهم .

ويتمتع عرب القدس منذ عام ١٩٦٧ بامتياز مريب وهو كونهم « مواطنين اسرائيليين » وهم تابعون ، مثل اليهود الاسرائيليين ، للقانون الاسرائيلي ، ويترتب عليهم بمقتضى ذلك دفع الضرائب والرسوم الاسرائيلية ، وأن يساهموا في التبرع لقروض « الدفاع » الاسرائيلية . ولكن « المواطنين الاسرائيليين » في القدس من العرب المسلمين والمسيحيين « يتمتعون » بحقوق معينة وعليهم واجبات معينة لا تترتب على الاسرائيليين اليهود . فلعرب القدس الحق بل عليهم الواجب في المساعدة على توسيع مدينتهم وتحسينها و« تجميلها » « بقبول » الطرد من بيوتهم ومصادرة اراضيهم وممتلكاتهم (فقد استولت السلطات الاسرائيلية على ١٧٠٠٠ دونم من اراضي القدس) . كذلك لهم الحق في الاعتراض على هذه « الحقوق » — فاسرائيل دولة ديموقراطية — ولهم الحق كذلك في مغادرة بلدهم وان يذهبوا ليعيشوا في المنفى في شرق الاردن او في اي مكان آخر اذا ما احتجوا بقوة وباصرار .

ويقوم علماء الاثار الصهاينة في مدينة القدس القديمة بمحاولة يائسة للعثور ، بالنبش والحفر، على اي شيء يهودي في هذه المدينة التي تم قطع وبناء كل حجر فيها بأيد فلسطينية ، فيعمدون الى هدم البنايات وحفر الخنادق والانفاق ، بصورة محمومة ، حول اسوار الحرم الشريف وتحتها ، موقعين الضرر ومعرضين للخطر البيوت العربية التاريخية التي يجبرون ملاكيها ومستأجريها على اخلائها . ويدعو الاسرائيليون الان في كتبهم وفي البطاقات البريدية والصور التي يطبعونها منطقة الاماكن المقدسة الاسلامية « منطقة جبل المعبد » ... مما ينبىء بمستقبل مخططاتهم .

ولم يكتف الحكام الجدد « بتحسين » المدينة المقدسة و« تجميلها » ماديا فحسب ، بل اسبغوا عليها ثمار ثقافتهم « الاسمى » ، وحضارتهم « الارقى » ، اذ اصبحت المدينة المقدسة تعج بأصناف الوجوديين والخنافس والهيبيين ومستوطني الكيبوتزات ومهربي المخدرات ومدمنيها وعلب الليل والمومسات والمواخير مما رفع مكانة المدينة المقدسة الى مستوى الحواضر الغربية العصرية المزدهرة. وقد غدت الاماكن المقدسة الاسلامية والمسيحية بمثابة متاحف ، وأضحت الاحتفالات الدينية مجرد عادات اجتماعية هي من بقايا وآثار ماض «أجنبي» غريب في « اسرائيل » .

ويقينا أنه أيا كانت بنود التسوية السياسية التي يتفق عليها في مفاوضات ، وسواء قضت بأن تكون القدس مدينة دولية او مدينة ذات « حكم مشترك » فان القدس ستبقى بفعل التغييرات الشاملة التي أدخلت عليها قلعة يهودية صهيونية تشتمل على أقلية من مواطني الدرجة الثانية المسيحيين والمسلمين . ويصح هذا القول كذلك على جميع انحاء فلسطين . وقد أغدق الاسرائيليون بكرم على جميع انحاء البلاد بشبكة طويلة من الطرق الواسعة المتينة العارية الجوانب ذات قيمة استراتيجية عسكرية لا تقدر بثمن . وفي شق هذه الطرق يمزقون أديم الارض بقسوة غير عابئين بأي شيء يقع في خط هذه الطرق فيستأصلونه دون مبالاة اذ يتلفون الاراضي الزراعية ويجرفون القرى والخرب ، ويمسحون من على وجه الارض البيوت والبساتين كما لو كانت حشرات مزعجة . فلقد مسحت عن وجه الارض كثير من القرى العربية « لدواعي الامن » ، وتمت ، « لدواعي الامن » كذلك مصادرة آلاف الدونمات من أراضي العرب الزراعية الغنية ، وأجبر الفلاحون على الانتقال من قراهم للعيش في أماكن منبسطة مكشوفة ليتيسر امر مراقبتهم وملاحظة تحركاتهم .

ويستولي المستوطنون اليهود على الاراضي الخصبة الخضراء ليدعوا ، فيما بعد ، أن بساتينها ومحاصيلها هي بعض من نتاج «المعجزة» الصهيونية في « صحراء » فلسطين . وتقام المستوطنات والمدن اليهودية في المناطق المحتلة الزراعية منها او الصناعية والعسكرية وشبه العسكرية في مواقع استراتيجية لضمان تقطيع أوصال السكان العرب وتأمين الوجود اليهودي في كل الانحاء . وقد امتدت سياسة الاستيطان

وأنشاء المستعمرات ، خلال الشهور القليلة الماضية ، الى قطاع غزه الذي قال المسؤولون الاسرائيليون انه « يجب ان يظل جزءا من اسرائيل » . فقد جرى في هذا القطاع الاستيلاء على أراضي حتى اولئك الفلسطينيين الذين لجأوا اليه من القرى المجاورة ومن السهل الساحلي الفلسطيني خلال حرب عام ١٩٤٨ ، وقد تمت حتى الان مصادرة ١٠٠ ... دونم من الاراضي وجرى تسييجها ، وبدأ العمل على انشاء المستوطنات اليهودية فيها ، اما الفلاحون والبدو الذين تم الاستيلاء على اراضيهم فقد طردوا منها وطلب منهم ان يبحثوا لهم عن مكان آخر يقيمون فيه .

لقد أصبحت مدينة غزه والقطاع اليوم هادئة نسبيا ، وقد استغرق العدو اربع سنوات من حكم الارهاب والبطش والتنكيل ليفلح في تقليص المقاومة المسلحة الى مستواها الراهن من « الحوادث المتفرقة » . وتجهد السلطات في المحافظة على الهدوء الحالي غير المعتاد في القطاع بواسطة اجراءات أمن شديدة وقاسية ، اذ تطوف انحاء القطاع ، ليلا ونهارا ، دوريات قوية من قوات الامن المسلحة بأسلحة ثقيلة ، وجرى تقليص حجم مخيمات اللاجئين وتم تقطيع اوصالها بشبكة من « الطرق » داخلها بحيث اصبحت هذه المخيمات « تفاخر » باحتوائها على أوسع الطرق في العالم التي شقت بين المساكن وجرفت من مسلكها البيوت والعشش والدساكر وتحولت ، في واقع الامر ، الى معسكرات اعتقال وابادة . وتطبق أساليب الارهاب على السكان دون تمييز ، فهنالك فحص دائم لبطاقات الهوية ، كما تجري عمليات تفتيش عشوائية مباغتة للسيارات والشاحنات ومداهمة البيوت والحقول والبساتين ، وغالبا ما تصاحب عمليات التفتيش هذه معاملة فظة ، وكذلك كثيرا ما يتعرض السكان للاستجواب والاعتقال الاداري دون تهمة او محاكمة ، وايضا الطرد الى الضفة الشرقية . فمنطقة قطاع غزه تعيش في ظل منع التجول منذ حزيران ١٩٦٧ .

ويكاد لا يوجد أي فلسطيني في المناطق المحتلة لم يجرب شخصيا أو من خلال واحد أو أكثر من أفراد أسرته أساليب الارهاب والبطش والتنكيل الاسرائيلية . فسجون البلاد تغص بالمعتقلين ، ويوجد حاليا ما يزيد على ٥٠٠٠ عربي فلسطيني في السجون الاسرائيلية منهم ١٥٠٠ معتقل اداريا (أرقام شهر نيسان ١٩٧٢) . وأن عدة أضعاف هذا الرقم قد صدرت عليهم أحكام بالسجن أو تم احتجازهم في المعتقلات منذ أن استولى الاسرائيليون على المنطقة في حزيران ١٩٦٧ ، كما جرى نفي ما يزيد على ١٠٠٠ فلسطيني (بلغوا في نيسان الماضي ١٠٣١) الى الضفة الشرقية . وكذلك هاجر من المناطق المحتلة آلاف أخرى كثيرة من المسيحيين والمسلمين يأسا من مستقبل الاوضاع في فلسطين. ولا يعرف ، على وجه الدقة ، كم من الشبان والرجال استشهدوا خلال عملياتهم الفدائية في المناطق المحتلة ، وكم من الرجال والنساء والاطفال قضوا خلال ما يدعوه الاسرائيليون «عمليات الامن» في مداهمتهم للقرى والمدن والاحياء ، وكم من السجناء سقطوا صرعى التعذيب وسوء المعاملة في السجون الاسرائيلية ، ولكنهم ، على أي حال، يعدون بالالاف .

فأولئك المتفائلون الذين لا يرون ، عندما يزورون المناطق المحتلة ، سوى الجانب الهادىء الاعتيادي من الحياة في ظل الاسرائيليين ، حبذا لو كلفوا أنفسهم عناء استشفاف الحقيقة الكامنة وراء المظاهر الخادعة . اما أولئك الاغرار من العرب الذين يقبلون ، دون تحر للحقيقة أو استجلاء للواقع ، التأكيدات بأن اخوانهم العرب في المناطق المحتلة هم « على ما يرام » ، وأنهم « راضون بالوضع قانعون » فحبذا لو كلفوا انفسهم عناء تحري واستجلاء الوقائع . **واما أولئك الكتاب والمعلقون العرب الذين لا ينفكون يحضون ، من نعيم مكاتبهم الوثيرة ، المقاومة الفلسطينية على ان « تثبت وجودها في المناطق المحتلة » ، فربما كان عليهم ان يكلفوا انفسهم عناء اجراء دراسة مقارنة للمقاومة التي أبداها الفلسطينيون بتلك التي بدت من العرب الاخرين الذين احتلت أراضيهم ، وأن يتوقفوا لحظة ليسالوا انفسهم لماذا ينبغي ان يقع عبء المقاومة بكامله على اكتاف الفلسطينيين وحدهم .** فخلال السنوات الخمس المنصرمة كانت فلسطين بأكملها بمثابة سجن كبير محروس بأشد أنواع الحراسة . وخلال السنوات الثلاث الاولى من سجنهم ثار نزلاء السجن وتمردوا وتظاهروا واعلنوا العصيان وهاجموا حراسهم وضربوهم وأبقوا سجانيهم في شغل شاغل ، وكانت تؤجج أوار ثورتهم الوعود بالمساعدة التي كانوا يتلقونها من الخارج والتزامهم الذاتي بأن يكونوا بمثابة رأس حربة تدمي جسم

العدو بانتظار معركة التحرير الموعودة . ولكن كلمات التشجيع انقلبت الى خصومات ومشاحنات بين المحررين المنتظرين ، كما ان المدافع التي كان يؤمل أن تدك أسوار حصون السجن اما صمتت أو وجهت فوهاتها نحو ذوي نزلاء السجن . وفي بداية الامر توقفت اعداد قليلة من السجناء عن مواصلة العصيان الانتحاري ، ثم تلتهم اعداد أكبر ، فعادوا الى العمل طلبا لرزق عيالهم ، ولاعداد أنفسهم للمستقبل ، لليوم الذي يعود فيه العقل ومنطق الاشياء ليسودا البلدان المضطربة من حولهم . وبينما هؤلاء السجناء يقومون بقلع الحجارة وتشذيبها وبنــاء البيوت لسجانيهم ، والعمل في مصانع عدوهم وورشه وحقوله يصغون بلهفة ويراقبون بشوق اية بارقة أمل في استيقاظ من هم وراء أسوار سجنهم ، ولكن مع مضي كل عام تعلو أسوار السجن من حولهم وتغدو أسمك واكثف ، ويزداد عدد الحراس ويتضاعف، وتتعاظم قوة معدات الامن والتعذيب وتغدو أشد تعقيدا — ومع كل هذه وتلك تنحسر الامال في التحرير وتذوي .

أن القنوط والاضطراب والمرارة ومخاوف الحاضر وهواجس المستقبل أملت على الفلسطينيين تضميد جراحهم وتوخي التئامها وقاية لطاقاتهم من النزف المتواصل ولكنهم لم يسحقوا ، وروحهم المعنوية لم تتحطم ، فعيونهم يقظة ، وحواسهم مشدودة بانتظار بارقة الامل .

شهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

الوحدة الوطنية

التطورات الفلسطينية الاساسية طوال الفترة الممتدة من اول نيسان وحتى العاشر من ايار ١٩٧٢ ، كانت كلها تدور حول محورين اساسيين: انجاز الوحدة الوطنية ، والقيام بنشاط سياسي واسع لمواجهة مشروع الملك حسين ، ونتائج الانتخابات البلدية في الضفة الغربية . كانت ذروة هذه التطورات انعقاد المؤتمر الشعبي في السادس من نيسان ، ثم انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني التاسع في دورة استثنائية ، بعد انتهاء المؤتمر الشعبي من اعماله مباشرة في ١١ نيسان .

ابرز ما انجزه المؤتمر الشعبي اقرار البرنامج السياسي المرحلي الذي اعده مركز التخطيط الفلسطيني وعرض على المؤتمر باسم اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ، كذلك ، اقرار البرنامج التنظيمي **بخطوطه الاساسية فقط** واحالة التفاصيل الى اللجنة التنفيذية ، مع اضافة ثلاث نقاط جديدة عليه : ١ — توسيع المجلس الوطني الفلسطيني ، على ان تكون نصف الزيادةللاتحادات الشعبية . ٢ — تحقيق وحدة وطنية اندماجية خلال ثلاثة اشهر تبدأ من اول ايار . ٣ — تشكيل لجنة متابعة من اعضاء المؤتمر الشعبي للاشراف على الاجراءات التنفيذية للوحدة الوطنية .

وقد اجتمع المجلس الوطني الفلسطيني للبحث في **توصيات المؤتمر الشعبي** ، والبت فيها **بقرارات** تاخذ الصفة الرسمية ،باعتباره السلطة التشريعية العليا . وعكس المؤتمر الشعبي ، لم يقر المجلس الوطني البرنامج السياسي ، بل اعلن الموافقة على الخطوط الاساسية فيه فقط ، واحال التفاصيل الى اللجنة التنفيذية لتنظر فيها . اما البرنامج التنظيمي فقد اقر كما حول اليه من المؤتمر الشعبي .

وعلى ضوء قرارات المجلس الوطني تحددت ثلاث مهمات عملية : مهمة اللجنة التنفيذية : بالبت نهائيا في تفاصيل البرنامج السياسي ، وفي تفاصيل البرنامج التنظيمي ، والانتقال بعد ذلك مباشرة الى وضع كل ما يتفق عليه موضع التنفيذ . مهمة لجنة المتابعة : بالاشراف على مدى انسجام قرارات اللجنة التنفيذية مع قرارات المجلس الوطني ، وتحديد مدى التزام كل فصيل فدائي بتنفيذ هذه القرارات . مهمة لجنة الاتصال بالاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية العربية : للبحث في تشكيل لجنة تحضيرية ، تهيء لعقد مؤتمر شعبي عربي ، يكون اساسا لبناء الجبهة الوطنية التقدمية العربية ، التي تشارك في النضال الفلسطيني وتسانده .

وقد سارت كافة النشاطات في الفترة المذكورة في هذه المجاري الثلاثة . وسنقوم هنا باستعراض موجز لابرز ما تم من خلالها .

١ — **أعمال اللجنة التنفيذية** : عقدت اللجنة التنفيذية اجتماعها الاول بعد المجلس الوطني في ٢٢ نيسان ، وبدأت فورا في دراسة موضوع الوحدة الاعلامية ، واتفقت على توحيد الاعلام الفلسطيني في موعد اقصاه الخامس من حزيران. وتنفيذا لذلك أقرت اللجنة التنفيذية تشكيل مجلس أعلى للاعلام من (رئيس دائرة الاعلام — مندوب عن كل تنظيم فدائي ممثل في اللجنة التنفيذية — ممثل عن جيش التحرير — ٣ كفاءات اعلامية فلسطينية مستقلة) . واوكلت لهذا المجلس الاعلامي مهمة اصدار صحيفة اسبوعية باسم « الثورة الفلسطينية » ، تتوقف عند صدورها كافة النشرات والصحف العلنية الصادرة عن المنظمات الفدائية ، كما اوكلت له مهمة انشاء وكالة فلسطينية للانباء .

ثم عقدت اللجنة التنفيذيـة في ٢ ايار اجتماعهـا الثاني ، وبحثت فيه موضوع الوحدة العسكرية ، انطلاقا من مشروع جديد قدمه الاخ ياسر عرفات يقوم على اساس جبهوية القيـادة ، واندمـاج قواعد المنظمات في كافة الواجبات العملية مـع احتفاظها بتكوينها الموحد داخـل هذا الاندمـاج مرحليا ، وقد اقرت اللجنة التنفيذية هذا البرنامج. أما على الصعيد المالي ، فقد شكلت لجنة خاصة لدراسة الوحدة المالية ، ولاعادة صياغة قوانين وصلاحيات الصندوق القومي بما يتلاءم مع التوجه الجديد ، واوكلت للدكتور يوسف صايغ رئيـس الصنـدوق القومي مهمة التحضير لاعمال هـذه اللجنة .

ولكن هذا السير المتفائل لاعمال التوحيد ، توقـف مؤقتا ، بسبب نقطة جوهرية ومركزية . ذلك ان هذا البحث العملي في قضايا التوحيد الاعلامـي والعسكري والمالي ، قفز منذ البداية عن البحث التفصيلـي في البرنامـج السياسي والبرنامـج التنظيمي حسب قرارات المجلس الوطني ، وكـان لا بد من عودة الى هذه البرامج لمناقشتها والبت فيها ، حتى يستقيم البحث في الاجراءات العملية الاخرى . وانسجاما مع ذلك تقرر تشكيل لجنـة سياسية من المسؤولين الاوائل في منظمات اللجنة التنفيذية الخمس ، على أن تكون هناك عـودة لتنفيذ القضايا الاخرى على ضوء النتائج التـي تتوصل اليها في مناقشاتها . وقد عقدت اللجنـة السياسية اكثر من اجتماع ، أقرت في الاجتمـاع الاول القضايا الفلسطينية السياسية الداخلية ، واقرت في الاجتمـاع الثانـي قضايـا الجبهـة الفلسطينية ــ الاردنية الموحدة ، بعد ان برز في النقاش تياران ، يرى الاول ان الجماهير في ضفتي الاردن هي عماد هذه الجبهة ، بينما يرى التيار الثاني ان الجبهة بهـذا المفهوم تفقد محتواهـا النضالي ، وأن الذي يعطيها هـذا المفهوم هـو التحام فصائل المقاومة داخل الجبهة كجزء عضوي منها . ثم انتقلت اللجنـة بعد ذلك الى بحـث تفاصيل البرنامج التنظيمي ، فاقرت الاسس العامة المتفق عليها ، على ان تتابع مناقشة التفاصيـل في اجتماعات قادمة .

٢ ــ **أعمال لجنـة المتابعة** : لـم تحدد توصيات المؤتمر الشعبي ولا قرارات المجلس الوطني مهمات لجنة المتابعة بشكل واضح ، واكتفي بالقول بـأن مهمتها « متابعة تنفيذ قرارات الوحدة الوطنية » ، ولذلك فقد وقفت اللجنة طويلا امـام هذه النقطة في اجتماعها الاول الذي عقـد في ٢٢ نيسان في بيروت ، بحضور القسم الاكبر من اعضائها ، ورأت في حصيلة النقاش ان مهمتها تنحصر في مراقبـة قرارات اللجنة التنفيذية وتقرير مدى اقترابها أو ابتعادها عن قرارات المجلس الوطني ، وفي مراقبة مواقف المنظمات الفدائية وتقرير مدى التزامهـا بتنفيذ ما يتفق عليه ، واخيرا تقديم تقرير بذلك الى المجلس الوطني في دورة انعقاده القادمة ليتخـذ بنفسه ما يراه مناسبا من اجراءات . وبعـد أن حددت اللجنة مهمتها على هذا الشكل ، عـرض عليها الاخ ياسر عرفات مناقشات اللجنة التنفيذية، والقرارات التي خرجت بها ، وقررت في النهايـة انتخاب أمانة سر لها ، تستطيع ان تكون متواجدة باستمرار قرب اللجنة التنفيذية ، حتى تستطيع أن تواصل انجاز مهمة لجنة المتابعة بشكل يومي ، على ان يكون هناك اجتماع شهري للجنة المتابعة بكامل اعضائها . وبناء على ذلك تقرر عقدالاجتماع الثاني للجنة يوم الخامس من حزيران . اما امانة السر التي انتخبت فقد تشكلت من (خالـد الفاهوم رئيسا ، وعضوية كـل من : جميل شحـاده ، عبد الله حوراني ، نبيل شعث ، صلاح دباغ) .

٣ ــ **أعمال لجنة الاتصال** : كلفت القوى والاحزاب العربيـة التي شاركـت في المؤتمـر الشعبـي الفلسطيني ، منظمة التحريـر الفلسطينية ، ان تتولى هي اختيار لجنة تحضيرية تتولى الاعـداد لمؤتمر شعبي عربي . وقد قامت اللجنة التنفيذية بمهمتها هذه ، وشكلت لجنة تحضيرية مـن ١٧ منظمة عربية ضمت (٩ منظمات من لبنـان ــ ٥ أحزاب حاكمة ــ الكتلة الوطنيـة المغربية ــ الجبهة الوطنية الاردنيـة ــ منظمـة التحريـر الفلسطينية) . وقد عقدت اللجنة التحضيرية أول اجتماع لها يوم ٧ ايار في بيروت ، حيث ناقشت ورقة عمل اعدتها منظمة التحريـر انطلاقا مـن قرارات المؤتمر الشعبي الفلسطيني . وبعـد ان ناقشت اللجنة ورقة العمل ، قررت ادخال تعديلات عليها ، وكلفـت بذلك لجنـة خاصة للصياغة ، أنجزت مهمتهـا في اليوم التالي (٨ ايار) ثـم عادت اللجنة التحضيرية في اليوم الثالث (٩ ايار) للاجتماع بكامل اعضائها حيث اقرت ورقة العمل الجديدة التي تحدد الاسس المتفق عليها للدعـوة للمؤتمر ، مع نظرة اولية في مهماته ، تركـز على

حماية القضية الفلسطينية ، ومقاومة كل مشاريع التصفية الصهيونية والاستعمارية والرجعية التي تستهدف وجود الثورة الفلسطينية ، كما تركز على مقاومة وفضح كل المحاولات الرامية الى عزل المقاومة عن الحركة الشعبية العربية ، وعلى الدعم الايجابي للجبهة الوطنية الاردنية — الفلسطينية في نضالها الوطني الديمقراطي لاسقاط نظام الحكم العميل في الاردن ، على ان تناضل الجبهة العربية المشاركة بالاضافة الى ذلك في سبيل محاصرة هذا النظام وتضييق الخناق عليه من الخارج .

وفي مساء ١٠ ايار اختتمت اللجنة اعمالها ، وأصدرت بيانا قالت فيه « تنفيذا لقرار المؤتمر الشعبي الفلسطيني الذي عقد في القاهرة بين ٦ — ١٠ نيسان ١٩٧٢ ، حول تنظيم مشاركة القوى الوطنية والتقدمية العربية في الثورة الفلسطينية ومساندتها بمختلف الوسائل ، عقد في بيروت اجتماع تحضيري ... قرر الدعوة لعقد مؤتمر شعبي عربي لنصرة الثورة الفلسطينية في النصف الثاني من ايلول من العام الجاري في بيروت . تتمثل فيه كافة القوى الوطنية التقدمية العربية ، ويدعى اليه بصفة مراقبين عدد من الشخصيات العربية ، بالاضافة الى عدد من الاحزاب والمنظمات الصديقة في العالم . كما قرر الاجتماع التحضيري مبدأ تكوين الجبهة العربية المشاركة في كفاح الشعب الفلسطيني على الصعيد القومي ، وفي مختلف الاقطار العربية ، وتشكيل امانة دائمة للجبهة ، على ان يقر المؤتمر ذلك بصورة نهائية . وقد شكلت اللجنة التحضيرية ، امانة تحضيرية للمؤتمر » .

هذا وقد اصدرت اللجنة التحضيرية اثناء اجتماعها في بيروت ثلاثة بيانات سياسية ، عالج البيان الاول مسألة الطائرة التي انزلها الفدائيون في مطار اللد ، محييا العملية ، ومسلطا الاضواء على وحشية التصرف الاسرائيلي . وعالج البيان الثاني القرار الامريكي بلغم مداخل موانىء فيتنام الشمالية ، معتبرا ذلك عمل قرصنة « ضد شعب فيتنام المكافح البطل » . اما البيان الثالث فقد شجب العدوان البريطاني الذي ينطلق من دولة عمان ضد جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

المقاومة والنظام الاردني

في الوقت الذي كانت فيه منظمة التحرير الفلسطينية منهمكة في الاعداد للمؤتمر الشعبي الفلسطيني ردا على مشروع الملك حسين بالدرجة الاولى ، عرف في عمان ان السلطات الاردنيةقررت الدعوة لعقد مؤتمر فلسطيني مضاد ، ولكنها لم تحدد موعد انعقاده . وفي السابع من نيسان كتبت جريدة « اخبار الاسبوع » الاردنية تقول « ان عددا من الوجهاء الفلسطينيين يزمعون انشاء حزب سياسي للفلسطينيين في الضفتين ، بعد المؤتمر الفلسطيني الذي ينوي الملك عقده» . وبذلك يكون مؤتمر عمان بديلا عن مؤتمر القاهرة ، ويكون الحزب السياسي بديلا عن منظمة التحرير الفلسطينية ، ويشكل كل ذلك خطوة على طريق استقطاب الرأي العام الفلسطيني حول مشروع الملك ، وخطوة ايضا على طريق عزل منظمة التحرير وحركة المقاومة الفلسطينية ، وقد مضى شهر نيسان بأكمله دون ان تقدم السلطات الاردنية على أي اجراء من هذه الاجراءات ، وفي ٨ أيار أعلن في عمان أنه قد الغيت ترتيبات عقد مؤتمر فلسطيني « بسبب عدم توفر التأييد » . وذكرت المصادر المطلعة ان الملك حسين سيلقي بدلا من ذلك خطابا امام ٢٠٠ شخصية من كبار الفلسطينيين والاردنيين . والقى الملك خطابه هذا في ١٠ أيار امام وفود ذكر رسميا « انها تمثل قطاعات الضفة الغربية بأكملها !! » ، وكرر الملك في هذا اللقاء تمسكه بمشروعه الداعي لانشاء المملكة العربية المتحدة ، وأعلن ان اللجنة التي شكلت (٨ ايار) لدرس اوضاع الذين غادروا الاردن بعد حوادث ايلول ١٩٧٠ ، تتابع اعمالها بقصد تهيئة الفرصة لعودة الجميع ، وان اعمالها ستشمل المحكوم عليهم غيابيا ، والمغرر بهم ، والفارين (جنود وضباط الجيش) . كما ذكر الملك انه اوعز بوضع قواعد وأسس لدرس اوضاع المعتقلين والافراج عن غالبيتهم ، وفق هذه القواعد ، كما قال ايضا أنه اوعز بدرس موضوع رواتب المتقاعدين في الضفة الغربية ، وان الاجراءات ستتخذ لتذليل كل الصعاب .

ويلاحظ على هذا الموقف الاردني أنه يشكل اعترافا عمليا بالعجز عن عقد مؤتمر فلسطيني يحظى بتأييد الجماهير ردا على مؤتمر منظمة التحرير . وقد حاول الملك تغطية هذا العجز بتقديم الرشاوى ، لسكان الضفة الغربية ، وللمعتقلين ، وبشكل خاص لجنود وضباط الجيش الذين التحقوا بالعمل الفدائي بعد ان رفضوا الاوامر التي وجهت لهم

اثناء مجازر ايلول . وقد ردت نشرة فتح اليومية على ذلك قائلة « هذا العفو الملكي يثير السخرية حقا ، لانه يستهين بعقول الناس الى درجة مذهلة ... ويعرف ثوارنا الى ماذا يهدف الملك من (عفوه السامي) ، وكيف أنه يحلم بتقويض الثورة من الداخل » .

والى جانب هذا التصادم السياسي بين المقاومة والنظام الاردني ، كانت هناك تصادمات عسكرية عديدة بينهما ، لوحظ ان الصحف العربية نادرا ما تنشر انباءها ، ويمكن تقسيم هذه التصادمات العسكرية الى اربعة أنواع :

١ ــ عمليات ضد رجال النظام : وفي هذا النطاق، قالت وكالة الانباء العراقية يوم ٩ نيسان ، انه وقع انفجاران في عمان اسفرا عن تدمير سيارتي عبدالله التل وموسى ابو الراغب من اعضاء مجلس الامة ، كما وقع انفجار آخر عند منزل المشير حابس المجالي في الزرقاء . وقالت نشرة فتح اليومية انه تم في ١٠ نيسان تفجير سيارة الشريف ناصر بن جميل ، وأدى الحادث الى مقتل سائقها ، كما تم في ١٣ نيسان الهجوم على موكب ولي العهد الامير حسن حيث دمرت سيارتان ، واستشهد مناضلان هما توفيق سعيد وغسان هاشم ملحم . (أعلن الخبر في ١٩ نيسان) .

٢ ــ اغتيال رجال المخابرات : وفي هذا النطاق نشرت صحيفة اللواء البيروتية في ١١ نيسان ان سلسلة من احكام الاعدام ضد رجال المخابرات نفذت في الاردن على أيدي الفدائيين خلال شهر آذار الماضي . ففي ٣/١٩ اعدم ضابط المخابرات محمد يوسف الرفاعي في قريته بمنطقة السلط . كما أعدم ضابط المخابرات شفيق جميل رميا بالرصاص بين عمان والزرقاء . وفي ٣/٢٤ أعدم ضابط المخابرات يوسف محمد علي الصرايرة رميا بالرصاص في بلدة الحصن قرب اربد ، كما أعدم في نفس الاسبوع ضابط المخابرات هاني الضمور ، وألقيت متفجرة على دكان العميل محمد ابو خديجة في مخيم اربد .

٣ ــ اشتباكات مع الجيش الاردني : لقد ذكرت نشرة فتح اليومية أن اكثر من اشتباك حصل بين مجموعات فدائية والجيش الاردني ، اثناء توجه هذه المجموعات الى الاراضي المحتلة عبر الاراضي الاردنية ، في منطقة الاغوار الشمالية ، منها اشتباك حصل قرب قرية الشجرة في ٢٠ نيسان ، وآخر قرب قرية الطرة في ٢٢ نيسان ، واشتباك ثالث في نفس المنطقة يوم ٢٣ نيسان ، وفي يوم ٢٤ نيسان اشتبكت القوات الاردنية مع مجموعتين فدائيتين . وردا على هذه الاشتباكات قام الفدائيون بتصفية مقر قيادة احدى الكتائب الاردنية في منطقة الشمال صباح ٢٧ نيسان . وبالاضافة الى ذلك ذكرت نشرة فتح في ٢٠ نيسان انباء ثلاث هجمات تمت ضد مواقع الجيش الاردني في منطقة القريتين، ومنطقة حرثا .

٤ ــ نشاط في اوساط الجيش : وزع مكتب فتح في بيروت بيانا جاء فيه ان فئة اطلقت على نفسها اسم (التنظيم الثوري في القوات المسلحة الاردنية) وزعت مناشير في الاردن دعت فيها الجيش الى الاطاحة بنظام الملك . وقال بيان فتح ان المناشير وزعت يوم ٢ أيار في اربد والاغوار الشمالية ، تلتها حملة من الاعتقالات ، وخاصة في كتيبة مدفعية الهاوزر ١٧ المحمولة . وجاء في احد هذه المناشير « انبثقت مجموعة وطنية من اخوانكم في الجيش العربي الاردني ... وتعاهدت على ان تعمل بكل الوسائل للاطاحة بالنظام الملكي الخائن ... واقامة نظام يقضي على الرشوة والفساد في الجيش والمؤسسات المدنية ، وتطهير الجيش وتحريره من الخونة ورجال المخابرات الاسرائيلية والاميركية من قيادة جيشكم » .

النشاط السياسي للمقاومة

قامت حركة المقاومة في الفترة الماضية بنشاط سياسي ملحوظ ، على الصعيد العربي والدولي . فعلى الصعيد الدولي قام الاخ ياسر عرفات بالاجتماع الى الرئيس الروماني تشاوتشسكو يوم ٥ نيسان في القاهرة ، حيث تلقى منه دعوة لزيارة رومانيا ، اتفق على ان يحدد موعدها في وقت لاحق . وتأتي اهمية هذا اللقاء من الدور السياسي الجديد الذي تلعبه رومانيا باتجاه وساطة جديدة بين مصر واسرائيل ، عبرت عن نفسها في زيارة تشاوتشسكو لمصر ، وفي استقباله لغولدا مئير في رومانيا .

وفي ٥ نيسان ايضا وصل الى كوريا الشمالية وفد من فتح برئاسة الاخ (ابو نضال) حيث قابل الرئيس كيم ايل سونغ . واكد الزعيم الكوري في هذا اللقاء تأييد كوريا ودعمها الكاملين للقضية الفلسطينية . وقال في حديثه ان الثورة الفلسطينية تواجه ظروفا اصعب مما واجهت ايــة ثورة أخرى .

ثم تابع الوفد الفلسطيني نفسه زيارة الصين ، حاملا رسالة من ياسر عرفات الى شو آن لاي حول مشروع الملك حسين . وقد قابل الوفد شو آن لاي يوم ١٠ نيسان ، وبلغه رسالة عرفات ، واجرى معه محادثات حول الاوضاع الفلسطينية والدولية، وحمل الوفد معه بعد عودته رسالة من شو آن لاي ردا على رسالة عرفات ، أعلن عنها في ١٨ نيسان وجاء فيها « ان الصين معجبة برفضكم مشروع الملك حسين مما يؤكد تصميمكم على خوض الكفاح المسلح حتى النهاية » . وفي ٢٧ نيسان استقبل الاخ ياسر عرفات سفير الصين في بيروت وأجرى معه محادثات حول الموقف الفلسطيني من التطورات السياسية في المنطقة .

هذا وسيسافر وفد من منظمة التحرير برئاسة الاخ ياسر عرفات الى الاتحاد السوفياتي في موعد قريب لم يحدد نهائيا بعد .

أما على الصعيد العربي فقد قام مسؤولون في حركة المقاومة باتصالات سياسية كثيفة ، مماثلة للاتصالات التي جرت على الصعيد الدولي . ففي ١٢ نيسان قام الاخ ياسر عرفات على رأس وفد من فتح ضم (ابو اياد — ابو اللطف — ابو السعيد — هايل عبد الحميد) بالاجتماع مطولا الى الرئيس انور السادات ، وذلك بعد انتهاء جلسات المؤتمر الشعبي . ولم تعلن طبيعة البحث الذي دار في هذا اللقاء ، وان كان قد لفت انظار المراقبين فيه ، انه اقتصر على قيادة فتح ، ولم يشمل اي عضو من اعضاء اللجنة التنفيذية ، خاصة بعد قرارات التوحيد التي خرجت عن المؤتمر .

وفي ٢٥ نيسان قام الاخ ياسر عرفات بالاجتماع الى الرئيس السوري حافظ الاسد ، حيث اجريا مباحثات حول « الموقف العربي وعلاقته بحركة المقاومة » . وقد جاء هذا الاجتماع بعد سلسلة من الهجمات الاعلامية بين جريدة فتح ومجلة الطلائع التي تصدرها الصاعقة بدمشق ، كان آخرها مقال في مجلة الطلائع (العدد ١٢٥) هاجم بالاسم بعض اعضاء فتح في المؤتمر الشعبي حول الاراء التي ابدوها . وقد لوحظ ان نشرة فتح نقلت بعد اجتماع عرفات — الاسد « تعقيبا » للسيد زهير محسن ممثل الصاعقة في اللجنة التنفيذية جاء فيه « نعرب عن خالص وأشد الاسف عن خطأ التعرض لاسماء بعض الاخوة المناضلين » (عدد ١ ايار) .

وكانت آخر حلقة في هذا النشاط السياسي قيام وفد من فتح برئاسة الاخ ابو جهاد وعضوية كل من (ابو يوسف — ابو السعيد — هاني الحسن — ابو معن) بزيارة للجزائر بدأت يوم٢٦ نيسان، قيل انها ازالت نوعا من الجفاء كان قائما بين الجزائر وفتح ، برز بشكل خاص بعد معركة جرش في تموز ١٩٧١ . والجدير بالذكر ان الجزائر اعلنت خلال هذه الفترة أكثر من مرة انها ستتعامل مع كافة المنظمات الفدائية الفاعلة ، بينما كانت لفترة طويلة سابقة ترفض ان تتعامل مع غير حركة فتح . وقد عاد وفد فتح من الجزائر يوم ٥ ايار ، وقالت مصادر مطلعة ان مباحثاته كانت ناجحة ، وان « هناك ورقة عمل مشتركة بين حركة فتح وبين حزب جبهة التحرير الوطني الجزائرية » .

طائرة مطار اللد

دعم نشاط المقاومة السياسي بنشاط عسكري كانت طائرة مطار اللد أبرز ما فيه . ففي الساعة السادسة من مساء يوم الثامن من أيار استولى أربعة من الفدائيين (الملازم اول علي طه قائد العملية — الملازم اول عبد العزيز الاطرش — ريما عيسى — تيريز اسحق هلسا) على طائرة بلجيكية من نوع بوينغ ٧٠٧ بعد اقلاعها من فيينا باتجاه اسرائيل ، ونزلت الطائرة في مطار اللد في تمام الساعة السابعة والنصف ، حيث أعلن الفدائيون بمكبرات الصوت أنهم سينسفون الطائرة بمن فيها اذا لم تفرج السلطات الاسرائيلية عن ١٠٠ من الفدائيين المعتقلين في سجونها ، يمثلون اكثر من تنظيم فدائي .

قامت بالعملية منظمة ايلول الاسود ، واستمرت ٢١ ساعة ، وانتهت بهجوم اسرائيلي على الطائرة، تلاه اشتباك بين المهاجمين والفدائيين ، استشهد فيه قائد العملية علي طه ، والملازم الاول عبد العزيز الاطرش ، وجرحت الفدائية تيريز هلسا جروحا خطرة ، وأسرت الفدائية الرابعة ريما عيسى ، بينما جرح بعض جنود العدو وثلاثة من الركاب . وقد أثارت هذه العملية اهتماما واسعا، محليا وعالميا .

وركز المراقبون والمعلقون السياسيون على اهميتها من الزوايا التالية :

١ — اهمية التوقيت الذي تمت به العملية ، اذ جاءت بعد الانتخابات البلدية في الضفة الغربية ،

وبعد الاعلان عن مشروع الملك حسين . هـذان الحدثان اللذان ترافقا مع حملة اعلامية اسرائيلية ـ اردنية واسعة تحدثت طويلا عن انتهاء حركـة المقاومة الفلسطينية . وبرز خلال الشهـر الماضي بالذات تركيز خاص على هذه النقطة بقصد التأثير على محادثات نيكسون في موسكو (٢٢ ايـار) لصالح الموقف الاسرائيلي والمشروع الاردني . وقد شكلت العملية من هذه الزاوية حدثا يكذب كل هذه الانماط من الادعاءات .

٢ ـ الجرأة التي تميزت بها العملية بالتوجه نحو مطار اسرائيلي ، فكـانت بذلك العملية الاولى من نوعها . ويحمل هذا التوجه بالطائرة نحو مطار اسرائيلي معنى خاصا وصفه بيان منظمة ايلـول الاسود قائلا « عندما اخترنا مطـار اللد لهبـوط الطائرة اردنا أن يكون التحدي في ارض الصراع ، ارض فلسطين ، وكان أسهل لنا ان نوجه الطائرة الى أي مطار في المنطقة » .

٣ ـ التضامن النضالي الذي عبرت عنه ، بين مقاتلين يدفعون ثمن التضحية في السجون ، وبين رفاق لهم يضحون بأنفسهم للافراج عنهم ، ليشعر كل مقاتل أنه غير منسي على الاطلاق ، وأن هناك دائما من يفكر به ، تفكـيرا يصل الى مسـتوى التضحية بالنفس .

٤ ـ المغزى الواضح في نوعية الفدائيين الـذين اختارتهم المنظمة لانجاز المهـمة ، اذ تشكلت المجموعة من تيريز هلسا المولودة في عكا عام ١٩٥٣ والتي تشكل رمزا للجيل الفلسطيني الذي ولـد وتربى في ظل الاحتلال الاسرائيلي ، وتعرض لكافة محاولات تدويب شخصيته القومية ، ثم واجه كـل هذه المحاولات بالانتماء للثورة الفلسطينية ، والعودة باسمها الى قلب اسرائيل . وضمت المجموعة ريما عيسى الاردنية الاصل ، والتي يشكل اسهامها تخطيا لكل النزعات الاقليمية التي عمل النظـام الاردني على زرعها ، وتعبيرا عن وحدة النضال بين شعب الضفتين يجد تجسيده في حركة المقاومة . كما ضمت ايضا عبد العزيز الاطـرش ، والذي يشكل اشتراكه في العملية رمزا للاسهام العـربي في معركـة التحرير ، بمقـدار ما يمثل ردا على محاولات اسرائيل الدؤوبة لتشويه موقـف الدروز فيها . اما علي طه قائد العملية فهو من ابنـاء منطقة الخليل التي احتلت بعد هزيمة ١٩٦٧ ، وهو بهذا الرمز يكمل صورة رفاقه .

اما بالنسبة للموقف الاسرائيلي فقد ركز المراقبون والمعلقون السياسيون على نقاط من نوع مختلف ابرزهـا :

١ ـ ان معالجة مسألة الطائرة من قبل اسرائيل تمت على مستوى الوزارة الاسرائيلية باكملها . اما تنفيذ الموقف الاسرائيلي ، فقد تم على مستوى كبار القادة العسكريين الذين تقدمهم وزير الدفاع موشي دايان ، ورئيس الاركان دافيد اليعازر .

٢ ـ استغلت اسرائيل السمعة والثقة التي يتمتع بها الصليب الاحمر الدولي ، ورتبت الهجوم على الطائرة ، محتمية به ، أو متواطئـة مع بعـض عناصره . وقد أثارت هذه النقطة بالذات جـدلا واستنكارا واسعين . فقد قالـت منظمة ايلـول الاسود في بيانها ان الصليب الاحمر شارك فـي الخدعة « ففي الوقت الذي كان يجب ان يقـوم بالاشراف كليا على ادخال الطعـام والتأكد مـن شخصية العمال لمنع دخول الجنود والاسلحة الى الطائرة ، تواطأ وتآمر ، وتم ادخال الجنود فـي ملابس العمال الى الطائرة ... لهذا نعتبر مندوبي الصليب الاحمر الدولي في القدس شركاء أصلا في هذه الجريمة» . ثم اصدر الهلال الاحمر الفلسطيني بيانا آخر أكد فيه نفس التهمة وقال ان « سماح ممثلي الصليـب الاحمر للمسلحـين الاسرائيليين بالصعود الى طـائرة اصبحـوا مسؤولـين عـن سلامتهـا مسؤولية كاملـة تحت مظلة تزويـدها بالطعــام ، يدل على تواطؤ مع السلطــات الاسرائيلية، وهذا يتنافى مع رسالة الصليب الاحمر والتزاماته » . وقد تفاعلت قضية الصليب الاحمر هذه بسرعة ، فاصدر مركزه الرئيسي في جنيف مساء ١٠ ايار بيانا اكد فيه أنه استغل من قبل اسرائيل، ونفى تهمـة التواطؤ ، اذ ورد في البيان قولـه « فوجيء مندوبو الصليـب الاحمر الدولي بالعمل الاسرائيلي . فالصليب الاحمر الدولي لا يقبـل ان يحاول أي كان استخدام عمله الانساني لاهـداف عسكرية او سياسية . ولذا فانه يرفض رفضا باتا محاولة التستر به للقيام بمناورة ، كما يرفض ان يتهم بالمشاركة طوعا في مناورة » . ثم قدم الصليب الاحمر على أثر ذلك احتجاجا شفويا الى حكومـة اسرائيل حول الحادث الذي اعتبره « نكثا لعهـد قطع لنا » ، قائلا انه سيقدم ايضا احتجاجا خطيا. وقد قام الصليب الاحمر بكل هذه الاجراءات ادراكا منه ان هذا الحادث كاف ليفقده الثقة التي يتمتع

بها ، ويجعله بالتالي عاجزا عن انجاز اية مهمة يتصدى لها ، وهو لذلك كان معنيا بشكل خاص ، أن يبذل كل ما هو ممكن لاستعادة هذه الثقة ، وتنفيذا لذلك أرسل مبعوثا خاصا الى بيروت ، عقد في مقر الصليب الاحمر اللبناني مؤتمرا صحفيا مساء ١٢ ايار قال فيه « ان الصليب الاحمر يمر في فترة صعبة على الصعيدين الوطني والعالمي » وشرح تفاصيل الهجوم على الطائرة في مطار اللد محاولا ان يثبت بالوقائع ، استغلال اسرائيل لمندوبيه ، وعدم مشاركتهم في اي تواطؤ . ثم شدد في نهاية كلمته على ان عمل منظمته يقوم على الثقة ، وأنها لا يمكن ان تقوم بواجباتها الانسانية اذا فقدت ثقة الآخرين فيها . وفي اليوم التالي (١٣ أيار) أعلن الصليب الاحمر « انه سيعيد النظر في موقفه من حوادث خطف الطائرات » وربما يقرر « سياسة جديدة للتدخل » لم يعلن عنها .

٢ — صورت اسرائيل هجومها على الطائرة بأنها كانت عملية شجاعة وحكيمة ، فقال شمعون بيريز وزير النقل الاسرائيلي « ان العملية خططت بدقة ، وبحثت فيها الحكومة الاسرائيلية ، ونفذها دايان الذي كان على اتصال مستمر بغولدا مئير » ، وقال رئيس الاركان ان العملية نفذها « جنود مدربون تدريبا حسنا في معركة قصيرة » . وقد أثار هذا الموقف الاسرائيلي استياء واضحا في اوساط الصحافة العالمية ، التي رأت ان الهجوم الاسرائيلي على الطائرة نجح بالصدفة ، لان احتمالات النجاح والفشل كانت متساوية امامه . وكان من الممكن ان يسفر عن مقتل عدد كبير من الركاب . بينما اعلنت منظمة ايلول بالمقابل انه كانت لدى الفدائيين الاربعة تعليمات واضحة بعدم نسف الطائرة وركابها ، ونقل الطائرة اذا فشلت المفاوضات الى مطار عربي ومتابعة التفاوض من هناك . ويثبت ذلك موافقتهم على ادخال الماء والطعام للركاب ، الامر الذي لا لزوم له لو انهم كانوا ينوون نسفها بمن فيها .

هذا وقد ابلغت منظمة ايلول الاسود الصليب الاحمر الدولي انه ما دام يعترف بأنه استغل من اسرائيل ، فيصبح من واجبه تبني قضية الفدائيتين ريما عيسى وتيريز هلسا والعمل للافراج عنهما . وقد توجه وفد من الهلال الاحمر الفلسطيني الى جنيف لهذا الغرض ، مزودا بقرارات الامم المتحدة التي تتضمن نوعا من الاعتراف بشرعية المقاومة للاحتلال الاسرائيلي .

والجدير بالذكر ان جنازة رمزية ضمت آلافا من المشيعين ، نظمت يوم ١٣ ايار في بيروت تحولت الى تظاهرة شاركت بها الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية ، والاتحادات الطالبية ، والتنظيمات السياسية للمقاومة الفلسطينية . وانهت التظاهرة سيرها في مقبرة شهداء فلسطين، حيث اقيم مهرجان خطابي .

بلال الحسن

(٢) القضية الفلسطينية عربيا

١ ــ **مصر والاتحاد السوفياتي** : قام الرئيس السادات بزيارة الى موسكو في أواخر نيسان . وتعود أهمية الزيارة الى عاملين : اولهما : كون السادات قد أشار اليها مرارا في خطاباته ، وكان الحديث المستمر عنها يوحي بأنها ستكون زيارة حاسمة . ثانيهما : الظروف التي تتم فيها هذه الزيارة ، خاصة بعد ان أعلن الملك حسين مشروعه ، وبعد ان تطورت الامور في فيتنام الى ما كانت عليه في اواخر نيسان . ثم اعلان الولايات المتحدة عن استعدادها لشحن مزيد من الاسلحة والمعدات الى دولة الاحتلال .

وهذه الزيارة ليست زيارة مجاملة عادية ، فهي ، كما قال السادات في خطابه بالكرملين (الانوار ٧٢/٤/٢٩) ، الزيارة الخامسة خلال ثلاثة عشر شهرا . انها اذن زيارة عمل ، ومع هذا فهي لم تطل ، واختصرت يوما واحدا . ولقد كشفت الاخبار التي اذاعتها الوكالات الرسمية في الاتحاد السوفياتي طبيعة الزيارة ، وطبيعة الجو الذي رافقها . فقد ذكرت تاس ان جوا « من الود والصراحة والتفاهم الكامل المتبادل المنسجم مع روح معاهدة الصداقة والتعاون » قد ساد المباحثات . كما ذكرت الوكالة ان المباحثات تناولت المسائل المتعلقة « بتوسيع وتعميق التعاون المصري ــ السوفياتي » . ولم يفت الوكالة ان تشير الى ان « عناية خاصة اوليت لدرس الوضع في الشرق الاوسط » . اما نوفوستي فقد اعتبرت الزيارة « استمرارا للاتصالات الدائمة التي اصبحت تقليدا متبعا في العلاقات بين الاتحاد السوفياتي ومصر اللذين تربط بينهما علاقات الصداقة الوثيقة والتعاون المتعدد الجوانب » . وكان أهم ما فيتعليق الوكالة أنها اعتبرت المحادثات المصرية ــ السوفياتية « مرحلة جديدة في النمو المستمر للصداقة والتعاون الشامل بين الاتحاد السوفياتي والبلدان العربية » (النهار ٧٢/٤/٢٩) .

ولا بد لنا هنا من أن نذكر اشارات وردت في خطابي كوسيغين والسادات في المأدبة التي اقامتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي عقب انتهاء الجلسة الاولى من المباحثات . فلقد اكد كوسيغين على ان محادثاته مع السادات قد أكدت « وحدة العمل التي لا تتزعزع مهما كانت الظروف » كما اشار الى ان : « وحدة الهدف للشعبين تؤكد دائما على انجاح الوسائل المؤدية الى ذلك » . وكان مما أشار له كوسيغين قصر مدة المباحثات . فالسبب الحقيقي لقصر المباحثات : « هو الفهم المشترك ووحدة الهدف ، الامر الذي مكننا من الوصول الى الغاية المرجوة في اقصر وقت ممكن». وهو يؤكد ان الاتفاق الذي تم ما كان ليتم لولا وحدة الهدف في ثلاثة اشهر من المباحثات .

أما السادات فقد أكد على مسؤولية الاتحاد السوفياتي ، قال السادات : « ... انني لم اكن استطيع الحضور الى موسكو هذه المرات العديدة، كما لم تكن حركات التحرير في العالم تتمكن من النمو والنجاح لولا المسؤولية الكبرى التي يتحملها الاتحاد السوفياتي تجاه حركة التحرير العالمي » . وبعد أن اشار السادات الى دور الاتحاد السوفياتي بعد الحرب العالمية الثانية « في مواجهة القوى الاستعمارية والامبريالية واثر ذلك في قدرة الشعوب على « ان تشق طريقها تحت الشمس وتبني مكانتها اللائقة بين الدول » . « ومن هذا المنطلق » في رأي السادات « تتضاعف مسؤوليات الاتحاد السوفياتي » ويضيف : « ومن أجل ذلك ايضا سوف تتكرر لقاءاتنا معكم نحن وغيرنا من قادة الدول التي تكافح من اجل التحرر » (الانوار ٧٢/٤/٢٩) .

وكانت « نوفوستي » قد نشرت تعليقا في هذه الآونة اكدت فيه ان « ... حالة اللاحرب واللاسلم لا يمكن ان تستمر ، كما أنه من الواضح لكل سياسي سليم التفكير ان الدول العربية لا يمكن ان تقبل الى ما لا نهاية باحتلال اراضيها » (الانوار٧٢/٤/٢٩).

وكانت الصحف الرجعية ، اجنبية وعربية ، تتناقل في هذا الوقت اخبار الخلافات المصرية ــ السوفياتية (الحياة ٧٢/٤/٢٩) . ولكن الذي حدث هو أن البيان كان مفاجأة ولقد أكد البيان مجموعة من الحقائق وهي . **اولا** : ان هناك مؤامرات من الامبريالية وعملائها « تستهدف تقويض الحركة التقدمية في بلدان العالم العربي ، وفصل هذه الحركة عن حليفها الطبيعي والامين ، وهو الاتحاد

السوفياتي وسائر بلدان الاسرة الاشتراكية » . وهذا ما تثبته « التطورات التي حدثت في الشهور الاخيرة » والتي « تظهر بجلاء ان الاوساط المعادية لحركة التقدم في العالم العربي وعملائها لم تتوقف عن ممارسة مخططاتها الرامية الى قهر ارادة الشعوب العربية واجبار هذه الشعوب على الاستسلام امام مطالب الامبريالية » . **ثانيا** : «ان الدول العربية التي تعرضت للعدوان لها كل الحق في استخدام مختلف الوسائل لاسترداد الاراضي العربية التي اغتصبتها اسرائيل » . **ثالثا** : « ان اهم شرط لتصفية آثار العدوان الاسرائيلي الامبريالي والوصول الى التسوية العادلة للنزاع العربي هو دعم القدرات الاقتصادية والسياسية والعسكرية للدول العربية التي تسير في طريق التقدم ، وتقوية وحدة كل الشعوب العربية على الاسس المعادية للامبريالية والمواجهة الحاسمة للمحاولات الرامية الى بث الشقاق في صفوفها » .

ان هذه القضايا الثلاث ترد لاول مرة في بيان مصري ـــ سوفياتي مشترك ، وهي قضايا هامة بالفعل . وقد خلا البيان من الاشارة الى التسوية السلمية او السياسية واكتفى بالاشارة الى « النضال من اجل تسوية عادلة » اساسها الضروري « الانسحاب الكامل من جميع الاراضي العربية التي احتلتها اسرائيل ، وتأمين الحقوق المشروعة لشعب فلسطين العربي » . كما ان البيان برر حق العرب في استخدام كل الوسائل بالسياسة التوسعية المكشوفة التي تنتهجها اسرائيل مؤيدة من الولايات المتحدة وباستمرار اسرائيل في تجاهل قرار مجلس الامن واستمرار عملية الاستيطان . وبشير تحليل لرويتر من موسكو الى ان المراقبين يرون في موافقة الاتحاد السوفياتي على استخدام الوسائل الاخرى « تشددا في الموقف السوفياتي قد يكون بضغط من السادات » . ويقول مراقبون ديبلوماسيون : « ان لهجة البيان المشترك تحمل في طياتها تهديدا بعمل عسكري لتحرير الاراضي العربية التي تحتلها اسرائيل » . أما في الارض المحتلة فقد احدث البيان قلقا لدى سلطات الاحتلال. وقد ذكر معلق الشؤون العربية في الاذاعة الى ان ورود جملة استخدام الوسائل الاخرى في البيان « تشكل تطورا خطيرا لا يمكن التقليل من مغزاه ». اما بيجال الون فقد اعرب عن اسفه «لان العناصر المتطرفة في مصر حصلت على تشجيع من البيان » (النهار ٧٢/٥/١) . واذا كان البيان المصري ـــ السوفياتي قد أثار قلقا لدى سلطات الاحتلال ، فانه أثار ، ولا شك ، مخاوف اوساط عربية لا يرضيها توثيق العلاقات العربية ـــ السوفياتية ، لانها تعمل جاهدة لاضعاف هذه العلاقات لمصلحة الامبريالية العالمية .

لقد سجل البيان المصري ـــ السوفياتي التطورات التي المحنا اليها ، وهي تطورات ذات شأن على صعيد السياسة الدولية . ان تزكية الاتحاد السوفياتي حق العرب في استخدام « مختلف الوسائل » لها مدلولاتها . وهي لا تعني الحرب حتما ، ولكنها تلوح بالحرب في حالة فشل المساعي الاخرى . وما دامت المساعي الاخرى فاشلة حتما بسبب التعنت الاميركي ـــ الصهيوني فان لهذا التلويح معناه . ثم ان الاشارة الى حق العرب في استخدام الوسائل الاخرى يمكن ان تكون جزءا من حملة لاقناع الرأي العام الدولي ان الحرب قادمة ، ما دام الاحتلال قائما ، وأن الحرص على السلام لا يكون بتجاهل حقوق العرب والسكوت على الاحتلال الاسرائيلي . على كل حال ، فان البيان المصري ـــ السوفياتي هو خطوة على طريق المساعي المبذولة من اجل منع تدهور الموقف في المنطقة لمصلحة الاميركان والاحتلال الصهيوني . وهي لذلك خطوة يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار عندما تقيم الاحتمالات في المنطقة .

٢ ـــ **السادات في عيد العمال** : جاء خطاب السادات في عيد العمال ، بعد عودته من الاتحاد السوفياتي مباشرة . وكان ابرز ما في خطابه :

اولا : أنه حدد مرتكزات السياسة المصرية بما يلي : أ ـــ « الوحدة الوطنية لقوى الشعب العاملة » وهي « ليست وحدة الانتهازية ولا الاستغلال » . ب ـــ « عمل عربي موحد ايا اختلفت الانظمة فنحن جميعا امام معركة مصير » . ج ـــ «العداء للاستعمار والصداقة مع كل الذين يؤازرون حقنا ونضالنا من اجل السلام وفي مقدمتهم الاتحاد السوفياتي». واضاف: «الاتحاد السوفياتي الذي يعتبر دعمه تأكيدا حقيقيا ، لاننا سنحصل في وقت معقول على القوة اللازمة للتحرير » .

ثانيا : انتقد بشدة الذين يحلمون بالعودة الى الامتيازات ، كما انتقد الذين يتصورون ان الحرية نقيض الاشتراكية مشيرا الى ان « التحول الاشتراكي يمضي في طريقه » .

ثالثا : انتقد « السلام الاميركي » كما يمارس في فيتنام ، وانتقد السلام الاميركي « كما تنطق به اسرائيل » ، فهذا السلام ، كما يقول السادات : « ضد مبادئنا بل هو ضد حياتنا كلها » .

رابعا : ذكر ان المعركة قادمة ، وذكر الى أنه في هذه المعركة : « ما بيكفيش تحرير الارض لا بد غرور اسرائيل الي بقاله ٢٣ سنة ، والعربدة... ده كلام لازم يقف ويكون له حد ونهاية » واضاف : « زي ما قلتلهم انا مستعد بمليون ومستعد ادفع ثمن هذه المعركة بس عليهم هم كمان يجهزوا أنفسهم بمليون جوه عندهم واكثر كمان » (النهار ٧٢/٥/٣) .

وكان خطاب السادات يوحي بأن الذين يعادون « الاشتراكية » في مصر ، ويحلمون بعودة الامتيازات ، هم الذين يعملون ضد توثيق العلاقات مع الاتحاد السوفياتي ، وهم الذين يريدون سلاما اميركيا . وبهذا الخطاب بدأ السادات حربه المعلنة ضد خطوط أخرى ، داخل مصر وخارجها ، وبلور في رده أسس سياسته الداخلية والعربية والدولية. ففي الداخل : وحدة قوى الشعب العامل ، وعربيا : عمل عربي موحد ، وخارجيا : تحالف مع الاتحاد السوفياتي . وهو في ذلك يسرد على الخطوط المضادة : في الداخل ديمقراطية برلمانية ، عربيا : انكفاء وانكماش ، ودوليا : الاتجاه نحو الولايات المتحدة . ان استمرار هذا الخلاف بين الخطين ، سيدفع الى عملية استقطاب للقوى المختلفة ، وسيقود الى « صراعات » ليس من السهل تحديد نتيجتها الآن ، وان كانت نتيجتها ستترك بصماتها على مستقبل المنطقة ومستقبل الحرب والسلام فيها .

٣ ـ السادات وزياراته العربية : منذ تولى السادات رئاسة الجمهورية ، وهو يحاول أن يعيد بناء علاقاته العربية على أسس جديدة . ولقد استطاع أن يقيم اتحادا مع سورية وليبيا ، كما أنه استطاع ان « يحسن » العلاقات مع المملكة العربية السعودية وعلى الرغم من هذا ، وعلى الرغم من جولاته الاخرى (زيارة السودان اكثر من مرة ، زيارة الكويت ... الخ) ، وعلى الرغم من الاتصالات التي قامت بها مصر ، مع الدول العربية ، فقد كانت هنالك مشكلة العلاقات مع الجزائر والعراق . والجزائر والعراق من الدول العربية الكبيرة الهامة ، ذات الوزن السياسي الكبير نسبيا ، وذات الامكانيات المادية الهائلة .

ولقد كان مألونا ان تنجح مصر في توطيد علاقاتها مع قسم من الدول العربية على حساب العلاقات مع القسم الآخر ، الا ان مصر الآن تحاول ان تقيم علاقات « حسنة » مع الكل . ولهذا اجرت مصر اتصالاتها ، وسعت الى تحسين علاقاتها مع الدول العربية عموما ، ومن بينها الجزائر والعراق . ولقد كانت مبادرة العراق ، بعد اعلان مشروع الملك حسين مباشرة ، خطوة كبيرة على طريق تحسين العلاقات . اما العلاقات مع الجزائر فقد تحسنت عبر الاتصالات والزيارات التي تتوجت بزيارة السادات . وكانت زيارة السادات للجزائر اكثر من زيارة مجاملة وحرصت الجزائر على ان تستقبله فيها ، هو وزميله القذافي ، استقبالا حارا .

ولقد اكد البيان المشترك الذي صدر في نهاية الزيارة مجموعة من الحقائق الهامة فيما يتعلق بالموقف من الاحتلال الصهيوني . ومن هذه الحقائق :

١ ـ « ضرورة اتخاذ تدابير عملية ووسائل فعالة في نطاق خطة للتحرير محددة الاهداف ، تكون اساسا لعمل عربي منسق يضمن استعادة الاراضي العربية ويكفل للثورة الفلسطينية مواصلة نضالها المظفر ويحقق مطامح شعبها في حياة حرة كريمة » .

٢ ـ على الامة العربية ان تخوض حتما : « معركة قومية طويلة بكل اشكالها المختلفة تطرح فيها امكاناتها الذاتية وتجند فيها الطاقات وتسخر فيها الامكانات ، وتستحق فيها تعبئة شعبية شاملة ، الامر الذي يؤدي الى تحقيق الاهداف السامية للشعوب العربية في مسيرتها نحو التحرر والتقدم ونحو الوحدة العربية الشاملة ... » .

٣ ـ وبسبب استمرار العدوان الصهيوني « ... فان معركة تحرير الارض تصبح حتمية وواجبا مقدسا يستلزم التضحيات وتضافر القوة العربية بكل ما لديها من امكانات ووسائل » .

٤ ـ « وفي هذا الصدد فان الرؤساء الثلاثة يقررون تعبئة كل الطاقات والامكانات لخوض المعركة الحتمية المصيرية ، ويعلنون عن يقينهم بأن القوة الذاتية للامة العربية عندما تلقي بكل ثقلها في المعركة لقادرة على مواجهة اعدائها والتغلب على مخططاتهم العدوانية وتحقيق النصر لشعوبها » .

٥ ـ « واذ يرى الرؤساء الثلاثة ان كفاح الشعب الفلسطيني يمثل عاملا أساسيا في كفاح الامة العربية يعتقدون ان دعم المقاومة الفلسطينية ممثلة

في منظمة التحرير واجب قومي ومسؤولية تقع على عاتق الجميع . واتفقوا في هذا الشأن على تمكينها بكل ما من شأنه ان يعزز كفاحها التحريري ، كما يؤكدون اقتناعهم بأن توحيد صفوف المقاومة الفلسطينية هو الضمان الاساسي لحماية مسيرتها».

ان البيان المصري — الجزائري ، لا يخرج عن خط خطاب السادات في عيد العمال ، وهو منسجم مع الخط الذي انتهجته الجزائر منذ حرب حزيران . ولهذا فالبيان لا يذكر قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الصادر في ٢٢/١١/٦٧ . ومع ذلك فالبيان يعتبر أن المعركة أصبحت حتمية بسبب استمرار الاحتلال وفشل كل المساعي لايجاد حل . وقد لا يكون صحيحا أن نتوقع ان تكون هذه الزيارة حلا سحريا لمشاكل تراكمت ، ليست ناتجة عن سوء التفاهم وحسب ، ولا ناتجة عن خلافات فحسب ، بل هي ناتجة ايضا عن مجمل الاوضاع العربية ، ولكن هذه الزيارة تبشر بانفراج العلاقات وانفراج العلاقات هو المدخل . فاذا ما انفرجت العلاقات مع العراق ايضا ، واتحدت ارادة مصر وسورية والعراق والجزائر ، كان ممكنا ان توحد الامكانيات العربية . الا ان ما هو متوقع ، هو ان يقود اي تحالف مصري — جزائري — سوري — عراقي ، على أساس التحالف مع الاتحاد السوفياتي ومعارضة النشاط الاميركي الى نشوء محور معارض بقيادة المملكة العربية السعودية . لقد نشأ التفاهم بين مصر والمملكة العربية السعودية في ظل اعتقاد اوساط عربية وعالمية بأن مصر أخذت تميل نحو تحديد علاقاتها مع الاتحاد السوفياتي ، وترغب في علاقات امتن مع الولايات المتحدة الاميركية . وما دام هذا الاتجاه قد أخذ في التبدل ، وما دامت العلاقات العربية السوفياتية (مصر ، العراق ، الجزائر) آخذة في التحسن ، فامكانية قيام جبهة عربية موحدة ، كما يريد السادات ، معرضة للفشل . ان القوى الامبريالية والعميلة ستعمل من اجل احباط العمل العربي الموحد ، بشق الجبهة الموحدة ، أو التي تبدو موحدة ، وبالعمل لاسقاط الانظمة المتجهة نحو تقوية علاقاتها مع الاتحاد السوفياتي . ولهذا يبقى الخط الذي طرحه السادات صحيحا : ان يكون هنالك عمل عربي موحد ، يضم كل الطاقات والامكانيات . ومن اجل هذا يجب ان يجري النضال . ولكن الهدف يجب ان يكون واضحا : وهو حشد القوى للمعركة المقبلة ، مقاومة الحلول التصفوية والاستسلامية ، حماية الثورة الفلسطينية ومساندتها . ومثل هذا الحشد لا بد من ان تدعى الى المشاركة فيه كل الدول والانظمة ، فاذا ما تراخت او تقاعست ، أو خرجت عن هذا الخط وهذه الاهداف ، يجري النضال لفضحها وتوضع الخطط لمواجهتها .

ولقد كانت تطرح وحدة الصف في الماضي بديلا لوحدة الهدف ، او وحدة الهدف بديلا لوحدة الصف ، فلماذا لا تطرح اليوم وحدة الصف في خدمة وحدة الهدف ؟ ولماذا لا يجري النضال من اجل وحدة الهدف ، ومن اجل وحدة الصف معا . ولماذا لا نناضل من اجل وحدة المتحدين في الهدف، ونناضل في الوقت عينه من اجل وحدة الصف العربي ، لتكون وحدة الهدف نواة وحدة الصف ومركز استقطابها وموجه فعاليتها ؟ ان معركة المصير التي تخوضها الامة العربية واوضاع الامة العربية ، تستلزم ان تقوم اشكال من التحالف ، مختلفة ومتدرجة ، محددة ولكن مرنة ، تستفيد من كل القوى وتضع كل قوة في مكانها الصحيح من التحالف . ومن هذه الزاوية يجب ان ينظر الى محاولات السادات .

ان زيارة السادات للعراق والتجاوب الذي ابداه العراق سلفا قد يقودان الى تطورات جزئية في المشرق العربي ، لا سيما بعد زيارة غريشكو لدمشق والقاهرة ، وبعد الاتفاق العراقي — السوفياتي . وأهم ما يمكن ان يقود اليه هذا اللقاء هو : أ — زيادة الفرص لتقريب وجهات النظر بين سورية والعراق ، ركني الجبهة الشرقية . ب — تدعيم الجبهة الشرقية وزيادة فعاليتها . ج — تطويق محاولات النظام الاردني لاسقاط نظامي الحكم في العراق وسورية . د — اعطاء الثورة الفلسطينية مزيدا من الوقت للتنفس وتوفير قدر اكبر من الحماية لها .

ولكن من يعرف ماذا سيحدث في مصر او سورية او العراق قبل ان تتم الزيارة ، أو بعد أن تتم . ان ما سيحدث هو الذي سيقرر مصير المرحلة .

٤ — **الملك حسين ومشروع عفوه** : اعلن الحسين مشروعه عن المملكة العربية المتحدة ، آملا ان ينهي عزلة النظام عن الجماهير الفلسطينية ، ومتوخيا ان يحدث صدعا في الصف الفلسطيني يقود الى تصفية الثورة . ولكن المشروع سقط منذ اعلانه ولم يستطع ان يحدث أي أثر فعلي : الا زيادة عزلة الاردن فلسطينيا وعربيا .ويبدو ان الملك حسين

احس بأن النقمة تحتاج الى الكثير من الجهود لتزول آثارها . ولذلك حاول ان يخفف من آثار الجريمة باعلان العفو عن المحكومين غيابيا والفارين والمغرر بهم . ويقول الملك في هذا المجال : « اننا نهيء الفرصة لاخواننا وابنائنا خارج وطننا ليعودوا جميعا الى أرضهم طالما أنهم يؤمنون بأنهم جزء منها . وسيجدون الابواب مفتوحة امامهم ليساهموا مع اخوانهم هنا في معركة البناء والمستقبل والمصير» (النهار ٧٢/٥/١١) . ويطمح الملك في ان يؤدي مثل هذا القرار الى تراجع كثيرين ممن انضموا الى صفوف الثورة ، من افراد الجيش خاصة ، والى تراجع بعض العناصر المتعبة الى صفوف الثورة . ولكن الملك اخطأ هذه المرة ايضا . لقد خدعه وزراؤه ومستشاروه ، حينما صوروا له ان عناصر الثورة وكوادرها متعبة ويائسة ، وانها تبحث عن مخرج ، وان العفو سيكون مخرجها . قد يكون هنالك قلة مستعدة للتراجع ، وهذا ليس غريبا ، ولكن هذه القلة هي ليست الثورة الفلسطينية . والمقاتلون يريدون العودة الى الاردن لينطلقوا منه الى الارض المحتلة ، لا ليصبحوا عملاء عند النظام الذي يعتبرونه نظاما عميلا ، معاديا للتحرير .

٥ — **التحضير لمؤتمر شعبي عربي** : انعقد في بيروت ما بين ٧ و١١ ايار اجتماع تحضيري ، تنفيذا لقرار المؤتمر الشعبي الفلسطيني المنعقد في القاهرة ٦ — ١٠ نيسان ١٩٧٢ بعقد مؤتمر شعبي عربي لتنظيم مشاركة القوى الوطنية والتقدمية العربية في الثورة الفلسطينية ومساندتها. وقد قرر المجتمعون عقد مؤتمر شعبي في النصف الثاني من ايلول ، هذا العام ، « تتمثل فيه كافة القوى الوطنية والتقدمية العربية وتدعى اليه بصفة مراقبين عدد من الشخصيات العربية بالاضافة الى عدد من الاحزاب والمنظمات الصديقة في العالم ». كما قرروا : « مبدأ تكوين الجبهة العربية المشاركة في كفاح الشعب الفلسطيني على الصعيد القومي ، وفي مختلف الاقطار العربية وتشكيل أمانة دائمة للجبهة ، على أن يقر المؤتمر ذلك بصورة نهائية » (بيان صادر عن الامانة العامة التحضيرية للمؤتمر الشعبي العربي لنصرة الثورة الفلسطينية) .

وقد ساهم في اعمال هذا الاجتماع : الاتحاد الاشتراكي العربي — مصر ، الاتحاد الاشتراكي العربي — ليبيا ، الجبهة القومية — جمهورية اليمن الديمقراطية ، الكتلة الوطنية المغربية ، حزب البعث العربي الاشتراكي — العراق ، الجبهة الوطنية الاردنية ، منظمة التحرير الفلسطينية ، الحزب التقدمي الاشتراكي — لبنان، الحزب الشيوعي اللبناني ، حزب البعث العربي الاشتراكي — لبنان ، منظمة حزب البعث العربي الاشتراكي — لبنان ، حزب العمل الاشتراكي العربي ، منظمة العمل الشيوعي في لبنان ، الحركة اللبنانية المساندة لفتح ، الحزب الديمقراطي — لبنان ، اتحاد الشيوعيين اللبنانيين . ومع ان القوى المشاركة في الاجتماع قوى هامة واساسية في ميدان العمل السياسي العربي فقد لوحظ غياب احزاب وقوى هامة مثل جبهة التحرير الوطني الجزائري ، الحزب الشيوعي العراقي ، الحزب الشيوعي السوري الخ ... وعلى الرغم من ذلك فان هذا الاجتماع يبقى هاما : لانه يعقد استجابة لقرار من مؤتمر شعبي فلسطيني أولا ، ولانه ينعقد فيمثل هذه الظروف،وبمثل هذه السرعة ثانيا.

صحيح ان هذه المبادرة قد تأخرت كثيرا ، اذ كان مثل هذا المؤتمر يجب ان يعقد سنة ١٩٦٩ مثلا ، ولكن المبادرة تبقى هامة. وعلى كل القوى الوطنية العربية ان تشارك في المؤتمر المقبل ، لانها بمثل هذه المشاركة ستثبت جديتها وشعورها بالمسؤولية وبخطورة المعركة . وسيكون مدى نجاح هذا المؤتمر ، بما يلي : اولا : بالقوى المشاركة فيه مشاركة حقيقية . ثانيا : بقدرته على بلورة برنامج للحركة الوطنية العربية ، يحدد مكان القضية الفلسطينية من القضية القومية ودور القوى والاحزاب العربية في معركة التحرير . ثالثا : بقدرته على تجاوز الحساسيات والرواسب المتراكمة بين اطراف قوى الحركة الوطنية العربية، وعلى وضع أسس جديدة للتعاون والتفاعل . رابعا : بقدرته على ان يلزم الانظمة المشاركة في المؤتمر الشعبي بأحزابها ومنظماتها بهذا الخط . خامسا : بقدرته على ان يكون أداة تعبئة وتجنيد للجماهير العربية .

هل يستطيع المؤتمر ان يفعل ذلك كله ؟

علينا ان نناضل .

ان المؤتمر حلقة اخرى من حلقات العمل العربي الموحد . وستبقى كل حلقات العمل العربي الموحد ضعيفة اذا ظلت بدون الجماهير .

ناجي علوش

(٣) القضية الفلسطينية دوليا

ما زال الجمود يطبع مجرى الاحداث الدولية بالنسبة للنزاع العربي الاسرائيلي ، اذ لم يطرأ اي تطور دولي هام في الاشهر الماضية من شأنه تحريك الوضع الراكد منذ انتهاء الدورة الاخيرة للجمعية العامة لهيئة الامم . وقد زاد في تثبيت هذا الركود عاملان هما : اولا انشغال الاوساط الدولية كلها بالانتصارات التي حققتها القوات الفيتنامية ضد الفرق العسكرية التابعة لحكومة سايغون المدعومة من قبل سلاحي الطيران والبحرية الامريكية ، وثانيا جو الترقب والانتظار الذي خلقته زيارة نيكسون المرتقبة الى الاتحاد السوفياتي (٢٢ ايار) حيث ستكون قضية الشرق الاوسط من البنود الرئيسية على جدول اعمال المفاوضات بين البلدين . ومع انه يبدو بحكم المؤكد ان محادثات نيكسون في موسكو لن تتفتق عن اية نتائج دراماتيكية بالنسبة للنزاع العربي الاسرائيلي فان الاوساط الحكومية الامريكية تعمل في الوقت الحاضر على كسب المزيد من الوقت في منطقتنا لابقاء كل شيء على حاله بحجة ارتباط كل نشاط دبلوماسي بالنسبة للشرق الاوسط باجتماع القمة القادم في موسكو . لذلك لم يصدر الا تعليق امريكي مهم واحد في الشهرين الاخيرين حول النزاع العربي الاسرائيلي ادلى به جوزيف سيسكو في اوائل شهر ايار ، حيث اشار الى النشاط الدبلوماسي الامريكي المعلق بالنسبة للشرق الاوسط بسبب ارتباطه بمؤتمر القمة في موسكو ونتائجه . وشدد سيسكو في كلامه على اهمية استمرار وقف اطلاق النار باعتباره يخدم مصلحة جميع الفرقاء لان الدول العربية تدرك بكل واقعية وبالرغم عن خيبة املها فيما يتعلق بتحقيق التسوية الشاملة للنزاع ، ان اللجوء الى القوة العسكرية لن يكون في صالحها ، على حد قول سيسكو . وعاد هذا المسؤول الامريكي الى اثارة موضوع المفاوضات المباشرة مع اسرائيل ومسألة التوصل الى اتفاق بشأن اعادة فتح قناة السويس . اي عادت الدبلوماسية الامريكية الى تدوير النزاع في حلقة مفرغة لا مخرج منها ولا مكسب الا ابقاء الامور على ما هي عليه لاطول فترة ممكنة . فقد اعترف سيسكو بان الخلافات العربية الاسرائيلية كبيرة جدا مما يجعل التقدم نحو تسوية سلمية شاملة احتمالا بعيد المنال ، وانزل اللائمة على العرب واعتبرهم مسؤولين عن هذا الفشل بسبب عجز السياسة الامريكية عن « حمل اصحاب العلاقة الجلوس حول طاولة المفاوضات » ثم عاد ليطرح امكانية العودة الى مفاوضات التسوية الجزئية من جديد التي كانت قد تتلتها امريكا بنفسها في السابق عندما جمدت وساطتها في هذا الموضوع عشية المناقشة العامة التي جرت في هيئة الامم حول قضية الشرق الاوسط اثناء انعقاد دورتها الاخيرة .

وعلى صعيد اخر كان نشاط الاتحاد السوفياتي المتعلق بالوضع في منطقتنا بارزا اذ قام رئيس الحكومة السوفياتية الكسي كوسيغن بزيارة العراق في اوائل شهر نيسان على رأس وفد حكومي وحزبي للمشاركة في احتفالات العراق لمناسبة بدء الانتاج المباشر للنفط في حقل الرميلة الشمالي الذي ساعد الاتحاد السوفياتي في اعداده وتجهيزه . ولا شك ان هذه الزيارة ترمز الى الاتجاه في تزايد سيطرة بعض البلدان العربية على مواردها الطبيعية وخاصة البترولية منها مما سيكون له تأثير ايجابي هام جدا ، في المدى البعيد ، على الحركة الوطنية التحررية العربية عامة بما في ذلك حركة التحرر الفلسطينية . كذلك لا ريب في ان الاحتكارات الامبريالية تشعر بانزعاج شديد وهي تشاهد الرئيس كوسيغن في العراق بمناسبة نفطية هامة تعطي بلدا عربيا القدرة على انتاج نفطه بنفسه والتصرف به وفقا لصالحه الوطنية . واكد الرئيس كوسيغين على المغزى السياسي الهام للتعاون العراقي السوفياتي في ميدان النفط كما عاد الى تأكيد موقف بلاده المعروف من النزاع في الشرق الاوسط ودعم بلاده للكفاح العربي ضد الامبريالية والاحتلال الاسرائيلي . واسفرت الزيارة عن توقيع معاهدة الصداقة والتعاون بين البلدين الشبيهة بالمعاهدة التي كان قد وقعها الاتحاد السوفياتي مع مصر سابقا . ونصت المعاهدة على قيام تعاون شامل بين البلدين في الحقول السياسية والاقتصادية والتجارية والفنية والعلمية والثقافية وتبادل الخبرات الصناعية والزراعية في ميادين الري والثروات المائية والنفط وغيرها من فروع

الاتحـاد . كذلك نصت على تنسيق اعمال الطرفين والتشاور بينهما على مختلف المستويات في كـل القضايا الدولية المهمة ، وعلى ضرورة اجـراء الاتصالات الفورية لتنسيق المواقف في حال نشوء اوضاع تهدد السلام او تخرقه . نصت المعاهـدة ايضا على « تنمية التعاون في مجال تعزيز القدرات الدفاعية لكل من البلدين » . ويلاحظ هنا ان هذا النص من المعاهدة المتعلق بالمساعدات العسكرية هو اضعف مما جاء في المعاهدة مع مصر باعتبـار ان التسليح بالنسبة لمصر محور اهم في علاقاتها مع الاتحاد السوفياتي مما هو بالنسبة للعراق . وعقب الزيـارة صدر بيـان مشترك أشاد بالعلاقـات السوفياتية العراقية المتطورة باستمرار وبالكفاح المشترك ضد الامبريالية والاستعمار والصهيونية، كما اشار الى انه لا يمكن احـلال سلام عـادل وراسخ في الشرق الاوسط الا بتحرير كل الاراضي العربية المحتلة وبضمان الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني . واعرب البيان عن دعم كـل مـن البلدين لكفاح شعب فلسطين من اجل استعـادة حقوقه الشرعية .

وكـان هنـاك ايضا نشـاط ملحوظ لزعيم احدى دول أوروبـا الشرقيـة المعروفـة بعلاقاتهـا الوثيقة مع اسرائيـل : زار الرئيس الرومانـي نيكولاي تشاوشسكو كلا من الجزائر ومصر كجزء من جولة افريقية قام بها في شهر اذار . واثناء وجوده في الجزائر اعلن الضيف الروماني عن دعم بلاده للقضية الفلسطينية على اساس انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلـة وتأييدها لكفاح الشعب الفلسطيني لتأمين استقلاله على اساس مبدأ حق تقرير المصير .

وصدر بيان مشترك عن الزيـارة اعلن عن وقوف رومانيا الى جانب الجهود التي تبذلها بلدان حوض البحر الابيض المتوسط لازالة الوجود العسكـري الاجنبي في المنطقة . ويبدو من هـذه الصيغة ان رومانيا متفقة مع الموقف الجزائري الداعي الـى اخراج الاساطيل الاجنبية من المتوسط بما في ذلك الاسطول السوفياتي . في مصر اجرى الرئيـس تشاوتشسكو محادثات مع الرئيس أنور السادات ومع ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمـة التحرير . وكرر الرئيس الضيف موقف بلاده من النزاع في الشرق الاوسط كما اعلنه في الجـزائر حيث قال ان رومانيا تعتبر انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة اساسا للسلام في الشرق الاوسط يتبعه حل عادل لقضية الشعب الفلسطيني يتفق مع مصالحه القومية .

وكانت الخطوة الهامة الاخرى على صعيد النشاط السوفياتي هي قيـام الرئيس السادات بزيـارة موسكو في اواخر شهر نيسان . وكان واضحا ان لهذه الزيارة صلة وثيقة بمؤتمر القمة الامريكـي السوفياتي المرتقب في موسكو اذ انه لا بد مـن التشاور والتنسيق بين مصر وحليفها الاكبر فيمـا يتعلق بطرح موضوع النزاع العربي الاسرائيلي في محادثات القمـة . وتشير كافة الدلائـل الى ان زيارة الرئيـس السادات كانت ناجحة الى اقصى الحدود بدليل عودته الى القاهرة قبل يوم واحد من الموعد المقرر لاختتام الزيارة بسبب السرعـة التي تم فيها التفاهم بين الحليفين ، وصدور بيان مشترك يختلف في لهجته وبعض محتوياته عن كـل البيانات المشابهة التي صدرت في السابق . وأثار البيان اهتماما عالميا واسعا لانه لم يكتف بالتنديد باسرائيل بسبب تجاهلها قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، وبالتشديد علـى سعي مصر والجانـب العربي الوصول الى تسوية سلمية شاملة تؤدي الى الانسحـاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي العربية المحتلـة ، بل تخطى البيـان كل ذلـك بتجاهله مهمة يارينـغ تجاهـلا تاما وباشارته الواضحة الى شرعية لجوء الدول العربية الـى وسائل اخرى غـير الوسائـل السياسية (أي الوسائل العسكرية) لاستعادة اراضيها المحتلة .

ويبدو واضحا ان المماطلة اللامتناهية التي فرضتها الديبلوماسية الامريكيـة على مساعي التسويـة السلمية في المنطقة ونتائجها على الصعيد العربي قد عكست نفسها على الموقف السوفياتي الرسمي بانجاه تشدد اكبر فيما يتعلق بموضوع تصفية آثار العدوان بالاساليب العنيفة . وقد شدد البيـان ، بهذا الصدد ، على استمرار الاتحاد السوفياتي دعم القدرات الاقتصادية والسياسية والعسكرية للدول العربية . وترددت انباء صحفية مفادها ان الاتحاد السوفياتي وافق على تزويد مصر باسلحة هجومية متطورة جـدا بينهـا طائرات ميغ ٢٣ (الفوكسبات) وقاذفات قنابل توبوليف وصواريخ مضادة للطائرات . هذا بالاضافة الى بقاء الفريق حسني مبارك قائد القوات الجوية المصرية الجديد في موسكو بعد مغادرة الرئيس السادات للبحث في قضايا الدفاع الجوي المصري وتعزيزه .

لا بد من الاشارة هنا الى ان المراقبين قد لاحظوا ان العبارة التي اثارت الاهتمام في البيان المشترك قد جاءت بصورة مختلفة قليلا في النص العربي عما هي في النص الروسي للبيان . وفقا للنص الذي وزعته وكالة انباء الشرق الاوسط المصرية تقول العبارة المعنية : « وفي ظل تلك الظروف فان الدول العربية التي تعرضت للعدوان لها كل الحق في استخدام مختلف الوسائل لاسترداد الاراضي العربية التي اغتصبتها اسرائيل » . أما في النص الروسي فقد وردت العبارة نفسها على النحو التالي : « وفي ظل تلك الظروف فان الدول العربية التي تعرضت للعدوان لها كل الحق في استخدام الوسائل الاخرى غير الوسائل السياسية لتحرير الاراضي العربية التي احتلتها اسرائيل ». (الهيرالد تريبيون ، ٢ ايار ١٩٧٢) . ولم يتوفر اي تفسير لهذا الفارق في نص البيان في اللغتين مع ان العبارة التي تم تناقلها عالميا واثارت الاهتمام نقلت من نص البيان باللغة الروسية .

وبمناسبة تكاثر مزاعم النظام الاردني حول كونه الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني ومحاولات سلطات الاحتلال اعطاء هذه الصفة التمثيلية الى مجموعة من المتعاونين معها في الضفة الغربية من المفيد الاشارة هنا الى الزيارة التي قام بها ياسر عرفات الى يوغسلافيا والتأكيد الذي صدر عن السلطات هناك بأنها تعتبر حركة التحرير الفلسطينية الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني . وقد جاء هذا التأكيد في البيان المشترك الذي صدر عقب الزيارة ، والذي شدد على تأييد الجانب اليوغسلافي للجهود التي تبذل من اجل تحقيق وحدة كل قوى الثورة الفلسطينية .

في النصف الثاني من شهر اذار قام مستشار الرئيس السادات للشؤون الخارجية — محمود رياض — بزيارة الصين على رأس وفد حاملا رسالة من الرئيس المصري الى رئيس الوزراء الصيني شو ان لاي . وذكرت مصادر مطلعة ان الاستقبال الذي قوبل به رياض في بكين كان باردا نسبيا ، ويبدو ان مرجع ذلك هو عدم موافقة السلطات الصينية على الفهم المصري — السوفياتي لطبيعة الصراع في الشرق الاوسط وطرق تسويته. ومعروف ان الحكومة الصينية تعطي الاولوية في دعمها الى كفاح الشعب الفلسطيني المسلح حتى النهاية ولا تعترف بقرار مجلس الامن ٢٤٢ ، في حين يتركز الاهتمام المصري — السوفياتي على تحقيق تسوية سياسية شاملة للنزاع تتضمن اتفاق سلام مع اسرائيل . وقد اجرى رياض محادثات مع المسؤولين في بكين حول أزمة الشرق الاوسط وتطوراتها كما حمل معه رسالة جوابية مكتوبة من رئيس الوزراء الصيني الى الرئيس السادات.

على صعيد دول اوروبا الغربية لم تطرأ اية تطورات هامة بالنسبة لموقفها المعروف من ازمة الشرق الاوسط كما تم التعبير عنه اخيرا في تأييدها للقرار الذي اتخذته الجمعية العامة لهيئة الامم في دورتها الاخيرة . وكان الموضوع الاكثر لفتا للانتباه في المجال الاوروبي هو عزم بريطانيا على تزويد اسرائيل بثلاث غواصات ومحاولات الدول العربية احباط هذه الصفقة . وبالرغم من الاتصالات التي قام بها بعض السفراء العرب (خاصة السفير المصري) بالمسؤولين البريطانيين والمناشدة التي وجهها مجلس الشعب المصري الى مجلس العموم البريطاني لجهة عدم اتمام الصفقة حرصا على العلاقات العربية — البريطانية المتطورة ، يبدو ان السلطات البريطانية تعتبر ان الصفقة مع اسرائيل قد اصبحت في حكم المنتهية باعتبار ان الغواصات هي اسلحة « دفاعية » ولن يكون لها تأثير على ميزان القوى في المنطقة وفقا لزعم المصادر البريطانية وتبريراتها . وبهذا الصدد اكد وزير الخارجية البريطاني من جديد انه لم تطرأ أية تغييرات على سياسة حكومته في شأن النزاع العربي الاسرائيلي وبما يتعلق ببيع الاسلحة الى دول الشرق الاوسط . واضاف بأنه لا يوجد اي حظر عام على بيع الاسلحة الا ان حكومته تنظر في كل طلب لشراء السلاح على حدة . ومن المعروف ان بريطانيا كانت قد رفضت تزويد كل من ليبيا واسرائيل بالدبابة المتطورة المعروفة باسم شيفتن. كذلك ذكر الوزير ان بلاده ليس لديها اية مقترحات جديدة بالنسبة لتسوية النزاع في الشرق الاوسط خاصة وان تقديم المقترحات البديلة في هذه الفترة سيعرقل استمرار جهود الولايات المتحدة والدكتور يارينغ للوصول الى السلام في المنطقة .

اما بالنسبة لفرنسا فقد عاد وزير خارجيتها الى تأكيد السياسة المعروفة لبلاده حيال النزاع في منطقتنا وهي السياسة القائمة على تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ واشراك الاعضاء الدائمين في مجلس الامن الدولي في حل الازمة بالاضافة

الى المطالبة بالعودة الى أجتماعات الدول الاربع الكبرى وتوفير الضمانات الدولية للحدود بعد احلال التسوية ، وهو موقف ترفضه اسرائيل ولا يبعد كثيرا عن وجهة النظر العربية الرسمية في تسوية النزاع . ومن ناحية اخرى طرأ تحسن محسوس على العلاقات العربية مع المانيا الغربية. وعكس هذا التطور نفسه في التوصية التي وضعتها اللجنة السياسية الدائمة للجامعة العربية بترك حرية تقرير اعادة العلاقات الدبلوماسية مع المانيا الى كل دولة على حدة .

وبمناسبة تحسن العلاقات صرح براندت بان بلاده تسعى الى اقامة علاقات طبيعية مع كل الدول الراغبة في ذلك بما فيها الدول العربية . واكد ان حكومته تؤيد ، بالاتفاق مع كل دول السوق الاوروبية المشتركة ، مهمة الدكتور يارينغ في الشرق الاوسط . كما اشار براندت الى مساهمة بلاده في تمويل وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين ورغبتها في المشاركة في التوصل الى حل سياسي للنزاع في منطقتنا . وعلى هذا الاساس صرح وزير الخارجية الالماني بأنه يتوقع استئناف علاقات بلاده الدبلوماسية مع الدول العربية بما فيها مصر . وفي هذا الاثناء كانت بعثة المانية غربية تمثل الحزب الحاكم تقوم بجولة في العواصم العربية الرئيسية بدعوة من الجامعة العربية . وتباحثت البعثة مع المسؤولين في موقف المانيا من القضايا العربية الراهنة عامة والقضية الفلسطينية على وجه التخصيص .

وبالنسبة لهيئة الامم فقد تبنت لجنة حقوق الانسان قرارا جديدا في النصف الثاني من شهر اذار يتعلق بحقوق المواطنين العرب الواقعين تحت الاحتلال الاسرائيلي . وصوتت ١٥ دولة الى جانب القرار و ٤ دول ضده هي امريكا وهولندا وغواتيمالا وزائيري (وجدير بالذكر هنا ان رئيس جمهورية زائيري – الكونغو كينشاسا سابقا – كان احد اعضاء البعثة الافريقية التي زارت مصر واسرائيل من اجل التوسط بينهما للوصول الى تسوية سياسية للنزاع) كما امتنعت ١١ دولة عن التصويت . واشترك في تقديم القرار كل من الدول التالية : مصر ، لبنان ، تانزانيا ، الهند والباكستان . وقد دعا القرار اسرائيل دعوة مشددة الى ١) « الغاء كل الاجراءات والامتناع عن كل السياسات والاعمال التي تؤثر في التكوين الجغرافي او في طبيعة الاراضي العربية المحتلة وفي حقوق الانسان هناك » . ٢) السماح لجميع الذين خرجوا من الاراضي المحتلة او الذين طردوا من ديارهم بالعودة اليها من دون اية شروط . ٣) اكد القرار على ان كل الاجراءات التي اتخذتها اسرائيل لضم المناطق المحتلة او استيطانها هي اجراءات باطلة ولاغية . ٤) طالب جميع الدول الاعضاء في هيئة الامم بان تبذل قصارى جهدها لتأمين احترام اسرائيل لمبادىء حقوق الانسان وتحقيق التزاماتها بموجب ميثاق جنيف الخاص بحماية المدنيين في زمن الحرب . ٥) نظرت اللجنة الى عمليات الخرق الخطيرة لميثاق جنيف من قبل اسرائيل في الاراضي العربية المحتلة على انها تشكل جرائم حرب واساءة الى البشرية .

اما التحرك الآخر الذي لفت الانتباه بالنسبة لهيئة الامم فهو طلب لبنان رفع عدد المراقبين الدوليين على حدوده مع اسرائيل (على اثر الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة) وقد وافق مجلس الامن على الطلب اللبناني وسيصل عدد المراقبين الى حوالي ٢٥ او ٣٠ شخصا . كذلك قام روبير غوبير مساعد الامين العام للامم المتحدة بجولة تفقدية واستطلاعية على مراكز مراقبي الامم المتحدة ومكاتبها في الشرق الاوسط فزار كلا من مصر وسوريا والاردن ولبنان واسرائيل ضمن نطاق جولته باعتباره المسؤول الاول عن اجهزة المراقبة التابعة للمنظمة الدولية .

أما بالنسبة ليارينغ واسفاره فقد اجتمع مؤخرا الى الامين العام لهيئة الامم لمناقشة جدوى الاستمرار في مهمته ضمن الظروف الحالية المسيطرة على النزاع العربي الاسرائيلي . وكانت نتيجة الاجتماع الاعلان عن تجميد نشاط الوسيط الدولي في الوقت الحاضر « بسبب عدم توفر الاسس التي تبرر استمراره بعمله » . وعلى اثر ذلك اعلنت المراجع المسؤولة في المنظمة الدولية ان يارينغ سيعود الى منصبه في موسكو حيث يعمل كسفير لبلاده . وترددت انباء صحفية غير مؤكدة بان فالدهايم قد يهتم بنفسه بأزمة الشرق الاوسط الى درجة الحلول محل يارينغ في عملية التوسط .

ص. ج. ع.

(٤) السياسة الاسرائيلية

احتلت ثلاثة أحداث رئيسية ، اضافة لحدث مشروع الملك حسين الذي لخصنا رد الفعل الاسرائيلي تجاهه في العدد الماضي ، مركز الاهتمام السياسي في اسرائيل في شهري آذار ونيسان الماضيين . وكان ابرز هذه الاحداث انهيار النفوذ الاسرائيلي في أوغندا بعد حوالي عشر سنوات من العمل الاسرائيلي الشاق لتثبيته ، وتلاه في الاهمية صراع سياسي حاد دار في الاوساط الاسرائيلية حول تسييج وبدء استيطان مداخل رفح . ثم أتت زيارة غولدا مئير لرومانيا ، وهي أول زيارة يقوم بها رئيس حكومة اسرائيلي لدولة من دول المعسكر الاشتراكي .

انهيار اسرائيل في اوغندا : خلال أقل من عشرة اسابيع ، بين شباط ونيسان ١٩٧٢ ، انهار النفوذ الاسرائيلي في اوغندا انهيارا كاملا ، وانقلبت اسرائيل من الدولة الاكثر نفوذا في اوغندا الى دولة ارغم كل رعاياها ، بمن فيهم السفير والمستشارون العسكريون ، على مغادرة البلاد خلال أيام معدودة . وقد احتلت التحليلات المتعلقة بسياسة اسرائيل في اوغندا بشكل خاص ، والدول النامية بشكل عام ، مساحات واسعة في الصحف الاسرائيلية . ولكن كان واضحا من خلال ما صدر انه ما زالت هناك رقابة (ذاتية او من قبل السلطة) مفروضة بعد على الكتابات حول موضوع المساعدات الاسرائيلية للدول النامية . فباستثناء حالة اوغندا ، حيث اوردت الصحف تفصيلات عن النشاطات الاقتصادية الاسرائيلية فيها ، حفلت الكتابات بالعموميات والحديث عن المبادىء الموجهة اكثر مما حفلت بالاحصاءات والتصوير الدقيق لبرامج المساعدات وابعادها الحقيقية . وقد كان هناك تركيز في الصحافة الاسرائيلية ، من الصعب ان يعزوه المرء الى الصدفة ، على ان طابع النشاطات في اوغندا كان مختلفا جدا عن طابع نشاطات اسرائيل وبرامج مساعداتها في بقية الدول ، وان نموذج المساعدات لاوغندا لا يمكن اعتباره الممثل لمساعدات اسرائيل للدول النامية الاخرى . وادعى زئيف شيف ، احد المحللين العسكريين — السياسيين البارزين في اسرائيل ، في مقالة نشرها في هآرتس (٧٢/٤/٧ ص ٩) ، ان اسرائيل مارست في اوغندا سياسة مناقضة لكل القواعد المقرة من قبل الحكومة الاسرائيلية بالنسبة لبرامج المساعدات الخارجية . اما السبب الذي يمكن ان يكون دفع المعلقين السياسيين للتركيز على هذا الادعاء فليس من الصعب تصوره — ان الطبيعة الكولونيالية للنشاطات الاسرائيلية في اوغندا كانت مفضوحة هذه المرة بشكل لا يمكن تمييعه ، ولذلك كان لا بد من الهروب الى الادعاء بأن اوغندا هي الاستثناء وليست القاعدة ، حتى لا تتعرض اسرائيل لهزات مشابهة في دول أخرى . ويظل وصف مجلة هعولام هزه (٧٢/٣/٢٨ ص ٩) لما جرى في اوغندا بانه « نهاية المغامرة الكولونيالية الكبرى لاسرائيل في القارة الافريقية » هو اصدق وصف ظهر في الصحف الاسرائيلية حول الموضوع . ما هي ابعاد هذه « المغامرة » وماذا جرى ؟

بدأ التسلل الاسرائيلي لاوغندا في عام ١٩٦٣ ، أي في العام التالي لنيلها الاستقلال ، وكان يحكمها آنذاك ملتون اوبوتي ، الذي ظل رئيسا لها حتى يناير من عام ١٩٧١ ، عندما قام عيدي أمين بانقلاب عسكري استولى فيه على السلطة . لقد وقعت في ذلك العام (١٩٦٣) اتفاقيات التعاون بين اوغندا واسرائيل ، وشملت معظم مرافق الدولة الحساسة : الجيش والبوليس ، الادارة، التعليم، الشباب ، الزراعة ، الصحة . وفي اطار اتفاقيات التعاون هذه ساهمت اسرائيل في تدريب الجيش الاوغندي والشرطة وتسليحهما ، واقامت كلية للمظليين ، ولعبت الدور الاساسي في بناء سلاح الطيران الذي تشكل طائرات فوغا ماجستر النفاثة الاسرائيلية الصنع العمود الفقري فيه . وكان التدريب يتم بشكل متواز في اوغندا (بواسطة بعثات قليلة العدد نسبيا) وفي اسرائيل (عن طريق تدريب اعداد اكبر في الكليات الحربية والفنية الاسرائيلية) . وفي النطاق المدني ، اضافة للخبراء الزراعيين والاداريين الذين ارسلتهم اسرائيل لاوغندا ، استقبلت اسرائيل في معاهدها وجامعاتها ومدارسها الفنية مئات الطلاب والخبراء ، حيث كان يتم تعليمهم وتدريبهم ، ليعودوا فيما بعد ويندمجوا في المؤسسات الادارية والاقتصادية والتعليمية والصحية الناشئة التي كانت بمثابة اطارات أساسية في بناء الدولة

الحديثة . وقد بلغ عدد الذين تدربوا في اسرائيل حتى نهاية عام ١٩٧١ ، كما ذكر آبا ايبن في المؤتمر الصحفي الذي عقده في ٧٢/٤/١١ ، اكثر من الف طالب وخبير . وكان من الطبيعي ان تؤدي هذه المساعدات المصبوبة في البنى الهيكلية القاعدية للدولة الاوغندية الطرية العود ، الى تنامي النفوذ الاسرائيلي في اوغندا وتجذره . ولكن خطر هذا النفوذ لم يظهر بشكل واضح الا عندما بدأ اوبوتي في نهايات حكمه يجنح نحو سياسات ذات طابع يساري في الداخل ، وراديكالي على صعيد القارة الافريقية . وقد بلغت السياسات الداخلية ذات المنحى اليساري ذروتها في اجراءات التأميم التي اقدم عليها اوبوتي في عام ١٩٦٩ ، والتي وصفها ج. د. جونز محرر الشؤون الخارجية في الفايننشال تايمز (٧٢/١/٢٤) بانها كانت بداية النهاية بالنسبة لاوبوتي . كما بلغت السياسات الراديكالية على صعيد القارة الافريقية ذروتها في الصدام العنيف الذي حدث بين الرئيس اوبوتي ورئيس وزراء بريطانيا في مؤتمر دول الكومونويلث الذي انعقد في سنغافوره في يناير من عام ١٩٧١ بسبب قرار بريطانيا المتعلق ببيع السلاح لدولة افريقيا الجنوبية العنصرية . وهو المؤتمر الذي وقع اثناء انعقاده الانقلاب الذي قام به عيدي امين قائد الجيش للاستيلاء على الحكم . لقد ادرك اوبوتي في السنة الاخيرة لحكمه الخطر الذي يمثله نفوذ اسرائيلي قوي في اوغندا على اي حكم تقدمي هناك ، ولذلك بدأ بتقليص حجم التعاون الاوغندي — الاسرائيلي وتقليل عدد الاسرائيليين في اوغندا. وعندما وقع الانقلاب لم يكن من الصعب عليه ، وهو العارف بحقيقة الامور ومراكز القوى في بلده ، ان يحدد الجهة التي دبرت الانقلاب — اسرائيل . واذا كان بعض المراقبين قد شك آنذاك في صحة اتهامات اوبوتي لاسرائيل بانها هي التي دبرت الانقلاب لصالح نفوذها وصالح الاستعمار الجديد في القارة الافريقية ، فان احتضان اسرائيل ، والدول الاستعمارية الغربية) السريع لنظام حكم الجنرال امين ، واتساع النشاطات العسكرية والاقتصادية الاسرائيلية في اوغندا بعد استيلاء هذا على الحكم ، لم تترك المجال لبقاء كثير من الشك . فقد طرد امين بسرعة المستشارين العسكريين والخبراء الروس والتشيكيين واستبدلهم بمستشارين وخبراء اسرائيليين حتى بلغ عدد افراد البعثة العسكرية الاسرائيلية الموجودة في اوغندا لدى طردها ٧٠ عضوا ، وهي اكبر بعثة عسكرية لاسرائيل عملت في اية دولة نامية في أية فترة من الفترات . وفي ظل المشورة الاسرائيلية بدأ حجم الجيش الاوغندي يتضخم تسليحا وتعدادا ، وبدأت النفقات العسكرية تمتص حيوية الاقتصاد الاوغندي الذي كان في مرحلة انتقالية متأرجحة نتيجة لخطوات الرئيس السابق الاشتراكية . وكان المصدر الاساسي للسلاح المتكاثر ، الذي شمل الطائرات والدبابات والمدفعية ووسائط النقل العسكرية ، بالطبع اسرائيل . وكان الخبراء الاسرائيليون والشركات الاسرائيلية هي التي اشرفت على بناء القسم الاكبر من الثكنات والانشاءات العسكرية المكلفة للجيش الاوغندي . وقد استخدم امين الخبرة العسكرية الاسرائيلية والسلاح الاسرائيلي في قمع ثورة انصار اوبوتي في حزيران وتموز من العام الماضي ، وهدد تنزانيا ، الدولة الراديكالية في تجمع دول افريقيا الشرقية ، بالغزو اذا لم يكف رئيسها يوليوس نيريري عن تأييد الرئيس ملتون اوبوتي . وزادت اجراءات القمع الوحشية وتهديد تنزانيا بالغزو من عزلة عيدي امين في القارة الافريقية بشكل عام ، وفي افريقيا الشرقية بشكل خاص، حيث كان الرئيس السابق اوبوتي يتمتع باحترام كبير . واتخذت النشاطات العسكرية الاسرائيلية في اوغندا طابعا تآمريا خطرا في انظار القطاع الواعي من الرأي العام الاوغندي عندما بدأت الانباء تنتشر عن الاسلحة التي كانت اسرائيل ترسلها عبر اوغندا للمتمردين في جنوب السودان لاثارة المتاعب في وجه الحكومة السودانية ، وعندما بدأت تنتشر فيما بعد انباء عن اربعة « مطارات غامضة » [التعبير للفايننشال تايمز — ج. د. جونز : ٧٢/١/٢٤] يجري بناؤها في اماكن مختلفة في اوغندا ، وفقا لمواصفات تجعلها قادرة على استقبال طائرات عسكرية معقدة كطائرات الفانتوم ، ويكلف بناؤها ١٧ مليون جنيه استرليني، وهي كلفة ضخمة بالنسبة لاوغندا ، خاصة وان هذه المطارات ، كما تذكر الديلي تلغراف (دافيد لوشاك — ٧٢/٤/١٨) ، تتجاوز كل احتياجات اوغندا الدفاعية . وقد ذكر لوشاك في عدد الديلي تلغراف المذكور اعلاه ان الاسرائيليين كانوا لدى طردهم من اوغندا منهمكين في بناء مطارين من المطارات الاربعة ، واحدهما في اروا قرب الحدود

السودانية الجنوبية ، والثاني في ناكاسونغــولا الواقع على بعد ٨٠ كم شمال كامبالا ، وعلى بعد بضع ساعات طيران عن الاهداف الحيوية لمصر . وذكر لوشاك ايضا انه علم من مصادر عسكرية في كمبالا ان الاسرائيليين كانوا معنيين بانشاء هذين المطارين لانهما يمكن استخدامهما عند الحاجة ضد مصر .

هذا بشكل عام حول بدء وتطور وطابع ووظيفة « المعونات » العسكرية الاسرائيلية لاوغندا ، ومنه ننتقل الى عرض موجز لحجم وطابع النشاطات الاقتصادية كي يصبح بالامكان رسم ملامح الصورة العامة لما أسمته « هعولام هزه » بالمغامرة الكولونيالية الكبرى لاسرائيل في القارة الافريقية . ان أية جهة اسرائيلية رسمية لم تصدر بعد بيانا منفصلا بالاستثمارات الاسرائيلية ومجالات الاستثمار ، ولكن صحيفة معريف نشرت في عددها الصادر بتاريخ ١٤/٤/٧٢ (ص ١٧) مقالا ذكرت فيه ان الجهات المعنية في الوزارات والدوائر المختلفة ما زالت تجمع المعلومات ، من ثم اوردت تفصيلات ما تم جمعه حتى تاريخ نشر المقال . وهي تفصيلات كافية لايضاح المدى الذي بلغه التغلغل الاسرائيلي في اقتصاد اوغندا ، وايضاح الوجهة العامة لمخططاته المستقبلية . ونقدم بما يلي لائحة مختصرة بالشركات الاسرائيلية التي نشطت أو كانت تخطط للنشاط في اوغندا :

— فيرد : شقت في اوغندا طريقين بطول ١٥٠ كم، بلغت كلفتهما ٦ — ٧ ملايين دولار . وقد انجزت بناء الاول في منتصف عام ١٩٧٠ والثاني في منتصف عام ١٩٧١ . كما بدأت بانشاء اكبر مشروع للمساكن العامة في كمبالا . وهو مشروع يقضي بانشاء ١٨٠٠ وحدة سكنية وتبلغ كلفته ١٨ مليون دولار [تم انشاء ٨٠٠ وحدة] . وبعد قرار اتخذته الحكومة الاسرائيلية بتصفية شركة فيرد انتقل المشروع لشركة سوليل بونيه . واضافة للمشروعين السابقين « فازت » شركة فيرد ايضا بتعهد لبناء مدارج مطارات لا يحدد المقال عددها واماكنها . وقد انتقل المشروع بعد تصفية فيرد الى شركة « حيرم زئيفي » الخاصة في حيفا ، التي ارسلت لاوغندا معدات بلغت كلفتها ٤١/٢ مليون دولار ، نجحت في تهريب قسم منها لما اشتمت رائحة الازمة في العلاقات الاوغندية — الاسرائيلية .

— سوليل بونيه : اضافة لمشروع المساكن العامة الضخم ، بنت الشركة بنك افريقيا الشرقية في كمبالا ، وانجزت تعمير بناية ضخمة للطائفة الاسماعيلية، وكانت مشغولة لدى طرد الاسرائيليين من اوغندا ببناء ناطحة سحاب في كمبالا كلفتها ٤١/٢ مليون دولار [العمل فيها في مراحله الاخيرة] . كما كانت مشغولة باقامة مبان عسكرية « بمبالغ كبيرة » لا يذكر المقال مقدارها .

— شركة اسرائيلية خاصة للخدمات الهندسية لا يورد المقال اسمها (حيرم زئيفي ؟) كانت مشغولة ببناء ثكنات ومطارات عسكرية كلف وضع مخططاتها مليوني دولار تقريبا . وكان المفروض ان يتم العمل خلال خمس سنوات ، وان تبلغ الكلفة مئات الملايين من الشلنات [العمل في بداياته] .

— كور : كانت مكلفة ببناء ورشة مركزية للجيش الاوغندي بكلفة ٧ملايين دولار [العمل في بداياته] .

— شركة « مختشيم » و « الدا » بالاشتراك مع شركة هندية واغندية كانتا مشغولتين باقامة مشروع لصنع اجهزة لابادة الحشرات الزراعية كلفته مليون دولار (٥١٪ من رأس المال للاسرائيليين) .

واضافة لهذه الشركات والمشاريع كانت هناك شركات اخرى تقدمت للحكومة الاوغندية مشاريع لاستثمار رؤوس اموالها في اوغندا ، وكانت هذه المشاريع في طور الدرس من قبل الحكومة الاوغندية ، بعد ان نالت موافقة المستشار الاقتصادي للحكومة عليها :

— الشركة الاسرائيلية للفنادق برئاسة كورت ليفي : مشروع باقامة فنادق فخمة في الاماكن السياحية في اوغندا يستثمر فيه ٥ ملايين دولار ، وتستورد له معدات ومواد اولية من اسرائيل بمبلغ مليوني دولار تقريبا .

— شركة مرفيك بالاشتراك مناصفة معشركة اوغندية في رأس المال : مشروع بانشاء مزرعة لتربية ١٠٠— ٢٠٠ الف رأس بقر تنتج سنويا من ١٠ — ٢٠ الف طن لحم بقر للتصدير لاسرائيل ودول اخرى .

— شركة الملح في عتليت : مشروع لانتاج الملح النقي في اوغندا بادارة الشركة تبلغ كلفته ٥ ملايين دولار تدفع الشركة منها مليون دولار وتقدم الباقي المانيا الغربية بشكل قرض لحكومة اوغندا .

— شركة عليت : مشروع لانتاج ٤٥٠ الف طن

قهوة سنويا .

ــ شركة ايزنبرغ : مشروع لانتاج الزيوت النباتية، ومشروع لانتاج خضار مجففة بمقدار ٢٠٠٠ طـن سنويا للتصدير .

كما يذكر المقال انه كانت هناك وقت وقوع الازمة شركات اسرائيلية اخرى تدرس موضوع استثمار اموالها في اوغندا . وحول شروط القروض والارباح يذكر موشيه اولبان مدير عام شركة كور للتجارة الخارجية (عل همشمار ٧٢/٤/١٤ ص ٥) ان القروض التي كانت تقدم لدول افريقيا الشرقية كانت قروضا قصيرة المدى لسنتين او ثلاث بفائدة مقدارها ٨٪ ، وان كل من استثمر في هذه الدول تقريبا قد ربح . واذن نجد انفسنا هنا ، بعد ان عرضنا ما توفر لنا من معلومات حول النشاطات الاسرائيلية في اوغندا ، امام نموذج مكتمل لنشاط كولونيالي واضح ، ينسجم مع المواصفات التي يعنيها الاستعمار الجديد في هذا العصر : اوغندا دولة ناشئة تحتاج الى كل شيء من الخبرة الفنية الى رؤوس الاموال لتثبيت كيانها وبدء عملية التطور . اسرائيل تقاربها عارضة عليها المساعدات الفنية والقروض مختارة بذكاء كمجالات لمساعداتها البنى الهيكلية الاساسية اللازمة لبناء الدولة وحمايتها ، وبشكل خاص الجيش الذي يمثل القوة الاقدر والاكثر نفوذا في الدول النامية . يصل نظام اوبوتي الى النقطة التي يشعر فيها انه لا بد من تصفية رأس المال الخاص المتخلف المرتبط بالاستعمار للوصول الى وضع يمكنه من الاستمرار في عملية التطوير الاقتصادية استمرارا حقيقيا . يصطدم بالقوى الاستعمارية ويجد نفسه في تحالفات اعمق مع الدول الافريقية الراديكالية المناهضة للاستعمار في القارة . تتحالف اسرائيل مع قوى الثورة المضادة وتستخدم نفوذها في الجيش والدولة لضرب اوبوتي خدمة لاهدافها واهداف الاستعمار الجديد . ينفسح المجال امام اسرائيل في ظل النظام الجديد فتندفع اكثر في خدمة اهدافها الاستراتيجية محملة الاقتصاد الاوغندي الاعباء الجديدة، وتندفع اكثر في اقتحام الاقتصاد الاوغندي لصالح الاستثمارات الاسرائيلية . تتعمق الازمة الاقتصادية في اوغندا وتزداد عزلة امين في افريقيا وتبدأ القطاعات الواعية في الرأي العام الاوغندي بالتذمر . ولكن هنا يبدأ رد الفعل : يجد امين نفسه امام احد خيارين ــ الاستمرار في الخط القائم وتعريض نظامه للخطر ، او ضرب الاخطبوط الاسرائيلي الصغير الذي اخذ يقلد في اوغندا سيرة السلالات الاستعمارية التي اعتصرت ، وما تزال في اجزاء كثيرة تعتصر ، حيوية افريقيا . واختار أمين الطريق الثاني ، وهنا نصل الى بداية الاحداث التي ادى تطورها الى انهيار النفوذ الاسرائيلي في اوغندا . زار امين في منتصف فبراير الماضي ليبيا ، وصدر عن الزيارة بيان اوغندي ــ ليبي مشترك يعلن تأييد القذافي وامين لنضال الشعب الفلسطيني من اجل استرداد حقوقه ونضال الشعوب العربية ضد الصهيونية العدوانية . واحدث البيان استياء كبيرا لدى الاوساط الحاكمة في اسرائيل ، واصدرت وزارة الخارجية تعليمات لسفيرها في كمبالا بالاستيضاح عن الموضوع . واوضح امين للسفير انه ليس منحازا لاسرائيل في مسالة الصراع العربي ــ الاسرائيلي ، وان البيان لن يؤثر على العلاقات القائمة بين اوغندا واسرائيل . ولكن هذا التوضيح لم يعجب الحكومة الاسرائيلية التي عادت فكلفت سفيرها بالاتصال بأمين ومطالبته باصدار بيان علني يعدل الموقف الذي انعكس في البيان الليبي ــ الاوغندي . وشنت الصحف الاسرائيلية حملة عنيفة على عيدي امين اتهمته بنكران الجميل وصورت لاول مرة الوضع في اوغندا على حقيقته متجاهلة فقط(!) المسؤول الاول عن تدهور هذا الوضع ــ المشورة الاسرائيلية والاستغلال الاسرائيلي . وتطورت الازمة بسرعة بين البلدين ، وضرب امين في اواخر اذار ضربته النهائية ، مصدرا الامر الى الاسرائيليين بحزم حقائبهم والعودة الى بلادهم خلال ايام .

ركزت الصحف الاسرائيلية في كتاباتها على ان الدافع الاساسي لامين من وراء طرد الاسرائيليين من اوغندا كان الاموال التي وعد القذافي امين بمنحها واقراضها لاوغندا وارجع بعضها هذه الخطوة ايضا الى رغبة امين في كسب القطاعات المتعلمة من الرأي العام الاوغندي المعادية لاسرائيل ، ورغبته في الخروج من العزلة الافريقية التي يعيشها نظام حكمه نتيجة لسمعته السيئة كخادم للاستعمار الجديد في افريقيا ، واهم من ذلك رغبته في تحسين علاقاته مع تنزانيا ، شريكة اوغندا وكينيا في « تجمع دول افريقيا الشرقية » الذي تعرض التعاون فيه لهزات متواصلة منذ انقلاب امين على اوبوتي في مطالع العام الماضي.

ان هذه الاسباب تبقى كلها فعلا واردة ، ولكنهـا تقل في الاهمية ، بل وتتفرع عن السبب الاساسي، وهو شعور امين بان اسرائيل قـد « امسكـت باوغندا من خناقها » ، على حد تعبيره في التصريح الذي ادلى به لوكالة تاس ، وأوردته معريف في عددها الصادر بتاريخ ٧٢/٤/٢٠ .

قضية مداخل رفح : ومن « الاسرائيلي القبيح » في اوغندا ، الذي حذر الياهو سلنطر في هآرتس (٧٢/٣/٣١ ص ٩) مواطنيه من الاعتقاد فعـلا بوجوده في « حادث » اوغندا كما يسميه ، الـى « الاسرائيلي القبيح » في مداخل رفح ، الذي لم يتردد مردخاي بنتوف مـن كتـاب صحيفة معريف (٧٢/٤/١٤ ص ١٩) في الاصـرار على وجوده ومهاجمته . وقد كان هجوم بنتوف على ما أسماه بالاسرائيلي القبيح في مداخل رفح مساهمة منه في ابداء الرأي في واحد من اهم الصراعات السياسية التي دارت في اسرائيل بعد حرب الايام الستـة . وهو صراع احتل الى جانب مشروع الملك حسين المكان المركزي في الحياة السياسية الاسرائيلية في الاشهر الثلاثة الماضية وما زالت تفاعلاته مستمرة حتى لحظة كتابة هذه السطور . وقد بدأ هـذا الصراع بالتفجر في اوائل اذار عندما اجتمع في نيرعوز في النقب حوالي ٣٠٠ عضو مـن اعضاء حركة « هاكيبوتس هارتسي » التابعـة للمابام ، يمثلون ١٣ كيبوتسا من كيبوتسات النقب . وكان هدف المجتمعين الاحتجاج على سلب البدو العرب في مداخل رفح لاراضيهم وطردهـم منها بطريقـة وحشية اثناء قيام الجيش بتسييج المناطق لمنـع العرب من العودة اليها . وقد تكلم في الاجتمـاع العديد من اعضاء الكيبوتسات ، ومنهم من كـان شاهدا بحكم خدمتـه في الجيش او تواجـده في المنطقة ، عن قيام الجيش بارغام البدو على مغادرة مناطقهم خلال ساعات معدودة وعن هدم بيوت البدو — المزارعين وسد آبـار المياه واقتـلاع المزروعات التي كانت تعترض طريق الجرافـات ، كما تحدث البعض عن المدلولات السياسية لعملية التسييج والطرد التي شملت منطقة تبلغ مساحتها ٦٠ الف دونم تقريبا (حسبما يذكر بنتوف في مقاله عن الاسرائيلي القبيح) تضاف للمناطق التي كان قد تم تسييجها في فتـرات سابقـة . واوضـح المتكلمون ، استنادا الى خريطة هيكلية كان قـد اعدها قسم الاستيطان بالوكالة اليهودية بالاشتراك مع وزارتي الدفاع والداخليـة واستنادا الـى مشاهداتهم واطلاعهم على ما يجري ، ان الهدف من التسييج ليس الامن وانما استكمال خطـوات المصادرة اللازمة لانشاء مناطق يهودية في قطـاع غزة ومنطقة رفح تقوم على مساحة ٤٤٠ الف دونم وتشتمل على اربع مستوطنات في غزة ومستوطنتين في مداخل رفح وميناء يهودي بين خان يونس ورفح ومناطق صناعية قرب رفح واماكن استجمام وسياحة على طول الشاطىء الى الجنوب منها . وتؤدي هذه المناطق مهمة قطع التواصل الاقليمي للسكان العرب في غزة ، وتزرع اوتادا دائمة للاستيطـان اليهودي في قلب المنطقة العربية ، وتلغي امكانية اي تطوير اقتصادي مستقبلي في المنطقة لصالـح العرب. وتساءل المجتمعون عن الجهة التي اتخذت قرار المصادرة هذا ذا المغزى السياسي البعيـد الدلالة ، واتخذوا في نهاية اجتماعهـم قـرارات بدعـوة وزراء المابـام في الحكومة واعضائـه في الكنيست ومؤسسات الحزب وحركة الكيبوتسـات المابامية للتحرك لايقاف هذه العملية والتحقيق في الجرائم التي ارتكبها الجيش خلال عملية التسييج والطرد ، مؤكدين انهم مع الاستيطان الامني — العسكري وضد الاستيطان المدني الدائم لانه يثقل على الجهود المبذولة للوصول الى السلام مـع العـرب . واجتمعـت سكرتارية المابام وايـدت قرارات اجتماع نيرعوز ، واثـار وزراء المابـام الموضوع في الحكومة ، مطالبين هم بدورهم بمعرفة من اتخذ ومتى اتخذت القرارات الخاصة بعملية مداخل رفح . واحدثت تحركات الاحتجاج هـذه ردة فعل عنيفة وسريعة في الدوائر المتطرفة في حزب العمل الحاكم وفي اوساط المعارضة اليمينية احزابا ونوابا . وتعـرض حزب المابام وحركـة هاكيبوتس هارتسي التابعة له لحملة تشهير واسعة النطاق ، ذكر المشهرون خلالها الحزب والحركـة بان برنامج المابام للسلام يدعو لضم قطاع غزة لاسرائيل ، وان قادة المابام ايدوا بناء مستوطنات في القطاع والجولان والضفة الغربية ، وان قسما كبيرا من مستوطنات المابام الراهنة داخل اسرائيل قائمة على اراضي سلبت من العـرب بنفـس الطريقة التي يحتج المابام عليها الان . ونشرت يديعوت احرونوت (٧٢/٣/١٧ ص ٩) مقالا لايتان هبار اعاد فيه الى الاذهان قضية كيبوتس بارعام السيئة الصيت ، حيث طلب الحاكم العسكري من سكان قرية كفر برعم العربية في نوفمبر من عـام ١٩٤٨ اخلاء قريتهم مؤقتا لاسباب امنية ، وبدلا

من السماح لهم بالعودة اليها فيما بعد اقامت حركة عشومير هنسعير (المابام الان) كيبوتس بارعام ، ولم يسمح منذ ذلك التاريخ حتى الان لاي عربي بالعودة للاقامة فيها الا من كان ميتا واوصى بدفن جثمانه في مقبرتها . ومع تصاعد التحريض ضد الاستيطان في مداخل رفح من قبل المابام طلبت المعارضة اليمينية عقد جلسة طارئة للكنيست لبحث الموضوع ، مدعية ان هذا التحريض يضر بأمن اسرائيل . وقبل انعقاد الجلسة بيوم واحد اعلن انه كانت قد تشكلت لجنة تحقيق من ضباط كبار بمبادرة من رئيس الاركان للتحقيق فيما جرى في مداخل رفح ، وان اللجنة قد اكتشفت «تجاوزات» من ثلاثة ضباط كبار لصلاحياتهم ، وانه قد تم نقل احد هؤلاء الضباط ووجه لوم كتابي للضابطين الاخرين . ولم يذع تقرير اللجنة ، كما لم تذع اسماء اعضائها او اسماء الضباط المعنيين . ولم تحدد طبيعة « التجاوزات » التي حصلت . ولكن عرف ان اللجنة اكتشفت ان عملية التسييج وطرد البدو العرب قد تمت بدون تعليمات او علم من هيئة الاركان ، الامر الذي اثار استغرابا شديدا في الاوساط السياسية ، خاصة وان غولدا مئير ويسرائيل غاليلي كانا قد اكدا ان العملية تمت بدون علم الحكومة . وعقدت جلسة الكنيست المشار اليها اعلاه بتاريخ ٧٢/٣/٢٧ واعلن فيها يسرائيل غاليلي باسم الحكومة لاول مرة في الكنيست بان ثمة قرارا متخذا من قبل الحكومة الاسرائيلية باعتبار غزة جزءا من اسرائيل ، وانه لم تقم اية مستوطنة دون ان تكون الحكومة بكاملها او اللجنة الوزارية لشؤون الاستيطان قد اقرت اقامتها . وتمكنت الحكومة بحكم اغلبية الاصوات التي تملكها من اسقاط اقتراحات المعارضة اليمينية من جدول الاعمال . ولكن الكنيست ، كما يذكر التعليق السياسي لهآرتس في عدد ٧٢/٣/٢٨ ص ١١ ، لم تناقش النقاط الاساسية الثلاث المتعلقة بقضية مداخل رفح وهي : ١) القرار بحد ذاته الذي يعني اقامة مستوطنات يهودية في منطقة فيها كثافة سكانية عربية كبيرة . ٢) الطريقة السرية التي تم بها اتخاذ القرار باستيطان المنطقة دون نقاش عام . ٣) طرد الاف البدو العرب دون ان تكون الجهة التي طردتهم مخولة قانونيا بفعل ذلك . وكان التعليق يصدر في تعداده لهذه النقاط عن التساؤلات الكبيرة التي نبعت في ذهن الرأي العام نتيجة لتصريح مئير وغاليلي بان الحكومة لم تكن على علم بعملية التسييج والطرد والقول بان لجنة التحقيق العسكرية قد استخلصت من تحقيقاتها بان هيئة الاركان لم تكن هي ايضا التي اعطت الاوامر . من اذن هو الذي اعطى الامر الخطير ؟ وأضيف بعد « اسرائيلي داخلي » جديد لقضية مداخل رفح وعادت الى الاذهان قضية لافون المشهورة ، التي طرحت على الرأي العام الاسرائيلي في حينها السؤال الكبير : من اعطى الامر بتنفيذ عمليات التخريب في القاهرة ؟ وهل كان الذين جرموا وقتها هم فعلا المسؤولون الحقيقيون ؟ وبدأ النقاش اكثر فاكثر يتمحور حول هذه النقطة ، وبدأت اوساط لها وزنها في الرأي العام تطالب بنشر تقرير لجنة التحقيق العسكرية واسماء الضباط وتحديد التجاوزات التي قاموا بها ليصبح بالامكان تحديد المسؤولين الحقيقيين عن العملية التي تحولت لفضيحة سياسية وتحديد فيما اذا كان الذين عوقبوا هم فعلا المسؤولون عن التجاوزات وفيما اذا كانت العقوبات على مستوى المسؤولية . وانتقد زئيف شيف ، المطلع جيدا على اخبار المؤسسة العسكرية ، في هآرتس (٧٢/٤/٢ ص ٩) الطريقة التي عالجت بها هيئة الاركان القضية ، والرقابة العسكرية التي مورست وتمارس على الصحافة بشكل فظ ، واعلن انه مطلع على تفصيلات التجاوزات وان العقوبات ليست في مستوى هذه التجاوزات ، وان الضابط الذي نقل من وظيفته يتحمل مسؤولية اكبر من مسؤولية الضابطين الاعلى رتبة منه . ووصلت الانتقادات الى ذروتها في مقالة نشرها رئيس تحرير مجلة « اوت » النظرية الناطقة بلسان حزب العمل الحاكم ، وتساءل فيها اذا كان يجوز ان تكون عقوبة ضابط كبير وضع الحكومة بتصرفه امام « حقيقة جاهزة » ذات ابعاد سياسية خطيرة مجرد اللوم . كما تساءل كيف يمكن ان تتم عملية كهذه تدخل في نطاق مسؤولية وزارة الدفاع بدون علم من وزير الدفاع ، ولماذا لا تبطل الحكومة اجراء الضابط الكبير الذي أمر بتنفيذ العملية ما دامت تمت دون علمها . وختم رئيس تحرير «اوت» داغيد شاحام مقالته بالقول بان « اي رد فعل اقل من رد فعل ترومان تجاه ماك آرثر لما تصرف هذا بشكل مشابه لتصرف الضابط الاسرائيلي الكبير) هي سابقة خطرة على مستقبل الحياة الديمقراطية في الدولة » . وقد هز مقال شاحام وزير الدفاع موشيه دايان الذي طلب عقد جلسة عاجلة لمكتب

حزب العمل لمناقشة المقال . وقد عقدت الجلسة في ٧٢/٤/٢٧ وتعرض فيها رئيس تحرير « اوت » لحملة عنيفة من قبل دايان الذي اتهم شاحام بانه غير مطلع على الحقائق ، وانه يشن حملة تحريض سامة ضد ضابط كبير في الجيش ، كما اتهم ضمنا عددا من اعضاء المكتب السياسي بالتضامن مع شاحام وانضمت غولدا مئير لدايان في الهجوم على مجلة « اوت » وانتهت الجلسة بقرار يقضي بتشكيل سكرتارية لتحرير المجلة تقرر مع رئيس التحرير شأن ما ينشر او لا ينشر في المجلة . وقد استنتج المراقبون السياسيون من غضبة دايان ودفاعه عن الضابط الكبير المجهول ، ومن لا معقولية ان يكون هذا الضابط تصرف في موضوع خطير كالموضوع المطروح على مسؤوليته الخاصة، ان الشخص الذي اعطى الاوامر بتنفيذ عملية مداخل رفح كان دايان نفسه ، وانه انما يتنصل من مسؤولية العملية حتى لا يواجه باتهامات من قبل وزراء في الحكومة او اوساط معينة في حزب العمل الذي ينتمي اليه بانه يضع ، ليس فقط العرب والعالم ، وانما ايضا الحكومة الاسرائيلية امام حقائق جاهزة .

ان النقاش حول قضية مداخل رفح لا يزال مستعرا في اسرائيل حتى لحظة كتابة هذه السطور ، ولكن ليس من الصعب التكهن بالنهاية التي سينتهي اليها . ان تنفيذ عملية مداخل رفح قد بدأ فعلا على ارض الواقع ووجدت الحكومة الاسرائيلية (اذا صح جهلها بالموضوع) والرأي العام نفسه مرة اخرى امام حقيقة جاهزة مفروضة . وقد تم تنفيذ العملية بشكل اجرامي لم تستطع معه سلطات الجيش الا ادانة المسؤولين عنه . وعندما عقدت الكنيست جلستها لمناقشة الموضوع كان محصلة الجلسة اعلان غاليلي بان الحكومة الاسرائيلية قد اتخذت قرارا بان غزة جزء لا يتجزأ من اسرائيل ولم تتجرأ على مناقشة اساسيات الموضوع المطروح . وامام حملة احتجاج بضعة كيبوتسات في النقب على الشوفينية الاسرائيلية تعرضت حركة الكيبوتسات التابعة للمابام وحزب المابام (الذي لا يقل في نهاية المطاف شوفينية وصهيونية عن بقية الاحزاب الصهيونية الاخرى) لحملة تشهير عنيفة واسعة النطاق نقلته من موقف الهجوم الى موقف الدفاع . وامام انتقاد رئيس تحرير « اوت » لمعالجة الحكومة للقضية تشكلت لجنة « قوميساريين » لفرض رقابة على كتابات المجلة . ان كل هذه التطورات تشير الى مدى ضآلة الفرصة امام صرخة الاحتجاج الضميرية (كما يحلو لاصحابها تسميتها) في أن تتطور لحملة سياسية فعالة ضد « الاسرائيلي القبيح » في مداخل رفح ، وتشير الى المصير الذي سينتهي اليه الصراع الدائر — خضوع الرأي العام لجنرالات الجيش في الوزارة وهيئة الاركان .

زيارة غولدا مئير الى رومانيا : ليس معروفا عن الاسرائيليين شغفهم الزائد بالثرثرة والشائعات السياسية . انهم كذلك . ولقد تكلموا كثيرا وكتبوا كثيرا عن زيارة رئيسة حكومتهم غولدا مئير الى رومانيا تلبية لدعوة من رئيسها شاوشيسكو . وكلما ازدادت قراءة المراقب للصحافة الاسرائيلية عن دوافع هذه الزيارة المفاجئة وآفاقها ونتائجها كلما ازداد حذرا من الانجرار وراء اجتهادات الاسرائيليين وتقديراتهم . فلقد بلغ بهم النزق ، ربما ، حدا جعلهم ينقسمون الى معارضين ومؤيدين لتلبية الدعوة المدهشة الصادرة عن الرئيس الروماني . قال المعترضون ان رومانيا دائبة التمسك بمبدأ جلاء القوات الاسرائيلية من المناطق التي تم احتلالها في حرب الايام الستة . وعلى ذلك ، فان « المناورة » السياسية التي تتضمنها زيارة غولدا مئير قد تنتهي بالاستياء في بوخارست ، وقد تنتهي بالتذمر في القدس .

ويضيف المعترضون على الزيارة سببا اخر للتردد . هو ما يسمونه بالتطور الذي طرأ على السياسة الرومانية منذ ثلاث سنوات . فان رومانيا — كما يقول الاسرائيليون — قد اخذت تبرز اهمية « القضية الفلسطينية » ، وضرورة اعطاء الشعب الفلسطيني امكانية تنظيم حياته وفقا لارادته .وذلك من أجل السلام العادل والمقيم . ولقد تمادت رومانيا — كما يرى الاسرائيليون — باستخدام صيغة « التضامن مع نضال الشعب الفلسطيني». ومن الطبيعي أن يكون هذا الموقف بعيدا عن الموقف الاسرائيلي . ومن الطبيعي ان يسجل ثغرة اخرى في تلاقي اسرائيل ورومانيا ، الامر الذي يزيل عن رومانيا صفة او دور الوسيط . فماذا كان الوسيط يتخذ هذين الموقفين البعيدين عن مواقف السياسة الاسرائيلية ، فماذا بوسعه أن يعمل من اجل تقريب الموقف المصري من الموقف الاسرائيلي الذي لا يشاركه فيه الموقف الروماني ذاته ؟!

هكذا تساءل بعض الاسرائيليين ، عشية زيارة غولدا مئير الى رومانيا . والجدير بالملاحظة والتسجيل هنا هو ان التساؤل الاسرائيلي المتشكك بجدوى الزيارة — المظاهرة لم يطرح منذ البداية ودفعة واحدة . لقد بلغ هذا الشكل من التردد بعد دورة تدريجية من ردود الفعل الاسرائيلية على دعوة شاوشيسكو الاحتفالية . فور وصول الدعوة اجمع الاسرائيليون على اغراق رومانيا بالمدائح ، وراحوا يسجلون الانتصارات الاسرائيلية المتلاحقة التي يتضمنها مجرد ارسال الدعوة . ثم اكتشفوا فجأة، او تذكروا فجأة ، الهوة القائمة بين مواقف البلدين .

ولكن ، ماذا يقول المدافعون عن تلبية الدعوة ؟ يعتقد المعلق السياسي المعروف في صحيفة « يديعوت احرونوت » اريئيل غينائي ان « مبادرة رومانيا فوز كبير لاسرائيل ولرومانيا ، ولكل الدول الصغيرة . لقد اعتقد الجميع ان الجمود سيعتري كل شيء ، حتى مؤتمر الذروة بين بريجينيف وبين نيكسون ، الا ان رومانيا برهنت على ان الامور تسير على غير ذلك . وعلى اي حال ، فمن السابق لاوانه تقرير ما اذا كانت الزيارة ستشكل وسيلة لدفع السلام الى امام » .

ويلح المعلق الاسرائيلي المذكور على الاعتقاد بأن كلا من القاهرة وموسكو تؤيد المبادرة الرومانية « فالسادات يقبل وساطة رومانيا ، لانه لا يمكن اتهامها ، مثل الولايات المتحدة ، بانها تؤيد اسرائيل . ما هي الغرابة ، حقا ، في أن يحاول الرئيس السادات جس مواقف اسرائيل ونواياها بواسطة القادة الرومانيين ؟!. ويمكن الاعتقاد ايضا بأن الروس ايضا معنيون بأن تلعب رومانيا دورا نشيطا في البحث عن تسوية في الشرق الاوسط . فالمحادثات التي ستجري في بخارست، وستنقل التقارير عنها بموافقة اسرائيل الى السوفييت ، ستمكن موسكو من الحصول على معلومات افضل عن نوايا الحكومة الاسرائيلية . واثناء طرح مشكلة الشرق الاوسط في مؤتمر الذروة لا يحتاج بريجينيف الى الاعتماد فقط على الرئيس نيكسون مصدرا لمعرفة تفكير القادة الاسرائيليين ». وتربط صحيفة « معريف » بين زيارة تشاوشيسكو للقاهرة ومباحثاته مع الرئيس السادات وبين دعوة غولدا مئير الى بخارست . وتستذكر الصحيفة « دور رومانيا في الوساطة بين بكين وواشنطن ».

وتخلص الصحيفة الى القول انه « على الرغم من الفارق الكبير في المواقف بين رومانيا واسرائيل، فان رومانيا تنوي القيام بدور جسر يصل بين القدس والقاهرة للتغلب على الجمود القائم في المنطقة ، وربما سيتاح لغولدا مئير ان تسمع بماذا تفكر موسكو وماذا تريد . وفي هذا المجال ستقوم بخارست بدور الوساطة » .

حديث كثير عن مبادرة رومانية ، لم تعلن عنه رومانيا رسميا ، ولكن المراقبين استشفوه من تحركاتها . وقد نفته القاهرة ، ولم يتطرق اليه البيان الروماني — الاسرائيلي المشترك . وكانت صحيفة « يديعوت احرونوت » قد نشرت في ٢١/٤ عن زيارة نائب وزير خارجية رومانيا انه « يفهم من الحديث مع مكوبسكو ان الرئيس الروماني يميل الى الاعتقاد بأن ثمة امكانيات لمبادرة رومانية للتقدم نحو اتفاق بين الدول في المنطقة » . وكتبت الصحيفة ان نائب وزير الخارجية الرومانية الذي حمل الدعوة الى غولدا مئير لزيارة رومانيا « قد طمأن غولدا مئير وابا ايبن الى ان المقابلة بين الرئيس الروماني تشاوشيسكو وبين ياسر عرفات قد جرت لخدمة مصلحة القضية » . وعندما طلب من نائب الوزير ان يشرح فكرته ، اكتفى بالقول : « من الافضل الاعتماد على حسابات الرئيس الروماني » . ودعا نائب الوزير الروماني الاسرائيليين الى التخفيف من الاهمية التي يعلقونها على لقاء تشاوشيسكو وعرفات ، والى التخفيف من اهمية استخدام مصطلح « نضال الشعب الفلسطيني » .

ولقد وصف مصدر اسرائيلي زيارة غولدا مئير الى رومانيا بانها « ايجابية ، ومباركة ، وخطرة .. ايجابية ، بسبب تحرك متوقع من الجمود القائم في المنطقة . مباركة — لانها اول زيارة لرئيس حكومة اسرائيلي الى دولة شيوعية . وخطرة — لان رومانيا قد تقدم مقترحات ترفضها اسرائيل ، الامر الذي لا يخدم مصلحة اسرائيل عشية مؤتمر الذروة في موسكو » .

والسؤال ، الآن ، هو : هل صدقت تكهنات الاسرائيليين ، حول دور الوساطة ، او « تقديم الخدمة » الذي قيل ان رومانيا تسعى اليه في المنطقة ؟ لقد انتهت زيارة السيدة الاسرائيلية لدى السيد الروماني ، وحقق الغزل السياسي الروماني — الاسرائيلي عناقا آخر ، امتنعت

السيدة الاسرائيلية عن الادلاء بتفاصيله عند عودتها الى مطار اللد ، وصرحت بأن « رومانيا لا تنوي أن تلعب دور الوسيط بين البلدان العربية واسرائيل، ولم تكن لديها هذه النية في يوم من الايام » . فهل كانت هذه الزيارة لاول دولة شيوعيــة بحثا عــن وسيلة لامكانية الدخول الى بلدان شيوعية أخرى ؟ أو توسيعا للثغرة الرومانية في الجدار الشيوعــي امام اسرائيل ؟

تقول غولدا مئير : « ان زيارتي لرومانيا كانــت زيارة لبلد صديق لاسرائيل ، لا لبلد عضو في كتلة معينة » . ثم لهجت بالثناء العظيم على رومانيا ، وأفرطت في التعابير العاطفية عن مدى سعادتهــا وفرحها بالزيارة . وأكد البيان المشتــرك المودة العالية التي سادت جو محادثات غولده ـــ تشاو شيسكو . وبالنسبة الى الشرق الاوسط « اتفق الجانبان على مواصلة الجهود مــن أجل ايجــاد تسوية سلمية للنزاع » .

ويلاحظ المراقب السياسي ان رومانيا لم تعلن ، في البيان المشترك ، تمسكها المعروف بقرار مجلس الامن ، كما أعلن تشاو شيسكو ذلك في زياراتــه لبعض الدول العربية . ولم تعلن تصورها لوسائل تحقيق ما سماه البيــان المشتــرك « بالتسويــة السلمية » ولا المبادىء والشروط التي تقوم عليها هذه التسوية ... مما يمنح الفــرح الاسرائيلي بنتائج الزيارة شرعية معقولة .

ان زيارة غولده مئير لرومانيا ، في جو احتفــالي وفي مظاهرة اعجاب متبادل بين اسرائيل ورومانيا ، هي تتويج لتطور صداقة بين البلدين أخذت شكــلا ساطعا في اعقاب حرب حزيران ١٩٦٧ ، عنــدما قطعت كل الدول الاشتراكية علاقاتها الدبلوماسيــة باسرائيل باستثناء رومانيا التي لم تكتف بذلك بــل رفعت مستوى التمثيل الدبلوماسي مع اسرائيل الى درجة السفراء . وعمقــت علاقاتها الاقتصاديــة والثقافية معها . وفي الوقت ذاته ، استطاعــت رومانيا أن تحسن عــلاقاتها الاقتصادية ، التــي اصابها بعض السوء في اعقاب حرب حزيران ، مع بعض الدول العربية .

ينشأ عن ذلك فهم آخر لطبيعة التحرك الرومــاني الاخير ، فقد يكون حرص رومانيا على اقامة توازن في علاقاتها مع الدول العربية واسرائيل ، وخاصة على الصعيد الاقتصادي هو الحافز الاكثر اهمية لدعوة غولده مئير لزيارة رومانيا بعدما قام الرئيس الروماني بزيارة بعض الدول العربية . هذا ، اذا استبعدنا صحة الانباء القائلة بأن رومانيا تطمح الى دور الوسيط .

يضاف الى ذلك ، او يسبق ذلــك الحاح رومانيا على التظاهر بالاستقــــلال عن مجموعة الكتلــة الشرقية ، سواء كان ذلك في علاقاتها مع الولايات المتحدة الامريكية او اسرائيل . ومن الواضح ان اسرائيل ترحب دائما بهذا « الاستقلال » الروماني الذي يتيــح لها فرصــــة « اختراق » الجبهــة الاشتراكية . وعلى هــذا الاساس ، فان زيــارة غولده مئير ، مهما كانت نتائجها العملية ، تعتبر انتصارا معنويا وسياسيا لاسرائيل يقدمه لها الموقف الروماني الحريص على الحياد بين المعتدي والمعتدى عليه ، والحريص في كل مناسبة على التظاهــــر بالاستقلال والتوازن ، والحريص قبل كل شيء على مصالحه الاقتصادية التي يقدمها على المبادىء . ان الصداقة الرومانية ـــ الاسرائيليــة ملفتة للنظــر وتستدعي الحذر . هذا وقد ذكرت صحيفة الجارديان ان المحادثات تناولت ايضا مسألتــي هجرة يهود رومانيا الى اسرائيل واستيراد النفــط الاسرائيلي الذي يجري في انبوب ايلات ـــ عسقلان .

الخطة الاسرائيلية عسكرية ـ لا انسانية

كيف وضع موشه ديان خطة الاستيلاء على الطائرة البلجيكية المخطوفة في مطار اللد ؟ ما هي العناصر التي اعتمد عليها وزير الحربية الاسرائيلية لتنفيذ خطته ؟ لقد قيل كلام كثير عن تفاصيــل العمليــة البطولية التي قام بهــا فدائيو « منظمة ايلــول الاسود » ، وقيل كلام كثير عن العملية المضادة التي قامــت بها السلطات الاسرائيليــة ، وقيلت تصورات كثيرة عن دور الصليب الاحمر في العملية. ولكن ، ما قيل شيء عــن تصور الاسرائيليــين لنفسية الفدائيين . ويعتقد الاسرائيليون ان فهمهم لنفسية العــرب كان المؤشر الاكثر جوهرية نحــو نسبة نجاح مغامرتهم للاستيلاء على الطائرة المهددة بالتفجير .

ليس مهمــا ، الان ، منــاقشة هــذا التصور الاسرائيلي . ان ما يهمنا ، بالدرجة الاولى ، هو فهم هذا التصور . كان رأي موشه ديان ، منــذ البداية ، أنه من الضروري شن حرب اعصــاب طويلة الامد ، والاستعداد لممارسة لعبة القــط والفأر ، بهــدف استنزاف اعصــاب الفدائيــين وطاقتهم على الحسم ، ودفعهم الى حالة التردد .

وكانت اسرائيل ، من الناحية الاخرى ، قد حسمت موقفها من عدة نقاط : انها لن تستجيب لمطالب الفدائيين باي شكل من الاشكال . ولن تسمح للطائرة بالاقلاع في حالة يأس الفدائيين من نجاح عمليتهم . وانها ستبذل كل جهدها ، وباي ثمن ، من أجل القاء القبض عليهم . اي — الاستيلاء على الطائرة ، بالقوة ، وعلى الفدائيين الاربعة — كان هو الهدف الذي يحرك كل تصرفات الاسرائيليين . وقد كتبت صحيفة « معريف » في عددها الصادر في العاشر من أيار الماضي « ان هدف العملية الاسرائيلية لم يكن انسانيا فقط (انقاذ ركاب الطائرة) وانما كان الهدف الجوهري هدفا عسكريا وسياسيا بالدرجة الاولى : بتر ذراع الارهاب على ارض اسرائيل ، والبرهنة على ان خطف الطائرات ، المسافرة الى اسرائيل ، هو عملية خطرة لا تتم . »

ومن الواضح لاي مراقب ان اسرائيل خاضت حرب الطائرة بدمج الحرب النفسية مع الحرب القتالية. وتقول الصحف الاسرائيلية ان الخط الذي حدد وجهة تفكير موشه ديان هو افتراضه ان الفدائيين، على الرغم من تهديدهم بنسف الطائرة ، فانهم ليسوا على استعداد للتضحية بارواحهم في سبيل ذلك . من هذا التصور الاسرائيلي لمدى قدرة العربي على التضحية والفداء ، بدأ كل شيء .. كانت الفكرة لديان ، والتشاور كان باشتراك اقطاب العسكرية الاسرائيلية . كل هؤلاء جلسوا في برج مراقبة المطار للاشتراك في العملية : موشه ديان ، شمعون بيرس ، دافيد اليعازر ، يسرائيل طل ، زئيفي ، مردخاي هود ، أريك شرون ، أهرون يريف وغيرهم من كبار الضباط وافراد الفرقة التي اختيرت لتنفيذ العملية .

اتصل ديان برئيسة الوزراء غولدا مئير وابلغها فكرته بالقيام بالاستيلاء على الطائرة . طلبت مهلة . ركب وزير المواصلات شمعون بيرس طائرة خاصةمن مطار اللد متجها الى القدس لاطلاع الحكومة على ما تم اعداده في برج المراقبة . وحصل على اذن من الحكومة لمباشرة تنفيذ العملية . وقد جرت كل هذه الترتيبات بسرية تامة خوفا من ضغوط دول اجنبية كما تقول صحيفة « معريف » .

وتدعي الصحف الاسرائيلية ان المحادثات المتقطعة مع الفدائيين ، بواسطة ممثلي الصليب الاحمر ، دلت على تردد الفدائيين ، وقد تم جس نبضهم ومدى حزمهم بواسطة المقترحات والمقترحات المضادة . كان ديان يزيد من الضغط احيانا ، وفجأة كان يكيل لهم الوعود . وفي احدى المراحل، اقترح عليهم ان يستدعوا طائرات من القاهرة لنقل الاسرى الفلسطينيين . وفي مرحلة اخرى ، قيل للفدائيين ان اسرائيل مستعدة للاستجابة لمطالبهم ولاطلاق سراح كل الاسرى المطلوبين في الطائرة نفسها التي يسيطر عليها الفدائيون الاربعة . ومنذ تلك اللحظة انصب كل اهتمامهم على اعداد الطائرة للاقلاع ، نطلبوا ميكانيكيين لاصلاح الطائرة « ولم يشترطوا قيودا على عملية اصلاح الطائرة » . وقالت صحيفة « معريف » : « ان استعداد المختطفين لتمكين الميكانيكيين من العمل قد قرر مصيرهم ، وعين ساعة الصفر ! ».

أ. خ. و م. د.

(ه) المناطق المحتلة

اتصفت الفترة الاخيرة التي مرت بها المناطق المحتلة بكثافة وتصعيد المشاريع والاجراءات من قبل السلطتين الاردنية والاسرائيلية ، المتمثلة في مشروع الملك حسين ، الذي يعتبر بمثابة الحلقة الاخيرة — اذا ما تم — في سلسلة التعاون بين السلطتين الاسرائيلية والهاشمية لتصفية القضية الفلسطينية، واجراءات سلطات الاحتلال في فرض الانتخابات البلدية على مرحلتين في الضفة الغربية بغرض تكريس الاحتلال وديمومته ، واستمرار سلطات الاحتلال في تنشيط حركة الاستيطان في كافة المناطق العربية المحتلة ، والقيام باعمال كولونيالية في الاراضي المصرية المحتلة عند مشارف رفح — خرجت عن اطار الاستيطان المعهود في المناطق المحتلة — مشفوعة باجراءات همجية (مثل تدمير ابار المياه ، واتلاف المزروعات ، وهدم المباني السكنية) ، والاقدام على خلق سابقة جديدة في المناطق المحتلة، تتمثل في تشكيل وحدة عسكرية من ابناء سيناء تابعة للجيش الاسرائيلي ، واتباع خطوات جديدة في قطاع غزة ، اهتداء بالخطوات التي اتبعت في الماضي في الضفة الغربية ، مثل فتح الحدود بين القطاع واسرائيل امام كل من يرغب في ذلك ، مع الادلاء بتصريحات بين الفينة والاخرى بان اسرائيل لن تنسحب من هذه المنطقة او تلك ، حتى ولو مقابل اتفاقية سلام . كل ذلك ، ابتداء من مشروع الملك ، ومرورا بمهزلة الانتخابات في الضفة ، وانتهاء بالخطط الاستيطانية الكولونيالية الخطيرة ، المشفوعة باصرار اسرائيلي بعدم الانسحاب كان له الاثر الكبير على نفسية المواطن العربي في المناطق المحتلة ، خاصة وانها تحدث مع مرور حوالي خمسة اعوام على الاحتلال ، وفي ظل مرحلة الانحسار الخطيرة التي تمر بها المقاومة الفلسطينية ، والتي نجمت عن مجزرتي عمان والاحراش ، وتعززت بفضل بعض القيود المفروضة على المقاومة في هذا القطر او ذاك ، وفي ظل وهن حركة التحرر العربي ، ووعود بعض الانظمة بالتحرير في هذا العام او ذاك ، دون ان يكون هناك تحرير او محاولة تحرير . الامر الذي يتطلب من المقاومة — تمشيا مع الظروف الموضوعية الراهنة — الرجوع خطوتين للوراء ، والانطلاق من نقطة العمل السري التام المشفوع بالعنف الثوري ضد كافة الاعداء ، من اجل تثوير المنطقة واعادة الثقة للانسان العربي الذي يرزح تحت نير الاحتلال.

حركة الاستيطان : اخذت السلطات الاسرائيلية ، تنشط في مجال الاستيطان في كافة المناطق المحتلة. ففي هضبة الجولان تجري الاستعدادات الآن لاقامة مستوطنة جديدة تحمل اسم « ارجوف » على بعد خمسة كيلومترات في الشمال الغربي لمستوطنة « ناحال هجولان » ، كما واحتفلت سلطات الاحتلال بتدشين موشاف يحمل اسم « نؤوت هجولان » في نقطة دائمة في المركز الاستيطاني « بني يهودا » في جنوب الهضبة ، وفي نفس الوقت انهمكت السلطات المسؤولة عن الاستيطان في الهضبة بدعم المستوطنات القائمة في المجالات المالية والزراعية والصناعية فقد خصصت الوكالة اليهودية مبلغ ١٥،٥ مليون ليرة اسرائيلية لتمهيد الاراضي الزراعية وشق طرق جديدة بين المستوطنات . وكانت الوكالة اليهودية قد خصصت حتى نهاية عام ١٩٧١ ، بغرض تمهيد ١٧ الف دونم في الجولان مبلغ ٨،٢٥ مليون ليرة . كما وبلغت تكاليف تعبيد الطرق المدنية والامنية مبلغ ١٠ ملايين ليرة . ومن الجدير بالذكر ان الميزانية التي خصصتها وزارة الاسكان لاقامة المستوطنات في الهضبة بلغت منذ عام ١٩٧٠ وحتى نهاية اذار ١٩٧٢ ، ٧٤ مليون ليرة . ومن المقرر ان تصل نفقات المباني في عام ١٩٧٢/٧٣ حوالي ٢٧ مليون ليرة . وعلى صعيد الخدمات تقوم سلطات الاحتلال بربط الكيبوتسات الثلاثة الواقعة في شمال الهضبة (ماروم هجولان ، عين زيوان ، الروم) بشبكة تدفئة مركزية ، اما على صعيد التصنيع فقد اخذت مستوطنات الهضبة تشهد براعم صناعة جديدة من اهمها معامل الصناعة الجوية المقامة في المركز الاستيطاني « بني يهودا » في جنوب الهضبة ، والتي تم فيها استثمار حوالي ٤،٥ مليون ليرة . ومن المتوقع ان تبدأ هذه المعامل بالانتاج في شهري اب وايلول من هذا العام . ومن الجدير بالذكر انه قد تم في « بني يهودا » تشييد ٤٠ وحدة سكنية ستستقبل عائلات العاملين في المصنع . اما المصانع الاخرى فهي مصنع الالكترونيكا في « مفوحمه » ومصنع لاجهزة اطفاء الحرائق في كيبوتس « شنير » ومصنع للطوب في « ماروم هجولان » ومصنع للاحذية المصنوعة من

البلاستيك في « عين زيوان » . وقد استثمر في هذه المصانع مبلغ يصل الى ٤ ملايين ليرة . وازاء هذا النشاط هنالك نشاط من نوع اخر ، يتمثل في تصريحات المسؤولين الاسرائيليين حول اصرار اسرائيل على البقاء الى الابد في الهضبة . فقد قال وزير السياحة « موشيه كول » اثناء الاحتفال بتدشين مستوطنة « نؤوت هجولان » « انه لا امل بان توافق اية هيئة في اسرائيل على التنازل عن الجولان العبري المأهول بالسكان اليوم » وانهى حديثه بغطرسة : « اننا على استعداد لنحافظ على حسن الجوار مع السوريين ، بيد اننا لسنا على استعداد انِنعيد لهم الجولان،لان الجولان هو الذي عاد الينا». اما وزير الاسكان زئيف شيرف فقد قال بصفاقة في نفس المناسبة : « اذا كانت الهضبة لم تضم بعد الى اسرائيل ، بشكل قانوني ، الا انها ستبقى على مدى الاجيال جزءا من دولة اسرائيل » .

وفي غور الاردن ، حيث اقيمت فيه حتى الان تسع مستوطنات ، تستعد سلطات الاحتلال لتقيم في منطقة فصايل الواقعة الى الجنوب منجسر داميا مستوطنتين او ثلاث مستوطنات (موشاف) . ومستوطنتين اخريين (كيبوتس) في بقعة من الارض تبلغ مساحتها ١٤ ألف دونم ، تم الاستيلاء عليها بحجة انها « اراضي دولة » . وقد تشكلت النواة الاولى من المستوطنين وسكنت في مبان مؤقتة وتقوم بالاعمال الزراعية .

ومن الجدير بالذكر ان اعمال الاستيطان في غور الاردن قد رافقتها اعمال سلب ونهب وهدم للمنازل ونسف للابار . فبالاضافة الى الاستيلاء على «أراضي الدولة» في الاغوار قامت سلطات الاحتلال بالاستيلاء على حوالي ٣٠ الف دونم في الاغوار تعود ملكيتها الى مزارعين من سكان نابلس ، وألحقت ذلك بهدم حوالي ١٥٠٠ منزل، واستكملت العملية بتدمير ١٢٠ بئرا دون ان تدفع تعويضات للمزارعين العرب ، الذين اخذوا في الاونة الاخيرة يطالبون وزير الدفاع موشيه ديان والحاكم العسكري لمدينة نابلس المقدم « اليعيزر سيجف » بالتعويض عن ممتلكاتهم ، الا ان مطالبهم ذهبت ادراج الرياح « لقد قدمنا طلبات تعويض ، تصل قيمتها ملايين الليرات ، ولكن خلال بحث الطلب سن قانون لا يحق بموجبه للمواطن في الضفة تقديم دعوى ضد جهاز الحكم العسكري ، لان هذه الاراضي تعتبر منطقة حدود » (معاريف ٧٢/٥/٢).

وفي صحراء سيناء ، وخاصة في المنطقة الشمالية منها ، تقوم سلطات الاحتلال بالاعداد لاقامة مشروع مدينة على شاطىء البحر بين العريش ورفح ، وقد تكونت نواة اولى من مهاجري يهود الاتحاد السوفييتي لاستيطان المدينة المقترحة ، وعقد افرادها اجتماعا في مستوطنة « دكلاه » في سيناء لدراسة امكانية خلق « الاساس للمدينة ». الا ان المصادر الاسرائيلية ذكرت ان السلطات الاسرائيلية قد عدلت عن هذه الفكرة . وتتجه النية في الوقت الحاضر لدفع مئة العائلة من المستوطنين الى العريش ، حيث ستقام هناك ضاحية يهودية على غرار الضاحية اليهودية في الخليل .

استيطان كولونيالي في مشارف رفح : في اعقاب حملة التصفية والهدم والتشريد التي قامت بها سلطات الاحتلال الاسرائيلي في أواخر شهر تموز من العام الماضي ، والتي تم فيها هدم حوالي الفي منزل في مخيمات القطاع ، وتشريد حوالي ١٥ ألف عربي ، اخذت سلطات الاحتلال تفكر جديا في ضم القطاع وابقائه الى الابد تحت السيطرة الاسرائيلية . ومن اجل ذلك شرعت بالاستيلاء على «أراضي الدولة» واخذت تستعد لاقامة المستوطنات الاسرائيلية عليها ، اسوة بالمناطق العربية المحتلة الاخرى . وبدات بتسييج اراضي الدولة وطرد الفلاحين العرب منها مثل مناطق كفار داروم وابو مدين وسوميري وام كلاب داخل القطاع . ومن اجل دفع فكرة ضم القطاع الى الامام واخراجها الى حيز التنفيذ ، أقدمت سلطات الاحتلال على الاستيلاء على اراضي مصرية جنوبي رفح وتفريغها من سكانها العرب بأقصى سرعة ، وهدم المنازل ونسف الابار وخلع الاشجار واتلاف المزروعات ، واحاطة المنطقة بسياج مع تحذير السكان العرب الاصليين بعدم اجتياز السياج والا تعرضوا لاقصى العقوبات .

تقسم المنطقة المسيجة الى قسمين ، جنوبي وشمالي . وتبلغ مساحة المنطقة الجنوبية حوالي عشرين الف دونم ، اما المنطقة الشمالية فتصل مساحتها الى ٤٠ ألف دونم كما ذكرت المصادر الرسمية ، الا ان بعض المصادر الاسرائيلية المعارضة للاعمال الاستيطانية في مشارف رفح (كيبوتسات مبام المحاذية لرفح) تذكر ان الاراضي التي تم تسييجها تصل الى ١٤٠ الف دونم . ويبدو

ان هذا الرقم اقرب الى الحقيقة ، خاصة اذا علمنا ان قائد المنطقة الجنوبية الزعيم اريك شارون (من حزب حيروت) اشرف على عملية التسييج بنفسه ، وكان بين الفينة والاخرى يأمر القائمين على عملية التسييج بقوله : « ضم هذه الهضبة ، والحقها بالخريطة التي استلمتها » .

وقد نجم عن ذلك ان تم تشريد كافة السكان الاصليين العرب من هذه المنطقة ، والذين يزيد عددهم حسب المصادر الاسرائيلية على ٦ آلاف نسمة . مما دفع بعض مشايخ القبائل الى عقد اجتماع لدراسة الموضوع وتقديم احتجاج الى احد موظفي الصليب الاحمر الدولي الذي نقل بدوره الاحتجاج الى اوساط اسرائيلية معارضة للاستيطان في رفح ، وبذلك انكشفت مخططات سلطات الاحتلال التي حاولت التستر عليها ، وتفجرت القضية عندما وقفت التنظيمات السياسية اليسارية في اسرائيل ضد الاعمال اللاانسانية التي ارتكبت اثناء عملية التسييج وضد العملية بحد ذاتها ، الامر الذي دفع الحكومة الاسرائيلية الى اجراء « تحقيق » لمعرفة ما اذا حدث هنالك « تجاوز » للقانون ، بقصد امتصاص نقمة الهيئات اليسارية الاسرائيلية. وبالفعل تشكلت « لجنة تحقيق » بأمر من قبل رئيس هيئة الاركان ، وبعد مدة خلصت الى انه وقعت هنالك « تجاوزات » مثل « هدم عشرات البيوت وتدمير الابار والحاق الضرر بالمزروعات » وقد قدم ثلاثة اشخاص — ضابطان كبيران ومدني — لمحاكمة تأديبية ، الا ان ذلك لم يخفف من اتساع النقمة ، فقد بادر اعضاء كيبوتسات مبام (الواقعة على امتداد الشريط مع القطاع) الى عقد مؤتمر في اوائل شهر آذار في مستوطنة « نيرعوز » ، شجب فيه المؤتمرون « سلب اراضي السكان المحليين واقتلاعهم منها » كما وعارضوا اقامة المستوطنات الدائمة في قطاع غزه وشمال سيناء ، الامر الذي أحدث فجوة بين حزب مبام المشترك في حكومة الائتلاف وبين بقية الاحزاب المشتركة في الحكومة . بعد مؤتمر « نيرعوز » اخذت المنظمات اليسارية في اسرائيل تعزز من حملتها على « الاعمال الكولونيالية » وتشبيهها بشكل ضمني بالاعمال النازية ، واستجابت هذه المنظمات الى دعوة تقدمها ٣٠ شخصا من رجال الفكر لعقد اجتماع احتجاج في ٧٢/٤/١ في مستوطنة « كيرم شالوم » الواقعة بالقرب من « سياج السلب والنهب » كما جاء على لسان احد قادة شبيبة المبام ، واشترك في الاجتماع مندوبون عن حزب مبام واليسار الاسرائيلي الجديد ومتسبين والحركة من اجل السلام والامن وهعولام هزيه ورابطة حقوق الانسان والمواطن في اسرائيل . وكان ابرز المتحدثين في الاجتماع الكاتب الاسرائيلي « عاموس كينان » الذي قال : « لقد جئنا للاحتجاج ضد السياسة الكولونيالية ، لاننا ندخل عصرا حديثا لاسرائيل الكولونيالية . ان الاستيطان لا يبعد السلام فقط بل يجعله أمرا مستحيلا . لقد قامت اسرائيل جديدة ، قبيحة ، تتشكل من الخليط الديني والعسكري والبرجوازي » (معاريف ٢/٤/ ٧٢) واضاف كينان ان الاعمال الكولونيالية في القطاع وغور الاردن تؤدي الى الحرب « وينبغي علينا ان نعلن الان بأننا لن نقاتل في هذه الحرب ».

ومع ذلك فقد استمرت اسرائيل « الجديدة القبيحة التي تتشكل من خليط ديني وعسكري وبرجوازي » في سياستها الاستيطانية عند مداخل رفح وفقا لمخططها الرامي الى اقامة ٨ — ٩ مستوطنات جديدة بالاضافة الى المستوطنات القائمة عند مشارف رفح ، من اجل احاطة القطاع — تمهيدا لابتلاعه وهضمه — بالمستوطنات الاسرائيلية ، اهتداء بالتجارب الاستيطانية السابقة منها والحاضرة. ففي منطقة الجليل العربيةرأت السلطات الاسرائيلية ان خير طريقة لتهويده ، احاطته اولا بحاجز من المستوطنات اليهودية على امتداد الحدود مع لبنان ، ومن ثم البدء في اقامة مستوطنات في الداخل ، وكذلك الامر بالنسبة للضفة الغربية التي أصبحت الان محاطة من كافة الجهات بحلقة من المستوطنات الاسرائيلية .

وقد رافقت الاجراءات الاستيطانية تصريحات من قبل المسؤولين الاسرائيليين بأن قطاع غزة سيبقى جزءا من دولة اسرائيل منها تصريح الوزير يسرائيل جليلي في الكنيست : « لقد حددت الحكومة أكثر من مرة موقفها من ان قطاع غزة لن ينفصل بعد الان عن دولة اسرائيل . . . وبالنسبة لموقف اسرائيل ليس هناك اية علامة سؤال فيما يتعلق بمستقبل غزة ومشارف رفح » (دافار ٢٨/ ٧٢/٣) . وفي هذا الجو تحرك رئيس بلدية غزة رشاد الشوا وطالب الامم المتحدة بادارة القطاع « اننا نرفض رفضا قاطعا تصريحات الوزير يسرائيل جليلي التي تدعو الى عدم فصل القطاع عن اسرائيل . اننا نشعر من خلال هذه التصريحات

التي تصدر بين الفينة والاخرى بأن كياننا في خطر ، ولم يبق أمامنا بديل ، الا دعوة الامم المتحدة لحمايتنا ، لتأخذ على عاتقها ادارة وطننا المحتل ، الى ان يحين وقت تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، مع ضمان حق تقرير المصير » (معاريف ٧٢/٤/٢١) . وقد أثار تحرك الشوا غضب الصحافة الاسرائيلية التي اخذت تعيد الى الاذهان « تعاون » الشوا مع الفدائيين المتمثل في حادث انتحار زياد الحسيني . الا انها اعترفت بأنه لا يوجد بديل في الوقت الحاضر لرئيس البلدية الحالي. وفي غضون ذلك تحرك وزير الدفاع موشيه ديان وأدلى بتصريح قال فيه « ان حكومة اسرائيل تعتبر نفسها الحكومة الوحيدة في قطاع غزة ، ووفقا لذلك ينبغي عليها ان توفر الخدمات وتحافظ على الامن وتعامل السكان كمواطنين ، كما وينبغي عليها ان تعتني بالقطاع وكأنه جزء من دولة اسرائيل » (هآرتس ٧١/٤/٢٦) . وألحق ديان تصريحه هذا باقتراح خطير قدمه الى الحكومة يدعو الى فتح الحدود بين القطاع واسرائيل امام السكان بدون أذونات سابقة، وقد وافقت الحكومة على الاقتراح بأكثرية الاصوات (عارض وزيرا مبام الاقتراح) ، واصبح نافذ المفعول اعتبارا من مطلع شهر أيار، وبذا خطت اسرائيل خطوة هامة في سياسة الدمج الاقتصادي المؤدية الى الضم الرسمي.

ومن الجدير بالذكر ان المهتمين بشؤون القطاع ، يجمعون على ضرورة ضم القطاع الى اسرائيل، الا انهم يختلفون في توقيت الضم . فهناك فئة تعتقد بأنه اذا مرت « بضعة اعوام » اخرى دون التوصل الى سلام مع العرب فانه ينبغي على اسرائيل ان تعلن بشكل رسمي ضم القطاع ، ويدعو اصحاب هذا الرأي الى اتخاذ خطوات خلال الاعوام القريبة القادمة ، مثل دمج اقتصاد الضفة بالاقتصاد الاسرائيلي ، وتخفيف الكثافة السكانية بقدر المستطاع ، وتنشيط الاستيطان اليهودي ، وفي حالة الضم يدعو هؤلاء الى منح الجنسية الاسرائيلية للسكان ، وتحويل القطاع من وحدة ادارية واحدة الى وحدات ادارية تتبع الاقضية الجنوبية . اما الفئة الثانية فتعتقد انه من الافضل ابقاء القطاع في حالة احتلال وحتى لو استمر الوضع « عشرات السنين » الى ان يتم التوصل الى اتفاقية سلام من خلال نظرة بأن القطاع سينضم الى اسرائيل إثناء التوقيع على اتفاقية السلام .

تشكيل « وحدة عسكرية » من ابناء سيناء ضمن الجيش الاسرائيلي : في مقابل التوسع الاسرائيلي الاستيطاني في مشارف رفح والمنطقة الواقعة شمالي مدينة العريش اخذت السلطات الاسرائيلية « تتوسع » ايضا بين صفوف البدو من سكان شمالي سيناء . وكان من ثمار هذا التوسع الجديد ، تشكيل وحدة عسكرية من ابناء شمال سيناء تعمل ضمن الجيش الاسرائيلي ترتدي ملابسه العسكرية الرسمية ، وتتزود بأسلحته ، وتتقاضى رواتبها من مخصصات الجيش كسائر وحدات الجيش الاسرائيلي ، وتقوم بأعمال الدوريات العسكرية بأوامر من قادتها الاسرائيليين. وقد اتخذت اسرائيل هذه الخطوة في اعقاب تزايد نشاط المقاومة في المنطقة الشمالية من سيناء والتي بلغت ذروتها عند مصرع طبيبين اسرائيليين يعملان في الجيش الاسرائيلي في منطقة القسيمة . ومن الجدير بالذكر ان « الوحدة العسكرية » تقتصر حتى الان على ابناء قبيلة واحدة ولا تشمل ابناء القبائل الاخرى ، وهي قبيلة السراحين التي استطاعت سلطات الاحتلال من خلال علاقاتها الحسنة مع مشايخ القبيلة التأثير عليهم ودفع ابناء القبيلة الى الانخراط في سلك الخدمة العسكرية الاسرائيلية . ومن المتوقع على ضوء « التجربة الجريئة التي قامت بها قيادة المنطقة الجنوبية للجيش الاسرائيلي ، التي لا تتسم فقط بالاهتمام ، بل بالنجاح البالغ » تعميم الخدمة العسكرية على ابناء قبائل اخرى ، على امل كسب هؤلاء السكان العرب الى جانب سلطات الاحتلال، خاصة وان الخبراء العسكريين الاسرائيليين في شؤون سكان سيناء ينطلقون من النظرة القائلة بأن العامل القبلي يلعب دورا اساسيا في حياة الانسان البدوي « بينما لا يلعب العامل القومي دورا مركزيا في حياته » .

ومن الجدير بالذكر ان الجيش الاسرائيلي قد اخذ يشجع ابناء النقب في فلسطين المحتلة سابقا بعد حرب حزيران للانخراط في سلك الخدمة العسكرية، وفي هذه الفترة اتسعت دائرة التطوع في الجيش بين ابناء معظم تلك القبائل ، لدرجة ان هنالك ثمة هيئات رسمية في اسرائيل تعتقد بأنه من الممكن في المستقبل فرض الخدمة العسكرية على البدو الاسرائيليين ، وليس هنالك شك بأن سلطات الاحتلال قد استغلت واقع انخراط بعض البدو في النقب في سلك الخدمة العسكرية ، في دفعها بعض

أبناء سيناء للانضمام للجيش الاسرائيلي، الا ان هذه الظاهرة تعتبر حتى الان كسابقة خطيرة في المناطق العربية المحتلة ، وليس من المستبعد ان تعمم على مناطق عربية أخرى اذا لم تقم جمهورية مصر العربية بمعالجة هذا الموضوع الخطير ، باعتبار ان سكان سيناء مواطنون مصريون .

الانتخابات البلدية في الضفة الغربية : تمشيا مع سياسة تكريس الاحتلال واضفاء صفة الشرعية عليه ، اقدمت السلطات الاسرائيلية على فرض الانتخابات البلدية في الضفة الغربية على مرحلتين، الاولى في ٧٢/٣/٢٨ في المنطقة الشمالية من الضفة وفي مدينة أريحا ، والثانية في ٧٢/٥/٢ في المنطقة الجنوبية من الضفة . ومن المعروف ان هذه الانتخابات قد جرت تحت وطأة التهديد والوعيد من جانب سلطات الاحتلال ضد كل من لا يشترك بها ، فقد أخذت السلطات تشيع بين الاهلين بأن كل شخص من بين الذين يحق لهم الانتخاب سيحرم من الامتيازات المختلفة مثل التصاريح والزيارات ما بين الضفتين وغير ذلك ، اذا ما لم تحمل هويته توقيعا يقر بأنه قد اشترك في الانتخابات ، وبذلك خلقت حالة من الخوف لدى قسم كبير من المواطنين على مصالحهم الذاتية ، هذا فضلا عن تهديدها الرسمي بأن ضابطا اسرائيليا سيعين من قبل سلطات الاحتلال لادارة شؤون كل مدينة او بلدة تقاطع الانتخابات . وقد تصدت العناصر الوطنية في الضفة الغربية ممثلة في « منظمة المقاومة الشعبية » لمهزلة الانتخابات البلدية ، حيث نشطت في توزيع المناشير المناوئة لاجراء الانتخابات في كافة مدن وقرى الضفة كما نشطت في كتابة الشعارات على الحيطان في المدن . وبين التهديد الاسرائيلي ونشاط « منظمة المقاومة الشعبية » المدعومة من قبل الثورة الفلسطينية اخذت الزعامات التقليدية في الضفة وخاصة في مدينة نابلس تتأرجح تأرجحا حادا بين الاقدام على الانتخابات وبين الاحجام عنها ، فعندما فتح باب الترشيح في ٧٢/٣/١٣ تقدم ثلاثة اشخاص فقط لترشيح انفسهم وهم الحاج رحمي طوقان وطاهر رشيد المصري والشيخ احمد الحنبلي ، وفي اليوم التالي ارتفع عدد المرشحين الى ستة ، حيث تقدم كل من فوزي نادري وروحي شاهين وبرهان الشحروري بطلبات للترشيح ، وقبيل غلق باب الترشيح أقدم حمدي كنعان على رأس قائمة تضم عشرة اشخاص لترشيح نفسه ، وبذلك لم يوف بالعهد الذي قطعه على نفسه حين اطلق اول دعوة لاجراء الانتخابات، بأنه لن يرشح نفسه بها . وفي نفس الوقت رفض رئيس البلدية الحاج معزوز المصري ترشيح نفسه، وازدادت قوة الحركة الشعبية المطالبة بمقاطعة الانتخابات ، الامر الذي دفع سلطات الاحتلال الى تعزيز حملتها الارهابية ، حيث زادت من دورياتها المتنقلة في مدينة نابلس ، واتبعت هذا الاجراء باعتقال حكمت المصري من زعماء المدينة ، بعد تفتيش بيته وأودعته السجن « بسبب علاقته مع المنظمات المسلحة » ، ثم افرجت عنه عشية اجراء الانتخابات . وخلال ذلك تراجع حمدي كنعان عن ترشيح نفسه ، وتوالت انسحابات المرشحين في المدينة ، حيث لم يبق من مجموع عشرين مرشحا سوى ثمانية ، اي اقل من اعضاء المجلس الاثني عشر ، عند ذلك بدا ان نشاط القوى الوطنية المتمثلة في منظمة المقاومة الشعبية قد أعطى ثماره ، الا ان سلطات الاحتلال صعدت من جانبها تهديداتها المحمومة حين عينت الضابط « اهارون هيرش » لادارة شؤون بلدية نابلس في حالة فشل الانتخابات . وبالفعل قدم الضابط الاسرائيلي الى المدينة وتفقد شؤون البلدية ليكون على استعداد لادارتها . وبالاضافة الى ذلك توجه وزير الدفاع موشيه ديان بنفسه الى احد معسكرات الجيش الاسرائيلي في الضفة ، وأرسل طائرة هليكوبتر الى مدينة نابلس لتقل اليه الحاج معزوز المصري ، ودار حديث بينهما لم تفصح المصادر الاسرائيلية عنه . وفي هذا الجو عشية اجراء الانتخابات تقدم رئيس البلدية معزوز المصري مع شخصيات اخرى بطلبات ترشيح ، وبذلك انقلبت كفة الميزان لصالح سلطات الاحتلال .

جرت الانتخابات في اليوم المحدد لها في تسع مدن في الضفة ، ولم تجر في مدينة سلفيت التي فاز اعضاء المجلس بها بالتزكية . وقد كانت نسبة المقترعين في الانتخابات مرتفعة اذ بلغت ٨٤ ٪ . ومن الملاحظ ان الزعامة التقليدية في المدن والوجاهة التقليدية في القرى قد حافظت على مراكزها . وسنورد هنا نتائج الانتخابات كما أوردتها الصحف الاسرائيلية :

نابلس : اقترع ٤٨١٠ اشخاص اي ٧٣ ٪ من اصحاب حق الاقتراع، وفاز كل من معزوز المصري، وليد ستيتيه ، محمد العمد ، عادل الشكعه ، روحي شاهين ، حسن عبدالهادي ، حافظ طوقان،

الحاج فوزي القادري ، الشيخ احمد الحنبلي ، الدكتور جمال الخياط .

أريحا : اقترع ١١٥٧ شخصـا اي ٨٧ ٪ من اصحاب حق الاقتراع ، وفاز كل من شفيق بالي ، صالح عبدو ، عبد الطحان ، صالح يالو ، محمد عليان ، داوود صلاح ، خلف صبري ، محمدموسى برهم .

طولكرم : اقترع ٢٢٥٩ شخصا اي ٩٠ ٪ من اصحاب حق الاقتراع ، وفاز كل من حلمي حنون ، حسن الجلاد ، راسم كمال ، مصطفى الكرمي ، درويش بريج ، مالك الحاج ابراهيم ، فتحي الدلو ، عبدالكريم قادر ، عبدالكريم مرعب .

قلقيلية : اقترع ١٨٤٥ شخصا اي ٧٣ ٪ من أصحاب حق الاقتراع ، فاز رئيس البلدية الحالي حسين عبداله صبـري ، ولم تتوفـر اسمـاء الفائزين معه .

عنبتا : اقترع ٤٣٨ شخصا اي ٩٥ ٪ من اصحاب حق الاقتراع ، فاز كل من رفيق احمد حمد الله ، عبدالرحيم مصطفى جاد الله ، موسى الحاج قاسم كيدو ، عبدالكريم محمود عبدالحليم ، عبدالفتاح يوسف زايد ، حسين حسن شحاده ، عبدالعزيز مصطفى حنون .

جنين : اقترع ١٣٤٥ شخصا اي ٩١٠٥ ٪ من اصحاب حق الاقتراع . فاز كل من احمد كمال السعدي ، حسن السوقي ، ناصر نفاع ، غالب خلف ، احسان الطاهر ، عبدالغني سلام ، احمد جرار ، فتحي قاسم مفلح .

طوباس : اقترع ٨٢٣ شخصـا اي ٩٦ ٪ من اصحاب حق الاقتراع . فاز كل من المحامي هاشم سليمان الصالح ، احمد الحسن ، حسين الخضر ، فائق مساعيد ، حافظ الصالح ، خورشيد مبصلق ، جميل ضغيري ، سليمان الحاج حسين .

يعبد : ٦٣٤ شخصا اي ٩٧ ٪ من اصحاب حق الاقتراع ، فاز كل من مروح الانيس ، فتحي سعيد الظاهر ، مصطفى حسين يعمر ، توفيق يوسف ديب ، احمد خليل عطاري ، صبري توفيق ابو بكر ، مصطفى عبدالجبار ، طاهر ابو شملة .

عرابة : ٤١٤ شخصا اي ٨٩ ٪ من اصحاب حق الاقتراع ، فاز كل من عفيف الحسن ، محمد سعيد مرداوي ، فريد صالح فارس عطاري ، سعيد الجبر ، نافع كامل ، نايف عارضة ، حمد امين عبدالرحمن ، أديب لحلوح .

المرحلة الثانية من الانتخـابات : بعد ان نجحت سلطات الاحتلال في فرض الانتخابات في المنطقة الشمالية من الضفة الغربية ، اصبحت عملية استكمال المرحلة الثانية منها في المنطقة الجنوبية سهلة . ففي الثاني من أيار جرت الانتخابات في ١٢ مدينة وبلدة من اصل ١٣ ، وكانت نسبة المقترعين مرتفعة ، اذ بلغت ٨٧،٨ ٪ . ومن الجدير بالذكر ان مدينة الخليل كبرى مدن المنطقة الجنوبية لم تجر فيها الانتخابات مثل بلدة سلفيت في المنطقة الشمالية ، بسبب تقدم رئيس البلدية الشيخ محمد علي الجعبري بقائمة شملت اعضاء البلدية ، وعدم وجود قوائم اخـرى منافسة ، وبذلك فاز مجلس البلدية بالتزكية . والامر اللافت للنظر في انتخابات المرحلة الثانية فوز اربعة فقط من رؤساء البلديات وهم رؤساء بلديات البيرة ، بيتونيا ، سلواد ، دير دبوان . ومن الجدير بالذكر ان ابو عيطا الرئيس السابق لبلدية بيت ساحور ، والذي اشتهر خلال « مؤتمر بيت ساحور » الذي انعقد في آب ١٩٧١ ، هو الشخص الوحيد من بين رؤساء البلديات الذي لم يقدم على ترشيح نفسه .

النتائج : بيت لحم : احتل المكان الاول ابراهيم سليم ابو حمود ، وجاء بعده ايوب مسلم . اما رئيس البلدية السابق الياس بندك فقد وافته المنية قبل اجراء الانتخابات ببضعة ايام .

رام الله : احتل مكان الصدارة كريم خلف ، اما الرئيس الحالي للبلدية خليل موسى فقد احتل المرتبة الثانية .

بيت جالا : احتل المكانة الاولى فرح الاردج ، وحل رئيس البلدية جبرا خميس في المرتبة الخامسة .

بيت ساحور : احتل المرتبة الاولى عوض جبر هندي .

بيتونيا : احتفظ رئيس البلدية الحالي فخري موسى بالمرتبة الاولى .

بني زيد : لـم ينتخب رئيس البلديـة الحالـي « الريماوي » وتصدر المرتبة شخصية من عائلته .

بير زيت : تغلب جبـر يعقوب زيادة على رئيس البلدية الحالي توفيق قله ، الذي احتل المرتبة الثانية .

دورا : تغلب محمد ابو الخليل على رئيس البلدية الحالي سليم ابو ليل .

٤٠ م

Palestine Affairs

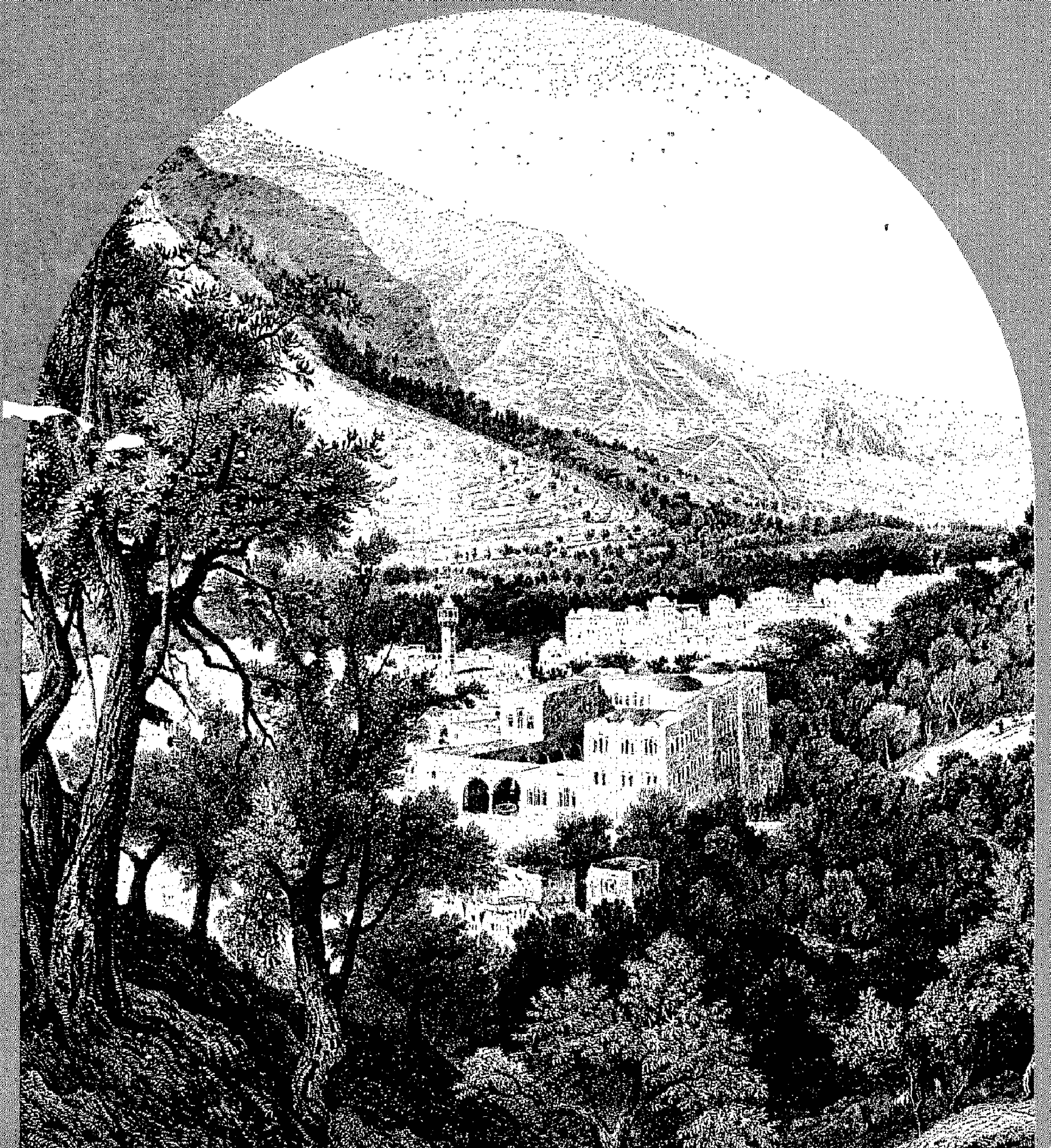
Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor,* Dr. Anis Sayegh; *Annual Subscription* (airmail): LL. 30 in Lebanon and the Arab World, LL. 50 ($ 16) in Asia, Africa and Europe; LL. 80 ($ 26) in the Americas and Australia; *Annual Subscription* (Surface mail): LL. 40 ($ 13) in countries outside the Arab World. *Address:* P. O. Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351260; Cables: MARABHATH.

السعر ٢½ ل.ل. في الوطن العربي أو ما يعادلها

شؤون فلسطينية

١١

تموز (يوليو) ١٩٧٢



شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ١١ — تموز (يوليو) ١٩٧٢

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر شهريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **متعهد التوزيع** : جبريل ديب .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت — لبنان ، ص. ب ١٦٩١ ، تلفون ٣٥١٢٦٠ ، برقيا مرابحاث ، بيروت .

ثمن العدد (بريد جوي) : ٢½ ل.ل. في لبنان وسائر الوطن العربي، ٤ ل.ل. في آسية وافريقية واوروبة ، ٦ ل.ل. في الاميركتين واوسترالية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان والوطن العربي، ٥٠ ل.ل. (١٦ دولارا اميركيا) في آسية وافريقية واوروبة، ٨٠ ل.ل. (٢٦ دولارا اميركيا) في الاميركتين واوسترالية . (بريد عادي) ٤٠ ل.ل. (١٣ دولارا اميركيا) في سائر الدول الاجنبية .

يعطى حسم ٥٠٪ (عدا البريد) على الاشتراكات للمقاتلين والعمال اذا جاءت الطلبات من خلال التنظيمات او النقابات او الاتحادات .

صورة الغلاف : نابلس ، القرن التاسع عشر

المحتويات

السنة صفر ، ع. أ. الصهيونية : اعادة نظر ، د. صادق جلال العظم [مستشار قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.] . تهويد فلسطين ، د. ابراهيم ابراهيم [استاذ العلوم السياسية في الجامعة الاميركية في بيروت] . نظام الاحزاب السياسية في اسرائيل ، الياس نجم [دارس العلوم الاقتصادية والاجتماعية في بيروت] .

١٧٩ **تقارير** : كنائس الشرق الأدنى والقضية الفلسطينية ، انغو كول [دارس لاهوت الماني متخصص بقضايا الشرق الاوسط] . الاعلام الفلسطيني والرأي العام البلجيكي ، بشارة خضر [دارس للدكتوراه في جامعة لوغان] . الفيلم الفلسطيني بين الوجود واللاوجود ، ابراهيم ابو ناب [مدير المركز العربي للاعلام والنشر] . صحافة المقاتلين الجدارية ، هادي ابو اسوان [مقاتل فلسطيني] . الفن التشكيلي العربي المعاصر والفن الفلسطيني ، اسماعيل شموط [رئيس قسم الثقافة الفنية في م.ت.ف.] . الاستراتيجية الدعائية الاسرائيلية في الهند خلال النصف الاول من ١٩٧١ ، محمد علي العويني [باحث في قسم البحوث والدراسات في جهاز الاعلام في الامانة العامة لجامعة الدول العربية] .

٢١٢ **مؤتمرات** : ندوة الحوار الاعلامي بين الشرق والغرب ، ج. هـ. ج. المؤتمر الدولي حول ناميبيا ، نعيم خضر [محاضر في جامعة بركسل الحرة] . المؤتمر السنوي الخامس للاتحاد العربي ــ الكندي ، هاني احمد فارس [دارس للدكتوراه في كندا] . مؤتمر الوحدة والتنوع في الثقافة العربية المعاصرة ، الدكتورة نادرة جميل السراج [عضو الامانة العامة لاتحاد كتاب فلسطين] .

٢٢٤ **شهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية ، بلال الحسن [رئيس قسم الدراسات الفلسطينية في م. أ.] . ملحق : حول عملية دير ياسين على أرض مطار اللد ، د. سعيد حمود [نائب المدير العام لمركز التخطيط في م. ت. ف.] . (٢) القضية الفلسطينية عربيا ، ناجي علوش [الكاتب الفلسطيني] . (٣) القضية الفلسطينية دوليا، ص. ج. ع. (٤) المناطق المحتلة ، عبد الحفيظ محارب [باحث في قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.] . جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ١/١/ــ ١٩٧٢/٥/٣١ ، غازي خورشيد [باحث في م. أ.].

٢٦٠ **اسرائيليات** ، محمود درويش .

٢٧٤ **تحليل للموقف السياسي** ، كمال العدوان ، [احد مسؤولي الثورة الفلسطينية].

شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

بينما كان الكثيرون يتداولون موضوع حزيران وذكرياته ، عند مرور ذكراه الخامسة ، انكب اثنان من اسرة تحرير شؤون فلسطينية على تسجيل بعض افكارهما : تناول د. ابراهيم ابو لغد معالجات بعض المفكرين العرب لنكبة ٤٨ ونكسة ٦٧ ، وكتب الشاعر محمود درويش ذكرياته عن تلك الايام السوداء قبل خمسة اعوام . وقد ضمنا المقالين في هذا العدد ، الى جانب مقال ثالث في مناسبة من نوع آخر — وهو دراسة للاستاذ ياسين الحافظ ننشرها في عدد تموز هذا بمناسبة ذكرى الثورة المصرية. ويضم المقال آراء قد تثير مناقشات بين جمهور المثقفين . والكاتب والمجلة يرحبان بهذه المناقشات وبأية ردود .

ومع ذكرياته ، يكتب محمود درويش (وقد انضم الى اسرة مركز الابحاث في الشهر الماضي) بابا جديدا ، شهريا . وقد اخذ مكان باب « السياسة الاسرائيلية » الشهري الذي حرره الاستاذ احمد خليفة منذ العدد الاول — وقد ترك الاستاذ خليفة هذا الباب ليتفرغ لتحرير نشرة رصد اذاعة العدو التي سيبدأ مركز الابحاث باصدارها يوميا في مطلع تموز الحالي لتسد فراغا كبيرا في المصادر عن العدو وتكون مادة اساسية للصحافيين والمعلقين والكتاب .

ومما يطل ايضا على القراء ابتداء من هذا العدد جداول شهرية بالعمليات الفدائية في الارض المحتلة . وقد اضفنا هذا الباب بناء على رغبة قراء كثيرين طلبوا منا ان نسجل لهم نشاطات المقاومة شهريا مثلما نسجل احداثها وقضاياها ومسائلها وتطوراتها في باب شهري وفي مقال او اكثر من كل عدد تقريبا . وقد غطت جداول هذا العدد نشاطات الاشهر الخمسة الاولى من العام الحالي . ثم تصبح جداول شهرية . وقد اخذت انباء العمليات من مصادر المقاومة فقط ، اي من البيانات الرسمية دون غيرها . وهي في الواقع حوالى تسعين في المئة من العمليات الفعلية ، باعتبار ان حوالى العشرة في المئة يتأخر وروده الينا . ولكن حتى البيانات المتأخرة سوف يرد ذكرها في اشهر لاحقة حينما تتوافر لدينا — وخزانة وثائق المقاومة الفلسطينية في مكتبة مركز الابحاث ، التي يشرف عليها الاخ غازي خورشيد محرر الجداول المذكورة ، هي حسب علمنا اشمل خزانة في هذا الموضوع . كما سيفيد الباب ، في المستقبل ، من نشرة رصد اذاعة العدو اذ سيضم جدولا باعترافات العدو بما حصل من نشاطات للمقاومة .

عبد الناصر والصراع العربي ـ الاسرائيلي

ياسين الحافظ

بعد أن قضت الامبريالية الانكليزية ، بالتضامن مع الدول الامبريالية الاخرى ، على أولى محاولات الوحدة العربية والتحديث التي قادها محمد علي وابنه ابراهيم في العام ١٨٤٠ ، انتقلت الى وضع اساس او حاجز يقف أمام احتمالات الوحدة . هنا نبشت مشروع نابوليون القديم ، القاضي بانشاء وطن قومي يهودي يتصدى لاحتمالات المشاريع « التوسعية » ، التي قد يستأنفها محمد علي او احد خلفائه ، للعودة الى سوريا (على حد قول بالمرستون) ، وضمان أمن مواصلات الامبراطورية بالتالي(١). لقد امسكت الامبريالية الانكليزية اذن بمفتاح المسألة الاول ، وما لبثت ان امسكت بالمفتاح الثاني : فما دامت احتمالات النهضة تكاد تكون متمركزة في مصر ، وان الاحتمالات الوحدوية الجدية ستنطلق بالتالي من مصر وتدور حولها ، لذا عملت الامبريالية الانكليزية ، بعد احتلال مصر في اواخر القرن التاسع عشر ، على تشجيع ايديولوجيا قومية مصرية(٢)، مهمتها تكريس عزلة مصر التي فرضتها الامبريالية بقوة السلاح بقضائها على مشروع محمد علي الوحدوي .

هذه النزعة القومية المصرية التي تقولبت ، بعد القضاء على حركة عرابي وبعد ان ضعفت تأثيرات الافغاني على محمد عبده ، في قالب الاخير الاصلاحي ، الذي كان نصف مجدد ونصف تقليدي ، نصف وطني ونصف مهادن للاستعمار ، كان لا بد لها ان تفرز وعيا ملتبسا وقاصراً لقضية فلسطين .

ما دامت مصر تشكل امة ، لذا كانت قضية فلسطين ، بمعنى ما ، والى حد ما ، مشكلة خارجية . لم تكن القيادات الوطنية التقليدية تولي قضية فلسطين الاهتمام الذي تفرضه أهميتها وخطورتها . اما المثقفون والجماعات السياسية التي كانت تولي هذه القضية عناية أكبر ، تبقى ناقصة على كل حال ، فكانت بالاحرى تقليدية واسلامية ما قبل بورجوازية عموما ، ترى في الصهيونية خطرا على شعب « آخر » تربطه بشعب مصر رابطة الدين والجوار .

أضف الى ذلك ان الطابع غير الراديكالي للقيادات الوطنية الجماهيرية المصرية جعلها ، على حد قول عبدالناصر ، عاجزة على أن تمد بصرها عبر سيناء ، فلم تلتقط لا الابعاد الحقيقية للغزو الصهيوني ، ولا دوره في الاجتياح الامبريالي للوطن العربي ، ولا البعد الحقيقي لاستقلال مصر الفعلي ، هذا البعد الذي اكتشفه عبد الناصر عندما وعى ان الافق الحقيقي لتحرير مصر تحررا كاملا يشرط تحرر الوطن العربي كله ، بل افريقيا ايضا ، من النفوذ الامبريالي ، وبالتالي زوال اسرائيل التي هي انعكاس للنفوذ الامبريالي وجيب من جيوبه .

(٢)

قبل ان يستلم عبد الناصر السلطة ، بل عندما كانت عملية تنظيم الضباط الاحرار في

بدايتها ، كان وعيه للقضية الفلسطينية مطبوعا ، الى حد ما ، بالرؤية المصرية السائدة. قلت « الى حد ما » وذلك لان اصول عبدالناصر الشعبية ونشأته النضالية في حداثته ووطنيته الراديكالية جعلته يولي اهتماما أكبر بكثير لقضية فلسطين(٣). اما بعد انتسابه للجيش فمن المحتمل ، ان لم اقل من المرجح ، ان تكون تأثيرات الاخوان المسلمين على بعض رفاقه في التنظيم من جهة ، وتأثيرات عزيز المصري ، الذي عاش وناضل فترة طويلة في بيئة سياسية قومية عربية ، من جهة اخرى قد أسهمت في تعميق ذلك الاهتمام. فكان عبد الناصر من اوائل الضباط المصريين الذين حاولوا الالتحاق بجيش الانقاذ ، الذي كان يحارب في فلسطين قبل أيار ١٩٤٨(٤).

ان اشتراك عبد الناصر في حرب فلسطين ، الذي اتاح له ان يلتقط عيانا ، ومن خلال تجربته المباشرة الذاتية ، فساد النظام ، كان أحد العوامل الرئيسية التي فجرت ثورة ٢٣ يوليو ، كما كان عاملا حاسما في تقدم وعي عبد الناصر للمسألة الفلسطينية ، الا ان هذا الوعي بقي آنذاك غائما الى حد ما . غير ان اشتراكه هذا في الحرب لعب دورا كبيرا في اعطاء نزعته القومية طابعا اكثر راديكالية . في الفالوجة ، حيث كان عبد الناصر محاصرا مع جنوده من قبل الهاغاناه ، اكتشف ان مصر «فالوجة اخرى على نطاق كبير»، وانه لا يحارب في ارض غريبة بل دفاعا عن النفس(٥).

هل كان عبد الناصر يسقط وعيه لقضية فلسطين في العام ١٩٥٤ (اي عندما كتب « فلسفة الثورة ») على وعيه لها في العام ١٩٤٨ ؟ هذا هو المرجح ، لان نزعته القومية العربية لم تتوضح الا في العام ١٩٥١(٦). والحال ان مثل هذا الوضوح هو الذي يعطي العربي غير الفلسطيني مزيداً من الوعي بجوهر المسألة الفلسطينية من جهة ويجعل التزامه بها مصيريا من جهة اخرى .

ولكن اذا كان وعي عبد الناصر القومي العربي قد توضح في العام ١٩٥١ ، الا اننا نعتقد ان هذا الوضوح لم يصل الى حد التبلور في العام ١٩٥١ ، كما ذكر عبد الناصر ، بل في العام ١٩٥٣ ، عندما بدأت المناوشات الاولى بينه وبين القوى الامبريالية ، وامريكا بالتحديد ، التي رفض منذ العام ١٩٥٢ توقيع اتفاقية الامن المتبادل معها مقابل صفقة أسلحة عرضتها امريكا . ولقد كان تدشين محطة اذاعة « صوت العرب » ، في ايار ١٩٥٣ ، أول أمارة قاطعة على ذلك .

ما العناصر التي ساهمت في بلورة وانضاج هذا الوعي القومي العربي لدى عبدالناصر ؟ تجدر الاشارة اولا الى ان انشغال مصر بالتجديد والتحديث ، فضلاً عن التحرر من الاستعمار ، يشكل المحتوى الرئيسي لنزعتها القومية ، بما في ذلك النزعة القومية المصرية . فبالرغم من حضور ما للماضي في الواقع المصري ، هذا الحضور الذي يزن على محاولات النهضة ، الا ان هذه النهضة في الرؤية المصرية ليست احياء ماض سلف، فالالتفات الى الماضي في مصر أضعف مما هو في البلدان العربية الاسيوية ، رغم ان السلفية وبصمات المجتمع القديم قد تبدو ، ظاهريا ، اقوى في مصر . ومن هنا لم يكن النزوع الوحدوي الناصري بعثا للماضي العربي ، كما في المشرق العربي الاسيوي ، بل بالاحرى احياء لحاضر ليس مشلولا وهزيلا وخانعا لا لانه مشرذم بفعل الامبريالية ومضطهد من قبلها . ولهذا فان النزعة القومية العربية اصبحت أكثر عصرية وأكثر راديكالية عندما صبت من جديد في القالب المصري بل القالب الناصري . وهذا يفسر لماذا نمت النزعة القومية العربية في مصر وقويت في الصراع ضد الامبريالية ، في حين ان النزعة القومية العربية في بلدان المشرق العربي ، وبسبب من بروز العنصر السلفي ، فجرت ثورتها الاولى بقيادة لورنس الفعلية وعايشت الامبريالية ، رغم تناقضات معها خفيفة او شديدة الى هذا الحد او ذاك ، وفي هذه الفترة او تلك . الم يتوهم حزب البعث ، مثلا ، في اوائل الخمسينات (وكان آنذاك اكثر الاحزاب القومية تقدما

وراديكالية) ، ان من الممكن ان تقوم وحدة بين سوريا والعراق ، عراق نوري السعيد والعرش الهاشمي ، والامبريالية الانكليزية بالنتيجة والفعل .

لقد عاشت مصر تحت نير الاستعمار الانكليزي منذ اواخر القرن التاسع عشر ، الامر الذي جعل الوعي المصري للظاهرة الاستعمارية اكثر وضوحا وعيانية ومرارة . امـا الشرق العربي والاسيوي فلم يواجه الاجتياح الاستعماري المباشر الا مع الحرب العالمية الاولى وبعدها ، ومن هنا القصور المشرقي في وعي مسألة الاستعمار عن الوعي المصري لها . هـذه الاشارة تلقي بعض الضوء على فهم عبد الناصر لمسألـة الوحدة العربية ومسألة فلسطين . يقينا أن عبد الناصر قد تحدث مرارا عن قضية فلسطين حديثا نشعر وكأنه الجرح يتكلم ، ولكن خلفية تفكـيره في مسألة الوحدة ومسألة فلسطين اعمـق واوسع وأكثر عقلانية وعصرية .

جمال عبد الناصر حسين ، حسين البوسطجي ، الـذي يلاحقه ويؤرقه هاجس الاذلال الاستعماري (وهذا الهاجس ركب ماوتسي تونغ وهوشي منه ايضا) لم يكن يريد شيئا سوى ان يكون الشعب الذي ينتمي اليـه بشرا فحسب . ان كلمة « ارفع راسك يا اخي » ، التي قالها في العام ١٩٥٣ في قرية الزعفران ، تكاد تلخص كل حلمه (وحلم كل مصري وعربي) العظيم والدائم . ولقد اكتشف عبد الناصر ان المصريين ، **وحدهـم** ، لا يمكن ان يتحرروا تحررا **فعليا وكاملا** في عـالم العمالقة وعـالم الامبريالية . هـذا الاكتشاف قاده الى اكتشاف اخر هو الوحـدة العربية . والوحدة العربية قـادته الى اكتشاف قضية فلسطين ، الممتزجة والمشروطة بمسألة الوحدة العربية .

لم يكن للسلفية من وزن هام في نزوع عبد الناصر الوحـدوي . والفكرة المحورية لديه تتلخص في ان الوحدة العربية هي أمضى سلاح في وجه الامبريالية . ولقد توصل عبـد الناصر ، عبر رؤية تاريخية واستراتيجية ، الى المعادلـة التالية : الوحدة العربية + البترول + المكـان الجغرافي = تحـرر من الهيمنة الاستعمارية وعـودة الى مسرح التاريخ(٧). ومن هنا كانت صيحة عبدالناصر التاريخيـة الثانية : « لقد انتهى عهد العزلة » . هذه الصيحة ، التي تدين كل قصور الرؤية الوطنية والقومية المصرية وضيق افقها وافتقارها الى الراديكالية ، وضعته في موقع صدام دائم مع الاستعمار ، وجعلت الناصرية ، وهي حركة قومية بالاساس ، في حالة تطور الى امام ، من حيث وعيها ومن حيث تبدل وتجذر سيمائها او بالاحرى لحظاتها الطبقية .

هذه الخلفية للنظرة المصرية الى الوحدة العربيـة ، والمسألة الفلسطينية بالتالي ، هي التي تضفي عـلى الموقف التكتيكي المصري ازاء اسرائيل عقـلانيته الباردة او برودته العقلانية ، ولكن لهذه العقلانية (وهي عقلانية نسبية بالطبـع ما دمنا متخلفين ولـم نهضم ، كما هضم الصينيون ، مثلا ، العقلانية الغربية ممثلة بأعلى وأعمق لحظاتها ، واعني الماركسية ــ اللينينية) اسبابا اخـرى أهمهـا ان الضربات الاستعماريـة والاسرائيلية تكاد تكون مركزة على مصر(٨) ، وان « التراكم الثقافي » في مصر أغنى بكثير (او بالاحرى اقل فقرا) منه في اي قطر عربي اخر ، فضلا عن رسوبات النزعة الاقليمية المصرية وما يرتبط بها وينبثق عنها من نزعات محافظـة « تفضل السلامة عن طريـق العزلة » على حد قول عبد الناصر .

ولكن ثمة تساؤلات ، بل شكوك ، ما زالت تثار حول مسألة الالتزام الناصري عربيا ، بسبب من موضوعة الدوائر الثلاث التي وردت في « فلسفة الثورة » .

ان هذه الموضوعة هي ، في التحليل الاخير ، جزء لا يتجزأ من نظرته الى مسألة الوحدة العربية ومسألة التحرر من النفوذ الاستعمـاري . فالدائرتـان الاسلامية والافريقية تبدوان ، في نظر عبد الناصر ، كقوى احتياطية او صديقة للدائرة العربية في صراعها ضد

الامبريالية . ولم يكونا في نظره ليشوشا او ينازعا الانتماء العربي لمصر أو يتناقضا معه، بل يكملانها . لم يلغ عبدالناصر القوقعـــة الاقليمية المصرية ليقع في توقعـــة اقليمية عربية ، فضلا عن أن اتجاه عبد الناصر الافرو آسيوي هذا انما هو امتداد مطور لاتجاه قائم في ايديولوجيا الافغـــاني ومحمد عبده ، وهو اتجـــاه لا يمكن نبذه من وجهة نظـــر ماركسية .

ان افق عبدالناصر السياسي لم يستطع ان يعانق ، عندما كتب « فلسفة الثورة » ، مـــا اصطلح على تسميته الان بالعالم الثالث كافة ، فاقتصر على جزء من هذا العالم المضطهد والكادح يقع في مدى بصره ، جغرافيا وتاريخيا(٩). اذن فالسياق الذي طـــرح فيه عبد الناصر فكرة الدائرتين الافريقية والاسلامية انما كان سياق كفاح ضد الاستعمار ولم يكن لينطوي على نظرة جغرافية او دينية(١٠). وهذا ما يفسر رفضه ، وهو يفاوض الانكليز للجلاء عن مصر ، ضم تركيا الى الدفاع المشترك مع الدول العربية .

ليس لنا ان ندهش اذن اذا كان عبدالناصر ، في « فلسفة الثورة » ، قد خص الدائرة الافريقية بصفحة واحدة والـــدائرة الاسلامية بصفحة اخـــرى ، في حين ان حديثه عن الدائرة العربية وقضية فلسطين قد استغرق خمس عشرة صفحـــة . لا شك ان ثمة عناصر اسلامية في ايديولوجيا عبد الناصر القومية العربية ، في بداية الثورة على الاقل، ولكن تلاحم النضال المصري مع نضال الشعوب السربية وتجربته مع الاخوان المسلمين ومـــع السعودية ، ووقوع ايران والباكستـــان تحت النير الامبريالي ، وتقـــدم وعيه الاشتراكي ، وكونه قد ضرب العمود الفقري للمجتمع التقليدي الذي يشكل الدين غطاءه الايديولوجي ، كل هذا جعل مفهومـــه للعروبة والوحـــدة العربية يفقد رويدا رويدا ملامحه الاسلامية . اذن فالدائرتان الافريقية والاسلامية ، انما كانتا نافذة على العالم ومصيره ، بخلاف الانغلاق العـــربي للايديولوجيا القومية التقليدية في بلـــدان الشرق بخاصة .

(٣)

عندما التقط عبد الناصر ، عبر الوحدة العربية ، جوهر المسألـــة الفلسطينية وحقيقة الغزو الصهيوني انما كان يسجل بذلك انتقالا من مرحلة التلمس الى مرحلـــة أريد ان اسميها بمرحلة الرومنسية الثورية . لماذا ثورية ؟ ولماذا رومنسية ؟

ثورية ، لان وصول عبد الناصر الى السلطة كان بمثابة فتح صفحة جديدة في الرؤيـــة الرسمية العربية والموقف الرسمي العربي ازاء مسألة فلسطين ، بمعنى ان عبد الناصر كان أول حاكم عربي يعلن للجماهير العربية ، خلافا للحكام العرب وضدهم ، ان المقصود ليس فلسطين بل العرب ، وان الاستعمار هو المسؤول عن هذه الجريمة ، وبالتالي فان الغرب ليس حكما في النزاع بل هو طرف فيه ، والقضية لن تحل مع الغرب ومن خلاله بل ضده(١١). هذا الموقف ، الذي يشكـــل انعطافا تاريخيا في مســـيرة الثورة العربية الحديثة ، أقام حدا فاصلا ، في وعي الجماهير ، بين الامبريالية والحركة القومية العربية من جهة ، كما انه انتزع من يد الرجعية العربية ، المتحالفة مع الامبريالية ، ورقة طالما لعبت بها لتضليل الجماهير كي تستر تواطؤها مع الامبريالية ، بحجة ان التعاون مـــع الغرب سيدفع به الى تأييد العرب في صراعهم ضد الصهيونية .

ورومنسية ، لان عبد الناصر كان يـــرى الى كـــارثة فلسطين بمثابـــة نتيجة للخيـــانة والتآمر(١٢). هنا ، كان عبد الناصر ، شأنه في تشخيصه الاول ، يقف مـــع الجماهير العربية ، سواء في احتدام عواطفه أم في حدود رؤيته . يقينا ان مثل هذا التشخيص قد التقط سببا مباشرا وكبيرا من أسباب الكارثة(١٣)، الا ان هذا السبب ليس جذر الكارثة من جهة ، كما ان كونه السبب لا يعني ان الغاءه سيفتح طريق « نيفسكي » ، المستقيم

الرحب - القصير - لازالة الكارثة . اضف الى ذلك ان عبد الناصر - في هذه المرحلة الرومنسية ، الثورية ، وان كان قد أكد بحق مسؤولية الاستعمار في كارثة فلسطين ، الا انه لم يمسك تماما ، بسبب قصور وعيه للظاهرة الامبريالية ، بالافاق التاريخية للصراع العربي ـ الاسرائيلي وبانعكاسات الحلف الصهيوني ـ الامبريالي على المعركة .

كيف كان عبد الناصر يتصرف طوال هذه الفترة الرومنسية الثورية ، التي انتهت مع العدوان الثلاثي في العام ١٩٥٦ ؟ هذا ما سنحاول توضيحه عبر استعراض بعض الاحداث والوقائع التي نعتقدها مفيدة لانارة البحث : بادىء بدء ، يجدر التنويه ، كي نلقي ضوءا سريعا على استراتيجية اسرائيل وبالاحرى نظرتها التاريخية ، ان الجبهة الاسرائيلية المصرية لم تشهد اعتداءات اسرائيلية على مصر طوال سنوات حكم فاروق بعد حرب العام ١٩٤٨ ، وبقيت الحال كذلك ، فيما عدا حادثة السفينة بيت كاليم وقضية لافون(١٤)، حتى ٢٨شباط ١٩٥٥، حيث شنت اسرائيلعدوانا واسع النطاق على القوات المصرية في غزة ، ذهب ضحيتها سبعة وثلاثون من العسكريين المصريين وتسعة من المدنيين الفلسطينيين .

في الفترة الاولى من هذه المرحلة حارب عبد الناصر علي جبهتين رئيسيتين : حارب في الجبهة الاولى لتصفية بعض الاتجاهات الليبرالية والاصلاحية بين الضباط الاحرار وللقضاء على الاخوان المسلمين والاحزاب كافة ، وحارب في الجبهة الثانية لكي يظفر اخيرا بجلاء الجيوش الانكليزية عن مصر بعد احتلال دام اكثر من نصف قرن . وفي الفترة الثانية من هذه المرحلة كان محور جهد عبد الناصر منصبا على تسليح الجيش المصري اولا وعلى محاربة المحاولات الامبريالية الرامية الى ادخال المشرق العربي في احلاف استعمارية ، ما لبثت ان تبلورت في حلف بغداد الذي وقع في كانون الثاني ١٩٥٥ . ومن المناسب هنا ، وفي هذه الايام بالذات ، ان نذكر ، مرورا ، بأن عبدالناصر قد أمر في الربع الثاني من العام ١٩٥٤ بتشكيل فرق للفدائيين الفلسطينيين ، وهو القرار الذي اعتبره بعض الصحفيين الغربيين بمثابة النذر الاولى لحرب عربية ـ اسرائيلية جديدة(١٥) .

شعور عبد الناصر بالخطر الصهيوني ، وتجربته المرة ، كضابط في الجيش ، بسبب قصور السلاح المصري وفساده في حرب العام ١٩٤٨ ، جعله يعتبر هدف بناء جيش قوي احد الاهداف الستة لثورة ٢٣ يوليو . ووضع بالفعل هذا الشعار في أمر اليوم . ان رفض عبد الناصر الاحلاف الاستعمارية ، بل حربه ضدها ، وامتناع الدول الامبريالية عن امداد مصر بالسلاح الا شرط قبولها الدخول في هذه الاحلاف ، حشر عبد الناصر في مأزق استمر يعانيه بتمزق حوالي سنتين ونصف السنة .

لم هذه المدة التي تبدو لنا ، اليوم ، طويلة ؟ الاسباب كثيرة . لعل اهمها : تبدل سياسة الاتحاد السوفياتي ازاء مصر ، حسم جزء هام من التناقضات في قيادة الضباط الاحرار، انتظار اتمام جلاء القوات البريطانية عن مصر ، الوقت الذي قضاه عبدالناصر ، شأنه في ذلك شأن اي مواطن عربي ، للخروج من المحارة او من عملية التعليب والتكييف Conditionnement الاستعمارية ، اتساع افقه السياسي نحو مزيد من النضج من خلال تأثيرات باندونغ، يأسه من احتمالات تسليح غربية بعد ان اتسعت شقة خلافه مع الغرب بسبب رفضه سياسة الاحلاف ، وأخيرا ـ لا آخرا ـ التحدي العسكري الاسرائيلي الذي تمثل في عدوان ٢٨ شباط على غزة ، حيث تجلى للعيان ، مجددا ، الضعف العسكري المصري .

لماذا العدوان على غزه ؟ وما نتائجه المباشرة وغير المباشرة ؟ لنتذكر ان حلف بغداد قد

وقع ، بعد ضغوط وتمهيدات ومناورات استمرت اكثر من سنة ، في كانون الثاني ١٩٥٥ . وبعد **شهر فقط** شنت اسرائيل هذه الغارة ، التي لا سابق لحجمها في حوادث الحدود بين مصر واسرائيل . لقد أرادت الامبريالية ، عبر اسرائيل وبواسطتها ، ان تلقن عبد الناصر درسا بسبب موقفه من حلف بغداد . والتقط عبد الناصر المحتوى السياسي لهذه الغارة ، التي كانت نقطة تحول حاسمة في تطور ثورة ٢٣ يوليو(١٦) ، فشن هجوما استراتيجيا (اذا صح التعبير) على الجبهة الامبريالية ، مترافقا مع تراجع تكتيكي ، غير ناجح ، على الجبهة الاسرائيلية(١٧).

لقد أثارت هذه الغارة الاسرائيلية على غزة ما يشبه الزلزال في تطور الحياة العربية والثورة العربية . فالشعب العربي ، الذي كان شبه مستكن داخل بيضة ذات قشرة صلبة ، هي القشرة الامبريالية ، كسر هذه القشرة ، بيد عبدالناصر ، لكي يكتشف ان في العالم عالما آخر غير الغرب الامبريالي . أن عبدالناصر ، عندما اشترى السلاح من الدول الاشتراكية ، لم يأت بالسلاح فحسب ، بل جاء برؤية جديدة للعرب ، وذلك لانه « حرك أمرا كان الشعب المصري (والعربي) محروما منه منذ زمن طويل ، الا وهو الايمان بوجود حرية أو حل خارج الاطار الاستعماري أو نصف الاستعماري »(١٨) .

هذه الغارة اذن كانت نقطة انطلاق سلسلة احداث ، أمسكت برقاب بعضها بعضا وصولا الى ثورة ١٤ تموز في العراق ، مرورا باستيراد السلاح من الدول الاشتراكية وتأميم قناة السويس والصراع ضد مبدأ ايزنهاور وافشاله وقيام وحدة العام ١٩٥٨ بين مصر وسوريا . وهكذا أكدت قضية فلسطين من جديد مكانها المركزي في الثورة العربية: لقد كانت حجر الانهيار بالنسبة لانظمة وأوضاع العام ١٩٤٨ ، وها هي في العام ١٩٥٥ تصبح رافعة الثورة العربية في انطلاقتها الجديدة .

حصول مصر على السلاح ، متزامنا ومترافقا مع اضطرام الصراع بين الحركة القومية العربية بقيادة عبد الناصر وبين الامبريالية ، وشعور اسرائيل ان في مصر محاولة جادة لبناء دولة حديثة ، جعلها — اي اسرائيل — تتجه لضرب هذه القوة الصاعدة قبل ان تقف على قدميها .

لا شك ان وصول بن غوريون الى رئاسة الوزارة في ٢١ شباط ١٩٥٥ ، بعد اقصاء موشي شاريت الذي كان من انصار تكتيك مرن ازاء العرب ، كان سببا مباشرا في تنظيم عدوان ٢٨ شباط على غزة ، ولكن من الخرق الاعتقاد ان المسألة هي مسألة مجيء فريق متصلب ، فريق الصقور ، وابعاد فريق مرن مسالم ، فريق الحمائم ، كما يميل الى ذلك تفسيرا رودنسون وفانشتوك(١٩) والعديد من اليساريين الاوروبيين والعرب . ينبغي ان ينظر الى عودة بن غوريون من زاوية اشتداد الصراع بين الحركة القومية العربية والامبريالية باحلافها ومشاريعها ، وبالاضافة الى ذلك فان بن غوريون ليس مجرد زعيم فريق متصلب ، بل ان عودته الى رئاسة الوزارة في الفترات الحاسمة (وان ينفذ خصومه سياسته . مثلا : اشكول في حرب حزيران ١٩٦٧) انما يعني انه هو الشخص الذي يجسد حقيقة اسرائيل ومصيرها ، وانه رجلها التاريخي ، وهو وحده (ومدرسته بالتالي) من بين الساسة الاسرائيليين الذي يرى ببصيرة ، رغم أوهامه الايديولوجية ، المسار التاريخي للصراع العربي — الاسرائيلي .

قبل ان نتابع سرد الاحداث الهامة وصولا الى عدوان العام ١٩٥٦ الثلاثي لا بد من الاشارة الى ان اسرائيل ، فضلا عن محاولتها منع جلاء القوات الانكليزية عن مصر (حادثة لافون) ، كانت مصممة منذ العام ١٩٥٤ على ضرب مصر عسكريا ، وكان ثمة خطة اسرائيلية فرنسية بهذا الشأن(٢٠)، كما ان بن غوريون طلب الى دايان ، الذي كان

رئيسا للاركان الاسرائيلية ، اعداد خطة لضرب مصر في كانون الاول ١٩٥٥(٢١)، ولكن مجلس الوزراء الاسرائيلي رفضها في ذلك الحين .

وعندما أمم عبد الناصر قناة السويس ، لم تترك اسرائيل فرصتها تمر ، فانضمت انكلترا الى التحالف الفرنسي الاسرائيلي ، وباشرت اسرائيل العدوان ، بالاشتراك مع ذبابات يقودها جنود وضباط فرنسيون بمساندة غطاء جوي فرنسي — انكليزي ، اعقبه مباشرة غزو فرنسي — انكليزي لقناة السويس ومدنها ، وانتهت الحملة بهزيمة عسكرية لمصر . ولكن بنصر سياسي ضخم ، سببه الاساسي وقوف الاتحاد السوفياتي ضد العدوان وعدم دعم امريكا له ، الاتحاد السوفياتي دعما لنضال الشعب العربي ، وامريكا في محاولة لاحتلال مواقع الاستعمار القديم .

الاسباب التي دفعت فرنسا وانكلترا للعدوان معروفة ، ولسنا بمعرض الحديث عنها . وبعض الاسباب التي دفعت اسرائيل الى العدوان معروفة ايضا : الاعتراف !!(٢٢) وفتح مضائق تيران امام الملاحة الاسرائيلية . ولكن هذه بعض الاسباب لا كلها ، رغم ان اللغط الشائع لا يلوكها الا هي .

اذا كانت اسرائيل تريد الاعتراف **فقط** ، فلماذا لم تحاول فرضه من قبل على نظام فاروق ؟ بل لماذا لم تحاول فرضه على ثورة ٢٣ يوليو قبل ان تتضح وتتبلور اتجاهاتها القومية العربية والمعادية للامبريالية ؟ وسؤال آخر : لماذا لم تحاول اسرائيل الحصول على اعتراف الاردن أو سوريا ؟ لماذا لا تبدأ بالاطراف الاقل قوة (بل بالاكثر ضعفا) وتفرض عليها الاعتراف لتنتهي بالطرف العربي الاكثر قوة (مصر) ما دام هذا الطرف لديه الاستعداد للاخذ والرد — اذا سلمنا جدلا باتهامات اعدائه — حول مسألة الاعتراف باسرائيل ؟ وثمة أمر آخر : اذا كان هم اسرائيل الاعتراف فقط والعيش فقط ، الا يمكنها ان تتخلى عن بعض الاراضي (الاراضي التي احتلتها ولم تعتبر تابعة لاسرائيل بموجب قرار التقسيم) مقابل العيش بسلام ؟ وما قيمة أراض ما اذا كان التخلي عنها يأتي بالسلام والاعتراف ؟

الاجابة الصاحية عن هذه الاسئلة تلقي ضوءا كاشفا على المنظور التاريخي الاسرائيلي للصراع العربي — الاسرائيلي من جهة وعلى ارضية وخلفية والدفة الموجهة Plate-forme للسياسة الاسرائيلية . هذا ما سنتحدث عنه بعد قليل ببعض التفصيل ، ونكتفي الان بتثبيت ما أورده مكسيم رودنسون حول الاسباب العميقة والبعيدة للعدوان الاسرائيلي في العام ١٩٥٦ : « . . . فبالنسبة لبن غوريون ، الذي كان يقود اللعبة من الجانب الاسرائيلي ، كانت المسألة هي تسديد ضربة كبيرة تجبر العرب في النهاية على الاعتراف باسرائيل كما هي ، وعلى إنهاء حالة الحرب الضمنية بسبب هجمات الفدائيين ، التي أصبحت جدية بما فيه الكفاية آنذاك ، وعلى فتح مضائق تيران . ولكن لا شك أن خلفية تفكير بن غوريون تنطوي على ضم محتمل لاراض (عربية) . وان كل زلزلة للوضع ربما تؤدي الى تغييرات مفيدة . **وفي كل الاحوال ، فان بن غوريون ، الذي تسلط عليه منذ زمن طويل الخوف من انتفاضة العالم العربي ، والذي كان يتساءل فيما اذا كان عبد الناصر سيصبح مصطفى كمال الذي سيخلص هذا العالم من الفوضى والتضعضع، قدر أن الوقت موات للضرب وقهر القوة التي تصعد** ، او على الاقل الحصول على الاعتراف في ظرف تتمتع فيه اسرائيل بموقع قوة ، قبل ان يفوت الاوان . كما ينبغي الاستفادة من تضافر ظروف يدفع الى جانب اسرائيل دولتين غربيتين مسلحتين جيدا ، وهي ظروف قد لا تحدث من جديد قبل مضي زمن طويل »(٢٣) .

لقد وصفنا موقف او رؤية عبد الناصر ، بعد اكتشافه الوحدة العربية ، بأنها رومنسية ثورية . فلنضبط حدود هذا التعبير عبر التقاط العناصر الواقعية المتضمنة في هذه الرؤية

وزنها ، ولنحاول تلخيص تجربته في هذه المرحلة والمعطيات التي استجرها من تجربته : ا ـ كضرب من استمرار لحركة النهضة المصرية ، ولان عبد الناصر كان أول قائد عربي قد ادرك مشكلة التخلف واهميتها والحاحها ، لذا كانت التنمية هاجسه الرئيسي ان لم اقل المركزي . وكان هذا الهاجس أحد عوامل اصطدامه مع الامبريالية او تهادنه التكتيكي (وبالاحرى التكتكي) المتقطع معها . ب ـ رغم ان عبد الناصر كان يرى صلة الامبريالية باسرائيل ، الا ان تصوره في وعي الظاهرة الامبريالية عموما حال دون رؤيته الطابع العضوي لصلة اسرائيل بالامبريالية الا من خلال تجربة عدوان العام ١٩٥٦ . ولقد فوجيء عبد الناصر بقبول انكلترا وفرنسا تواطؤ اسرائيل معهما في العدوان(٢٤). جـ ـ ان عبد الناصر ، رغم رومنسيته الثورية ، الا انه لم يعلن ، حتى في هذه المرحلة بالذات ، انه سيحرر فلسطين . لقد كان يقف عند حدود المطالبة بقرارات هيئة الامم المتحدة ، بما فيها قرار التقسيم ، وكان يكرر ، بصيغ عامة ، الحديث عن استرداد حقوق شعب فلسطين . د ـ اننا نلمح الجانب الرومنسي في رؤية عبد الناصر في خطاب له ، بعد تلقي الاسلحة من الاتحاد السوفياتي ، قال فيه ان الجيش المصري اصبح اقوى جيش في الشرق الاوسط(٢٥). ولكن هذا الجانب اختفى بعد عدوان العام ١٩٥٦ ، واصبح يقول اننا نبني جيشا لكي لا نصبح لاجئين(٢٦). هـ ـ لا شك البتة في ان عبد الناصر كان يعتبر ، حتى في هذه المرحلة ، تحرير فلسطين بمثابة هدف رئيسي من أهداف الثورة العربية (سنشرح هذا بالتفصيل بعد قليل) ، ولكنه لم يضع هذا الشعار في أمر اليوم(٢٧) ordre du jour ، وان عبد الناصر عندما عمل على تقوية الجيش المصري انما كان يهدف فقط الى الثبات في الدفاع ، أو ، في أحسن الاحوال ، احراز بعض مكاسب تكتيكية صغيرة تساعده في المعركة الكبرى في سبيل الوحدة وضد الامبريالية .

(٤)

بعد هذه التجربة ، دخل عبد الناصر مرحلة أريد ان اسميها مرحلة «الواقعية الثورية» ، التي لازمته حتى غيابه . خلال هذه المرحلة سمعنا نبرته ترتفع في فترة وتخفت في فترة أخرى ، بل رأينا تراجعات تكتيكية في فترة ثالثة . التقاط ملامح هذه الواقعية الثورية يقتضينا متابعة بعض الوقائع والاحداث :

لقد تمخض العدوان الثلاثي عن أحداث وتطورات كبيرة وكثيرة ، لعل أهمها وحدة العام ١٩٥٨ بين مصر وسوريا ، التي ولدت وسط حالة حرب سياسية من اكبر حالات الحرب الباردة التي شهدها العالم بعد الحرب العالمية الثانية ، ثم ما لبثت هذه الوحدة ان فجرت بدورها سلسلة من الاحداث ، أهمها ثورة ١٤ تموز ، التي وضعت العالم كله على شفير حرب عالمية .

من التكرار ان نتحدث عن ردود فعل الدول الامبريالية ازاء الوحدة . ولكن ما هي ردود فعل اسرائيل ؟ هياج وشعور بمأزق والتفكير بضربة عسكرية جديدة تفصم الوحدة(٢٨). كيف أصبح الموقف العربي ـ الاسرائيلي بعد وحدة العام ١٩٥٨ ؟ من الملاحظ ان اسرائيل قد أوقفت تقريبا اعتداءاتها على حدود الجمهورية العربية المتحدة ، وبخاصة على حدود سوريا ، حتى اذا افترضنا ان قوات الطوارىء الدولية ، على الحدود المصرية الاسرائيلية ، كانت سببا في منع الاعتداءات الاسرائيلية . ان العدوانين الاسرائيليين الوحيدين في شباط واذار ١٩٦٠ على الحدود السورية قد قوبلا برد كان لاول مرة ردا ذا مغزى ، كما قام الجيش الاول (الجيش السوري) باعتداء مضاد كان اشد من العدوانين الاسرائيليين(٢٩).

طبعا لم تتعد الجمهورية العربية المتحدة ، خلال فترة الوحدة ، موقف الدفاع . هذا

صحيح . ولكن اسرائيل تخلت ، كما يبدو ، مؤقتا على الاقل ، عن موقف الهجوم والردع . وهذا يفسر بأن ميزان القوى العسكري المحلي اصبح متأرجحا وحساسا . هذا التأرجح وهذه الحساسية في ميزان القوى العسكري لم ينجما بالطبع عن مجرد الجمع العددي للقوة العسكرية المصرية مع القوة العسكرية السورية ، فليس للجمع من وزن عسكري جدي اذا بقي الجيشان يتحركان كجيشين مستقلين وان متضامنين(٣٠)، بل نجما عن تحول سببه وحدة الجيشين المصري والسوري وامكانية عملهما كجيش واحد(٣١).

من الزاوية السياسية اخذت اسرائيل تتحدث لغة جديدة الى حد ما . يقينا ان اسرائيل لم تتراجع عن مواقعها الاساسية ، ولكن لغة التهديد بالقوة قد خفتت(٣٢). هذا من جهة ، ومن جهة اخرى اتجه تحرك اسرائيل ـ ونكرر : بسبب قيام الوحدة ـ الى اقامة حلف بين الدول التي تحيط بأطراف الوطن العربي ، فاقترح دايان ، في أيار ١٩٥٨ ـ بدعم من بن غوريون ـ على مونتغمري اقامة حلف بين اسرائيل وتركيا والحبشة(٣٣). كما حاول بن غوريون الحصول على تعهدات وضمانات من الحلف الاطلسي لحماية حدود اسرائيل(٣٤). واخيرا باشرت امريكا ، لاول مرة وبصورة علنية ، تزويد اسرائيل بالاسلحة وبخاصة الصواريخ(٣٥). وزادت المساعدات والقروض السنوية المقدمة من الغرب الامبريالي في فترة الوحدة بنسبة قدرها ٣٥ ٪ عن السنوات الثلاث السابقة للوحدة(٣٦). وبعد الوحدة فقط نبتت في اسرائيل فكرة صنع قنبلة ذرية تساعدها في ذلك فرنسا(٣٧). وقد لوحظ ايضا ان المعدل الوسطي السنوي للهجرة الى اسرائيل الذي كان،خلال السنوات الاربع السابقة للوحدة (٥٤ ـ ٥٧) ٤٤٬٦٠٠ مهاجر، قد اصبح ، خلال سنوات الوحدة الاربع (٥٨ ـ ٦١) ٢٩٬٧٥٠ مهاجرا ، وهذا يعني ان المعدل الوسطي للهجرة قد هبط خلال سني الوحدة بنسبة قدرها ٦٦ ٪ (٣٨).

(٥)

لقد كان مقتل وحدة العام ١٩٥٨ ، اي انفصال ٢٨ ايلول ١٩٦١ ، بمثابة حجر الانهيار الذي هوى بالثورة العربية وصولا الى هزيمة الخامس من حزيران ١٩٦٧ . ولقد ادرك عبدالناصر ، برؤيته التاريخية ، هول الكارثة ، كما ادركت ذلك الجماهير الفلسطينية ، بغريزتها الثورية ، وعلى نحو أوضح وأحدّ من الشعب السوري وأوضح وأحدّ بكثير من الشعب المصري(٣٩).

فترة ما بعد الانفصال ، وصولا الى حرب الايام الستة ، تشكل مرحلة هامة في تطور وعي عبدالناصر لقضية فلسطين ، كما تشكل خطوة الى امام في مصارحته جماهير الامة العربية بتعقيدات مسألة النزاع العربي ـ الاسرائيلي . وفضلا عن ذلك ، ففي هذه الفترة بالذات القي المزيد من الضوء على حقائق الوضع العربي ومفاصل أحداثه . لذا لا بد من متابعة تطور مواقف مختلف أطراف اللعبة .

آ. ان مؤامرة الانفصال ، التي تواطأ فيها حلف رجعي عربي ـ امبريالي ـ بيروقراطي عسكري سوري ، والتي نجحت بسبب قصور الوعي لدى قيادة دولة الوحدة مضافا اليها العامل الجغرافي والتهديد الامبريالي بضرب الاسطول المصري ، لم تعد عبدالناصر الى « جادة العقل » ، حسبما كانت تقدر الدوائر الامبريالية . لقد دفعت عبدالناصر الى مزيد من الراديكالية سواء على الصعيد الداخلي او العربي . اما على الصعيد الدولي ، في فترة شهدت انفراجا عاما في التوتر بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ، فقد عمل عبدالناصر على ازالة ما تبقى من شوائب في العلاقات المصرية ـ السوفياتية وناور تكتيكيا مع الولايات المتحدة ، التي وان لم تكن قد قررت آنئذ اسقاط عبدالناصر ، الا انها تابعت عملية صده وحصره داخل مصر ، وتجلى ذلك واضحا في دورها في دعم المملكة

العربية السعودية في حرب اليمن ، حيث قدرت ، بالاشتراك مع السعودية ، ان تدخل عبدالناصر العسكري في اليمن هو مناسبة للقضاء عليه عبر تزمين المشكلة اليمنية ونزف الجيش والاقتصاد المصريين(٤٠).

واذا كان كينيدي قد حاول اقامة جسر مع مصر ، بعد فشل مبدأ ايزنهاور ، على اساس خط امبريالي جديد مرن ، الا ان هذه المحاولة سرعان ما ارتطمت بجدار النزاع العربي — الاسرائيلي ، ثم ارتطمت ثانية بسبب تأميمات العام ١٩٦١ واشتراك المخابرات الامريكية في تدبير مؤامرة الانفصال في ٢٨ أيلول ١٩٦١ . لقد حاول كينيدي ان يجد حلا للنزاع العربي الاسرائيلي ، فأجابه عبدالناصر برسائل تعيد طرح المشكلة بأساسها من جديد(٤١)، أما اسرائيل فقد أجابت كينيدي بأن الوقت غير مناسب للتسوية(٤٢). وما لبث كينيدي ان تابع تزويد اسرائيل بالسلاح الامريكي، حيث اصبحت اسرائيل بحاجة ماسة، بعد ان اتجه الجنرال ديغول الى تبني خط تقارب مع العرب (ولكن ليس على حساب اسرائيل بالطبع)، وبعد ان اتجهت المانيا الغربية ، بسبب الضغوط العربية ، الى ايقاف الدفعات الكثيفة من الاسلحة . وهكذا وقعت في أيلول ١٩٦٢ اتفاقية بين امريكا واسرائيل لتزويد الاخيرة بصواريخ « هوك » الامريكية . وكانت هذه الاتفاقية ، كما لاحظت غالينا نيكيتينا ، نقطة تحول جديدة في السياسة الامريكية ازاء اسرائيل(٤٣). حقا ان الولايات المتحدة كانت تزود اسرائيل بالاسلحة ، تدليسا وخداعا للعرب ، كما لاحظ رودنسون(٤٤)، بواسطة المانيا الغربية ، الا انها في العام ١٩٦٢ انتقلت علنا وصراحة الى اتخاذ هذا الموقف، الذي يشكل ارتساما لموقفها الهجومي الذي شهد ذروته الساخنة في العام ١٩٦٧ .

ب. في سوريا عهد الانفصال شنت حملة مركزة وكثيفة ومستمرة على عبدالناصر، قادها على الصعيد الاعلامي اكرم الحوراني واحمد عسة(٤٥). وتركزت الحملة على اتهام عبدالناصر بالعمالة لامريكا وخيانة قضية فلسطين ومطالبة عبدالناصر بسحب قوات الطوارىء الدولية من الاراضي المصرية ومنع اسرائيل من المرور في مضائق تيران . ودخلت في المعمعة وسائل الاعلام الاردنية والسعودية ، فكانت الاذاعات والصحف الاردنية والسعودية تذيع مقتطفات طويلة من مقالات أكرم الحوراني ، وتذيع وتكتب تعليقات حول نفس الموضوع وفي نفس الاتجاه(٤٦).

ما لبث عهد الانفصال ان سقط . ولاح سراب وحدة ثلاثية ما لبث تبدد . وانفرد حزب البعث بالسلطة بعد ١٨ تموز ١٩٦٣ ، وغابت الاحتمالات الوحدوية في افق منظور . وعقد مؤتمر قومي لحزب البعث انتخب منيف الرزاز ، الذي ترك عيادته في عمان ، أمينا عاما لحزب البعث . وما لبث الرزاز أن صعّد ، بالاشتراك مع امين الحافظ ، الحملة على عبدالناصر ، بشكل يذكر بحملة الحوراني وعسة في عهد الانفصال ، وبخاصة في خطابه يوم ٢٨ أيلول ١٩٦٤ (٤٧).

بعد أن اطيح بالرزاز والحافظ في ٢٣ شباط ١٩٦٦ ، اعلنت السلطة الجديدة التي يقودها صلاح جديد أنها ستعمل لتقارب ما (!) مع القاهرة، وكرست في نفس الوقت شعار تحرير فلسطين كشعار مطروح في أمر اليوم ، واطلقت شعارا جديدا : « الجيش لحماية الثورة وحرب التحرير الشعبية لتحرير فلسطين»، و«تحرير فلسطين طريق الوحدة» . ما هي خلفية هذه الشعارات ودوافعها ؟ ثمة عوامل عديدة. من المحتمل ان تكون رغبات قواعد حزب البعث في تحرير فلسطين عاجلا (!) قد لعبت دورا ما ، ولكن مما لا شك فيه ان الرباعي القيادي (صلاح جديد ، يوسف زعين ، نورالدين الاتاسي ، ابراهيم ماخوس) قد رأى في هذه الشعارات أحد أسلحته في الصراع ضد عبدالناصر . لقد تصور ذلك الرباعي القيادي ان هذا الطرح الجديد للمسألة الفلسطينية ، مضافا اليه تشديد اللهجة

اليسارية ، سيدفن نهائيا مسألة الوحدة بين سوريا ومصر وسيلف حولهم الجماهير الناصرية والفلسطينية ، ويعزلها عن عبدالناصر بالتالي .

جـ. بعد مقتل وحدة العام ١٩٥٨ ، وبعد ان ابتعدت عن افق منظور احتمالات عودتها ، شاع جو من اليأس في صفوف الجماهير الفلسطينية . صحيح ان عبدالناصر لم يضع تحرير فلسطين في أمر اليوم ، الا ان الجماهير الفلسطينية قد أدركت ، بغريزتها الثورية ، ان صعود القوة العربية الى حد يقلب ميزان القوى لصالح العرب يشكل مفتاحا لحل المشكلة . وفي جو اليأس والتراجع هذا اخذت ايديولوجيا (بالمعنى المانهايمي) المقاومة ، التي كانت قد ولدت في صفوف بعض المثقفين الفلسطينيين العاملين في الدول العربية البترولية والذين كان القسم الاعظم من قياداتهم في المناخ الفكري والسياسي للهيئة العربية العليا وحزب التحرير الاسلامي ، تلقى بعض اصغاء في صفوف سكان المخيمات ، اما سكان الضفة الغربية وغزة فكانوا ، الى حد كبير ، بمنأى عن تأثيراتها . وقد تبلورت هذه الايديولوجيا في اطروحات منظمة « فتح » . اما المنظمات الاخرى ، التي نشأت بعدئذ ، وبدأت تفكيرا مشابها ومنافسا في حركة القوميين العرب في العام ١٩٦٦ ، فلم تفعل شيئا سوى السباحة في التيار الذي أطلقته فتح ، مع اضافة تلاوين وهوامش ايديولوجية اخرى على نفس بنيان فتح الايديولوجي .

في جو اليأس ولدت ايديولوجيا ارادتها فتح ايديولوجيا التجاوز : لقد اصيب العرب بالترهل القطري(٤٨)، وسقطت الوحدة . اذن فالمفتاح هو الثورة الفلسطينية التي ستكون كفيلة بتطوير الاوضاع العربية ، تحرريا ووحدويا ، الى الامام(٤٩). الموضوعة قد تبدو متماسكة على الصعيد الفكري المجرد ، ولكن ثمة ثغرة تلغمها : اين تحط الكفة في ميزان القوى المحلي والدولي ، أفي الجانب العربي ام في الجانب الصهيوني ــ الامبريالي ؟ اي هل يؤدي تفجير الثورة الفلسطينية الى « ديان بيان فو » ام الى « بريست ليتوفسك » ؟ الوقائع بينت ان تطور الاحداث قد قاد الى هزيمة ٥ حزيران والى مجازر أيلول ، وان ارتسامات « بريست ليتوفسك » عربي ، وليس « ديان بيان فو عربي » هي التي تلوح في الافق الآونة . وهذا البريست ليتوفسك العربي سيصيب ، اول ما يصيب ، القضية الفلسطينية ، دونما أمل في نهوض جديد في مستقبل منظور .

هل كانت هذه الارتسامات بعيدة عن تصورات فتح لآفاق المستقبل ؟ لا . مثلا ، ينقل اريك رولو رأيا لعضو ، وصفه بالنافذ ، في فتح ، قبل حرب حزيران ١٩٦٧ : « اننا نأمل اثارة الحرب . نحن نعرف جيدا ان الدول العربية ليست قادرة عسكريا على تحرير فلسطين ، ولكننا نريد على الاقل الوصول الى هذه النتيجة الهامة جدا بالنسبة الينا : القضاء على عبدالناصر ، الذي هو ، موضوعيا ، عميل للصهيونية ، لانه يرفض القيام بأي عمل ضد اسرائيل »(٥٠).

هل كان الرباعي السوري (الذي يقوده صلاح جديد) وفتح ، اللذان التقيا حول طرح هدف تحرير فلسطين في أمر اليوم بواسطة حرب التحرير الشعبية ، سببا في اثارة حرب حزيران ؟ لا ، بالتأكيد ، فاللعبة أكبر منهما بكثير . ولقد كان ممكنا ان يكونا بالفعل سببا في اثارة الحرب لو ان العمل الفدائي كان أكثر فاعلية ضد اسرائيل ، ولكن ما دام العمل الفدائي لم يكبد اسرائيل سوى قتيل واحد من بداية العام ١٩٦٧ حتى اندلاع حرب حزيران(٥١)، لذا يمكن القول ان مسألة العمل الفدائي ضد اسرائيل كانت بمثابة ذريعة استخدمتها اسرائيل والامبريالية الامريكية في لعبة قررها البيت الابيض ، كما سنرى بعد قليل ، منذ زمن .

د. كيف تصرف عبدالناصر في هذه الفترة ؟ ما ردود فعله ؟ ما تأثير ذلك على الاتجاه العام للثورة العربية ؟ على صعيد ميزان القوى العسكري ، الذي اختل اختلالا شديدا لصالح

اسرائيل بسبب الانفصال ، شكل عبدالناصر فرقة عسكرية جديدة ، رغم شعوره بثقل الانفاق العسكري على مجهودات التنمية ، تعدل جزئيا ذلك الاختلال .

على الصعيد العربي العام ، قام عبدالناصر بلف كوع الى **اليمين** وتراجع الى **وراء** . المعركة الحادة(٥٢) التي فتحها ضد السعودية وايران ، المدعومتين والمدفوعتين من قبل امريكا ، بسبب محاولتهما انشاء الحلف الاسلامي ، قد توقفت . ومن جهة اخرى ، فان معركة اليمن ، رغم النزيف الذي سببته للاقتصاد المصري ، ورغم بروز معارضة ، تكاد تكون علنية ، اقليمية ويمينية لعبدالناصر بسبب مشكلة اليمن في مصر بالذات ، والتي كانت قد طرحت احتمالات تغيير في السعودية التي كانت تشكل المركز الاخير والقوي للقوى التقليدية المتحالفة مع امريكا ، — هذه المعركة اصبحت عبئا لا يمكن لمصر ان تتحمله اذا أرادت أن تواجه مضاعفات المسائل التي طرحت في المشرق . وهكذا أوقف عبدالناصر صراعا طبقيا جديا على الصعيد العربي العام . وقد تجلـى ذلك سواء في خطابه يوم ٢٣ كانون الاول ١٩٦٣ الذي دعا فيه الى عقد مؤتمر للقمة او في محاولته حل مشكلة اليمن وسحب الجيش المصري .

وقد لوحظ في هذه الفترة ، فترة ما بعد الانفصال وصولا الى خطابه بوفـد المجلس التشريعي لغزة يوم ٢٢ تموز ١٩٦٢ ، ان لهجة عبدالناصر أخذت تشدد ، ان لم نقـل تركز ، على ان المعركة طويلة أولا وان تحرير فلسطين مرتبط بالقضاء على التجزئة والتخلف ثانيا(٥٣). ففي رده على مطالبة عهد الانفصال بتحرير فلسطين ، (وخطابه في وفد غزة كان هو الرد) تقدم عبدالناصر خطوة الى الامام في مصارحة الجماهير العربية برايه حول مشكلة تحرير فلسطين ، كما انه لم يكن أقل صراحة في خطابه الذي دعا فيه الى مؤتمر القمة الاول(٥٤).

ماذا قال عبدالناصر في هذين الخطابين بخاصة وفي تلك الفترة بعامة ؟ قال بالضبط ما معناه : « ان قضية فلسطين هي اصعب قضية في العالم . ومن يقول لكم (للفلسطينيين) انه وضع خططا لحلها انما يخدعكم . يجب ان نستعد لها بكل القوى المعنوية والمادية . من يقول لكم ان قضيتكم سهلة انما يخدعكم ، لانها ليست اسرائيل وحدها ، بل من وراء اسرائيل . من يريد الحرب لا بد ان يكون مستعدا لها . . . ونحن لسنا على استعداد . ليس لدي خطة لتحرير فلسطين (خطة بمعنى برنامج محدد الخطوات والتوقيت) . بالنسبة لهذه القضايا يجب ان نعرف متى نقف ومتى نهجم ومتى ننسحب . لقد كانت الوحدة عاملا مساعدا . لقد كانت الوحدة البلاء الاكبر بالنسبة لبن غوريون [. . . هذه الوحدة لم تعد قائمة الان] . فلسطين سنة ١٩٤٨ كانت متاجرة سياسية . لا يمكن ان ننسى فلسطين بالطبع ، ولا يمكن ان نتخلى عنها ، ولكن لا يمكن ايضا ان نعالج قضية فلسطين بالطريقة التي عولجت بها سنة ١٩٤٨ بالمزايدات والبعد عن المسؤولية »(٥٥). وبعد أن بين عبدالناصر ، بصراحة لا سابق لها ، حدود قـوة مصر ، وبالتالي حدود المواجهة العربية — الاسرائيلية ، كمواجهة **دفاعية** و **جزئية** ، دعا الى عقد مؤتمر قمة عربي غايته حشد القوى العربية لمعالجة موضوع ضخ اسرائيل لمياه من نهر الاردن . كيف كان عبدالناصر ينظر الى مشكلة مياه الاردن ؟ وما هو الاطار الذي وضعه فيها ؟ وهل كان عبدالناصر يتصور ان ثمة جدوى من وراء عقد مؤتمرات للقمة بهذا الشأن ؟ واذا لم يكن الامر كذلك ، فما غاية عبدالناصر وأهدافه من وراء مؤتمرات القمة ؟ واخيرا ما حقيقة مشكلة مياه الاردن ، وما اهميتها بالنسبة لاسرائيل ، وهل كان عبدالناصر يتصور ان لا بد من مواجهة مع اسرائيل اذا حول العرب روافد الاردن ؟

سنتناول هذا الموضوع باختصار شديد : منذ العام ١٩٦٠ كان عبدالناصر يتابع اعمال ومشروع اسرائيل لضخ مياه من نهر الاردن . وقد بحث عبدالناصر المسألة في مجلس وزراء الجمهورية العربية المتحدة من الزاويتين التقنية والسياسية، واستبقى عبدالناصر

الناحية العسكرية ليقررها على ضوء النتائج التي يمكن ان ينتهي اليها العملان التقني والسياسي(٥٦). ويبدو ان سقوط الوحدة ومضاعفاته قد القى المسألة في الظل وابعد المسؤولية المباشرة عن موضوع التحويل عن عبدالناصر .

عندما دعا عبدالناصر الى عقد مؤتمرات للقمة ، هل كان يتصور ان المواجهة بين العرب واسرائيل قائمة لا شك فيها اذا حول العـــرب روافد الاردن ؟ لا نعتقد ذلك ، لا لان مؤتمرات القمة لن تقدم شيئا جديا وحاسما لمواجهة قريبة محتملة فحسب ، بل لان عبدالناصر لا بد ان يكون عارفا ان تحويل روافد الاردن سيبقي لاسرائيل كميات من المياه توازي ما اقترح تخصيصه لاسرائيل بموجب مشروع اريك جونستون(٥٧)، فضلا عن ان عبدالناصر يعرف ان مشكلة تحويل مياه الاردن ليست بمثابة خلق اسرائيل ثانية(٥٨)، كما كانت بعض الدعاوات تروج آنئذ ، كما ان مياه الاردن ليست كافية لحل المشكلة المائية في اسرائيل ، التي كانت تعمل جاهدة لدفع امريكا الى مساعدتها لاقامة مشروع ضخم لتحلية مياه البحر . ومن جهة اخرى فان الاشغال العربية لتحويل الروافد لن تكون شغالة الا في عام ١٩٧٧ . وعلى هذا يمكن ان نستنتج ان اهداف عبدالناصر من وراء مؤتمرات القمة كانت : (١) دفع الدول العربية للمساهمة المالية بتحويل الروافد وتكوين قوة عسكرية فلسطينية (حليفة له بالطبع) . (٢) تشكيل جبهة عربية تمارس ضغوطا سياسية واقتصادية على الغرب يبعد احتمالات المواجهة العسكرية (وهي احتمالات ضئيلة على كل حال ما دامت هذه المشكلة ليست حاسمة بالنسبة لاسرائيل) . (٣) ان عبدالناصر الذي لا يهمل النهايات الصغرى ، كما يقول منطق هيغل ، قدر ان الامكانات العربية مفيدة مهما ضؤلت في حالة مواجهة لا يتوقعها ولكن لا يستبعدها . (٤) رغم ان عبدالناصر يقدر ان مصر هي وحدها التي ستجر الى الحرب في حال وقوعها ، وان الدول العربية الاخرى هاربة سلفا من المعركة ، الا انه اراد قطع طريق المزاودة بقضية فلسطين التي تمارسها دول عربية مختلفة ومتخالفة ، ففي مؤتمرات القمة سيتحدد عيانا ما ستقدمه كل دولة فعليا في هذا السبيل(٥٩)، وبالفعل فقد نجح عبدالناصر ، مؤقتا على الاقل ، من هذه الزاوية .

ان امين الحافظ ، الذي تراجع نسبيا عن مواقف المزايدة بتأثير من صلاح البيطار ، ما لبث ان سقط في ٢٣ شباط ١٩٦٦ ، وحلت سلطة يقودها ، كما ذكرنا قبلا ، رباعي بقيادة صلاح جديد ، ما لبثت ان صعدت مجددا ، بالتعاون مع فتح جـــو التوتر مع اسرائيل . ولكن قبل ان نكمل عرض الصورة من جانبها العربي ، لا بد من وقفة سريعة لعرض الوجه الاخر للصورة .

هـ. لقد شهد العام ١٩٦٦ انتقال امريكا من مرحلة صد وحصر عبدالناصر الى مرحلة ضربه والقضاء عليه. ففي أوائل العام ١٩٦٦ أوقفت امريكا شحنات القمح الى مصر(٦٠). وفي ربيع العام نفسه قررت امريكا ــ حسب تعبير مايلز كوبلند ــ ان « اللعبة الكبيرة قد انتهت»، فقدمت لاسرائيل كميات كبيرة جدا من الاسلحة الهجومية « يمكن استخدامها لتدمير القواعد الجوية للعدو ، وبخاصة قواعد الجمهورية العربية المتحدة »(٦١). ويحدد مايلز كوبلند ــ رجل المخابرات الامريكي ــ بنود الانذار الذي وجهته امريكا لعبدالناصر بما يلي: (١) خروج مصر من المعركة العربية. (٢) تصفية الاتحاد الاشتراكي. (٣) ادخال نوع من التنظيم على الادارة وتحديد عدد الموظفين بـــ ١٨٠ الفا. (٤) تحديد عدد الجيش بخمسين الفا. (٦) الغاء التأميم وانهاء القطاع العام(٦٢). وكان من الطبيعي ان يرفض عبدالناصر الانذار . وبحلول العام ١٩٦٧ اصبح هدف السياسة الامريكية ، كما قال دافيد نيس ، « اسقاط عبدالناصر وعزل مصر عن بقية العالم العربي »(٦٣).

و. ماذا كان يحدث في الجانب الاسرائيلي ؟ ان مجيء ليفي اشكول في العام ١٩٦٣ الى رئاسة الوزارة الاسرائيلية ، بعد ابعاد بن غوريون ، انما سجل الرجحان النهائي لكفة

النفوذ الامريكي في اسرائيل ، ونقل الاخيرة محور تحالفاتها الدولية من اوروبا الغربية الى الولايات المتحدة . ولهذا فان اشكول ، الذي كانت سياسته التكتيكية ازاء العرب تختلف بعض الاختلاف عن سياسة بن غوريون ، اتجه الى تطبيق سياسة بن غوريون ذاتها ، عندما قررت الامبريالية الامريكية تصفية حساباتها مع عبدالناصر .

بعد ان حدد الهدف وقرر ، وهو اسقاط عبدالناصر ، وبعد ان تمت الاستعدادات العسكرية الاسرائيلية عبر صفقة الاسلحة الامريكية الضخمة في أيار ١٩٦٦ ، اصبحت المسألة هي مسألة ايجاد المبررات والذرائع الكفيلة بتغطية هذه العملية امام الرأي العام الدولي من جهة ، وشحن يهود اسرائيل لتعبئتهم للحرب واقناعهم بضرورتها من جهة ثانية(٦٤). وكان الفخ هو تهديد سوريا بالعدوان . ولقد وضع عبدالناصر قدمه الاولى في الفخ عندما وقع اتفاقية مع سلطة صلاح جديد في ٤ تشرين الثاني ١٩٦٦ .

ز . والسؤال الآن : كيف يمكن لعبدالناصر ، الخندق في مواقع دفاعية ازاء اسرائيل ، ان يعقد اتفاقية دفاع مع السلطة التي يقودها صلاح جديد، وتنادي بمواقف هجومية وحرب تحرير شعبية ، رغم النزاع والشكوك والعداء بينهما ؟ السؤال يبدو اكثر من محير ، والاجابة القاطعة صعبة للغاية ، ومع ذلك فثمة عناصر قد تلقي بعض الضوء على موقف عبدالناصر هذا : ان عبدالناصر ، الذي كان على قناعة من ان الامبريالية الامريكية تنوي اسقاطه(٦٥) وان اسرائيل تعد العدة للحرب ، رأى في هذا الاتفـاق ضربا من ارضاء للاتحاد السوفياتي ، الذي كان يبدي بالغ العطف والدعم لسلطة صلاح جديد ، قد يكون سببا في ان يتخذ الاتحاد السوفياتي موقف حماية لكليهما . ومن جهة اخرى ، فان من المحتمل ان يكون عبدالناصر قد قدر ان هذا الاتفاق سيخفف من تطرف مواقف سلطـة صلاح جديد بهذا الخصوص ، ولهذا فان المصادر المصرية المسؤولة اعلنت في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٦ ان توقيع الاتفاق مع سوريا لا يعني ان الجيش المصري ملزم بالتدخل مباشرة ضد كل غارة اسرائيلية على المواقع السورية .

بعد ان ربط عبدالناصر بسوريا صلاح جديد ، سهل على اسرائيل والامبريالية الامريكية احكام الفخ : الحكومتان السوفياتية والسورية بالاضافة الى المخابرات المصرية ، تعلمان عبدالناصر في ٨ أيار ١٩٦٧ عن حشود اسرائيلية على حدود سوريا . مراقبو الامم المتحدة يعطون تأكيدات معاكسة . الحكومة الاسرائيلية تنفي الحشود واشكول يبدي للسفير السوفياتي استعداده لمرافقته الى المكان الذي يريد في شمال اسرائيل لاطلاعه عيانا على الوضع . الا ان تصريح اسحق رابين في ١٣ أيار الذي أدلى به للصحف الانكليزية يعطي ، على العكس ، الانطباع بوجود حشود كهذه ، فضلا عن ان المخابرات الاسرائيلية قد بثت برقيات للتضليل ، التقطتها السفن السوفياتية في البحر المتوسط ، كما التقطتها اجهزة الاستماع المصري ، وقد اوحت هذه البرقيات بأن الحشود قائمة وان خطة الهجوم معدة وقيد التنفيذ(٦٦).

ليس امرا ذا بال اثبات ان الحشود وهمية او حقيقية ما دامت التطورات اللاحقة للاحداث قد كشفت عن ان الهدف الحقيقي لقصة الحشود ، سواء كانت فعلية ام وهمية ، انما كان مصر بالاساس وليس سوريا . فلو ان هدف اسرائيل هو قطع دابر العمل الفدائي المنطلق من سوريا ، ولو ان هدفها قلب السلطة السورية(٦٧)، فلماذا لم تنفذ وعيدها وتحرك حشودها قبل ان يتحرك عبدالناصر ؟ او على الاقل : لماذا لم تضرب سوريا قبل مصر ، أو مع مصر ؟(٦٨).

كيف نفسر تصرفات عبد الناصر هذه ؟ لم يفقد عبد الناصر رأسه في دوامة هذه الاحداث الا انه عـانى ضربا من تشتت . لقد كـان ، كعادته ، مرنا ، الا انه كـان عاجزا عن الحسم ، الحسم بعقل بارد في اللحظات الخطيرة . وبالرغـم من ان الطابع التاريخي

لشخصية عبد الناصر ، مثله في ذلك مثل اية شخصية تاريخية : يضفي مسحة من مغامرة على بعض تصرفاته الكبيرة ، الا ان حساباته في هذه الفترة ، رغم انها كانت خاطئة ، لم تكن بلا أساس .

لم يكن عبد الناصر يريد الهجوم على اسرائيل بالطبع ، ولكن كانت نواياه تتجه الى انقاذ سوريا من مخاطر تهديدات اعتقدها جدية ، من خلال ضغوط ومناورات تحولت الى فخ قاتل . ان حساباته كانت مبنية على اساسين رئيسيين : الجيش المصري والدعم السوفياتي . حقا ان عبد الناصر لم يكن يقدر ان الجيش المصري اقوى من الجيش الاسرائيلي ، الا انه كان ، بالتأكيد ، على ثقة من ان الجيش المصري يمكن ان يقاتل مدة ما دون ان ينهزم . امـا الدعم السوفياتي ، فان عبد الناصر كان يقدر ان الاتحاد السوفياتي سيتدخل بطريقة ما لمنع الهزيمة على الاقل . وهذا لم يحدث .

هذا جانب من الموضوع ، اما الجانب الاخر منه فهو ان عبد الناصر ، الحريص على روابطه بالجماهير العربية ، والذي لم يستطع ان يواجهها الا بنصف الحقائق متأخرا ، بسبب موقفه الابوي منها ، قد سار ، بسبب هذا الحرص ، على صراط ضيق جدا بين نارين : نار الديماغوجية التي تصور انها ستقطع صلاته بالجماهير العربية ، او ستضعفها على الاقل ، ونار الامبريالية التي احكمت هذا الفخ المميت لتصفي حساباتها معه الى الابد . وفي هذا الصراط الضيق لم يستطع عبد الناصر ، الذي جرحته تهم الجبن والعمالة ، ان يمسك رأسه تماما وان يتوازن تمام التوازن ، فهوى . ولكن تلقفته الجماهير التي وقفت لاول مرة في التاريخ مع قائد مهزوم . واذا كان هذا الجانب من شخصية عبد الناصر قد لعب دوره ، فان تصور وعيه للظاهرة الامبريالية قد لعب دوره في هذا المجال ايضا .

وحاول عبد الناصر ان يقف من جديد ، مع شعبه ، وهو في القاع ، قاع الهزيمة . ولكن امريكا قررت ان تتابع المعركة وصولا الى اعادة الشعب العربي الى ما قبل العام ١٩٥٢ ، اي الى ما قبل عبد الناصر(٦٩). وفي ٢٨ ايلول ١٩٧٠ غـاب عبد الناصر وهو ينزف (وشعبه ينزف معه) ، ولكنه كان واقفا .

(٦)

كيف تبلورت وتحددت رؤية عبد الناصر للمسألة الفلسطينية ، وما هو الـ plate-forme الذي استخلصه لمواجهة الخطر او الغزو الصهيوني ؟

١ ـــ ان اسرائيل جسم غريب زرعه الاستعمار وتحميه الامبريالية للقضاء على احتمالات النهضة العربية وليكون رأس جسر لها في الوطن العربي . ان اسرائيل هي « الشعب » النقيض للامة العربية . انها نقيضة antithèse الوجود العربي .

٢ ـــ بما ان ميزان القوى المحلي والدولي ليس في صالح العرب ، وبما أنه ليس بامكان اسرائيل ان تقضي على الامة العربية ، لذا فان الصراع سيكون صراعا تاريخيا ومديدا . ومن هنا يرفض عبد الناصر الاوهام السلامية على صعيد المستقبل ، استراتيجيا وتاريخيا ، كما انه يرفض الاوهام التحريرية على صعيد التكتيك والعمل السياسي .

٣ ـــ ان الضعف العربي يتجسد في ظاهرتين اساسيتين : التخلف والتجزئة . وبما ان الصراع ضد التخلف معركة طويلة ، ونتائجها في المدى القريب ليست ناجعة في قلب ميزان القوى المحلي لصالح العرب ، لذا تغدو الوحدة العربية طوق خلاص للعرب في المرحلة الراهنة والثقل الذي سيرجح ميزان القوى المحلي لصالح العرب ، وسيكون هذا الرجحان اشد بقدر ما تكون الوحدة أوثق واكثر تلاحما وتقدما . ان وزن العرب العددي ليس له ـــ كما اثبتت تجارب العشرين عاما الماضية ـــ اي قيمة الا في اطار

وحدة فعلية وفعالة . ما دام العرب متخلفين فهم كمية ليست ذات بال في واقع التجزئة، ولكن في اطار الوحدة يصبحون كما له قيمته حتى في ظل تخلفهم الراهن . حتى الوحدة في ظل التخلف ستحشر اسرائيل في مواقف دفاع ، بل دفاع تراجعي .

٤ — ان تحرير فلسطين جزء من الثورة العربية ، وجزء من نضال الامة العربية ضد الاستعمار . وما دامت اسرائيل ليست الحلقة الاضعف ، بل الاقوى في السلسلة الامبريالية ، لذا لا يمكن لقضية العرب في فلسطين ان تتقدم جديا نحو التحرير ما دام ثمة رجعية عربية وما دام البترول العربي ليس بيد العرب ، اي ما لم تتقدم الثورة العربية لتنجز قسما كبيرا من اهدافها .

٥ — بما ان عبد الناصر يطل على النزاع العربي — الاسرائيلي من خلال منظور صراعي طويل الامد ، لذا فان المعارك مع اسرائيل ستدور على مختلف الاصعدة وعلى مختلف الجبهات : كل ما يقوي العرب يضعف اسرائيل ويشكل خطوة على طريق التحرير المعقد والطويل . المهم ان يناضل العرب لكي ينقلب ميزان القوى ، المحلي والدولي، لصالحهم. وعندما ينقلب هذا الميزان ستترنح اسرائيل ، وستتهاوى حتى قبل المعركة العسكرية الفاصلة .

٦ — خلافا للديماغوجية والجهل ، التي لا ترى الى الصراع العربي الاسرائيلي الا من زاوية هجومية تحريرية ، فان عبد الناصر ، كسياسي حقيقي وكعسكري حقيقي ، قد ادرك ان الحرب ليست هجوما فقط ، وان من الممكن ان تكون الحرب العربية الاسرائيلية حرب دفاع من جانب العرب في فترة ما وفي ظل توازن ما .

٧ — ان عبد الناصر قد عرف ، من خلال التجربة ومن خلال دراسة كلوزيوتيس ، « ان الطريق الى فلسطين لا يفتحه السلاح وحده . ان الجيوش الوطنية ، اذا لم تكن في قوتها تعكس واقعا اجتماعيا صلبا وقويا ، تصبح في احسن الاحوال قشرة من حديد يسهل كسرها . وانما تصبح للجيوش الوطنية فاعلية حقيقية اذا كانت قوتها اعمق من قشرة الحديد، اذا كانت قوة دروعها مستمدة من قوة الواقع الاجتماعي ومقدرته»(٧٠).

٨ — لقد استوعب عبد الناصر جيدا موضوعتي لينين وماوتسي تونغ . موضوعة لينين التي تقول بضرب السلسلة الامبريالية في أضعف حلقاتها ، وموضوعة ماوتسي تونغ التي تقول بأن الثورة تكون قوية حيث الثورة المضادة تكون ضعيفة . ففي رأي عبد الناصر ، ان اسرائيل ليست الحلقة الاضعف، بل الحلقة الاقوى في السلسلة الامبريالية. وينبغي البدء بضرب الحلقات الاضعف : الرجعية ، جيوب الامبريالية ، التجزئة ... الخ .

٩ — بما ان ميزان القوى المحلي الدولي ليس في صالح العرب ، وبما ان اسرائيل ليست الحلقة الاضعف في السلسلة الامبريالية ، لذا لم يضع عبد الناصر تحرير فلسطين في امر اليوم . ولكنه أكد دائما على انه هدف أساسي من اهداف الثورة العربية . ولهذا خندق عبد الناصر في مراكز دفاعية ، واتخذت اسرائيل — بالطبع — مواقع هجومية .

ولكن ، كما قلت قبلا ، اذا كان عبد الناصر لم يضع هدف تحرير فلسطين في أمر اليوم ، الا ان اسرائيل قد وضعت على الدوام القضاء على عبد الناصر في امر اليوم . وهذا يقتضينا الحديث ، وان باقتضاب ، عن plate-forme اسرائيل .

ان بلاتفورم اسرائيل هو بلاتفورم عبدالناصر مترجم اسرائيليا وصهيونيا :

١ — ان الحفاظ على وجود اسرائيل يقتضي تكبيرها سكانا وارضا من جهة ، كما يقتضي الحفاظ على طابعها الغربي من جهة اخرى . وهذا يقتضي ان تعيش اسرائيل في حالة توتر دائم مع العرب ، وان تنتهج بالتالي سياسة توسعية وهجومية ما دام ميزان القوى

لصالحها . لهذه الاسباب لم تكن محاولات اسرائيل للحصول على التعايش مع العرب لا جدية ولا اولوية ، كما ان شعارها بقي هو هو طيلة وجودها : لا شبر ولا نفر . ومن هنا فان اسرائيل هي ايضا ، وبخاصة رجالها التاريخيين ، ترى ان الصراع العربي الاسرائيلي سيستمر طويلا ، نصف قرن او اكثر . ان اسرائيل لا يخدعها وهم احتمالات سلام ، التي قد تفرض احداها اليوم ، ولكنها لا بد ان تنقض ان غدا أو بعد غد ، سواء من قبل اسرائيل او من قبل العرب .

٢ ـ ان بقاء التجزئة هو طوف نجاة دائم لاسرائيل . لذا كانت اسرائيل ، وما تزال ، شديدة الحرص على « استقلال » البلدان العربية « المهددة بالابتلاع المصري » !! ليس في الشرق الاوسط عرب ويهود مثلا بل هناك سوري وعراقي ومصري وسعودي واسرائيلي . بل أكثر من ذلك هناك : سنة وشيعة واكراد وموارنة ودروز وآشوريون وعلويون ... الخ . ان ايبان يلخص الصراع في الشرق الاوسط بأنه صراع بين الوحدة والتعدد(٧١) . ومن هنا ، فان اسرائيل تبني آمالها على مزيد من التجزئة ، لكي تكون الدويلة الاولى والاقوى وسط محيط من الدويلات القزمة المبنية على اعتبارات طائفية او عنصرية الخ ، ولهذا السبب تشجع اسرائيل النزعات النابذة المبعدة عن المركز القومي العربي Centrifuge .

٣ ـ تطبق اسرائيل بمنتهى الوعي والبراعة تكتيك هوشي منه : ضرب **العدو الرئيسي** في **اللحظة الملائمة** :

ـ العدو الرئيسي لاسرائيل هي مصر فقط : ان ضرب مصر يعني ضرب الكتلة ، الثقل ، مركز الثقل ، الكتلة المنسجمة المتراصة masse ، وبعد ذلك تصبح مشكلة الفراطة او الفرافيط محلولة .

ـ اما اللحظة الملائمة فقد اختارتها اسرائيل بذكاء في العامين ١٩٥٦ و ١٩٦٧ : توفرت اللحظة الاولى في العام ١٩٥٦ عندما أمنت دخول انكلترا وفرنسا معها في الحرب ، مضافا اليها حالة المتفرج التي وقفتها الدول العربية الاخرى . وتوفرت اللحظة الملائمة الثانية عندما أمنت دعما امريكيا حاسما ، مضافا اليها ان العرب لم يكونوا شأنهم عام ١٩٥٦ و ١٩٤٨ في حالة تجزئة فقط ، بل في حالة انفصال مقاتل .

---

١ ـ راجع فلاديمير لوتسكي : « **تاريخ الاقطار العربية الحديث** » ، دار التقدم ، موسكو ١٩٧٠ ، ص ١٥٧ ـ ١٥٨ .

راجع ايضا : جوزيف حجار *L'Europe et les destinées du Proche-Orient* (1815-1848), éd. Bloud et Gay, Paris 1970, p. 335.

٢ ـ راجع : ألبرت حوراني : « **الفكر العربي في عصر النهضة** » ، الترجمة العربية ، دار النهار ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ٢٢٥ .

لسنا الا بصدد اعطاء اشارات سريعة حول هذا الموضوع الهام وتبيان حقائق تاريخية بسيطة تؤكد **ان قضية فلسطين محكومة بمسالة الوحدة والتجزئة** . واذا كنا قد استشهدنا بكاتب عربي متنكلز ، فليس غرضنا الطعن بنزاهة دعاة الحركة القومية المصرية الاوائل ، هذه الحركة التي تجد مبررات ما موضوعية في التاريخ المصري والواقع المصري ، ولكن غرضنا ان نبين الى اي حد تستطيع الامبريالية ان تلعب او تنمي اتجاهات وميولا لها بعض الجذور في الواقع الموضوعي . ترى الم يكن ايديولوجيو ومخططو الامبريالية الانكليزية قد تمثلوا درسا من خلال عملية رد الغزو الصليبي التي نجحت عندما وحد صلاح الدين الايوبي مصر وسوريا ؟! وفضلا عن ذلك فان هذه الانعطافة التي أحدثها عبد الناصر ، باعادة مصر الى اطارها الطبيعي كقوة فاعلة ، تعطي صورة واضحة عن رؤية عبد الناصر التاريخية التي تفوقت على سائر رؤى مفكري وساسة مصر ما قبل العام ١٩٥٢ .

ومن جهة اخرى ينبغي لنا أن نحدد بالضبط محتوى شعار « القومية العربية » الذي اطلقته في المشرق

العربي جمعيات وشخصيات قومية عربية . لم يكن الافق الوحدوي لهؤلاء ، في معظم الاحوال ، يعانق مصر من جهة ولا يعرف حقيقة دورها من جهة اخرى . وبالتالي فان النقد الذي وجهه عبد الناصر في « الميثاق » للحركة الوطنية المصرية ، حين عزا سبب فشلها ، مع أسباب اخرى ، لكونها لم تستطع ان تتعلم من التاريخ ولم تستطع ان تمد بصرها عبر سيناء ـ هذا النقد يصيب ايضا ، وان بنسبة أقل ، الحركة القومية العربية المشرقية .

٣ ـ لا شك ان الجماهير المصرية كانت اكثر اهتماما بكثير من قياداتها الوطنية بقضية فلسطين ، وبالطبع كان القطاع الطلابي اكثر تحسسا من قطاعات الشعب الاخرى . ولقد كان عبد الناصر ، كما يروي هو وبعض من كتبوا عنه ، واحدا من زعماء تلك المظاهرات التي كانت تجوب شوارع القاهرة في كل عام بمناسبة ذكرى وعد بلفور ، الذي كان احد عوامل بزوغ الوعي العربي لدى عبد الناصر .

٤ ـ راجع : « **فلسفة الثورة** » . وراجع ايضا « **عبد الناصر والثورة** » . اصدار الشباب الاشتراكي في القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ١٣ ـ ٢٠ .

٥ ـ راجع : « **فلسفة الثورة** » ، اصدار وزارة الارشاد القومي ، القاهرة ، ص ٦١ . لخص عبد الناصر الدرس الذي تعلمه كما يلي : « ولما انتهى الحصار وانتهت المعارك في فلسطين وعدت الى الوطن ، كانت المنطقة كلها في تصوري قد أصبحت كلا واحدا » .

٦ ـ راجع : « **عبد الناصر والثورة** » ، ص ١٩ .

٧ ـ **نفس المصدر** ، ص ١٩ ـ ٢٠ .

٨ ـ حرب حزيران احد الامثلة الساطعة على هذه الحقيقة : صراخ اسرائيل كان يعلو على سوريا ، ولكن ضربتها نزلت بمصر .

٩ ـ ألا يذكر عبد الناصر هنا بالزعيم الشيوعي التتري سلطان عالييف وبالزعيم الشيوعي الاندونيسي طان ملكا !!

١٠ ـ لنتذكر صداقات عبد الناصر مع « الكفار !! » وصلاته الحميمة بهم : نهرو ، تيتو ، نكروما ، لومومبا.

١١ ـ في خطاب القاه في نادي فلسطين بالاسكندرية بتاريخ ١٣ كانون الاول ١٩٥٣ ، قال عبد الناصر : « ان الاستعمار ، الذي لا يريد لهذه المنطقة أية حرية ، يسند اسرائيل ، وهي (جزء من) خطة الأستعمار في القضاء على الامة العربية جميعا ، وهي ليست خطة قصيرة الاجل ، بل طويلة تهدف الى القضاء على العروبة كلها . ان العملية ليست عملية فلسطين ، انما هي عملية العرب ... نحن يمكننا ان نقضي على الغرب اذا اتجهنا الى العمل وحده ... ضد الاستعمار ، لانه سبب النكبات ، وهو الذي دبر نكبة فلسطين ، ويدبر النكبات للبلاد العربية جميعا » . عن كتاب : « **فلسطين ـ من اقوال الرئيس جمال عبد الناصر** » . سلسلة كتب قومية ، القاهرة سنة ؟ ، العدد ٣٠١ ، ص ١٠ ـ ١٣ .

١٢ ـ ورد في « **فلسفة الثورة** » ما يلي : « ... لقد كانت جيوشنا (جيوشنا جميعا في حرب عام ١٩٤٨) تبدو كقطع شطرنج لا قوة لها ولا ارادة الا بقدر ما تحركها ايدي اللاعبين ... وكانت شعوبنا جميعا تبدو في مؤخرة الخطوط ضحية مؤامرة محبوكة أخفت عنها عمدا ما يجري ، وضللتها عن وجودها نفسه » ، ص ٦٥ .

١٣ ـ ان الخيانة واسعة المدى (أي خيانة حكم لا خيانة فرد او مجموعة) هي أساسا ، وفي اخر تحليل ، تضخضة انهيار المجتمع التقليدي المتيبس ، الهش ، المات ، عندما يتلقى صدمة الدول الاستعمارية . حتا ان المجتمع الحديث المتماسك لا يخلو من ظاهرة خيانية كهذه ، ولكن في مثل هذا المجتمع تبقى هذه الظاهرة أمرا هامشيا وعابرا ، فضلا عن ان تماسك المجتمع وعافيته تجعلان التأثيرات السلبية لتلك الظاهرة محدودة وغير متطاولة . ان هشاشة المجتمع المتخلف تتيح للامبريالية ان تمد شبكات من الاقنية الخيانية . اما تماسك المجتمع الحديث فلا يسمح ، في أسوأ الاحوال ، سوى بمد قصبات خيانية ضيقة في الاطراف والتخوم ، كما انه يشل فاعليتها او يضعفها . أليس أمرا له دلالته ان اكثر المجتمعات العربية تخلفا هو اكثرها افرازا للظاهرة الخيانية الواسعة .

١٤ ـ للاطلاع بتفصيل على حادثة السفينة الاسرائيلية « بيت كاليم » ، التي ارسلتها اسرائيل في محاولة لعبور قناة السويس في العام ١٩٥٤ ، وعلى قضية لافون ، حيث حاولت اسرائيل القيام بعمليات تخريب في السفارات الغربية في القاهرة بغية افشال المفاوضات المصرية ـ الانكليزية والحيلولة بالتالي دون جلاء

القوات البريطانية عن مصر — للاطلاع على تفاصيلها راجع :

Nathan Weinstock : «*Le Sionisme contre Israël*», éd. Maspero, Paris 1969, p.p. 426-427.
Maxime Rodinson : «*Israël et le refus arabe*», ed. Seuil, Paris 1968, p. 69.

١٥ — راجع : جان لاكوتير : **عبدالناصر** ، الطبعة العربية ، دار النهار ، بيروت ١٩٧١ ، ص ١٧٨ .

١٦ — في خطابه في ٢ تشرين الاول ١٩٥٥ ، قال عبد الناصر : « ... لقد كانت حادثة ٢٨ فبراير (شباط) الماضي والاعتداء الوحشي اليهودي المدبر ... نقطة تحول . لقد كان هذا الاعتداء ناقوس الخطر الـذي جعلنا نبحث وندقق في التعرف الى السلام ومعنى السلام ... ومعنى توازن القوى في المنطقة ... » . وفي خطابه في ٢٢ تموز ١٩٥٧ قال : « ان معركة الدفاع عن الشرق الاوسط او معركـة الاحلاف العسكريـة المفروضة من الخارج لم تلبث ان قادتنا الى اشتباكات خطوط الهدنة مع اسرائيل ، هذه الاشتباكات التي بدأت بالغارة على غزة . قبل الغارة لم نكن نشغل انفسنا كثيرا بخطر اسرائيل . كنا نعتبر خطـر اسرائيل هو مشكلة سباقنا مع الوقت لبناء اوطاننا . كنا في ذلك الوقت نعتبر ان خطر اسرائيل هو في حقيقة امره ضعف العرب ، ولولا هذا الضعف ما استطاعت ان تغتصب من الوطن العربي بقعة من اقدس بقاعه واطهر أراضيه . ان دخان الغارة على غزة في فبراير قد انجلى ليكشف عن حقيقة خطيرة تلك هي ان اسرائيـل ليست الحدود المسروقة وراء خطوط الهدنة وانما اسرائيل في حقيقة أمرها رأس حربة للاستعمار ومركـز تجمع لقوى الاستعمار والصهيونية العالمية » .

وفي خطابه بتاريخ ١٥ أيار ١٩٥٨ ، قال : « عندما خرجت قوات الاحتلال من بلادنا بدأت اعتداءات اسرائيل على حدودنا ، حتى ننضم الى الاحلاف ، ونطلب من الدول التي تنادي بالاحـلاف في الشرق الاوسط ان تحمينا من عدوان اسرائيل . ففي عام ١٩٥٥ اعلن حلف بغداد فرفضنا الانضمام اليه وصممنا على سياستنا وتمسكنا بها ، فكانت النتيجة ان وقع علينا العدوان من اسرائيل . ولم تكن اسرائيل الا منفذة لسياسة الاستعمار التي تتعامل معه » . عن « **فلسطين — من اقوال الرئيس عبد الناصر** » ، مرجع مذكور آنفا ، ص ٢٩ — ٣٠ ، ٣٦ .

١٧ — لقد شدد عبد الناصر هجومه على حلف بغداد والاستعمار والرجعية المرتبطة به ، ولكنه قدم الى كبير المراقبين الدوليين اقتراحا يقضي بسحب قوات الفريقين ، المصري والاسرائيلي ، المسلحة مسافة كيلو متر عن جانبي خط الهدنة . وقد رفضت إسرائيل هذا الاقتراح . راجـع جان لاكوتير ، **مرجع مذكـور آنفا** ، ص ١٧٩ — ١٨٠ .

١٨ — جان لاكوتير ، **مرجع مذكور آنفا** ، ص ١١٢ .

١٩ — رودنسون ، **مصدر مذكور آنفا** ، ص ٦٩ . فانشتوك . **مصدر مذكور آنفا** ، ص ٤٢٨ .

٢٠ — فانشتوك ، **مرجع مذكور آنفا** ، ص ٤٣٣ .

٢١ — فانشتوك ، **المصدر السابق** ، ص ٤٣٠ — ٤٣١ ; رودنسون ، **المصدر السابق** ، ص ٧١ .

٢٢ — ان هدف الاعتراف ، اعتراف العرب باسرائيل ، هو بالاحرى سبب اضافي وثانوي للعدوان الاسرائيلي في العام ١٩٥٦ . ولعل الاشارة الاسرائيلية القاطعة الى هذه الحقيقة تتمثل في المذكرة الاسرائيلية السرية الموجهة الى السفارة الامريكية في اسرائيل قبيل زيـارة بن غوريون للولايـات المتحدة في ايار — حزيران ١٩٦١ ، وجاء في المذكرة ان الحكومة الاسرائيلية لا تعتقد ان الوقت مناسب للتسوية السلمية للعلاقات بين اسرائيل والبلاد العربية . هذا ما أوردته الكاتبة السوفياتية جالينا نيكيتينا في مؤلفها : « **دولة اسرائيل — خصائص التطـور الاقتصـادي والسياسـي** » ، الترجمة العربية الصادرة عـن دار الهـلال ، ص ١٤٤ . وقد نقلته المؤلفة عن جريدة «Stuttgarter Zeitung» الالمانية ، تاريخ ١٩٦١/٤/٥ .

٢٣ — رودنسون ، **المصدر السابق** ، ص ٧٣ . وكتب حبيب القهوجي : « لقـد كتب بن غوريون مـرة بعد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ بان اخشى ما يخشاه بأن يقوم رجل من هذه الامة ويوحدها كمـا حصل في الماضي وعندها لن يكون محل لاسرائيل في الشرق الاوسط » ، مجلـة « **الثقافة العربية ٧١** » ، بيروت ، العدد ٦ ، تشرين الثاني ١٩٧١ ، ص ١٤٩ .

٢٤ — روى محمد حسنين هيكل ذلك . راجع جريدة «**النهار**» الصادرة في بيروت ، عدد ٣ تشرين الاول ١٩٧١ .

٢٥ — من خطابه بتاريخ ١٤ ايار ١٩٥٦ ، عن « **فلسطين — من أقوال الرئيس عبد الناصر** » ، ص ٢٧ .

٢٦ — **المصدر نفسه** ، ص ٥٧ .

٢٧ — ولكن لا بد من ايضاح : ان السياسة علاقات **موضوعية** وليست نوايا ذاتية . عبد الناصر لم يضع تحرير فلسطين في أمر اليوم فعلا ، ولكن اسرائيل لم تضع **الا** رأس عبد الناصر في أمرها اليومي .

٢٨ — لم تكتب بعد دراسة عربية خاصة بمسألة الوحدة العربية واسرائيل ، رغم ان مسألة الوحدة العربية تعتبر المسألة المركزية في الصراع العربي الاسرائيلي . ومع ذلك فثمة دلالات بينة بما فيه الكفاية .
— في « **الثقافة العربية ٧١** » ، مصدر مذكور آنفا ، كتب صبري جريس : « ما زلنا نذكر صرخة بن غوريون في اعقاب قيام اول وحدة في تاريخ العرب الحديث — وحدة عام ٥٨ بين مصر وسوريا — حين قال: « أن هذه ليست جمهورية ، ولا هي عربية ، ولا هي متحدة ! » . لقد كانت هذه الكلمات تعبر عن الحقد والغضب والكراهية التي تفجرت في قلوب الصهاينة وهم أمام اولى البوادر الوحدوية الحقيقية في العالم العربي . والواقع ان اشد ما ترهبه اسرائيل هو قيام اي ظاهرة حقيقية للوحدة العربية . والسبب بسيط جدا ، فكلما كبر العرب صغرت اسرائيل . المسألة مسألة وجود كيانهم باكمله او عدم وجوده ... » ص ١٥٩ .
— في ١٩٥٨/٢/٢٠ نقلت الصحف السورية كلهـا تقريبا تصريحا لنهرو أدلى به في البرلمان الهندي : « ... انني ارحب بوحدة مصر وسوريا ... ان هذا الذي يجري في الشرق الاوسط (أي قيام الوحدة) ادى الى سماع صوت التشاؤم من اسرائيل . وهناك بعض الخطر من ان تقوم اسرائيل بعمل طائش نتيجة لما حدث في الشرق الاوسط ، واذا ما حدث شيء من هذا النوع ، فان المرء ليعجز عن معرفة ما يؤدي اليه » . ولقد ثبت هذا التصريح في كتابي « **حول بعض قضايا الثورة العربية** » ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ١٩٤ .
— عالج ايبان موقف اسرائيل بهذا الخصوص ولخص الصراع في المنطقة بوصفه صراعا بين الوحدة والتعدد (التجزئة) . راجع مجلة « Foreign Affairs » الامريكية ، تموز ١٩٦٥ ، ص ٦٢٩ . ونوه رودنسون في الصفحة ١٠٥ من كتابه المذكور آنفا ، بهياج بن غوريون عندما لاحت احتمالات الوحدة الثلاثية . اما صموئيل سيجيف ، الكاتب الاسرائيلي ، فقد أوضح ببعض التفصيل وجهة نظر اسرائيل في الوحدة العربية في الصفحات ١٦ — ١٨ من كتابه :
«Israël, les Arabes et les grandes puissances» éd. Calman-Lévy, Paris 1968.
اما نظرة اسرائيل الى مسألة الوحدة من زاوية عسكرية فنجدها في تقرير الاركان الاسرائيلية المنشور في كتاب « **خنجر اسرائيل** » الذي نشرته دار دمشق عام ١٩٦٧ .

٢٩ — معلومات حصلنا عليها شخصيا من قائد الجبهة السورية آنذاك .

٣٠ — راجع « **خنجر اسرائيل** » ، مصدر مذكور قبلا ، ص ٢٨ .

٣١ — لقد اثبتت الاحداث دوما ان ما يسمى بالتضامن والتحالف العربي ، في ظروف كالظروف العربية ، لم تكن يوما جدية . فما لم تكن ثمة قيادة سياسية مركزية فلن يكون هناك تحالف ذو جدوى وفاعلية من الزاوية العسكرية .

٣٢ — وقد أشار الى ذلك عبد الناصر باعتباره ثمرة من ثمار الوحدة . راجع خطابه بمناسبة الذكرى الاولى للوحدة . عن « **فلسطين — من اقوال الرئيس عبدالناصر** » ، مصدر مذكور آنفا ، ص ٣٨ .

٣٣ — راجع رودنسون ، **مصدر مذكور آنفا** ، ص ٨٥ .

٣٤ — **نفس المصدر** ، ص ١٠٠ . راجع ايضا جالينا نيكيتينا ، **مصدر مذكور آنفا** ، ص ١٤٢ .

٣٥ — **نفس المصدر** ، ص ١٤٢ .

٣٦ — راجع كتاب جورج قرم : «Les finances d'Israël» ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ٣٨ . يستخلص من الجداول الاحصائية المنشورة في هذا الكتاب ما يلي : الهبات المقدمة لاسرائيل كانت في تناقص في فترة ١٩٥٤ — ١٩٥٧ ، ثم صعدت صعودا ملحوظا في فترة الوحدة . فبعد ان كانت الهبات الامبريالية ٢٤٥،٤ مليون دولار في العام ١٩٥٧ أصبحت ٣٤٦،٥ مليون في العام ١٩٦١ . ولم يرتفع هذا الرقم بعد مقتل الوحدة ، فبقي ٣٤٧،٩ في العام ١٩٦٥ ، وهبط الى ٣٠٦،٣ في العام ١٩٦٦ .

٣٧ — فانشتوك ، **مصدر مذكور قبلا** ، ص ٤٤٧ .

٣٨ — راجع الياس سعد: «**الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة**»، مركز الابحاث الفلسطينية، تشرين الثاني ١٩٦٩ ، ص ٢٤٦ — ٢٤٧ . لا شك ان ثمة عوامل اخرى تتحكم بموضوع الهجرة ، ولكن لا شك ان الوحدة تشكل عاملا هاما .

٣٩ — ان نسبة الفلسطينيين الذين قتلوا وسجنوا وطوردوا بسبب نضالهم في سبيل اعادة الوحدة كانت أعلى بكثير من نسبة السوريين . لا عجب . لقد شعروا ، بحق ، انهم يدافعون عن أمل بالعودة قد انطفأ .

٤٠ — راجع الحلقة السابعة من كتاب محمد حسنين هيكل « **عبدالناصر والعالم** » . النهار ٢٤ تشرين الاول ١٩٧١ .

٤١ — أعاد هيكل نشر هذه الرسائل في الحلقة السادسة من الكتاب المذكور ، **النهار** ١٧ تشرين الاول ١٩٧١ .

٤٢ — راجع الهامش رقم ٢٢ .

٤٣ — جالينا نيكيتينا ، **مصدر مذكور قبلا** ، ص ١٤٥ .

٤٤ — رودنسون ، **مصدر مذكور قبلا** ، ص ١٤٥ .

٤٥ — كان احمد عسة يصدر جريدة « الرأي العام » ، التي كانت اكثر الصحف السورية انتشارا . هرب احمد عسة بعد ٨ اذار ١٩٦٣ الى السعودية ، ليعمل في الاعلام السعودي ويؤلف الكتب عن « منجزات » العائلة السعودية . كان اكرم الحوراني « راعي » هذه الجريدة ، وكانت الصحف السورية كلها تقريبا تنشر مقالات اكرم الحوراني في عرض صفحاتها الاولى ، ولعل أهم مقالاته واشهرها هو المقال الذي نشره في ١٩٦٢/٨/٢١ .

٤٦ — في **المصدر المذكور آنفا** ، كتب صموئيل سيجيف في الصفحة ٢٤ ما يلي : « ان مختلف الانظمة الملكية العربية ، التي كان عبدالناصر يهاجمها دائما بسبب سياستها الرجعية ، ما لبثت ان كالت لـه الصاع بالصاع ، وهاجمته في موقفه المتساهل من مسألة حرية الملاحة الاسرائيلية الى ميناء ايلات وبسبب وجود قوات الطوارىء الدولية على حدود قطاع غزة وسيناء . وتزايد تواتر وعنف هذه الهجمات كلما اقترب موعد انتهاء المشروع الاسرائيلي لضخ المياه من نهر الاردن » .

٤٧ — لوحظ آنئذ ان العلاقات بين النظام الاردني والنظام السوري أصبحت ايجابية في الفترة التي شغل فيها الرزاز مركز الامين العام القومي لحزب البعث . ولاول مرة في تاريخ سوريا يقوم رئيس للدولة (امين الحافظ) بزيارة السفارة الاردنية مهنئا بعيد جلوس الملك حسين على العرش . كما سمح للصحف الاردنية، لاول مرة ايضا ، بالدخول الى الاسواق السورية .

٤٨ — « **تحرير الاقطار المحتلة** » ، من اصدار فتح ، ص ٢٧ — ٢٨ .

٤٩ — « **كيف تنفجر الثورة الشعبية المسلحة ؟** » من اصدار فتح ، ص ٣٢ .

٥٠ — E. Rouleau, J.F. Held, J. Lacouture : *«Israël et les Arabes — le 3e combat»*, Seuil, Paris 1967, p. 59.

٥١ — في الصفحة ٤٧١ من كتابه الآنف الذكر ، أورد ناثان فانشتوك ، نقلا عن مصادر اسرائيلية رسمية ، المعلومات التالية عن النشاط الفدائي قبل حرب حزيران : عـام ١٩٦٦ : ١٠ قتلى . عام ١٩٦٧ (من ١ كانون الثاني حتى ٥ حزيران ، وعلى حدود الدول الاربع) قتيل واحد . عدد العمليات : عام ١٩٦٥ بلـغ ٣٥ عملية ، الناجحة منها ٢٧ . عام ١٩٦٦ بلغ ٤١ عملية ، الناجحة منها ٣٠ . عام ١٩٦٧ بلغ ٤٦ عملية الناجحة منها ٢٠ .

٥٢ — لا بد ان انوه، استنادا الى الذاكرة، الى ان صحف دمشق كانت تهون آنذاك من شأن الحلف الاسلامي وتعتبر الحلف الاسلامي وهما خلقه عبدالناصر ، فالرجعية ضعيفة وان الهدف الاساسي للاستعمار من وراء مشروع الحلف الاسلامي هو دفع دمشق للقاء بالقاهرة .

٥٣ — راجع « **فلسطين — من اقوال الرئيس عبد الناصر** » ، مصدر مذكور قبلا ، ص ١٢٠ ، ١٣٧ ، ١٣٩ .

٥٤ — ما كان عبد الناصر ليواجه هذا الحرج امام الجماهير العربية لو ان اجهزة الاعلام المصرية لم تخف عليها حقيقة المعارك العسكرية مع اسرائيل عام ١٩٥٦ .

٥٥ — راجع « **فلسطين — من اقوال الرئيس عبدالناصر** » ، ص ٩٧ ، ١١٩ ، ١٤١ .

٥٦ — **المصدر السابق** ، ص ١٣٧ .

٥٧ — رودنسون ، **مصدر مذكور قبلا** ، ص ١٧٥ . وفانشتوك ، **مرجع مذكور قبلا** ، ص ٤٥٩ .

٥٨ — قال عبدالناصر في حديث الى مجلة « **بليتز** » الهندية بتاريخ ٦ شباط ١٩٦٤ : « ليس مصدر قلقنا هو المياه التي يسرقونها والارض التي يعتزمون استعمارها [تعميرها ، بالاصـح] عـن طـريق استجلاب مهاجرين غرباء ، فان هذه الاعمال — رغم عدم شرعيتها — ليست بالخطر الكبير ، ولكن ما يهمنا هـو ألا

نسمح لهم بأن يقووا ويدعموا قبضتهم على الارض التي اغتصبوها عن طريق سلب المياه العربية وسرقة الارض العربية والاستمرار في تمزيق الجرح الذي اصاب اللاجئين الفلسطينيين بطردهم من ديارهم » .

٥٩ — « **فلسطين — من اقوال الرئيس عبد الناصر** » ، مصدر مذكور آنفا ، ص ١٣٨ — ١٣٩ .

٦٠ — هشام شرابي : « **المقاومة الفلسطينية في وجه اميركا واسرائيل** » ، دار النهار ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٨٢ ، نقلا عن مقال دافيد نيس (وهو دبلوماسي اميركي كان في القاهرة قبيل العدوان) الذي نشر في جريدة « نيويورك تايمس » ، ٦ شباط ١٩٦٨ .

٦١ — جريدة **لوموند** ، عدد ١٩٦٦/٥/٢ ، راجع ايضا كتابي رودنسون ص ١٧٥ وغانشتوك ص ٤٢٥ ، **المذكورين آنفا** .

٦٢ — مايلز كوبلند : « **لعبة الامم** » ، الطبعة العربية ، دار الفتح ، بيروت ١٩٧١ ، ص ٢٩٠ — ٢٩١ .

٦٣ — نقلها هشام شرابي ، في كتابه المذكور قبلا ، عن خطاب القاه دافيد نيس في مؤتمر لبحث الشؤون العالمية عقد في جامعة كولورادو في نيسان ١٩٦٨ .

٦٤ — وقد تم فعلا هذا الشحن من خلال الصحف الاسرائيلية بخاصة ، عبر ابراز تصريحات الشقيري وعبر تضخيم اعمال الفدائيين ، والتهويل بها ، بحيث كانت اجهزة الاعلام الاسرائيلية تعكس اعمال الفدائيين على نحو اضخم من بلاغات « العاصفة » ، كما كانت المخابرات الاسرائيلية تضع متفجرات في أماكن معينة وتفجرها بحيث لا تحدث اضرارا في الارواح ثم تنسبها للفدائيين .

٦٥ — يروي ابريك رولو ، في جريدة **لوموند** تاريخ ١٩٦٧/٦/٦ ، ان عبدالناصر كان قانعا بأن المخابرات الامريكية ضالعة في مؤامرة الاخوان المسلمين التي اكتشفت عام ١٩٦٥ . وفضلا عن ذلك فقد وقعت اربعة انقلابات امريكية في اندونيسيا وغواتيمالا وغانا واليونان في الربع الثاني من العام ١٩٦٧ .

٦٦ — رودنسون ، **مصدر مذكور آنفا** ، ص ١٨١ — ١٨٢ .

٦٧ — في ١٢ أيار صرح اسحق رابين ، رئيس اركان الجيش الاسرائيلي ، انه « لا يمكن لاية دولة في الشرق الاوسط ان تشعر بالامن ما لم يتم القضاء على الحكم الثوري في دمشق » .

٦٨ — راجع ميشال بار زوهار ، المؤرخ الاسرائيلي المعروف وشبه الرسمي ، ص ٢٩١ — ٢٩٦ :
Histoire secrète de la guerre d'Israël, éd. Fayard, 1968
وملخص رواية بار زوهار كالاتي : كان مجلس الوزراء الاسرائيلي منقسما ، لاعتبارات سياسية وعسكرية ، حول مسألة الهجوم على سوريا ، في ٥ حزيران . وقد مارس الون ضغوطا شديدة على الوزارة لدفعها لاتخاذ قرار بمهاجمة سوريا ، وجاء بوفود شعبية من شمال اسرائيل لهذا الغرض . ولقد عارض دايان في البدء الهجوم على سوريا . وبعد ان قبلت مصر وقف اطلاق النار في ٩ حزيران عاد دايان يأمر بمهاجمة سوريا بدون علم اشكول ، الذي ايد الهجوم في البداية ثم عارضه بعد ذلك ، ثم عاد اخيرا فوافق على أوامر دايان بالهجوم .

٦٩ — روى محمد حسنين هيكل ، اياه ، في **الاهرام** الصادرة في ١٩٧١/٢/١٩ ، ما يلي : اذكر انني التقيت مرة بأحد المستشارين الذين يعملون في لجنة الطوارىء في البيت الابيض ، واذكر انه قال لي : « بعد أن اطمأن جونسون الى انتصار اسرائيل ، فان سياستنا اصبحت قائمة على الاحتفاظ بالوضع الذي نشأ عنه وعدم تغييره الا على شروطنا » .

٧٠ — من رسالة عبد الناصر الى مؤتمر الطلبة العرب المنعقد في الولايات المتحدة بتاريخ ١٩٦٣/٨/٢٧ . نشرت في **الاهرام** بتاريخ ١٩٦٣/٣/٢٨ .

٧١ — راجع الهامش رقم ٢٨ .

من ذكريات ٥ حزيران ١٩٦٧
الفرح .. عندما يخون !

محمود درويش

فصل من كتاب عن تجربة محمود درويش

الاسرائيلية ، سينشر تباعا في شؤون فلسطينية

١

علموك أن تحذر الفرح ، لان خيانته قاسية . من اين يأتيك فجاة ؟

تغزوك الايام بذكريات لا تشبهك . كنت خارجا ، لتوك ، من الخامس عشر من أيار . وكنت عاجزاً عن الالتصاق بالاشياء التي ابتعدت عن مسام جلدك. وقد مات جدك الذي أوصيته بمراقبة الرابية المطلة على مصادر موته . اخوك يحب الخطابة ، فوقف على البكاء ووعد الجنازة القادمة بأنها ستكون اكثر حظا من الاولى . لم تبلغ الثلاثين ، ولكن محاذاة الموت تعطيك الحكمة . ومن الحكمة الا تبدو عاطفيا في حضرة الاخرين .

تنتهي مدة الحزن المحددة في تصريح سفر . تنسل من الجنازة الثانية وتعد اهلك بالعودة لزيارتهم في جنازة قادمة . فهذه هي المناسبة الوحيدة للحصول على اذن بالحركة . ما اشد العلاقة بين الموت والحركة . وكنت خارجا ، لتوك ، من ذكرى الخامس عشر من أيار . كنت مسرعا الى البيت لا لتسبق الشمس الغاربة ، وانما لتهرب من الاضواء المتفجرة من الشوارع في عيد مصرعك التاسع عشر .

ماذا قالوا لك في المرة الاخيرة ؟

خياليون .. خياليون أيها العرب .

وفي كل ليلة ، من كل عام ، في مثل هذا اليوم يتجدد انتحارك الذي لا يشعر به احد . الانتحار غالبا ما يكون مظاهرة . ولكن انتحارك سر . يهبط عليك يوم ، يثقب جلدك وينتشر في عظمك رويدا رويدا كزلزال صغير لا ينتهي ، ولا يكبر ، ولا تنفجر .

الانفجار — هذا ما يشغل بالك . تنتظر هذه النهاية منذ عشرين سنة ، ولا تأتي . لان حالتك لا تفهم ولا تصل . ما أسهل أن تكتب قصيدة تجهض الانفجار . وما أسهل أن تحاور خصمك لتثبت ماذا ؟ أن لك حقا ؟

وماذا قالوا لك في المرة الاخيرة ؟

خياليون .. خياليون ايها العرب .

ولو أعطوك كل شيء ، فماذا انت فاعل . هل ترضى ؟ هل تكف عن البحث عن نقطة انفجار ؟ وهل تأتمن الفرح ؟ . ان من سلبك كل شيء لن يعطيك اي شيء . ولو أعطاك أهانك . « كن عاقلا واذهب الى الطين » هكذا قلت لنفسك ، ولم ترد على سؤالي : لو أعطوك كل شيء ، فهل تأتمن الفرح ؟ . وتلتفت الى أيامك وتصنف أجمل الشعارات التي حملتها وسرت بها الى السجون :

تصريح سفر ..

حرية تعبير ..

مساواة ..

وفجأة تضحك ، تضحكك المساواة بين المحتلين والغزاة . وأنت تناضـــل لكي لا تأتمن الفرح .. ولقد علمتك الايام أن تحذر الفرح ، لان خيانته قاسية ، فمن أين يأتيك فجأة ؟

٢

تنتظر شيئا آخر ..

حالة الانتظار هي المبرر الوحيد لاقتناعك بمطالب تبقى صالحة ، طيلة السنة ، وتسفر عن سماجتها في منتصف أيار دائما .

لست مسؤولا عن شيء مما مضى . ليس الماضي مـــن صنع يديك واخطائك . ولكنه ميراثك . هل ذهبت الى طبريا مثلا ؟.

تقرأ شعرا عبريا في وصف هذه المدينة التي تحمل بحيرتها وتنزل الى تحت . وأنت لا تراها . هل تكون تافهة رغبتك الجامحة في لقياها ؟ وهل يكون كفاحك رخيصا لو طالبت بالسفر الى مدنك ؟. لا . ولكنك تنتظر . ولماذا ترى طبريا ما دامت المدافع العربية تطل عليها وتعدك بها ؟

تنام وجهاز الراديو ساهر في سريرك . تعرف أسماء المذيعين في كل الاذاعات العربية ، ومواعيد نشرات الاخبار ، وتلاوة آيات من الذكر الحكيم ، والاغاني والتمثيليات . وكلها جميلة . كل ما يفعله العرب جميل لانه ظهرك . لا يعترض أحد على أصوات مضيفات الطائرة ، فكلها أصوات جميلة ما دامت تعلن عن قرب هبوط الطائرة في مدينة ما . وكل المذيعين والعاملين في الاذاعة والقرآن وعدوك بسلامة الوصول الى المدن التي تشتهيها. ليس من حقك ، الان ، ان تعرف الحقيقة لان الحقيقة قد تعني انتهاء حقك في الانتظار . ويوم ثار الجدل بين النقاد على تحديد شخصية « جودو » اللامعقولة ، لم تفهم دواعي الضجة ، وكنت أذكى من كل النقاد ومن بيكيت نفسه . فمـــن انتظر العرب عشرين عاما يعرف جودو .

وهل ذهبت الى قيساريه ؟

تقرأ شعرا عبريا في وصف هذا الشاطىء الذهبي ، وتشعر بالنشـــوة . وحين كانت العرب تخطىء في نطق أسماء مدنك وقراك لم تكن تغضب عليهم ولا تعاتبهم . كنت تلجأ الى دليل الاسماء العبرية وتفهم . ثم تبتسم للاخطاء العربية كما يبتسم الاب لاخطاء طفله الذي يتدرب على النطق .

وكنت تتساءل أحيانا :

ما هي العلاقة بين هؤلاء الغزاة وبين هذه الحجارة والمياه والاشجار ؟ ولم تفطن الا في وقت لاحق الى أن أدبهم السياسي والوجداني شديد الالتصاق بها بشكل يثير الدهشة ، ويتعامل مع جزئيات وأشياء لا تراها . ليس هــذا بذنبك . فمنذ بلغت الصبا حددوا اقامتك وصارت كتابتهم وسيلتك الوحيدة للتعرف على وطنك . مفارقة غريبة ، اليس كذلك ؟ باطل الاباطيل والكل زائل . ثم تفطن في وقت لاحق أيضا الى ان جانبا من جوانب صراعك معهم هو التنافس الوجداني على حب هذا التراب ، وليس الدعوى الذهنية فقط . لقد زوجوا الدعوى بالعاطفة . كيف ؟ هل يكون الغازي عاشقا الى هذا الحد ؟ لم يكتب الفرنسيون والامريكيون غزلا في غابات فيتنام . ولكنهم يموتون وبدون حب . تخاف الفكرة ، وتخشى ان يتحول المثل الى حجة ضدك ، ولكن الجزائر تنقذك . فيهدأ بالك وترتاح الى جدوى الانتظار .

وقد سألوك كثيرا :

خياليون . . خياليون ايها العرب. ما دام انتماؤكم الى هذه البلاد حقيقيا وعميقا فلماذا لا تكتبون شعرا في الطبيعة ؟

الطبيعة . . ما هي ؟ تخرج الى الشرفة فيسرقك المساء ويعيدك الحارس . ومن ثقب سيارة الشرطة تعطي عينيك للطبيعة . كيف يجتمع الازرق والاخضر والبرتقالي في اناء واحد ولا يختلط ؟ تحافظ الالوان على استقلال جمالها وتجانسها المشترك : ينزل الكرمل الى الشاطىء ليبدأ البحر . ينتهي البحر ليبدأ المساء . ينتهي المساء ليبدأ التحقيق :

ـــ خياليون . . خياليون أيها العرب

● لماذا ؟

ـــ لانكم لا تعترفون بالزمن

● ماذا تعنون ؟

ـــ مرت ١٩ سنة ، وتطالبون بالاوهام

● تعلمنا صداقة الوهم منكم

ـــ ماذا تعني ؟

● مرت ٢٠٠٠ سنة ، وتطالبون بالاوهام

ـــ هذه بلادنا

● وهذه بلادنا .

ـــ نحن اقوى .

● خياليون أيها الاسرائيليون . . خياليون

ـــ لماذا ؟

● لانكم لا تعترفون بالزمن

ـــ ماذا تعني ؟

● القوة لا تخلق الحق . ونحن اقوى مع الزمن .

ـــ ولكنها بلادنا ، وسندافع عنها .

● وبلادنا وسندافع عنها .

ــ نحتكم الى السلاح اذن .

● لقد احتكمتم . ونحن لم نحتكم بعد .

وكان حزيران خلف الباب

كنت تنتظر

وكانوا ينتظرون .

كن متفائلا ، واذهب الى حزيران .

من هنا ، جاءك الفرح فجأة . وقد علمتك الايام ان تحذر الفرح ، لان خيانته قاسية .

٣

صار الاسرائيلي العادي متأرجحا بين النص وبين الخبز . كان يقول « عدت » الى أرض الميعاد تحقيقا لرسالة البعث التاريخي للامة اليهودية العظيمة . وفي حالات أقل مثالية كان يقول « جئت » الى ارض الامان لانجو بجلدي من الاضطهاد النازي . « للغربان وطن وليس لي وطن » . وفي حالات أكثر واقعية يقول « أعيش » على أرض اسرائيل ، وليس لي من هدف الا الامن والعيش بسلام . ولم يقرأ الحكمة القائلة « عدلت ، أمنت ، فنمت » .

ولقد خف الاحساس الوطني الاسرائيلي ، قبل حزيران ، عندما واجه حقيقة الفارق بين « ارض الميعاد » في أناشيد الطلائع « ارض السمن والعسل وحل المشكلة اليهودية » وبين الواقع الذي أخذ شكلا شديد القسوة في أيار ، عندما وصلت البطالة والغلاء ذروة خطيرة . وصارت الهجرة من اسرائيل لا الى اسرائيل هي القضية المطروحة ، وانتعشت حاسة السخرية اليهودية لدى الاسرائيلي الذي صار يقول : « يرجى من المسافر الاخير الا ينسى اطفاء النور في مطار اللد » . والتهمت الكتب التي تتندر على رئيس الوزراء كل الكتب الصهيونية القومية . فأرض السمن والعسل ليس فيها خبز وزبدة . ثم التقت الازمة الاقتصادية الخانقة بالتوتر الشديد على خطوط الهدنة ، فتأرجح الاسرائيلي العادي ، هذه المرة ، بين المطلب الاقتصادي وبين الجسد . وصارت الصحف الاسرائيلية تتهم العمال المضربين عن العمل بالعمالة للمنظمات الفدائية الفلسطينية . وصار بوسع المراقب أن يلاحظ أن نقمة الاسرائيليين على مؤسستهم تصرف الى الحدود .

الامن ــ اولا ، والخبز ــ ثانيا . والمؤسسة الاسرائيلية تنمي حاسة الخوف اليهودي باستمرار لتحقق اكثر من هدف : امتصاص مطالب الناس الاقتصادية ، وتوظيفها في مسألة الحرب . اندفع الاسرائيليون الى القتال بشراسة تحت غطاء « الدفاع عن النفس من خطر الابادة » . وايهام العالم الخارجي بمدى الخشية الاسرائيلية من الغزوة العربية .

وكان رجل الشارع خائفا . خائفا حقا .

وكان أصدقاؤك الاسرائيليون يزورونك كل مساء . يشربون حتى الثمالة كأنهم يشربون الحياة . « من يدري ، فقد تنشب الحرب غدا ، وقد لا نعود » . كان الوطن يتحول عندهم الى مجزرة . أمن أجل هذه النهاية جئنا ؟

لم يعد الاسرائيلي الحي خيرا من اليهودي الميت . وكنت تتساءل : كيف استطاعت المؤسسة الاسرائيلية أن تشحنهم بكل هذا الخوف المسرحي . كانوا فعلا يمثلون ، ربما دون أن يدري معظمهم ، مسرحية المسافرين الى الموت . اليأس ... اليأس . ان

اليأس طاقة تفجيرية . وكانوا يسألونك : كيف ننجو ؟. وكنت تكلمهم عن حقوق الاخرين ، فيضيقون ذرعا ، ويقررون : ليس امامنا الا القتال . لا مفر . لن نموت بلا سلاح . الموت في ميدان القتال خير من الموت في البيت . وتتفجر فيهم حاسة مسادة الانتحارية . ويشربون بشراهة كأنهم يشربون الحياة . ويتصالح العاشق مع عشيقته . وتتحول العذارى الى أمهات بسرعة مدهشة . ويعود المطلق الى زوجته . وتأتلف الاحزاب المتعارضة وتنشأ جبهة قومية ، ويبحثون عن بطل قومي .

ويودعونك ولا يعودون .

٤

وحين تسير في شوارع المدينة ، تكون وحدك . لا لونك يعلن هويتك ، ولا مطاردة البوليس لك . ان الشارع نفسه يطاردك ويعلنك . لانك الشاب الوحيد . ومن يمشي في الشارع في تلك الايام يكون عربيا . يلعنك الاطفال والشيوخ ، فتخجل من السير في الشوارع . اكشاك الفلافل والسندويتشات خالية . دور السينما خالية . البلاد كلها خالية من الشباب . صحف كثيرة لا تعرف من يقرأها ومن يوزعها . ولكنك ترى ان أولاد المدارس الصغار هم الذين يوزعون زجاجات الحليب والبريد .

وعلموك ان تحذر الفرح ، لان خيانته قاسية . فمن أين جاءك فجأة ؟.

يقترب الانتظار من الانفجار . وتسألك امك ، أن تعتني بسلامتك . والمصير — كل المصير يأخذ شكل طلقة . ترى الحرب ولا ترى موتا . تخرج منك الذكريات الى الابد . ولا وقت للتصور القادم . تذكر ، فجأة ، أن فلسطين بلادك . يأخذك الاسم الضائع الى عصور ضائعة . كأن هذه المرأة النائمة على ساحل البحر الابيض المتوسط تصحو دفعة واحدة حين تناديها باسمها الفاتن . حرموك من الاناشيد المدرسية القديمة وسيرة الثوار والشعراء الذين خاطبوها . الاسم يعود ... يعود أخيرا من رحلة العبث . تفتح خارطتها كأنك تفتح ثياب حبيبتك الاولى لاول مرة : كان شيء يشبه الفضة — كانت طبريا . تصعد القدس الى خصر الله . صفد طارت الى اول قبلة . وفي عكا اجلسك الحب على صخرة البحر . ترى الى الخارطة وتصفر لحنا مرحا مرحا . وتنسى حيفا لانك دائما تنسى قلبك . تشعر بصداقة عميقة مع الايام . لم تكن قاسية الى الحد الذي تتصوره ، ولكن مزاحها كان سمجا أحيانا . دنيا !.. تمد اصابعك الطويلة الى أجزاء المرأة الذكية النائمة على ورق صقيل : الخصر رفيع يشربه البحر وخطوط الهدنة . ثم تقبلها وتعانقها وتموت من اللذة — الوعد . ولا تقف على أرض ، سابح .. سابح مفتون بالغموض . وتذكر طفولتك القاسية وطفولة المستقبل والاشجار . ثم تقطع شوارع عكا ، وتقف طويلا عند شارع بيروت . كنت تشعر بالمعجزة يوم كان اصدقاؤك الكبار يخبرونك عن رحلاتهم الاسبوعية الى دمشق وبيروت والقاهرة . تأخذ القطار من حيفا ، يمر القطار في العريش ويوصلك الى القاهرة . تأخذ سيارة اجرة من عكا ، وبعد أقل من ساعة تكون في ساحة البرج . وتكمل السهرة عند ضفة بردى الذي تصورته في حجم الفرح . تسألهم : هل كانت بيروت والقاهرة ودمشق قريبة الى هذا الحد . كانت ... كانت اقرب . وكانت فلسطين ملتقى الشرق . وفيها غنى عبد الوهاب وأم كلثوم . لو وقفت على الاهرام وقذفت حجرا على فلسطين لوصل عصفورا . والآن ، ماذا ؟ يخرج عصفور من فلسطين فيبيض سربا من اللاجئين عند ضواحي دمشق . مزقونا فتكاثرنا لاجئين . شيء في الداخل وشيء في الخارج . في الخارج — ينمو الاطفال على حليب وكالة الغوث فيتحول في عروقهم الى دم فلسطيني . وفي الداخل تأكل من قمح مرج بن عامر وتصبح « مواطنا اسرائيليا » . وتقضي نصف عمرك لكي تجد اعترافا واحدا بأنك « مواطن فلسطيني » فلا تجد . ويوم هبط الانسان

الاول على سطح القمر كنت مشغولا بكتابة رسائل عاطفية الى البوليس الاسرائيلي ليأذن لك بالسفر الى قرية أهلك !.. في الخارج يحسدونك لانك في وطنك وهم لاجئون. تخبرهم ان منظر الماء لا يروي الظامىء بل يرميه . لا يفصلك عن أرضك الان الا شارع لو قطعته لاعتقلت ، واتهمت بالتسلل والاعتداء على أملاك الدولة . قف على رصيف الشارع وتحول الى شجرة يابسة . بينك وبين الموت حافة سكين . وحين تراهم يحرثون أرضك ينزل المحراث في كبدك ، وحين تصرخ من الغيظ والالم يتهمونك بالعداء للسامية !.. هذا هو الشعر ، والنهر بعيد . تؤثر الشعر على عبور النهر . فيحاسبك النقاد المترفون على اعترافات لم تعلنها ولم تخترها ولا شأن لك بها . الرفض العلني معناه النفي العلني . هكذا تصبح المعادلة مميتة : أن ارفض أعدائي ، بهذا الشكل ، معناه أن أرفض وجودي . تحايل على الصيغة لكي تحتفظ ببقائك . وهكذا تفضل الشعر على عبور النهر . فيتهمك النقاد المترفون بالخيانة القومية . ويتهمك اعداؤك بالعداء للسامية .

تف على رصيف الشارع ، وتحول الى شجرة يابسة . وحين تراهم يروون ارضك بالماء تنهمر الافراح التي يبعثها المطر . المهم الا تعطش الارض . ولو مت أنت من الظمأ . هكذا كان يفعل جدك . قضى بقية حياته واقفا على رصيف الشارع في محاذاة حافة السكين . وبين تحوله الى شجرة يابسة وبين فرحه بالمطر ونزول المحراث في كبده توقف قلبه ومات . رثاه أخوك الذي يحب الكتابة ووعد الجنازة القادمة بأنها ستكون اكثر حظا من الاولى . كنتم تدفنون الشجرة اليابسة — جدك في قبر ما تمناه . الاحياء محرومون من بيوتهم وارضهم . والموتى محرومون من قبورهم .

وما عدت تخرج الى شوارع المدينة في تلك الايام . تجلس في الغرفة وتنفض الغبار عن اسماء مدنك . اكتشفت فلسطين اسمها ، وعاودك الحب .

٥

ممتلىء بالموسيقى وشهية المفاجآت . تغض طرفا عن الحماقات . هذا منطق اللغة الغنية بتعابير لا تعكس فعلا أو رغبة في الفعل . تشمئز من منظر الكلمات وهي تمارس القتل الجماعي . تقول لاصدقائك ان العرب لا يعنون ما يقولون . هذه لغة .. ثم تذكر أصدقاءك الذين اقنعتهم بالامس أن لك حقا ، بأنهم قتلوك وقتلوك وقتلوك بدون لغة . ليس الضجيج هو المهم .

ثم تحلم بحل آخر : هل الحرب قدر ؟ تصدمك حقيقة اخرى : الاسرائيليون يقولون دائما « لا مفر » . لقد تبنوا حقيقتك وأطلقوا عليها تسميتهم . هذا هو وضعك . هذه هي حالتك . فلماذا تعطيهم هذه النعمة . كيف يخرج القاتل الى الشارع مرتديا جلد الضحية ؟.. وكيف دفع الضحية الى الفرح بأنها هي القاتل . لقد قتلتنا الصهيونية المسلحة بالعنف عشرين سنة . ونحن الضحايا نتحدث عن القتل ، ولا نعنيه . هل هي اللغة ؟ هل تقود متطلبات السجع العربي الى مذبحة . لست مخدوعا بالبكاء الاسرائيلي ... هذا صحيح . ولكن ، اعلن ضيقك من الحماقة العربية .

ثم تحلم بحل آخر : حرب بلا موت . وتأتي الزوبعة . تباهى أديب اسرائيلي بأنه شديد الصلة بالموت : مات ابوه في اوكرانيا ، وعمه في المانيا ... و ..... وعاش هو في فلسطين . لست مسؤولا عن موتك يا صديقي . أن يكون الاب شهيدا لا يعطي الابن الحق في أن يكون قاتلا . وأنت قاتل يا صديقي . تحمل حس الانتقام الكوني كله مني . ينتهي اغترابك ليبدأ منفاي ، وتقتلني بسلاح من قتل أباك وعمك ، وبالتعاون معهم . تشتري فدية أبيك بمال تشتري به سيارة وسلاحا وتباهيني بالحضارة ؟ لن

اعد لك اسماء ضحايانا جميعها ، ولكني سألفظ اسم ضحية واحدة : وطني !..

تحدثني عن « فاوست » وتقول انه وجد الخلاص في خلق بلاد عجائب جديدة . وتقول لي ان ثمن خلاصه كان التضحية بمسنين أبرياء . وتعترف بأن فاوست لم يصنع هذه التراجيديا ، وانما هي من صنع الشيطان . ثم تمد أبعاد هذه المأساة على حياتك الحاضرة ... حياة القتال والحاجة العميقة الى السيطرة على الحياة يوما بيوم .

يعجبك اعتراف الخصم في لحظة صدق نادرة ، بعد سنين من ادعاء العذاب وارتداء ثياب الضحية . ويعجبك أكثر من ذلك انه يعترف باختياره دور الشيطان . ثم تسأله عن جدارة الحياة كما حددها فاوست ، فيقول لك ان معيار هذه الجدارة هي القدرة على السيطرة على الحياة . فترتاح الى فرحك بمحاولة السيطرة من جانبك . وما كنت بحاجة الى ذرائع ، ولكنك عاجز . ان سؤالا آخر يبقى معلقا : هل وجد الخلاص بخلق بلاد عجائب ؟ لقد اقنع نفسه واقنع الاخرين بأن هذه البلاد من صنع يديه وعقيدته المسلحة . انه يتكلم عن انتماء الجدارة بطريقة أخرى ، ليس مهما أن تقول ان جدارته خرافة ، فلم تكن بلادك صحراء من قبل . ولكن الاهم من ذلك كله أن تبرهن جدارتك بالطريقة ذاتها ، كيف استطاع أن يصنع الحالة التي تبيح له حق الكلام عن الجدارة... بالعنف طبعا . الاقوياء هم الجديرون . والضعفاء يكونون دائما ضعفاء في الحجة ... ثم تقنع بجدوى الايام القادمة : الحق وهم بلا قوة ، والقوة حماقة بلا حق . وقد كنت، طيلة حياتك ، صاحب حق بلا قوة ، وضعيفا بحماقة . ولم تكن شكواك المستمرة من الظلم دليل حرص على العدالة بقدر ما كانت تعبيرا عن غياب القوة . وانت الآن قوي ... قوي ... قوي .

وقد كنت ممتلئا بالموسيقى والقابلية على استيعاب المفاجآت في ذلك الصباح الساخن لحظة قالت مذيعة باللغة العبرية : « صرح ناطق عسكري بأن مجموعة من المدرعات المصرية اتجهت نحو حدودنا ، وصدرت الاوامر الى قواتنا بالتصدي لها » ثم استمرت موسيقى الصباح الناعمة ..

٦

ابتدأ كل شيء ،

وانتهى كل شيء .

وبين البداية والنهاية ، خانك الفرح الذي كنت تحذره دائما . كل شيء يتحول من حجارة الى أفكار . تخرج فلسطين منك بلا وداع . كنت في المخبأ معلقا على حبل الفارق بين يومين لا يتشابهان . ليسكت الوطن قليلا . لقد وقعت الخصومة بينك وبين الحياة ذاتها . يأخذك الزلزال ويطرحك ارضا ، عادوا الى اورشليم : الجنرال ، والكاهن ، والزانية . « لن نخرج من هنا الى الابد » . نفخوا في الصور وصلوا ودقوا رؤوسهم بحجارة الحائط القديم ، حتى سالت دماؤهم . لا حرب بلا دماء ، ولم يخسروا دما كثيرا في الحرب ، فليعلنوا ثمن الحرب تطوعا وتبرعا لحجارة الهيكل . تسمع اصواتهم عبر الراديو . لقد وصلوا الى الرب عبر جثث أهلك التي لم تدافع عن نفسها . العنف مرة أخرى . العنف يعلن جدارته . وبدعاوي الحق لا تأخذ شيئا ولا تستطيع الاحتفاظ بشيء . انت لا تبكي ، عادة ، ولكن سقوط القدس يعني سقوط الدموع . توقظك صلواتهم ، ترفع ستار نافذة المخبأ ، بعد يومين ، فيجتاحك شلال الضوء الزاحف من حيفا التي كانت غارقة في التعتيم الكاذب ... لم تر ناسا ، قبل اليوم ، قادرين على الفرح الوحشي بمثل هذه الطاقة . دقات طبول وصفارات اطفال واضواء كثيرة . لم يفرحوا بسقوط القدس والضفة وسيناء والجولان

كما يعلنون افراحهم الآن . لقد سقط عبدالناصر . الرمز والصوت والامل . خبر صغير في حجم الموت . ثلاثة شبان من الناصرة توقفت قلوبهم وماتوا . قرى الصعيد والاقاليم تزحف الى القاهرة لتعيد عبدالناصر الى الوقوف . كيف يكون الرمز في حجم الوطن ؟ لان بقاء الرمز يبعث الامل باستعادة الوطن : يوم كان جمال عبدالناصر يقول : « ايها الاخوة المواطنون » . ويبدأ ... كان كل شيء يتوقف عن الحركة . كان الجائع يشبع ، والغريب يعود . وكانت فلسطين تقف على أقدامها تأهبا للتحرير . يوم كان جمال عبد الناصر يقول : « ايها الاخوة المواطنون » ويبدأ ، كان سكان الارض المحتلة يعتقلون أنفسهم ، من اصغر طفل الى أكبر شيخ ، قرب أجهزة الراديو . وكثيرا ما كانوا يندفعون الى الجهاز الذي يحمل صوت عبد الناصر ويقبلونه في نشوة وطنية وانسانية لا توصف . والآن يذهب ؟.. صار التعلق بالوطن والتحرير مرتبطا بعودة عبد الناصر . وحين عاد ، احس العرب بأنهم حققوا انتصارا ، وخلصوا الامل من براثن الهزيمة .

تترك أوراق الجريدة في المخبأ . ماذا كتبت ؟ كنت تغطي اخبار المعارك وتكتب الجريدة، وتبوبها ، وتصحح بروفاتها ، لان زملاءك في هيئة التحرير قد اعتقلوا . دخلت مجموعة من رجال البوليس في ساعة مبكرة من صباح ذلك الاثنين وتلوا اسم زميل . وضعوا يديه في الحديد ، وساقوه ، على مرأى من الناس ، الى سيارة الشرطة . ثم عادوا وتلوا اسما آخر ، حتى لم يبق غير رئيس التحرير وغيرك في المكتب . والجريدة تصدر غدا في موعدها . المهم ان تصدر الجريدة لتحمل لونا من الامل الى قرائك الذين لا يحميهم من الحرب النفسية سواكم ؟.. التفت اليك رئيس التحرير وقال : خذ أوراقك واذهب الى اي مكان . الآن دورك ! وذهبت الى أي مكان لتواصل كتابة الجريدة . وعلمت فيما بعد ، أن زملاءك قادتهم الشرطة في شكل أسرى الى ساحة المدينة ، على مرأى من الاسرائيليين ، الذين رأوا الفوج الاول من اسرى الحرب . من قرر عملية الاعتقال الداخلية ؟ في الرابع من حزيران وقع قائد الجيش على لائحة المرشحين للاعتقال . كل شيء منظم . وفي المخبأ لم تعرف شيئا عن الحقيقة : العرب يعلنون عن تغلغلهم في فلسطين . والاسرائيليون لا يقولون شيئا . تسمع الذعر المنتشر خارج المنزل . وتسمع عن هيجان البوليس في القرى العربية المنتظرة ... الضرب والتعذيب والسباب . ولكن الناس تعد عمر سلاسلها باللحظات . هذه رقصة البجعة . وتسمع عن احتراق مصافي البترول منذ ساعات ، وتسجل الخبر . وتفطن ، بعد قليل ، الى ان مخبأك مطل على الميناء ، تسترق النظر عبر ستارة النافذة ، فلا تجد حريقا في مصافي البترول . الحريق في القلب . ثم ، يأتيك نبأ من البرلمان الاسرائيلي ، في أول ساعات المعركة ، بأن الوزراء الاسرائيليين يشربون الانخاب . حمقى ... يشربون الانخاب ! كيف . يقولون أنهم قضوا على أسطورة جيش عبد الناصر . وفي منتصف الليل ، يأتي قائد الجيش الى الاذاعة ليعلن حصاد المعارك : تحطمت الطائرات عند الفجر . والقوات الاسرائيلية تقاتل عند مدخل رفح !!..

وتعود ، من رحلة الامل السريع ، الى حيفا . تعود الى الحقيقة . من يعطيك الحقيقة ؟ العدو . لقد وعدني اهلي بالوصول ، فانتظرت . ذهبوا من اماكنهم ، فانتظرت الامل . اخذتني الاناشيد والاذاعات والانقلابات الى الحقول التي أحلم بها . أخذتني الى انسانيتي ، وتركتني في منتصف الطريق . أيها العرب ! لماذا تكذبون علي. لم تكتب هذه الخواطر في الجريدة . كتبت أشياء أخرى . حتى عبدالناصر يذهب ، الآن ، ويتركني . بلا وطن ، وبلا عبد الناصر ايضا ؟!..

هكذا ابتدأ كل شيء ،

وهكذا ، انتهى كل شيء .

٧

ــ أين كنت ؟

ــ هنا ، في البيت .

ــ لماذا لم تفتح الباب منذ ستة أيام ؟

ــ لاني لا استقبل الزوار أيام الحرب .

ــ ولـــماذا فتحت الآن ؟

ــ لان السجن أفضل من البيت . ولاني الغيت كل مواعيدي . جاهز للاعتقال ... جاهز . خذوني !..

كانوا ضابطا ، وشاويشا ، وبوليسا .

حين كنت تهبط الدرج الى سيارة الشرطة ، وكنت تودع البيت وعيون الجـيران خلف النوافذ ، لم تشعر أبدا أنك تودع الحرية . كنت تعتقد دائما ان سيارة الشرطة تأخذك الى حريتك الحقيقية . تحب تسمية الاشياء بأسمائها وهذا هو الاسم الحقيقي للسجن. في السجن لا تقول : انتهى كل شيء . في السجن تقول : ابتدأ كل شيء . والبدايــة هـــي الحرية .

ابتــدأ كل شيء ...

زملاؤك يندفعون اليك ، في السجن ، ليعتصروا منك خبرا آخر . كانوا منقطعين عن الاخبار الا ما يذيعه العدو . ولا يصدقون شيئا ، ويريدون منك خبرا واحدا . وليس عندك شيء . ايها الاصدقاء ! يؤسفني أن اقول ان ما بلغكم هو الحقيقة !.. يغضب بعضهم وتتهمك عيناه باليأس وينصرف عنك . والسجن جميل ، دائما تنتظر شيئا . وتشغل نفسك بمتطلبات صغيرة . وساعة في اليوم ، ترى السماء التي تعيد اليــك صداقتك المهزوزة مع الحياة . ان قطعة واحدة من الزرقة تبهج قلبك ، ويوم تخـــرج ستلتهم الارض كلها . وفي السجن ، صرنا كلنا خبراء في المسألة العسكرية . ووجدنا سببا واحدا للهزيمة : الخيانة . ومن كان يجرؤ منا على الشك بهــذا السبب كــان يتهم بالانحراف .

ولكن ، كيف يبدأ كل شيء وفي أي اتجاه : اما أن يتعمق احساسك بأنك « مواطن عربي في اسرائيل » واما أن يتعمق رفضك لهذا الانتماء الذي لا خيار لك فيه . الحالة الاولى تكون رد فعل لخيبة الامل التي الحقها بك العرب ، وتعزيــزا لاستمرارك في العمـــل السياسي المتواضع الذي تمارسه ضمن دائرة الممكن وفي اطار القانون الاسرائيلي « كل شيء يبدأ من الداخل ، من المطالب الديمقراطية القائمة على الاعتراف بالامر الواقع » . والحالة الثانية تكون رد فعل للعنف الاسرائيلي وتأكيدا لاستمرارك بممارسة انتماءاتك الحقيقية كما تختارها أنت « كل شيء يبدأ من الخارج ، بدون هزيمة عسكرية تلحـــق باسرائيل ، لا يمكن أن تحدث تغيرات جوهرية داخل المجتمع الاسرائيلي » .

ثمة فارق بين الحالتين ، ولكن لا تناقض عميق فيما يترتب عنهما في مثل ظروفك الراهنة من ممارسات ما دمت موجودا في الداخل والخارج معا .

لقد هزم العامل الخارجي حقا ، ولكن انتماءك اليه لم يهزم . لان هــذا الانتماء ليس وجهة نظر وليس رأيا قابلا للمناقشة .انه حقيقة تاريخيـــة . وتشعر بصدمة تناقض معنوي مباغتة. ان أقصى ما تستطيع ممارسته من كفاح ، ضمن دائرة الداخل ، يقتضي منك الانطواء تحت راية «الوطنية الاسرائيلية» التي تتناقض مع انتمائك القومي الذي هو

حقيقة تاريخية . ومن هنا ، بدأت تهتز بعنف وصرت تنشق . لا يعوزك البحث عن عزاء . ليس العزاء قضية . تستطيع القول مثلا : اني لم اختر ظروفي . وتستطيع القول مثلا : هذا التناقض قائم . ولكنه ليس القضية السياسية المطروحة الآن . سينفجر التناقض ذات يوم . وان هذا الانتظار يشكل عقدة نفسية . ومسألة تحقيق الانسجام مع النفس شرط للقناعة . . .

ولكنك تترك السؤال معلقا . والشعر هو لغتك . واللغة الشعرية تتلافى مواجهة السؤال القاتل . الشعر يقول ولا يقول . الشعر يقول الحقيقة ولا يعلنها . هذا وطنك، والرد على الغزاة — مزيد من الحب لهذا الوطن . لان اي وهن في العلاقة بينكما منفذ للغزاة . يضعون فلسطين في جيوب بزاتهم العسكرية . وتبقى فلسطين وطنك . . خارطة ، او مذبحة ، او ارضا ، أو فكرة . انها وطنك . ولن يقنعك الخنجر بأنها لهم . ان التحدي وهذا السجن يحميانك من اعادة النظر . شكرا للسجان الذي يجعلني والحرية معادلة واحدة . شكرا للقيد الذي يذكر زندي بأنهما محرومان من معانقة الشجر . وتكتب الى حبيبتك الوهمية : « اتمنى لك اليأس ، يا حبيبتي ، لكي تصيري مبدعة . اليائسون هم المبدعون . لا تنتظريني ، ولا تنتظري أحدا . انتظري الفكرة ولا تنتظري المفكر . انتظري القصيدة ولا تنتظري الشاعر . انتظري الثورة ولا تنتظري الثائر . المفكر يخطيء . والشاعر يكذب ، والثائر يتعب . وهذا هو اليأس الذي اعنيه» .

لم تعانق ظلالا لتندم .

والفرح الذي فاجأك هو الحالة الطارئة . كانت خيانة قاسية . لا بأس . تواصل حياتك وعملك وتمزقك وتناقضك . وقبل كل شيء تواصل رفضك . لن تقول نعم لشيء . لقد خرجت من الفرح بهزيمة ، وخرجت من الهزيمة برفض جديد ليس للعدو وحده . هل صار وطنك فكرة ؟ التصق بالفكرة . والطريق من حيفا الى تل أبيب هو المعجزة الجمالية الحقيقية . البحر الابيض المتوسط على يمينك ، وسلاسل الجبال على يسارك، وسلاسل الحديد حول زنديك . والوطن، يكون أجمل ما يكون عبر الاسلاك .

وفي المحكمة يتحقق التكافؤ بين القانون والمدفع . لن يقف القانون معك ، ما دام مدفعك ساقطا . والقتلة دائما يتحدثون عن الاخلاق بأشكال مختلفة . يأتيك جنود « ليندموا » على عمليات القتل والتخلص من الاسرى ويقولون « لا مفر » . وتأتيك صديقة قديمة بحفنة لوز من الضفة الغربية . ما عادوا يشعرون بالخوف — ما عادوا يهودا . وفي عكا، ترى أسرى مصريين ، يسقط قلبك . جاءوا يحررونك فوقعوا في الاسر . ويأتي العرب الذين كنت تنتظرهم . اللاجئون يعودون . . يعودون سياحا وأسرى . تخفت الاناشيد العربية ، وتعلو الاناشيد العبرية . والاسرائيلي يتحول الى أسطورة . وفلسطين تنام مرة أخرى في جيوب الفاتحين وعلى ضفاف الانهار البعيدة . فلسطين وسيناء ، فلسطين والجولان . لم يلتقوا في الحرية ، والتقوا في الاسر . وفلسطين تنام على ضفاف الانهار البعيدة ، لا تستحم بالماء ولكنها تستحم بالدم القادم . هل تكون ولادة جديدة ؟ هكذا يجب ان تكون . لا بد من ولادة . هل يصقلنا الموت ؟ هكذا يجب أن يكون . لا بد ان يصقلنا الموت . ستبدأ المقاومة . ستبدأ المقاومة . انتهى كل شيء . وتبدأ المقاومة . واذا جاءك الفرح ، مرة اخرى ، فلا تذكر خيانته السابقة .

ادخل الفرح . . وانفجر ! . .

الانتخابات البلدية في الضفة العربيه : تحليل لنتائجها ، وتقييمها في ضوء مبادىء القانون الدولي العام

تيسير النابلسي

منذ بداية الاحتلال في حزيران ١٩٦٧ واسرائيل تسير في عملها في الارض المحتلة بخطين رئيسيين : تمثل الخط الاول في خلق وجود مادي لها في الاراضي المحتلة بخلق وقائع يومية من خلال عملية الاستيطان المدني بمختلف المناطق حسب الاولويات التي وضعتها ومن خلال مخطط اقتصادي يستوعب الامكانات الاقتصادية والقوى البشرية في المناطق المحتلة . كما تمثل الخط الثاني في محاولة خلق طرف فلسطيني قادر ومن داخل الارض المحتلة على الحوار المباشر معها لتسوية اوضاع الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ بعد اخذ اعتراف باسدال الستار نهائيا على الاحتلال القديم الذي تم عام١٩٤٨ وبذلك تضع العالم والعالم العربي امام امر واقع جديد .

لقد حققت اسرائيل على مدى السنوات الخمس من الاحتلال بالنسبة لخطها الاول نجاحا كبيرا وقد استغلت هذا النجاح في محاولة لتحقيق خطها الثاني . ولكن وجود الثورة الفلسطينية وتأثيراتها داخل الارض المحتلة كان يضع اكبر العقبات امامها . ورغم ظهور عدد من الافراد من الفلسطينيين المقيمين في الضفة الغربية الذين اخذت اصواتهم تتردد بين الفينة والاخرى مطالبين بالحوار مع اسرائيل على اساس خلق كيان فلسطيني داخل الارض المحتلة بالتفاهم معها بدعوى الحفاظ على ما تبقى من الارض وبحجة الحيلولة دون التهام ما تبقى من فلسطين الا ان هؤلاء الافراد لم يستطيعوا ان يشكلوا تيارا قادرا على التحرك وسط معارضة جماهيرية لا زالت ترفض .

امام هذه الصعوبات التي واجهت اسرائيل ارتأت ان تجري تعديلا على هذا الخط بالشكل التالي : في البداية لا بد ان يتم تغيير في المؤسسات العسكرية والمدنية التي تقوم بادارة الاراضي المحتلة عن طريق خلق اجهزة وادارات عربية يجري نقل الاختصاصات اليها تدريجيا(١) بحيث ينتهي وجود المظهر الاحتلالي ومن خلال هذه الاجهزة الجديدة التي تقتضي ان يتوفر فيها نوعيات جديدة من المسئولين الذين يستطيعون من خلال تحملهم المسئوليات اليومية في اداراتهم ان يكونوا مفاوضي المستقبل وبهذه العملية وبما يتوفر لدى هؤلاء المسئولين من صلاحيات وسلطات ولا سيما اذا وصلوا عن طريق نوع من المشاركة الجماهيرية باختيارهم بحيث يكسبونهم امام المواطنين وامام العالم الخارجي صبغة من الشرعية وبذلك يكون قد توفر لاسرائيل طرف فلسطيني قادر على الحوار والاتفاق .

لماذا المجالس البلدية : وبما ان عملية الانتخاب السياسي التمثيلي والشامل غير ممكنة

في هذه الفترة حيث ان الجماهير لا زالت حساسة لاي محاولات سياسية مكشوفة وسيدخلهم اللجوء اليها الى عملية صراع مع السكان ربما يدمر ما بنوه من علاقات خلال هذه الفترة ، لذلك كان المخرج هو ان تتم عملية التمثيل من خلال انتخابات ليس لها في ظاهرها صفة سياسية وهي في نفس الوقت تتمشى مع النظام القانوني القائم (واسرائيل حريصة على مراعاة هذه الامور من حيث الشكل في غالب الاحيان) ويمكن لدعاة الانتخابات والمرشحين ان يبرروا مواقفهم بان هذه الانتخابات بلدية لشئون محلية وليست للتمثيل السياسي ، علاوة على ان المجالس البلدية خلال خمس السنوات كانت المؤسسات الاهلية الوحيدة التي بقيت بعد انهيار الادارات المدنية السابقة وتولي الحكم العسكري الاسرائيلي السلطات الادارية المختلفة . وقد عزز الاحتلال هذه البلديات بصلاحيات جديدة بحيث اصبحت صلة الوصل بين السكان والسلطات المحتلة واصبحت البلديات مرجعا للسكان في كثير من امورهم التي لم يكونوا يرجعون اليها فيها قبل الاحتلال كما ان البلديات أعتمدت من قبل الحكومة الاردنية بالنسبة لكثير من الامور التي كانت تتولاها الدوائر الاخرى السابقة كدوائر الاراضي والمحاكم والصحة والشئون الاجتماعية واوكل اليها اعتماد الشهادات والسجلات والوثائق المختلفة وكذلك الشئون الاقتصادية والتجارية والمالية .

ولذلك كان طبيعيا ان تتجه انظار سلطات الاحتلال الى هذه المجالس البلدية بما تمثله من صلات وثيقة بالجماهير ومصالحها اليومية المتعددة لتكون قاعدة اساسية في عملية تمثيل السكان توسعها عن طريق انتخابات في مؤسسات وهيئات اخرى تكمل وتغطي باقي السكان الذين لا يعيشون في المدن او الذين لا حق لهم في اختيار المجالس البلدية وهم في غالبيتهم من العمال الذين لا يدفعون ضرائب بلدية . ولذا كان قرارها اللجوء الى الانتخابات البلدية . ويبدو ان فكرة اللجوء الى الانتخابات البلدية قد خامرت ذهن دايان في اوائل عام ١٩٧٠(٢) اذ طرحها امام اللجنة الخاصة بالتكتل العمالي الحاكم ثم عاد في اليوم التالي ونفى الفكرة(٣). ويبدو ان موضوع الانتخابات في تلك الفترة كانت لا زالت فكرة بانتظار ظروف المستقبل السانحة وتهيؤ ظروف موضوعية تتحقق بمضي الزمن ووصول السكان الى مرحلة اليأس مع استمرار التغيير في البنيان الاقتصادي والاجتماعي والتوسع في عمليات الاستيطان والتهويد .

عقب احداث جرش خلال شهر تموز ١٩٧١ والانتكاسة التي اصابت الثورة الفلسطينية وانعكاساتها السيئة داخل الارض المحتلة على اوضاع المواطنين قدرت الاجهزة الاسرائيلية المختصة ان هذه هي الفرصة السانحة ، وقد حللت صحيفة عل همشمار بتاريخ ٧٢/٣/٢٩ هذا الامر بقولها « لقد استهدفت الحكومة من الانتخابات اثبات ان الامور تسير بشكل طبيعي في ظل الاحتلال لدرجة يمكن معها اجراء انتخابات في الضفة الغربية » . وهكذا عاودت اسرائيل بحث موضوع الانتخابات من جديد وجرت مشاورات على اعلى المستويات وجرت اتصالات بين مختلف الوزارات التي لها صلة بالموضوع(٤). وبنفس الفترة انطلق الدعاة الجدد يهيئون الراي العام لفكرة الانتخابات البلدية بحجة التغيير وخلق قيادات جديدة شابة وعلى راس هؤلاء كان حمدي كنعان . وشهدت الصحف حملة من المقالات بين مؤيد ومعارض لاجراء الانتخابات . كان قصد اسرائيل من ورائها ايجاد تيار من العناصر الجديدة القادرة من خلال شعور اليأس والاستسلام ان تتولى معها الحوار والاتفاق وقدرت ان هذه العملية الانتخابية ستأتي لها بعدد من هذه العناصر : « ان اسرائيل تريد المرشح الذي يريده السكان والفعل هذا هو اختيار دعاة الكيان الفلسطيني في الضفة الغربية اذا لم يحصل لفكرتهم شيء بعد الانتخابات »(٥).

وحتى لا تحظى عملية الانتخابات بمعارضة جماهيرية منذ البداية باعتبارها مخططا اسرائيليا اختطت اجهزة الدعاية الاسرائيلية ومسئولو الحكم العسكري خطا واحدا مفاده

ان الانتخابات واجراءها لا يهم اسرائيل في شيء ومرجعه الى السكان وارادتهم وان الانتخابات ستجري في المدن التي يطلب ذلك فيها اغلبية السكان(٦). ويبدو ان اسرائيل كانت لا زالت في المرحلة الاولى مترددة بالنسبة لاجراء هذه الانتخابات الا انها كانت في مرحلة جس النبض حيث انهم كانوا يرشحون مدينتي اريحا وطولكرم في البداية لاجراء الانتخابات فيهما(٧) باعتبار ان المدينتين من المدن الصغيرة التي يسهل السيطرة عليها. ونتيجة لعدم ظهور تيارات معارضة فعالة سواء على مستوى الجماهير او الثورة حتى هذه المرحلة صدرت على التوالي اوامر بتاريخ ٧١/١١/٢٦ باجراء الانتخابات في كل من جنين وطولكرم وقلقيلية واريحا وتحدد موعدها في ٧٢/٣/٢٨ ثم صدر امر لاحق في ٧١/١٢/١٩ باجراء انتخابات بنفس التاريخ في نابلس وطوباس وسلفيت وعنبتا ويعبد وعرابه(٨). وحددت المرحلة الثانية للانتخابات في ثلاث عشرة بلدية اخرى يوم ٧٢/٥/٢ وهي: رام الله، البيرة، نوبا، بير زيت، نبي زيد، سلواد، دير دبون، بيت لحم، بيت جالا، بيت ساحور، الخليل، حلحول ودورا(٩). واعلن العقيد فاردي قائد الضفة الغربية بان قرار سلطة الحكم العسكري باجراء الانتخابات هو قرار نهائي(١٠). وهكذا اصبح الموقف الاسرائيلي بالنسبة لاجراء هذه الانتخابات موقفا حازما وذلك ردا على ظهور اول رد فعل جماعي عندما دعت المجالس البلدية في نابلس وطولكرم وجنين لمقاطعة الانتخابات وقرر المجلس البلدي في نابلس عدم ترشيح نفسه(١١).

ولدى تحليلنا لنتائج هذه الانتخابات لا بد لنا من استعراض موجز لاحداث ما قبل انتخابات المرحلة الاولى: ١ — في هذه المرحلة بدأت الثورة عملية التصدي لاجراء الانتخابات بدعم موقف المعارضة لدرجة انه حتى قبيل قفل باب الترشيح للانتخابات لم يكن احد يجرؤ على اعلان نيته في ان يرشح نفسه للانتخابات باعتبار ذلك عارا عليه يعرضه لنقمة الجماهير. ٢ — وقد تطور الوضع الى عمليات عنف ضد مصالح بعض المرشحين تركزت في مدينة نابلس. ٣ — وكانت مفاجأة لاسرائيل حين انسحب معظم المرشحين في نابلس وانتهى موعد قبول طلبات الترشيح وكان المتقدمون للترشيح اقل من المقاعد المطلوبة. وهنا تحرك جهاز القمع الاسرائيلي بسرعة خاطفة فقام بحملة ارهاب وضغط ضد السكان وضد المجلس البلدي بعد ان فشل في اقناع حمدي كنعان ومجموعته في الابقاء على ترشيح انفسهم. وكان انسحاب هذه المجموعة فشلا للعملية اذ كان يعول على نجاح حمدي كنعان ومجموعته في هذه الانتخابات ولم يجد مناصا من الضغط على المجلس القائم لاعادة ترشيح اعضائه(١٢).

نتائج الانتخابات

تمت عمليات انتخاب المرحلة الاولى يوم ٧٢/٣/٢٨ في عشر بلديات حيث اقترع ١٣ الف ناخب من بين ١٧ الف ناخب. وتمت المرحلة الثانية يوم ٧٢/٥/٢ في ثلاث عشرة بلدية حيث اقترع ١٠ الاف ناخب من بين ١٣ الف ناخب. وقد فاز اعضاء بلديتي الخليل وسلفيت بالتزكية كما استبعدت القدس من عملية الانتخاب بسبب الضم. وقد بلغت نسبة المشاركين في هذه الانتخابات الى عدد السكان في الضفة الغربية حوالي ٣٪ فقط. وتعتبر المرحلة الاولى هي المرحلة الاساسية التي تميزت بمواجهة ساخنة وتحديات اخذت طابع العنف واوضحت بجلاء الرفض الجماهيري للانتخابات بما تمثله من خلفيات واهداف سياسية لاحقة.

وقد حاولت اجهزة الدعاية الاسرائيلية والمسئولون الاسرائيليون ان يبرزوا نتائج الانتخابات بانها كانت نصرا لاسرائيل على معارضي الانتخابات والمنظمات الفلسطينية(١٣). الا ان التقييم الموضوعي لهذه النتائج على ضوء مجموع الاهداف المتوخاة من وراء اجرائها لا يطابق الادعاءات الاسرائيلية. اذ انه يلاحظ على هذه النتائج:

١ ــ ان اعضاء ورؤساء المجالس البلدية الجديدة في غالبيتهم هم من بين اعضاء ورؤساء المجالس البلدية القديمة . ولم يفز من ضمن اعضاء هذه المجالس من دعاة الكيان الفلسطيني والتسوية سوى عدد ضئيل من الاشخاص وعلى رأسهم رئيس بلدية الخليل. وبذلك فشلت اسرائيل في خلق قيادة سياسية جديدة(١٤) (وهذا هو احد اهداف اسرائيل من اجراء الانتخابات الذي فشلت في تحقيقه) . واعضاء المجالس البلدية الحاليون في اغلبيتهم ليسوا من السياسيين وانما هم في معظمهم من اصحاب المصالح التجارية والملاك والمهنيين الذين ترتبط مصالحهم بشئون مدنهم المحلية ونشاطاتها العادية والاقتصادية والعمرانية وهم في مجملهم حريصون على الا ينخرطوا في العمل السياسي وهم وان كانوا اقل استعدادا للتضحية ويضعفون عند مجابهة وتحدي سياسة الاحتلال فانهم في نفس الوقت ليس لهم اية مبادرات سياسية معادية للجماهير ويحاولون ان يحافظوا على سمعتهم الوطنية بين الجماهير . ولذلك فان محاولات اسرائيل في المرحلة التالية لاجراء هذه الانتخابات في الاعتماد على هذه المجالس سيواجه بصعوبات . وقد ظهرت بوادر ذلك مؤخرا عندما بدأت تردد نغمة تشكيل مجلس تنفيذي للبلديات بالضفة الغربية (وهي خطوة تالية لاتمام الانتخابات) حيث تلقى هذه الفكرة رفضا من معظم المجالس البلدية . وقد عبر عن ذلك رئيسا بلدية نابلس وطولكرم ، وان المجالس البلدية لن تلتزم باية تعهدات في الامور السياسية وان هذا الموقف قد اتخذ بالاتفاق مع باقي رؤساء البلديات في محافظة نابلس(١٥).

٢ ــ ان هذه الانتخابات وما رافقها من تحرك مضاد من قبل الثورة والتحرك الجماهيري الذي تمثل في الاحداث التي تمت خلال الاسبوعين الثاني والثالث من شهر آذار (مارس) ١٩٧٢ في مدينة نابلس خلال المرحلة الاولى وهي المرحلة الاساسية ، قد ابرزت ان هذه الانتخابات تتم ضد رغبة الجماهير ، مما يعتبر هزيمة لاحد اهداف الانتخابات (وكما ذكرت صحيفة عل همشمار ٧٢/٣/٢٩ كان الحكم العسكري يعني شيئا واحدا : عملية تصويت جماعية وهادئة) . فمن جهة هناك مرشحون بالرغم عنهم وناخبون يقترعون تحت شعور بالخوف من عمليات انتقامية من السلطة المحتلة . كما ان هناك مرشحين لم يرشحوا انفسهم الا للحفاظ على مراكزهم الاجتماعية والعائلية والعشائرية ومصالحهم الاقتصادية داخل مدنهم بعيدا عن اية اتجاهات او افكار سياسية اخرى . وهكذا فقد كانت اسرائيل قد جعلت اتمام اجراء الانتخابات هدفا اوليا ، وقد استطاعت تحقيقه . وكان هناك هدف يتلوه أهمية وهو ان تجري هذه الانتخابات عن قناعة من السكان او على الاقل دون معارضة لان هذا الامر سيساعدهم في السير في بقية المخطط بسهولة وسيكون معيارا تقيس به درجة استعداد الناس للاستمرار معها فيما ترسمه لمستقبل المناطق المحتلة والقضية الفلسطينية : كأن الموضوع سيسير طبيعيا ولن يواجه بالمعارضة الجدية ولكن بعد التحرك العنيف المضاد في نابلس اضطرت السلطات للجوء لاساليب العنف والقهر من اجل تحقيق الهدف الاول (وهو اجراء الانتخابات) مضحية بالهدف الثاني(ظهور مجالس بلدية بها عناصر مؤيدة للتفاوض وللكيان الفلسطيني مدعومة بتأييد جماهيري او على الاقل غير معترض عليها جماهيريا) ولذلك فان اسرائيل خسرت في الوصول الى هذه النتيجة حيث اتضح لها ان : أ ــ الثورة لا زالت قادرة على التأثير في مخططاتها داخل الارض المحتلة رغم للضعف الذي اعتراها وربما كان هذا ايضا احد الاهداف وهو اختبار قدرة الثورة على التأثير ومدى التأييد الذي تلقاه من السكان ، ولذلك صرح ديان للتلفزيون الاسرائيلي يوم ٧٢/٣/٣١ بأن هذه الانتخابات بمثابة صراع بين الحكومة الاسرائيلية من جانب وبين المنظمات الفلسطينية والدول العربية من جانب اخر وان اسرائيل انتصرت في هذا الصراع(١٦). وفي تقدير الخبراء الاسرائيليين ان الانتخابات ستكون بمثابة اختبار للقوة بين السلطات الاسرائيلية والعناصر المتطرفة(١٧).

ب ــ أنه اذا كان بوسع السلطة المحتلة ان تفرض ما تريد فان الجماهير التي قد ترضخ تستغل اية فرصة سانحة لتعبر عن رفضها وانها لم تصل بعد الى مرحلة القناعة بما تخططه لها السلطة المحتلة رغم مضي خمس سنوات على الاحتلال . « ان سكان الضفة الغربية في غالبيتهم العظمى لم يكونوا يريدون هذه الانتخابات وبسبب جو اليأس الذي يسود بينهم . . . فضلوا ان ينفذوا ارادة الاسرائيليين على الدخول في صدام نتائجه خطيرة ومعروفة سلفا »(١٨) .

٣ ــ لقد كانت اجراءات الانتخابات ونتائجها تجربة بالنسبة للسلطة المحتلة ستستفيد منها ولا شك في خطواتها القادمة وربما دعاها هذا الامر الى التريث قليلا قبل ان تخطو خطواتها التالية بالنسبة لايجاد اجهزة تمثيلية من السكان ، بحيث يقوى تيار دعاة الكيان مع ابراز ضعف قدرات الثورة داخل الارض المحتلة عن تنفيذ تهديداتها ، وبحيث تفيد اكثر من عامل الزمن مع الوقائع المادية اليومية التي تبنيها .

٤ ــ ستحاول اسرائيل في الاشهر التالية ونتيجة لما جابهها اثناء الانتخابات البلدية الا تكون هذه البلديات هي القاعدة الاساسية لاخراج ممثلين معارضين حيث انه لم يتوفر لها من العناصر المتعاونة داخل هذه البلديات ما يكفل لها ايجاد جهاز منسجم معها ، ولذلك فستلجأ في الفترة المقبلة الى اخراج ممثلين من القرى والمخيمات وربما عن طريق المجالس القروية حيث تكون المقاومة اقل والسيطرة اشد ، ثم توسع هذه القاعدة عن طريق انتخابات النقابات المهنية وخاصة نقابات العمال والغرف التجارية والجمعيات لامكان اخراج نسبة اكبر من العناصر المؤيدة لفكرة الكيان الفلسطيني والوصول الى اتفاق مع اسرائيل .

٥ ــ لقد كانت عملية الانتخابات مناسبة هامة لمزيد من التوعية الجماهيرية على مخططات اسرائيل وبعد ان كان تصور قسم كبير من السكان في البداية انه ليس وراء اجراء الانتخابات اية اهداف سياسية اسرائيلية فقد اصبح واضحا لدى السكان خلال ما تم من احداث في اربعة الاشهر الاولى لهذا العام ابعاد المخطط الاسرائيلي المقبل .

٦ ــ واخيرا فنحن امام حقيقة واقعة وهي ان انتخابات قد تمت وان اعضاء مجالس بلدية قد جاءوا الى هذه المجالس وهنا يبرز التساؤل : ما الذي تغير في الوضع ؟ ما هو الشيء الجديد ؟ نفس الوجوه القديمة تقريبا مع توتر استمر اربعة اشهر . الجديد الذي حققه الاسرائيليون كما يقولون « انه اصبح هناك ممثلون لسكان يريدون ان يقرروا لانفسهم ما لم يكونوا قادرين على ان يقرروه من قبل » ، واظهار هذا التطور الذي تم داخل الارض المحتلة امام العالم الخارجي . جاء في تصريح ديان امام التلفزيون الاسرائيلي يوم ٧٢/٣/٣١ « ان هذه الانتخابات تعطي المنتخبين حقوقا سياسية »(١٩) . اما البريغادير شلومو جازيت منسق اعمال الجيش الاسرائيلي في المناطق المحتلة فقد صرح « ان ممارسة السكان المحليين حق الاقتراع وانتخاب ممثليهم في المجالس البلدية هو دليل على النضوج وتعبير عن التغيير الذي طرأ على العلاقات بين سكان المناطق المحتلة واسرائيل ، وان اهم الانجازات التي تم تحقيقها في عملية الانتخابات هو قيام سكان المناطق المحتلة للمرة الاولى بعمل مستقل وفعال يمكن اعتباره تعاونا مع السلطات الاسرائيلية ورفضا وتجاهلا للتهديدات من الخارج »(٢٠) .

واذا كان مثل هذا التمثيل قد جاء بمثل هذا الاسلوب فما نصيب هذه الاجراءات التي تمت والاهداف المتوخاة من اجرائها من الشرعية امام العالم والمؤسسات الدولية والمواطنين اصحاب الوطن والقضية . هذا ينقلنا الى القسم الثاني من التحليل وهو تقييم الانتخابات باجراءاتها وباهدافها ونتائجها في ضوء القانون الدولي .

التحليل القانوني

الاحتلال العسكري الذي يتم عن طريق الغزو المسلح لاقاليم دول أخرى هو عادة فرض لواقع مادي مكروه من قبل السكان الذين يخضعون له أي انه يتم عادة نتيجة صراع بين قوتين متعادلتين ولارجحية قوة على الاخرى يتم الاحتلال ، ويبقى الشعور بالعداء قائما . السلطة المحتلة تحاول قدر الامكان استغلال وجودها الاحتلالي في الارض المحتلة الى اقصى مدى سياسي واقتصادي وعسكري ومعنوي على حساب الاقليم المحتل وسكانه ، وهي تستغل عادة وجودها وسيطرتها المؤقتة لتحولها الى سيطرة دائمة ولتحقيق أهداف سياسية واستراتيجية بغض النظر عن مشروعيتها وعدالتها واخلاقياتها ، ولكنها اثناء ممارساتها لتحقيق ذلك تصطدم بقوانين واتفاقيات دولية ومبادىء قانونية عامة ورأي عام دولي ينظر بعين الشك لاجراءات السلطة المحتلة وممارساتها . فالمستقر في مبادىء القانون الدولي الاتي : ١ — ان وجود الاحتلال وجود مادي يترتب عليه بعض آثار قانونية مؤقتة . ٢ — ان السيادة على الاقاليم المحتلة لا تنتقل الى الدولة المحتلة « فالسيادة نابعة من الشعب ولا تنتقل بمجرد قيام حالة فعلية بسبب الاحتلال لبعض الاراضي ويترتب على هذا عدم جواز ضم الاقاليم المحتلة او أي جزء منها » . ٣ — ان وجود الاحتلال وجود مؤقت والسلطة الفعلية التي تمارسها سلطة الاحتلال لادارة الاقليم المحتل أعطيت لضمان المحافظة على السكان ومصالحهم وحياتهم واموالهم وامنهم وثقافتهم وهويتهم القومية والدينية . وكل ما للسلطة المحتلة من حقوق هو اتخاذ الاجراءات الكفيلة بالمحافظة على امن القوات المحتلة وهي في ممارسة هذا الحق مقيدة ايضا اثناء ممارسته بمراعاة قواعد انسانية واخلاقية ومبادىء المدنية .

وقد اثبتت تجربة الاحتلال الذي وقع خلال حروب عديدة في العالم ولا سيما بعد الحرب العالمية الثانية ان السلطة المحتلة دائما تلجأ الى التحايل على هذه المبادىء من اجل انتهاكها ، ففي معظم الاجراءات تحاول ان توجد اشكالا ظاهرا من الشرعية يغطي على المخالفة والانتهاك للمبادىء القانونية التي تنطوي في الاعمال والاهداف والنتائج والمضمون الكامن وراء المظهر المخادع .ولذلك فقد رفضت محكمة نورمبرج عندما قامت بمحاكمة مجرمي الحرب عقب الحرب العالمية الثانية ان تلتفت الى شكليات الاجراءات الالمانية وتوافقها الظاهري مع النصوص واصرت على التعرف على جوهر العمليات والاجراءات واهدافها ونتائجها . وجاء في احد قراراتها(٢١):

"As in international law in general and the law of war in particular what matters is not the appearance but the reality of a situation".

هذه مقدمة لا بد منها لفهم ممارسات اجراء الاحتلال الاسرائيلي في الاراضي العربية وتقييمها موضوعيا . والانتخابات البلدية التي قامت سلطات الحكم العسكري الاسرائيلي في الضفة الغربية باجرائها مثل واضح على عملية التحايل هذه : ان اجراء انتخابات بلدية امر طبيعي . فالقانون الساري المفعول وهو رقم ٢٩ لسنة ١٩٥٥ ينص على أن يجري تجديد أعضاء مجالس البلديات مرة كل اربع سنوات وفقا لاجراءات معينة حددها القانون . هذا الاجراء في ظل الاحتلال امر مشروع لا خروج فيه عن المبادىء المستقرة في القانون الدولي باعتباره ممارسة لسلطة ادارية تمارسها السلطة المحتلة اثناء ادارتها للاقليم وفقا للمبادىء التي حددناها سابقا ولكن عندما تكون ممارسة هذا الاجراء ليس مقصودا لذاته وانما ستارا لامور أخرى وتتوخى اهدافا تعتبر انتهاكا لهذه المبادىء القانونية عندها لا بد ان نعيد التقييم ونبحث عن الجوهر والمضمون .

واذا فلنبدأ باستعراض الاهداف المنشودة من وراء اجراء الانتخابات : —

١ — نأمل ان يستعمل اجراء الانتخابات البلدية كمرحلة اولى في عملية السماح بالنشاط

السياسي في الضفة الغربية ومهمة هذا النشاط هي اعداد الشعب الفلسطيني ليقوم بمساهمة تعامل موفق ومعجل لاحلال السلام في منطقتنا . (من تصريح لمسئول اسرائيلي في صحيفة علهمشمار الاسرائيلية ١٩٧١/١٠/٢٠) . ٢ — « ان تغيرا جذريا في العلاقات بين الضفة الغربية واسرائيل سيحدث بعد هذه الانتخابات » (من تصريح لمسئول اسرائيلي نقلته وكالة الانباء الفرنسية ١٩٧٢/٣/٢٠) ٣ — « آمل ان تسفر هذه الانتخابات عن خلق زعامة في الضفة الغربية وان تكون بداية لاعادة الحياة السياسية لاوضاعها الطبيعية في هذه الاراضي » . (من تصريح لابا ايبان وزير خارجية اسرائيل نقلته وكالة الانباء الفرنسية ١٩٧٢/٣/٢٥) . ٤ — « ينتظر الجميع باهتمام نتائج انتخابات الضفة الغربية والمسألة هنا هامة لان السلطات الاسرائيلية يمكن ان تعتبر الناخبين الجدد مفاوضين ذوي صلاحيات » . (رأي « للمراقبين » نقلته وكالة الانباء الفرنسية ١٩٧٢/٣/٢٨) . ٥ — « ان هذه الانتخابات تعطي للمنتخبين حقوقا سياسية » . « ان الذين فازوا بالانتخابات سيتمكنون بطريقة او باخرى من التحدث باسم السكان في الضفة الغربية وهم لذلك مزودون بسلطات سياسية » . (من تصريحات للجنرال موشي ديان وزير الدفاع الاسرائيلي في التليفزيون الاسرائيلي عن وكالة الانباء الفرنسية ١٩٧٢/٣/٣١ ، وجريدة الانباء الاسرائيلية ١٩٧٢/٤/٢) . ٦ — « يواجه الاقتراح الذي تقدم به رئيس بلدية الخليل بأن تشكل المجالس البلدية في الضفة الغربية مجلسا تنفيذيا ويقوم بالتفاوض للتوصل الى اتفاق مع اسرائيل والدول العربية معارضة قوية من بين اعضاء المجالس الجدد في منطقة السامرة » . (وكالة الانباء الفرنسية ١٩٧٢/٤/٣٠) . ٧ — « الهدف الرئيسي من وراء الانتخابات مرتبط بالافكار السائدة في دوائر مختلفة بالحكومة حول المستقبل السياسي بالضفة الغربية » . « ان الضرورات المحلية لم تكن هي التي ادت الى القرار التي اتخذته قيادة الحكم الاسرائيلي فيما يتعلق بالانتخابات في مدن الضفة الغربية حيث انتخب في المناطق نفس الاعضاء القدامى ولكن ما حفز الى هذا القرار كان الامتيازات السياسية البحتة » . « يخطىء من يكتب ان الانتخابات برهان على اننا نساعد السكان العرب على تنمية مدنهم دون ما صلة بالمسألة الكبرى المتعلقة بمستقبلهم السياسي » . (صحيفة علهمشمار الاسرائيلية ١٩٧٢/٣/٢٩) . ٨ — ان الانتخابات البلدية التي تمت في عشر مدن في الضفة الغربية تعد مرحلة هامة نحو النضج السياسي لسكان هذه المنطقة وستكون لها نتائج ايجابية على العلاقات بين اسرائيل وسكان الضفة الغربية. (من تصريح للبريغادير شلومو جازيت منسق اعمال الجيش الاسرائيلي في المناطق المحتلة نقلته وكالة الانباء الفرنسية ٧٢/٤/١ وصحيفة الانباء الاسرائيلية ٧٢/٤/٢) .

من استعراض تصريحات المسئولين الاسرائيليين وتحليلات وكالات الانباء والمراقبين والصحافة الاسرائيلية السابقة تتضح امامنا الاهداف الحقيقية من وراء اجراء الانتخابات والتي يمكن تلخيصها بالتالي: ١ — هدف اجراء الانتخابات هدف سياسي يتعلق بمستقبل ومصير الاراضي المحتلة . ٢ — ايجاد ممثلين (ظاهريا) للسكان لاجراء المفاوضات معهم بشأن امور تمس الشعب الفلسطيني بأسره لان الاحتلال الذي تم للجزء الباقي من الارض الفلسطينية ١٩٦٧ ليس معزولا عما تم سنة ١٩٤٨ والمشكلة في مجموعها مشكلة واحدة : مشكلة فلسطينية (الشعب والارض والسيادة) . ٣ — هدف خلق كيان او ارادة او حكومة فلسطينية تابعة على جزء من الارض المحتلة عام ١٩٦٧ حيث ينتهي وجود مظهر الاحتلال مع ضم بعض الاجزاء الباقية الى ما جرى احتلاله سنة ١٩٤٨ .

ولكي تتضح باقي ابعاد الصورة لا بد ان نضع في اعتبارنا المطالب الاسرائيلية التي حددها الاسرائيليون كحد ادنى وهي امور يصرون عليها ولا تراجع عنها : ١ — ضم القدس بأجمعها ، وقد اعلنوا ذلك واتخذوا الاجراءات للتنفيذ . ٢ — ضم اجزاء من

الاراضي المحتلة سنة ١٩٦٧ في الضفة الغربية . ٣ ـ الاعتراف بسيطرة اسرائيل على كافة الأراضي المحتلة من فلسطين قبل سنة ١٩٦٧ . ٤ ـ وما يستتبع هذا من تنازل عن حق الشعب الفلسطيني بالعودة وتقرير المصير على ارضه .

هذه المطالب في مجموعها تتعارض مع مبادىء القانون الدولي وقرارات الامم المتحدة والميثاق التي ترفض مبدأ ضم الاراضي بالقوة والتوسع الاقليمي واستغلال الاحتلال لتحقيق مكاسب سياسية على حساب سكان الارض المحتلة والاقليم المحتل .

ولتقييم كل ذلك على هدى المبادىء العامة في القانون الدولي واحكام قانون الاحتلال الحربي لا بد من اثارة التساؤلات التالية :

١ ـ ما مدى صحة التمثيل السياسي لسكان الضفة الغربية وللشعب الفلسطيني الذي يحظى به اعضاء المجالس البلدية المنتخبون ؟ ان ما تم خلال مرحلتي الانتخابات في ٧٢/٣/٢٨ و ١٩٧٢/٥/٢ هو انتخابات لاختيار ممثلي ثلاث وعشرين بلدية منتشرة في الضفة الغربية (عدا القدس) وفقا لقانون الانتخابات البلدية رقم ٥٥/٢٩ . والمرشحون الذين فازوا لم يعتبروا انفسهم كممثلين سياسيين لجهاز سياسي او تشريعي . والمقترعون الذين اقترعوا لم يختاروهم لاية اعتبارات سياسية وانما لاعتبارات تتعلق بلياقتهم لادارة شئون المجلس البلدي وللعمل ضمن الاختصاصات المحددة لهم بموجب المادة ٤١ من القانون ١٩٥٥/٢٩ . ولذلك فهم ممنوعون من الادعاء بأي تمثيل للسكان ولا حتى بالنسبة لـ ٣٪ فقط من السكان الذين انتخبوهم فيما يتعلق بشئونهم السياسية والمصيرية كما أن اية جهة او قوة اخرى ممنوعة بالتالي من اصباغ اية صفات تمثيلية لهم . واما القضية المراد اعتبار هؤلاء ممثلين فيها فهي قضية تمس ثلاثة ملايين انسان فلسطيني بغض النظر عن اماكن تواجدهم الاجباري ومعترف لهم دوليا ومن اعلى المؤسسات الدولية وهي هيئة الامم المتحدة بهويتهم وشخصيتهم الدولية وكان آخرها قرار الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة في دورتها الرابعة والعشرين قرار ٢٥٣٥ تاريخ ١٩٦٩/١٢/١٠ وقرار ٢٦٧٢ في الدورة ٢٥ سنة ١٩٧٢ الذي اكد على وجود الشعب الفلسطيني واكد على حقوقه التي لا يجوز التنازل عنه وعن حقه في تقرير مصيره . وهكذا وعلاوة على ما سبق بيانه فان هؤلاء المنتخبين لا يملكون تمثيل الشعب الفلسطيني او التحدث باسمه بالنسبة لقضايا تمس مجموع الشعب الفلسطيني وليس فقط قسما من السكان الفلسطينيين المقيمين بالضفة الغربية .

والمبادىء الديمقراطية التي اقرتها الدساتير المتمدنة ان الممثلين هم الذين اختارهم غالبية السكان في الاقليم واوكلوا اليهم مهاما محددة ضمن ما تفرضه دساتير الدول ، وهؤلاء المنتخبون الذين اتت بهم اقلية لا تتجاوز ٣٪ من مجموع سكان الضفة الغربية واقل من ١٪ من مجموع الشعب الفلسطيني لا يمكن اعتبارهم مفوضين بالتحدث باسمه او ممثلين لارادته . هذا اذا افترضت صحة الاجراءات التي تمت وصحة الاختيار وتوفر الصلاحيات السياسية للتمثيل وهي امور كلها غير متوافرة كما سيرد تاليا .

قد يثار هنا ان المقصود بالشعب الفلسطيني الذين لهم حق الاختيار وتقرير مصيرهم السياسي هم اولئك فقط الذين بقوا مستقرين في فلسطين وهؤلاء فقط هم الذين لهم حق التوصل الى حل عن طريق ممثليهم ؟

٢ ـ ويقودنا هذا التساؤل الى تحديد حق العودة وحق تقرير المصير بالقدر المتعلق بموضوع بحثنا . من الثابت ان تواجد حوالى نصف شعب فلسطين خارج فلسطين لم يكن بارادة هذا الشعب وانما تم نتيجة ظروف القهر والارهاب والطرد المخططة والتي تمت على مدار السنوات الماضية منذ عام ١٩٤٨ . ومنذ ذلك التاريخ بقي هذا الشعب عن طريق ممثليه وبشهادة وتقارير ممثلي وكالة الغوث الدولية السنوية لهيئة الامم

المتحدة وبرفضه اي حل لا يحقق له العودة الى ارضه ونضاله من اجل تحقيق عودته .
كل ذلك مما يؤكد الوجود القومي للشعب الفلسطيني والاصرار على العودة الى ارضه .
وقد تأكد هذا كله في قرارات متتالية صدرت عن الجمعية العامة للامم المتحدة منذ قرارها الاول بتاريخ ١٩٤٨/١٢/١١ وحتى الان كما صدرت قرارات متتالية من مجلس الامن والجمعية العامة ولجنة حقوق الانسان والمجلس الاقتصادي والاجتماعي خلال السنوات التي اعقبت تشريد قسم جديد من سكان فلسطين بعد حرب حزيران سنة ١٩٦٧ . كما ان العودة حق ثابت بالمبادىء المستقرة كحق طبيعي (م. ١٣ من الاعلان العالمي لحقوق الانسان سنة ١٩٤٨ ، م ٤/١٢ من الاتفاقية الدولية بشأن الحقوق المدنية السياسية سنة ١٩٦٦) .

ويتضح من كل ذلك ان حق ابناء الشعب الفلسطيني المتواجدين خارج فلسطين(٢٢) في العودة وفي تقرير المصير يبقى قائما ولا يجوز لاي نفر او جهة ان تتخذ من الاجراءات او تعقد من الاتفاقيات ما يمس هذه الحقوق او تهدرها لارتباط حقوق من هم خارج الارض الفلسطينية ومن هم داخلها بقضية واحدة . ولذلك فلا بد من النظر الى الشعب الفلسطيني كشعب واحد له قضية واحدة والتباعد المكاني بين اجزاء هذا الشعب المفروض عليه من قوى خارجية لا يجوز ان يكون مناسبة لتجزئة القضية وفرض حلول تحت ظرف احتلال يفتقد فيه السكان الرازحين تحته ارادتهم الحقيقية باستغلال السيطرة العسكرية القائمة للحصول من خلال من تدعي تمثيلهم لاصحاب الحق الحصول على اتفاقية تعطيها شرعية لحرمان الشعب الفلسطيني من حقه بالعودة وتقرير مصيره على ارضه ووطنه .

٣ — ما مدى شرعية الاطار الذي سيتخذه الممثلون المنتخبون الذي تزمع السلطات الاسرائيلية تشكيله في الضفة الغربية استكمالا لمخطط الانتخابات ويعهد اليه بشئون ادارة جزء من الاقاليم المحتلة من فلسطين في حزيران سنة ١٩٦٧ ويقوم بالتفاوض باسم الشعب الفلسطيني مع السلطة الاسرائيلية وهي الخطوة التالية للانتخابات البلدية ، ان افضل مصطلح علمي لهذه الادارة او الحكومة التي ستتولى تدريجيا العمل السياسي هو تسميتها « الحكومة الدمية » أو « الادارة الدمية » . ويتضح من التسمية ان مثل هذه الحكومة او الادارة شكلية فقط لا إرادة ذاتية مستقلة لها وانما تسيرها ارادة السلطة المحتلة .

لقد عرفت تجربة الاحتلال الالماني لاوروبا (في الدانمرك وهولندا مثلا) والاحتلال الياباني (بورما والفليبين) هذا الشكل من اشكال الحكومات « الدمى » حيث استغل الاحتلال قوته العسكرية في فرض حكومات ضعيفة تأتمر بامره واعطاها استقلالا شكليا ليتمكن من تنفيذ مآربه في ضم اجزاء من البلاد والتهرب عن تطبيق الاتفاقيات الدولية وخاصة اتفاقيتي لاهاي سنة ١٨٩٩ و ١٩٠٧ بدعوى ان صفة الاحتلال قد زالت بانشاء هذه الحكومات (المستقلة) . ولكن القضاء الدولي تنبه لهذه المكيدة واستقر في احكام عديدة على عدم مشروعية اجراءات سلطات الاحتلال بانشاء مثل هذه الحكومات والادارة الصورية وقرر عدم مشروعية تصرفاتها واجراءاتها واعتبرها لاغية لانه لا يمكن ان يكون لها ارادة حقيقية وسلطة فعلية فيما تقرره وتتخذه من اجراءات واعتبر اقامتها فقط للتغطية على تصرفات الاحتلال والتهرب من تنفيذ الاتفاقيات الدولية وقوانين الاحتلال وتنفيذ مآرب سياسية لا تستطيع الدول المحتلة ولا ترغب في القيام بها بشكل مباشر . ومن هذه القرارات : ١ — قرارات محاكم الجرائم الخاصة في هولندا بعد الحرب العالمية الثانية ، والتي اعتبرت في عدة قضايا اثيرت لديها ان انشاء المانيا لادارة مدنية تابعة لها اختصاصات تشريعية بأنها غير مشروعة بموجب مبادىء القانون الدولي . ٢ — قرارات المحكمة القضائية العليا في بورما حيث قررت « ان مثل هذه

الحكومات المستقلة صوريا كتلك التي انشأتها قوات الاحتلال الياباني ، ليس لها بالطبع اي وضع قانوني ، وان اجراءاتها لا تحدث آثارا قانونية » . ٣ — كما اعتبرت اجراءات المجلس الاداري المشكل في ظل الاحتلال الالماني للدانمرك واقراره خلع ملك الدانمرك عن العرش بضغط من المانيا (نظرا لتصديه لمقاومة الاحتلال الالماني) اجراءات باطلة ومخالفة لاتفاقية لاهاي والقانون الدولي العام . ٤ — كما صدرت قرارات عديدة من محاكم الجرائم اليونانية اعتبرت فيها ان اجراءات الحكومة « الدمية » انما هي امتداد لاجراءات السلطة المحتلة نفسها . ٥ — كما اعتبرت محكمة الاستئناف في لاهاي (هولندا) في قرار لها في احدى القضايا بأنه لا يجوز السماح لسلطة الاحتلال التهرب من مسئوليتها عن عمل غير مشروع أو تأمين منافع أو مكاسب من العدو بطريق غير مباشر عن طريق اجراء تحايلي بانشاء حكومة « دمية » .

وهكذا استقر القضاء الدولي على مثل هذه الكيانات والحكومات مجرد جهاز تابع او امتداد للسلطة المحتلة ، وكأن تصرفاتها تعود الى السلطة المحتلة نفسها . وعند تقييمها تعتبر وكأنها صادرة عن السلطة المحتلة نفسها من حيث مشروعيتها ونفاذها سواء كانت متفقة مع احكام ومبادىء القانون الدولي او مخالفة له .

هذا وقد نص في قوانين الحرب البريطانية في الفقرة ٥١٨/٢ ما يلي : « ان القيود والواجبات الملقاة على عاتق سلطات الاحتلال لا يجوز المخادعة بشأنها بارتكاب اعمال غير قانونية من خلال اداة الحكومة الدمية يجري اقامتها في الارض المحتلة » . كما جاءت المادة ٤٧ من اتفاقية جنيف الرابعة سنة ١٩٤٩ فاسبغت الحماية على السكان المحميين في الاراضي المحتلة وضرورة الاستفادة من الاحكام الواردة في هذه الاتفاقية رغم اية تغييرات في الادارة او الحكم تتم بالاتفاق مع السلطة المحتلة وكذلك رغم حالات الضم الجزئي او الكلي للارض المحتلة . ويبدو أن ايراد هذا النص جاء نتيجة للاجراءات الالمانية اثناء الحرب العالمية الثانية حيث كانت المانيا تضم بعض أجزاء من الدول التي احتلتها وادعت عدم انطباق اتفاقية لاهاي في هذه المناطق لانها اصبحت جزءا من المانيا ولم تعد مناطق محتلة فجاءت م ٤٧ من اتفاقية جنيف الرابعة سنة ١٩٤٩ لاكمال النص في اتفاقيتي لاهاي ١٨٩٩ و١٩٠٧ .

واخيرا فلا بد من اشارة موجزة للاجراءات التي تمت الانتخابات بموجبها من حيث صحتها ومدى توافقها مع احكام القانون المحلي الذي جرت بموجبه . واذا عدنا لاستعراض الاجراءات التي تمت خلالها عملية الانتخابات والاجواء التي فرضت فيها (بغض النظر عن عدم مشروعية اجراء الانتخابات لتحقيق اهداف انشاء حكومة او كيان صوري) فاننا نلمس ان هذه الانتخابات باطلة من حيث كونها انتخابات لمجلس بلدي . وباطلة ايضا من حيث قصد بها تمثيل سياسي للسكان .

١ — فمن حيث اجراءات الانتخابات كما سبق أن بينا سابقا فقد فقدت هذه الانتخابات جو الحرية ، فمن الثابت ان الترشيح للانتخابات قد تم نتيجة لضغوط وعمليات اكراه وتهديد واجراءات انتقامية كما حصل في نابلس عندما انسحب المرشحون ولجأت السلطات المحتلة الى حصار المدينة ومنع السفر منها او اليها وفرض حصار اقتصادي عليها واجراء حركات اغتيال وارهاب وتهديد(٢٣) .كل ذلك يلحق البطلان بهذه الاجراءات . ولا يستنتج كون ان ما حصل في نابلس لم يتكرر في المدن الاخرى ، ان السكان في هذه المدن كانوا راضين بالانتخابات ، ذلك ان سيطرة سلطات الاحتلال على المدن الاخرى نظرا لصغرها كانت أشد وأكثر فعالية .

٢ — ان ممارسة حق الانتخابات قد تم في جو من التهديد والارهاب المعنوي ، ذلك لانه

لاول مرة يرافق عملية الاقتراع ختم بطاقات هوية المقترعين ، وكانت السلطة المحتلة عن طريق الصحافة(٢٤) والاشاعة قد اشعرت السكان ان كل مـــن لا يشارك في الاقتراع سوف يتعرض لانتقام السلطات وحرمانه من الحصول على تصاريح السفـر والانتقال والعمل وأذونات الاستيراد والتصدير ، وقد اكد هذا كله وكالات الانباء والصحافـة الاجنبية المحايدة(٢٥) وحتى الصديقة لسلطات الاحتلال. ونكتفي هنا بايراد الوصف الذي اوردته صحيفة لانوفيل اوبزيرفاتوار الفرنسية في عددها ٣ ــ ٩ ابريل ١٩٧٢ « لقــد تمثلت الضغوط في الختم الذي كان يضعه الرئيس على البطاقة الشخصية لكل ناخب وقد ترددت شائعات في جميع مناطق الضفة الغربية لنهر الاردن عشية الانتخابات تقول انه سيجري حصر هؤلاء الذين لا يوجد ختم على بطاقاتهم الشخصية وسيحرمون من العمل وسيمنعون من الخروج من البلاد وستحتجز بضائعهم عبر جسور الاردن . وهكذا اصبح الجميع يريدون ان توضع الاختام على بطاقاتهم وهكـذا أراد الجميع ان يدلوا بأصواتهم » .

٣ ــ ان اجراء هذه الانتخابات تم ضد رغبة السكان الذين رفعوا عرائض الاحتجـاج يطلبون من الحاكم العسكري الابقاء على المجالس البلدية القائمة وعبروا عـــن عدم رغبتهم في اجراء مثل هذه الانتخابات بالعرائض والمنشورات والتظاهرات التي وصلت الى حد أعمال العنف . وفي هذا الصدد تقول صحيفة عل همشمار ٧٢/٣/٢٩ « ان سكان الضفة الغربية في غالبيتهم العظمى لم يكونوا يريدون هذه الانتخابات » .

٤ ــ ان اجراء الانتخابات في نابلس لم يتم وفقا للقانون المحلي الساري المفعول وهو القانون رقم ١٩٥٥/٢٩ حيث جرى تمديد فترة الترشيح بعد ان كان باب الترشيح قد اقفل وليس هناك نص في القانون يجيز ذلك ، كما ان المادة ٢١/فقرة ١ من القانون تلزم ان تعلن اسماء المرشحين للانتخابات في الصحف وفي مراكز الاقتراع قبل اجـراء الاقتراع بمدة ٣ ايام والذي حصل ان اقفل باب الترشيح المجدد يوم ٧٢/٣/٢٧ وجرت الانتخابات في اليوم التالي مباشرة ١٩٧٢/٣/٢٨ .

واذا كان لا بد من كلمة اخيرة عن التطورات المحتملة في الارض المحتلة فهناك حقيقة يجب الاعتراف بها وهي ان ما يجري داخل الارض المحتلة من مواجهة او ضعف فيها مرتبط لدرجة كبـــيرة بما يجري خارج الارض المحتلة في الساحـــة العربية وساحـــة الثورة الفلسطينية . ان قوة اسرائيل وامكاناتها التي تستطيع توفيرها لاجل تنفيذ مخططهـــا السياسي بالنسبة لمستقبل الارض المحتلة وسكانها اكبر بكثير من طاقة شعبنا علـــى مواجهته بمعزل عن قوى الثورة والقدرات العربية . ولذلك فان استمر الوضع في الساحتين العربية والفلسطينية على ما هو عليه الان فان اسرائيل ستكون قادرة على تنفيذ مخططها السياسي وتنفيذ ما تشاء من مخططات لتصفية القضية وخلق كيـــان فلسطيني تابع ، مستفيدة من تمثيلية الانتخابات التي قامت بها وسلسلة الانتخابات على المستويات الأخرى التي ستقوم بها .

اننا نأمل وليس ذلك من قبيل التفاؤل فقط ان الساحة خارج الارض المحتلة لا بد وان تشهد تغييرات في المستقبل تعكس بدورها تغييرات داخل الارض المحتلة كفيلة بأن تحبط كل ما خططت له اسرائيل لتزوير الارادة الفلسطينية وسحقها .

---

١ ــ صحيفــة جيروزاليسم بوست ٧١/٩/٢٢ وصحيفة عل همشمار ٧١/١٠/٢٠ .
٢ ــ صحيفة معاريف ١٩٧٠/٢/٣ .
٣ ــ وكالة الانباء الفرنسية ١٩٧٠/٢/٤ .
٤ ــ صحيفة هآرتس ١٩٧١/٧/٢٣ .
٥ ــ صحيفة معاريف ١٩٧٢/٢/١١ .
٦ ــ صحيفة القدس ١٩٧١/١١/١١ .
٧ ــ صحيفة معاريف ١٩٧١/١٠/١٩ وصحيفـة دافار ١٩٧١/١١/٨ .
٨ ــ وكالة الصحافة الفرنسية ١٩٧١/١٢/١٩ .

٩ — **اذاعة اسرائيل** ١٩٧٢/١/٣٠ .

١٠ — **اذاعـة اسرائيـل** الساعـة ١٠ يـوم ١٩٧١/١٢/٢٢ .

١١ — **وكالة الانباء الفرنسية** وصحيفة **علهمشمار** ١٩٧١/١٢/٢١ .

١٢ — انظر تفصيلات احداث هذه المرحلة في **نشرة الوطن المحتل** م. ت. ف. عدد ٦١ تاريخ ١٩٧٢/٤/١ .

١٣ — **وكالة الانباء الفرنسية** ١٩٧٢/٤/٣٠ .

١٤ — صحيفة **الاتحاد** الصادرة بفلسطين المحتلة ١٩٧٢/٣/٢١ .

١٥ — **وكالة الانباء الفرنسية** ١٩٧٢/٤/٣٠ .

١٦ — **وكالة الانباء الفرنسية** ١٩٧٢/٣/٢١ .

١٧ — **وكالة الانباء الفرنسية** ١٩٧١/١١/٣٠ .

١٨ — صحيفة **علهمشمار** ١٩٧٢/٣/٢٩ .

١٩ — صحيفة **الانباء** الاسرائيلية ١٩٧٢/٤/٢ .

٢٠ — انظر تصريحات ديان ١٩٧٢/٣/٣١ امام التلفزيـون الاسرائيلي وابا ايبان للاذاعة الاسرائيليـة ٣/٢٥ في **نشرة الوطـن المحتـل** م. ت. ف. تاريخ ١٩٧٢/٤/١ .

٢١ — George Schwarzenberger, *The Law of Armed Conflict*, "International Law as Applied by the courts & Tribunals", Vol. 11, London 1964, p. 252.

٢٢ — قرار مجلس الامن ٢٣٧ تاريخ ١٩٦٧/٦/١٤ والجمعية العامة في ٦٧/٧/٤ و ١٩٦٨/١٢/١٩ ولجنة حقوق الانسان في ٦٨/٢/٢٧ و ٦٨/٥/٧ والمجلس الاقتصادي والاجتماعي في ٦٨/٥/٣١ .

٢٣ — راجع نشرة **الوطن المحتل** عدد ٦١ تاريخ ١٩٧٢/٤/١ ملف الانتخابات البلدية في الضفة الغربية ، (**الاسوشييتد برس** ٣/٢١ و أ. ن. ٣/٢٦ ، ٣/٢٧ ، **لانوفيل اوبزيرفاتوار** ٣/٢٧ — ١٩٧٢/٤/٢ ، **لوموند** الفرنسيـة ٣/٣٠ ، **الاكسبرس** الفرنسية ٣ — ٧٢/٤/٩ ، **نيوزويك** الاميركيـة ٧٢/٤/٣ ، **كوريير دي لاسيرا** ١٩٧٢/٣/٣٠ الخ ...) .

٢٤ — جريدة **الانباء** الاسرائيلية ٧٢/٢/١٤ .

٢٥ — صحيفة **لانوفيل اوبزيرفاتوار** ٢ — ٩ ابريل ١٩٧٢ .

من النكبة الى النكسة : تعبيران لحوادث جسام

الدكتور ابراهيم ابو لغد

لقد حاول اللفظ اللغوي ان يشخص ما حدث بفلسطين عام ١٩٤٨ ، وان يرمز الى هوله باطلاق « النكبة » كتعبير يصف حقا هزيمة الشعب الفلسطيني ومــن ورائه الشعوب العربية الحليفة التي حاولت نجدته عن طريق الانظمة العربية القائمة آنذاك.
وقد حاول التعبير اللغوي في التاسع من حزيران عام ١٩٦٧ ان يصور الحجم الحقيقي لما حل بالانظمة العربية التي حاولت التصدي للعدوان الاسرائيلي ، وخرج « بالنكسة » كتشخيص لهذه الهزيمة . وقد جرى كثير من المفكرين وراء هذه التشخيصات ، جريا حثيثا ، فما صدر من كتابات لوصف ما حدث او ما يجب القيام به للتخلص من آثار ما حدث ، رغم استثناءات معينة ، رضي بوجه عام ضمنا بهذا التشخيص . ومن لم يرض بالتشخيص الاخير استعمل تعبيرات اكثر حيادا واقــل التزاما كحرب الخامس مــن حزيران او « حرب الايام الستة » (وهنا لا بد ان نشير بأن لهذا التعبير دلالة معينة وهي قبولنا بالتعريفات الاسرائيلية للمواجهة . وبهذا يثبت مرة أخرى القول بأن « المنتصر هو الذي يكتب التاريخ » ، وكلنا نعلم بأن « حرب الايام الستة » هو التعبير الاسرائيلي الرسمي للمواجهة العربية الاسرائيلية في ٥ حزيران ١٩٦٧) .

ومن طريف الامور ، ان يتنبه العدو الى هذه المقارنة علنا ، ويسخر من هذا التشخيص، ويعزوه فيما عزاه ، الى هذا التناقض الواضح في الفكر العربي ، والى البلبلة الفكرية العربية ، والى رغبة العربي المعاصر في الجري وراء الفاظ كاذبة لارتياحه النفسي الى تضليل نفسه . وعلى سبيل المثال لا الحصر، نشير الى ذلك المقال الذي نشره المستشرق الصهيوني برنارد لويس في مجلة النظام الاميركي « الشؤون الخارجية » حيث سخر من التشخيص العربي لاثار حرب حزيران بمقارنتها بنكبة عام ١٩٤٨ ، وحاول ان يبرهن عن « ضخامة الهزيمة العربية الحزيرانية » بالقياس الى ٤٨(١).

ولا نريد في هذا المجال ان نتعرض للتفاصيل النفسية التي أدت الى اطلاق هذين التعبيرين لما حدث للامة العربية في الفترتين ، الا أننا نريد أن نشير بأن التعبير الاول استخدمته الفئة المفكرة أصلا ، التي تعرضت الى تشخيص ما حدث ، ومن ثم قبل الشعب العربي هذا التشخيص ودرج على منوالهم المسؤولون في الدول العربية ، فكثر استعمال هذا اللفظ والاشارة اليه ، وبالتــالي أصبحنــا أسرى لهــذا المفهوم المختزل المعــبر . واما التعبير الثاني ، والذي يناقض ظاهرا حقيقة المأساة وبعدها ، أستخدمه الرئيس

١ ـ انظر : Bernard Lewis, «The Arab-Israeli War Concequences of Defeat,» *Foreign Affairs*, VOL. XLVI, No. 2, pp. 321-35, (New York: 1968).

الراحل جمال عبدالناصر ، فكان تشخيصا رسميا قياديا ، تبنته الانظمة العربية ومدافعيها ، ومن ثم الكثير من الفئات الشعبية الكاتبة ، فدرج استخدام هذا التعبير . ومن المؤكد انه ترتب على هذين التعبيرين تصورات سياسية وتوقعات وأساليب عمل دقيقة لمعالجتهما . فما تلى النكبة كان لا بد له وان يتصدى لعمل ضخم يوازي النكبة في آثاره ، ومن ثم انطلق العمل والفكر السياسي الى مشكلات واوضاع تهيأ لمن انطلق من هذه المنطلقات بأنها جذرية ، بينما اولئك الذين قبلوا بالنكسة كتشخيص انطلقوا « لازالة آثار العدوان » كهدف للعمل والفكر السياسي ، ومن ثم جاءت البرامج المدروسة لتخطط « لازالة آثار العدوان » . وكما كنا أسرى للتعبير اللغوي الاول ، أصبحنا بشكل عام بعد العاشر من حزيران ١٩٦٧ أسرى للشعار الذي أطلقه الرئيس عبدالناصر ، وآثرت الانظمة العربية على اختلافها ان تعمل وتخطط وتبرمج « لازالة آثار العدوان » .

وكما كان للنكبة من مقللي أهميتها ، كان « للنكسة » من اشمأز من تصغيرها لحجم مفعولها ، وانطلاق شعار التحرير الكامل ، عن طريق حرب التحرير الشعبية الشاملة ، يشكل اوضح استثناء للقبول بالمنطق النكسوي وازالة آثار العدوان .

التشخيصات والتعرض الفكري لاسباب النكبة

وقبل ان نمضي في تحليل رد الفعل العربي للهزيمتين ، يستحسن أن نحاول كشف النقاب عما يمكن أن يكون قد دخل في كنه المشخصين من عوامل وتصورات ، أدت الى قبول هذين التشخيصين اللذين كما ظهر للبعض يخالفان هول ما وقع .

ما حدث بفلسطين عام ١٩٤٨ هو قيام مجتمع اسرائيلي صهيوني في بقعة جغرافية محدودة جدا ، رغم المسيرة الفلسطينية الطويلة المدى ، ورغم توقعات الشعوب العربية بانتصار جيوشها العتيدة على ما اصطلح على تسميته حينئذ بالعصابات الصهيونية . ومع ان الشعب الفلسطيني ادرك ادراكا متفاوتا القوة الحقيقية للمجتمع الصهيوني المستوطن الا ان الشعوب العربية وانظمتها لم تع قط طرفا من هذه القوة . ومنطق الاستهتار الحقيقي للقوة الصهيونية، والتقليل من اهميتها ، عكست حدة أثر الفعل الذي صاحب هزيمة الجيوش العربية ، واستفاق العرب الى حقيقة ناصعة وهي بأن هذا العدو ، القليل العدة والعدد ، اقدر من الجيوش العربية متفرقة ومجتمعة مما ادى الى سحق او تراجع الاخيرة . وللمقارنة ايضا ، نستطيع ان نقول بأن المكاسب الجغرافية والديمغرافية والاقتصادية الاسرائيلية اثر هزيمة حزيران كبيرة جدا نسبيا مما قد يخلق انطباعا بهول هذه الهزيمة التي مني بها العرب ، وبالتالي مما كان قد أدى الى نعتها « بنكبة » . الا انها فيما ترتب عليها على المدى القصير لم تنتج تلك التحولات في المجتمع العربي التي أدت اليها الهزيمة الاولى على قلة مكاسبها الجغرافية والديمغرافية . فلو كانت الجغرافيا والديمغرافيا والاقتصاد هي المقياس ، لحق للذين يسخرون من المنطق العربي في التصور لآثار الهزيمتين ان يسخروا . الا أن ما ترتب على الهزيمتين من تحولات في المجتمع العربي ربما شكل الخلفية الحقيقية للتعبير اللغوي عن ما حدث . وربما يذكر بعضنا ، خاصة أولئك الذين وصلوا الى مرحلة الشيخوخة المبكرة ، بأن أول انعكاس فكري تصدى لنتائج انتصار المجتمع الصهيوني باقامة اسرائيل ، كان كتاب الدكتور قسطنطين زريق « معنى النكبة » الذي أعقبه بعد نيف وعشرين عاما « بمعنى النكبة مجددا » . وطرح الدكتور زريق آنذاك بعض الموضوعات والمسببات التي اعتبرها مفسرة للانهزام الفلسطيني — العربي عام ١٩٤٨ (٢) . وتعرض الدكتور زريق فيما تعرض

٢ — انظر بالاضافة الى الكتابين ، اجابة الدكتور زريق واخرين في استفتاء الاداب « درس الهزيمة الاكبر » في الاداب ، السنة الخامسة عشرة ، العددان ٧ و ٨ يوليو — اغسطس ١٩٦٧ بيروت . يحوى العدد ، وهو عدد « ممتاز » للمجلة ، لفيفا من المقالات تتفاوت في قيمتها حاولت تقصي الاسباب الحقيقية والعبر

اليه الى التخلف العلمي والحضاري ، وتعرض الى الفساد الاجتماعي الذي نتج عن هذا التخلف ، والى النقص في التعاضد العربي في مواجهة العدو . الا اننا لا نجحف الدكتور زريق بقولنـا ان السبب الاصلي للهزيمـة كان في رايه التخلف العلمـي العـربي والتخلف العقلي العربي . ومن ثم كانت المواجهة بين حضارة وثقافة ومجتمع متخلف علميا وتكنولوجيا وبين شعب يتحلى بحضارة وثقافة وعلم وتكنولوجيا حديثة ، ومن ثم كان محتما على العرب ان ينهزموا امام العلم ، وان يسحقوا مجددا ، لعدم تغلبهم على هذا التخلف بعد ما يزيد على عشرين عاما .

وقد جرى وراء هذه التحليلات القيمة بعض من تصدى لهذا الموضوع فكرا ولم يخرج هؤلاء عن هذا التشخيص العلمي ـــ الحضاري الذي في نهايته يطرح التصور العملي بأن المجتمع العربي الشرقي الاسلامي الغيبي اللاعقلي يواجه في هـذه المرحلة الحضارة الغربية العلمية العقلية وان مثل هذه المواجهات لا بد وان تؤدي الى انتصار الثانية مؤكدا .

ولا أعتقد بأننا ننتقص من هذا المجهود ان قلنا بأن النهضة العربية منذ أن بدأت مساعيها الحثيثة في القرن التاسع عشر اتجهت من نفس المنطلق ووصلت نتائجهـا الى نفس التصور ، فما دار من صراع فكري منذ القرن التاسع عشر شكل هذه المواجهـة بين انصار « المستغربين » وانصار « المشرقين » ، ونحن نعلم علم اليقين ، بأنه على الصعيد النظري ، وفي الممارسات العملية للدول العربية التي تشكلت أثناء صراع الشعب العربي في الامبراطورية العثمانية ومع الاستعمار الاوربي فيما بعد ، انتصر الاوائل وتجسد انتصارهم في وضع الاسس العديدة للدويلات العربية الحديثة كمصر وسوريا ولبنان والاردن والعراق ، وأصبحت هذه الدويلات ظاهرة حديثة ، تتحلى بقميص مزخرف غربي المظهر ، الا أن من راقب هذا التطور كما راقبه الدكتور زريق اطمأن بأن هذا المظهر يخفي الحقيقة المرة وهي ان هذه الدويلات ابعد ما تكون عن العلمية والعقلية والحضارة الحديثة في جوهرها . فهذا الثوب الجميل يخفي جوهرا لم يتحول تحولا جذريا ولم يتطلع حقيقة الى العلم وسيطرته على شؤون المجتمع .

ولا نغالي ان قلنا بأن تصدي الدكتور زريق للاسباب الحقيقية للنكبة كان فريدا وجريئا من نوعه ، وكانت محاولة صادقة في تخطي الامور التي ظهرت أكثر وضوحا لغيره من المحاولين . وبامكاننا أن نوجز مجمل هذه التصورات التي انطلقت بعد عـام ١٩٤٨ لتفسير الاسباب الكافية للهزيمة . اذ كان هنالك التصور التآمري والذي فسر الهزيمة على انهـا نتيجة تآمرات عديدة بين الصهيونية والدول الكبـرى التي أعطتها شرعـة وسلاحا واسرارا عسكرية عربية كان من شأنها ان تسحق العصابات الصهيونية ، أو أنها تآمرات بين الاستعمار وحلفائه الرجعيين من العرب والصهيونية لسلب حقوق

= الاساسية لهزيمة حزيران ، وكان هدف العدد ان يبين « طريقنا الجديد » . الا انني وجدت بعد مطالعتي لهذا العدد بأن الطريق الجديد يشكل امتدادا وتكثيفا للطريق القديم ، سواء من حيث دعوة المؤلفين الى المزيد من الحشد ، الى المزيد من التعقل ، الى المزيد من العلم ، الى المزيد من العلمانية ، الى المزيد من الوحدة ، الى المزيد من الاعلام الصحيح ، وهي دعوات تبشيرية غائية لا تبين الطريق «الجديد» للحصول على هذه الفوائد . الا ان موضوعا يتيما طرق في هذا العدد تحسن الاشارة اليه ، وهو مقال عبد الله عبد الدائم « التربية وطريقنا الجديد الى النصر » ، حيث ربط الدكتور عبد الدائم بين التخلف الحقيقي للمجتمع العربي ، وبين القيم التي تساهم التربية في ارسائها . وفي هـذا المجال نلفت نظر القارىء الى محاولة فريدة اخرى تتمثل بكتاب محمد احمد الغنام ، **تعليم الامة العربية** ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٦٩ حيث يتناول المؤلف البعد التربوي للتخلف العربي وبالتالي وسائل التغلب عليه. ونلفت النظر كذلك الى العدد « الممتاز » الذي اصدرته مجلة **الكاتب** المصرية للسنة التاسعة ، يونيو ١٩٦٩ ، وذلك لمعالجة ٥ يونيو ، الا ان ما جاء بهذا العدد كذلك كان اكثر عمومية واقل تفصيلا .

الشعب الفلسطيني وترسيخ الاستيطان الصهيوني وتحقيق بعض المكاسب الجغرافية لهذا الحاكم العربي أو ذاك . أو انها تآمرات بين بعض المسؤولين عن تسليح الجيوش العربية ورؤسائهم جريا وراء المنفعة المادية والشخصية مما أدى الى استيراد كميات فاسدة من السلاح لولا فسادها لانتصرت هذه الجيوش العربية . ولا نقول بأن كل التصورات التآمرية في نفس المستوى او تلتزم بهوية المتآمرين . فالشيوعيون آنذاك ، الذين ارتبطوا « بعصبة التحرر الوطني » ربطوا بين التآمر الاستعماري العربي ـ الصهيوني وبين النظم الاجتماعية الا أن تركيزهم في التحليل كان منصبا على التآمر المصلحي بين فئات وقوى عربية وصهيونية وامبريالية بينما ركز غيرهم من المنسيين غير الملتزمين بخط فكري معين على تآمرات ومتآمرين آخرين .

ومجمل الفكر التآمري يعزو الفشل العربي والنصر الصهيوني الى التآمر وبالتالي يطالب بتنحية المتآمرين والتخلص منهم بأي شكل من الاشكال دون أن يكلف نفسه الجهد والعناء بالبحث عن عوامل أخرى . وكان هناك القصور التكنولوجي المحدود الذي عزا الانتصار الى الامساك بالاسلحة الحديثة وحيازة أنواع معينة من هذا السلاح كالطائرات والمدافع ذات حجم معين ، والمدرعات ، وما شابه ، وان حيازة الصهيونية لهذه الاسلحة وعدم توفرها لدى الفلسطينيين والدول العربية أدى الى ترجيح كفة الصهيونية وانتصارها . ومن هذا المنطلق ، اتجه أنصار التكنولوجية الحديثة المحدودة الى الدعوة والتبشير بضرورة تكديسها ، وان هذا التكديس سيؤدي الى رجحان الكفة العربية مستقبلا .

وكل هذه التصورات افترضت بدرجات متفاوتة في الصراحة والالتزام بضرورة التعاون والتنسيق ان لم يكن التوحيد العربي ، وان المجابهة الحقيقية لقوى العدوان الصهيونية تتطلب حشد الطاقات العربية عن طريق هذا التنسيق والتعاون . والاتجاه الوحدوي الحقيقي والايمان بضرورته ميزه الانطلاق الفلسطيني بينما اكتفى معظم من تصدى لمعالجة النكبة من مواطني الدول العربية الاخرى بضرورة التعاون والتنسيق .

ومع احترامنا لوجهات النظر المختلفة الا أننا نستطيع أن نجزم بأن هذه التصورات المختلفة لم تتجاوز ما فكرت به القطاعات الشعبية العديدة ، ولم تتجاوز التفكير الرسمي ـ ان كان هنالك تفكير ، فكان رد الفعل متجانسا الى أبعد الحدود بين من فكر كثيرا وعبر عن تفكيره وبين من تكلم في مقاهي العرب وحوار الشباب . ولو حاول المجتمع العربي ان يستلهم مفكريه في الطريق الذي يسلكه لطال انتظاره وتفتتت بنياه وضل مسيره .

حتمية العمل للتغلب على النكبة

الا أن الرد الفعلي الحقيقي للنكبة « جاء شعبيا قبل أن يجيء فكريا » ، وما زال الوضع كذلك حتى يومنا هذا ، والفجوة التي تفصل الشعب عن مفكريه تزداد اتساعا بمرور الزمن بدل أن تضيق ، والشعب بمختلف طبقاته وأيا كانت رقعته في هذا المسطح العربي ، شعر بآثار النكبة وانتفض لها قبل ان يسترد المفكرون أقلامهم . فبدأت الممارسات الشعبية السلمية وغيرها تؤدي الى نتائجها المسلكية والتنظيمية وتولد من ضغوطها سلسلة الانقلابات العسكرية التي قامت باسمها ولتحقيق رغباتها في سوريا ومصر ، والتقلقلات في الاردن والوثبات في العراق وغيرها من الاقطار العربية . وهذه التغييرات رغم جزئياتها وبعدها عن المطلوب حدوثه ، انما كانت أول رد فعل حقيقي للهزيمة الفلسطينية ـ العربية . فجاءت سلسلة من الاصلاحات في مختلف القطاعات لتعالج النقص الذي أحس به الشعب ، سواء من حيث تكديس الأسلحة واستمرارية التجييش ، أو من حيث بتر العلاقات المستأصلة بين الشعوب العربية ودول الاستعمار والمضي في سياسة استقلالية من شأنها ان تساعد على تحقيق الحلم العربي بالنصر على المستوطن الصهيوني وحلفائه ، ثم انفتاحا على الشعب والتسليم بشرعية ممارسة

الشعب لحقوقه في المواطنةوتمكينه من الاستفادة منخدمات الدولة التي رسى قواعدها.

وعلى الصعيد التنظيمي نشطت تلك الحركات التي كان الضعف حليفها قبل الثمانية والاربعين وجدّت حركات أخرى حاولت أن تضع اطارا فكريا وحركيا للعمل العربي. وما محاولات البعث والقوميين العرب والحركات الاقل شأنا الا محاولات في نفس الطريق، آمنت بضرورة الاصلاح الاجتماعي والاقتصادي بتفاوت فكري للتصور الذي يجب ان تؤول اليه الاوضاع العربية. ولا نغالي ان قلنا بأن جميع الحركات العربية مدينة « للنكبة » من حيث تهيئة المناخ اللازم لتحركها الانقلابي والاصلاحي، بما في ذلك تلك الحركات التي تأخر نجاحها حتى أواخر الخمسينات — مثلا العراق.

فمن حيث ادراك الشعب وقياداته المختلفة لاهمية الانتصار الصهيوني ومعناه الحقيقي نستطيع ان نقول بأن احساس الشعب بالنقص العربي كان فادحا — واحساسه بضرورة التحول التاريخي في المنطقة كان ماسا وحادا للغاية ومن حيث البرامج التي طرحها او تبنى من المطروح منها كانت كلها ظاهرة جذرية من شأنها ان تستأصل بذور الفساد المستوطن في العالم العربي وغرس بذور جديدة من شأنها بعد نبتها وحصادها أن تؤدي الى المجتمع التقدمي القوي العلمي التكنولوجي. ولهذا لم يكن مقدرا للحركات التي اعتقد بعدم جدواها رغم انتشارها وحوزتها على بعض الفئات الموالية، أن تتطور الى حركات شعبية ذات أصول مقبولة في الخمسينات مثل حركة الاخوان المسلمين في مصر والقوميين السوريين في منطقة الهلال الخصيب. ومن ثم تمكنت الحركات الاحتجاجية من السيطرة على الحكم وبدأت ممارساتها وانجازاتها. ونحن لا نقلل من اهمية الانجازات الاصلاحية التي قدمتها هذه الحركات — سواء تلك التي تمثلت بالبعث او الناصرية، ان قلنا بأنها أقدمت على سلسلة من الترقيعات الضرورية التي أدخلت تحسينات كمية وكيفية على الاوضاع العربية. فمن المنظور الداخلي، كان للاصلاح الزراعي والتحول الصناعي، والانفتاح التربوي وتوسعه الهائل آثار حسنة ولا شك في مصر وسوريا والعراق وحتى في الدول العربية الاخرى التي حاولت أن تنقذ نفسها من وثبات الشعب المتتالية عن طريق تبنيها لمشاريع تطويرية تهيأ لمسؤوليها بأنها تحول دون التحول الثوري. اما من المنظور الخارجي فقد تمكنت هذه الحركات من الانفتاح على المعسكر الاشتراكي لاول مرة سواء من ناحية التعاون العسكري او الثقافي او الاقتصادي، وكان من الطبيعي لها أن تتجه وتحتل مراكز طليعية في العالم الثالث، فحطمت بذلك تلك القيود الفكرية والسياسية التي فرضتها ظروف الاستعمار المباشر. وحدث ما حدث، تطور ظاهري حسن أدى الى التغلب على بعض مشاكل الفقر والتخلف، والمزيد من التكافل الاجتماعي والاقتصادي، والتقدم التكنولوجي وتوسع هائل في قطاعات الحرفيين مثل الاطباء والمهندسين وعلى صعيد العلاقات الخارجية، حدثت الوحدة والانفصال، ولكن بشكل عام ازدادت اواصر الاخوة بين العرب بغض النظر عن انظمتهم وبدا أن يوم الوحدة ليس ببعيد.

وكان لهذه التحولات السلوكية والفكرية اثر واضح على القضية التي كان لها الفضل في اخراجها لحيز الوجود، وهي القضية الفلسطينية. اذ بعد أن كانت القضية الفلسطينية قضية صراع بين الاوروبي والفلسطيني حول مستقبل فلسطين تحولت تدريجيا الى صراع اسرائيلي — عربي فتهيأ للمواطن العربي، ان المسؤولية الاولى لاحتواء اسرائيل، تقع على عاتق الدول العربية. وظهرت بلبلة فكرية واضحة حول مفهوم هذا الصراع، هل هو صراع في سبيل تحرير الوطن السليب وان كان كذلك فما هو البديل العربي؟ او هل هو صراع بين دولة توسعية تحاول الاستيلاء على المزيد من الرقع العربية التي تقع ضمن سيادة الدول العربية؟ وهل تدافع هذه الدول في الواقع في مواجهتها مع اسرائيل عن سيادة حدودها وأمنها ام انها، في مزاولتها لاستمرارية الصراع، تدافع عن

قضية التحرير ؟ ازاء هذه البلبلة والفوضى الفكرية والرسمية نستطيع ان نلمس الشعور العفوي للشعب العربي الذي طالب بالتحرير الكامل ، وأصر في كل مواقفه السياسية والاجتماعية على ضرورة التحرير ، وكان بشعوره يتجه الى التساؤل عن تقاعس هذه الدول التي اختبرت الاصلاحات العديدة ، والتحولات التاريخية الاجتماعية التي أوحت بأن الضعف الذي أدى الى النكبة قد تحول الى قوة ضارية قاضية . وكان لاجهزة الاعلام العربية دورها البارز في المزيد من خديعة الشعب بأن أكدت له جذرية هـــذه التحولات والانجازات ، وان الدول العربية اضحت على حال من القوة بحيث يمكنها استرداد حقوق الشعب الفلسطيني ، لولا الاعتبارات الدولية ولولا التدخلات الالهية التي دوما تحمي اسرائيل من الانتفاضى العربي . وكانت الفجوة العميقة بين الواقع المرير والخيال . وللانصاف نقول انه باستثناء طرفين رئيسيين انطلقا من منطلقات مختلفة اعتقدا بأن المواجهة تتطلب المزيد من الاستعداد ، وان التحول اضاف الى القوة العربية الا انه لم يكف للتغلب على التفوق التكنولوجي الاسرائيلي ، ولهذا دعا فريق من انصار هذا الاتجاه الى التريث والصبر الى ان يكتمل اثر هذا التحول وبعدئذ يتسنى للمجتمع العربي ان يواجه بنجاح المجتمع الاسرائيلي . بينما انطلق الفريق الاخر من منطلق عدم جدوى هذا التحول وان المواجهة الحقيقية لاسرائيل تتطلب كيفا آخر ، ولهذا لن يجدي الانتظار والتريث والاستكمال ومن الافضل الدخول في مواجهة تحريرية شاملة الان من شأن هذه المواجهة ان تهيىء تلك الظروف الكفيلة بالتحول الجذري التي من شأنها في نهاية الطريق ان تؤدي الى تصدع جبهة الاستيطان الصهيوني . وكان اتجاه التريث يتمثل بموقف الرئيس عبد الناصر ، بينما تمثل الثاني بالموقف الذي تبناه انصار المقاومة الفلسطينية التي بدأت تنمو في النصف الاول من الستينات . الا ان منطق المقاومة والتحرير رغم استعداد البعض لقبوله وتبنيه ، بقي مسيطرا على فئة محدودة من الناس . ومنطق عبد الناصر تأرجح بين القبول من الجماهير التي آمنت بقيادته ، والرفض من الذين حاولوا التقليل من شأنه عن طريق المزايدات العلنية .

في أعقاب النكسة

وبقي الموضوع ، وهو موضوع المجابهة مع اسرائيل رهن التقدير العلمي للقدرة العربية التكنولوجية ، ولم يخرج عن الطريق او اسلوب استكمال هذه القدرة الذي شقته الحركة الناصرية والانظمة العربية الاخرى . وكان لهذا المنطق ان يصطدم بالواقع في حزيـــران وكانت النكسة . وقد تبين منذ اللحظات الاولى للقتال بأن الهزيمة العربية تفوق سابقتها في هولها وفداحتها واصالتها واندحار الجيوش العربية التي تكدس سلاحهـــا وتحسن تدريبها ، واستؤصل فسادها ، مع التقدم الظاهر للوطن العربي اذهل الشعب العربي في كل اقطاره .

ولا نشك قط بان الشعب العربي في اعقاب الهزيمة قدر هذه الهزيمة تقديرا اختلف كليا مع ذلك التقدير الذي طرحه الرئيس عبد الناصر في التاسع من حزيران ، وكان لعبـــد الناصر ما اراد . فوضع الهزيمة في اطار نكسة . وحدد معالـــم واهداف المرحلة المقبلة بارتباطها بازالة اثار النكسة . فلجأ الرئيس الى اتخـــاذ الخطوات التي ارتآها لتحقيق هذه الاغراض ، فهادن الانظمة العربية التي عاداها بالامس ، ودعـــا الشعوب العربية التي تحركت عفويا لتسديد الضربات للمستعمر المتمثل في شركـــات النفط الاميركية الى استئناف العمل في السعودية وليبيا ومن ثم اتجه الى اعـــادة تسليح الجيش واستكمال تدريبه مع محاولات صادقة لاصلاح في الهياكل الفنية المرتبطة بأبواب الحرب .

ولا نغالي ان قلنا بأن ما تبـــع حرب حزيران من خطوات عملية اصلاحية بقيـــادة مصر — التي تمثلت بها الانظمة العربية المنتكسة الاخرى — انما تشكـــل امتدادا كميا وكيفيا للخط السابق من ناحية القـــدرة التكنولوجية والعلمية والكفاءة العسكرية ، امـــا على

الصعيد السلوكي في العلاقات والافكار ، فقد كانت المهادنة رجعة الى الوراء ، واعترافا ضمنيا بعدم جدوى حركة التحرير المعتدلة التي سيطرت على المنطقة العربية في العقدين الاخيرين ومن ثم نستطيع اعتبارها اعترافـا اليما بأن ما نجح الاستعمار على خلقه من كيانات عربية وانماط عمل وبناء لا يمكن تغييره .

الا ان تصدي المقاومة الفلسطينية في اعقاب الهزيمة للكيان الصهيوني ، على ضعفها وحداثتها ، عبر عن تيار مخالف واصيل بآن واحد . ونحن لا يهمنا هنا شكل المقاومة تنظيميا وحركيا بقدر ما يهمنا افكارها واطارها النظري . فقدمت المقاومة اولا ولاول مرة منذ بداية الصراع الصهيوني ــ الفلسطيني اول بديل عاقل للمجتمـع الذي تطمح الى اقامته في فلسطين ، وعلى بساطة هذا البديل الا اننا نستطيع اعتباره اول محاولة فكرية عربية جادة تدعو جميع الاطراف لقبولها. واكدت المقاومة ثانيا ان الطريق الى الوصول لتحقيق هذه الفكرة ، وترجمتها عمليا في مجتمع فلسطيني تقدمي لا بد وان تلتزم بالثورة الشعبية ، وان الكفاح المسلح المسيس هو اسلوب هذا التحرير والثورة. ثالثا ان تحقيق هذه الفكرة ، وعن هذا الطريق بالذات يعني فيما يعنيه ان الاصلاح والترقيع لاستكمال القوى التكنولوجية سوف لا تجدى مهما طال عليها الزمن ، بل ان الثورة الخلاقة لا بد وان تبطل مفعول التفوق التكنولوجي للعدو حين تنمـي القدرة التكنولوجيـة للشعب الثائر . رابعا ان هذه الثورة لا بد وان تكون شاملة ، ليس لتثوير الفلسطينيين بل لتثوير المجتمع العربي ككل ، وان المقاومة رغم هويتها القطرية ، انما تشكل الطليعة الثورية للمجتمع العربي . خامسا ، ان الصراع الحقيقي في المنطقة العربية ليس صراعـا بين اسرائيل والدول العربية ، انما هو صراع بين الشعوب العربية على اختلاف هوياتهـا القطرية ، وبين ما يرتكز اليه المجتمع الصهيوني والاسباب التي تحول دون تقدم هذه الشعوب بما في ذلك القواعد الاستعمارية وانصارها . ولهذا كـان من السهل للتفكير المقاوم ان يربط عضويا بين اسرائيل ، والامبريالية العالمية والرجعية العربية ــ انظمة واسلوبا في العمل(٣).

وما الكتابات التي صدرت في اعقـاب حزيران الا كتابات تعبر عن هاتين الوجهتين رغم التباين الظاهر والتناقض الواضح في كل من المعسكرين . فالذين قالوا بضرورة « حشد القوى » والمزيد من التعاون العربي ، واستغلال الطاقة العربية في المواجهة ، وتدعيم الجيوش ، واستكمال تدريبها ، وضرورة تقدم التكنولوجيا رغم انهم ظاهرا اخذوا على عبد الناصر تصديعه للجبهة العربية تصرفاته التقدمية الا انهم آمنوا بمنطقه . فأولئك الذين رأوا هجوم عبد الناصر على الحريات الداخلية ، والبرلمانات ، سببا رئيسيا للهزيمة ، انما اخذوا بمنطقه من حيث ضرورة الوحدة الوطنية على ادنى المستويات ، مع الابقاء على التقدم التكنولوجي عن الطريق السابق العهد . ومن قرأ كتابات اعداء عبد الناصر التي صدرت في بيروت وغيرها من العواصم العربية والذين حملوا عبد الناصر مسؤولية الهزيمة انما انتقدوه لان برامجه في نظرهم اضعفت تلك القدرة العربية التي كان بالامكان حشدها في سبيل المعركة . فهم اذن متفقون بضرورة القوة التكنولوجية ولكن اختلفوا معه في الأساليب السياسية والاجتماعية التي من شأنها ان تزيدها وتكثر من مفعولها(٤).

اما المنطق البديل،والذي طرحته المقاومة عمليا،فقد وجد من يسانده فكريا جملة من الفئات

٣ ــ يدرك القارىء بأن هذا التلخيص صادر عن البيانـات والوثائق العديدة المختلفـة التي صدرت عـن التنظيمات الفدائية التي اختلفت فيما بينها حول قضايا جزئية (رغم انها تعتبرها اساسية) .

٤ ــ وعلى سبيل المثال لا الحصر نشير الى بعض هذه المعالجات : اديب منصور ، **النكسة والخطا** ، دار الكاتب العربي ، بيروت ١٩٦٨ ، صلاح الدين المنجد ، **اعمدة النكبة** (دار الكاتب العـربي ، بيروت ،

اليسارية والتقدمية الاخـــرى . ولا شك بأن الكتابـــات اليسـارية والتي ظهرت وكأنها امتداد طبيعي للتفكير المقاوم ، كانت الكتابـــات الوحيدة التي تصدت للاسباب الحقيقية للهزيمة اذ ان هذه الكتابات تعرضت لجوهر الضعف العربي وليس لظواهره . فاثارت فيما اثارته الجـــذور التاريخية للتخلـــف العــــربي ، الاوضاع والمنظمات الاجتمـــاعية والاقتصادية التي ما زالت تستند الى الاستغـــلال المحلي ، والى الاضطهـــاد الداخلي وغيرها من عوامل . وان هذا التخلف والاستغلال والتناقضات بمجملها لا بد وان تحول دون امكانية الحشد والتكديس للقوى العربية . وتقول هذه التشخيصات الواقعيـــة ، بانه مهما حاولنا من اصلاحات وترقيعات تمليها الانظمة القومية العربية ايا كانت سوف تؤدي الى هزائم اخرى ، لأن التحول المطلوب في المجتمع ، انما هو تحول جذري يهدم المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية التي تشكل الركيزة الاساسية لانظمة الحكم القائمة، وبالتالي للعقلية التي تسيطر على تسيير المعارك الخارجية تلك المتعلقـــة باسرائيـــل او غيرها المرتبط بالاستعمار الخارجي . وان هذا التحـــول الجذري ، لا بد وان يعيد تكوين المجتمع العربي علميا وعلى ضوء نظرية تاريخية واضحة المعالـــم ، وبذلك تنشأ تنظيمات اجتماعية اقتصادية تمكن الانسان العربي من الانطلاق وتحرره من القيود اللاعقلية التي فرضت عليه نظرا للاوضاع الاقتصادية والاجتماعية السابقة(٥).

والغريب حقا في امرنا ان تتطور امورنـــا بعد « النكسة » آخذة بالمنطـــق الاول وليس بمنطق المقاومة ، وان يكون لانصار هذا المنطق اليد العليا في تسيير دفة المواجهة الاسرائيلية . فكرست اجهزة الاعلام ، وهي الناطقة باسم الانظمة العربية ــ تعبئتها على المواجهة العربية ــ الاسرائيلية من ناحية تصور الصراع الدائر في المنطقة العربية

١٩٦٩) تدري تلعجي (تقديم) ، **من وثائق النكسة** ، دار الكاتب العربي ، بيروت ، ١٩٦٩ . وقد حاولت هذه الكتابات ان تعزي الضعف العسكري استنادا الى التحركات التقدمية التي قام بها النظام الناصري التي ، في نظر واضعي هـــذه الكتب ، اضعفت الاستعداد للمعركة . أما المعالجـــات التي صدرت عـــن التقدميين فقد انطلقت من نظرة اخرى ، اذ انها آمنت بالاتجاه الناصري ولكنها لم تعتقد بأن هذه الانجازات كانت لتكفي ، ولهذا لا بد من المزيد منها مع بعض التحول النوعي . انظر مثـــلا لطفي الخولي **٥ يونيـــو : الحقيقة والمستقبل** ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٨ ، والمقالات التي نشرت باعداد مختلفة في **مواقف** العدد ٨ ، خاصة تلك التي اكدت على العمق العربي للصراع الفلسطيني . انظر مثلا عبد الله عبد الدائم ، « من حركة المقاومة الفلسطينية الى حركة المقاومة العربية » ، **مواقـــف** ، العدد ٨ ، السنة الثانية ، نيسان ١٩٧٠ ص ٢٩ ــ ٤١ . (يحوى هـــذا العدد بعـــض المقالات الهامة الاخرى المتعلقة بالمنطق المقاوم للهزيمة ، ساهم في طرحها نخبة من المفكرين والمناضلين مثل شفيق الحوت ، وغسان كنفاني وناجي علوش وغيرهم). انظر كذلك شهادة منح الصلح «الهزيمة والثورة» في **مواقف**، العدد الرابع، السنة الاولى، حزيران ١٩٦٩ ص ١٥٣ــ١٥٧ . وعبدالله عبد الدائم: « الانسان العربي الجديد : رؤى جديدة ، مهمات جديدة » . وبسام طيبي ، « في الفكر العربي المعاصر » في **مواقف** ، العدد ٣ ، السنـــة الاولى ، نيسان سنة ١٩٦٩ ص ٨٦ ــ ١١٧ . وكذلك عبد القادر يوسف ، **عبرة النكسة** ، مكتبة الامل ، الكويت ، (دون تاريخ) .

٥ ــ تجدر الاشارة الى ان الدراسات اليسارية الجادة التي تصدت بنمط فكري جديد لهزيمة حزيران نادرة جدا . فبالاضافة الى ما كتبه صادق جلال العظم ، **في النقـــد الذاتي بعد الهزيمـــة** ، **ودراسات يسارية** ، يكاد يكون كتاب نديم بيطار ، **من النكسة الى الثورة** ، بيروت ١٩٦٨ ، وحيدا . الا ان اعدادا مختلفة من **الحرية ودراسات عربية** (البيروتيتان) نشرتا مقالات وبحوثا طيبة ذات طابع تقدمي شامل او قومي . انظر مثلا كتابات سعدون حمادي ، وصادق جلال العظم ، وبسام طيبي . انظر كذلك الدكتور جورج حنـــا ، « المثقفون والنكسة » ، **الاداب** ، السنة السادسة عشرة ، ايلول ١٩٦٨ ، ص ٣١ ، والعـــدد الممتـــاز **للاداب** نفس السنة ، العدد الرابع ، نيسان ١٩٦٨ ، المتعلق بأدب المقاومة .

ودعت فيما دعت اليه ان لا « صوت يعلو صوت هذه المعركة » دون ان تعي ابعادها ، ثم جاءت لتشعر الشعب العربي وتزيد من تخديره بأن الصراع القائم في المنطقة خاضع حقا وجذريا الى صراع عالمي امريكي — سوفيتي يتحكم فيه ضرورة ، اضافة الى الايمان بضرورة المزيد من التسليح والتدريب لتكفل النصر مستقبلا . وما آخر هذا التصور والذي لخص الاسباب الحقيقية للنكسة « بعدم كفيء ادارة الصراع »(٦) الا امتدادا طبيعيا لهذا التفكير الذي سيطر علينا منذ اكثر من قرن . فالامر كله مرهون بتقدم تكنولوجي في قطاعات مختلفة يمكن للزمن معالجته .

ويهمنا الان ان نقف لنقارن ما يجري في العالم العربي الان وما جرى بعوالم اخرى كانت اوضاعها شبيهة بأوضاعنا . فخبرات الشعوب الاخرى كلها تؤكد عدم جدوى الترقيع والاصلاح في معالجة التخلف والمواجهة التي تتعرض لها شعوب ذات حضارة عريقة .

وقد سار بهذا الطريق بطرس الاكبر في روسيا ، وحدث ما طاب له من تحديث ، واعاد تدريب جيشه ، ثم غير « ادارته » واحدث اصلاحات فوقية اثارت اعجاب اعدائه ، ولكن سرعان ما انهزمت جيوشه أمام جيوش اخرى اكثر حداثة ، وبقيت روسيا رغم مصادرها المادية والبشرية الهائلة عملاقا نائما ، لم يستفق الى ان حدثت الثورة الشعبية التي فجرت طاقاته منذ ثورة اكتوبر ، فحدث التحديث الحقيقي على مختلف المستويات ، واعيد بناء المجتمع ، وحدثت الوحدة الوطنية وتحققت امال الشعب الروسي بالعيش الكريم القوي . وسارت الصين في نفس الطريق ، واحدثت التغييرات منذ القرن التاسع عشر — ويجدر بالفكر العربي ان يدرس هذه الموازاة في عملية التغيير في المجتمعين العربي والصيني — الى ان جاءت الثورة الصينية بقيادة صن يات صن التي رغبت المزيد من الاصلاح والترقيع، فكان لها ما كان . الا ان جدوى هذه الاصلاحات وقيمتها الحقيقية انفضحت كاملا في الثلاثينات فكانت الصين من حيث علاقتها بالاستعمار العالمي في وضع اكثر سوءا من سابقها ، وكان الفساد يعمم قطاعات اكبر من سابقيها ، وكانت الفوضى الادارية اشد وطأ على مقدرات الشعب الصيني ، وبالتالي كانت هزائمهم على يد اليابانيين والدول الغربية اكثر الما منها قبل التحديث والترقيع الى ان انتصرت القوى الوطنية الثورية التي خططت وناضلت استنادا الى نظرية سياسية اجتماعية شاملة مغايرة للنظريات الغربية البورجوازية .

وما حدث بالمجتمع العربي منذ بداية « النهضة » سواء في المشرق او في المغرب جاري هذا التفكير واخذ به ، فعدل وبدل ، وغير وحسن واصلح ، دون ان يرتبط بنظرية سياسية اجتماعية شاملة تستند الى التاريخ او المستقبل ، ورغم التحسينات الظاهرة في هذا المجتمع ، الا ان الخامس من حزيران ١٩٦٧ اثبت مرة أخرى ان المرور بهذا الطريق ينفذ بنا الى شارع مقفل ، وبالتالي يؤدي بنا الى ضعف متزايد والى مجتمع مبتور لا يمكن لحمه ، والى سيطرة اجنبية واستعمار عالمي يمتص طاقات هذا الشعب لصالحه . وان كان للخامس من حزيران عبرة ، فهي التوكيد على الافلاس الفكري لنمط معين من التصور السياسي الاجتماعي الذي الهم التغير العربي منذ بداية النهضة . الا ان هذه العبرة الاساسية لم يتقبلها الفكر العربي — الا اليساري الملتزم منه — وبالتالي لم يؤد الخامس من حزيران الى تلك التحولات الجذرية في الانظمة العربية والمجتمع العربي الذي كان يجب ان يؤدي اليه . وبالتالي اصبح واضحا بأنه نكسة للانظمة ولم يكن نكبة لها . واصلاح نكسة الانظمة يكون بالابقاء عليها بعد محاولة تصحيحها ، أما النكبة فلها اساليب أخرى في المعالجة !

---

٦ — عالج محمد حسنين هيكل ارتباط الادارة الحسنة الحديثة بالصراع الناجح في مقاله الاسبوعي ، الجمعة، **الانوار** ، ٢ حزيران ١٩٧٢ .

الدور "الاكسترا ـ عسكري" للجنرالات المتقاعدين في اسرائيل

الدكتور اسعد رزوق

من المعروف ان الجيش في اسرائيل يقوم ، الى جانب وظائفه العسكرية الرئيسية ، بتأدية أدوار ومهام أخرى تطال حقول السياسة والاقتصاد مثلما تشمل مجالات الصناعة والادارة المدنية والتثقيف الايديولوجي الصهيوني . والموضوع الذي تستهدفه هذه المحاولة يكاد لا يخرج عن نطاق السؤال المتعلق بطبيعة الدور الذي يمارسه الجنرالات المتقاعدون من الخدمة النظامية في الجيش الاسرائيلي عقب تسريحهم وعودتهم الى ميدان الحياة المدنية . على ان انتهاج سبيل الحصر في التركيز على الدور « الاكسترا ـ عسكري »(١) لكبار الضباط المسرحين من الخدمة العسكرية في جيش اسرائيل ليس معناه تجاهل الدور المحوري الذي تمارسه المؤسسة العسكرية الاسرائيلية في كافة الميادين والقطاعات العائدة للنظام السياسي والحياة الاقتصادية والاجتماعية . فالجنرالات الذين يتناولهم البحث في اطار التسريح المبكر من الخدمة يصح اعتبارهم بمثابة « المتخرجين » من صفوف المؤسسة العسكرية في اسرائيل . اما الوظائف التي يقوم على تأديتها المتقاعدون والمسرحون فهي بمثابة مؤشرات تكشف عن جوانب بالغة الاهمية من اتساع رقعة النفوذ العائد للمؤسسة العسكرية . مثلما انها تبين لنا مدى التغلغل الذي وصل اليه الجيش الاسرائيلي داخل المؤسسات المدنية ومقدار السيطرة التي أخذ يبسطها ويمارسها على شتى مرافق الحياة العامة وفي مجالات السياسة والادارة وقطاعات الاقتصاد .

ثم نضيف الى ذلك كله : ظاهرة أخذت تتبدى بصورة جلية منذ حرب حزيران ، وكانت خلال الاشهر الستة الفائتة مثارا للجدل والتساؤلات . ونعني بها تلك الظاهرة من ازدياد اقبال العسكريين على العمل السياسي والدخول في معترك الحياة الحزبية . فهناك من جهة ، بادرة تطعيم الحكومة الحالية بمزيد من الرجالات العسكريين . ومن جهة ثانية ، تلك الانباء المتعلقة بالترشيحات المتوقعة للانتخابات العامة القادمة (١٩٧٣) بين عدد لا بأس به من الجنرالات « المتقاعدين » .

وبكلام آخر ، ان طرح الموضوع من الزاوية التي يتضمنها عنوان هذه المحاولة يرمي الى تحديد العلاقة الوثيقة بين القطاعين المدني والعسكري ـ هذا ان جاز الفصل بين الاثنين ـ من خلال التعرف الى طبيعة الادوار التي يمارسها كبار العسكريين في أعقاب تسريحهم من الخدمة .

اما طريقة المعالجة والتحليل الوصفي فانها تستمد نقطة انطلاقها من المفهوم الاسرائيلي عن « اتساع الدور »(٢) المنوط بالقوات العسكرية . ثم تعمد الى الربط بين هذه الواقعة ، من جهة ، وبين « النظام الدوراني » rotation of age-groups القائم على

تسريح الضباط من الخدمة في سن مبكرة ، من جهة اخرى . فالحديث عن الدور « الاكسترا — عسكري » لكبار الضباط المسرحين من الجيش الاسرائيلي يتحرك ضمن اطاره الملائم بالنظر الى الامر من زاوية المفاهيم السائدة والمتعارف عليها في الكتابات والابحاث الاسرائيلية التي تشير الى الموضوع بصورة عابرة او تعكف على تناوله بشيء من التفصيل ومع كثير من التحفظ احيانا . وهناك دلائل متوافرة على الاتجاه الاسرائيلي السائد في تفسير الظواهر المعاكسة للموقف الرسمي تفسيرا يتعمد ارجاعها الى حظيرة العلاقة العاملة بنجاح بين القطاعين المدني والعسكري . كما ازدادت في الآونة الاخيرة تلك التساؤلات التي تنطوي على شتى المخاوف والمحاذير ، لئلا يؤدي اتساع الدور الاكسترا — عسكري الى اضفاء المزيد من الصفات العسكرية على النظام السياسي والحياة المجتمعية في اسرائيل . وسوف نتناول هذه الامور في حينها من سياق البحث . على ان نعود الان للبدء من مفهوم « اتساع الدور » . محاولين تحديد انعكاساته ودلالاته بالنسبة للنظام الدوراني في التسريح المبكر من الخدمة العسكرية النظامية .

اتساع الدور

جاء في المجلة الاسبوعية « بامحانيه » التي يصدرها الجيش الاسرائيلي ، وفي معرض الاشارة الى الباعث الكامن وراء « اتساع الدور » المنوط بقوات ذلك الجيش وتعدد الوظائف الملقاة على عاتقه ، ما يلي نصه : « ان انهماك الجيش الاسرائيلي («تساهل») في ممارسة انشطة ليست عسكرية في طابعها المحض ، لا يؤدي وظيفة تابعة لايديولوجية معينة . ولا هو انهماك تحدوه الرغبة الصادرة عن « تساهل » في القيام بدور المبتكر . بل انه حالة من حالات الواقع الاسرائيلي . فالظروف المحيطة باسرائيل تتطلب وجود الجيش الرائد — وليس جيشا موقوفا على تأدية الوظائف العسكرية الروتينية ، بل في القيام على وظائف منوطة ببناء الامة . انه الجيش في امة الزمت نفسها بتجميع المهاجرين ، ومن واجبه المشاركة في مثل هذا المجهود »(٢).

ومما يتبادر الى الذهن فور قراءة هذا النص بتمعن — من جملة امور اخرى — هو المحاولة المتعمدة في تبرئة الانهماك المقصود من كل الدوافع الايديولوجية وربطه بعجلة الواقع الاسرائيلي . فالالتزام بمسألة تجميع اليهود في اسرائيل يؤلف دون ريب احدى الركائز الاساسية لكل من العقيدة الصهيونية والمبادىء العليا لدولة اسرائيل . والجيش الاسرائيلي لا يعدو كونه اداة تنفيذية بيد القائمين على شؤون الحركة الصهيونية ومن خلال القابضين على مقدرات الدولة اليهودية .

لكن المسألة التي تعنينا قبل سواها في هذا الاطار تكاد تنحصر بحالة بارزة من التواقف بين اتساع الدور والواقع الاسرائيلي . فاتساع الدور المنسوب الى الجيش الاسرائيلي ينيط بالجيش المذكور تأدية وظائف ومهام اكسترا — عسكرية . ومن الملاحظ ان الاصرار على استخدام لفظة « اكسترا — عسكري » يتيح المجال امام التهرب من الاقرار بوجود وظيفة سياسية للجيش في دوره المتسع . هناك استعداد لدى نفر من الباحثين لتكريس الوظائف الاقتصادية والمجتمعية التي يمارسها الجيش في اسرائيل . اما الدور السياسي المباشر فلا يؤلف وظيفة اكسترا — عسكرية من وظائف الجيش — على حد قولهم . ولنأخذ بعض الامثلة على سبيل الايضاح .

ثمة مجموعة متزايدة من الابحاث والدراسات التي اخذت على عاتقها طيلة السنوات العشر الاخيرة مهمة ابراز الدور « الفذ » الذي تضطلع بممارسته المؤسسة العسكرية الاسرائيلية في شتى القطاعات والمجالات . فهي تضع تركيزها على النواحي الملائمة ، ولا سيما تلك التي منها تتجاوز بطبيعتها حدود النطاق الروتيني والتقليدي لدور الجيوش في انحاء العالم قاطبة — او ما يتمايز منها عن الادوار المرصودة والمنسوبة للفئات

والطغمات العسكرية في بلدان العالم الثالث وداخل أنظمة الدول النامية . ومن الملاحظ ان معظم الدراسات المتوافرة تنهج سبيل التبرير والمقارنة على نحو غير متكافىء ، لكي تنتهي الى تبرئة ساحة الوضع الاسرائيلي من طغيان الصفة العسكرية على القطاع المدني ، وتجعل الضباط العسكريين في اسرائيل بمنأى عن السياسة منزهة اياهم عن كل نزعة ترمي الى الاستيلاء على السلطة او تحويل الدولة الى ثكنة عسكرية .]

١ — فالمساهمة التي قدمها الباحث الصهيوني بن هالبرن — على سبيل المثال — تحت عنوان « العسكريون في اسرائيل » ، ونشرها جون ج. جونسون في كتابه عن « دور العسكريين في البلدان النامية » تعتبر الوضع الاسرائيلي بمثابة الشاذ عن القاعدة ، اذ يأبى الاندراج تحت مقولات الفرضية القائمة على الربط بين الازمات — الخارجية منها والداخلية او البنيوية — وبين التحول نحو الانظمة العسكرية . واسرائيل لا تمثل في نظر هالبرن « أمة تحت السلاح فحسب ، بل ان الجيش الاسرائيلي هو بكل معنى الكلمة جيش من المدنيين . فالشق الثاني من العبارة يؤلف دون ريب لازمة ضرورية عن الشق الاول ، ومما يجب قوله ان اسرائيل ترحب بهذه اللازمة وتفعل الكثير لتوسيع مدى تطبيقها »(٤).

ثم يتابع هالبرن محاولته الرامية الى ابعاد الوضع الاسرائيلي « الفذ » عن مفعول نظرية العلاقة المرصودة بين الازمات وظهور الانظمة العسكرية حتى يصل به المطاف الى اطلاق التعميم التالي : « ان المواقف المدنية والمساواتية لا تعم حياة الجيش وتتخللها فحسب — الى ذلك الحد الذي يسمح به الانضباط — بل تؤلف المواقف العسكرية جزءا من حياة كل فرد اسرائيلي ، ومن جملتها انشطته المدنية . والجندية الفعلية لا تنطوي على الالتزام بمجموعة جديدة وكاملة من القيم ، بل تنحصر فقط بالتدريب الخاص على تلك القيم والمهارات التي تؤثر في الحياة الاسرائيلية عبر المدى الشامل لكافة مؤسساتها »(٥).

٢ — اما يهوشافاط هركابي فانه يطرح المشكلة من زاوية الاحتمالات المتعلقة بتحول اسرائيل الى دولة منظمة على أساس عسكري فيما لو طال أمد حالة الحصار المفروضة على الدولة اليهودية . وبعد تأكيده على حقيقة أهمية الجيش في اسرائيل ، يعلن هاركابي انه « قلما توجد دلائل تشير الى طغيانه على الحياة العامة والعادات والثقافة او السياسة » . ثم يلجأ الى تقديم بعض العوامل التي يعتبرها اسهامية في الحفاظ على الوضع الموصوف بسيادة القطاع المدني — السياسي على مقدرات المؤسسة العسكرية الاسرائيلية . فيأتي على ذكر العوامل التالية :

أولا — ما يسميه هركابي بـ « الروح المدنية البارزة للصهيونية » .

ثانيا — هناك تضافر بين القطاعين المدني والعسكري . فالتمييز العسكري لا وجود له. والضباط لا يؤلفون طبقة خاصة . كما أن القوات العسكرية تنتمي في معظمها الى فئة الاحتياط ، مما يجعلها قوات « مدنية » في طبيعتها .

ثالثا — انتماء العسكريين الى مختلف الاحزاب السياسية بحيث لا يشكل هؤلاء حزبا سياسيا منفصلا . فالضباط يتواجدون « في جميع الاحزاب ، على اساس قوتها النسبية في البلد » . ولا تقوم هناك محاولات « لاجتذاب الضباط الى أي من الاحزاب السياسية » . كما ان جنرالين متقاعدين ، مثلا ، « يستطيعان ان يجدا نفسيهما في حزبين متعارضين » .

رابعا — يتقاعد الضباط العسكريون في وقت مبكر نسبيا ، مثلما يتحقق اندماج المتقاعدين في القطاع المدني بسهولة .

خامسا ــ عامل القبول العام بالمؤسسات الديمقراطية في اسرائيل .

سادسا ــ الخضوع التام من جانب العسكريين للسلطات المدنية في اسرائيل(٦) (وهذه مسألة تحتاج الى اعادة نظر مع ابداء الكثير من التحفظات بشأنها . لكنها في صيغتها المطروحة أعلاه تقع خارج نطاق هذا البحث)(٧) .

فالملاحظ ان هركابي في حديثه أمام جمهور غير اسرائيلي يتحاشى الدخول في المضاعفات السياسية او الانعكاسات الاقتصادية التي ينطوي عليها مفهوم اتساع الدور بالنسبة للمؤسسة العسكرية الاسرائيلية ، ولا سيما الوظائف الاكسترا ــ عسكرية التي يمارسها الضباط المتقاعدون . وهو ينسب الى الصهيونية ، مثلا ، ما يطيب له ان يسميه بـ « الروح المدنية البارزة » ، علما بأن جذور الدور الاكسترا ــ عسكري تمتد الى مجموعة رئيسية من الافكار والممارسات الصهيونية التي سبقت قيام الدولة . كما نجده يعترف ضمنيا باتجاه الجنرالات المتقاعدين صوب الاحزاب السياسية ، لكي يكتفي بالقول ان عملية اندماج الضباط المسرحين من الخدمة في وقت مبكر نسبيا تتم بسهولة داخل القطاع المدني ــ دون الاشارة الى مضاعفاتها السياسية والاقتصادية والادارية .

٣ ــ ربما كان عاموس برلموتر هو الباحث الاسرائيلي ــ حسب معرفتنا ــ الذي تناول في دراساته موضوع الوظائف الاكسترا ــ عسكرية التي يمارسها الجيش داخل اسرائيل . ففي دراسة له منشورة عام ١٩٦٨ يطالعنا برلموتر بالمحاولة الرامية الى (أ) تعريف المجالات التي يمارس فيها الجيش وظائفه الاكسترا ــ عسكرية، و(ب) تحليل النتائج السياسية التي تترتب عن ذلك(٨) . ويميز صاحب الدراسة بين نوعين من اتساع الدور : فالنوع الاول ، كما جاء في تحليله ، هو ذلك التوسيع الذي لا تؤثر نتائجه السياسية بشكل ملحوظ على العلاقة بين المدنيين والعسكريين . أي أن الوظائف التي يمارسها الجيش الاسرائيلي في حقول التثقيف والتعليم ومجالات التوجه المهني لا تنطوي على نتائج سياسية مؤثرة في علاقة المدنيين والعسكريين .

اما النوع الثاني من اتساع الدور ــ وهو الذي تشكل نتائجه السياسية مصدرا ممكنا للتقييدات على العلاقات المدنية ــ العسكرية ــ فيرتاي برلموتر نسبته الى تأثير القيادة العليا للجيش في مجال الشؤون الخارجية وميدان سياسة الامن . والنفوذ النابع من هذا الدور يتأثر بايديولوجية الجيش ، مثلما يتأثر بالعلاقة القائمة بين الجيش ووزارة الدفاع . (هذه العلاقة كانت بمثابة الخلفية لقضية لافون الشهيرة)(٩) .

ان برلموتر ينتهي من تحليلاته الى استبعاد قيام التدخل الفعلي من جانب الجيش والمؤسسة العسكرية في السياسة الاسرائيلية . فهو يعتبر العوامل والظروف السياسية التي تسهم في نشوء الدولة البريتورية (Praetorian State) ــ حيث يقوم النظام السياسي على تحبيذ تطوير الجيش وتنميته لكي يتبوأ مركز الفئة الحاكمة ــ بمثابة الشروط غير المتوفرة داخل اسرائيل . ويعدد من بين هذه الشروط السياسية ما يلي : أ ــ ثقافة مدنية غير فعالة ، قوامها الجيش . ب ــ انخفاض في مستوى المؤسسات السياسية الراسخة ، ونقص في الدعم المستمر للبنيات السياسية. ج ــ ضعف الاحزاب السياسية وانعدام فعاليتها . د ــ عدم توافر الهدف المشترك والتوطيد الايديولوجي المتين . (وهنا يقول برلموتر : « في اسرائيل لا توجد عمليا اية هوة فاصلة بين ايديولوجية الجيش وايديولوجية الدولة او قواها السياسية الرئيسية ») . هـ ــ انعدام الاحترافية (Professionalism) او انهيارها ، لان الاعتبارات السياسية تنتصر على اعتبارات التنظيم الداخلي والاهتمامات العائدة للمهنة(١٠) .

اما العوامل التي تحول دون تدخل الجيش الاسرائيلي بصورة فعلية في السياسة، وتؤمن بالتالي استمرار السيطرة المدنية الفعالة على قطاعات المؤسسة العسكرية وتطلعات

عناصرها القيادية ، فان برلموتر يرصدها في خاتمة الفصل الذي يحمل عنوان « دولة منظمة على أساس عسكري : الحل الاسرائيلي » (A Garrisoned State) ، لكي يقوم بتعدادها على النحو الآتي : ١ ــ الدورة السريعة للضباط . ٢ ــ القدرة الاستيعابية في الاقتصاد . ٣ ــ الاندماج المتكامل على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي لقدمــاء الجيش الاسرائيلي . ٤ ــ اعتماد اسرائيل على نظام الاحتياط . ٥ ــ التطابق في الاهداف السياسية . ٦ ــ الاحترافية في الجيش . ٧ ــ المشروعية المؤسساتية للبنيات السياسية ــ المدنية المستقلة تقدم ضمانة فعالة من السيطرة المدنية(١١).

وخلاصة القول ، من زاوية التحليل الذي يقوم به عاموس برلموتر ، هو ان اتساع دور الجيش ليس بذلك الخطر الذي يتهدد السيادة المدنية على السياسة اكثر مما يتهددها دور الهستدروت او حركات الاستيطان ومنظمات الكيبوتــز والموشاف . قــد ينطوي توسيع الدور ــ باعتباره عملية تجري على قدم وساق منذ تأسيس اليشوف ، وتستند الى تراكم الوظائف المتعددة في سبيل انشاء الدولة اليهودية المستقلة ــ على بعض القيود والعوائق . لكن هذا التوسيع يعني بالطبع ايضا ــ كما يؤكد برلموتر ــ « ان كل جماعة سوف تعمد بطبيعة الحال الى الاستغلال السياسي لسلطتها ومركزها ونفوذها » . فالجيش الاسرائيلي يشهد ارتفاعا ملحوظا في نسبة الاحترافية وازالة التسييس من صفوفه (depolitization) . وهذه الظاهرة الاخيرة لا تعني بالطبع ، في نظر برلموتر ، ان النخبة العسكرية في الجيش لا تتمتع بنفوذ سياسي ، او ان الجيش لا يمكنه ان يستخدم كجادة للوصول الى سدة القيادة السياسية . بل هي تعني فقط ان وظائف الجيش لا تقررها اعتبارات السياسة الداخلية او الضيقة لدى حزب العمل او غيره من التنظيمات السياسية الاخرى في اسرائيل(١٢).

نعود هنا من جديد الى اطار موضوعنا الاصلي ، بعد التعرف الى النتائج التي يسفر عنها تحليل برلموتر لطبيعة اتساع الدور وتراكم الوظائف لدى المؤسســة العسكرية الاسرائيلية ولا سيما بالنسبة لكبار ضباطها . ولنتذكر ان تحليلات عاموس برلموتر عمدت الى تفسير التسريح المبكر من سلك الخدمة بصورة ايجابية وأناطت بــه الاسهام في الحيلولة دون اقبال العسكريين على التدخل الفعلي في السياسة . كما افسحت هــذه التحليلات امام المؤسسة العسكرية مجال الاستمرار في تشكيل قوة ضاغطة تتحدى القطاع المدني في حقلين بارزين : حقل الدفاع والامن ، وحقل الشؤون الخارجية .

وسوف ينصرف بحثنا الان الى متابعة ظاهرة « اتساع الدور » من زاوية نظام التسريح الساري على ضباط الجيش الكبار في اسرائيل .

التسريح المبكر من الخدمة

هناك تشريع قانوني في النظام العسكري الاسرائيلي يوجب على كبار الضباط في الجيش ان يتسرحوا من الخدمة بين سن الاربعين والخامسة والاربعين . ويقول هورفيتز عام ١٩٦٣ ان الضباط الستة الذين تولوا منصب رئاسة الاركان حتى ذلك التاريخ كانوا جميعهم ــ باستثناء الرئيس الاول لاركان الجيش ــ يصغرون سن الاربعين من عمرهم لدى التعيين . وفيما عدا رئيس الاركان حينذاك (تسفي تزور) جرت احالة هؤلاء على التقاعد ، فانتقلوا الى حقل الخدمة المدنية ، قبل بلوغهم سن الثانية والاربعين . كمــا يعرف هورفيتز ان الانتماء الحزبي للضباط الذين شغلوا منصب رئاسة الاركان حتى ١٩٦٣ يتوزع كالآتي : ٣ من اعضاء المباي ، ٢ من المستقلين ، ١ من الصهيونيين العموميين . ويؤكد على سبيل التطمين ان الجنرالات المسرحين في هذه السن المبكرة من العمر يجري توزيعهم في الوظائف المدنية على مناطق القيادة الثلاث في البلاد « بحيث

يتسنى لهم في أوقات الطوارىء ان يضعوا تجاربهم القيادية في الموضع الافضل من الاستفادة الفعالة »(١٣).

ومن الملاحظ ان ظاهرة الاحالة على التقاعد في سن مبكرة ، ثم اندماج الضباط المسرحين من الخدمة في قطاعات مدنية واكسترا ــ عسكرية متنوعة لم تتناولها الابحاث الاجنبية عن دور الجيش الا في السنوات الاخيرة الماضية ، ولا سيما خلال الفترة التي أعقبت حرب حزيران ١٩٦٧ . هناك دراسة تحمل الحروف الاولى من اسم صاحبها (M.G.) يضمها الكتاب الصادر بالفرنسية عام ١٩٦٦ تحت عنوان « الدور الأكسترا ــ عسكري للجيش في العالم الثالث » . لكنها تقتصر في المعالجة على التدخلات العسكرية المنوطة بحقل الاستيطان واستيعاب المهاجرين وادماجهم ، بالاضافة الى مجالات التثقيف الايديولوجي الصهيوني داخل القوات المسلحة ، وتدريب التقنيين والعمال المهرة قبل احالتهم الى القطاع المدني . كما يتحدث صاحب الدراسة عن قيام المؤسسة العسكرية منذ اعلان الدولة « بتدخلات غير مباشرة » في المجال الاقتصادي ، حيث ادت تلك التدخلات الى القاء اعباء مالية ثقيلة على كاهل الدولة . ويؤكد الكاتب ان انجازات الجيش في حقول الصناعة والزراعة والمواصلات تمت لاغراض استراتيجية اكثر منها اقتصادية ، حتى انه لم تجر مراعاة اعتبارات الاقتصاد بصورة كافية على الدوام . فالجيش الاسرائيلي متورط في الحياة المدنية ، ونجاحه في الابتعاد عن الدور السياسي هو رهن بمقدار اقباله الشديد على ممارسة الوظائف الاجتماعية . اما تدخل العسكريين في الحياة السياسية فيصدق عليه المبدأ القائل بأن الجيوش تتجه صوب الانقلابات عندما تضيع الحروب(١٤).

ان برلموتر يشير في حاشية مقاله المنشور عام ١٩٦٨ الى دراسة أعدها بالاشتراك مع موشيه ليساك حول ظاهرة الدورة السريعة للضباط في الجيش الاسرائيلي . ثم يعود الى تناول الموضوع في كتابه الصادر عام ١٩٦٩ عن « العسكريين والسياسة في اسرائيل : بناء الامة واتساع الدور » . ويخبرنا صموئيل رولبانت في الفصل الذي عنوانه « سوسيولوجية الجيش » من كتابه عن « الجندي الاسرائيلي : صورة جانبية لجيش » (١٩٧٠) ان مشكلة استخدام الضباط في أعقاب تسريحهم « ازدادت بروزا في العقد الاخير ، ومع تسريح عشرات الضباط من الذين تتراوح مناصبهم ورتبهم بين رئيس هيئة الاركان ورتبة الميجور »(١٥). على ان المعلومات التي يوردها رولبانت في كتابه ملأى بالتناقضات والاستدراكات ــ وهو الذي شغل منصب ضابط في الاحتياط لشؤون التثقيف والتوجيه مدة ١٥ عاما في هيئة الاركان العامة لقوات الجيش الاسرائيلي . فلو صحت التقديرات الصادرة عام ١٩٧٠ لعدد الجنرالات المسرحين من الجيش ــ وقد بلغ العدد حسب معلومات مجلة « ديرشبيغل » الالمانية حوالي ١٤٠٠ مسرّح من اصحاب الرتب العالية الذين « استبدلوا بذلاتهم العسكرية خلال السنوات الماضية بالزي المدني. وهم يحتلون الان مقاعد المدراء في الشركات والمؤسسات الاقتصادية أو يشغلون المناصب العليا في الادارة »(١٦) ــ لجاز للباحثين ان يركزوا جهودهم على دراسة هذه الظاهرة وتتبع نتائجها والوقوف على مغزاها .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن : ماذا يعمل هؤلاء الجنرالات والضباط المتقاعدون بعد تسريحهم من الخدمة في تلك السن المبكرة ؟ ما هي المهن التي يمارسونها والادوار التي يقومون على تأديتها عقب خروجهم من سلك الخدمة العسكرية النظامية الى ميدان الحياة العامة في اسرائيل ؟ وقبل الدخول في ذلك يجدر بنا التساؤل عن الغاية الاسرائيلية من تحديد سن التقاعد للضباط في هذه المرحلة الباكرة من العمر . فما هي الاعتبارات ، الظاهرة والمستترة منها ، وراء الاقدام على خطوة من هذا النوع ؟

١ ـــ النظام الدوراني يضمن التغيير المتواصل في الاشخاص المنتمين الى سلك الضباط ، ويؤمن حقن المؤسسة العسكرية بدماء جديدة تستطيع اظهار البطولات .

٢ ـــ الحيلولة دون انتشار الروتين واستتباب الجمود في هيئة الاركان العامة للجيش .

٣ ـــ الخوف لئلا تؤدي الحياة الطويلة في الثكنات الى تكوين طبقة محترفة من الضباط العسكريين الذين تجمع بينهم اعتبارات ايديولوجية او مصلحية قائمة بذاتها .

٤ ـــ التقليل من عزلة العسكريين عن الجسم السياسي والنظام الاجتماعي ، وادماجهم المتواصل في جسد المجتمع .

وفي ذلك يقول برلموتر : « ان سلك الضباط كجماعة محترفة هو مبتعد عن السياسة ، لكنه غير منعزل عنها . فالمشاركة الفعلية في النشاط السياسي محظورة على الضباط ، ولم يصدر عن هؤلاء حتى الان اهتمام يستحق الذكر بالسياسة عقب تسريحهم . بيد ان هذا الامر لا يمنع النخبة العسكرية من المطالبة الملحة والسعي للحصول على مناصب في ادارة الاعمال والاقتصاد والادارة العامة »(١٧).

اي ان الطبقة الحاكمة تخشى نمو طبقة سياسية من الضباط العسكريين ، بحيث يستقل هؤلاء عنها ويقيمون لانفسهم كيانا ذاتيا . فهي تريد الجيش اداة في خدمة الدولة ، ولا ترى في اتساع دور القوات العسكرية خطرا يتهدد الحكم المدني . او كما يقول برلموتر على سبيل التعميم النظري : « ان العزلة المجتمعية لطبقة مـن الضباط تتهدد سير العلاقات الناجحة بين النخبتين ، المدنية والعسكرية . وللحيلولة دون ذلك قام الجيش الاسرائيلي بتطوير نظام يسهل عملية الانتقال من دور الجندي الى المدني ، ويجعل من السهل نسبيا امام الشخص المتعامل مع الجيش بالامس ان يصبح اليوم عميلا للحزب او البيروقراطية او الصناعة التي يقع اختياره عليها »(١٨).

فهل يؤلف هذا النظام او « الحل الاسرائيلي » مخرجا من مأزق العلاقة بين القطاعين ، المدني والعسكري ، في الدولة ؟ والى اي حد يمكننا الفصل بين هذين القطاعين في اسرائيل ؟ ان النخبة العسكرية ، سواء كانت نخبة تقليدية ام على النمط الاسرائيلي في المداورة ، تعتمد في معظم الاحيان على النخبة الاجتماعية السائدة (الفئات اليهودية الاشكنازية والمتحدرة من بلدان اوروبا الشرقية)(١٩). وهي نخبة تعتنق ايديلوجية الدولة وتقوم على تنفيذ سياستها ، من خلال الانحياز الى جانب الوضع الراهن ـــ هذا الوضع الذي ترغب الطبقات الحاكمة في الحفاظ عليه . وهناك اعتبارات مصلحية وتطورات على صعيد « المجتمع العسكري ـــ الصناعي » تؤمن اللقاء والتضافر بين الطرفين .

وتقول مجلة « ديرشبيغل » في تقصيها للاسباب الكامنة وراء تحديد سن التقاعد لكبار الضباط والجنرالات العاملين في الجيش الإسرائيلي ان هناك اعتبارات اخرى تكمن خلف نظام التسريح المبكر من الخدمة : فالحسابات التي يجريها المسؤولون داخل اسرائيل تعتبر ان هؤلاء الجنرالات الذين بلغوا سن الخامسة والاربعين من العمر ، اذ يتم تسريحهم من الخدمة بكل مظاهر الجلال والاحترام والتكريم ، ما زالوا على قدر كاف من عنفوان العمر لكي يبحثوا لانفسهم عن وظيفة مدنية او مهنة يتعاطونها خارج الجيش . ثم تضيف المجلة اياها قائلة : ان معاش التقاعد الضئيل ، والذي يكاد لا يكفـي لسد الحاجات ، يجبر الذين منهم لا يشعرون برغبة تدفعهم الى العمل على التفتيش عـن وظيفة عمل جديدة . وتبعا للرتب والمناصب العسكرية التي وصلوا اليها ، يبلغ المعاش التقاعدي الذي يناله الجنرال السابق في الشهر الواحد ما قيمته ١١٠٠ مارك (حوالي ١٤٠٥٠ ل.ل. اليوم) الى اقصى حد . وحتى العام ١٩٥٨ لم يتلق هؤلاء المسرحون اي معاش تقاعدي من الدولة(٢٠).

بعد الوقوف على تعدد الدوافع والاسباب في شتى مظاهرها ومدلولاتها . القريبة منها والبعيدة ، ينبغي الانتقال الى ناحية اخرى في عملية اتساع الدور وتراكم الوظائف — بحيث يتسنى لنا التعرف الى آليات النظام الانتقالي من الثكنة الى مجلس الادارة في الشركات والمؤسسات والصناعات وغيرها من مراكز السياسة ومناصب الادارة والنفوذ . هناك ما لا يقل عن ١٤٠٠ ضابط تركوا الخدمة العسكرية وانتقلوا الى ميدان الحياة العامة في القطاع المدني . كيف يتم استيعاب هؤلاء « الخريجين » وتأمين الوظائف لهم ؟ وما هي المجالات الرئيسية لاستخدامهم والاستفادة من خبراتهم وطاقاتهم التنفيذية ؟ هل تكفي السمعة التي يتمتع بها الجيش في اسرائيل — كما تحسب مجلة « ديرشبيغل » — لكي تضمن لهم « قيمة تسويقية مرتفعة وجيدة » وتكفل لهم مكانة اجتماعية مرموقة ، بحيث لا يجد معظمهم أية صعوبة في العثور على وظيفة ملائمة ؟

« مدرسة رجال الاعمال »

ان النخبة العسكرية التي أنهت خدمتها في الجيش الاسرائيلي تلعب — كما يؤكد برلموتر — دورا رئيسيا في مؤسسات اسرائيل الصناعية وجهازها البيروقراطي . فقد برز الكثيرون من الضباط المتقاعدين في سلك الخدمة المدنية،ولا سيما السلك الخارجي. مثلما انهم يلعبون دورا رئيسيا في برامج المساعدات الاسرائيلية في كل من افريقيا واميركا اللاتينية(٢١). ويقدم لنا برلموتر في دراسته الصادرة عام ١٩٦٩ جدولا يبين فيه التوزيع المهني والوظيفي للمسرحين من كبار الضباط برتبة كولونيل فما فوق . لكن النسب المئوية في هذا الجدول موقوفة عند العام ١٩٦٦ . فالملاحظ من توزيع النسب ان حصة الاسد تستأثر بها الدوائر والشركات والوزارات الحكومية ، تليها نسبة العاملين منهم في قطاع الشركات الخاصة . هناك أكثر من خمسين في المائة من كبار الجنرالات يعملون في قطاعات حكومية ، مثل المؤسسة العسكرية وصناعاتها المتعددة والسلك الخارجي وبرنامج المساعدات الخارجية في بلدان افريقيا واميركا اللاتينية .

مجال العمل	النسبة المئوية من الجنرالات المتقاعدين
السياسة	٤،٤
وزارة الدفاع	٥،٢
وزارة الخارجية	٦،٩
وزارات حكومية أخرى	٢١،٧
شركات حكومية	١٢،٢
البلديات ودوائر الحكم المحلي	٢،٦
مؤسسات التعليم العالي (في حقلي الادارة والتدريس)	٥،٢
الشركات الخاصة	٢٢،٤
أعمال مستقلة	١٢،٢
العودة الى الكيبوتز	٥،٢
مجالات أخرى	٢،٠
المجموع	١٠٠،٠

ومن المؤكد ان هذا التوزيع الموقوف عند عام ١٩٦٦ قد طرأت عليه تغييرات جذرية(٢٢). فالصناعات التابعة للمؤسسة العسكرية شهدت في أعقاب حرب حزيران ١٩٦٧ توسعا لا مثيل له . وليس من قبيل التكهن ان المناصب الادارية العليا على اقل حد هي من حظ الجنرالات المتقاعدين . اذ يجري اعداد المرشحين للتسريح في اثناء الخدمة على اتقان مهارات معينة والتخصص في حقول مختارة . ونعرف من دراسة برلموتر ، مثلا ، ان

كبار الضباط يستطيعون الحصول على اجازة غياب بموافقة الجيش وتشجيعه لكي يدرسوا المهارات الاقتصادية ـ الادارية . فالاكثرية بين المجازين تركز جهودها على دراسة الاقتصاد أو ادارة الاعمال او « بحوث الفعاليات » بمعنى «Operations research» (حقل البحث التفاضلي) . ويجري اتمام هذه الدراسات التخصصية في اسرائيل او الخارج (بريطانيا ، فرنسا ، والولايات المتحدة الاميركية) . كما ينصرف قسم من الضباط الى اعداد انفسهم للحصول على شهادة في الحقوق تؤهلهم ممارسة المحاماة ، او يختار نفر منهم مجالات العمل الاكاديمي في الجامعات(٢٣).

ويخبرنا رولبانت ان الجيش الاسرائيلي ينظم برنامجا خاصا حيث يصار بموجبه الى ايفاد الضباط الذين يبشرون بمستقبل مرموق للخارج ، لكي يدرسوا علم الادارة كما الموضوعات العسكرية المتخصصة . والضباط الذين وصلوا الى رتبة البريغادير ينالون المساعدة لاكتساب المعارف العامة او لاجراء البحوث في مواضيع تتصل مباشرة بالوظيفة التي سوف يشغلونها في المستقبل . فالضابط في سلاح الطيران يمكن ايفاده لدراسة هندسة الطيران ، بينما ضابط المخابرات يعمل للحصول على شهادة في الدراسات الشرقية والعربية(٢٤).

ان هذا الاقبال على التخصص في حقل الاداره العامة والاقتصاد وادارة الاعمال يوحي بوجود مجالات واسعة للعمل أمام الجنرالات المتقاعدين . ويقول برلموتر عن الضباط الكبار في الجيش الاسرائيلي ان الواحد منهم يقوم على تنمية مهنة بديلة وهو لما يزل في سلك الخدمة العسكرية . حتى ان مجلة « ديرشبيغل » أطلقت على الجيش الاسرائيلي تسمية « مدرسة تخريج مدراء الاعمال » Manager - Schuie der Nation (٢٥). فالقطاع المدني الاسرائيلي ، كما الشركات والمؤسسات الاجنبية التي لها فروع في اسرائيل ، تعتبر قدماء العسكريين عنصرا مرغوبا فيه الى اقصى حد . وبرلموتر يجد في ارتفاع الطلب على « المتخرجين من مدرسة تساهل » ـ حيث تسود متطلبات الفعالية والاستحقاق الى درجة عالية ـ نتيجة طبيعية للصفات التي يتحلى بها الجنرالات المتقاعدون : انهم يمثلون ذلك الطراز من مدراء الاعمال الذين يتجهون صوب الانجازات، ويتمتعون بالروح العملية الناجحة («برغماتيون»)، كما يمتلكون الخبرات والتجارب في الحقل المعني. فالقدرة على التنظيم والطاقة الكفيلة بالتنفيذ والطموح لدى المدراء الجدد ـ هذه كلها من الصفات التي تجعل أرباب العمل يتسابقون على الاستئثار بهم والاستفادة من خدماتهم. حتى ان أحد الجنرالات، وهو الذي ترك الخدمة لكي يصبح مديرا في مصنع للاواني المعدنية ، أوضح ما يلي : « ان الاتصال الوثيق والثقة المتبادلة بين الضابط والجندي هما السر الذي يفسر نجاح الجيش الاسرائيلي . وبهذه الوصفة اياها يمكن احراز التقدم والصعود في ميدان الحياة المدنية »(٢٦).

ان التنافس على الاستفادة من خدمات الضباط الذين يصفهم برلموتر بـ « المحايدين » سياسيا والموجهين نشاطهم صوب الادارة وأعمالها ، هو تنافس تشارك فيه جهات متعددة بغية الاستئثار بأوفر عدد ممكن من الجنرالات وكبار الضباط المتقاعدين . ويعدد عاموس برلموتر الجهات المتنافسة على استقطاب « الخريجين » الجدد كالآتي : ـ الشركات والمؤسسات والمشاريع التابعة للهستدروت ، وهي على درجة عالية من المحسوبية والمحاباة في التوظيف . ـ المناصب العليا في سلك الخدمة المدنية ، حيث يتم التعيين وفقا لاعتبارات سياسية . ـ التعاونيات « الخاصة » التي تخضع لسيطرة الحكومة . ـ الكيبوتزات صاحبة التوجه السياسي(٢٧).

ومما تجدر ملاحظته في هذا الصدد ان المناصب الاقتصادية تحتل مرتبة رئيسية بين الوظائف التي يشغلها كبار الضباط والمسرحين من الخدمة في الجيش الاسرائيلي . فقد

تزايد عدد المتقاعدين على مر السنين ، ولا سيما في السنوات الماضية . كما ان الاقتصاد الاسرائيلي في أعقاب حزيران ١٩٦٧ شهد تطويراً واسعاً في حقل الصناعات العسكرية التي سارعت بدورها الى استيعاب قطاع بارز من ذلك الاقتصاد . وازاء الاتساع في مجالات الصناعة العسكرية وحقل ادارة الاعمـال ، ازداد الطلب على الضباط المتقاعدين وانفتحت أمامهم مجالات العمل والوظيفة حتى باتوا يشكلون في مجموعهم ما يشبه الطبقة المؤلفة من المدراء التنفيذيين . وهي طبقة لها مصالحها وتطلعاتها . فالخوف من تكتل الضباط العسكريين في زمر او عصبات داخل الجيش ، حيث تمتلك هذه الزمر تطلعات سياسية ، افسح الطريق أمام ظاهرة جديدة . ولقد صاغ نفر من الباحثين هذه الظاهرة على النحو الآتي : حدث التقاء بين « نادي » المدراء التنفيذيين من قدماء الجيش وبين المجتمعات الاقتصادية ــ العسكرية ، فأوجد هذا اللقاء « نواة » جديدة يعتمد بقاؤها على قيد الحياة الاقتصادية والسياسية على استمرار الحرب»(٢٨). فالضباط المتقاعدون من الخدمة العسكرية والعاملون في القطاع المدني يمارسون الوظائف الاكسترا ــ عسكرية ، مثلما تؤلف أعمالهم وانشطتهم استمراراً وتوسيعاً لامتداد المؤسسة العسكرية الاسرائيلية في سيطرتها على قطاعات رئيسية من اقتصاد البلاد وتنميتها الصناعية لاغراض الحرب وتأمين الاحتفاظ بالمناطق العربية المحتلة . ويبدو ان ادارات الاحتلال العسكري وبعض قطاعات الاعمـال الاسرائيلية ــ التي تحاول مد سيطرتها الى المناطق المحتلة ــ تحظى بنصيب وافر من توظيفات الجنرالات المتقاعدين في ممارسة دورهم الاكسترا ــ عسكري .

ان القطاع العسكري في اسرائيل شهد توسعا كبيرا منذ حرب حزيران ١٩٦٧ . وهو يلعب دورا بارزا في النشاط الاقتصادي . فالمؤسسة العسكرية الاسرائيلية تسيطر على قطاع الصناعات العسكرية والحربية ، مثلما ان وزارة الدفاع تشرف بدورها على « الصناعات القائمة على العلوم » وهناك صناعات الكترونية في الكيبوتزات تتلقى مساعدة من وزارة الدفاع ، اذ تعمل في انتاج الاجهزة الالكترونية للأغراض العسكرية. كما لا يخفى ما للبحوث العسكرية في اسرائيل من اثر على قطاع الصناعة المدنية . والضباط المتخرجون من « مدرسة الجيش الاسرائيلي » هم الذين يتوزعون على ادارات هذه الصناعات ويديرون أجهزتها التنفيذية ــ بعد أن جرى اعدادهم وتدريبهم على الوظائف الجديدة في اثناء القيام بتأدية خدمتهم العسكرية النظامية .

أما الجدول الذي جرى اقتباسه عن دراسة برلموتر ، فقد رأينا ادراجه في خاتمة هذه المحاولة رغم ما يعتريه من نقص في المعلومات المتوافرة بعد ايقافه الزمني . ان قائمة الجنرالات الذين دخلوا الوزارة ، مثلا ، تتوقف عند السنة ١٩٦٨ . فلا يؤتى على ذكر الجنرال عيزر وايزمان ، القائد السابق لسلاح الجو الاسرائيلي والذي شغل حقيبة وزير المواصلات في حكومة التكتل الوطني ، ثم انسحب مع وزراء « غاحل » في شهر آب (اغسطس) ١٩٧٠ لكي يتسلم منصب رئيس ادارة حركة حيروت(٢٩). ومن الطبيعي ان تعيين الجنرال حاييم بارليف على راس وزارة الصناعة والتجارة ــ وقد دار الحديث حول هذا التعيين قبل تسريح رئيس الاركان من منصبه ــ ما زال مسالة حديثة العهد. بيد اننا سوف ننقل الجدول على علاته ، ثم نزوده ببعض الاضافات والمعلومات التي أمكن الحصول عليها من مصادر مختلفة .

ملحق

كبار الضباط في المناصب العليا من جهاز الخدمة المدنية (٣٠)

(١) وزراء حكوميون ١٩٦٨

الميجور جنرال موشيه دايان (رئيس الاركان سابقا)	وزير الدفاع	(البالماخ)
البريغادير — جنرال يغآل آلون	وزير العمل	(البالماخ)
البريغادير — جنرال موشيه كارميل	وزير المواصلات والنقل	(البالماخ)
اسرائيل غاليلي	وزير الانباء	(البالماخ)

* اضافات وتعديلات (١٩٧٢) :

— انتقل آلون الى وزارة التربية والتعليم ، بينما حصل يوسف الموجي على وزارة العمل . ولا يزال آلون نائبا لرئيسة الوزارة .

— خرج موشيه كارميل من وزارة المواصلات والنقل ، لكي يحل محله شمعون بيريز (وزير البريد ايضا) .

— وأصبح اسرائيل غاليلي (أشد المقربين من غولدا مئير) وزيرا بلا وزارة .

— انضم اللفتنانت جنرال حاييم بارليف الى الحكومة مؤخرا ليشغل منصب وزير الصناعة والتجارة .

— جرت أحاديث — على ما يبدو — بغية اسناد حقيبة وزارة التنمية الى الجنـرال اسحق رابين (سفير اسرائيل الحالي في واشنطون) .

(٢) مدراء عامون (١٩٦٧)

الكولونيل عميعاد	وزارة الزراعة	(البالماخ)
الكولونيل أو. مسر (متقاعد)	وزارة العمل	(البالماخ)
البريغادير — جنرال افيدار (متقاعد)	وزارة العمل	(الهاغاناه)
الكولونيل ي. بونداك (متقاعد)	مدير دائرة في وزارة العمل	(الهاغاناه)
الكولونيل آ. بن ناثان	وزارة الدفاع	(الهاغاناه)
الميجور جنرال ز. تسور (رئيس سابق للاركان)	مساعد خاص لوزير الدفاع	
الكولونيل موشيه كشتي	الدفاع	(الهاغاناه)

* اضافات :

العميد (احتياط) ي. لافي	مدير عام لوزارة الدفاع
الميجور جنرال ز. تسور	كان مديرا عاما لشركة « مكوروت » للمياه (١٩٦٣) وهو حاليا برتبة بريغادير جنرال . كما شغل وظيفة المسؤول عن التنسيق في البرنامج الاسرائيلي لتحلية مياه البحر

(٣) مدراء كبار

البريغادير — جنرال م. ليمون — وزارة : عمليات المشتريات الاوروبية (الهاغاناه)

البريغادير — جنرال م. غورين (متقاعد) — المدير السابق لبعثة المشتريات في بريطانيا (الهاغاناه)

الكولونيل م. ماردور — قسم السلاح والعلم (الهاغاناه)

الكولونيل م. برات (متقاعد . خدم في الجيش البريطاني) : قسم المفاعلات الذرية

الكولونيل ش. يفتاح — مدير البحوث النووية في نحال سوريك (الهاغاناه)

* **اضافات وتعديلات :**

— انتقل الاميرال ليمون بعد طرده من فرنسا (عقب حادثة اختطاف الزوارق الحربية من ميناء شيربورغ) الى اسرائيل ، حيث صار يمثل (١٩٧٠) مصالح مجموعة من الشركات والمؤسسات التابعة لآل روتشيلد .

ـ العميد الثاني يتسحاق يعقوب : نائب كبير العلماء في جهاز الامن (الصناعات العسكرية) .
ـ الجنرال عوزي ناركيس (قائد المنطقة الوسطى) : تسلم عام ١٩٦٨ منصب المدير العام لدائرة الهجرة والاستيعاب في الوكالة اليهودية ـ المنظمة الصهيونية العالمية .
ـ العميد احتياط مردخاي بار ـ عون (رئيس قسم التثقيف في الجيش ١٩٦١ ـ ١٩٦٨) جرى انتخابه عضوا في الادارة الصهيونية (صيف ١٩٦٨) وهو لما يزل في السلك العسكري . يشغل الان منصب رئيس دائرة الشباب والرواد في المنظمة الصهيونية العالمية ـ الوكالة اليهودية .

(٤) رؤساء دوائر في وزارة الدفاع (المجموع : ٣٠)

رتبة البريغادير ـ جنرال	٢
الكولونيلات	١٥
رتبة اللفتنانت ـ كولونيل	٨
ميجـور	٥

وزارة الخارجية (٢٨ منصبا)

الميجور جنرال يتسحاق رابين : سفير لدى الولايات المتحدة (البالماخ) .
البريغادير ـ جنرال أ. رميز (الجيش البريطاني) : سفير في لندن .
البريغادير ـ جنرال ي. أفيدار (متقاعد) : سفير في الارجنتين (الهاغاناه) .
الكولونيل آشر بن ناتان ـ سفير في المانيا الغربية .

اضافات وتعليقات :

ـ البريغادير ـ جنرال أ. رميز انتقل في تشريـن الاول (اكتوبر) ١٩٧٠ الى منصب المديـر العام لسلطة الموانىء ، فحل مكان الجنرال حاييم هرتزوغ المستقيل من منصبه .
ـ آشر بن ناتان أصبح سفير اسرائيل في باريس .
ـ حل ميخائيل كوماي محل أ. رميز في بريطانيا .
ـ موردخاي غازيت (شقيق العميد شلومو غازيت : منسق النشاط الاسرائيلي في المناطق المحتلة) أصبح نائب المدير العام لوزارة الخارجية .

(٥) الجامعة والحياة الاكاديمية :

الميجور ـ جنرال ي. يادين ـ استاذ علم الاثار (الهاغاناه) .
الكولونيل ي. نيمان ـ استاذ للفيزياء (الهاغاناه) .
البريغادير ـ جنرال ي. هركابي ـ استاذ دراسات الشرق الاوسط الحديث .
البريغادير ـ جنرال أ. بيليد ـ دراسات الشرق الاوسط الحديث .
الكولونيل يفتاح ـ استاذ الفيزياء .
البريغادير ـ جنرال شوكن (الجيش البريطاني سابقا) مدير التسجيل في جامعة تل ابيب .

(٦) مؤسسات وشركات حكومية :

الميجور جنرال حاييم لاسكوف ـ مدير سلطة الموانىء .
الكولونيل ش. لاحال ـ شركة (العال) الخطوط الجوية الاسرائيلية .
الميجور ـ جنرال ماكليف ـ شركة البحر الميت .
البريغادير ـ جنرال ش . شامير ـ شركة الفوسفات .
الميجور ـ جنرال ز. تسور ـ شركة تحلية المياه .

ملاحظة : ان اعتبارات الامن هي التي تحول دون اقدام برلموتر على ايراد الاسماء .
الجنرال أ. ديوري (رئيس الاركان السابق) شغل منصب رئيس معهد التكنيون في حيفا .
والكولونيل يفتاح هو المدير العلمي في اللجنة الاسرائيلية للطاقة الذرية .

الكولونيل شامير — صناعة الطائرات .
الميجور — جنرال م. عميت — شركة « كور » (المؤسسة الاقتصادية والصناعية الرئيسية لدى الهستدروت) .

*** اضافات :**

— انتقلت ادارة مصلحة الموانيء الى آ. رميز .
— العقيد بنيامين جيبلي (المخابرات العسكرية سابقا) أصبح مديرا لشركة « شمن » التي تصنع زيوت الطعام ومستحضرات التجميل .
— الجنرال حاييم هرتزوغ (مدير المخابرات العسكرية سابقا ، والحاكم العسكري السابق للضفة الغربية) يقوم الان بتمثيل مجموعة الشركات التابعة لمؤسسة وولفسون البريطانية . وفي العام ١٩٦٨ انتقل هرتزوغ الى مصاف رجال الاعمال ، حيث أصبح مديرا لشركة غاسكو للتنمية .
— الجنرال ابراهام يوفى (أحد قادة الفرق الثلاث التي اشتركت في معركة سيناء عام ١٩٦٧) : يشرف الان على ادارة حماية المواقع الطبيعية في اسرائيل . ويوفى هو عديل الجنرال اسحق رابين !
— الضابط الكانا كاسبي (من سلاح الاشارة) يدير شركة « تديران » لصناعة الاجهزة الالكترونية العسكرية.
— الرائد دانيال كمحي (احتياط) : مدير مصنع غاز اسرائيل : « ميغل » .
— شركة « ماشاك » (Maschak) — « هولدينغ كومبـاني » — التي أسسها نفر من ضباط الجيش السابقين .

ولا بد لنا من اضافة اسمين الى هذه القائمة ، وهما : —

— اللفتانت — كولونيل موشيه غات : الذي ترك الخدمة في الجيش بعد ١٧ عاما . لكي يتولى مهمة « ضابط النظام » داخل الكنيست خلال الفترة الممتدة من ١٩٦١ الى ١٩٦٥ .
— والكولونيل جوزيف ايتان (متقاعد من الجيش ، وميجور سابق في الجيش البريطاني) : اشترك في حملة سيناء (١٩٥٦) ، ثم احتل منصب المسؤول عن اتخاذ الترتيبات والاستعدادات لعقد المؤتمرات الصهيونية العالمية ، ولا سيما المؤتمر السادس والعشرين . ومن المهمات الموكولة اليه : تأمين انتقال المندوبين وتوزيعهم على أماكن اقامتهم في اسرائيل ابان انعقاد المؤتمرات الصهيونية العالمية .

الحواشي

(١) آثرنا استخدام عبارة « اكسترا — عسكري » مقابل اللفظ الاجنبي للدلالة على الوظائف التي تقع خارج الاطار العسكري ، التقليدي والمألوف : **Extra-military functions** فهي تفيد المعنى المتوخى من حيث دلالاتها المزدوجة ، ولا توحي بالانتقاص من الدور العسكري الاصيل .
انظر ، على سبيل المثال :
***Le Role Extra-militaire de l'Armée dans le Tiers Monde,* (Paris 1966).**

(٢) « اتساع الدور » هي ترجمة للعبارة التي يستخدمها عاموس برلموتر في دراسته عن « العسكريين والسياسة في اسرائيل : بناء الامة واتساع الدور » — **Role expansion** . ولا بد من الاشارة هنا الى كون صاحب الدراسة ينفرد ، دون سواه من الباحثين الذين عالجوا الموضوع المتعلق بدور العسكريين في السياسة ، بتقديم بعض التفاصيل والمعلومات والتحليلات التي يمكن الرجوع اليها والاخذ بقسم منها . انظر :
Amos Perlmutter, *Military and Politics in Israel : Nation-Building and Role Expansion* (Frank Cass : London, 1969).

(٣) وردت هذه العبارة في المجلة المذكورة بتاريخ ١٥ شباط (فبراير) ١٩٥١ ، ص ١٦ . واستشهد بها عاموس برلموتر في مقالته عن « الجيش الاسرائيلي في السياسة : استمرار السيطرة المدنية على العسكريين » . انظر صفحة ٦٢١ من : ***World Politics,* Vol. XX, No 4, July 1968, pp. 606-43.**

(٤) انظر ما يلي :
Ben Halpern, «The Role of the Military in Israel», in John J. Johnson (Ed.) *The Role of the Military in Underdeveloped Countries* (Princeton University Press, 1962), p. 350.

(٥) **المصدر نفسه** .

(٦) راجع نص الحديث الذي ألقاه يهوشافاط هركابي بتاريخ ٢٥ آذار (مارس) ١٩٧٠ امام « لجنة دراسة الشرق الاوسط » التابعة لكل من « مجلس شيكاغو للعلاقات الخارجية » و « معهد ادلاي ستيفنسون للعلاقات الدولية » — وموضوعه «اسرائيل في مواجهة الفدائيين الفلسطينيين » : **نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية** ، ملحق العدد ٥ من السنة الاولى (١٩٧١/٦/١) ، ص ٥ — ٦ .

(٧) وفيما يتعلق بهذه الناحية من الموضوع يمكن الرجوع الى دراسة أسعد عبد الرحمن عن « العلاقات المدنية — العسكرية في اسرائيل » ، والمنشورة في مجلة « **شؤون فلسطينية** » ، العدد ٩ (أيار ١٩٧٢) ، ص ٤٤ — ٦٩ .

(٨) راجع مقالة عاموس برلوتر المشار اليها في الحاشية رقم ٣ .

(٩) **المصدر نفسه** ، ص ٦٢١ .

(١٠) **المصدر نفسه** ، ص ٦٤٠ ، وانظر ايضا كتاب برلوتر عن « العسكريين والسياسة في اسرائيل » ، **المصدر السابق** ، ص ١٢٣ — ١٢٤ .

(١١) **المصدر نفسه** ، ص ١٢٦ .

(١٢) برلوتر : « الجيش الاسرائيلي في السياسة : استمرار السيطرة المدنية على العسكريين » ، **المصدر السابق** ، ص ٦٤١ .

(١٣) انظر

J.C. Hurewitz, «The Role of the Military in Society and Government in Israel», in *The Military in the Middle East,* ed. by Sydney N. Fisher, Ohio State University Press, Columbus 1963), pp. 89-104 (p. 98).

ومما يقوله هورفتز في معرض الاشارة الى خطر استيلاء العسكريين على الحكم المدني في اسرائيل او الاطاحة به ، هو ان هذا الخطر ليس مصدره تدخل العسكريين في السياسة ، بل التدخل الحزبي السياسي في ادارة شؤون المؤسسة العسكرية (ص ١٠٣) .

(١٤) M.G., «Etude sur Israel» *Le Role Extra Militaire de l'Armée dans le Tiers Monde,* (Paris, 1966), pp. 175-90.

(١٥) Samuel Rolbant, *The Israeli Soldier : Portrait of an Army,* (Thomas Yoseloff: New York, 1970), p. 190.

(١٦) *Der Spiegel,* Nr. 31 (27.7.1970) : «Israel - Generale als Wirtschaftsbosse », p. 92

(١٧) برلوتر ، **المصدر السابق** (العسكريون والسياسة في اسرائيل) ، ص ١٢٥ .

(١٨) **المصدر نفسه** ، ص ١٣٣ .

(١٩) كان يوسف نحمياس ، رئيس الشرطة العسكرية ، هو الضابط الاعلى الوحيد في وقت من الاوقات بين كبار الضباط غير المتحدرين من اصول يهودية اشكنازية . والى دافيد بن غوريون ينسب هذا القول : « لن نستطيع القول ان الوحدة الوطنية في اسرائيل قد تحققت بالفعل الا متى جاء ذلك اليوم الذي يحتل فيه يهودي سفاردي منصب رئيس الاركان العامة في الجيش الاسرائيلي » . انظر الدراسة التالية :
Bernard Vernier, *Armée et Politique au Moyen-Orient.* (Payot : Paris, 1966), p. 65

(٢٠) « دير شبيغل » ، **المصدر السابق** .

(٢١) راجع برلوتر ، **المصدر السابق** ، ص ١٢٢ — ١٢٣ . وانظر مقالة الكاتب نفسه في مجلة *World Affairs* **المصدر السابق** ، ص ٦٣٩ .

(٢٢) أخذنا الجدول كما هو في دراسة برلوتر ، **المصدر السابق** ، ص ٧٦ .

(٢٣) **المصدر نفسه** ، ص ٧٥ — ٧٦ .

(٢٤) انظر رولبانت ، **المصدر السابق** ، ص ١٨٤ .

(٢٥) ان تسمية « مدرسة الامة » Schule der Nation هي من العبارات التي تثير حساسيات شديدة في المانيا اليوم ، لانها تعيد الى الاذهان صورة الجيش النازي ، ومن قبله الجيش الالماني ، اذ جرى اعتبار هذا الجيش بمثابة مدرسة للامة بأسرها . ولا شك في ان تسمية دير شبيغل قد جاءت مخففة ومقرونة بـ « مدراء الاعمال » فحسب .

(٢٦) **المصدر نفسه** . ولقد علقت المجلة المذكورة على ذلك بقولها : « هذه الوصفة لا تنجح دوما وابدا . فالمدير العام لمصلحة الموانىء ، وهو رئيس سابق لهيئة أركان الجيش — الجنرال حاييم لاسكوف — يخوض نزاعا دائما مع عمال الموانىء الخاضعين لاشرافه وادارته . العمال يتهمون مديرهم ورئيسهم بأنه يتطلب اليهم اطاعة الاوامر طاعة عسكرية عمياء ! » .

(٢٧) انظر برلموتر ، **المصدر السابق** ، ص ٧٥ .

(٢٨) راجع الدراسة التالية :

Rafael Rosenzweig and Georges Tamarin, «Israel's Power Elite» in *Transaction,* Vol. 7 / Nr. 9-10, July-August, 1970, p. 42.

(٢٩) تفيد مقالة نشرها شبطاي طبت في صحيفة هآرتس (١٩٧١/٩/١) عن عيزر وايزمان ان الجنرال السابق خلع لباس الجندية وارتدى الثياب المدنية بسرعة خاطفة ، حتى انه « صرف يوما واحد فقط في التدريب على مهنته السياسية — أي الوقت الذي احتاجه للاستقالة من منصبه كرئيس للعمليات العسكرية ... » ونعرف من تلك المقالة ان رئيس ادارة حركة حيروت يشغل بالاضافة الى منصبه الحربي وظيفة اقتصادية تتأرجح بين « شيء له علاقة بالسفن او ربما بانتاج الطائرات » .

انظر ما يلي :

TADMIT News letter (Review of Israeli Opinion), Vol. 2, No 9 (33), October 15, 1971, p. 6.

(٣٠) راجع برلموتر ، **المصدر السابق** ، ص ٧٧ .

قضية فلسطين والرواية العربية المعاصرة

فاضل عباس هادي

لم تعد أهمية الاعلام في العصر الحديث خافية على أحد وكذلك الدور الفعال الذي تمارسه وسائل الاتصال الجماهيري. وليس من الخيال القول بأن العمل الفني أو الادبي يلعب دوره في نشر الحقيقة وبالتالي المساهمة في ترويج الحس الانساني وتثبيت دعائم المجتمع البشري على أسس العدالة والمساواة . رغم ان هناك من يقول بأن الاسلوب المباشر في الاعلام أكثر فعالية من الاسلوب « الملتوي » وهو في هذه الحالة العمل الفني او الادبي المعقد والصعب على مدارك الانسان العادي . صحيح ان الادبيات السياسية منبع نستقي منه معلوماتنا عن مجريات الحياة السياسية اليومية . الا أنها قد تكون احادية الجانب من حيث اهتمامها بالظاهرة السياسية وتركيزها عليها دون سواه . كما ان العمل الفني (اللوحة او المنحوتة) او العمل الادبي (الشعر ، القصة ، الرواية) الذي يتناول، حسب قدرة الفنان او الكاتب وكل في مجاله، الظواهر الاجمالية او الحقيقة من أبعادها العديدة وما يمكن أن نسميه بالكلية totality يعتبر في نهاية التحليل الشهادة الكاملة على العالم المتعدد الجوانب ولظاهرة الانسان اجمالا . ان رصد الوضع الانساني من جوانبه المتعددة امتياز الابداع الحقيقي . والقضية الفلسطينية التي فرضت نفسها على العالم جزء لا يتجزأ من ظاهرة الانسان . وكل كاتب او شاعر او فنان عربي ينظر الى واقعه بمعزل عنها انما يحرم رؤياه من التكامل المنشود والرؤية المترابطة . ومن الملاحظ ان الكتاب والفنانين اخذوا يهتمون مؤخرا وبشكل واضح وأكيد ومركز بما يمكن ان نسميه « الجانب السياسي في الانسان » . وفي أوربا يعتبر بيتر فايس الكاتب المسرحي الالماني خير مثال . وفي اميركا نجد الروائية ماري ماكارثي تكتب عن فيتنام كتابا يفضح بربرية الساسة الامريكان وتضحيتهم بالانسان من اجل مثل زائفة ونورمان ميلر الراديكالي الذي نظم اكبر مسيرة احتجاج ضد الحرب الامريكية ضد الشعب الفيتنامي وأصدر كتابا مهما بعنوان « جيوش الليل » . الامثلة غفيرة ولا تحصى على مساهمة المبدعين ، ضمير الانسانية النابض الحي ، في الدفاع عن حقوق الانسان المغتصبة . فماذا قدم المبدعون العرب من مساهمة في قضيتهم الاولى . وهل يمنعهم الاستغراق الميتافيزيقي من التوجه الى اعتمالات البشر اليومية والحيف اللاحق بقطاع واسع ومهم من شعبهم العربي الفلسطيني ؟ لا نريد ان نكون من الجاحدين بمساهمات الكاتب العربي في القضية الفلسطينية الا اننا لا بد وان نشير الى ان مساهماتهم جاءت متأخرة الى حد كبير وفي المجالات الابداعية كافة من رسم ونحت وقصة وشعر .

فمن المتفق عليه ، تقريبا ، بين المهتمين بأصداء القضية الفلسطينية على الرواية العربية ان جورج حنا ، الطبيب اللبناني الماركسي كتب في سنة ١٩٥٢ اول رواية عربية عن محنة اللاجئين الفلسطينيين(١). والرواية وهي بعنوان « لاجئة » تمتاز بالسذاجة . ونعتبرها ساذجة لعدم وجود وصف اكثر دقة يمكن ان يعطي نفس المعنى بدون ان يشير الى نية القارىء المتمعن الذكي في توجيه اصبع الادانة . والرواية على بساطتها وبساطة محتوى

التقديم الذي كتبه لها الدكتور جورج حنا تعتبر علامة مهمة على الطريق . وهي ذات نبرة ميلودرامية وعقلانية باردة في بنائها وتأثيرها . الا انها لم تستقبل استقبال المكتشف المتعب لبقعة جغرافية جديدة وارض صالحة وجديدة للنضال من اجل العدالة الانسانية ولصالح بشر طيبين يعيشون بفزع تحت ظل الحراب . وقد تجاهل النقاد الرواية وان وجدت طريقها اللائق الى نفوس آلاف القراء العرب في كل مكان . وان لرواية « لاجئة » دورا رياديا واضحا والدور الذي لعبته ، وان كان عديم الاثر على تطور مستقبل الرواية العربية ، دور تبشيري وتعليمي نبه الروائيين العرب الى موضوع كانوا غافلين عنه وان كان تحت انوفهم .

وكان من الطبيعي ان تقطع الرواية العربية المكتوبة عن القضية الفلسطينية من سنة ١٩٥٢ الى سنة ١٩٦٧ شوطا لاهثا وبطيئا الى ان جاءت حرب الايام الستة فأحدثت في وجدان القصاصين العرب هوة لا تردم من الندم فأصبح من التقليدي جدا الحديث عن ادب ما قبل حزيران ١٩٦٧ وما بعد حزيران حيث كتبت روايات عديدة يمكن تسميتها بالروايات الحزيرانية . لقد شهدت العقلية العربية تطورا ملحوظا بعد صدمة حزيران وما صدر من اعمال فنية وادبية خلال الفترة القصيرة التي تلت حزيران يشهد على القول السالف الذكر . وخلال أربع سنوات ونيف صدرت أعمال أدبية تضاهي في أهميتها النوعية مجمل ما صدر من سنة ١٩٥٢ حتى سنة ١٩٦٧ .

ولم يساهم الكتاب العرب بعد صدور رواية « لاجئة » في التاريخ المذكور الا مساهمة ضئيلة . فاحسان عبدالقدوس الذي كتب عشرات الكتب عن الغرام والوسادة الخالية لم يكتب الا قصة قصيرة او قصتين عن اللاجئين ومعاناتهم من الاحتلال الاسرائيلي . ويوسف السباعي، وهو كاتب مشهور شهرة عبدالقدوس ، لم ينشر ، كما يبدو ، الا رواية واحدة(٢) تصور القضية بشكل عابر يفتقر الى المستوى الادبي الجدير والقادر على شق طريقه بجدارة الى نفوس القراء الاجانب . اما القصاصون المصريون الاخرون البارزون أمثال نجيب محفوظ ويوسف ادريس ومحمود تيمور والمسرحي — الروائي توفيق الحكيم فلم ينشروا اعمالا قصصية أو روائية من شأنها أن تعكس اهتمامهم بالقضية الفلسطينية. القسط الاكبر من الروايات والقصص التي تتناول القضية ، فنيا ، أنجزه كتاب فلسطينيون . وهذا رائع بقدر ما هو متوقع ومبرر ويبعث على الرضا والامتنان والفخر . ونخص بالذكر كلا من غسان كنفاني وسميرة عزام . أن يتصدى الكاتب الفلسطيني لقضيته ويأخذ على عاتقه حمل صليبه أمر يحمل في ثناياه ملحمية هوميروسية وبطولة هرقلية ومعاناة سيزيفية ما بعدها معاناة . وتصديه هذا رد حاسم على اللااكتراث العام والمضاربة بقضيته فيسوق السياسة وأروقة الدبلوماسية الزائفة. وليس عيبا أن تمتاز الروايات والقصص الفلسطينية بالحنين الى « الفردوس المفقود » و« الماضي الذي كان ولم يعد » ما دام الحنين حنينا ارضيا ما يزال في حيز الممكن والامكان وليس تمنيا طوباويا محضا ومجردا من الاساس المادي . ولمساهمات حليم بركات استاذ علم الاجتماع الذي رفضت الجامعة الامريكية مؤخرا تجديد عقده وقررت الاستغناء عنه مكان الصدارة في الكتابة عن القضية الفلسطينية . كما لا ينبغي ان ننسى مساهمة الناقد الادبي عيسى الناعوري في روايته القصيرة « بيت وراء الحدود » الصادرة في بيروت سنة ١٩٥٩(٣) الا ان المساهمة شيء والمساهمة الواعية شيء آخر . ولا بد ان الاولوية تسجل ليس للاعمال التي صدرت قبل غيرها من ناحية التسلسل الزمني وانما للاعمال الناضجة العميقة التي تصور وتؤثر عن وعي وبتمكن من الادوات الفنية وسيطرة عليها. فهناك الكثير من الاعمال الادبية القليلة القيمة الفنية بسبب عفويتها . وكمثل على هذا نذكر انه يكفي عقد مقارنة نقدية بين « لاجئة » لجورج حنا الصادرة سنة ١٩٥٢ وبين « عودة الطائر الى البحر » لحليم بركات الصادرة بعد سبعة عشر عاما ، ذلك لاننا

سنعتبر رواية بركات المذكورة(٤) شهادة اكثر معاصرة وعمقا وتمتاز بفن وهيمنة واضحة على حبكتها ومسار تطور احداثها وشخوصها . ولحليم بركات ، المعروف بدراساته الميدانية السوسيولوجية واهتمامه بحركة الطلبة ، مجموعـة قصص قصيرة باسـم « الصمت والمطر »(٥) وهي لا تخلو من القصص التي تتناول عذاب الفلسطيني وبحثه عن نفسه وسعيه للانتماء من جديد الى ارضه وتاريخه ، ورواية أخرى صدرت قبل حرب حزيران بست سنوات ومعنونة « ستة أيام »(٦) فكأنما كان يتنبأ بحرب الايام الستة قبل ست سنوات من وقوعها التراجيدي !

وبينما تصور « ستة ايام » تخلف القرية العربية واندحار العرب نتيجة هذا التخلف نرى ان « عودة الطائر الى البحر » تخرج عن نطاق القرية الى ما هو أعم واشمل ، اي الى المدينة . ورمزي بطل الرواية المذكورة يشبه المؤلف الى حد ما . فهو شاب يحب السفر ومثقف غير متحزب ويعيش التأزم ويعاني من الانشطارات الوجدانية التي يعاني منها الكثيرون من ابناء البرجوازية الصغيرة وتأرجحهم بين ولائهم الطبقي وتطلعاتهم الى عالم دينامي وعادل في نفس الوقت . وهو ، كالعديد من المثقفين العرب ، موزع بين حبه للحرية وبين خوفه من اغتيال الحرية في المجتمعات التوتاليتارية واساءة فهمهـا في المجتمعات الرأسمالية الليبرالية . وهو ، مثلهم ايضا ، يعاني من عيوب المجتمع العربي وعلى قدر لا بأس به من التشخيص « ووضع الاصبع على الجرح الحقيقي » . ووجهات نظره السياسية بدون شك معادية للولايات المتحدة الامريكية ومتعاطفة مع بلدان العالم الثالث ونضال الشعب الفيتنامي . وعلاقة البطل مع باميلا الشابة الامريكية الرافضة (الهيبية) لا تعني تعاطفه مع أمريكا ، وباميلا ، كالعشرات من الامريكيين الرافضين لحضارتهم الرأسمالية ، يمكن ان تشكل نواة الثورة في امريكا او مرحلة الثورة الاولى : هدم اسس وقواعد العالم المتعفن . لقد اختارت باميلا حياة المنفى الاختياري والابتعاد عن الوطن ، وان كان اختيارها هذا يضعف من زخم الثورة ، حيث ان مهمة المثقف والإنسان الواعي هي ان يناضل قدر ما يستطيع ضد قوى القهر واللاانسانية في وطنه. الا ان إختيار المنفى والترحال يمكن ان يعتبر احتجاجا سلبيا . فاذا كان المرء غير قادر على مجابهة السلطة القمعية والفاشية في وطنه فعليه على الاقل ان يغادر ذلك الوطن ليحافظ على نقائه وشرفه ويمنع ذاته من التلوث بممارسات السلطة القمعية واغراءاتها المادية .

ولقد أفلح بركات في روايته بتصوير المأساة العربية في فلسطـين وخارجها واستعان بمقتطفات من الشعر والاغاني ليعزز من ثقل المادي المرهق بماديته ومباشرته برمزية الغنائي الموجز والمعبر والتقط من المفردات الموحي و« الطازج » الذي لم يلوث تمامـا بالاستعمال اليومي الرتيب . والرواية كما يراها بركات تعبير عن رؤيته الخاصة للواقع في حالة صيرورة دائمة لان الواقع هذا في حالة تناقض . وهو يعتقد بأن من الضروري ان نقرر الى جانب من نحن ؟ جانب الانظمة أم جانب الشعب . وعلاقته بالواقع عـلاقة نقدية : علاقة فعل بالواقع لا علاقة انفعال سلبي وقبول .

واذا كانت رواية بركات الاولى « القمم الخضراء » الصادرة سنة ١٩٥٦ « شبه سيرة ذاتية » فان رواية « ستة ايام » هي « سيرة المجتمع نفسه » وفيها توكيد على « ان المجتمع العربي في وضعه الحالي غير قادر على مجابهة التحديات » . اما « عودة الطائر الى البحر » فهي « وثائقية » وفيها اراد بركات « الارتفاع الى مستوى الرمز ووصل الرمز بالواقع ففيها يفقد الرمز تجريديته والواقع آنيته . انها رواية غير محايدة انهـا مطالبة بتغيير الواقع الحالي »(٧).

ولليلى عسيران مساهمتها الكريمة ايضا . وقد طرقت في روايتها « عصافير الفجر »(٨)

موضوعا لا بد من طرقه : الفدائيين الفلسطينيين وحياتهم وافكارهم . وابطال الرواية ثلاثة فلسطينيين ينتمون الى حركة المقاومة الفلسطينية كسبيل اوحد ومشروع لتحرير الاراضي العربية المغتصبة . فمريم تقرر الانضمام الى حركة المقاومة عقب الازمة حيث تبرز الشخصية الفلسطينية بوجه جديد بعد أن طمرتها سنوات المساومسات والبلادة السياسية . اما سلمان ، شقيقها ، فيقرر ايضا ما قررته شقيقته فيغادر المانيا حيث كان يدرس . اما الشخصية الثالثة الرئيسية في الرواية فهي سهير .

و« عصافير الفجر » رواية جادة لا مجال فيها للكوميديا والاستخفاف . فقد قرر الابطال ان ينتقلوا من عالمهم الشخصي وهمومهم الذاتية ليكرسوا انفسهم لقضية جماعية مشرفة للنضال فيها مقام السبق ودرجة الاولوية . وغالبا ما تشير المؤلفة الى بيروت على انها « مدينة ملونة » لتشير ، بشكل مباشر ، الى عدم اكتراث سكانها للقضايا السياسية واستغراقهم في حضارة التبرج وتفضيلهم لقشور الحضارة الاوربية ونفورهم من القيم الروحية الاصيلة .

ومن الطبيعي ان يبحث العربي ، وقد أصيب بعصاب الفشل والتردد بعد النكسة ، عن تبرير جديد للوجود وقد وجده ابطال عسيران في ممارسة الفعل اليومي وتكريس انفسهم ونذرها نهائيا وبقداسة من اجل التحرير . فحينما يكتشف العربي بأنه كان نائما على أوهام العظمة التاريخية لا بد وان يلتفت الى الحاضر ليفتح عينيه على مواطن الوهن في كيانه ويعمل على تجديد خلاياه . وهذا ما اختاره ابطال روايتها . وما من اختيار أجمل وأصدق من اختيارهم : فما أخذ بالقوة ينبغي ان يسترد بالقوة . والمقاومة الفلسطينية اكليل غار على جبين العرب ، لقد رفعت رأسهم عاليا بين الامم ، وجعلتهم يدركون بأن العربي لم يعد ذلك الصحراوي او الريفي الساذج واجبرهم على ان يكونوا تصورا جديدا تماما عنه . انه ليس كما اوحت لهم أجواء « الف ليلة وليلة » الخدرة . انه ساعة الحسم وترسانة من ترسانات البشرية التقدمية المسلحة بحب الحياة والقادرة على اثبات الوجود بجدارة ويقظة .

بعد هذا الاستطراد الذي قصدنا منه ان يكون تعبيرا عن لوعة و« ترنيما على قيثارة الامل » ننتقل الى غسان كنفاني أبرز الكتاب الفلسطينيين واكبرهم شأنا . لقد عانى كنفاني ، وهو لما يزل صبيا يافعا ، من التشرد في اواخر الاربعينات بسبب الاحتـــلال الصهيوني وقاسى الامرين من شظف العيش واللاأستقرار . ونشأته وتنقله بين البلدان بحثا عن الخبز والكرامة والحرية نموذج ينطبق على العديد من الفلسطينيين وان كان يمتاز عن بعضهم بالوعي السياسي المقرون بالفعل والموقف المبدأي وبمثابرته واصراره على ان يلتحم بقضيته بدون زوغان .

لقد كتب غسان كنفاني الذي شهد المأساة وخبر بعض فصولها عدة مجموعات مـــن القصص القصيرة وعدة روايات منها « ما تبقى لكم » و« ام سعد » و« عائد الـــى حيفا »(٩) الى جانب ممارسته المستمرة للصحافة وعلاقته المباشرة بحركة المقاومة . وهو ، كما اشرنا ، من اوائل الذين كتبوا عن القضية الفلسطينية اعمالا ادبية ناضجة في محتواها وطريقة تناولها .

ومن مميزات تفكير غسان كنفاني ، الشمولية او الكلية التي أشرنا اليها في بداية مقالنا هذا . ففي ندوة عقدت في دار الفن والادب في الخامس عشر من مايو ١٩٧٢ عن الرواية والواقع(١٠) وعما اذا كان الادب تعبيرا عن الواقع ام هروبا منه الى الماضي او مجابهة الحاضر اشار كنفاني الى ان الروائي هو كل هذه المعالم مجتمعة . وأكد على ضرورة التسلح بالوعي وان الفن سلاح هدفه التغيير ، وان الفن نوعان : اما ان يكون خدمة للقيم السائدة او ثورة عليها . ومن الادلة على فكره الشمولي اعتباره الانسان كونا

مصغرا ومحركا للتاريخ . وقد أشار الى أن القضية الفلسطينية كانت محور اهتمامه منذ البداية وكان في بواكيره الكتابية يرمز لها ولا يتحدث عنها بالتفصيل او بالمباشرة ، الى ان نشر رواية « رجال في الشمس » حيث وجد في اطار القضية الفلسطينية الرمز والمسرح الانساني للبطل الذي يمثل الانسان في صراعه ضد قوى الشر والطغيان في كل مكان وان كان فلسطينيا ، جغرافيا . والانسان الفلسطيني ، بالنسبة له ، رمز للانسان وصراعه من اجل ان يكون سيد مصيره .

صحيح ان ابطال كنفاني مهزومون وصحيح ان رواياته تنتهي بهزيمة البطل . الا انها هزيمة تحمل في ثناياها بذرة المستقبل . ويشخص الكاتب سبب الهزيمة افتقار ابطاله الى الوعي ويشير الى أن الغضب وحده لا يكفي للانتصار ولا بد من اقتران الوعي بالغضب .

واذا كان الفلسطيني المغترب بالاكراه لا يستطيع العودة ، ابديا ، وجماعيا في الوقت الحاضر ، الى ارضه فلم لا يعود أفرادا . وهذا ما يفعله كل من بطلي الرواية « عائد الى حيفا » وزوجته. حيث يعبران الحدود ويواصلان طريقهما من رام الله الى بيتهما القديم في حيفا ، البيت الذي كانا يسكنانه قبل التهجير . وكانا طوال الطريق يفكران ويسترجعان الماضي فنعرف بأنهما كانا آنذاك قد ضيعا طفلا لهما وعمره عدة شهور وان اسمه خلدون . بعد ان يصلا الى بيتهما يجدان انه لم يتغير الى حد كبير وان عائلة يهودية ، بولونية الاصل ، تسكن فيه بعد ان قبلت بتبني طفل مجهول الابوين كشرط للسماح لها بسكناه .

بعد انتظار حافل بالتوتر وحديث لا يقل توترا يدخل رجل شاب يرتدي بدلة عسكرية اسرائيلية . الا انه يرفض فكرة العودة الى والديه الحقيقيين ويتمسك بيهوديته .

تثير الرواية قضية على جانب كبير من الاهمية وهي « عقدة الذنب » التي يشعر بها الاب لانه ترك وليده الصغير وهاجر بدون ان يعلم عن مصيره شيئا . واهمية موضوع « عقدة الذنب » تكمن في أن بالامكان تعميمه واعتباره حالة عامة بين الفلسطينيين العرب . الا يشعر الفلسطيني بتأنيب الضمير لانه هجر وطنه مكرها ؟ وما شعور بطلي كنفاني به نتيجة هجر خلدون الصغير الا نموذجا مصغرا ومثالا خاصا على حالة عامة ؟

بعد هذا « الجرد » السريع لاهم الروايات الفلسطينية(١١) من خلال أبرز اقطابها لا بد ان نشير الى ان الرواية الفلسطينية ما زالت ملحة ونابضة في حضورها وحيويتها . انها لم تتحول بعد الى تاريخ ، وان كان العديد منها سيتخذ طريقه الى حيث يصبح من كلاسيكيات الادب العربي وقممه البارزة . وعلينا ان لا نسمح للقضية أن تنام على رفوف التاريخ . لان بشرية المستقبل ستديننا . وعلينا ان لا نسمح لهذا ابدا . ولا يمكن ان يبرر ما نسميه « الحتمية التاريخية » التخلي و « ترك الحبل على الغارب » . فما من حتمية اكبر من اصرار الانسان . ان الانسان هو الذي يصنع التاريخ . وليس العكس . ولا بأس بأن تكون الممارسة اليومية في سبيل الوعي الهادف مقرونة بالابداع الادبي أو الفني . ولتصبح الرواية العربية شاهدا جديرا على القضية الفلسطينية ولتصور عيوب المجتمع العربي التى أدت الى اغتصاب فلسطين .

واذا كان الكتاب العرب قد ساهموا في ازاحة بعض ما تجمع من طين على الوجدان العربي وكتبوا روايات حزيرانية عديدة فلا بأس من ان نتوقع رواية « ايلولية » ، رواية واحدة فقط ، علها تكون الشهادة الكاملة على بطولة المقاومة واقدامها ومن ثم اندحارها البطولي في ايلول الاردني . ولا بأس من ان نتوقع مقدم ذلك اليوم الذي يشق الروائي الفلسطيني فيه طريقه الى قلوب القراء على جانبي الاطلسي وحتى بالاستفادة من اساليب الكتاب المتصهينين امثال أرثر كوستلر . ولا بأس من أن ننتظر كاتبا عربيا

يشتهر عالميا برواية واحدة ثم يحافظ اسمه ، وقد اقترن باسم روايته ، على شعبيته بين القراء في كل مكان ، كمـــا اقترن اسم كوستلر بروايته « ظلام في النهـــار » التي تصور الستالينية ولم يقترن بأية واحدة من رواياته التي كتبها عن شتات اليهود والصهيونية . ونحن بالانتظار !

---

١ ــ ج. ليكاسك في مقال حول الموضوع في **مجلة الشرق الاوسط** ، ١٩٧١ .

٢ ــ **أرملة من فلسطين** . القاهرة . الشركة العربية للطباعة . ١٩٥٩ .

٣ ــ منشورات عويدات . بيروت .

٤ ــ صدرت عن دار النهار للنشر ، ١٩٦٩ .

٥ ــ صدرت عن دار مجلة شعر ، ١٩٥٨ .

٦ ــ عن دار مجلة شعر أيضا ، ١٩٦١ .

٧ ــ العبارات المحصورة بين أقواس والعبارات التي سبقتها مقتطفات مما قاله بركات في ندوة عقدت في دار الفن والادب مساء الاثنين ١٩٧٢/٥/١٥ .

٨ ــ صدرت سنة ١٩٦٨ عن دار الطليعة للطباعة والنشر في بيروت .

٩ ــ صدرت الرواية الاخيرة سنة ١٩٧٠ عن دار العودة . ولكنفاني كتـــابان جديران بالقراءة : **الادب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال** وقد صدر سنة ١٩٦٨ عن مؤسســة الدراسات الفلسطينية ، و**في الادب الصهيوني** وقد صدر سنة ١٩٦٧ عن مركز الابحاث في منظمة التحــرير الفلسطينية (سلسلــة دراسات فلسطينية رقم ٢٢) .

١٠ ــ شارك في الندوة المشار اليها كل من حليم بركات وغسان كنفاني ويوسف حبشي ألاشقر واميلي نصرالله ونور سلمان .

١١ ــ نقصد بالروايات الفلسطينية الروايات التي تتناول القضية الفلسطينية قبل حزيران وبعده ولا نقصد الروايات التي كتبها فلسطينيون . فكما هو واضح هناك العديد من الكتابات الادبية القصصية تصور جانبا معينا من القضية من تأليف عرب غير فلسطينيين .

دراسة تحليلية لدور القطاعين الخاص والعام في الاقتصاد الاسرائيلي

الدكتور يوسف شبل

الدراسة التالية حول التطور الذي طرأ على حجم القطاعين الخاص والعام في اسرائيل في العشرين سنة الماضية هي جزء من دراسة أعم واشمل ينوي قسم الدراسات الاسرائيلية في مركز الابحاث الفلسطيني القيام بها حول بعض التحولات التي طرأت على مواقف بعض الاحزاب الاسرائيلية في الفترة التي اعقبت حرب الخامس من حزيران . وكما يلاحظ القارىء فان الدراسة اقتصادية بحتة اي انها لم تتطرق الى الجوانب السياسية المحيطة بالقطاع العام والعوامل السياسية التي تؤثر على القرارات الاقتصادية التي تتخذ اثناء توزيع عملية الموارد في هذا القطاع . لذلك فان هذه الدراسة هي جزء فقط من دراسة اشمل للموضوع المشار اليه . اما الاسلوب المتبع في البحث فيهدف الى ربط التطور الذي حصل في كل من القطاعين الخاص والعام الى الاهداف الاقتصادية وطبيعة المشاكل التي رافقت تطور الاقتصاد الاسرائيلي في العشرين سنة الماضية . وهذا الربط من خلال المؤشرات الاحصائية الرئيسية في الاقتصاد الاسرائيلي يتيح للباحث فهم العوامل الرئيسية التي تكمن وراء ازدياد او تقلص حجم كل من القطاعين المشار اليهما على ضوء العوامل الاقتصادية البحتة او العوامل الاقتصادية التي لها علاقة مباشرة بالاستراتيجية السياسية والعسكرية لاسرائيل .

(١)

دور الدولة في النشاط الاقتصادي

بدأت الدولة تلعب دورا متزايدا في تحـريك النشاط الاقتصادي في البلدان التي يتميز نظامها الاقتصادي بملكية خاصة لوسائل الانتاج كاطار لمؤسساتها العاملة ، وعلى جهاز الاسعار كوسيلة لتوزيع الموارد الاقتصادية بين مختلف النشاطات الاقتصادية . وقد ازداد دور الدولة عن طريق ازدياد حجم الموارد المتاحة التي وضعت بتصرف القطاع العام وعن طريق استعمال وسائل السياسة المالية والسياسة النقدية للتأثير على حجم واتجاه النشاط الاقتصادي .

لقد بدأت بذور القطاع العام تنبت بعد « الكساد الكبير » الذي اجتاح الولايات المتحدة في عام ١٩٣٢ بعد ان وصل الاقتصاد الامريكي في نهاية عام ١٩٢٩ الى درجة كبيرة من البحبوحة . وعندما بدأت بوادر الانهيار في هيكل الاقتصاد الامريكي ، بدأ الشك يتسرب الى كثير من الاقتصاديين حول قدرة الاقتصاد الامريكي على خلق حالة عمالة كاملة ، وهو ما كانت تبشر به النظرية الكلاسيكية في الاقتصاد عبر قرن ونصف من الزمن . فقد سقط الاقتصاد الامريكي ضحية لظاهرة جديدة اطلق عليها فيما بعـد « الفقر وسط

الرفاه » . وكان يقصد بهذا التعبير وجود بطالة واسعة النطاق بين افراد القوى العاملة وانخفاض كبير في مستوى الانتاج الوطني رغم وجود المعامل والمؤسسات الانتاجية بوفرة كبيرة .

لقد أدى وجود هذه الظاهرة الى تفاعلات فكرية واسعة بين علماء الاقتصاد تبلورت فيما بعد بظهور النظرية الكينزية في عام ١٩٣٦ . ولكن ما هي الخطوط الرئيسية لهذه النظرية ؟ لقد جاءت النظرية الكينزية لتؤكد ان اي اقتصاد يعمل على اساس ملكية فردية لوسائل الانتاج لا يستقر بالضرورة على مستوى عمالة كاملة بل قد يحقق حالة من التوازن على مستوى أقل بكثير من ذلك المرادف للعمالة الكاملة . وكان الرأي السائد حتى ذلك التاريخ حسب مفهوم النظرية الكلاسيكية ان الاقتصاد اذا ما تركت له حرية التبادل التجاري فانه يستقر على مستوى العمالة الكاملة ، وان اي انحراف عن هذا المستوى سرعان ما يتبدد نتيجة لتفاعل عوامل العرض والطلب أثناء عملية البيع والشراء . وكانت كل ما تشترطه النظرية الكلاسيكية في هذا الصدد ان تكون الاسعار والاجور مرنة صعودا وهبوطا .

يمكن تلخيص النظرية الكينزية بالنقاط الرئيسية التالية : ١ ــ ان مستوى الانتاج والدخل والعمالة يقرره مستوى الاستهلاك ومستوى الاستثمار السائد في الاقتصاد . ٢ ــ مستوى الاستهلاك يقرره الدخل المتوفر للمستهلك والقابلية الحدية للاستهلاك وهي تشير الى النسبة التي تستهلك من كل وحدة اضافية من الدخل. ٣ ــ مستوى الاستثمار يقرره عاملان : الكفاءة الحدية لرأس المال ، وسعر الفائدة . ٤ ــ سعر الفائدة يقرره الطلب على الارصدة النقدية والكتلة النقدية المتوفرة . ٥ ــ ان زيادة حجم الاستثمار بمبلغ معين يؤدي الى زيادة اكبر في الدخل ، بمعنى ان زيادة حجم الاستثمار بليرة واحدة يزيد من الدخل برقم معين . وهذا الرقم تحدده القابليات الحدية لكل من الاستهلاك والادخار والاستيراد والضرائب في اقتصاد ما . وحيث ان الاقتصاد لا يستقر تقريبا على مستوى العمالة الكاملة ، فانه في حالة وجود بطالة وانخفاض في مستوى الانتاج فان القطاع العام مدعو لملء الثغرة عن طريق زيادة تثميراته الكلية لكي يعيد الى الاقتصاد نشاطه ودورة دخله الى سابق مستواها .

هذه هي الخطوط الرئيسية للنظرية الكينزية التي سادت الفكر الاقتصادي لمدة تزيد على الثلاثين عاما اذ أصبحت برنامجا يهتدي به كل نظام اقتصادي يريد الخروج من حالة الركود التي يعيشها . وعندما ظهرت اسرائيل الى الوجود في عام ١٩٤٨ كانت النظرية الكينزية في أوجها وكان أبرز الاقتصاديين مثل باتنكن ، ومايكل برونو ، ودافيد هورويتز من أشد المؤيدين للنظرية الكينزية وبالتالي كانت السياسة الاقتصادية في اسرائيل « كينزية » الاتجاه . غير ان هذا الاجماع الذي حصلت عليه النظرية الكينزية سرعان ما بدأ يتبدد في مطلع الستينات . ففي كثير من البلدان لم تؤد الزيادة في حجم الاستثمار الى زيادة في حجم الدخل كما كان متوقعا بل الى زيادة في مستوى الاسعار أدت الى حدوث تضخم مالي في أكثر من بلد . وقد جاءت هذه الظاهرة بمثابة تحد لمفاهيم النظرية الكينزية اذ وضعتها موضع الشك بالنسبة لكثير من توصياتها وصدق تحليلاتها .

انطلاقا من هذه التطورات ظهرت في الولايات المتحدة ردة فعل ضد النظرية الكينزية تزعمها اقتصادي مرموق اسمه ميلتون فريدمان وهو استاذ الاقتصاد في جامعة شيكاغو .وترتكز دعوة فريدمان على ادعاء مفاده ان الكساد الكبير الذي ضرب الاقتصاد الامريكي في أوائل الثلاثينات لم يسببه ضعف القطاع الخاص ووصوله الى حالة من التشبع ، بل يعود الى فشل السلطات الحكومية في اتباع سياسة نقدية حكيمة اذ عمدت سلطات البنك الاتحادي الى خفض كمية وسائل الدفع بما قيمته ٣٠ ٪ من مجموع النقد المتداول مما أدى الى تردي الاوضاع الاقتصادية وحدوث هبوط كبير في مستويات الدخل

والعمالة والانتاج . وقد بدأت المدرسة المشار اليها تكتسب انصارا عديدين ابتداء من منتصف الخمسينات بحيث اكتسبت الان موقعا لا ينكر في أوساط الفئة الحاكمة في الولايات المتحدة .

ولعله من المفيد ان نوجز الموقف الايديولوجي لهذه المدرسة من خلال تصورها لدور القطاع العام . وقبل ان نوجز النقاط الرئيسية نود التشديد على ان نظرة هذه المدرسة للقطاع العام هي نظرة الحكم الذي يراقب مجرى اللعبة على الساحة الاقتصادية دون ان يتدخل مباشرة في عملية توزيع الموارد باستثناء المشاريع التي لا يقدم القطاع الخاص عليها بسبب الصعوبة في تحديد وتنفيذ الملكية الخاصة والتي تتميز « بوفورات خارجية » Externalities لا يستطيع القطاع الخاص جبايتها .

ان القطاع العام المثالي في نظر هذه المدرسة هو الذي يعمل ضمن الخطوط التالية : ١ — تنفيذ التشريعات التي تكفل حرية المنافسة . ٢ — تمكين القطاع الخاص من ممارسة عملياته الانتاجية والاستهلاكية دون اي عائق . ٣ — الغاء كافة القيود على مستوى الاجور والاسعار والفائدة وجعل قانون العرض والطلب الاساس في عملية توزيع الموارد . ٤ — اطلاق حرية الاستيراد والتصدير والغاء القيود الكمية على الاستيراد . ٥ — الاتجاه نحو التخفيض في انتاج السلع المختلفة وعدم اعطاء اي دعم لسلعة دون غيرها لان ذلك يزيد في عملية تشويش الموارد .

ان أيا من هذه الشروط غير متوفر بالنسبة للقطاع العام في اسرائيل.. فالقطاع المذكور يتدخل تدخلا مباشرا في عملية توزيع الموارد دون ان يترك زمام المبادرة للقطاع الخاص او للمستهلك ان يقرر نوع وحجم السلع التي ستنتج . ويرجع السبب في وجود هذه الظاهرة الى ترابط الوضع السياسي والعسكري مع الاهداف الاقتصادية التي تسعى اسرائيل الى تحقيقها . ولكي تستطيع اسرائيل تنفيذ اهدافها السياسية في البقاء في المنطقة وترسيخ جذورها عن طريق استقدام المزيد من المهاجرين اليهود ، وكذلك تنفيذ أهدافها العسكرية عن طريق وجود جيش حديث مسلح بأحدث المعدات فانه لا بد من ان تلعب الدولة من خلال القطاع العام الدور الاساسي والاكثر اهمية في عملية توزيع الموارد الاقتصادية . وفي مثل هذه الظروف لا يمكن أن تترك السلطات الاسرائيلية للمستهلك أن يقرر نوع وحجم السلع والخدمات المنتجة كما هو الحال في معظم البلدان التي تعتمد الملكية الخاصة لوسائل الانتاج اساسا لنظامها الاقتصادي . ويمكن القول بالنسبة لاسرائيل ان وجود القطاع العام سواء نظرنا اليه من خلال الوكالة اليهودية او الحكومة الاسرائيلية هو **سابق** لوجود القطاع الخاص بالاضافة الى انه كان ولا يزال يرسم الدور والمدى الذي يمكن ان يتحدد او يتقلص من خلالهما القطاع الخاص .

ان هذا التحليل لدور واهمية القطاع العام لا يعني على الاطلاق حدوث تغييرات اساسية في هيكل الاقتصاد الاسرائيلي في العقدين الاخيرين ووضع المزيد من الموارد الاقتصادية في متناول القطاع الخاص خصوصا في القطاع الصناعي ، الا ان القطاع العام ، كما سنرى لاحقا ، ظل ممسكا بالخيوط الاساسية لعملية التحول هذه من خلال المساعدات والاعفاءات وغيرها من الاجراءات المؤسسية التي ظلت تكفل للقطاع العام مراقبة اعمال القطاع الخاص للتأكد من ان القطاعين يعملان لتحقيق الاهداف الرئيسية الاقتصادية . ويمكن تلخيص هذه الاهداف بما يلي: تحقيق معدل مرتفع للنمو الاقتصادي سنويا ، التأكد من عدم حدوث زيادة في مستوى الاسعار تفوق الزيادة في مجمل الناتج الوطني حتى لا يسلب التضخم المالي المكاسب الانتاجية ، واخيرا تحقيق حد ادنى من « الاستقلال الاقتصادي » عن طريق تخفيف الاعتماد على المصادر الخارجية للتمويل وهذا يعني تحسين وضع الميزان التجاري عن طريق سد الثغرة بين الصادرات

والواردات . وقد حاولت اسرائيل دوما ايجاد موقع لها في الاسواق العالمية بسبب اغلاق الاسواق العربية في وجهها .

يقول هورويتز في معرض التحدث عن توزع الناتج القومي الاسرائيلي بين القطاعين العام والخاص ، ان « العلاقة بين القطاعين تكون في بعض الاحيان علاقة تعاون وفي بعض الاحيان متضاربة انما دائما في حالة تنافس »(١). ويقول ايضا ان الظروف الاجتماعية والاقتصادية في اسرائيل هي التي املت وجود قطاعين كبيرين يتقاسمان تقريبا الناتج الوطني . اما التنافس فيشير الى محاولة كل قطاع اجتذاب احسن الموارد البشرية كفاءة وهذا يعتمد على عوامل عديدة منها مستوى الاجور والمنافع الاخرى المرتبطة به مثل الخدمات الطبية والتعليمية والضمان الاجتماعي وغيرها . هذا من جانب العرض اما جانب الطلب فيدخل فيه عوامل عديدة اخرى بعضها متعلق بالانتاجية والبعض الاخر لا علاقة له بها .

ومن الامور المهمة التي يوضحها « ايزنستاد » عن علاقة القطاع العام والقطاع الخاص هو الجانب المتعلق بنوع الحوافز التي تكمن وراء عملية توزيع الموارد الاقتصادية المتاحة لكل قطاع(٢). فمثلا تعتبر العوامل الاقتصادية أهم الحوافز التي تملي قرارات القطاع الخاص على اعتبار ان تحقيق أكبر قدر ممكن من الارباح هو هدف المنتج الذي يعمل في هذا القطاع . وتحقيق هذا الهدف يأتي عن طريق خفض الاكلاف في عملية الانتاج وزيادة العائدات ومثل هذا الامر يتطلب الاسترشاد بالمبادىء الاقتصادية دون غيرها في عملية توظيف عوامل الانتاج وفي عملية التسويق اذا ارادت مؤسسات القطاع الخاص ان تزدهر وتعيش .

اما القطاع العام فانه يأخذ الى جانب عوامل الكفاءة الاقتصادية ، عدة عوامل سياسية واجتماعية في اتخاذ قراراته المتعلقة بعملية توزيع الموارد . فهو بطبيعة تكوينه أقل تأثرا بعوامل المنافسة نظرا لان مشاريعه لا تهدف الى تحقيق الارباح بقدر ما تهدف الى توفير السلع والخدمات الاقتصادية والاجتماعية الضرورية لعملية النمو الاقتصادية . وتدل الدراسات الاختبارية على ان توظيف اليد العاملة في القطاع العام تدخل فيه عوامل شخصية مثل الاتجاه السياسي والوساطات والعوامل العرقية وغيرها . وقبل ان نشرح الاسباب التي تكمن وراء مثل هذا السلوك على ضوء مبادىء النظرية الاقتصادية نورد ما ذكره « ايزنستاد » في كتابه حول العوامل السياسية والاقتصادية التي تتحكم بنوع القرارات المتخذة في كل قطاع . يقول المؤلف : « ... هنالك فروقات اساسية بين التنظيمات الاقتصادية لكل قطاع . ففي الحكومة والهستدروت هنالك تأكيد كبير على السيطرة السياسية والاعتبارات السياسية الداخلية في حين ان هذه العوامل في القطاع الخاص لها دور اقل شأنا . وفي هذا المجال هنالك فروقات بين الحكومة والهستدروت حيث تعتمد الاخيرة اكثر على الرقابة السياسية في الداخل منها على الاعتبارات الاقتصادية . لذلك فان طبيعة التوجه السياسي في الهستدروت تحجب عوامل الربح الاقتصادي لصالح الاعتبارات السياسية الداخلية والخارجية . على ان اتساع نشاط الهستدروت له جانب آخر ، فمع تطور وظهور المشاريع العديدة اصبح المدراء المسؤولون يميلون الى تحقيق استقلال ذاتي والى دفع مصالحهم الشخصية تحت ستار استقلال الدعم السياسي الذي توفره الهستدروت »(٣).

١ — David Horowitz, *The Economics of Israel* (London: Pergamon Press, 1967) p. 39.

٢ — S. N. Eisenstadt, *Israeli Society* (London: Weidenfeld and Nicolson, 1967), p. 104-105.

٣ — *Ibid.*, p. 104

وفي هذا الصدد نورد التحليل التالي الذي أوردته النظرية الاقتصادية عن الاسباب التي تكمن وراء اختلاف سلوك مدراء القطاع العام عن مدراء القطاع الخاص . وهذا التحليل يمكن تطبيقه على اي مستوى من مستويات اتخاذ القرارات في اي مؤسسة : يمكن القول بأن عامل **الربح** هو العامل الاساسي وراء القرارات التي يتخذها مدير ما في القطاع الخاص ، أي انه يحاول زيادة العائدات وتخفيض النفقات لكي يحقق اكبر فرق ممكن بهدف تضخيم ارباحه . وهو في سبيل تحقيق ذلك لا يسترشد بسوى العوامل الاقتصادية البحتة في توظيفه لليد العاملة وشرائه المواد الاولية والمعدات الانتاجية . اما في القطاع العام فان المدير يهدف عادة الى **تعظيم المنفعة** اي مجموعة العوامل المادية وغير المادية . فالى جانب الارباح يولي المدير أهمية خاصة لموضوع السلطة الشخصية، والنفوذ ، والعلاقات الشخصية نظرا لان كفاءته كمدير لا تقاس فقط بما يحققه من ارباح . لذلك نشاهد في معظم الاحيان وجود عناصر من القوى العاملة والوظيفية على قدر ضئيل من الكفاءة يتسلمون مراكز حساسة في الشركات والمؤسسات التي تدار من القطاع العام في ظل اقتصاد مختلط . والمدير في القطاع العام يمارس « عملية استبدال» مستمرة بين العوامل المادية والعوامل غير المادية بشكل يوفر له اقصى منفعة ممكنة . وكلما اشتدت اجواء المنافسة مع شركات اخرى كلما كان الاخذ بالعوامل غير المادية **اكثر تكلفة** . فمثلا نجد الشركات التي تتمتع بوضع احتكاري تحت رقابة الدولة مثل شركات الكهرباء والمياه وبعض السلع الحيوية لا تتقيد كثيراً في قراراتها بالنسبة لمفهوم الكفاءة الاقتصادية نظرا لان هدف الشركة هو تغطية الاكلاف الرئيسية دون محاولة تحقيق اكبر قدر ممكن من الارباح . من هنا نجد ان الجهات المسؤولة عن هذا النوع من المشاريع تقوم بتوظيف اليد العاملة على ضوء عدد من العوامل الى جانب عامل الكفاءة منها الاتجاه السياسي واللون والدين وغيرها من العوامل الاجتماعية والسياسية التي لا ترتبط بمفهوم الكفاءة الاقتصادية . ويمكن تعريف الكفاءة الاقتصادية في الانتاج على انها تهدف الى الحصول على **اقصى انتاجية ممكنة** من عوامل الانتاج المتوفرة ، او **تخفيض** كلفة الانتاج المرادفة الى حجم معين من الانتاج .

وقد اثبتت الدراسات الاختبارية حول هذا الموضوع في قطاع الشركات في الولايات المتحدة ان التمييز العنصري والديني والسياسي في توظيف اليد العاملة موجود في الشركات الاحتكارية سواء التي تعمل في ظل القطاع العام او الخاص بينما هو يكاد يكون معدوما في الشركات التي تعمل في ظل منافسة قوية . فالمدير الذي يريد ان يشبع منفعته الشخصية عن طريق توظيف أولئك الذين يدينون بمذهب سياسي او ايديولوجي او عرقي او حتى ديني معين سيجد ان تحقيق هذه الاشياء لها كلفة اقتصادية قد تؤدي الى خسارة المؤسسة التي يديرها . وتزداد قيمة هذه الكلفة كلما ازدادت حدة المنافسة بين المؤسسات التي تنتج سلعا متماثلة .

(٢)

الفرضية ومنهج البحث

القصد من دراسة دور القطاع الخاص والدور الذي لعبه في تحقيق المنجزات الاقتصادية في اسرائيل هو معرفة الاثر الذي تركه على التركيب البنيوي للاقتصاد الاسرائيلي من ناحية توطئة لمعرفة الاثر الذي تركه على تركيب وايديولوجية الاحزاب الاسرائيلية وتحولها في الفترة الاخيرة نحو مواقف سياسية تتسم بشيء من اليمينية . ويمكن الاسترشاد بمؤشرات عديدة لمعرفة حجم القطاع الخاص ونسبة مساهمته في النشاط الاقتصادي . والى جانب المؤشرات لا بد من سرد أهم القوانين التي صدرت بهدف زيادة دور القطاع الخاص . وتهدف هذه التشريعات الى خلق جو اكثر ملاءمة مما يسهل توسيع نشاط القطاع المذكور . وتشمل هذه التشريعات عادة تسهيلات اجرائية ،

واعفاءات جمركية واعطاء منح مالية مباشرة ، واتباع سياسة دعم الاسعار بالنسبة لبعض السلع حتى يمكن انتاجها بكميات وافرة وبأكلاف منخفضة . والهدف من وراء جميع هذه الاجراءات هو التأثير على عملية توزيع الموارد في الاقتصاد الاسرائيلي بحيث تتجه صوب القطاع او القطاعات التي تريد الحكومة تشجيعها لتحقيق هدف اقتصادي معين . وتلعب المساعدات الحكومية دورا هاما في جعل بعض المشاريع ممكنة التنفيذ من الوجهة الاقتصادية نظرا لصغر السوق المحلي وندرة عوامل الانتاج في اسرائيل .

لذلك فاننا سنسترشد بالمؤشرات التالية لمعرفة الحجم النسبي للقطاع الخاص : ا ــ التغيير الهيكلي الذي طرأ على الاقتصاد الاسرائيلي من خلال تفحص نسبة مساهمة كل قطاع الى مجمل الناتج الوطني في العشرين سنة الاخيرة . ب ــ نسبة الاجور والرواتب الى مجمل البند المذكور ، اي الدخل القومي بالمقارنة الى عوائد عوامل الانتاج الاخرى وتوزع القوى العاملة في اسرائيل بين مختلف القطاعات. ج ــ نسبة حجم راس المال المستثمر في القطاع الخاص الى حجم الاستثمارات الكلية في الاقتصاد الاسرائيلي . د ــ التغير النوعي الذي طرأ على نوع الاستثمار واتجاهه اكثر فأكثر صوب الاستثمارات الانتاجية المباشرة بدلا من صرفها على ما يسمى بالتجهيزات الفوقية Infrastructure هـ ــ الملامح الرئيسية لما ستكون عليه السياسة الاقتصادية في السنوات العشر القادمة . ومثل هذا الاستطلاع مفيد لمعرفة التوزيع المرتقب لعوامل الانتاج في اسرائيل. و ــ توزع القوى العاملة في اسرائيل بين مختلف قطاعات الاقتصاد الاسرائيلي والتغير النسبي الذي طرأ على نمط التوزيع . وفي هذا المجال يمكن ربط حجم القوى العاملة في كل قطاع على حدة الى القيمة المضافة Value Added لكل قطاع ، اي مساهمة كل قطاع في حجم الناتج الوطني . ز ــ نسبة الميزانية العامة للدولة بشقيها **العادي والانمائي** الى مجمل الناتج الوطني والموارد المتاحة للاقتصاد الاسرائيلي في العشرين سنة الماضية مع ملاحظة اي تغير طرأ على ابواب الميزانية .

ان اي تغيير قد طرأ على حجم كل من القطاع الخاص والقطاع العام في اسرائيل في العشرين سنة الاخيرة لا بد وانه قد انعكس من خلال بعض او جميع المؤشرات المشار اليها وان كان من الصعب احيانا رسم خط فاصل بين القطاعين . فهنالك عدد من المشاريع المختلطة بين القطاعين التي ساهم بها راس المال الخاص بالمؤازرة مع اموال الدولة وخصوصا في قطاع الصناعة والنقل . كما ان هنالك حالات عديدة قام فيهما القطاع الخاص باستثمار الموارد المتاحة له بتشجيع من القطاع العام . وهذا التشجيع قد يأخذ اشكالا متعددة منها الاعفاءات الجمركية والحسومات الضرائبية والمساعدات النقدية المباشرة وغيرها من اشكال المساعدات . لذلك فان المؤشرات المعتمدة في هذه الحالة لا تعكس الوضع الدقيق لحجم كل من القطاعين . ولا نبالغ اذا قلنا ان حجم القطاع الخاص ظل في الحدود التي رسمتها الدولة له ، وان ازدياد الموارد الاقتصادية التي اصبحت في حوزته هو نتاج مباشر للسياسة الاقتصادية التي رسمتها الدولة في مطلع الستينات والتي كانت تهدف الى دفع عجلة التصنيع وخلق حوافز انتاجية في القطاع المذكور .

بالاضافة الى تحليل المؤشرات السالفة الذكر لا بد من دراسة التطورات الهيكلية المرتقبة للاقتصاد الاسرائيلي خلال فترة السبعينات حتى نهاية العقد الحالي في عام ١٩٨٠ . اذ ان مثل هذا التحليل يكشف لنا الطريقة التي ستتوزع فيها الموارد الاقتصادية في اسرائيل مستقبلا . ولا بد من تأكيد الحقيقه العلمية التالية : ان الاهداف الاقتصادية والسياسية والعسكرية التي رسمتها اسرائيل لنفسها داخل البلاد وفي المنطقة لا يمكن تنفيذها دون تآزر القطاعين الخاص والعام سواء نظرنا اليها من حيث حجم الموارد التي يجب ان تتوافر او من حيث المستوى التكنولوجي والتقني المطلوب على مستوى اليد

العاملة لجعل تنفيذ هذه الاهداف ممكنا .

وبما ان الاهداف السياسية والعسكرية تحتل المرتبة الاولى من حيث اهميتها نظرا لارتباطها بوجود اسرائيل نفسه فان الاهداف الاقتصادية المرسومة تصبح جزءا لا يتجزأ من استراتيجية اسرائيل الشاملة في المنطقة التي تقوم الحكومة الاسرائيلية بتنفيذها . من هنا فان الدور المرسوم للقطاع العام يجمع بين المشاركة والمراقبة في عملية مسح وتوزيع موارد اسرائيل المتاحة من مصادر داخلية وخارجية بين مختلف النشاطات الاقتصادية .

هنالك اربعة اهداف اقتصادية رئيسية ثابرت عليها الحكومة الاسرائيلية في العقدين الاخيرين وان كان الاهتمام ينصب على هدف اكثر من غيره في فترات زمنية مختلفة . وهذه الاهداف هي : **اولا** : تحقيق معدل النمو الاقتصادي في حدود ١٠٪ سنويا بالاسعار الثابتة . اي ان الزيادة **الحقيقية** في مستوى الناتج الوطني تساوي ١٠٪ بينما الزيادة النقدية تفوق ذلك والفرق بين الاثنين يمثل الارتفاع في مستوى الاسعار العام . **ثانيا** : استيعاب كافة المهاجرين وتوفير فرص العمل لهم حسب كفاءاتهم وقدراتهم الانتاجية . **ثالثا** : تحقيق اكبر قدر ممكن من الاستقلال الاقتصادي ، وهو ما اصطلح البعض على تسميته « بالاكتفاء الذاتي » . ورغم انه من الصعب علميا تحديد ماهية « الاكتفاء الذاتي » نظرا لارتفاع مستوى المعيشة ورغبة الجمهور في الحصول على المزيد من السلع الاستهلاكية والانتاجية ، فان اسرائيل كانت تضع مقاييس معينة للوصول الى هذا الهدف مثل اعتماد نسبة معينة في الصادرات الى الواردات او تحديد العجز في الميزان التجاري بمبلغ معين . **رابعا** : تقديم خدمات عامة على نطاق واسع لجميع المواطنين .

الى جانب هذه الاهداف كانت السلطات الاسرائيلية تحاول دوما منع مستوى الاسعار من الازدياد بنسبة تفوق الزيادة في الناتج الوطني ، كما انها كانت تحاول دوما تعزيز القدرة التنافسية للسلع الاسرائيلية في الاسواق العالمية . لذلك فان اي دراسة تحليلية لدور كل من القطاعين الخاص والعام في اسرائيل لا يمكن فصلها عن الاهداف الاقتصادية . فهذه القطاعات هي الاطار المؤسسي الذي تعمل من خلاله وسائل الانتاج المختلفة في اسرائيل .

(٣)
استعراض تاريخي للاقتصاد الاسرائيلي

من اجل الالمام بكافة التطورات الاقتصادية التي مر بها الاقتصاد الاسرائيلي في العشرين سنة الاخيرة وبالتالي تحديد الدور الذي لعبه كل من القطاع الخاص والقطاع العام ، فانه من الضروري أن نستعرض الفترات الرئيسية التي مر بها الاقتصاد المذكور ونوع المشاكل التي واجهها ودور كل قطاع في حل هذه المشكلات . وان المتتبع لسير الاقتصاد الاسرائيلي على ضوء اهدافه ، وامكانياته ومشاكله يمكن ان يقسم الفترة التي مضت من عمره الى خمس فترات رئيسية هي على الوجه التالي : ١ — فترة التقشف الاقتصادي ما بين عامي ١٩٤٨ — ١٩٥٢ . ٢ — فترة النمو السريع ما بين عامي ١٩٥٣ — ١٩٥٩ . ٣ — فترة الاندماج في الاسواق العالمية وتوجيه مزيد من الموارد صوب القطاع الصناعي خلال الفترة ما بين ١٩٦٠ — ١٩٦٤ . ٤ — فترة الركود الاقتصادي ما بين ١٩٦٥ — ١٩٦٧ حيث ظهرت مشاكل البطالة . ٥ — فترة ما بعد الخامس من حزيران من عام ١٩٦٧ ، وهي فترة تميزت بنمو سريع لقطاع الدفاع والتسلح اذ وصلت اعتمادات وزارة الدفاع الى ارقام قياسية لم تبلغها من قبل حيث بلغت حوالي ٢٥٪ من مجمل الناتج القومي .

وخلال هذه الفترات المتعاقبة كان دور القطاع العام يتحدد وينكمش تبعا للظروف

السياسية والاقتصادية داخل اسرائيل وفي المنطقة بأسرها . وسيلاحظ القارىء من خلال تفحص دور القطاعين الخاص والعام لكل مرحلة زمنية من المراحل الخمس ان دور كل قطاع كان يتحدد على ضوء الاهداف السياسية والعسكرية والاقتصادية لكل مرحلة .
وقد اثبت الاقتصاد الاسرائيلي قدرته على التكيف من خلال المؤسسات السياسية والاقتصادية القائمة لمواجهة كافة المشاكل الطارئة التي واجهها وهي ميزة قل ان يشاهدها المراقب في البلدان النامية وفي حالات نادرة في البلدان المتقدمة اقتصاديا .
ولا شك ان طبيعة نشأة الاقتصاد الاسرائيلي قد ساهمت الى حد بعيد في خلق هذا التكيف بالاضافة الى استعداد المواطن الاسرائيلي لتقبل التغيير اذا كان في مصلحة الاهداف التي يعمل من اجلها . وقبل ان نستوفي كل مرحلة نورد الجدول التالي الذي يبين نسبة الميزانية العامة للدولة الى مجمل الناتج الوطني بالاسعار الجارية خلال الفترة ١٩٤٩ — ١٩٧٠ .

حجم الميزانية للناتج الوطني

(١٩٤٩ — ١٩٧٠)

السنة المالية	الناتج الوطني (الاسعار الجارية) (مليون)	الميزانيةبالاسعارالجارية (مليون)	النسبةالمئوية
٥٠/١٩٤٩	٤٧٥	٩٤	١٩،٨
٥١/١٩٥٠	٦٩٠	١٤٩	٢١،٦
٥٢/١٩٥١	١٠٦٣	٢٠٩	١٩،٧
٥٣/١٩٥٢	١٣٤٩	٢٨٧	٢١،٣
٥٤/١٩٥٣	١٨٢٩	٣٩٦	٢١،٧
٥٥/١٩٥٤	٢١١٤	٦٣٥	٣٠،٠
٥٦/١٩٥٥	٢٥٤٣	٨١٦	٣٢،٠
٥٧/١٩٥٦	٣١٠٣	١٠٤٩	٣٣،٨
٥٨/١٩٥٧	٣٥٣٠	١١٣٢	٣٢،١
٥٩/١٩٥٨	٣٩٥٤	١٢٩٨	٣٢،٨
٦٠/١٩٥٩	٤٥٦٥	١٥١٤	٣٣،٢
٦١/١٩٦٠	٥٤٧٩	١٧٢٨	٣١،٥
٦٢/١٩٦١	٦٥٨٦	٢٢٧١	٣٤،٤
٦٣/١٩٦٢	٧٩٥٥	٢٤٧٦	٣١،١
٦٤/١٩٦٣	٩٦٥٢	٣٦١٣	٣٣،٦
٦٥/١٩٦٤	١٠٩٣٣	٣٦٧٦	٣٣،٦
٦٦/١٩٦٥	١١٨٦٣	٤٣٩٧	٣٧،٠
٦٧/١٩٦٦	١١٩٣٤	٤٨٥٥	٤٠،٨
٦٨/١٩٦٧	١٢١٢٧	٦٥١٦	٥٣،٧
٦٩/١٩٦٨	١٤٢٩٣	٦٣٦٢	٤٤،٥
٧٠/١٩٦٩	١٦٤٢١	٧٨٥٠	٤٧،٨

Source : *Statistical Bulletin* and *Quarterly Economic Review Annual Supplement, 1971.*

ان تصنيف التاريخ الاقتصادي لاسرائيل حسب المراحل المشار اليها يرتبط الى حد بعيد بالاهداف الاقتصادية للاقتصاد الاسرائيلي من ناحية وبباقي الاهداف السياسية

والعسكرية والاجتماعية التي قامت على اساسها اسرائيل والتي سعت الى تحقيقها في العشرين سنة الماضية . كما انها تعكس مدى ارتباط الاقتصاد الاسرائيلي بمصادر المعونة الخارجية ومصادر التسويق في كل من اوروبا وافريقية والولايات المتحدة . ويلاحظ في تصنيف المراحل على الشكل الذي اوردناه ان كل مرحلة تمثل اما تحولا اساسيا في طبيعة الاهداف الاقتصادية التي تسعى اسرائيل الى تحقيقها او نتيجة لعوامل سياسية وعسكرية املت عملية التحويل فيما بعد .

وهنا لا بد من ايضاح نقطة هامة وهي ان هذا التصنيف هو الاكثر فائدة فيما يتعلق بالموضوع الذي نحن في صدده وهو الحجم النسبي لكل من القطاعين العام والخاص والدور القيادي الذي لعبه كل قطاع ، في حين ان هذا التصنيف قد لا يكون الاكثر فائدة لو كان الموضوع المطروح على بساط البحث غير الموضوع الذي نحن في صدده . فالموضوع الذي نعالجه له صفة « مرقبية » macro-nature بمعنى انه مرتبط الى حد بعيد بالمؤشرات الرئيسية للاقتصاد الاسرائيلي كمستوى العمالة والنمو الاقتصادي وحجم المساعدات الخارجية ، واستقراء هذه المؤشرات يتطلب تقسيم الفترة الزمنية موضع الدراسة الى مراحل متعددة حتى يمكن ربط التطورات بطريقة منطقية وسلسة. ان الملاحظة التي يستطيع ان يكونها الباحث من استعراض المراحل المختلفة هو ان اسرائيل كانت تمارس عملية مبادلة مستمرة بين جملة اهدافها الاقتصادية عن طريق التركيز على هدف اكثر من غيره ولكن دون ان تسقط من حسابها أيا من الاهداف الرئيسية التي رسمتها لنفسها منذ ظهور اسرائيل ، كما انه يلاحظ ان القطاع العام رغم التقلص النسبي في بعض الفترات في حجم الموارد المتوفرة له ظل يلعب الدور الرئيسي من حيث تصميم السياسة الاقتصادية ورسم معالمها الاساسية . وهذه الظاهرة عكس ما نشاهده في اقتصاديات البلدان النامية التي تتميز بملكية خاصة لوسائل الانتاج . ففي معظم هذه البلدان يقوم القطاع الخاص بدور الرائد والمرشد في عملية توزيع الموارد الاقتصادية بين مختلف النشاطات في حين يقوم القطاع العام بدور المساندة والتشجيع واحيانا في التثمير المباشر غير ان المنحى الرئيسي يظل يتقرر بواسطة القطاع الخاص . اما في اسرائيل فان طبيعة تكوينها ونشأتها والظروف السياسية والاقتصادية والعسكرية التي رافقت انشاء الدولة وكذلك الاهداف البعيدة للحركة الصهيونية كل هذه العوامل اعطت القطاع العام وزنا وثقلا سواء في عملية توزيع الموارد او في رسم معالم الاقتصاد الاسرائيلي لم يتوفر لاي قطاع عام في اي بلد آخر .

ولا بد من ايضاح نقطة اخرى وهي ان القطاع العام في اسرائيل قد يمتد ليشمل السلطات المحلية والبلديات والهستدروت وقد يتقلص لكي يقتصر على الحكومة المركزية واجهزتها التنفيذية خصوصا التي تتمثل بالميزانية العامة للدولة بشقيها العادي والانمائي . ولقد آثرنا ان نعرف القطاع العام بنطاقه الضيق في هذه الدراسة نظرا لان مثل هذا التعريف يأخذ بعين الاعتبار ان الجهة التي تتخذ قرارات توظيف الموارد وتوزيعها بين مختلف قطاعات الاقتصاد تتركز في اجهزة الحكومة المركزية والتي تعمل بوحي سياسة محددة في حين ان تعريف القطاع العام بشكل موسع يزيد من عدد العوامل المتغيرة وبالتالي يصعب على الباحث ربط الاحداث والتطورات بطريقة منطقية . وعلى اي حال فان الجزء الرئيسي من الموارد العامة هو في متناول وحوزة الحكومة المركزية لذلك فان استثناء البلديات والسلطات المحلية لن يغير من النتائج التي توصلت اليها الدراسة .

وفيما يلي عرض لكل من المراحل الخمس وحجم كل من القطاعين اثناء كل مرحلة على ضوء الاهداف والمشاكل والتحديات التي واجهت كل مرحلة على حدة .

فترة التقشف الاقتصادي ١٩٤٨ — ١٩٥٢

لعب القطاع العام في اسرائيل دورا رئيسيا في تحريك وتحديد مستوى ونـوع النشاط الاقتصادي في اسرائيل خلال فترة التقشف الاقتصادي ما بـين عام ١٩٤٨ و ١٩٥٢ . فقد تميزت تلك الفترة بتدفق عدد هائل من المهاجرين الى اسرائيل بعد توقيع اتفاقيات الهدنة بين الدول العربية واسرائيل في نهاية عام ١٩٤٨ ومطلع عام ١٩٤٩ . وكان على القطاع العام ان يوفر المأكل والمسكن والعمل لهؤلاء المهاجرين الذين وفدوا من بلـدان مختلفة والذين كانت مهاراتهم الفردية في العمل تتفاوت بدرجة كبيرة . ولم يكن امتصاص المهاجرين الجدد العمل الاساسي الوحيد للقطاع العام . فقد كان عليه ايجاد المؤسسات التي سيرتكز عليها النظام الاقتصادي في اسرائيل وتشمل المؤسسات المالية والنقديـة والقطع الاجنبي . وبما ان معظـم المهاجرين لم يكونوا في حالـة مادية حسنة فقد وقع عبء ايجاد الطعام والمأوى لهم لحين عثورهم على عمل . وقد اضطـرت الحكومة الى تقنين الاغذية الضرورية والعملات الاجنبية . وكان القصد من ذلك توفير حد أدنى من الاستهلاك لكـافة السكان . أمـا الوظيفة الثانية التي قام بها القطاع العام فهي توفير الاستثمارات الضرورية لامتصاص اعداد المهاجرين . وقد تركز معظم الاستثمار في تلك الحقبة من الزمن في توسيـع المستوطنـات الزراعية ومرافق الاسكـان . وكـانت المستوطنات الزراعية تشكل المجال الحيوي لامتصاص المهاجرين نظرا لتوفر الاراضي الزراعية التي تخص النازحين العرب وضرورة التوسـع في الانتاج الزراعي لاطعـام المهاجرين واخيرا الرغبة في خلق ترابط وثيق بين المستوطنين والارض الزراعية .

وخلاصة القول فان نوع المشاكل الاقتصادية والاجتماعية وحدتها أدى الى تدخل القطاع العام على نطاق واسـع . ويقول باتنكن ان القطاع العام قام بتنفيـذ الدور المرسوم له على مستويات عديدة منها المساهمة في عملية الانماء مباشرة عن طريـق التثميرات في بناء الطرق والري وغيرها من المشاريع وكذلك في اعطاء معونات مباشرة وغير مباشرة الى القطاع الخاص بحيث وصلت الى ذروتها في عام ١٩٥٤ حين بلغت ٨٠٪ من مجموع الاستثمار الكلي(٤) . ويقول « ايزنستاد » ان ظهور اسرائيل قد اوجد قطاعا عاما يختلف تماما عما كـان عليه الوضـع في فترة الانتداب . فالاهـداف الاقتصادية والسياسية لاسرائيل تختلف تماما عن اهداف وسياسة حكومة الانتداب حيث لم يكن للقطاع العام سوى دور ثانوي صغير . ويمكن تقسيم القطاع العام حسب رأي ايزنستاد الى الاقسام الرئيسية التالية : أ — المشاريع التي أوجدت لخدمة الحكومة نفسها . ب — المشاريع التي تهدف الى ايجاد الخدمات الاقتصادية في البلاد والى ادارة ممتلكـات الغائبين من العرب . وهذه المشاريع لهـا ميزانيات مستقلة تمامـا عن الميزانية العامة للدولة . ج — التعاونيات الحكومية التي تعمل كشركات حكومية مستقلة حيث تملـك الحكومة جزءا من اسهمها . د — الهيئات الاخـرى المستقلة كالمؤسسة العامة للتأمين وادارة الموانىء والمطارات وغيرها .

وفي عام ١٩٦٠ مثلا بلغ عدد الموظفين في القطاع الحكومي حوالي ٥٨،٠٠٠ وهو يوازي ٨٪ من مجموع القوى العاملة . ولا يدخل في هذا الرقم العمال المؤقتون وعمال البلدية والقوات المسلحة .

ان الدور المتزايد للقطاع العام في عملية توزيع الموارد الاقتصادية في الاقتصاد الاسرائيلي جاء نتيجة لوجود مشاكل رئيسية يمكن تلخيصها بمـا يلي : **اولا** : امتصاص المهاجرين القادمين من بلدان مختلفة وبدرجات متفاوتة من المهارات المكتسبـة ، وايجـاد فرص

٤ — Don Patinkin, *The Israeli Economy: The First Decade* (Jerusalem: Falk Project Publications, 1960), p. 85.

عمل لهم مع توفير الخدمات الاجتماعية من صحية وتعليمية وغيرها . **ثانيا** : محـــاولة تحقيق نوع من الاستقلال الاقتصادي بغيـــة تحقيق الاعتمــــاد على مصادر التمويـــل الخارجية . على انه يمكن القول بأن هذه المشكلة لم تكن في نفس المـــدة التي اصبحت عليها الان . **ثالثا** : احداث تغيير تكنولوجي في قاعدة الاقتصاد الاسرائيلي يمهد لعملية الانطلاق نحو نمو اقتصادي سريع . وهذا الدور يخصص عادة للقطاع العام نظرا لان هنالك عددا مـــن المشـــاريع الحيوية التي لا يقدم القطاع الخاص على التثمير فيها اما لانخفاض المردود المادي لها او بسبب الصعوبة في تحديد وحماية الملكية الخاصة في مثل هذه المشاريع .

ويورد باتنكن في هذا المجال مجموعة من الاحصاءات خـــلال الفترة المشار اليها تثبت اهمية الدور الذي لعبه القطاع العام . فقد بلغ معدل مساهمة القطاع المذكور في عملية التكوين الراسمالي حوالي ٤٥٪ كما بلغت جملة القروض الممنوحة من القطاع المذكور حوالي ٥١٪ من جملة القروض الممنوحة الى الاقتصاد الاسرائيلي . وفي هذا المجـــال يورد باتنكن الملاحظـــة الهامة التالية : « ان حصة الاستثمارات الحكومية التي نفذت من خلال القطاع العام ارتفعت في عام ١٩٥٢ الى عام ١٩٥٦ ولكنها ما لبثت ان بدات تتناقص بعد ذلك التاريخ . وفي نفس الوقت بدات الاستثمارات المباشرة التي كـــانت تشرف عليها الحكومة في التناقص ايضا . وبالمقارنة مع ذلك فان نسبة مساهمة القطاع الخاص كانت تزداد دوما باستمرار»(٥).

ويتابع باتنكن تحليله مؤكدا ان دور القطـــاع العام بـــدأ يتحول تدريجيا صـــوب منح المساعدات والقروض الى القطاع الخاص مفسحا بذلك المجال امام القطاع المذكور لكي يساهم في عملية الانماء . والهدف من تقديم هذه المساعدات هو خلـــق حوافز مشجعة لدى المنتجين لكي يزيدوا من سرعة انتاجهم لمواجهة الزيادة الكبيرة في السكان ولايجـــاد فائض يمكن تصديره الى الاسواق العالمية . وحتى ذلك التاريخ لم يكن القطاع الصناعي قـــد تطور الى درجة كبيرة كمـــا حدث في فترة الستينـــات . والمعروف انـــه في فترة الخمسينات اتجهت السياسة الاقتصادية في اسرائيـــل نحو تنمية القطـــاع الزراعي . وخلال فترة من الزمن لا تزيد على العشر سنوات ازداد الانتاج اربعة اضعاف ووصلت رقعة الارض الزراعية الى اربعة ملايين دونم (هذه المساحة لا تزيـــد كثيرا عن مثيلتها ايام الانتداب) والاراضي المروية الى ١٫٣ مليـــون دونم ووجهت استثمارات مكثفة الى الري والالات والمعدات الزراعية كما ازداد عدد المستوطنات الزراعية الى ٧٣٠ وعدد الوحدات الزراعية الى ٨٠ الفا . وفي جميع هذه المراحل لعب القطاع العام دورا قياديا في هذا المجال حيث كان القطاع الزراعي يشكل المجال الحيوي لاستيعـــاب المهاجرين الجدد وتوفير فرص العمل لهم .

وفي احدى الدراسات حول توزيع الناتج القومي بين المؤسسات الانتاجيـــة المختلفة في عام ١٩٥٣ اتضح ان حـــوالي ٥٥٪ من صافي الناتج الوطني جاء عن طريـــق القطاع الخاص ، وان ٢٠٪ جاء عـــن طريق الهستدروت والـــ ٢٥٪ الباقية مـــن باقي اجهزة القطاع العام . غير ان هذه النسب هي معدلات لمختلف القطاعات اذ ان القطاع العام كان سائدا في قطاعات الزراعة والنقل ومواد البناء بينما سيطر القطاع الخاص على التجارة والصناعة في حين ان الخدمات العامة مثل الكهرباء والماء كان يخضع معظمها للقطـــاع العام .

٢ ـــ فترة النمو السريع ١٩٥٣ ـــ ١٩٥٩

ظـــل القطاع العـــام محافظا على دوره القيادي خـــلال ست السنوات التي تلت فترة

٥ — *Ibid.*, p. 88

التقشف ، وان كانت نسبة مساهمته المباشرة قد بدأت في الانخفاض كما سبق.واكـدنا ذلك . وكان هدفه في هذه المرحلة تخفيض حجم البطالة وتحقيق نمو سريع . ولما كانت الميزانية العامـة بشقيهـا العادي والاستثنائي (اي الميزانية الانمائية) هي من اكثر الوسائل فاعلية في التأثير على النشاط الاقتصادي ، فقد وقع العبء الاساسي عـلى القطاع العام لتحقيق المعطيات التي تكفل حدوث نمو اقتصادي سريع . فقد أستمرت الحكومة في بناء التجهيـزات الاساسية للاقتصاد الاسرائيلي فبـدأت في شق الطرق ، وانشاء المطارات ومد الكهرباء ووسائل الري الى جميع انحاء اسرائيل .

وقد بدأت الحكومة في اتباع سياسة ديمغرافية جديدة تهدف الى توزيع السكـان بين مختلف انحـاء البلاد لاسباب سياسيـة وعسكرية محددة تتعلق بالوضع العسكـري والسياسي بين اسرائيل والبلدان العربية . فالمعروف ان معظم السكان اليهود كـانوا يقطنون الشريط الساحلي الضيق والممتد بين حيفا وتل ابيب . لذلـك قررت الحكومة تشجيع الاستيطان في النقب واماكن متفرقة من الجليل الاعلى خصوصا الحدود الملاصقة لسوريا ولبنان . لذلك ظل القطاع العام مسيطرا على معظم التثميرات في قطاع السكن والخدمات الصحية والتعليمية الضرورية لتنشيط هذه المناطق .

وخلال هذه الفترة بدأ قطاع الزراعة على ضوء موارد المياه المتاحة يتعرض اكثر فأكثر الى « قانون الغلة المتناقصة » ، وبدأ القطـاع الصناعي بالتالي يلعب دورا متزايدا في ايجاد فرص عمل للمهاجرين خصوصا في المناطق التي بدأ توطينهم فيها . وازاء المعطيات الجديدة لحجم الموارد الزراعية بدأ التفكير جديا في تنفيذ مشروع نهر الاردن وتحويـل روافده لري مساحات اضافية جديدة وجعلها صالحة للزراعة . وكـان العمل قد تأخر قليلا عن موعده بسبب محاولة الولايات المتحدة حل الموضوع عن طريق اقناع العرب باقتسام مياه نهر الاردن على اساس مشروع « جونستون » وهو المشروع الذي رفضته الدول العربية آنذاك . وعندما تعثرت المفاوضات سارعت اسرائيل الى انجاز المشروع بسرعة واستطاعت اتمام التحويل نهائيا في عام ١٩٦٤ .

والجدول رقم (١) يلخص توزع صافي الناتج المحلي في اسرائيل بين القطاعين الخـاص والعام مع افراد الهستدروت كبند مستقل خلال الفترة ما بين ١٩٥٣ ـــ ١٩٦٠ .

جدول رقم (١)

صافي الناتج المحلي حسب القطاع

(نسبة مئوية)

السنة	(١) القطاع العام	(٢) الهستدروت	(٣) مجمل القطاع العام	(٤) القطاع الخاص	(٥) المجموع
١٩٥٣	١٩،٤	١٨،٠	٣٧،٤	٦٢،٦	١٠٠،٠
١٩٥٧	٢٠،٩	٢٠،٦	٤١،٥	٥٨،٨	١٠٠،٠
١٩٥٨	٢٠،٠	٢٠،٠	٤٠،٠	٦٠،٠	١٠٠،٠
١٩٥٩	٢١،٦	٢٠،٣	٤١،٩	٥٨،١	١٠٠،٠
١٩٦٠	٢١،١	٢٠،٤	٤١،٥	٥٨،٥	١٠٠،٠

Source : Halevi and Malul, *The Economic Development of Israel* (New York: Praeger, 1968), p. 113.

وهنالك تساؤل عما اذا كان من الممكن زيادة التثميرات عن طريق القطاع الخاص اكثر مما كانت بالفعل . ويجيب باتنكن على هـذا التساؤل بقوله بأن معظـم الموارد التي كانت بحوزة القطاع العام لم تأت من الضرائب المفروضة على القطـاع الخاص او عن

طريق تحويل الموارد الاقتصادية من القطاع الخاص الى القطاع العام ، وانما حصلت على هذه الموارد من مصادر لم يكن بأمكان القطاع الخاص الوصول اليها . وهذه المصادر تشمل المساعدات من حكومة الولايات المتحدة الامريكية ، والقروض من بنك الاستيراد والتصدير الامريكي والتعويضات الالمانية . وهنالك شك ايضا بالنسبة لقدرة القطاع الخاص في بيع سندات الحكومة الاسرائيلية في الخارج ، لذلك يمكن اعتبار مصدر التمويل هذا نتيجة لجهود القطاع العام دون غيره . لذلك يؤكد « باتنكن » أن **احد أسباب** اقدام القطاع العام على ممارسة الاستثمار المباشر هو طبيعة مصادر التمويل وانه من غير الممكن ان تحل الرساميل المتدفقة من الخارج مكان المساعدات والتعويضات التي حصلت عليها الحكومة الاسرائيلية . لذلك عندما بدات الحكومة الاسرائيلية في تشجيع الاستثمارات الاجنبية في اسرائيل انما كانت تنظر الى ذلك اليوم الذي ستخف فيه المساعدات الحكومية الى اسرائيل وستنتهي فيه التعويضات من المانيا الغربية . ففي هذه الحالة لا بد من توفير مصادر مالية بديلة اذا ارادت الحكومة الاسرائيلية الحفاظ على معدل مرتفع للنمو الاقتصادي وعلى تقديم خدمات اقتصادية واجتماعية واسعة النطاق .

تشجيع الاستثمار في القطاع الخاص

ان حجم الاهداف الاقتصادية التي وضعتها الحكومة الاسرائيلية والتي تتلخص في امتصاص المهاجرين ، وزيادة الطاقة الانتاجية للاقتصاد وتخفيف الاعتماد على مصادر التمويل الخارجي ورفع مستوى المعيشة دعا الحكومة الى محاولة تشجيع الاستثمار بواسطة القطاع الخاص . ومن اجل تحقيق هذا الهدف تم اصدار قانون تشجيع الاستثمار في آذار من عام ١٩٥٠ . وقد جاء في مذلكة المرسوم المشار اليه ان هدف القانون هو تشجيع قدوم رؤوس الاموال الى اسرائيل وتحريك المدخرات المحلية للتوجه نحو القطاع الصناعي بقصد تحسين وزيادة الطاقة الانتاجية للبلاد وتحسين وضع ميزان المدفوعات وامتصاص مزيد من المهاجرين .

وقد تم ادخال تعديلات عديدة على القانون المشار اليه وكان اولها في عام ١٩٥٥ . وكانت التعديلات تهدف الى زيادة معدل العائد في بعض الصناعات التصديرية القديمة والحديثة بحيث تبدأ الصناعات القائمة في التوسع وزيادة طاقتها الانتاجية فيما تبدأ صناعات جديدة في الظهور في نفس الوقت .

ووضعت الحكومة جداول مختلفة عن معدلات المساعدات التي ستحظى بها المؤسسات التي تتمتع بمثل هذه المساعدات . والجدول التالي يبين حجم المساعدة الممنوحة معبرا عنه بنسب مئوية من مجمل الاستثمار في الموجودات الثابتة .

الجدول رقم (٢)

المنح والمساعدات كنسبة مئوية من الاستثمار

نوع الاستثمار	مناطق النقب والجليل الشمالي والشرقي	شمال النقب وغربي الجليل	مناطق اخرى
المعدات والآلات	٣٣٤٣٪	٢٥٪	٢٠٤٠٪
البناء وتطوير المناطق	٢٠٤٠٪	١٥٪	١٠٤٠٪

Source : Economic Planning Authority, *Israel Economic Development* (Jerusalem, March 1968), p. 113.

أما القروض فانها تختلف باختلاف المنطقة التي سينشأ فيها الاستثمار حسب الجدول التالي :

الجدول رقم (٣)

	المنطقة أ	المنطقة ب	بقية المناطق
القرض كنسبة مئوية من الموجودات الثابتة	٪٥٥،٠	٪٥٠،٠	٪٤٥،٠
معدل الفائدة	٪٦،٥	٪٨،٠	٪١٠،٠
الحد الاقصى للمنح والقروض كنسب مئوية من الاستثمار الثابت	٪٨٠،٠	٪٧٠،٠	٪٦٠،٠

Source : *Ibid.*, p. 114.

كما شملت المساعدات تخفيض ضريبة الدخل من ٥٣،٥٪ الى ٢٨٪ للسنوات الخمس الاولى التي تظهر فيها المؤسسة ارباحا مع اعفاء كامل من رسوم الجمارك وضريبة المشتريات وبقية الالات والمعدات وادوات البناء المستعملة في المشروع .

وخص القانون راس المال الاجنبي بمساعدات كثيرة اهمها السماح لاصحاب المصانع بتحويل ارباحهم الى الخارج . كما قررت الحكومة تقديم قروض **اضافية** عن طريق المصارف التجارية الى المؤسسات الصناعية التي تثبت كفاءة في الانتاج . وتصل هذه القروض الى ٥٠٪ من رأس مالها العامل بفائدة قدرها ٩٪ ، اما الصناعات التي تصدر انتاجها الى الخارج فان الفائدة هي في حدود ٦٪ .

والسؤال الذي قد يتبادر الى الاذهان هو : ما علاقة قانون تشجيع الصناعة بدور وحجم القطاع العام او القطاع الخاص . والرد على ذلك هو ان هذه الاجراءات تساعد على تحول الموارد الاقتصادية والانتاجية نحو القطاع الخاص والقطاع الصناعي على وجه التحديد باشراف القطاع العام . وهذا يؤكد ما ذكرناه سابقا من ان هنالك تحولا كبيرا في كمية الموارد الاقتصادية صوب القطاع الخاص وان كانت المؤشرات الاحصائية لا تبين بوضوح مثل هذا الاتجاه . والسبب في ذلك هو ان القطاع العام بقي قادرا على ايجاد مصادر تمويل خاصة به مكنته من متابعة نشاطه في قطاعات اخرى خارج القطاع الصناعي وقطاع الخدمات .

ولكي نوضح دور القانون المشار اليه في تحويل مزيد من الموارد الاقتصادية الى القطاع الصناعي نذكر انه في عام ١٩٦٣ حددت الحكومة مقاييس جديدة لمنح المساعدات والقروض المبينة في الجداول اعلاه على النحو التالي : ١ — لا يسمح بانشاء صناعات جديدة الا اذا كانت هذه المؤسسات قادرة على تصدير ٥٠٪ من انتاجها او انها شيدت في المناطق التي تريد الحكومة الاسرائيلية تطويرها . ٢ — بالنسبة للصناعات القائمة لا تمنح المساعدات الا اذا كانت تنوي هذه المؤسسات زيادة طاقتها الانتاجية بما لا يقل عن ٥٠٪ على ان تكون نصف الزيادة المقترحة مخصصة لتصدير سلع الى الخارج . وعلى اثر الكساد الذي حصل في اسرائيل في عام ١٩٦٥ — ١٩٦٧ قامت الحكومة باجراء تعديلات اضافية على قانون الاستثمار بقصد تشجيع الاستثمار في الصناعة وقطاع السياحة خصوصا الفنادق . وتراوحت المساعدات الجديدة بين اعفاءات ضرائبية وبين اعطاء منح نقدية مباشرة للصناعة فقط . ولعله من المفيد ان نورد الاحصائيات التالية حول كمية الاموال المستثمرة في مختلف قطاعات الاقتصاد الاسرائيلي خلال الفترة ما بين ١٩٥٠ — ١٩٦٧ ، اي حتى حرب الخامس من حزيران لانها توضح اثر التشريعات التي اصدرتها الحكومة الاسرائيلية على عملية توزيع الموارد في اسرائيل .

ان الجدول المشار اليه يوضح النقص الذي حصل في قطاع الزراعة ، والزيادة الكبيرة في قطاعي الصناعة والاسكان .

الجدول رقم (٤)

توزيع الاستثمارات بين القطاعات المختلفة

(مليون ليرة اسرائيلية)

	١٩٥٠—٥٤	١٩٥٥—٥٩	١٩٦٠—٦٤	١٩٦٥—٦٧
الزراعة	٦٢٨	١٠٦٥	٨٩٤	٤٢٨
المياه والري	٤٠٥	٢٦٦	٥٢٦	٢١٩
الصناعة	١٠٥٥	١١٩٢	٢١٢١	١٠٩١
الكهرباء	١٧٨	٤٤٠	٣٤٦	٢٩٢
النقل	٦٢٦	٨٧٤	١٩١٢	١٤٨٥
السياحة	١٧١	١٦١	٤٢١	٢٧٣
الخدمات العامة	٣٩٥	٨٠٠	١٦٢٠	١٣١٦
السكن	٢١٩٨	٢٤٢١	٣٧٤٨	٢٢٧٦

Source : Economic Planning Authority, *Israel Economic Development* (Jerusalem, March 1968), p. 101.

واذا ما نظرنا الى الفترة ١٩٥٠ — ١٩٦٧ كوحدة زمنية فاننا نجد ان مجمل الاستثمارات في الموجودات الثابتة قد توزعت بين القطاع الخاص والقطاع العام على النحو التالي :

الجدول رقم (٥)

توزيع الاستثمار (باستثناء قطاع السكن)

(بالنسبة المئوية)

	١٩٥٢	١٩٥٤	١٩٥٨	١٩٦٠	١٩٦٢	١٩٦٤	١٩٦٦
القطاع العام	٣٤	٥٠	٤٥	٤١	٤٨	٤٣	٤١
القطاع الخاص	٦٦	٥٠	٥٥	٥٩	٥٢	٥٧	٥٩
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

Source : *Ibid.*, p. 103.

يبدو من الجدول اعلاه ان حصة القطاع العام وصلت الى ذروتها في عام ١٩٥٤ ثم ما لبثت ان بدأت في الهبوط (باستثناء عام ١٩٦٢) حتى وصلت الى ٤١٪ . بينما ارتفعت نسبة مساهمة القطاع الخاص ١٩٪ بين عام ١٩٥٤ — ١٩٦٦ . اما اذا نظرنا الى جملة الاستثمارات بما فيها قطاع السكن فان ازدياد دور القطاع الخاص يصبح اكثر وضوحا كما هو مبين في الجدول السادس :

الجدول رقم (٦)

توزيع استثمارات قطاع السكن

	١٩٥٥	١٩٦٠	١٩٦٥	١٩٦٧	المعدل* ١٩٥٥—١٩٦٧
القطاع العام	٤٢	٤٠	٣٦	٣٠	٤٤
القطاع الخاص	٥٨	٦٠	٦٤	٧٠	٥٦
	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

Source : *Ibid.*, p. 103.

* المعدل هنا يشير الى الفترة الزمنية **باكملها** وليست للسنوات المذكورة في الجدول فقط .

ان تراجع دور القطاع العام يبدو واضحا فقد هبط بمعدل ١٢٪ خلال عشرة اعوام بينما ارتفعت نسبة مساهمة القطاع الخاص من ٥٨٪ الى ٧٠٪ ، فاذا ما أخذنا بعين الاعتبار ان معظم التثميرات توجهت الى قطاعي الصناعة والسكن لاتضح لنا الاهمية المتزايدة التي بدأ القطاع الخاص يمارسها في عملية الانماء .

٣ ـ فترة العمالة الكاملة والتوجه نحو التصنيع ١٩٦٠ ـ ١٩٦٤

ابتداء من عام ١٩٦٠ كان الاقتصاد الاسرائيلي قد وصل الى حالة من النضوج بحيث لم يعد للقطاع العام دور رئيسي في عملية توزيع الموارد مباشرة اذ ان موجات الهجرة من الخارج بدأت بالانحسار كما أن معظم الاستثمارات الرئيسية كانت قد اكتملت وكان اخرها مشروع تحويل نهر الاردن الذي انتهى العمل فيه عام ١٩٦٤ حيث تم ضخ المياه عند مصب البحيرة للبطوف ثم جنوبا لري مساحات جديدة من الاراضي الزراعية . وخلال هذه الحقبة من الزمن كان على اسرائيل ان تقوى قاعدتها الصناعية حتى تستطيع اختراق السوق الاوروبية المشتركة . ففي غياب المجال الحيوي للسلع الاسرائيلية وهي الاسواق العربية بطبيعة الحال ، فان السوق الاوروبيـة ظلت محتفظة بالمكان الاهم كمصدر لتسويق السلع الاسرائيلية لذلك اتجهت السياسة الاقتصادية في اسرائيل نحو تشجيع الصناعات التي تتمتع « بميزة نسبية » في انتاجها معتمدة في ذلك على تكنولوجية متقدمة ، وعمال على مستوى رفيع من المهارة وكثافة في المعدات والالات الانتاجية . فقد رفعت التكتلات الاقتصادية التي بدأت تظهر في العالم ، الاقتصاد الاسرائيلي نحو التخصص في انتاج بعض السلع التي تستطيع المنافسة في الاسواق العالمية . والمعروف ان ضيق السوق المحلية ، وارتفاع نفقات الشحن الى الاسواق العالمية ، وعدم وجود انتاج وفير يساعد على تخصيص كلفة الانتاج قد وضع الاقتصاد الاسرائيلي في مأزق صعب .

وهنا لا بد من التاكيد بأن الجهود التي بذلتها اسرائيل لاختراق اسواق اسيا وافريقية والنجاح الذي خصصته في هذا السبيل في اكثر من بلد افريقي لم يكن كافيا لكي يجعل اسرائيل في غنى عن الاسواق الاوروبية والامريكية فقد ظل القسم الاكبر من تجارة اسرائيل الخارجية مرتبطا بهذه الاسواق . ازاء هذه المعطيات لم يكن هنالك مفر من دعم وتشجيع القطاع الخاص في اسرائيل خصوصا القطاع الصناعي اذ ان هذا القطاع أقدر من غيره على الالتزام بمقاييس الكفاءة الاقتصادية نظرا لوجود المعطيات الاساسية لعملية التصنيع مثل الالات والمعدات والعمال المهرة . كما ان العوامل غير الاقتصادية لا تدخل في حساب القطاع الخاص فهو مدفوع اولا واخيرا نحو تحقيق اكبر قدر ممكن من الارباح . لذلك بدأ القطاع العام يلعب دورا يختلف تماما عن الدور الذي لعبه في فترة الخمسينات اذ اصبحت مهمته توفير الاجواء الملائمة والتسهيلات الضرائبية والجمركية والمالية الضرورية لتطوير القطاع الصناعي ولايجاد سلع صناعية برسم التصدير الى الاسواق الاوروبية والامريكية . وكما سبق لنا أن أكدنا سابقا ان تناوب الادوار قد تم من خلال تنسيق كامل بين القطاعين .

وقد مهدت الحكومة الاسرائيلية لهذا الدور في فبراير من عام ١٩٦٢ عندما اعلنت السياسة الاقتصادية الجديدة والتي شملت تخفيض قيمة الليرة الاسرائيلية من ١٫٨٠ الى ٣٫٠٠ ليرات لكل دولار ، كما حددت طبيعة المساعدة التي ستقدمها للصناعة بحيث جعلتها مالية اكثر منها ادارية بحيث اعتمدت تقديم مساعدات مالية للمؤسسات القادرة على التصدير الى الاسواق العالمية .

ولا شك ان تقلص دور القطاع العام عن الدور القيادي الذي لعبه خلال فترة الخمسينات جاء نتيجة لعوامل عديدة اهمها اكتمال الاستثمارات الفوقية من طرق ومدارس

ومستشفيات وشبكات مياه ومحطات كهرباء وغيرها من الخدمـــات العامة الى جانب ظهور التكتلات الاقتصادية والحواجز الجمركية التي زادت من عزلة اسرائيل اقتصاديا. على أن التوجه صوب القطاع الصناعي أملته اعتبارات اقتصادية عديدة تتلخص فيمـــا يلي : **اولا** : وصول القطـــاع الزراعي الى درجة من الاستثمـــار المكثف تقرب من حد الاشباع ، بحيث لم يعد من الممكن تحقيق قفزات كبيرة في انتاجيته . فالمعروف ان القفزة الاخيرة تمت في عام ١٩٦٤ عندما انتهت اسرائيل من تحويل مجـــرى نهر الاردن بحيث استطاعت ري مساحات اضافية في صحراء النقب وزيادة الانتاج على الاراضي المزروعة منذ أمد . **ثانيا** : النقص في اليد العاملة الذي بدأ يتعرض له القطـــاع الزراعي بسبب ارتفاع مستوى الاجور وعدم حاجة القطاع المذكور الى مهارات عالية كما بدأ قطـــاع البناء يعاني من نفس المشكلة . **ثالثا** : ظهور السوق الاوروبية المشتركة الامر الـــذي هدد الميزان التجاري الاسرائيلي بأوخم العواقب . ومنذ اللحظـــة الاولى لاعلان ظهور السوق المشتركة بدأت اسرائيل حملة سياسية واعلامية بمساعدة الولايات المتحـــدة لاقناع دول السوق بمنح السلع الاسرائيلية معاملة خاصة حتى تستطيع اختراق الجدار الجمركي الـــذي فرضته دول السوق على تجارة الـــدول غير الاعضاء . وكـــان هدف اسرائيل قبولهـــا كعضو مشارك له نفس الامتيازات التي حصلت عليها بعض الـــدول الافريقية التي كانت مرتبطة ببعض البلدان الاوروبية .

ويقول هورويتز في هـــذا الموضوع « ان هـــذا العصر هو عصر التكتلات والوحـــدات الاقتصادية لذلك لا يستطيع شعب ما ان يعيش منعزلا . وهذا هو السبب في محـــاولة اسرائيل بناء جسر فوق السوق الاوروبية المشتركة . وهنالك مشكلة اخرى تواجههـــا اسرائيل وهي نوع البنية الاقتصادية والاجتماعية في اسرائيـــل والتي تظهر فروقـــات واضحة بين اجزائها . فالقطاعـــات الحكومية والتعاونية والخاصة تعيش في اقتصاد يتوجه نحو اهداف وطنية محددة . ثم يقول في مكان اخر ان هـــذه الظاهرة تتميز بهـــا اسرائيل اذ انه من النادر ان نجد قطاعا عماليـــا تعاونيا بحجم الهستدروت وحتى اذا وجد فانه ذو حجم ضئيل(٦).

وفي هذا المجال نورد توزيع القوى العاملة في مطلع الستينات بين القطاع العام والقطاع الخاص والهستدروت واهمية هذا التوزيع أنه بالاضافة الى التغيير النسبي الذي حصل على حجم التثميرات في كل قطاع فانه يوضح تماما عملية التحول التي طرأت على حجم الموارد وتوزعها بين قطاعات الاقتصاد المختلفة .

الجدول رقم (٧)

القوى العاملة موزعة بين القطاعين (نسب مئوية) لعام ١٩٥٩

القطاعات	(١) القطاع العام	(٢) الهستدروت	(١ + ٢) مجموع القطاع العام	القطاع الخاص	المجموع
الزراعة	١،٤	٤٧،٦	٤٩،٠	٥١،٠	١٠٠،٠
الصناعة	٢،٤	١٧،٥	١٩،٩	٨٠،١	١٠٠،٠
البناء	٦،٣	٢٦،٦	٢٩،٩	٦٧،١	١٠٠،٠
الخدمات العامة	١٠٠،٠	—	—	١٠٠،٠	١٠٠،٠
النقل والمواصلات	٣٢،٤	٢٢،٣	٥٤،٧	٤٥،٣	١٠٠،٠
المصارف	٣٠،٤	١٥،٧	٤٦،١	٥٣،٩	١٠٠،٠
جميع القطاعات	١٧،٦	٢٢،٦	٤٠،٢	٥٩،٨	١٠٠،٠

Source : David Horowitz, *Ibid.*, p. 40.

٦ — David Horowitz, *Ibid.*, p. 38.

٤ ــ فترة الكساد الاقتصادي ١٩٦٥ ــ ١٩٦٧

في منتصف العام ١٩٦٥ بدأ الاقتصاد الاسرائيلي يعزز اثارا انكماشية اذ ان قدرة هذا الاقتصاد على امتصاص حجم كبير من التثميرات بدأت في الهبوط وان كان جزء من ذلك هو نتيجة لسياسة اقتصادية معتمدة . ويلاحظ في هذا الصدد ان هذه الاثار الانكماشية ظهرت في وقت بلغ العجز النقدي في الميزانية العامة حوالي ٤٠٠ مليون ليرة اسرائيلية اقترضتها الحكومة من البنك المركزي في اسرائيل . وتعتبر هذه اسوأ ظاهرة يقع فيها اقتصاد ما فعندما تجتمع سياسة « الانفاق بعجز » مع الركود الاقتصادي فان ذلك يعني حدوث خلل اساسي في هيكل الاقتصاد المذكور . وقد وقع القطاع العام في اسرائيل في مأزق ، فهو لا يستطيع زيادة حجم التثميرات في قطاعات الاقتصاد خوفا من حدوث آثار تضخمية (اي ارتفاع كبير في مستوى الاسعار والاجور) ومن ناحية ثانية يريد معالجة البطالة بين القوى العاملة في اسرائيل لان لها ذيولا سياسية واجتماعية خطيرة. ولم يستطع القطاع العام من خلال السياسة المالية (اي التلاعب بحجم الانفاق ومستوى الضرائب) وكذلك السياسة النقدية (التلاعب بكمية النقود المتوافرة) من أن يخرج الاقتصاد الاسرائيلي من ورطته فقد بقيت المشكلة الاساسية في ايجاد فرص عمل للعاطلين عن العمل في ظل اجور مرتفعة نسبيا ولا تعكس باي حال الندرة النسبية لعوامل الانتاج . ازاء هذا الوضع لم تجد الحكومة الاسرائيلية طريقة سوى تحقيق زيادة كبيرة في رأس المال الموظف توازي الزيادة في حجم اليد العاملة ، وهذا الاجراء بدوره لن يكون الا اذا اعتمد الانتاجية مقياسا له . من هنا قررت الحكومة تشجيع القطاع الخاص في اسرائيل على توجيه المزيد من الاستثمارات نحو الصناعات التصديرية .

وقررت لذلك سلسلة من الاجراءات تتلخص بما يلي : ١ ــ توزيع القطع الاجنبي لاستيراد المعدات والآلات الانتاجية بأسعار صرف منخفضة . ٢ ــ توفير قروض طويلة الاجل وبفائدة منخفضة . ٣ ــ منح اعانات تصدير حسب جداول مقررة .

وكان المنطق وراء اعتماد هذه الاجراءات هو مجابهة نفقات الاجور المرتفعة في الاقتصاد بنفقات راسمالية منخفضة . ومثل هذا الاجراء ضروري لمجابهة الحالة الشاذة التي أوجدتها مطالبة الهستدروت بأجور لا تعكس الحقيقة الاقتصادية الماثلة وهي ان اليد العاملة وهي أكثر عوامل الانتاج غزارة تتقاضى أجورا كما لو انها نادرة ومستحيلة ؛ حين ان عنصر رأس المال وهو العنصر الانتاجي الشحيح قد اصبح ارخص عوامل الانتاج .

على ضوء هذا التحليل يمكن الاستنتاج بأن ازدياد دور القطاع الخاص في اسرائيل لم يكن مجرد صدفة وانما هو نتيجة مباشرة لطبيعة المشاكل التي كانت تواجه الاقتصاد الاسرائيلي وبالتالي لطبيعة الحلول التي طرحت لحل هذه المشاكل . ان التوجه والتركيز على الصناعات التصديرية أملته مبادىء التخصص في الانتاج وتحويل الموارد الاقتصادية نحو أكثر المجالات انتاجية في وقت بدأ الاقتصاد الاسرائيلي يعاني من عدم وجود مصادر كافية للمياه وخضوع أكثر الاراضي الزراعية « لقانون الغلة المتناقصة » ، وكذلك انخفاض المهاجرين الجدد ، وبالتالي تقلص الطلب على المأكولات والمنتجات الزراعية ومواد البناء وهي عوامل على جانب كبير من الاهمية لتحريك النشاط الاقتصادي يضاف الى ذلك ازدياد نسبة البطالة المقنعة في قطاع التجارة والخدمات نتيجة لنجاح الهستدروت في الحصول على اجور تفوق الانتاجية الحدية للقوى العاملة . وقد أدى هذا الوضع الى انخفاض حركة انتقال اليد العاملة من قطاعات الاقتصاد ذات المردود المنخفض الى القطاعات ذات المردود المرتفع .

بناء على جميع العوامل المشار اليها اتجهت السياسة الاقتصادية في اسرائيل نحو توسيع دور القطاع الخاص على ان يقوم القطاع العام بدور المراقب والموجه والحكم اذ ان المعطيات الاقتصادية الجديدة لم تعد تسمح له بأن يلعب دوره السابق . غير ان حدوث حرب حزيران ١٩٦٧ لم يسمح بتنفيذ هذه السياسة كليا كما سنرى .

(٤)

فترة ما بعد حرب حزيران ١٩٦٧

لقد رأينا من الانسب ان نفرد فصلا خاصا عن كل من القطاع العام والقطاع الخاص والاتجاه الذي سار فيه كل قطاع فيما يتعلق بالفترة التي بدأت بعد حرب الخامس من حزيران من عام ١٩٦٧ . فقد تغيرت كثير من المعطيات الاقتصادية البشرية والمادية وبالتالي تم تعديل الاهداف الاقتصادية للاقتصاد الاسرائيلي . فبعد ان اتجهت السياسة الاقتصادية نحو تشجيع القطاع الخاص لاستثمار مدخراته في القطاع الصناعي جاءت حرب الخامس من حزيران لتعيد للقطاع العام مركز الثقل في الاقتصاد الاسرائيلي . وتدل الاحصائيات حول هذا الموضوع ان مخصصات الدفاع تساوي وحدها ٢٥ ٪ من مجموع الناتج الوطني و٤٢ ٪ من مجموع الميزانية العامة . ولا يدخل في هذا الرقم الانشاءات الدفاعية في المستعمرات وبناء الملاجيء ونفقات وحدات الحدود وشراء اجهزة الدفاع المدني وغيرها . فاذا ما اضيفت الى جملة المعتمد لوصلت الى حدود ٥٠٪ من الموازنة العامة . ولا يمكن فصل السلع والخدمات التي يمونها القطاع العام وتلك التي يوفرها القطاع الخاص ، اي انه لا يمكن ان ننسب جملة المبلغ المعتمد على انه ينتج في القطاع العام . فمواد البناء والملابس وكثير من الاجهزة الفنية والالكترونية ينتجها القطاع الخاص عن طريق الصناعات المدنية ويقدمها لوزارة الدفاع عن طريق مناقصات كما هو الحال في معظم بلدان العالم . وكان من نتيجة هذا الترابط بين القطاعين ان ازدهرت الصناعات الحربية ومشتقاتها حتى ان بعض الصناعات اضطرت الى تعديل في تصاميمها لكي تنتج بعض المواد التي تدخل في الجهد الحربي .

ولا شك ان زيادة معدلات الضريبة وعقد القروض الداخلية والخارجية قد زاد من حجم الموارد التي تحت تصرف القطاع العام الا ان معظمها ينفق على تمويل الجيش الاسرائيلي وشراء الاسلحة والمعدات له من الخارج . وهذا يعني ان جزءا كبيرا من الانفاق الحكومي لا يدخل « دورة الدخل » داخل الاقتصاد الاسرائيلي واذا دخل فانه يصبح جزءا من دورة الدخل التي يكون القطاع الخاص طرفا فيها . فمثلا عند انشاء خط « بارليف » الذي أقيم على جبهة قناة السويس والذي بلغت تكاليفه ملايين الدولارات انفقت معظم المبالغ المرصودة على شراء الاسمنت والحديد والرادار واجهزة الانذار من شركات اسرائيلية هي جزء من القطاع الخاص .

هذا فيما يختص بنفقات الدفاع ، اما الانفاق على المشاريع الانمائية فانه ينعكس على حجم الطلب على اليد العاملة خلال الفترة ١٩٦٦ — ١٩٧٠ وفيهـا يبدو التركيز على قطاعي الصناعة والنقل اكثر من غيرهما ، في حين ان قطاع الزراعة ثابر على الهبوط النسبي للاسباب التي شرحناها سابقا .

ان الزيادة الكبيرة في النفقات العسكرية لم تغير من أسس السياسة الاقتصادية التي رسمتها الحكومة الاسرائيلية قبل حرب الخامس من حزيران بالنسبة للقطاعات التي تريد اعطاءها الاولوية في عملية التنمية انما الشيء الوحيد الذي حصل هو **انخفاض** الموارد المتاحة لعملية الانماء دون حدوث تغيير اساسي في السياسة الانمائية .

الجدول رقم (٨)

الطلب على اليد العاملة

القطاع	١٩٦٦ ٪	١٩٧١ ٪
الزراعة	١٢،٦	١٠،٨
الصناعة	٢٥،٣	٢٦،٧
البناء	٨،٧	٨،٤
الكهرباء والمياه	٢،١	١،٩
التجارة والقطاع المدني	١٣،٠	١٢،٩
النقل	٦،٦	٧،١
الخدمات العامة	٣١،٧	٣٢،٢
المجموع	١٠٠،٠	١٠٠،٠

Source : Michael Bruno, *Economic Development Problems of Israel 1970-1980*, (Santa Monica, Rand Corporation, 1970).

والجدول التالي يبين نسبة مساهمة الحكومة (اي القطاع العام) في عملية التكوين الرأسمالي خلال الفترة ما بين ١٩٦٥ ــ ١٩٦٩ :

الجدول رقم (٩)

نسبة مساهمة الحكومة في التكوين الرأسمالي

العام	مساهمة الحكومة (ملايين الليرات)	مجموع التكوين الرأسمالي (ملايين الليرات)	النسبة المئوية لحجم القطاع العام
١٩٦٥	٩٨٩	٢٢٤٤	٤٤،١
١٩٦٦	٨٩٧	١٩١٣	٤٦،٨
١٩٦٧	٨٥٢	١٦٢٣	٥٢،٤
١٩٦٨	١٠٧٥	٢٣٢٩	٤٦،١
١٩٦٩	١٣١٩	٢٧٧٦	٤٩،٢

Source : *Statistical Abstract of Israel*, 1965-1970 (Extracted from Various Tables).

ولقد استطاع المسؤولون في اسرائيل ان يستفيدوا الى اقصى حد من توفر اليد العاملة الرخيصة في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة لاجتذاب ما تحتاجه القطاعات الاسرائيلية من هذه القوى العاملة لدفع عجلة الانتاج في قطاعين اساسيين : القطاع الزراعي الذي ظل محتفظا بأهميته رغم التركيز على القطاع الصناعي وقطاع البناء الذي كان أحد الاسباب الرئيسية وراء الركود الاقتصادي الذي ضرب الاقتصاد الاسرائيلي في منتصف عام ١٩٦٥ وحتى بداية حرب حزيران في عام ١٩٦٧ . وهكذا نرى ان حرب حزيران وذيولها السياسية والعسكرية ساهمت في حل بعض مشاكل اسرائيل الاقتصادية اولا من حيث تخفيف حجم البطالة الذي وصل الى ١٠ ٪ من مجموع القوى العاملة في ١٩٦٦ وهو أعلى رقم في تاريخ الاقتصاد الاسرائيلي . وقد كان السبب الرئيسي في تخفيض حجم البطالة يعود الى الانفاق الهائل على التسلح وبناء الاستحكامات وانتاج الاسلحة والذخيرة والمعدات الاليكترونية وغيرها من السلع والخدمات التي يحتاجها الجيش الاسرائيلي ، وثانيا من خلال سد النقص في اليد العاملة في قطاعي الزراعة والبناء عن طريق اجتذاب حوالي (٣٥) الف عامل من قطاع غزة والضفة الغربية .

والسؤال المطروح الان هو أثر هذه التطورات على حجم كل من القطاعين الخاص والعام وعلاقتهما ببعضهما . لقد ظلت السياسة الاقتصادية في اسرائيل رغم العبء الكبير الذي تتركه نفقات التسلح ثابتة بالنسبة لتشجيع القطاع الصناعي خصوصا وان العجز في الميزان التجاري قد بدأ يزداد بنسبة كبيرة . ذلك ان استمرار تشجيع الصناعات التصديرية هو بدون شك احد الوسائل لتخفيض العجز في الميزان المذكور . ومن ناحية أخرى قررت الحكومة تنشيط الصناعات الحربية ومحاولة انتاج معظم ما تحتاجه القوات الاسرائيلية من ذخائر ومهام ومعدات توفيرا لرصيد اسرائيل المتناقص من العملة الصعبة . وتدل المعلومات المتوفرة في هذا الصدد ان اسرائيل ستصبح من الدول المصدرة للاسلحة على نطاق واسع خلال العامين القادمين .

رغم هذه التطورات التي زادت من اهمية القطاع العام في اربع السنوات الماضية فانها لم تحجب الانعطاف الذي حصل في مطلع الستينات نحو مزيد من الاعتماد على القطاع الخاص وبالتالي دعمه بكافة اشكال المساعدة . ومما يؤكد هذه الظاهرة الدراسة التي كتبها الاقتصادي الاسرائيلي «مايكل برونو»(٧) حول الملامح الرئيسية للاقتصاد الاسرائيلي خلال عشر السنوات القادمة والتي افترض بها استمرار الوضع السياسي الراهن على حاله ، أي بقاء الوضع مجمدا بين العرب واسرائيل مع انخفاض نسبي طفيف في حجم الاموال المعتمدة لقطاع الدفاع .

وقبل ان نوضح الملامح الرئيسية لهيكل الاقتصاد الاسرائيلي خلال عشر السنوات القادمة نذكر ان حاكم البنك المركزي في اسرائيل اكد بأن مجموع التثميرات ستصل الى ٦٦ بليون ليرة اسرائيلية خلال الفترة المشار اليها . وهذا الرقم هو ضعف حجم التثميرات التي وجهت الى مختلف قطاعات الاقتصاد خلال الستينات حيث كان نصيب قطاع البناء ٣١ ٪ من المجموع والتجارة ٢٠ ٪ والنقل والمواصلات ٣٠ ٪ والصناعة ١٥ ٪ .

وفي محاولة التنبؤ عما سيكون عليه حجم الناتج الوطني خلال عشر سنوات (١٩٧٠ — ١٩٧٥ — ١٩٨٠) قام برونو باحتساب الناتج الوطني من خلال معادلة مجموع الانفاق في الاقتصاد وهي تساوي الاستهلاك الشخصي + الاستهلاك العام + مجمل الاستثمارات + الصادرات — الواردات على النحو التالي :

الجدول رقم (١٠)

الناتج الوطني ١٩٧٠ — ١٩٨٠

(ملايين الليرات الاسرائيلية : اسعار ١٩٦٨)

	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠
استهلاك شخصي	١١٣٠٨	١٥٨٠١	١٩٨٣٤
استهلاك القطاع العام	٥٤٣٦	٧٩٨٥	٩١٦٣
مجمل الاستثمارات	٤٢٤٢	٥٥٢٥	٧٠٩١
الصادرات	٤٧٤٦	٩٠٩٣	١٧١٧٠
الواردات	٨٣٦٨	١٢٤١٠	١٦٤٥٠
الناتج الوطني	١٧٣٦٤	٢٥٩٩٤	٣٦٨٠٨

Source : *Ibid.*

٧ — Michael Bruno, *Ibid.*

تام « برونو » باحتساب الناتج الوطني على ضوء دالة الانتاج التي كانت سائدة في العشرين سنة الاخيرة . ويقصد « بدالة الانتاج » مجموع الانتاج المتحقق نتيجة لمزج اليد العاملة وراس المال بنسب متفاوتة . وقد أخذ « برونو » بعين الاعتبار مجمل السياسة الاقتصادية في اسرائيل الى جانب العوامل الاقتصادية الرئيسية مثل توفر الموارد ، وحجم السوق المحلي ، وندرة المياه ، وسياسة استيعاب المهاجرين والوضع السياسي والعسكري في المنطقة .

وفيما يلي التغييرات الهيكلية المرتقبة معبرا عنها بنسب مئوية :

الجدول رقم (١١)

التغييرات الهيكلية المرتقبة في الاقتصاد الاسرائيلي

معدلات النمو (نسبة مئوية)

القطاع	١٩٧٠ — ١٩٧٥	١٩٧٥ — ١٩٨٠
الزراعة	٦،٥	٥،٥
الصناعة	١٢،٠	١٠،٠
البناء	٧،٠	٥،٠
النقل	١٠،٠	٩،٠
الخدمات العامة	٥،٠	٥،٠
السكن	٦،٠	٥،٠
التجارة والخدمات	٧،٢	٤،٧

Source : *Ibid.*

تعكس التغييرات المرتقبة في الاقتصاد الاسرائيلي خلال العقد القادم السياسة الاقتصادية الراهنة وهي توجيه مزيد من الموارد صوب قطاع الصناعة والتعدين ، ووصول القطاع الزراعي الى درجة من التشبع والتركيز أكثر على تطوير قطاع النقل لاهداف اقتصادية واستراتيجية معا . وجميع هذه التطورات تضع مزيدا من الاعباء على اكتاف القطاع الخاص نظرا لان معظم وسائل الانتاج في قطاعي الصناعة والنقل محكومة من قبل افراد وشركات ومؤسسات خاصة تعمل بحافز الربح . ويؤكد « برونو » ان الحكومة الاسرائيلية تحاول عن طريق المساعدات المختلفة ان توجد صناعات بديلة للسلع المستوردة من الخارج رغم ان هنالك صعوبات كبيرة في هذا السبيل نظرا الى ان معظم المواد الاولية والمواد الوسيطة غير متوفرة في السوق المحلي ولا بد من استيرادها من الخارج .

والجدول الثاني عشر يبين نسبة الملكية الخاصة الى الملكية العامة في مختلف قطاعات الاقتصاد الاسرائيلي . ورغم أن هذه المعلومات تشير الى فترة الخمسينات فان المعلومات المتوفرة الان تؤكد أنه لم يحصل أي تغيير جذري في وضع الملكية .

كما يبين الجدول ذاته توزع الناتج الوطني بين مختلف القطاعات حسب نوع الملكية . وقد قسم « ايزنستاد » الملكية لوسائل الانتاج بين الهستدروت ، والتعاونيات ، والقطاع الحكومي واخيرا القطاع الخاص . ويبدو في الجدول المشار اليه سيطرة القطاع الخاص على القطاع الصناعي وقطاع الخدمات التجارية في حين ان القطاع العام يسيطر على الخدمات العامة من كهرباء ومياه وغيرها . وبهذه المناسبة نذكر ان هنالك ظاهرة مهمة بالنسبة لتوزيع القوى العاملة في مختلف القطاعات . فقطاع الخدمات والتجارة يمتص حوالي ٤٤،٥ ٪

من مجموع القوى العاملة في اسرائيل في حين ان مجموع ما يمتصه القطاع الزراعي والصناعي معا لا يزيد عن ٣٨ ٪ ، فاذا أخذنا بعين الاعتبار ان قطاع الخدمات والتجارة يساهم بـ ١٩ ٪ من مجموع الناتج الوطني وان القطاعين الزراعي والصناعي يساهمان بـ ٣٠ ٪ من نفس الناتج لاتضح لنا ان هنالك خللا في هيكل الاقتصاد بسبب توزيع رديء للقوى العاملة . لذلك يعاني الاقتصاد الاسرائيلي من بطالة مستترة في قطاع الخدمات قد يكون العامل الاساسي فيه ان مستوى الاجور لا تقرره الانتاجية الحدية وانما القوة التنافسية للعمال في مواجهة اصحاب العمل . وقد خلف ذلك جمودا في حركة انتقال اليد العاملة من القطاعات ذات المردود المنخفض الى القطاعات ذات المردود المرتفع .

الجدول رقم (١٢)

توزيع الناتج الوطني حسب ملكية وسائل الانتاج

(نسب مئوية)

القطاع	الهستدروت	القطاع الحكومي	التعاونيات	القطاع الخاص	
الزراعة	٢،٠	٠،٨	٦٢،٥	٣٥،٧	
الصناعة	١٢،٦	١،٤	٧،٠	٧٩،٠	
البناء	١٨،٩	٩،٥	—	٧١،٦	
الخدمات العامة	—	١٠٠،٠	—	—	
تجارة الجملة	٢٠،٦	١،٢	—	٧٨،٢	
تجارة المفرق	٥،٥	٢،١	٥،٨	٩١،٦	
البنوك وشركات التأمين	٢٠،٣	٣،٥	—	٧٦،٢	
المؤسسات التي لا تعمل للفرع	٨،٨	٩١،٢	—	—	
الاقتصاد بأسره	٧،٨	٢٤،٧	١٣،٦	٥٣،٩	١٠٠،٠

Source : S. N. Eisenstadt, *Ibid.*, p. 90.

(٥)

خلاصة واستنتاجات

يمكن لنا بعد هذا العرض والتحليل لدور القطاع العام والقطاع الخاص في الحياة الاقتصادية في اسرائيل في العقدين الاخيرين [على ضوء عدد من المؤشرات الاحصائية وعلى ضوء مبادىء النظرية الاقتصادية وآخذين بعين الاعتبار الاهداف السياسية والعسكرية والاقتصادية لاسرائيل] ان نخرج باستنتاجات رئيسية قد تساعد على تفهم أية تطورات حدثت في مواقف بعض الاحزاب الاسرائيلية نتيجة لعوامل اقتصادية بحتة وعلى افتراض ثبات العوامل السياسية والاجتماعية الاخرى .

أولا : في الفترة ما بين ١٩٤٨ — ١٩٥٦ قام القطاع العام بالدور الاساسي والحاسم في عملية النمو الاقتصادي وفي تطوير قطاع الزراعة والري وتوفير الخدمات الاقتصادية والاجتماعية لامتصاص الاعداد الكبيرة من المهاجرين الذين وفدوا من مختلف انحاء العالم . وكان من الطبيعي في المراحل الاولى لانشاء اسرائيل أن يتسلم القطاع العام زمام المبادرة في عملية الانماء وتحقيق الاهداف الاقتصادية التي رسمتها الحكومة الاسرائيلية لتلك المرحلة . فاختلاف درجات المهارة المكتسبة ، واختلاف المستويات الصحية والثقافية ، وحاجة الاقتصاد الى الانشاءات الاساسية لكي يستطيع ان ينمي طاقته الانتاجية دفع بالقطاع العام الى مكان الصدارة والتوجيه وحتى النفوذ في الوقت

الذي كان القطاع الخاص يحاول فيه معرفة دوره وحدوده في النمو .

ثانيا : خلال الفترة ما بين ١٩٥٦ — ١٩٥٩ وهي الفترة التي سجل فيها الاقتصاد نموا سريعا بلغ حوالي ١٠ ٪ بالاسعار الثابتة حافظ القطاع العام على دوره الرئيسي في توجيه الاقتصاد اذ أن امتصاص المهاجرين كان لا يزال مستمرا كما ان التعويضات الالمانية التي تسلمتها الحكومة الاسرائيلية مكنت الاخيرة من البدء في تنفيذ مشاريع انمائية على نطاق واسع في قطاعات الزراعة والري والكهرباء والمواصلات . كما ان ذيول حرب سيناء عام ١٩٥٦ والزيادة الكبيرة التي طرأت على حجم الانفاق العسكري كانت لا تزال موجودة .

ثالثا : في بداية فترة الستينات وعلى وجه التحديد خلال الفترة الممتدة ما بين عامي ١٩٦٠ — ١٩٦٥ بدأت السياسة الاقتصادية في اسرائيل تتجه نحو التركيز على تحسين وضع الميزان التجاري بعد ان ايقنت الحكومة الاسرائيلية ان الاعتماد المستمر على المصادر الخارجية للتمويل يعرض الاقتصاد الاسرائيلي الى مشاكل عديدة وهزات لا يمكن السيطرة عليها . يضاف الى ذلك ان الزيادة في كمية وسائل الدفع نتيجة لتراكم الاحتياطي من العملات الصعبة هدد الاقتصاد بذيول تضخمية خطيرة لا يمكن حلها الا بزيادة الواردات او زيادة الانتاج المحلي . وحيث ان زيادة الواردات تزيد من العجز المزمن في الميزان التجاري، فقد استقر رأي الحكومة الاسرائيلية على زيادة الانتاج المحلي وخصوصا السلع القابلة للتصدير . وفي هذا الوقت ظهرت السوق الاوروبية المشتركة التي هددت بانخفاض كبير في حجم الصادرات الاسرائيلية الى دول السوق بسبب ارتفاع التعرفة الجمركية عليها . لذلك قررت السلطات الاسرائيلية تطوير القطاع الصناعي بسرعة ومده بكافة المساعدات المباشرة وغير المباشرة بحيث يصبح هذا القطاع أكثر القطاعات حيوية وانتاجا .

رابعا : خلال الفترة ما بين ١٩٦٥ — ١٩٦٧ وهي الفترة التي سبقت عدوان الخامس من حزيران والتي تميزت بانكماش اقتصادي في قطاعي الزراعة والبناء ، لم يستطع القطاع العام ان يعالج الموضوع بالطرق والوسائل التقليدية وهي زيادة الانفاق العام لتنشيط الدورة الاقتصادية . فقد وقع الاقتصاد فريسة لميزانية عامة تعاني من عجز كبير وانخفاض في مستوى العمالة والانتاج والدخل . ولم تجد الحكومة الاسرائيلية مفرا من دعم القطاع الخاص ليزيد من حجم استثماراته حتى يستطيع امتصاص الفائض من اليد العاملة . والجدير بالذكر ان الانخفاض الذي طرأ على مستويات العمالة والانتاج والدخل كانت نتيجة لسياسة مرسومة في بادىء الأمر ، غير انها ما لبثت ان خرجت عن ارادة وتحكم السلطات الاسرائيلية اذ وصل معدل البطالة الى أعلى مستوى له خلال فترة الخمسة عشر عاما التي مضت على انشاء اسرائيل . وقد ادى فشل السياسة الاقتصادية المرسومة الى قيام تذمرات اجتماعية وعمالية على نطاق واسع .

خامسا : الفترة التي تلت حرب الخامس من حزيران تميزت بسيطرة القطاع العام على مزيد من الموارد الاقتصادية لتمويل العمليات العسكرية وشراء الاسلحة وبناء خطوط دفاعية على مختلف الجبهات العربية . لكن رافق هذه الزيادة ترابط أوثق بين القطاعين الخاص والعام فقد أصبح الاول يمد الثاني بما يحتاجه من سلع وخدمات لتمويل الجهد العسكري في حين قام القطاع الثاني بتوفير كافة المساعدات المباشرة وغير المباشرة لكي يدفع عجلة التصنيع الى الامام . ويبدو ان هذا هو محور السياسة الاقتصادية الاسرائيلية في عشر السنوات القادمة كما يتضح من الدراسة التي اجراها « مايكل برونو » استاذ الاقتصاد في الجامعة العبرية والتي أوردناها بالتفصيل .

بقيت ملاحظة اساسية اخيرة حول هذا الموضوع . ان هذا البحث قد ارتكز اساسا على

المؤشرات الاحصائية والتطورات الاقتصادية والاهداف الاقتصادية التي مر بها وعمل لها الاقتصاد الاسرائيلي خلال العقدين الاخيرين وقد حاولت هـذه الدراسة معرفة التحولات الاساسية التي حصلت بالنسبة لدور القطاعين الخاص والعام واثرهما على مستوى النشاط الاقتصادي . وهذه المعلومات ضرورية ولكنها غير كافية لربط التغيير الذي حصل في كل قطاع واثره على السلوك الايديولوجي والسياسي لبعض الاحزاب الاسرائيلية . فمثل هذه الدراسة تتطلب معرفة أوسع وأكثر تفصيلاً بالنسبة لتركيب « الوحدة التي تتخذ القرارات » في مؤسسات القطاعين الخاص والعام . وليست هنالك معلومات متوفرة لدينا حول هذا الموضوع حتى ان المصادر الاسرائيلية نفسها تقر بأن الدراسات قليلة جدا في هذا الشأن ولا تمكن الباحث من استخراج نتائج موثوقة . ان الاطار النظري الذي أوردناه في القسم الاول والذي يعتمد التمييز بين تعظيم الارباح وتعظيم المنفعة كمقياسين في اتخاذ القرارات في كل من القطاع الخاص والقطاع العام يمكن ان يفسر نوع التوظيف البشري في كل قطاع على ان ذلك يتطلب معرفة تفصيلية بخصائص القوى العاملة في كل قطاع . لذلك يجب اعتبار هذه الدراسة كمدخل الى بحث الموضوع ريثما يتم استكمال الجوانب الاخرى منه .

مجلة اسرائيل

ف. المنصور

في غمرة الاحتفالات الصهيونية التي جرت على نطاق عالمي اثر انتصار اسرائيل في حرب حزيران ، قررت القيادة الصهيونية اصدار مجلة شهرية في الولايات المتحدة باسم مجلة اسرائيل * تتولى الدعاية للدولة اليهودية. لهذه المجلة حشدت المنظمة الصهيونية جميع طاقاتها ، وحرصت على ان يكون الكتاب فيها من ذوي الاسماء الرنانة . فظهر العـدد الاول في ١٩٦٧ (دون تعيين للشهر) تزينه صورة ملونة لفتاة اسرائيلية جميلة ترتـدي البزة العسكرية . وكما سيتوقع القارىء العارف بدرجة الحماس العسكري الذي انتاب الصهاينة في اعقاب حرب حزيران ، فالعدد الاول كان مكرسا « للدفـاع » ، ويتضمن مقالات باقلام نجوم الحرب في اسرائيل ، وبين هؤلاء الجنرال موشي ديان ، وزير الدفاع، والبريغادير جنرال حاييم هيرتزوغ ، رئيس الاستخبارات السابق والمعلق العسكري في اذاعة اسرائيـل ، بالاضافة الى مساهمات من موشي بريليانت ، مراسـل التايمـز اللندنية المقيم في اسرائيـل ، ومن الفيكونت صاموئيـل ، ابن هيربرت صاموئيل ، اول مندوب سام بريطاني في حكومة الانتداب بفلسطين . ولم ينس محررو المجلة الجانـب الثقافي ، فاحتوى العدد على حديث مع عجنون ، الاديب الاسرائيلي الحائز على جائزة نوبل ، وعلى قصة لاسحاق باشيفيز سنغر، من مشاهير كتاب القصة اليهودية في العالم، بالاضافة الى اشعار مترجمة عن العبرية الحديثة . وكانت هناك ايضا اعلانات للويسكي الاسكتلندي وايت ليبل ، ولقهوة ماكسويـل ، ولخطوط العال ، ولسيارات امبريال — كرايزلر ، ثم الصفحة المعهودة التي تدعونا الى زيارة اقليم مارلبرو حيث النكهة الاصلية. كل ذلك لقاء دولار واحد هو سعر المجلـة في الولايات المتحدة ، وثلاث ليرات ونصف سعرها في اسرائيل . وليس هذا السعر مرتفعا اذا ادخلنـا في اعتبارنا فخامة المجلة المتناهية . فالورق الصقيل من افخر الانواع ، والصور الملونة وغير الملونة ممتـازة ، والتبويب والاخراج على اعلى درجة . كل شيء بالمجلة ينبض بالحياة العصرية وعلـى احدث طراز ، فالمنظمة الصهيونية تريد ان تبرز وجه اسرائيل الافضل للناس . ولما كانت التبرعات الامريكية والسندات المباعة لمصلحة اسرائيل غير خاضعة للضرائب ، فلـم التقتير ؟

في صدر العدد الاول نعلم ان مجلة اسرائيل هي ثمرة لجهـود امريكية — اسرائيلية مشتركة . في امريكـا ، مقر مؤسسة النشر هذه يقـع في فيلادلفيا ، وفي اسرائيل بتل ابيب . وهناك ايضا مجلسان للمدراء ، في اسرائيل وامريكا ، ولكن الفرع الامريكي اكبر بكثير . اما رئيس التحرير فهو الصهيوني القديم موريس كار الذي كان سابقا مراسل الجيروساليم بوست في باريس ، تساعده مجموعة من الكتاب واساتذة الجامعـات ، علاوة على موشي بريليانت واسحاق باشيفيز سنغر . ان كلمة الناشر في العـدد الاول هي التقدمة التي تلخص اهداف المجلة . وهي ايضا اللوحة الدعائية التي نجد فيها جميع

---

* Israel Magazine

الخطوط الرئيسية للدعاية الاسرائيلية ، بكل كليشيهاتها وترديداتها القديمة المعهودة .
وفيما يلي عرض لهذه الخطوط العريضة العامة كما تظهر في كلمة الناشر :
١ — ان الحاجة كانت منذ زمن بعيد ملحة لاصدار مثل هذه المجلة . (مغزى ذلك ان اسرائيل كانت حتى ذلك الحين قد اهملت الدعاية لقضيتها) . ٢ — من بين جميع الدول التي حصلت على استقلالها بعد الحرب العالمية الثانية ، ولا دولة نالت اهتماما بقدر ما نالته اسرائيل . (هنا نجد اصداء لنظرية الشعب المختار في صياغة جديدة . فاذا جاز لنا هنا ان نقارن العالم بممارس اليوغا ، فاسرائيل هي بمثابة صرة الرجل ومحور تأملاته في نظر الصهاينة) . ٣ — وعجيب ، كما هو التاريخ اليهودي الذي يرجع الى اربعة الاف عام خلت ، فهذا التاريخ لم يحقق قدرا من الدراما اعظم ، ولا درجة من التراجيديا اعمق ، كما حقق في العهود القريبة . (مزيد من النرجسية وعبادة الذات) .
٤ — . . . صراع الحياة والموت بالنسبة لشعب اسرائيل في حرب الايام الستة. (اسرائيل تعرف جيدا ان حرب حزيران لم تكن مطلقا صراع حياة أو موت بالنسبة لها ، بل كانت حرب غزو واحتلال ، ولكن الستينات في القرن العشرين هي ليست كالستينات في القرن التاسع عشر عندما كان يمكن الافتخار بالغزو والاحتلال) . ٥ — اسرائيل هي البوتقة التي تجمع بين القادم من منطقة جبال الاطلس المتأخرة على الصعيد الحضاري ، وبين خريج هارفرد واوكسفورد . الجميع هم مواطنون متساوو الحقوق في اسرائيل .
(ومعاملة اليهود الشرقيين وكأنهم مواطنون من الدرجة الثانية ؟ ومنظمة الفهود السود ؟ والفلسطينيون الذين يعيشون في ظل الحكم العسكري ؟) . ٦ — اسرائيل هي من ادناها الى اقصاها محطة بحوث ونشاط بشري يساهم في تقدم الانسانية . (خاصة البحوث العلمية لانتاج وتطوير الاسلحة في مصانع اسرائيل) . ٧ — . . . الصحراء التي اصبحت تنبت وتثمر . (هذه هي الكليشيه المعهودة عن فلسطين التي كانت صحراء قاحلة قبل ان « يعود » اليها الشعب المختار ليعمرها) . ٨ — فوق كل شيء ، اسرائيل هي مسقط رأس الاديان التوحيدية الثلاثة ، ارض الحج والسياحة ، حيث تغني بلاد صهيون المزامير . (بعد الدعاية السياسية ، تأتي الدعاية السياحية . ثم ان فلسطين ليست مسقط راس الدين الاسلامي) . ٩ — ليس بالمستغرب اذا كانت اعداد لا تحصى من غير اليهود ، بالاضافة الى الاثني عشر مليون يهودي في الشتات ، ونصفهم امريكيون ، يشعرون باهتمام عميق حيال اسرائيل . ولكن كثيرا ما يكون اهتمامهم مبهما على صعيد الحقائق ، وعابرا على صعيد العواطف . ولـذا فمهمة مجلة اسرائيل ان ترسم لهم صورة حقيقية لاسرائيل . اننا سنذير ظهورنا للدعاية التي من شأنها ان تقدم صورة نموذجية زائفة لاسرائيل ، وسنتفادى توجيه الاتهامات التي يخاض بها من اجل تحقيق الاثارة . اننا لا نحقد على احد . كما ان مجلة اسرائيل هي مشروع صحفي مستقل تماما ، سياسيا وماليا . (في هذه الفقرة نجد تحذيرا مستترا لليهود في «الشتات» الذين يكتفون ببذل العواطف . اي المطلوب هنا هو اكثر من ذلك . ولكن ماذا بالضبط ؟ المزيد من التبرعات ؟ المزيد من التأييد السياسي ؟ الهجرة الى ارض الميعاد ؟ المهم في الوقت الحاضر وكخطوة اولى على صعيد الدعاية هو اعطاء اليهود في الشتات الانطباع بان اهتمامهم المبهم على صعيد الحقائق ، والعابر على صعيد العواطف ليس كافيا .
المطلوب هو التحام اعظم بالدولة الصهيونية . وفعلا نجد في سياق الاعداد القادمة من المجلة تأكيدا قويا على وجوب الهجرة الى ارض الميعاد . اما الذي لا يستطيع « العاليه — الهجرة » في الوقت الحاضر ، فيجب ان يدفع الدية في شكل المزيد من التبرعات والمزيد من التأييد السياسي النشيط . اما زعم رئيس التحرير ان مجلته ستبتعد عن الاسلوب الدعائي ، فهذا مثل قول مارك انتوني في بداية مرثيته ليوليوس قيصر في مسرحية شكسبير الشهيرة ، بانه ليس خطيبا مفوها ولن يحاول التأثير على الجماهير) . ١٠ — سنوجه الأضواء على جانب من جوانب اسرائيل في كل عدد . وسنبدأ بالدفاع . التركيز على

القدس سيأتي في العدد الثاني الذي لاسباب فنية سيظهر في شباط (١٩٦٨) وبعد ذلك ستظهر المجلة كل شهر دون تأخير . اننا لن نفتقر الى المواضيع مطلقا ، فاسرائيل غنية بها . وهذه المجلة تريد ان تكون جسرا بين اسرائيل والشتات .

هذه العبارة الاخيرة تبين لنا ان وظيفة مجلة اسرائيل والدور الذي وضع لها لتؤديه يختلف عن وظيفة شقيقتها نيوميدل ايست . فتلك المجلة الشهرية التي بدأ صدورها بلندن في خريف ١٩٦٨ كان المطلوب منها ان تصبح جسراً — اذا جاز لنا ان نحمل هذا التعبير فوق ما يحتمله — بين النظام الاسرائيلي وشعب فلسطين . كانت بمثابة الجزرة في نهاية الخيط ، مدلاة امام انظار الشعب الفلسطيني ، لاستمالته الى اسرائيل وابعاده عن منظماته المقاومة . ولكن سرعان ما ظهر ان الجسر هو فخ ، فتضاءل تأثير المجلة وقلت اهميتها ، ثم باتت على وشك الانهيار عندما قدم مؤسسها ورئيس تحريرها جون كمشه استقالته من منصبه ، معترفا ضمنيا بفشل النيوميدل ايست في اداء الدور الذي أسند اليها من قبل المنظمة الصهيونية . اما مجلة اسرائيل ، فهدف المنظمة الصهيونية من تأسيسها هو واضح في كلمة العدد الاول الافتتاحية . فالمطلوب منها ان تكون جسرا بين اسرائيل واليهود في الشتات . انها تتوجه الى القارىء الغربي وحده ، ودعايتها ليست للاستهلاك العربي أو الفلسطيني ، وانما للقارىء الغربي ، ولا سيما اذا كان يهوديا .

وفي العدد الاول المكرس للدفاع ، يلقي رئيس التحرير موريس كار خطبته المتوقعة عن حرب حزيران ، وفيها الترديد المعهود عن عظمة المعجزة الاسرائيلية ، ثم لا ينسى ان يعرج على قاعات الغاز النازية ، فيذكر القارىء بالملايين الستة من اليهود الذين اغنوا فيها . واخيرا يصل الكاتب الى اوج الحماس والغضب الحقاني عندما يقول : ان الموقف العربي هو خرق لميثاق الامم المتحدة وللمناقبية في ابسط اصولها ، الى درجة ان حتى الاتحاد السوفياتي نفسه شعر بالحرج . هذه العبارة تبين بجلاء الاسلوب الذي ستتبعه المجلة في اعدادها القادمة ، فالصهيوني الذي تبلغ به الوقاحة المتناهية حد التظاهر بالشعور بالغثيان من جــراء « خرق العرب لميثاق الأمم المتحدة وللاخلاقية في أبسط اصولها»، هذا الرجل لن يرعوي عن ترجمة جميع اساليب هتلر وغوبلز في تشويه الحقائق وقلبها رأسا على عقب ، ليبني اسس دعايته الصهيونية عليها . واخيرا ينهي موريس كار مقاله بالعبارة العبرية : اين بريره ، اي لا مناص ، لا مناص من النصر الاسرائيلي ، لان البديل الوحيد له هو ابادة الشعب اليهودي . بعد هذه الحجة التبريرية التي لا يكاد يخلو منها مقال صهيوني كتب بعد حرب حزيران ، يعين رئيس تحرير المجلة هدف الحرب الاسرائيلية للقارىء : انه السلام بالطبع .

اما صاحب النشيد الرئيسي في العدد الاول فهو طبعا عسكري اسرائيل الاشهر ، موشي ديان ، اذ من يحق لــه التحدث عن « دفاع اسرائيل » اكثــر منه ؟ عنوان المقال هو : السلاح الاعلى ، ومن جملته الافتتاحية : « دولة اسرائيل ولدت في الحرب ... » يعلم القارىء انه مدعو من جديد لخوض غمــار الملحمة الاسرائيلية ، على الاقــل كمستمع معجب طبعا . وكأن عشرات الروايات البطولية من طراز ايكسودس لم تف بالغرض ، يأتي الجنرال ليضيف روايته الجديدة القديمة الى القائمة الطويلة . ومرة اخرى يتضمن مقال بقلم صهيوني احصاء لعدد النفوس العرب في الاقطار العربية ، مع المقارنة طبعا بعدد سكان اسرائيل . النتيجة الحتمية للمقارنة : العرب متفوقون . وهنا يعلم القارىء الخبير بالدعاية الصهيونية ما ينتظره ، فالمقارنة في الحجم والعدد لا يمكن الا ان تكون التمهيد لسرد حكاية الصهاينة المفضلة في التوراة ، حكاية داود وجوليات ، باعتبار ان الحديث عن اسرائيل الجديدة يفتقر لا شك الى نكهته المميزة اذا خلا من ذكر التوراة . وكلنا طبعا نعلم ان التوراة ما هي الا سجل لانتصارات اليهود العسكرية الباهرة ، اذ

من قال انها كتاب دين ؟ اذن فالجنرال ـ المؤرخ مصمم علـى اعادة رواية الاسطورة العتيقة ، اسطورة داود الخفيف التسلح ، السريع المناورة ، الصغير السن والحجم ، الشديد الذكاء والاقدام . وجوليات العملاق الغبي ، الذي لا يستطيع الحركة من ثقل الاسلحة التي يحملها ، والذي يسعى الى حتفه بظلفه . مسكين جوليات ! فما دامت اسرائيل قائمة ، لن يتمكن من الرقاد في قبره بهدوء وراحة !

بعد المرحلة التوراتية ، يطير الجنرال الى عصرنـا الحـاضر ، فيرسم للقارىء صورة حماسية مثيرة للجيل الشاب المحارب في اسرائيل ، الجيل الجديد الذي يشعر بانتمائه الى نخبة الشعب . ولا بأس اذا اخبرنا ديان في نتفة هامشية (متذكرا لا شك ايام كان وزيرا للزراعة) عن ملكة البقر في اسرائيل ، المقيمة في مستعمرة سريد ، التي تمنـح في العام ٣١٢٠ غالونا من اللبن (حتى البقر الاسرائيلي متفوق) . ولا بـأس ايضا اذا تحدث الجنرال الصبرا عن الرواد الذين خلقوا الدولة الجديدة ، فهذا لا ريب سيذكر القارىء الامريكي برواد الغرب الذين ساهموا في خلق ولايات متحـدة جبارة تمتد من المحيط الاطلسي الى المحيط الهادىء ، ملحقين بها اقاليم شاسعة اقتطعت من المكسيك بقوة السلاح . ويستمر ديان في نحت تمثال الشعب المتفوق ، فيضمن مقاله النـادرة التالية : مرة شاهد طائرا كبيرا ، فصوب اليه بندقيته ليصطاده ، فاذا برقيب في الجيش يمس كتفه ويقول له : ماذا تفعل ؟ ان الذي تريد اصطياده هو نسر ، وهو واحـد من ثلاثين نسرا فقط هي كل ما بقي من نسور في اسرائيل . مغزى الحكاية : حتـى الرقيب في اسرائيل يستطيع ان يمنع الجنرال من الاتيان بعمل لا يتفق مع مصلحة البلاد ، كأن يقتل احد نسورها الثلاثين مثلا ، فجيش اسرائيل هـو جيش مواطنين تسودهم روح المساواة التامة . ثم ان العطف على الحيوان والرغبة في حمايته هو شيء يشترك فيه الجميع بالبلاد . ويجب ان نتذكر هنا ان هذا المقال كتب في عهد كثر فيه الحديث بامريكا عن تلويث البيئة وانقراض الحيوانات النادرة ، فلا مانع اذن اذا استعاض الجنرال عن اصطياد النسر باصطياد عصفورين وهميين بحجر واحـد ، باعتبار ان نـادرته تبين المساواة التامة السائدة في جيش الدفاع الاسرائيلي ، من جهة ، ومن الجهة الاخرى ، ففيها الدليل على ان اسرائيل حريصة على الحيوانات النادرة فيها .

وينهي ديان مقاله بفقرة شاعـرية عن النسر الذي يحلـق عاليا في الاجـواء ، وعن الاسرائيلي الذي يراقب طيرانه ، يريد ان يتعلم منه كل شيء ، كيف يحلق وكيف ينقض على فريسته ، لانه هو الاخر محترف مثله تماما ، اي مثل النسر .

بعد هذه الكريشيندو الفاغنرية يتساءل القارىء عما بقي للبريغادير حاييم هيرتزوغ ؟ ولكن هيرتزوغ ، مثله في ذلك مثل ديان الذي يقدمه رئيس التحرير على انه سيد السيف والقلم ، لا يخيب الظن عندما يتحدث في مقاله المعنون « اسرائيل الجديدة » عن الحدود الجديدة ، فيصفها بانها آمنة ، وتضع اسرائيل في مركز استراتيجي متفوق ، وليس في الامكان ابدع مما كان .

بعد نظرة ديان البانورامية الى تاريخ اسرائيل ، من داود اليه ، وتكهنات هيرتزوغ عن العصر الذهبي في الشرق الاوسط الذي سيحل بالمنطقة بعد اعتراف العرب بالدولـة الصهيونية ، يأتي دور موشي بريليانت ليقدم نشيدا اخر : هذه المرة عن المواطنين في البزة العسكرية . فيفتتح مقاله بالنادرة التالية (جعبة الاسرائيليين لا تفرغ من النوادر): طالبة جميلة (في النوادر الاسرائيلية جميع الاسرائيليات جميلات) في الجامعة العبرية تجد في صباح اليوم الذي تلى اعلان الرئيس عبد الناصر اغلاق مضائق تيران رسالـة قصيرة من زميلها في الكلية ، معلقة على باب غرفتها . في هذه الرسالة يخبرها الطالب بانه قد استدعي ، ويطلب منها ان تأخـذ له نسخة كاربونية عن المحاضرات . . . ثم

« سأراك الساعة السادسة بعد الحرب » . ويلي ذلك رقمه ورتبته واسمه وعنوانه: القاهرة .

مغزى القصة : هكذا يذهب الاسرائيلي الى الحرب ، فالجيش الاسرائيلي جيش بدون رسميات او اتيكيت . تم يذكر لنا بريليانت نادرة الهليوكبتر الاسرائيلية التي نفد وقودها ، فهبطت على ظهر حاملة طائرات امريكية تابعة للاسطول الامريكي السادس. الضابط الامريكي المسؤول ، بغضب : كيف تجرؤ على الهبوط على باخرة تابعة لنا ؟ ويجيب الاسرائيلي بابتسامة جذابة ذات خبث محبب : من الجو حسبتها احدى سفننا . وحتى لا يفوت مغزى النكتة على القارىء ، يتبرع راويها باضافة حاشية فحواها ان الاسطول الاسرائيلي كله يمكن وضعه على سطح حاملة طائرات امريكية .

نادرة ثالثة : صحفي يبحث عن عقيد اسرائيلي يعرفه ، فيذكر اسمه في المكتب ، ولكن لا احد ممن يفترض فيهم ان يكونوا زملاء هذا العقيد في الوحدة يبدو انه يعرفه . واخيرا يتضح للصحفي ان العقيد الذي يرغب في ملاقاته معروف من قبل الجميع باسم غير اسمه الحقيقي ، فاسم الدلع الذي ينادي به الجميع هذا الضابط الكبير هو : صرصور . وهناك نوادر اخرى بالمقال تلتقي جميعا في المغزى بأن الجيش الاسرائيلي يتألف من رجال يحاربون كالاسود ، ولكنهم في الاساس مواطنون عاديون ، متواضعون (!) ، دمهم خفيف جدا ، حاضرو البديهة ، سريعو النكتة ، الخ . . الخ . . وكدلالة على ذلك ، تنشر صور الجنود والضباط في اعداد المجلة ، فنجدهم يعتمرون القبعات التكساسية العريضة التي احيانا تميل الى الجانب في زاوية توحي بالتحدي الظريف ، واحيانا تهبط على جباههم وتغطي عيونهم ، بينما تطل من شفاههم السيكار الضخمة . وهناك ايضا صورة لايغال الون في قبعة من هذا النوع ويمتطي حصانا . والمطلوب هنا ان يفسر لنا عالم نفساني لماذا يصر الاسرائيليون على التشبه بالمثل الهوليوودي جون واين في افلامه الويسترن المعروفة .

والمقال الاخر الذي يستحق الاهتمام في العدد الاول هو بقلم الفيكونت صاموئيل ، فيسرد للقارىء قصة حياته التي قضى الشطر الاكبر منها بفلسطين حيث كان ضابطا في الجيش البريطاني ، ثم موظفا بحكومة الانتداب . وقبل ذلك ، يروي بعض تجاربه في انجلتره التي ولد ونشأ فيها ، وكيف كان يعاني من خشونة التلاميذ الانكليز في المدرسة بسبب يهوديته . ولكن سعادته الحقيقية بدات في اسرائيل التي استقر فيها نهائيا ، ما عدا ثلاثة اشهر من كل عام ، يقضيها في بريطانيا ليحضر جلسات مجلس اللوردات بحكم كونه عضوا فيه . ولا ينسى صاموئيل ان يذكر حفيدته الشابة (المولودة في اسرائيل طبعا) والتي تنتظر على احر من الجمر استدعاء الجيش الاسرائيلي لها للخدمة العسكرية فيه . والذي يثير الاهتمام بصفة خاصة في ذكريات صاموئيل ، هو كونه عضوا في الاسرة التشريعية بالدولة البريطانية بالرغم من اقامته الدائمة في اسرائيل ، علما بان لقبه الوراثي سيتيح لابنه بعده ، ولاحفاده ايضا ان يجلسوا في مجلس اللوردات . فهل يا ترى سيسمح هذا المجلس لضباط اسرائيليين ان يكونوا اعضاء به في المستقبل ؟

ويحتوي العدد الاول ايضا على مقال بعنوان مذكرات حرب لرجل غير محارب بقلم رئيس التحرير موريس كار ، ومقال اخر عن سياسة الحافة التي يتبعها الاتحاد السوفياتي في الشرق الاوسط ، على حد رأي الكاتب . ثم يأتي دور الثقافة ، باعتبار ان الاسرائيلي هو مثقف محارب (او لعله محارب مثقف ؟) فتطالع القارىء مجموعة من القصص والاشعار وبعض الفلسفة والفنون . وبعد ذلك يصل الى الصفحة الاخيرة حيث يجد ثلاثة كوبانات للاشتراك ، له ولاصدقائه ، في انتظاره ، مع مناشدة المجلة له بأن : « اسرائيل تحتاج الى كل واحد منكم ، ونحن نحتاج الى اسرائيل والى كل واحد

منا » . وكي يطمئن القارىء الى ان المجلة حائزة على بركات الجهـات العليا ، فهذا الاعلان يتضمن ايضا توصيةبالمجلة من لا اقلشخصيةمن السفيرالاسرائيلي في واشنطن. اما العدد الثاني فيبدأ بمقال بقلم رئيس التحرير موريس كار عنوانه : خيانة ديغـول لنفسه . ولما كان كار هو مراسل الجيروساليم بوست السابـق في باريس ، فهـو في موقف يسمح له بان ينبىء القارىء بان ديغول لم يكن ابدا معاديا للسامية (وكأن كـل منتقد لاسرائيل هو معاد للسامية) ، ولكن كار سرعان ما يفقد اعصابه ، عندما يستبد به الحقد على فرنسا في جملة عرضية ، فيقول ان فرنسا لم تسقط عـام ١٩٤٠ فقط ، بل انها ارتمت بوضاعة تحت جزم النازيين . ويدهش القارىء لهذا الانفجار في مقـال يستهدف النيل من ديغول نفسه ، وليس من الشعب الفرنسي ككـل ، الذي عرفت عن اغلبيته تأييدها لاسرائيل ، ولكن الكاتب ينتهزها فرصة سانحة « لنبش فضائح حكومة فيشي وتواطئها مع النازيين ، وتصديرها لليهود الفرنسيين بالجملـة الى معسكـرات الاعتقال وقاعات الغاز » . واخيرا يتضح للقارىء ما يرمي اليه الكـاتب الصهيوني ، فهو بكشفه النقاب عن « الماضي المخجل » لفرنسا ، يحاول تهديدها وابتزازها ، علـى اساس انها يجب ان تكفر عن ذنوب الماضي بمساعدة اسرائيل ، وباعتبار اذا كان هذا الاسلوب قد نفع مع المانيا ، فقد يكون فعـالا مع فرنسا ايضا . ويتضمن هذا العدد ايضا منولوغا « لعربي » اسمه احمد بن حكيم (لا يتضمن جدول المساهمين في نهايـة العدد معلومات عنه كبقية الكتاب ، ولا توجد اشارة يستفاد منها ان الاسم مستعار) وبالاضافة الى غرابة الاسم ، نظرا الى ان العرب في فلسطين لا يستعملون « الابن » في أسمائهم ، فهذا المنولوغ هو عبارة عن هذر وهذيان يخلوان من اي منطق ، وفيما يلي نصـه .

يقول ابن حكيم هذا : « انني من المعتدلين ، وقد انقذت حياة يهودي في شغب ١٩٢١ وكنت متزوجا من امرأتين. بعد سقوط القدس في حرب حزيران نهب الجنود الاسرائيليون بيتي وسرقوا نقودي ولكني لا احقد عليهم بسبب ذلك ، فالحرب هي الحرب . انني الوم نفسي لانه كان يجب ان افر الى عمان عندما اندلعت الحرب . بعـد الحرب جاءنا ضابط اسرائيلي وقال انـه قد عين لي راتبا شهريا لاعيش عليـه . كما جاءني عـربي هددني بالقتل . انني لا اخاف من الموت فقد سئمت الحياة . ولكني لا اريد ان أقتل بتهمة الخيانة . انني لا استطيع النوم في الليل ، وعقلي في انهيار . ماذا كنت انا افعل في الاعوام التسعة عشر منـذ قيام اسرائيل ، انـا الخطيب المنوه ، المحامي ، السياسي ؟ اقر بانني طالبت وتنبأت بتدمير الدولة الصهيونية ، ولكني كنـت لا اؤمن بما اقوله . غريبة هي الفصاحة التي ينطق بها الفرد عندما يكـون اسير الاوهام . فالواقع انني انـا والجميع كنا قد اعتدنا على وجود اسرائيل . ولم اتوقع ان تختفي ، فالمعجزات لا تحدث . لكني ايضا لـم اتوقع ان تتوسع اسرائيل . ثم جاء اغلاق مضائق تيران واتفاق ناصر مع الملك حسين . كله خداع وبلـف ، قلت لنفسي . لقد سمعنا مثله الكثير في الماضي . في صبيحة الحرب وضع الجيش الاردني بطارية هاون خارج بيتي . قال الجنود انهم يريدون قصف مستشفى هداسا . فانتقلت الى الفندق ، وهناك رفعنا الاعلام البيضاء. كنا نظن ان اليهود سينسحبون قريبا . هذه مشكلتنا نحن العرب ، نحيا في عالم التخيلات (...)وعندما توحدت القدس من جديد ، بكيت انا واكثر العرب ، من الفرح ، وسرت كالتائه في شوارع القدس الجـديدة اعانق اصدقائي القدامى . عندئذ تحدثت عن الصلح والاخوة . ولكن المؤسف له اننا اهل القدس نمتلك قلوبـا لئيمة وآذانا طويلة . عندما عدت الى القدس القديمة ووجدتها تعج باليهود وبالفتيات في الميني جوب ، شعرت بالغثيان ، ولم تتحسن حالتي عندما دعتني عائلة يهودية اعرفها منذ ثلاثين عاما لازورها في تل ابيب . فقـد ارتقينا في مصعد متجر شالوم الى الطابق الاعلى ومن هناك رأيت مدينة ضخمة تنبسط تحتي حيث لم تكن ايام شبابي الا الصحراء والرمال . انني اسمع بان بئر السبع التي اتذكرها قرية صغيرة ، قد اصبحت مدينـة تعج بالنشاط . ولكني اضع اصابعي في اذني عندما يريد الناس ان يخبروني بذلك . وارتني العائلة اليهودية ثلاجتها . يسألتهم : هل تصنعوها في اسرائيل ؟ قالوا : نعم . قلت لهم : انكم تسبقونا بثلاثة قرون . صحيح ان العبقرية العربية لم تزدهر في السنوات الاخيرة ، ولكـن هذه غلطة اليهـود . فقد انشغلنا بالعـداء والكراهية الى حد ان قابليتنا على الخلق اصابها العقم . الذي نريده هو ان تتركونا لوحدنا ، لنعيش حياتنا

بطريقتنا . لا اقول ان احتلال اسرائيل لاراضينا هو قاس ، اذ لا ادري ما كان سيحصل لو انقلبت الادوار ، لو اننا نحن العرب هزمنا اليهود . في يوم الاربعاء ذاك ، عندما رأينا دبابة تدخل القدس ، لم نظن ابدا انها اسرائيلية . اعتقدناها عراقية وهتفنا لها . كنا على ثقة من النصر . لا اظن اننا كنا سنعاملكم برفق لو كنا انتصرنا . تعلمون ما حدث للفتاتين اليهوديتين المقاتلتين قبل سنوات . فقد اسرهما شيخ عربي . فقالا له: اقتلنا ولكن لا تغتصبنا . فقال لهما : ساغتصبكما وساقتلكما » .

هذا الهذيان الفريد الذي لا ريب قد طبخه احد محرري المجلة هو البروفيل الذي ترسمه الدعاية الصهيونية للعربي . فصاحبنا ابن حكيم (الظاهر ان معرفة كاتب « الحديث » بالعرب متأتية من كتب المؤلف الالماني كارل ماي الذي كان يكتب عن الشرق للاطفال) هو من المعتدلين . وهو بطبيعة الحال متزوج من امرأتين ، فصورة العربي لا تصبح كاملة دون ذكر لتعدد الزوجات . وهو كأي عربي اخر نادم لانه لم يفر من القدس اثناء الحرب . ولكننا اذا اعتقدنا من بداية حديثه انه رجل أمي ، فاننا نغير رأينا بعد ذلك عندما نعلم من سياق حديثه انه محام وسياسي ، فهذا يضعه بين افراد الطبقة المثقفة . أما مغزى وضع هذا الهذر في فم رجل مثقف فهو ان الاميين والمثقفين العرب متساوون في ضعف العقل . ثم انه « خطيب مفوه » ، اي هو كأي عربي اخر يحترف صناعة الكلام ويقول ما لا يؤمن به . انه أسير الاوهام ، باعترافه هو . الاسرائيليون يكافئونه بالمال لانهم طيبون والعرب يهددونه بالقتل لانهم غدارون . الجيش الاردني يريد قصف مستشفى اسرائيلي . عندما « توحدت » القدس بكى من الفرح ، ولكنه عندما شاهد الاسرائيليات في الميني جوب ثارت في نفسه العصبية الاورينتالية . في تل ابيب يفاجأ برؤية مدينة حيث سابقا كانت توجد الرمال فقط (صدى آخر لاسطورة تعمير اليهود لفلسطين) ثم يستغرب صاحبنا ان يرى ثلاجة مصنوعة في اسرائيل ، مع انه توجد على الاقل ثلاثة أقطار عربية تصنع الثلاجات حاليا . ويقول ابن حكيم للاسرائيليين : انكم تسبقوننا بثلاثة قرون ، ولكنه في الجملة التي تلي ذلك يقول لليهود : حضارتكم ليست افضل من حضارتنا ، مما يدل على الدوامة التي يظل العقل العربي غارقا فيها على الدوام ، حسب راي كاتب المقال . ثم ان ابن حكيم يعترف بان العداء العربي لاسرائيل هو الذي وضع لعنة العقم على قابلية العرب للخلق ، وهذا هو ايضا ترديد لاسطوانة صهيونية قديمة . وتأتي بعد ذلك الكذبة الشنيعة عن الفتاتين اليهوديتين ! هل يا ترى سيصدق قارىء المجلة غير الصهيوني هذه الصورة المضحكة ؟

في الاعداد التالية نصادف في المجلة اسماء معروفة، بينها مايكل ايلكنز مراسل البي بي سي المقيم في اسرائيل ، وفرانسيس اوفنر ، مراسل الاوبزرفر اللندنية ، والاديب التشيكي لاديسلاف مناكو (الذي غادر تشيكوسلوفاكيا الى اسرائيل استنكارا لموقف بلاده من اسرائيل بعد حرب حزيران) ، بالاضافة الى أسماء اعلام السياسة في اسرائيل ، وبين هؤلاء ليفي اشكول وابا ايبان ومناحيم بيغن ويعكوف تسور ، مما يدلنا على الاهمية التي تسبغها المنظمة الصهيونية على مجلة اسرائيل . ومن الجدير بالذكر ان رئاسة التحرير تكرس سبعة أسطر لتقديم الارهابي بيغن الى القراء ، وسبعة اسطر اخرى لاشكول رئيس الوزراء وستة فقط لايبان وزير الخارجية . أما الصورة المرافقة لمقال بيغن ، والتي تحتل صفحة كاملة ، فهي لجندي اسرائيلي يحمل طفلين عربيين في نقطة جسر اللنبي ! ومقال بيغن هو خلط بين الخطر العربي على اسرائيل وبين الاضطهاد الذي تعرض له اليهود على أيدي النازيين . ولكن الفكرة الرئيسية فيه هي التحذير من النسيان . حتى لا ننسى ما حدث لنا ، يقول بيغن ، قاصدا بذلك معسكرات الاعتقال النازية ، وايضا الخطر الذي كانت اسرائيل هدفا له قبل ٥ حزيران. وقضية النسيان هذه تعيد الى الاذهان النقاش الحاد الذي جرى قبل مدة على صفحات مجلة لندنية بين الصهاينة وبعض الانكليز الذين يتفهمون وجهة النظر العربية . فقد كتب

انكليزي ردا على رسالة صهيوني اتهم فيها العرب بالارهاب والتخريب ، مذكرا هذا الصهيوني بالتاريخ القريب وبالارهابي السابق ميناحيم بيغن . فرد عليه الصهيوني قائلا ان البشر يتغيرون على مدى الزمن ، وانه بعد عشرين عاما على « حرب الاستقلال الاسرائيلية » تحول المقاتلون الى ساسة ورجال دولــة ديمقراطيين ، فأصبح قائــد الهاغاناه موشي سنيه زعيما للحزب الشيوعي ، وميناحيم بيغن ، زعيم عصابة الارغون تسفائي ليئومي ، أسس حزب حيروت ودخل الكنيست نائبا ثم اصبح وزيرا ، وان امثال كاتب الرسالة (أي الانكليزي المدافع عن العرب) يسيئون الى العرب بتذكيرهم الدائم لهم بما حدث في الماضي ، فالماضي قد ذهب واندثر ويجب نسيانه ، كما ينبغي فتح صفحة جديدة في العلاقات ، الخ.. الخ..

جميل ان يطلب احد زعماء المنظمة الصهيونية (فصاحب الحديث هو رئيس تحرير الجيويش كرونكل اللندنية) من العرب النسيان في الوقت الذي يصر فيه بيغن على القول بأنه فخور بالدور الذي لعبه في « حرب الاستقلال » ، وبأنه يطالب اليهود في داخــل اسرائيل وخارجها بعدم النسيان ، لان الماضي حــي لا يموت . كيف اذن ، ينسى الفلسطينيون مذبحة دير ياسين اذا كان بطلها ما زال فخورا بها ، لا سيما وانه اليوم احد ابرز قادة اسرائيل ؟ ثم ان بيغن لا يحذر قومه من نسيان الاضطهاد النازي لهــم فحسب ، انه ايضا يقرن ذلك بالتهديد العربي قبل ٥ حزيران ، فهذا التهديد ايضا يجب ان ينحفر في ذاكرة الصهيوني ، على حد رأيه .

وما دمنا نتحدث عن النسيان ، فهناك مقال آخر في مجلة اسرائيل عنه . فبعنوان : « النسيان ؟ ابدا ! » يحدثنا الكاتب عن الاسرائيلي الذي فقد أقاربه في اوشبفتز ، ولا يخفي نبرة الاعجاب في صوته عندما يصف لنا معارضة هذا الرجل العنيفة لكل بادرة تقارب بين اسرائيل والمانيا . فحتى عندما اشترك فريقا البلدين في مباراة لكرة القدم ، وزع هذا الاسرائيلي مناشير كتب فيها : « نتيجة المباراة بين فريقي تل ابيب وهيدلبرغ : ستة ملايين لقاء لا شيء . لن ننسى . لن نغفر » . وعندما زار اديناور (الذي اعتقله هتلر طوال الحرب) اسرائيل ، تزعم هذا الاسرائيلي مظاهرة خرجت تنادي بطــرد «الخنزير الالماني» من اسرائيل. ويقضي هذا الرجل وقته في توزيع صور الفظائع النازية على اليهود الشرقيين ، ويشعر بالراحة عندما يشاهد دموعهم . وعندما اندلعت حرب حزيران ، كلف بحفر الخنادق لاطفال مستعمرة اسمها كيبوتز ياد موردخاي ، على اسم يهودي قاد الثورة ضد النازيين في الحي اليهودي بوارسو . فأخذ يحفر الخنادق وهو يقول لنفسه : قد يقع لاطفالنا نفس المصير الذي وقع آنذاك في وارسو . ولكنه بعــد انتهاء الحرب ، وقف على ضفة قناة السويس وقال : « هذا هو عهد جديد . ان تذكر الماضي هو المفتاح لكل شيء سيحدث لنا في المستقبل » .

اغتنمت مجلة اسرائيل حلول الذكرى العشرين لقيام دولة اسرائيل ، فنشرت في عددها الرابع لسنة ١٩٦٨ نص ندوة ترأستها الارهابية السابقة جئولا كوهين وضمت ستة اشخاص كلهم في العشرينات . وكانوا : عضو كيبوتز يساريا صبرا ، وراقصة باليه جاء بها والداها من اليمن وهي طفلة صغيرة ، وكاتبا مسرحيا هو ايضا معلم في القدس ، ومقدما في الجيش ، صبرا ايضا ، وعضو كيبوتز متدينا ، وطالب دكتوراه يحضر رسالة في الفيزياء . وما عدا راقصة الباليه ، فقد سبق للجميع ان اشتركوا كجنود او ضباط في حرب حزيران . اما الاسئلة التي وجهتها اليهم جئولا كوهين ، فكانت : ١ ــ هل تعتبر نفسك محررا للاراضي التي حصلت عليها اسرائيل في حرب حزيران ، ام غازيا ؟ ٢ ــ ما هو شعورك تجاه اليهود في الشتات ؟ ٣ ــ هل يهمك ان يجتمع شمل اليهود جميعا في اسرائيل ؟ ٤ ــ ما هو نوع السلام الذي تتمناه ؟

المقدم : « ان الحدود الجديدة هي نموذجية وانا اشعر بالانتماء الى الاراضي الجديدة ،

فهي ملكي وحقي . حتى رفاقي الذين لا يبالون كثيرا بالتاريخ اليهودي ، يشاركونني هذا الشعور . اما بالنسبة ليهود الشتات فيؤسفني انهم ليسوا معنا هنا . وفي وقت نتخلى نحن فيه عن القيم والتقاليد القائمة بسرعة ، قد يأتي اليوم الذي يصبح فيه اليهودي في بروكلين ، مثلا ، الحارس الاصيل لديننا . نعم ، ان اليهودي في الشتات هو اخي . اما عن مفهومي للسلام ، فأنا اقول انه يرتكز على القوة العسكرية والحدود الآمنة . في نطاق هذه الحدود اريد ان ارى دولة يهودية موجدة . اما كيف يتم تحقيق ذلك ، فأتركه للساسة . »

عضو الكيبوتز اليساري : « حتى عندما اتى اجدادنا الى ارض الميعاد في التاريخ القديم ، كان بها مستوطنون اصليون . كما ان الارض التي استولينا عليها في الحرب الاخيرة كان بها مستوطنون كذلك . اذن لا يمكننا ان نعتبر انفسنا محررين . وبرأيي ، يجب ان نمتنع عن تشييد القرى في المناطق المحتلة . اني اكره ان اقول ذلك ، ولكن من اجل السلام انا مستعد حتى للتخلي عن القدس (القديمة) » .

يسأله احد المشتركين بالندوة : « لماذا لا تتخلى عن تل ابيب كذلك ؟ » فيجيبه : « لان تل أبيب هي حقيقة واقعة . اما عن يهود الشتات ، فنحن جميعا في نفس القارب ، ولذا فعلى كل يهودي يعتبر نفسه يهوديا ان يأتي الى اسرائيل ، فلدينا مساحات كافية لاستيعاب الجميع . ان معاداة السامية قد تنفجر من جديد في الخارج . وفي الولايات المتحدة تجابه المشاكل اليهود . مثلا ازدواج الولاء . ان الذي يجمعنا ويهود الشتات هو الايمان بأن ايريتز اسرائيل هي وطننا وان ديننا واحد . اقول ذلك بالرغم من اني لست متدينا » .

وعندما يأتي دور راقصة الباليه للحديث فهي تعتبر الاحتلال تحريرا ، وتريد الاحتفاظ بالقدس والضفة الغربية ، وتستنكر بشدة ما قاله زميلها عن التخلي عن القدس : « فالقدس هي تاريخنا كله ، من بدايته الى نهايته » . وهي تأسف لأي يهودي يفضل البقاء في الشتات على الهجرة الى اسرائيل ، لانها تشعر بالرابطة التي تربطها بيهود الشتات .

ثم يقول عضو الكيبوتز المتدين : « ان موقف الامن بحد ذاته يحتم علينا عدم الانسحاب من شبر واحد ، فالضفة الغربية هي الوطن ، والعقيدة الصهيونية ستظل تشد اليهود الى تحقيق الوطن الموعود ، ولذا قد يأتي الوقت للزحف من اجل احتلال او تحرير شرق الاردن » .

وهنا يسأله زميله اليساري عما اذا كان جادا في حديثه عن تحرير شرق الاردن ، فيجيب المتدين : « قبل سنة واحدة ، لم يكن احد ينظر جديا الى من يأتي على ذكر تحرير الضفة الغربية . اني في الدرجة الاولى اتكلم عما هو مرغوب فيه . ثانيا : يوجد عدد كبير من الناس يعتبر ذلك امكانية واقعية . واتذكر انه على مدى اعوام كثيرة ، ظل رئيس اليشيفاه(١) الذي أنتمي اليه يتحدث عن هذه الامور بوضوح ، فكان يقول ان الزمن سيأتي عندما يتوجب علينا الزحف الى الامام . الكثيرون كانوا يبتسمون عند ذاك . هذه الحركة الى الامام ، يجب ان يقوم بها الشعب . الشعب اليهودي كله . وكل يهودي في العالم لا بد ان يكون معنا هنا . اما اليهودي المصاب بمرض الشتات ، فاني لن اتخلى عنه ، فالانسان لا يتخلى عن المريض لانه مريض ، لا سيما اذا كان يشاركه في المصير . هذا المصير المشترك ليس من اختيارنا ولن ينتهي باختيارنا . بعض الناس يريد السلام من اجل الراحة والاخلاقية . شخصيا لا ابحث انا عن الراحة . اما الاخلاقية فهي مفهوم

١ — مدرسة دينية .

يفتقر الى الاهمية اذا لم يرتكز على الدين . وانا ارتكز على الدين . اما الحب والسلام والعدالة والرحمة فهذه الفاظ تصبح ذات معنى فقط عندما تستمد نفسها من القاعدة المطلقة التي هي مشيئة الله . السلام بالنسبة الي هو السلام الذي يشاءه الرب . لا اريد سلاما ينقض حقائق التوراة . واسرائيل متكاملة في أمة موحدة هي بين حقائق التوراة . لا يهمني السلام اذا كان لا يحقق هذا الهدف . قولي هذا قد يبدو غير لطيف ، ولكنها ليست قضية للمساومة » .

ويأتي بعد ذلك دور الفيزيائي فيقول : « ان الكلمتين ، تحرير ام استيلاء ، لا تهماني على الاطلاق ، فعقلانيا تنطبق على كلمة منهما ، ولاعقلانيا تنطبق على الكلمة الاخرى . ففي حياة الفرد او الجماعة يوجد تمازج مبهم الحدود بين العقلاني واللاعقلاني ، لان هذه هي طبيعة الاشياء . »

ثم ينتقد زميله اليساري لانه يستنكر عمل رجال الدولة بينما هو يتمتع بثمرات انجازهم ، فيقول : « باسم الاخلاقية يصبح المرء لا اخلاقيا . فمن ميزان القيم الذي يبدو من خلال حديث زميلنا اليساري ، تبدو لنا حتى الاراضي التي كانت بحوزتنا قبل ٥ حزيران وكأنها ثمرات ممنوعة . اما بالنسبة لزميلنا المتدين ، فالقضية في نظره بسيطة لان الله هو الذي يحل مشكلتي الخير والشر . ولكن الامور بالنسبة ليهودي غير متدين مثلي هي ابعد من ان تكون بسيطة . فالسؤال عما اذا كنا محررين أم غزاة لم يبدأ في ٥ حزيران ، وانما في اللحظة التي غادر بها ابناء اسرائيل مصر الفراعنة ، او حتى قبل ذلك ، لحظة مغادرة ابراهيم لدار أبيه . واذا أردتم اهمال الماضي البعيد جدا ، فالسؤال اذن يبدأ بدخول بيليوم هذه البلاد قبل حوالي مئة عام . ان ما شعرت به بعد انتصارنا في الحرب وعندما كنت جريحا في المستشفى ، لم يكن عما اذا كنت محررا ام غازيا ، وانما مجرد الحبور لاننا كسرنا طوق الحصار حولنا واستطعنا ان نتنفس الصعداء . اما عن قضية الحدود ، فان ميلا اكثر ام اقل ليس هو بيت القصيد . المهم ان نعيش بأمان . يقول زميلنا اليساري انه لا يمانع اذا أعدنا كل ما استولينا عليه من اجل السلام ، ولكن المشكلة هنا ان العرب لم يفكروا بالسلام حتى عندما كانت هذه الاراضي بحوزتهم . السلام سيعم فقط عندما يرتفع المستوى الحضاري في صفوف العرب . امـــا العرب الذين كانوا بفلسطين عند قدومنا ، فهم كانوا اقل عدداً من ان يشكلوا أمة . ولم يبدأوا في التكاثر الا بعد ان جعل الاستيطان اليهودي الارض اكثر اغراء . العالم قد شوه الموقف الاسرائيلي حينما وصفنا بأننا فاتحون ، مع اننا لم نفعل اكثر من البقاء على قيد الحياة . « اين بريره » . اما بالنسبة لليهود في امريكا ، فليست من مصلحتنا ان نقول انهم اقلية غريبة في الولايات المتحدة ، فالقرار عائد لهم اذا ارادوا « العاليه » . ثم ان مجيئهم الينا سيعني وجوب اجرائنا لتغييرات اقتصادية اجتماعية وشاملة في اسرائيل نحن بحاجة اليها » .

ثم يتحدث بعد ذلك عن تضاؤل اهمية الدين في اسرائيل ، وعن الحاجة الى ارساء قيم في المجتمع الاسرائيلي تساهم في تقدم البشرية ، على ان تكون مرتكزة علـــى التراث اليهودي الضخم عبر القرون . ثم يأتي دور المعلم والكاتب المسرحي ، فيقول ان الحديث عن **العودة** الى الاراضي بعد حرب حزيران يجب ان يكون قياسه شعور الفرد وليس الجماعة . فانه مثلا قد ولد في القدس القديمة ، ولذا فانه الان قد عاد اليها . امـــا الجولان فالوضع هناك يختلف ، لانه لم يسبق له ان اقام في تلك المنطقة . ويركز هذا المتحدث على اهمية شعور الفرد في مواجهة شعور الجماعة .

بالمقارنة مع مواقف الاخرين ، نجد ان المتحدث الاكثر اعتدالا بين المشتركين في الندوة هو اليساري . وتوجد في حديثه نقطتان تثيران الاهتمام بصفة خاصة . فهو أولاً يعترف

كصهيوني اسرائيلي بشيء يتحاشى الصهاينة ذكره عادة : ازدواجية الولاء عند يهود الشتات ، ولا سيما بين يهود امريكا . فهل يمكن اعتبار هذا الاقرار بمثابة اشـــارة الى استراتيجية صهيونية بعيدة المدى هي الان في طور التنفيذ ، وستعتمد على اثارة هذا الموضوع الحساس جدا في نقطة بالمستقبل من اجل ان يؤدي ذلك الى انفجار من شأنه ان يحرق جسور عدد كبير من يهود امريكا ، ويدفعهم بالتالي الى الهجرة لاسرائيل ؟ اما النقطة الاخرى ، فهي اعترافه بأن الدين المشترك ، اي اليهودية ، يظل عنصرا هاما من عناصر القومية حتى بالنسبة لليهود غير المتدينين . وعلى كل حال ، فحديثه لا يخلو من التناقض . فهو من ناحية يؤيد الانسحاب من الاراضي المحتلة ، ومن الناحية الاخرى يريد من يهود العالم القدوم الى اسرائيل لان فيها « مساحات كافية لاستيعاب الجميع » على حد قوله ، فهل في اسرائيل ما قبل الخامس من حزيران اراض تكفي لاستيعاب اثني عشر مليون يهودي ؟ ثم ان كلامه عن الحقائق الواقعة ليس مقنعا ، باعتبار ان اسرائيل اشتهرت دائما بقدرتها على **خلق** هذه الحقائق الواقعة ، اي ان الذي قاطعه بقوله : لماذا لا تتخلى عن تل ابيب ايضا ؟ كان على حق ، اذ كما تمكن اليهود من خلق حقيقة واقعة من تل ابيب وغير تل ابيب ، فهم حسب المنطق نفسه يستطيعون ان يحولوا القدس العربية ايضا الى مدينة صهيونية بحتة لا يمكن التفكير في اعادتها للعرب، لانها حقيقة واقعة .

اما الفيزيائي فيدل حديثه على سيطرة البراغماتية الصهيونية على تفكيره ، ولذا يمكن اعتباره بمثابة الشخص الذي يمثل وجهة النظر الغالبة في اسرائيل . فبقدر ما يتعلق الامر به ، لا مجال هناك للتحدث عن الاخلاقية ، فالقضية هي قضية أمن في الدرجة الاولى ، ولذا لن يضيع البراغماتي وقته في الجدل حول ما اذا كان محررا أم غازيا . انه في الاراضي العربية ليبقى .

أما المتدين ، فهو على الارجح يمثل أقلية كبيرة في البلاد ، وهي على الارجح اقلية واسعة النفوذ والتأثير ، ولا سيما ان المؤسسة العسكرية تساندها . وعلى كل ، فالفرق بينه وبين بقية المجتمعين هو في نسبة الحماس المنبثق عن التراث اليهودي القديم . فقد رأينا ان حتى غير المتدينين هم متأثرون تأثرا عميقا بالتوراة . اذن فتطرفه الديني هو ليس بالتطرف الذي من طبيعته ان يجلب اليه استنكار بقيـــة المشتركين . بالعكس ، فان اعتدال اليساري صادف استهجانهم ولكن ليس حديث المتدين عن حقائق التوراة التي ترفض السلام والاخلاقية ، والرحمة الخ . .

والطريف ان السؤال النهائي الذي توجهه جئولا كوهين الى المشتركين هو : هل تكرهون الرجل (أي العربي) الذي ظل صباحا وظهرا ومساء يعلن عن نيته في افنائنا وقذف الدولة في البحر مع جميع آمال الشعب اليهودي ، ام ماذا ؟

ويتفق الجميع (ما عدا المتدين) على انهم لا يشعرون بكراهية تجاه العربي . ولا يمكن معرفة جواب المتدين على هذا السؤال لانه لم يذكر في النص ، فهل كان ذلك لان تطرف هذا الجواب اجبر حتى رئيس التحرير الصهيوني على ازالته من النص المنشور ؟

أما الندوة التي تفوق هذه اهمية فهي تلك التي نشرت مجلة اسرائيل نصها الكامل في حوالي تسعين صفحة ، في عددها الصادر في آب ١٩٦٨ بعنوان : «عدد خاص ـــ الحرب ام السلام ؟ نص محادثة عربية اسرائيلية ـــ خاص بالمجلة » . وقد اعتبرت المجلة هذه المحادثة هامة جدا وذلك لاشتراك مجموعة من الشخصيات الفلسطينية والاسرائيلية الهامة بها ، فخصصت لها العدد بأكمله . اما الاشخاص الذين اشتركوا في المحادثة فقد قدمتهم المجلة على النحو التالي :

أنور نسيبه: محام ينتمي الى عائلة من اقدم العوائل العربية في القدس واكثرها استحقاقا

للاحترام . شخصية بارزة جدا في العالم العربي . وزير دفاع اردني أسبق ، وسفير اسبق في لندن ، وحاكم اسبق للقدس . سافر بعد حرب حزيران الى العواصم العربية في مهمات لم ينكشف النقاب عن ماهيتها وقام باتصالات مع مراجع عالية . كثيرا مـا يشترك في ندوات مع المسؤولين الاسرائيليين ، ومنها ندوة تلفزيونية مع رئيس الوزراء ليفي ايشكول . احد اقربائه القي عليه القبض لالقائه قنبلة في تل ابيب ادت الـى مقتل اسرائيلي وجرح الكثيرين .

حازم خالدي : ولد في القدس عام ١٩٢٢ ، وخدم في الجيش البريطاني، واشترك بالحرب العالمية الثانية ووصل الى رتبة مقدم . دخل الجيش السوري بعد ذلك وتدرج حتى رتبة عميد ، واشترك في حرب ١٩٤٨ . ثم اصبح قبل حرب حزيران مديرا عاما للسياحة في الاردن .

ابراهيم خالدي : ولد في القدس عام ١٩٣٢ ودرس الطب في اوربـا . صاحب عيادة خاصة في القدس .

عزيز شحاده : محام عربي مشهور وحامل راية الحـركة التي تطالب بانشاء دولة فلسطينية عربية تتعايش مع اسرائيل . ولد في بيت لحم عام ١٩١٢ . كان سكرتير مؤتمر اللاجئين العرب وعضوا في الوفد الفلسطيني الى لوزان عام ١٩٤٩ . واشترك في مؤتمر اريحا عام ١٩٤٩ حيث عارض ضم الملك عبدالله للضفة الغربية . اثار ضجة في العالم العربي عندما حصل لموكله الدكتور الحسيني وشقيقه على البراءة من تهمة اغتيال الملك عبدالله . وقضية شهيرة أخرى فاز بها هي نجاحه في تخليص ارصدة اللاجئين العرب من التجميد في فروع البنوك الاجنبية باسرائيل .

محمود ابو الزلف : ولد في يافا عام ١٩٢٤ وكان الناشر ورئيس التحرير لصحيفة الجهاد اليومية الصادرة في القدس حتى حرب الايام الستة . حصل مؤخرا علـى رخصة اسرائيلية لاصدار جريدة عربية جديدة تدعى القدس .

شموئيل تمير : عضو الكنيست . ولد في القدس عام ١٩٢٣ . كان المسؤول عن قيادة منطقة القدس في الارجون تسفائي ليئومي ، منظمة المقاومة اليهودية السريـة . نفته الحكومة البريطانية الى كينيا . اشترك كمحام في قضايا شهيرة مدافعا عن الحقوق المدنية . وهو نقيب المحامين ، وأحد مؤسسي حزب حيروت الذي انفصل عنه مؤخرا ليؤلف حزب المركز الحر الذي انضم اليه نائبان في الكنيست .

بيرتز ميرحاف : ولد في فيينا عام ١٩١٣ وجاء الى اسرائيل عام ١٩٢٨ . أحد زعمـاء مابام ، ومن محرري مجلة نيو اوتلوك . الف كتابا عن الحركة العمالية الدوليـة ، وآخر عن تاريخ الحركة العمالية في اسرائيل .

امنون كوهين : ولد عـام ١٩٣٣ في اسرائيـل . مساعد في معهد الدراسات الاسيوية والافريقية التابع للجامعة العبرية . متخصص في شؤون الشرق الاوسط .

موشي شمير : قصاص عبري وروائي ومسرحي وصحافي بارز جدا . ولد في صفد عام ١٩٢١ . نال عدة جوائز ادبية . كبتن سابق في البالماخ . ترجمت ثلاث من رواياته الى الانكليزية . ناشر في دار النشر العبرية بمكتبة معارف .

الدكتور موشي سنيه : ولد في بولنده عـام ١٩٠٩ . تخرج في الطب من جامعـة وارسو وعمره ٢١ سنة . هاجر الى اسرائيل في ١٩٤٠ . من ١٩٤٠ الى ١٩٤٦ كان قائدا عاما للهاغاناه ، وعضوا في اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية . انضم الى مابام ورأس جناحها اليساري المتطرف الذي اندمج بالحزب الشيوعي الاسرائيلي عام ١٩٥٤ . عضو سابق

في الكنيست . ورئيس تحرير الصحيفة اليوميـــة العبرية كول هـــاعم . يتزعم الجناح المعادي للستالينية الجديدة في الحزب الشيوعي باسرائيل ، ويعارض ما يدعى بالقائمة الشيوعية الجديدة النيو ستالينية التي يراسها يهودي ناصري هو مئير فلنر .

وادار الندوة يوسف باريل . المولود في القاهرة عـــام ١٩٣٥ حيث تخرج من جـــامعة القاهرة وهاجر الى اسرائيل في ١٩٥٧ ليعمل بالصحافة ، وتحرير الاخبـــار في القسم العربي من راديو كول اسرائيل . ان المشتركين بالندوة من الجانب الاسرائيلي هم جميعا اعضاء في المؤسسة الصهيونية . مثلا سنيه الـــذي يدعي الماركسية كان قائدا عامـــا للهاغاناه وليس اقل تطرفا في صهيونيته من شموئيل تمير ، الارهابي في الارجون تسفائي لومي وزميل بيغن في حزب حيروت . اما الجانب العربي ، فيضم ثلاثة رجال هم محمود ابو الزلف وعزيز شحاده وانور نسيبه ممن يمكن وصفهم بانهم من دعاة الحوار مـــع النظام الاسرائيلي .فان‌محمود ابو الزلف كان يحرر صحيفة يوميةفي‌القدس تصدر بمباركة موشي ديان . وعزيز شحاده الذي يكتب في هذه الصحيفة ، يكتب ايضا في مجلة جون كمشه ، نيو ميدل ايست ، مدعيا التحدث بلسان حال الشعب الفلسطيني ، مطالبـــا باجراء محـــادثات ثنائية بين اسرائيل وسكـــان الضفة الغربية . وتقدر فيه السلطات الاسرائيلية هذه الخدمة ، فترقيه من مجرد محام مغمور الى رئيس محكمة الاستئناف . كما تقدمه مجلة اسرائيل بهذه العبارة : « محام عربي مشهور وحامـــل راية الحركـــة المطالبة بانشاء دولة عربية فلسطينية تتعايش سلميا مع اسرائيل ، والرجل الذي حصل على البراءة لموكله الدكتور الحسيني واخيه من تهمة التواطؤ على اغتيال الملك عبدالله»، مع ان موسى الحسيني اعدم طبعا . اما انور نسيبه ، رجل النظام الاردني ، الـــذي تصفه مجلة اسرائيل بانه شخصية سياسية بارزة جدا في العالم العربي ، فهو ايضا من دعاة الحوار ، وقد سبق له ان اشترك في ندوة تلفزيونية مع وزير الداخلية الاسرائيلية، كما رئى اشكول في الاذاعة الاسرائيلية ، وصدرت له كذلك بعض المقـــالات في مجلة كمشه .

ماذا جرى في المحادثة ؟ حازم خالدي بدأ حديثه بالقول انه اذا ثبت ان اسرائيل هي كيان توسعي وعدواني فيجب مقاومتها . اما انور نسيبه فقال ان المشكلة تكمن في دعايـــة الفريقين ، فكل فريق قد صور الاخر في صورة الوحش وبذا خدع نفسه . ثم جاء دور ابراهيم خالدي ليصف هذه المحادثة بانها لقاء تاريخي من شأنه ان يؤدي الى تفاهـــم افضل بين العرب والاسرائيليين . ولكنه روى بعد ذلـــك كيف انه بعد حرب حزيران مباشرة شاهد جنديا اردنيا اسيرا تصوره كاميرات التلفزيون وهو يحمل صورة مقلوبة للملك حسين . وبعد ان انتهى التصوير ، تقدم جندي اسرائيلي وطعنه بالخنجر ، ثـــم تركت جثته ثلاثة ايام ملقاة في الشارع . ثم عاد انور نسيبه للحديث ، فقال انه لا يؤمن بان حل النزاع يكمن في استخدام القوة ، فالعرب لا يريدون الحرب ، اذ توجـــد لديهم قضايا اجتماعية كثيرة يجب حلهـــا . اما بالنسبة للمقاومة الفلسطينية ، فذكر حـــازم خالدي ، الضابط السابـــق في الجيشين البريطانـــي والسوري ، بأنه قد كبر على اساليب فتح ، اي المقاومة المسلحة ، الا انه يتفهم دوافع رجال المقاومة . ثم ختم عزيز شحاده الحديث الصادر عن الجانب الفلسطيني في المحادثة قائـــلا ان الفلسطينيين في الارض المحتلة يجدون انفسهم في مأزق ، فاذا قاموا ببادرة سلام ، فقد يتهمهم البعض بانهم كويسلنغ (عملاء للمحتل) .

في مقدمة المجلة ، يؤكد رئيس التحرير على ان النص المنشور هو ما قيل في المحادثـــة دون زيـــادة او نقصان ، ودون تحريـــف . الا ان خشيته من ان تنال وجهة النظـــر الفلسطينية عطف القارىء المحايد تدفعه الى ان يلحق بنص المحادثة هامشا تعليقيـــا يرافق النص من بدايته الى نهايته . كما انه ينشر بالعدد صورا ورسوما كاريكاتوريـــة

الغرض منها دحض ما يقوله الفلسطينيون في الندوة . الصورة الاولى هي لوحة تمثل العرب وهم يدفعون بالاسرائيلي في البحر . ويقول رئيس التحرير في تعليقه تحت الصورة انه عثر على هذه الصورة في القنيطرة اثناء الحرب ، وهي اليوم تزين جدار مقهى في حيفا . وهناك ايضا صورة فوتغرافية كتب تحتها انها تمثل محادثات رودس وتوقيع اتفاقية الهدنة بين المصريين والاسرائيليين « في اعقاب محادثات مباشرة بين الفريقين ». ولعل افضل مثال على اسلوب مجلة اسرائيل هو الوصف المنشور تحت صورة فوتوغرافية يظهر فيها الرئيس الراحل عبد الناصر جالسا بجانب البانديت نهرو في مؤتمر باندونغ . النص : « في الشكل المضحك لتمثال السلام الذي يشهر سيفا ، حضر جمال عبد الناصر مؤتمر باندونغ الذي يعبد السلام والحياد في ١٩٥٥ ، مرتديا بذلة الكولونيل التي تزينها اوسمة الحرب . أما نهرو الجالس بجانبه ، فكان مرتديا ملابس هي اكثر لياقة بالمناسبة » . وهناك ايضا صورة عن الحرب الاهلية في اليمن ، كتب تحتها ان ناصر يقتل اخوانه العرب بالغازات السامة . وايضا صورة فوتستات لخطة عسكرية اردنية يقول اليهود انهم عثروا عليها ، وهذه الخطة تستهدف الاغارة على مستعمرة وقتل من فيها . ولا تنسى المجلة الجغرافية والتوزيع العرقي في المنطقة ، ولذا فهي تنشر خريطة للشرق الاوسط تبين المناطق التي يسكنها غير العرب . وبالاضافة الى تركيا وايران واسرائيل والمناطق الكردية في العراق وسوريا ، نجد المجلة قد ادخلت ضمن غير العرب ، المناطق التالية : الجولان ، جبل العرب ، وجبل العلويين في سوريا ، وجبل لبنان . وطبعا هناك ايضا الصور المعهودة من البوم الحرب والفتح : القوات الاسرائيلية على ضفة قناة السويس ، المدافع المصرية الصامتة في شرم الشيخ ، بيوت الفلسطينيين المهدمة ، محاكمة فدائي ، اسرائيليون يكون حول قبر رجل وقع ضحية « للمخربين العرب » ، اسرائيليون يزورون قريبا لهم في المستشفى كتبت له النجاة من « الارهابيين » . دبابة سوفيتية تحترق في براغ (كدليل على الفاشستية الستالينية) ، ثم طبعا الكاريكاتور الذي لا مناص منه عن العربي الذي يظل يعتدي على اليهودي ، وعن رجل الامن (الامم المتحدة) الذي دائما يضع اللوم على اليهودي المجنى عليه . ولكن التعليق الاهم الذي يبين موقف المجلة من بعض ما قاله الفلسطينيون المشتركون في الندوة ، هو الوارد في الهامش . فتعليقا على حادث مقتل الجندي الاردني الذي رواه الدكتور ابراهيم خالدي ، تقول المجلة ان هذا الحادث كذب في كذب لان الخنجر هو سلاح العربي وليس اليهودي . كما ان قول حازم خالدي انه يخشى ان يذبحه الاسرائيليون وهو نائم في سريره لا يمكن ان يؤخذ جديا باعتبار ان طريقة القتل هذه هي عربية قحة . ويعرج موريس كار (رئيس التحرير) بعد ذلك على حادثة قال انها وقعت اثناء « حرب الاستقلال » ، عندما رفض ضابط بريطاني ان ينقذ بعض الاسرائيليين الذين وقعوا في كمين عربي ، قائلا انهم يستحقون القتل بسبب ذبحهم للعرب في دير ياسين ، فيقترح كار ان تكتب مسرحية تدور حوادثها حول « اضطهاد اليهودي عبر العصور » من قبل الفراعنة والفلسطينيين القدماء والرومان والصليبيين ومحاكم التفتيش وهتلر وستالين والواعظين المزيفين للحب المسيحي ، وتتضمن قول اليهودي لمضطهديه الغويم ، « نعم انا ارتكبت الفظائع في دير ياسين لانكم انزلتم بي عبر القرون فظائع اسوأ . . » ويشتد الحماس بالمستر كار ، ولكنه يتذكر اخيرا انه شط في الابتعاد عن الموضوع الراهن ، فيقول : « حسنا ، لنعد الان الى المحادثة » ويحاول بتعليقه المستمر على ما يقوله حازم خالدي وابن عمه ابراهيم خالدي ، ان يسخر منهما ويهدم حججهما ، ولا يغفل ان يذكر القارىء بالديمقراطية الاسرائيلية التي تسمح لهذين الرجلين ان يصفا الاسرائيليين بانهم نازيون في وجوههم . ثم بعد ذلك يبدأ في تحليل النفسية العربية كما تبدو من خلال منطق هذين الرجلين ، فيقول انها تعتمد على اربع طبقات من الوعي . فالعربي هو كالرجل الذي يريد ازالة جسم غريب من عينه (اي

اسرائيل) فيفركها الى ان يفقأها ، وهنا تأتي الطبقة الثانية من وعيه عندما يقسرر ان يستسلم للقدر ويتعايش مع هذا الجسم الغريب في عينه التي فقأها . اما الطبقة الثالثة فتحل عندما يحاول العربي ان يتصالح مع اليهود . ولكن الطبقة الرابعة من الوعي هي التي تحمل معها الخوف من الاغتيال ، اغتيال الارهابيين العرب لمن ينـادي بالصلـح والتفاهم .

ان المعروف عن اليهود ، ولا سيما الذين ينتمون منهم الى اصل جرماني ، تفوقهم في علم النفس . ولكن لا ريب ان فرويد سيهتز في قبره لو قيض له ان يقرأ هذا الهذر السخيف الذي لا يختلف في مستواه المضحك عن اعترافات صاحبنا ابن حكيم . وعلى كل حال ، فاذا كان حازم خالدي قد جلب على نفسه غضب رئيس التحرير ، فان انور نسيبه وعزيز شحاده ينالان ثناءه . وفي خاتمة التعليق ، يقدم موريس كار مشروع مجلة اسرائيـل للسلام : « سيناء والجولان تظلان في حوزة اسرائيل كعقاب للمصريين والسوريين على ما فعلوه بالفلسطينيين واليهود ، اما الضفة الغربيـة فتمنح للفلسطينيين ليقيموا فيها دولة فلسطينيـة ، او لينضموا في اتحاد فدرالي مع اسرائيـل ان شاءوا . السلام في اعتقادنـا اصبح على مـدى النظر في الافـق ، وعلى اليهـود الاسرائيليين والعرب الفلسطينيين ان يتجهوا نحوه سوية وبثبات » .

هـذا هو تعليق موريس كار ، رئيس تحرير مجلـة اسرائيل ، وهـذه هي امنياته . والسؤال الذي يجب ان نطرحه على الفلسطينيين الذين اشتركوا في المحادثة (كما تصر المجلة على تسميتها) او على الاقل ، على الخالديين بينهم ، هو : اي هدف يمكن تحقيقه من وراء مثل هذه اللقاءات ؟ هل يمكن حقا الزعم بان رجال النظام الاسرائيلي لا يعرفون وجهة النظر الفلسطينية ، ولذا لا بد من لقاء مباشر لاحاطتهم بوجهة النظر هذه ؟ هـل يمكن القول بان الخلاف الاسرائيلي العربي هو ناتج عن سوء تفاهم فقط ، فاذا ما تبادل المجتمعون الراي بصراحة وفتحوا قلوبهم وتحاوروا بحسن نية ، كان ذلك المبشر بالخير والاتفاق ؟ ان الذي يقرأ النص يدرك فورا خطل هذا الرأي ، فالمقابلة كان يسودها جو مماثل لجو المقابلات النازية ، عندما كان هتلر يملي ارادته على زعماء تشيكوسلوفاكيـا بشراسته وغطرسته المعروفة ، فقد استخدم الجانب الصهيوني جميع الاساليب النازية الارهابية في سبيل اخـافة الفلسطينيين المشتركين بالنـدوة . ومرة اخـرى ، طرح الاسرائيليون على مائدة النقاش سؤالهم العتيد : ماذا كان سيحدث لو انتهت حرب الايام الستة بانتصار العرب ؟. فان مثل هذا السؤال من شأنه ان يضعهم في اطارهـم الفكري المفضل ، فالظاهر ان الصهيوني لا يشعر بالراحة ، ولا يستمد حماسه وشعوره بالغضب الحقاني التوراتي ، الا عندما يتصور نفسه ضحية مذبوحة غارقـة بالدماء . انه يلتذ بهذا الشعور ، ولا سيما عندما يكون هو الذي يمسك بالسكين الملطخة بالدماء، اي هو الذابح وليس المذبوح .

ومن هذا السؤال يستمد شاموئيل تمير ، الارهابي السابق في الارجون تسفائي ليئومي ، وعضو حيروت ، حقده المقدس ، فيرغي ويزبد ويتوعد بشن حرب جديدة على العرب اذا لم يتوقف الارهاب ، الى ان يقاطعه حـازم خالدي بقوله : هـل يتحدث بريجنيف باسلوب مخالف لاسلوبك هذا مع التشيكيين ؟ وهذا السؤال هو طبعا في محله ، لان تمير وسنيه كانا قبل ذلك بقليل قد اتهما الكرملين بالفاشستية والستالينية ، متناسين طبعا مساهمة ستالين في خلق اسرائيل ، والبرقية العاطفية جـدا التي كانت تل ابيب قد طيرتها اليه واعدة اياه بان الشعب الاسرائيلي لن ينسى جميله ابدا . ان قراءة نص المناقشة لا يمكن الا ان تجعل القارىء يشعر بالاسف ، لان مجموعة من العرب اختارت ان تدخل في حوار مع صهاينة عرفوا بفوغائيتهم الفاشستية ، فعرضوا انفسهم بذلك للاهانة والاذلال ، ووضعوا انفسهم في موقف اجبروا فيه عـلى التنصل من المقاومة

الفلسطينية المسلحة بعد ان عجز الصهاينة عن الضغط عليهم ليستنكروها . هذه لم تكن جلسة النقاش الوحيدة التي جمعت بين الفلسطينيين والاسرائيليين على صفحات مجلة اسرائيل ، ففي العدد الثامن الصادر في ١٩٧٠ كانت هناك ندوة اخرى . الا ان تلك كانت ندوة طلابية اشترك بها ثلاثة عشر اسرائيليا وثلاثة عرب هم محمد مرعي ووليد الفاهوم وسمير عبساوي . في هذه الندوة تحدث محمد مرعي ووليد الفاهوم بصراحة تامة ، فرسما صورة مؤثرة لحالة الفلسطينيين في الاراضي التي احتلت بعد حرب ٤٨ ، صورة زاخرة بانواع الاضطهاد ، كالقاء القبض الاعتباطي ومصادرة الاراضي ، الى التفرقة بين اليهودي والعربي ، وما يترتب على ذلك من مشاكل للطالب العربي ، كمشكلة ايجاد غرفة مع احدى العوائل في المدينة التي تقع بها جامعته .

يقول مرعي : « كعربي يعيش في ظل نظام غير عربي ، انا لا اشعر بالراحة مطلقا ، لاني لا انتمي الى هذا النظام ، فقط جغرافيا انا جزء منه . ان اسرائيل تطرد العرب من اراضيهم ، ويقول اصحابي اليهود ان المصلحة العامة تأتي فوق الاعتبارات الفردية ، ولكن لماذا العرب هم دائما ضحية هذه المصلحة العامة ؟ اننا لا نشعر بان الحكومة الاسرائيلية تهتم بمساعدة العرب او بادخال الصناعة بينهم . قبل مدة حاول احدهم ان ينشىء مصنع تعليب في القرية العربية باقا الغربية ، ولكن الحكومة منعته بلؤم . نعم ان مجتمعنا متخلف وواجب جيلنا الجديد ان ينتشله من هذا التخلف ، ولكن لا احد يريد ان يساعدنا . واذا حاولنا نحن ان نساعد انفسنا ، تحوم الشكوك حولنا ونتهم بالقيام بنشاط هدام . اني لا ارى حلا ، فالامور ساءت بعد حرب الايام الستة وانا لا ابالغ فيما اقوله . تعالوا الى قريتي . ستجدون عميل امن يقتفي اثر كل شخص فيها ، اذ هكذا تجري الامور بدولة اسرائيل ». ويسأله مدير الندوة عن الاندماج ، فيجيب مرعي : « الاندماج صعب جدا ، فهناك الصراع القومي بين العرب واليهود . عندي اصدقاء يهود علاقتي بهم طيبة شريطة الا نتناقش في السياسة ، اذ ما ان نتناقش في السياسة حتى يصبح الواحد منا لا يطيق مشاهدة الآخر » .

اما وليد الفاهوم فيقول : « اني لن انسى أصلي مطلقا ، ابدا ، فقومي يجتذبونني اليهم وواجبي الاول هو تجاه مواطني العرب في اسرائيل . ان المستقبل والتفكير به هو الذي يسبب للعربي في اسرائيل الصداع الشديد ، فاذا كان يريد ان ينتمي الى مهنة حرة ، فبامكانه عند ذاك ان يدلي بدلوه في السياسة ، اما اذا كان ينوي الانخراط في سلك التعليم ، حيث لا يستطيع الحصول على وظيفة الا بواسطة وزارة التعليم ، فالافضل له ان يبتعد عن السياسة . لدي صديق يحمل الليسانس ، ولكنه لا يستطيع الحصول حتى على وظيفة معلم في مدرسة ابتدائية لانه يرفض ان يكون عميلا للشرطة السرية الاسرائيلية » .

اما سمير عبساوي فقال : « قضيت أيام تلمذتي في مدرسة يهودية ، ولكني كنت ادرس في صف جميع تلاميذه من العرب ، الا اني اثناء الفرص كنت العب مع الاطفال اليهود ، وكنا نذهب الى نفس النوادي . ولكنا كنا نتناقش في السياسة ايضا وذلك جر الغيوم فوق علاقاتنا . بعد حرب الأيام الستة وجدت اصدقائي اليهود يتهربون مني . اني اسكن في دار الطلبة وزميلي في الغرفة هو يهودي . ولكنه كان شخصا مختلفا قبل الحرب . كنا سابقا كالاخوة ، أما بعد ذلك ، فالتوتر ساد علاقاتنا . اني عربي فلسطيني ولدت هنا وابي ولد هنا ولنا أرض نمتلكها ومع ذلك لا نقف على قدم المساواة مع اليهود في الحقوق . لدي صديق هو احد العرب القلائل الذين قبلهم معهد حيفا للعلوم . انه قلق على مستقبله ويفكر في مغادرة البلاد . كثير من الطلاب العرب يهاجرون بعد اكمال دراستهم الجامعية لانهم لا يستطيعون الحصول على عمل هنا . اذا كانت اسرائيل تريد السلام ، فعليها اولا ان تهتم بمواطنيها العرب » .

ويعود محمد مرعي الى الحديث فيقول : « انتم دائما تتحدثون عن تهديدات ناصر بتدمير اسرائيل . دعوني اخبركم بالحادثة التالية : دبلوماسي اجنبي جاء الى بن غوريون وقال له : ناصر يخبرني بان لديكم في الكنيست خارطة على الحائط تمتد فيها دولة اسرائيل المستقبل من النيل الى الفرات . فأخذه بن غوريون في جولة ببناية الكنيست وهو يقول له : انظر ! اين هي الخارطة التي يتحدث عنها ناصر ؟ انها غير موجودة ! والان ما رأيك بناصر ؟ فأجابه الدبلوماسي : انه كذاب ! فرفع بن غوريون يده وقال : لا تتسرع في الحكم . نحن لا توجد لدينا هنا خارطة معلقة على الجدار . الخارطة هي داخل رؤوسنا . في المرة التالية عندما تتحدثون عن تهديدات ناصر لكم ، تذكروا كلمات بن غوريون هذه . وهناك حادثة ثانية اريد ان اورويها لكم . فتاة يهودية اعرفها ، مرة وجهت لي السؤال التالي : اسمع يا محمد . لقد اتيت من تشيكوسلوفاكيا لاني وجدت ان هويتي ليست تشيكية ، ولذا فقد هاجرت الى اسرائيل لاعيش مع قومي . كنت على ما يرام في تشيكوسلوفاكيا ، لكني كنت اشعر باني هناك غريبة ولذا انتقلت الى اسرائيل . الا تفضل انت ان تذهب لتعيش في مصر حيث يوجد قومك ؟ هذه الفتاة القادمة حديثا ، تريد ان تدفعني الى الخارج ، أنا المولود هنا . ان جذوري هنا . هنا سأبقى . هنا تشبثت بالاقامة خلال العشرين سنة الماضية التي حرمت خلالها من حقوقي . حتى لو كان بامكان الجيش الاسرائيلي ان يحتل العالم كله ، فانكم لن تملوا علينا السلام بهذه الطريقة » .

في هذه النقطة ، يلجأ الاسرائيليون الى تكتيكهم المعهود في اثارة الضجة ليخيفوا العرب ، فيقول الفاهوم : « اني لن استمر . اذا كان هذا هو اسلوبكم في مهاجمة الواحد في ندوة ، فانا انسحب . كل هذا الهيجان لاني قلت ان اسرائيل هي قاعدة استعمارية . كيف تفسرون اذن حملة سيناء عام ١٩٥٦ عندما تحالفت اسرائيل مع الامبريالية الفرنسية والبريطانية ؟ اتنكرون موقف اسرائيل من الاستعمار الفرنسي في الجزائر ؟ وماذا عن انغولا والاستعمار البرتغالي ؟ وماذا عن روديسيا ؟ لقد ذكرتم اليمن واطماع مصر الاستعمارية فيه ، على حد رأيكم ، فما هو موقفكم من عدن ؟ »

محمد مرعي : « يلوح لي اننا أجتذبنا الى فخ . اطلبوا من المصور ان يتوقف عن اخذ الصور والا سأنسحب . انا آسف . ولكني أرجو الا يحاول احد هنا ان يحرف كلماتي ، او كلمات صديقي وليد فاهوم ، لاسباب خبيثة » .

المصور (الاسرائيلي) : لماذا تريدني ان اتوقف عن التصوير ؟

محمد مرعي : « لان لدي احساسا غريبا . اني اتحمل مسؤولية ما قلته ، ولكني ارجو ان تفسر اقوالي بالروح التي تحدثت بها . دعوني افسر ما احس به . اننا في نقاش وكل واحد يقول ما يدور بخلده . ثم نختلف ونتهيج بعض الشيء ، والنتيجة أن المصور يصورنا وكأننا في مظاهرة » .

هذا هو ملخص الندوة التي استوعبت ، كالندوة الاخرى ، عددا كاملا من مجلة اسرائيل . ويجب الاقرار هنا بان الطالبين الفلسطينيين تكلما فيها بجرأة تفوق جرأة الوجهاء الفلسطينيين في الندوة الاولى . اما في الجانب الاسرائيلي فالموقف سيان ، وليس هناك اختلاف بين ابناء الخمسين من اركان النظام الاسرائيلي وبين طلاب الجامعة الشبان . نفس الايديولوجية الصهيونية ، نفس التعصب العرقي ، نفس الاساليب الغوغائية في ادارة الندوة ، ولذا لا عجب اذا خشي محمد مرعي من المصور ، فاذا كانت الندوة حرة يقول فيها المشترك ما يشاء ، تنشر اقواله دون تحريف في الصحف بعد ذلك ، فالمشاكل تقع للعربي فيما بعد ، كالمراقبة والحرمان من العمل والاعتقال بتهمة الانتماء الى منظمة تخريبية ، ثم هناك ايضا الاغتيالات التي تقع احيانا ، فتزيل اثر العربي دون ضجيج .

باستثناء هاتين الندوتين ، فالعرب في هذه المجلة كالهنـود الحمر في افلام هوليوود : دائما في الخلفية ، ولا يظهرون الا ليقتلوا او يفروا ، او هم انفسهم يقعون قتلـى في لقطات سريعة خاطفة ، ثم تشيح الكاميرا بعدستها الى الابطال الرئيسيين ، الذين هم في حالة مجلة اسرائيل شعب اسرائيل . ومع ذلك ، فالمجلة تتكرم بين الفينة والاخرى بالقاء نظرة عابرة على شيء عـربي ، فقد تضمن احد الاعـداد عرضا سريعا للادب الفلسطيني وكان رأي الكاتب في كلمة الختام انه ادب نصف مطبوخ . كما كانت هنـاك مقابلة مع فدوى طوقان قامت بها الارهابية السابقة جئولا كوهـين . وقد نشر « نص » المقابلة بعنوان « سآكل من اكباد الجنود الاسرائيليين » ، فهذا ، تخبرنا جئولا ، هو بيت شعر من قصيدة لفدوى طوقان . وفي الواقع لم تكن هذه مقابلة صحفية بقـدر ما كانت تساجلا بين الارهابية صاحبة التعصب الاعمى ضد العرب ، وبين الشاعـرة الفلسطينية . وعلى كل حال ، فقد حرصت جئولا على ان تنقل ردود فدوى مشوهة ، حتى تبدو وكأنها هي المنتصرة في هذا التساجل .

وايضا عن العرب ، كان هناك مقال بقلم رستم بستوني ، النائب العربي في الكنيست ، وهو رجل معروف بعمالته للاسرائيليين ، ومقال عنه بقلم اسرائيلي صدر بعد ذلك بمدة ، وفيه يأسف كاتبه لان بستوني قد اختفى من المسرح السياسي ويأمل ان يكـون هـذا الاختفاء مؤقتا . ثم مقال ثالث عن احمد التاجي الفاروقي ، وهو رجل يقوم الصهاينة بالدعاية له على صفحات مجلة نيو ميدل ايست ايضا ، باعتبار انه قد ضم صوته الى صوتي انور نسيبه وعزيز شحاده في المطالبة بانشاء حركة فلسطينية هدفها التفاهم مع اسرائيل . اما المقال الرابع في سلسلة المقالات المكتوبـة عن فلسطينيين يستظلـون بالحنان الصهيوني ، فيدور حول مسرحية كتبها بالعبرية صحفي فلسطيني يدعى محمد وتد ، يرئس تحرير مجلـة تصدر بالعـربية هي المرصاد . اسم المسرحية هـذه هو « التعايش » ويقول مؤلفها انها مسرحية وثائقية يرتكز حوارها على ملاحظات سمعها من الناس . و « التعايش » هي عبارة عن « حوار ايجـابي وحسن النية بين اليهود والعرب ، فحواه ان الخلاف كله بين الطرفين عائد الى سوء التفاهم » .

اما عن المقاومة ، بعبع اسرائيل ، فلا يوجد الا مقال واحد صدر في عدد أيـار ١٩٧١ ويتضمن بروفيلين لياسر عرفات وجورج حبش ، وبامكان القارىء ان يحـزر ما جاء في هذين البروفيلين . والطريف ان الكاتب ركز اهتمامـا كبـيرا على ما وصفه ببشاعة وجه ياسر عرفات ، ولا شك ان الذي شجعه على ذلك هو الجمال الذي عرف به بن غوريون وربيبته غولدا وغيرهم من زعمـاء اسرائيـل . وبالاضافة الى بغضاء المجلة للعرب ، فهي ايضا حاقدة على اليسار الجديد في اوروبا الغربية وامريكا لموقفه المضاد لاسرائيل . وقد نفث احد كتاب المجلة سموم كراهيته على كوهن بنديت وجماعته في مقال نشرت بجانبه صورتان : احدهما لمراسل الموند في القاهرة ، اريك رولو ، وقد كتب تحتها : يهودي ناصري . والاخرى لايلمر بيرغـر ، كتب تحتهـا : الحاخام المعادي لاسرائيل . (الغريب أن المجلة لم تتهم هذا الحاخام بمعاداة السامية) .

اما الموضوع الذي يمكن مقارنته في درجة الاهمية ، مع ندوة الوجهاء ، وندوة الطلاب ، فهو النقد الذي ظهر في العدد الاول من عام ١٩٧٠ لمسرحيـة « ملكة البانيو » ، وهي المسرحية التي اثارت ضجة عنيفة في اسرائيل . ودليل اخر على عنف هذه الضجة ، هي الصفحات العشر التي خصصتها مجلة اسرائيل لهذه التمثيلية . فان هذه التمثيلية كانت قد اثارت الضجة حتى قبل ان تعرض ، عندما تسرب نص بعض مشاهدها الى الجمهور ، مما ارغم الرقابة على التدخل عدة مرات لحذف بعض المشاهد ، وعبارات القذف الموجهة

ليست فقط لرب اسرائيل ، وانما ايضا ضد القوات المسلحة مما يشكل كفرا لا مثيل لفظاعته في تاريخ الدولة الصهيونية . وتكونت لجنة حكومية من ثمانية عشر شخصا لفحص المسرحية ، وكان القرار الذي توصلت اليه هو وجوب حذف مشهدين نظرا الى انهما سيثيران اغلبية المشاهدين .

وفي الليلة الافتتاحية ، إزدحمت القاعة بالناس الذين كانوا قد سمعوا الكثير عن المسرحية حتى قبل عرضها ، فجاءوا ليروا فيما اذا كانت فعلا زاخرة باللعنات على رب اسرائيل والتوراة (العلم الديني) والاموات .

وابتدأت سلسلة المفاجآت المثيرة من المشهد الاول الذي تضمن النشيد التالي :

نحن الذين نعيش في انفراد
نحن الشجعان
نحن الاقوياء ، الصامتون ، الصلدون
نحن الغيورون
والاروع من اي شيء اخر ، نحن على حق
دائما على حق ، حتى الدموع .
كم هو عظيم ان ترتدي حقك كانه لباسك التحتاني
حتى لا يعلم احد كيف تبدو الاشياء من الداخل .
نحن المقاتلون ، الفاتحون ، الفائزون
نحن المهشمون ، نحن القاذفون
نحن المحررون
نحن الطيبون
نحن الوسيمون ، الطاهرون ، الفخورون
المتفوقون
المختارون
الاسياد

ثم تتتابع المشاهد وسط صيحات المشاهدين وصفير الاستهجان ، وايضا هتاف البعض . ويصل « الكفر » الى ذروته ، عندما ينشد الممثلون نشيد الوصايا العشر :

وفي صباح ربيع مشرق وجميل
نهضنا وكاننا واحد
كلنا اصدقاء مقربون ، كلنا شجعان
وسيمون ونظراتنا صافية .
نهضنا وتسلقنا جبل سيناء
حيث كنا سابقا قد استلمنا الكلمة[1]
تسلقنا بفخر ونحن ننشد
من أجل ان نرد الكلمة .
وكنتيجة اولى لمتطلبات الامن
رمينا في السماوات الوصية الاولى
وبعدها رمينا الوصية الثانية
هذه ايضا كاجراء امن
وبعد الثانية جاء دور الثالثة .

---

١ ـ كلمة الرب .

وبعد ذلك يأتي مشهد تتحدث فيه رئيسة الوزراء عن نفسها ، فتقول انها بعد الرجوع الى نفسها ، وبعد اختبار رأيها ، وجدت انها دائما على حق ، على حق ، على حق . وينهض وزير الخارجية ليلقي كلمته ويقول : وانا لا استطيع الا ان اختتم حديثي بلهجتي الاوكسفوردية ، واذا برئيسة الوزراء تمسكه من عورته ، فيخمد .

ويقوم وزير الدفاع ، فيقول :
اعدكم بالدماء والدموع
فكلمتي واحدة
واذا وعدتكم بالدماء والدموع
فعلى الدماء والدموع ستحصلون
طبعا بالاضافة الى العرق .

اما المشهد الذي يبدو انه حطم اعصاب المؤسسة الاسرائيلية واستفزها الى الصراخ ، فهو الذي يظهر فيه النبي ابراهيم مع ابنه اسحاق . هذا هو منظر تقديم القربان الى الرب .

ابراهيم : ابني اسحاق ، هل تعلم ما سأفعل الان ؟

اسحاق : نعم ، يا ابي . ستذبحني .

ابراهيم : الله هو الذي امرني بذلك .

اسحاق : اني لست متذمرا يا ابي . اذا كان عليك ان تذبحني ، فاذبحني .

ابراهيم (بتهكم مرير كالذي جرح شعوره) : جميل ، جميل جدا يا اسحاق . نعم ، اجعل الامور صعبة علي ، فمن السهل وضع الذنب علي عاتقي .

اسحاق : لماذا اضع الذنب على عاتقك ؟ الست انت نبي الله ؟ اذا امرك الله بذبح ابنك وكأنه كلب ، فاذبحه .

ابراهيم : لطيف ، جدا لطيف ، هذا الذي استأهله في شيخوختي . ضع اللوم كله على عاتقي ، اذا كان ذلك يناسبك . ضعه على ابيك ، الشيخ الكسير القلب الذي تسلق جبلا وهو بهذه السن ليربطك الى وتد ويذبحك . ثم الاسوأ من ذلك ، ابوك الذي عليه بعد ذلك ان يخبر امك بكل ما حدث .

اسحاق : ابي ، انصت . اكاد اقسم اني سمعت صوتا من السماء .

ابراهيم : وشو يعني ؟

اسحاق : سمعته مئة بالمئة . انت تعلم انه بقدر ما يتعلق الامر بي فاني على استعداد لان اذبح . ولكني سمعت صوتا لا شك .

ابراهيم : اني الان افكر بالاجيال القادمة . افكر ماذا سيحدث عندما يبعث آباء اخرون بابنائهم ليقتلوا . ما الذي سينقذهم عند ذلك ؟

اسحاق : بامكان الله دائما ان يأتي ويقول : ارفعوا ايديكم عن الصبي .

ابراهيم : ولكنك تعلم ان الله غير موجود .

بأي قياس ادبي ، هذا المشهد الساخر المرير الذي يضع المأساة الصهيونية كلهـا في اسطر قليلة ، هو رائع ويستحق كل اعجاب وتقدير . ان ابراهيم هنا هو جيل الرواد الصهاينة ، جيل الشيوخ امثال بن غوريون واشكول ومائير ، الجيل القديم الذي يذبح الجيل الجديد قربانا لاله لا يؤمن به . انها ادانة المؤلف للتفكير الغيبي الخرافي الـذي يسيطر على عقول الصهاينة ، كما انها كشف لزيف العبارة: «اين بريره» ، التي اصبحت اليوم بمثابة الفلسفة الصهيونية الرسمية . لا منـاص من الحرب والنصر ، لا بديـل للقتال ، لا خيار لنا الا في خوض غمار المعركة ، هـذه جميعا هي اطارات فكرية يريد المؤلف ان يفضح دلالتها الوحشية .

ثم تنحدر المسرحية الى الوقت الحاضر ، الى مشهد « ابي العزيز » ، عندما ينشد شاب

طالبا من ابيه الا يفخر ويزهو كثيرا ، فهذا هو وقت البكاء . ويقول له : « لا تكن صامتا من اجلي . هناك شيء اهم من الشرف ملقى عند اقدامك يا أبي (اي ابنك القتيل) . لا تقل انك قمت بتضحية ، فالتضحية كانت انا . عزيزي ابي ، عندما تقف عند قبري ، شيخا متعبا جدا ووحيدا ، وعندما تشاهدهم يدفنونني في الارض ، فاطلب صفحي يا ابي » .

واخيرا يأتي المشهد الذي حذف بعد ذلك ، اذ انه تضمن قمة الكفر وذلك لتطاول المؤلف على السلاح الجوي الاسرائيلي . في هذا النشيد يقول الممثل : ستموت انت ولكن السلاح الجوي سيعيش .

فيما يلي بعض الملاحظات التي سمعتها ناقدة مجلة اسرائيل من المتفرجين اثناء العرض :

— عار على الدولة ان تسمح بمثل هذه المسرحية !

— يجب ابادتهم ! (اي الفرقة)

— احدى المرات النادرة التي يجهر فيها احدهم برأيه صراحة في وجهك !

— يجب ارسالهم الى القتال !

— لقد شتمتم الله !

— ولكنك سمعت الان بأن الله غير موجود !

— ان الجمهور الذي يتقبل هذه المشاهد هو حثالة الارض !

وعلى كل حال ، فان مشهد السلاح الجوي حذف من المسرحية بعد الليلة الاولى(١) . الا ان سيل المشاهدين ظل في تدفق ، كما ارتفع عدد افراد الشرطة حول بناية المسرح وداخل القاعة . ومع ذلك استمرت المشاجرات تندلع كل ليلة ، كما القيت قنابل الروائح الكريهة ، وتلقت الفرقة انذارات تليفونية عن قنابل حقيقية . وكتبت ناقدة مجلة اسرائيل تقول : « وقد ارسلت متسبين ، وهي منظمة اشتراكية متطرفة في عطفها على العرب ، عصابات من الرعاع الى دار المسرح . ولكن هؤلاء لم يكونوا ممن يفهم المسرح ، ولذا فقد بكوا عند المشاهد المضحكة ، وضحكوا عند المشاهد المبكية ، وصفروا كل مرة جرى فيها ذكر كلمات مثل « طيارون » ، « جنود » ، « اموات » على المسرح .

« كما قيل ان عضو كنيست من راكح ، وهو حزب شيوعي متطرف في تأييده لموسكو ، صفق بحماس ، مع رفاقه العرب في الحزب . وبعد ثلاثة اشهر من البروفات تقدم عازف البيانو استقالته قائلا انه اكتشف ان المسرحية معادية للسامية . وقد ارسل ممثلون عن الاباء الذين كانوا قد فقدوا ابناءهم في الحرب رسالة الى وزير التربية والثقافة يغال الون ، يطالبونه بازالة ما اسموه كومة قذارة وكفر شرير بالقيم المقدسة للامة . كما اشترى اربعون مشوه حرب بطاقات للمسرحية ، معتزمين اظهار احتجاجهم بالظهور جميعا على خشبة المسرح اثناء التمثيل ، وذلك على العكازات وكراسي العجلات .

« وقد دعا مدير المسرح الى مؤتمر صحفي أعلن فيه انه ليس صحيحا ما تردد انه يبيع تذاكره باسعار مخفضة لمؤيدي التمثيلية ، كما اكد ان الفرقة لا تمنح التمثيلية المذكورة تأييدا ايديولوجيا ، بل انها اخرجت فقط بسبب قيمتها الفنية ولا لسبب آخر . ثم قال ان المسرحية سيستمر عرضها ما دام هناك جمهور يريد مشاهدتها . وفي هذه الاثناء بدأ بعض كبار الممثلين الاسرائيليين ينظمون انفسهم في كتلة بغية الضغط لرفع التمثيلية عن المسرح . وفي مجلس بلدية تل ابيب ، تقدم الاعضاء في حزب جاحال ، مطالبين بايقاف المعونة المالية للمسرح الذي تعرض فيه ملكة البانيو . كما بدأ الحديث يدور حول ازمة محتملة في الوزارة » .

١ — ولكن مشاهد « الكفر » الاخرى بقيت .

واستمرت الضجة في اسرائيل بين انصار التمثيلية ومعارضيها ، بين مؤيدي الحرب ومناصري السلام . وعبرت انباء الضجة حدود اسرائيل ، فخصصت مجلة شبيغل الالمانية عمودين لملكة البانيو، وتحدثت عنها ايضا مجلة تايم الامريكية. ووصلت اكياس من رسائل الاحتجاج الى بلدية تل ابيب تعلن عزم مرسليها على عدم دفع ضرائب للبلدية لمدة ستة اشهر استنكارا لهذه التمثيلية التي «تركل اغلى شيء عندنا ، ارواح ابنائنا» .

وزاد الطين بلة نشر اعضاء لجنة الرقابة لاجزاء النص التي كانت الرقابة قد امرت بحذفها قبل الليلة الافتتاحية . وعلاوة على ذلك هاجمت « معاريف » ملكة البانيو بعنف، وكذلك انتقدها بشدة اشهر كاتب كوميدي في اسرائيل : ايفرايم كيشون ، الذي يمكن اعتباره بمثابة الفكاهي الرسمي للنظام الاسرائيلي . الا ان احد الكتاب في صحيفة كول هاعم الشيوعية ، تصدى له وذكره بانه الف كتابه الفكاهي المعروف عن حرب حزيران « آسف لاننا انتصرنا » وبدأ يقبض مكافأته الضخمة عليه في الوقت الذي لم تكن به دموع الاباء الذين فقدوا ابناءهم في الحرب ، قد جفت . وقال هذا الكاتب ان السخرية المريرة في ملكة البانيو هي ذات طابع اشفائي ، اما فكاهة كيشون فهي من النوع الذي يجلب النعاس . والقت هاعولام هازيه ، مجلة اوري افنيري ، بدلوها في النقاش ، فكتبت ان ملكة البانيو هي احتجاج حاد على الشوفينية الاسرائيلية التي هي شقيقة الفاشستية . ولكن رأي موشي ديان في ملكة البانيو ، كان يختلف . ففي تصريح اذاعي قال : « اي سرور مدهش سيشعر به المصريون لو اتيحت لهم فرصة مشاهدة هذه المسرحية التي تعرض في دار تمولها الحكومة والبلدية . لا اظن ان اي شيء اخر سيشجع الجيش المصري اكثر من ذلك . ان هذه التمثيلية هي شيء يقع بين المراحيض والحمام ، ففيها نتانة التواليت ولا داع لذكر اسلوب الكلمات . . . » ويجب هنا مقارنة غضب الجنرال وتعثره بالكلمات من جراء هيجانه ، بالصورة التي حاولت ان ترسمها الدعاية الصهيونية الرسمية قبل ذلك ، عندما ذكرت ان الجنرال حضر المسرحية وقهقه كثيرا وخرج مبسوطا . فالظاهر ان وزير الدفاع ليس هو بالرجل السبور ، وصاحب روح الدعابة ، كما تصوره هذه الدعاية ، وتراوحت تعليقات الصحف على ملكة البانيو ، فان صحيفة الشباب « معاريف لنوعر » مثلا ، كتبت : « هل شاهدتم كيف يجري تدريب كلب تبرز في صالون البيت ، من اجل تخليصه من هذه العادة ؟ ان مدربه يأخذ رأسه ويغطسه في قاذوراته . محظوظ هو الشخص الذي يغطس كاتب المسرحية بقاذوراته » .

اما ناقد يديعوت احرونوت فكتب ان التجريح كان دائما اسلوب كتاب السخرية امثال رابيليه وسويفت واريستوفانيس . بينما المنع والرقابة هما عوارض لتجمد الفكر والمرض في المجتمع ثم قال : « يجب ان نفخر بأن مسرحا مهما قد عرض تمثيلية تبرز مواطن ضعفنا في وسط حرب مريرة . فلو سمعنا بتمثيلية مماثلة في الدول العربية ، لاعتبرنا ذلك دليلا على الشفاء الروحي والواقعية » . ولكن دوش ، راسم الكاريكاتور الذي تحلي رسومه الصحف الاسرائيلية المقربة من المؤسسة القائمة ، والذي تنشر اعماله مجلة اسرائيل بانتظام ، لم يتمالك اعصابه ، وطالب الجمهور برفع التمثيلية عن المسرح . والعجيب انه استند على حجة غريبة جدا في طلبه ، اذ كتب : « ان هذه الخطوة الخطيرة يجب القيام بها استنادا على مبدأ لا يقل شرعية عن المبدأ الذي يتضمنه ميثاق الامم المتحدة ، وهو : حق الدفاع ضد الاستفزاز للقتل الجماعي . »

وفي مثل هذا الهذيان ، ظهر اعلان دفع اجرته رجل اسمه آريه غيلبلوم بعنوان : ايها الاسرائيليون ، انضموا الى فتح ! هذا الاعلان الذي نشرته هارتس تضمن ما يلي : « لانه طبقا لما ورد في ملكة البانيو ، من اننا شعب من الفاتحين والاسياد ، اعمالنا كلها حق في نظرنا . ولما كنا نرسل ابناءنا بصورة مستمرة الى الموت ، مع سبق الاصرار ، وبدون سبب معقول . ولاننا نتمتع حتى عندما يخبرنا وزير دفاعنا

بابتسامة على شفتيه بأن من لم يمت البارحة او اليوم سيموت حتمـــا غداً . ولاننا مزقنا ورمينا الوصايا العشر ، فلم يبق لدينا شيء ، وبذا فنحن اكثر الدول انحرافـــا اخلاقيا في المجتمع (البشري) ، فالوقت قد حان لان نصل الى الاستنتاج بأن مثل هذه الدولة لم يعد لها حق في البقاء ، ولذا يجب هدمها حتى الاساس . اني اناشد كل مـــن تمتع بمشاهدة البانيو لينضم دون تأخير الى صفوف فتح وغيرهم من المقاتلين في سبيل العدالة والحرية ، من اجل السعي وراء الهدف المشترك . » ان كاتب المسرحية هـــو حـــانوخ ليفن الذي يبلغ السادسة والعشرين من العمـــر . وفي مقابلة مع ناقدة مجلة اسرائيل ، قال : « ان العالم هو مبني على الرفض وان هدف الساخر هو الكشف عـــن نوات الشر في العالم . لقد تحولنا في هذا البلد الى فرع في السلاح الجوي مـــن فرط اعجابنا به وعبادتنا له . اننا سلاح جوي يمتلك دولة . ان الذي فعلته في تمثيليتي هو اني حولت صراعنا مع العرب كله الى موقف عائلة تمتلك حمامـــا ولكنها لا تسمح لابن عمها باستعماله . »

بعد ثلاثة عشر عرضا فقط ، ومع ان سيل المشاهدين لم ينقطع ، أمرت الحكومة بوقف المسرحية ، وقيل أن هيئة التحرير في صحيفة معاريف اقامت حفلة شربت فيها الانخاب بمناسبة انهاء التمثيلية . اما المؤلف ، فقد وقف امام دار المسرح وهو يحمل شكـــلا مضخما لحرف Z دلالة على خنق حرية الرأي ، ثم نشر اعلانا دفع ثمنه في هارتس بعنوان : النقد الذاتي ، وفيه تلد ليفن اسلوب المؤلفين في العهد الستاليني عندما كان النظام يجبرهم على انتقاد انفسهم امام الجميع .

كتب ليفن : معالي وزير الدفاع ، رؤساء المجالس البلدية ، محررو الصحف والراديو والتلفزيون ، اساتذتي وسادتي : كلي خجل وتواضع واعتراف بجميلكم ، اقف أمامكم اليوم . فان جهودكم المخلصة التي لم تعرف الكلل لرفع ملكة البانيو عن المسرح قـــد فتحت عيني وجعلتني اعيد النظر في كل ما كتبته . الان وقد ازيلت مسرحيتي ، فأنـــي احني رأسي واعترف بخطأي . فقد استغليت مبادىء الدمقراطية من اجـــل ان اهد المعنوية العامة ، وكي الغن معارك اسرائيل ، وحتى انشر الكراهية والارتباك فـــي صفوف امة متحدة . وكل ذلك بواسطة كلمات تافهة تدل على خبل عقلي . اني اسحب كل كلمة وكل رمز كتبته . واتوسل اليكم في صوت ضعيف ان تعزوا اخطائي الى عدم نضوجي والى التربية الفاسدة التي حصلت عليها في دار والدي . وبهذه المناشدة مـــن اجل الصفح ، سأواصل الامل بأن اعطى فرصة ثانية لابرهن على نفسي في العمـــل المنتج ، وكمواطن مفيد في صفوف الشعب ، من اجل مجد الدولة والامة . التوقيع : حانوخ ليفن ـــ شبه كاتب مسرحي .

هذا الاعتراف الساخر « بالخطأ » فجر النقاش حول حرية الراي في الدولة الصهيونية واشترك حتى الجنود في خط بارليف بالنقاش . وحاولت الجامعة العبرية ان تخـــرج المسرحية من جديد ، الا انها دفنت مـــرة اخرى تحت قنابل الروائح الكريهة والزجاج المهشم والحجارة ، وكان راي الاغلبية ان حرية التعبير جميلة لا شك وضرورية ، ولكن الحرب التي تخوضها اسرائيل لا تسمح بالحرية المطلقة . الا ان الاراء لم يعبـــر عنها كلها بهذا الوضوح ، فالنحات داني كارافان ، مثلا ، قال : « ان الدمقراطية قد تدمـــر نفسها اذا سمحت بالاستهتار ، كما أنها تعرض نفسهـــا للتدمير اذا حـــاولت قمـــع الحريات . » وللقارىء ان يفهم من هذا التخبط عما اذا كان صاحب الحديث يحـــذر من الحرية ، ام من قمعها .

المهم انه في الفترة التي كتبت فيها هذه المسرحية وعرضت ، كانت اسرائيل تجد نفسها في خضم صراع دموي بدأ يستنزف قواها . وكما أن الضمير الامريكي لم يستيقظ ويطلب

وقف الحرب الفيتنامية الا بعد أن سقط عشرات الالاف من الامريكان قتلى وجرحى في ادغال الهند الصينية ، فان الاسرائيليين لم يجدوا عقم « اين بريره » الا بعد ان اخذت الحرب على ضفتي الاردن والقناة تلتهم شبابهم كل يوم . ولذا فالضجة التي احدثتها المسرحية كانت كبيرة ، وبحجم الضجة التي اثارها جون كمشه عام ١٩٦٧ (قبل الحرب باشهر معدودة) عندما نشر في مجلته « جيويش اوبزرفر » بأن مئة الف اسرائيلي هم عاطلون عن العمل . وكما في تلك المشكلة ، فان الدوي الذي احدثته ملكة البانيو كان اكبر من ان يخنق داخل جدران اسرائيل . فتناولته مجلة اسرائيل ، وكتبت عن المسرحية وردود الفعل الناتجة عنها مقالا طويلا مستفيضا كان على كل حال بعيدا عن الموضوعية ، باعتبار أن المجلة اعتبرت الامر كله بمثابة زوبعة في الفنجان مع أنه طبعا لم يكن كذلك ابدا . ولكن المجلة ظنت انها باستخدامها الاسلوب الساخر في الكتابة عن المسرحية الساخرة ، ستعيدها الى حجمها الحقيقي . وشاء سوء حظ المجلة ان تكون ناقدتها باولا هيرت صاحبة اسلوب متحذلق يحاول ان يبدو خفيف الدم دون جدوى ، فكانت النتيجة ان الاستخفاف ، بل والاحتقار الذي اظهرته هذه الكاتبة للمسرحية وكاتبها ظل دون مبرر . فالكاتب الشاب حانوخ ليفن هو من غير شك مؤلف موهوب ويتقن فن السخرية اللاذعة .

اما صفحة النكات في مجلة اسرائيل ، فالفكاهات فيها كلها تتضمن المديح لاسرائيل ، اي انها من النوع الذي لا يبغي الاضحاك وانما الدعاية السافرة ، علما بأن النكتة هي ليست الواسطة المثلى للدعاية لشعب او دولة . أما كاريكاتورات دوش ، فهي باردة الروح ولا تخرج هي الاخرى عن نطاق حرق البخور لكل ما هو اسرائيلي . وبقدر ما هي ايجابية في مديحها للنظام القائم ، فانها سلبية وشديدة الذم للعناصر اللامنتمية في المجتمع الاسرائيلي . فمثلا نجد في احد الرسوم رجلين ، احدهما جندي اسرائيلي متوجه الى ساحة القتال وهو يحلم بحمامة السلام التي تحمل غصن الزيتون في منقارها، والاخر هيبي طويل الشعر واللحية ، يحمل الغيتار ويحلم بالمظاهرات .

ان مجلة اسرائيل هي ببساطة منشور دعائي صهيوني لاسرائيل . ولما كانت اغلبية صحف العالم الغربي تؤيد اسرائيل ، فبامكان هذه المجلة ان تركز على امر عظيم الاهمية بالنسبة للصهاينة ، وهو تشجيع الهجرة الى « ارض الميعاد » . فانها مثلا بصراحة كتبت على غلاف احد اعدادها : مطلوب لاسرائيل مهاجرون غربيون على قيد الحياة . ولهذا الغرض ، عبأت المنظمة الصهيونية افضل كتابها ومحرريها ومصوريها لاخراج صورة جذابة مشرقة تستهوي قلوب اليهود في المهجر . فلا يكاد القارىء ينظر في صفحة من صفحات المجلة الا ويشاهد وجها فتيا وسيما يبتسم له ، لكنه لا يملك الا أن يلاحظ بأن هذه الابتسامات هي عموما سطحية ولا تنبعث عن غبطة حقيقية ، وكأن أصحابها لا يريدون التعبير عن سعادة غامرة بقدر ما يريدون الرد على اية شماتة محتملة ، وكأنهم يقولون : نحن سنكون سعداء رغم انوفكم .

وفي كل سطر ونادرة، يريدنا المحررون ان نعتقد بأن الحتسباه (وهي كلمة عبرية معناها الجرأة) هي اختصاص اسرائيلي بحت ، لا يشاركهم فيه شعب اخر على وجه الارض . ولكن القناع لا يظل ثابتا على الوجه طوال الوقت ، ففي احد الاعداد نجد صورة لشاب اسرائيلي ، ثم من عبارات الرثاء تحت الصورة نفهم انه ابن البروفسور فلان ، احد أعضاء الاسرة التحريرية في المجلة ، وان الاب سيكتب مقالا عن ابنه القتيل في الحرب متى استطاع التغلب على حزنه . وهكذا تستمر العجلة في الدوران . ويظهر العدد بعد العدد من مجلة اسرائيل وهو يحمل الصور الجميلة المشرقة ، ولكن بين كل صورة وأخرى نجد العبارة : « اين بريره » ، « اين بريره » ، « اين بريره » .

ملاحظة : كتبت هذه الدراسة في اواخر العام ١٩٧١ .

الزراعة العربية في فلسطين قبل قيام دولة اسرائيل

خليل ابو رجيلي

تعمدت الحركة الصهيونية منذ نشأتها التركيز على ان فلسطين هي ارض صحراء لا يقطنها بشر ، وكان شعار الحركة : « ان فلسطين ارض لا شعب فيها هي ملك لشعب لا أرض له » . وقد تجاهل معظم الكتاب الصهيونيين عن تصد وعمد ذكر السكان العرب القاطنين في فلسطين والعاملين فيها منذ مئات السنين ليخدعوا الرأي العام العالمي حتى يبرروا اغتصابهم بالقوة والعنف لاراضي العرب . وعندما كان أحد الكتاب الصهيونيين يشير الى وجود السكان العرب في فلسطين كان يتمعن في ابراز انتماء هؤلاء السكان الى عدة طوائف غير متجانسة ، متباينة في الراي ومتنابذة ، ليبين انعدام وجود شعب عربي فلسطيني موحد واع لحقوقه ووطنه . وقد شدد هؤلاء الكتاب على ان سكان فلسطين العرب لا يحتلون الا جزءا من أرض فلسطين التي لا تزال صحراء تنتظر من يقطنها ويستثمر الخيرات الدفينة في أرضها(١) . وبعد قيام دولة اسرائيل واجلاء السكان العرب من الجزء المحتل من فلسطين وتدفق الهجرة الصهيونية اليها ، أخذت أبواق الدعاية الصهيونية تشيد بمفاتن « الصحراء التي أزهرت » ، متجاهلة عن عمد وقصد الشعب العربي الفلسطيني الذي كان يعيش في هذه « الصحراء »(٢) والذي عمل بجهد وكد طوال العصور لاستثمار اكبر مساحة ممكنة من الاراضي الصالحة للزراعة ليقيم عليها زراعة مزدهرة لسد حاجاته الى المواد الغذائية وتصدير الفائض من الانتاج . لذلك كان هدفنا في هذا البحث تبديد رواسب الدعاية الصهيونية من الاذهان بتبيان وضع الزراعة العربية في فلسطين قبل قيام دولة اسرائيل في الاجزاء المحتلة منها . وللوصول الى هذا الغرض سنقسم بحثنا هذا الى ثلاثة أجزاء تتناول أوضاع الزراعة العربية الفلسطينية منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى قيام دولة اسرائيل .

الزراعة الفلسطينية قبل دخول الاستعمار الصهيوني الى فلسطين

ان فلسطين بلاد زراعية وقد عمل سكانها منذ القدم على زراعة سهولها الخصبة وبناء « الجلول » في الجبال لحفظ التربة واستعمالها للزراعة . وكان معظم سكانها في القرن التاسع عشر لا يزال يعمل في الزراعة باستثناء بعض سكان المدن الساحلية والقدس الذين كانوا يتعاطون التجارة او بعض الاعمال الحرفية . وكانت هذه المدن صلة اتصال البلاد مع الخارج ومركز تفاعل التأثيرات الخارجية التي كانت تنتقل الى المناطق الاخرى من البلاد لا سيما المناطق المحيطة بالمدن حيث كانت الزراعة مزدهرة نسبيا وتقوم بدور تزويد سكان المدن بالمنتجات الزراعية التي تحتاج اليها من حبوب وخضار وثمار والبان وبيض . اما الزراعة في المناطق الداخلية والجبال فكانت زراعة اكتفاء ذاتي قوامها زراعة الحبوب . ولا نعرف نسبة الاراضي المزروعة من مجموع مساحة فلسطين

الاجمالية في تلك الفترة كما لا نملك معلومات عن نسبة السكان العاملين في الزراعة ولا عن كمية الانتاج الزراعي وقيمته وذلك لعدم توفر الاحصاءات ولكون فلسطين في ذلك الحين ترزح تحت الحكم العثماني ، وترتبط اداريا بولاية سوريا وبيروت . لكن رغم انعدام الاحصاءات والمعلومات نعرف بأن نسبة الاراضي المزروعة سنويا كانت ضئيلة نسبيا لان الفلاح في ذلك الحين غالبا ما كان يترك أرضه دون زراعة سنوات متتالية لترتاح ثم يعود ويزرعها من جديد(٣) . كما ان كمية الانتاج الزراعي وقيمته كانتا ضئيلتين أيضا بسبب تدني مردود الزراعات نتيجة للاوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي كان يعانيها العاملون في الزراعة ، وكان هؤلاء مقسمين الى ثلاث فئات(٤) :

١ ــ **فئة كبار الملاكين** : يعيش اصحاب هذه الفئة في المدن الفلسطينية أو خارجها ، ولا يهتمون بالارض أو بزراعتها فكانوا اما يؤجرونها الى فلاحين فلسطينيين لقاء قيمة سنوية ثابتة واما يعمل فيها الفلاحون بصفة شركاء لقاء نسبة معينة من المواسم الزراعية التي تنتجها الارض تتراوح نسبتها بين ٣٠ و٧٠ ٪ . ولا يزور هؤلاء الملاكون أرضهم الا نادرا . ويوكلون ادارتها الى وكيل مخنص يحوز ثقتهم ، وكـان هذا الوكيـل يبذل اقصى جهده لاستغلال الفلاحين العاملين في الارض حتى ينال ثقة كبار الملاك ويكدس الاموال في خزائنه ، فيهابه الفلاحون ويكنون له البغض والكراهية لكن لا يستطيعون عمل شيء للتخلص منه لانه كان صديقا للحكام ويعرف كيف يستغل صداقته ليمعن في الاستغلال والاستبداد . ولعبت هذه الفئة دورا كبيرا فيما بعد لتثبيت جذور الاستعمار الصهيوني في فلسطين لانها كانت أول من باع الاراضي للمهاجرين الصهيونيين الاول .

٢ ــ **فئة الفلاحين الشركاء** : لا يملك اصحاب هذه الفئة اي شبر من الارض التي مضى على وجودهم فيها وقت طويل ، والتي يملكها كبـار الملاكين ، يعيشون في خوف دائم ويرضون بأقسى شروط الاستغلال والاستبداد لينالوا رضى كبار الملاكين ووكلائهم حتى لا يطردوا من الارض التي يزرعونها . يعملون بكد وجهد مع عائلاتهم لاعطاء الملاكين الكبار حصتهم من المواسم ولتسديد الضرائب الى مأموري الدولة ولا يبقى لهم الا القليل القليل من اتعابهم ليعيشوا مع عائلاتهم ، وغالبا ما يكونون فريسـة للمرابين الذين يسلفونهم بعض الاموال لقاء فوائد عالية جدا الى حد لا يستطيع الواحد منهم وفاء ديونه التي تتكدس عليه سنويا وقد يموت قبل وفاء ديونه التي تنتقل الـى ورثته وهكذا دواليك . . . وقد تضررت هذه الفئة فيما بعد تضررا كبيرا من جراء الغزوة الصهيونية لفلسطين لان المهاجرين الصهيونيين بعد شراء الاراضي من كبار الملاكين عمدوا الـى طردهم من الاراضي التي كانوا يزرعونها لعدم وجود تشريع يحفظ لهم حقوقهم بالبقاء في الارض .

٣ ــ **فئة الملاكين الوسط والصغار** : يملك اصحاب هذه الفئة أرضهم ويزرعونها لكنهم يرزحون تحت أعباء الضرائب والديون ، وقد استغل المرابون وضعهم أبشع استغلال واستولوا على أراضيهم لاستيفاء أموالهم . وهكذا وقعت أراض كثيرة من أراضيهم في أيدي المرابين واصبح الفلاحون الملاكون بلا أرض وشركـاء في الاراضي التي كانوا يملكونها سابقا .

ما هي نسبة كل فئة من هذه الفئات من مجموع العاملين في الزراعة ؟ وما هي نسبة المساحة التي تملكها كل فئة وتعمل فيها من مجموع مساحة فلسطين الاجمالية ؟ لا نملك احصاءات تبين لنا مدى أهمية كل فئة وملكيتها بالنسبة للفئات الاخرى لكن هناك بعض التقديرات تبين بأن فئة الملاكين الوسط والصغار كانت تملك ٢٥ ٪ من اراضي الجليل و٥٠ ٪ تقريبا من أراضي فلسطين الجنوبية(٥) . ونعرف من جهة اخرى بأن القانون العقاري العثماني الصادر سنة ١٨٥٨ ساعد كثيرا على تجميع الاراضي في ايدي الملاكين الكبار لأن نتائجه المباشرة كانت(٦) : أ) مصادرة الاراضي المتروكة التي تخص الملاكين

الوسط والصغار وقبائل البدو وبيعها الى كبار الملاكين . ٢) تمنع بعض الملاكين الوسط والصغار وقبائل البدو من تسجيل اراضيهم بأسمائهم لانهم لا يملكون رسوم التسجيل الباهظة ولا يستطيعون دفع الضرائب السنوية على الارض البالغة ٤ ٪ من ثمن الارض سنويا ، فكان أن استولت الدولة علـــى هذه الاراضي أيضا وباعتها للملاكين الكبـــار الذين استحصلوا عليها بأثمان بخسة جدا نتيجة لتواطئهم مـــع موظفي الحكومـــة . ٣) امتناع بعض الملاكين الوسط والصغار من تسجيل أراضيهم بأسمائهم ووقفها الى بعض المؤسسات الدينية تهربا من رسوم التسجيل ودفع الضريبة السنوية على الارض، لان أراضي الاوقاف كانت معفاة من الضرائب ، وساعد هذا التصرف على زيادة املاك الاوقاف زيادة كبيرة وحرم الفلاحين تدريجيا من أراضيهم .

نرى اذن بوضوح بأن كل التطورات كانت تسير ضد مصالح الفلاحين ، سواء أكانوا مالكين لارضهم أم شركاء فيها . لقد اجتمع على استغلالهم كبـــار الملاكين والمرابين المتواطئين مع موظفي الدولة العثمانية والسلطات المحلية وذلك لمنعهم من تحسين طرق استغلالهم للارض ليبقوا طيعين تحت رحمتهم ويضغطون عليهم كلما رأوهم جادين في التفلت من نفوذهم . لكن هذا الفلاح رغم هذه الحالة الزرية التي يعيش فيها « وبفضل الذكاء الطبيعي الذي يتميز به »(٧) استطاع ان يحسن بعض أساليبه الزراعية بالقليل القليل الذي يملكه من المال بعدما شاهد نجاح الاساليب الزراعية الحديثة التي دخلت الى فلسطين بواسطة الارساليات الدينية في بيت جالا واللطرون وعمواس التـــي عمل افرادها في الزراعة ، وبواسطة المهاجرين الالمان (١٨٦٨) الذين استقروا في مستعمرات زراعية قرب يافا وحيفا والناصرة . وقد كان ذلك قبيل الغزوة الصهيونية للاراضي الفلسطينية . وهذا الوضع يدحض النظرية السائدة التي تقول بأن الفلاح الفلسطيني بدأ بتحسين أساليبه الزراعية بعد احتكاكه بالمهاجرين الصهيونيين(٨)، والواقع يبين بأن الفلاح الفلسطيني بدأ بتطوير أساليبه الزراعية قبل وصول المهاجرين الصهيونيين لان تاريخ انشاء بســاتين الحمضيات الحديثة في السهل الساحلي وزراعة الخضار المكثفة في السهل الساحلي ووادي الاردن يعود الى سنة ١٨٧٠ أي قبـــل دخول المهاجريـــن الصهيونيين الى فلسطين باثنتي عشرة سنة تقريبا . وسنرى في الجزء الثاني من هذه الدراسة بأن انتاج الفلاح الفلسطيني كان أفضل من انتاج المهاجـــر الصهيوني خلال الاربعين سنة الاولى من تاريخ دخول الاستعمار الصهيوني الى الاراضي الفلسطينية .

الزراعة الفلسطينية من دخول الاستعمار الصهيوني سنة ١٨٨٢ حتى سنة ١٩٢٠

كانت بعض فروع الزراعة العربية في فلسطين (بساتين الحمضيات وزراعة الخضار) قد بدأت تتحسن فعليا وتتحدث نتيجة توظيف رؤوس الاموال فيها وذلك قبل ان تطـــأ اقدام المهاجرين الصهيونيين الاراضي الفلسطينيـــة في سنة ١٨٨٢ . لكننـــا لا نملك احصاءات عن هذه الفترة التي تلت مباشرة دخول الاستعمار الصهيوني الى فلسطين ويجب الانتظار حتى سنة ١٨٩٥ لنحصل على احصاءات عن الزراعة في متصرفية القدس فقط التي كانت مساحتها ٢٢٠٠٠ كلم٢(٩) اي ما يوازي ٨١ ٪ من مجموع مساحة فلسطين ، وتبقى المعلومات ناقصة عن الجليل وقضاء نابلس التي كانت تابعة آنذاك لولاية بيروت . ثم تنقطع الاحصاءات عن الزراعة في فلسطين الى سنة ١٩١٠/١٩٠٩ حيث نقع على احصاءات عن متصرفية القدس باستثناء قضاء الخليـــل ، لكن طبيعة الاحصاءات المتوافرة لا تمكننا من المقارنة الكاملة بينها لان مصادرها وتبويبها مختلف الواحدة عن الاخرى كما سنرى فيما بعد . لكن قبل ان نستعرض الاحصاءات المتوفرة لنا لا بد من عرض لوضع الفلاح الفلسطيني التقني في تلـــك الفترة الذي كان يملك أساليب زراعية متطورة ومنسجمة مع طبيعة الارض والمناخ والظروف السياسية التي يعيشها(١٠) وكان مستواه التقني لا يقل عن مستوى المزارع الاوروبي في ذلك العصر كما

يقول هيغنز بنجامين عندما يتكلم عن شعوب آسيا والشرق الاوسط لدى دخول الاستعمار الاوروبي اليها(١١). وسنتحقق من هذا الواقع في الصفحات اللاحقة عندما نقارن بين مردود الهكتار لدى الفلاح الفلسطيني والمهاجر الصهيوني .

ان الاحصاءات المتوفرة لنا عن الزراعة الفلسطينية ما بين سنة ١٨٨٢ و١٩٢٠ والتي ذكرناها سابقا تبين لنا المساحات المزروعة ونوعية الزراعات السنوية والدائمة وانتاجها ومردود الهكتار وأوضاع الملكية وسنعرض لها كما يلي(١٢):

١ ــ **المساحات المزروعة** : كانت نسبة المساحة المزروعة في متصرفية القدس سنة ١٨٩٥ ١٠ ٪ من مجموع مساحتها باستثناء الاراضي المتروكة ، التي كانت تزرع سنة بعد اخرى ، والاحراج والمراعي الطبيعية . وكانت مساحة الاراضي المزروعة بالحبوب تبلغ ١٦٠ ٠٠٠ هكتار ، والمساحة المزروعة بقولا وخضارا ٣٧ الف هكتار ومساحة الاشجار المثمرة ٢٣ الف هكتار منها ٦٦٠ هكتاراً من الحمضيات . اما نسبة المساحة المزروعة سنة ١٩٠٩/١٠(١٣) فقد كانت ٨ ٪ من مجموع المساحة اي أقل ٢ ٪ عن سنة ١٨٩٥ ، ويتبين بأن مساحة الحبوب والبقول والخضار قد انخفضت الى ٨٤٢ ١١٨ هكتارا بينما زادت مساحة الاشجار المثمرة الى ٢٥ الف هكتار وكانت الزيادة في مساحات الاشجار الحمضية التي ارتفعت مساحتها الى ثلاثة آلاف هكتار .

جدول رقم ١ ــ توزيع الاراضي سنة ١٨٩٥ بالكيلومترات

القضاء	اراضي مزروعة	اراضي قابلة للزراعة	احراج	مراع طبيعية وجبال	اراضي صحراء	المجموع
القدس	٩٠٠	٣٠٠	١٠٠	٥٠٠	٤٠٠	٢٢٠٠
يافا	٩٠٠	٥٥٠	٢٥٠	٥٠٠	٤٠٠	٢٦٠٠
غزة	٢٠٠	١٩٠٠	١٠٠	٢٤٠٠	٦٨٠٠	١١٤٠٠
الخليل	٢٠٠	١٩٥٠	٢٥٠	٨٠٠	٢٦٠٠	٥٨٠٠
المجموع	٢٢٠٠	٤٧٠٠	٧٠٠	٤٢٠٠	١٠٢٠٠	٢٢٠٠٠

٢ ــ **انواع الزراعات** : تقسم الزراعات التي كانت تنمو في الاراضي الفلسطينية الى زراعات سنوية موسمية كالحبوب والخضار والى زراعات دائمة كالاشجار المثمرة . وأهم الزراعات السنوية الموسمية التي كانت تزرع في فلسطين ولا تزال الى ايامنا هذه هي زراعات الحبوب على انواعها لا سيما القمح والشعير والخضار . كانت زراعة الحبوب مزدهرة في مرج ابن عامر وسهل غزة وبئر السبع وبعض السهول الداخلية اما زراعة الخضار فكانت في السهل الساحلي حول يافا والرملة وفي وادي الاردن . ونعرض فيما يلي الى أهم انواع الحبوب والخضار التي كانت مزروعة في فلسطين سنة ١٩٠٩/ ١٩١٠ :

القمح : كانت زراعة القمح منتشرة في معظم الاراضي الفلسطينية الا انها كانت مركزة بنوع خاص في مرج ابن عامر ، وكانت الانواع المزروعة هي نوع القمح البلدي ثم القمح المصري ، وكانت المساحة المزروعة سنة ١٩٠٩/١٩١٠ ٤٦١٠٠٠ دونم انتجت ٣٣٩٥٠ طنا ، أما المعدل العادي لانتاج القمح السنوي في متصرفية القدس فقد كان ٥٠ الف طن، وقد انخفض سنة ١٩٠٩/١٩١٠ الى ثلثي معدل الانتاج السنوي العادي لان الموسم في تلك السنة كان رديئا(١٤).

الشعير : كانت زراعة الشعير منتشرة كزراعة القمح في معظم الاراضي الفلسطينية الا انها كانت مزدهرة في سهل غزة وهضبة بئر السبع وكانت ميزة هذه الزراعة في هذه المناطق بانتاج موسم مبكر ، في أواخر شهر أيار ، ذي جودة مرغوبة جدا لا سيما في

صناعة الويسكي لذلك كان يصدر منه سنويا نحو ٨ آلاف طن الى انكلترا لاستعماله في صناعة الويسكي(١٥). كانت مساحة الاراضي المزروعة شعيرا سنة ١٩٠٩/١٩١٠ ٣٢٨٤٠٠ دونم أنتجت ٢٠٧٧٢ طنا اما المعدل العادي لانتاج الشعير السنوي في متصرفية القدس فكان ٣١ الف طن .

الذرة : تأتي زراعة الذرة من حيث الاهمية بعد زراعة القمح والشعير ، وكانت تزرع في موسم الصيف بعد حصاد هذه الزراعات. كانت المساحة المزروعة سنة ١٩٠٩/١٩١٠ ١٩١٢٥٠ دونما انتجت ١٨٥٠٠ طن اما المعدل العادي لانتاج الذرة السنوي فكان ٢٧ الف طن . وكان يصدر من مرفأ حيفا الى جزيرة مالطا ومدينة الجزائر ليصنع منه كحول الايتيلين(١٦) .

السمسم : كان يزرع السمسم في فصل الصيف في السهل الساحلي الممتد من حيفا حتى غزة وفي مرج ابن عامر ، كانت المساحة المزروعة سنة ١٩٠٩/١٠ ١٢٤٠٠٠ دونم انتجت ٥٩٠٢ طن اما المعدل العادي لانتاج السمسم السنوي فقد كان ضعف هذا الانتاج، وقد كان يصدر منه سنويا من مرفأ حيفا ٩٠٠٠ طن الى فرنسا وايطاليا بسعر ٤٠٠ فرنك للطن الواحد(١٧) .

الخضار : كانت انواع الخضار المزروعة : البطيخ في الاراضي الرملية في السهل الساحلي ، والكوسى والخيار والملفوف والبندورة والباذنجان والبصل والبامية والثوم والقرنبيط والبطاطا ... ، وكان الفلاح الفلسطيني بارعا جدا في زراعتها اذ يحسن استعمال الاسمدة ويحفر الآبار ويضخ المياه لري مزروعاته . وكانت أحسن حقول للخضار هي حقول منطقة يافا والرملة والقدس التي كانت تنتج أصنافا جيدة ، وقد كانت الخضار المبكرة تصدر الى أسواق أوروبا حيث كانت تلاقي رواجا كبيرا(١٨). لا نعرف المساحة التي كانت مزروعة خضارا ولا نملك معلومات الا عن كمية الانتاج لسنة ١٨٩٥ اذ بلغت ١٠٢٠٧٧١ طنا(١٩) وقد ازداد الانتاج بعد ذلك التاريخ زيادة كبيرة نتيجة اقبال الفلاحين على زراعة الخضار . وتعتبر زراعة الخضار من الزراعات الحديثة التي حاول الفلاح الفلسطيني ان يطورها ويتقن زراعتها قبل أن يباشر المهاجر الصهيوني بزراعتها في الاراضي الفلسطينية .

اما الاشجار المثمرة التي كانت تنمو في الاراضي الفلسطينية فهي الاشجار الحمضية والزيتون والعنب والتين والرمان والمشمش والتفاح واللوز وسنعرض لاهم هذه الاشجار فيما يلي(٢٠):

الاشجار الحمضية : تعتبر الاشجار الحمضية من أهم الاشجار المثمرة التي تنبت في الاراضي الفلسطينية ، وقد كانت زراعتها بطرق حديثة جدا ومتقنة واقتصرت على العرب وحدهم في البدء ، وقد نمت نموا سريعا ما بين سنة ١٨٩٥ و١٩١٥ فارتفعت المساحة المزروعة من ٦٦٠٠ دونم الى ٣٠٠٠٠ دونم وارتفع الانتاج من ١٨١٩٩٤٥٠ كلغ الى ٦٤٠٠٠٠٠٠ كلغ في تلك الفترة . كانت البساتين في السهل الساحلي بين حيفا وغزة وفي وادي الاردن ، وكان البرتقال اليافاوي (نسبة الى يافا) من أجود الاصناف التي تنتج في فلسطين نظرا لسماكة قشرته ورائحته العطرة وخلوه من البذور مما جعله مرغوبا جدا في الاسواق الخارجية . كان يصدر الى دمشق وشرق الاردن والسعودية وانكلترا وفرنسا والنمسا وكانت صادراته سنة (١٩١٣–١٩١٤) ١٥٥٣٨٦١ صندوقا(٢١) اما انتاج غزة ووادي الاردن وقضاء عكا فكان قليلا نسبيا ويستهلك داخل الاراضي الفلسطينية .

الزيتون : من أقدم الاشجار التي عرفتها الاراضي الفلسطينية يعود تاريخها الى آلاف السنين وهي منتشرة في منطقة القدس ونابلس والجليل وكان عدد الاشجار في سنة ١٩٠٩/١٩١٠ في متصرفية القدس ٣٥٩٣٥٧٠ شجرة أنتجت ٧٤٣٨٤٩٠٠ (اقة)(٢٢)

ثمار زيتون ، وكان لشجر الزيتون اهميته لانه يوفر المادة الاولية لمصانع الصابون التي كانت مزدهرة في فلسطين .

العنب : كانت المساحة المزروعة عنبا سنة ١٩١٢ ٣٧٣٦٠ دونما انتجت ٢١٢٨١٠٠٠ كلغ ، وكان المهاجرون الصهيونيون قد توجهوا في بداية الاستعمار الى زراعة العنب ، وكانوا يملكون ١٢ الف دونم اي ما يقارب ثلث بساتين العنب الموجودة في متصرفية القدس .

اما أهم الزراعات الصناعية(٢٣) المزروعة في فلسطين فكانت الدخان وقد كان يزرع بكثرة ولا يزال في قضاء عكا ولا تتوفر لنا معلومات عن مساحته وكمية انتاجه وقيمته امـا المساحة التي كانت تزرع في متصرفية القدس فتكاد لا تذكر (٥٦ دونما سنة ١٩٠٩/ ١٩١٠) ولا يتعدى انتاجها ١٧٥ كلغ ، ويليه قصب السكر الذي كان مزروعا في السهل الساحلي ومنطقة القدس .

٣ ــ **الثروة الحيوانية**(٢٤): في سنة ١٩١٤ ــ ١٩١٥ كان عدد الماشية في متصرفية القدس كما يلي : ابقار ٤٣٧٥٩ ، خراف ٤٣٩٨٤ ، نعاج وحملان ١٦٣١١ ، ماعز ٨٣٦٩٢ ، حيوانات جر ٢٤٧٨١ ، جمال ١٥١٦٧ . وكان الفلاح يدفع سنويا ٤ قروش على كل رأس من الاغنام والماعز و١٠ قروش على كل رأس من بقية الحيوانات . اما تربية الدواجن فكانت مزدهرة في جوار المدن الكبرى لتوفر اسواق لها وكان فلاحو غـزة والخليل واريحا يأتون بصورة منتظمة بمنتجاتهم الى مدينة القدس حيث يبيعونها بأسعار تدر لهم أرباحا لا بأس بها(٢٥) .

٤ ــ **الملكية الزراعية**(٢٦): لا يوجد معلومات اكيدة عن الملكية الزراعية في تلك الفترة لكن الخبير « أوهاجن » قدر بأن ٢٠ ٪ من مساحة فلسطين الشمالية يملكها الفلاحون كما انهم يملكون ٢٠ ٪ ايضا من فلسطين الجنوبية(٢٧) اما الاراضي الاخرى فقد كانت لكبار الملاكين لا سيما بساتين سهل عكا ويافا والاراضي الزراعية الخصبة في السهول الداخلية لا سيما مرج ابن عامر .

نلاحظ بوضوح التطور الذي طرا على ملكية الفلاحين اذا ما قارنا هذا الوضع مع المرحلة السابقة حيث كان يملك الفلاحون ٥٠ ٪ من فلسطين الجنوبية و٢٥ ٪ مـن فلسطين الشمالية . واسباب تقلص ملكية الفلاحين وتجمع الملكية في أيدي كبار الملاكين يعود الى مساوىء القانون العقاري العثماني الذي صدر سنـة ١٨٥٨ والذي : أباح للسلطة العثمانية مصادرة جميع الاراضي التي تبقى بورا ثلاث سنوات متواصلة، وأجبر الفلاحين على تسجيل املاكهم ، وقد تمنع كثيرون منهم عن تسجيل اراضيهم لانهم لا يملكون رسوم التسجيل ولا يستطيعون تسديد الضرائب التي تتوجب عليهم من جراء ذلك . وهكذا استولت السلطات العثمانية على أراض شاسعة كانت تخص الفلاحين والبدو وباعتها فيما بعد بالمزاد العلني فأقبل المتمولون (المرابون) من سكان المدن الى شرائها بأسعار زهيدة جدا يراوح سعر الدونم بين ٥ و٢٥ قرشا . وقد شرحنا هذا الوضع شرحا وافيا في الجزء الاول من هذا البحث ولن نعود اليه ثانية .

٥ ــ **مردود الزراعات**(٢٨): سنعرض على التوالي الى مردود زراعات الحبوب والاشجار المثمرة في المزارع العربية واليهودية ، سنشير بالرقم (١) الى المردود في مزرعة أرضها متوسطة ، وبالرقم (٢) الى مردود في مزرعة أرضها خصبة ، وبالرقم (٣) الى مزرعة كبيرة تخص أحد كبار الملاكين ويقوم بزراعتها أحد الفلاحين الشركاء .

مردود زراعات الحبوب : يبين الجدول رقم ٢ قيمة مردود الهكتار الخام والربح الصافي منه ، المزروع حبوبا في مختلف المزارع العربية واليهـودية التي اشرنا اليها سابقا ،

ويتضح من المقارنة بأن مردود الفلاح العربي في الهكتار وربحه كانا أفضل من مردود المهاجر الصهيوني ويفوقه قيمة ونسبة ، لان الفلاح العربي كان يتقن هذه الزراعة افضل من المهاجر الصهيوني في تلك الحقبة من الزمن .

جدول رقم ٢

المزرعة	قيمة مردود الهكتار الخام (بالفرنك)		الربح الصافي في الهكتار	
	في المزارع العربية	في المزارع اليهودية	في المزارع العربية	في المزارع اليهودية
(١)	١٧٦،٦٦	١٣٩،٧٢	٨٣،٣٥	٤٢،٨٢
(٢)	٢٩٧،٧٧	١٧٣،٣١	١٦٥،٠٢	٦٣،٠٣
(٣)	١٧٧،١٧	١٣٩،١٢	٣٨،٧٠	٢٢،٧٥

مردود زراعات الاشجار المثمرة : يبين الجدول رقم ٣ قيمة مردود الدونم الخام المزروع بالاشجار المثمرة في المزارع العربية واليهودية قرب يافا ، ويتبين بأن انتاج الفلاح العربي قد كان يضاهي انتاج المهاجر الصهيوني ويفوقه احيانا ، كما ان زراعة الاشجار المثمرة كانت أربح بكثير من زراعة الحبوب لكن العمل فيها كان يتطلب توظيف أموال كبيرة . فالمال كان متوفرا للمهاجر الصهيوني افضل واكثر مما كان متوفرا للمزارع العربي . رغم هذا كانت زراعات الاشجار المثمرة التي كانت بحوزة المزارعين العرب اكثر بكثير من الزراعات التي كانت بحوزة المهاجرين اليهود .

جدول رقم ٣

الاشجار	قيمة مردود الدونم الخام في المزارع العربية			متوسط مردود الدونم الخام في المزارع اليهودية
	(١)	(٢)	(٣)	
حمضيات	٢٢٠	١٦٢،٥٠	١٣٧،٥٠	٢٢٠
لوز	٦٢،٥٠	٥٠	٣٧،٥٠	٤٨
مشمش	٦٥	٤٥	٣٠	٤٨
الزيتون	٤٨	٣٦	٢٤	٤٥
الكرمة	٥٠	٤٠	٣٠	٣٨

٦ ــ **تقييم هذه المرحلة من الزراعة العربية** : اولا ، هناك اتجاهان في الزراعة العربية : أ ــ اتجاه لزراعة الحبوب يحتل ما يقارب ٧٥ ٪ من المساحة المزروعة ، وهو متخلف نسبيا وتقليدي لكن المردود فيه افضل من مردود المهاجر الصهيوني الذي يزرع الحبوب . ب ــ اتجاه لزراعة الاشجار المثمرة والخضار ، أخذ يشق طريقه في بداية السبعينات من القرن التاسع عشر ثم أخذ ينمو بسرعة ويتطلب توظيف أموال . وقد قام الفلاح الفلسطيني بتطوير هذا الاتجاه رغم مداخيله القليلة والقروض الخفيفة التي كان يوفرها له البنك العثماني الزراعي (١٨٨٥) والتي لا تتجاوز قيمتها ٣٠٠ فرنك للفلاح الواحد ، وقد لعب هذا البنك دورا ايجابيا في تطوير الزراعة العربية في فلسطين .

ثانيا ، ان الفلاح الفلسطيني الذي كان لا يقل تقنية وذكاء عن المزارع الصهيوني لم يتمكن من تحديث أساليبه كما يرغب لانه كان يفتقر الى رؤوس الاموال والارشاد الزراعي المرتكز على البحث العلمي والتعليم الزراعي ، فلو توفر له مـا كان متوفرا للمزارع الصهيوني لما كان يقل عنه تقنية وانتاجا فيما بعد .

ثالثا ، لما بدأ المهاجرون الصهيونيون بشراء الاراضي من كبار الملاكين ، عمدوا الى طرد الفلاحين الشركاء منها ومنعوا الفلاحين في القرى المجاورة من حقوق الرعي المكتسبة

في هذه الاراضي . فأدت هذه التصرفـات الى بداية نزاع مريـر ودموي بين الفلاح الفلسطيني والمهاجر الصهيوني(٢٩). وذلك النزاع لا يزال مستمرا حتى الان، واستمراره هذا هو أكبر دليل لدحض الدعاية الصهيونية التي تدعـي بأن فلسطين كانت أرضا صحراء ، لا يقطنها أحد . ان كانت أرض فلسطين صحـراء حسب ادعاء الدعـاية الصهيونية فكيف تفسر ظاهرة مقاومة الفلاح الفلسطيني لهم ؟ ذلك الفلاح الذي رأى بأن الغزوة الصهيونية لارضه هي خطر على وجوده وكيانه . ولما اشتدت مقاومة الفلاحين الفلسطينيين اضطر المهاجرون الصهيونيون الى انشاء فرق خاصة لحمايتهم بعدما اخذوا موافقة السلطات العثمانية المحلية لانشاء مثل هذه الفرق(٣٠).

رابعا ، ومما يجدر بالذكر بأن الزراعة العربية في نهـاية هذه المرحلة عانت كثيرا من الحرب العالمية الاولى لان الدولة العثمانية ، التي كانت طرفا في هذه الحرب ، الغت قروض البنك العثماني الزراعي وصادرت الرجال العاملين في الزراعة بغية تجنيدهم في جيوشها كما انها صادرت حيوانات الجر والنقل لاغراض عسكرية وقامت بقطع الاشجار ومنها بساتين الحمضيات لاستعمالها في الوقود . فتراجع الانتاج وتكاثرت الديون على الفلاحين بسبب سوء المواسم التي زادتها سوءا الكوارث الطبيعية خاصة الجراد الذي دمر قسما من المواسم الزراعية في سنة ١٩١٦ .

الزراعة الفلسطينية من سنة ١٩٢٠ حتى قيام دولة اسرائيل سنة ١٩٤٨

تمتد هذه المرحلة طيلة فترة الانتداب البريطاني على فلسطين حتى قيام دولة اسرائيل في ١٥ أيار ١٩٤٨ . توحدت الاراضي الفلسطينية تحت ادارة واحدة اذ ضمت اليها الاجزاء التي كانت تابعة لولاية بيروت واصبحت مساحتها ٢٧.٠٢٧ كلم . لكن فلسطين لم تعرف الهدوء طوال تلك الفترة التي تتميز بالانتفاضات العربية لمقاومة الهجـرة الصهيونية المتدفقة على البلاد بغية تحقيق وطن قومي لليهود فيها ، وكانت الدولة المنتدبة ترعى هذه الهجرة وتساعد على ترسيخ قواعد الصهيونية في فلسطين . ورغم هذا الوضع المضطرب الذي لا يساعد على التطور الاقتصادي والاجتماعي فقد خطت الزراعة في فلسطين خطوات كبيرة وحاسمة وسنعرض فيما يلي لاهم التطورات التي طرأت على الزراعة ما بين سنة ١٩٢٠ و١٩٤٨ .

الاراضي الزراعية: قدرت مساحة الاراضي الصالحة للزراعة في فلسطين بـ ١٠٥٠٠٠٠٠ دونم أي ٣٧ ٪ من مجموع مساحتها وكانت مساحة الاراضي المزروعة فعليا في سنة ١٩٤٧ ٨٥٠٠٠٠٠ دونم اي ما يعادل نسبة ٨٥ ٪ من مجموع مساحة الاراضي الصالحة للزراعة . وكانت كل المنطقة الشمالية والوسطى من فلسطين مزروعة فعليا ولم يعد فيها أراض صالحة للزراعة وغير مزروعة فعليا الا في منطقة النقب(٣١). الا ان تقديرات مساحة الاراضي الصالحة للزراعة تختلف من مصدر لآخر ، فلجنة التحقيق الانغلو — أمريكية قدرتها بعشرة ملايين دونم(٣٢) بينما اعتبرها كتاب احصاء القرى لسنة ١٩٤٥ ٩٢٠٥٥٣٨ دونما(٣٣). لكن مهما أختلفت التقديرات من مصدر لآخر فمن المعروف بأن العرب الفلسطينيين كانوا في سنة ١٩٤٨ عند قيام دولة اسرائيل يملكون نسبة ٨٤،٧٠ من هذه الاراضي(٣٤) ويزرعون القسم الاكبر منها . كانت نسبة المساحة المزروعة في الثلاثينات ٨٠ ٪ من المساحة القابلة للزراعة الا ان هذه النسبة بدات بالانخفاض اثناء الحرب العالمية الثانية وبلغت ادنى نسبة لها سنة ١٩٤٤ (٦١ ٪) لكن بعد ذلك التاريخ عادت الى الارتفاع وبلغت ٨٥ ٪ سنة ١٩٤٧ كما ذكرنـا سابقا(٣٥). وكانت نسبة المساحة التي يزرعها العرب تتجاوز ٨٠ ٪ من مجموع المساحة المزروعة وقد بلغت سنة ١٩٤٥ ٨٩٪ (٣٦). اما المساحة المروية فقد كانت تقدر سنة ١٩٤٥ بـ ٥٠٠٠٠٠ دونم اي ٨ ٪ من المساحة المزروعة وكانت مملوكة تقريبا بالتساوي بين العرب واليهود(٣٧)، وكانت أهم الزراعات المروية ، الاشجار الحمضية والخضار ، والزراعات العلفية وبعض

الاشجار المثمرة كالدراق والتفاح والمشمش والموز . ويبين الجدول رقم ٤ تطور المساحات المزروعة بمختلف الزراعات بين سنة ١٩٣١ وسنة ١٩٤٥ .

جدول رقم ٤ — تطور المساحات المزروعة بمئة آلاف الدونمات

الانتاج	**١٩٣١**	**١٩٣٥**	**١٩٣٦**	**١٩٣٧**	**١٩٣٩**	**١٩٤٥**	
						المجموع	**منها للعرب**
الحبوب والقطاني والحبوب الزيتية	٥٤٧٥	٦٥٢٥	٦٣٥٧	٦٢٦٦	٥٤٨٥	٤٣٦٨	٤١٥٢
الخضار	٣٤	١١٦	١٤٦	١٥١	١٣٧	٢٩٨	٢٤٠
الزراعات العلفية	— (أ)	١٠٠	١٠٠	٧٦	— (أ)	١٤٣	٢٤
الاشجار المثمرة	— (أ)	٢٠١	٣٥٢	٣٥٤	٣٧٧	٣٩٣	٣٥٥
الزيتون	— (أ)	٤٧٤	٥١٠	٥٣٥	٥٧١	٦٠٠	٥٩٣
الحمضيات	١٢٥	٢٩٨	٢٩٩	٣٠٠	٣٠٠	٢٤٤	١٢٦
البطيخ	١٢١	١٢٦	١٧٧	١٦٦	١٢٢	١٢٦	١٢٠
التبغ	١٣	٢٢	٣٠	٥٥	١٥	٢٢	— (أ)
المجموع	—	٧٩٧٢	٧٩٧١	٧٩٠١	٧٠٠٧	٦٣٩٤	٥٧١٠

(أ) غير متوفر .

المصدر : سعيد حماده ، **النظام الاقتصادي في فلسطين** ، جامعة بيروت الامريكية ، بيروت ١٩٣٦ ، ص ١٥٥، للعمود الاول والثاني والثالث والرابع .

La Palestine ، **المصدر السابق** ، ص ٧٤ و٧٥ ، للعمود الخامس والسادس والسابع .

قوى الانتاج : كانت نسبة السكان العرب سنة ١٩٤٤ التي تعيش من الزراعة ٦٥ ٪ من مجموع سكان فلسطين العرب(٣٨)، وكان دخل الفرد منهم ٢٨ جنيها فلسطينيا(٣٩) وقد هبطت نسبة السكان التي تعيش من الزراعة تدريجيا بسبب الهجرة من الريف والطرد الذي مارسه الصهيونيون ضد الفلاحين العرب من الاراضي التي اشترتها المؤسسات الصهيونية من الملاكين الكبار . الا ان دخل الفرد ارتفع من ٧ جنيهات فلسطينية سنة ١٩٣٦(٤٠) الى ٢٨ جنيه فلسطيني كما ذكرنا سابقا . الا ان هذا الارتفاع في الداخل خلال ثماني سنوات كان نتيجة تضخم الاسعار ولم يزد فعليا الا الثلث تقريبا بالاسعار الثابتة(٤١) مما يعني ان ارتفاع الدخل لم يحسن أوضاع العائشين من الزراعة الذين كانت تثقل كاهلهم الديون التي يبلغ متوسطها للعائلة الفلاحية نسبة متوسط دخلها تقريبا(٤٢) . لذلك لم تساعد هذه الزيادة الفلاح العربي بأي حال من الاحوال على تحديث أساليبه الزراعية رغم رغبته في ذلك ، لان التحديث يتطلب توظيف رؤوس أموال مكثفة لم تتوفر للمزارع العربي المرهق بالديون ، وقد زادت حالته سوءا نتيجة تصرف الدولة المنتدبة ، المتواطئة مع المهاجرين الصهيونيين ، التي وضعت يدها على البنك الزراعي العثماني الذي كان يسلف المزارعين فيما مضى ، وألغت الاقتراض منه ولم يبق أمام الفلاح العربي الا الاقتراض من المرابين بفوائد مرتفعة جدا او من البنوك التجارية لا سيما بركليس بنك ، حيث وضعت أموال البنك الزراعي العثماني ، الذي ساهم في خراب الفلاحين والاستيلاء على أراضيهم لتسليمها الى المؤسسات الصهيونية(٤٣).

لم تكتف الدولة المنتدبة بتضييق الخناق على الفلاح العربي بمنع القروض الزراعية عنه بل تركته لوحده ولم تساهم الا فيما ندر ، وبجهد يكاد لا يذكر ، لرفع مستواه الفني كارشاده على استعمال البذور المؤصلة والسماد ، والادوية الزراعية ، وتنظيم التعاونيات الزراعية لتحسين الانتاج وتسويقه ، فكان الفلاح يهتدي اليها بعد خبرات

طويلة ويصطدم دائما بعقبة توفير الامـــوال التي تخوله الاستفادة من هــذه الوسائل العلمية التي تحسن الانتاجية وتزيد الدخل(٤٤).

ويتبين لنا بان التحديث الذي طرأ على الزراعة العربية في فلسطين قــد توصل الفلاح العربي الى تحقيقه بجهده الخاص ، ولو توفرت له الظروف المادية والفنية التي توفرت للمهاجر الصهيوني لكان اتقن الزراعة افضل منه ، خاصة ان الفلاح العربي كـــان ، في الاربعين سنة الاولى التي مضت على دخول المهاجـــر الصهيوني الى فلسطين ، افضل منه تقنية وانتاجا كما بينا ذلك سابقا .

ملكية الاراضي : ان جميع المعطيات عن اوضاع الملكية الزراعيـــة تعود الى السنوات الاولى لعهد الانتداب البريطاني على فلسطين ، ولا نملك معلومات عن الفترة التي سبقت مباشرة قيام دولة اسرائيل ، ومن المرجح ان يكون طـــرأ بعض التغيير عليها في بــداية الاربعينات لان ارتفاع اسعار المنتجات الزراعية اثناء الحرب العالمية الثانية قد ساهم في توظيف المزيد من رؤوس الاموال في الزراعة وبالتالي على تجميع الملكية اكثر فأكثر بين أيدي كبار الملاكين لا سيما في السهل الساحلي والســـهول الداخلية حيث التربة خصبة وتتوفر لها امكانيات الري . لكن من أجل تكوين فكرة عن اوضاع الملكية الزراعية لدى الفلاحين العرب سنعرض فيما يلي لثلاثة تقديـــرات عن اوضاع الملكية الزراعية لـــدى الفلاحين العرب الاول في العشرينات والثاني سنة ١٩٣٠ والثالث سنة ١٩٣٦ .

التقدير الاول(٤٥) جرى لاوضاع الملكية الزراعية في العشرينات وتبين منـــه بأن هناك : ١٤٤ ملاكا يملكون ٣١٣٠٠٠٠ دونم ، وكان بعض هؤلاء الملاكين تفوق ملكيتهم ١٠٠٠٠٠ دونم . وان مجموع ٢٥٠ عائلة تملك ما مجموعه ٤١٤٣٠٠٠ دونم اي ما يوازي مجموع ما يملكه سائر الفلاحين في فلسطين . **التقدير الثاني**(٤٦) وكان نتيجـــة دراسة احصائية قام بها جونسون — كروسبي (Johnson-Grosbie) في سنة ١٩٣٠ ، وكانت نتائجه : ان ٦٥،٩ ٪ من الفلاحين يملك ارضه ، وان هناك منهم نسبة ٥٤،٢ ٪ لا تتجاوز ملكيتـــه فدانا . وان ٢٩،٤ من الفلاحين هم شركاء او عمال زراعيون ولا يملكون اي شبـــر من الارض . وان نسبة ٦٥،٩ ٪ من الاراضي التي يزرعها الشركـــاء تخص ملاكين كبارا ساكنين في المدن او خارج الاراضي الفلسطينية . **التقدير الثالث**(٤٧) جرى سنة ١٩٣٦ وهو كناية عن تحقيق بالعينة تنـــاول ٣٢٢ قرية فلسطينية بلغت مساحتها ٣٢٥٢٧٣٥ دونما وبلغ مجموع قطع الارض التي جرى التحقيق فيها ٧١٧٨٩ قطعة موزعة كمـــا في جدول رقم ٥ . وان مـــا يلفت النظر في هذا الجدول كون ١٣ قطعة من الارض تتجاوز

جدول رقم ٥

فئة الاراضي	عدد قطع الارض	٪ من قطع الارض	٪ من مساحة الارض
أقل من ١٠٠ دونم	٦٥٩٣٣	٩١،٨	٣٦،٧
١٠٠ الى ١٠٠٠ دونم	٥٧٠٦	٨،—	٣٥،٨
اكثر من ١٠٠٠ دونم	١٥٠	٠،٢	٢٧،٥
منها تتجاوز ٥٠٠٠ دونم	(١٣)	(٠،٠١)	(١٩،٢)
المجموع	٧١٧٨٩	١٠٠،٠٠	١٠٠،٠٠

مساحتها اكثر من نصف مساحة ٦٥٩٣٣ قطعـــة من الارض تقل مساحتهـــا عن ١٠٠ دونم ، مما يدل على ان الملكية في فلسطين كانت موزعة توزيعا غير عادل بين الفلاحين وان الظروف السياسية ساعدت على تجميع اكبر عدد ممكن من الملكيـــات في أيدي فئة قليلة من الناس ، هذا ما تظهره التقديرات الثلاثـــة التي استعرضناها . ومن الواضح ان مثل هذا الوضع لا يساعد على ازدهار الزراعة لان قوى الانتاج المتمثلة في الفلاحين

والشركاء والعمال الزراعيين لا تتوفر لها الظروف التي تمكنها من بذل كل ما تملك من طاقات مادية وفنية لانها مستقلة من قبل كبار الملاكين .

الانتاج الزراعي : كانت نسبة انتاج الزراعة العربية في فلسطين سنة ١٩٤٤ ٧٠٪ من مجموع انتاج الزراعة الفلسطينية(٤٨) وهـذه النسبة هي ادنى من نسبة الاراضي التي كان يزرعها العرب والمتراوحة بين ٨٠ و٨٩ ٪ مما يدل على ان الانتاجية لدى المزارعين العرب كانت ادنى من الانتاجية لدى المزارعين الصهيونيين باستثناء المزارع الحمضية وزراعة الخضار والبطيخ حيث كان انتاج المزارعين العرب يضاهي انتاج المزارعين الصهيونيين . وقد كانت الزيادة في بعض المنتجات كالحمضيات والاشجار المثمرة والزيتون والخضار كبيرة جدا بين سنة ١٩٣٥ و ١٩٣٩ ، و ١٩٤٥ . اما انتاج الحبوب والقطاني والحبوب الزيتية فبعد ان عرف نموا كبيرا في الثلاثينات بدأ يتراجع منذ سنة ١٩٣٩ لأن المساحة المزروعة انخفضت الثلث تقريبا عما كانت عليه في السابق . (راجع جدول رقم ٤ و ٦) .

وكان الفلاحون العرب ينتجون : ٩٢ ٪ من الحبوب والقطاني والحبوب الزيتية و٩٩ ٪ من الزيتون و ٩٠ ٪ من البطيخ و ٧٧٪ من الاشجار المثمرة منها ٨٦٪ من انتاج الكرمة و ٧١٪ من الخضار(٤٩) و ٥٠ ٪ من الحمضيات و ٥٢ ٪ من الحليب(٥٠) و ٦٢ ٪ من البيض(٥١) .

جدول رقم ٦ ــ تطور الانتاج بمئات الاطنان

الانتاج	١٩٣٥	١٩٣٦	١٩٣٧	١٩٣٩	١٩٤٥ المجموع	١٩٤٥ منها للعرب
الحبوب والقطاني والحبوب الزيتية	٢٤٨٤	١٨١٠	٣١٣٠	٢٤١٦	٢٠٩٩	١٩٣٤
الخضار	٦٨٧	٧٠٣	١٢٠٣	١٢٩٤	٢٤٤٨	١٨٩١
الزراعات العلفية	—	—	٧٥٣	—	١٩٧٣	٢٠٨
الاشجار المثمرة	٥٣١	٨٦٦	٥٩٤	٩٥٨	٩٤٧	٧٣٣
الزيتون	٤٥٠	١٥٧	٤٧٢	٣٥٢	٧٩٥	٧٨٣
الحمضيات (أ)	٧٣٩٧٣	١٢٧٨٦٣	١٣٨٩٣٣	١٥٢٦٤٨(ب)	١٤٧٣٧(ب)	—(ج)
البطيخ	٦٨٨	٨١٣	١٢٠٨	٨٦٩	١٤٢٨	١٣٥٦
التبغ	١٠	١٢	٢٤	٥	٨	—(ج)

(أ) بمئات الصناديق .
(ب) نقط الصناديق المصدرة .
(ج) غير متوفر .
المصدر : سعيد حماده ، **المصدر السابق** ، ص ١٥٥ .
La Palestine ، **المصدر السابق** ، ص ٧٤ و ٧٥ .

أهم المنتجات الزراعية : لن نعرض فيما يلي الا لاهم المنتجات الزراعية التي حققت نموا كبيرا واستعملت الاساليب الزراعية الحديثة لتطوير ذاتها والانتقال من زراعة اكتفاء ذاتي الى زراعة للتسويق ، وقد ظهر هذا الاتجاه واضحا في زراعة الحمضيات والخضار وبعض الاشجار المثمرة خاصة الموز . واختيارنا هذا لا ينفي بان كافة المزروعات الفلسطينية العربية قد عرفت تطورا واصبح ضمن كل فرع منها زراعتان ، تقليدية وحديثة ، لكن اخترنا الزراعات التي كان فيها اتجاه التحديث قد عم واعطى نتائج ايجابية ومحسوسة .

أ ــ **الحمضيات** : ان الحمضيات هي من اهم المنتجات الزراعية في فلسطين ، وكانت هذه الزراعة في البدء ، كما بينا سابقا ، زراعة عربية صرفة ولما رأى نجاحها المهاجرون الصهيونيون لدى المزارعين العرب اقبلوا على زراعتها منذ بداية العشرينات ووظفوا فيها اموالا ضخمة ، واصبحت مساحة الاشجار الحمضية سنة ١٩٣٨ ٣٠٠٠٠٠ دونم يملك منها المزارعون العرب ١٤٤٠٠٠ دونم ، لكن هذه الزراعة عرفت تراجعا اثناء الحرب العالمية الثانية واتلف عدد كبير من البساتين حتى اصبحت المساحة المزروعة سنة ١٩٤٥ ٢٤٤ الف دونم يملك العرب منها ١٢٦ الف دونم . وكان انتاج البيارات العربية يعادل ٥٠٪ من انتاج الحمضيات في فلسطين ، وكان يقدر انتاج الدونم الواحد بمئة صندوق منها ٨٠ صندوقا صالحة للتصدير(٥٢) الا ان معدل الانتاج هذا قد تدنى اثناء الحرب بسبب فقدان الاسمدة الازوتية ووصل الى ٣٥ صندوقا ، وكان يعمل في بيارات الحمضيات العربية ١٥٠٠٠ عامل(٥٣). وكانت الحمضيات ولا تزال من أهم الصادرات الفلسطينية وبقيت حتى سنة ١٩٣٩ تشكل ٨٠٪ من مجموع الصادرات الفلسطينية(٥٤). الا ان صادراتها تراجعت اثناء الحرب العالمية الثانية بعد ان كانت بلغت ذروتها في نهاية الثلاثينات ، لكن عادت الى الارتفاع بعد نهاية الحرب ولم تبلغ مستواها السابق حتى بعد قيام دولة اسرائيل الا في سنة ١٩٦٤ .

ب ــ **زراعة الخضار** : تطورت زراعة الخضار تطورا كبيرا وواسعا بعد الحرب العالمية الاولى وتضاعفت المساحات المزروعة وارتفعت من ١١٦ الف دونم سنة ١٩٣٥ الى ٢٩٨ الف دونم سنة ١٩٤٥ ، كان منها ٢٤٠٠٠٠ دونم ملكا للمزارعين العرب . (راجع جدول رقم ٤) . وكان اهتمام المزارعين العرب ينصب على تأمين الخضار في الاسواق على مدار السنة فقاموا بزراعة الاصناف المبكرة والمتأخرة . وكانت هذه الزراعة تحتل المساحات المروية في الجليل الاعلى ووادي الاردن . وكانت أهم اصناف الخضار المزروعة البندورة والملفوف والبصل والثوم ، وكان المزارعون العرب يولون زراعة البطاطا اهتماما خاصا(٥٥). وتعد زراعة الخضار من الزراعات التي حاول المزارعون العرب اتقانها بادخال اساليب الزراعة الحديثة اليها ، الا ان ضيق المساحات المروية وفقدان القروض الزراعية وعدم تنظيم التسويق ومضاربة الانتاج الصهيوني ومقاطعته للانتاج العربي لعب دورا قويا في عرقلة نمو هذه الزراعة وحرمانها من بلوغ المستوى الذي كانت تطمح اليه .

ج ــ **الموز**(٥٦): كانت زراعة الموز منتشرة في اريحا وطبريا والسهل الساحلي . وكان العرب يملكون ٦٠٪ من مجموع المساحة المزروعة وكانت كلها مروية ، الا ان قضية تصريف الانتاج قد حدت من زيادة المساحات المزروعة ، وكان الموز سلعة معدة للتصدير لكن اهميتها كانت اقل بكثير من الحمضيات .

مشاكل الزراعة العربية : يبين تاريخ الزراعة الفلسطينية بانها كانت تنقسم الى زراعتين منفصلتين انفصالا تاما : الزراعة العربية والزراعة الصهيونية . وكانت هذه الاخيرة تملك مؤسساتها الخاصة بها التي توفر لها مختلف الخدمات المالية والفنية والتي تملك مخططا زراعيا واضح المعالم تقوم بتنفيذه تحت اشراف المؤسسات الصهيونية وكان من بين اهدافه القضاء على الزراعة العربية والاستيلاء على الاراضي الزراعية الخصبة . اما الزراعة العربية فقد كانت زراعة مفككة تشق طريقها لوحدها بمعزل عن كل تنظيم وتخطيط الا ارادة الفلاح العربي على تحسين اساليبه الزراعية لمجاراة الاوضاع والظروف الجديدة ، لذلك كانت طريقها صعبة ، شاقة ومكلفة لانها يقع عليها وحدها مجابهة المشاكل السياسية والفنية والمالية والطبيعية التي تعترض سبيلها والتي كانت تحد من تطورها ، « رغم قدرة الفلاح العربي على التغيير ورغبته في ذلك »(٥٧). وتختصر مشاكل الزراعة العربية بما يلي :

المشاكل السياسية : الناجمة عن الغزوة الصهيونية لارض فلسطين ومـا نتج عنها من مقاومة فلاحية عربية ابرزها ثورة سنة ١٩٣٦ . كان على الفلاح العربي ان يكافح على عدة جبهات ليحافظ على وجوده في ارضه ويقـاوم منافسة المهاجرين الصهيونيين الذين يطمحون بالاستيلاء على ارضه لطرده منها . وقد كان الصهيونيون ينعمون بحماية الدولة المنتدبة المتواطئة معهـم لتحقيق ما يصبون اليه وذلـك باقامة دولة لهـم في اراضي فلسطين . ومن المسلم به بان هذا الوضع المضطرب لا يساعد ابـدا على نمو الزراعة وتطورها وقد كانت الاوضاع المضطربة دائما عاملا سلبيا حد من تطور الزراعة في اكثر من بلد .

المشاكل الفنية والمالية : كل بلد يحاول تحديث اقتصاده يواجه عقبات فنية ومالية تحتم عليه احداث مؤسسات علمية ومالية مختصة يكون هدفهـا تطويق المشاكل الطـارئة للقضاء عليها حتى يبقي الاقتصاد في نمو مضطرد . ولا يمكن ان يقوم بهذا العمل علـى صعيد البلاد الا الدولة وفي حال تمنعها تكون قوى الانتاج عرضة للاستغـلال ولضياع طاقاتها . وهذا ما حدث للزراعة العربية في فلسطين قبـل قيام دولة اسرائيل اذ تخلت الدولة المنتدبة عن واجباتها تجاه الزراعة العربية وتركتها تتخبط لوحدها وتمنعت عن : ١ ـ وضع مخطط عام للزراعة مستوحى من حاجات البلاد وطاقاتها واحداث مؤسسات الابحاث والاختبارات الزراعية وربطها بالارشاد الزراعي حتى يكون هـذا الاخير فعالا يساهم في تحديث الاساليب الزراعية لزيادة الانتاجية كاختيار البذور المؤصلة واستعمال الادوية والاسمدة الزراعية . ٢ ـ انشاء شبكات الري : لم تعمل كثيرا لاكتشاف المياه ، وقد كان هدفها ترك هذه المسألة التي تكلف كثيرا ليقوم بها السكـان انفسهم(٥٨) . ومن المعروف ان حالة الفلاحين العرب كانت لا تسمح لهم بتوظيف اموال كبيرة لانشاء شبكات الري ، فكان هذا الاهمال من الحكومة يبغي حرمانهم من مياه الري حتى يستأثر بهـا المهاجرون الصهيونيون الذي كانت تتوفر لهم الاموال ليقوموا بمد شبكات الري والمباشرة بالزراعة الكثيفة المربحة ومنـع الفلاحين العـرب من الوصول اليهـا . ٣ ـ انشاء مؤسسات للتسليف الزراعي بعـد ان اغلقت البنـك العثمـاني الزراعي تحت ضغط المؤسسات الصهيونية ، وذلك لمنع الفلاح العربي من تحسين اساليبه الزراعية والتعلق بأرضه تمهيدا لتركها حتى يستولي عليها الصهاينة . وادى هذا الاجراء كما ذكرنا سابقا الى زيادة ديون الفلاح العربي الذي اتجه نحو المرابين والبنوك التجارية لاستلاف الاموال بفوائد مرتفعة . ٤ ـ تشجيع انشاء التعاونيات الزراعية ، لان هذا من شأنه ان ينظم صغار الفلاحين الذين يؤلفون الاكثرية الساحقة من العاملين في الزراعة ويساعدهم على تحديث اساليبهم الزراعية بما توفر لهم هذه التعاونيـات من خدمات على صعيد الانتاج والتسويق والتسليف .

لكن لم تقم الدولة المنتدبة بتوفير هذه الخدمـات للزراعة العربية للابقـاء عليها زراعة تقليدية وذلك كي لا يتعلـق الفلاحون العرب بالارض فيفسدوا عليهـا مخططات انشاء الكيان الصهيوني في اراضيهم . وكانت تتحجج احيانا بأن الفلاح العربي لا يتجاوب مع الاساليب الحديثة للزراعة ويتمسك بتقنيته وتقاليده القديمة في الزراعة . هذا الادعاء الذي تكمله اليوم الدعاية الصهيونية عندما تتطرق الى زراعة الاقلية العربية في اسرائيل هو ادعاء كاذب ويدحضه الواقع وجهود الفلاحين العرب المنفردة لتحسين اساليبهـم الزراعية وافتقارهم الى العلم والمال معا . وكانت مشكلة الفـلاح العربي الفلسطيني والعربي اجمالا ، ولا تزال ، تتجسد بعدم وجود الاجهزة الحكومية والمؤسسات المختصة التي تساعده على النهوض بزراعته لتحديثها فينبغي عليه ان يقوم بمفرده بهذا المجهود الذي يكلف كثيرا ويهدر معظم طاقاته .

خاتمـــة

رافقنا خلال هذا البحث جزءا من الكفاح الذي قاده الفلاح العربي الفلسطيني ، خـــلال العصور - ضد الطبيعة والاحوال السياسية والمعيشيـــة والاستغلال . لاستثمار اكبر مساحة ممكنة من ارضه حيث ولد وعاش ودفن اسلافـــه . ولما اخذ سيــل المهاجرين الصهيونيين يتدفق على فلسطين « كانت جميـــع الاراضي ، خـــاصة الاراضي القابلة للزراعة ، مملوكة من سكانهـــا الاصليين ولم يستطع المهاجرون استخـــدام الوسائــــل البدائية ــ كالطرد والاستيلاء ــ ، لاستمــلاك الاراضي فيها كما فعــل المستعمرون الاوروبيون في المستعمـــرات الافريقية والاسيوية ، خاصة الجزائـــر ، بل كان امامهم وسيلة واحدة وهي شراء الاراضي من سكانها الاصليين »(٥٩). وعمل الصهيونيون في هذا الاتجاه طيلة سبعين عاما مستخدمين شتى اساليب الضغط والترغيب حتى حصلوا على ٦٪ من مساحة فلسطين الاجمالية و ١٢،٧٨ من الاراضي الصالحة للزراعة(٦٠)، وكانت معظم هذه الاراضي التي حصلوا عليها ملكا لاقطاعيين غـــير فلسطينيين ــ او بنسبة ضئيلة ــ ملكا لاقطاعيين فلسطينيين يعيشون في المـــدن ، بالاضافة الى ٢٪ من الاراضي الصالحة للزراعـــة حصلوا عليها هبة مـــن الحكومة المنتدبة(٦١). اما الفلاح الفلسطيني فقد قاوم الغزوة الصهيونية مقاومـــة صلبة وعنيفة ، « واذهلت شجاعتـــه سلطات الانتداب التيكانت تخطط لضربه »(٦٢)، ولم يستسلم للضغوط المادية التي مارستها ضده الدولة المنتدبة بالتواطؤ مع الصهيونيين لحمله على ترك اراضيه وبيعها الى الصهيونيين ، بل صمد الفلاح العـــربي الفلسطيني في ارضه وقـــام بزراعة اكثرية الاراضي القابلة للزراعة في ذلك الوقت ، باعتبار الطرق الزراعية والاموال التي كانت متيسرة(٦٣). وكان تطور شبكات الري وحده قادرا على زيـــادة المساحات المزروعـــة ومضاعفة الانتاجية الا ان سلطات الانتداب لم تفعل شيئا لتطوير شبكات الري حتى لا تتحسن اوضاع الزراعة العربية . ولو قامت السلطات المنتدبة بواجباتها تجاه المزارعين العرب كما كانت تقوم المؤسسات الصهيونية بالخدمات للمزارع الصهيوني لكان الفلاح العربي الفلسطيني لا يقل تقنية وانتاجية عن المزارع الصهيوني(٦٤).

لم تكن اذن فلسطين ارضا صحراوية جاء يستوطنهـــا الصهيونيون بل كـــانت مملوكة ومستثمرة من سكانها الاصليين منذ مئات السنين . ولـــم يحصل الصهيونيون طيلـــة سبعين عاما من الاستعمار الا على القليل القليل من الاراضي الفلسطينية لان الشعب الفلسطيني قـــاوم الغزوة الصهيونية بعنف وصلابة حفاظـــا عـــلى ارضه . لقد فشل الصهيونيون في استملاك الاراضي العربية في فلسطين فلجأوا الى العنف وزرع الرعب لطرد السكان العرب منها للاستيلاء على الاراضي العربية التي كانت مزروعة لاعطائها الى المهاجرين الذين تدفقوا على فلسطين بعـــد قيام دولـــة اسرائيل لزراعتها بحيث ان الزراعة الصهيونية اتت امتدادا للزراعة العربية . ولم تتوصل « اسرائيل » بعد ثلاثة وعشرين عاما على قيامها بزراعة جميع الاراضي التي كان يزرعهـــا العرب لان هناك كثيرا من الاراضي الجبلية التي كانت مزروعة لا تزال مهملة حتى الان تنتظـــر ان تعود اليها الزراعات السابقة .

---

١ ــ Nathan Weinstock, *Le sionisme contre Israël*, François Maspéro, Paris 1969, p. 91.

٢ ــ *L'Agriculture en Israël*, édité par le centre israélien de documentation pour les pays de langue française, Ambassade du Israël, Paris 1963, p. 1.

٣ ــ فاينشتوك ، **المصدر السابق** ، ص ٦٨ .

٤ ــ A. Granott, *The Land System in Palestine*, London 1952, p. 18 ff.

٥ ــ **المصدر السابق** .

٦ ــ فاينشتوك ، **المصدر السابق** ، ص ٦٧ .

٧ — Dr. A. Rupin, *Syrien Als Wirtschftsgebiet*, 1916, traduction française par Georges Shaib, p. 18.

٨ — *La Palestine, memento économique*, I.N.S.E.E. P.U.F. Paris 1948, p. 61.

٩ — Vital Guinet, *Syrie, Liban et Palestine, géographie des criptive*, Paris, Ernest Leraux Editeur, 1896, p. 514.

١٠ — روبن ، **المصدر السابق** ، ص ٨٧ .

١١ — Higgins Benjamin, *Economic Development*, Norton Co. New York 1959, p. 314.

١٢ — ان مصدر جميع المعلومات الواردة هي من:
١ — جينيه ، **المصدر السابق** ، ص ٥٨٤ الى ٥٩٠ بالنسبة لسنة ١٨٩٥ .
٢ — روبن ، **المصدر السابق** ، ص ٤٨ الى ٧٠ بالنسبة لسنة ١٩٠٩/١٠ والسنوات التي تليها.

١٣ — نعود ونذكر القارىء بان احصاءات سنة ١٩٠٩/١٩١٠ تشتمل علـى احصاءات متصرفية القدس باستثناء قضاء الخليل .

١٤ — روبن ، **المصدر السابق** ، ص ٤٥ .

١٥ — **المصدر السابق** ، ص ٥٠ .

١٦ — **المصدر السابق** ، ص ٥١ .

١٧ — **المصدر السابق** ، ص ٥٣ .

١٨ — **المصدر السابق** ، ص ٥٤ ، ٩٤ و٩٥ .

١٩ — جينيه ، **المصدر السابق** ، ص ٥٨٤ .

٢٠ — مصدر المعلومات : **المصدران السابقان** .

٢١ — راجع ناجي علوش ، **المقاومة العربية في فلسطين** (١٩١٧ — ١٩٤٨) م.ت.ف. مركز الابحاث ، بيروت سنة ١٩٦٧ ، ص ١٤ .

٢٢ — الاقة وحدة وزن تساوي ١٫٢٨ كلغ .

٢٣ — روبن ، **المصدر المذكور** ، ص ٥٧ وما يليها.

٢٤ — **المصدر السابق** ، ص ٧١ و١٤٤ .

٢٥ — **المصدر السابق** ، ص ٧٦ .

٢٦ — **المصدر السابق** ، ص ٨١ .

٢٧ — اوردها **المصدر السابق** ، ص ٨١ .

٢٨ — **المصدر السابق** ، ص ١٢٢ الى ١٢٧ .

٢٩ — Neville Mandel, *Turks, Arabs and Jewish Immigration into Palestine 1882 - 1914*. Middle Eastern Affairs, Ed. by A. Hourani, St. Anthony's Papers, No. 4, 1965, p. 85.

٣٠ — **المصدر السابق** ، ص ٩٣ .

٣١ — The Anglo Palestine, *Year Book* 1947 - 1948, p. 131.

٣٢ — La Palestine ، **المصدر السابق** ، ص ٥٦ .

٣٣ — *Village Statistics 1945*, with Explanatory Notes by Sami Hadawi, P.L.O., Research Center, Beirut 1970, p. 37.

٣٤ — **المصدر السابق** ، ص ١٩ .

٣٥ — حسبت النسب من المعطيات الواردة في The Anglo Palestine ، **المصدر السابق**، ص ١٣١ .

٣٦ — حسبت النسب من المعطيات الواردة في La Palestine ، **المصدر السابق** ، ص ٧٠ و٧٥ .

٣٧ — **المصدر السابق** ، ص ٥٦ و٧٤ .

٣٨ — La Palestine ، **المصدر السابق** ، ص ٦١ .

٣٩ — حسبت من المعطيات الواردة في **المصدر السابق** ، ص ١٦٦ .

٤٠ — A. Survey of Palestine, I ص ٣٦٤ .

٤١ — راجع La Palestine ، **المصدر السابق** ، ص ١٦٦ .

٤٢ — راجع A Survey of Palestine, I ص ٣٦٤ .

٤٣ — غريغوريوس الحجار ، **بيان عن حالة فلسطين امام اعضاء اللجنة الملكية البريطانية** ، حيفا ، سنة ١٩٣٧ .

٤٤ — Palestine, *Report on Immigration, Land Settlement and Development*, by Sir John Hope Simpson, C.I.E. 1930, p. 142.

٤٥ — ورد في فاينشتوك ، **المصدر السابق** ، ص ٦٩ .

٤٦ — ورد في **المصدر السابق** .

٤٧ — جرانوت ، **المصدر السابق** ، ص ٣٤ و٣٥.

٤٨ — La Palestine ، **المصدر السابق** ، ص ١٦٥ .

٤٩ — حسبت النسب من المعطيات الواردة في الجدول رقم ٧ .

٥٠ — حسبت النسبة من المعطيات الواردة في La Palestine ، **المصدر السابق** ، ص ٦٨ و٦٩.

٥١ — حسبت النسبة من المعطيات الواردة في The Anglo Palestine ، **المصدر السابق** ، ص ١٢٦ .

٥٢ — سعيد حماده ، **المصدر السابق** ، ص ١٧٧.

٥٣ — La Palestine ، **المصدر السابق** ، ص ٧٢ .

٥٤ — حسبت النسبة من المعطيات الواردة في

المصدر السابق ، ص ١٣٥ .

٥٥ A Survey of Palestine, I ، المصدر السابق ، ص ٣١٢ .

٥٦ ــ المصدر السابق ، ص ٣١٣ .

٥٧ ــ La Palestine ، المصدر السابق ، ص ٧٦ .

٥٨ ــ سعيد حماده ، المصدر السابق، ص ١٤٩.

٥٩ ــ Charles Gide, *La colonisation sioniste*, Jérusalem, 1925, p. 4 et 5.

٦٠ ــ Village Statistics 1945 المصدر السابق ، ص ١٩ .

٦١ ــ La Palestine ، المصدر السابق .
ص ٥٠ .

٦٢ ــ التعبير لغريغوريوس حجار ، مطران حيفا وسائر الجليل ، ورد في احدى رسائله الى مطران صور .

٦٣ ــ راجع : ١ ــ سعيد حمـاده ، المصدر السابق ، ص ١٣٨ .

٢ ــ La palestine ، المصدر السابق ، ص ٧٦ .

٣ ــ The Anglo Palestine ، المصدر السابق ، ص ١٣١ .

٦٤ ــ Yitzhak Oded in *New Outlook*, February 1968, p. 24.

قدسية فلسطين عند المسلمين

حسن سعيد الكرمي

تعني كلمة « مقدس » ، حسب القواميس المعروفة، واحدا من المعاني الثلاثة التالية : « ما هو مكرس لخدمة الله ولعبادته ، ما هو مكرس ، او مزعوم انه مكرس لهدف غير ذاتي ، ولمقصد روحاني ، وما هو متعلق أو مرتبط بشخص أو بشيء له قداسته ، واخيرا هو الذي تعتبره ، او تعترف به،سلطة او تقليد ديني ما انه مقدس». فالمعنى ، اذن ، له مدلول تاريخي وليس مجرد نتيجة نظرية جامدة . والعالم مقسوم ، في الاديان المعروفة ، الى قسمين لاحدهما وزن خاص ، وهو القسم المقدس . وما يميزه عن القسم الاخر ، غير المقدس ، هو الطقوس والعبادة والمحرمات وغيرها من الاجراءات الدينية وبامكان الشيء ان يكون مقدسا بالاستمرار او بالارتباط . وقد جاء في كتاب و. ل. كنغ « المقدمة الى الاديان » (نشر هاربر ، ١٩٥٤ ، ص ٣٧) « كانت الاديان ، في كل مراحل تطورها ، تبني اماكن العبادة وصروح التقديس بالقرب من الاماكن المقدسة او فيها.وكانت هذه المباني ، تكتسب ، احيانا ، قداسة بحد ذاتها . اذ ليس كل كنيسة او جامع او كنيس او معبد مبنيا على مكان كان مقدسا من قبل . بل ان مجرد تشييد المبنى يعطي المكان صبغة دينية ربما لم تكن موجودة من قبل . الا ان عددا كبيرا من المباني المقدسة انما اقيم على اراض كانت بالفعل مقدسة بالنسبة الى طائفة ما : كأن يكون المكان موقع مولد مؤسس الطائفة او موقع عمل او اعمال خارقة له ، او محل حصول حدث تاريخي مهم للطائفة ، او يكون المكان مرتبطا بحياة او اعمال رسول او قديس او ولي . والقدس ، المعروفة باسم المدينة المقدسة عند المسيحيين واليهود والمسلمين ، مثال ممتاز على ذلك » . لقد أمدت القدس فلسطين كلها بالقداسة ، بالارتباط والجوار . لم يكن لموسى ، مؤسس اليهودية ، اي ارتباط بالقدس . ولكنه ، ولانه كان زعيما يهوديا ولان داود اختار القدس عاصمة له واختارها سليمان مدينة للهيكل ، وبفضل العلاقة بين هؤلاء القادة اليهود الثلاثة ، كانت القدس مدينة مقدسة لليهود طيلة تاريخهم . وقد يهب الربط التاريخي او الاسطوري مكانا او موقعا او مدينة او ربما بلادا بقداسة مماثلة . ولا نحتاج الى امثلة على ذلك . فهو أمر شائع في امم واديان كثيرة . وتعتبر « ارض الميعاد » مقدسة احيانا لان اليهود القدامى آمنوا ان الله وعد ارض كنعان لابراهيم ولذريته . ولا تتطلب « قداسة » كهذه وجود مبان او اثار قديمة او حتى بقايا ومخلفات دينية . وفلسطين ، الارض المقدسة ، «مقدسة» لليهود ، مع انهم انقطعوا عن اقامة اية صلة مادية ملموسة بها منذ القرن الاول للميلاد ولفترة طويلة جدا . فقد زال وجودهم الديني بها تماما. بينما يختلف الوضع بالنسبة للوجود الديني الاسلامي او المسيحي ، فقد احتفظ الدينان بارتباطاتهما التاريخية والاسطورية باستمرار ، وهي ارتباطات دعمها وقواها الوجود الفعلي الاسلامي والمسيحي ووجود الاثار والمباني الدينية . ●

ويمكن ان ينشأ التقديس عن واقع قومي ما. وهذا ما حصل لفلسطين اسلاميا . فمع ان الاسلام ، في اوائل عهده ، لم يعتبر فلسطين بكاملها مقدسة بشكل خاص ، عاد فاعتبرها كذلك نتيجة للحروب الصليبية التي جعلت المسلمين يمدون رقعة قدسية بعض الاماكن في فلسطين الى فلسطين بأكملها ، ودعم ذلك المد ، فيما بعد ، بفعل التحدي

الصهيوني والهجرة اليهودية في الخمسين سنة الاخيرة .

وتنطبق معاني القدامة التي ذكرناها في مطلع المقال على وضع فلسطين مسيحيا واسلاميا اكثر بكثير مما تنطبق على وضعها يهوديا . اذ ان فلسطين تحقق ، بالنسبة للمسيحيين وللمسلمين ، صفات القدامة الاسلامية كلها : ففيها العناصر الدينية والتاريخية والوجود المستمر، مضافا اليها الفولكلور والروايات والمعتقدات الشعبية .

لقد سمى العرب والمسلمون البلاد فلسطين (المعروفة بأسماء اخرى كأرض الميعاد وارض الكتاب وارض كنعان والبلاد المقدسة) مشتقين الاسم من كلمة فلسطيا او ربما من كلمة بلشت العبرية . وكانت الارض التي نال ابراهيم بها وعدا من الله (تكوين ١٥ : ١٨ — ٢١) يحدها من الشرق نهر الفرات ومن الغرب البحر المتوسط ومن الشمال مداخل حماة ومن الجنوب « نهر مصر » . وهذه الرقعة الواسعة هي ما يزعم الصهيونيون انها ارضهم وهي المدى الجغرافي لسياستهم التوسعية . وفلسطين ، في الحقيقة ، مجرد قسم من هذه الرقعة ، القسم الممتد من الحد الجنوبي لجبل لبنان الى « بادية التيه » (وفي الواقع ان « ارض الميعاد » تشمل ، حسبما كتب ج. هارولد لانكستر ، « شرق افريقية واوغاندا والحبشة والصومال والسودان وبلاد النوبة ومصر وشبه الجزيرة العربية وفلسطين وسورية وبادية الشام وما بين النهرين وخليج فارس» ، كما جاء فيكتابه «**النبوءة والحرب والشرق الادنى**» ، نشر دار مارشال ، لندن ، ١٩١٩ ، ص ١٧٧) . وكانت فلسطين تمتد ، في الحكم العربي ، من رفح الى اللجون (من مرج ابن عامر) ومن يافا الى اريحا (حسب تحديد الاصطخري) . كما ان ما وراء نهر الاردن ، من العقبة الى شمال بيسان ، كان ايضا يتبع فلسطين . اما الاجزاء الشمالية من فلسطين ، اي ما كان شمال مرج ابن عامر ، فكان يتبع ولاية سورية . الا ان هذا التقسيم لم يكن دائما . بل كان الحكام المختلفون يعدلونه ويبدلونه باستمرار ، وكان اخر اسم عربي لفلسطين ، قبيل الاحتلال البريطاني وفي اوائل عهده ، هو « سورية الجنوبية » ، وذلك لان فلسطين كانت آنذاك مقسمة بين ولايتي دمشق وبيروت (اللتين كانتا ضمن ما كان يعرف بسورية). وكانت القدس وضواحيها تشكل ما كان يدعى بالسنجق المستقل . (وقد سبق ان جمع فخرالدين المعني ، في اواخر القرن السادس عشر والثلث الاول من السابع عشر ، ما بين فلسطين وسورية في وحدة سياسية سميت عربستان) . غير ان اسم فلسطين ظل حيا دائما ، بفضل التراث العربي في الادب والتاريخ والجغرافية وبفضل التقليد الاسلامي . كذلك يمتد اعتبار فلسطين بلدا مقدسا فيالتراث المسيحي امتدادا واسعا . ولو اخذنا جانبا او جانبين من تاريخ الاسم لوجدنا ان فلسطين كانت ايام قسطنطين تنقسم الى ثلاث ولايات : فلسطين الاولى وفلسطين الثانية وفلسطين الثالثة. وفي عهد الاتراك ، سنة ١٥١٧ ، قسمت سورية الى خمس باشويات ، وكانت فلسطين احدى هذه الباشويات ، وينطبق هذا التقسيم ، تقريبا ، على التقسيم العربي للبلاد ، حيث كانت توجد ثلاث مدن رئيسية كقصبات لثلاث مقاطعات حولها : بيسان وقيسارية والرملة . وكانت غزة (واحيانا القدس) هي المدينة الرئيسية في الجنوب بعد الرملة في العهد العثماني .

وكان لعرب الجزيرة العربية علاقات مع فلسطين باستمرار طيلة الحقب التاريخية . ويذهب بعضهم الى الاعتقاد بان الكنعانيين هم انفسهم عرب . وكان الادوميون والمؤابيون والانباط عربا اقحاحا ، وكانوا من صميم تاريخ فلسطين في العهود اليهودية واليونانية والرومانية . وكان هيرودوس الاول ، المعروف بالكبير وبملك اليهود ، عربيا . وعرف عن العرب انهم اقاموا نشاطا تجاريا واسعا بين البحرين الاحمر والابيض المتوسط عبر شبه جزيرة سيناء ومن العقبة الى غزة . واحد اجداد الرسول ، هشام بن عبد مناف ، مدفون في غزة . واسر ثاني الخلفاء الراشدين ، عمر بن الخطاب ، في غزة وهو يقوم باحدى جولاته التجارية قبل الاسلام لان فلسطين كانت في الواقع طريق اهل الحجاز الى المتوسط.كما يقال ان الرسول(ص)نفسه سلك ذلك الطريق . وهكذا فان العرب كانوا ، من قبل قيام الاسلام ، يعون وجود فلسطين واهميتها واخبارها ، وكان ملوك الجزيرة العربية على صلات بيهود فلسطين . ويذكر كتاب الاغاني (من القرن العاشر للميلاد) ان المستوطنات اليهودية في المدينة ، في الحجاز ، كان لها دور في ثورات اليهود الشهيرة في القرنين الاول والثاني للميلاد . كما ان الرسول نفسه زار المدن السورية في رحلاته التجارية . ولا بد انه روع لمشهد التدمير الذي

احدثه الغزاة الفرس واحلافهم اليهود في الاماكن المقدسة من القدس . ويفسر احد التفاسير القرآنية الآية الكريمة : « ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها ... » (البقرة — آية رقم ١١٤) ، بانها اشارة الى القائد الروماني تيطس فسبسانوس الذي قاد حملة ضد اليهود وذبح محاربيهم واسر نساءهم واطفالهم واحرق توراتهم ودمر بيت المقدس وذبح الخنازير في كنسها وتركها خرابا الى ان اعاد المسلمون بناءها في عهد عمر بن الخطاب . كما ان فلسطين هي المقصودة في الآية الكريمة « ... وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين » . (المؤمنون : ٥٠) الا ان فلسطين ، التي عرفها المسلمون والعرب من قبل الفتح الاسلامي كبلد مقدس للمسلمين واليهود (وقد اعترف الاسلام بالمسيحية وباليهودية) ، لم تتخذ صفتها المقدسة اسلاميا الا بعد سنوات قليلة من بدء الدعوة الاسلامية . وكان امر الرسول للمصلين بان يولوا وجوههم في الصلاة صوب القدس (وكان المسلمون انذاك لا يزالون في مكة) هو الاشارة المهمة الاولى للطابع الخاص لفلسطين . ولما هاجر المسلمون الى المدينة ، ظلوا يولون وجوههم نحو القدس مدة ستة عشر او سبعة عشر شهرا ، امرهم الرسول بعدها بأن تولى وجوههم نحو مكة (كما جاء في الطبري ، المجلد الثاني ص ٢٦٥) .

اما الاشارة المهمة الثانية لطابع فلسطين الديني فكانت في اسراء الرسول (ص) الى القدس وعروجه منها الى السماء من نقطة قريبة جدا من موقع هيكل سليمان . وقد قالت الآية الكريمة : « سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا ... » (الاسراء — آية رقم ١) . ويجمع المفسرون على ان القدس هي المكان المقصود . ويفهم بعضهم من هذا الحدث ان الرسول سوف يرث بركات انبياء اليهود كلهما ، بما فيها الارض المقدسة . ويروي المحدثون ان الجامع الاقصى هو مكان مقدس منذ القدم بناه ابراهيم بعد بناء الكعبة (في مكة) باربعين سنة . وهكذا كانت القدس اول قبلة في الاسلام ، قبل مكة، وهي القبلة الثانية ، بينما كان الاقصى هو الحرم الثالث في الاسلام(ومعلوم ان الحرمين الاولين هما الكعبة في مكة ومسجد الرسول في المدينة) . ويعتقد ان كلمة « حوله » في الآية المذكورة آنفا تعني القدس وضواحيها ، أو ربما فلسطين كلها . ويروي البخاري عن الرسول قوله ان الرحال لا تشد الا لثلاثة مساجد ، مسجدي (في المدينة) والمسجد الحرام (في مكة) والمسجد الاقصى . اما السيوطي فيروي عن الرسول ان الله بارك ما بين العريش والفرات ، وخاصة فلسطين . ويروي ايضا عن بيت المقدس انه بلد الاجتماع والعبادة ، وحث الناس على زيارته والعبادة فيه لان الصلاة فيه خير من العبادة الف مرة في مكان آخر . وفي رواية اخرى ان الموت في القدس كالموت في الجنة . ويروي ابن عباس عن الرسول قوله ان خطايا الانسان تغفر له اذا حج الى القدس وصلى فيها في العام نفسه . وهذا يفسر حرص المسلمين على اداء حج اضافي الى القدس ، بعد او قبل حجهم الكبير الى مكة . ويرغب الكثيرون من المسلمين ان يبدأوا شعائر الحج والاحرام في القدس . وكان بعضهم (كابن عمر ، وكعب الاحبار) يلبسون مآزر الاحرام في القدس قبل توجههم الى مكة .

ويؤمن المسلمون ، بفضل حديث او رواية شبيهة بأسطورة يهودية ومسيحية ، ان يوم القيامة سيكون في القدس . وتشبه هذه الاسطورة ، الى حد ما ، حادثة عروج الرسول الى السماء . فمن المعتقد ان النبي صلى في القدس في ليلة الاسراء والمعراج بصحبة من سبقه من الانبياء ومنهم ابراهيم وموسى وعيسى ، وذلك قبل ان يعرج على سلم من نور الى الحضرة الالهية في السماء السابعة . واثناء ذلك كانت ركوبته المسماة « البراق » مربوطة على بعد مسافة قصيرة من الموقع الذي يقوم عليه المسجد الاقصى في الوقت الحاضر . ولذلك يطلق المسلمون على حائط المبكى ، اسم حائط البراق ، ويؤكد بعض المفسرين للقرآن انه تم تنزيل الآية الكريمة ٤٤ من السورة ٤٣ في ليلة الاسراء هذه . وكما تقول الرواية ، تم الاسراء من على الصخرة التي يوجد حولها الان عدة اساطير في كل من اليهودية والمسيحية والاسلام . ويذكر سير جون موندفيل عددا منها في روايته عن زيارة قام بها للقدس حوالي السنة ١٣٢٢ ب.م. (ص ١٧٠ — ١٧١ من كتاب « رحلات قديمة في فلسطين » ، (اصدار مكتبة بوهن ، لندن ، ١٨٤٨) . والمتفق عليه في الاسلام ان النبي صلى في ليلة الاسراء على الجانب الأيمن من الصخرة ، وانه عندما بدأ

الاسراء الى السماء ، ارتفعت الصخرة من مكانها وحاولت اللحاق به ، الا ان الملاك جبريل ، عليه السلام ، اوقفها . ويقال أيضا ان الصخرة نطقت آنئذ ، كما نطقت فيما بعد امام الخليفة عمر اثناء زيارته للمنطقة بعد سقوط القدس في ايدي المسلمين . ووفقا لرواية اخرى ، ستنتقل الكعبة الى الصخرة في يوم القيامة ، وبعد ذلك سترتكز السدة الالهية على هذه الصخرة . وهناك ايضا المزيد من الروايات والاساطير بين المسلمين عن الصخرة ، جميعها مرتبطة جدا بما هو سائد في المسيحية واليهودية : ولمزيد من الايضاح انظر (« **القدس** » بقلم م. جوين ــ لامبرت ، اليك ، لندن ، ١٩٥٨ ، وكذلك ص ٢٢٢ في كتاب « **تاريخ القدس** » بقلم ج. جراي ، الوارد ذكره سابقا).

تشير جميع الاحاديث الاسلامية والكتابات الدينية في الاسلام الى الحقيقة التي لا مراء فيها بأن للقدس قدسية خاصة عند المسلمين بعد مكة والمدينة . انها اولى القبلتين وثالث الحرمين ، بعد الكعبة في مكة والحرم في المدينة . وجميع هذه الاسباب الدينية تثبت ان القدس مدينة مقدسة عند المسلمين ، فحتى اسماؤها بالعربية « القدس ، بيت المقدس ، والبيت المقدس » جميعها مشتقة من الجذر الثلاثي « قدس » ومعناه « مقدس » أو « ذات قدسية » . وهناك من يسميها أيضا « القدس الشريف » اذ ان كلمة « شريف » لا تضاف الا الى الاسماء التي لها قدسية خاصة ، وهكذا فان الحرم ، حيث يقوم المسجد الاقصى وقبة الصخرة ، يسمى الحرم الشريف .

واعتبار القدس مدينة مقدسة عند الاديان الثلاثة لا يضعف من موقف المسلمين ، بل بالعكس ، يزيده قوة ، فالاسلام يؤمن باليهودية والمسيحية ، ويعتبر مؤسسيهما ، مثل موسى وداود وسليمان وعيسى ، عليهم السلام ، انبياء بدرجة محمد(ص). وفي القرآن ثماني سور تورد أسماء انبياء يهود أو على علاقة باليهود ، ويرد ذكر داود وسليمان ٣٣ مرة في القرآن ولا يرد ذكرهما في العهد الجديد الا ٣٠ مرة ، ثمان منها لسليمان الذي يرد ذكر اسمه ١٧ مرة في القرآن . واعتقاد المسيحيين بالعهد القديم يجب ان لا يفهم على انه تخل عن قدسية العهد الجديد. (بالمناسبة ان صهيون ليست هي فقط التلة المقدسة في القدس بالنسبة الى اللاهوت اليهودي ، بل انها تعتبر من قبل المسيحيين كذلك ، انها هي الكنيسة ومملكة السماء) . وهناك قصة مناسبة يرويها الحاج فيلكس فابري (وقد ورد ذكرها فيكتاب **قصة القدس** بقلم الكولونيل سير سي. م. واطسون ، لندن ، ١٩١٢ ، ص ٢٥٦) ، بأن المسلمين استولوا على ضريح داود من المسيحيين للاسباب التالية : « لقد رجا اليهود السلطان اكثر من مرة ان يمنحهم ذلك المكان ليقيموا فيه مصلى لهم ، ولا يزالون يطلبونه حتى اليوم ، وبالمقابل رفض المسيحيون التنازل عنه لليهودية وعندما استفسر السلطان عن سبب قدسية المكان ، قيل له : ان داود وذريته من ملوك القدس قد دفنوا فيه ، فأجاب : « نحن المسلمين نعتبر داود نبيا تماما كما يعتبره المسيحيون واليهود ، وكذلك نؤمن بالتوراة مثلهم، ولهذا السبب نعتبر انفسنا ، نحن المسلمين ، لا اليهود ولا المسيحيين ، اصحاب هذا المكان والقيمين عليه » » . ولقد زار فيلكس فابري، وهو راهب دومينيكي من المانيه ، فلسطين ما بين ١٤٨٠ و ١٤٨٣ حيث كانت لا تزال تحت سيطرة مماليك مصر .

وعلى أي حال ، ان مجمل هذا الشعور الديني لدى المسلمين تجسد في فترات التاريخ اللاحقة . وكانت القدس قد سقطت في يد العرب بزعامة الخليفة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، في السنة ٦٣٧ م. ، وبقيت في يد العرب ما يقارب التسعمائة سنة ، وبيد المسلمين نحوا من ١٣٠٠ سنة ، حيث تخللتها فترة احتلال الصليبيين للمدينة دامت مدة تسعين عاما . ولم تكن القدس حينئذ مدينة يهودية بل مسيحية خالصة ، فالعرب لم يغتصبوها من اليهود الذين اختفوا تقريبا تماما فيما بين العام ٧٠ و ١٣٥ م ، ولم يبق اثر للهيكل بعد العام ٧٠ ميلادية كما ان اليهود بعد عصيانهم الاخير في ١٣٢ ــ ١٣٥ م. لم يعد لهم وجود يذكر في فلسطين ، ومنذ ذلك الوقت « انتهى شيء اسمه مملكة اليهود على الارض » . (موشيه منوحين ، **انحلال اليهودية في عصرنا** ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ١٤) . وفي المعاهدة التي وقعت بين المسلمين وبطريرك بيت المقدس حدد بدقة للمسيحيين « بأن اليهود يجب ان لا يقيموا معهم » . والتاريخ يحتفظ لاثنين من مؤرخي الاغريق هما بوتكس وتيوفانس وكذلك للمؤرخين المسلمين قولهم بأن الخليفة عمر، رضي الله عنه ، وصل الى المكان الذي أسري بالنبي محمد (صلعم) منه الى السماء ، وكان هذا المكان مملوءا بالقمامة والخراب نتيجة اعمال

الفرس لدرجة ان البوابة الجنوبية الغربية لهذه المدينة المسيحية كانت شبه مغلقة . وهذا لم يحل بين عمر وبين ارتياده لهذا المكان لدرجة ان البطريرك اضطر لان يزحف على يديه ورجليه لينظف الطريق امام الضيف الكبير . وفي ذلك الوقت « بدأ عمر مهمة تنظيف الصخرة الواقعة على المغارة . فاكوام القمامة حالت دون الاسراع بتكريسها لتصبح من مقدسات الاسلام حيث ان اول مكان مقدس للاسلام في القدس يتسع مكان المسجد الاقصى » . ج. جراي وروبرت هال ، **تاريخ القدس** ، لندن ، ١٩٦٩ ، ص ٢١٩ — ٢٢٠) . ويضيف جون جراي الى ما سبق ، قوله: « انه عندما وقف عمر بن الخطاب قرب الهيكل بملابسه الرثة المرقعة التي جاء بها من المدينة الى سوريه انهمرت الدموع من عيني البطريرك سوفرونيوس وتمتم اصحاحا من سفر دانيال (١٢ : ١١) حول مقت الخراب القائم ، حيث يجب ان لا يكون ، في الوقت الذي كان تيوفانس ينظر نظرة لوم الى «اهتمام عمر بالاماكن المسيحية المقدسة». لقد كانت الملاحظة التي ابداها المؤرخ البيزنطي هي « نفاق شيطاني » ، ولكن هذا بحد ذاته دليل على اعتدال ذلك الحاكم المسلم « ذي النفس الكبيرة » الذي اعتبر القدس ، بكل بساطة واجلال ، مدينة مقدسة عند المسلمين والمسيحيين » . (المصدر نفسه ، ص ٢٢٠) . بل ويقال ان يهوديا كان قد اعتنق الاسلام هو الذي ساعد الخليفة في الوصول الى الصخرة المشرفة، (ميشال جوين — لامبرت ، **القدس** ، الك ، لندن ، ١٩٦٦ ، ص ١٦٩) . وفي اثناء هذه الزيارة امر عمر بتشييد مسجد في هذه البقعة التي لم يتفق المؤرخون العرب على تحديد لموقعها ، واغلب الظن انه جامع بسيط يقع في مكان ما جنوب منطقة الهيكل . ويعتقد ان هذا الجامع بني من الخشب في السنة ١٥ هـ. (٦٣٧ م) وكان يتسع لثلاثة الاف مصل : (ص ٦٦ من كراس بالعربية صدر في عمان حول حريق المسجد الاقصى في ٢١ اب ١٩٦٩) . ويقول كوندر في كتابه : **مدينة القدس** (جون مري ، لندن ، ١٩٠٩) : « لقد ادى عمر بن الخطاب الصلاة في كنيسة يوستنيانوس ، وزار الصخرة المشرفة بعد ان غسلها وطهرها » . ويقول يوتيكوس انه في عهد قسطنطين الكبير « كانت الصخرة واجزاء محيطة بها مهشمة ، ومتروكة دون أي اهتمام . وكانوا يلقون عليها الاوساخ لدرجة ان المزبلة اصبحت كبيرة ، وقد اهملها الرومان (البيزنطيون) ، ولم يظهروا احتراما نحو الصخرة كما اعتاد الاسرائيليون على ذلك ، ولا حاولوا تشييد كنيسة عليها ، اذ قال السيد المسيح في الانجيل اهتم ببيتك والا سيصبح مهجورا . ولكن عمر أمر بتنظيفها وتطهيرها ، ثم قال اخر : لنبن معبدا من الصخرة ليكون القبلة . فرد عمر قائلا : ليس كذلك ، بل علينا ان نقيم مقاما ثم نضع الصخرة وراءه . ربما كان في عقول المسلمين الاوائل لبس وعدم وضوح بين الحجر الاسود في مكة المكرمة وبين الصخرة المشرفة في القدس ، وهذا ما زاد في تدسية الصخرة أو قبة الصخرة ، كما هي معروفة بشكل عام .

لقد تم تشييد قبة الصخرة في عهد الخليفة الاموي الخامس عبد الملك بن مروان حوالي السنة ٧٢ هـ. (٦٩١ م) . وقد بنيث فوق الصخرة التي يربط المسلمون واليهود بينها وبين عزم سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام على التضحية بابنه ، وكذلك بسيدنا سليمان باني الهيكل . وفي الوقت نفسه تقريبا شاد عبد الملك قبة السلسلة التي يربطها المسلمون بداود عليه السلام ، الذي يعتبر احد الانبياء عند المسلمين . وتقول القصة ان داود اعطي سلسلة من فضة من قبل الملاك جبريل عليه السلام يعلقها عندما يريد اصدار احكامه ، وقد كان يعلق بها جرسا ، وعندما كان احد المتقاضين يشد بالسلسلة يرن الجرس فقط اذا كان هذا الشخص بريئا ، والا فلن يرن الجرس ، او وفقا لقصة اخرى ، كانت السلسلة تسحب نفسها بعيدا عن المذنب ، وهناك قصة ثالثة مختلفة تماما عن سابقتيها : لكي يميز سليمان بن داود بين الحق والباطل كان يعلق سلسلة بين الارض والسماء بشكل يمكن البريء فقط ان يصلها ، ولكن ليس المذنب . وحدث ان يهوديا اعطي مئة دينار ، ولكنه انكرها ، تولت السلسلة أمره ، فاليهودي الذي صهر الدنانير وخبأها في عكازته ، اعطى العصا رأسا لصاحب النقود بعد ان اقسم انه اعاد له الدنانير . وبالمقابل اقسم المدعي انه لم يتسلم اي درهم . ومنذ ذلك الوقت بدأت السلسلة ترتفع في الهواء ، ويقال انها كانت في مكان الصخرة . (ميشال — جوين لامبريت ، الك ، لندن ، ١٩٦٦ ، ص ١٧٢ — ١٧٣) . ولقبة السلسلة اسم اخر هو محكمة النبي داود ، وقد نقش في اعلاها الآية القرآنية : « يا داؤد انا

جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ... » (سورة ص ، آية رقم ٢٦) ويعتقد ان قبة الصخرة قد شيدت لهدفين اخرين بعيدين عن الدافع الديني لدى المسلمين باعتبارها صخرة مقدسة . اولهما ، كما يذكر بعض المؤلفين المسيحيين ، هو ابعاد انتباه المسلمين عن ابنية المسيحيين واضرحتهم ، وبدلا عن ذلك اقامة صرح يكون مفخرة لهم ، واما الهدف الثاني ، كما ورد في كتب التاريخ العربي ، فهو ان عبد الملك بن مروان فكر في جعل القدس مركزا دينيا منافسا لمكة المكرمة والمدينة المنورة اللتين كانتا في ذلك الوقت تحت سيطرة عبد الله بن الزبير المطالب بالخلافة ، وفكر عبد الملك ان باستطاعته ان يحول الحجيج الى القدس و « تراءى له ان يجعل من القدس قبلة المؤمنين ، وان يغري المسلمين بالتطواف حول الصخرة بدلا من الحجر الاسود لانه لم يكن باستطاعته الحصول على ذلك الحجر » . (س. ر. كوندر ، **مدينة القدس** ، جون مري ، لندن ، ١٩٠٩ ، ص ٢٣٨) . وقد اطلق عبد الملك على المدينة اسم « القدس » أي « المدينة المقدسة » ، ومنذ ذلك الحين وهي لا تزال تحمل هذا الاسم عند العرب والمسلمين ، ويؤكد اليعقوبي ، المؤرخ العربي الذي عاش بعد قرنين من ذلك الوقت ، والمقدسي ، الذي عاش في القرن العاشر وكان احد مواطني القدس ، ان عبد الملك ابن مروان هو باني قبة الصخرة المشرفة ، فالمقدسي بعد حديثه عن تشييد الوليد بن عبد الملك للمسجد الاموي يقول : « وكذلك تأثر الخليفة عبد الملك ، بعد ان لاحظ عظمة كنيسة القيامة وخشي ان تبهر عقول المسلمين ، فأمر باقامة القبة الحالية فوق الصخرة (نورمن بنتويتش ، **فلسطين** ، لندن ، ١٩٤٦ ، ص ٣٦ — ٣٧) .

وهذا ما يؤكد ان القدس كان يمكن ، بفعل عوامل سياسية ، ان تصبح مدينة تضاهي مكة والمدينة ، وان الصخرة كان يمكن ان يصبح لها شأن مقام كالحجر الاسود . يقول المقدسي : « بالطبع تحتفظ مكة والمدينة بالاولوية عند المسلمين لوجود الكعبة وقبر الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فيهما ، ولكن في الواقع ، ستأتي هاتان المدينتان يوم القيامة الى القدس وبذلك تتحد المدن الثلاث في مدينة واحدة » . ويمكننا ان نضع تقييما للمدن الثلاث بالنسبة لكونها اماكن للصلاة ، بأن نضع نسبة ١٠ للقدس و ٢٠ للمدينة و ٣٠ لمكة المكرمة .

ولكن بعض المفسرين وضع الثلاثة على مستوى واحد . (ميشال جوين — لامبريت ، **القدس** ، لندن ، ١٩٦٦ ، ص ١٦٧ — ١٦٨) . اما الادريسي، الجغرافي الذي عاش في القرن الثاني عشر ، فقد اعتبر الاقصى وجامع قرطبة اعظم اعمال المسلمين ، وذكر ان الاولوية للاقصى .

ولقد زار لودلف فون سوشيم ، احد الحجاج المسيحيين الالمان ، فلسطين في الفترة ما بين ١٣٣٦ — ١٣٤١ ، وقال ما يلي عن قبة الصخرة : « يعير المسلمون اهتماما كبيرا لبيت الله ، ويحافظون على نظافته محافظة تامة ، من الداخل والخارج ، ويسمونه « الصخرة المشرفة » وليس « الهيكل » ، وكذلك يقول بعضهم لبعض: « لنذهب الى الصخرة المشرفة » ولا يقولون « لنذهب الى الهيكل » ، فهم يسمون الهيكل « الصخرة المشرفة » لسبب وجود صخرة صغيرة تقف وسط منطقة الهيكل مسورة بالحديد ، ولقد سمعت بعض المرتدين من المسلمين يقولون : لا يفترض اي مسلم انه سيلمس الصخرة ، وان المسلمين يحجون اليها من مسافات بعيدة . وفي الحقيقة اراد الله ان يظهر اعتباره للصخرة بطرق مختلفة ، ولذلك اظهر عدة عجائب ، كما يشهد بذلك العهدان القديم والجديد . (الكولونيل السير س. م. واطسون ، لندن ، ١٩١٢ ، ص ٢٤٩ — ٢٥٠) . يمكن ان يكون هذا الحاج يروي ببساطة ما سمعه من الناس ، وان وصفه للصخرة لم يكن دقيقا تماما ، ولكن المؤلف الكولونيل واطسون يورد مقطعا طويلا عن هذا الحاج بشأن عدة روايات لها علاقة بالصخرة ، ثم يلاحظ : « ان بعض هذه الروايات لا اساس من الصحة له ،بالطبع ، فعلى سبيل المثال : ان قبة الصخرة شيدت بالتصميم ذاته الذي شيد به هيكل اليهود ، وان البوابة الذهبية وجدت منذ زمن الرب ، ولكن هذا الكلام يظهر كيف تتجمع الروايات المتعلقة بالصخرة المشرفة تماما كما تجمعت حول كنيسة القيامة وكنيسة العذراء على جبل صهيون » .

لقد أعلى الامويون من شأن القدس كثيرا ببنائهم المسجد الاقصى الذي يشير اليه المؤلفون المسيحيون باسم « هيكل سليمان » . ان الدافع وراء بناء هذا المسجد يكمن في تأسيس نصب او مقام احياء للمسجد الاقصى الذي يرد ذكره في القرآن ، او كما يقول بعض الثقاة ، لاستبدال جامع عمر البسيط باخر اكثر اتقانا . وان مراحل

تطور المسجد الاقصى لا تتضح كثيرا من خلال قراءة ما كتبه المؤرخون العرب عن المسجد ، وكذلك فان المؤلفين المسيحيين منقسمون على انفسهم ازاء هذه القضية ، فلقد قيل من جهة ، ان كنيسة يوستنيانوس قد حولت الى مسجد ، ومن جهة ثانية ، ان مواد من هذه الكنيسة قد استعملت في بناء المسجد . ليس من السهل علينا ان نتصور البناء الاساسي للمسجد كما بناه الوليد (٧٠٥ — ٧١٥) لانه قد رمم وتغير في الشكل في مناسبات عدة : ففي عهد ابي جعفر المنصور (٧٥٨ — ٧٧٥) انهار المسجد نتيجة هزة ارضية ثم رمم بعد ذلك،وحصلت هزة ارضية ثانية في عهد الخليفة العباسي المهدي (٧٧٥ — ٧٨٥) ، تسببت في اعادة بنائه بشكل جديد ، وفي العام ١٠٦٠ انهار السقف ثم اصلح من جديد ، وقد اشار والطسون في كتابه قصة القدس، ص ١٩٠، الى «ان المسجد الاقصى قد تغير تماما نتيجة للترميمات والاضافات العديدة » . يصف ثيودوريك ، الذي زار القدس في العام ١١٧٢ ، المسجد كما يلي : يقع هيكل سليمان في الجهة الجنوبية وهو بشكل مستطيل يقوم على اعمدة كثيرة في الداخل مثل الكنيسة ، وينتهي باستدارة مثل المقام وتعلوه قبة كبيرة مستديرة بشكل اصبح معها يشبه الكنيسة ، ولقد انتقل هذا البناء بكل ملحقاته الى ايدي « فرسان الهيكل » الذين يسكنون فيه وفي البنايات الملاصقة له حيث مستودعات الاسلحة والملابس والاطعمة المختلفة ، وكان هؤلاء دائما على اهبة الاستعداد للدفاع عن البلد ، ويوجد في الطابق السفلي اسطبلات للخيل كان قد بناها الملك سليمان بنفسه قريبا من قصره تتسع لحوالي عشرة الاف حصان مع سائسيها ، ويضيف الكولونيل والطسون لهذا الملاحظة التالية : ان الكنيسة الجديدة ، المشار اليها هنا ، والتي تقع الى الجانب الشرقي للمسجد الاقصى ، لم تكن مكتملة عندما فتح صلاح الدين الايوبي المدينة في ١١٨٧ ، ولما كان قد هدمها وهدم كل ما اشاده « فرسان الهيكل » لم يبق الا اساسها في محاولة لاعادة المسجد الى ما كان عليه قبل احتلال المسيحيين للمدينة في ١٠٩٩ ، ونظرا للتغييرات التي طرأت على المسجد الاقصى منذ تأسيسه في العام ٦٩١ م، من السهل ان ندرك ان هناك صعوبات في فهم تلك التطورات التي مر بها البناء ، وان هناك اكثر من نظرية حول ذلك، واحدى هذه النظريات الاقل احتمالا هي ان المسجد كان مقتبسا عن كنيسة العذراء الفخمة التي بناها الامبراطور يوستنيانوس في القرن السادس الميلادي .

ولقد كان المقدسي اول من اعطى وصفا دقيقا للمسجد الاقصى ، وكان ذلك في العام ٩٨٥ م. وقد قيل ان تاريخ البناء يعود الى زمن قديم جدا ، وتقول الروايات ان سام الذي ينتسب اليه الساميون هو الذي بدأ بناءه بعد اربعين سنة من بناء الكعبة في مكة المكرمة . وقد نقل ميشال جوين — لامبرت في كتابه القدس ، الذي ورد ذكره سابقا ، من برهان الدين الفزاري قوله ، الى ان للعذراء ام السيد المسيح التي استقبلت في الهيكل نوعا من العلاقة بالمسجد الاقصى ، «ففي القدس بشر الله مريم بقدوم عيسى المسيح». ويوجد في المسجد محراب باسم محراب زكريا ، والد القديس يوحنا المعمدان .

وفي داخل منطقة الحرمين الكبيرين يوجد مقامان لهما جذور في التوراة ، كتبة موسى وكرسي سليمان عليهما السلام . وبجوار قبة الصخرة المشرفة يوجد العديد من القبب الصغيرة شيدها بعض كبار رجالات المسلمين عبر العصور ، فهناك قبة المعراج وقبة محراب النبي ، وقبة يوسف ، وقبة موسى ، وقبة سليمان ، وقبة الخضر (القديس جورج) ، ومحراب داود ، عليهم السلام . ويوجد العديد من المآذن حول الحرم وفي داخله ، وكذلك عدد من القاعات والنافورات وخزانات الماء شيدت كلها عبر العصور ولا تزال تحمل نقوشا تشير الى اسماء مؤسسيها . وفي احدى الفترات بلغ عدد المساجد في القدس اربعة وثلاثين ، واقيم عدد من الزوايا لراحة الحجاج الوافدين من مختلف اصقاع العالم الاسلامي وابرزها الزاوية النقشبندية للحجاج الوافدين من تركستان وازبكستان ، وزاوية الهنود ، والزاوية القادرية للحجاج الواردين من الافغان (الدكتور اسحق موسى الحسيني ، عروبة بيت المقدس ، القاهرة ، ١٩٦٨، ص ٤٦—٤٧)، ويوجد عدد آخر من الزوايا مثل الاضحية والمولوية والخانكية والشيخ جراح وابو السعود .

يقول جان جراي في كتابه تاريخ القدس : ان اجزاء اخرى من هذه المنطقة المقدسة الواسعة لها اصول مشابهة تمثل نمو الروايات عبر العصور ، وقد اضيف عدد من الاماكن الى هذه المنطقة ، كالمدارس والكليات والزوايا للحجاج ، وكذلك عدد

من النافورات المزينة والمنابر المكشوفة التي اوجدها برهان الدين (مات في ١٤٥٦) .
وبمواجهة كنيسة القيامة يقع الجامع العمري حيث اقام الخليفة عمر رضي الله عنه الصلاة رافضا ، كما ذكر عدد من مرافقيه ، ان يقيمها في داخل الكنيسة خوفا من ان يعتبر المسلمون الكنيسة مكانا مقدسا بالنسبة لهم ، ومن ثم يحولونها الى مسجد ، ويوجد كذلك جامع النبي داود على جبل صهيون وقد احتلته اسرائيل في العام ١٩٤٨ وحولته الى كنيس ، واقل الثلاثة اهمية ، جامع البراق ، الملاصق للمنطقة الحرام من الغرب ، وكما تقول الاحاديث ، ربط النبي فرسه البراق في هذا المكان قبل ان يعرج الى السماء ، وحائط الحرم هذا يسميه اليهود « حائط المبكى » ، والمكان تابع للاوقاف الاسلامية ، ويعرف باسم وقف ابو مدين تيمنا باسم الشيوخ المغاربة . ولقد ادعى اليهود ملكيته في اوائل عهد الانتداب البريطاني في فلسطين ، واحيل الموضوع الى لجنة تحقيق دولية برئاسة سويدي ، وفي تقرير اللجنة الذي صدر في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٠ ذكر ان الحائط الغربي (حائط المبكى) هو وقف اسلامي خالص وان الطريق بين الحائط وحي المغاربة هو ايضا وقف اسلامي ، ولكن بعد حرب ١٩٦٧ هدمت هذه المنطقة كما هدم حي المغاربة بعد ان تم ترحيل اهله عنوة .
هناك العديد من المدارس والكليات في القدس قريبة من المساجد والزوايا ، واحيانا كثيرة كانت الزوايا نفسها تستعمل كمراكز للتدريس ، وفي كثير من الحالات كانت المكتبات ملحقة بالاماكن المقدسة كما هو الحال في المراكز الاسلامية الكبرى، كالازهر الشريف في القاهرة ، وجامع الزيتونة في تونس ، وجامعة القرويين في فاس ، ومن اشهر هذه المدارس والكليات : الصلاحية والمامونية والناصرية والتنكزية والارغونية والخاتونية والاشرفية، واما المدرسة الصلاحية فقد اسسها صلاح الدين بعد دخوله القدس وذاع صيتها في العالم الإسلامي لزمن طويل ، ولقد سلم العثمانيون ادارة هذه المدرسة الى البعثة الكاثوليكية الفرنسية بعد حرب القرم (١٨٥٣ — ١٨٥٦) مع روسيه وخلال الحرب العالمية الاولى بعثت المدرسة من جديد على أيدي الاتراك على اسس حديثة ، وبدأت تدرس عددا من اللغات الاجنبية ، وفي ١٩١٧ اعادها البريطانيون الى الكاثوليك الفرنسيين
وعرفت المدرسة الناصرية فيما بعد بالغزالية تيمنا بأحد كبار فقهاء المسلمين ابو حامد بن محمد الغزالي الذي اقام فيها وانتج فيها مؤلفه الضخم **احياء علوم الدين** ، وبالنسبة لمدرسة الاشرفية فانها قد اسست على يدي الاشرفقايتباي، أحد سلاطين مماليك مصر في العام ١٤٨٢، ويصفها مؤلف كتاب **الانس الجليل** بأنها « ثالث درة في منطقة الحرم بعد قبة الصخرة وقبة المسجد الاقصى ».
لقد نالت هذه الاثار الاسلامية ، سيما الاقصى وقبة الصخرة، اهتماما من قبل الحكام العرب والمسلمين مضافا اليهم الملايين والملايين من المسلمين في جميع انحاء العالم ، فالمسجد الاقصى بني في عهد الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك ، الا ان بعض المؤرخين العرب يقولون ان بناء المسجد بدأ فقط في عهد عبد الملك لكنه انجز في عهد ابنه الوليد . ولقد سبق واشرنا الى الترميمات التي نفذت في قبة الصخرة المشرفة والمسجد الاقصى ، فأبو جعفر المنصور ، الخليفة العباسي (٧٥٨ — ٧٧٥) والخليفة المهدي (٧٧٥ — ٧٨٥) والملك المعظم عيسى المتوفي في السنة ١٢٢٧ قاموا باجراء الترميمات والاضافات ، والخليفة الفاطمي الظاهر اعاد بناء المسجد الاقصى في السنة ١٠٣٣ الذي كان المهدي قد أعاد بناءه ، وفي كلتا الحالتين كان المسجد قد دمر نتيجة لهزة ارضية ، وفي العام ١٠٦٦ رمم الخليفة المستنصر الجزء الشمالي من المسجد ، وفي العام ١١٦٨ أقام نور الدين زنكي منبرا في المسجد على ان يفتتح بعد استعادة بيت المقدس من الصليبيين ، ولسوء الطالع احترق هذا المنبر في الحادي والعشرين من آب (اوغسطس) ١٩٦٩ ، وفي ١٢١٧ بنى الملك المعظم شرفة تطل الى الجهة الشمالية ، وبعد ذلك ادخلت ترميمات هامة على المسجد بأمر من سلاطين المماليك تلاوون ثم ابنه الناصر وشعبان وحسن وقايتباي وقانصوه الغوري ، واما سلاطين بني عثمان الذين أولوا المسجد عنايتهم فكانوا سليمان القانوني (١٥٢٠ — ١٥٦٦) ، محمود الثاني ، عبد الحميد الاول واخيرا عبد الحميد الثاني (الذي اعتلى العرش في العام ١٨٧٦) .
وفي عهد الانتداب البريطاني رمم المسلمون المسجد في السنوات ١٩٢٢ و ١٩٢٧ وفي الفترة ما بين ١٩٣٨ — ١٩٤٨ .
وكذلك فقد لاقت قبة الصخرة كل عناية واجلال ، فقد رممت على يد الخليفة المأمون ، سادس خلفاء

بني العباس ، في السنة ٨٣١ ، وعلى يد الظاهر، الخليفة الفاطمي ، في السنة ١٠١٦ ، وبعد استعادة بيت المقدس على ايدي المسلمين في السنة ١١٨٧ قام المماليك بترميم القبة المشرفة ، وكان ذلك في عهد الظاهر بيبرس، والناصر وبرقوق وقايتباي ، ومن ثم سلاطين بني عثمان سليمان القانوني ومصطفى الاول ومحمود الاول ومحمود الثاني وابناه عبدالمجيد وعبدالعزيز اللذان قاما باضافات انتهت فيما بين ١٨٥٣ و١٨٧٤ ، وقد أمد الخليفة العثماني عبد الحميد الثاني المسجد بفاخر السجاد والطنافس وأمر بنقش سورة يس على جدران المسجد بخط جميل وقد قدم ايضا ثريا وضع في قلب القبة . الا ان سليمان القانوني يعتبر من اكثر السلاطين اهتماما بالقدس، فهو الذي اشاد اسوار مدينة القدس الحالية (١٥٤٢) .

واثناء الحرب العربية — الاسرائيلية في العام ١٩٤٨ هدمت القنابل الاسرائيلية قبة الصخرة ولكن الحكومتين العراقية والسعودية وبعض الحكومات الاسلامية اعادت ترميمها ، وانتهى ذلك في العام ١٩٦٥ وسط احتفال كبير شارك فيه عدد من زعماء المسلمين الذين وفدوا الى القدس لهذه المناسبة .

ومنذ زمن طويل اقام المسلمون البنايات وخصصوا الاراضي للمحافظة على هذه وغيرها من المقامات الدينية ، واهمها تلك التي تنسب الى ابو مدين المغربي ، وصلاح الدين ، وزوجة السلطان سليم الاول ، خاصكيه ، واخرها تلك التي وضعتها قبيل انتهاء الانتداب البريطاني السيدة امينه الخالدي .

بالاضافة الى هذه الاهتمامات الاسلامية تبقى القدس موئل علاقات تاريخية لا تنسى، فالشخصيات العربية والاسلامية التاريخية ورجال الدين المسلمون الذين ترتبط اسماؤهم بالقدس وعاشوا او اقاموا فيها لا يمكن ان يحصى عددهم . وفي فجر الاسلام أم القدس عدد كبير من مشاهير المسلمين ، واخصهم الخليفة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، والقائدان العسكريان المشهوران خالد بن الوليد وابو عبيدة عامر بن الجراح، وعمرو بن العاص ، وعدد من صحابة الرسول (صلعم) ، واخصهم بالذكر بلال ، مؤذن الرسول ، وابو نعيم، الذي كان اول من اذن للصلاة في القدس . ومن اعظم المتدينين والمتصوفين اثنتان تتبادران في الحال الى ذهن المرء هما : ام الدرداء ، ورابعة العدوية المتصوفتان ، وهذه الاخيرة عاشت وماتت في القدس ولا يزال ضريحها مزارا على جبل الزيتون، وكذلك هناك فقهاء واولياء المسلمين الاربعة : الامام الاوزاعي ، والصوفي ابراهيم بن ادهم ، والامام الشافعي ، مؤسس المذهب الشافعي في الاسلام ، والامام ابو حامد الغزالي ، الفقيه والمتصوف الشهير ، الذي عاش في القدس قرب بوابة الرحمة قريبا من منطقة الحرم حيث انكب هناك على تأليف كتابه المشهور « احياء علوم الدين » وذلك في العام ١٠٩٥ . ولقد زار المدينة عدد كبير من صحابة الرسول وغيرهم من مشاهير فقهاء الاسلام في اوقات مختلفة وان عددا كثيرا منهم قد دفن هناك . (ويقول هارولد لامب في كتاب **فسيفساء الفرس** ، لندن ، ١٩٤٣ ، ان عمر الخيام ، مؤلف الرباعيات ، قد حج الى القدس ، وفي احد الفصول (ص ١٠٦ — ١٠٩) يصف الاماكن المقدسة في القدس وكيف ان المسلمين يحافظون بدقة على زيارتها .) ولقد أمر الخليفة الاموي السابع سليمان بن عبد الملك بأن تنظم بيعته في القدس ، ويذكر ان الخليفة العباسي الثاني ابا جعفر المنصور والخليفة المهدي ثالث خلفاء بني عباس ، اللذين اشير اليهما في الحديث عن ترميم المسجد الاقصى ، قد زارا المدينة ، كما ان الاخير زارها مرتين ، وعندما كانت القدس تحت حكم الفرنجة قام اسامه بن المنقذ بزيارتها وكان ذلك في العام ١١٤٠ .

لقد كان المسلمون دائما يعتبرون القدس مدينة مقدسة وينظرون اليها بمنتهى الاجلال ، وباستثناء التدنيس الذي تعرضت له المدينة على ايدي الكلدانيين والرومان عندما دمر هيكل سليمان ، لم تتعرض الاماكن الاسلامية المقدسة للتدنيس سوى مرتين ، الاولى في عهد الصليبيين ، والاخرى اثناء الاحتلال الاسرائيلي الاخير بعد حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، ففي المرة الاولى نسي المسيحيون في غمرة حماستهم ، التسامح الديني الذي عاملهم به المسلمون عندما فتحوا المدينة في العام ٦٣٧ م ، وفي المرة الثانية نسي اليهود ان المسلمين قد حافظوا على مقاماتهم ومزاراتهم التقليدية المقدسة، وعندما احتل الصليبيون القدس في ١٠٩٩ انتهكوا حرمة وقدسية الحرم الشريف بشكل يندى له الجبين حيث ذبح الاف المسلمين ، رجالا ونساء ، حتى سال الدم الى الكعبين . (طومبسون وجونسون ،

مقدمة الى تاريخ اوروبة الوسطى ، نيويورك ، ١٩٣٧ ، ص ٥٢٨) . يقول ميشال جوين — لامبرت في كتابه القدس ، المشار اليه سابقا ، « لقد اصبح المسلمون خدما وعبيدا بعد ان كانوا سادة . لقد طردوا من بيوتهم الفخمة وتحولت مساجدهم الى كنائس . » وعندما يقارن المرء هذا السلوك الوحشي بتسامح وانسانية عمر بن الخطاب في ٦٣٧ م وصلاح الدين الايوبي في ١١٨٧ ، لا يسعه الا ان يستنتج بأنه قد اسيء الى المسلمين اكثر مما اساؤوا الى غيرهم . وباستثناء حادثتين منفصلتين في عهد الخليفة الفاطمي ، الحاكم ، حافظ المسلمون تماما على جميع الاماكن المقدسة في القدس واستمرت القدس تعتبر القدس الشريف حتى في عهد الاتراك العثمانيين والاحتلال البريطاني في ١٩١٧ . وفيما يلي اقتبس مقتطعا من بيان اذاعه البكباشي علي فؤاد ، القائد العسكري التركي لمنطقة القدس في ٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٧ : « ان القدس الشريف ، ثاني مركز ديني للمسلمين منذ ثلاثة عشر قرنا خلت، واول مركز ديني للمسيحيين ، لا تزال حتى الان تحت حماية القوات التركية التي تكافح من أجل الوحدة العامة في ظل السلطنة العثمانية ... » وفي الساعة الثامنة من صباح ٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٧ اذاع رئيس بلدية القدس العربي رسالة استسلام من الوالي المدني التركي ، يقول فيها الوالي : « منذ يومين والقنابل تتساقط على بعض الاماكن في القدس الشريف ، ونظرا لذلك ومن اجل حماية الاماكن الدينية من الدمار قررت الحكومة العثمانية سحب حاميتها من المدينة ، وقد طلب الى بعض الموظفين تأمين حماية كنيسة القيامة والمسجد الاقصى والاماكن الدينية الاخرى .. » (ف. ج. جاناواي ، فلسطين والعالم ، لندن ، بدون تاريخ ، ص ١٧٠ — ١٧١) . والان يجب مقارنة كل هذا بالسلوك الاسرائيلي في العام ١٩٤٨ عندما تساقطت القنابل الاسرائيلية على منطقة الحرم ودمرت قبة الصخرة المشرفة ، وفي الواحد والعشرين من آب (اوغسطس) ١٩٦٩ عندما فشل الاسرائيليون في تأمين حماية كافية للاماكن المقدسة، فنتج عن ذلك حرق المسجد الاقصى . ان هذه الحقائق تعبر عن نفسها بنفسها ، فبينما سمح صلاح الدين لليهود بالعودة الى القدس نرى الصليبيين في الماضي ثم الاسرائيليين في الوقت الحاضر يرغمون المسلمين على مغادرة القدس ، يا لها من مفارقة غريبة ! وللمصادفة ، لا استطيع في هذا المجال تجنب الاشارة الى عادة بعض الكتاب الاوروبيين والصهيونيين الذين يتجاهلون وجود حضارة عربية — اسلامية عظيمة في العصور الوسطى ، ولا سيما في الاندلس، ويعتبرون القرون الثمانية التي مكثها العرب في اسبانية كانها لم تكن ، او يتجاهلون ، عند كتابة تاريخ فلسطين . حقيقة اساسية هي أن العرب حكموا فلسطين مدة تسعة قرون . وكتاب جاناواي الصهيوني ، الذي استشهدت به سابقا ، يحتوي على جملة واحدة فقط عن الحكم العربي لفلسطين ، فهو يقول : « في العام ٣٥٠ م. سمح جوليان المرتد لليهود بأن يعودوا ويبنوا هيكلهم من جديد، ولكنهم لم يفعلوا ذلك ابدا » . وتتبعها مباشرة الجملة الاتية : « وتلا ذلك سلام نسبي لعدة قرون ثم اضطربت الامور » . (المصدر نفسه ، ص ١٦٩ — ١٧٠) . وبذلك تم مسح حقبة تاريخية طويلة عمرها ٩٠٠ عام بضربة قلم . وهناك مؤلف صهيوني اخر يدعى سيسيل روث يتحدث في فصل واحد من كتابه موجز تاريخ الشعب اليهودي ، صادر عن مكتبة الشرق والغرب ، اوكسفورد ، ١٩٤٣ ، عن الحكم الاسلامي لفلسطين ، ويطلق على هذه الفترة التي دامت ١٣٠٠ سنة « الفترة الاسلامية » . وهناك كذلك كاتب صهيوني آخر هو وليم ب. زيف يتحدث في كتابه اغتصاب فلسطين ، لندن ، ١٩٤٨ عن العرب ، ويقول ما يلي : « في الحقيقة لا يوجد (عرب) في أي مكان ... فالتاريخ يقول لنا ان العرب لم يطأوا ارض فلسطين ابدا». أن كتابه هذا حافل بمغالطات تاريخية خصوصا في فصل « هل يوجد جنس عربي ؟ » وقد تبنى الاسرائيليون هذه الفكرة وبدأوا يعملون كل جهدهم لاثبات انه لم يكن هناك شيء اسمه «عرب» أو « جنس عربي » . واذا كان الامر كذلك ، وبالطريقة نفسها يمكن للمرء ان يتساءل : هل هناك « شعب يهودي » أو « جنس يهودي » ؟. والامر الاكثر مثارا للدهشة هو الادعاء الوقح الذي اطلقته جولدا مئير ، رئيسة الحكومة الاسرائيلية ، في مقابلة تلفزيونية خلال زيارتها الاخيرة الى لندن بأنه لم يكن هناك شيء قط اسمه « فلسطين » . وقبل أن اختتم هذا الفصل عن القدس كمدينة مقدسة في الاسلام ، اود أن اشير الى مثالين هامين من الاحترام العميق نحو هذه المدينة، الاول، كان نتيجة احتلال الصليبيين وقد أعطى القدس

اهمية جديدة بالنسبة للمسلمين ، فالصليبيون لم يكونوا معتبرين مسيحيين متحمسين ، بل اوروبيين راغبين في الفتح والتوسع — كتعبير بسيط عن الاستعمار الاوروبي وبالتالي عن الامبريالية . فهذا المزج التام بين المسيحية والامبريالية قد ووجه بمزيج من العروبة والاسلام ، وشحذ الاهتمام العربي — الاسلامي بالقدس ، والبرهان على ذلك هو العناية الفائقة التي منحها الايوبيون والمماليك للقدس ، وبعد استعادة القدس على يد المسلمين عاملوا جميع اهاليها بتسامح كبير ، وقد شعروا في وقت من الاوقات ان لديهم القوة الكافية التي تساعدهم على العمل لايقاف اسباب الاضطراب بين المسلمين والمسيحيين ، فقد قيل ان السلطان الايوبي عيسى المعظم ، الذي خلف اباه العادل ، فكر في هدم القدس ، وتبعا لذلك ، ارسل مجموعة من البنائين واللغامين لتدمير المدينة في ١٢١٩ ، ولقد كانت فكرته تقدمية وانسانية في آن واحد لانها الطريق الوحيد لانهاء الخلافات بين الديانتين ، وذلك بجعل المدينة ملكا عاما للجميع . (د. س. مارجوليوت . **القاهرة ، والقدس ، ودمشق** ، لندن ، ١٩٠٧ ، ص ٢٠٦) . ونقرأ في الكتاب نفسه ان بعض الثقاة يؤكدون ان عماله قد حولوا المدينة الى كومة من الانقاض باستثناء الاماكن الاسلامية والمسيحية المقدسة . ان كل هذا يعتبر مرحلة عابرة في تاريخ المدينة ، فعندما استعادها المسلمون في العام ١٢٤٤ بدأت تلفت انظار سلاطين الايوبيين والمماليك والعثمانيين ، فيما بعد . ولقد سردت فيما سبق أعمال الترميم والاصلاح التي تمت على أيدي مختلف السلاطين ، بما في ذلك بناء الاسوار الحالية في العام ١٥٤٢ على يد السلطان العثماني سليمان القانوني ، ولكنني ارى أن هناك حاجة للتوسع في سرد هذه الاعمال ، سيما على يد المماليك ، وذلك لاظهار الاهتمام المتزايد بالمدينة بعد الحملات الصليبية . يقول مارجوليوت : « يقال ان بيبرس الاول الذي بنى جامعا على المكان الذي يفترض انه يضم قبر موسى ، قد أقام احتفالا بمناسبة عيد النبي موسى تكريما للنبي موسى عليه السلام ، هذا العيد الذي لا يزال يعادل في يومنا هذا عيد الفصح اليوناني . وقد جدد البناء الذي على قبة الصخرة ، وفي ١٢٦٤ بنى زاوية او خانا خارج المدينة من الجهة الشمالية الغربية وزينه بباب اخذه من القصر الفاطمي في القاهرة . وقد انفق على بنائه من خراج القرى التابعة لدمشق ، وكانت البناية تضم طاحونا ومخبزا ومسجدا ، والهدف من اقامته هو استقبال الزائرين (ربما المتاخرين منهم) الوافدين الى المدينة ، وقد كان الخبز يوزع على الباب بشكل منظم ، وكذلك اصلح بيبرس قبة السلسلة .

اما السلطان كتبوغه فيرجع له الفضل في ترميم بناء قبة الصخرة المشرفة واعادة بناء السور المحيط بمنطقة الهيكل والذي يطل على مقبرة باب الرحمة ، وكان ذلك في العام ١٢٩٩ . ثم جاء خليفته لاجين ليجدد محراب داود عليه السلام في الجهة الجنوبية من السور قرب مهد يسوع . ولقد ترك البنّاء المشهور محمد بن الناصر من بعده بعض النصب التذكارية من عمله في القدس . فوضع رخاما على واجهة المسجد الاقصى وفتح فيها نافذتين على يمين ويسار المحراب وكان ذلك في السنة ١٣٣٠ ، وطلى القبتين بماء الذهب ، وقال مجير الدين الذي عاش بعد ١٨٠ عاما ، بأن الطلاء كان لا يزال أصفر ذهبيا . . . واعاد كذلك بناء بوابة القطانين على نمط دقيق واخاذ . وبنى السلطان شعبان حفيد الناصر مئذنة قرب باب الاسباط في العام ١٣٦٧ وجدد أبواب الاقصى الخشبية ، وبعد تسع سنوات بنى القناطر العلوية فوق السلم الغربي لمحكمة القبة مقابل باب النصر . أما السلطان برقوق فقد بنى متعدا للمؤذن مقابل المحراب في قبة الصخرة المشرفة ، ورمم بركة السلطان خارج القدس من الجهة الغربية ، وفي العام ١٣٩٤ عين السلطان برقوق حاكما يدعى شهاب الدين اليغموري ، الذي وضع على الباب الغربي للقبة قطعة من الرخام كتب عليها: بيان من الحاكم باعفاء الاهالي من جميع الضرائب التي فرضها عليهم الحكام السابقون . وقد جاء السلطان فرج بعد برقوق ليضع رخامة على سور باب السلسلة ، كتب عليها ان حاكم المدينة ومكة سيكون في المستقبل غير حاكم القدس التي ستشكل منذ ذلك الوقت ، وحدة ادارية مع الخليل . اما الحكام الاخرون الذين تركوا كتابات على قبة الصخرة المشرفة تعرف باعمالهم لاصلاحها وتجميلها فهم : الخليفة الفاطمي الظاهر (١٥٢٢ م) الذي أعاد بناء القبة بعد أن سقطت نتيجة زلزال ارضي في ١٠١٦ ، ثم صلاح الدين (١١٨٧) الذي جدد في البناء ، والبنّاء القاهري ناصر بن قلاوون (١٣١٨ — ١٣١٩) وكذلك السلطان العثماني محمود الثاني ، والاخير ادخل اصلاحات على القبة في الثلث الاول من القرن التاسع عشر . . .

ومن البنايات البعيدة سبيل ماء صغير بني في العام ١٤٤٥م على يد السلطان المملوكي قايتباي» (المصدر نفسه، ص ٢١٩ — ٢٢٢) . ويعطي لوك وكيث — روش في كتابهما **دليل فلسطين** ، لندن ، ١٩٣٠ ، صورة براقة عن اعمال البناء والترميم اثناء القرن الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر . ويقولان عن القدس ما يلي : « ان الفنادق والكليات التي انشئت في القدس خلال القرون الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر تريننا كيف انه في هذه القرون كانت القدس فاتحة أبوابها للطلاب الذين كانوا يفدون من جميع انحاء العالم الاسلامي لزيارة الاماكن المقدسة وللاطلاع العلمي، وكان لكل من هذه الكليات قطعة ارض يعود ريعها لها . ومعرفة كل أرض مخصصة لصيانة كل كلية كانت تشكل مجالا هاما للدرس يمكن ان ينتج عنه تزويدها بالاموال الضرورية لاصلاحها واعادة بنائها كمراكز للعلم . » (المصدر نفسه، ص ٨٥). هذا في رايي يوضح الاهتمام المضاعف بمدينة القدس لدى سلاطين المماليك والعثمانيين نتيجة الغزو الصليبي . اما المثال الثاني فهو العدد الكبير من الكتب التي كتبت عن القدس من قبل كتاب عرب ومسلمين والتي لا يزال بعضها بشكل مخطوطات ، واهمها : **فضائل بيت المقدس** ، لابن المرجى بن ابراهيم المقدسي (خط) **سوانح القدس لرحلتي بواد القدس** ، للقمي (خط) ، **الانس في فضائل القدس** ، للقاضي هبة الله الشافعي (خط) ، **الجامع المستقصى في فضائل المسجد الاقصى** ، للحافظ شيخ الاسلام ابن عساكر (خط) ، **باعث النفوس الى زيارة القدس** ، لابن فركاح (خط) ، **المستقصى في فضائل المسجد الاقصى** ، لنصير الدين الرومي (خط) ، **فضائل بيت المقدس** ، لسبط بن الجوزي (خط) ، **الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل** ، لمجير الدين الحنبلي (مطبوع) ، **الحضرة الانسية في الرحلة القدسية** ، لعبد الغني النابلسي (مطبوع) ، **مثير الغرام بفضائل القدس والشام** ، لابن سرور المقدسي (مطبوع) ، وغيرهم . (الدكتور اسحق موسى الحسيني ، **عروبة بيت المقدس** ، القاهرة، ١٩٦٨) .

قبل أن نختتم هذا البحث عن القدس ، تبقى نقطة لا بد من ايرادها هنا اذ ان لها تاثيرا خاصا على مكانة القدس من الوجهة الاسلامية والعربية بعد الغزو الصليبي . وهي أن القدس كانت تعتبر البوابة الى الاردن والى مكة والمدينة في الجزيرة العربية . ويقال انه في العام ٥٧٨ هـ (١١٨٢ م) نزلت قوة صليبية في الكرك والشوبك في شرق الاردن ، وكانت تريد احتلال المدينة المنورة لنبش قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل رفاته الى اوروبة . وتستطرد القصة ، كما يرويها مجير الدين الحنبلي في تاريخه عن القدس والخليل الى القول : أن السفن الصليبية اجتازت السويس في البحر الاحمر الى الحجاز . ولكن الناصر صلاح الدين ارسل من هزمهم واحبط مسعاهم . (ص ٤٤ من **عروبة بيت المقدس**) .

والخليل هي المدينة الثانية المقدسة في فلسطين ولربما تكون اكثر قدسية من القدس . انها تدعى « الخليل » او « خليل الرحمن » اي « مدينة خليل الله»، وخليل الله كان سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام . (**موسوعة الدين والاخلاق** ، مجلد ٦ ، ص ٨٩٩) . وقد تكون هذه المدينة اقدم مدينة في التاريخ ، او على الاقل من أقدم المدن ، وهي تضم رفات سيدنا ابراهيم واسحق ويعقوب مع زوجاتهم وكذلك رفات سيدنا يوسف ، عليهم جميعا السلام . ويفترض ان الجامع المعروف باسم « الحرم الابراهيمي » كان كنيسة ايام الصليبيين . والخليل هي اول عاصمة للنبي داود عليه السلام . احتلها الصليبيون في العام ١٠٩٩ ولكن صلاح الدين استعادها في العام ١١٨٧ . وتعود قدسية هذه المدينة عند المسلمين الى سببين : اولهما ، ان ابراهيم هو أبو العرب كما هو أبو اليهود ، وثانيهما ، ان انبياء اليهود وزعماءهم وزوجاتهم المدفونين في المدينة هم موضع اجلال وتقديس لدى المسلمين ويعرف ابراهيم عادة باسم : « ابونا ابراهيم الخليل » ، ويقال ان ابراهيم قد نصب خيمته تحت سنديانة في سامر . ويعتبر جوزيفوس الخليل مدينة ادومية (عربية ؟) وليس يهودية . وقد شهدت المدينة ما شهدته فلسطين من عهود مختلفة كالرومان والبيزنطيين والعرب والمسلمين ، وفي ١٩١٢ كان عدد اليهود فيها لا يتجاوز الالفي نسمة بينما كان عدد العرب المسلمين فيها يبلغ اثنين وعشرين الف نسمة . وتتركز قدسية المدينة حول الحرم الذي يضم الجامع في الجهة الجنوبية . ويعتقد ان الجامع كان بناية اقيمت في الاصل على ايدي الصليبيين على موقع كنيسة فيما بين ١١٦٧ — ١١٨٧ . ويوجد في ارض القاعة فتحتان يقال انهما توصلان الى

مغارة مكبيلا ، ويوجد ايضا ستة مقامات لاسحق وزوجته رفقة ، ولابراهيم وساره ، وليعقوب وليا ، واقدم بناء للجامع يعود الى العام ١٣٣١ في عهد السلطان محمد بن قلاوون المملوكي ، ويشتهر هذا الجامع بمنبره الذي يعود طرازه الى القرن الثاني عشر ، كما هو الحال بالنسبة للمسجد الاقصى .

والخليل هي مثال اخر لمدينة تعتبر مقدسة لدى اليهود والمسيحيين والمسلمين ، واعتقد ان مثل هذه المدن في فلسطين كان يمكن ان تكون موضع عبادة واجلال لدى اتباع الاديان الثلاثة لو لم يقم الصليبيون ومن ثم الصهيونيون بفتوحاتهم واعتداءاتهم ، والمثل الذي يمكن ان يحتذى هو السلطان عيسى بن المعظم ، الذي ورد ذكره سابقا .

ومدينة الخليل هي احدى الاماكن المقدسة في فلسطين التي تعتبر احدى الاماكن التي يزورها المسلمون المتدينون . ويقال ان النبي محمد صلى الله عليه وسلم اقطعها لاحد صحابته تميم بن أوس الداري الذي لا يزال احفاده موجودين باعداد كبيرة في الخليل ونابلس وبئر السبع وفي شرق الاردن . ويروي المؤرخ مجير الدين الحنبلي في كتابه عن القدس والخليل قصصا عن مختلف العوائل العربية العريقة في الخليل . ويقول لوك وكيث ـ روش في كتابهما **دليل فلسطين** (لندن ، ١٩٣٠ ، ص ١١٢) عن الخليل ما يلي : « تعتبر مدينة الخليل اسلامية الا فيما عدا اقلية يهودية صغيرة، ونظرا لارتباطها بابراهيم عليه السلام ، فانها تعتبر مدينة مقدسة جدا عند المسلمين . ان هذه المدينة تعتبر نموذجا كاملا وبارزا للمدينة العربية ، وللقرب من المدينة، قرب بيت جبرين، وقعت معركة اجنادين التي هزم فيها عامر ، القائد العسكري العربي ، البيزنطيين شر هزيمة ، وكان ذلك في العام ٦٣٤ م » .

اما المدينة الثالثة التي لها أهمية عربية واسلامية فهي غزة التي تقع في القسم الجنوبي من السهل الساحلي فيما بين جبل الكرمل وحدود مصر . وهي اقصى مدينة جنوبية من مجموعة المدن الخمس المتحالفة : عسقلان واسدود وجات وعقرون وغزة في عهد بلشتيم او الفلسطينيين ، وهم شعب غير سامي كان يسكن مقاطعة بلشت السهلية . وقد شهدت غزة عبر التاريخ سلسلة لا تحصى من المعارك ، وقد كانت منذ القدم تشعر بالولاء نحو مصر . وعندما دارت رحى الحرب بين المصريين والاشوريين ، وبين سورية ومصر ، اصبح للسهل الفلسطيني عامة ، ولغزة على وجه التحديد ، اهمية استراتيجية خاصة . واستمر القتال بين الفلسطينيين واليهود حتى نجح المكابيون في اخضاعهم . ولقد احتل الاشوريون المدينة في العام ٧٣٤ ق. م. ، ثم حكمت من قبل البابليين والفرس ، بالاضافة الى المصريين . واحتلها الاسكندر الكبير بعد حصار طويل ، ثم اصبحت موضع نزاع دام لمدة طويلة بين البطالسة والسلجوقيين ، وفي ٩٦ ق. م. احتلها اسكندر جانيوس ودمرها ، ثم شيدت مدينة جديدة تحمل الاسم نفسه الى الجنوب من مكان المدينة القديمة، وبعد هيرودس الحق الرومان المدينة بولاية سورية، وتمتعت غزة في عهد الرومان بفترة سلام وازدهار، ثم فتحها العرب في العام ٦٣٤ م .

وكانت غزة ملتقى لثلاثطرق تجارية بالاضافة لطريق مباشر من مصر والشام ، وكان الاول هو طريق البخور من اليمن الى الحجاز الى البتراء ثم الى غزة ، والثاني كان يمر عبر البحر من الشرق الى ايلات (العقبة) ثم البتراء او غزة ، والثالث كان يربط غزة ببلاد ما بين النهرين السفلى عن طريق البتراء والجوف . واهم طريق بالنسبة لغزة كان طريق البخور ، فعندما احتل الاسكندر الكبير غزة استولى على كميات كبيرة من البخور الذي كانت له اهمية كبيرة لدى الديانات القديمة ، والمعروف ان غزة كانت اكبر مدينة في فلسطين وسورية . (ص ١٠٩ من كتاب لوك وكيث ـ روش) ، ولا تزال حتى الان سوقا مهمة لجنوب فلسطين ، وفي ١٩١٢ بلغ عدد سكانها اربعين الفا .

يعتبر المسلمون غزة مسقط رأس سليمان الحكيم وهي الى حد ما مقدسة عند المسلمين، لان هاشم، جد النبي ، مات ثم دفن فيها . ولهذا سميت غزة هاشم ، وفي غزة ايضا أسر عمر بن الخطاب ، الذي اصبح ثاني الخلفاء الراشدين ، وسجن ، وكان ذلك قبل ظهور الاسلام . وغزة مقدسة أيضا لانها مسقط رأس الامام الشافعي ، صاحب المذهب الشافعي في الاسلام . ويعتبر جامع هاشم الذي يضم قبر جد الرسول من أهم الاثار التاريخية في المدينة .

اما الرملة المدينة التي تقع بين يافا والقدس، فقد اسست في ٧١٦ على يد الخليفة الاموي سليمان بن

عبد الملك باني قبة الصخرة المشرفة . وكلمة الرملة نسبة الى الرمل ، وهذه عادة درج عليها العرب عند تسميتهم المدن بأسم موقعها او نوعية الارض التي تقوم عليها ، وهذا ما يفسر اسماء البصرة وبرقه وحدباء وحجر ، الخ . . . ولقد بنى سليمان ابن عبد الملك لنفسه قصرا في الرملة ، لا يزال قسم منه قائما حتى اليوم . أما أهم اثر فيها فهو برج الرملة الذي لا يزال قائما ، وقد عمره سليمان في اوائل القرن الرابع عشر ليقوم مقام مئذنة للجامع الابيض الذي تحول الان. الى كومة من الاثار خارج المدينة ، وكان صلاح الدين الايوبي قد رممه في العام ١١٩٠ ثم بنى له السلطان بيبرس مئذنة وقبة في السنة ١٢٦٨ . وفي عهد السلطان محمد الناصر تم العديد من الاصلاحات كما ثبتت النقوش العربية على الباب والتي تعود الى السنة ١٣١٨ ، ويدعى البرج احيانا برج الاربعين شهيدا اذ أن المسلمين والمسيحيين يعتقدون بأن اربعين شهيدا كانوا قد دفنوا تحت ارض الجامع، .وفي داخل المدينة يوجد الجامع الكبير الذي يقال انه كان كنيسة في القرن الثاني عشر .

وهكذا ، اظهر خلفاء بني امية بشكل عام اهتماما ملحوظا بفلسطين ، فبالاضافة للابنية الفخمة التي اقاموها في القدس والرملة شيدوا القصور في مدينة اريحا كقصر هشام ، كما اعتادوا على زيارة بحيرة طبريا في الشمال ، وفي الحقيقة ، درج الخلفاء فيما بعد على زيارة البحيرة . ويقول المقدسي في كتابه ، **احسن التقسيم** ان « ضريح ابي حصيرة، أحد صحابة الرسول الاوائل المقربين يوجد الى الجهة الجنوبية من مدينة طبريا . » ويذكر ابن بطوطه ، الرحالة العربي ، انه يوجد خارج المدينة كذلك ضريح سكينه بنت الحسين حفيدة النبي ، ويوجد أيضا ضريح أحد احفاد علي ، رابع الخلفاء الراشدين .

اما نابلس (او شكيم كما كانت تسمى قديما) فهي مدينة فلسطينية كبيرة تقع بين حيفا والقدس على طول الطريق بين التلال داخل سهل مرج بن عامر ، وكما تقول احدى الروايات فان نابلس هي بيت المقدس وليس القدس . تشتهر نابلس فيما تشتهر بتواجد طائفة السامرية التي حافظت على وجودها منذ القرن الثامن قبل الميلاد . ويوجد فيها ثلاثة مساجد : الجامع الكبير الذي يعتقد بانه يقوم مكان كنيسة تعود الى ايام يوستنيانوس ثم اعيد بناؤها بموجب قانون كنيسة القيامة في ١١٦٧ . ويعتقد ان للجامعين الاخرين (الخضراء والنصر) ايضا اصل صليبي . وعندما نتجه شمالا في فلسطين نجد ان التواجد الاسلامي يخف تدريجيا ، وفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر اصبح الجزء الشمالي من فلسطين مسرحا لاحداث عسكرية وسياسية ، فمعركة حطين (١١٨٧) وقعت قرب طبريا عندما هزم الصليبيون على يد صلاح الدين ، وتشتهر قرية حطين بأن فيها ضريح النبي شعيب ، والى الشمال الغربي من جنين وقعت معركة عين جالوت بين بيبرس المملوكي وقطز المصري من جهة ، والمغول ، من جهة اخرى ، في العام ١٢٦٠ . وفي حوالي منتصف القرن الثامن عشر جعل الشيخ ظاهر العمر من نفسه سيد المنطقة الوسطى من فلسطين متخذا من عكا عاصمة له ، وخلفه احمد باشا الجزار الذي امتد نفوذه حتى نهر الكلب وبعلبك في لبنان وقد حافظ على عكا عاصمة له ، وقد عرف بحبه للعمران ، ولا سيما بناؤه لجامع الجزار الشهير في عكا . وفي ١٧٩٩ صمدت عكا امام حملة نابليون . ولا تزال اوساط الفلسطينيين في الوسط والشمال تتناقل الروايات حول الدور الذي لعبه اهالي جنين وطولكرم ونابلس والقرى المجاورة في صد نابليون . وفي العام ١٨٣٢ دمر ابراهيم باشا القائد المصري مدينة عكا ، وايضا ساندت القرى المحيطة مدينة عكا في دحر الجيش المصري ، وفي العام ١٨٤٠ دكت عكا بالقنابل من قبل الاسطولين الانجليزي والنمساوي . وتعزز مركز فلسطين ، كبلد مقدس للمسلمين ، كثيرا منذ الحملات الصليبية التي لم تكن ، كما بينا ، بدافع الحماسة الدينية للمحافظة على الاماكن المسيحية المقدسة في بيت المقدس وجواره فحسب ، بل ايضا بدافع التوسع والفتح ، فالصليبيون لم يفتحوا القدس فقط ولكنهم احتلوا فلسطين كلها .

« وعندما كان الامبراطور البيزنطي الكسيوس الاول يصدر النداءات للغرب لمد يد العون لوقف تقدم الاتراك عبر آسية الصغرى ، اجاب البابا اوربانوس الثاني — عبر مجمع كليرمونت في العام ١٠٩٥ ، بذكاء على نداءات الامبراطور بأن جهز حملة عسكرية ليس لمساعدة مسيحيي اليونان بقدر ما هي موجهة لاخراج المسلمين من فلسطين . . . ولقد تم تجهيز الحملة الصليبية الاولى في جو مشبع بالتعصب الديني كجزء من الهجوم المضاد على الاسلام والذي كان قد بدأ قبل ذلك

في جبهتين : الاولى في أسبانية والثانية عبر المتوسط نحو شمال افريقية ، واما الجبهة الثالثة فكانت تفتتح الان في بلاد الشرق ... هذا الهجوم عبر البرر يقوم به « فرنجة » الغرب البعيد ...» (جـ. جـ. سوندرز ، **تاريخ الاسلام في العصور الوسطى** ، لندن ، ١٩٦٥ ، ص ١٥٨) . (وربما يمكن اعتبار الاحتلال اليهودي لفلسطين العربية بمساندة وحماية الغرب المسيحي امتدادا لهذا الاتجاه نفسه.) ولقد استمرت هذه الروح العدائية في النمو حتى نهاية الحرب الكونية الاولى ، وظهر اكثر من كتاب في الغرب عن « الحملة الصليبية الاخيرة » . وعندما ذهب الجنرال ساراي ، المندوب السامي الفرنسي الى سورية ، خلال زيارته لدمشق ، لزيارة قبر صلاح الدين ، نقل عنه قوله : « ها نحن هنا يا صلاح الدين ! » . لذلك ليس من العجب اذن أن يعتبر العرب والمسلمون فلسطين مقدسة كرد فعل لهذه المخططات العدوانية . ففي اذار (مارس) ١٩٢٠ عندما انعقد المؤتمر السوري في دمشق نودي بفيصل بن الحسين ملكا على سورية وفلسطين ، كما انه يمكن فهم رد الفعل في العالمين العربي والاسلامي لوعد بلفور في العام ١٩١٧ ، وقد تكرر النموذج التاريخي نفسه بعد حوالي ٨٠٠ سنة ، فالهجرة اليهودية الى فلسطين تحت الانتداب (١٩٢٠ — ١٩٤٨) وقيام دولة اسرائيل في ١٩٤٨ كان لهما تأثير كهربائي بجعل فلسطين مقدسة ضمن اطار اسلامي اوسع واخر عربي اضيق . والان اصبحت القضية الفلسطينية،خاصة بعد الاحتلال الاسرائيلي للقدس في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وما تبع ذلك من حريق جزئي للمسجد الاقصى ، تتعدى النطاق المحلي الفلسطيني والعربي الى النطاق الاسلامي الاوسع ، كما يشهد بذلك مؤتمر القمة الاسلامي الذي عقد في الرباط بالمغرب من ٢٢ الى ٢٤ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٩ . فقد أكدت كلمات رؤساء الوفود وكذلك البيان الختامي للمؤتمر على أهمية فلسطين ككل بالنسبة للمسلمين وقد قال الرئيس الباكستاني امام المؤتمر ، ان الباكستانيين ، منذ صدور وعد بلفور في العام ١٩١٧ ، قد ايدوا باستمرار القضية العربية « التي ننظر اليها كقضية اسلامية مشتركة في فلسطين » . من الجدير بالذكر ان المسيحيين الشرقيين او اليهود الشرقيين لم يظهروا اي تعصب اعمى نحو فلسطين بالادعاء أنها أراضيهم المقدسة لوحدهم دون غيرهم ، ولكن المسيحيين واليهود الغربيين هم فقط الذين فعلوا ذلك .

ان كل هذه العوامل الرئيسية ، الدينية وما سواها ، تلعب دورا مشتركا في جعل فلسطين بلدا مقدسا لدى المسلمين . ففي داخل فلسطين هناك عدد من العوامل الصغرى التي تعزز هذه العاطفة، فهناك مثلا ، الإحتفالات الدينية والشعبية على مدار العام . ففي القدس يحتفلون بعيد النبي موسى الذي يبدأ نهار الجمعة الذي يسبق يوم الجمعة العظيمة عند الارثوذكس . ولقد اشرنا الى هذا من قبل ، ومن المعتقد ان الهدف الاساسي لهذا الاحتفال كان لدعوة المسلمين في الخليل ونابلس للتجمع في القدس بأعداد كبيرة ليكونوا على استعداد لمواجهة اي احتمال ، في حال محاولة المسيحيين ، تحت تأثير الصليبيين في اوروبة اثارة الشغب خلال ايام الفصح . وهذا الاحتفال يخص بشكل رئيسي القدس والخليل ونابلس وضواحي القدس بما في ذلك اريحا . اما الاحتفال الاخر الذي يعقد في حزيران (يونيو) لمدة ثلاثة ايام ، فهو الاحتفال بعيد النبي صالح العربي ، الذي يجري في الرملة بين يافا والقدس . ومن المعتقد ايضا ان هذا كان بمثابة محاولة لتجميع اكبر عدد ممكن من المسلمين انتقاما لاي شر يمكن ان يقوم به الصليبيون او من يتعاطف معهم من اهالي البلاد . وفيما بعد ، يقام احتفال اخر في ضواحي يافا ، لمدة عشرة أيام في ايلول (سبتمبر) ، ويدعى عيد النبي روبين . وفي غزة ايضا يقام تجمع احتفالي خارج المدينة . وفي شمال فلسطين يحتفل الدروز بعيد النبي شعيب في مكان ما قرب حطين ، التي انتصر فيها صلاح الدين على الصليبيين في ١١٨٧ . ولكن هناك العديد من المقامات او الاماكن المقدسة المحلية المنتشرة فوق ارض فلسطين . انها مقامات لانبياء وأولياء وشيوخ او رجال عظام . تمتد من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب . ويدعى كل منها بأسم مزار « مشهد » ، قبر ، قبة ، مقام او ولي . فعلى سبيل المثال ، يوجد في اريحا مقام يعرف باسم مقام سيدنا علي . وقرب نابلس يوجد مقام الشيخ نبي بيلان ، وعلى جبل جرزيم جنوبي نابلس يوجد مقام باسم الولي ابو اسماعيل ، وعلى جبل الكرمل كان يوجد حرش مقدس بأسم شجرة الاربعين وضريح بأسم قبر المجدوبي ، وفي قرية المشهد (قديما جات — هيفر) الواقعة بين الرينه وصفوريه الى الشمال الغربي من الناصرة ، كان

يوجد ، كما يقول دالمان ، ضريح للنبي يونس ، الذي له علاقة وثيقة بالتقاليد الاسلامية ، وفي صفد ، في الشمال ، كان يوجد مقام مقدس جدا لدى اهالي المناطق المجاورة يسمى مقام الشيخ ابو قميص ، واخر يسمى مقام الشيخ حديد ، وعلى الشاطىء الشمالي لبحيرة طبرية كان يوجد مقام الشيخ علي الصياد . ولمزيد من التفاصيل على القارىء ان يراجع **موسوعة الدين والاخلاق** ، المجلد ١١ ، ص ٧٨ — ٨٢ . يوجد أيضا أضرحة لعدد من الشخصيات الاسلامية التاريخية منتشرة في اماكن عدة من البلاد ، فعلى سبيل المثال ، تشتهر العقبة (ايلات) او ايلة بالعربية الفصحى ، بانــه يوجد فيهــا قبر محمد بن الحنفيــة ، احد ابناء علي ، كرم الله وجهه ، واحد المطالبين بالخلافة .

وهناك صلة وثيقة اخرى تربط ما بين فلسطــين والمسلمين ، العرب منهم وغــير العرب ، هــي العائلات الاسلامية والعربية العريقة التي لا تزال تعيش في فلسطين ، او كانت تعيش في المناطق التي احتلها الاسرائيليون في العام ١٩٤٨ ثم نزحوا مع اهالي البلاد الذين اضطرهم الاحتلال الاسرائيلي لذلك . فعلى سبيل المثال ، يوجد عدد من العائلات التي ترجع نسبها الى الجراح والد القائد العربي الكبير عامر بن الجراح ، وفي القدس وجنين وصفد يوجد ، او كان يوجد ، عدد من العائلات التي تنحدر من بني مخزوم ، العشيرة التي انجبت خالد بن الوليد ، اعظم قائد عربي ظهر في فجر الاسلام ، والتميميون ، سلالة تميم الداري ، احد صحابة الرسول ، لا يزالون منتشرين في الخليل ونابلس وبئر السبع .

ان هذا العرض السريع لمدى قدسية فلسطين بالنسبة للمسلمين يظهر ان الاصــول العــربية والاسلامية مثبتة بقوة في هذه البلاد ، فالحكم العربي الذي دام ٩٠٠ سنة ، وما تبعه من حكم اسلامي لحوالي ٤٠٠ سنة ، والذي لم يكن خلاله تقريبا اي وجود ديني او غير ديني لليهود ، ولا للصهيونيين ، لا يمكن مسحه بضربة قلم او تجاهله بشكل اعتباطي . ويجب مقابلة هذه الفترة الطويلة من الحكم المتصل والموحد التي دامت حوالي ١٣٠٠ سنة بفترة الحكم اليهودي الموحد والحقيقي والتي دامت ٧٣ سنــة فقط ، انهار بعدها العهد الملكي العبري الموحد ، وانشطر الى مملكتين متنازعتين متحاربتين ، همــا مملكة اسرائيل التي دامت حتــى ٧٢٢ ق. م. ويهودا التي استمرت حتى ٥٨٧ ق. م. (موشيه منوحين ، **انحلال اليهودية في عصرنا** ، بيروت ، ١٩٦٦ ، ص ٨) . واذا كان الصهيونيون يدعون أن فلسطين بلادهم على أساس من العــــاطفة الدينية التي تعود الى الفي سنــة ، فللعــرب وللمسلمين في فلسطين مطلب اقوى . من الطبيعي انه لامر غير ذي جدوى تقديم اية وجهة نظر مقنعة لصالح العرب والمسلمين في وقت يسيطر فيه حكم « الحق هو القوة » ، حتى رغم وجود الامــم المتحدة التي تعتبر ان سبب وجودها هو صيانة الحقوق الشرعية وتسويــة النزاعات بالطــرق السلمية العادلة . وكأنني بتيودور هرتزل ، مؤسس الحركة الصهيونية ، يتحدث بأسم عرب فلسطين ، عندما قال : « في البلاد التي ما زلنا نعيش فيها منذ قرون وصمنا بأننا دخلاء ، غالبا من قبل اولئك الذين لم يكد اجدادهم يستقرون في البلاد التي سيم فيها اجدادنا مختلف صنوف العذاب . ان الاغلبية هي وحدها التي تقرر من هو الدخيل ، فالامــر يعود الى **القوة** كما هو الحال في العلاقات بــين الامم ... وفي الظروف الحالية للعالم وربما لامد طويل في المستقبل ستظل القوة هي الحق . لذلك ، لن نجني أية فائدة من ان نصبح وطنيين متحمسين في البلاد التي نحن فيها ، كما كان الهوجونوت ، الذين ارغموا على النزوح ، اننا نريد فقط لــو نترك لوحدنا بسلام ... (اسرائيل كوهــين ، **تيودور هرتزل** ، نيويورك ، ١٩٥٩ ، ص ٩٢) . بلى ، لو كان لدى عرب فلسطين القوة الكافية لتحدي وقهر وعد بلفور ، كما فعــل القوميون الاتراك بقيادة مصطفى كمال عندما تمكنوا ، بالقوة العسكرية المجردة ، من الغاء معاهدات غــير عادلة ، فان اسرائيل لم تكن قد عرفت النور ابدا . وقد قال هرتزل : القوة هي الحق . وهو صادق .

مراجعات

الدكتور محمد احمد صقر ، التجارة الخارجية لاسرائيل : حجمها ـ تركيبها ـ اتجاهاتها ـ وسياستها

(بيروت وعمان ، مؤسسة الرسالة ومكتبة الاقصى ، ١٩٧١).

برز الى مجال المعرفة العلمية بتأسس وتطورات الكيان الصهيوني بقطاعاته المختلفة كتاب الدكتور محمد احمد صقر متعرضا لجانب حيوي من اقتصاديات اسرائيل وهو التجارة الخارجية لاسرائيل التي تمثل المدخل الرئيسي لنمو الاقتصاد بمختلف قطاعاته . وبدوافع الاهتمام الذاتي بمتابعة المعرفة باسرائيل ، قام الدكتور صقر باختيار هذا الموضوع وتقديمه الى الجامعة الاردنية للحصول على لقب الاستاذية في الاقتصاد ، والذي انتهى به الى رئاسة قسم الاقتصاد في كلية التجارة والاقتصاد في الجامعة الاردنية . ويتكون البحث من خمسة فصول استوعبت ٢٠٠ صفحة بالاضافة لمجموعة ملحوظة من الجداول الاحصائية بلغ عددها ٢٧ جدولا . واستعان الباحث بـ ١١٠ مراجع علمية معظمها من المصادر الاسرائيلية الرسمية التي تصدر عن دائرة الاحصاء المركزية وبنك اسرائيل (المركزي) بالاضافة لمراجع الامم المتحدة .

سنقوم باستعراض سريع لاهم المعلومات الواردة في الفصول الخمسة نتبعها باجراء تقييم للكتاب . يتعرض الفصل الاول الى « نظرة شاملة على ميزان المدفوعات » ويلقي هذا الفصل الضوء على اهمية الاستيراد من السلع والخدمات في تحقيق العديد من المنجزات الاقتصادية في ميدان الاستثمار والاستهلاك والانفاق الحكومي في وقت واحد والتي لم تكن لتتحقق بدون ذلك الاستيراد . كما يسجل البحث ان الصادرات من السلع والخدمات قد سجلت نموا ملحوظا وبمعدل اسرع من معدل نمو الواردات من السلع والخدمات ، ورغم ذلك يسجل الباحث استمرار تفوق الواردات على الصادرات ويبين ان العجز كان السمة البارزة لكل عام من الاعوام العشرين التي تغطيها دراسته ، واتجاه الرقم المطلق للعجز عموما الى الزيادة .

ومن الملاحظات الهامة على بند التحويلات بدون مقابل في ميزان المدفوعات الاسرائيلي ان هناك حدا ادنى للتحويلات من جانب واحد بلغ ما قيمته ٥٠ مليون دولار سنويا ، وكون مدى الزيادة في بند التحويلات اكبر بكثير من مدى الهبوط ، وذلك يكشف عن مدى المرونة ودرجة الحصانة التي تتمتع بها اسرائيل لمواجهة الطوارىء السياسية والعسكرية ومضاعفاتها الاقتصادية . كما يبين البحث بأن التبرعات من الولايات المتحدة يقع عبؤها الاساسي على المجتمع الامريكي متمثلا في انتقاص خدمات الحكومة للمجتمع على شكل طرق ومستشفيات ومدارس ، وذلك لان التحويلات في الغالب تتم من ذوي الدخل المرتفع التي تفرض على شرائح دخولهم العليا ضريبة ٨٠٪ بينما تعفى التحويلات لاسرائيل من هذه الضريبة . كما يحلل البحث اسباب حرص السلطات الاسرائيلية على الاحتفاظ باحتياطي كبير من العملات الاجنبية .

وفي الفصل الثاني يتعرض البحث الى « التجارة الخارجية لاسرائيل ـ حجمها وتركيبها » فيبين في البداية اهمية التجارة الخارجية للاقتصاد الاسرائيلي من خلال المؤشرات الاقتصادية المختلفة، ويقوم بتحليل اتجاهات الصادرات والمستوردات وهياكلها والاهمية النسبية لمختلف بنودها . ومن اهم ما يذكره البحث ان معدل النمو في الواردات غير السلعية خاصة الواردات العسكرية وخدمات ديون اسرائيل الخارجية كان اكبر من معدل النمو في الواردات السلعية بين ١٩٤٩ ـ ١٩٦٨ .

كما يبين ارتفاع نسبة الصادرات من الخدمات في اجمالي الصادرات ، حيث اتجهت هذه النسبة من

٢٦٤٧ ٪ خلال عام ١٩٤٩ الى ٤٩٤٣ ٪ خلال عام ١٩٦٨ ، وتتركز بنود النمو في صادرات الخدمات في السياحة والنقل الخارجي وتصدير الخبرات الفنية الى الدول الافريقية.ويلاحظ اتجاه الواردات للزيادة رغم اجراءات الحكومة للحد من آثار التخفيض في قيمة الليرة الاسرائيلية خلال عام ١٩٦٧ مما ادى الى تسجيل ميزان السلع والخدمات خلال عام ١٩٦٨ لاسوأ عجز متحقق في اي سنة خلال الفترة ١٩٤٩ - ١٩٦٧ ، حيث سجل هذا العجز ما قيمته ٥٣١،٥ مليون دولار . ويلاحظ الباحث انه رغم التنوع الذي تحقق في الصادرات الاسرائيلية ، الا انه لا يتفق واعتبارات القيمة المضافة ، وبالتالي لم يكن هذا التبدل كله في صالح اسرائيل كما يلاحظ عدم تراجع الاهمية النسبية للواردات من السلع الاستثمارية نظرا لعدم استطاعة اسرائيل حتى الان تطوير الصناعة المحلية البديلة للمستوردات من العدد والالات الى درجة كافية نظرا لضيق السوق المحلي الذي يؤثر بدوره في ارتفاع تكاليف الانتاج ، ولكون اسرائيل بلدا يرتفع فيه معدل الاجور مما يضاعف من مشكلة ارتفاع التكاليف كما يتجه الاقتصاد الاسرائيلي مع الزمن الى انتاج سلع ترتفع فيها درجة كثافة المدخلات الاجنبية المستوردة .

اما الفصل الثالث فيتعرض الى « التوزيع الجغرافي للصادرات والواردات الاسرائيلية » وفيه يقوم بتحليل اتجاهات الصادرات والواردات الجغرافية مع مختلف المناطق والتكتلات الاقتصادية العالمية وتطورات اهميتها النسبية وعوامل نموها وتراجعها مع هذه المناطق . ومن اهم ما يذكره الباحث في هذا الفصل اسباب عدم اهتمام اسرائيل بمنطقة التجارة الحرة الاوروبية (EFTA)رغم اهميتها لاسرائيل ، وتنصب هذه الاسباب على كون الدول الاسكندنافية ذات معدلات جمركية منخفضة مما لا يفيد تحريرها للتجارة مع اسرائيل ، وكون دول المنطقة صناعية وتحرير التجارة فيما بينها لن يضر الحمضيات الاسرائيلية ، وباختصار لا ترى اسرائيل في قيام(EFTA) اي خطر على صادراتها . كما يسجل البحث اتجاهات تجارة اسرائيل المتنامية مع افريقيا خاصة بعد حرب عام ١٩٥٦ وتشغيل ميناء ايلات ، فقد كان عامل ارتفاع تكاليف النقل وازدواجها من والى افريقيا اهم عامل يفسر انحسار التجارة الاسرائيلية مع افريقيا قبل عام ١٩٥٧ ، وبالنسبة لدور الاتفاقيات التجارية في تجارة اسرائيل الخارجية يلاحظ الباحث انها لعبت دورا رئيسيا في تشجيع الصادرات وتصاعد دور هذه الاتفاقيات حتى سجلت خلال عام ١٩٥٥ اعلى مستوى مسجلة ما نسبته ٤١ ٪ للصادرات وما نسبته ١٩٪ للواردات، بينما انحسر دورها ١٩٦٨ فسجلت الصادرات عن طريق هذه الاتفاقيات ما نسبته ٣ ٪ من اجمالي الصادرات ، وسجلت الواردات ما نسبته ٢٪ من اجمالي الواردات .

وفي الفصل الرابع يتعرض البحث الى « سياسات تقييد الواردات وتشجيع الصادرات » فيتعرض الى التقلبات المختلفة التي سجلتها قيمة الليرة الاسرائيلية ، وآثارها الاقتصادية ويحلل مختلف الاساليب والمؤسسات التي انشئت ووضعت لتشجيع الصادرات . ويسجل البحث انخفاض قيمة الليرة بما يعادل ١٤٢٠ ٪ خلال اقل من عشرين عاما ، واصبحت قيمة الليرة الاسرائيلية مع تخفيض عام ١٩٧١ ما يعادل ٤٢٥ ليرة للدولار بدلا من ٠،٢٤٨ ليرة للدولار خلال عام ١٩٤٩ . ويتعرض لدور وزارة الخارجية واجهزتها الاقتصادية ومرونة اتصالاتها ، حيث يوجد لدى وزارة الخارجية دائرة تسمى « دائرة الشؤون الاقتصادية » ، ويتم تعيين القناصل والملحقين التجاريين من قبل لجنة تضم ممثلين من كبار موظفي وزارة الخارجية ووزارة التجارة والصناعة والمالية ، ويتصل الممثلون الاقتصاديون في الخارج بوزارة الصناعة والتجارة بدون عوائق .

ومن اهم مؤسسات تشجيع الصادرات الاسرائيلية الشركة الحكومية المسماة « الشركة الاسرائيلية للتأمين ضد اخطار التجارة الخارجية » ويبلغ رأسمالها مليون ليرة اسرائيلية من الحكومة ، وتتمتع بضمان من الخزينة الاسرائيلية ضد الاخطار في حدود ٢٠٠ مليون ليرة ، واستحدثت هذه الشركة ضمن حملة لتشجيع الصادرات والتفنن بها في اواخر الخمسينات ، وتغطي الشركة ٨٥ ٪ من اخطار التجارة الخارجية التجارية و٩٥ ٪ من الاخطار السياسية ، ويختلف رسم التأمين حسب البلد المستورد ونوع السلعة ومدة القرض.

اما الفصل الخامس فيتعرض الى « تلخيص البحث ونظرة على فكرة الاستقلال الاقتصادي لاسرائيل ». فيتعرض لمختلف المقاييس للاستقلال الاقتصادي وامكانيات الاقتصاد في الاستغناء عن المساعدات الخارجية ، ويحلل امكانيات اقامة الصناعة البديلة

للمستوردات بهدف تحقيق نوع من الاستقلال الاقتصادي وما شاكل ذلك . ومن اهم ما يبينه البحث في هذا الفصل انه على الرغم من حدوث تغيير هيكلي في المستوردات بانخفاض نصيب الواردات الاستهلاكية من الواردات الكلية ، الا ان ذلك كان على نطاق محدود ، حيث ان نسبة الواردات من السلع الاستثمارية ظلت نسبة ثابتة تقريبا ، وهذا يعني ان اسرائيل لا تستطيع ضمن معطيات سوقها الضيق ان تنتج العدد والالات الثقيلة لتحل محل الواردات . وهنا يذكر الباحث ادراك اسرائيل لاهمية الاسواق العربية في تذليل اهم مشاكل اقامة الصناعات الاحلالية والمرتبطة بحجم السوق الضيق لاسرائيل ، وذلك عامل حاسم في اشتهاء اسرائيل لتحقيق تعامل طبيعي منتظم مع الاسواق العربية ، ثم ظهر اتجاه آخر بتزايد نسبة الواردات من المواد الخام التي اخذت تتزايد بسرعة مما يدل على ضعف اسرائيل الحالي في الموارد الطبيعية .

والحقيقة الهامة حول نمو الصادرات الاسرائيلية انه على الرغم من تمكنها من التوغل في الاسواق الخارجية فان الصناعات التصديرية لازالت تحظى برعاية ومساعدة حكومية كبيرة قلما تحظى بهما صناعة في اي دولة اخرى ، وتكلف الخزينة مبالغ كبيرة ، ولكن قدرة اسرائيل على الحصول على راس المال الاجنبي عن طريق الهبات والمنح والتعويضات والقروض يمكن الدولة من الدعم .

اما المزايا الرئيسية لهذا البحث فتتركز في تحليله للعديد من الجوانب الحيوية في تجارة اسرائيل الخارجية والتي تركزت في النقاط التالية : — ١ — تحليل بنود ميزان المدفوعات وتقديمها كمادة خام مفيدة لمتابعة تأثير التطورات السياسية والعسكرية الاسرائيلية على الاقتصاد الاسرائيلي . ٢ — استعمال ادوات التحليل الاقتصادي في تحليل اتجاهات وتطورات التجارة الخارجية لاسرائيل ، وبصفة خاصة استخدام التحليل الكينزي مما اكسب البحث عمقا علميا واضحا . ٣ — ربط التطورات في اتجاهات الصادرات والواردات السلعية والجغرافية بالتطورات في هيكل الاقتصاد الاسرائيلي ، وتحليل اسباب تلك التطورات والاتجاهات بصورة مركزة . وتحليل اسباب نجاح التجارة الاسرائيلية في غزو العديد من الاسواق العالمية . ٤ — تحليل شامل لمختلف اساليب ومؤسسات دعم وتشجيع الصادرات الاسرائيلية . ٥ — تحليل لمتجزات فكرة الاستقلال الاقتصادي لاسرائيل واحتمالات تحقيقها . ٦ — اشارة لاهمية الاسواق العربية لاهداف نمو التجارة الخارجية الاسرائيلية .

ولنا بعض الملاحظات التي نعتقد بضرورة التعرض لها والتي لم يغطها البحث التغطية الكافية وتتركز فيما يلي : ١ — اتفاقية التفضيل التجاري التي وقعت بين اسرائيل والسوق الاوروبية المشتركة في شباط (فبراير) ١٩٧٠ حيث مر الباحث بها مرورا عابرا وسريعا . ٢ — عدم التعرض لتجارة اسرائيل مع المناطق العربية المحتلة واهميتها لتجارة اسرائيل ، رغم ان الدراسة تمتد لعام ١٩٦٨ . ٣ — عدم تحليله لاتجاهات شروط التبادل التجاري لاسرائيل مع العالم ومعرفة ما اذا كانت تتجه لصالح او في غير صالح اسرائيل . ٤ — يذكر البحث ان الاسواق العربية هي الاسواق الطبيعية للمنتجات الاسرائيلية ، واود ان اشير بأن هذا القول يمكن ان يصح في المدى الطويل وليس في المدى القصير — اذا ما افترضنا نظريا ولاغراض الدراسة قيام علاقات تجارية عربية اسرائيلية — وبعد الدخول في علاقات اقتصادية وتجارية لفترة زمنية طويلة مع الدول العربية ، وقد توصلت في بحثي عن اثر المقاطعة العربية على الاقتصاد الاسرائيلي الى انه في البداية (لدى فرض قيام علاقات اسرائيلية — عربية) يمكن ان يتجه للاسواق العربية ما نسبته ١٣٪ فقط من صادرات اسرائيل وذلك لان ٨٠ ٪ من صادرات اسرائيل يتجه للاسواق الاوروبية والامريكية . ويمكن ان ترتفع النسبة المذكورة اعلاه في المدى الطويل . ٥ — لم يتعرض البحث لاثر التحول في تجارة اسرائيل الخارجية الذي فرضته المقاطعة الاقتصادية العربية على تجارة اسرائيل الخارجية ومشاكلها . وفي الختام لا بد من الاشادة بهذا الجهد العلمي المشكور للدكتور صقر الذي انجز هذا البحث القيم من موقع ريادي في عالم الفكر الاقتصادي ، واخرجه بعد صبر مخابر الى حيز التنفيذ ، وانني انتهزها فرصة لدعوة الباحثين المتخصصين في متابعة اقتصاديات العدو الصهيوني الى ضرورة توجيه هذه الدراسات لخدمة اهداف النمو الاقتصادي العربي التي تهددها تطلعات نمو الاقتصاد الاسرائيلي وتركيز الدراسات المقارنة بين الاقتصادين العربي والاسرائيلي ووسائل زيادة احكام الحصار الاقتصادي العربي على الاقتصاد الصهيوني .

فؤاد حمدي بسيسو

J. Bowyer Bell, **The Myth of the Guerrilla: Revolutionary Theory and Practice.** (New York, Knopf, 1971).

ان هذا الكتاب « جاف » كما يستدل على ذلك لدى قراءتنا للجزء الثاني من عنوانه ، وحتى انه يعتبر بالنسبة للقراء من الفلسطينيين كتابا قاسيا ، ولكن كتبا كهذا هي التي يجب ان تكون موضع اهتمام في الاوقات العصيبة ، تماما كما ان المرء الذي يشعر بالبرودة لا يحصل على الدفء الحقيقي من طريق حمام ساخن بل بحمام بارد . وبعد الفائض من الكتب الزائفة جدا عن حروب العصابات فان هذا الكتاب هو بمثابة دلو حقيقي مملوء بالماء البارد . و« الاسطورة » التي يشير اليها المؤلف — رغم انه كان من الادق لو انه استخدم كلمة دوجما — تتفرع الى ثلاثة عناصر : الاول ، هو ان حرب العصابات — اي حرب الرجل الذي يقاتل في الجبال — هي افضل سبيل امام الشعوب للتحرر من المحتلين الاجانب والزمر الحاكمة . والثاني ، هو ان حرب العصابات ستتمكن في النهاية من الالتحام مع « الجماهير » . والثالث ، هو ان تحقيق النصر أمر حتمي من خلال حرب العصابات الملتحمة مع الجماهير ، وهو حتمي لان قضية التحرير الوطني قضية عادلة ، والعدالة ، لكونها عدالة ، يجب ان تكون لها الهيمنة وايضا لانه لا يمكن الوقوف في وجه قوة اندفاع « الجماهير » .

في القسم الاول من الكتاب يعمد المؤلف الى نقد هذه الاساطير او المبادىء الدوجماتية . وهذه بحد ذاتها ليست مهمة شاقة لان القول بأن بعض الدول نالت استقلالها بأساليب سوى حرب العصابات ، عن طريق العصيان المدني ، على سبيل مثال ، وبأنه لا يمكن دائما تحريك «الجماهير» وبأن قضية العدالة لا تنتصر دائما سواء اندفعت حرب العصابات والجماهير ام لم تندفع ، أمور لا تتطلب معرفة متعمقة في التاريخ . ووجهة النظر المعروضة في هذا الباب من الكتاب مترابطة وواضحة ومتوازنة ، واذا ما خطر لاحد بأنها جديدة ، فذلك لان المحللين السياسيين وقعوا مؤخرا في العادة السيئة بالاعجاب برجال العصابات بدلا من تقييمهم — وبكلام آخر ، اصبح « رجال العصابات » كـ « الجماهير » آخر موضة .

وفي الجزء الثاني من الكتاب ، يقوم بوير بيل ، في محاولة لتثبيت صحة تحليله النظري ، بعرض ثلاثة امثلة عن فشل حرب العصابات ، مع شيء من التفصيل . وهذه الامثلة هي حروب التحرير الشعبية ضد الانظمة العنصرية البيضاء في افريقيه الجنوبية ، وحركة تشي جيفارا التي لم تكلل بالظفر في بوليفيه ، و« حرب الفدائيين الفلسطينيين » الذين يسخر من ايمانهم بأنهم يسيرون « على طريق النصر الاكيد والحتمي » . ولسوء الحظ فان هذا القسم تاريخي اكثر منه تحليلي مع اننا كنا نود لو انه كان العكس ، وذلك لان عرض المؤلف للتاريخ الفلسطيني يتميز بجهل فاضح وتحيز واضح ، فمثلا يقول بأن المقاومة الفلسطينية بدأت في العشرينات ، مع انها بدأت قبل ذلك بحوالي خمسين سنة ، ولكن هل يحق لنا ان نلوم اي كاتب غير عربي لجهله بحقائق تاريخ النضال الفلسطيني خلال التسعين سنة الاخيرة عندما لم يكلف اي شخص من الستين الف جامعي فلسطيني منذ ١٩٤٧ نفسه عناء كتابة تاريخ بلاده — بالعربية او بأية لغة اخرى ! ولكن رغم جهل بوير بيل بالتاريخ نرى انه توصل الى تقييم صحيح لحركة الفدائيين — وهو انها ، في فترة من الزمن ، كانت الاستجابة الوحيدة الممكنة والامينة والشجاعة التي رد بها الفلسطينيون على التحدي الذي واجههم . ثم يشرح بكل وضوح واقتناع لماذا اضطر الفلسطينيون الى حمل السلاح، ولكن المؤلف لا ينجح تماما عندما يشرع في تحليل اخفاق حركة الفدائيين ، وذلك لان هذا الفصل عن الفلسطينيين كتب مباشرة بعد مجزرة أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ ، وهذه بكل تأكيد ليست الفترة المناسبة لتقييم حركة المقاومة ، ولكن المؤلف كان عند هذا الحد قد قرر بأن الفدائيين قد حققوا مكاسب سياسية لا يستهان بها على الصعيدين العربي والدولي ، ولكنهم اخفقوا على الصعيد العسكري ضد اسرائيل . وهنا يتساءل المرء عما اذا كان المؤلف يتوصل الى هذا الاستنتاج المتشائم نفسه لو انه كان كتب كتابه في فترة اخرى من تاريخ المقاومة . ثم ان تحليله « لاخفاق » المقاومة عسكريا سطحي ، لان هذا التحليل لا يتعدى ذكر سببين لهذا « الاخفاق » وهما : الازمة المزمنة لعدم توحيد كافة فصائل حركة المقاومة ، وخداع النفس بالبلاغات العسكرية المبالغ بها والتي تخفي وراءها حقيقة (وهي متواضعة جدا) النشاط العسكري عن قادة

الفدائيين انفسهم . كما ان بوير بيل يقع ضحية التباس لفظي ، فهو لا يميز بين نوعين من المقاتلين : رجال العصابات الذين يتمركزون ويعملون خلف خطوط العدو ، والفدائيين الذين يتمركزون بعيدا عن خطوط العدو وينفذون عملياتهم من نوع اضرب واهرب في قلب هذه الخطوط . والالتباس في التفكير والتحليل الذي يؤدي اليه غياب هذا التعريف يتضح من خلال الاسطر التالية (ص ٢٠١) : « ومع هذا ، رغم الاعجاب الظاهر بالمقاومة في الضفة الغربية ركزت حركة الفدائيين على خط حرب العصابات بدلا من العصيان المدني او العمليات الارهابية المتفرقة . وبالنسبة للفلسطينيين فان البطل الحقيقي هو ذلك الفدائي الكامن في الجبال بزيه المموه ورشيشه من طراز أ.ك — ٤٧ ، وعملياته من نوع اضرب واهرب ، ولكن هناك عددا قليلا من الفدائيين في الجبال ، ولم يكن عددهم كثيرا في اي وقت من الاوقات » . واول ما يمكن اثارته هو ان تعبير خط حرب العصابات يتم عن جهل بالحقيقة ، ويجب استبداله بتعبير « خط عمل الكوماندوز » ، وهنا أود أن أشير الى أن الدكتور هشام شرابي ، في احدى كتاباته عن « العصابات الفلسطينية » قد وقع في هذا الالتباس عندما استخدم اكثر من مرة تعبير « العصابات » وهو في الحقيقة يريد ان يقول « الكوماندوز » . لذلك فانه عندما يكون هناك التباس في التعابير ، وبالتالي في المعاني والافكار ، فان ذلك من شأنه ان يجعل التحليل اقل وضوحا دون أن يكون مضللا . الا انني اظن بأن استخدام « العصابات » عوضا عن « الكوماندوز » في كثير من الاحيان يرجع الى ان للاولى دلالات اكثر اجلالا ورومانسية ، وايضا ربما لان استخدام تعبير « العصابات » كثيرا من شأنه ان يخفي الحقيقة المثبطة للعزائم بأن هناك القليل من العصابات في الجبال ، كما ان عددهم لم يكن كثيرا في اي وقت من الاوقات . وبالاضافة لما سبق ، لا يسعني الا ان اعرب عن الاسف لاستخدام تعبير « فدائيين » وذلك لان للدقة المتناهية اهميتها القصوى في الامور العسكرية ، وهذا التعبير ليس فقط مبهما وغير دقيق ، بل انه عبارة عن شعار عاطفي . وعلى حد علمي ايضا فان لكلمتي « عصابات » و« كوماندوز » مرادفات دقيقة في العبرية ، ولا تخلو العربية من ذلك .

وفي الفصل الاخير يسير بوير بيل على خطين فكريين متناقضين ، فنراه يكرر ويلخص رأيه عن فشل الامثلة الثلاثة التي أوردها ، ومن ثم يصدر الحكم القاسي التالي على المقاومة الفلسطينية : «لقد نجح الفدائيون فقط في زيادة قلوب الاسرائيليين قسوة ودفعوهم الى تحسين وسائلهم الدفاعية ، كما انهم حددوا من خياراتهم الاستراتيجية لدرجة اصبحوا معها غير قادرين على تأمين حتى نصف ما يريدون . ولم يكن خيار حرب العصابات بالنسبة للفلسطينيين افضل خيار ، او الخيار الاخير ، بل اسوأ خيار ، وكذلك بالنسبة للفدائيين الذين كرسوا انفسهم لازالة اسرائيل لم يكن ذلك بالضرورة افضل خيار ، وذلك على اعتبار ان هذا الخيار طرح وسائل الارهاب لحل القضايا الداخلية والمزج بين العمل الدبلوماسي والعنف لتحقيق اقصى ما يمكن من التأثير . ولم يكن اعتماد خيار حرب العصابات نتيجة تخطيط ودراية استراتيجية بل نتيجة لليأس.» ان هذا الحكم الذي يجمع العمل المباشر والخيارات اللاعنفية يناقض ما يقوله بوير نفسه في مكان سابق من ان الفلسطينيين اضطروا الى اللجوء الى العمل المباشر كخيار وحيد وأخير . وما يخفق المؤلف في ايضاحه هنا هو انه كان امام الفلسطينيين **انواع** مختلفة من العمل **المباشر** ولكنهم اختاروا التركيز أولا ولفترة وجيزة على حرب العصابات ومن ثم على عمل الكوماندوز بشكل رئيسي ودون استثناء تقريبا . وبسبب عدم ترابط افكار المؤلف لا يمكننا ان نتوقع منه تعدادا دقيقا وشاملا لخيارات العمل المباشر التي واجهها الفلسطينيون ولا يزالون ، وهي : العصيان المدني على الصعيدين الفردي والجماعي ، والتخريب الصناعي ، والارهاب الشخصي وغير الشخصي ، وحرب العصابات (جميع هذه الاشكال تحدث داخل اراضي العدو) ، واخيرا عمل الكوماندوز من الخارج .

وعلى اي حال ، بعد هذا التلخيص الذي من شأنه تحطيم المعنويات ، يعمد المؤلف الى تقديم تكهن يبعث على التفاؤل بالنسبة لاثار العمل الفدائي في المستقبل : وهو انه يمكن ان لا ينجم عن العمل الفدائي الكثير على اساس المكاسب الاقليمية الملموسة ، ولكنه على يقين بأن هذا العمل احدث تحولا في الشعب الفلسطيني ككل ، بأن جعل مصيرهم بأيديهم ، وفرديا ، ولو لفترة وجيزة ، بأن فسح المجال امام كل منهم « ليعيش كانسان » .

ج. هـ. جانسن

Lucien Cavro-Demars, **Le défi Israelien** (Beyrouth, 1971).
La honte Sioniste (Beyrouth, 1972).

لوسيان كافرو — ديمارس ، مهندس بناء فرنسي ، عاش في الشرق العربي فترة من الزمن ، واصدر في بيروت كتابين مناهضين للصهيونية باللغة الفرنسية هما « التحدي الاسرائيلي » (٥ حزيران ١٩٧١) و« العار الصهيوني » (٢١ كانون الثاني ١٩٧٢) . ومحوى الكتابين لا يجعل لهما اهمية خطيرة في الادب السياسي الذي يتناول الصهيونية وفلسطين . ذلك ان معظم الاجواء التي يدور فيها الكاتب قد طرقت من قبل عبر الكتابات التي أرادت ان ترى العالم من خلال « بروتوكولات حكماء صهيون » . وقد كان يمكن لكافرو — ديمارس ان يكتب الكثير في هذا الاتجاه ، وضمن هذا المنظور ، دون ان يرى احد حاجة الى مناقشة المفاهيم التي يطرحها ، خاصة وان ابداء الرأي حق لا يناقش مطلقا ، وان الصهيونية العالمية اصبحت من الامتداد والنشاط في العالم ، ما يجعل اهتمام رجل فرنسي بالتصدي لها ، أمرا طبيعيا ، يجب ان يرحب به العرب كظاهرة صحية مطلوبة .

لكن تكريم كافرو — ديمارس ، على كتابيه المذكورين بالذات ، كما جرى في بيروت ، يطرح على الضمير العربي مسألة للتأمل : فحيال مؤيدي الحق العربي ، المناهضين للباطل الاسرائيلي ، الذين قد نختلف معهم في دوافع العداء للصهيونية ، وفي النظرة اليها ، ماذا يمكن ان يكون موقفنا ؟ هل نرفض مساهمتهم في محاربة الصهيونية ، ونتحمل ما في هذه « الدكتاتورية » الفكرية او العقائدية من سلبيات قد تقودنا في العالم الخارجي الى العزلة ، وفي العالم العربي الى المزيد من التشرذم الفكري بعد التشرذم السياسي ؟ او هل نتبنى هذه المساهمة ، ونكافئها وندعمها ماديا رغم موقفنا الفكري منها ، فنتحمل ما في هذه « الانتهازية » الفكرية من سلبيات الالتباس الاعلامي في العالم ، بالاضافة الى سلبيات المساهمة نفسها ؟

ان موقفا بين هذا وذاك يبدو ضروريا . واذا امكن تخيل هذا الحل فهو يقضي : بالا نعتبر انفسنا مسؤولين عن رأي الكرة الارضية بالصهيونية ، فنشهر سيوفنا العقائدية في وجه كل من يخالف نظرتنا اليها ، وبالا نجعل المساهمة الخارجية في مواجهة الصهيونية قيدا يحول دوننا ومناقشة كل ما يطرح من افكار وتحليلات تتناول الصهيونية او القضية الفلسطينية . على هذا يمكن استعراض بعض نماذج المنهج الفكري الذي ينتهجه كافرو — ديمارس في كتابيه اللذين سبق ذكرهما ، على ان مناقشة هذه النماذج لن تتمكن دائما من تلافي تكرار بعض البديهيات التي يناقضها منهج كافرو — ديمارس الفكري .

من هذه النماذج ان الكاتب المذكور يسمي الدولار « عملة صهيونية » . وهو لاثبات ذلك ينبش تاريخ اسم الدولار ، ثم يضيف اليه ان الرسم الذي يرمز به الى الدولار يتكون من حرف S (الحرف الاول من كلمة صهيون) مقرونا بخطين عموديين (هما في رأي كافرو — ديمارس عمودا هيكل سليمان) وهذان الخطان هما اشارة يتكرر ورودها لدى الماسونيين . ويقول الكاتب ان الصهيونية والماسونية فرضتا الدولار على ٣١٥ مليون نسمة ، فجعلتاه عملتها . (ويعدد الدول التي تعتمد اسم الدولار لتسمية عملتها ، ومنها كندا واوستراليا والحبشة وتايوان) . ومثل هذه النظرة الى الدولار تنم عن منهج فكري « مثالي » يضع رمز الشيء في مرتبة اعلى من واقعه وحقيقته . وحقيقة الدولار ، كحقيقة البندقية ، هي انه أداة ، في الامكان استخدامها في الاغراض الخيرة ، وفي الاغراض الشريرة بالسهولة ذاتها . اما الذي يجعل الدولار اليوم عنوانا للشر ، فهو انه عملة الدولة التي تستعمر العالم الثالث في معظمه . ولو ازيلت عن الدولار شارات « صهيونيته » لما تغير الواقع الاستعماري الاميركي، ولو نقشت على الدولار نجمة داود نفسها لما ازداد هذا الواقع سوءا . ان الرمز لا يحل محل الواقع الموضوعي للاشياء . ولو كان القصد هو القاء الضوء على اصل تسمية الدولار ، ومدى اهتمام اليهود بالشؤون المالية وانصرافهم اليها ، لكان الامر طبيعيا . غير ان مثل هذه الحجج مشكوك في صحتها وفعاليتها ، اذا كان القصد منها التوعية بحقيقة الاستعمار وحقيقة الصهيونية. ويرى كافرو — ديمارس في التضخم المالي المزمن في العالم ، معالم مؤامرة صهيونية — ماسونية ، ينفذها اليهود الاشكيناريم في العالم . لكن العلم

يناقض هذا التأكيد ، ويقول ان التضخم المالي يعود الى اتساع نطاق وحجم الحركة في التجارة العالمية ، مما ادى الى طرح كميات كبيرة جدا من العملات في التداول ، دون ان يكون انتاج الذهب في العالم قد واكب زيادة العملات العالمية المطروحة لسد حاجات التجارة . وما دام هذا الاتجـاه مستمرا ، فان التضخم المالي سوف يستمر ، بلا ادنى شك ، الا في حالة انشاء نظام يضع حدا لنظام مبادلة النقد بالذهب . ولا شك في ان ضمن الجماعات التي تمتهن المضاربـة بالعمـلات في الاسواق العالمية لاستغلال الازمات المالية ، عدد كبير من المضاربين اليهود . وفي امكان المرء ان يلاحظ ان نسبة المضاربين اليهود اعلى منها عند باقي الطوائف ، من غير شك . ولهذا الواقع تفسير تاريخي معقول ، اورده كافرو ـ ديمارس نفسه . ويقول التفسير ان اليهود امتهنوا وتوارثوا الاعمال المصرفية منـذ قرون ، لان الاسـلام والمسيحية حرما الربى . واذا كانت النظـريات الاقتصادية الاشتراكية ، قد حظرت الربى وحرية التلاعب بأسعار النقد ، واذا كان حتى بعض الدول الرأسمالية قد احس خطورة استمرار المضاربات في اسواق العملة العالمية ، فليس ذلك يعود الى ان نسبة كبيرة من المضاربين هم من اليهود ، بل الى ان اضرارا تنتج عـن المضاربات وتصيب المصالح التي يهم الدول ان تحميها .

ويربط كافرو ـ ديمارس بين الصهيونية والماسونية من جهة والانغلو ـ ساكسون والبروتستانتية ، من جهة اخرى ، ويبدي عاطفة واضحة تجـاه الانتماء اللاتيني والمذهب الكاثوليكي . لكن ذلك لا يمنعه من القول ان معظم رؤساء فرنسا خلال الجمهوريتين الثالثة (بعد نابليون الثالث) والرابعة (بعد الحرب العالمية الثانية) كانوا « ماسونيين » صهيونيين ، اسوة برؤساء اميركا البروتستانت ، امثال لنكولن (او لين كوهين كما يقول كافـرو ديمارس) وروزفلت (روزنفيلد) . وهؤلاء الرؤساء الماسونيون هم ، في نظر الكاتب ، مسؤولون عن الحروب التي ترمي الى « اغناء اقلية مميزة واعية تضم نسبة عالية من الاشكنازيم » . لكن ممارسة الحروب من اجل « اغناء اقلية مميزة » ، ليست سياسة اليهود كلهم ، ولا سياسة اليهود وحدهم ، بل هي سياسـة تمارسها قوة عالية معروفة جيدا اسمها « الاستعمار » . وانصار هـذه القوة والمنتمون اليها ليسوا كلهم يهودا ، ولا صهيونيين ، بل ان منهم الكاثوليك والمسلمين والملحدين ، الى جانب البروتستانت واليهود . اما قادة هذه القوة فهم بلا ادنى شك ، وبموجب ابسط قوانين المنطق ، المستفيدون من هذه القوة في العالم . فهل صحيح ان زيارة نيكسون للصين ، وتوجيـه الصناعة الاميركية الى الحرب ، هي امور مـن تنظيـم الصهيونية . وهل صحيح ان الاثارة الاشكنازية الصهيونية هي في اصل التوتر بين الشرق والغرب ، وان نيكسون يسعى فعلا لانهاء الحروب في الشرق الاوسط والشرق الاقصى ؟

ان الصدام بين الشرق والغرب واقع بسبب سياسة الاستعمار واستغلال الشعوب ، والحرب في الشرق الاقصى وفي بقاع اخرى مستمرة لان القوة الحاكمة في الولايات المتحدة الاميركية (وهي الصناعات الكبرى) تستطيع بالحرب وحدها ان تستأثر بالجزء الاكبر من اموال الدولة ، فتتقاضاها مقابل صنع السلاح . والمسؤولون الحقيقيون عن الصدام بين الشرق والغرب ، وعن استمرار الحرب في العالم ، هم مستغلو الشعوب ، وهم اغنياء الحروب ، لا فرق في ذلـك بين يهودي وبروتستانتي او بـين كاثوليكي وملحد ، او بين مسلم وبوذي . وليس صحيحا على الاطلاق ان الرئيس الاميركي يسعى الى سلام تعرقله الصهيونية . فالعلوم السياسية والاقتصادية تحتم ان تكون سياسة الحـرب هي سياسة الولايات المتحدة ، كائنـا من كان رئيس الجمهورية الاميركي . وهـو أمر لا يفرضه مزاج شخصي او قناعـة فردية ، بل وضـع تاريخي ـ اقتصادي ـ اجتماعي معين . وهذا الوضع الرأسمالي الصناعي ـ العسكري لا يعرقل السلام فقط بل يدفع دفعا الى الحـرب . اما مقـدار المشاركة الصهيونية في الاستفادة من هذا الوضع الاميركي ، وفي تركيزه وتطويره ، فهو أمر لا تحدده محافل ماسونية ، ولا مؤامرات ومخططات ، بل تحدده المصالح المالية والصناعية المشتركة .

وحديث كافرو ـ ديمارس عن « سلام » يسعى اليه نيكسون وتعرقله الصهيونية ، كحديثه عن « دزرائيلي » رئيس وزراء بريطانيا اليهودي ، الذي اعتبره مسؤولا عـن احتلال قبرص ومصر ١٨٧٨ و١٨٨٢ . والواقع ان انجلترا كانت دولة استعمارية قبل دزرائيلي وظلت كذلك بعده ، ولم تخب استعماريتهـا عنـدما تـرأس وزاراتهـا المسيحيون ، واحدا تلو الاخر . لقد كان في امكان

دزرائيلي ان يخدم سياسات خاصة ، ضمن المجرى العام للسياسة البريطانية الاستعمارية . لكن القاء كل التبعة على الصهيونية ، يخشى ان يؤدي في النهاية الى تبرئة الفصائل الاخرى الضالعة في المجموعة الاستعمارية ، او الى تحويل الانظار عن العملية الاساسية ، عملية الاستغلال والاستثمار والسيطرة .

ان مثل هذا التركيز غير المنهجي او العقلاني ، على الصهيونية دون غيرها ، كفيل بقلب الحقائق الموضوعية لقضية مثل قضية فلسطين . وليس غريبا اذا كان كافرو — ديمارس قد وصل ، بمثل هذا التركيز ، الى القول ان الانتداب الفرنسي والانجليزي قد فرضا في الشرق ، لشل الدول العربية عن الحركة ، عندما يبدأ الشروع في انشاء اسرائيل . في حين ان العلم ، في بديهياته ، يؤكد ان مساهمة القوى الغربية في انشاء اسرائيل كان هدفها الاخير تمكين الاستعمار من البقاء اطول مدة ممكنة في المنطقة .

ان الخطأ المنهجي في كتابي كافرو — ديمارس ، هو انه نبش التاريخ ليستخلص منه الدلائل التي تؤكد نظرية جاهزة في رأسه . فالاحداث المهمة في التاريخ ، كلها ترتبت داخل المحافل الماسونية وضمن دوائر اليهود الاشكنازيم . ونابليون الثالث وغاريبالدي وماك ماهون وكليمنصو ماسونيون . والثالث (ماك ماهون) ماسوني كبير اطلق اسمه في باريس على شارع متفرع من ساحة النجمة (نجمة داود) . والعثمانيون يهود مهتدون . ومع صهيونيتهم ، فقد تآمرت الماسونية عليهم لتفكيك امبراطوريتهم من اجل الاستيلاء على فلسطين . واخراج ديغول من الحكم في العام ١٩٤٦ تم بمؤامرة صهيونية كانت ضرورية للحصول على موافقة فرنسا على انشاء اسرائيل ، في العام ١٩٤٨ .

ولا ينسب كافرو — ديمارس الى الصهيونية هذا فقط ، بل يصل الى حد القول ان الثورة الفرنسية هي من صنعها ، وان حقوق الانسان ابان الحكم الملكي في القرن الثامن عشر كانت مصانة اكثر مما هي مصانة الان . ومثل هذا الكلام مقبول اذا قيل لنش الخلق . لكنه كلام مشكوك اولا في فعاليته الاعلامية في العالم ، ومشكوك ثانية في صحته العلمية . فالثورة الفرنسية ليست « مؤامرة » حتى تكون تفاصيلها ومسبباتها غامضة وغير مفهومة ، بل هي ظاهرة طبيعية يمكن ترجمتها الى معادلات لا تخطىء في علم الاجتماع والاقتصاد والسياسة .

تلك بعض نماذج من كتابي كافرو — ديمارس ، اللذين يمكننا حيالهما ان نسترخي في احضان الانتهازية الفكرية ، فنصفق لهما رغم اعتراضاتنا على الكثير من محتوياتهما ، باعتبارهما قادرين (وهما قادران فعلا) على اقناع الكثيرين من الناس بالحق العربي والباطل الاسرائيلي . غير ان النزاهة الفكرية والامانة الايديولوجية تحتم علينا ان نضع الامور في نصابها . وهذا يقتضي عودة اخرى الى بعض البديهيات : ما هو السبب في عداء العرب للصهيونية والسبب في دعم الاستعمار العالمي لاسرائيل ؟ ان الجواب يكمن في اهداف الاستعمار والصهيونية . فالاستعمار يريد استغلال موارد العرب وطاقاتهم لصالحه ، واسرائيل تمكن الاستعمار من ابقاء العرب منقسمين . وهذه البديهيات تعني ان الهدف الاستراتيجي لحركة التحرر العربية هو القضاء على الاستعمار في المنطقة العربية .

فاذا القى العرب التبعات على كاهل الصهيونية ، فان الاستعمار قادر تحت ظرف من الظروف ، ان يتخلى عن اداته الرئيسية في المنطقة اسرائيل ، ليعود الينا متخفيا بأداة جديدة . وليس من الحكمة في شيء ان يبذل الجهد العربي كله في مواجهة الاداة وان يبرىء الاستعمار من تهمة ... الاستعمار .

فكتور سحاب

Lorand Gaspard, **Palestine Anné 0,**
(Paris : Ed. Gaspar, 1970).

لاسباب عديدة في طليعتها سيطرة الصهيونية على حصة الاسد من وسائل صياغة الرأي العام الاوروبي والغربي عموما من جهة ، ولتقصير العرب المعنيين في اعلام الرأي العام العالمي بشكل منهجي ، سليم ، ومقبول على الاقل من قطاعاته الاكثر تفهما وتقدما من جهة اخرى ، فان الكتب التي « تشذ » عن الخط الاعلامي السائد المناصر لوجهة النظر الصهيونية نادرة ، ولهذا السبب بالذات ، ثمينة ، مهما كانت نواقصها ومهما كان تصورها عن امتلاك رؤيا تاريخية راديكالية لاسباب النزاع الصهيوني — العربي ولافاق حسمه . من بين هذه الكتب النادرة ، هذا الكتاب الذي نستعرضه هنا وسنشير ، كلما دعت الحاجة ، الى نواقصه وثغراته .

يصدر الكتاب باستشهاد من لينين كاشارة الى الخط الفكري والسياسي الذي اختاره المؤلف : « علينا ، يقول لينين ، ان نخوض نضالا لا هوادة فيه ضد امتيازات وعنف الامة الظالمة ، وان لا نتحلى باي تسامح امام البحث عن الامتيازات من طرف الامة المظلومة » .

في الواقع هذا الكتاب ليس اول كتاب لنفس المؤلف يتناول المسألة الفلسطينية بل هو الكتاب الثاني الذي جاء تكملة اكثر تأنيا واكثر راهنية من كتابه الاول السريع والذي كان ، كما يقول المؤلف نفسه ، رد فعل امام جهل الرأي العام الغربي والعالمي الكامل لحقائق النزاع العربي الاسرائيلي عموما وخصوصا للوضع التاريخي لفلسطين ولحاضرها ... رغم ان فلسطين تشكل اليوم نقطة حساسة في منطقة الشرق الاوسط ونقطة متفجرة في العالم يتوقف مصير السلام في المستقبل المتطور على طبيعة الحلول المطبقة فيها .

كان هدف الكتاب الاول اذن : شرح الوقائع التي طمسها التعصب لاسرائيل كتكفير عن « عقدة الذنب » الاوربية وكنتيجة للتأثير الصهيوني على صياغة الرأي العام الغربي واخيرا ، على حد قول المؤلف ، كانعكاس « للعنصرية المعادية للعرب » التي انضمت اليها العناصر الفاشية والمعادية للسامية التي كانت خلال الحرب الكونية الثانية تمارس بسادية بربرية ابادة اليهود .

وهكذا نجد منظمات برو — نازية مثل « العمل الفرنسي » و « الغرب » التي كان جلادوها يشرفون بانفسهم على المعتقلات النازية ، تحت حكومة فيشي المتحالفة مع هتلر ، في كل من فرنسا والجزائر ، يناصرون اليوم دولة اسرائيل ضد العرب والمقاومة الفلسطينية .

كان الكتاب الاول كتابا اعلاميا . اما الكتاب الثاني فهو كتاب رأي يقول المؤلف انه لا يريد في هذا الكتاب خوض نقاش تاريخي حول من له الحق التاريخي في فلسطين : هل الفلسطينيون الذين يسكنونها منذ ١٤ قرنا وبعضهم منذ اكثر من ٢٠ قرنا ام اليهود الذين تركوها منذ عام ٧٠ .

اراء المؤلف في هذا الكتاب هي حصيلة تجربة عامين ١٩٦٨ — ١٩٦٩ عاشها المؤلف على عين المكان في فلسطين المحتلة وفي عمان وجنوب لبنان بين صنوف المقاومة التي « زرعت البذور التي ستقرر في العشر او العشرين عاما القادمة تطور ومستقبل الشرق الاوسط » .

يدحض المؤلف الفكرة التي تغذيها الدعاية الصهيونية والقائلة ، لتطمين الرأي العام الاوربي الذي بدا يشعر بالقلق من عواقب استمرار الوضع المتفجر في الشرق الاوسط ، ان الوضع هناك راكد . وانه لا خوف من انقطاع البترول العربي الحيوي لصناعة وحياة الاوربيين . ولا خوف من نزاع عالمي يكون البحر الابيض والبلدان الواقعة على حوضه مسرحا له . « كثيرا ما يقال ان الوضع في الشرق الاوسط راكد . لكن الذي يتجول هناك ويتصل بالفلاح والعامل والجامعي والبورجوازي فانه يلاحظ ان كل شيء يتحرك . وان عوامل التحول العميق بدأت تتفاعل ربما ببطء ولكن بيقين » . واذا كان التفوق العسكري الاسرائيلي حقيقة راهنة . وهي الحقيقة التي يراهن عليها القطاع الاكثر اتساعا ونفوذا من الصهيونيين . فان المؤلف يذكرهم بمصير التفوق العسكري الامريكي في فيتنام ، الذي بات اليوم ، تحت ضربات الحرب الشعبية الثورية التي تقوم على تسليح الجماهير وتدريبها وتنظيمها ووضع السلطة تحت رقابتها الفعلية ، مهددا بهزيمة سياسية وعسكرية لا يمكن التنبؤ بكل عواقبها الخطيرة في

امريكا اللاتينية وامريكا الشمالية نفسها .

يقول الصهاينة ان فلسطين ليست الفيتنام . ويجيب المؤلف : هذا صحيح . كما انه من الصحيح ايضا ان اسرائيل ليست تماما الولايات المتحدة . فيهود الشتات لا يشكلون وطنا ما ان يشعر يوما بالملل من الحرب حتى يقرر الانسحاب واستقبال الاسرائيليين في « وطنهم الام » . ولذا فالمؤلف على حق عندما ينصح المقاومة الفلسطينية بان تطرح على الجماهير الاسرائيلية اختيارا جديا وثوريا من شأنه ان يحدث صدعا في التماسك العرقي الذي استطاعت الدعاية الاسرائيلية ان تخلقه وتنميه باستخدامها البارع لاسطورة « الخطر العربي » ، خطر ابادة السكان الاسرائيليين او تهجيرهم قهرا. ويلاحظ بهذا الصدد ، انه رغم الفوارق بين فلسطين والجزائر ، فان جبهة التحرير الجزائرية وجهت منذ البداية نداءات للمستوطنين الفرنسيين، الذين كانوا يمثلون اقلية ضئيلة ، تدعوهم الى التآخي مع الشعب الجزائري وتعرض عليهم بسخاء حق المواطنة الجزائرية الكاملة في الجزائر المستقلة . (يستطيع القارىء الذي يهمه البحث عن امكانية حل ثوري للمسألة الفلسطينية والمسألة اليهودية في فلسطين ان يعود لقراءة كتاب لبلى سليم القاضي : « المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية : ماتسبن » . اصدار مركز الابحاث الفلسطينية ۱۹۷۱) .

يذكر المؤلف بعد هذه الملاحظات الصائبة بانه من المستحيل قبول وجهة النظر الاسرائيلية القائلة بأن « عودة اليهود » بعد تشتتهم هي مجرد عودة طبيعة ومقبولة من وجهة النظر التاريخية والقانونية لـ « وطن الاجداد » . ويسوق حججا تاريخية وعلمية لدحض نظرية العرق عموما و « العرق اليهودي » خاصة . ودحض هذه النظرية استغرق جزءا هاما من كتابه الاول الذي نفذ بعد شهور قليلة من صدوره .

ينبه المؤلف القارىء الاوربي الى الطبيعة الدينية لدولة اسرائيل التي تقدمها له الدعاية الرسمية كدولة ديموقراطية قائمة على المساواة والاخاء والحرية ، هذه المبادىء المجردة التي اعلنتها الثورة الفرنسية ، وما زالت تمارس سحرها النسبي على المواطن العادي في الغرب . بهذا الصدد يشير المؤلف الى قانون الجنسية الاسرائيلي الصادر في ۱۱ شباط ۱۹۷۰ : حسب القانون الديني اليهودي هو كل من ولد من ام يهودية او كل من اعتنق الديانة اليهودية . وهذا القانون الديني ، رغم انه لا يتضمن « الجنسية اليهودية» بالمفهوم الحقوقي الحديث ، الا انه استخدم لـ « قانون العودة » الذي يعطي الجنسية الاسرائيلية لكل يهودي يهاجر الى اسرائيل . لكن القانون الجديد كان اكثر تسامحا من القانون الديني فقد اعطى - خلافا للاوامر الدينية الصريحة - الجنسية الاسرائيلية للزوجة غير اليهودية وللاطفال غير اليهود ، اي الذين ولدوا من ام ليست يهودية ، لكل مهاجر جديد . هذا « التسامح » الديني غير المعهود هدفه الواضح تشجيع الهجرة الى اسرائيل بعد ١٩٦٧ لاستعمار الاراضي العربية المحتلة . والدليل على ذلك ، كما يلاحظ المؤلف ، ان جولدا مير صرحت في نفس الوقت بكلام عنصري وموغل في التعصب العرقي : « الزواج المختلط والذوبان في الامم الاخرى ، هما الخطران الاكبران اللذان واجهتهما الامة اليهودية على مر العصور (...) ان وجود الامة اليهودية اكثر حيوية من وجود دولة اسرائيل نفسها . فالامة اليهودية كانت ستنقرض لولا الدين اليهودي » . واضح اذن « ان الدولة الاسرائيلية = الامة اليهودية = الديانة اليهودية » . يلاحظ المؤلف بصواب ان اليهود غير الصهيونيين لم يقاوموا ابدا فكرة ذوبان اليهود في الامم التي يعيشون بين ظهرانيها . لان هذا الذوبان هو الطريق الوحيد لحل المسألة اليهودية حلا ثوريا لا حلا قوميا ، فالبورجوازية عجزت عن حل المسألة اليهودية لانها بطبيعتها تقوم على الاضطهاد الطبقي الذي هو الارضية الاخصب للاضطهاد القومي والطائفي . والصهيونية التي هي بدورها من طبيعة بورجوازية فشلت في تقديم حل للمسألة اليهودية لا فقط لانها باستعمار فلسطين فجرت نزاعا مليئا بالمفاجآت الخطيرة التي تنطوي على خطر حرب قد تطحن بين فكي رحاها عددا هائلا من سكان اسرائيل . بل ايضا لانها حافظت على اللامساواة، التي هي جوهر السلطة الطبقية ، بين الاسرائيليين انفسهم في « ارض الميعاد » . ويستشهد على صحة موضوعته : اليهود غير الصهيونيين كانوا دائما ، عكسا لجولدا مير ، يحبذون ذوبان اليهود في الامم الاخرى بدلا من السعي الى تكوين دولة يهودية يقول لينين : « ذوبان اليهود في الشعوب الاخرى لم تشجبه ابدا ، افضل اليهود الذين

سجلوا بفخر اسماءهم في التاريخ كرواد للديمقراطية والاشتراكية . ان الذين يناهضون الذوبان هم فقط اليهود المصابـــون بالاعجـــاب الصوفي بالماضي اليهودي » .

يتعرض الكتاب بشيء من الاقتضاب لمصير الشعب الاسرائيلي فيقول : رغم ان ذوبان اليهود في شعوب البلدان التي يعيشون فيها وانخراطهم في الصراع الاجتماعي الناشب بين الطبقات الظالمة والمظلومة في منظور الثورة الاشتراكية هو الحل الوحيد الممكن للمسالة اليهوديـــة . بيد انه في الوضع الملموس الراهن هناك واقع هو ان الشعب اليهودي الذي اضطهد طويلا في أوروبا، وقادته الحركة الصهيونية الى فلسطين لكي يحـل محل الشعب العـــربي الفلسطيني أصبح يشكل امة عبرانية بملامحهـــا القومية الخاصة . هذا الشعب لا يستطيع ان يعود الى اي « وطن ام » في العالم لانه ليس له مثل هذا الوطن ، فقد جاء اليهود الى فلسطين من ١٠٠ بلد في العالم . ولهذا فهو مستعد للنضـــال الى آخر رجـل للدفـــاع عن وجوده . وللجماهــير الاسرائيلية رغبة عميقة للتعايش مع العالم العربي الذي يحترم شخصيتها الخاصة وحقها في تقريــر المصير .

هنا نعتقد ان المؤلف لم يكن واضحا بالقدر الكافي . فاذا كان صحيحا ان الشعب الفلسطيني المظلوم اليوم لا يجب ان يتحول الى شعب ظالم غدا ، فان رفع امكانية الظلم ليس بوجود دولة اسرائيلية. لان وجود مثل هذه الدولة فضلا على انه بمحافظته على المراتب والطبقات والتمييز القومي والعنصري لن يحل من المشاكل القائمة حاليا شيئا ، فانــه نفي لحق الشعـــب الفلسطينـــي في الوجود على ارضه . وفلسطين كما هو واضح لا تتسع لدولتين، على ان وجود الدولة — اي دولة — ووجـــود الرق الطبقي والقومي امران متلازمان ، ووجود دولة على فلسطـــين هو نفي لمنظـــور الثورة الراديكالية التي هي محط أمل وعمل القوى الثورية في المنطقة . ولهذا فان الحل السليم هو قريب من مشروع ماتسبن « جمهورية اشتراكية » عـــربية (انظر كتاب ليلى سليم القاضي المذكور . والعدد ٢ من مجلة شؤون فلسطينية : حوار مع مسؤول عن المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية (ماتسبن). لنفس المؤلفة) . أي ان غالبية سكانها يتكلمون العربية ويتكلم الباقون العبرية والكردية الخ ... مما لا شك فيه ان السلطة في هذه الجمهورية الاشتراكية يجب ان تعود للمجالس العمالية والشعبية ومجالس الاحياء باعتبارها السلطة الوحيدة والمطلقة التي لا تعترف بالتمييز القومي والطائفي والطبقـــي . هذه الجمهورية العربية الاشتراكية تقضي علـــى وجود دولة اسرائيلية لكنها تقدم للشعب الاسرائيلي حلا انسانيا واميا قليل السوابق في التاريخ ، لا يمكن كسب الرأي العام الثوري والديموقراطي في العالم وفي اسرائيل نفسها لجـــانب المقاومـــة والثورة العربية ، كمـــا لا يمكن وضع قاطرة الحركـــة الفلسطينية في اتجاه التاريخ الا بتبني هذا الحل ونشره على أوسع نطاق .

لا نذكر اننا قرأنا كتابا لكاتب غربي جـدي مناصر للعرب الا ولاحظنـــا نفس الحـــيرة والتناقض ازاء مصير الشعب الاسرائيلي . وفي النهاية ينتهي هؤلاء الكتاب الذين يرفضون كليا اضطهاد اليهود مـــن جديد الى ضرورة المحافظة على الدولة الاسرائيلية. لكي يوضع حد نهائي للتحفظات والتناقضات فـــي صنوف اصدقاء القضية الفلسطينية بصدد هـــذه المسألة ، لا بد من تبني شعار « الجمهورية العربية الاشتراكية » .

يلاحظ المؤلف لوران جاسبار ان الحكومة الاسرائيلية مستفيدة من غياب استراتيجية فلسطينية — عربية لحل النزاع ثوريا . ولهذا تردد على جماهيرها بأنه لا خيار لها أمام الحروب الدورية . لان العـــدو العربي يريد ابادتها . رغم ان الوقائع تثبت ان مسؤولية حرب ١٩٦٧ تقع على عاتـــق الدولـــة الاسرائيلية المحاربة والتوسعية .

يعـــدد المؤلـــف الاسباب التي دفعت بالحكومـــة الاسرائيلية الى عدوان ١٩٦٧ كما يلي : ١) الازمة التي تراكمت عواملها في سنوات ١٩٦٥ — ١٩٦٦ — ١٩٦٧ كانت بالنسبة لاسرائيل ازمة اقتصادية قاسية زادتها تفاقما توقـــف دفـــع التعويضات الالمانية ، انخفاض المساعدات المالية الآتية مـــن يهود الشتات . عجز ميزان المدفوعات الذي وصل الى ٤٥٥ مليون دولار . تصاعد عدد العاطلين عن العمل الى ١٥٠ الفا . وهكذا فان تضاءل التهديد الخارجي او التلويح به شجع على نمو التوتـــر الاجتماعي الداخلي الذي كان نائما بفضل حالـــة الطوارىء المعلنة رغم عدم وجود ما يبررها جديا . ٢) بداية ظهور بذور اليقظة السياسية الفلسطينية: خلق منظمة التحرير الفلسطينية . ظهور مغاويـــر

فتح في عمليات تسلل للداخل . اذا كانت فتح تمثل اتجاها جديدا ، فان قادة منظمة التحرير كانوا يوزعون على العالم خطابات نارية ودموية اضرت بالقضية . ٣) اشغال تحويل نهر الاردن التي بداتها اسرائيل واثارت بذلك ردود فعل الدول العربية . ٤) تدهور العلاقات مع سوريا التي كانت البلد الوحيد الذي احتضن المغاوير الفلسطينيين واعطاهم حرية نسبية للتحرك . وقد صرح اللواء رابين في ١٩٦٦/١٢/٥ ان « السوريين هم الاباء الروحيون لجماعة فتح التي تضم الارهابيين الفلسطينيين والعرب » . واعلن ان معركة اسرائيل هي مع سوريا . ولا يمكن لمسؤول عسكري ان يكون اكثر وضوحا . ولهذا فلا يوجد اليوم ملاحظ جدي يشك في ان اسرائيل التي بحثت عن الحرب واعلنتها مستفيدة من اخطاء عبدالناصر وحركاته التمثيلية هي المعتدية . وبعد التصريح الذي اعطاه رابين نفسه لمبعوث « لوموند » اريك رولو (٦٨/٢/٢٨) والذي يقول فيه بالحرف : « لا اعتقد ان ناصر كان يريد الحرب ، فان الفرقتين اللتين ارسلهما الى سيناء في ١٤ ايار ١٩٦٧ لم تكونا كافيتين لشن هجوم على اسرائيل ، لقد كان يعلم ذلك ونحن ايضا كنا نعرف » . لم يعد أي صهيوني ، مهما كان متعصبا يستطيع الزعم بأن العرب هم « الذين يريدون القاء اليهود في البحر وقد شنوا ضدهم ثلاث حروب في اقل من ٢٠ عاما » . بيد ان الدعاة الصهيونيين ما زالوا يجدون مساعدة ثمينة في التصريحات المنسوبة الى احمد الشقيري والتي عززت اصوات الذين كانوا داخل المؤسسة الاسرائيلية من انصار الحرب الوقائية . لقد كانت هذه « الدعاية الاجرامية عاملا حاسما للتعبئة النفسية لسكان اسرائيل من جهة وليهود الشتات من جهة أخرى » . والحق مع فيديل كاسترو الذي صرح بأن : « هذه الدعاية قد ساعدت عن غير قصد حكام اسرائيل على تعبئة وطنية شعبهم لكي يستخدموه في حرب شنت تحت حماية الامبريالية اليانكية » . (لوموند ٦٧/٩/٢١) . « كما ان الشعارات الابادية التي روجتها الاذاعات العربية لعبت نفس الدور خاصة لدى اليهود الشرقيين الذين يفهمون كلهم العربية ويستمعون مع الجالية العربية الى الاذاعات العربية اكثر من استماعهم لاذاعة اسرائيل . واليهود الشرقيون هم الممثلون الاكثر اهمية وعددا للبروليتاريا الاسرائيلية التي كانت ، تحت ضغوط الازمة الاقتصادية ، تتهيأ للنضال ضد اجهزة الدولة الصهيونية » . ولهذا فان على المقاومة الفلسطينية ان تعرف باذاعاتها كيف تخاطب ، تحيد ثم في النهاية تكسب لقضيتها جزءا هاما من هؤلاء اليهود الشرقيين الذين هم بدورهم ضحايا التمييز الطبقي والعرقي في اسرائيل. فهؤلاء هم الذين يمثلون ما كتبه لينين في «ملاحظات نقدية حول المسألة القومية » : « الامة اليهودية هي الامة المسحوقة جدا والمطاردة في كل مكان » . فاليهود الشرقيون هم الحلفاء الممكنون والمتقبلون على الحركة الثورية الفلسطينية والعربية .

يعدد الكاتب سلسلةمن اكاذيب الدعاية الصهيونية، بما في ذلك كتب الاطفال ، التي تزعم ان اسرائيل تعرض على العرب التقدم والحضارة وهم يعرضون عليها التخريب واغتيال الاطفال . كما يعرض للاضطهاد المسلط على الاقلية العربية وكيفية انتزاع املاكها واخضاعها لقوانين عنصرية من صنع الاستعمار البريطاني وبعد ان يفند الدعاية الاسرائيلية المكرسة للاستهلاك اليساري في العالم حول اسطورة « الاشتراكية الاسرائيلية » و « التآخي تحت سماء الكيبوتسات » وبعد ان يفضح ما يسمى باليسار في اسرائيل سواء اليسار الصهيوني المناصر لضم الاراضي العربية الجديدة بالقوة او اليسار الستاليني المتحفظ حول المقاومة والرافض لفكرة حرب التحرير الشعبية . يخلص لهذا الاستنتاج : « من الواضح ان الجماهير الاسرائيلية ستقتنع على المدى المتوسط او البعيد ان خلاصها الحقيقي لا يمكن ان يكون الا في التآخي مع الجماهير العربية في ظل الاشتراكية والسلام» .

ع٥٠٤

Michael Selzer (ed.) **Zionism Reconsidered,**
(London : Macmillan, 1970).

يضم هذا الكتاب مجموعة من المقالات التي تتناول الحركة الصهيونية وفكرها وايديولوجيتها بالنقد والتحليل من قبل عدد من المفكرين والكتاب اليهود المعروفين . وتعود المقالات الى فترة زمنية تمتد من اواخر القرن التاسع عشر حتى قيام دولة اسرائيل. قام بتحرير الكتاب وجمع مواده والتقديم لها مايكل سيلزر وهو مؤلف وناقد شاب مهتم بالشؤون اليهودية . ويضم الكتاب بعض الاسماء المعروفة جيدا مثل الفيلسوف الاميركي الليبرالي موريس كوهن ، وعالم الاجتماع دافيد ريسمان ، والمؤرخ اليهودي الكلاسيكي سيمون دابناو ، وهانز كوهن المشهور بمؤلفاته حول القومية وتاريخها ، والكاتبة المعاصرة حنة آرندت ، والمفكر الإشتراكي اسحق دويتشر . وبالرغم عن اختلاف المواقع التي يصدر عنها النقد للصهيونية كما نجدها في مقالات الكتاب يمكننا ان نقول ، بصورة عامة ، ان الجو العام الذي يطبع الكتاب هو نقد الصهيونية من مواقع ليبرالية عامة . ولكن لا بد هنا من استثناء مقالة الماركسي اسحق دويتشر ، المأخوذة من كتابه المترجم الى العربية بعنوان « دراسات في المسألة اليهودية » (دار الحقيقة ، بيروت) . كذلك يجب استثناء بعض المقتطفات التي تنقد الصهيونية من مواقع دينية تقليدية محافظة اذ تعتبرها خروجا واضحا عـن الدين اليهودي وروحه وتعاليمه وشرائعه وتراثه باتجاه العلمنة والتحديث وتقليد بقية الامم في حياتها السياسية واليومية . على هذا الاساس بامكاننا تحديد السمة العامة التي تطبع نوعية رفض هؤلاء الكتاب للصهيونية ونقدهم لها . انهم ليسوا ضد الصهيونية بمعنى ثوري ولا يعادونها بمعنى سياسي متحرك يتجه نحو ضربها فكريا وماديا . بعبارة اخرى يقتصر نشاط معظمهم على نقدها من مواقع ذاتية غير سياسية (بالمعنى الدقيق) أي انهم يحتجون عليها لانها لا تنسجم مع المبادىء الانسانية او الاخلاقية او الليبرالية او الدينية التي يعتنقونها شخصيـا وكأفراد . نستثني من هذا التعميم مقالة آحاد هاعام لانه كان صهيونيا ، بالرغم عن ان التصور الاخلاقي ــ الديني كان يطغى على عقيدته مما دعاه الى تقديم نقده الشهير للسلوك العام الذي سلكته الحركة الصهيونية علـى صعيد انتهازيتها في مناوراتها السياسية وخبثها في التعامل مع الشعب الفلسطيني في مرحلة الاستعمار . وكان دافعه في ذلك الولاء لمفهوم مثالي حول ما يجب ان تكون عليه الصهيونية من رفعة وتمسك بالوسائط الاخلاقية في تحقيـق غاياتها والا فقدت مبرر وجودها واصبحت مجرد حركة قومية اخرى مثلها كمثل بقية الحركات في ذلك العصر ، تسيطر عليها قيم العنف والقـوة والانانية . كذلك نستثني ايضا مقالة هانز كوهن (وهي من افضل ما في الكتاب) : « صهيون والفكرة القومية اليهودية » لان فيها تحليلا تاريخيا نقديا جيدا للحركة الصهيونية واصولها وان كان ذلك من مواقع ليبرالية واضحة . بعبارة اخرى تبقى لا صهيونية معظم هؤلاء الكتاب على المستوى الذاتي والفردي في رفض الحركة ، ومنهم مـن يحتقرها شخصيا ، ومنهم من لا يريد ان يلوث يديه بالتعامل معها بأي صورة من الصور فيعزل نفسه عنها ويبرر ذلك في كتاباته . ويذهب البعض منهم الى حـد القول ان المفكرين اليهود المعاديـن للصهيونية بصورة متحركة وصدامية ، ان كان ذلك من مواقع دينية محافظة او ليبرالية وسطية او ثورية متقدمة ، قد لوثوا انفسهم بالنزول الى مستوى الصهيونية لمقارعتها وكان افضل لهم لو سجلوا موقفهم الفكري ضدها على اسس اكثر ترفعا واستعلاء . بطبيعة الحال ينبع هذا النوع من المواقف الفكرية من التصور المثالي النخبوي لدور المفكر والفكر بصورة عامة في مواجهة مشاكل العالم السياسية والاجتماعية على اساس اختزال هذا الدور الى مجرد تسجيل الرأي حولهـا ، بشكل ذاتي وشخصي ، وعدم التورط بأكثر من هذا على صعيد الفكر او الواقع . طبعا ، ان شاء اصحاب هذه المواقف النخبوية الذاتية ام لم يشاؤوا ، لا شك ان مواقفهم تخدم موضوعيا وفي التحليل الاخير ، الحركة الصهيونية التي ينتقدونها، لان الحركة قادرة على الاستفادة من عملية الجدل التي يثيرونها وعلى استيعاب النقد الذي يوجهونه اليها بينما يبقون هم مع آرائهم النقدية لوحدهم وفي عزلة مترفعة ، فرضوها على انفسهم ، عن الواقع الاجتماعي المتحرك الذي يحيط بهم .

يتلخص الهدف من وضع هذا الكتاب وجمع مقالاته في تبيان عدة حقائق : اولا ، التعريف بالتيارات

الفكرية اليهودية التي عارضت الصهيونية وفكرة القومية اليهودية منذ اواخر القرن التاسع عشر. ثانيا ، الرد على الزعم الصهيوني الشائع الذي يوحد بين الصهيونية واليهودية وايضاح واقع معين هو أن دين اليهود وتراثهم الاجتماعي والفكري والروحي أوسع واغنى من أن يتم اختزالهما الى مجرد حركة سياسية معينة ومرتبطة بظروف تاريخية وزمنية معروفة . اي يعتبر الكتاب انه كواقع تاريخي ، انتج استمرار الوجود اليهودي الحركة الصهيونية كجزء منه ولكن لا يجوز لهذا الجزء ان يدعي استيعابه للكل الذي انبثق عنه ومساواته به . كما يعتقد معظم اصحاب المقالات ان الجزء لم ينبثق عن افضل وأسمى ما في التراث اليهودي من عناصر وقيم بل انبثق نتيجة لتفككها وانحدارها وكانوا يفضلون لو لم ينتج اليهود الظاهرة الصهيونية اصلا ، علما بأن هذا التفضيل لا يتعدى مستوى الرغبات الشخصية والفردية المعزولة فحسب . ثالثا ، الرد على الزعم الشائع بأن الحركة الصهيونية ليست الا تحقيقا للحلم اليهودي القديم في الخلاص ، ويشدد الكتاب في اكثر من موقع على ان استخدام الصهيونية لميثولوجيا الخلاص كانت أداة سياسية موجهة في كثير من الاحيان نحو كسب العطف المسيحي في الاوساط السلفية البروتستانتية بسبب اعتقادها ان عودة بني اسرائيل الى فلسطين هي علامة من علامات مجيء المسيح مجددا الى العالم . وفي مقابل هذا الزعم يؤكد الكتاب ، في أكثر من موضع ، ان الدافع الاساسي وراء الحركة الصهيونية لا علاقة له بالحلم اليهودي في الخلاص ، (باعتبار ان الخلاص مسألة روحية محض لا تتحقق الا عن طريق معجزة سماوية) بل هو الرغبة الواضحة في جعل اليهود امة كبقية الامم (لها ارضها ودولتها ومجتمعها الطبقي الخ ...) بحيث يصبح وضعها وضعا « سويا » بعد أن كان شاذا لفترة طويلة من الزمن . هنا نضع اصبعنا على جوهر المعارضة التي تظهر في مقالات الكتاب ، ضد الصهيونية ، اي ان المعارضة موجهة الى رغبة الصهيونية بجعل الوضع اليهودي « سويا وعاديا » في حين ان اصحاب المقالات يعتقدون بأن رسالة « الشعب اليهودي » الاساسية هي في ان يبقى متمايزا ومختلفا في وضعه الاجتماعي والثقافي الخ... عن بقية الامم والشعوب . بعبارة اخرى انهم مدافعون عن الشتات اليهودي ، في وجه الصهيونية التي تدينه وترفضه ، لانهم يعزون ما قدمه كبار المفكرين اليهود الى الثقافة والعلم والحضارة الى وضعهم الشاذ وغير السوي بين بقية الشعوب والامم . ووفقا لهذا الرأي يشمل هذا الوضع اليهودي الخاص التشديد على كونهم « اهل الكتاب » ، بمعنى ان تماسك حياتهم واستمرار تاريخهم في الشتات ، مع ما رافق ذلك من ظواهر ، لا يمكن تفسيرها الا على اساس ارتباطهم العضوي بقيم روحية وفكرية والالتفاف حول تراث معنوي باعتبارها البديل عن الاساس المادي والانتاجي والسياسي الذي تتماسك بواسطته بقية الشعوب وتستمر في حياتها عبر المراحل التاريخية . لذلك يرى اصحاب هذه المدرسة ان الصهيونية تريد التصدي لجوهر الوجود اليهودي ومصدر رسالته عن طريق تحويلهم الى قوة سياسية دنيوية ، واقحامهم في عالم الصراعات الدولية واقتسام النفوذ ، ولذلك ينظرون اليها على انها نوع من « الثورة المضادة » (ليس بالمعنى اليساري المتداول) لانها تريد العودة باليهود الى الستاتيكو السابق ، اي الدولة اليهودية . ربما كان افضل مثال على هذا النمط من التفكير الطريقة التي يدافع بها المؤرخ دابناو عن فكرة « الامة » اليهودية ولكن بصورة تتعارض ــ مباشرة على أقل تعديل ــ مع طرح الحركة الصهيونية للفكرة ذاتها . يرى دابناو ان اليهود يشكلون امة بالمعنى التاريخي الثقافي والروحي فقط للعبارة وليس بالمعنى السياسي والاقليمي الذي ينطبق على بقية الامم والدول الحديثة . لذلك يقول بأن اليهود كأمة لا يمكن ان يكون لهم مطامع اقليمية او مطامع سياسية توسعية كبيرة او مصلحة في اخضاع شعوب اخرى لان اهتمامهم القومي منصب ، في الدرجة الاولى ، باتجاه المحافظة على شخصيتهم القومية وتمايزها الفردي والدفاع عن استقلالها الذاتي في كافة البلدان التي يوجد فيها يهود (ص ١٥٣) . بطبيعة الحال برهنت الصهيونية ، عن طريق نجاح مشاريعها الاستعمارية ، مدى الخطأ الذي يقع فيه مثل هذا التفكير المثالي ومدى عجز هذا الاسلوب الطوباوي في نقد الصهيونية او حتى رفضها .

مع ان هذه المدرسة في رفض الصهيونية لا تهتم بالجوهر الاستعماري والاستيطاني للحركة كأساس لمعارضتها الا انه من المفيد الأطلاع على مجرى تفكيرها العام كتيار داخل صفوف اليهود في الغرب.

والنزعة المغرقة في المثالية التي تطبع هذه المدرسة واضحة جدا ، اذ ان افكارها في الدفاع عن الشتات ورسالة الشعب اليهودي الموزع في كافة انحاء العالم ليست الا ترجمة للاسطورة الدينية القديمة حول « الشعب المختار » الى لغة علمانية تناسب معطيات العصر ، ومحاولة لتبرير وضع وسطي قائم (تجد قطاعات من الانتلجنسيا نفسها فيه) على عدم مقاومة الصهيونية عن طريق الكفاح ضدها فكريا وعمليا من ناحية ، وعدم الالتزام بها والعمل معها من ناحية اخرى . كما ان نظرية هذه المدرسة في كون اليهود « اهل الكتاب » ، بالمعنى المشار اليه اعلاه ، لا تستند الى اي واقع حقيقي وهي ليست الا عملية تجميل مثالية تبريرية لارتباط اليهود تقليديا بالقطاعات العلوية من البناء الانتاجي للمجتمع ، مما يعني كثافة نشاطهم في قطاعات العمل الذهني والانتاج الفكري . انطلاقا من مواقعها الفكرية المذكورة تحاكم هذه المدرسة الحركة الصهيونية بشيء من التفصيل . على سبيل المثال كتب موريس كوهن مباشرة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ما معناه انه بالرغم عن ان ملايين من اليهود يعانون من الجوع والحرمان في اوروبا لا بد من توجيه النقد الى فكرة اقامة « وطن » او « ملجأ » لليهود في فلسطين لان الصهيونية ليست جمعية خيرية هدفها مساعدة المشردين كي يجدوا مأوى لانفسهم بل تدعي انها تشكل الحل الجذري للمسألة اليهودية (ولا يريد كوهن للمسألة أن تحل عن طريق تصفية الشتات كما تدعو الى ذلك الصهيونية) ، كما يقول هذا المفكر ان تشديد الصهيونية على فلسطين كوطن لليهود يقوم على ايديولوجية قومية تشكل تحديا لكل انسان ما زال يؤمن بالمثل الليبرالية . كذلك يتهم كوهن المفكرين المرتبطين بالصهيونية بالسير في خطى القومية الصوفية الرومانسية التي نشأت في المانيا كرد فعل ضد ليبرالية الثورة الفرنسية وايمانها بالعقل والتنور في مواجهة الارث الثقافي للعصور الوسطى. كما يشدد في اعتراضه على الصهيونية ومشاريعها على ان قيام دولة قومية يهودية في فلسطين يعني بالضرورة دولة قائمة على العنصرية والقبلية في التدين والاعتقاد الصوفي بأرض معينة بينما تفرض التقاليد الليبرالية عكس كل هذه الاشياء . وهو يشبه اهمال الصهيونية لحقوق الاكثرية العربية في فلسطين بالسلوك الجرماني الذي يعتقد بتفوق ثقافته وحضارته على بقية العالم (ص ٦٦) . أي تعطينا آراء كوهن نموذجا جيدا عن هذا المزيج من الالتزام بالمبادىء والمثل الليبرالية من ناحية والاعتقاد بالدور الخاص الذي يقوم به اليهود في الشتات وضرورة استمراره من ناحية اخرى ، وكيف يؤدي هذا المزيج الى نوع معين من المعارضة للصهيونية على الطريقة التي شرحتها اعلاه . وميزة الكتاب الذي نحن بصدده هي انه يعطينا افضل تعبير عن هذا الاتجاه الفكري في أوساط الانتليجنسيا اليهودية الغربية عن طريق جمع زبدة الكتابات التي صدرت عن هذه المدرسة منذ اواخر القرن التاسع عشر حتى ما بعد الحرب العالمية الثانية .

صادق جلال العظم

تهويد فلسطين ، أعداد وتحرير الدكتور ابراهيم ابو لغد ، ترجمة الدكتور اسعد رزوق (مركز الابحاث التابع لـ م. ت. ف. ، بيروت ١٩٧٢) .

يتفق معظم الباحثين في الغزو الصهيوني لفلسطين وما ترتب عليه من نتائج أن أسباب نجاح الصهيونية في اقامة دولة اسرائيل يعود الى التقاء مصلحة كل من الاستعماريين الانجليزي اولا مع الاهداف الصهيونية ، والامريكي ثانيا مع اسرائيل، بالاضافة الى تقدم الحركة الصهيونية تاريخيا واجتماعيا على الحركة الوطنية في العالم العربي. الا ان هناك عاملا هاما جدا قلما اشار اليه الباحثون ساهم مساهمة فعالة في نجاح الغزو الصهيوني في نهاية الاربعينات وفي التوسع الاسرائيلي في عام ١٩٦٧ وهو غياب الصوت العربي عن العواصم ذات الثقل السياسي في الغرب وتمكن الوجود الصهيوني المادي فيها في الوقت نفسه . هذا الوجود الحقيقي للصهيونية في المجتمعات الغربية لعب وما زال يلعب دورا فعالا في التأثير على رجال السياسة وعلى الانتلجنسيا التي تقود « الرأي العام » هناك . فالصهيوني كمواطن انكليزي او اميركي ، عارف للغة وثقافة المجتمع الذي ينتمي اليه يملك كل الوسائل القانونية والنفسية ويستغلها استغلالا ممتازا في عرض قضيته عرضا مناسبا ، فهو اما استاذ محاضر في الجامعة او قاض في المحكمة العليا او عضو في الحكومة ، او نائب مهم في البرلمان او مستشار لصانعي السياسة .

بالرغم أن هذا الوضع لم يتغير كثيرا منذ قيام اسرائيل ، الا اننا نلاحظ ظاهرة جديدة جاءت نتيجة مباشرة للغزو اليهودي وهي اندفاع الفلسطينيين المشردين اندفاعا لا نظير له نحو التعليم العالي . وبالتالي ظهور طبقة انتلجنسيا فلسطينية خلال عقدي الاحتلال الصهيوني . هذه الطبقة التي تعي دورها القيادي في تصحيح ثمانين عاما من التزييف الذي تم لتاريخنا على أيدي قادة الصهيونية ومثقفيها اولا، وضعت نصب أعينها تنوير الرأي العام العالمي والعربي على حقيقة ما جرى وما يزال يجري على ارض وطننا وخارجه. ومن بين هؤلاء المثقفين الفلسطينيين الاستاذ ابراهيم ابو لغد ، احد اساتذة العلوم السياسية في جامعة نورث وست والذي اعد وحرر كتاب « تهويد فلسطين »* (الذي أسف الاستاذ توينبي « لتأخر صدوره حتى هذا اليوم ») .

تكمن أهمية هذا الكتاب الشامل في النظرة الاصيلة والنقدية للصراع مع اسرائيل ، فالدكتور أبو لغد يرفض النظرة التقليدية التي روجها الصهاينة في الغرب بأن الصراع حول فلسطين هو صراع « بين دول ذات سيادة قومية » ، اي أنه صراع بين اسرائيل والدول العربية المحيطة بها . ويشير بحق الى ان المشكلة هي بين الشعب الفلسطيني والغزاة الصهاينة . من هذه الزاوية جاء كتابه لتصحيح هذه التصورات الخاطئة وللتأكيد « بأن المشكلة الاساسية في المنطقة العربية أنما هي مشكلة استرداد الحقوق الفلسطينية في ارض فلسطين » تلك الحقوق التي سلبتها الصهيونية بمساندة الاستعمار القديم والجديد . لذلك قوله « وحتى لو افترضنا بأن الدول الكبرى والامم المتحدة تمكنت من حل المشاكل المتعلقة بين اسرائيل والدول المتاخمة فان ذلك لا يمس المشكلة الاصلية من قريب او من بعيد » .

لعل من أهم المقالات التي جمعها هذا المجلد هي مقالة الدكتورة جانيت أبو لغد « التحول الديمغرافي لفلسطين » والتي تفتتحها بالقول : « فيما عدا ابادة التاسمانيين ، لا يعرف التاريخ الحديث حالات جرى فيها استبدال كامل بالفعل للسكان الاصليين في بلد ما بأجناس من الدخلاء ، وتم انجاز عملية الاستبدال هذه في غضون مدة قصيرة لا تتجاوز جيلين من الناس ، غير أن هذا الواقع هو ما جرت محاولته في فلسطين منذ بداية القرن العشرين » .

والسؤال الذي تطرحه المؤلفة هو كيف تمت عملية التحويل هذه ؟

تتفق المؤلفة مع كثير من الكتاب بأن الانتداب البريطاني هو المسؤول الاول عن تغيير خريطة السكان في البلاد ، لهذا كانت نقمة العرب على هذا الانتداب الذي «لم يسعوا نحوه ابدا»، ولكن بالرغم من سياسة حكومة الانتداب الصهيونية فقد

---

* يضم النص العربي اثني عشر مقالا تتناول الجوانب المختلفة للقضية الفلسطينية .

بقي العرب حتى عام ١٩٣٢ في مركز الاكثرية . كما اننا نلاحظ انخفاضا في هجرة اليهود في نهاية العشرينات « ليصبح صافي المتدفق منها بضعة الاف من المهاجرين في السنة » . بمعنى اخر ان الحركة الصهيونية بالرغم من الدعاية الهائلة والعمل الجاد المتواصل قد فشلت في العقد الاول من الانتداب في اجتذاب اليهود الاوربيين الى الهجرة الى فلسطين . الا أن ظهور الفاشية في اوروبا واستيلاء هتلر على الحكم في المانيا قد غير من الوضع . « لو أن السياسة الالمانية سارت في طريق آخر عند مطلع الثلاثينات ، لما كانت هناك على الارجح ، « مشكلة فلسطينية » ، في الاربعينات ، ولا نزاع عربي — اسرائيلي اليوم ». سياسة هتلر اللاسامية قد لعبت في أيدي القادة الصهاينة وجاءت لمصلحتهم اذ زاد تدفق اليهود الى فلسطين بعد عام ١٩٣٣ ، مع هذا فان ارتفاع عدد المهاجرين لم يستطع تغيير ديموغرافية البلاد بشكل راديكالي . ذلك ان اليهود بقوا أقلية بالمقارنة مع سكان فلسطين العرب ، كما جاء في تقديرات حكومة الانتداب في نهاية عام ١٩٤٦ اذ كان اليهود يؤلفون ٣١ ٪ من مجموع السكان .

ترى المؤلفة بحق ان الذي ساعد فعلا على تحويل فلسطين الى بلد يهودي هو قرار الامم المتحدة حول تقسيم البلاد في عام ١٩٤٧ الذي أقر بشرعية دولة يهودية في قسم من البلاد يؤلف العرب فيه الاكثرية المطلقة . « .. لو احترم مشروع التقسيم حكم الاكثرية او لو جرى اخضاعه لاستفتاء ، فان دولة اسرائيل الوليدة لم يكن لها ما يبررها » . ان تشريد اكثرية السكان العرب جاء نتيجة للاحتلال الاسرائيلي وقد جاءت اتفاقية الهدنة (١٩٤٩) لتعترف بسيطرة اسرائيل « كأمر واقع على المناطق التي احتلتها حتى تاريخه ، وبذلك تكون اسرائيل قد انجزت في مدة تتجاوز العام بقليل ما فشلت عقود من الهجرة فشلا ذريعا في تحقيقه ، اي في احداث تحول ديموغرافي كامل ضمن حصة « الاسد في فلسطين » .

ولكن المؤلفة تصل في نهاية هذه الدراسة الجادة الى نتيجة هامة ، وهي انه بالرغم من قيام اسرائيل وغزوها وتوسعها بقي الفلسطينيون — حتى بعد حزيران ١٩٦٧ — محافظين على عددهم بالنسبة لعدد المستوطنين اليهود . ولكنها تحذر في نفس الوقت بأن دولة الاحتلال التوسعية الواعية لعنصريتها والحريصة على بقائها « يهودية بمقدار ما هي انجلترا انجليزية » ستسعى بجهد لتشريد البقية الباقية من عرب فلسطين الذين ما زالوا يقاومون هذا التشريد .

مقالة اخرى جادة ضمها هذا الكتاب هي مقالة ارسكين ب. تشيلدرز ، من اكثر الكتاب الغربيين موضوعية وتفهما للمأساة الفلسطينية . وهو باعتقادي من الكتاب الغربيين القلائل الذين فضحوا الحركة الصهيونية كحركة استيطانية وربطوا بينها وبين حركة الاستيطان الاوربية في افريقيا . وأهمية مقالته تكمن في الوثائق الاصيلة والموثوقة التي خطها قادة ومثقفون صهيونيون حول ما كانوا يخططون له في فلسطين . فهذا هرتزل على سبيل المثال يكتب في مذكراته الشخصية التي بقيت قيد الكتمان ان على المستوطنين اليهود ان ينزعوا ملكية العرب الخاصة . بل يذهب الى ما هو أبعد من ذلك : « سوف نحاول تسريب السكان المعدمين عبر الحدود بتأمين مجالات الاستخدام لهم في بلدان العبور ، على ان نسد أمامهم كل مجال للعمل في بلادنا . « العمليتان » عملية نزع الملكية وعملية ابعاد الفقراء ، يجب تنفيذهما **بحذر واحتراس وتكتم** »* .

وقد علل هرتزل اهمية هذا التكتيك (التنفيذ بحذر واحتراس وتكتم) على الوجه التالي : « في السياسة لا ينبغي الافشاء بكل شيء امام عامة الناس ، بل باعلان النتائج فقط ، وما من شأنه الفائدة في الجدل » لذلك كان هرتزل منسجما مع نفسه حين كتب ، بعد كل ما كتب حول نزع الملكية من العرب ، وطردهم ، الى الزعيم المقدسي يوسف ضياء الخالدي مبشرا بأن هجرة اليهود الى فلسطين ستزيد في رخاء سكانها العرب وثروتهم الفردية !

مات تيودور هرتزل عام ١٩٠٤ ولكن توصياته تبنيت ووضعت موضع التنفيذ من قبل اتباعه ، كما يظهر ذلك بوضوح في مقالة الاستاذ الان ن. تايلور « الرؤيا والقصد في الفكر الصهيوني » . يعالج تايلور في مقالته « التصريح والتصميم » في العمل الصهيوني ، ويصل الى النتيجة بأن الصهيونية تساير في اللفظ الرأي العام العالمي . بينما « اختلف الامر في اغلب الاحيان بالنسبة للتصميم».

---

* التشديد من كاتب المراجعة .

فهذا وايزمان — على سبيل المثال لا الحصر — يعلن للرأي العام « قبوله » استثناء النقب من الدولة اليهودية المقترحة عام ١٩٤٧ ، الا انه في نفس الوقت يخبر جمهوره اليهودي سرا* بأن النقب « لن يهرب منا » .

ان نجاح الصهيونية في غزو فلسطين قد تم في ظروف سياسية واجتماعية محلية ودولية ساعدت على عملية تهويد البلاد وتشريد الفلسطينيين ، ومثل كل الحركات الاستيطانية التي ساندها الاستعمار القديم وما زال يساندها الاستعمار الجديد استطاعت الصهيونية من خلال التصريح والتصميم ، ان تقلب الحقائق وتقدمها للعالم بالقالب الذي تراه صالحا . من هنا جاء كتاب تهويد فلسطين الذي هو بلا أدنى شك من اكثر الكتب الجادة التي ظهرت بعد حزيران ١٩٦٧ ، ليشرح حقيقة ما جرى في فلسطين بصدق وامانة علمية. لذا وجب التقدير للمحرر، وللناشر وللمترجم الدكتور اسعد رزوق ، الذي بذل جهدا رائعا في نقله الى لغة عربية سلسة ، انيقة ومعبرة .

الدكتور ابراهيم ابراهيم

* التشديد من كاتب المراجعة .

Raymond Sayegh, **Le système des partis politiques en Israël,** (Beyrouth : Librairie Samir, 1971).

من النتائج الايجابية لهزيمة الخامس من حزيران ؛ انها كشفت مدى جهل العرب لعدوهم ودفعت بهم الى سلوك خط اعلامي جديد يمكن تلخيصه في شعار « اعرف عدوك » . بينما كانت اسرائيل تنفق اموالا طائلة على الدراسات والابحاث المتعلقة بالمنطقة العربية ، وبكل ما يساعدها على معرفة المجتمعات العربية ادق معرفة ، كان العرب يكتفون باطلاق الاحكام المسبقة والتبسيطات الساذجة بشأن المجتمع الاسرائيلي . لقد كان الخامس من حزيران نقطة انطلاق جديدة للعقل العربي في سعيه وراء معرفة المزيد من الحقائق الموضوعية عن عدوه . وهذا الكتاب هو من ثمرات هذا الخط الجديد وهو يعبر عن جهد اكيد لمعرفة وتوضيح حقيقة الدولة الصهيونية وذلك بدراستها من خلال احزابها السياسية . واختيار مؤلف هذا الكتاب، ريمون صايغ ، لموضوع الاحزاب السياسية هو اختيار مقصود اذ انه يعتبر ان الحاكم الحقيقي في اسرائيل وصانع سياستها هي الاحزاب السياسية وبصورة خاصة حزب المباي . (المقدمة صفحة ١٤) . على كل حال فان هذه مجرد فرضية يحاول الكاتب ، طوال كتابه ان يبرهنها ويؤكدها . لذلك لا بد لنا ، قبل الشروع في دراسة نقدية وتقييمية لهذه الاطروحة من ان نقدم عرضا سريعا لمحتواها . ان هذا الكتاب الذي نال مؤلفه على اساسه شهادة دكتوراه دولة في العلوم السياسية يتناول الاحزاب السياسية الاسرائيلية من خلال تحليل تاريخي وقانوني واجتماعي وسياسي . ولم يكتف الكاتب بدراسة الاحزاب الاسرائيلية كما هي الان بل رسم لنا تطورها الايديولوجي والتاريخي منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر متوقفا عند المراحل الحاسمة كسنة ١٩٤٨ وحتى يومنا هذا مرورا بحرب حزيران . كما ان المؤلف يحاول ان يظهر لنا مدى قوة وتأثير هذه الاحزاب على المواطنين الاسرائيليين وعلى مجمل نشاطاتهم من دينية وثقافية واجتماعية ونقابية واقتصادية وسياسية. ان بنية وبيروقراطية الاحزاب السياسية تستمد قوتها من الوضع القانوني الانتخابي الذي يدرسه المؤلف بتوسع ويحيط بآثاره ومضاعفاته على الحياة السياسية للاحزاب . كما ان الكتاب يحتوي على عدد كبير من اللوائح والارقام التي تتكلم بالتفصيل عن الاحزاب والتطورات التي لحقت بها وحركة تصاعدها او تراجعها وعدد المرات التي شاركت فيها بالحكم ونوع المناصب الوزارية التي حصلت عليها وعدد النواب في الكنيست المنضوين تحت لوائها الخ...ويمكن ايجاز هذا الكتاب كما يلي :

الجزء الاول : العناصر المكونة لنظام الاحزاب السياسية في اسرائيل . وفي هذا الجزء دراسة للعوامل الخاصة في تركيب اسرائيل ذاتها كما فيه تحليل للاطار الايديولوجي ، الاجتماعي والقانوني والدستوري والاقتصادي والسياسي الذي نشأت فيه الاحزاب السياسية كما فيه ايضا دراسة للنظام الانتخابي ومدى تأثيره على نظام الاحزاب.

الجزء الثاني : دراسة لنظام الاحزاب السياسية في اسرائيل وطبيعة هذا النظام . وفي هذا الجزء يتحدث الكاتب عن نظام الحزب المسيطر

والاختلافات الايديولوجية والسياسية ما بين الاحزاب والسيطرة شبه الكاملة لحزب المباي على مجمل الحياة السياسية في البلاد . وفي النهاية يدرس المؤلف العلاقة بين نظام الاحزاب والنظام السياسي وكذلك بين السلطة السياسية ويحلل دور المعارضة في مثل هذا النظام .

لا شك ان هذا الكتاب يشكل وثيقة هامة وعلى جانب كبير من الموضوعية بالنسبة الى المهتمين بدراسة المجتمع السياسي الاسرائيلي من خلال احزابه التي تعبر عن الاختيارات السياسية المصيرية للرأي العام . فهو قد شرح لنا بتعمق وتفصيل طبيعة العلاقة الجدلية والعضوية بين الاحزاب من جهة وبين الرأي العام من جهة اخرى وما ينتج عن هذه العلاقة من قرارات واختيارات تؤثر على مجمل سياسة اسرائيل الخارجية . كما ان أهمية هذا الكتاب تكمن في المعلومات الغزيرة التي من الصعب العثور عليها في كتاب واحد والتي يرجع فضل تجميعها تجميعا ذكيا ومنطقيا الى هذا الكتاب .

ان الباحث الذي يريد ان يتعمق في دراسة الاحزاب السياسية لا بل وحتى الحياة الاسرائيلية ، سوف يجد في هذا الكتاب مرجعا ثمينا ومهما . الا اننا اذا تجاوزنا حدود هذه الدراسة الاكاديمية والتقنية لندخل الى مجال السياسة الآنية او بالاحرى الى مجال التحليلات السياسية ، كما فعل المؤلف في المقدمة والخاتمة فاننا سوف نجد الكثير من الثغرات . فالاستنتاجات والفرضيات التي يريد الكاتب ان يقنعنا بها ، تشكو من عدة نقاط ضعف . لنأخذ مثلا على ذلك : يقول المؤلف ان موضوع هذه الدراسة هو تحليل القوى السياسية في اسرائيل . لماذا ؟ لان القوى السياسية هي في اساس الحلول السياسية (صفحة ١٤) . ومن هنا فان المؤلف يستنتج ان القوى السياسية في اسرائيل هي التي تحدد ، بشكل اساسي ، طبيعة الحل الذي ترتئيه للصراع العربي الاسرائيلي . وهنا يغيب عن بال الكاتب دور القوى الخارجية في صنع سياسة اسرائيل وبشكل خاص الولايات المتحدة الاميركية او بالاحرى فهو يقلل من فعالية هذا الدور . فهو يقول : « اننا نعتقد شخصيا ، مثل الكثير غيرنا ، ان بامكان الضغط الاميركي ان يكون قويا جسدا ولكننا لا نعتقد بان هذا الضغط يمكن ان يكون حاسما . ان الولايات المتحدة الاميركية تبدو كأنه لم يعد بامكانه ان يرد احد ابنائه المتمردين الى الصواب » . ان هذا الاستنتاج يقلل من قيمة العلاقة العضوية والارتباط المصيري بين الولايات المتحدة واسرائيل . فالذي يحصل ليس مجرد تمرد ابن على سلطة ابيه ، بل هو ، في رأينا ، تواطؤ اكيد وان كان خفيا احيانا ، قائم على مصالح واهداف استراتيجية مشتركة . ان القول بأن الاحزاب الاسرائيلية هي مركز الثقل في تكوين وصياغة الاختيار السياسي يصح اذا اخذنا اسرائيل بحد ذاتها اي بمعزل عن المحيط الخارجي الذي تعمل ضمنه وبه . الا ان هذا المقولة سرعان ما تتهاوى وتتهافت عندما توضع اسرائيل في موضعها الطبيعي . غير انه من الواجب ان نضيف ونستدرك بسرعة بان مثل هذه الاستنتاجات تظل « مجرد اراء شخصية » حسب تعبير المؤلف نفسه ، كما انها لا تنتقص من قيمة وعلمية الكتاب شيئا . بالاضافة الى ذلك يستعرض المؤلف الاتجاهات والمواقف الاساسية التي ، على حد قوله ، بامكانها ان تؤثر على مجرى الاحداث وتؤدي الى حل للصراع او الى مأزق صعب . وهذه الاتجاهات والمواقف تتمثل عبر خمس قوى وهي القوى السياسية في اسرائيل ، الرأي العام الاسرائيلي ، قسم لا بأس به من المثقفين الاسرائيليين (اوري افنيري) ، المنظمات الفلسطينية ، والدول العربية المعنية مباشرة بالصراع . هنا ايضا نرى المؤلف يهمل اهمية الواقع الدولي وارتباط الحل ، الى حد ما ، به .

على كل حال ، فان هذه الانتقادات لا تتناول الا الجانب السياسي من الكتاب وهو لا يشكل الا جزءا صغيرا فيه . اما الجانب الوثائقي فيكاد يكون افضل ما كتبه وجمعه عربي في هذا المجال سواء من ناحية المنهج ام من ناحية المحتوى . ان الجهد الذي بذله ريمون صايغ في هذه الدراسة العلمية يؤكد ، مرة اخرى ، ان العقل العربي قد استفاد كثيرا من تجربة نكسة حزيران اذ ان الروح التحليلية والمنهجية قد حلت محل التعميمات والتبسيطات التي كانت تتميز بها معظم الابحاث المتعلقة بالصراع العربي الاسرائيلي .

ان هذه الاطروحة هي ، في النهاية ، مساهمة حقيقية في اغناء مكتبة الابحاث العربية المتخصصة في دراسة المجتمع الاسرائيلي دون تشنجات ذاتية وهي من هذه الناحية ، تشكل ردا متواضعا جدا ولكنه اكيد على هزيمة العقل الاعلامي العربي .

الياس نجم

كنائس الشرق الادنى والقضية الفلسطينية

انفو كول

يعالج هذا البحث موقف الكنائس في الشرق الادنى من القضية الفلسطينية على النحو الذي عبرت عنه بيانات وتصريحات رؤساء هذه الكنائس ومجالسها وممثليها الاخرين في الفترة ما بين عام ١٩٦٧ وعام ١٩٧١ . وهذا يعني أن البحث ، هنا ، اقتصر على الوثائق الموجهة الى جمهور واسع نسبيا ، بينما أسقط من الحساب التصريحات والاقوال غير العامة والآراء الشخصية في طبيعتها . ومن جهة أخرى ، اقتصرت مصادر هذا البحث على ما توفر من مادة ، بهذا الصدد ، في « مركز التوثيق » التابع « لامانة مسكونية الشباب والطلاب في الشرق الاوسط » . ويقع معظم هذه المادة التي تناولها البحث في ملفين اثنين هما : « مسيحيو الشرق الادنى والمشكلة الفلسطينية » ، وملف «القدس» . كذلك لم يتسن لي ، في هذا البحث ، سوى الاعتماد على الوثائق المتوفرة باللغتين الانكليزية والفرنسية فقط . وعلاوة على ذلك ، ان مواد مصادر هذا البحث ليست دائما مرضية من زاوية الدراسة التحليلية النقدية للنصوص ، اذ ما يقارب نصف هذه المواد هي من قصاصات الجرائد ، كما أن طبيعة الترجمات الانكليزية لا توحي في بعض الاحيان بأنها مثلى ، ويتسنى ملاحظة ذلك عند مقارنة النص الانكليزي بنظيره الافرنسي . ولا ريب ان الطبيعة الانتقائية للوثائق موضوع الدراسة كان لها تأثير في تقويمها واعتبارها ، وبالتالي فان النتائج المستخلصة من دراستها هي ، في كثير من الحالات ، ظنية في طبيعتها ، بينما في حالات أخرى يوجد من الشواهد ما يكفي لدعم النتائج المستخلصة .

ان النداءات التي تشتمل عليها الوثائق موضوع البحث صادرة عن كنائس منفردة ، أو عن كنائس احدى البلدان مجتمعة ، أو عن مجموع كنائس منطقة اقليمية او عن كنائس من ملة واحدة .

وينطق بلسان الكنائس في هذه الوثائق رؤساؤها مثل البطاركة ورؤساء المجامع الكنسية وما الى ذلك ، وقد يتحدث باسمها مسؤولون آخرون كبار فيها مثل المطارنة بصفتهم رؤساء أقاليم ، وكذلك ، في حالة الكنائس البروتستنتية قد ينطق بلسانها القس أو راعي الابرشية فيها . وهم يتحدثون ، في الوثائق موضوع الدراسة ، بصفتهم الرسمية كمسؤولين ، كما يتحدثون في عظاتهم الدينية ومحاضراتهم الاخلاقية ، كذلك يتحدثون بصفتهم الشخصية كأشخاص عاديين . وتأخذ آراؤهم وافكارهم التي يعبرون عنها أشكال تصريحات ، أو نداءات ، أو مذكرات ، أو مقابلات ، أو رسائل وبرقيات .

ويبلغ عدد البيانات والنداءات والتصريحات التي جرى تمحيصها ودراستها وتقويمها في هذا البحث ٤٨ منها ٣٣ بيانا أو تصريحا صادرا عن كنيسة منفردة أو عن مسؤول واحد في احدى الكنائس و ١٥ بيانا صادرا عن مجموعة من الكنائس مرتبطة مع بعضها اقليميا أو برباط الملة الواحدة ، وتتمثل في الوثائق موضوع البحث ١٨ كنيسة من كنائس الشرق الادنى واثنان من المجالس الكنسية هما : مجلس الطائفة الانجيلية في لبنان ، ومجلس كنائس الشرق الادنى . والبيانات الصادرة عنهما لم توزع على الكنائس الاعضاء فيهما .

ومن حيث عدد الوثائق والبيانات والتصريحات الصادرة عن كل واحدة من كنائس الشرق الادنى نجد ان كفة الكنيستين الروميتين وهما الروم الارثوذكس والروم الكاثوليك ترجح على ما عداهما ، اذ صدر عنهما ما مجموعه ٢١ من مجموع الـ ٣٣ بيانا منفردا ، كما وقعتا ١٢ من مجموع البيانات المشتركة الخمسة عشر . (بينما اقتصرت البيانات

الثلاثة الاخرى على الكنائس القبطية المصرية) . ولذلك فان هاتين الكنيستين تتميزان عن غيرهما من كنائس الشرق الادنى . وتليهما ، بعد هوة واسعة ، كنيسة الروم الارمنية الموقعة على سبعة تصريحات وبيانات مشتركة . وبعد هذه ، هنالك انخفاض في عدد البيانات الصادرة عن الكنائس حتى ان مساهمة عدد من الكنائس في هذا المضمار اقتصرت على توقيع بيان مشترك واحد ، ومن الصعب ان يقول المرء شيئا محددا عن هذه المجموعة الاخيرة من الكنائس ، وليس للمرء الا ان يفترض أن هنالك عددا آخر من هذه الوثائق لم تدرج في مادة مصادر البحث ، واي عدد مهما كان قليلا ، من هذه الوثائق ، غاب عن السجلات يؤثر على رتبة الكنيسة في هذا الصدد ، كما يؤثر في بيان حقيقة موقفها .

ويبدو ان واقع وجود الملفات موضوع الدراسة في لبنان كان له تأثير في انتقاء المواد والوثائق وحفظها فيها . فمن بين البيانات المنفردة الاحدى والعشرين الصادرة عن كنيستي الروم الارثوذكس والروم الكاثوليك نجد تسعة منها ، أي ما يقرب من نصفها ، قد صدرت عن واحدة من هاتين الكنيستين في لبنان ، وكذلك بالنسبة للكنائس الاخرى ، عدا الروم الارثوذكس والروم الكاثوليك ، نجد ان النسبة هي ٥ من ١١ أي النسبة ذاتها . أما بخصوص البيانات المشتركة فان نسبة الصادر منها عن كنائس لبنان تنخفض الى ٥ من مجموع ١٥ بيانا مشتركا ، أي بنسبة الثلث . وتشير هذه الحقيقة الى ان البيانات المشتركة تحظى باهتمام أوفر من وسائل الاعلام يتجاوز حدود البلد الصادرة فيه مما جعل نسبة البيانات المشتركة الصادرة عن كنائس خارج لبنان تتفوق على ما صدر منها في لبنان ، في حين ان البيانات المنفردة أقل حظا في تجاوز حدود البلد الصادرة فيه مما جعل نسبة الصادر منها في لبنان المحفوظة في الملفات تساوي تقريبا نسبة ما حفظ في السجلات من البيانات المنفردة الصادرة عن كنائس خارج لبنان . وقد لا تكون هذه الظاهرة الزامية وحتمية بل تتعلق بأساليب التسويق لدى وسائل الاعلام بدليل كثرة تواتر التصريحات الشخصية لبطريرك الروم الكاثوليك مكسيموس الخامس في الصحافة العالمية ، بيد أن الاتجاه العام يشير عموما الى النتيجة المستخلصة التي أوردناها آنفا . "

وضمن هذا الأطار ، يبدو عدم وجود عدد كبير من البيانات الصادرة عن الكنيسة المارونية أمرا مثيرا للدهشة ، اذ بصفتها من أعظم كنائس الشرق الادنى ولكون مقرها في لبنان يتوقع المرء أن تكون ممثلة في ملفات نسقت في لبنان بأكثر من مجرد بيانين مشتركين وتصريح واحد منفرد فقط . وبهذا الصدد تتفوق على الكنيسة المارونية بعض الكنائس الصغيرة مثل الكنيسة الانجيلية في الاردن ، ناهيك عن كنيسة الروم الكاثوليك ووثائقها الثلاث والعشرين المحفوظة في الملفات مع أن عدد رعاياها في الشرق الادنى هو ٢٦٠٠٠٠ في حين أن عدد المارونيين في لبنان فقط ٤٥٠٠٠٠(١). كذلك ، ان الاهتمام العام لدى الارمن الارثوذكس بالقضية الفلسطينية ، وهم بمثابة ضيوف في البلدان العربية ، يفوق الوثائق المارونية بهذا الصدد بنسبة ٧ الى ٣ ، ونكتفي ، بهذا الخصوص ، بهذين المثالين .

ان وجود الوثائق الصادرة عن الكنائس القبطية في مصر ضمن المادة موضوع البحث من المحتمل أن يكون بمحض الصدفة أكثر منه في حالة الكنائس الاخرى ، الا ان هذه الوثائق المتوفرة تدل على اتجاهات عامة معينة ، وعلى وجه الخصوص ، تشير البيانات المشتركة الثلاثة الصادرة عن رؤساء الكنيسة القبطية الى وجود شعور من التضامن الثقافي ـ العرقي ضمن الاطار القومي ، ولذا فان الصراع من أجل فلسطين ، يتخطى حدود التباين في الملة . ومن جهة أخرى ، بالاضافة الى تواتر ورود اسم الروم الارثوذكس والروم الكاثوليك معا في البيانات المشتركة ، هنالك حالة واحدة فقط اشتركت فيها الكنيسة الارثوذكسية الام مع حفيدتها الكنيسة الكاثوليكية في توقيع وثيقة واحدة وهي كنيسة السريان الارثوذكس والسريان الكاثوليك في البيان الصادر عن الكنائس السورية بعنوان «نداء الى الضمير المسيحي » . أما القول ان الاطار الحاسم في الوثائق المصرية كان الاطار الثقافي وليس القومي ، فيؤكده غياب توقيعات الكنائس المصرية غير القبطية على البيانات المشتركة .

وتظهر البيانات المشتركة مهتمة بأن الجانب

---

١ ــ هذه الارقام استنادا الى الدكتور هورنر من السنودس الوطني للانجيليين في سوريا ولبنان .

القومي — الاقليمي كان العامل الغالب في حشد مجموعة من الكنائس لاصدار بيان مشترك اكثر من عامل الارتباط الملي . فالبيانات المشتركة الخمسة عشر الصادرة عن كنائس الشرق الادنى منذ عام ١٩٦٧ بصدد القضية الفلسطينية يمكن تقسيمها الى ثلاثة بيانات صادرة عن كنائس ترتبط برباط الملة الواحدة (أعضاء مجلس الكنائس العالمي) ، وأربعة بيانات صادرة عن كنائس مرتبطة اقليميا (ثلاثة صادرة من الضفة الغربية ومذكرة علماء اللاهوت في الشرق الادنى) ، وثمانية بيانات مشتركة صادرة عن مجموعة من الكنائس في احد أقطار الشرق الادنى (لبنان ٢ ، سوريا ٢ ، مصر ٣ ، الاردن ١) .

وقد شارك الزعماء الدينيون المسلمون في توقيع أربعة من البيانات المشتركة الخمسة عشر الى جانب رؤساء الكنائس المسيحية ، وبما ان ثلاثة من هذه البيانات المشتركة الاربعة قد صدرت في الضفة الغربية فان هذا يدل على أن الشعور القومي العربي في وجه الاحتلال الاجنبي قد تجاوز فوارق التباين الديني .

والغالبية الساحقة من الوثائق موجهة الى الغرب، بينما أقلية منها تبقى في اطار البلدان العربية ، أي أنها موجهة الى مواطني البلد الذي تقوم فيه الكنيسة أو الكنائس أو الى رعاياها ، وان النسبة بين مجموعتي الوثائق هي ٣٦ الى ١٢ أي ما يعادل ٣ الى ١ . وغالبا ما تكون وثيقة واحدة موجهة الى عدة جهات لا سيما في حالة البيانات العامة والرسائل المفتوحة ، بينما هنالك وثائق موجهة الى جهة معينة . والوثائق التي تبقى في اطار الشرق هي دائما من الفئة الثانية أي الموجهة الى جهة معينة ، بينما الوثائق الموجهة الى الغرب غالبا ما تخاطب معا بصورة عامة « الضمير العالمي » ، و « الضمير المسيحي » ، و « الانسانية » . الخ ... وبين الوثائق الموجهة الى الغرب نجد ان ما هو موجه منها الى المسيحية بصورة عامة والى هيئات كنسية معينة تشكل الغالبية ، بينما لا نجد سوى نداءين اثنين موجهين الى منظمة الامم المتحدة مباشرة ، رغم أنه ، كثيرا ما يرد ذكر قرارات الامم المتحدة ويشار اليها في محتويات الوثائق كما سنرى لاحقا . كذلك خاطبت الوثائق مرتين كلا من الضمير العالمي والحكومات الغربية ، وكثيرا ما تخاطب الوثائق الكنيسة اللاتينية ممثلة في شخص البابا ومجمع الاساقفة من جهة ومجلس الكنائس العالمي بواسطة امينه العام أو بصورة عامة (٩ مرات) ، وهذه مجتمعة تحتل المرتبة الاولى من حيث عدد الوثائق الموجهة اليها. ومرة او مرتين وجهت نداءات في الوثائق الى كل من رئيس اساقفة كنتربري بصفته رئيسا للكنيسة الانجليكانية والى البطريرك المسكوني للارثوذكس. أما الوثائق غير الموجهة للغرب فتتكون من صلوات ورسائل رعاوية ؛ اي الرسائل التي يوجهها الاسقف الى ابناء ابرشيته) ونداءات الى المواطنين .

تحظى المصطلحات التي تنطلق منها الوثائق في التعبير ، وفي اشكال استخدامها لهذه المصطلحات بأهمية في تقويم محتويات الوثائق . وقد تكون وظيفة الوثيقة هي تحليل الوضع في الشرق الادنى اما الى الجهات الكنائسية في الغرب او لبلورة الادراك لذلك الوضع في بلد الكنيسة ذاته او داخل الكنيسة ذاتها . وقد تكون لاطلاع الجهة الغربية المخاطبة على احداث معينة او لجلب الانتباه لهذه الاحداث ، وقد تكون طلبا للمساعدة او لاتخاذ اجراءات معينة . ومن جهة اخرى ، قد تتحدث الوثيقة على الصعيد اللاهوتي او السياسي او الاخلاقي وبمصطلحات كل منها . وقد لا يتيسر التمييز في الوثائق بين جميع هذه الجوانب بصورة محددة ودقيقة ، اذ ان البون ليس واسعا بين المعلومات التفصيلية والتحليل . بيد ان هنالك فرقا واضحا بين أسلوب البرقيات التي بعث بها رؤساء الكنيسة القبطية الى البابا ومجلس الكنائس العالمي وآخرين بتاريخ ١٩٧٠/٢/١٧ و١٩٧٠/٤/٩ بصدد الغارات الاسرائيلية على المدارس والمصانع والاماكن المدنية وبين المذكرة التي اصدرها كوربون وخضر وقفعيتي ولحام بتاريخ ١٩٦٧/٦/١٨ وهي بعنوان : « ما هو المطلوب من العقيدة المسيحية نحو القضية الفلسطينية ؟ »

الموضوعات الرئيسية التي تطرقت الوثائق الى معالجتها :

تتفاوت الوثائق الى حد بعيد في الشكل والمضمون. وحتى نقف على ما تعنيه « القضية الفلسطينية » في نظر كنائس الشرق الادنى اقترح مناقشة مضمون الوثائق من اربعة وجوه :

أ — اللاجئون وحقوق الشعب الفلسطيني : يعالج

حوالي خمسي الوثائق ، بصورة اكثر او اقل اتساعا ، مشكلة اللاجئين . وغالبا ما تشمل هذه المعالجة كذلك بعض الاعتبارات حول الشعب الفلسطيني ككل وحول حقوقه . وتحظى مسألتان هما : وضع المسيحيين في فلسطين والموقف من نشاط الفدائيين بعناية خاصة في هذا الصدد . وتعالج المسألة بصورة عامة على صعيدين هما : ابلاغ الوقائع وتحليلها من جهة ، واعلان مواقف وطلب الاستجابة لمطالب من جهة اخرى . فمن ناحية ابلاغ الوقائع وعرضها هناك جهة في الوثائق لعرض الوقائع بصورة قريبة لاذهان رجال الكنيسة الغربيين ، اذ تذكر الوثائق المرة تلو الاخرى عدد اللاجئين الكبير ، وتتحدث عن ظروف عيشهم البائس في المخيمات لمدة عشرين عاما او يزيد . وكثيرا ما ترد صيغ من هذا القبيل في وثائق غير مخصصة لبحث مشكلة اللاجئين ، بل تأتي على ذكرها ضمن المسائل الاخرى التي تتوجه لمعالجتها. وتعبر بعض الوثائق عن اوضاع ومواقف ملموسة مثل : « رسالة من رؤساء الكنيسة القبطية الى اخوانهم المسيحيين » الصادرة في خريف عام ١٩٦٨ والتي تعبر عن « الخشية من تجدد القتال من جديد » ، وكذلك رسالة مجلس كنائس الشرق الادنى الى مجلس الكنائس العالمي اثر الحرب مباشرة بصدد موجات نزوح اللاجئين الجديدة التي اعقبتها ، بينما توجد وثائق اخرى تذكر بالاحوال القائمة دائما ودون ان يكون هناك سبب مباشر . وعندما تتجاوز الوثائق مجرد ذكر الوقائع وتتوسع في اعطاء صورة عامة عن خلفية الوقائع والاحداث ينحو التحليل نحو اتجاهين هما : الوضع المادي للاجئين وعناؤهم الروحي . وتصف الاوضاع المادية للاجئين بالقول انهم : طردوا من بيوتهم واملاكهم، وانهم يعيشون منذ عشرين عاما في ظروف غير انسانية في مخيمات شديدة الازدحام بهم حيث « يعانون من سوء التغذية ويعيشون في مأوى وضيع غير مناسب ، ويرتدون فضلات الاخرين من الاسمال البالية » .

ومن الناحية الاخرى ، تؤكد على عواقب هذا الواقع على حياة اللاجئين الاجتماعية والخلقية ، اذ « ينشأ الشباب محرومين من بطاقات هويتهم ومن ارضهم ، مشبعة نفوسهم بالحقد والمرارة وروح الانتقام » ، كما قال الاب عزي امام مجمع الاساقفة في روما . كذلك تتحدث باللهجة ذاتها « رسالة من رؤساء الكنيسة القبطية »(٢) التي ورد فيها « لقد رأينا الامل لدى شعبنا يخلي مكانه لليأس ، والحزن ينقلب الى قنوط ، ورأينا الغضب يتحول الى حقد » . وكثيرا ما تقارن المظالم التي لحقت بالفلسطينيين بما قاساه اليهود من آلام في اوروبا « ان هذه المعاناة من الالام والحرمان توازي معاناة الشعب اليهودي في ظل الرايخ الثالث ، وتساويها في قبحها »(٣)، كذلك فان «نداء المسيحيين في يوم غزة » يستنكر « معسكرات الاعتقال والتعذيب الجماعي في صحراء سيناء » ويمضي قائلا : « كيف يستطيع هؤلاء الذين استجاروا عن حق ، بالانسانية ضد الجرائم النازية ان يسجنوا الابرياء وزوجات الملاحقين ؟ »(٤). اما المبادىء الاخلاقية والانسانية العامة التي يورد ذكرها على انها تأثرت نتيجة الوضع الراهن للفلسطينيين فهي : العدالة ، السلام ، حق تقرير المصير ، التضامن ، حق الشعب في دياره ووطنه، واكثر هذه المبادىء ورودا هي العدالة . اما حقوق الفلسطينيين فيؤكد على انها « خالدة » ولم تنتطع يوما عن الوجود .

وبعد ان تعرض الوثائق وضع اللاجئين وتبين وجود خطر دائم من تجدد العدوان الاسرائيلي ، وتعلن حقوق اللاجئين ، تمضي الوثائق الى طلب الدعم ، المادي والروحي ، من اخوانهم الغربيين ، مع ان التأكيد هو بجلاء على الشق الثاني (اي الدعم الروحي) . لقد طلبت المساعدة المادية مباشرة بعد حرب عام ١٩٦٧ ، ولكن منذ ذلك الحين ، يبدو ان مجهودات وكالة اغاثة اللاجئين وعون الكنائس كانت كافية لتؤمن حدا ادنى معينا من مستوى العيش، بحيث ان كنائس الشرق الادنى لم تر حاجة للقيام بحملات عامة لهذا الغرض . وتعبر عن الاهتمام الاساسي للكنائس في هذا الصدد الجملة الختامية في رسالة مجلس كنائس الشرق الادنى حول اللاجئين : « اننا نتوجه اليكم ،

---

٢ — رؤساء الكنيسة القبطية « رسالة الى الاخوة المسيحيين » ١٩٦٨ .

٣ — رسالة كنائس سوريا ولبنان الاعضاء في مجلس الكنائس العالمي الى الامين العام لمجلس الكنائس العالمي بتاريخ ١٩٦٧/٦/٢٧ .

٤ — « نداء المسيحيين لمناسبة يوم غزة » الذي اصدره ممثلو الكنائس في لبنان بتاريخ ١٩٧١/٦/٥ .

كاخوتنا في المسيحية ، بأن تنضموا الينا ليس في جمع الصدقات لهؤلاء المعوزين فحسب ، بل في مساعدتهم للحصول على العدالة التي يستحقون »(٥).

وكثيرا ما تطلب الوثائق من المسيحيين الغربيين والكنائس بأن تستخدم نفوذها لدى الراي العام في الضغط على حكوماتهم وعلى الدول الكبرى ومنظمة الامم المتحدة لصالح الفلسطينيين . وغالبا ما تعبر البيانات ، في هذا الصدد ، عن خيبة الامل بسبب لا مبالاة المسيحيين في الغرب ازاء هذا الامر او لدعمهم للمزاعم الصهيونية . « انه مما يشعرنا بألم عميق ومرارة شديدة ، نحن المسيحيون ، ان نسمع بعض اخواننا المسيحيين في الغرب يعلنون ، بكل راحة ضمير ، دعمهم غير المتحفظ للعدوان الاسرائيلي »(٦). كما ان بطريرك الروم الكاثوليك مكسيموس الخامس صرح في مقابلة مع احدى الصحف البلجيكية قائلا : « اننا معشر المسيحيين الشرقيين نشعر بأننا منسيون ومهملون ، ولا نود ان نقول اننا نشعر بخيبة امل، عندما لا نجد مؤيدين لقضيتنا » . ان القيام «بحملة من اجل جلاء الحقيقة على نطاق العالم بأسره » يعد عملا حاسما ، وبالتالي فان من واجب المسيحيين ان يتابعوا وقائع الاحداث وان يمحصوها لينقلوها الى جمهورهم وفق ما نادت به مذكرة رجال اللاهوت في الشرق الادنى في عام ١٩٦٧ ، وخطاب البطريرك مكسيموس الخامس في روما في عام ١٩٧١ ، وكما نادى بذلك اخرون مرارا . وتتجاوز بعض الوثائق النداءات العامة لاقرار السلام والعدالة بتعيينها مطالب ملموسة من بينها اعادة اللاجئين الى وطنهم ، وارجاع ممتلكاتهم لهم او تعويضهم عنها تعويضا عادلا ، وضمان حقوقهم السياسية كاملة في وطنهم .

هنالك جانب خاص من الحوار ، غالبا ما يتطرق اليه رجال الكنائس الكاثوليك ، هو مصير الفلسطينيين المسيحيين او « المسيحيين في الاراضي المقدسة » . فقد ادى وجود نسبة أعلى من المسيحيين بين العرب المطرودين وأولئك المهددين بالطرد الى ظهور نداءات للتضامن داخل صفوف المسيحيين تجاه الغرب . ويحمل لواء هذه الدعوة، بوجه خاص ، بطريرك الروم الكاثوليك مكسيموس الخامس الذي ما زالت له أبرشية كبيرة في الجليل ، وان كانت هذه الابرشية في ضمور دائم ، وكان هو نفسه رئيس أساقفة هذه الابرشية لسنوات كثيرة ، كما عبر عن دعوة مماثلة بطريرك اللاتين بيلتريتي .

ومن المسائل الاخرى التي تسترعي الاهتمام مدى تأييد نضال الفلسطينيين لاحراز حقوقهم ، او بعبارة اخرى ، ما هو الموقف الرسمي لكنائس الشرق الادنى من حرب التحرير المتمثلة في النشاط الفدائي . ان معظم الوثائق لا تتطرق الى هذه المسالة بصورة محددة . ان هنالك بعض الدعوات من اجل حل سلمي غالبا ما يوصف بأنه «عادل» ، الا ان الصيغة العامة للحديث عن هذه المسالة تبقى مبهمة . ومما يسترعي الملاحظة انه لا توجد بين جميع الوثائق الا وثيقة واحدة ذات نبرة عسكرية هي برقية بطريرك الروم الكاثوليك الراحل مكسيموس الرابع وعدد من الزعماء الدينيين السوريين الاخرين الى رئيس الدولة السوري عشية اندلاع حرب حزيران ١٩٦٧ التي جاء فيها : « في هذه الظروف العصيبة التي تجتازها ديارنا العربية نقف جنبا الى جنب مع حكومتنا ، وندعو جميع ابنائنا الى الوقوف معنا صفا واحدا في نصرة القضية الفلسطينية ولتحرير الاراضي العربية المحتلة ظلما وعدوانا » . ولكن بعد العدوان لا يظهر شيء من هذا القبيل اطلاقا ، فيتحاشى «نداء المسيحيين في يوم غزة » في اعلانه التضامن استخدام تعبير lutte بمعنى كفاح ويستخدم عوضا عن ذلك التعبير efforts بمعنى مساع او جهود . والصوت الوحيد ، بعد الحرب ، الذي عبر عن تحبيذه لاسترجاع فلسطين باستخدام العنف ، واشتمل ، بصورة او باخرى ، على مساندة للنشاط الفدائي هو القرار الذي اتخذته « ندوة الشبيبة الطالبية الكاثوليكية في لبنان عام ١٩٦٨ » والدفاع العام عن هذا القرار الذي قدمه المطران حداد للروم الكاثوليك الذي وقع هذا القرار . ويطالب القرار « بالتضامن التام مع الشعب الفلسطيني في كفاحه لاسترجاع حقوقه في وطنه » . وبعد نشر هذا البيان اوضح المطران حداد معناه وبين مدلوله في احدى الجرائد

٥ ـ رسالة مجلس كنائس الشرق الادنى الى الكنائس المساهمة في خدمة اللاجئين بتاريخ ١٩٦٩/٢/٢٧ .

٦ ـ رسالة رؤساء الكنيسة القبطية الى اخوانهم المسيحيين في عام ١٩٦٨ .

البيروتية : « التضامن لان اللاجئين الفلسطينيين هم من ذوينا ، ولان القضية الفلسطينية قضية عادلة » . واما بصدد « التضامن التام » مع الوسائل التي يستخدمها الفدائيون فيعبر عن بعض التحفظات ، ولكنه يصر على ان الوسائل تقع مسؤوليتها على عاتقهم ، اذ انه يرى واجبه كمسيحي لبناني في تأييد اهدافهم المشروعة . وحري بالملاحظة ان هذه التصريحات الوحيدة المحبذة جهارا للكفاح المسلح غير موجهة للغرب . ولا يعد موقف المطران حداد ، على اية حال ، نموذجيا في تمثيله نظرة الروم الكاثوليك للمسالة ، اذ ان بطريرك الروم الكاثوليك مكسيموس الخامس عبر في مقابلة صحفية مع احدى الجرائد البلجيكية عما يبدو وكأنه نقيض ذلك اذ قال : « أعتقد انه من زاوية معينة تخدم المقاومة الفلسطينية مصلحة اسرائيل ... فالمقاومة مع ما ينجم عنها من اضطهادات مثل نسف بيوت اولئك الذين تحوم الشكوك حول مساعدتهم في ايواء الفدائيين تؤدي الى مغادرة العرب لاراضيهم »(٧). لم يرد نظير لهذه الفترة المتطرفة على لسان احد من رؤساء كنائس الشرق الادنى الاخرين ، وربما ينبغي ان تحمل على محمل النقد للسياسات العربية كان البطريرك قد عبر عنه في مناسبة اخرى ، في رسالة وجهها الى احدى الجرائد الفرنسية ذهب فيها الى ان اللوم الذي وجه الى تصريحات عربية معينة له ما يبرره — وربما كان يشير بذلك الى ما زعم من تهديدات قبل حرب حزيران بقذف الاسرائيليين في البحر وما الى ذلك ... بيد ان هذه التصريحات ذاتها كانت قد دافعت عنها رسالة اعضاء مجلس الكنائس العالمي في عام ١٩٦٧ التي ذهبت الى ان ما فهمه الرأي العام الغربي من انها تستهدف الابادة هو تأويل سيء . لعل من الحري بالملاحظة في هذا الصدد ان تصريحات البطريرك غير موجهة الى جمهور شرقي ، بل وضعت بصيغة اعتذارية للكاثوليك في الغرب . وبصورة عامة ، ان بيانات الكنائس لا تحفل ببيان وسائل محددة وملموسة لوصول الفلسطينيين الى حقوقهم ، اذ ان افكارهم حول الحل في المستقبل تتفق في ملامحها مع النظرة العامة للقادة العرب (انظر ذلك في الفقرة « ج » بعنوان « اسرائيل ») .

ب : **القدس** : استأثرت وضعية القدس بعد اعلان الضم الاسرائيلي لها بالقسط الاوفر من الوثائق وحفزت الى تأليف معظمها ، فقد تطرق الى مسألة القدس ٢٢ من بين البيانات المنفردة الثلاثة والثلاثين ، وكذلك ٥ من بين البيانات المشتركة الخمسة عشر ، اي انه من بين مجموع الوثائق الثماني والاربعين مجتمعة عالجت ٢٧ منها وضعية القدس ، فمن الوثائق ما تطرقت اليها ضمن غيرها من مسائل القضية ، ومنها ما افردت لها بكاملها واقتصرت عليها . وأود ان اعزو هذا التأكيد على وضعية القدس الى سببين هما : الاهتمام ، لا سيما لدى الكنائس الكاثوليكية بالشخصية المقدسة والطابع المسيحي للمدينة واماكنها ، وكذلك حادث المسجد الاقصى الذي حرك مشاعر الارتباط القومي العربي كما حرك مشاعر التضامن بين المؤمنين بالديانات التوحيدية . وانني ارى ان النقطة الاخيرة حظيت باهتمام اكبر من الكنائس غير الكاثوليكية ، رغم انه يوجد بهذا الصدد ايضا ، كما هو الحال دائما ، بيانان صادران عن الروم الكاثوليك ، ولكن لا توجد اية اشارة من اية كنيسة كاثوليكية اخرى . وبما ان ١٢ من بين البيانات المنفردة المتعلقة بوضعية القدس بصورة عامة قد صدرت عن مصادر كاثوليكية ، بينما لم يصدر عن هذه المصادر سوى اثنين من البيانات المبنعة المتعلقة بحادث المسجد الاقصى ، نستطيع ان نقول ان الاهتمام الكاثوليكي بهذا الحادث والامور التي طرحت في هذا الصدد كان قليلا ومحدودا نسبيا . ولتوضيح هذه النقطة ، اعني بكلمة « كاثوليكي » في هذا السياق ، بصورة رئيسية ، البطريرك مكسيموس الخامس الذي تحدث حول هذا الامر في مناسبات كثيرة ، كما اعني ايضا بطاركة اللاتين والاقباط الكاثوليك . فالمسؤولون المحليون في كنيسة الروم الكاثوليك يختلفون في وجهة نظرهم مع رئيسهم ، كما لاحظنا ذلك بصدد قضية اللاجئين .

لقد عبر البطريرك مكسيموس الخامس عن اهتمامه بوضعية القدس في ستة من تصريحاته الثمانية المسجلة . اذ يقول عنها انها « المدينة المقدسة بلا منازع »(٨)، « وان لها اهمية روحية عميقة

٧ — مقابلة مع جريدة « لا ليبر بلجيك » La Libre Belgique بتاريخ ١٩٦٩/٦/٧ .

٨ — عظة في واشنطن بتاريخ ١٩٦٨/٦/٧ حسب سجلات مكتبة الكونغرس .

لدى جميع من يؤمنون بآله واحد »(٩)، « رغم انها منذ قرون ، وهي بطابعهـا مدينة عربية ، فلنصل ولنأمل معا بأن الناس سيجعلون من القدس مكانا عاليا في طابعه »(١٠). ان مثل هذا التصريح غير مألوف ، لانه في البيانات الاخرى اما ان ينادي زعماء الكنائس باعادة المدينة الى السيادةالعربية، او انهم ، اذا دعوا الى التدويل ، يتلافون ذكـر الطابع العربي للمدينة او عدمه ، بل يقتصـرون عى دفع المطالب والحجج الاسرائيلية . وينـادي البطريرك مكسيموس الخامس عدة مرات بوضع خاص للقدس محبذا وضعها تحت ادارة الديانـات الثلاث المعنية(١١)، « لانتزاع المقدس بصورة تامة من دنيا السياسة والقوة »(١٢). وينبغي ايجاد حل لوضع القدس قبل الوصول الـى تسوية عامـة نهائية ، لان الوصول الى مثل هـذه التسوية لا يبدو امرا محتمـلا في المستقبل القريب ، ولذلـك « ينبغي اخراج قضية القدس من اطـار النزاع العام العربي الاسرائيلي » . وقد توخى بطريرك اللاتـين بيلتريتي الغرض ذاته عنـدما طالـب « بضمانات قانونية دولية لحماية الطابع المقـدس والعالمي لمدينة القدس » . وكذلك ، مـن المواقف المألوفة للكنائس الكاثوليكية في الشرق الادنـى ، ممثلة في بطاركتها ، الاحتجاج ضد اسرائيل لعدم سماحها للمسيحيين في البلدان العربية بممارسـة شعائر الحج الى الاماكن المقدسة، ويبين البطريرك مكسيمـوس الخـامس ، بهـذا الصـدد ، ان الاسرائيليين بعملهم هذا يكررون «غلطة» الاردنيين ضد اليهود قبل عام ١٩٦٧(١٣).

وتعبر بعض الوثائق عن موقف يختلف تماما عمـا ورد آنفا بتأكيدها على الطابع العربي الشرعـي للمدينة ، وابلغ هذه الوثائق واكثرها فصاحة هي مقالة مطران الروم الارثوذكس جورج خضر بعنوان « مع عروبة القدس »(١٤)، والتي نشرها باسـم مستعار بعيد حرب حزيران ١٩٦٧ وضم القدس القديمة الى « اسرائيل » . وقد استعمل المطران خضر اصطلاح « تعريب القدس » كنقيض لاصطلاح « تدويل القـدس » الـذي يعتبره فكرة اوروبية تماما ، ويقول عنه انه « قبول ضمنـي ان الامر المهم في القدس اماكنهـا الاثرية ، حجارتهـا لا شعبها. وعندنا ان أهل فلسطين احب الى الله من كنيسة القيامة . ضريح المسيح ذكرى ، العـرب ليسوا ذكرى » ، ونظرا لكون كنيسة انطاكيـة « هي الكنيسة العـربية الوحيـدة في المسيحية الشرقية » ولانه يعتقد بانها لا تستطيع ان تكون الا عربية ، فان رفض فكرة التدويل ليس موضع جدال . اما الوثائق الاخرى من هذه المجموعـة فتتحدث عن « الطابـع العـربي » للمـدينة ، و « اعادتها الى اصحابها الشرعيين » . وتتميز بينها بنبرة خاصة الوثيقـة بعنوان « نـداء الى الشعب العربي » التي تحمل توقيعي مطرانـي الانجيليين والروم الكاثوليك ، والتي تدعو القدس بالنص الحرفي « جزء لا يتجزأ من المملكة الاردنية الهاشمية » ، وهذا تحديد تلافت ذكره البيانـات الاخرى .

وكان الحدث الكبير بعد اعلان ضم القدس لدولة اسرائيل هو احراق المسجد الاقصى الذي عد عملا من أعمال التخريب الصهيوني بهدف اعادة اقـامة هيكل سليمان في موقع المسجد الاقصى . وقد حفز هذا الحادث الى اصدار سبعة بيانات من اربـع كنائس ، ولكن دون ان يصدر بصدده اي بيـان مشترك . وتنسجم هذه البيانات في صيغتها حتى في التفاصيل الدقيقة ، اذ تدين الحادث كجريمة في معظم الحالات ، ولكن بعضها تصفه بانه فعل بربري وانتهاك لحرمة المقدسات الخ ... وتعتبره الوثائق موجها ضد « جميع العـرب » ، وضـد « اخواننا المسلمين » مثلمـا هو ضد المسيحيـة ذاتها ، وضد جميـع المؤمنين بغض النظر عـن ديانتهم ، وكذلك ضد القيم الانسانية والانسانية باسرها . وتوجه الوثائق نداء الى جميع المؤمنين والحكومات ، لاعلان التضامن واتخاذ الاجراءات

---

٩ ــ البطريرك مكسيموس الخامس ، عظة في واشنطن في ١٩٦٨/٦/٧ .

١٠ ــ بطريركيـة الروم الكاثوليك : النشـرة الصحفية بتاريخ ١٩٦٧/٧/٢٥ .

١١ ــ عظة في واشنطن بتاريخ ١٩٦٨/٦/٧ .

١٢ ــ المصدر نفسه .

١٣ ــ النشرة الصحفية الصادرة عن بطريركيـة الروم الكاثوليك .

١٤ ــ في كتاب المطران الاب جورج خضر «فلسطين المستعادة » جعل عنوان مقالته هذه « رومية القسطنطينية انطاكية » بتاريخ الاحد ٢٣ تمـوز ١٩٦٧ .

نحو « التطبيق العاجل لقرارات الامم المتحدة المتعلقة بالمدينة المقدسة والاراضي المحتلة »(١٥). ويمكن النظر الى هذا الموقف على انه يستند الى افكار التضامن العربي ، والتضامن الديني بين المسيحيين والمسلمين بالدرجة الاولى ليمتد من ثم الى جميع المؤمنين والانسانية باسرها .

واخيرا أود أن أعلق بايجاز على وثيقة صدرت عن الكنائس السورية منذ عهد قريب بعنوان « نداء الى الضمير الانساني » . وتمتاز بكونها البيان المشترك الذي يحمل اكبر عدد من تواقيع الكنائس في مادة هذا البحث ، اذ هي صادرة عن تسع كنائس . وبوسع المرء ان يدعوها « بيان للمؤمنين بالديانات التوحيدية » . والنداء بحد ذاته صغير الحجم وغامض في صياغته . وينظر الى القدس بأنها كناية عن رمز لميثاق الله مع ابراهيم « منبع الديانات التوحيدية الثلاث » . وينظر الى هذا الميثاق على انه « بداية الحضارة الحقة » أي « الاعتقاد بآله واحد ورسالته الى جميع الناس ». وتهدد الصهيونية هذا الميراث المشترك للمسيحيين والمسلمين واليهود ، وهي بربرية ، وتستهدف « تحطيم الحضارة بحد ذاتها من حيث كونها حضارة » فهي بالتالي خطر على الجنس البشري بكامله(١٦).

ج — **دولة اسرائيل** : ان مسألة الاعتراف بدولة اسرائيل هي من النواحي السياسية المحرجة في المسالة الفلسطينية . ومن يراجع الوثائق من حيث الاصطلاحات التي استخدمت فيها للدلالة على اسرائيل لا يجد اية وثيقة تدعو الى الاعتراف رسميا باسرائيل . الا انه يوجد استخدام ضمني لكلمة اسرائيل ، وان كان غير شائع ، في الاشارة الى حدود عام ١٩٤٨ . وكمثال على ذلك ما ورد في « رسالة زعماء الكنيسة القبطية » حيث جاء فيها « اننا نخشى بأن الحرب قد اصبحت وشيكة الوقوع بين اسرائيل والبلدان المجاورة لها التي تحتل اسرائيل اجزاء من اراضيها »(١٧). ففي هذه الرسالة هنالك اسرائيل ، وهنالك بلدان عربية ، والاصطلاح « المناطق المحتلة » يشير الى الاراضي المسلوخة عنها . ويتضح الفرق بجلاء عندما نقارن هذه الرسالة بالبيان الصادر عن كنائس الضفة الغربية بعنوان « بيان الى الشعب العربي » الذي جاء فيه : « ان ضم القطاع العربي من القدس الى الجزء المحتل من فلسطين ... »(١٨). نجد هنا تجنبا لاستخدام « اسرائيل » كتعبير وكفكرة ، وتوجد بدلا من ذلك فلسطين التي احتل شطر منها في السابق ، والان اضيفت الى هذا الشطر المحتل منطقة جديدة . وسواء كان استخدام كلمة اسرائيل في الوثائق ناجما عن دواع تعبيرية لتجنب استخدام تعابير طويلة او كان تكيفا مع التعابير الشائعة دوليا ، هنالك ايضا استخدام لكلمتي « اسرائيل واسرائيلي » يجهد لتلافي قبول صفة الدولة العادية اي تطابق هوية هذه الدولة مع المناطق التي وضعت يدها عليها وتدعي ملكيتها . فتستعمل مثل هذه التعابير اما بصورة محايدة اي دون اشارة الى حدود جغرافية او انها تستخدم فقط في سياق سلبي . كذلك هو الحال في احدى الجمل التي اقتطفت آنفا والتي ورد فيها تعبير « التشريع الاسرائيلي » وبعد بضعة جمل وجه فيها انتقاد الى « سياسة اسرائيل »(١٩)، ويعطي البطريرك مكسيموس الخامس شكلا اخر من أشكال ورود تعبير « اسرائيل » عندما يقول « الاماكن المقدسة في الجليل التي هي تحت سيطرة اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ » ، وهذا الاستخدام لتعبير « اسرائيل » يضفي عليه قدرا معينا من الواقعية ولكنه لا يعني قبول هذا الواقع .وهنالك أيضا تعابير اخرى يتواتر استخدامها واكثرها شيوعا « الصهيونيون » ، وكذلك « المحتلون » ، و « المعتدون » .

وهنالك شكل اخر للحديث ، وذلك بتلافي ذكر اسرائيل كلية ، وفي هذه الحالة يستشف المعنى المقصود من الحديث استشفافا . ويمكن ان يورد كمثال على ذلك خطاب الاب الماروني العربي في روما عام ١٩٧١ ، والذي يورد فيه ، ضمن امور اخرى ، ضرورة ان يسود الشرق الادنى التسامح وانفتاح مجتمعاتها لكافة الاقوام والاجناس والاديان

---

١٥ — برقية المجلس الاعلى للطائفة الانجيلية في لبنان بتاريخ ١٩٦٩/٨/٢٦ .

١٦ — مجلة « ليليو Le Lieu » عدد آذار ١٩٧١ صفحة ٦٧ .

١٧ — زعماء الكنيسة القبطية : « رسالة الى اخواننا المسيحيين » عام ١٩٦٨ .

١٨ — البيان الصادر عن مطران الروم الكاثوليك والمطران الانجيلي بعنوان « بيان الى الشعب العربي » في ١٩٦٧/٨/١٦ .

١٩ — المصدر نفسه .

بحيث لا تكون مجتمعاتها مغلقة تقتصر على دين واحد او جنس واحد . وقد وضعت الجريدة البيروتية « الاوريان — لو جور » المقربة من الدوائر المارونية العنوان التالي للتقرير عن هذا الخطاب : « الاب عزي : يوجد مكـــان في الشرق الادنى لاسرائيـــل متعددة الاجناس ، وليس لدولة عرقية » .

والصيغة التي وردت في نص كلمة الاب عزي التي استوحت منها الجريدة عنوانها المذكور هي : « كل أقلية عرقية او دينية ، دون اي استثناء ، ينبغي ان يكون لها مكان وامكانية للتطور هناك في وئــام تام مع الاخرين » . وقد عبرت عن فكرة مماثلــة المذكرة المقدمة في عام ١٩٦٧ حيث جاء فيها : « ان اسرائيل المستقبل يجب ان تكون مفتوحة للجميع ، ويجب التخلي عن المطالب العنصرية المتمثلة في نقاء الدولة يهوديا باقتصارها على اليهود»(٢٠) ، وكذلك عندما تتحدث الرسالة الصادرة عن كنائس الشرق الادنى الاعضاء في مجلس الكنائس العالمي عن ازالة اسرائيـــل فهي تشـير الى « الدولـــة العنصرية » تاركة المجال مفتوحا لدولة فلسطينية غير عنصرية في المستقبل . ومن جهة اخــرى ، ينظر الى دولة اسرائيل الحالية بانها « ولــدت في العنف ، ونمت بالعنف ، وستظــل تتطــور بالعنف ، فهي اقرب مثال في العالم على الاستعمار بالقوة »(٢١) .

د — المسائل اللاهوتية المتعلقة بالقضية الفلسطينية:
تناقش المسائل اللاهوتية المتعلقة بالقضية علــى ضوء التاويل والتفسير التاريخي وعلى المستـــوى الاخلاقي ، وبعبارة اخرى ، عـــلى ضوء قــراءة ومراجعة العهدين القديم والجديد وقضية العدالة والتضامن في الموقف الراهن تجـــاه فلسطـــين وشعبها ، وهو الموقف العملي الحالي الذي تقفه الكنائس .

هنالك وثيقتان فقط تخوضان غمار مناقشة لاهوتية للمسائل اللاهوتية المتعلقة بالقضية ، وهمـــا : مــذكرة كوربون وخضر وتفعيتي ولحـــام بعنوان : « ما هو المطلوب من العقيدة المسيحية نحو القضية الفلسطينية » ، والدراسة التي اعدها المطران جورج خضر « للندوة العالمية للمسيحيين من اجل فلسطين» . اذ كان معظم من تولوا اعداد دراسات ناقشت القضية من زاوية لاهوتية هم على وجــه العموم اما من اللاهوتيين الاجانب أو من اللاهوتيين « الخـــاصين » اي انهــم ، حسب التحديـــدات والمفاهيم التي بنيت عليها هذه الدراسة ، ينطقون بلسانهم الشخصي لا باسم الكنائس التي ينتسبون اليها مثل البروفسور مبارك . وبحسب ما أرى ، لا توجد هنالك دراسات لاهوتية للقضية الفلسطينية وفق مناهج البحث العلمي باستثناء الدراستـــين المشار اليهما آنفا ، وهما صادرتان عن اشخاص يمكن اعتبارهم انهم ينطقون باسم الكنائس التي ينتسبون اليها حسب التحديدات والتعريفات التي استندت اليها هذه الدراسة . وهنالك بيان اخر ينبغي ذكره في هذا السياق وهــو « نداء الـــى الضمير المسيحي » الذي اتينا على ذكره آنفـــا ، والذي يفتقر الى منهج البحث والمناقشة المعهود في الدراسات النظرية .

ونقطة البدء في الجدل اللاهوتي هي **اولا** : الزعم الصهيوني بأن تاسيس دولة اسرائيل ما هو الا استجابة ووفاء للنبوات التوراتية ، و **ثانيـــا** : هي القبول الذي يحظى به هذا الزعم على نطاق واسع من جانب المسيحية الغربية .

وتستهل مذكـــرة كوربـــون وخضر وتفعيتي ولحام بالنص على ان « اليهود المتدينين كـــانوا دائمـــا يتوقون بشوق الى « العودة » ، ويتحرقون بالرغبة لاسترجاع الهيكل الثالث » . بينما يمحص الجزء الثاني من المذكرة الاخطار المتعلقة بمفهوم العودة والرجوع هذا . وتعالج الفقرات الثماني الشعب اليهودي من حيث هو شعب ، والوعد الذي أعطي لابراهيم ، ثم محاولة دولة اسرائيل والصهيونية أن تقيم أيديولوجيتها على هذا الوعد ووجهة نظر المسيحية في هذا .

وتشير المذكرة الى الجنس اليهودي كشعب اختاره الله للنبوة كأمة من النساك مهمتها ان يتجلى من خلال تاريخها تاريخ خلاص الجنس البشري . ولهذا فهي لا تنتمي الى المملكة الارضية بل الى ملكوت الله ، ومصيرها وقدرها ليس في الارض بـــل في السماء . فاليهود ليسوا أمة كالامم الاخـــرى ، وتأسيس انفسهم مثل بقية الامم الاخرى يتعارض مع مهمتهم التي نذروا لها في خدمة الخـــلاص . ترى هل يشبهون في جميع هذه النقاط الكنيســة

٢٠ — مذكرة كوربون وخضــر وتفعيتـــي ولحام بعنوان : « ما هو المطلوب من العقيدة المسيحية نحو القضية الفلسطينية» بتاريخ ١٩٦٧/٦/١٨ .
٢١ — **المصدر السابق نفسه** .

والمسيحية ، فقد كان ايضا خطأ الكنيسة التاريخي الكبير انها أسست نفسها على هيئة دول مقفلة تقتصر على اتباعها .

والوعد الى ابراهيم « القائم على لزوم منطقي وعلى ارض » لا يمكن ان يؤخذ على انه يشير الى اليهود والى فلسطين ، « فهو موجه الى جميع الخلق ، وقد تحقق بمجيء المسيح » . « وان فهم الوعد بصورة ومدلولات مادية هو افساد وتحريف لخطة الرب » . فالارض هي ملكوت السماوات ، وقد تمت وراثتها من خلال الروح القدس . ونهب الهيكل وتشتيت اليهود ونهايتهم ككيان سياسي كانت امارة نبوءة بالملكوت ، اذ ان نهاية الممالك الارضية هي النذير بالقدوم الثاني للمسيح ونهاية العالم . فمنذ ان صعد المسيح الى السماء لم يعد من الممكن النظر الى « رجوع الملكوت » بأنه يشير الى كيان سياسي ، بل يعني فعل الروح القدس بين الامم . وبناء عليه ، فان اعادة تأسيس أمة يهودية مغلقة وتقتصر على اليهود فقط موجهة ضد خطة الرب . فالصهيونية واسرائيل تمثلان خطوة الى الوراء الى عقلية العصور الوسطى ، وتقتربان من فكرة الخلاص الماركسي ، وبعبارة اخرى ، تمثل الصهيونية الاغراء الذي تتعرض له جميع الديانات وكذلك الايديولوجيات المعاصرة لاقامة نفسها في مجتمع مغلق يقتصر عليها وتسوده روح استبداد هذه الديانة او الايديولوجية . فليس هنالك من رابط او علاقة بين دولة اسرائيل العنصرية وبين المهمة التي نذر لها الشعب اليهودي .

اما دراسة المطران جورج خضر بعنوان « معنى أرض الميعاد في العقيدة المسيحية » ، وهو نفسه أحد المشاركين في وضع المذكرة التي فرغنا لتونا من عرض مضمونها ، فتتضمن الافكار ذاتها ، بيد ان الجدل والحجج التي تثيرها ابعد في مرامي تأويلها، وتتوخى اظهار ما ينطوي عليه « المفهوم الروحي لمعنى الارض من تقدمية » . ويبين ذلك ويعرضه ابتداء من « اشعياء » حيث التأكيد على الارض يتحول الى الفردوس وبلوغ مجد يهوه » فالميراث لم يعد مقصورا على شعب بعينه بل اصبح ملك كل عادل ، فهو مرفوض للجسد ، ويتغير مضمون الميراث من اصطلاح الارض نحو الحياة مع الرب.

وبقدوم يسوع المسيح تختفي كلمة « الارض » ، ليظل بدلا منها ملكوت الرب والقدس السماوية .

لقد عرضنا الجوانب الاخلاقية في جزء سابق من هذه الدراسة ، ولذلك في الختام ، بوسع المرء ان يقول ان البداية قد إرسيت بالمبدأين المسيحيين : حب الجار والعدالة اللذين يصدعهما الواقع الفلسطيني . ونجد هذين المبدأين المسيحيين في دفاع الاب حداد مطران الروم الكاثوليك عن نداء الشبيبة الطلابية الكاثوليكية(٢٢) الموجه الى الشرق ، وفي المذكرة الصادرة عام ١٩٦٧(٢٣) المشار اليها آنفا والموجهة الى الغرب . وتطلب كثير من الوثائق من المسيحيين الغربيين الاهتمام بالعدالة والتضامن مع المعوز والمضطهد . ويقصد بالمعوز والمضطهد في هذا السياق الفلسطينيون ، كما يجمل معهم ايضا الشعوب الاخرى التي سدت امامها آفاق التطور بداعي تأثرها بحالة الحرب المفروضة عليها . وتطلب الوثائق من الغرب ان يقر بمسؤوليته في خلق اسرائيل نتيجة الاطماع الاستعمارية ، وان يستخلص من هذا الواقع ما يترتب عليه من مسؤوليات ، « ان الغرب مدين الى الشعوب العربية بتحرير فلسطين من ايدي الشعب الذي جلب بدعم من القوى الغربية »(٢٤). واذا كان من غير المحتمل ان يوقع مثل هذا التصريح جميع من ورد ذكرهم في مادة هذا البحث في الظروف الاعتيادية — اذ انه قد صدر في شهر حزيران ١٩٦٧ — غير ان كنائس الشرق الادنى تتوقع تغييرا جوهريا في موقف الكنائس الغربية ، ووجهة نظرها هي ان على الكنائس الغربية ان تلعب دورا رئيسيا في تحويل الوعي العام بصدد ان تصفي اذهانها مما قد علق بها من شوائب .

---

٢٢ — القرار الصادر عن ندوة الشبيبة الطلابية الكاثوليكية التي كان موضوعها : « السياسة والكنيسة في لبنان » ، وقد وقع القرار المطران حداد ، ثم كتب دفاعا عنه في مجلة « المنتدى » (صفحة ١٩ من عدد آذار ١٩٧٠) .

٢٣ — مذكرة كوربون وخضر وقفعيتي ولحام بعنوان : « ما هو المطلوب من العقيدة المسيحية نحو القضية الفلسطينية» بتاريخ ١٩٦٧/٦/١٨ .

٢٤ — نفس المصدر .

الاعلام الفلسطيني والرأي العـــام البلجيكي

بشارة خضر

تحت عنوان « اليهود في التعليم المسيحي » نشر مركز الابحاث الدينية والاجتماعية في جامعة لوفان الكاثوليكية في شهر ايار ١٩٧١ دراسة مطولة حول العداء للسامية في التدريس الديني المسيحي المعاصر . وقد أجرى القائمون بهذه الدراسة عدة استفتاءات بين طبقات مختلفة من المجتمع البلجيكي . ومن الاستفتاءات التي تهمنا بشكل مباشر سؤال وجه الى عينة تمثل كل طبقات الرأي العام البلجيكي هو : الى جانب من تقف فيما يخص النزاع القائم في الشرق الاوسط ؟ وكان الرد على هذا السؤال كما يلي : ٦٢،٦٪ من الشباب و٥٠٪ من البالغين اجابوا انهم يقفون الى جانب اسرائيل. ٢٤،٦٪ من الشباب و ٣٩،٨٪ من البالغين اجابوا انهم يقفون على الحياد لانهم يعتقدون ان الاخطاء مشتركة بين الطرفين . ولم يتعد عدد من قالوا انهم يقفون الى جانب العرب نسبة ٥،٢٪ من الشباب و ٥،٣٪ من البالغين . ولا بد اولا من الايضاح — وقد ورد ذلك في الدراسة المذكورة — ان الانتماء السياسي له اثر كبير على نوعية الرد. فالذين ينتمون الى اليمين من المشتركين في الاستفتاء اعلنوا عن دعمهم اللامشروط لاسرائيل . اما الذين يعتبرون انفسهم يساريين او وسطيين فقد اتخذوا موقفا محايدا او دعموا وجهة النظر العربية . وعليه نلاحظ ان ضعف الدعم للموقف العربي ناتج عن ضعف اليسار البلجيكي . وهناك ملاحظة اخرى في غاية الاهمية والخطورة وهي ان نسبة من يقفون الى جانب اسرائيل بين الشباب تفوق نسبة البالغين . وذلك يقلل من صحة القول السائد بأن دعم الاوروبيين لاسرائيل ناجم عن كل ما عاصروه من اضطهادات ومذابح تعرض لها اليهود اثناء الحرب العالمية الثانية .

فما الذي يدفع الشبيبة البلجيكية الى دعم اسرائيل؟ اولا عداؤها للعرب يجعلها تدعم اسرائيل بشكل عكسي . ثانيا ذكرى الاضطهادات التي تعرض لها اليهود في الماضي في اوروبا المسيحية والتي تذكرهم بها الدعاية الصهيونية كل يوم مما يؤدي الى خلق رغبة في « التكفير من ذنوب اجدادهم » . ودعم اسرائيل في نظرهم افضل طريقة لتحقيق ذلك . ثالثا اعجاب الشبيبة البلجيكية كغيرها من الشباب المتحمسين في اوروبا الغربية « بقوة اسرائيل وتقدمية اسرائيل والاشتراكية والديمقراطية في اسرائيل » اذا ما قورنت بتأخر العرب وضعفهم وجهلهم ونظمهم الاقطاعية والمتسلطة كما تصفها ابواق الدعاية الصهيونية والجهات المعادية للعرب . كما لا بد من ذكر ما للسياحة من اثر . فهناك عدد كبير من الشبان البلجيك يسافرون كل عام الى اسرائيل ومنهم من يشتغل عدة شهور في الكيبوتسات .

وورد في الدراسة التي نحن بصددها سؤال اخر حول التفضيل بين اليهود والعرب والسود . وجاء الرد على هذا السؤال في غاية البلاغة :

الشباب	البالغون	الترتيب من حيث الافضلية
١٥،٨٪	١٩،٢٪	اليهود — العرب — السود
٣٥،٤٪	٣٥،١٪	اليهود — السود — العرب
٣،٠ ٪	٠،٢ ٪	السود والعرب — اليهود
٣٨،٢٪	٤١،٢٪	اليهود = العرب = السود
٧،٦ ٪	٤،٣ ٪	امتنعوا عن الاجابة

ونستطيع بناء على نتيجة هذا الاستفتاء ان نستخلص ما يلي :

١) لا يزال الدعم الحقيقي للمواقف العربية في الرأي العام البلجيكي ضعيفا جدا . وذلك لعدة اسباب سنأتي على ذكرها فيما بعد في دراسة مقبلة . ولكننا نعتقد ان دعم الرأي العام البلجيكي للمواقف الفلسطينية ولعدالة قضية الشعب الفلسطيني اقوى بكثير (نقول لعدالة قضية الشعب الفلسطيني ولا نقول لعدالة النضال الفلسطيني او الثورة الفلسطينية) . ولا شك انه لو طرح السؤال حول الموقف من اسرائيل ومن الشعب الفلسطيني لجاءت الردود مختلفة ولصالح الفلسطينيين على الاقل في صفوف من اعتبروا انفسهم محايدين . فقد اثبت الشعب الفلسطيني انه تقدمي وانه شجاع وانه يحارب الصهيونية وليس اليهود ويحارب في نفس الوقت الرجعية والاقطاعية والتسلط والتعصب الديني الاعمى . وهذه كلها عوامل من شأنها ان تكسبه دعم واعجاب الرأي العام البلجيكي . ونورد فيما يلي حادثة بسيطة تؤكد ما سبق . ذهب شاب لبناني الى مقهى في

بروكسل فمنعه الحاجب من الدخول . وبعد ذلك بأيام ذهب الى نفس المقهى شاب فلسطيني متعمدا . فسمح له نفس الحاجب بالدخول . ولما سأل الحاجب : كيف تتيح للفلسطيني ما تحظره على اللبناني اجابه الحاجب : الفلسطينيون يختلفون عن العرب في شمال افريقيا وغيرهم من العرب في الشرق الاوسط . وهذا الرد بليغ اذا ما اخذنا بعين الاعتبار موقف الغرب عادة من لبنان واللبنانيين .

٢) لا يزال المجتمع البلجيكي يعاني من العنصرية ويكره الاجانب ، وقد تحول كرهه الماضي لليهود الى كره للعرب . فالعنصرية ضد العرب في بلجيكا كما في فرنسا تفوق كثيرا العنصرية ضد اليهود وحتى ضد السود . مع انه كان من المفروض على البلجيك ان يكرهوا السود لنفس الاسباب التي يكره بها الفرنسيون الجزائريين . ولذا نرى العرب يحتلون المرتبة الاخيرة في المجتمع البلجيكي لنفس الاسباب التي وردت في تقرير الاخ داود تلحمي المنشور في عدد آذار ١٩٧٢ من «شؤون فلسطينية» (ص ٢٠١) . وكراهية العرب هذه تؤثر طبعا على المواقف السياسية . فمن الصعب ان يدعم شخص المواقف السياسية او العسكرية لامة يكرهها .

٣) اليمين البلجيكي وهو يمثل الاكثرية الساحقة للرأي العام البلجيكي يعادي العرب . وذلك ينبع من معاداته للشيوعية بشكل خاص ولدول المعسكر الشرقي بشكل عام . فاليمين البلجيكي يعتقد ان العرب كلهم شيوعيون واصدقاء للمعسكر الشرقي الذي يشكل في نظرهم اكبر خطر على امنهم وسلامتهم . وهذا اليمين متمثل طبعا في الاحزاب الحاكمة والطبقة المسيطرة على رأس المال ووسائل الاعلام المهمة التي تسير الرأي العام في بلجيكا . ولذا نلاحظ ان البلجيك يدعمون بسهولة اكبر مواقف حركة التحرير الفلسطيني فتح بينما يعادون — اذا ما استثنينا الفئات اليسارية — مواقف الجبهات . هذا مع العلم انهم لا يجهلون ان الثورة الفلسطينية بكل فصائلها ترمي الى تحقيق نفس الهدف : اقامة الدولة الديمقراطية وذلك باللجوء الى نفس الوسيلة : حرب التحرير الشعبية الطويلة الامد . وهذا ناجم عن شعورهم بعدم ارتباط فتح ارتباطا عضويا بالماركسية اللينينية وبالمعسكر الشيوعي كغيرها من الجبهات . اضف على ذلك انهم ناقمون على الجبهة الشعبية بسبب عمليات خطف الطائرات لا لشيء الا لانها تهددهم وتهدد مصالحهم بشكل مباشر . ولذا تلقوا خبر عدول الجبهة عن مثل هذه العمليات في المستقبل بالمزيد من الراحة والرضى .

٤) رأينا ان ٥٪ من البلجيك يدعمون المواقف العربية بينما ٣١ ٪ محايدون . ونحن لا نملك مع الاسف ارقاما تدل على مدى دعم البلجيك للعرب في الماضي خصوصا على اثر حرب ١٩٦٧ . ولكننا نعتقد ان نسبة من يدعمون الموقف العربي قد زادت نوعا ما . ومما لا شك فيه ان نسبة المحايدين قد ازدادت كثيرا عما كانت عليه في السنوات الماضية. ويعتبر ذلك نصرا للعرب ولو بشكل نسبي . وذلك لان تحييد فئات من الرأي العام يعتبر المرحلة الاولى في جرها الى تبني موقفنا . والسؤال هو : هل ازداد عدد المحايدين بفضل الاعلام الفلسطيني في بلجيكا ام بفضل ما انجزته الثورة الفلسطينية ؟ ام هل كان هذا التحول النتيجة العكسية للتعنت والتزمت الاسرائيلي ؟ لا شك ان هذه الاسباب قد ساهمت معا في تحقيق مثل هذا النصر النسبي الضئيل .

وقبل انهاء الحديث عن هذه الدراسة لا بد من الاشارة الى كونها قد اقيمت تحت اشراف الشانوان فرانسوا هوتارت الاستاذ في جامعة لوفان ومدير المركز الذي صدرت عنه . والجدير بالذكر ان الشانوان هوتارت يعتبر بحق من اكبر وانشط العاملين لدعم حركات التحرر الافريقية في بلجيكا ومن اصدقاء الثورة الفلسطينية . وقد دعته المنظمات اليهودية لالقاء محاضرة في جامعة بروكسل الحرة استعرض فيها خلاصة ما جاء في الدراسة التي نحن بصددها. وفي النقاش الذي تبع المحاضرة سأله البعض باستنكار : « لماذا لا يكفر الفاتيكان عن الذنوب التي ارتكبتها المسيحية في الماضي في اضطهاد اليهود بالاعتراف بدولة اسرائيل ؟ » . فاجابهم الشانوان : ليست قضية الشرق الاوسط موضوع حديثنا اليوم . الموضوع هو : اليهود في التعليم المسيحي . ولكني على استعداد تام للدخول معكم في نقاش حول النزاع القائم في الشرق الاوسط اذا ما رغبتم في ذلك . ولكني اؤكد لكم سلفا ان موقفي بالنسبة لخلق دولة اسرائيل وبالنسبة لحقوق الشعب الفلسطيني تختلف اختلافا جذريا عن مواقف المستمعين ... وفي مثل هذا الرد كثير من الشجاعة اذا ما اخذنا بعين الاعتبار أن ٩٥ ٪ من

الحضور كانوا يهودا يمثلون كل المنظمات اليهودية البلجيكية والسفارة الاسرائيلية في بروكسل والحركة الصهيونية البلجيكية . فكان ان برد مثل هذا الرد حماس المستمعين وفوت عليهم فرصة ذهبية حاولوا استغلالها لتحويل ادانة المعاداة للسامية الى دعم لاسرائيل كما يحدث عادة في الاوساط الاوروبية .

الشانوان هوتارت مدير لاحدى دور النشر البلجيكية تدعى « في اوفريير » اي الحياة العمالية التي ستصدر قريبا جدا كتابا عن الشرق الاوسط كتبه صحفي في جريدة « لاسيتيه » الناطقة باسم نقابة العمال المسيحيين التقدميين . وقد عرض هذا الكتاب مخطوطا على بعض الفلسطينيين وبعض اصدقاء الثورة الفلسطينية لتقديم الملاحظات التعديلات . ثم طلب الشانوان هوتارت من المؤلف ان يتقيد بهذه التعديلات . وقد وافق السيد ريديريك كيسيل واضع الكتاب على ادخال الكثير من التعديلات على كتابه الذي جاء يمثل وجهة نظر الثورة الفلسطينية ويفضح المزيد من الاشاعات التي ترتكز عليها الدعاية الصهيونية لتضليل الرأي العام الاوروبي . وقد كرس المؤلف عدة صفحات من كتابه للحديث عن الدولة الديموقراطية والتأكيد انها الحل المنطقي الوحيد لمشكلة الشرق الاوسط. هذا امر في غاية الاهمية اذا ما علمنا ان المؤلف عمل في احدى الصحف البلجيكية التي تمثل وجهة نظر قطاعات كبيرة من العمال المسيحيين وان دار النشر التي ستصدره حائزة على ثقة فئات واسعة من المثقفين في الاوساط المسيحية .

ازمة الاعلام الفلسطيني

لا بد من الاعتراف ان الاعلام الفلسطيني شأنه في ذلك شأن الثورة الفلسطينية يمر حاليا في أدق مراحله التاريخية على الساحة الاوروبية بشكل عام وعلى الساحة البلجيكية بشكل خاص . فقد فقدت لجان المناصرة اجمالا زمام المبادرة. وسنتحدث فيما يلي عن الصعوبات الداخلية والخارجية التي تعاني منها هذه اللجان . اما الصحافة البلجيكية فتتحدث طبعا عن الثورة الفلسطينية فتمتدحها او تذمها . ويجوز حتى القول ان عددا لا بأس به من الصحفيين في بلجيكا يكتفي بالبكاء على الثورة الفلسطينية او التهليل لهزيمتها او ما يتصوره هزيمتها .

الصحافة البلجيكية لا تتحدث عن الثورة الفلسطينية الا عندما تنقل اليها وكالات الانباء اخبارا عن احداث جديدة في الشرق الاوسط . وقلما تكون هذه الاحداث لصالح الثورة الفلسطينية . وكلنا يعرف من هي وكالات الانباء العربية والاجنبية العاملة في البلدان العربية وما هي نوعية ولون الاخبار التي تنقلها . يستطيع اصدقاء الثورة الفلسطينية من الصحفيين والمثقفين طبعا التعليق على هذه الانباء . فيدينون مثلا العدوان الاسرائيلي الاخير على جنوب لبنان . ويشجبون مشروع الملك حسين الاخير المشبوه الرامي الى اقامة ما اسماه المملكة العربية المتحدة . ويؤكدون استحالة احلال سلام دائم وعادل في الشرق الاوسط دون اخذ حق شعب الفلسطيني في تحرير ارضه وتقرير مصيره بعين الاعتبار . ولكن كل هذه المواقف تظل سلبية . فالهدم شيء يجب ان يقابله بناء . وادانة مشروع تقتضي التقدم بمشروع اخر يكون بديلا للاول . ولذا يتساءل الان اصدقاؤنا هنا : ما هو البديل الذي تقدمه الثورة الفلسطينية الان وفي الظرف الراهن لكل المشاريع السلمية المطروحة او التي تطبخ حاليا في الكواليس والتي ربما وصلت اخطر مستوياتها لدى زيارة الرئيس نيكسون الى الاتحاد السوفييتي في شهر ايار الماضي ؟

يعيب اصدقاء الثورة الفلسطينية على المنظمات الفدائية كونها طرحت مشروع الدولة الديموقراطية بصورة عامة منذ ما يزيد على ثلاث سنوات واكتفت بذلك حتى دون ان تتمكن من ايضاح هذا الهدف او تحقيق اتفاق بين جميع فصائلها حول مبادئه الاساسية ومقوماته والمراحل التي من شأنها ان توصل اليه . هناك طبعا قرارات المجلس الوطني الفلسطيني . وهناك البرامج السياسية التي قدمتها الجبهات . ولكن هل حاولت المنظمات الفلسطينية ايصال هذه القرارات الى من يشرفون على تسيير الاعلام في الغرب او في الاقل الى اصدقاء الثورة الفلسطينية من الصحفيين والمثقفين والرجالات السياسية ؟ لا اعتقد ان مثل ذلك حدث في بلجيكا .

أخذنا على مجلة يسارية امتناعها عن نشر التعليقات على ما يدور حاليا في الشرق الاوسط وتجنبها الحديث عن المقاومة الفلسطينية . فأجابنا مدير تحرير هذه المجلة انه عمل في السنوات الماضية على فضح الصهيونية واهداف اسرائيل العدوانية

والتوسعية وعلاقتها الجذرية بالاستعمار والامبريالية . كما شجب كل ما طرح حتى الان من مشاريع سلمية وكل ما ابدته بعض الانظمة العربية من تخاذل واستسلام وتواطؤ مع قوات الاحتلال وتآمر على الثورة الفلسطينية . ولكن لا يجوز له الاستمرار الى ما لا نهاية في الادانة والشجب . عليه ان يقدم للقارىء عناصر ايجابية ومشروعا يكون اكثر واقعية واكثر عدالة من كل ما طرح حتى الان من مشاريع . وسبق له عدة مرات ان اكد شرعية النضال الفلسطيني من اجل اقامة الدولة الفلسطينية الديموقراطية . ولكن هل يجوز للمقاومة الفلسطينية ان تطلب منه الاستمرار في التشدق بفكرة الدولة الديموقراطية دون ان تقدم له ما يلقي على هذه الفكرة ونوعيتها واهدافها المزيد من الضوء ؟

ودعي جاك يرنا احد كبار النقابيين البلجيك من الحزب الاشتراكي الى الحديث عن الثورة الفلسطينية . فاتصل بعدة شخصيات من اصدقاء الثورة يسألهم اين وصلت الثورة الان في طريق التحرير والوحدة الوطنية وما هي الايضاحات الجديدة التي قدمتها حول فكرة الدولة الديموقراطية . فلم يجد من يجيبه . فاكتفى بدوره بادانة الحكم الاردني ومحاولات تصفية المقاومة الفلسطينية وشجب الحلول السلمية . واكد ان الحل الوحيد العادل والمعقول هو اقامة دولة ديموقراطية . وكان يخشى ان يسأله احد الحضور : هل يريد الفلسطينيون الدولة الديموقراطية ان تكون اشتراكية بكل معنى الكلمة ام اشتراكية كبعض الانظمة الاشتراكية العربية . فيجد نفسه في مأزق بين اصدقاء الجبهة الديموقراطية واصدقاء الجبهة الشعبية واصدقاء فتح . وبعد المحاضرة اكد السيد يرنا ان كل ما يتمناه ان تصله بعض النشرات او التحاليل من الثورة الفلسطينية بلغة يفهمها .

وعلى اثر عدة مقالات متشائمة نشرتها مجلة تيموانياج كريتيان التي يحررها السيد جورج مونتارون امين سر الندوة المسيحية العالمية لنصرة فلسطين في باريس بعث بعض قراء هذه المجلة في بلجيكا عدة رسائل احتجاج . وعابوا على كاتب المقالات تركيزه على انتكاسات الثورة الفلسطينية وحديثه عن يأس رجال المقاومة وتأكيده ان الثورة الفلسطينية تكاد تصل الان الى طريق مسدود . وقد بعث لنا السيد بير لوك سيجيون كاتب هذه المقالات ردا على هذه الاحتجاجات جاء فيه :

« يجب ان اؤكد لك اولا اني ما زلت اعتبر نفسي متضامنا تضامنا تاما مع القضية الفلسطينية ...» ويضيف : ولكن « ماذا يجب علينا ان نعمل في الظروف الراهنة لمساعدة الثورة الفلسطينية ؟ يجب التحدث عنها . ذلك امر واضح . ويجب ان نؤكد ان كل الحلول التي قدمتها حتى الان هذه الفئة او تلك اعجز من ان تحل مشكلة الشرق الاوسط لانها وضعت بدون مشاركة الفلسطينيين اذ ان على الفلسطينيين انفسهم ان يقرروا مصيرهم ... ولكن ما كل هذا الا خطاب سلبي . ولا بد من ان نتمكن يوما ما من ان نشرح للقارىء **ما الذي يريده الفلسطينيون** . كما لا يسعنا ان نكرر الى ما لا نهاية « دولة فلسطينية ديموقراطية علمانية » لانه حتى لو تحقق مثل هذا الهدف المثالي فلن يكون ذلك الا على مراحل سياسية وعسكرية متعددة . وبهذا الخصوص نلاحظ صمت مختلف المنظمات الفدائية . ومثل هذا الصمت يشل النشاط الاعلامي للذين يدعمون قضية الشعب الفلسطيني » .

لا نذكر هذه الامثلة لاننا نوافق عليها مئة بالمئة . ولكن لانها تدل بوضوح على حيرة اصدقاء الثورة الفلسطينية وافتقارهم الى معلومات وتحليلات صادرة عن الثورة وتصلهم بلغة يفهمونها كيما يتمكنوا هم بعد ذلك من عرضها للقراء بطريقة تتلاءم مع الظروف الموضوعية الاعلامية للبلد الذي يعيشون فيه . وهناك من الصحفيين من تعدى هذه الحيرة فأخذ يضع بنفسه التحاليل والمشاريع التي تلائم اهداف المقاومة او التي يظنها ملائمة لها . ولذا رأينا روبير فالوني المختص بمشاكل الشرق الاوسط في صحيفة لوبوبل البلجيكية والناطقة باسم الحزب الاشتراكي البلجيكي يقول تعليقا على مشروع الملك حسين الجديد انه لا بد من الملاحظة ان مشروع حسين يحتوي على عناصر ايجابية ولذا لا يحق للفلسطينيين رفضه جملة وتفصيلا . وأحد هذه العناصر الايجابية اعتراف الملك حسين بوجود كيان وشعب فلسطيني . ولكن اذا كان لا بد من اقامة اتحاد فيديرالي في تلك المنطقة فيجب ان يتم بين دولة فلسطين المستقلة وبين اسرائيل وليس بينها وبين المملكة الاردنية الهاشمية (هكذا) .

ولا بد من الملاحظة ايضا ان الرأي العام الاوروبي بحاجة ماسة لمواصلة دعمه القوي للثورة

الفلسطينية الى بعض الانتصارات تحققها الثورة على المستوى السياسي او العسكري وبعض التحقيقات الايجابية . لا شك ان صمود الثورة الفلسطينية في وجه كل المؤامرات ومحاولات التصفية يعتبر نصرا على جميع المستويات . ولكن وكالات الانباء تركز على صعوبات الثورة وهزائمها ولو كانت مرحلية. وتتالي الهزائم وكثرة الصعوبات وعدم توصل فصائل الثورة الى تحقيق الوحدة الوطنية جعل البعض يشكون في فعاليتها وفي جدارة قادتها ... وهذا كله يزيد من حدة الازمة التي يمر فيها الاعلام الفلسطيني .

والسؤال هو : هل تؤمن الثورة الفلسطينية بأن للرأي العام العالمي دورا مهما يلعبه في دعمها وفي احباط المؤامرات التي تحاك ضدها ؟ لا شك ان الرد هو نعم خصوصا في هذه المرحلة بالذات اذ ان معظم المشاريع التصفوية والتي تدعى سلمية جزافا تطبخ في كواليس وزارات الخارجية الاجنبية. فخطر التصفية والتآمر يهددنا في الخارج كما في الداخل. ولذا لا بد من مجابهة هذا الخطر الخارجي باعلام مركز . فالصهيونية العالمية تملك صحفها الخاصة ووسائلها الاعلامية الخاصة بالاضافة الى سيطرتها على العديد من الصحف والمجلات التي تصدر كل يوم في معظم الدول الغربية . فماذا عملت الثورة الفلسطينية حتى الان لمواجهة هذا الاعلام الصهيوني المنظم وتكذيب ما يروج هنا من دعايات وافتراءات واكاذيب منذ ما يزيد على نصف قرن ؟

لا شك ان الثورة لا تملك المال الكافي ولا الكفاءات الضرورية لتنظم اعلاما قويا فعالا في دول اوروبا الغربية . ومن هنا تأتي اهمية الدور الذي يجب ان يلعبه كل طالب فلسطيني مغترب وحتى كل عامل فلسطيني . فعلى كل فلسطيني ان يكون سفيرا مخلصا ونشيطا لبلده . ومن المؤسف ان نرى عددا كبيرا من المغتربين الفلسطينيين دون مستوى المسؤولية يركضون وراء المال والمناصب ويولون اهمية بالغة لمشاكل شخصية سخيفة . ومن المؤسف ايضا ان نرى بعض الفلسطينيين في مقدمة من بدأوا البكاء على الثورة فلا يكتفون باهمال واجبهم الثوري ولكنهم يتربصون لغيرهم لانتقاد ما يقومون به من نشاط . واكبر خطر يتعرض له الطالب الفلسطيني المغترب هو ان يصبح مثقفا ثوري صالونات يولي الحوار الثوري العقيم اكبر اهتمامه فلا يبقى امامه مجال للعمل .

ولكن لكي يصبح الفلسطيني اداة اعلامية نشيطة وقوية في يد الثورة يجب ان تربطه بهذه الثورة صلة ثقة وتعاون مستمر . ومن المؤسف الملاحظة ان مثل هذا الاتصال يكاد يكون معدوما في البلدان حيث اتحاد الطلبة ضعيف او منقسم على نفسه . وكثيرا ما نلتقي بفلسطينيين لا علاقة لهم البتة بأي اتحاد ولم يسبق لهم ان علموا بوجود ادبيات الثورة . ولا بد من الاضافة انهم يكتبون للحصول على مثل هذه الادبيات ولكن دون فائدة . وما يثير الدهشة انه يكفي ان يكتب اي اوروبي الى بعض مكاتب الثورة لتبعث له الادبيات والنشرات (حتى بالعربية) ويضطر الفلسطيني الى اللجوء الى مثل هذه اللجان ليطلع على اخر التطورات . وهكذا نرى اللجان الاوروبية تقوم بالدور الاعلامي الذي كان من المفروض ان يكون الفلسطيني الزمبرك الفعال له . وما تلناه عن الفلسطيني كفرد يجوز قوله عن بعض اتحادات الطلبة الفلسطينيين .

العمل الاعلامي الفلسطيني في بلجيكا في الاشهر الاخيرة

ظل النشاط الاعلامي الفلسطيني يعاني من الركود في الاونة الاخيرة . ويعود ذلك الى فتور اعضاء اللجان وضعف بعض اللجان الاخرى والى عدم وجود تنسيق فعال .

اقيم في جامعة لوفان الكاثوليكية في مطلع شهر شباط اسبوع فلسطين اعدت له واشرفت عليه لجنة فلسطين الوطنية في بروكسل . وقد اقيم في نطاق هذا الاسبوع معرض صور فلسطينية ورسوم الاطفال في زمن الحرب . كما عرضت عدة افلام عن الشعب الفلسطيني والثورة الفلسطينية منها فلم النهر البارد . والقيت ايضا محاضرتان القى الاولى السيد احمد بابا مسكه مدير مجلة افريكاسيا الصادرة في باريس . والقى الثانية الاب بول لوبيرتون . اما احمد بابا مسكه فتحدث عن المرحلة الدقيقة التي تمر فيها الثورة الفلسطينية . فقال انها تتعرض لعملية احتواء من قبل الانظمة العربية التي تحاول امتصاص الروح الثورية تشجعها في ذلك المذابح التي تعرضت لها الثورة في الاردن . ثم اضاف ان سكان المناطق العربية المحتلة بدأوا يشكون في اخلاص الانظمة العربية التي تنادي بالتحرير بينما هي في الواقع تسير بخطى سريعة على طريق الحلول السلمية . وتحدث ايضا

عن مصاعب الثورة والوهن والانحسار والضعف التي تعاني منها الان على حد قوله . والواقع ان المحاضر كان سلبيا نوعا ما في نظرته الى الامور . فقال ان الثورة الفلسطينية في وضعها الراهن فشلت في تعبئة الجماهير وفي تحقيق معظم اهدافها . وتكلم عن بيروقراطية منظمة التحرير وخطر تحويل رجال المقاومة الى جيش نظامي وضرورة التصدي الى الانظمة العربية الرجعية او الاشتراكية اسميا وعدم التعاون معها اطلاقا . وكان السيد بابا مسكه قد القى محاضرة اخرى حول الموضوع نفسه في بروكسل تحدث فيها عن علاقة الثورة الفلسطينية بالثورة في الخليج العربي وخصوصا في المناطق المحررة من ظفار .

واما الاب بول ليوبيرتون وهو كاهن كاثوليكي من مدينة لييج واحد اعضاء الوفد البلجيكي الى الندوة العالمية المسيحية من اجل فلسطين التي عقدت في بيروت عام ١٩٧٠ . وتحت عنوان « التوراة والقضية الفلسطينية » شجب المحاضر بشدة تسخير التوراة لخدمة الاهداف العدوانية الصهيونية . واكد ان لا علاقة بين اسرائيل التي تعتبر رأس جسر استعماري في المنطقة وبين التوراة واكد ان المسيحيين الذين يدعمون اسرائيل مستندين الى كون اليهود شعب الله المختار الذي يعود الى ارض الميعاد انما هم مغبونون لا يفهمون معنى التوراة الصحيح فيدعمون الظلم والاستغلال والعدوان ويشاركون في تشريد الشعب الفلسطيني. وكان لمحاضرة الاب ليوبيرتون اثر طيب . والجدير بالذكر ان هذا الكاهن الجليل قد القى في الشهرين الماضيين ثلاث محاضرات اخرى حول نفس الموضوع وفي أماكن مختلفة من بلجيكا .

لقد كان هذا الاسبوع ناجحا نسبيا . ولكن كان من الممكن ان يكون انجح لو اعد له بشكل منطقي ولو نظم بالتنسيق مع اللجان الاخرى العاملة من اجل القضية الفلسطينية في كل من بروكسل ولوفان . فلم تشترك مثلا في تنظيمه لجنة التضامن مع الشعب الفلسطيني والشعوب العربية في بروكسل . وكان بامكانها ان تضاعف عدد الحضور لو اشتركت . كما لم تشترك في تنظيم الاسبوع لجنة التضامن في لوفان ولا الاتحاد العام للطلبة الفلسطينيين هناك . فكان مجموع من اشتركوا في المحاضرات الثلاث لا يزيد على ١٥٠ شخصا بينما كان من الممكن ان يحضرها ٣٠٠ او ٤٠٠ شخص لو كان هناك تفاهم وتنسيق .

وفي نهاية شهر شباط قامت منظمة «وجود فلسطين» ومقرها في باريس بتنظيم اسبوع عن فلسطين في المركز الثقافي لبلدية سكاربيك في بروكسل . وقد اقيم هذا الاسبوع بالتعاون مع اتحاد طلبة فلسطين وبعض الاتحادات الطلابية البلجيكية ولجان التضامن مع الشعب الفلسطيني . وقد اشرف عليه السيد نورالدين ابا الكاتب الجزائري المعروف . وقد اكد السيد أبا في مقابلة صحفية ومقابلة اذاعية اجريت معه في بروكسل بهذه المناسبة ان الحل الوحيد لنزاع الشرق الاوسط هو ان يعترف الاسرائيلي بحقوق الشعب الفلسطيني ويرضى ان يعيش معه في دولة شرقية ديموقراطية .

وفي نطاق هذا الاسبوع ألقى الاب يواكيم مبارك محاضرة تحدث فيها باقتضاب عن الناحية السياسية والناحية الانسانية والناحية الدينية للقضية الفلسطينية . وقال انه مهما كانت الناحية التي نفحص منها قضية الشعب الفلسطيني فالنتيجة دائما واحدة : شرعية النضال الفلسطيني المسلح لاستعادة وطنه المسلوب واقامة الدولة الواحدة الديموقراطية بعد تحطيم دعائم الصهيونية وتحقيق المساواة بين جميع المواطنين مهما كانت دياناتهم . وفي مساء اليوم التالي قام ممثل عن لجنة فلسطين في لوفان بعرض بعض الصور التي تبين بوضوح تاريخ وظروف الهجرة اليهودية الى فلسطين منذ آلاف السنين وحتى مطلع القرن العشرين . ثم القى رئيس اتحاد الطلبة الفلسطينيين كلمة قصيرة كذب فيها بعض ما تروجه الدعاية الاسرائيلية . وقال ان الحل الذي تقدمه الثورة الفلسطينية ليس هو الحل العادل الوحيد للشعب الفلسطيني ولكنه ايضا الحل الوحيد لما اسماه الغرب بالمشكلة اليهودية لانه يجتث الداء من اصوله ولا يكتفي بمعالجة مظاهره .

وقد قامت فرقة فرنسية باداء مسرحية شعرية كتبها السيد نورالدين ابا نفسه وعنوانها « لبيك يا فلسطين » . وقد تم تمثيل هذه المسرحية مرتين . وهذه المسرحية على حد قول كاتبها صرخة الم امام كل ما حل بالشعب الفلسطيني من كوارث واستنكار لتآمر الغرب وحتى الدول العربية (حيث الزعماء لا يجيدون سوى الخطابة) على قضية الشعب الفلسطيني . وينتقد الكاتب الاوساط المسيحية الغربية التي اضطهدت اليهود بحجة انهم قتلوا

المسيح ثم ارادت التكفير عن ذلك على حساب الشعب الفلسطيني . ويؤسفني ان نذكر ان هذه الفرقة وقعت ضحية لحادث سيارة في طريق عودتها الى باريس فتوفيت احدى الشابات واصيب الاخرون بجراح .

وقد اقيم خلال هذا الاسبوع معرض صور وكتب عن القضية الفلسطينية في احدى قاعات المركز . والجدير بالذكر ان عدد المشتركين في نشاطات هذا الاسبوع زاد عن ٣٠٠ شخص مع الايضاح ان هناك من اشتركوا في كل النشاطات .

وقد قام فريق من اصدقاء الثورة الفلسطينية بتنظيم سلسلة من المحاضرات اعدوا لها واقاموها انفسهم بالتعاون مع بعض الطلبة الفلسطينيين في مناطق لم يسبق ان وصلها الاعلام الفلسطيني في الماضي . وقد اقيمت اربع محاضرات من هذا النوع في قرى صغيرة . واقيمت محاضرة أخرى في مدرسة اكليريكية . وكانت هذه المحاضرات عبارة عن عرض صور تبين تاريخ القضية الفلسطينية وتاريخ فلسطين . ثم يتحدث أحد الرفاق عن ارتباط اسرائيل بالولايات المتحدة والرأسمالية ويتحدث آخر عن التفرقة العنصرية في اسرائيل ضد العرب وضد اليهود الشرقيين ويشرح ثالث اهداف وعدالة النضال الفلسطيني المسلح . كما أقام بعض اعضاء هذا الفريق بعدة نشاطات من هذا النوع في جامعة لوفان بالتعاون مع لجنة لوفان واتحاد الطلبة الفلسطينيين . وبالرغم من قلة عددهم فقد نظم هؤلاء نشاطات كانت في غاية الاهمية والفعالية. والجدير بالذكر انهم كانوا قد سافروا الى الشرق الاوسط في العام الماضي للاطلاع على الاوضاع بأنفسهم والتقوا بعدد من المسؤولين من الفلسطينيين . كما درسوا القضية الفلسطينية من كل جوانبها مما يسمح لهم باقامة المحاضرات دون الاضطرار الى دعوة محاضر خصوصا وهم ينظمون هذه المحاضرات في قرى صغيرة نائية . وهم يقومون الان بتنظيم رحلة اعلامية جديدة الى الشرق الاوسط .

وبالاضافة الى ذلك فقد وزعت اتحادات الطلاب العربية بالتعاون مع بعض اللجان احيانا مناشير بمناسبة العدوان الاسرائيلي على جنوب لبنان يشجبونه ويكشفون النوايا العدوانية والتوسعية للعدو . وقد صدر بيان بهذا الخصوص وقعه اتحاد الطلبة الفلسطينيين بالاشتراك مع الطلبة العرب والطلبة اللبنانيين . كما وزع اتحاد الطلبة السوريين بيانا في بروكسل حول نفس الموضوع . وقد اصدر مجلس السفراء العرب في بروكسل بيانا صحفيا يدينون فيه بشدة العدوان الاسرائيلي الجديد على جنوب لبنان الذي يبرهن بوضوح على متابعة اسرائيل لسياسة العدوان والتوسع وعن تحديها المستمر للرأي العام العالمي ولقرارات مجلس الامن . وقد اشارت الاذاعة البلجيكية الى هذا البيان مرتين كما ورد في صحيفة « لاسيتيه » مع تعليق لصالح العرب . هذا ووزع الطلبة السوريون في بروكسل نسخة عن رسالة مفتوحة وجهوها الى الملك حسين ويدينون فيها مشروعه الاخير المشبوه الرامي الى اقامة المملكة العربية المتحدة .

وقامت « منظمة التنمية والعدالة » في جامعة لوفان باصدار نشرة من عشرين صفحة تحتوي على موجز وعرض واضح صحيح للقضية الفلسطينية . وقد وزع من هذه النشرة حوالي ألف نسخة خلال الاسبوعين الاخيرين من شهر اذار . والجدير بالذكر ان هذه المنظمة تعمل كل عام على جمع التبرعات في المرحلة التي تسبق عيد الفصح من اجل اقامة مشاريع الدول المتخلفة . وقد نجح اصدقاء الثورة الفلسطينية في وضع مساعدة للمساهمة في بناء مستشفى تل الزعتر التابع للجبهة الشعبية . ولذا اغتنمت المنظمة هذه المناسبة لتوزيع هذه النشرة على المتبرعين ليفهموا لمن ولماذا يتبرعون . وكان لها اثر كبير . ومن المؤسف ان نلاحظ هنا ان هذه المنظمة قد اتصلت مرارا عديدة بالجبهة الشعبية تطلب منها الايضاحات حول هذا المشروع لانه لا بد من تقديم الايضاحات الكافية للحصول على المساعدة (التي من الممكن ان تزيد على الف دولار) . ولكن الرسائل التي بعثت للجبهة ظلت دائما دون جواب.

الفيلم الفلسطيني بين الوجود واللاوجود

ابراهيم ابو ناب

في عام ١٩٦٥ وصلت رسالة الى ادارة الاعلام في منظمة التحرير الفلسطينية من احدى المؤسسات السينمائية العالمية تعرض فيها انتاج فيلم سينمائي ملحمي عن القضية الفلسطينية يكون ردا على الفيلم الصهيوني « اكسودس » . وقالت تلك المؤسسة في رسالتها ان العالم ينتظر الجواب على « اكسودس » ولا شك في ان هذا الجواب سيكون مفيدا جدا للشعب العربي من الناحية الاعلامية كما انه سيكون مربحا جدا من الناحية المالية . وكانت تلك المؤسسة مؤمنة في الفيلم المقترح الى حد انها عرضت المشاركة في انتاجه من خلال استوديوهاتها ومعداتها على ان تقوم احدى الدول العربية الغنية كالكويت مثلا بتمويل المشروع وان تحصل منظمة التحرير على نصيب من ارباحه لمصلحة العمل الفلسطيني . واقترحت تلك المؤسسة على منظمة التحرير ان تقوم بتزكية هذا المشروع لدى الكويت على ان يتم انتاج الفيلم تحت الاشراف الفكري للمنظمة . ولا مجال لشرح فوائد ذلك الفيلم لو انه تحقق اذ انها بادية للعيان لكل ذي عينين . وانا اشك كثيرا في ان تكون تلك المؤسسة قد حصلت على مجرد جواب على رسالتها ولعل حظ المتطوع السينمائي الباكستاني كان افضل قليلا من حظ المؤسسة السينمائية العالمية . فقد بعث ذلك الشاب برسالة الى رئيس المنظمة يعرض فيها أن يتطوع في صفوف المقاتلين الفلسطينيين وان يتبرع للمنظمة بكل ما كان يملك الا وهي آلة تصوير سينمائية مقاس ١٦ ملم . ولم يطلب ذلك المتطوع من المنظمة شيئا سوى ان تزوده برغيف خبز واحد كل نهار لا اكثر ! وقد تسلم ذلك الشاب رسالة شكر على « مشاعره وعواطفه.» واعتذار عن قبول عرضه « في الوقت الحاضر » على ان ينظر في أمر طلبه حينما « تنشأ الحاجة » .

كان ذلك في عام ١٩٦٥ وكان يؤمل ان تكون الحال قد تغيرت كثيرا في عام ١٩٧٢ عما كانت عليه في ذلك العام . ولكن من يرى الافلام السينمائية التي انتجتها المقاومة الفلسطينية حتى الان ومن يرى المعدات والتجهيزات السينمائية المتوفرة لدى المقاومة فلا بد له وان يبدي اعجابا فائقا بالمبادرات الفردية التي عملت ما عملت وانتجت ما انتجت في ظل ظروف صعبة للغاية ، اصعبها هو استمرار ذلك الموقف اللامبالي من السينما لدى المسؤولين.

والموقف الان في الساحة السينمائية الفلسطينية هو كما يلي : لا توجد صورة دقيقة عن الكوادر والمعدات السينمائية لدى المقاومة الفلسطينية الا انها في مجموعها ولدى جميع المنظمات الفدائية بما في ذلك منظمة التحرير لا تزيد عن ثلاثة او اربعة من العاملين وبعضهم غير متفرغ . وربما لا تزيد آلات التصوير عن اثنتين او ثلاث من مقاس ١٦ ملم ولا شيء اكثر من ذلك . وقد انتج قسم الثقافة الفنية في منظمة التحرير عددا قليلا جدا من الافلام التسجيلية في فترة ما بعد حرب حزيران وكانت تصور بصورة رئيسية بعض مخيمات اللاجئين وتدريب الاشبال والشباب على القتال . واما فتح فقد انتجت عددا قليلا ايضا من الافلام التسجيلية التي تصور الاحداث والمعارك مثل مجزرة عمان ومعارك العرقوب . وكان ابرزها فيلم « بالروح .. بالدم » الذي فاز بجائزة الافلام الوثائقية المتوسطة الطول في مهرجان دمشق الاول للسينمائيين الشباب . وتنتج الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين افلاما وثائقية قصيرة للتثقيف السياسي وهي كما يفهم تزداد رواجا بين الشباب في اوروبا . وتعد مصدرا من مصادر الدخل ومنفذا من منافذ التثقيف .

غير ان انتاج الافلام « الفلسطينية » لا يقتصر على الفلسطينيين او منظمات المقاومة . فقد قام افراد عديدون بانتاج افلام روائية تستقي مواضيعها من المقاومة والعمل الفدائي وكانت الحوافز الرئيسية لانتاج تلك الافلام هي الربح المادي باستغلال الحماسة الجماهيرية للعمل الفدائي . وقد حققت بعض تلك الافلام ارقاما خيالية نسبيا من الربح مثل فيلم « فدائيون حتى النصر » او « عملية الساعة السادسة » الذي عرضه المنتج في سوريا ولبنان والمغرب وبعض الاقطار العربية الاخرى . كما قام عدد غير قليل من السينمائيين الشباب في الاقطار العربية باخراج افلام روائية فلسطينية واخرى تسجيلية وذلك لحساب مؤسسات سينمائية مثل المؤسسة العامة للسينما في الجمهورية العربية السورية . وقد تميزت اكثر هذه الافلام بنوعية

افضل بكثير من نوعية الافلام التجارية . ومن هذه الافلام « السكين » و « المخدوعون » و « نحـــن بخـــير » وغيرهـــا . ولربمـــا ان ذروة الافـــلام « الفلسطينية » الجيدة سيكون فيلم « سافاري » الذي تنتجه مؤسسة السينما القومية في الجزائـــر والتي سلكت في انتاجه طريقا مثل الطريق التي اقترحتها المؤسسة السينمائية العالمية التي جـــاء ذكرها في بداية الحديث مع فارق واحـــد هو ان المؤسسة الجزائرية نفسها قامت بتمويل المشروع وستقدم جزءا كبيرا من ارباحه لحركة المقاومة كما فهم .

لقد بات انتاج الفيلم الفلسطيني غير قاصر علـــى الفلسطينيين مثلما ان القضية الفلسطينية لـــم تعد ذات انتماء جغرافي محدود . ومما يدهش ويبعث على الاعتزاز عدد المخرجين الشبان العراقيـــين والسوريين الذين انتجوا افلاما فلسطينية . ومن بينهم من ينتظر له مستقبل لامع في عالم السينما . ولم التق بمخرج عربي شاب في اي قطر من الاقطار العربية الا وذكر لي ان حلمه الاكبر هو انتـــاج فيلم ذي قيمة عن فلسطين . ولعل هذا ليس دليل شعور قومي فحسب بل لان القضية ذاتهـــا هي قضية كبرى تمس اوتار قلوب الملايين في العالم . الا انه بقدر ما قد يكون هذا مفيدا وهاما بقدر ما هو في حاجة الى العناية والتنسيق . فقد تصبـــح القضية الفلسطينية ، او هي اصبحت ، مسرحا للافلام التجريبية يجرب عليها كل مخرج جديد ما في رأسه من نظريات وافكار قد لا تكون مطابقة لعالم الواقع او للمرغوب والمطلـــوب . وقـــد ثبت ان الكثيريـــن من غـــير المتعمقين في فهـــم القضية الفلسطينية ، وهي تحتاج بالفعل الى تعمق فـــي الفهم ، يحملون افكارا خاطئة او اخطاء شائعة . وليس اخطر من ترويج الفهم الخاطىء وتكريسه. اقول هذا وقد رأى الواحد منا نفسه احيانا وكأنه يريد ان يضرب نفسه او يمزق شاشة السينمـــا وهو يرى بعض الافلام « الفلسطينية » .

وقد اغرق بعض مخرجي الافلام « الفلسطينية » في الرمزية والسيريالية والتعبيرية واللاشيئية في الوقت الذي ما تزال الحاجة فيه ماسة للافلام الوثائقية الواقعية والمبسطة . فطلاب المدارس في الوطن العربي الذين لا يرون « اسرائيل » على الخارطة في اطالسهم والذين يعرفون حق المعرفة إن اسرائيل تحتل اراضي ثلاث او اربع دول عربية ، هـــؤلاء هم في امس الحاجة الى مثل هذه الافلام التي تشرح لهم القصة من اولها وتبين لهم ان فلسطين كانت مأهولة بالعرب . ليس هؤلاء فقط هم في حاجة الى مثل هذه الافلام بل ان العالم الخارجي هـــو في حاجة اليها ايضا . إنك لا تستطيـــع ان تقـــول الشعر لاناس لم يتمكنوا بعد من فهم الجمل المفيدة ومعرفة معاني المفردات .

اخبرني غي هونيبل الناقد السينمائي الفرنسي ان الافلام الفلسطينية في اوروبا تكاد تكون غير موجودة وان وجدت افلام تعرض الجانب العربي من القضية فغالبا ما تكون من صنع للاوروبيين وهي افـــلام لا تعطي القضية حقها . وقال ايضا « ان الجو مشبع بالافلام الصهيونية وفيها الكثير من الافلام الجيدة سينمائيا والتي لا بد وان تترك اثرا علـــى الشباب والرأي العام الاوروبي » . اننا نحتـــاج الى افلام جيدة للعرض في الخارج ، لا افلام هواة وافلام تجريبية . ولكن كيف يمكننا الوصول الـــى الافلام الجيدة على المستوى العالمي ونحن لم نبدأ بعد في انتاج الافلام البسيطة المبسطة عن قضيتنا؟ لقد عولجت قضية السينما حتى الان على مستوى الحكومات والجامعة العربية والمنظمات معالجـــة عجيبة غريبة لم تخل من المفارقات المؤلمـــة . ان فيلما سينمائيا عن القضية الفلسطينية عرض على لجنة الاعلام في الجامعة العربية . فتحول ممثلو الدول الى نقاد وحكموا جميعهم على الفيلم بأنه غير صالح للعرض في الخارج . وبقدرة قادر صار ذلك الفيلم صالحا للعرض بعد « ادخال بعـــض التعديلات عليه » واشترته الجامعة بثمن لا بأس به للعرض في الخارج . ولقد احست الجامعة نفسها باختـــلاط الحابـــل بالنابل في موضوع الافـــلام السينمائية . واعترف لي احد المسؤولين في ادارة الاعلام في جامعة الدول العربية بأن « تجاربنا مع الافلام السينمائية مفجعة » . لذلك فقد رأت ان يتم نوع من التنسيق والاشراف في هذا الموضـــوع واقترحت اقامة مهرجان سينمائي لافـــلام القضية الفلسطينية في شهر اذار من العام القادم في بغداد على ان تتولى الحكومة العراقية الاعداد للمهرجان والاشـــراف عليه . قد تكـــون قضية السينمـــا الفلسطينية قد بدأت تسير نحو حل باتجاهها الى بغداد في اذار القادم . ولكنني اقترح أن يكـــون اذار القادم في بغداد نقطة انطلاقة حقيقية للسينما الفلسطينية ويجب الاعداد لها منذ الان .

هنالك اقتراح في اوساط المقاومة بانشاء مؤسسة للسينما الفلسطينية . ان هذه الفكرة فيما اعتقد هي خير وسيلة للخروج من المأزق وتجنب الاخطار والاخطاء ومن الناحية الايجابية فهي خير وسيلة لتوظيف السينما في ما هو مفيد وواقعي وصادق . كما أنها من الناحية السينمائية قد تكون عاملا مساعدا جدا على خلق ما يصبو اليه السينمائيون العرب المثقفون والواعون من سينما عربية جديدة . وتستطيع مؤسسة السينما الفلسطينية ، أو يجب عليها ، القيام بالمهمات التالية : اولا ، تنظيم ارشيف سينمائي للقضية الفلسطينية يضم كل ما انتج عن القضية من افلام في الماضي والحاضر وفي كل الاقطار . وبذلك يكون هذا الارشيف مرجعا لا غنى عنه لكل انتاج جديد ويكون ارشيفا قوميا لحفظ تراث الشعب . ثانيا ، تنسيق الانتاج السينمائي عن القضية الفلسطينية بحيث لا يكون هنالك تكرار . ثالثا ، وضع برنامج للانتاج السينمائي بحيث يتم انتاج افلام متنوعة تدعو اليها الحاجة لاغراض العرض في البلاد العربية وفي الخارج . رابعا ، ضمان أن يكون الفيلم الفلسطيني من مستوى لا يؤثر تأثيرا سلبيا على القضية الفلسطينية . خامسا ، تقديم المساعدات للسينمائيين الشباب الذين يرغبون في انتاج افلام ذات قيمة عن القضية الفلسطينية . سادسا ، تأمين حاجات المدارس والجامعات والمؤسسات الاعلامية المختلفة من الافلام الفلسطينية . سابعا ، التعاون مع المؤسسات السينمائية العربية والعالمية لانتاج افلام من المستوى الذي ينافس الافلام الصهيونية. ان تكوين مؤسسة للسينما الفلسطينية لا يعني بالضرورة أن تكون المؤسسة ذاتها متصورة على الفلسطينيين وان كان من واجب الفلسطينيين أن يقوموا بتأسيسها والاشراف عليها . فمؤسسة السينما السورية مثلا ليست متصورة على السوريين حيث ان فيها العراقي والسوري والفلسطيني والمصري وغيرهم . ومثلما ان « الفلسطينية » قد باتت انتماء نضاليا بقدر ما هي انتماء جغرافي فمن الضروري أن تكون مؤسسة السينما الفلسطينية المقترحة مفتوحة لكل الطاقات العربية أيضا على أن يكون الشرط الوحيد هو أن تكون السينما ذاتها تحمل اهداف التحرر العربي وان تكون انعكاسا امينا للقضية الفلسطينية بكل جوانبها وابعادها . وان تكوين مثل هذه المؤسسة لكفيل بان يجمع الطاقات السينمائية الفلسطينية المبعثرة وان يكون بؤرة سينمائية عربية ذات اشعاع وان يسهم اسهاما قويا في تكوين السينما الجديدة او البديلة التي يتوق اليها الجمهور الواعي والشباب الباحث عن حياة عقلية جديدة للامة . ولا شك أن مركز الابحاث الفلسطيني ومؤسسة الدراسات الفلسطينية كانتا مؤسستين ضروريتين في عالم الابحاث العربية والاعلام والنشر. وقد اسهمتا اسهاما لا حد له في عدم وضع القضية فكريا في ملف النسيان . وان مؤسسة فلسطينية للسينما على هذا النمط ستكون ذات قيمة مساوية على الاقل . ومن الناحية العملية فمن المفترض أن تتمكن مثل هذه المؤسسة من الاكتفاء الذاتي دونما حاجة للمساعدة الا في البداية . بل انه من غير المستبعد أن تحقق مثل هذه المؤسسة ارباحا يمكن تخصيصها او تخصيص جزء منها للانفاق على اسر الشهداء ومؤسسات الرعاية الاجتماعية الفلسطينية . وانني اقترح أن يخصص ريع فيلم « سفاری » الذي تنتجه الجزائر لانشاء مثل هذه المؤسسة وان تقبل المؤسسة اية تبرعات بالمعدات والاجهزة من اية جهة وأن تستفيد من المنح الدراسية المعروضة للفلسطينيين وعلى الاخص المنح الدراسية العشر التي أعلن عنها المعهد العراقي العالي للاعلام والذي تأسس حديثا في العراق .

صحافة المقاتلين الجدارية

هادي ابو اسوان

بـدات فكرة اصدار نشرة جداريـة في قواعـد المقاتلين الفلسطينيين اثناء ممارسة حملة التثقيف المركزة الهادفة لاغناء عالم المقاتل فكريا وسياسيا وتفتيح كافة ابواب المعرفة امامه . فقد حدث مرة ان عاد احد المقاتلين من اجازته ملهوفا يسال: لماذا انا عضو في فتح ؟ واستطرد هذا المقاتل المجرب قائلا : انا اعرف انني جئت فتح لاستعيد وطنـي بالقتال ولكي تكف تسمية اللاجـىء عن مطاردتـي كلعنة ، جئت كي اقاتل من اجل فلسطين . هكذا قلت ولكن يبدو ان هذا كله لم يكن ليقنع الشخص الذي استوعب اجازتي كلها بالنقاش معه ، كنت اريد ان احكي له الكثير الا انني غير قادر ... ولا اعرف .. لا اعرف لماذا . وبالطبع فان توفير مفوض سياسي لكل القواعد قد يكون من الصعب توفيـره الان ، وربما لفترة طويلة اخرى وعليه فلا بد من ابتداع وسيلة يعلم المقاتلون بعضهم بعضا وبشكل جماعي ، فارتؤي اصدار نشرة جدارية ، وسميت « العرقوب » . وعندما رأى الاخ ابو عمار القائد العام للثورة العدد قال : ان اسم قطاعكم هو نسور العرقوب واقترح ان يكون اسم النشرة هو « نسور العرقوب » وقد كان . اما الشعار الذي صدرت على اساسه فهو « تبادل الخبر والمعلومـات والتجارب » باعتبار ان الخبر والمعلومات والتجارب هي فوق كونها وثائق ثورية اكثر دقة وصدقا فهي في نفس الـوقت التاريـخ الحقيقـي والنقـي للثورة والشعب عدا عن كونها في نتائجها المباشرة اداة جيدة من ادوات التعليم والايضاح امـام المقاتلين وبهم .

« الايام تمر ... والذاكرة قد تضعف وقد يرحـل البعض بما يحملونه من ذكريات لماذا لا نفكر في اخوة لنا سيواصلون الطريق بعدنا ؟ يجب ان نكتب لهم خبراتنا . اكتب عن العمليات التي شاركت بها . واذكر الابطال الذين استشهدوا ولخص الخبـرة التي خرجت بها ... بذلك نجنب اخواتنا تكرار التجارب » . الا ان هذه الفكرة اخذت بعدا جديدا وذا تاثير ومغزى اعمق غورا عندما جاء « ان اية كتابة ادبية أو عسكرية أو نظرية يقدمها مقاتل في الثورة هي وثيقة ثورية غنية ولها مدلولاتها العميقة ، وهي بالنهاية صورة لطرائق التفكير والتحليل والمعالجة ضمن هذه الثورة العظيمة . فلنشحـذ اقلامنا ، ولنركز افكارنا ، ولنكتب تجاربنا ، من اجـل ان نغني تراث الثورة ونسهل على مـن سيتبعنا الطريق » . وفي هذا الخصوص بالذات اي كتابة التجارب والذكريات في خضم العمـل الثوري يجد المرء تجربتين . الاولى هي « ذكريـات المشتركين في حرب العصابات ضد اليابان » وهي جملة ذكريات لمقاتلين في حـرب التحرير الكوريـة وبعض التجارب بشكل بسيط وموجز وقد طبعـت اكثر من طبعة من قبل حكومة كوريا الديمقراطية والطبعة الاخيرة منها مزيدة وموسعة . وهـذه التجربة هي الجانب الايجابي . اما التجربة السلبية او الجانب السلبي من تجربـة تدوين تجـارب المقاتلين وذكرياتهم فقد كانت ساحتها الجزائر التي قدمت مليونا مـن الشهـداء . الا ان الباحـث ــ ناهيك عن المواطن العادي ــ يجد كل الصعوبة، بل يعجز نعم يعجز عن العثور على ايـة وثائق يخرج منها بخبرات وعبر حتى انه يمكن ان يصدق القول بأن الثورة الجزائرية انتهت عندما انتصرت، ذلك ان اي المادة من ادبياتها ــ حتى الرسمي منها والذي كان يتداول داخل القواعد او التنظيم، منتفية ــ لم تتحقق .

وعليه بالنسبة لنا ، فقد انصب اهتمام خاص على العمليات بهدف تدوينها في « نسور العرقوب » لا سيما وان تلك العمليات قد انجزت بالفعل واصبحت دروسا وتاريخا ، ولكن لا بد من التساؤل عن امكانية استفادة العدو من وثائق كهذه . وهناك لا بد من تثبيت ان العمليات الفدائية ، وكل اعمال حرب العصابات تنطبق عليها هذه الصفة ، تتسم بأنها منقسمة الى ثلاثة اقسام : الاول هو الوصول من قاعدة الانطلاق الى الهدف نفسه . ثانيها انجاز العملية ــ الهدف ــ . ثالثها العودة من منطقة الهدف الى قاعدة الانطلاق المباشر او اي نقطة تجمع متفق عليها سلفا . وان ابرز ما يلجأ اليه العدو لحماية نفسـه ومنشآته هـو نصب الكمائن على الطرق التي يتوقع ان يتسرب منهـا المقاتلون . الا ان هذه الكمائن تتناسب قيمتهـا عكسيا مع جودة الاستطلاع . وعلى ذلك يبقى العدو مهما كثف وتفنن في وضع الكمائن ، يبقى

في موقع المتلقي لا موقع الفاعل او المبادر . اما موضع الهدف نفسه فان العدو يلجأ ايضا الى الكمائن وتكثيف الدوريات الا ان مصيرها كالاولى . وهنا لا بد من تثبيت — ايضا — ان اية خطة توضع في القاعدة ولاية عملية تقريبا تتعرض في اكثر الحالات للتعديل الفعلي اثناء التنفيذ ، ويترك بالاساس لقائد الدورية حرية التصرف والمبادرة الا في حالات خاصة جدا . فالدوريات تخرج من القاعدة بعد الاستطلاع لانجاز هدف معين ، الا دوريات الاستطلاع — الاقتحام ، الا انها تكيف اوضاعها حسب الظروف المتجددة والقدرة على المبادرة والمبادهة الذاتية لدى قائد الدورية وافرادها (قرب مستعمرة — علما — كان الشباب قد أرهقوا فالحمل ثقيل والارض غير مؤاتية وببساطة وجدنا في المستعمرة بغلا فاستولينا عليه وبذلك انحلت عقدة حمل الصواريخ الثلاثة الثقيلة) كما جاء في « تنفيذ عملية قصف صفد » .

لا يمكن اطلاقا في حرب عصابات ان يضع ضابط العمليات خطة كاملة بكافة تفاصيلها . فان الظروف المحيطة متغيرة ، مهما كانت دقة الحسابات على اساس الاستطلاعات المسبقة . ويتوقف كما أشرت حل المعضلات الاتية على مبادرات القائد وافراد دوريته . ولكي يتعلم المقاتل جيدا لا بد من تدوين تجارب معينة فتتفاعل تدرته على المبادرة لتؤدي بالنتيجة لوضع هذا المقاتل في مرتبة المبتكر الثوري ومن هنا من مرتبة المبتكر يقف العقل المعادي عاجزا تماما .

وما دامت الثورة قائمة ومستمرة فان حصر اتساعها ومردودها ودراستها صعب جدا . فكل يوم يولد معطى جديد من معطياتها وتأثيراتها . وقد لاحقت نسور العرقوب بعض التأثيرات ، منها مقاطع من رسالة شاب صغير الى اخيه المقاتل في صفوف الثورة ، قالت : ان اخطر ما تنجزه الثورة الفلسطينية واعمقه اثرا وابعده تأثيرا واشده فاعلية هو ما لا يظهر على مسرح الاحداث ولا يسهل تبينه واستشفافه على المراقب المتعجل والمحلل السريع ، فيمكن رصد ومعرفة العمليات العسكرية واحصاء الشهداء ونقد الاخطاء واظهار المحاسن وسوق الاطراء ... الخ ولكن ما يصعب فعلا هو معرفة الاثر التاريخي لظهور ظاهرة الكفاح المسلح كأسلوب فائق الفاعلية على الناس . ونشرت « نسور العرقوب » رسالة كتبها شاب في الصف الاول الثانوي اسمه ضياء لاخيه المقاتل في قوات الثورة يمكن من خلالها معرفة الاثر العام للثورة على الشباب : « لقد نسيت يا اخي ان اهنئك بالعيد الوطني .. عيد الثورة وهو يوم اعدام وصفي التل احد الوحوش الكاسرة حيث لا تزال كلمات النجدة التي أطلقها ابرياء العروبة، لا زالت يا عزيزي تلك الاستغاثات تدوي بذاكرتي .. وهي مجزرة الاحراش وجرش وعجلون وغيرها ، لا زلت اتذكر ما فعله وصفي بثوارنا وبقائدهم العظيم ابو علي اياد فكيف لا اطير فرحا لانتصار الرفاق ؟ كيف لا اكون سعيدا جدا لسماعي انه لا زال هناك فلسطينيون يطلقون الرصاص والزغاريد وامام الموت يعانق احدهم الاخر ... رحت اتصفح الوريقات — يقصد ملحق جريدة فتح الذي هو مجزرة ايلول وقد كان اخوه قد ارسله له مع رسالة بعد اعدام التل — وكنت كلما رأيت صورة تمثل الدمار يزداد اسفي على الركود والتهاون من قبل بعض ابناء الامة العربية عن وحش صغير كهذا في الاردن وغيره مما يدفعني ان احقد الحقد الكبير واقتنع بأن اشارك .. » علما بأن هذا الشاب عراقي ولم ير حتى لون التراب الفلسطيني وبالتأكيد سيخضب دمه يوما ذلك التراب .

ان البناء النفسي الكامن وراء هذه المقاطع من الرسالة لم يكن ممكنا ان يقوم الا بوجود الثورة ووجود اخ كاتب الرسالة ضمنها وتداول ادبيات الثورة وافكارها عبر الرسائل المتبادلة على بعد آلاف الكيلومترات . هذا كله ادى لان يكتب مثل ذلك الشاب تلك الرسالة المعبئة حتى الحقد ويطلب في آخر الرسالة تدبير انتسابه للثورة ، وهو ما يجب ان نرى عليه الجيل كاملا ، التعبئة حتى الحقد على اعداء الشعب والثورة كائنا من كانوا .

ولكن ماذا كان تأثير اصدار النشرة على المقاتلين انفسهم ؟ ان ابرز ظاهرة أعقبت اصدار النشرة وحث الجميع على المشاركة فيها ، هي ظاهرة اقتناء الكتب وبداية تكون مكتبات صغيرة وتبادل قراءة هذه الكتب بين المقاتلين . فقبل اصدار النشرة لم تكن موجودات القواعد من الكتب تتعدى بعض ادبيات الحركة ونشراتها مع انخفاض ملحوظ بمنسوب القراءة ، الا ان هذا المنسوب بدأ بالارتفاع شيئا فشيئا ، وهنا لا بد من الاشارة لنوعيات الكتب وسأختار ثلاث مجموعات من ثلاث

تواعد : المجموعة أ ، احتوت ضمن ما احتوت على ١٠ كتب عن اسرائيل كدولة ومؤسسات . المجموعة ب ، احتوت على ١٦ كتابا عن فلسطين تاريخا وجغرافية وتراثا . اما المجموعة ج ، فقد احتوت على ١٥ كتابا عسكريا بحتا . ولم اجد مثلا في المجموعة الاولى اكثر من ٦ كتب بعيدة فعلا عن المقاومة والعسكرية وفلسطين هي : مجلة طبيبك (عدد واحد) ، مجلة مواقف (عدد واحد) ، قصة شيء في صدري ، رسائل ابي حيان التوحيدي ، الفوضى والعبقرية لسارتر ، مجلة الموقف الادبـي (عددان) . وكان عدد المجموعات الثلاث ١٧٤ كتابا بعضها مكرر في اكثر من مجموعة علما بأن ملكية هذه الكتب جماعية للقاعدة كلها لان شراءها يتم على هذا الاساس لا بمعنى المشاركة بجمع قيمة الكتاب بل بمعنى شراء المقاتل للكتاب الذي يريده وجمعه مع بقية الكتب في مكان واحد هو في الاغلب صندوق سلاح او ذخيرة .

ان تنوع هذه الكتب ولو في مجال التخصص يعكس الاهتمامات التي فتقتها جملة الاعمال التثقيفية في القطاع لا سيما اذا علمنـا ان هناك ساعتي محاضرات يوميا تنوعت موضوعاتها حتى ليمكن القول انها شملت كل المعارف الانسانية مع تركيز خاص على حرب العصابات ، ويلاحظ بصـدد المحاضرات انها كانت غالبا تنتهي في الفترة الاولى دون اسئلة او بأسئلة قليلة مرتبكة وضحلة ، الا انه كلما تقدم تنفيذ البرنامج كلما ازداد عـدد الاسئلة وتخصصها وتحددها حتى كادت تتحول الى مناقشات عامة منظمة . وقد شجع هذا المنهج بالذات وروعي في موضوعين بشكل كبير جدا : استلاب ايران لجزر الخليج وتنفيذ حكم الاعدام بوصفي التل . وفيما بعد اصبحت مسألة التعبير عن الافكار والمشاركة في الجو الثقافي بكل حرية تقليدا طيبا وجد رمزه فيما بعد في التعليق على مواد النشرة نفسها او اي موضوع آخر فيما يتعلق بالثورة ، وعليه فقد ظهرت ظاهرة الكتابة واللصق على الجدران تحت شعار « اكتب والصق » بجانب النشرة او على مقربة منها . وهذه ادت في تطورها الى بروز ظاهرة جديدة هي الملصقات الجدارية (بوسترز) . ورغم بدائيتها ووضعها الخاص فقد كانت تتراوح بين الحكمة الثورية والشعار السياسي والتجربة العسكرية الشخصية والمعلومات العسكرية البحت : « خطاك الاول هو خطاك الاخير » ، « أضف كلورات البوتاسيوم الى كوكتيل مولوتوف تضاعف القوة » ، « لكي تهزم المحقق عليك بالذاكرة والذاكرة والمرح » ، « لا تحارب في العراء ابدا... اتخذ اي ساتر» ، « الاستطلاع الجيد نصف النجاح » ، « وقل ربي زدني علما » ، « لا يمكن تحقيق الانتصار بدون كسب الجماهير » .. الخ الا ان هذه الظاهرة تطورت هي الاخرى بشكل طبيعي عند اتساعها ومناقشتها المستمرة الى محاولة لرسم الافكار رسما كاريكاتوريا مذهل القدرة على نقل الفكرة والايحاء بتفاصيلها مما دعا لتشجيع هذه المبادرات وابرازها حتى وصلت الى اصدار جريدة كاريكاتورية جدارية مبتكرة الموضوعات ومترابطة بشكل رائع بين النكتة والعلم العسكري (مثل صورة حبلى وتحتها ... لغم مؤقت ٩ اشهر) .

ويلاحظ ان اغلب الوان تلك الصور مشتقة في الغالب مـن الوان الملابس المموهة العسكرية وتجمعت تلك الرسومات مشكلة في ذلك معرض ميدان ، ان صحت التسمية . الا ان ذروة النجاح كانت اصدار نشرة اخرى باسم « شبيبة نسور العرقوب » وهي نشرة جدارية مستقلة تماما عن اية مساعدة من خارج مجهودات شبيبة واشبال القطاع انفسهم اخراجا وتحريرا وافكارا .

السؤال الان : كيف يتصور المقاتل نفسه والعالم المحيط به ؟ وقد جاء في العدد الخاص الصادر بذكرى ١٩٦٥/١/١ : « عيد نفرح به أم ذكرى نستلهمها ... ام ماذا ؟ ان حدث ١٩٦٥/١/١ ليست له صفة العيد ... وما حدث في ١٩٦٥/١/١ ليس ذكرى للاستلهام فقط ذلك ان ما حدث في ١٩٦٥/١/١ هو (ماذا) كبيرة ، ضخمة هائلة ، وليس الشعب الفلسطيني وحده كان يتساءل بها بل الامة العربية كلها كانت تتساءل معه ، دون جواب ، ما العمل ؟ وماذا الحل وكيف .. ماذا كبيرة . وفجأة كما هي العادة في الاحداث الاصيلة تتفجر الـ (لماذا) في عيلبون » . ويستطرد المقال في مكان آخر : « آلاف الاسئلـة والاحتمالات والافتراضات وضعها وحاول الاجابة عليها القادة الرسميـون ورجـال الدول و- المفكرون ! — والساسة ورجال الحرب وأركان الاحزاب ومتولو الحركات ... الخ الا امر واحد لم يخطر على بال اي من هؤلاء وأولئك ... الثورة . فليست هي العيد . وليست هي الذكرى . بل لماذا كبيرة

طرحها واجاب عليها رجال العاصفة » .

ولكن كيف يتصور مقاتلو العاصفة الطريق بعد ان شقه لهم الرواد .. نفس الطريق بالضبط كما كثفه احد المقاتلين بهذا المقطع :

« والذي كان كبيرا بفؤادي صار اكبر
حبنا يا قدس أضحى
لك مجدا وأكاليل وعنبر
واذا ازداد فراقي
عنك يا قدس سيزهر
أنت يا قدس بقلبي
وأرى شوعك اخضر
سوف آتيك ... وآتيك
على جنح رصاصاتي واسكر
بهواك الحلو يا جوهرتي
والمجد في ارضي أحمر »

الا انه لكي يأتي للوطن مع جناح رصاصاته ويسكر بحبه له لا بد ان يستشهد قبله وبعده آخرون . « قال بكرة ان شاء الله نذهب للقائد ونطلب منه ان نقوم بدورية جديدة انتقاما لشهيد الدورية » . ولكي يتم فعلا الانتقام للشهيد ولكل شهيد وللوطن و« نهزم العدو يجب ان نحقد عليه من اعمـــاق قلوبنا » وحتى نفهم كيف هذا الحقد ينعل جاء في مقال الادب بين اثارة الشفقة وتعبئة الحقد « لان اليد التي تمسك بالبندقية لا بد لها ان يحقد حاملها على من سيطلق عليه النار » بل « يجب ان يحقد الثائر على اعداء اهله وشعبه ووطنه وان يصل حقده الى الدرجة التي تصعق فيها نظراته المطلة كراهية ... اعداؤه » .

ويضع المقاتلون سلما للاولويات في تقدير الامور يبدو انه ذو طابع متميز . ففي استفتاء عن أهم سبعة أحداث لعام ١٩٧١ أورد ان اهم الاحداث كانت : مقتل وصفي التل ، دخول الصين الامم المتحدة ، الحرب بين والهند والباكستان ، مجازر جرش وعجلون ، احتلال ايران للجزر العربية ، استشهاد العم ابو علي اياد ، تأميم ليبيا لشركة البترول البريطانية . ولم يحظ مؤتمر جدة وعودة يارنج الا بالمرتبة التاسعة والعاشرة . وكان يبدو ان مقتل القائد ابو علي اياد ليس الا أمرا طبيعيا لاستشهاد مقاتل عظيم . اما مجازر جرش وعجلون فهي مجرد مؤشرات سلبية علـــى المسيرة ، لذا جاءت في الطرف الثاني من الاهمية . الا ان هناك فارقا بين عدم اعطاء اهمية السبعة الرئيسية لموضوعي يارنج وجدة عن اعطاء اهمية اقل من بين السبعة لاستشهاد ابو علي ومجازر جرش فيارنج وجدة تلصت اهميتهما باعتبارهما خارج منهج الكفاح المسلح استراتيجيسا اما ابو علي وجرش فقــد عوملا كحادثين اعتياديين وطبيعيين جدا .

ورغم ان مواد النشرة كانت كلها بأقلام المقاتلين الا ما ندر ان يدعى احد الزوار للكتابة ، الا ان النشرة كانت مع ذلك تذكر بوجود تكثيف الكتابات : كان لمبادرة الاخوة المقاتلين دور كبير في املاء هذه النشرة بجملة المواد الجيدة ، لا شكر للذين كتبوا لهذا العدد .. بل دعوة لمزيد من الكتابة لتثقيف اخوتهم وهذا واجب ، ما زال كثير من الاخوة غير واثقين من أقلامهم فلم يكتبوا للنشرة ، ستزداد المساحة المخصصـــة لادب المقاتلـــين وانتاجهــم السياسي والعسكري ، على كل حال .. مالكم رد اليكم .

اخيرا ان الاهتمام بتجـــارب القتال والمقاتلـــين وتدوينها ، هي التراث الحقيقي لثورة شعبنـــا وامتنا واذا ما أردنا للشعب والامة ان يكونا مقاتلين فلندخلهم عالم المقاتل الرائع .

الفن التشكيلي العربي المعاصر والفن الفلسطيني

اسماعيل شموط

بدأت ظاهرة الاتحادات في العالم العربي في العشرين سنة الاخيرة ، وأصبحنا نقرأ تباعا اخبار مؤتمراتها هنا وهناك ، فهذا مؤتمر للمحامين العرب ، وذلك للمعلمين العرب والاطباء والمهندسين والادباء والشعراء والصيادلة وما الى ذلك . وهي ظاهرة ، مهما يقال فيها ، تبقى ظاهرة صحية ، رغم القائلين انها ردة فعل للفشل الذي اصاب تحقيق الوحدة العربية على الصعيد السياسي . وهي ضرورية لتثبيت الشخصية القومية العربية على الصعيد العالمي الذي بات الصراع فيه يفرض حتى على مستوى العلم والفكر والفن ان يتخذ اشكالا قومية وعقائدية الى حد كبير . ومهما كان الرأي فيما انجزته الاتحادات العربية العلمية والفكرية فقد كان لا بد للفنانين التشكيليين العرب من الانضواء تحت لواء اتحاد عام لهم ، بفعل ضغط الحاجة لمثل هذا الاتحاد النابع من المشاكل التي يعانيها الفنان التشكيلي العربي ماديا وادبيا وضرورة التصدي لهذه المشاكل وحماية الفن والفنان على حد سواء .

ولا بد في هذا المجال من العودة قليلا الى الوراء ، الى مطلع هذا القرن حيث بدأت اولى خطوات الحركة الفنية التشكيلية المعاصرة ، عندما بدأ نفر من الفنانين الناشئين العرب بالسفر الى اوروبا او التتلمذ على أيدي بعض الفنانين الاجانب الذين كانوا يعيشون في بعض الاقطار العربية ، خاصة اثر الحرب العالمية الاولى . ومن هؤلاء ، على سبيل المثال لا الحصر ، بدأ محمود مختار ويوسف كامل ومحمود سعيد واحمد صبري في مصر ، وتوفيق طارق وجورج خوري ومحمود جلال وميشيل كرشه في سوريا ، وداود القرم وحبيب سرور وخليل الصليبي ومصطفى فروخ في لبنان ، ومحمد صالح زكي وعاصم حافظ وجواد سليم وفائق حسن وحافظ الدروبي من العراق ، ويحي التركي وعمار فرحات من تونس . وبشكل عام يمكن القول ان المدرسة الواقعية الاكاديمية والانطباعية كانت الطابع العام لاعمال الرعيل الاول من الفنانين العرب وهو طابع كان سائدا في المعاهد التي تلقى فيها هؤلاء تعليمهم الفني او تأثروا به عن طريق الاطلاع .

وتأسست في العشرينات مدرسة الفنون الجميلة في القاهرة ، وهي الاولى في الوطن العربي . غير ان معظم الاقطار العربية اليوم تنعم بكلية او معهد للفنون الجميلة او اكثر . وبدأ الرعيل الثاني من الفنانين يتخرج من هذه المعاهد . وبدأ عدد كبير من هؤلاء يوفد في بعثات فنية للخارج ، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية ، حيث نتج عن ذلك نشاط ملحوظ في هذا المجال ، سواء باقامة المعارض الرسمية او الخاصة ، او ازدياد عدد كليات ومعاهد الفنون في الوطن العربي والاقبال الشديد عليها من قبل الموهوبين الناشئين .

وتتميز اعمال الرعيل الثاني من الفنانين العرب بالتحرر من القيود الاكاديمية الواقعية والانطباعية والانطلاق بالتجربة الفنية وراء المدارس والمذاهب الفنية العديدة الحديثة التي سادت العالم منها التكعيبية والرمزية والتعبيرية والوحشية والمستقبلية والسوريالية والتجريدية. وفي السنوات العشر الاخيرة ، بدأ الرعيل الثالث من الفنانين العرب يخطو خطواته الاولى مستفيدا من تجربة الرعيلين السابقين باحثا في الوقت نفسه عن ذاته العربية . لقد اكتشف الفنان العربي المعاصر انه اسير المدارس والمذاهب الفنية الغربية ودخل بحكم ظروفه الصراع القائم في حركة الفن التشكيلي العالمي . لكنه اكتشف اخيرا انه يصارع في دائرة مفرغة معزولة .

كثيرون جدا من الفنانين العرب ، خاصة الذين درسوا في الغرب او تأثروا بمذاهبه خاضوا التجربة والصراع على أشده ، وحاولوا كغيرهم من الفنانين الغربيين ان يثبتوا وجودهم عالميا عن طريق اللحاق بالمحاولات الحديثة في الفن ، وتميزت اعمالهم بقيمة فنية لا تقل عن تلك التي لدى الفنانين الغربيين بمقياس الناقد الفني الغربي ، ولكن النتيجة كانت دائما مفجعة للفنان العربي ، حيث احيط دائما بالعزلة والتجاهل والاهمال . ونتيجة لذلك عاد الفنان العربي يبحث عن هويته ، عن وجوده في وطنه وعن تاريخه وتراثه . فالعالم لا يريد وليس بحاجة ان نقدم له ما سبقنا غيرنا اليه ، لاننا في هذه الحالة لا نضيف اليه شيئا ، بل هو يتقبلنا

عندما نقبل عليه بهوية متميزة ذات منطلقات وتطلعات انسانية .

واكتشف الفنان العربي اول ما اكتشف ان هناك اربعمائة سنة من الضياع والخنوع عاشها عالمنا العربي في ظل حكم عثماني سلبنا كل مقوماتنا الحضارية والفنية ، الشيء الذي شكل فجوة كبيرة بين ماض عربي زاهر وتراث فني عظيم وبين محاولة الفنان العربي المعاصر . وبدأت ، على اثر ذلك ، تتشكل القناعة لدى الفنان العربي المعاصر بأن تجربته الفنية العربية يجب ان تنبع وتترعرع في مناخها الطبيعي على ارض الوطن العربي ، ومن خلال وعيه ودراسته للتراث العربي الاسلامي وخلفياته ، (الفن المصري القديم ، وفنون الرافدين ، والفن المسيحي الشرقي) ومعايشته للواقع العربي الحاضر والمساهمة في بناء المستقبل العربي ، وتفتحه على جميع التيارات الفنية والفكرية الخيرة في العالم . وبدأ يدرك ان اية حركة فنية او فكرية لا تثبت وجودها على المستوى القومي ، لا تستطيع في خضم الصراعات السياسية العالمية — وهي لا شك ذات اثر كبير على الفكر والفن — ان تفرض وجودها عالميا . والعودة الى التراث لا تعني للفنان العربي المعاصر ، ويجب ان لا تعني العودة الى الوراء ونسخ الماضي والاختفاء وراء جدرانه ، ولكنه — اي التراث — يجب العودة اليه بقدر ما يمكن ان يدفع الحركة الفنية العربية المعاصرة الى الامام . وغني عن القول ، ان التراث العربي وخلفياته تراث عظيم وينبوع لا ينضب اثر ويؤثر في الحركة الفنية العالمية ، ومن شأنه ان يحول الى طاقة تفجر في الفنان العربي مواهبه وتمكنه من بناء حضارة الانسان العربي المعاصر والمساهمة في بناء الحضارة الانسانية . ومعايشة الفنان العربي لواقعه العربي وواقع امته وتحديد دوره في معركة المصير العربي لا تعني التقوقع داخل اطار الطابع التسجيلي الوثائقي ، وانما المقصود هو احداث التفاعل الحقيقي بين الفنان ومجتمعه ، بآلامه وآماله ، وعكس ذلك في عمله الفني بأسلوبه الخاص ومن خلال معاناته الانسانية .

ولا بد لهذه العوامل ، التراث والمؤثرات الناتجة عن المعايشة الحقيقية للواقع ، والمؤثرات الفكرية والفنية الناتجة عن احتكاك الفنان مع التيارات الفكرية والفنية الانسانية في العالم بالاضافة الى المؤثرات الداخلية النفسية الموروثة والمكتسبة لذات الفنان، لا بد لهذه العوامل من ان تطبع حركة الفن التشكيلي العربي المعاصرة بالشخصية العربية ، بملامحها الانسانية الكاملة المستمدة من منطلقها التاريخي ومن تطلعاتها للمستقبل . ان مسألة الشخصية القومية في الفن التشكيلي مسألة صعبة ، وحلها لا يحدث بمجرد ادراك ما تقدم ، بل بالممارسة الفعلية لهضم التراث ومعايشة الواقع وتمثل المستقبل . ان مسألة الشخصية القومية في الفن التشكيلي العربي تختلف تماما ، وهي بالطبع اكثر تعقيدا ، عنها في الادب والشعر العربي . ففي الادب والشعر مثلا ، تنبع الشخصية العربية لكون المفردة التي يتألف منها العمل الادبي والشعر هي كلمة عربية ، بينما نجد مفردة الفن التشكيلي بشكل عام هي مفردة عالمية مجردة . فهي اللون والخط والضوء والكتلة . وما الى ذلك .. فهي مفردات يستعملها العاملون في مجال الفن التشكيلي في جميع انحاء العالم . لقد ظن عدد من الفنانين العرب ، تحت وطأة الشعور بضرورة ابراز الشخصية العربية في الفن التشكيلي العربي ، ان العودة الى التراث ، اي الزخرفة العربية او استغلال الخط (كاليغرافي) مع بعض التحويرات الحديثة هي الحل . وظنت مجموعة اخرى ان اعتماد البعدين دون الثالث في الرسم ، وهو مبدأ يعتبر احد العناصر المميزة لفن التصوير عند العرب قديما يمكن ان يؤكد الشخصية العربية في اعمالهم . وآخرون اتجهوا نحو تصوير الحياة العادية لشعوبنا العربية ، بازيائهم وملامحهم ومعالم بيوتهم ووطنهم ، بآلامهم ، وآمالهم ، من اجل الهدف ذاته . لقد وقع الفنان المكسيكي في اوائل القرن الحالي تحت نفس الهموم والمشاكل التي يعاني منها اليوم الفنان العربي . ولم يكن امام الفنان المكسيكي الا العودة لوطنه ، لتراثه وواقعه واستطاع ان يبني بعد ذلك حركته الفنية التشكيلية ذات الشخصية المكسيكية والتي تعتبر اليوم من اقوى الحركات الفنية التشكيلية في العالم المعاصر .. وليس امام الفنان العربي اليوم الا ان يتبع الطريق ذاتها التي سار عليها الفنان المكسيكي بالعودة للتراث والواقع العربي ، كأساس ينطلق منه ليرسم الحاضر والمستقبل ، وليبنى عليها حركته .

وفرضت هذه الامور كلها اول ما فرضت ضرورة ماسة لتلاقي الفنانين العرب وخلق اتحاد لهم يضم

كافة التجمعات الفنية التشكيلية في العالم العربي. ويعمل على : توفير فرص التعارف واللقاء بين الفنانين العرب لبلورة المسائل والقضايا الفنية عبر المناقشة والممارسة ، توفير فرص التعرف على مواطن عالمنا العربي وانساننا العربي ، ربط الحركة الفنية التشكيلية العربية المعاصرة بالتراث العربي وخلفياته ، احداث التلاحم والتفاعل بين الفنان والواقع العربي ، النهوض بمستوى التذوق الفني في مجتمعنا العربي ، تحديد موقع الفنان في معركة المصير العربي ومعركة التحرر والبناء ، اقامة الروابط الثقافية والفكرية والفنية مع المؤسسات الفنية العالمية من موقع القوة ، فرض الحركة الفنية التشكيلية العربية عالمياً للاسهام في بناء الحضارة الانسانية .

وانبثق الاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب في المؤتمر التأسيسي الذي عقد للفنانين التشكيليين العرب في اواخر العام الماضي في دمشق . والذي دعت له نقابة الفنون الجميلة في سوريا . وتشكلت امانة عامة للاتحاد قوامها سبعة اعضاء ، هم رؤساء الوفود السبعة المشاركة في مؤتمر دمشق وهي على الشكل التالي : اسماعيل شموط (فلسطين) امينا عاما ، ممدوح قشلان (سوريا) امينا للسر ، منير نجم (لبنان) امينا للصندوق ، د. صالح رضى (مصر) طاهر المغربي (ليبيا) ، الهادي التركي (تونس) ، خليفه القطان (الكويت) اعضاء .

وعملت الامانة العامة منذ تشكيلها في كانون الاول (ديسمبر) الماضي على الاتصال ببقية التجمعات الفنية العربية في العالم العربي من اجل انضمامها الى الاتحاد . وكانت فرصة طيبة اتاحها لنا العراق ، عندما دعت وزارة الاعلام العراقية لحضور مهرجان الواسطي الذي اقيم في شهر نيسان (ابريل) الماضي وانضمت جمعية الفنانين العراقيين للاتحاد ورشحت الجمعية الدكتور قتيبة الشيخ نوري رئيسها عضوا في الامانة العامة . كما التقينا بفنانين من البحرين والمغرب ، وسوف ينضم قريبا تجمع الفنانين في كل من المغرب والبحرين الى الاتحاد . كما ان الامانة العامة للاتحاد تجري اتصالات مع فناني الجزائر والسودان من اجل انضمام تجمع واحد لفناني كل منهما للاتحاد . والخطوة التالية للامانة العامة هي عقد المؤتمر العام الاول للاتحاد . وقد تبنت العراق عقده في بغداد في اواخر العام الحالي . كما انه سيقام اول معرض باسم الاتحاد اثناء انعقاد المؤتمر يضم اكبر مجموعة ممكنة تمثل الحركة الفنية التشكيلية العربية المعاصرة .

اين موقع الفنان الفلسطيني من الحركة الفنية التشكيلية العربية المعاصرة ، وما هو دوره فيها؟ ان الفنان الفلسطيني في هذا المجال ، لم يتمكن ، او لم تمكنه ظروف فلسطين السياسية من المشاركة في بناء هذه الحركة الفنية العربية الا بعد النكبة عام ١٩٤٨ . لقد كان نصيب فلسطين من المشاكل السياسية منذ اوائل هذا القرن اكبر بكثير من نصيب باقي الاقطار العربية . وربما سبب ذلك عدم بروز اي فنان تشكيلي فلسطيني قبل نكبة ١٩٤٨ . ويقول الفنان الفلسطيني عبدالرحمن المزين ، في بحث قدمه في مؤتمر الفنانين التشكيليين العرب — في دمشق تحت عنوان « دور الفن في المعركة » ، « المرحلة الاولى في حركة الفن التشكيلي الفلسطيني خضعت لظروف معينة كانت مادتها مستوحاة من مخيمات التشرد والضياع والحرمان وقسوة الحياة الاجتماعية التي يلاقيها شعب طرد من وطنه . وكان اسلوبها الفني تسجيليا لواقع مر وتعبيرا عن الصمود الذي نراه في وجه كل طفل وامرأة وشيخ على الثبات والعزيمة والعودة . وقد عبر عن هذه المرحلة بصدق واخلاص الفنان اسماعيل شموط والفنانة تمام الاكحل . وقد كان لهما فضل كبير في ارساء دعائم الفن الفلسطيني المعاصر وانارة الطريق للاجيال القادمة » .

ونجد اليوم معارض كثيرة لفنانين فلسطينيين تقام هنا وهناك سنويا ، فقد تخرج عدد كبير من الفنانين الفلسطينيين من المعاهد الفنية في العالم العربي وخارجه . واستطاعوا ان يثبتوا وجودهم الفني عبر اعمالهم في كثير من العواصم العربية، ولسنا بصدد حصر الاسماء بقدر ما هي على سبيل المثال ، فهناك مثلا ممن يعيش في لبنان تمام الاكحل وجمانه بايزيد الحسيني وتوفيق عبد العال وليلى الشوا ، ومن الذين في سوريا ابراهيم هزيمة واحمد ابو زينه وسمير سلامه ، ومن قطاع غزه (ومعظمهم يعيشون اليوم خارجها) عبد الرحمن ومحمد المزين وشفيق رضوان وفاروق هويدي . ومن الذين يعيشون في الاردن نصر عبد العزيز ومحمود طه وزكي شقفه وياسر الدويك

وعفاف عرفات واحمد نعواش ، ومن الذين بقـوا تحت نير الاحتلال الصهيوني في فلسطين منذ ١٩٤٨ عبد عابدي وعبد الله الكرا وفاروق دياب وخليل ريان وغازي الحج ومـروان ابو الهيجا وطـاهر زيداني .

وان تميزت اعمال الفنان الفلسطيني بشيء،فانما تتميز بأثر القضية الفلسطينيةالواضح عليها،مهما اختلفت الاساليب الفنية . اما الاثر الثاني ، وهو طبيعي، تأثرها بالتيارات الفنيـة العربية بشكـل عام ، باعتبار ان الفنان الفلسطيني اما ان يكون قـد درس الفن في احد معاهد الاقطار العربية او تأثر بفنانيهـا المعروفين . ولا تقـل الحركة الفنيـة التشكيلية الفلسطينية نضوجا عن الحركة العربية عموما ، رغم تأخر مشاركة الفنان الفلسطينـي للفنان العـربي في بناء الحركـة الفنية العـربية المعاصرة . لكنه استفاد من خبرات الفنان العربي والواقع المرير الذي عاشه شعب فلسطين عنـد نشأته . وهو في نفس الوقت يعاني من المشاكـل الفنية التي يعانيها الفنان العربي وشارك ويشارك في جميع النشاطات والمؤتمرات . ولا اكون مغاليا ان قلت ان حماس الفنان الفلسطيني وحرصه على دفع حركة الفن التشكيلي العربي اكبر قليلا مـن غيره ، منطلقا من المعاناة السياسية والانسانيـة لواقع القضية الفلسطينية والتي تجعله اكثر ايمانا بضرورة بلورة الحـركة الفنية العربية ودفعها في اطار موحد لتفرض وجودها عالميا ، وتتحدى القوى الصهيونية التي تقف وراء الحركة الفنية التشكيلية في الغرب . ان معظم الفنانين العرب ، ان لم يكن كلهم ، يتحسسـون ويشعرون بالالم لواقع المأساة التي حلت بالشعب الفلسطيني ، وكثيرون جدا منهم من اشتـرك في معارض خـاصة باسم فلسطـين وبأعمال مستوحاة من المأساة الفلسطينية والثورة الفلسطينية . ان لفلسطين وقعا كبيرا على الانسان العربي ، وهي على الفنان العـربي اكثر وقعا واكبر اثرا . وواجب الفنان الفلسطيني في هـذا المجال ان ينمي شعور المشاركة الوجدانية الذي تفرضه فلسطين لدى الفنان العربي وتطويره عنده بحيث يجسده الفنـان العربي في عمله الفني . ولا سبيل اقوى لدى الفنان الفلسطيني مـن ان يقوم بواجبه في هذا المجال الا من خلال الاتحاد، الذي آمن به ودعمه منذ ولادته . ويشرف الفنان الفلسطيني انه كان اول المنادين في اول جلسة لاول مؤتمر للفنانين التشكيليين العرب من اجل الدعوة للاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب وضرورة تحقيق قيامه . وقد بذل الوفد الفلسطيني مجهودا كبيرا مشاركا زملاءه العرب في جميع الاعمال التي أدت الى قيام الاتحاد .

الاستراتيجية الدعائية الاسرائيليـة في الهنـد خلال النصف الاول مـن ١٩٧١

محمد علي العويني

تعتبر هذه الدراسة دراسة لحالة من حالات الدعاية الصهيونيـة ، وهـي الاستراتيجية الدعائيـة الاسرائيلية في الهند ، خلال النصف الاول من عام ١٩٧١ . وقد اعتمدت بصفة اساسية على تحليل المضمون ، وهو اسلوب من اساليب تحليل المواد الاعلامية . ويهدف اساسا الى كشف الديناميات الخفية وراء المواد الاعلامية او الدعائيـة حسب الاحوال * .

الموضوعات المعروضة ومدلولها الجغرافي : يلاحظ على الموضوعات التي تعرضها الدعاية الاسرائيلية انها مرتبطة بالعملية الدعائية التي تعتبر احدى ادوات السياسة الخارجية الاسرائيلية . كما انها تركز على منطقة الشرق الاوسط آخذة في اعتبارها المجتمع الهندي كمستقبل للرسالة الدعائية . كما يلاحظ تنوع الموضوعات المعروضة ، اذ تتراوح بين موضوعات سياسية واقتصادية وعسكريـة وعلمية واجتماعية وفنية اي اكثر من زاوية. وكثيرا ما تلجأ الدعاية الاسرائيلية الى الاغراق الدعائي اي عرض موضوعات دعائية كثيرة ومتنوعة . وعلى هذا الاساس فان اي مهتم بأحد فروع المعرفة سياسية او اقتصادية او علمية يقع تحت تأثير الدعاية الاسرائيلية . فاذا كان هناك شخص يهتم بالموضوعات الفنية ولا يميل الى الموضوعـات السياسية فيمكن ان يقع في الدعاية الاسرائيلية عن طريق الموضوعات الفنية وذلك على سبيل المثال ، واذا كان هناك شخص مهتم بالطب مثلا فتحقق الدعاية الاسرائيلية هدفها بعرض الموضوعـات الطبية اي ان الدعاية الاسرائيلية تأخذ في اعتبارها الجوانب السيكولوجية والثقافية المتعلقة بالميول الفردية .

تفاوت درجات العمق في العرض الدعائي : تتفاوت الموضوعات بين الموضوعات العميقة والموضوعات الاقل عمقا لكسب الرأي العـام الهندي لصالح اسرائيل واثارته ضد العرب . ومن الموضوعات العميقة موضوع « اقامة السلام مع اسرائيل » حيث تحاول فيه الدعاية الاسرائيلية ان تصـور وجود صفات مشتركة بين مصر واسرائيل فهناك بعض الموضوعات التي يوجد بشأنها بعض الاتفاق، وان كان الاتفاق غير كامل وهناك موضوعات لا تصادف اي اتفاق . وتقول الدراسة في النهاية اذا كانت مصر هدفها السلام فانها ستعطي اسبقية للموضوعات التي يوجد بشأنها اتفاق مسبق سواء أكان ذلك الاتفاق شاملا او جزئيا . وهناك ايضا مقال تحت عنوان « المناطق المدارة من يملكها » يحاول ان يبرر حـق اسرائيـل في امتلاكهـا ، والمقصود بالمناطق المدارة الاراضي العربية المحتلة. ويوجد مقال تحت عنوان « قرار نوفمبر حول الشرق الاوسط ـ طريق مسدود او معالم للطريق » . ويحاول فيها المنطق الدعـائي الاسرائيلي ان يفسر ذلك القرار بطريقة تتمشى مع الاهداف السياسية الاسرائيلية . هذا بالاضافة الى الموضوعات الاقل عمقا مثل موضوع « الحياة في كيبوتز » وموضوع « دبلوماسي اسرائيلي يزور الهند » وموضوع « اسحق واسماعيـل في مستشفى هداسـا » وموضوع «كفوا عن قتل الابرياء». وهذا يساعد على ايجاد قراء حقيقيين للنشرة من مختلف الفئات ، اي ان الدعاية الاسرائيلية تحدث اغراقا دعائيـا يتراوح بين عمق الموضوعات وبساطتها ، وبالتالي تأخذ في اعتبارها تعدد المستوى الثقافي للمستقبلين.

مدلولات الالفاظ المستعملة : يلاحظ ان اختيـار الالفاظ عامل هام في العمل الدعائي ومن الالفاظ المستعملة « تحرير اليهود في الاتحاد السوفييتي » يعطي انطباعا باضطهـاد اليهـود في الاتحـاد السوفياتي . وتطلق اسرائيل على الاراضي العربية المحتلة « المناطق المدارة » حتى لا يكون هناك ايحاء بالاحتلال الاسرائيلي . ومن الالفاظ المستعملة « اسرائيل دولة شجاعة تواجه ١٤ دولة معادية ». كما اطلقت اسرائيل في هذا الصدد على الفدائيين كلمة ارهابيين وان العرب يقتلون بعضهم بعضا . ووصفت اسرائيل محاكمات اليهود فـي الاتحاد

---

* اعتمدت الدراسـة بشكل اساسي علـى نشرة *News From Israel* التي تصدر عن القنصلية الاسرائيلية في بومباي (مجلد ١٨ ، الاعـداد ٣ ــ ١٣ الصادرة بين ٢/١ و ١٩٧١/٧/١) .

السوفييتي بأنها مخالفة للقانون السوفييتي حيث أوردت خطابا موجها من البروفسور زلمان ميللر الاسرائيلي الى البروفسور بونتكوفسكي السوفييتي. اي انه يبدو من الاهمية بمكان ملاحظة مدلولات الالفاظ المستعملة لانها تؤثر بدورها على مستقبل الرسالة الدعائية من حيث الانطباع الذاتي تجاه اسرائيل واهدافها .

استخدام الكذب كمدخل دعائي : الدعاية التي تستخدم الكذب أسوأ انواع الدعاية وأقلها نجاحا اذا أمكن اكتشافها واستغل هذا الاكتشاف في تحطيم الثقة بهذه الدعاية . واصبح الكذب في العصر الحديث أمرا صعبا نتيجة لتطور وسائل الاتصال وظهور امكانيات واسعة لكشف الحقيقة. وجاء في منشور منسوب الى ادارة الحرب النفسية الامريكية انه اذا كان الكذب مفيدا فيشترط ألا تضبط الاكذوبة او تكتشف وتكون وظيفة رجل الدعاية في هذا الصدد ان يعمل بكل الطرق حتى لا تكشف الاكذوبة وان يعد نفسه للرد عند اكتشاف الاكذوبة . وهذا ما تفعله اسرائيل . وعلى سبيل المثال نشرت اسرائيل رسالة زعمت انها كانت بين الاوراق التي تركها الجنرال ديجول وتم ارسالها الى شخصية بارزة في اسرائيل جاء فيها انه يرغب في التكفير عن نفسه امام الشعب اليهودي وانه عندما هاجم يهود فرنسا — على حد زعم الرسالة — كان ذلك يرجع الى اسباب سياسية ، وان ديجول قرر محاولة التودد للدول العربية كمحاولة لاستعادة العظمة التي فقدتها فرنسا وانه قرأ ان اليهود يقفون على مقابر اعدائهم وهو لا يرغب في ان يكون من هؤلاء وينصح ديجول اسرائيل بالجرأة وعدم التفريط في مطالبها العادلة ، وان العرب يفهمون الثبات ولا شيء غيره وانه دفع ثمنا باهظا لما توصل اليه . وفي نهاية الرسالة يثق ديجول في ان هذه الكلمات القليلة تكفي لتوضيح انه الان ذو قلب نادم رغم روح الكبرياء التي ستبقى دائما جزءا منه . ونرى انه من المرجح ان هذه الرسالة كاذبة لان كل ما نشر قبل وبعد وفاة ديجول يؤكد ان هذه الرسالة مختلقة ، ولو كانت صحيحة لنشرت في الحال وقبل ذلك الوقت بكثير ، كما يلاحظ انها نشرت في الهند ولم تنشر في فرنسا كما لم تبرز بشكل واضح مما يؤكد كذب هذه الرسالة .

وزعمت الدعاية الاسرائيلية ان طالبا من غزة كان يدرس في جامعة القاهرة وتم طرده الى عمان في ٢٤ ديسمبر ١٩٧٠ لانه عبر عن آراء موالية لاسرائيل ، وكانت هناك مناقشة اشترك فيها هذا الطالب مع الطلبة المصريين الذين وصفوا الاسرائيليين بأنهم قتلة مثل النازيين وقام هذا الطالب بنفي هذه التهم ، ولهذا طرد الى عمان . وسمع والدا الطالب المقيمان في غزة بهذه القصة من العائدين الى غزة من زيارة لعمان . وذكرت ذلك الصحف الاسرائيلية دون ذكر اسم الطالب على حد زعم المصدر الاسرائيلي . ونرى ان هذا الخبر كاذب فلم يذكر اسم الطالب كما ان الفلسطينيين أول من يعرف الاعمال الوحشية والهمجية التي ارتكبها وما زال يرتكبها الاسرائيليون .

كما نشرت اسرائيل خبرا عن اختبار اجرته مجلة الحوادث اللبنانية لطلبة جامعة بيروت اثبت صحة ما توصل اليه الدكتور انيس صايغ في كتابه « الجهل بالقضية الفلسطينية » عن ان الشعب العربي يتحدث اكثر مما يقرأ . وفي هذا الصدد ذكر اسم الدكتور انيس صايغ على انه Dr. Anis Wayi وانه مدير المركز الوطني للدراسات الفلسطينية National Centre of Palestinian Studies وهذا الكذب واضح فمن البديهي ان الاسم الصحيح هو « مركز الابحاث — منظمة التحرير الفلسطينية » وهذا يوضح المحاولات التشويهية التي تقوم بها اسرائيل ، وهذا الكذب لا يحتاج الى جهد لاثباته.

الديناميات الخفية وراء الاستراتيجية الدعائية الاسرائيلية في الهند : تمت في هذا الصدد باستخلاص الديناميات الخفية وراء الاستراتيجية للدعاية الاسرائيلية في الهند مع الاخذ في الاعتبار بشكل اساسي الترتيب الزمني للنشرات وان كل ما هو وارد هنا هو ما تردده الدعاية الاسرائيلية:

١) اسرائيل تسعى الى السلام : تسعى اسرائيل الى السلام وتعمل من اجله اما الدول العربية فلا تسعى الى ذلك بشكل جاد . ٢) مصر تعاني من التغلغل الروسي : مصر تعاني من التغلغل الروسي في شئونها ولا سيما في المجال العسكري .

٣) اضطهاد اليهود في الاتحاد السوفييتي : يعاني اليهود من الاضطهاد في الاتحاد السوفييتي وهذا أمر لا يرغب فيه المجتمع الدولي فضلا عن ان الاضطهاد يعتبر مخالفة للقانون السوفييتي .

٤) اسرائيل كانت خاضعة للاستعمار وحصلت على استقلالها : اسرائيل ليست صنيعة الاستعمار ولكنها حصلت على الاستقلال بدون موافقة

الاستعمار وهي مجتمع عضوي وله شخصية فريدة مثل مصر . ٥) اسرائيل دولة علمانية ومناهضة للعنصرية : يقول المنطق الدعائي الاسرائيلي ان اسرائيل ليست ثيوقراطية او عنصرية ولكنهـا علمانية ومناهضة للعنصرية . ٦) وجود مجتمع عربي فلسطيني يختلف عن المجتمع الاسرائيلي : تعترف اسرائيل بوجود مجتمع عربي فلسطيني يرغب في ان يكون له اطار سياسي خاص بـه ولكنها ترفض قبول ان الطريق الوحيد لحل المشاكل الخاصة بالمجتمع الفلسطيني هو انهاء استقلال المجتمع الاسرائيلي . ٧) القدس مدينة موحدة : يذهب المنطق الدعائي الاسرائيلي الى ان القدس كانت مدينة موحدة خلال تاريخها ، وقسمت خلال فترة قصيرة استغرقت ١٩ سنـة بين اسرائيل والاردن واعيدت وحدة المدينة عـام ١٩٦٧ وان اسرائيل لن تتنازل عن وحدة المدينة . ٨) سوريه ملتزمة بسياسة تبحث عن تحطيم اسرائيل : ظلت مرتفعات الجولان لمدة ١٨ سنة كقاعـدة للجيش السوري استغلت في قصف القرى الاسرائيلية ، وتبقى سوريه ملتزمة بسياسة تبحث عن تحطيم اسرائيل . ٩) اقتصاد العمل في اسرائيل يتجه نحو التحسن : يتجه اقتصاد العمل الاسرائيلي نحو احراز تغير في الانتاج وزيادة العاملين فيه وتحقيق معدلات نمـو بهذا الاقتصاد . كما ادى الاحتلال الاسرائيلي الى تحسن الوضع الاقتصادي في الضفة الغربية وقطاع غزة . ١٠) اسرائيل تمثل فكرة النموذج : تقدم اسرائيل نماذج جديدة مثل الكيبوتز — المزارع الجماعية — وتدعي ان ذلك النمط اشتراكي تمارس فيـه الديمقراطيـة ويتحمل الكيبوتز مسؤوليـة خاصة في التطـور الاجتماعي بالاضافة الى دور شباب الكيبوتز في الجيش . ١١) اسرائيل لها حق امتلاك الاراضي العربية المحتلة : يذهب المنطق الدعائي الاسرائيلي الى ان الدول العربية قامت بغزو فلسطين عـام ١٩٤٨ وهذا الغزو غير شرعي وان الاردن ضمت الضفة الغربية اليها وان غزو مصر لغزة — على حد تعبير الدعاية الاسرائيلية — غير شرعي وان سيناء كانت تحت السيادة التركية حتى عام ١٩٢٣ وامتلكت مصر سيناء لمدة ٤٤ عاما حتى يونيو ١٩٦٧ وبالتالي يحق لاسرائيل السيطرة عليها ، واعتبرت اجزاء من مرتفعات الجولان جزءا من فلسطين قبل عام ١٩٤٨ وبالتالي يحق لاسرائيل السيطرة عليها ، اي ان اسرائيل تدعي ان لها حق امتلاك الاراضي العربية المحتلة . ١٢) اسرائيل دولة ديمقراطية والدول العربية دول دكتاتورية : اسرائيل دولة ديمقراطية مثل الهند على عكس الدول العربية التي لا تستطيع الادعاء بأنها ديمقراطية . ١٣) العرب تقتلة انفسهم : قتل كثير من العرب منذ حرب ١٩٦٧ على يد العرب اكثر من العرب الذين قتلوا على يد القوات المسلحة الاسرائيلية . ١٤) اسرائيل دولة متقدمة تكنولوجيا : تقوم اسرائيل بأبحاث في مجالات مختلفة كالطب والهندسة وتكنولوجية الاعلام اي انها متقدمة تكنولوجيا . ١٥) اسرائيل قادرة على الهجوم على مصر : اسرائيل قادرة علـى الهجوم على مصر واختراق نظامهـا الدفاعي . ١٦) اسرائيل تقبل قرار مجلس الامن الصادر في نوفمبر ١٩٦٧ : يرسم قرار مجلس الامن معالم الطريق وتقبل اسرائيل هذا القرار ويدعو القرار الى اتفاق الطرفين وهما في مركز التفاوض ، وان الدول العربية هي التي ارتكبت العدوان قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ وشملت هذه الاعمال العدوانية — على حد زعم المنطق الاسرائيلي — اغلاق مضايق تيران والقصف من مرتفعات الجولان والنشاط الفدائي ، ولم يشر قرار مجلس الامن الى الانسحاب الكامل. ١٧) اسرائيل حقيقة تاريخية : هناك ماض اثري لاسرائيل يؤكد جذورها التاريخية على حد ادعاء المنطق الدعائي الاسرائيلي وتحدث المنطق الدعائي عن متحف صموئيل برونفمان للتوراة والاثار . ١٨) الفدائيون قتلة : تطلق الدعاية الاسرائيلية على الفدائيين اسم ارهابيين وروت امثلة منها مقتل رجل درزي، والاعتداء على مدني اسرائيلي واسرته مما ادى الى مقتل طفليه . ١٩) تعايش العرب والاسرائيليين في الاراضي المحتلة بسلام : يتعايش العرب والاسرائيليون في الاراضي المحتلة جنبا الى جنب في سلام ويؤدي الاسرائيليون عدة خدمات لهم منها الخدمات الطبية . ٢٠) معاداة السامية في الدول العربية : يستغل المنطق الدعائي الاسرائيلي سوء فهم بعض اجهزة الاعلام العربية وخلطها بين اليهودية والصهيونية ومهاجمة اليهود واستنادها على بروتوكولات حكماء صهيون التي تصفها الدعاية الاسرائيلية بأنها سيئة السمعة بالاضافـة الى المزاعم ان هناك معاداة للسامية في الدول العربية. ٢١) لاسرائيل رسالة في الدول النامية : تقوم اسرائيل بوضع خبرتها في متناول الدول النامية في المجالات المختلفة حتى تتوافر الخبرة التي تستطيع ان تحل محـل الاسرائيليين في هـذا الصدد .

٢٢) الدول الشيوعية تؤيد حق ضم الاراضي عن طريق القوة : أورد المنطق الدعائي الاسرائيلي بعض الامثلة على ذلك . ٢٣) العمل على المشاركة السياسية للعرب في اطار النظام الاسرائيلي : يقصد بالمشاركة السياسية مدى تفاعل الفرد مع النظام السياسي القائم وعملت اسرائيل على المشاركة السياسية للعرب في اطار النظام الاسرائيلي واورد المنطق الدعائي الاسرائيلي بعض الامثلة منها اختيار عبدالعزيز الزعبي كأول عربي يعين في منصب نائب وزير في اسرائيل. ٢٤) الاحكام الاساسية لاتحاد الجمهورية العربية تعكس شكوك حكام الاتحاد تجاه التأييد الشعبي : استدل المنطق الدعائي الاسرائيلي على ذلك بالاشارة الى الفقرة الخاصة باتخاذ الاجراءات الضرورية للمحافظة على القانون والنظام في الاتحاد وامكانية تدخل السلطات الفيدرالية للمحافظة على النظام واعادة الوضع الى حالته الطبيعية . ٢٥) مصر تمثل مظاهر التخلف الحضاري والثقافي : يزعم المنطق الدعائي الاسرائيلي انه في ظل الاشتراكية المصرية يحصل ٨٥ ٪ من السكان على ٣٢ ٪ من الاستهلاك القومي ، اما معدل الامية فهو ٧٠ ٪ . ٢٦) الفلسطينيون العرب استعماريون : يزعم المنطق الدعائي الاسرائيلي ان الفلسطينيين العرب استعماريون في اطار الغزاة الاستعماريين ولم يقيموا اي مدنية محلية خاصة بهم او اي حياة سياسية مستقلة . ٢٧) اسرائيل دولة صغيرة تقوم بدور كبير : تقوم اسرائيل بدور كبير رغم انها دولة صغيرة فعلى سبيل المثال تقوم اسرائيل بدور في تعليم القادمين من آسيا وافريقيا بالاضافة الى الطلبة الاجانب المسجلين في مؤسسات التعليم الاسرائيلية المختلفة . ٢٨) اسرائيل تريد الامن ولا تريد وثائق : يذهب المنطق الدعائي الاسرائيلي الى ان الامن لا يتحقق من خلال الوثائق ولكن عن طريق ما يسمى بالحدود الامنة وليس من خلال الوثائق . ٢٩) معاهدة الصداقة المصرية السوفيتية تشكل خطرا على مصر : تهدف هذه المعاهدة الى انقاذ الموقف بعد التغييرات التي حدثت في مصر وهذه المعاهدة خطوة لم يسبق لها مثيل في علاقات الاتحاد السوفييتي مع اي دولة خارج المعسكر الشيوعي وبعيدة عن حدودها وجاء توقيع هذه المعاهدة ليس نتيجة للصراع العربي الاسرائيلي ولكن نتيجة للسياسة السوفييتية الخاصة بتحويل مصر الى قاعدة اساسية في البحر المتوسط وشمال افريقيا بهدف توسيع التوغل السوفييتي في هذه الشواطيء وتجاه الجنوب نحو افريقيا والمحيط الهندي وخلق تهديد لاوربا من جهة الجنوب . وتستخدم مصر هذه المعاهدة لتهديد اسرائيل والضغط السياسي على الغرب . ٣٠) هناك علاقات وثيقة بين الصين والفدائيين : هناك علاقات قوية بين الصين والفدائيين مع الاخذ في الاعتبار العلاقات المتوترة بين الصين والهند . ٣١) الاسرائيليون من اهل الكتاب ومن اهل السلاح . ٣٢) أغلبية الشعب الفرنسي يؤيد اسرائيل : استشهد المنطق الدعائي الاسرائيلي على ذلك بتصريح اندريه مونتيل رئيس لجنة الشؤون الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ الفرنسي وهو في نفس الوقت رئيس جمعية الصداقة الفرنسية الاسرائيلية . ٣٣) حرية التعبير في اسرائيل : يعترف الفلسطينيون بحرية التعبير في اسرائيل ، وهذا يعطي انطباعا بدرجة عالية من الثقة . ٣٤) الليبيون ينظرون الى المصريين على انهم غزاة : ينظر الليبيون الى المصريين على انهم غزاة — لقيام المصريين باستغلال الثروة الطبيعية في ليبيا . ٣٥) الاسرائيليون والهنود يحملون ثقافات قديمة وخصبة : يحمل الاسرائيليون والهنود ثقافات قديمة وخصبة ، كما انهم تمردوا ضد الحكم الانجليزي ويدين الهنود والاسرائيليون للانجليز بدين من حيث اخذ طرق الادارة وتنظيم الخدمة المدنية كما أمكن الاستفادة من القانون الانجليزي . ٣٦) الهند واسرائيل تتبعان نظاما ديمقراطيا حرا : تتبع الهند واسرائيل نظاما ديمقراطيا حرا ، اي هناك تشابه بين الاثنين . ٣٧) الهند من الدول القليلة التي لم تضطهد اليهود . ٣٨) تحسن اوضاع الاقتصاد الاسرائيلي : يرتفع متوسط الدخل في اسرائيل كما تزداد الصادرات كما ان الكيبوتز نموذج من وضع اسرائيل بالاضافة الى بوادر قيام سوق مشتركة عربية اسرائيلية والعمل على تشجيع الصناعة في الاراضي المحتلة . ٣٩) تحسن اوضاع عرب اسرائيل : يلاحظ تحسن اوضاع عرب اسرائيل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية كما تقوم اسرائيل بتقديم معونة طبية للاجئين وتعليم ابناء البدو في سيناء والعمل على انشاء المدارس .

الاستراتيجية الدعائية وموقف الهند الرسمي :

يستخلص من استراتيجية الدعاية الاسرائيلية في الهند انها تتبع احدث ما توصل اليه التطور في الدعاية . وهذا بالطبع مركز في مدينة بومباي على

وجه الخصوص والهند بشكل عام. وتهدف اسرائيل من دعايتها الى اقامة علاقات دبلوماسية مع الهند عن طريق انشطة واتصالات مختلفة بالجماعات المؤثرة في النظام السياسي الهندي ولا سيما فيما يتعلق باتخاذ القرارات السياسية بالاضافة الى التأثير على الرأي العام الهندي ولا يخفى دور الجمعيات المؤيدة لاسرائيل في الهند بالاضافة الى دور الجالية اليهودية منها وذلك لكسب الرأي العام الهندي في جانب نمو اسرائيل وتدعيم نفوذها السياسي هناك .

الالمام بالاستراتيجية الدعائية الاسرائيلية في الهند :

ان الاعلام السليم هـو الذي يأخذ في اعتباره الاهداف المحددة والامكانيات المتاحة لاستخدامها أقصى استخدام ممكن لتحقيق الاغراض الموضوعة مع الاخذ في الاعتبار خصائص مستقبل الرسالة الاعلامية والدعاية المضادة مع ملاحقتها واخذ زمام المبادرة منها او على الاقل الرد على كل مزاعمها وتفنيدها بالاستناد الى المصادر الاقوى في الاثبات كلما امكن ذلك . كما يجب تفنيد الالفـاظ التي تستعملها الدعاية الاسرائيلية والرد على الكذب الذي تستخدمه والرد بشكل فعال على المنطق الدعائي الاسرائيلي .

ويمكن الاستفادة من النشرات الدعائية الاسرائيلية، فبعض هذه النشرات تعترف صراحة بأن حرب ١٩٦٧ غيرت الوضع في اسرائيل ليس فقط عسكريا بل وايضا سياسيا فادت الحرب الى الرخاء في الظروف الاقتصادية والى التقدم السريع كما ان الحرب حلت كثيرا من المشاكل الاقتصادية ، وهذا لـه اهمية كبيرة لانه من مصدر اسرائيلي . كما اشارت بعض النشرات الى التعاون بين اسرائيل وهولندا في برامج التعاون الفني للدول النامية . وهذا يكشف الطابع الاستعماري لبرامج التعاون الفني الاسرائيلية باعتراف المصادر الاسرائيلية ويمكـن استغلال ذلك في الدول النامية .

من هنا تبدو من الاهمية بمكان معرفة الاستراتيجية الدعائية لاسرائيل في الهند بالنسبة للاعلام العربي في الهند بشكل خاص والاعلام العربي بوجه عام . فمعرفة هذه الاستراتيجية أمر هـام في تخطيط الاعلام بالنسبة للهند بالاضافة الى التنفيذ والمتابعة المستمرة لاستراتيجية الدعاية الاسرائيلية للاستفادة منها في اعادة النظر في الاهداف وبالتالي التنفيذ والمتابعة وهكذا تستمر الدورة لمواجهة استراتيجية اسرائيل الدعائية .

مؤتمرات

مراسلو شؤون فلسطينية

ندوة الحوار الاعلامي بين الشرق والغرب

جـ. هـ. جانسن

يتناول هذا التقرير ندوة الحوار الاعلامي التي عقدت في بيت مري بفندق البستان في ايار ۱۹۷۲ من زاوية ما اشتملت عليه من أبحاث ومناقشات تتعلـق بالنزاع العربي ـــ الاسرائيلي ، او بعبارة أخرى ، ما له صلة بالقضية الفلسطينية . واذ يحصر المرء البحث في هذه الناحية لا يضير هذه الندوة الاعلامية وما اشتملت عليه في شيء ، لان تأثير القضيـة الفلسطينية وأثرها على التفاهم بين الغرب وبلدان الشرق الاوسط كان باستمرار لا مناص من تطرق البحث اليه ولا مهرب منه ، أيا كانت موضوعات البحث المقررة في مختلف الجلسات . وفي واقع الامر ، كان الانطباع الاساسي الذي خلفته هذه الندوة الاعلامية في نفوس رجال الاعلام الغربيين الذين شاركوا فيها ، وان كان هذا الانطباع لم يكن نتيجة مسعى مقصود او خطة متعمدة ، بل تولد من جراء التكرار والاعادة ، هو انه لا مفر من مواجهة واقع ان العلاقات الراهنة بين أوروبا واميركا من جهة وبين البلدان العربية من جهـة اخرى محكومة بالقضية الفلسطينية ومرصودة بها. وقد احتج عدد من الغربيين المشاركين في هذه الندوة على هذا التضييق لنطاق أبحاث الندوة ، بيد ان معظم المشاركين في الندوة أقروا بهذا التضييق وعدوه من وقائع الحياة السياسية المعاصرة . ولا ريب ان منظمي الندوة قصدوا ان تشمل ميادين البحث فيها جميع المشاكل والمصاعب التي تعترض سبل الاتصال بين العـرب والعالـم الغربـي اللاشيوعي ، فمنظمو الندوة الاساسيون هم معهد الصحافة الدولي ومؤسسة فورد التي مولتهـا ودفعت تكاليف انعقادها . واذا كان سير اعمال الندوة قد زاغ عن نطاق أبحاثها الاصلي الواسع، فان ذلك يعزى ، ولو جزئيا ، الى البروفيسور ستانلي سميث استاذ الصحافة في جامعة ميشيغان الاميركية والعصب المحرك للندوة لعدم حزمه في ادارة جلسـات الندوة . فلسوء الحظ ، قرر البروفيسـور سميث ان يدير اعمال كل جلسة رئيس مختلف ، وهذا ترك أثره في انقطاع البحث والنقاش في القضايا التي تطرح ، وزاد البلبلة وعـدم الانتظام في البحث والمناقشة ان كل واحدة من الجلسات الصباحية والمسائية قسمت الى جزئين ، يتحدث في كل جزء منهما ثلاثة او اربعة خطباء ، مما لم يوفر للمتحدثين وقتا كافيا لعرض افكارهم وايفائها حقها من الشرح والتوضيح ، كما لـم يتيسر الوقت لاجراء مناقشة عامة لهذه الاراء والافكار التي يطرحها كل متحدث . ولكن ، كما ورد في مطلع هذا التقرير ، لقد فرض سياق البحث العشوائي شيئا من الوحدة الاتفاقية في ابحـاث الندوة وموضوعاتها لواقع ان معظم الخطباء ، باستثناء قلة ضئيلة منهم ، لم يتقيدوا في بحث الموضوعات التي قررت لهم بل كانوا يعرجون دائما على بحث تأثير النزاع العربي الاسرائيلـي على وسائل الاعلام في العالم الغربي ، هذا في حين ان الوجه الاخر لابحاث الندوة وهو طريقة معالجة وسائل الاعلام في الشرق الاوسط الاخبار الواردة عن الغرب ، مر عليه الخطباء مرور الكرام . وقد وفر هذا التركيز غير المقصود على تأثير النزاع العربي الاسرائيلي لرجال الاعلام العرب المشاركين في الندوة فرصة ذهبية لوضع الامور في نصابها ، ولكن الفرصة ضاعت دون أن تغتنم. ولعل معارضة

اسرائيل انعقاد الندوة في لبنان مرده خشيتها من ان يسيطر على جو الندوة موضوع النزاع العربي الاسرائيلي ، ولكن سير اعمال الندوة اثبت ان خوفها لم يكن في محله ، ولم تكن وفود الاعلاميين الغربيين الذين شاركوا في اعمال الندوة بالقوة التي توخاها منظمو الندوة في الاصل ، اذ ان عددا ، غير قليل ، ممن وجهت لهم الدعوة للمشاركة في اعمال الندوة اعتذروا عن ذلك في آخر لحظة بسبب تصاعد الاحداث الهامة قبيل انعقاد الندوة بقليل ، فكانت هناك زيارة نيكسون لموسكو ، ولغم الامريكيين لمداخل الموانيء الفيتنامية . ورغم هذين الحدثين الهامين اللذين تزامنا مع الندوة فقد حضر للمشاركة في اعمالها عدد لا بأس به من كبار المحررين الصحفيين ورجال الاعلام البارزين من بريطانيا والولايات المتحدة (الاقطار الاوروبية لم تكن ممثلة تمثيلا جيدا في الندوة) ، وكان بالامكان خلق انطباع جيد وربما هام لدى هؤلاء لو تم اغتنام هذه الفرصة . ولكن لم يخلق مثل هذا الانطباع الجيد لدى حضورها من الغربيين لسببين : لم يكن رجال الاعلام العرب الذين شاركوا في سير اعمال هذه الندوة حازمين او اشداء في مواقفهم بالدرجة الكافية او المطلوبة، كما انهم لم يكونوا مجهزين بدرجة كافية بوقائع تفصيلية وملموسة حول واقع سيطرة الصهيونيين على وسائل الاعلام الغربية او كيفية استغلالهم لها وتأثيرهم عليها . واذا كان هنالك من درس يستفيده المرء من مجريات الامور في هذه الندوة فهو حاجة رجال الاعلام العرب الملحة والعاجلة الى دليل صغير يشتمل على امثلة من ادلة واثباتات وشواهد على اساليب عمل الصهيونيين في تزييف الحقائق والوقائع وتزييف حرية التعبير ممثلة في ادواتها وهي وسائل الاعلام سواء من الداخل (بالسيطرة على وسائل الاعلام والتأثير من داخلها) او من الخارج (بممارسة الضغوط والتشهير ، واجراء التطبيقات السياسية والمالية) .

ونظرا لخلو جعبة رجال الاعلام العرب الذين شاركوا في أعمال الندوة من مثل هذه الشواهد والادلة الناصعة على سيطرة الصهيونيين على وسائل الاعلام الغربية جرت المناقشات في الندوة على وتيرة واحدة تتكرر مع كل متحدث عربي ، اذ يقف الخطيب العربي ويتهم وسائل الاعلام الغربية بأنها متحيزة وغير منصفة ولا تتوخى الدقة في اخبارها ، وأنها تذيع معلومات مشوهة بسبب التأثير والنفوذ الصهيونيين ، في حين ينكر رجال الاعلام الغربيين بشدة الاتهامات بالتحيز ، ويقولون أنه اذا بدا أن هنالك نقصا في المعلومات التي تذيعها وسائل الاعلام الغربية فالمسؤول عن ذلك هو اجهزة الدعاية العربية لعدم كفاءتها ، وانه اذا حاول الصهيونيون ممارسة اية ضغوط (وهو ما طالبوا العرب بابراز أية شواهد عليه) فانهم لا يخضعون ابدا لمثل هذه الضغوط ولا يدعونها تؤثر عليهم !!!. ونظرا لما كانت تتميز به ردود فعل رجال الأعلام الغربيين من شدة وقوة كان المتحدثون العرب يعتذرون تأدبا بأنهم لم يقصدوا المس برجال الاعلام الغربيين !! وأن أجهزة الاعلام العربية نواقصها كثيرة — وان هنالك ضغوطا صهيونية تمارس على وسائل الاعلام الغربية دون ان يعطوا أية امثلة ملموسة !!...

وكانت النتيجة ان رجال الاعلام الغربيين كانوا دائما الرابحين في جولات المناقشات ، اذ كان العرب يعترفون ، بنزع الامانة ، بنواقصهم الكثيرة ، في حين ان رجال الاعلام الغربيين لم يعترفوا مطلقا باية نواقص من جانبهم في تغطيتهم وتقديمهم لانباء الشرق الاوسط سواء كان انكارهم ذلك عن جهل او قلة امانة او ادعاء لفضيلة ليست فيهم . بيد ان الاتهامات المتكررة التي اطلقها رجال الاعلام العرب في الندوة حول تحيز الاعلام الغربي وسيطرة الصهيونيين عليه ، وان كانت غير مدعومة بأدلة وشواهد فعلت اخيرا فعلها في المستمعين الغربيين ، اذ عبر بعضهم عن دهشته لان يجد رجال الاعلام العربي من مختلف الاقطار يعتقدون بأن الصحافة الغربية متحيزة ، ولكن كان هنالك ايضا بين الغربيين بعض الغلاة الذين زعموا إنه اذا كان لديهم شيء من التحيز لدى قدومهم الى الندوة فان هذه الاتهامات التي اطلقت جعلتهم يغادرون وهم اشد تحيزا .

وقد بين عدد من الخطباء بأن لدى الغربيين تحاملا ثقافيا وتاريخيا قديم العهد ضد العرب ، وعدم تفهم لاوضاعهم ، مما جعل الصحافة الغربية متحيزة ضدهم في عرضها للاخبار . وقد وقع خلال سير الندوة مثال نموذجي على سوء التفاهم الناشيء عن التحامل ، فقد ذكر احد الصحفيين الامريكيين انه لم يحدث مطلقا ان زاره اي شخص من العرب العاملين في الحقل الدبلوماسي والاعلامي

في الولايات المتحدة ، في حين ان احد المسؤولـين الاسرائيليين كان يزوره بانتظام . وقد هلل لهـذه الشكوى معظم العرب بين الحضور ، بما فيهـم غسان تويني صاحب جريدة « النهار » لانها جاءت برهانا على انتقاداتهم لاجهزة الاعـلام العربـي الرسمية ، ولكـن الصحفي الامريكي وعـددا من زملائه ظنوا ، من فرط تحاملهم ، ان الاعلاميين العرب كانوا غير راضين عما ذكره ، فكان رد فعل الامريكيين كان لسان حالهم يقول : « غريب امـر هؤلاء العرب في عنادهم وتعنتهم ، اذ كيف يتسنى لهم ان يشعروا بالسرور لان ممثليهم الدبلوماسيين والاعلاميـين يرفضـون عامديـن التعامـل مـع الامريكيين !! » . وقـد استنفد وقت غير قليل في محاولة التوضيح للصحفي الامريكي وصحبه ان الاستاذ تويني ورجال الاعلام العرب الاخرين كانوا يهللون مرحبين بما وجهه الصحفي الامريكي من نقد لاجهزة الاعلام العربي ولم يكونوا مستائين منه .

وحري بالعرب ان يتنبهوا لواقع انه حتى بعـض الصحفيين الغربيين الاصدقاء للقضية العربية مثل أريك رولو المحرر في «اللوموند» الباريسية ومايكل أدامز المحرر السابق في « الغارديان » اللندنيـة وجدا من النواقص في الجانب العربي اكثر ممـا وجدا لدى الجانب الغربي عند عرضهما اسبـاب الفجوة الاعلامية القائمة بين العرب والغرب . فقد عدد رولو بين عوامل سوء التفاهـم القائم مـن الجانب الغربي : سطحية الصحافة ونزوع العقل الغربي الى التركيز على الـذات اي التمحـور الذاتي ، بينما كانت مآخذه على الجانب العربي : طبيعة البلاغة العربية وبالتالي نزوع العرب الى هذه البلاغة في لغتهم ، عـدم احتفال العقليـة العربية بتوخي الدقة في عرض الامور ، واتسـام العقلية العربية بالعاطفية ، وانعـدام الدقة في المعلومات ، وعـدم الكفاءة التكنيكيـة ، وجنوح العـرب الى هـوس الخـوف مـن التجسـس والجواسيس ، ولجوءهم الى ممارسـة الرقابـة الشديدة على وسائل الاعلام . اما مايكل ادامز الذي هو نفسه من اشهر ضحايا الضغط الصهيوني فقد اشار في كلمته الى الضغط والنفوذ الصهيونيين على وسائل الاعلام الغربية ، غـير انه تحـدث بصورة عامة غير محددة ، بيد انه ازال ما كـان لاشارته العامة هذه من معقول بمناقشته في الحديث عن عدم كفاءة برامج الاعلام العربية ، ورفـض الحكومات العربية السماح للصحفيـين بالسفـر بحرية بين اسرائيل والبلدان العربية. وقد استطرد المتكلمون بعده في الحديث باستفاضة عن مسألـة حرية سفر الصحفيين من اسرائيل واليها لتحقيـق تغطية افضل لاخبار الشرق الاوسط مع ان هـذا العائق الذي افاضوا في الحديث عنه غير قائم لان الحكومات العربية لا تمانع في سفر الصحفيين الى اسرائيل طالما انهم يستخدمون عند قدومهم مـن اسرائيل وثيقة سفر اخرى غير التي استعملوهـا في الدخول لاسرائيل . وبهـذا الصـدد اقترح أريك رولو توفير حرية العبور لكل من الصحفيين الاسرائيليين والعرب الى بلـد الطرف الاخـر .

لقد كانت كلمتا اريك رولو ومايكل ادامز من أهم الكلمات التي القيت في يوم افتتاح الندوة ، اما من الجانب العربي ، فكان اهـم المتحدثـين في يوم الافتتاح تحسين بشير الذي كان حتى عهد قريـب الناطق الرسمي باسم الخارجية المصرية ، وقـد اشتمل خطابه على عدة نقاط جيدة وقوية ، ولكن مفعولها ضاع في غمرة ما اتصف به خطابه مـن تشويش وما كان يفتقر اليه من تنظيم . وقد كان خطاب احمد بهاء الدين رئيس تحرير « الاهرام » افضل الكلمات العربية التي انقيـت في النـدوة تنسيقا واشدها مفعولا ، فعرض ، بايجاز وحسن تعبير ، العوامل الاساسية الكامنة وراء تحامـل الغربيين ضد العرب . وقد اشار ، شأن الكثيرين من الخطباء الاخرين ، الى الاثر الباقي للحـروب الصليبية في نفوس الغربيين في تحاملهم الراهن على العرب . وفي واقع الامر ، لقد تردد ذكر الحروب الصليبية كثيرا في هذه الندوة .

لقد كان المشاركون في الندوة يتطلعون بفارغ الصبر الى سماع وجهة النظر الفلسطينية التي قدمهـا الدكتور فايز صايغ الذي خصص له ، لسوء الحظ، عشرون دقيقة فقط ، وقـد استهل كلمته بالوعـد باعطاء ثمانية امثلة على كيفية سيطرة الصهيونيين على وسائل الاعلام الامريكية واساليب ممارسـة نفوذهم عليها . وقد انتهى الوقت المقرر له بانتهاء عرضه لمقدمة حديثه التي اشتملت على تأكيد قوي لتحيز وسائل الاعلام الغربية ضد العرب . ولسوء حظ القضية العربية لم يسمح الوقت للدكتور صايغ بان يتحدث مطولا عن اي من الامثلة الثمانية التي وعد بها في مستهل حديثه ، سيما وانه مؤهـل بوجه خاص لاعطاء مثل هذه الامثلة نتيجة خبرتـه العملية الطويلة في الولايات المتحدة .

تحدث في الندوة خطيب واحد فقط من خارج الشرق الاوسط او العالم الغربي هو السيد طرزي فيتاشي من مؤسسة « خدمات الاخبار الاسيوية » في هونغ كونغ . وقد اظهر التحليل الذي عرضه لمقدار تغطية اخبار الشرق الاوسط في بلدان جنوب اسيا وشرقها وجنوبها الشرقي ان الصحف في هذه المناطق اقل احتفالا حتى من الصحف في اوروبا واميركا بما يجري في بلدان غرب اسيا . ولكن هذا الواقع بحد ذاته يشكل تحديا لبرامج الاعلام العربي وفرصة للقائمين عليه ليعملوا على اذابة جليد اللامبالاة تجاه القضايا العربية في تلك المناطق .

وعلاوة على مايكل ادامز ، حضر الندوة شخصان بارزان اخران ممن تعرضوا لضغط صهيوني مباشر ، أحدهما هو الدكتور أ. سي. فورست محرر مجلة « يونايتد تشيرش اوبزرفر » التي تصدر في تورنتو بكندا ، ومؤلف كتاب « الارض غير المقدسة » الذي طارده الصهيونيون ولاحقوه وتعرض لشتى الضغوط وعمليات التشهير منهم بسبب آرائه المناوئة للعدوان الاسرائيلي . وقد تحدث الدكتور فورست في احدى جلسات الندوة ، وكانت كلمته مؤثرة جدا بالنسبة لاولئك الذين كانوا يعرفون قصته مع الصهيونيون وما لاقاه على أيديهم ، ولكن لم يستدرجه أحد ليروي بالتفصيل لحضور الندوة من الصحفيين الغربيين تجربته المرة مع الصهيونيين ، حيث أن معظم هؤلاء الصحفيين الغربيين لم يكونوا يعرفون من هو ، ولم تكن لديهم اية فكرة عما كان يشير اليه في حديثه .

أما الشخص البارز الاخر ممن لهم تجربة شخصية مع الارهاب الصهيوني فهو الدكتور جون ديفيس المندوب العام السابق لوكالة الامم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الاونروا) ، ولكنه آثر الصمت ، ولم يلق كلمة في الندوة ، مع انه كان بامكانه ان يروي لحضور الندوة تجربته المرة مع الضغوط الصهيونية ، حيث لم يستطع ان يجد اي دار نشر امريكية تقبل نشر كتابه « السلام المراوغ » حتى بعد ان نجحت الطبعة البريطانية منه نجاحا فائقا (واخيرا قامت دار نشر عربية بنشره في الولايات المتحدة) . وكل هذا يجعل من الضروري جمع قصة تجارب هؤلاء الناس مع الضغوط الصهيونية في كتاب واحد لاقناع اولئك الذين لا ينفكون يتعللون بانهم يريدون امثلة ملموسة على الضغوط الصهيونية لكي يقتنعوا بوجود مثل هذه الضغوط .

أن أحد الاسباب الهامة التي جعلت هذه الندوة أقل فائدة وجدوى مما كان بالامكان ان يتحقق منها هو ان المشاركين فيها كانوا ثلاثة اصناف ومن مستويات ثلاثة متفاوتة — فكان هناك صحفيون ، ومسؤولون حكوميون ، وأكاديميون . اما الصحفيون ، والمسؤولون الحكوميون فكان واحدهم يفهم على الاخر حتى عندما يختلفان في الرأي ووجهة النظر ، اما الاكاديميون وهم الذين اعدوا الدراسات التي القيت في الندوة والتحليلات لوضعية تغطية انباء الشرق الاوسط في مختلف المناطق وما الى ذلك ، فقد غاصوا في متاهة التعابير والتحليلات الاجتماعية المعتادة مما قطع سبل الحوار بينهم وبين الاخرين ، وانكفأت بعض الجلسات الى صورة شبيهة بحوار الطرشان ، فما من صحفي مجرب يعير كبير اهتمام لما يقوله استاذ في احدى كليات الصحافة ناهيك عما قد يقوله بروفسور في الاجتماع ، ومعظم الصحفيين الحاضرين كانوا من المجربين جدا .

ولعل النصيحة الاخيرة التي وجهت للعرب من خلال وقائع «ندوة الحوار الاعلامي بين الشرق والغرب» جاءت على لسان السيد جيروم كاميناد محرر الشؤون الخارجية في جريدة « التايمز » اللندنية حين قال : « لا توجهوا الينا اللوم باننا لا نحفل بتغطية اخبار الشؤون العربية ، فانكم لا تصنعون ، هذه الايام ، اية اخبار حقيقية . وعندما تصنعون شيئا يستحق الذكر ستجدون اننا سنذكره ونكتب عنه » . ولعل السيد كاميناد قد وجد في حادث مطار اللد خير استجابة لنصيحته .

المؤتمر الدولي حول ناميبيا

نعيم خضر

أقيم في قاعات قصر المؤتمرات (باليه ديه كونغريه) في بروكسل وبدعوة من منظمة SWAPO اي بمنظمة الشعب في جنوب غربي افريقيا مؤتمر دولي حول ناميبيا دام ثلاثة ايام كاملة (من ٢٦ الى ٢٩ مايو) حضره ما يزيد على ٤٠٠ مندوب يمثلون حوالي ٧٨ دولة والعديد من المنظمات الدولية والعالمية مثل مجلس السلام الدولي ورابطة الحقوقيين الديموقراطيين العالمية ومنظمة الوحدة الافريقية ومنظمة التضامن الافرو اسيوية ومجلس الامم المتحدة لناميبيا ولجنة الامم المتحدة لتصفية الاستعمار الخ ... وقد اشرفت على الاعداد الفني لهذا المؤتمر اللجنة البلجيكية الوطنية للتضامن مع شعب ناميبيا تدعمها الاحزاب البلجيكية الكبيرة . وقد اشتركت في هذا المؤتمر وفود من ٨ بلدان عربية كما اشترك فيه وفد فلسطيني رسمي مؤلف من الاخ عز الدين الازهري الذي جاء خصيصا من القاهرة موفدا عن منظمة التحرير الفلسطينية ونعيم خضر المقيم في بروكسل.

تقع ناميبيا في جنوب غربي افريقيا وتحدها مستعمرة انغولا البرتغالية من الشمال وزامبيا من الشمال الشرقي وبوتسوانا من الشرق وافريقيا الجنوبية من الجنوب والمحيط الاطلسي من الغرب . مساحتها ٨٢٤٢٩٢ كم مربع وعدد سكانها مليون نسمة منهم ٧٢ الف ابيض يتكلم ٣١٪ منهم اللغة الالمانية . ثرواتها الزراعة والصيد والمعادن واهمها الجواهر .

وقعت ناميبيا تحت الاحتلال الالماني عام ١٨٨٤ . وبعد الحرب العالمية الاولى وضعت تحت الانتداب البريطاني . ولكن بريطانيا تخلت عنها لجنوب افريقيا . وعملت هذه الاخيرة على ضمها تدريجيا وتحويلها الى مقاطعة تابعة لها . وفي عام ١٩٤٧ رفضت وضعها تحت وصاية الامم المتحدة . وقد اصدرت محكمة العدل العليا عام ١٩٥٠ وعام ١٩٥٥ قرارات استشارية مفادها انه اذا ما كان يحق لجنوب افريقيا ان تشرف على ادارة ناميبيا على اساس الانتداب فذلك لا يخولها بتاتا حق ضمها . ولكن جنوب افريقيا ضربت عرض الحائط بهذه القرارات . كما رفضت القرار الذي اتخذته الجمعية العامة للامم المتحدة عام ١٩٦٦ والذي أقره مجلس الامن عام ١٩٦٧ وثبتته محكمة العدل العليا عام ١٩٧١ والقاضي بوضع حد للانتداب الجنوب افريقي على ناميبيا والغائه وبعدم شرعية استمرار الوجود الجنوب افريقي في هذا البلد .

وقد انشئت منظمة السوابو عام ١٩٥٩ للعمل على تحرير ناميبيا ووضع حد للاستعمار والقمع الذي كان يتعرض له شعبها . وكان زعماء هذه المنظمة يؤمنون في ذلك الوقت بضرورة التوصل الى تحقيق اهدافهم بالطرق السلمية . الا ان تعنت جنوب افريقيا ورفضها لكل القرارات الدولية وفشل كل المحاولات السلمية دفعتهم الى اللجوء الى النضال المسلح .

تم تحديد اهداف المؤتمر في اجتماع تحضيري عقد في بروكسل في ١٤ — ١٥ شباط عام ١٩٧٢ . واهم هذه الاهداف تدويل مشكلة ناميبيا وتذكير الرأي العام العالمي بمسؤولياته تجاه هذا البلد وبضرورة الاعتراف بمنظمة السوابو كالممثل الشرعي الوحيد لشعب ناميبيا وتقديم الدعم السياسي والمادي والمعنوي لها في نضالها المسلح والطلب من دول اوروبا الغربية اعادة النظر في العلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية والتجارية التي تربطها بالنظام العنصري في جنوب افريقيا . وافتتح المؤتمر بجلسة عامة القى فيها رؤساء الوفود كلمات الدعم لنضال شعب ناميبيا وقرئت فيها رسائل وجهها للمؤتمر بعض رؤساء الدول والشخصيات العالمية. ووقع حادث في هذه الجلسة كاد يؤدي الى انسحاب الوفود العربية . فقد وصل الى مسامعهم ان في القاعة ممثلا اسرائيليا . فغادر القاعة في الحال ممثل منظمة التحرير وكل اعضاء الوفد الجزائري . وتقدموا احتجاجا شديد اللهجة الى مسؤولي منظمة السوابو . ولم يعودوا الى القاعة الا بعد ان تم طرد الاسرائيلي وشطب اسمه من قائمة المدعوين وشطب اسم اسرائيل من قائمة الدول المشتركة في المؤتمر . واكد مسؤولو المنظمة للمندوب الفلسطيني انهم لم يوجهوا اية دعوة لاي مندوب اسرائيلي وانهم يمانعون في ان تشترك اسرائيل في مؤتمرهم . وقد ادى هذا الحادث الى تسليط الاضواء على الوفد الفلسطيني ولفت انتباه

الموجودين الى وجوده . ونعتقد ان منظمة السوابو لم توجه بالفعل اية دعوة للاحزاب الاسرائيلية وان ذلك الشخص قد حصل على دعوة بواسطة مؤتمر السلام العالمي .

وقد ركزت الوفود العربية في الكلمات التي القتها وفي البيانات التي وزعتهـا على دعـم الشعوب العربية لنضال الشعب النامیبي المسلح المشروع بقيادة منظمة السوابو وعلى الارتباط العضوي بين النظام الصهيوني في فلسطين والنظام العنصـري الاستعماري في جنوب افريقيا . فقد جاء في بيـان حزب البعث العربي الاشتراكي انه « قد عبر في مؤتمره الاخير عن دعمه المطلق لنضال شعب ناميبيا ضد العنصريين في جنوب افريقيا الذين هم الاصدقاء الحقيقيون للعسكرتاريـا الصهيونية التي تحتـل فلسطيننـا واراضي عربيـة تابعة لمصر والاردن وسوريا ... » وجاء في بيان الاتحاد الوطنـي للطلبة الجزائيين انه لا بد من قيام وحدة حقيقية وتضامن فعال بين الشعـوب التقدمية من اجـل تقوية نضالها ضد هجمات الامبريالية والاستعمـار والاستعمار الجديد ...

وبعد ان عمل الوفد الفلسطيني على طرد الممثل الاسرائيلي حقق نصرا اخر اذ تمكن من القاء كلمته في الجلسة الافتتاحية مثله مثل الوفود الرسميـة الكبيرة وبعـد مبعوث منظمة الوحـدة الافريقيـة مباشرة . وركز ممثل فلسطين في كلمته على نقاط الشبه بين نضال الشعب النامیبي ونضـال الشعب الفلسطيني . فكـلا الشعبين يواجـه محـاولات التصفية بعد ان حرم من حقه الطبيعي الشرعي في تحقيق المصير والاستقلال والسيادة . وكلاهمـا يتعرض لهجمة شرسة واحتلال غير مشروع من قبل القوى الامبريالية العالمية الممثلة بالنظام العنصري في جنوب افريقيا والصهيونية في فلسطين ، ثم تطرق الى الحديث عن الازمة الحاليـة التي تجتازهـا المقاومة الفلسطينية خصوصا بعد مذابـح الاردن واضـاف : اننا ما زلنا نتابع النضال بالرغم من كل التحديات ونعمل على توحيد قوانا مستفيدين مـن الخبرات الماضية اذ لم يبق امامنا من سبيل غير النضال الشعبي المسلح . ووجه نداء الى كـل الشعوب المناضلـة في افريقيـا واسيا واميركا اللاتينية لكي توحد قواها الثورية لان اهدافهـا واحدة وعدوها واحد . وقد وزعت احدى لجـان مناصرة فلسطـين البلجيكيـة منشورا بينت فيه بالارقام والوقائع العلاقات الاقتصادية والسياسية والعسكرية والعقائدية القائمة بين النظام الصهيوني في فلسطين والنظام العنصري في جنوب افريقيا

وبعد الجلسة العامة توزع المشتركون في المؤتمـر على أربع لجان : اللجنة السياسية واللجنـة القانونية واللجنة الاقتصاديـة ولجنة العمـل . ورفعت كل هذه اللجان توصيات تبناها المؤتمر في جلسته الختامية كما اقر بيانا نهائيا اهم ما جاء فيه : عدم شرعيـة الوجـود الجنوبي افريقي في ناميبيا وخرق نظام جنوب افريقيا للقرارات الدولية باستمرارها في احتلال ناميبيا واقامة نظام قمعـي واستغلالي وعنصري هناك . واعترف المؤتمر بان منظمة السوابو هي الممثل الشرعي الوحيد لشعب ناميبيا والناطق الوحيد باسمه في المحافل الدولية. كما طالب المؤتمر بضرورة القيام بحملات اعلامية لاطلاع الحكومات على الوضع في ناميبيا وحثها على تقديم الدعم المعنوي والمادي والعسكري والسياسي لمنظمة السوابو لتواصل نضالهـا المسلـح ضد الاحتلال والاستعمار والعنصرية . ووجه المؤتمر نداء الى دول السوق الاوروبية المشتركة تطلـب منها فيه عدم التعاون مع جنوب افريقيا والغـاء كل ما عقدته معها من اتفاقيات تجارية .

وقد جاء البيان النهائي للمؤتمر نحيلا وغير ثوري. ونقطة الضعف في هذا البيان انـه لم يشر الـى حركات التحرر العالمية ولا الى الثورة العالميـة وذلك بالرغم من كل محاولات الوفد الفلسطينـي واصراره . كما لم يشر البيان الى ضرورة قيـام وحدة وتعاون فعلي بين حركة تحرير ناميبيا وحركات التحرير في كل من اسيا وافريقيا واميركا اللاتينية. وكاني بمنظمي المؤتمر ارادوا ان تنفرد منظمـة السوابو بدعم المشتركين في هذا المؤتمر . واما مسؤولو هذه المنظمة فقد رضخوا للامر الواقـع ولم يحاولوا دعم اقتراح ممثل الثورة الفلسطينية مكتفين بالقول ان ذلـك أمر طبيعي وليس مـن الضروري ذكره في البيان النهائي بوضوح .

اما سبب هذه النحالة والالتباس فيعود الى كون اكثرية الوفود كانت تمثل دولا وحكومات ومنظمات اكثريتها بعيدة عن الثورية بعد الارض عن القمر. كما ان الاحزاب البلجيكية التي تبنت هذا المؤتمر رجعية محافظة ربما دعمت نضال شعب ناميبيـا ولكنها ترفض ان تـدعم رسميا مثـلا الثـورة الفلسطينيـة وحتى الثورة الفيتنامية خصوصـا

الحزب المسيحي والحزب الاشتراكي البلجيكي الذي تربطه بالاحزاب الاسرائيلية علاقات متينة . وهذه الاحزاب تعترف مثلا بدولة اسرائيل وتنادي بضرورة المحافظة على الكيان الاسرائيلي . وكذلك كان موقف دول كثيرة كانت ممثلة في ذلك المؤتمر خصوصا الدول الافريقية . ولذا كان لا بد ان يثير ربط الثورة في ناميبيا بالثورة الفيتنامية والثورة الفلسطينية مثلا المزيد من الجدل والمشاحنات الجانبية . ففضلوا عزل نضال شعب ناميبيا . غير ان مسؤولي منظمة السوابو حاولوا تدارك هذا النقص . فاشاد رئيس المنظمة في كلمة الختام بنضال شعب فيتنام والشعب الفلسطيني ورحب بوجود الوفد الفلسطيني في المؤتمر واكد دعم شعبه ومنظمته لنضال شعب فلسطين المشروع . الواقع انه كان بامكان الوفود العربية ان تنسق جهودها وتقدم تعديلا خطيا يدخل على البيان الختامي وتصر على تبنيه وتركز فيه على ان المعركة في ناميبيا وفي الشرق الاوسط وفي فيتنام واحدة وان العدو واحد وان دعم نضال شعب في احدى القارات ضد الاستعمار والامبريالية والاحتلال والعنصرية لن يكون مجديا ومخلصا اذا لم يكن في الوقت نفسه دعما لكل القوى الثورية والتحررية في العالم . ومن المؤكد انه لو اقدمت الوفود العربية على مثل هذا العمل لاحرجت منظمي المؤتمر واضطرتهم الى قبول المشروع او كشف اوراقهم وزيف دعم البعض منهم لنضال الشعب النامييي . ولكن الوفود العربية صمتت مع الاسف . واكتفت بتهنئة ممثل الثورة الفلسطينية على انفراد وبعد الجلسة على اقتراحه .

ومن التناقضات الاخرى التي تعرض لها المؤتمر وحلها بشكل غير ثوري هي وجود ممثل لجبهة تحرير اريتريا وممثل رسمي عن حكومة الحبشة . ووقف منظمو المؤتمر وحتى مسؤولو منظمة السوابو انفسهم الى جانب الممثل الاثيوبي . وبدوا وكأنهم على علاقة متينة وقوية بالسفارة الاثيوبية في بروكسل . وعليه لم يتمكن ممثل اريتريا من القاء كلمة في المؤتمر . وكان الممثل الفلسطيني هو الوحيد الذي تعرض في حديثه الى نضال شعب اريتريا الذي يعاني من الاحتلال والضم والقمع مثله مثل شعب ناميبيا . اما الوفود العربية الاخرى فتناست هي ايضا نضال شعب اريتريا . حتى ان الاخ الاريتري تعرض لمضايقات عديدة . فلم تدفع له اجرة الاوتيل كاملة . ولم تصرف له تكاليف الاكل . ولم يجد من يقدم له المعونة بما يخص الاقامة وتأشيرات السفر وغير ذلك من المعاملات . ويعود هذا الالتباس بالنسبة لنضال شعب اريتريا الى كون اديس ابابا مقر منظمة الوحدة الافريقية والى كون الامبراطور هايلا سيلاسي يبدو في نظر الافريقيين وكأنه اكبر انصار حركات التحرر الافريقي والد اعداء الاستعمار والامبريالية . كما ان اثيوبيا كانت البلد الافريقي الوحيد الذي طلب من محكمة العدل العليا بالاشتراك مع ليبيريا عام ١٩٦٠ بابداء رأيها حول الوجود الجنوب افريقي في ناميبيا . ومرة اخرى لم تكن الوفود العربية عند مستوى المسؤولية .

المؤتمر السنوي الخامس للاتحاد العربي – الكندي

هاني احمد فارس

عقد الاتحاد العربي – الكندي مؤتمره السنوي الخامس في جامعة مكماستر ، بهاملتون ، اونتاريو ما بين ١٩ و ٢١ أيار ، ١٩٧٢ . وكان الموضوع الرئيسي الذي دارت حوله الابحاث المقدمة هو : الضفة الغربية ، سيناء ، الجولان – هل هو دور لبنان الآن ؟ ووجهت الدعوة الى الرئيس اللبناني، سليمان فرنجية ، وكمال جنبلاط ، رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي ، للمشاركة في المؤتمر . كما وجهت الدعوة الى منظمة التحرير ، ونائب رئيس وزراء جمهورية مصر العربية ووزير الاعلام ، الدكتور عبد القادر حاتم .

بعد التعريف بالوفود الممثلة للجاليات العربية في جلسة الافتتاح الرسمية ، تقدم ممثل منظمة التحرير الفلسطينية بعرض على الحضور لاهم الحوادث التي مرت بها الثورة الفلسطينية في العام الماضي . وجرى بعد ذلك نقاش شارك فيه معظم الحضور حول الاستراتيجية المتبعة من فصائل المقاومة . وكان النقاش حاميا وحادا ولكن ضمن اطار الالتزام الكلي بحركة المقاومة . ويمكن القول أن النقطتين الرئيسيتين اللتين تقدم بهما المشاركون عالجتا ضرورة بناء الهيكل التنظيمي للثورة الاكثر تماسكا والاكثر فاعلية والعمل على تثوير أكبر لمفاهيم وممارسات قيادات الثورة .

عقد في اليوم الثاني من المؤتمر ثلاث جلسات دراسية . كان عريف الجلسة الاول الدكتور روبيرت كننغهام ، استاذ جامعة مكماستر ، وتحدث فيها الدكتور فرانك أيب ، استاذ جامعة واترلو ، والدكتور أيب هو مؤلف كتاب **لمن أرض فلسطين** ومن رجال الدين في كنيسة المانونايتس . ولقد كان للحديث الذي تقدم به الدكتور أيب وقعا كبيرا ، وخاصة حين عرض للحضور تجاربه ومشاعره الشخصية من القضية الفلسطينية . فبعد ان سرد تاريخ كنيسة المانونايتس وأتباعها ، اكد أن المبدأ الاساسي الذي يميز هذه الكنيسة هو الايمان المطلق باللاعنف والسلم . وكانت المفاجأة الكبرى حين قال انه بعد تعرفه للقضية الفلسطينية من خلال زياراته لمنطقة الشرق الاوسط ، أصبح يؤمن أن لا طريق للعرب لاسترداد حقوقهم في فلسطين سوى العنف . وتناولت الحلقة الدراسية الثانية مشاكل العرب في شمال اميركة وشارك فيها كل من صالح زريق وابراهيم حجار ورمزي طوآل . وتحدث الاول من تجربته الاخيرة مع أحد قضاة محاكم السير في تورنتو ، وهي قضية أثارت الرأي العام في كندا وكان لها صدى عالمي . فلقد أهان القاضي هذا الشاب لمجرد قوله أن دينه يسمح له أن ياخذ القسم على الانجيل أو التوراة . وبعد أن اطلع الرأي العام من خلال وسائل الاعلام على القضية وأظهر احتجاجه على المعاملة التي لقيها هذا الشاب ، اضطرت حكومة مقاطعة اونتاريو الى التدخل وطرد القاضي من منصبه . ولكن مما يثير الانتباه أنه وبالرغم عن تناول معظم وسائل الاعلام لهذا الحدث ، فتلت جميعها ، وعن قصد ، عن التعريف بهوية الشاب وأنه عربي فلسطيني . وأمـا ابراهيم حجار فتحدث عن الضغوطات والتهديدات بالقتل التي تلقاها حين حاول أن ينظم عمال أحد أكبر الشركات في شرق كندا ، المعروفة بمحلات بكر ، في نقابة للمطالبة بحقوقهم تجاه الادارة . وبين كيف أن هذه الشركة تعمل على استغلال المهاجرين الجدد من ايطاليين ويونان وعرب لجهلهم بقوانين البلاد وتهددهم فيما اذا لم يرضخوا لسياستها بأنها ستعمل لطردهم من كندا واعادتهم الى بلادهم . ووجه ابراهيم حجار نداء الى الجوالي العربية لمقاطعة هذه الشركة ومساندته في صراعه معها . وأما رمزي طوال فتقدم من الحضور ببحث اجتماعي – نفساني يتناول العوامل التي تؤثر على الانسان العربي المهاجر وكيف أنه يعيش في حالة تمزق وصراع . ووصف رمزي هذا الانسان بأنه كغراب حاول تقليد مشية الحمامة ففشل ، وأراد العودة الى مشيته الاصلية ففشل أيضا . والتصوير الذي استعمله المحدث هو للدلالة على أن العربي غالبا ما يواجه برفض من مجتمع كندا ذات الحضارة والشخصية الانجلو – سكسونية ويقع في ضياع وحيرة لانه لا يجد الاطار الذي يمكنه من فرض وتأكيد شخصيته العربية . وعالجت الحلقة الثالثة احداث العالم العربي السياسية في العام المنصرم . وكنت مع نضل النقيب ، من جامعة كوينز ، المتحدثين الرئيسيين في هذه الحلقة . وركز نضل في الدراسة

التي قدمها على موقف الانظمة العربية من الثورة الفلسطينية ، فبين الاسباب التي تحمل هذه الانظمة على العمل لاحتواء هذه الثورة أو الاجهاض عليها. وكان تفسيره لهذه الظاهرة أن الثورة هي في الاصل حركة رفض اجتماعية للواقع العربي وتتعدى مجرد حمل السلاح في وجه العدو . ولهذا فانها تشكل ، وبالضرورة ، خطرا مميتا على المؤسسات والعقليات الرسمية التقليدية التي تعمل للحفاظ على مكتسباتها ومصالحها . وأما الدراسة التي تقدمت بها شخصيا من المؤتمر فكانت محاولة لتحليل الاوضاع الداخلية لحركة المقاومة الفلسطينية ولسياسات « السلم » او « الاستسلام » التي تتبعها حاليا معظم الحكومات العربية . وجرى بعد تقديم الدراستين نقاش ما بين الحضور شارك فيه ممثل الدكتور عبد القادر حاتم . وكانت قناعة الغالبية أن على الشعوب العربية أن تحكم على وطنية حكوماتها استنادا على النتائج ، وليس على الاقوال والنيات .

وعقد في اليوم الثالث من المؤتمر مناقشة مفتوحة، وكان الموضوع المقترح لهذه المناقشة هو : ماذا سنفعل لو غزت اسرائيل لبنان ؟ وقدم مندوب منظمة التحرير في هذه الجلسة عرضا لاوضاع رجال المقاومة في جنوب لبنان ولتصديهم للغارات الاسرائيلية . وقد اقترح المؤتمرون ان يقوم الاتحاد بعمل قوائم تحدد امكانات الجوالي العربية والمواهب المتوفرة لدى ابنائها حتى يمكن استغلال هذه الطاقات بطريقة عقلانية في الازمات . وأما الجلسة الاخيرة في المؤتمر فخصصت لسماع رسالة رئيس الاتحاد وللامور التنظيمية ولانتخاب لجنة تنفيذية تتولى شؤون الاتحاد حتى انعقاد المؤتمر السنوي السادس . وتضمنت رسالة الدكتور جورج حجار، رئيس الاتحاد، تأريخا مفصلا للعمل العربي في كندا ومقترحات حول امكانية تنمية هذا العمل . وتمنى الدكتور حجار في نهاية رسالته ان يتبنى الاتحاد فكرة اقامة مجلس عربي عالمي يتكون من ممثلين من جميع الجاليات العربية في خارج الوطن العربي . وجرى بعد ذلك انتخاب علي جبارة ، وهو من مدينة لندن ، اونتاريو ، ومن مؤسسي الاتحاد العربي — الكندي ، رئيسا جديدا للاتحاد . وبعد انتهاء المؤتمر من أعماله ، أقيم في المساء مأدبة تحدث فيها عابدين جبارة ، رئيس جمعية الخريجين العرب في أميركه، وممثل جمهورية مصر العربية ، وممثل منظمة التحرير الفلسطينية. وقرئت برقيات تأييد للمؤتمر وردت من الدكتور عبدالقادر حاتم ، ومنظمة التحرير الفلسطينية ، والدكتور جورج حبش ، وسفير لبنان في كندا ، ووزير العدل في الحكومة الفدرالية الكندية ، وحكومة مقاطعة اونتاريو ، والمجلس البلدي لمدينة هاملتون الذي أوفد مندوبا عنه لحضور الحفل الختامي للمؤتمر .

كلمة اخيرة حول المردود الاعلامي للمؤتمر . لا ريب بأنه كان للمؤتمر تأثير لا بأس به خاصة وأن الذين ينشطون من ابناء الجوالي هم قلة . وعندما نعلم ان تعداد العرب المقيمين في كندا يبلغ لا أقل من تسعين ألفا ، وأن الاتحاد العربي — الكندي هو الاطار الوحيد الفعال الذي يربط ما بينهم ، يمكننا حينذاك ان نستوعب ضرورة وأهمية هذا اللقاء السنوي بالنسبة لمستقبل العمل العربي في هذا البلد . وكذلك فلقد وردت اخبار المؤتمر في التلفزيون الكندي وأشارت الى أعماله عدة جرائد. كما وستعمم توصيات ومقررات المؤتمر على وسائل الاعلام الكندية والعربية وتبعث بنسخ عنها الى حكومات الدول العربية . ويقيني ان هذه الحكومات ستجد في التوصيات والمقررات الكثير مما يدين سياساتها ومواقفها ، كما وستجد فيها الحركات الشعبية التحررية في العالم العربي سندا لها في مسيرتها .

مؤتمر الوحدة والتنوع في الثقافة العربية المعاصرة

الدكتورة نادرة جميل السراج

عقد في القاهرة فيما بين السادس والحادي عشر من مايو ١٩٧٢ مؤتمر « الوحدة والتنوع في الثقافة العربية المعاصرة » الذي دعت له المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في جامعة الدول العربية. وقد لبى دعوة المنظمة حوالي خمسة وسبعين عضوا من اثنتي عشرة دولة عربية . وقد اختلفت صفات الحاضرين ما بين ممثلين رسميين للحكومات او مندوبين منتخبين من الجمعيات والاتحادات الادبية والفكرية ومجالس الفنون والاداب والمجامع اللغوية ، بالاضافة الى المدعوين بصفة شخصية . ويعتبر هذا المؤتمر استكمالا للمؤتمر السابق الذي عقدته المنظمة عن « الأصالة والتجديد في الثقافة العربية المعاصرة » والحلقة التي عقدتها ايضا عن « المأثورات الشعبية في الوطن العربي » .

شمل جدول اعمال المؤتمر خمسة موضوعات رئيسية هي : الاسس النظرية والعوامل المختلفة لفكرة الوحدة والتنوع في الثقافة العربية المعاصرة، المنهج الاقليمي في دراسة تاريخ الادب العربي (عرض وتقديم) ، الفصحى واللهجات المحلية واثرهما في قيمة الثقافة العربية ومحليتها ، وسائل توثيق الروابط بين المثقفين وتيسير تداول الانتاج الثقافي في اقطار الوطن العربي ، النصوص والمواد المختلفة للانتاج الفكري المتكامل بين قومية الثقافة ومحليتها . وقد بحثت الموضوعات الاربعة الاولى في جلسات عامة وجرى النقاش حولها ومنه استخلصت النتائج والتوصيات التي اقرها المؤتمر في جلسته الختامية . أما الموضوع الخامس فقد تفرعت عنه لجنتان رئيسيتان ، بحثت اولاهما : الشعر والقصة والرواية بين القومية والمحلية . وبحثت اللجنة الثانية موضوعات : المسرحية ، والاغنية ، ونصوص الاذاعتين المسموعة والمرئية (التليفزيون) بين القومية والمحلية .

والواقع ان مسألة الفصحى والعامية قد اخذت شوطا كبيرا من النقاش وتبادل الرأي وبالتالي أهمية خاصة عند اصدار التوصيات في الجلسات التي عقدتها اللجنتان المذكورتان وفي الجلسات العامة كذلك . فنجد اللجنة الاولى تقر في النهاية بأن أداة التعبير في الشعر وكذلك في القصة والرواية هي اللغة العربية الفصحى ، خاصة ان اللغة العربية تعتبر عند جميع الباحثين في القومية العربية وفي الوحدة العربية العنصر الاول والاساس من عوامل وحدة العرب وقوميتهم، وكلنا نعلم كيف حاول المستعمر ان يطمس اللغة العربية باحلال لغته محلها ، وكيف عمل على ترويج اللهجات العامية بهدف تشتيت ابناء العروبة والمباعدة بين اقطارهم وتصعيب التفاهم بينهم ، حتى لقد ذهب بعض الغلاة من المستشرقين والمغرضين منهم مثل « ولكوكس » الى ان « أهم عائق يمنع المصريين من الاختراع هو انهم يؤلفون ويكتبون باللغة العربية الفصحى ، وانهم لو ألفوا وكتبوا بالعامية لاعان ذلك على ايجاد ملكة الابتكار وتنميتها» كما كتبت د. نفوسة زكريا سعيد في بحثها المقدم عن جامعة الاسكندرية . وبناء على ذلك فقد اتفق اعضاء اللجنة على استبعاد النقاش حول ما عرف بالشعر العامي او الشعر الشعبي (أي المكتوب باللهجة المحلية لكل بلد عربي) وانما اكتفت كاتبة هذا التقرير بذكر مثل او نموذج له من خلال مطالعتها لمجموعة صدرت اخيرا للمناضل الفلسطيني «أبو الصادق» تحت عنوان «ثوريات». وذلك في بحثها الذي قدمته للمؤتمر بعنوان : « الشعر العربي المعاصر بين القومية والمحلية » . وكان من الطبيعي ان يشمل البحث المذكور مدخلا مناسبا في مفهوم القومية العربية والعوامل التي تؤلف الوحدة العربية من لغة مشتركة ، وتاريخ مشترك ، وبقعة جغرافية واحدة ، ومصالح عربية مشتركة ومتبادلة ، وبالتالي نفس الامال والمطامح المشتركة المتطلعة الى غد افضل . واوضح البحث أن شعراء العروبة في مختلف اقطارهم لم يغفلوا أهمية هذه العوامل ، بل نادوا بها ودعوا من أجلها . فعل ذلك احمد شوقي وحافظ ابراهيم والرصافي والزهاوي وخليل مردم وبشارة الخوري وبدوي الجبل وابو الفضل الوليد والياس فرحات والشاعر القروي وفوزي المعلوف وغيرهم ، ثم فعل ذلك الجيل التالي من الشعراء بأسلوبهم الخاص بعدما عاصروا الازمات الحالية والمعارك والانتكاسات وشعروا بأهمية الوحدة وضياع الانسان العربي لو طغى عنصر الاقليمية وعمت بواعث التفرقة .

وكان طبيعيا ايضا أن يتحدث البحث بشيء من الاسهاب عن نكبة فلسطين واثرها في نفوس الشعراء وفي انتاجهم المحلي والقومي . لقد وصف بعض الباحثين مأساة فلسطين بأنها أعنف تجارب أدبنا المعاصر . وقد قيلت فيها مئات وربما آلاف القصائد وتجمع منها عشرات الدواوين على مدى الوطن العربي كله . وتأتي في المقدمة اشعار ابناء فلسطين انفسهم ابتداء من ابراهيم طوقان وأبي سلمى ، عبر شعراء الغربة والنفي والتشرد ، الى شعراء الارض المحتلة أنفسهم . وقد يهرني ان غالبية الاشعار التي طالعتها في مجموعة غير قليلة من الدواوين قد تميزت بروح الصبر والصمود والتفاؤل والاصرار والامل بتحقيق الانتصار . وقد أثبت البحث نماذج لبعض الشعراء العرب — غير الفلسطينيين — في مأساة بلادنا ، كما اثبت نماذج للقصائد الفلسطينية وغير الفلسطينية في الاحداث القومية العربية الاخرى من مثل ثورة العراق عام ١٩٥٨ ووحدة مصر وسوريا في العام نفسه وثورة الجزائر ثم استقلالها وافراحها بالانتصار . كذلك في بناء السد العالي وفي معركة بور سعيد وحرب السويس .. الخ .

أما عن « المحلية » في الشعر المعاصر فقد اكتفيت بذكر نماذج قليلة لها من مثل قصيدة « شنق زهران » للشاعر صلاح عبد الصبور ، وقصيدة « السويس » للشاعر « امل دنقل » وقصيدة الشاعر بدر شاكر السياب في تحية قريته «جيكور» من مشفاه بلندن قبيل وفاته ، وبعض شعر الارض المحتلة ، وحديث الشاعر ناجي علوش الى قريته « بئر زيت » اثناء غربته في منطقة الخليج . وقد اعتبرت الحنين الذي عبرت عنه سطوره ، من نوع فلسطيني خاص — اذا صح التعبير — واوضحت ان هذه هي المحلية المقبولة في الشعر ، وليست تلك التي تعتمد على نزعات اقليمية متعصبة كتلك التي دعا اليها نفر باسم الفرعونية او الفينيقية او الاشورية في وقت من الاوقات . واوضح أن تلك النزعات قد ذابت في خضم القومية العربية واسكتتا صيحات الوحدة ودعواتها الصادقة .

ومجمل القول انه من الخطأ أن نتصور ان الوحدة العربية والمشاعر القومية تتنافى مع روح الانتماء الى الوطن الصغير والبيئة المحلية ، كما نخطىء اذا تصورنا ان الشاعر القومي يجب ان يكون صوته دائما بوقا لاحداث وطنه وصدى لمشاعر أمته ، وأنه يجب أن يرتفع دائما على فرديته ولا يعبر عن ذاته ومشاعره الخاصة وهمومه الصغيرة. ولكنا ، من جهة اخرى ، في هذا العصر المليء بالمشكلات الكبيرة والدولية ، وفي هذه المرحلة الدقيقة من وجودنا القومي لا نقبل من الشاعر ان يكون رومانتيكيا دائما ، منغلقا على نفسه ، غير متفاعل مع بيئته ومجتمعه . ولذلك رأت اللجنة أن المحلية المرفوضة في الشعر ، وكذلك في القصة والرواية ، هي التي تنزع الى التميز الاقليمي والعزلة بين اقطار الوطن العربي . ورأت ان من سمات الشعر القومي استلهام العناصر الحية والقيم الاصيلة من تراثنا ، ومعالجة قضايا الانسان العربي المعاصر ، ومشكلات الحياة في المجتمع العربي معالجة ايجابية . كما ان شخصيات القصة والرواية واحداثها يجب أن تستوحى من واقع المجتمع العربي ومقوماته ، وان يكون الحوار المحلي مكتوبا بصورة تجعله مفهوما لقراء العربية. وقد كان من ضمن توصيات المؤتمر أن تهتم وزارات التربية في البلاد العربية بحسن اختيار ما تضمه المكتبات المدرسية من قصص وروايات ، وان تيسر لهذه المكتبات سبل الحصول على افضل اعمال القصاصين والروائيين العرب وكذلك دواوين الشعراء العرب في مختلف اقطارهم .

أما اللجنة الثانية المختصة بدراسة المسرح والسينما والاغنية والاذاعة والتلفزيون بين القومية والمحلية ، فقد اتخذت عدة توصيات هامة ، من بينها : استعمال اللغة العربية الفصحى في كتابة الاعمال المسرحية والاهتمام بالمضمون القومي فيها، ودعوة جميع الدول العربية الى الاشتراك في مهرجان دمشق للفنون المسرحية ، والاهتمام بدراسة النشاط المسرحي الذي يقدمه العدو الصهيوني بمختلف اللغات لتشويه القضية العربية ، والعمل على مواجهته ، واقامة ضوابط على الاغنية العربية من الناحية الخلقية والقومية والتعبيرية ، تجاوزا للابتذال في بعض الاغاني وابقاء على كرامة المستمع العربي . وكذلك استلهام البطولات والمواقف العربية والاسلامية في الموضوعات السينمائية ، وتشجيع اخراج افلام عن القضية الفلسطينية ، وتقديم الجوانب الانسانية والحضارية لهذه القضية لاطلاع العالم على بشاعة الغزو الصهيوني .

وفي مجال الاذاعتين المسموعة والمرئية نصت

التوصيات على ان يكون من بين وسائل دعم القيم العربية القومية والاخلاقية العمل على نشر التراث العربي الصالح وتقريبه الى وجدان المتلقي العربي واستخدام الوسائل الفنية التي تجعل من هذا التراث مادة ملائمة للعرض الاذاعي . كذلك وضع معايير واضحة لاستخدام المواد الاجنبية ، بخاصة في الاذاعات المرئية ، حتى لا تقدم الى الجماهير العربية مواد تحمل قيما تهدد في المضمون والصورة القيم الاصيلة للروح العربية والاسلامية . اما بالنسبة للغة التي يوصى باستخدامها في الاذاعتين فهي ليست الفصحى النحوية التي قد يصعب فهمها على المستمع او المشاهد العادي ، ولا العامية المحلية التي تبعد عن النطق السليم للكلمات العربية الصحيحة ، وانما هي لغة بين بين ، تنازل قليل من جانب الفصحى وارتفاع طفيف بالعامية يوصل الى ما سمي بين الاذاعيين باللغة الثالثة ، او التسمية الاصح : لغة الاتصال بالجماهير . هذا عدا البرامج الادبية الصرفة والثقافية الاكاديمية التي يستحسن فيها استخدام الفصحى الراقية ، بشرط النطق السليم والاعراب الصحيح وعدم اللحن ما امكن .

شهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

عملية مطار اللد

بينما كانت أصداء المباهـاة الاسرائيلية لا زالت مخيمة على مطار اللد بعد تمكن اسرائيل بالتواطؤ مع ممثلي الصليب الاحمر من القضاء على محاولة الشهيد علي طه للافراج عن مئة اسير فدائي ، قام ثلاثة فدائيين يابانيين ينتمون الى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بعملية جريئة داخل مطـار اللد نفسه ، تضت على المباهاة الاسرائيلية وخلقت بدلا منها « موجة ذعر هستيرية » حسب وصف وكالات الانباء . ففي مساء الثلاثين من أيار ، وفي الساعة العاشرة والنصف تماما وصل الفدائيون الثلاثة على متن طائرة تابعة للخطوط الجوية الفرنسية ، وحين وصلوا الى قاعة الجمارك انتزعوا من حقائبهم الرشاشات والقنابل اليدوية وبدأوا يطلقون النار داخل المطار ، وقتل نتيجة لذلك ٢٦ شخصا وأصيب ٨٧ بجراح كما أعطبت طائرتان ألقيت عليهما قنابل يدوية . وكان بين القتلى البروفيسور أهارون كاتزير الـذي يعمـل مستشارا علميا لجهاز الامن الاسرائيلي . وقتل اثناء الحادث اثنان من الفدائيين اليابانيين وأسر الفدائي الثالث .

وقد تم تنفيذ هذه العملية بمناسبة الذكرى الخامسة لحرب حزيران ، فقال بيان للجبهة الشعبية « ان عملية الاقتحام الباسلة التي نفذتها مجموعة الشهيد باتريك ارغويللو في مطار اللد تأتي على أبواب الذكرى الخامسة لهزيمة حزيران » واضاف البيان يقول ان هذه العملية تؤكد ان القتال لن يتوقف كما انها « رد على المجزرة التي نفذها دايان بالفدائيين علي طه وعبدالعزيز الاطرش قبل ٣ اسابيع » .

الموقف الاسرائيلي : كان رد الفعل الاسرائيلي على العملية عصبيا ومتوترا للغاية واتسم بالانفعال الشديد والتهديد المتواصل بالانتقام ، وكان للبنان النصيب الاوفر في هذه التهديدات ، وتمثل رد الفعل الاسرائيلي بالاتجاهات التالية :

١ — القيام بتحركات عسكرية واسعة قرب الحدود اللبنانية توحي بأن اسرائيل تستعد لتوجيه ضربة عسكرية قوية . وقد بدأت هذه التحركات منذ اليوم الاول لحزيران واستمرت حتى اليوم العاشر منه . فكانت الآليات العسكرية تظهر باستمرار تجـاه الحدود ، بينما قامت الطائرات أكثر مـن مرة باختراق المجال الجوي للبنان ، بالاضافة الى ظهور قطع بحرية اسرائيلية أمام الشواطىء اللبنانية ، وفي مواجهة مدينة صور بالذات .

٢ — شن حملة من التهديدات المتواصلة بالانتقام ، تركزت اولا على لبنان ثم شملت لبنان ومصر . وانطلقت الحملة من القول بأن الفدائيين اليابانيين تدربوا في لبنان . ففي ٣١ ايار ابلغت جولدا مائير الكنيسـت ان خطـط الفدائيين « تعد في بيروت بعناية ، وبمساعدة الحكومة اللبنانية ومساندتها ». ثم أبلغت الحكومة الاسرائيلية مجلس الامن الدولي أنها تعتبر الحكومات التي تأوي الفدائيين مسؤولة مباشرة عن الحوادث المشابهة لحادث مطار اللد . وفي ١ حزيران قالت صحيفة هاآرتس « ان الحكومة اللبنانية تحولت الى شريكة للمجرمين وستلاحق اسرائيل الارهابيين حيث وجدوا ولن تسمح بـأن تأويهم حكومـات كالحكومـة اللبنانية » . وفي ٢ حزيران أعلن اسرائيل غاليلي وزيـر الدولـة أن اسرائيل سترد على مهاجمة المطار « لكننا لن نتخذ اي قرار متسرع وغير مسؤول » . وفي ٣ حزيران بدأ التهديد يشمل مصر بالاضافة الى لبنان ونشرت الصحف المصرية بعناويـن بارزة أنباء التهديـد الاسرائيلي لمصر ، بينما قالت صحيفة الجيروزالم بوست ان اسرائيل وجهت انذارا الى لبنان عن طريق دولة غربية كبرى وحددت مهلة زمنية للانذار، وان الانذار ذكر بالتحديد ان اسرائيل ستهاجم

الطيران المدني اللبناني ومنشآته ان لم يضع لبنان حدا للعمل الفدائي . وفي يوم ٤ حزيران قال دافيد اليعازر رئيس الاركان الاسرائيلي « ان لبنان هو المتهم الاول في الحادث لكنه ليس المتهم الوحيد ، فالدول العربية الاخرى التي تشجع الارهابيين مشتركة في الجريمة ويجب محاسبة هذه الدول » ، وكرر ابا ايبان وزير الخارجية « ان لبنان مسؤول عن نشاطات حركة الفدائيين التي تعمل في كل انحاء العالم لان مقر قيادات الفدائيين في بيروت ». وفي ٥ حزيران حذر دايـــان مصر ولبنان بشل مواصلاتهما الجوية « اذا حاول اي منهما ان يشل خطوط مواصلاتنا بمساعدة مـــن الارهابيين » . ويبدو ان المسؤولين الاسرائيليين شعروا عند هذا الحد بأن حملتهم الاعلامية قد أدت اغراضها ، فكتبت صحيفة معاريف يوم ٧ حزيـــران تقول « ان الوقت قد حان لان تقوم القوات الاسرائيلية بعمليات ضد قواعد الفدائيين في لبنـــان » وأضافت ان الاسبوع الذي خصصته اسرائيل لنشاط سياسي واعلامي « سمح للرأي العام العالمي بأن يدرك معنى مذبحة اللد » ، وفي ظل هذا التوجه الاعلامي الجديد قام دايان بتحرك مقصود حين تفقد في اليوم نفسه مقر القيادة العامة للبحرية الاسرائيلية ، بينما كانت القطع البحرية الاسرائيلية تتعمد الظهور أكثر من مرة أمام الشواطيء اللبنانية ، وكأنه يريد أن يوحي باحتمال هجوم بحري على لبنان . ثـم ارتفعت درجة الوضوح في التهديدات الاسرائيلية حين ذكر شمعون بيريز يوم ٩ حزيران ان اسرائيل « قررت اجراءات تجمع بين الردع بالنسبة الى هجمات مماثلة وحماية طائـــرات الركاب ، وان الردع موجه ضد أولئك الذين اما نظموا هـــذا النوع من الحرب أو أيدوه » .

٣ ـــ القيام باتصالات ديبلوماسيـــة متعددة بهدف تحقيق أوسع نطاق من التأييد للموقف الاسرائيلي. ففي ١ حزيران قال جون كنغ الناطق بلسان وزارة الخارجية الاميركية ان اسحاق رابين اجتمع الى وزير الخارجية بالوكالة و« ان البحث تركز بوجه خاص على الوسائل الكفيلة بمنع مثل هذه الاعمال الفظيعة » . وفي يوم ٤ حزيران أعلن في تل ابيب ان الرئيس نيكسون ندد بحادث مطار اللد « الدموي والبشع في عنفه » . ونتيجة للتركيز الاعلامي الاسرائيلي على الدور الياباني في العملية ، وعلى وجود اتصالات بين الجبهة الشعبية ومنظمات ثورية يابانية أعلن يوم ١ حزيران ان اليابان قررت ارسال مبعوث خاص الى اسرائيل للاعتذار عن الهجوم . وان المبعوث سيحمل رسالـــه شخصية من رئيس الحكومة الى جولدا مائير . وصرح وزير الخارجيه اليابانية قائلا ان اهم شيء بالنسبة الى حكومته الان هو « ازالة العـــار » الذي ألحقه بهـــا اليابانيون الثلاثة . وفي يوم ٤ حزيران طلب مبعوث الحكومة اليابانية مـــن جولدا مائير « مسامحة اليابان » وتعهد بتقديم تعويضات للضحايا ، وقال ان اليابـــان قد تساهم بالاضافة الى ذلك بتمويـــل المشاريع الانشائية في اسرائيل كجزء من التعويض الجزئي عن العملية .

٤ ـــ السعي لاشعار كافة الدول وكافة شركات الطيران ان ما جرى في مطـــار اللد أمر يعنيها ايضا بل ويهددها كما يهدد أمن اسرائيل . ففي ١ حزيران اجتمع شمعسون بيريز وزير النقـــل الاسرائيلي بممثلي ١٧ شركة طيران وحثهم على زيادة تدابير الامن في مطارات بـــلادهم . وفي يوم ٢ حزيران قال شمعون بيريز ان ٧ شركات من اصل ١٧ أكدت الى الان أنها ستلتزم بتطبيق اجراءات الامن التي طلبتها اسرائيل . وبدءا من يوم ٤ حزيران اتخذت في كافة مطارات أوروبا احتياطات أمن غير عادية نتيجة لانتشار شائعـــات تقول ان أعضاء منظمة الجيش الاحمـــر التي ينتمي اليهـــا الفدائيون اليابانيون الثلاثة سيقومون بعمليات مماثلة في مطارات اوروبا، وكذلك نتيجة لانتشار شائعات أخرى تقول بأن الفدائيين الفلسطينيين سيقومون بمناسبة ذكرى حرب حزيران بهجمات مماثلة على المطارات . وساعد على تثبيت هـــذا الجو ان الانتربول حذر مطارات العالم من احتمال تكرار هجوم عليها مشابه لهجوم مطار اللد .

الموقف الفلسطيني : ازاء هذا التحرك الاسرائيلي ماذا كان رد الفعل الفدائي الفلسطيني ؟ داخل المخيمات أعلنت حالة الاستنفار تحسبا لاي عمل انتقامي ضد المدنيين الفلسطينيين . وعلى الحدود وضعت القوات الفدائية في حالة تأهب وحذر للعمل على مواجهة اي اعتداء . وعلى الصعيد السياسي أصدرت الجبهة الشعبية (٣١ أيار) بيانا أكدت فيه أنها « هي المسؤولة وحدها عن تخطيط وتنفيذ العملية ، وان هذا العمل برمته تم خارج الوطن العربي من دون استخدام اي أرض عربية ... ان استفادة الجبهة الشعبية من امكانات النشاط الاعلامي المتوفرة في لبنان يجب ألا يعني تحميل

لبنان أية مسؤولية فيما يتعلق بالعملية » . ثم عقدت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية اجتماعا درست فيه الموقف الناشيء عن الهجوم أدلى بعده السيد كمال ناصر بتصريح قال فيه « أن العدو يحاول ان يدفع مسؤولية عملية مطار اللد في اتجاه لبنان ... وما الاصرار على تجاهل ارادة العمل الفلسطيني ... الا أدلة تضليلية مكشوفة ليبرر بها العدو أهدافا معروفة يسعى الى تحقيقها » . وفي اليوم التالي (١ حزيران) استمرت حالة الاستنفار الفدائية ووضعت كافة القوات تحت امرة قيادة عسكرية موحدة ، وعندما اتسع نطاق الحملة الاعلامية الاسرائيلية وتركيزها على تهديد لبنان وزعت منظمة التحرير يوم ٨ حزيران مذكرة في الامم المتحدة قالت فيها ان الدول العربية غير مسؤولة عن حادث مطار اللد وان المسؤول الحقيقي هو اعمال اسرائيل نفسها .

رد الفعل اللبناني : مع ان التحمل الفدائي لمسؤولية عملية اللد كان واضحا وكاملا الا ان التركيز الاعلامي الاسرائيلي على دور لبنان كان واسعا الى حد اضطرت معه الحكومة اللبنانية الى اتخاذ احتياطات أمن واسعة والقيام بحملة ديبلوماسية كثيفة . فعلى صعيد الأمن اتخذت تدابير استثنائية لحماية مطار بيروت ووضعت قوى الامن الداخلي في المطار تحت أمرة الجيش وعززت بالآليات . واتخذت اجراءات مماثلة على طول منطقة الحدود مع اسرائيل ، واعلنت حالة استنفار للعسكريين ولاجهزة الدفاع المدني والاسعاف .

اما على الصعيد السياسي فقد قام مندوب لبنان في الامم المتحدة يوم ٣١ أيار باشعار مجلس الامن بتهديدات اسرائيل له وما يمكن ان ينتج عنها من اعتداءات ، واجرت وزارة الخارجية اتصالات مع ممثلي بعض الدول الكبرى في لبنان لبحث التطورات . وفي اليوم التالي (١ حزيران) اجرى وزير الخارجية اتصالات هاتفية مع سفراء الدول الاعضاء في مجلس الامن وأطلعهم على وجهة النظر اللبنانية مؤكدا ان لبنان لا علاقة له بحادث مطار اللد ، وبدأت الحكومة اللبنانية اتصالات مع الحكومة الاميركية للبحث في موقف اميركا ، في حال تقديم شكوى لبنانية ضد اسرائيل ، اذا ما وقع اعتداء على لبنان . وفي باريس قام السفير اللبناني يوم ٢ حزيران بعقد سلسلة اجتماعات مع المسؤولين الفرنسيين لحث فرنسا على ممارسة ضغط على اسرائيل حتى لا تعتدي على لبنان . وحين تكرر خرق الطائرات الاسرائيلية للمجال الجوي اللبناني ، قدم لبنان احتجاجا شديد اللهجة الى مجلس الامن يوم ٦ حزيران ، اجتمع على اثره وزير الخارجية مع السفير الاميركي في بيروت وبحثا في التهديدات الاسرائيلية .

وفيما يتعلق بموقف الحكومة اللبنانية من العمل الفدائي الفلسطيني فقد كانت هناك اشارات ملفتة للنظر ، اذ أدلى الرئيس فرنجية يوم ٢ حزيران بتصريح صحفي أبلغ فيما بعد الى مجلس الامن ، تضمن اشارة الى أن تدابير حكومية قد اتخذت لتحول دون ان يكون لبنان « مصدر النشاط الاعلامي للمنظمة التي تبنت حادث اللد » ، وقد رفض وزير الاعلام ان يشرح للصحفيين نوع هذه التدابير . ولكن السيد صائب سلام قال « ان الحكومة لا يمكن أن تتخذ اجراءات ضد مكاتب الفدائيين في لبنان ما دامت تعمل في سلام ولا تخرق القوانين اللبنانية » . ومن جهة اخرى طلب لبنان من الفدائيين يوم ٥ حزيران اخلاء ٨ منازل في بلدة الكفير بمنطقة الجنوب حتى لا تتعرض القرية لاي عدوان ، ووعد الفدائيون بتلبية الطلب .

المواقف العربية : تميزت بعض المواقف العربية ازاء عملية اللد بالتحفظ أحيانا ، وبالتحول احيانا أخرى من التأييد الى الادانة .

ففي القاهرة مثلاً قال تعليق الاذاعة على العملية في اليوم الاول (٣١ أيار) ان « حركة التحرير الفلسطينية نجحت في كسب التأييد العالمي والارتباط بالثورة العالمية » . وفي اليوم التالي (١ حزيران) أعلن رئيس الوزراء السيد عزيز صدقي « ان هذه العملية كشفت حقيقة اسرائيل وزيف ما يردده الاستعماريون من ان اسرائيل ... قوة لا تغلب » . وقد قامت الولايات المتحدة بتوجيه احتجاج رسمي الى مصر حول هذه التصريحات « غير المسؤولة وغير المفهومة » وذلك يوم ٥ حزيران . وقد رد الدكتور الزيات الناطق الرسمي في مصر يوم ٨ حزيران رافضا هذا الاحتجاج ومعلنا في نفس الوقت ان عملية اللد « لا معنى لها » ، وان مصر ضد عمليات خطف الطائرات .

اما لبنان فقد أعلن بلسان وزير خارجيته انه « يستنكر كل عمل من أي نوع كان ومن اي جهة

صدر من شأنه أن يلحق ضررا بأشخاص مدنيين أبرياء وغرباء عن النزاع » .

وفي الاردن كان رد الفعل الاول قيام شركة الطيران الاردنية بايقاف رحلاتها الى لبنان ، ثم أعلن الملك حسين انه يدين الهجوم على مطار اللد لانه « جريمة حاكتها نفوس مريضة » .

المواقف الدولية : كان الطابع الغالب على المواقف الدولية الاهتمام باجراءات الامن في المطارات خوفا من عمليات خطف جديدة . ولكن بعض العواصم تعدت ذلك الى تحديد موقف سياسي من العملية . ففي لندن وصفت الحكومة البريطانية الهجوم بأنه « مذبحة عمياء » . وفي باريس رفضت الحكومة الفرنسية تحميل اسرائيل لها بعض المسؤولية، وقالت انها تتخذ كل الاجراءات الضرورية في مطار اورلي منذ أيلول الماضي . اما مواقف اليابان وواشنطن فقد تميزت بانحيازها لاسرائيل وبصورة تتعدى حتى المنطق الديبلوماسي . ففي طوكيو لم تكتف الحكومة اليابانية باعتبار نفسها مسؤولة معنويا عن الحادث، ولم تكتف باعلان استعدادها للتعويض على عائلات المصابين ، بل تعدت كل ذلك لتعلن عن انشاء مزيد من العلاقات الاقتصادية بينهما وبين اسرائيل . اما في واشنطن فقد اندفعت الولايات المتحدة ومنذ اليوم الاول لادانة العملية بقوة فندد السيد جورج ايروين وزير الخارجية بالوكالة بالعملية وقال أنه أصبح من الضروري اتخاذ اجراءات اكثر فعالية لمواجهة مثل هذه الحوادث. وبالاضافة الى ذلك تبنت الولايات المتحدة موقف اسرائيل الداعي الى قيام لبنان بضرب الوجود الفدائي فوق أراضيه وذلك حين قالت مصادر مطلعة في واشنطن ان الولايات المتحدة تحث لبنان على كبح نشاط المنظمات الفدائية وتسعى في الوقت ذاته الى منع اسرائيل من شن هجوم على لبنان . وسار فالدهايم الامين العام للامم المتحدة على نفس المنوال حين وضع اسرائيل ، ووضع لبنان الذي يتلقى يوميا تهديدات اسرائيل ، على نفس المستوى من المسؤولية داعيا الطرفين الى « ضبط النفس ».

تقييم العملية : وبصدد تقييم عملية اللد ابرزت الصحافة العربية في تعليقاتها الاتجاهات التالية :

١ — ان العملية بالاضافة الى الجراة التي تميزت بها ، والى أنها تمت داخل الاراضي المحتلة ، فقد أكسبها التوقيت الذي تمت فيه أهمية خاصة ، فقد انجزت العملية في ذكرى هزيمة حزيران الخامسة ، وفي الوقت الذي كانت فيه اسرائيل تستعد للاحتفال بذكرى نصرها ، لتكون بمثابة تذكير بصوت الشعب الفلسطيني الذي تروج الدعاية الاسرائيلية انه استكان لمنطق الاحتلال .

٢ — قضت هذه العملية تماما على الاثار التي نتجت عن عملية اللد الاولى التي نفذتها منظمة أيلول الاسود . ففي العملية الاولى استغلت اسرائيل العامل الانساني الذي التزم به الفدائيون بامتناعهم عن نسف الطائرة بركابها لتنفذ بهم مجزرة مدروسة دفعتها الى التباهي والقول على لسان دايان « ان نجاح هذه العملية كان سيعني اعطاء العمل الفدائي تحركا كبيرا للانطلاق » . وقد جاءت العملية الثانية لتضع هذا التباهي في موضعه الحقيقي .

٣ — اعتبرت العملية مظهرا لانفتاح الثورة الفلسطينية على تعاون وثيق مع قوى الثورة العالمية . تضاف الى مظاهر سابقة تمثلت في انفتاح الثورة الفلسطينية على القوى المناضلة في ايران وتركيا . ولذلك لوحظ ان اسرائيل ركزت في دعايتها على تشويه اليسار العالمي ، وخصوصا ذلك الجزء من اليسار المرتبط بالكفاح المسلح .

٤ — احدثت العملية هزة معنوية كبيرة داخل اسرائيل استطاعت ان تخترق جدار الطمأنينة الذي سعت السلطات الى زرعه في اوساط السكان طوال السنوات السابقة ، من خلال التهوين من شأن العمل الفدائي والنتائج التي يمكن ان يحققها . ولذلك ليس من قبيل الصدفة ان الاعلام الاسرائيلي تعمد توسيع نطاق المسؤولية في حادث اللد ، محملا اكثر من دولة مسؤولية التهاون في تنفيذ اجراءات الامن في مطاراتها ، حتى يخفف من وطأة الصدمة داخل اسرائيل .

الوحدة الوطنية

تابعت الفصائل الفدائية اجتماعاتها ومناقشاتها سعيا وراء استكمال الوحدة الوطنية حسب قرارات وتوصيات المجلس الوطني والمؤتمر الشعبي الاخير. وكانت اللجنة التنفيذية قد اقرت في اجتماع سابق لها انجاز الوحدة الاعلامية يوم الخامس من حزيران . وتنفيذا لذلك وجهت حركة فتح يوم ٣٠ أيار رسالة الى السيد كمال ناصر رئيس دائرة الاعلام في منظمة التحرير أعلنت فيها وقف نشاطها الاعلامي المستقل ووضعه تحت تصرف دائرة الاعلام ، وكان ذلك يعني ايقاف جريدة فتح

الاسبوعية ، وايقاف نشرة فتح اليومية ، واعتبار اذاعات فتح في العواصم العربية ناطقة باسم منظمة التحرير الفلسطينية . وفي يوم ٥ حزيران بالذات صدر العدد الاول من نشرة وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) ، وذكر في هذا العدد ان صدوره تعبير عن تنفيذ الوحدة الاعلامية بين المنظمات ، وانه يجري بالاضافة الى ذلك اعداد متواصل لاصدار صحيفة موحدة ، حدد لها مبدئيا يوم ٢٧ حزيران لتصدر فيه . كذلك اعلنت نشرة (وفا) في عددها الاول انه تم تشكيل مجلس عسكري اعلى يتابع بحث توحيد القوات الفدائية .

جرت هذه التطورات في الوقت الذي كانت فيه الفصائل الفدائية متفقة حول مبدأ التوحيد الاعلامي ، ومختلفة حول توقيته ، بين فريق يرى البدء بتنفيذ ما يتفق عليه فورا ، وفريق آخر يرى ارجاء التنفيذ الى أن يتم الاتفاق على كافة مجالات التوحيد . وبالرغم من ذلك ابلغت جبهة التحرير العربية اللجنة التنفيذية موافقتها على الالتزام بقرارات التوحيد بعد أن تم الاتفاق على البرنامج السياسي . ثم قامت الجبهة الديمقراطية باعلان موافقتها على الوحدة الاعلامية واوقفت تنفيذا لذلك نشرتها اليومية « المقاومة » عن الصدور . والتزمت الجبهة الشعبية بنفس الموقف بعد الاتفاق على ان جريدة الهدف سوف تكون ناطقة باسم حزب العمل العربي الاشتراكي ، وليس باسم الجبهة الشعبية .

ولكن كانت هناك مشكلة بارزة بصدد موقفين : الاول موقف جيش التحرير الذي أصدر العدد رقم ٥٣ من مجلة صوت فلسطين وهو يحمل هجوما عنيفا على حركة فتح متهما اياها بالسعي لابتلاع المنظمات الفدائية والسيطرة عليها من خلال اصرارها على تنفيذ الوحدة الوطنية قبل الاتفاق على كافة مجالات التوحيد . والثاني موقف منظمة الصاعقة التي أصدرت عددا من مجلتها الاسبوعية « الطلائع » ناسجا على نفس منوال مجلة جيش التحرير . ونتيجة لهذين الموقفين بدا واضحا تماما أن قضية التوحيد الاعلامي تواجه مأزقا حرجا لم تظهر حتى الآن بوادر تشير الى امكانية تخطيه .

وفي هذه الاثناء عقدت لجنة المتابعة المنبثقة عن المؤتمر الشعبي الفلسطيني اجتماعها الثاني يوم ١٥ حزيران في بيروت . واستمعت في هذا الاجتماع الى تقريرين . قدمت التقرير الاول امانة سر لجنة المتابعة وعرضت فيه مطالعتها حول الاجراءات التوحيدية التي تمت ومواقف كل فصيل منها . وقدمت التقرير الثاني اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير التي حضرت الاجتماع بطلب من أمانة السر حتى يقوم ممثل كل تنظيم فيها باطلاع لجنة المتابعة على موقف تنظيمه من القضايا المطروحة . وقررت اللجنة متابعة اتصالاتها والبحث في نتائج هذه الاتصالات في اجتماع ثالث تقرر عقده في منتصف تموز المقبل .

اوضاع فتح الداخلية

جرت يوم التاسع من حزيران محاولة لخطف فدائي من فتح في مخيم تل الزعتر القريب من بيروت . واسفر الحادث عن اصابة هذا الفدائي بجراح ، ونشرت الصحف البيروتية الخبر في اليوم التالي بدون أي تعليق . ولكن جريدة النهار انفردت في يوم ١١ حزيران بنشر خبر يقول ان محاولة انقلابية جرت داخل حركة فتح وأن قيادة الحركة استنفرت قواتها في كل المخيمات ، وقامت جهات فلسطينية مختلفة بالوساطة بين الفريقين المتنازعين داخل فتح . وذكرت النهار أن هذه المحاولة الانقلابية أدت الى تأجيل سفر السيد عرفات الى موسكو حتى تموز بعد أن كان مقررا لزيارته ان تتم في النصف الاول من حزيران . ولكن حركة فتح أصدرت في اليوم التالي بيانا توضيحيا قالت فيه انه «راجت اشاعات مختلفة في اليومين الماضيين حول انشقاقات وانقسامات داخل فتح » وهي تعلن ما يلي : ١ — جرى حادث تبادل اطلاق نار في مخيم تل الزعتر نتيجة خطأ مسلكي . ٢ — حاولت جهات كثيرة تضخيم الحادث واثارة البلبلة في صفوف الجماهير وترديد الاشاعات ، مما دفع الحركة لاتخاذ بعض الاجراءات لمنع اية عناصر مدسوسة من التحرك لتأزيم الموقف . ٣ — تؤكد فتح لجماهيرها أن الحركة كما عرفتها الجماهير يد واحدة ، لن تسمح لاي عبث أو لغط ان يؤثر على وحدتها وتماسكها .

وقد نقلت نشرة (وفا) اليومية النص الحرفي لبيان حركة فتح ، وأضافت على لسان ناطق رسمي ان زيارة السيد عرفات لموسكو ستتم في الموعد المحدد لها . ولم تنشر اضافة الى ذلك اية معلومات تلقي اضواء أخرى على هذا الحادث الذي يعتبر الاول من نوعه داخل حركة فتح .

بلال الحسن

ملحـــق :

حول عملية دير ياسين على ارض مطار اللد

انت عملية الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين على ارض مطار اللد ، كالنـــور الساطع وسط ظــلام محفوف بالغموض والشك والضياع . وقـد تمكنت الشرارات المندلعة مع طلقات رشاشات الابطـال الثلاثـة ، فدائيي الخليـة الصدامية الخاصة ، مجموعة الشهيد باتريك اورغيللو ، في انحاء مطار اللد ، أحد حصون العدو ، أن تبدد جزءا مهما من الظلام ، وتقهر حيزا كبيرا من آثاره علـى امتداد القضية كلها .

وحتى يأخذ حديثنا عن الابطال الابعاد التي عمقتها وحفرتها بالدم الغالي البطل ، هـذه العملية ، حجمه الحقيقي والطبيعي لا بد مـن التأكيد منـذ البداية على حقيقة مؤداها أن أية عملية فدائيـة ضد معسكر العدو في أي موقع من المواقع تصبح ملكا للثورة الفلسطينيـــة والشعب الفلسطينـي والعربي ايضا وحتـى لجميـع التقدميين الثوار الاحرار في كافة انحاء الارض ، منذ اللحظة الاولى لبدء تنفيذها ؛ تعود عليهم جميعا بالنصر والفخـر عند نجاحها الكامل ، كما حدث على ارض مطار اللد في ٣٠ أيار ١٩٧٢ ، وتصيبهم بالاذى والالم ، عند فشلها أو ارتباك احدى حلقاتها .

ثمة حقيقة أخرى لا بد ان تظل ماثلة في اذهاننـا ونحن في صدد تحليل العمليات الفدائية البطولية ، (وكافة العمليات الفدائية ضد العدو وضد اركان معسكره الكبير والممتد والمتشعب انما هي اعمال بطولية ، اذ انها تأخذ من صفتها جوهـر بطولتها وحيويتها) تلك الحقيقة تتركز في وجـوب اعتبار الفكر المخطـط والمحـرك وراء تلك العمليات ، ابعاده ، منحاه ، اهدافه واساليبه . وفي حالـة غياب أو تغييب تلك الحقيقة تمسي القضايا ذات مدلولات مجتزأة ومبتورة ولا تعود آثارها على مسيرة النضال بالحجم الفعلي والمستهدف . ولعل عملية اختطاف طائرة الجمبو — جيت التابعة للوفتهانزا الى عدن في ١٩٧٢/٢/٢١ والتي اعلنت منظمـة « ضحايا الاحتلال الصهيوني » مسؤوليتها عنها ، خير مثال على ما نقصده : اختلفت الآراء في هذه العمليـة حـول الهـدف الذي حققتـه المنظمـة بنجاح كامل وهو الحصول على مبلغ كبير من المال .

ولم تتعمق الآراء في طبيعة العملية من حيث العدو الذي استهدفته ، ومن حيث الغاية التي اعلنت المنظمة استخدام المال من أجلها وكذلك من حيث دقة التخطيط والتنفيذ التي سادت كل خطوة وحركة طيلة العملية . لو جـرى التحليـل على الاسس المذكورة ، لأخذت العملية مدلولاتها الكاملة وأثرها الفعلي واللازم في مسيرة النضال الفلسطيني :

١ — العدو الذي وجهت ضده العملية كان حكومة المانية الغربية ، احـد اركـان معسكر الاعداء وأشدها حقـــدا وغرورا تجاه حركة المقاومـــة الفلسطينيـــة وأكثرهـــا اندفاعا في دعم العـــدو الاسرائيلي ماديا ، عسكـريا ومعنويا ، تنفيـذا لرغبات واوامر الامبريالية الامريكية ،

٢ — اعلنت منظمة ضحايا الاحتلال الصهيوني عن حقها وحق المقاومة الفلسطينية أن تنتزع المال من أية جهة في معسكر الاعداء لتستخدمه من أجـل استمرار نضالها وصمودها داخل الارض المحتلـة وخاصة في غزة الباسلة ،

٣ — الخطة التي اتبعت في العملية كانت تقصد ، وقد فعلت ان تمرغ غرور اركـان حكومة المانيـة الغربية (وخاصة وزيري الداخلية والمواصلات ، المعروفين بحقدهما واستخفافهما بحركة المقـاومة الفلسطينية) بالوحل ، وأن تجرهم من انوفهـم كالنعاج يأتمرون بأوامر ممثلي المنظمـة وينفـذون تعليماتهم خطوة خطوة ، دون ان تترك لهم سانحة يبثون من خلالها حقدهم أو غرورهم .

ولعل عملية الاقتحام البطوليـة على أرض مطـار اللد ، التي قامت بها مجموعة من فدائيي منظمة « ايلول الاسود » في ١٩٧٢/٥/٩ ، حيث تمكنت من السيطرة على طائرة تابعـة لشركة سابينـ واقتحمت بها مطـار اللد وفرضت على العدو ، بكافة رجالاته وقواه ، ساعات مرة تجلت فيهـا بطولة شعبنا ومقاتليه . لعل هذه العملية مثـال آخر على ما نقصده : اصيبت غالبية شعبنا بما يشبه النكسة حين تمكن العدو من افشال العملية في النهاية . ولو ان تحليلا عميقـا لابعاد العملية ومعانيها ، تناول حقيقة الاقتحام وحقيقة السيطرة الفعلية على مطار اللد ، واربـاك العدو طيلـة

السامات القاسية ، لما كان الشعور بالنكسة هو الذي هيمن في النهاية .

***

بعد هذا كله وعلى ضوئه ، نطل على عملية الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، التي انجز جزءها المعلن والتنفيذي ثلاثة فدائيين يابانيين ، من احدى خلايا الجبهة الصدامية :

١ ــ سوف تظل هذه العملية من اجرأ وأعنف العمليات العسكرية ضد اسرائيل (حتى الآن) واشدها ايلاما وتحديا ومجابهة . وقد لوحظ من آثارها التي ما زالت تتراكم حتى الآن ، أنها ذات ابعاد ومدلولات عميقة ومتمادية في العمق بحيث لا ولن يمكن حصرها حتى وقت بعيد . ولعل ابرز آثارها ، ذلك الرعب والارتباك المنقطع النظير الذي أصاب العدو الاسرائيلي ، والذي كشف حقيقة قدرته على تلقي الصدمات المفاجئة . كان الشلل والذهول ، هما السمتان الرئيسيتان لحالة العدو خلال العملية الخارقة وبعدها .

٢ ــ جاءت العملية ، عملية « دير ياسين » كما سمتها الجبهة الشعبية ، « على ابواب الذكرى الخامسة لهزيمة حزيران » : وأورد بيان الجبهة الاول « انها رد على المجزرة التي نفذها ديان بالفدائيين علي طه وعبد العزيز الاطرش ، اللذين اشتركا مع فدائيتين في خطف الطائرة البلجيكية الى مطار اللد قبل ٣ اسابيع » . وذكر البيان ايضا « ان الذكرى الخامسة للهزيمة هي ايضا مناسبة للثوار كي يعلنوا للعدو ، في صميم قلعته المزروعة وسط ارضنا المحتلة ، وبأشد ما يمكن من العنف ، ان حرب الخامس من حزيران لم تنته بعد ، وان الجماهير التي طحنتها همجية الامبرياليين والصهاينة والرجعيين تنبعث من جديد وتخطو خطوة أخرى نحو وطنها المغتصب وتضرب عدوها حيث ينزف . ان فقراء هذا الوطن ومشرديه ، وان قوى الثورة والتحرر في العالم ــ في وجهها التضامني الاممي العملي المشرق ــ تواصل مسيرتها نحو النصر ، وتدق مسمارا جديدا في نعش العدو الرابض فوق وطننا والعامل على قهر ارادات شعبنا الرازح تحت نير الاحتلال » .

٣ ــ كما جاءت العملية ، بتوقيتها واسلوبها والفكر المحرك وراءها ، لتقول لشعبنا ولعدوه ، أن النضال الفلسطيني لن يعجز ولن يستسلم ، ولن ينحني مهما حاولت الهامات ان ترتفع في وجهه . ورد في البيان الاول : « ان كل مؤامرات التصفية التي تتعرض لها قضيتنا لا تشكل عقبة امام اصرار جماهيرنا على مواصلة نضالاتها ، والبذل حتى أعلى الدرجات في سبيل تحقيق اهدافنا . وأن كل اجراءات التطويق والحصار والتجويع ، لا تستطيع ان تشكل حاجزا أمام عزمنا على المضي في ممارسة العنف الثوري ، وضرب عدونا في الاماكن التي لا يمكن ان تمحى من ذاكرته بسرعة » .

٤ ــ تجلى في العملية شموخ شعبنا وثورتنا ، وعلى اقدام هذا الشموخ تتحطم بحقارة هلوسات العدو وهذيانات اصدقائه في العالم (مثل نيكسون) وفي وطننا (مثل حسين) حول الانسانية وقتل الابرياء ، اذ انه عدا عن أن ثورتنا قد حذرت كل الدنيا بأنها لا تعتبر أيا كان بريئا عندما يساهم زائرا او سائحا في دعم ترسانة العدو المتعجرفة ، عدا عن ذلك فانه في اعناق العدو واصدقائه حياة الالاف من الابرياء من ارض فيتنام البطلة حتى عمان الجريحة ، حيث الجرائم ترتكب بوحشية وبربرية وبدون حساب يوميا . ولا نريد أن نفتح سجل عدونا الوحشي ، اذ ان الدنيا كلها تعرف حقيقة ما يرتكبه يوميا على ارض فلسطيننا الحبيبة المغتصبة .

٥ ــ لقد حفرت العملية الانتحارية البطلة ، اسس نمط جديد في المجابهة يرتفع الى مستوى التحدي المباشر والموجع لعدونا الغاشم . جاء في بيان الجبهة الثاني: «اننا في هذه المناسبة نحذر، ونطالب بأن تؤخذ تحذيراتنا بكل الجدية الممكنة بأن اي عمل اسرائيلي طائش ضد لبنان أو أي بلد عربي آخر سنرد عليه بعنف لا يتصوره العدو ، وسنضرب حيث الوجع اشد وسنجعل العدو يندم على خطواته مهما كانت حساباتها » . سوف تشهد الدنيا بطولات مضرجة بالدم على أرض فلسطين ، تنتعش به أرضنا الطيبة ، تعانقه وهي واثقة انه بداية هدير جحافل اليها لفك اسرها .

٦ ــ تضج العملية نفسها بالمعاني والمدلولات التي تعتبر كفيلة بالرد على كافة ردات الفعل المريضة وخاصة من ناحية ان الذين نفذوها هم من اليابانيين وليسوا فلسطينيين أو عربا ، اذ أنه بالاضافة الى بطلان اغراض ردات الفعل هذه ، حيث ان الجهة التي قامت بالعملية هي الجبهة الشعبية نفسها وليس أحد غيرها فقد ورد في أحد

بيانات الجبهة : « لقد تلقينا اليوم من خلايانا السرية في الداخل معلومات أولية عن الدور الذي لعبته عناصر أخرى من المجموعة التي قامت بتنفيذ عملية الهجوم على مطار اللد ، هذه المعلومات تفسر كثيرا من الحلقات الغامضة في العملية . فقد قام فدائيو الجبهة من الخلايا السرية التابعة لمجموعة « باتريك اورغويللو » بفتح النار في مناطق تقع حول مطار اللد لحظة البدء بالهجوم ، وقد القت المجموعة ، اثناء اطلاق النار ، خمس قنابل يدوية ، ثلاثا منها على الطائرات الجاثمة في ساحة المطار ، وواحدة على قسم الجمارك ، والخامسة وسط ساحة انتظار السيارات . واستمرت هذه العملية عشر دقائق ، انسحبت المجموعة بعدها حيث اضطرت للاشتباك مع سيارة دورية اسرائيلية قرب سجن الرملة ، وأصيب ركاب السيارة الخمسة بجروح بعضهم كانت جروحه مميتة ، وعاد الرفاق الى قواعدهم دون اصابات » .

٧ ـ ان القول بأن هذه العملية قد عادت علينا بالخسارة اعلاميا في مجال الرأي العام العالمي ، انما هو قول مردود من الاساس ، وما هو الا التعبير المختنق عن الحقد والحقد تجاه الجبهة الشعبية ، ان الرأي العام الحاقد ازداد حقدا والرأي العام الصديق ازداد اعجابا واحتراما ، وفي هذا الصدد قال احد الاعلاميين اليابانيين ان هناك ما يزيد عن المئة مليون ياباني لم يكونوا قد سمعوا قبل العملية بالقضية الفلسطينية ، وقد جرتهم العملية الخارقة الى بداية الاهتمام وبداية التأييد .

نكتفي بهذا القدر حول مدلولات العملية ، لنعود الى مناقشة ما قد يتفتح في القريب من ابعاد جديدة ، لنسجل قبل الختام بعض الملاحظات الهامة : أ ـ ان العدو الاسرائيلي سوف يرد ، ولا بد ان نظل متنبهين الى قضيتين : ضرورة تلقي الرد واستيعابه مهما كان عنيفا ، هذا هو قدر الثورات تضرب وتضرب ولا مجال للخوف أو الندم. ثم ضرورة الحاق رده ، بعنف مماثل يستمر في تحطيم غطرسته وعنجهيته وعنصريته . ب ـ تظل القيمة الاساسية لمثل هذه العملية الرائعة ، متركزة في استمرار نمطها وتكراره وبشكل سريع وموجع ومتصاعد ، ويجب أن لا نتبرع للعدو بمعلومات أكثر في هذا الصدد . ج ـ لقد دلت آثار العملية حتى الآن على امكانية خروج ثورتنا من اسر كوابح انطلاقتها وتفجيرها لكل شيء في مواقع العدو .

الدكتور سعيد حمود

بدأت العلاقات العربية — السوفياتية سنة ١٩٥٥، ومن خلال صفقة الاسلحة لمصر . وكانت هذه الصفقة خروجا على سياسة احتكار السلاح التي ينتهجها الغرب ، وضربة للسيطرة الغربية على بلادنا ، وبداية عهد جديد في حياتنا . وكانت هذه الصفقة مدخلنا الى المعسكر الاشتراكي كله . وهكذا يكون لقاؤنا الاول مع الاتحاد السوفياتي ومع المعسكر الاشتراكي كله من خلال خروجنا على السياسة الاستعمارية التي ظلت متحكمة بنا سنين طويلة .

واستمرت هذه العلاقة تتوطد وتتسع وتتعمق وقد مرت بامتحانات عسيرة اهمها : معركة عام ١٩٥٦ حين تصدى الاتحاد السوفياتي للمعتدين بانذاراته «الصاروخية»، وسنة ١٩٥٧ حين تصدى لقضية بناء السد العالي ، ثم حين قدم بعد حرب حزيران بديلا للاسلحة التي ضاعت في حرب حزيران سنة ١٩٦٧ . « ... وحتى اواسط عام ١٩٦٨ بنى الاتحاد السوفياتي ، وقدم مساعدة اقتصادية وفنية في بناء ٢٢٠ مؤسسة صناعية وغيرها من المشاريع في البلدان العربية ، بما فيها ١٢٨ مشروعا في الجمهورية العربية المتحدة ، و ٦٩ مشروعا في الجزائر ، و ٤٨ مشروعا في العراق ، و ١٧ مشروعا في سورية و ١٤ مشروعا في السودان و ٧ مشاريع في تونس . وينبغي ان نشير الى ان حصة البلدان العربية شكلت في اواسط عام ١٩٦٩ حوالي ٥٠٪ من مجمل المساعدة التي قدمتها بلدان مجلس التعاون الاقتصادي (الاتحاد السوفياتي وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا وجمهورية المانيا الديمقراطية وهنغاريا ومنغوليا ورومانيا) لبناء المشاريع الصناعية التي انجزت، او هي في طريق الانجاز في البلدان النامية الآسيوية الافريقية . وعمل في البلدان العربية حوالي ٤٠٪ من مهندسي وتكنيكي بلدان مجلس التعاون الاقتصادي الموفدين الى الخارج »(١).

وتكتسي المساعدات السوفياتية اهمية خاصة في مجالين :

الاول : ميدان التسليح ، حيث يعتمد عدد من الدول العربية اعتمادا كليا او شبه كلي او جزئي على الاسلحة السوفياتية . ويجب ان نلاحظ في هذا المجال : أ — أن الدول العربية ، المعتمدة على التسلح من المعسكر الاشتراكي هي التي تمتلك السلاح الاكثر والاوفر ، من بين الدول العربية . ب — ان الدول العربية ، المعتمدة في تسليحها على الغرب ، هي الدول الخاضعة للمخططات الامبريالية ، ابتداء من التنمية الاقتصادية وانتهاء بقضية فلسطين .

الثاني : ميدان : « تأمين ظروف تطور صناعة استخراج المعادن والصناعة البترولية ... » وقد اكتشف خلال السنوات الاخيرة ، « وبفضل التعاون السوفياتي — المصري ... في عدة مناطق بالجمهورية العربية المتحدة حقول كبيرة جدا ، للبترول والغاز ومكامن خامات الحديد والفحم الحجري وخامات الرصاص والزنك والفوسفات والكلس وهلم جرا » . وفي الجزائر تم اكتشاف الزئبق ، وسوف تحتل الجزائر « مكانها بين اكبر البلدان المنتجة للزئبق في العالم » . « كما يجري بمساعدة الاتحاد السوفياتي ايضا بناء معمل لتركيز خامات الرصاص والزنك . وذلك في مكمن كبير للمعادن المتنوعة اكتشف في الجزائر » . وقد ساعد السوفيات على اكتشاف البترول في سورية. كما انهم يساعدون على تطوير صناعة النفط في العراق ، وعلى اكتشاف معادن اخرى مثل الفوسفات والكبريت(٢). وبفضل مساعدة الاتحاد السوفياتي كان ممكنا تأميم النفط العراقي اخيرا . ذلك أن الدولة التي يتاح لها ان تبنى صناعة مستقلة عن السيطرة الاستعمارية ، ويتاح لها ان تمتلك السلاح ، تمتلك ناصية التقدم اذا احسنت استخدام هذه الامكانيات . فمن اي منطلق تأتي هذه المساعدات ؟ ان هذه المساعدات تأتي من منطلق مساعدة الدول النامية على التخلص من السيطرة الامبريالية ومن التخلف . وهي مساعدات تقع ضمن خط المعسكر الاشتراكي ، المعادي للامبريالية ، ولكنها تقع ايضا ضمن خط الاتحاد

---

١ — عطاالله ، مولود ، **نضال العرب من اجل الاستقلال الاقتصادي** ، دار التقدم ، موسكو ١٩٧١ ، ص ٣٤٣ .

٢ — عطاالله ، مولود ، **المرجع السابق** ، ص ٣٤٥ .

السوفياتي في المباراة السلمية والتعايش السلمي ، وليست منفصلة عن المخططات الاستراتيجية السوفياتية . الا أن هنالك فروقا بين هذه المساعدات ، المادية والمعنوية ، وبين مساعدات الغرب . وأهم هذه الفروق :

اولا : ان المساعدات الاشتراكية تتجه نحو تطوير امكانيات الاستقلال السياسي والاقتصادي ،ولذلك فهي تتجه نحو بناء الصناعات الاساسية ونحو توفير الاسلحة اللازمة : بينما تستهدف المساعدات الامبريالية اخضاع السوق المحلية للسوق الامبريالية وابقاء البلدان المتخلفة تابعة للمعسكر الامبريالي .

ثانيا : ان المساعدات الامبريالية هي بعض فتات استغلال البلدان المتخلفة ، اما « القروض التي يمنحها الاتحاد السوفياتي [وكذلك الدول الاشتراكية ن. ع] والتجهيزات المجموعية والمواد التي يقدمها للبلدان العربية النامية » ... « فليست فائضة عن حاجته ابدا ، ويمكن استخدامها كليا وبنجاح تام في متابعة تعزيز الاقتصاد السوفياتي »(1).

ونحن هنا لا نناقش هذه المساعدات مناقشة شاملة لنتحدث عن عيوبها وثغراتها ، لان هذا خارج موضوعنا الآن .

لقد كانت هذه المقدمة ضرورية جدا ، لانها مدخل لا بد منه لمناقشة الحملة التي تشن اليوم على الاتحاد السوفياتي ، وعلى العلاقات العربية — السوفياتية . وما كنا لنناقش الموضوع هنا لولا أنه مطروح من حيث تأثير هذه العلاقات على المعركة . وكثر في هذه الايام اولئك الذين يعتبرون ان مسؤولية الوضع الراهن : « اللاحرب واللاسلام » تقع على الاتحاد السوفياتي .. وهم ينطلقون من هذا المنطلق ليشنوا هجمات مقذعة وافتراءات لئيمة على العلاقات العربية — السوفياتية :

وتقوم هذه الهجمات والافتراءات على ما يلي :
اولا : « ... ان الذي اوصل القضية الى مرحلة « اللاحرب واللاسلم » والطريق المسدود هو تواجد الاتحاد السوفياتي وامريكا في الشرق الاوسط » . ولذلك فان « قضيتنا ستحل سياسيا في اللحظة التي تتحقق فيها مصالح الدولتين » (الاهرام ، ٧٢/٥/١٩ ، ندوة) .

ثانيا : « ... ان سياسة الاتحاد السوفياتي في العالم كله سواء نشطوا الموقف في منطقة او خمدوه ، فان هدفها في النهاية هو التوصل الى نوع من التفاهم المعين في العالم . وليظل للعالم الى مدة طويلة قادمة — وحتى تتطور الصين — محوران اساسيان هما موسكو وواشنطن » (الاهرام ٧٢/٥/١٩) .

ثالثا : « ... هناك علاقة خاصة بين امريكا واسرائيل ، وهي علاقة لم تكن موجودة بهذا المفهوم على الاطلاق من قبل ، وهناك علاقة خاصة بين الاتحاد السوفياتي وبين مصر لم تكن موجودة من قبل ، ولا اعتقد ابدا ان امريكا تمانع في ذلك والقول بأنهم يخشون الوجود السوفياتي في المنطقة غير صحيح ... » (الاهرام ٧٢/٥/١٩).

رابعا : ان زيارة منير لرومانيا « حصلت على تأييد السوفيات الضمني » وان المعسكر الاشتراكي يعمل على «ان يقيم علاقات متوازنة مع الطرفين» ، أي العرب ودولة الاحتلال الصهيوني (الجديد ، ٢٨٧ ، ٧٢/٦/٩) . والاتحاد السوفياتي الذي « يمارس سياسة تأييد للعرب ، فانه عمليا لا يظهر عداءه لاسرائيل ، بل على العكس يزاول سياسة تأييدية بالسماح للمهاجرين اليهود في الاتحاد السوفياتي بالسفر الى اسرائيل بنسب كبيرة ... » (الجديد ، المرجع السابق) .

خامسا : ان « دول المعسكر الاشتراكي بدأت تعيد النظر في مواقفها السياسية الدولية منذ ان تلقت الضوء الاخضر من قمة موسكو » ولهذا فتيتو مثلا لم يسمح بمرور الاسلحة السوفياتية عبر يوغسلافيا الى مصر بعد قمة موسكو (الجديد، المرجع السابق) .

سادسا : ان تجربة صداقتنا مع الاتحاد السوفياتي هي « تجربة صداقة مع دولة كبرى كان كل همها ان تبيعنا السلاح بالنقد النادر ، وان ترهن اقتصادنا مقابله ... وان تطعننا في الظهر في اللحظة الحرجة » (الجديد ، ٢٨٧ ، فوق الجراح وفوق الالم في ٧٢/٦/٩) .

سابعا : ان الدول العربية لا تحارب لان الاتحاد السوفياتي لا يزودنا بالاسلحة التي نحتاجها ، وبالاسلحة الهجومية خاصة .

---

1 — عطاالله ، مولود ، **المرجع السابق** ، ص ٣٤١ .

وانطلقت في هذا الوقت أوساط متخلفة ، ومعادية للاشتراكية والماركسيــة والشعب تزايد علــى العلاقات العربية ـ السوفياتية بالعلاقات العربية الصينية . (الحوادث ٧٢/٦/٢ ، العدد ٨١٢) . حدث هذا داخل حركة المقاومة الفلسطينية ، كما حدث خارجها . فلماذا قامت هذه الحملة المعادية للاتحاد السوفياتي ، وما هي اهــدافها ؟ قبل ان نجيب على هذا السؤال لا بد لنا من أن نشير الى الظروف التي رافقت هذه الحملة . وهذه الظروف هـي :

أ ـ هجمة امبريالية شرسة تقودها الولايــات المتحدة من اجل فصم العلاقات العربية السوفياتية، وذلك لتسهيل السيطرة الامبريالية الصهيونية على المنطقة . ولقد تحدث نيكسون علنا عن قلقه مـن الوجود السوفياتي في مصر والمتوسط . كما أن الاوساط الصهيونية العالمية وفي الارض المحتلــة ركزت كثيرا على قضية الوجود السوفياتي في مصر وبقية البلاد العربية .

ب ـ زيادة نشاط الاتحاد السوفياتي من اجــل تمتين علاقاته مع الدول العربية وانتهاج سيـاسة اكثر حيوية وإكثر تشددا ، وهو ما عبرت عنــه احدى المجلات بالتالي : « تثبيت المواقع المعاديــة لاميركا في الواقـــع العربي ، عبر المعاهــدات العربية ـ السوفياتية من جهة . وعبر خطــوات التقارب العربي ، والحملة ضد التيارات الاميركية في الواقع العربي ، وزيادة حجم التسليح للبلدان العربية ، وكذلك مشاركة حركة التحرر العــربي اقتناعها « بأن هناك وسيلة أخرى » لتحرير الاراضي العربية المحتلـــة » (البــــلاغ ، العدد ٢٢٠ ، ٧٢/٥/٢٢) .

جـ ـ تحرك الفئات العميلة والمرتبطة بسيــاسة الولايات المتحدة في الوطن العربي تحركا واسعا من أجل محاصرة المقاومة الفلسطينية وضربها ، ومن اجل ضرب الحركة الوطنية العربية ، وذلك بهدف تصفية القضية الفلسطينية وفرض الهيمنة الامبريالية على المنطقة .

بعد هذا نستطيع الاجابة على السؤال : لمـاذا قامت هذه الحملة وما هي اهدافها ؟ اما لمــاذا قامت الحملة ، فيبدو واضحا من الوقائع البارزة. اهمها أن الولايات المتحدة اخذت تقتنع يوما بعد يوم أن حركة التحرر العربي ، تحقق انتصـارات جديدة ، رغم النكسات والهزائم والتراجعات . فالخط العام لحركة التحرر العربي هو في صعود ، منذ سنة ١٩٥٥ ، على الرغــم من الانحــدارات الهائلة والذبذبات الكبيرة . والذي يقارن وضــع البلدان العربية اليوم ، بوضعها سنة ١٩٥٥ ، أو ١٩٦٥ ، يلمس هذه الحقيقة . ويكفي ان نشير الى مجموعة من الظواهر :

اولها : ان كل البلدان العربية مستقلة اليوم ، استقلالا تاما أو شبه تام أو صوريا ، ولقد كان عدد منها غير مستقل سنة ١٩٥٥ . لقد استقلت تونس والمغرب ، ثم الجزائر ، واستقلت اليمــن الديمقراطية وبلدان الخليج بعد هذا التاريخ .

ثانيها : أن كثيرا من الانظمة الرجعية قد سقــط خلال هذه المرحلة (ليبيا ، اليمن ، العراق) ، وان الاستقلال الوطني قد تعزز في اكثر من بلد (مصر ، سورية ، العراق ، الجزائر) .

ثالثها : أن هذه المرحلة شهدت تطورا اقتصاديا كبيرا : الاصـــلاح الزراعي في مصر وسوريــة والعراق والجزائر ، انشاء القطاع العام في البلدان المذكورة آنفا ، السيطرة على صناعة النفط فــي مصر وسورية والجزائر والعراق وليبيا .

ولقد كان كل هذا التقدم على حساب المواقــع الامبريالية في المنطقة . وهو تقدم يهدد بقايا المواقع الامبريالية تهديدا مباشرا ، ويطرح قضية وجودها في المنطقة من الاساس ، على الرغم من بطئه وعلى الرغم من الذبذبات التي يعيشها ، وعلى الرغم من قوة مواقع الامبريالية ونفوذها وعلى الرغم من ان وجود دولة الاحتلال يمثل خطرا على كل منجزات الاستقلال ، بالاضافة الى كونه احتلالا .

ثم ، واضافة الى ما سبق ، فان الولايات المتحدة أخذت تشعر ، بعد تصاعد المقاومة الفلسطينية، أن استمرار نمو المقاومة سيهدد كل الوجــــود الامبريالي في المنطقة . ولهذا قررت ان تعمل على اعادة ترتيب الاوضاع في المنطقة بحيث تصبــــح منطقة هدوء وسلام . وهذا لن يكون الا بالقضاء على المقاومة الفلسطينية وسحق قوى حركة التحرر الوطني العربية وتكريس **« انظمة معتدلة »** تضمن **« الاستقرار والامن »** .

وتشارك الولايات المتحدة خــوفها وقلقها أوساط عربية ، خصصت لمحاربة الشيوعية اموالا لــم تخصصها لتحرير فلسطين ، وصرفت في هذا المجال

آلاف الملايين خلال السنوات العشر الماضية . كما أن هذه الاوساط لا ترى ان معركتنا مع الصهيونية والامبريالية اولا ، بل تراها مع الشيوعية ، وقبل كل شيء .

ولذلك فان هذه الاوساط تشن حملاتها على الاتحاد السوفياتي والشيوعية ، محاولة ان تخدع الجماهير بوجود علاقات بين الشيوعية والصهيونية وبين الاتحاد السوفياتي واسرائيل . كما أنها تحاول ان تقنع الجماهير بأن العرب لا يحاربون لان الاتحاد السوفياتي لا يريد الحرب .

وتعمل هذه الاوساط لتضع المقاومة الفلسطينية ضمن مخططاتها ، وذلك فهي تخوف من الاتجاهات الماركسية داخل المقاومة ، ومن علاقتها بالاتحاد السوفياتي ، وتطالبها بأن تكون «مقاومة مشروعة» من اولى مسؤولياتها : « الوحدة فيما بينها وتوثيق الصلة مع الاهل في الضفة الغربية المحتلة وتحقيق الانسجام الاكبر مع العمل العربي الموحد » (الجديد ، ٢٧٩ ، ٧٢/٤/١٤) .

وتضيف هذه الاوساط : « ان وحدة المقاومة التي تطالب بها القيادات العربية الحاكمة تختلف جذريا عن وحدة المقاومة التي يجري بحثها الان في القاهرة والتي جند لها العديد من الاحزاب الماركسية في انحاء العالم للمشاركة ... » (المصدر السابق) .

ان هذه الاوساط لا تريد المقاومة ان تكون عملا شعبيا ثوريا ، يعتمد على الجماهير ويقاتل من خلال توعيتها وتنظيمها ، بل تريدها جهازا تابعا للانظمة ، تحدد له الانظمة واجباته ومهماته واولها : سحق ارادة الشعب الفلسطيني . وهذا الاتجاه في السياسة العربية ، هو المسؤول عن عمليات تصفية المقاومة وعمليات محاصرتها التي عرفتها خلال مسيرتها منذ ١٩٦٥ وحتى الان . وهو يعمل الان ، وبكل ما أوتي من قوة لتوجيه الضربة القاضية للمقاومة ، ضمن المخطط الامبريالي — الصهيوني المرسوم .

تبدو ، بعد هذا كله ، اهداف هذه الحملة واضحة جلية ، انها : ١ — عزل حركة التحرر الوطني العربية ، ومنها المقاومة الفلسطينية ، عن حليفها المعسكر الاشتراكي ، وعلى رأسه الصين والاتحاد السوفياتي . ٢ — قيادة الامة العربية على طريق الاستسلام بضرب منجزاتها ومكتسباتها وبتمكين مواقع القوى المضادة للثورة وزيادة فعاليتها ونشاطها وقدراتها ، والعمل على توسيع رقعة سيطرتها باعادة مواقعها التي خسرتها اليها .

وتغطي هذه الاوساط الامبريالية ، العميلة ، المضادة للثورة عملياتها باظهارها الحرص على قوة الامة العربية وكرامتها ، وبتباكيها على الوطن السليب . ولكنها تفضح نفسها حين يزداد ارتباطها يوما بعد يوم بالولايات المتحدة الاميركية ، وحين يزعجها ، مثلا ، هجوم الشقيري على واشنطن في المؤتمر الشعبي الفلسطيني (الجديد ، ٢٧٩ ، ٧٢/٤/١٤) ، كما أنها تفسر زيارة احد سلاطين هذا الاتجاه الى واشنطن بأنها ذات « علاقة مباشرة بموضوع التسلح العربي وضرورة تطويره ليستطيع مواجهة العربدة العسكرية الاسرائيلية ... » (الجديد ، ٢٨٧ ، ٧٢/٦/٩) . وهكذا تنكشف الحقائق عارية . ذلك ان هؤلاء الحريصين على فلسطين والتحرير والكرامة العربية المهدورة يشنون اشد الحملات ضد العلاقات العربية السوفياتية ، ولكن يصمتون عن العلاقات العربية — الاميركية وعن العلاقات الاسرائيلية — الاميركية ، يهاجمون الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية التي تقدم للدول العربية ، وخاصة مصر وسورية والعراق والجزائر اسلحتها ، والمساعدات اللازمة لبنائها الاقتصادي ، ويصمتون عن الولايات المتحدة الاميركية التي تقدم لاسرائيل اسباب البقاء والقوة والسيطرة ، ولا تعطي العرب الا ما يضمن لها سحق ارادتهم وابقاءهم ضعفاء أمام العنجهية الاسرائيلية .

ثم ترتفع الاصوات بعد ذلك معلنة أن الاتحاد السوفياتي مسؤول عن حالة اللاحرب واللاسلم . لماذا لانه لا يقدم للعرب الاسلحة اللازمة .

ولكن هل الاسلحة وحدها هي التي تجعل الناس يقاتلون ؟ سنجيب عن هذا السؤال بمجموعة من الارقام :

أ — مقارنة بين فيانتام والولايات المتحدة الاميركية :

فيانتام الشمالية سنة ١٩٦٧ — ١٩٦٨ : ١٧،٥٠٠،٠٠٠ عدد السكان ، ٤١٨،٠٠٠ القوات المسلحة ، ٥٠٠،٠٠٠،٠٠٠ دولار اميركي ميزانية الدفاع ، ٤١٠،٠٠٠ الجيش ، ٥٠٠،٠٠٠ الميليشيا ،

١٠٠ سيارة مدرعة مختلفة، بما في ذلك ت — ٣٤ و ب — ت (دبابات استطلاع) ، ٦٠٠،٠٠ مدفع مضاد للطائرات ، ١١٨ طائرة مقاتلة ، منها ٢٠ ميج ٢١ فقط . ومع ذلك فقد كانت فيتنام تقاتل سنة ١٩٦٧ — ١٩٦٨ الولايات المتحدة الاميركية وحلفاءها وجيش فيتنام العميل .

ب — مصر ١٩٦٧ — ١٩٦٨ : ٣١،٠٠٠،٠٠٠ عدد السكان ، ١٨٠،٠٠٠ القوات المسلحة ، ١٤٠،٠٠٠ الجيش ، ٦٥٥،٠٠٠،٠٠٠ ج.م ميزانية الدفاع ، ٢٥٠ دبابة ت ٥٤ و ٥٥ ، ٧٠ دبابة ت ٣٤ ، ٢٠ ج.س — ٣ ، ٣٠ سنتوريون (مارك ٣) ، ٢٢٥ طائرة مقاتلة ، منها ١٠٠ ميج ٢١ .

ج — دولة الاحتلال — اسرائيل ١٩٦٧ — ١٩٦٨: ٤،٠٠٠،٠٠٠ السكان (خطأ على ما يبدو) ، ٧١،٠٠٠ القوات المسلحة (النظاميون) ، ٢٧٥،٠٠٠ مع الاحتياط ، ٢٢٥ م — ٤٨ باتون ، ٢٥٠ سنتوريون ، ٢٠٠ ت — ٥٤ (يبدو ان هذا الرقم ليس صحيحا) ، ١٧٥ سوبر شيرمن ، ١٤٠ أ.م.اكس ، ٢٣٠ طائرة مقاتلة . ومع ذلك فان مصر لم تستطع ان تقاتل سنة ١٩٦٧ (١).

د — الولايات المتحدة الاميركية (١٩٧٠ — ١٩٧١): ٣،١٦١،٠٠٠ القوات المسلحة ، ٧١،٧٩١ مليون دولار نفقات الدفاع .

هـ — فيتنام الديمقراطية ١٩٧٠ — ١٩٧١ : ٢١،٩٠٠،٠٠٠ السكان ، ٤٣٢،٧٥٠ القوات المسلحة ، ٥٠٠ مليون دولار ميزانية الدفاع ، ٤٢٥،٠٠٠ الجيش ، ٤٠٠ آلية مصفحة بما في ذلك دبابات ت — ٣٤ و ت — ٥٤ ، ٧٦ ب.ت دبابة برمائية خفيفة ، ١٣٣ طائرة مقاتلة ، منها ٣٠ ميج ٢١ ، ومع ذلك فان فيتنام الديمقراطية تقاتل الولايات المتحدة منذ سنوات .

و — مصر ١٩٧٠ — ١٩٧١ : ٣٣،٠٠٠،٠٠٠ السكان ، ٢٨٨،٠٠٠ القوات المسلحة ، ٥٥٣ مليون جنيه مصري (١٢٧٢ مليون دولار) ، ٢٥٠،٠٠٠ الجيش ، ٩٥٠ دبابة ت — ٥٤ و ٥٥ ، ٢٥٠ دبابة ت — ٣٤ ، ١٠ سنتوريون م — ٣ ، ١٥ شيرمان ، ١٥٠ ب.ت — ٧٦ برمائية ، ٢٠ أ.م.اكس ، ١٣ دبابة خفيفة ، ٩٠٠ حاملات جنود مختلفة .

ز — دولة الاحتلال — اسرائيل ١٩٧٠ — ١٩٧١: ٢،٩٠٠،٠٠٠ عدد الاسكان ، ٧٥،٠٠٠ القوات المسلحة ، ٣،٧٦٢،٥ مليون ليرة ميزانية الدفاع ، ٢٧٥،٠٠٠ الجيش ، النظامي والاحتياط. ٣٠٠ دبابة م — ٤٨ باتون ، ٤٥٠ سنتوريون ، ١٠٠ ت — ٥٤ و ٥٥ ، ٢٠٠ سوبر شيرمن ، ١٥٠٠ (حوالي) ناقلات جنود(٢). ومع ذلك ، ومع ان هذا هو سلاح مصر وحدها فاننا ما زلنا لا نستطيع ان نقاتل دولة الاحتلال .

لماذا ؟ لاننا لا نملك ارادة القتال اولا ، ولاننا ثانيا لم نقرر اسلوب القتال المناسب ، وهو حرب الشعب ، ولاننا ثالثا ، لا نجمع امكانياتنا بعضها الى بعضها الاخر . والقضية ليست في اننا نملك أو لا نملك القدر الكافي من السلاح ، فنحن نملك العدد الكافي والنوع المناسب للحرب الحديثة ، وحتى النظامية منها . ثم ان القتال هو الذي يأتي بالسلاح . فحرب الاستنزاف جاءت بصواريخ سام، وبمزيد من الاسلحة (طائرات ودبابات الخ) . وليس من المنتظر ان يجيء « الهدوء » بسلاح فعال . وليس من المتوقع أن يدفعنا الاتحاد السوفياتي الى المعركة دفعا ، ولن نستطيع الانتصار اذا دفعنا الى المعركة دفعا ، ولكن اندفاعنا الى القتال : بمختلف اشكاله سيدفع الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية حتما الى زيادة مساعداتها لنا . وفيتنام خير شاهد على ذلك .

وهنالك حقيقتان لا بد من ذكرهما هنا : الاولى : ان ربط بدء القتال بالمباراة التكنولوجية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، من خلال انعكاسها علينا وعلى دولة الاحتلال ، سيجعل بدء القتال مستحيلا ، لان المباراة قائمة ، وهي لن تنتهي . الثانية : أن مطالبة الاتحاد السوفياتي بالحسم ، اي ان يدخل الحرب عنا ، والتمثل بموقفه في اماكن أخرى ، تتجاهل مجموعة حقائق موضوعية ، كما انها تبدأ من منطلق منحرف . فما نريده هو ان يساعدنا لا أن يحارب عنا .

ان الذين يحاربون العلاقات العربية — السوفياتية

(١) The Institute for Strategic Studies: *The Military Balance 1967 - 1968*, p. 12

(٢) The Institute for Strategic Studies: *The Military Balance 1970 - 1971*, p. 38 and 56.

هم ليسوا الوطنيين الحريصين على القتال ، وعلى تطوير العلاقات لمصلحة تطور بلادنا وقوتها ، بل هم الاستسلاميون الهيابون ، الذين يريدون دفعنا الى اليأس ، والى السقوط في شرك السيطرة الاميركية . ومثل هؤلاء لا يخدمون الا الاحتلال الصهيوني والولايات المتحدة الاميركية .

ونحن نطالب هؤلاء ، الذين يزايدون بطرح العلاقات العربية — الصينية بديلا للعلاقات العربية — السوفياتية ، بأن يرفعوا صوتهم من أجل الاعتراف بجمهورية الصين الشعبية ، ومن اجل توطيد العلاقات معها ، كما نناشدهم ان يتبنوا حرب الشعب . وعندها لن يتحدثوا عن عدد الطائرات والدبابات .

ولكن هذا كله هل يعني أنه ليس هنالك من خلافات بيننا وبين الاتحاد السوفياتي ؟ بالطبع هنالك خلافات ، وأهم هذه الخلافات : ١ — ان الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية ، ما عدا الصين والبانيا وفياتنام الديمقراطية وكورية الديمقراطية ، تعترف بدولة الاحتلال .

٢ — ان الاتحاد السوفياتي يدعو الان الى تسوية سلمية ، تزول بموجبها آثار عدوان حزيران فقط .

٣ — ان الاتحاد السوفياتي ، قد يجد في اية لحظة ، من المناسب ضمن استراتيجيته العالمية ان يتفق مع الولايات المتحدة على حلول لمشاكل العالم الرئيسية ، ومنها قضيتنا ونحن ننبه الى خطورة مثل هذا الاتفاق السوفياتي — الاميركي ، مما يتطلب شحذ القضية والاستعداد الدائم لمقاومة كل الحلول التصفوية بما في ذلك قرار نوفمبر ١٩٦٧ .

٤ — ان الاتحاد السوفياتي يسمح الآن بهجرة اليهود السوفيات الى الارض المحتلة ، تحت ضغط الصهيونية العالمية والدول الامبريالية ، وهذه الهجرة ليست في مصلحتنا .

هذا على الصعيد الفلسطيني والعربي ، أما على الصعيد العالمي ، وصعيد العلاقات الدولية وقضايا التحرر الوطني الماركسية فهنالك الكثير من الخلافات ، التي لا نرى ان هذا المجال هو مجال بحثها .

وعلى هذا ، فاننا ونحن نحارب الهجمات الشرسة ضد العلاقات العربية — السوفياتية ، لانها تريد السير بنا نحو الاستسلام ، نعتقد بأن خروجنا من دائرة الحلول الاستسلامية لا تكون الا بتنمية قوانا الذاتية وبالاعتماد على جماهيرنا ، بتعبئة هذه الجماهير وتنظيمها واعدادها للقتال . وبذلك فقط نضمن عدم تصفية القضية ، وبذلك فقط نضمن الخروج من دائرة الحلول الاستسلامية والتسويات الدولية . وبذلك ، لا بغيره ، نضمن تطوير علاقاتنا مع حلفائنا واصدقائنا ، وزيادة مساندتهم ومساعدتهم لنا ، ماديا ومعنويا .

ناجي علوش

(٣) القضية الفلسطينية دوليا

بالرغم عن ان سلسلة مهمة من التطورات العالمية الهامة جدا قد حدثت في الفترة الاخيرة بقي النزاع العربي الاسرائيلي على جموده على الصعيدين المحلي والدولي . ويبدو أن احداثا عالمية مثل انتصار التحالف الهندي — السوفياتي ضد التحالف الباكستاني — الامريكي في الحرب الهندية الباكستانية الاخيرة ، وزيارة الرئيس نيكسون للصين ، وعودة الولايات المتحدة الى شن عدوانها البحري والجوي على جمهورية فيتنام الديمقراطية ، واجتماع القمة الامريكي السوفياتي الاخير في موسكو لم تترك أية اثار هامة مباشرة على الوضع الراكد في الشرق الاوسط لجهة تحريكه باتجاه ما واخراجه من الجمود الذي استقر عليه منذ الخريف الماضي .

وبالنسبة للموضوع الذي يهمنا في هذا الباب لا شك ان الحدث الدولي الاهم الذي ينبغي علينا رصده ورصد صلته بأزمة منطقتنا هو اجتماع القمة الامريكي السوفياتي الذي انعقد في النصف الثاني من شهر ايار المنصرم ، خاصة وأن جوا من الترقب والانتظار كان قد سبق الاجتماع ، كما صدرت تلميحات تدعو الى المزيد من الانتظار وتوجيه الانظار الى موسكو على أمل ان تؤدي القمة الى بعض النتائج « الايجابية » بالنسبة للشرق الاوسط . على سبيل المثال نذكر تصريح سيسكو في اوائل شهر ايار حيث قال ان النشاط الدبلوماسي الامريكي ما زال معلقا بالنسبة للشرق الاوسط بسبب ارتباطه بنتائج مؤتمر القمة المقبل ، وزيارة الرئيس السادات الى الاتحاد السوفياتي في شهر نيسان الماضي من أجل التشاور والتنسيق مع القيادة السوفيانية حول كل ما يتعلق بأزمة الشرق الاوسط في محادثات القمة . ولكن يبدو ان القمة في موسكو لم تسفر (كما كان متوقعا) عن اية تطورات دراماتيكية او اتفاقات مفاجئة ، أو اية خطوات جذرية جديدة من شأنها اخراج النزاع في منطقتنا من جموده . كذلك يبدو ان مبدأ تجميد الازمة ، المتفق عليه دوليا ولو بصورة ضمنية ، سيبقى سائدا في المستقبل المنظور .

من نافل القول ان موضوع النزاع العربي — الاسرائيلي لم يكن الا بندا من بنود رئيسية اخرى على جدول اعمال مؤتمر القمة ومن المؤكد انه لم يكن البند رقم ١ بالرغم عن محاولات بعض الاوساط العربية الرسمية التشديد باستمرار على أن ازمة الشرق الاوسط هي اخطر واهم مشكلة دولية راهنة ولذلك يجب ان تنصب عليها جهود الدول الكبرى من اجل تسويتها تسوية « عادلة » وسلمية . بالاضافة الى مسألة الشرق الاوسط يتبين من رصد الاخبار التي ترددت حول اجتماع القمة ان الموضوعات الرئيسية التي تم التركيز عليها في المناقشات هي : (١) اتفاقية الحد من انتشار الاسلحة النووية ، (٢) امكانية التوصل الى اتفاقية حول التبادل التجاري بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ، (٣) تطورات الحرب الفيتنامية ، (٤) الوضع في اوروبا ، خاصة بعد الاتفاقية التي تمت بين الدول الكبرى المعنية حول برلين وابرام معاهدتي المانيا الغربية مع كل من الاتحاد السوفياتي وبولونيا . وقد اوضحت الوثائق الصادرة عن المؤتمر ان بحث كافة هذه القضايا قد تم ضمن اطار عام متفق عليه من كلا الجانبين الا وهو التأكيد من جديد على سياسة التعايش السلمي وتسوية كل الخلافات بين البلدين على اسس سلمية ومن خلال المفاوضات ، والعمل باستمرار على تجنب اية مجابهة خطرة بين الدولتين الكبيرتين ، مما يعني دوما عزل الصراعات المحلية (كما في الفيتنام) او تجميدها (كما في الشرق الاوسط) بحيث لا تؤدي الى مواجهة نووية خطرة بين العملاقين الدوليين . وتعني هذه السياسة على الصعيد العملي انه عندما يتوفر للاتحاد السوفياتي حليف يقاتل بتصميم وقوة من أجل قضية تحررية مع ضمانة جيدة لاحتمالات انتصاره سيدعم الاتحاد السوفياتي هذا الحليف الى اقصى الحدود الممكنة مع العمل على عزل الصراع بصورة من الصور بحيث لا يؤدي الى مجابهة نووية خطرة مع الولايات المتحدة ، وهذا ما حدث في الحرب الهندية — الباكستانية الاخيرة ويحدث حاليا في الفيتنام . اما في حال غياب هذا النوع من الحلفاء وبذلك غياب الضمانات المعقولة بالنسبة لاحتمالات الانتصار فان البديل الوحيد الذي تسمح به السياسة المتفق عليها في مؤتمر القمة هو تجميد الازمة الى ان تتبدل معطياتها الاولية بصورة من

الصور أو لسبب من الاسباب ، وهذا ما هو حادث في الشرق الاوسط . وبطبيعة الحال تضع هذه السياسة المسؤولية الاولى في شن الكفاح المسلح التحرري على الاطراف المعنية به مباشرة من اجل حل التناقض مع القوى الامبريالية المعادية والا تحول الصراع الى مجابهة نووية غير مرغوب فيها حتما . وفي حال تقاعس هذا الطرف المعني مباشرة في السير على هذه الطريق وعقد الآمال على حسم التناقض من طريق التسويات الدولية والضغوط العالمية فان طبيعة السياسة التي اقرها مؤتمر القمة الاخير لا يمكن ان تؤدي الا الى الجمود والمساومات وكلاهما يخدم المصالح الامبريالية على المدى الابعد . وعلى اساس هذا الواقع العام الذي يحكم علاقة الدولتين واعترافا بأهميته من قبل الطرفين تجنب الرئيس بودغورني في خطابه العلني الحديث مباشرة عن ازمة الشرق الاوسط والحرب الفيتنامية ولكنه شدد على ان العلاقات الودية بين البلدين « لا يمكن ان تكون على حساب اي بلد أو شعب آخر » وعلى ضرورة « الاخذ بعين الاعتبار أماني الشعوب وارادتها » عند تسوية أية قضية من قضايا العالم العالقة . كذلك قال كوسيغين انه « من اجل التقدم نحو اهدافنا يجب ان نزيل اسباب الحرب في المناطق الحساسة . في فيتنام والشرق الاوسط يجب ان نصنع كل شيء لاحترام استقلال هذه البلاد وسلامة اراضيها . » بالاضافة الى ما ورد ذكره نجد في هذه العبارات تأكيدا على ان الاتحاد السوفياتي لن يعقد اية صفقات مع الولايات المتحدة من خلف ظهر اية قضية تحررية تعتبره حليفا لها (ولكن بدون ان تطلب منه التورط في مواجهة نووية مع امريكا) . اما الرئيس نيكسون فقد اعترف ايضا (على طريقته الخاصة طبعا) بأن الدور الرئيسي في الصراعات التي تخوضها الشعوب ضد الامبريالية (التي يمثلها هو) يجب ان يقع على الاطراف المعنية مباشرة من أجل الابتعاد عن أية مجابهة نووية مع الاتحاد السوفياتي . قال نيكسون في خطاب الرد على الرئيس بودغورني « يجب ان نعترف بان من مسؤولية الدول الكبرى بذل ما لديها من نفوذ عند الامم الاخرى المشتركة في حرب او العالقة في ازمة من أجل دفعها الى الاعتدال . وعلى الدول النووية الكبرى أن تكون معتدلة في الازمات . وان تتخذ الاجراءات الايجابية من أجل ابعاد خطر المواجهة المباشرة » .

وقد تم تكريس الخطوط العريضة للصيغة الجديدة لسياسة التعايش السلمي وكيفية الابتعاد عن المجابهات الخطرة بين البلدين في وثيقة مؤلفة من ١٢ بندا صدرت عن مؤتمر القمة ووقعها كل من نيكسون وبريجنيف حيث تم تحديد الاسس التي ستقام عليها العلاقات المستقبلة بين البلدين . وعلى سبيل المثال يقول البند الاول ان البلدين « سينطلقان من الاقتناع المشترك بانه ليس هناك في العصر النووي اساس اخر لاقامة العلاقات بينهما سوى التعايش السلمي . وان الاختلاف في الايديولوجية والنظامين الاجتماعيين في الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة لا يشكل عقبة في طريق تطوير علاقات طبيعية بينهما تقوم على مبادىء السيادة والمساواة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية والمنفعة المتبادلة » . ويقول البند الثاني من جملة ما يقوله : أن الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة يبديان « اهتماما بالغا لتفادي قيام اوضاع يمكن ان تثير تأزما خطيرا في العلاقات بينهما . وانطلاقا من هذا ، فانهما سيبذلان كل الجهد المستطاع لتجنب المواجهات العسكرية ومنع الحرب النووية . وسيظهران بعض الاعتدال في علاقاتهما المتبادلة وسيكونان على استعداد لاجراء محادثات وتسوية الخلافات بطرق سلمية » .

اذا انتقلنا الى الصعيد التفصيلي بالنسبة لما حققه مؤتمر القمة نجد ان الانجاز الهام الوحيد الذي تم التوصل اليه هو الاتفاق بين الدولتين على الحد من انتشار الاسلحة النووية الاستراتيجية ، وهو بلا شك خطوة هامة جدا على طريق التخفيف من اعباء سباق التسلح بين الدول الكبرى . يضاف الى ذلك توقيع اتفاقين جزئيين حول التعاون في مجالات ابحاث الفضاء والعلوم والتكنولوجيا . أما فيما يتعلق بالاتفاق التجاري بين الدولتين فقد تم تشكيل لجنة مشتركة للبحث في الموضوع .

اما بالنسبة للحرب الفيتنامية وازمة الشرق الاوسط ، فقد تركت مباحثات القمة كل شيء على حاله على ما يبدو ، ولكن مع فارق هام انعكس في الطريقة التي اشار اليها البيان المشترك الى كل من الفيتنام والنزاع العربي — الاسرائيلي . بسبب الطبيعة المتحركة للصدام في جنوب شرقي آسيا ووضوح المواقف وضوحا كليا هناك والانتصارات التي حققها الثوار مؤخرا لم يتمكن مؤتمر القمة من تحديد حتى موقف لفظي مشترك

من قضية فيتنام . لذلك تعرض البيان المشترك للخطوط العريضة لكل من الموقفين الامريكي والسوفياتي من الموضوع بصورة مستقلة وفي فقرات منفصلة . ومن ناحية اخرى نجد انه بسبب الركود الذي يخيم على الصراع العربي — الاسرائيلي والغموض الذي يلفه حاليا جاءت الفقرة المتعلقة بأزمة الشرق الاوسط في البيان المشترك باهتة جدا ودون المستوى المطلوب حتى بمعايير قرارات هيئة الامم المتحدة ومعايير ما تم اقتراحه في السابق من قبل جهات دولية غربية لتسوية الازمة . أكد البيان بالنسبة للازمة في منطقتنا على تأييد الدولتين للتسوية السلمية وفقا لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، وعلى اهمية التعاون البناء من قبل الفرقاء المعنيين مع الوسيط الدولي يارينغ ، كما اكد رغبة الدولتين في الاسهام في تحقيق النجاح لمهمته . وذكر البيان ايضا ان كلا من البلدين يرى « ان تحقيق مثل هذه التسوية سيفتح الباب امام احتمالات اعادة الوضع في الشرق الاوسط الى طبيعته وسيسمح في شكل خاص بالبحث في اتخاذ خطوات اخرى لتحقيق انفراج عسكري في تلك المنطقة » . ولا لزوم لنا للاستفاضة في التعليق على مدى ضعف هذه « الالتفاتة » في البيان المشترك الى ازمة الشرق الاوسط فقد غابت منه كل اشارة الى الشعب الفلسطيني وحقوقه ، والى رفض اسرائيل الصريح « والخطي » الانسحاب من كل الاراضي العربية المحتلة ، والى حق العرب في اللجوء الى « وسائل اخرى غير الوسائل السياسية » من اجل تحرير اراضيهم المحتلة .

وعلى صعيد آخر قام وزير الدفاع السوفياتي الماريشال غريشكو بزيارة كل من سوريا ومصر في النصف الاول من شهر أيار . وترأس الماريشال وفدا على مستوى رفيع جدا ضم رؤساء اركان القوات البرية والجوية والبحرية بالاضافة الى عدد من كبار ضباط الجيش السوفياتي وخبرائه . ويدل تشكيل الوفد على اهمية المحادثات التي جاء الماريشال لاجرائها في البلدين العربيين . وقد استغرقت زيارته لسوريا ٤ أيام قام خلالها بمقابلة الرئيس حافظ الاسد وبزيارة ميناء اللاذقية الذي يستخدمه الاسطول السوفياتي ، كما وقع عدة اتفاقات تقضي بالمزيد من الدعم العسكري السوفياتي للقوات المسلحة السورية . ومن الامور التي لفتت الانتباه في هذه الزيارة عودة الماريشال غريشكو الى التأكيد من جديد على انه للبلدان العربية كل الحق في اتباع « وسائل اخرى » غير التعبوية السياسية لاسترداد الاراضي العربية المحتلة وهو الكلام الذي كان قد جاء للمرة الاولى في البيان السوفياتي — المصري المشترك الذي صدر على اعقاب زيارة الرئيس السادات الاخيرة الى موسكو . وبطبيعة الحال تناولت المحادثات بصورة رئيسية ازمة الشرق الاوسط والعلاقات الثنائية بين البلدين وتعزيز « التعاون العسكري بينهما » كما جاء في البيان المشترك الذي صدر على اثر انتهاء الزيارة . وقد ترددت انباء صحفية تقول بأن من اهداف الزيارة ايضا حصول الاتحاد السوفياتي على تسهيلات في سوريا (ومصر ايضا) . واثناء زيارته لمصر قابل الماريشال الرئيس السادات ووزير الحربية الفريق اول محمد صادق واسفرت المحادثات عن توقيع البلدين اتفاقا جديدا للتسلح كما تابع الضيف برفقة الفريق صادق مناورات بحرية سوفياتية استمرت يومين وهي الاولى من نوعها التي يجريها الاسطول السوفياتي في شرقي البحر الابيض المتوسط .

وبمناسبة الزيارة التي قام بها وزير الخارجية السوري ، عبد الحليم خدام ، الى الصين في النصف الثاني من شهر أيار عادت الحكومة الصينية الى تأكيد موقفها المبدأي والمعروف من موضوع النزاع العربي الاسرائيلي ونضال الشعب الفلسطيني حيث صرح نائب رئيس وزرائها بأن « الحكومة الصينية والشعب الصيني يؤيدان بحزم النضال العادل لشعبي فلسطين وسوريا وشعوب البلاد العربية الاخرى . اننا سنظل دائما نقف الى جانبكم في النضال ضد العدوان والاستفزازات من جانب الأمبريالية » .

كذلك أثار الرئيس اليوغوسلافي موضوع الشرق الاوسط مع الزعامة السوفياتية اثناء زيارته لموسكو في الاسبوع الاول من شهر حزيران . وترددت انباء موثوقة بأن الرئيس تيتو شدد في المحادثات على أهمية السلام في الشرق الاوسط بالنسبة لامن أوروبا وللاستقرار في البحر الابيض المتوسط .

اما بالنسبة للولايات المتحدة واوروبا الغربية فلم يطرأ جديد على مواقف أي منهما بما يتعلق بأزمة الشرق الاوسط . وتلخصت آخر التطورات الجزئية على هذا الصعيد بما يلي : (١) عودة روجرز ، عشية مؤتمر القمة في موسكو ، الى الدعوة لبدء

مفاوضات حول ازمة الشرق الاوسط على أن تجري ضمن اطار قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢. (٢) توقيع اتفاق امريكي اسرائيلي جديد في النصف الاول من شهر ايار تحصل اسرائيل بموجبه على ٥٠ مليون دولار كمساعدة امريكية لها « من اجل المحافظة على استقرار اقتصادها في وجه النفقات الدفاعية الباهظة التي تتحملها » . ويضاف الى ذلك مبلغ مليوني دولار أمر الرئيس نيكسون بتخصيصهما لاسرائيل من اجل « مساعدة اليهود السوفيات في الهجرة لاسرائيل » . (٣) طلب وزارة الخارجية المصرية من الحكومة الامريكية خفض عدد اعضاء بعثتها في القاهرة الى النصف وسحبهم من البلد خلال شهر وقد جاء هذا الطلب بعد ساعات من انتهاء زيارة الماريشال غريشكو لمصر . واعتبرت الحكومة المصرية هذا الطلب « ردا على السياسة السافرة التي تتبعها الولايات المتحدة في دعم العدوان الاسرائيلي » . وجدير بالذكر ان عدد اعضاء البعثة الامريكية كان قد رفع على اثر زيارة روجرز الى القاهرة في ربيع عام ١٩٧١ . ويبدو ان النتيجة الملموسة الوحيدة التي اسفرت عنها تلك الزيارة قد أزيلت الان . (٤) موافقة الحكومة البريطانية على قيام الشركات الانكليزية ببناء ٣ غواصات لحساب الاسطول الاسرائيلي . وكان هذا الموضوع مدار أخذ ورد بين بريطانيا وبعض الحكومات العربية في محاولة يائسة من قبل الاخيرة لوقف الصفقة او تأخيرها على اساس التذكير بالعلاقات الحسنة التي بدأت تسود بين بريطانيا والعالم العربي .

لا شك في أن افضل رد على سياسات الدول الامبريالية في منطقتنا كان الخطوة الهامة جدا التي أقدمت عليها السلطات العراقية بتأميم شركة نفط العراق (الاي بي سي) وتضامن الحكومة السورية المباشر عن طريق تأميمها لكافة منشآت الشركة وممتلكاتها في الاراضي السورية . ولا جدال في أن هذا الاجراء يشكل أهم ضربة تم توجيهها الى السيطرة الامبريالية في العالم العربي منذ تأميم قناة السويس . كما انه يشكل تحولا هاما باتجاه تصاعد امكانات استخدام سلاح البترول العربي بصورة فعالة في خدمة أهداف الكفاح التحرري العربي وخاصة كفاح الشعب الفلسطيني في هذه المرحلة . وبما ان اجراء التأميم هو اول مس حقيقي موجع للمصالح الامبريالية في منطقتنا منذ حرب ١٩٦٧ على القوى الثورية العربية عامة والفلسطينية خاصة التنبه الى احتمال لجوء الاطراف المتضررة ليس فقط الى المزيد من الشراسة في دفاعها عن مواقعها ومصالحها بل ايضا الى اساليب من نوع آخر تتلخص في اظهار مرونة اكبر حيال العودة بصورة أكثر جدية الى فكرة التسوية السلمية وتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ باعتبار ان استمرار وضع أزمة الشرق الاوسط على حاله أخذ يفرز نتائج تمس العصب الحساس للمصالح الاستعمارية في المنطقة . ان السير في مثل هذا الاتجاه يشكل احتمالا ذكيا ممكنا لسلوك الدول الامبريالية على المدى المتوسط ويجدر بنا التنبه الى ذلك منذ الان .

اما على صعيد هيئة الامم فلم يطرأ اي تطور جديد بالنسبة لازمة الشرق الاوسط باستثناء اشعار الحكومة اللبنانية رئاسة مجلس الامن بتهديدات اسرائيل الكثيفة بالاعتداء على الاراضي اللبنانية نتيجة للهجوم الذي قام به الفدائيون اليابانيون على مطار اللد مؤخرا . وشددت شكوى لبنان على ما يمكن ان تؤدي اليه هذه التهديدات من اعتداءات على اراضيه بسبب قضية لا علاقة له بها أصلا . كذلك احتج لبنان الى مجلس الامن على اختراق الطائرات الحربية الاسرائيلية مجاله الجوي على اثر احداث مطار اللد . كما أجرى سلسلة من الاتصالات الدولية لتوليد ما يمكن من الضغط العالمي على اسرائيل للحؤول دون قيامها بأي عمل انتقامي فيه خرق للسيادة اللبنانية . ونتيجة لهذه الاتصالات طلب الامين العام لهيئة الامم من اسرائيل ولبنان (!!) ضبط النفس ، ولم يتخذ مجلس الامن اي اجراء محدد بصدد الشكاوي اللبنانية .

ص. ج. ع.

(٤) المناطق المحتلة

في اعقاب حالة الهيجان المشفوعة بالتوتر التي سادت المناطق المحتلة ، الناجمة عن مهزلة الانتخابات البلدية التي فرضتها سلطات الاحتلال بغرض خلق نواة من الزعامة التقليدية تكون مؤهلة للعمل لحسم القضية الفلسطينية لصالح الاحتلال ، والنابعة من مشروع الملك حسين المؤدي ايضا الى نفس النتيجة ولكن على امل أن ينال النظام الاردني حصة الثعلب من الغنيمة ، اخذت حالة الهدوء والتقاط الانفاس تطبع احداث الشهر الماضي . ووسط حالة الهدوء ظهرت بعض الموضوعات مثل تحركات من قبل الزعامة التقليدية في الضفة الغربية والقطاع تهدف الى خلق كيان فلسطيني ضمن الاحتلال الاسرائيلي . اما الطرف الاسرائيلي فانه يبارك هذه التحركات ويعمل على تسييرها في الاتجاه الذي يخدم مخططاته ، وفي نفس الوقت استمر في سياسته المستمرة والثابتة في المناطق المحتلة : ازالة معالم قديمة واقامة معالم جديدة .

حركة الاستيطان : بعد مرور خمسة اعوام على الاحتلال الاسرائيلي بلغت حصيلة النشاط الاستيطاني في المناطق المحتلة ٣٩ مستوطنة (باستثناء الاستيطان المدني في القدس والخليل): ٢٠ مستوطنة منها اصبحت مدنية و ١٩ مستوطنة ناحال من بينها ست مستوطنات يجري تاهيلها بالسكان المدنيين . وتسير حركة الاستيطان في الوقت الحاضر باتجاهين رئيسيين : ١ — تثبيت ودعم ما اقيم من مستوطنات ، ٢ — العمل على اقامة مستوطنات جديدة .

ففي هضبة الجولان التي تم بها اقامة ١٧ مستوطنة ، تنهمك السلطات المسؤولة عن الاستيطان بتعزيز ودعم المستوطنات هناك . فقد ازدادت ميزانية الاستيطان في الهضبة من ١٦ الى ٢١ مليون ليرة اسرائيلية كما وتقررت تخصيص ٤٠٠ دونم في جنوب الهضبة لزراعة حمضيات الكريب فروت التي تعطي اثمارا مبكرة ، خصص ٢٠٠ دونم لمستوطنة « جبعات يوآب » و ٢٠٠ دونم لمستوطنة رموت . وفي نفس الوقت احتفلت السلطات المسؤولة عن الاستيطان بحضور وزير الزراعة « حاييم جباتي » وقائد سلاح الناحال العقيد « تسفي لبنسون » بتحويل مستوطنة ناحال جولان الى مستوطنة مدنية. الا ان الامر اللافت للنظر في النشاط الاستيطاني في الهضبة يكمن في موافقة « هكيبوتس هآرتسي » التابع لحزب مبام لاقامة كيبوتس جديد تابع له في الهضبة . ومن الجدير بالذكر ان حزب مبام يؤيد اقامة مستوطنات « امنية » فقط في الهضبة على ان لا يكون اعضاء حركة « هشومير هتسعير » التابعة له هم الذين يشكلون « نواة » المستوطنات، هذا مع العلم ان حركة هشومير هتسعير كانت قد اقامت في السابق كيبوتس « شنير » في شمال الهضبة . ومن الطريف ان اعضاء الحركة كانوا قد برروا عملهم المناقض لموقفهم بأن كيبوتس شنير لا يقع ضمن هضبة الجولان بل ضمن المنطقة المنزوعة السلاح بين سوريا واسرائيل ، اما الكيبوتس الجديد الثاني الذي سيتبع حزب مبام فسيقام بالقرب من منطقة خسفين وجبين في جنوب الهضبة ، وسيكون من الصعب على الحزب هذه المرة ان يبرر التناقض القائم بين مواقفه وممارساته اللهم الا اذا اعتبر هضبة الجولان برمتها منطقة منزوعة السلاح !

تهويد غور الاردن : لا تزال السلطات الاسرائيلية منهمكة في مخططاتها الرامية الى تهويد منطقة الاغوار . فبالرغم من اقامة شبكة من المستوطنات على امتداد النهر (تسع مستوطنات مدنية وعسكرية) اكتمل بموجبها مشروع الون الخاص بمنطقة الاغوار ، حسب ما ادعت المصادر الاسرائيلية ، فان سلطات الاحتلال لم تكتف بذلك، وتشير مخططاتها بشكل واضح ان مشروع الون لم يكتمل تطبيقه بعد ، فقد كشفت الصحافة العبرية مؤخرا عن وجود مخطط اساسي لاستيطان الاغوار، اعده قسم الاستيطان في المنطقة الشمالية بناء على طلب من الهستدروت الصهيونية العالمية ، وهي الهيئة المسؤولة عن الاستيطان في المناطق المحتلة .

وتبلغ تكاليف المشروع الجديد الذي من المقرر انجازه خلال الاعوام الخمسة او الستة القادمة حوالي نصف مليار ليرة اسرائيلية . ويتضمن المشروع الجديد ثلاث وجهات نظر حول عدد المستوطنات التي ستشاد خلال المدة الانفة الذكر :

(١) وجهة نظر ترى انه من الممكن اقامة ٣٥ مستوطنة ، ويقف وراءها ما يسمى بـ «الامنيين».
(٢) وجهة نظر ترى انه يمكن اقامة ما بين ٢٠-٢٥ مستوطنة ، تعتمد على الزراعة والصناعة .
(٣) وجهة نظر تعتقد بأنه لا تتوفر مصادر مياه واراضي كافية لاقامة هذا العدد من المستوطنات ، ولذا فانها تدعو بأن يتضمن المشروع الاساسي اقامة ١٦ — ١٧ مستوطنة ، تعتمد على الزراعة والصناعة .

وقد اظهرت الدراسات التي اجريت في منطقة الاغوار انه يوجد هناك حوالى ١٣٠ الف دونم من الاراضي القابلة للزراعة تعتبر من اراضي الدولة . وحسب المشروع سيتم بناء مئة وحدة سكنية في كل مستوطنة تؤهل بالعائلات المدنية ، وهذا يعني بأن منطقة الاغوار ستصبح في حال تنفيذ المشروع منطقة يهودية صرفة ، ويكون الاستيطان الاسرائيلي قد اكمل الحلقة من كافة الجوانب على الضفة الغربية التي سيصبح ابتلاعها وهضمها سهلا .

اما حركة الاستيطان في منطقة الخليل فقد أخذت تتعزز حين اتخذت الحكومة بأكثرية الاصوات ومعارضة وزير الاستيعاب نتان بيلد (مبام) قرارا في اواخر شهر ايار ، يدعو الى اقامة ٢٠٠ وحدة سكنية جديدة أخرى في ضاحية كريات أربع في منطقة الخليل ، بالاضافة الى الـ ٢٥٠ وحدة سكنية التي يكتمل بناؤها الان .

وفي قطاع غزة ، حيث اشيدت مستوطنتان ، كفار داروم وناحال نتسريم ، من المقرر ان تكون مستوطنة ثالثة تحمل اسم ناحال مراد قد برزت على الارض بالقرب من مدينة خانيونس . وقد خصصت سلطات الاحتلال للمستوطنة الجديدة ١٣ الف دونم . ومن الجدير بالذكر ان مستوطنات القطاع تعاني من النقص في كميات المياه ، ولذا فان السلطات الاسرائيلية ستربط هذه المستوطنات بمشروع المياه القطري .

وفيما يتعلق بمشارف رفح في المنطقة الشمالية من سيناء ، حيث اقيمت مستوطنة « سدوت أ » وهي تتشكل من ٥٠ وحدة سكنية ، ويجري العمل على قدم وساق لاقامة مستوطنة ثانية تحمل اسم « سدوت ب » من المقرر ان يتم تدشينها في العام القادم ، كما وهنالك مستوطنة ثالثة في طور الاعداد ، فان نشاط السلطات الاسرائيلية يتمثل الان في ارضاء واسكان السكان العرب الذين اجلوا عنها ، بواسطة منحهم تعويضات عن اراضيهم وبيوتهم ومزروعاتهم التي اصبحت محاطة بسياج بغرض تهويد المنطقة . وقد بذل وزير الدفاع موشيه ديان في الاونة الاخيرة جهودا لاقناع العشائر التي أرغمت على ترك اراضيها قبول تعويضات عنها . ومن الجدير بالذكر أن حجم هذه التعويضات ضئيل (حوالى ٢٠٠ الف ليرة اسرائيلية) مما دفع بعض صحف المعارضة في اسرائيل الى التهكم على الحكومة التي تعتزم تقديم تعويضات عن ١٦٠ الف دونم بثمن بخس « يعادل قيمة مبنى واحد في شمال تل أبيب » . الا ان افراد القبائل التي اجليت يرفضون حتى الان فكرة التعويضات ويطالبون باعادتهم الى اراضيهم . وقد بعثوا برسائل بهذا المعنى الى رئيسة الحكومة غولدا مئير والى رئيس الكنيست اعلنوا فيها رفضهم لفكرة تلقي اية تعويضات وقال احدّ زعمائهم الشيخ أحمد الحلو : « اننا لن نقبل بالتعويضات ، حتى ولو دفعوا لنا مقابل كل متر مليون ليرة . ان هذه الارض ملكنا وهي لنا على مدى الاجيال ولن نتخلى عنها » (دافار ٧٢/٥/٨) .

تحركات الجعبري والشوا : أخذ محمد علي الجعبري رئيس بلدية الخليل ، بعد الانتهاء من مهزلة الانتخابات البلدية التي فرضتها سلطات الاحتلال في الضفة الغربية ، يتحرك في محاولة منه لخلق زعامة جديدة في الضفة الغربية تكون مؤهلة للبت في مصير المناطق المحتلة بالقدر الذي تسمح به سلطات الاحتلال الاسرائيلي ، فهو يدرك كما جاء على لسانه « ان أي حل لا يحظى بموافقة اسرائيل لن تكون له اية قيمة » . ومن خلال هذا المفهوم ومن أجل السعي الى حل يخدم في نهاية المطاف المخططات الاسرائيلية ، تقدم رئيس بلدية الخليل عند منتصف شهر أيار بطلب الى القائد العسكري للضفة الغربية العقيد رفائيل فاردي للسماح بعقد مؤتمر يضم رؤساء البلديات الجدد لكي يتدارسوا اوضاع السكان العرب ويديروها بشكل افضل ، كما طالب بأن تمنح البلديات صلاحيات اوسع بحيث يكون لرئيس البلدية صلاحيات محافظ ، وقال : « انني اعتقد بأن الشعب في الضفة الغربية قلق على مستقبله ولا يدري اين المصير فقد سئمنا الخطابات والتصريحات والمؤتمرات ، ولذا نرجو ان يباح لهم الاجتماع للبحث فيما يهمهم » .

ان دعوة الجعبري لعقد مؤتمر لرؤساء البلديات ليست جديدة ، فقد سبق له وان دعا لعقد مثل هذا المؤتمر اكثر من مرة ، غير ان الجديد في دعوة الجعبري يتمثل في الطلب من اجل توسيع صلاحيات رؤساء البلديات بحيث «يكون لرئيس البلدية صلاحية المحافظ» . ومن المعروف ان اوساطا اسرائيلية معتدلة تدعو الى منح رؤساء البلديات العرب هذه الصلاحية بغرض خلق نواة من الحكام المحليين لاضفاء صفة الليبرالية على الاحتلال الاسرائيلي ، وتنمية هذه النواة لتقود الكيان الفلسطيني لصالح المخططات الاسرائيلية .

الى جانب ذلك ، ومن اجل الحصول على مزيد من الصلاحيات للزعامة التقليدية في الضفة دعا الجعبري الى اقامة مجلس اسلامي اعلى للاهتمام في قضايا المسلمين في الضفة الغربية وفي اسرائيل! ان خطورة الطلب لا تكمن في الدعوة الى اقامة مجلس اسلامي اعلى في الضفة ، بل تكمن في اشتمال الدعوة على عرب المنطقة المحتلة منذ ١٩٤٨ ، وهذا يعني ان الجعبري يريد ان يربط مصير عرب المناطق المحتلة حديثا بمصير عرب المنطقة المحتلة عام ١٩٤٨ الذين اصبحوا « مواطنين اسرائيليين » بموجب القوانين الاسرائيلية . ان المصير المشترك لكافة ابناء الشعب الفلسطيني امر يفرضه الواقع النضالي ، الا انه في حالة الجعبري يعني شيئا اخر ، المصير المشترك تحت ظل الهيمنة الصهيونية .

وثالثة الاثافي في تحرك الجعبري تكمن في دعوته الى اقامة اذاعة في رام الله تحت اسم « صوت الضفة الغربية وقطاع غزة » . وقد احدثت هذه الدعوة موجة من الاستياء في المناطق المحتلة ، الامر الذي جعل الجعبري يعمل من خلال التستر والتكتم ، الا انه لم يستطع الانكار امام الصحفيين الاسرائيليين بانه قد تقدم بطلب بهذا الخصوص الى جهاز الحكم العسكري . ويقف الى جانب الجعبري في دعوته هذه صحفيان من الضفة الغربية من عملاء السلطتين الاسرائيلية والاردنية على حد سواء هما صبحي الشريف وعبد الوهاب زاهدة ، وقد قام صبحي الشريف بزيارة لعمان حيث اجتمع هناك مع اركان النظام الاردني ، ثم عاد الى الضفة واجتمع مع ممثلي الجهاز العسكري الاسرائيلي ، خاصة مع العقيد « دافيد فرحي » موضحا له الهدف من وراء اقامة الاذاعة : « من أجل شرح موقف سكان المناطق للدول العربية والعالم كله — انني لا اؤمن بالحروب ... ينبغي على الاسرائيليين ان ينسوا انتصارهم ، وعلى الفلسطينيين ان ينسوا معاناتهم وهزيمتهم » (دافار ٧٢/٥/٩) . ومن المعروف ان صبحي الشريف من المقربين للشيخ محمد علي الجعبري لدرجة ان البعض يلقبه بـ « وزير خارجية الجعبري » . وكان صبحي الشريف قد شغل في الماضي منصب مستشار لشؤون الاعلام في المملكة العربية السعودية ، اما بعد الاحتلال فقد اصبح مقربا من السلطتين الاسرائيلية والاردنية ، ويقوم بين الفينة والاخرى بزيارة عمان للاجتماع باركان النظام الاردني .

الى جانب تحرك رئيس بلدية الخليل وتصريحاته الداعية الى خلق كيان فلسطين تحت كنف الاحتلال ، تحرك زعيم تقليدي اخر في المناطق المحتلة عينته سلطات الاحتلال رئيسا لبلدية غزة « لملء الفراغ الذي نجم عن حملات تصفية المقاومة في غزة » الا وهو رشاد الشوا . لقد اخذ الشوا في الاونة الاخيرة وعلى اثر اعمال التهويد في رفح والقطاع وتصريحات الزعماء الاسرائيليين المتتالية بأن القطاع جزء لا يتجزأ من دولة اسرائيل ، اخذ يدلي بتصريحات مناقضة لمواقف سلطات الاحتلال ويدعو الى ادارة القطاع بواسطة هيئة الامم المتحدة الى ان يحين تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ كما ويصرح بأن « القطاع يعتبر جزءا من فلسطين العربية ، كالضفة الغربية ، ونحن سكان المنطقتين اصحاب مصير مشترك » ، الا ان هذه التصريحات التي تبدو في بعض اجزائها وطنية تعتبر لا غطاء لها اذا اخذنا بعين الاعتبار الصداقة التي اخذت تتوطد بين رئيس بلدية الخليل محمد علي الجعبري ورئيس بلدية غزة رشاد الشوا الذي حل في الاونة الاخيرة على رأس وفد يتشكل من ٨٠ وجيها من وجهاء القطاع ضيفا على زميله الجعبري .

وخلال ذلك انهمك قسم اخر من الزعامة التقليدية في الضفة بالعمل على حل بعض القضايا المعلقة مثل تزويد الضفة الغربية بالاسمنت من الضفة الشرقية ، ومسألة فتح البنوك المغلقة في الضفة الغربية . وقد وافقت السلطات الاردنية حسب ما ذكر كل ما فائق بركات رئيس الغرفة التجارية في القدس ومعزوز المصري رئيس بلدية نابلس ، على اثر زيارة قام بها الاول الى عمان واجتماعه مع اركان النظام الاردني ، على تزويد الضفة الغربية

بالاسمنت من الضفة الشرقية . ومن المقرر ان تصل كمية الاسمنت التي ستشحن الى الضفة الف طن شهريا . ومن الجدير بالذكر ان السلطات الاردنية كانت تمانع في الماضي تزويد الضفة الغربية خشية ان يتسرب الى اسرائيل باعتباره « مادة استراتيجية » .

وفي غضون ذلك ، يقوم بعض اثرياء مدينة بيت لحم بالعمل على تاسيس بنك لخدمة سكان الضفة الغربية ، وستقتصر فروعه على الضفة الغربية فقط ، ولن تكون له ارتباطات مع الضفة الشرقية !

المناطق المحتلة في خدمة الاقتصاد الاسرائيلي : تمكنت سلطات الاحتلال خلال الاعوام الخمس الماضية من تحويل المناطق المحتلة الى عامل منعش لاقتصادها سواء عن طريق استغلال الموارد الطبيعية أو استغلال القوى البشرية . وتتمثل العوامل المنعشة للاقتصاد الاسرائيلي في العوامل التالية :

١ ـ استغلال البترول : يشكل بترول المناطق المحتلة عاملا منعشا للاقتصاد الاسرائيلي ، هذا فضلا عن كونه سلعة استراتيجية تطوع لخدمة آلة الحرب الاسرائيلية . فقد بلغت كميات البترول التي تستخرجها سلطات الاحتلال من آبار البترول البرية في منطقة ابو رودس والبحرية في خليج السويس ٦ ملايين طن سنويا ، تقدر بـ ٨٠ مليون دولار . وهذه الكمية تكفي احتياجات اسرائيل من النفط .

٢ ـ الجسور المفتوحة : لقد استغلت اسرائيل الجسور المفتوحة على ضفتي نهر الاردن ، وعملت على تسريب بعض منتوجاتها الفائضة عن حاجتها ضمن منتوجات المناطق المحتلة المشحونة الى الضفة الشرقية والدول العربية الاخرى ، كما وتقوم من خلال هذه الجسور باستيراد المنتوجات التي تحتاجها ، فمثلا تقوم اسرائيل باستيراد الخضار المبكرة التي ينتجها مزارعو الاغوار في الضفة الشرقية بواسطة تجار عرب من سكان المناطق المحتلة ، كما ويقوم هؤلاء بتزويد اسرائيل بما تحتاج اليه من منتوجات من البلدان العربية وعلى سبيل المثال فان المشمش المجفف (قمر الدين) المصنوع في سوريا (انظر ملحق هآرتس ٧٢/٤/٢٢) اصبح يغطي سوق الكرمل في تل ابيب ، بفضل سياسة الجسور المفتوحة .

٣ ـ علاوة على استغلال المناطق المحتلة كمحطة مرور للاستيراد والتصدير بين اسرائيل والعالم العربي ، فان هذه المناطق تعتبر سوقا رائجا للمنتوجات الاسرائيلية وخاصة الصناعية منها .

٤ ـ اقامة معامل اسرائيلية في المناطق المحتلة : نتيجة النقص في الايدي العاملة اليهودية في بعض المرافق ، شجعت الحكومة الاسرائيلية الصناعيين الاسرائيليين على اقامة معامل لهم في المناطق المحتلة بمشاركة وتعاون بعض ارباب العمل العرب ، وتقوم هذه المعامل بانتاج الملابس الجاهزة ومواد البلاستيك والنجارة ومواد البناء .

استغلال الايدي العاملة : تقوم اسرائيل باستغلال الايدي العاملة العربية لصالح اقتصادها . وقد بلغ عدد العمال الذين يعملون عن طريق مكاتب العمل الحكومية حوالى ٤٢ الف عامل حسب الاحصائيات الاخيرة . ومن المحتمل ان يطرأ ارتفاع على هذا الرقم خاصة بعد فتح الحدود عند مطلع شهر ايار بين القطاع واسرائيل ، ويتوزع العمال العرب على مجالات العمل المختلفة بالنسب التالية : ٥٥٪ يعملون في البناء و ٢٦٪ في الزراعة و ١٢٪ في الصناعة و ٧٪ في الخدمات (للتوسع في هذا الموضوع انظر شؤون فلسطينية رقم ٧ ص ٢٦٤) .

عبد الحفيظ محارب

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ١/١ – ١٩٧٢/٥/٣١

الرقم	التنظيم	تاريخ العملية: اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١	ق.ع.ق.ث.	١/١	١٢٠٠	الجولان/القنيطرة وبير عجم	تفجير	لغم	غير محدود		ناقلة جنود	—	—	—	ح.ع.	٢/
٢	ق.ت.ش.	١/١		الخليل	اشتباك	اسلحة رشاشة	١	١	رشاش عوزي	—	—	—	ص.ف. العدد ٤٩	شباط
٣	ق.ع.ق.ث.	١/٢	١٣٠	الجليل الاعلى/الشيخة	قصف	مدفعية ثقيلة	غير محدود		مهجع وعدد من نقاط المراقبة	—	—	—	ح.ع.	١/٣
٤	ط.ح.ت.ش.	١/٢		غزة/ناحل عوز	تفجير	لغم	غير محدود		سيارة نقل	—	—	—	ط.وج. العدد ٩	شباط
٥	ق.ع.ق.ث.	١/٣	١٧٠٠	الجليل الاعلى/العلم	هجوم	قنابل ورشاشات	غير محدود		كمين	—	—	—	ح.ع.	١/٥
٦	ق.ع.ق.ث.	١/٣	٦٣٠	الجولان/خسفين	قصف	صواريخ ثقيلة	غير محدود		تجميع للآليات والافراد	—	—	—	ح.ع.	١/٥
٧	ق.ع.ق.ث.	١/٣	٩٠٠	الجولان/معسكر الفرضاوي	قنص		١						ح.ع.	١/٥
٨	ج.ش.ت.ف.	١/٣	١٠٠	بئر السبع/لاهف	تفجير	عبوات ناسفة		١	تفجير طائرة لرش الاراضي الزراعية	—	—	—	هـ. العدد ١٣٦	١/٢٩
٩	ج.ش.ت.ف.	١/٥	٧٠٠	نتانيا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود			—	—	—	هـ. العدد ١٣٦	١/٢٩
١٠	ج.ش.ت.ف.	١/٥	٢٠٠	كفار سابا	تفجير	عبوات ناسفة	١٠(أ)		عدد من الباصات	—	—	—	هـ. العدد ١٣٦	١/٢٩
١١	ج.ش.ت.ف.	١/٥	١٧٠٠	بئر السبع/اورين	تفجير	عبوات ناسفة			طائرة لرش الاراضي الزراعية	—	—	—	هـ. العدد ١٣٦	١/٢٩
١٢	ق.ع.ق.ث.	١/٦	٢٤٠٠	الجليل الاعلى/ مرجليوت كريات شمونة	قصف	صواريخ ثقيلة	غير محدود		غير محدود	—	—	—	ح.ع.	١/٨
١٣	ق.ع.ق.ث.	١/٦	١٠١٥	الجليل الاعلى/مسكاف عام كفار جلعادي وعوتين	قصف	صواريخ ثقيلة	غير محدود						ح.ع.	١/٨
١٤	ط.ح.ت.ش.	١/٦		غزة/دير البلح	تفجير	عبوات ناسفة			مبنى الجوازات والهجرة	—	—	—	ط.وج. العدد ٩	شباط
١٥	ج.ش.د.ج.ف.	١/٧		الجولان	هجوم	اسلحة رشاشة	غير محدود			—	—	—	م.	١/١١
١٦	ق.ع.ق.ث.+ج.ش.ت.ف.	١/٩		الجليل الاعلى/المنارة	قصف	صواريخ ثقيلة	غير محدود		غير محدود	—	—	—	ح.ع.	١/١١
١٧	ق.ع.ق.ث.	١/٩	٦٠٠	صفد	اشتباك	اسلحة خفيفة	غير محدود		غير محدود	٣	—	—	ح.ع.	١/١١
١٨	ق.ع.ق.ث.	١/١١	١٢٠	العرقوب	اشتباك	اسلحة خفيفة	٢٠ اصابة			٢	—	—	ح.ع.	١/١٢
١٩	ق.ع.ق.ث.	١/١١		الجليل الاعلى/كريات شمونة	قصف	صواريخ ثقيلة	غير محدود		غير محدود	—	—	—	ح.ع.	١/١٣
٢٠	ق.ع.ق.ث.	١/١١	٧١٥	الجولان	تفجير	شبكة ألغام	غير محدود		دبابة	—	—	—	ح.ع.	١/١٣
٢١	ط.ح.ت.ش.	١/١١		غزة	كمين	اسلحة مختلفة	غير محدود		نصف مجنزرة	—	—	—	ص.ف. عدد ٤٩	شباط
٢٢	ق.ع.ق.ث.	١/١٢	١٠٠	الجليل الاعلى/مسكاف عام/ كفار جلعادي	قصف	اسلحة مختلفة	غير محدود		غير محدود	—	—	—	ح.ع.	١/١٤
٢٣	ق.ع.ق.ث.	١/١٣	٨١٠	الجولان/معسكر تل ابو الذهب	هجوم	اسلحة رشاشة	غير محدود		غير محدود	—	—	—	ح.ع.	١/١٥
٢٤	ق.ع.ق.ث.	١/١٤	٢١٥	العرقوب	اشتباك	اسلحة مختلفة	غير محدود		غير محدود	٢	٢	—	م.	١/١٥
٢٥	ق.ع.ق.ث.	١/١٥	١٣٠	الجليل الاعلى/أبيليم	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		غير محدود	—	—	—	م.	١/١٦
٢٦	ج.ش.ت.ف.	١/١٧	٧٣٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		تدمير محولات الضغط العالي للكهرباء	—	—	—	هـ. العدد ١٣٨	٢/١٢
٢٧	ج.ش.ت.ف.	١/١٧	١٠٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		تدمير جزء من بناية جامعة تل ابيب وزجاجها	—	—	—	هـ. العدد ١٣٨	٢/١٢
٢٨	ج.ش.ت.ف.	١/١٨		حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		تدمير جزء من معهد نادي حيفا	—	—	—	هـ. العدد ١٣٨	٢/١٢
٢٩	ج.ش.ت.ف.	١/١٨		حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		تدمير مقهى وملهى البحرية	—	—	—	هـ. العدد ١٣٨	٢/١٢
٣٠	ج.ش.ت.ف.	١/١٩	١٨٠٠	غزة/معسكر جباليا	كمين	اسلحة رشاشة	غير محدود		سيارة عسكرية	—	—	—	هـ. العدد ١٣٨	٢/١٢
٣١	ق.ع.ق.ث.	١/١٩	١٩٠٠	الجولان/القنيطرة	قصف	صواريخ ثقيلة	غير محدود		غير محدود	—	—	—	ط. وج. العدد ٦	٢/١٣
٣٢	ق.ع.ق.ث.	١/٢٠	٢٣٠٠	الجولان/نحال هاجولان	قصف	صواريخ	غير محدود		غير محدود	—	—	—	ح.ع.	١/٢١
٣٣	ق.ع.ق.ث.	١/٢٠	٢٢٢٠	الجولان/معسكر تل ابوالذهب	قصف	هاون ثقيلة	غير محدود		غير محدود	—	—	—	ح.ع.	١/٢٢
٣٤	ق.ع.ق.ث.	١/٢٠		الخليل	اشتباك	اسلحة رشاشة	غير محدود		غير محدود	—	—	—	ح.ع.	١/٢٣
٣٥	ج.ش.ت.ف.	١/٢٣	٢٢٠٠	حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		تدمير جزء من بناية الميجر دافيد سمبسون	—	—	—	هـ. العدد ١٣٨	٢/١٢
٣٦	ق.ع.ق.ث.	١/٢٣	٢٣٣٠	الجولان/خسفين والقنيطرة	اشتباك	اسلحة رشاشة	غير محدود		آلية	٣	—	—	ح.ع.	١/٢٥
٣٧	ق.ع.ق.ث.	١/٢٤	١٦٠٠	درعا	غارة	قنابل				—	١	—	ح.ع.	١/٢٦
٣٨	ق.ع.ق.ث.	١/٢٤	٥٠٠	مسادة	قصف	صواريخ ثقيلة	غير محدود		غير محدود	—	—	—	ح.ع.	١/٢٨
٣٩	ق.ع.ق.ث.	١/٢٤	٥٠٠	الجولان/شعار هاجولان	قصف	صواريخ ثقيلة	غير محدود		غير محدود	—	—	—	ح.ع.	١/٢٨
٤٠	ق.ع.ق.ث.	١/٢٦	١٩٣٠	بيسان	قصف	صواريخ ثقيلة	غير محدود		عدد من المنشآت	—	—	—	ح.ع.	١/٢٨
٤١	ق.ع.ق.ث.	١/٢٦	٦٣٠	الجولان/معسكر الفرضاوي	قنص		١		——	—	—	—	ح.ع.	١/٢٨
٤٢	ق.ع.ق.ث.	١/٢٦	١٠٣٠	الجولان/معسكر الفرضاوي	قنص		١		——	—	—	—	ح.ع.	١/٢٨
٤٣	ق.ع.ق.ث.	١/٢٦		الجولان/تل ابو الغيتار	هجوم	اسلحة مختلفة	غير محدود		عدد من الآليات	—	—	—	ح.ع.	١/٢٨
٤٤	ج.ش.ت.ف.	١/٢٦		غزة	تفجير	قنبلة	غير محدود		سيارة عسكرية	—	—	—	هـ. العدد ١٣٨	٢/١٢

رقم	التنظيم	تاريخ العملية: اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
٤	ج.ش.ت.ف.	١/٢٧	٩٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	٢٠ اصابة		تدمير جزء كبير من مبنى كوبات حوليم	—	—	—	هـ. العدد ١٣٨	٢/١٢
٤	ق.ع.ق.ث.	١/٢٨	٢٠٣٠	الجولان/تل ابو الغيتار وكفر الما	كمين	اسلحة رشاشة	غير محدود		——	—	—	—	ح.ع.٠	٢/١
٤	ق.ع.ق.ث.	١/٢٩	٥٤٠	الجولان/معسكر الفرضاوي	قنص	—	١	—	——	—	—	—	ح.ع.٠	٢/١
٤	ق.ع.ق.ث.	١/٣٠	٩٣٠	الجولان/ابو الغيتار	كمين	اسلحة رشاشة وقنابل	٣	—	لاندروفر	—	—	—	ح.ع.٠	٢/١
٤	ق.ع.ق.ث.	١/٣٠	١٨٤٥	الجولان/شعار هاجولان	قصف	صواريخ ثقيلة	—	—	منشآت حيوية	—	—	—	ح.ع.٠	٢/١
٥	ج.ش.ت.ف.	١/٣١	١٢٠٠	ناتانيا	تفجير	عبوات ناسفة	٤ اصابات		تدمير سيارتين عسكريتين	—	—	—	هـ. العدد ١٤٠	٢/٢٦
٥	ج.ش.ت.ف.(٢)	١/٣١	١٩٠٠	بتاح تكفا	هجوم	اسلحة رشاشة وقنابل	٨ اصابات		تدمير «لوري» عسكري	—	—	—	هـ. العدد ١٤٠	٢/٢٦
٥	ج.ش.ت.ف.	١/٣١	١٨٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		حرق كراج العيزر	—	—	—	هـ. العدد ١٤٠	٢/٢٦
	ق.ع.ق.ث.	٢/ ١	١٠٣٠	الجولان/القنيطرة وبقعاثا	نسف	شبكة الغام	غير محدود		غير محدود	—	—	—	ح.ع.٠	٢/١
	ق.ع.ق.ث.	٢/ ٢	١٧٠٠	سيناء	نسف	لغم	غير محدود		سيارة عسكرية	—	—	—	ح.ع.٠	٢/٥
	ج.ش.د.	٢/ ٢	١٢٠٠	الجولان/معسكر الفرضاوي	قصف	صواريخ	غير محدود		تدمير شاحنة عسكرية	—	—	—	م.٠	٢/٤
	ج.ش.ت.ف.	٢/ ٢	١٧٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		تدمير وحرق معرض موبيليات ومقهى ومطعم	—	—	—	هـ. العدد ١٣٨	٢/١٢
	ق.ع.ق.ث.	٢/ ٥		غزة/حي الزيتون	كمين	اسلحة رشاشة	غير محدود		غير محدود	—	—	—	ح.ع.٠	٢/٨
	ج.ش.ت.ف.	٢/ ٥	١٠٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		تدمير وحرق ثلاث محلات تجارية في شارع هرتسل	—	—	—	هـ. العدد ١٤٠	٢/٢٦
٧	ج.ش.ت.ف.	٢/ ٥	١١٠٠	النقب	تفجير	عبوات ناسفة	١٠ اصابات		فندق «عين جيدي»	—	—	—	هـ. العدد ١٤٠	٢/٢٦
٨	ج.ش.ت.ف	٢/ ٥	٨٤٥	تل ابيب	تفجير	قنبلة موقوتة	٥ اصابات		تدمير مطعم هتكفا	—	—	—	هـ. العدد ١٤٠	٢/٢٦
٩	ج.ش.ت.ف.	٢/ ٥	١٧٠٠	حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		تدمير مبنى بيت همشلاه	—	—	—	هـ. العدد ١٤٠	٢/٢٦
١٠	ج.ش.ت.ف.	٢/ ٥	١٧٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		ثلاث محلات في شارع حتسمو نشيم (٨٣)	—	—	—	هـ. العدد ١٤٠	٢/٢٦
١١	ق.ع.ق.ث.	٢/ ٦		حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		حرق مستودع ومطبعة ومتجر	—	—	—	ح.ع.٠	٢/٨
١٢	ق.ع.ق.ث.	٢/ ٩	٢٣٠	حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		حرق بعض المنازل وبيت للطلبة	—	—	—	ح.ع.٠	٢/١١
١٣	ط.ج.ت.ش.	٢/ ٩	١٩١٥	غزة	كمين	اسلحة مختلفة	غير محدود		غير محدود	—	—	—	ط. العدد ١١٩	٣/٦
١٤	ق.ع.ق.ث.	٢/١٠		حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		حرق مستودع معسكر دايفيد	—	—	—	ح.ع.٠	٢/١١
١٥	ج.ش.د.	٢/١١	٧٠٠	الجولان/الدبوسية	كمين	اسلحة رشاشة وقنابل	غير محدود		مجنزرة	—	—	—	م.٠	٢/١٢
١٦	ق.ع.ق.ث.	٢/١١		حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		مستودع بريدي	—	—	—	ح.ع.٠	٢/١٣
١٧	ق.ع.ق.ث.	٢/١٢	٨٢٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		تدمير جزء من بناية	—	—	—	ح.ع.٠	٢/١٥
١٨	ق.ع.ق.ث.	٢/١٢	٩٢٠	يافا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		تدمير جزء من بناية	—	—	—	ح.ع.٠	٢/١٥
١٩	ق.ع.ق.ث.	٢/١٣		غزة/بيت حانون	اشتباك	اسلحة خفيفة	غير محدود		——	١	—	—	ح.ع.٠	٢/١٥
٢٠	ق.ع.ق.ث.	٢/١٣	١١٣٠	الجولان/مسحيتا ومسادة	كمين	اسلحة مختلفة	غير محدود		سيارة عسكرية	—	—	—	ح.ع.٠	٢/١٥
٢١	ج.ش.ت.ف.	٢/١٣	١٨٣٠	غزة/معسكر الشاطىء	تفجير	قنبلة	غير محدود		اعطاب لاندروفر	—	—	—	هـ. العدد ١٤٢	٣/١١
٢٢	ق.ع.ق.ث.	٢/١٤	٢٢٠٥	ناحال هاجولان	قصف	صواريخ	غير محدود		غير محدود	—	—	—	ح.ع.٠	٢/١٧
٢٣	ج.ش.د.	٢/١٤		الجولان/قنيطرة	هجوم	اسلحة مختلفة	غير محدود		مدفع رشاش ٥٠٠ ملم	—	—	—	م.٠	٢/١٧
٢٤	ق.ع.ق.ث.(٣)	٢/١٦		تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		مستودعات شركة «اميا»	—	—	—	ح.ع.٠	٢/١٨
٢٥	ق.ع.ق.ث.	٢/١٧	١٦٠٠	يافا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		منجرة	—	—	—	ح.ع.٠	٢/١٩
٢٦	ط.هـ.ت.ش.	٢/١٧	١٨٤٥	غزة/دير البلح	تفجير	قنبلة	غير محدود		اعطاب سيارة عسكرية	—	—	—	ط. العدد ١١٩	٣/٦
٢٧	ج.ش.د.	٢/١٨		الجولان/موقع جلع ابو تيانة	هجوم	اسلحة رشاشة وقذائف صاروخية	غير محدود		تدمير مجنزرة وطاقمه	—	—	—	م.٠	٢/١٩
٢٨	ق.ع.ق.ث.	٢/١٨		حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		تدمير مخيم وعدد من السيارات	—	—	—	ح.ع.٠	٢/٢٢
٢٩	ج.ش.د.	٢/١٩	٢٠٠	الجولان/تل ابو ابرهيم	هجوم	اسلحة رشاشة وقذائف صاروخية	غير محدود		تدمير رشاش واصابة مرصد لعدو	—	—	—	م.٠	٢/٢١

الرقم	التنظيم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
٣٠	ق.ع.ق.ث.	٢/١٩	٢١٣٠	اللد	تفجير	عبوات ناسفة اسلحة رشاشة	غير محدود	اصابة غرف مطار اللد تدمير مهجع للعدو	—	—	—	ح.ع.	٢/٢٣
٣١	ج.ش.د.	٢/٢١	١٢٠٠	الجولان/عين الامام	هجوم	وقذائف صاروخية	غير محدود	اسكات رشاش ١٠٠٦	—	—	—	م.	٢/٢٣
٣٢	ج.ش.د.	٢/٢٢	٢٠٠	الجولان/القنيطرة	كمين	قذائف صاروخية	غير محدود	تدمير نصف مجنزرة	—	—	—	م.	٢/٢٣
٣٣	ج.ش.د.	٢/٢٢		الجولان/تل الصرمان	اشتباك	اسلحة رشاشة	غير محدود	—	—	—	—	م.	٢/٢٣
٣٤	ج.ش.ت.ف.	٢/٢٣	١٢٠٠	بني براك	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير اجزاء من بنايات اربع مصانع	—	—	—	ه. العدد ١٤٢	٣/١١
٣٥	ق.ع.ق.ث.	٢/٢٣	٢٣٠٠	صفد — نهاريا	اشتباك	اسلحة مختلفة	غير محدود	تدمير سيارة عسكرية	—	١	—	ط. العدد ١١٨	٢/٢٨
٣٦	ق.ع.ق.ث.	٢/٢٣	٢٠٠٠	الجولان/الياقوصة	كمين	اسلحة رشاشة	غير محدود	تدمير آلية	—	—	—	ف.	٢/٢٨
٣٧	ق.ع.ق.ث.	٢/٢٣	١٠٠	الجولان/الياقوصة	اشتباك	اسلحة مختلفة	غير محدود	غير محدود	—	—	—	ف.	٢/٢٥
٣٨	ج.ش.ق.ع.	٢/٢٤	١٩٤٠	الجليل الغربي/المنصورة	كمين	صواريخ	١٢—١٤ اصابة	تدمير اثنين للجنود ورشاشين ثقيلين	—	—	—	بيان عمليات رقم ٢٠٠	شباط
٣٩	ج.ش.ت.ف.	٢/٢٤	١٥٠٠	غزة	تفجير	قنبلة	٥ اصابات	اعطاب سيارة	—	—	—	ه. العدد ١٤٢	٣/١١
٤٠	ق.ع.ق.ث.	٢/٢٤	٢١٣٠	صفد سعسع	كمين	قذائف صاروخية	٧ اصابات	تدمير سيارتين	—	—	—	ف.	٢/٢٦
٤١	ج.ش.ق.ع.	٢/٢٥		الجولان/برختا	تفجير	شبكة الغام	٦ اصابات	تدمير واحراق سيارة ناقلة للجنود	—	—	—	بيان عمليات رقم ٢٠٢	شباط
٤٢	ج.ش.ت.ف.	٢/٢٦	١٧٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير مستودع للادوية	—	—	—	ه. العدد ١٤٢	٣/١١
٤٣	ج.ش.ت.ف.	٢/٢٦	١٧٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير مصنع لصناعة الصناديق	—	—	—	ه. العدد ١٤٢	٣/١١
٤٤	ج.ش.ت.ف.	٢/٢٦		تل ابيب/كفار كرمي	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير جزء من بناية	—	—	—	ه. العدد ١٤٢	٣/١١
٤٥	ط.ج.ت.ش.	٢/٢٧	٢٢٠٠	غزة	تفجير	قنبلة موقوتة	غير محدود	تدمير جزء من مصنع للحمضيات	—	—	—	ط. العدد ١١٩	٣/٦
٤٦	ج.ش.ت.ف.	٢/٢٧	٩٠٠	باقة الغربية	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير وحرق اجزاء من ثلاثة مصانع للتجارة	—	—	—	ه. العدد ١٤٢	٣/١١
٤٧	ج.ش.ت.ف.	٢/٢٧	٢٢٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	٢٠ اصابة	تدمير جزء من فندق مزراحي	—	—	—	ه. العدد ١٤٢	٣/١١
٤٨	ج.ش.ت.ف.	٢/٢٧	٢١٠٠	حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير وحرق معمل للنجارة ومستودع	—	—	—	ه. العدد ١٤٢	٣/١١
٤٩	ج.ش.د.	٢/٢٨	٣٠٠	الجولان/الصرمان والقنيطرة	نسف	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير ٥٠٠ متر من الشبك الالكتروني	—	—	—	م.	٢/٢٩
٥٠	ق.ع.ق.ث.	٢/٢٨	١١٠٠	الجولان/خسفين	قصف	الهاون	غير محدود	عدد من المنشآت	—	—	—	ف.	٣/١
٥١	ق.ع.ق.ث.	٢/٢٨	١٢٠٠	الجولان/ابو خيط	قصف	الهاون	غير محدود	حرق تجمع للآليات	—	—	—	ف.	٣/١
٥٢	ق.ع.ق.ث.	٢/٢٨	٢٣٣٠	الجولان/كفر الما ومعسكر ابو خيط	قصف	الهاون	غير محدود	غير محدود	—	—	—	ف.	٣/١
٥٣	ق.ع.ق.ث.	٢/٢٨		الجولان/الحمة	قصف	قذائف صاروخية	غير محدود	غير محدود	—	—	—	ف.	٣/١
٥٤	ق.ع.ق.ث.	٢/٢٩	٥٠٠	الجولان/خربة عيون	قصف	قذائف صاروخية	غير محدود	غير محدود	—	—	—	ف.	٣/١
٥٥	ق.ع.ق.ث.(٤)	٢/٢٩	١٠٠	بيادر شبعا ومنطقة رويسات الشرقية	هجوم	اسلحة مختلفة	غير محدود	اصابة آلية	—	—	—	ف.	٣/١
١	ج.ش.ت.ف.	٣/١		عكا	تفجير	الغام اسلحة رشاشة	٢٠ اصابة	تدمير سيارة نقل عسكرية	—	—	—	ه. العدد ١٤١	٣/٤
٢	ج.ش.د.	٣/١	٥٣٠	الجولان/الدبوسية	كمين	وصواريخ	غير محدود	غير محدود	—	—	—	م.	٣/٢
٣	ق.ع.ق.ث.	٣/١		تل ابيب	تفجير	القاء قنبلة	غير محدود	اعطاب سيارة	—	—	—	ف.	٣/٢
٤	ق.ع.ق.ث.	٣/١	٢٣٠٠	الجولان/القنيطرة	هجوم	مدافع صاروخية ثقيلة	غير محدود	غير محدود	—	—	—	ف.	٣/٤
٥	ف.ج.ج.ش.د.	٣/٣	٢٤٥	الجولان/الفرشاوي	قصف	صواريخ ثقيلة	غير محدود	غير محدود	—	—	—	م.	٣/٤
٦	ق.ع.ق.ث.	٣/٤		تل ابيب	تفجير	عبوات حارقة	غير محدود	تدمير مصنع للحلوى	—	—	—	ف.	٣/٥
٧	ق.ع.ق.ث.	٣/٨		النقب/عين ياهيف	اشتباك	اسلحة رشاشة	غير محدود	غير محدود	٣	—	—	ط. العدد ١٢٢	٤/٣
٨	ج.ش.ت.ف.	٣/٩	١٧٠٠	حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير وحرق اربع محلات تجارية	—	—	—	ه. العدد ١٤٤	٣/٢٥
٩	ج.ش.ت.ف.	٣/١٠	٢٠٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير اجزاء من ثلاث مبان	—	—	—	ه. العدد ١٤٤	٣/٢٥

الرقم	التنظيم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١٠	ج.ش.د.	٣/١١	١٢١٠	ترشيحا	تفجير	عبوات ناسفة والغام	غير محدود		تدمير جزء من مبنى مدرسة ترشيحا وتدمير سيارة لاندروفر	—	—	—	م.	٣/١٥
١١	ق.ع.ق.ث.	٣/١٢		طبريا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		تدمير مطعم حولتشي	—	—	—	ط. العدد ١٢١	٣/٢٠
١٢	ق.ت.ش.	٣/١٢		تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		تدمير جزء من بناية	—	—	—	ط. العدد ١٢٠	٣/١٣
١٣	ج.ش.د.	٣/١٥		حوارة (الاردن)	هجوم	اسلحة رشاشة	غير محدود	غير محدود		—	—	—	م	٣/٢٠
١٤	ج.ش.د.	٣/١٦		اربد/عقربة	تفجير	صواريخ وتنابل شبكة الغام	غير محدود		تدمير ناقلة جنود	—	—	—	م	٣/٢٠
١٥	ج.ش.ت.ف.	٣/١٦		عكـا	تفجير	شبكة الغام	٧ اصابات	غير محدود		—	—	—	هـ. العدد ١٤٤	٣/٢٥
١٦	ق.ع.ق.ث.	٣/١٨		المفرق/المرجلة	هجوم	اسلحة رشاشة	غير محدود	غير محدود		—	—	—	ف.	٣/٢٣
١٧	ج.ش.د.	٣/١٩	٢١٣٠	الجولان/القنيطرة	كمين	تذائف صاروخية	غير محدود		تدمير جزء من اسلاك الانذار الالكترونية	—	—	—	م.	٣/٢١
١٨	ج.ش.د.	٣/٢٢	٢٠٠	الجولان/كفر الما	كمين	تذائف صاروخية واسلحة رشاشة	غير محدود		تدمير آلية نصف مجنزرة	—	—	—	م.	٣/٢٣
١٩	ق.ع.ق.ث.	٣/٢٢		خان يونس	اشتباك	اسلحة رشاشة	غير محدود	غير محدود		٢	—	—	ف.	٣/٢٤
٢٠	ج.ش.د.	٣/٢٢	٧٠٠	الجولان/عين الواويات	قصف	صواريخ	غير محدود	غير محدود		١	—	—	م.	٣/٢٨
٢١	ق.ع.ق.ث.	٣/٢٢	٧٠٥	الجولان/معسكر تل ابوالذهب	هجوم	تذائف صاروخية واسلحة ثقيلة	غير محدود	غير محدود		—	—	—	ف.	٣/٢٦
٢٢	ج.ش.د.	٣/٢٤	٦٣٠	الجولان/الدبوسية	كمين	تذائف صاروخية واسلحة رشاشة	٤		تدمير نصف مجنزرة	—	—	—	م.	٣/٢٥
٢٣	ج.ش.د.	٣/٢٤	٢٠٠	الجولان/كفر الما	هجوم	اسلحة رشاشة وتذائف صاروخية	غير محدود		اعطاب عدد من الاليات	—	—	—	م.	٣/٢٥
٢٤	ط.ح.ت.ش.	٣/٢٤	٥٠٠	خان يونس	اشتباك	اسلحة مختلفة	غير محدود	غير محدود		١	—	—	ط. العدد ١٢٥	٤/١٧
٢٥	ق.ت.ش.	٣/٢٥		غزة/بيت لاهيا	اشتباك	اسلحة رشاشة وتنابل	غير محدود	غير محدود		١	—	—	ط. العدد ١٢٣	٤/٢
٢٦	ق.ع.ق.ث.	٣/٢٦	٢٠٠	الجولان/الدبوسية	هجوم	تذائف صاروخية واسلحة رشاشة	غير محدود	غير محدود		—	—	—	ف.	٣/٢٧
٢٧	ج.ش.د.	٣/١٧	٢٠٠	الجولان/القنيطرة	قصف	صواريخ وأسلحة متوسطة	غير محدود	غير محدود		—	—	—	م.	٣/٢٨
٢٨	ج.ش.د.	٣/٢٩			دورية		—			١	—	—	م.	٣/٣٠
٢٩	ج.ش.د.	٣/٢٩		الاردن/الزرقاء	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		اصابة مقر المشير حابس المجالي	١	—	—	م.	٤/٢
٣٠	ط.ح.ت.ش.	٣/٢٩	٨٣٠	غزة	تفجير	الغـام	غير محدود		سيارة عسكرية	—	—	—	ط. العدد ١٢٥	٤/١٧
٣١	ج.ش.ت.ف.	٣/٢٩		تل ابيب	هجوم	تنابل		١	استيلاء على ١٩ الف ليرة من بنك لئومي	—	—	—	هـ. العدد ١٤٧	٤/١٥
٣٢	ج.ش.ت.ف.	٣/٣٠	١٩٠٠	اسدود	تفجير	عبوات ناسفة	٤		غير محدود	—	—	—	هـ. العدد ١٤٧	٤/١٥
١	ج.ش.د.	٤/ ٢	٢٢١٥	حانوتا والبصة	قصف	شبكة صواريخ	غير محدود		عدد من المنازل ومطعم ودار سينما	—	—	—	م.	٤/٥
٢	ج.ش.ت.ف.	٤/ ٢		تل ابيب/محطة الباصات المركزية	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	غير محدود	—	—	—	—	هـ. العدد ١٤٧	٤/١٥
٣	ق.ع.ق.ث.	٤/ ٣		البيرة ورام الله	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		نسف خط انابيب المياه	—	—	—	ف.	٥/٢٤
٤	ج.ش.ت.ف.	٤/ ٧	٨٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		تدمير جزء من بناية	—	—	—	هـ. العدد ١٥٠	٥/٦
٥	ق.ع.ق.ث.	٤/ ٨		عمان/الاردن	تفجير		—		تدمير سيارتي عبدالله التل وموسى ابو الراغب	—	—	—	ف.	٤/١٩
٦	ق.ع.ق.ث.	٤/ ٩		مجدل بني فاضل	تفجير	عبوات ناسفة	—		تدمير انابيب المياه	—	—	—	ف.	٥/٢٤
٧	ق.ع.ق.ث.	٤/١٠		عمان/الاردن	تفجير		١	—	تدمير سيارة الشريف ناصر بن جميل	—	—	—	ف.	٤/١٩
٨	ج.ش.ت.ف.	٤/١٢	٢٢٠٠	ايـلات	تفجير	عبوات ناسفة في سيارتين استولت عليهما	غير محدود		تدمير كبير في شركة كهرباء تل ابيب ــ يافا وتحطيم زجاج مبنى الشرطة « الماتيه ارتسيه »	—	—	—	هـ. العدد ١٥٠	٥/٦

الرقم	التنظيم	تاريخ العملية: اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
٩	ج.ش.ت.ف.	٤/١٢		مسعد	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	اشعال النار في عدة ابنيـة	—	—	—	هـ. العدد ١٥٠	٥/٦
١٠	ق.ع.ق.ث.	٤/١٢		العريش/سيناء	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير جزء من استراحة للعـدو	—	—	—	ف.	٤/١٧
١١	ج.ش.د.	٤/١٢	٢٤٠٠	الجولان/القنيطرة	قصف	شبكة صواريخ	غير محدود	تدمير سيارة عسكرية وتدمير مخزن وقود	—	—	—	م.	٤/١٤
١٢	ج.ش.د.	٤/١٢		الجولان/معسكر عين الواويات	قصف	صواريخ	٧ اصابات	تدمير نصف مجنزرة واشعال النار في بركس	—	—	—	م.	٤/١٤
١٣	ج.ش.ت.ف.	٤/١٢		رمات جان	تفجير	لغم	غير محدود	سيارة عسكرية	—	—	—	هـ. العدد ١٥٠	٥/٦
١٤	ج.ش.ت.ف.	٤/١٣	٩٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	اشعال النار في مبنى صحيفة يديعوت احرونوت	—	—	—	هـ. العدد ١٥٠	٥/٦
١٥	ق.ع.ق.ث.	٤/١٣		عمان/الاردن	هجوم على موكب الامير حسن		غير محدود	تدمير سيارتين	٢	—	—	ف.	٤/١٩
١٦	ق.ع.ق.ث.	٤/١٦	٢٠٠٠	العريش/سيناء	تفجير	الغام	٤ اصابات	تدمير سيارة عسكرية	—	—	—	ف.	٤/١٧
١٧	ق.ع.ق.ث.	٤/١٦	١٧٣٠	ادنه/الخليل	اشتباك	اسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غير محدود	غير محدود	—	—	١	ف.	٤/١٩
١٨	ج.ش.ت.ف.	٤/١٦	٢١٠٠	ايـلات	تفجير	الغـام	١٧ اصابة	تدمير شاحنة عسكرية	—	—	—	هـ. العدد ١٥٠	٥/٦
١٩	ط.ح.ت.ش.	٤/١٧		عين ماشلوت ونيرم	تفجير	شبكة الغام	٢ —	تدمير نصف مجنزرة	—	—	—	ط. وج. العدد ١٣	حزيران
٢٠	ج.ش.د.	٤/١٧	١٠٠	الجولان/جسر الرقاد	قصف	شبكة صواريخ	غير محدود	غير محدود	—	—	—	م.	٤/١٨
٢١	ق.ع.ق.ث.	٤/١٧		تل ابيب/حي ابادين	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير سيارة واعطاب عدد آخر	—	—	—	ط. وج. العدد ١٣	حزيران
٢٢	ق.ع.ق.ث.	٤/١٨	٢١٣٠	الجولان/الياقوصة	هجوم	اسلحة رشاشة وقذائف صاروخية	غير محدود	غير محدود	—	—	—	ف.	٤/١٩
٢٣	ج.ش.ت.ف.	٤/١٨	٩٠٠	الرملة	تفجير	عبوات ناسفة في سيارة استولي عليها	غير محدود	تدمير جزء من « شركة الصناعة »	—	—	—	هـ. العدد ١٥٠	٥/٦
٢٤	ج.ش.د.	٤/١٩	٩٠٠	الجولان/تل الصرمان	قصف	صواريخ	غير محدود	تدمير سيارة لاندروفر واصابة موقع رشاش ٥٠٠	—	—	—	م.	٤/٢٠
٢٥	ق.ع.ق.ث.	٤/٢٠	١٠٠	بتاح تكفا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير جزء من بناية	—	—	—	ف.	٤/٢٣
٢٦	ق.ع.ق.ث.	٤/٢٠		قرية مسانية/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير ٣ سيارات	—	—	—	ط. وج. العدد ١٣	حزيران
٢٧	ق.ع.ق.ث.	٤/٢٠		الشجرة/شمال الاردن	رد على نيران الجيش الاردني	اسلحة رشاشة وقذائف صاروخية	غير محدود	غير محدود	—	—	—	ف.	٤/٢٤
٢٨	ق.ع.ق.ث.	٤/٢٠		ام القطين/الاردن	رد على نيران الجيش الاردني		غير محدود	تدمير آلية عسكرية	—	—	—	ف.	٤/٢٦
٢٩	ج.ش.ق.ع.	٤/٢١	١٩٥٥	مزرعيت والبصة	اشتباك	اسلحة مختلفة	٤ اصابات	غير محدود	—	—	—	بيان عمليات رقم ٢٠٣	
٣٠	ق.ع.ق.ث.	٤/٢٢		الطرة/الاردن	رد على نيران الجيش الاردني	اسلحة مختلفة	غير محدود	اصابة مخفر الطرة	—	—	—	ف.	٤/٢٣
٣١	ق.ع.ق.ث.	٤/٢٢		كركوف/الاردن	رد على نيران الجيش الاردني	اسلحة مختلفة	غير محدود	غير محدود	—	—	—	ف.	٣/٢٤
٣٢	ج.ش.ت.ف.	٤/٢٤	١٢٠٠	شمونات انيقيم/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة في سيارة استولي عليها	غير محدود	تدمير بناية مصنع « بيللوم » للماس والذهب	—	—	—	هـ. العدد ١٥٠	٥/٦
٣٣	ق.ع.ق.ث.	٤/٢٤		كوم الرف/شمال الاردن	رد على نيران الجيش الاردني	اسلحة مختلفة	غير محدود	تدمير سيارة عسكرية	—	—	—	ف.	٤/٢٦
٣٤	ج.ش.د.	٤/٢٤	٢٠٠	اربد/شمال الاردن	قصف	صواريخ	غير محدود	اصابة مقر لواء الامام علي	—	—	—	م.	٤/٢٧

الرقم	التنظيم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
٣٥	ج.ش.د.	٤/٢٥		الجولان/تل ابو الغيثار	قصف	صواريخ	غير محدود	تدمير احد المواقع العسكرية ورشاش ٥٠٠	—	—	—	م.	٤/٢٧
٣٦	ج.ش.د.	٤/٢٦		الجولان/الباقوسة	اقتحام	اسلحة مختلفة	غير محدود	تدمير رشاش ٨٠٠ وحاملة جنود	—	—	—	م.	٤/٢٧
٣٧	ق.ع.ق.ث.	٤/٢٦	١٨٠٠	ناتانيا وكفار يونا	تفجير	عبوات ناسفة	٣ اصابات	غير محدود	—	—	—	ف.	٥/٢٤
٣٨	ج.ش.د.	٤/٢٧		الجولان/القنيطرة	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير ٥٠٠ متر من التحصينات الالكترونية	—	—	—	م.	٤/٢٩
٣٩	ج.ش.د.	٤/٢٧	٣٣٠	الجولان/قرية الحميدية	قصف	صواريخ	٥ اصابات	تدمير سيارة عسكرية واصابة مهجع للعدو	—	—	—	م.	٤/٢٩
٤٠	ق.ع.ت.ث.	٤/٢٧		قرية مساقية اوريهودا/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير سيارة وحرق اخرى	—	—	—	ف.	٤/٢٨
٤١	ق.ع.ق.ث.	٤/٢٧		قرية بني غراب/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير سيارة	—	—	—	ف.	٤/٢٨
٤٢	ق.ع.ق.ث.	٤/٢٨	٢٠٣٠	دير البلح	كمين	اسلحة مختلفة	غير محدود	تدمير آلية واعطاب اخرى	١	—	—	ف.	٥/٣
٤٣	ج.ش.ت.ف.	٤/٢٨		تل ابيب ويافا	هجوم	غير محدود	٤ اصابات	الاستيلاء على ١٠ آلاف ليرة اسرائيلية من بنك للومي في تل ابيب وبنك هبوعليم في يافا	—	—	—	هـ. العدد ١٥٢	٥/٢٠
٤٤	ج.ش.ق.ع.	٤/٢٩			تفجير	شبكة الغام	٥ اصابات	تدمير نصف مجنزرة ورشاش ٥٠٠	—	—	—	بيان عمليات رقم ٢٠٤	
٤٥	ج.ش.د.	٤/٢٩		الجولان/عين الامام	كمين	صواريخ واسلحة رشاشة	غير محدود	تدمير آلية	—	—	—	م.	٤/٣٠
١	ق.ع.ق.ث.	٥/ ١		القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير سيارة عسكرية	—	—	—	ف.	٥/٢
٢	ج.ش.د.	٥/ ١	٢٠٠	الجولان/تل ابو الغيثار	هجوم	صواريخ	٨ اصابات	تدمير موقع عسكري	—	—	—	م.	٥/٣
٣	ج.ش.ت.ف.	٥/ ١	١٠٠٠	غـزة	تفجير	القاء قنبلة	١ ١	تدمير سيارة عسكرية	—	—	—	هـ. العدد ١٥٢	٥/٢٠
٤	ج.ش.ت.ف.	٥/ ٢	٧٠٠	شخونات ناتانيا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير جزء من مبنى	—	—	—	هـ. العدد ١٥٢	٥/٢٠
٥	ق.ع.ق.ث.	٥/ ٢	١٧٣٠	الجولان/تل عباس	تفجير	شبكة الغام	غير محدود	تدمير آلية للعدو	—	—	—	ف.	٥/٦
٦	ج.ش.ث.ف.	٥/ ٤		ديمونه	تفجير	شبكة الغام	١٥ اصابة	تدمير سبعة امتار من خط سكة الحديد وقاطرتين	—	—	—	هـ. العدد ١٥٢	٥/٢٠
٧	ج.ش.د.	٥/ ٥	٥٠٠	الجولان/معسكر عين الواويات	قصف	صواريخ	غير محدود	تدمير آليات واشعال النيران في المعسكر	—	—	—	م.	٥/٧
٨	ج.ش.د.	٥/ ٦	٢٣٠٠	الجولان/الباقوسة	هجوم	قذائف صاروخية واسلحة رشاشة	غير محدود	تدمير صهريج للماء وناقلة جنود	—	—	—	م.	٥/٩
٩	ق.ع.ق.ث.	٥/ ٦		رامات جان/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير سيارة	—	—	—	ف. اسبوعية العدد ٣٣٧	٥/١٠
١٠	م.ا.ا.	٥/ ٨	١٩٣٠	مطار اللد/تل ابيب	خطف طائرة	اسلحة خفيفة	——		٢	—	١	ف.	٥/٩
١١	ج.ش.د.	٥/ ٨	٢٠٠	الطرة/الاردن	اشتباك	اسلحة مختلفة	غير محدود	تدمير آلية واشعال النيران في مركز قيادة لواء اليرموك	—	—	—	م.	٥/١٠
١٢	ج.ش.ت.ف.	٥/ ٨		ايلات	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	اشعال النيران في مكاتب شركة زيم	—	—	—	هـ. العدد ١٥٢	٥/٢٠
١٣	ج.ش.د.+ف.	٥/١٥		الجولان/تل ابو الغيثار	قصف	صواريخ	غير محدود	اشعال النيران في الموقع وتدمير آليات	—	—	—	م.	٥/١٨
١٤	ج.ش.د.+ف.	٥/١٦	٢٤٠٠	الجولان/جبين	قصف	صواريخ ثقيلة	غير محدود	غير محدود	—	—	—	م.	٥/١٨
١٥	ج.ش.د.+ف.	٥/١٦	٢٤٠٠	الجولان/الدبوسية	قصف	صواريخ	غير محدود	غير محدود	—	—	—	م.	٥/١٨
١٦	ق.ع.ق.ث.	٥/١٦		مسخ	قصف	صواريخ	غير محدود	غير محدود	—	—	—	ف.	٥/١٨
١٧	ق.ع.ق.ث.	٥/١٧	٢٢٣٠	الجولان/ناحال هاجولان	هجوم	قذائف صاروخية واسلحة رشاشة	غير محدود	تدمير موقع رشاش ٥٠٠	—	—	—	ف.	٥/١٨
١٨	ق.ع.ق.ث.	٥/٢٣	٢١٣٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير كافتيريا تقع في شارع بن يهودا	—	—	—	ف.	٥/٢٥

الرقم	التنظيم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١٩	ج.ش.د.	٥/٢٣	٢٠٠	الجليل/مستعمرة المنصورة	قصف	صواريخ عيار ٣٥ بوصة	غير محدود		تدمير مصنع للحليب	—	—	—	م.	٥/٢٤
٢٠	ق.ع.ق.ث.	٥/٢٤		منطقة كريات جات	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		تدمير جزء من خط سكة الحديد (تل ابيب ــ بئر السبع)	—	—	—	ف.	٥/٢٤
٢١	ف.+ج.ش.د.	٥/٢٧		الشجرة/الاردن	اشتباك	اسلحة مختلفة	غير محدود		تدمير آلتين	—	—	—	م.	٥/٢٩
٢٢	ف.+ج.ش.د.	٥/٢٨		حرساء/الاردن	اشتباك	غير محدود	غير محدود		غير محدود	—	—	—	م.	٥/٢٩
٢٣	ق.ع.ق.ث.	٥/٣٠	٥٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		تدمير واشعال النيران في الملهى الليلي مندلي	—	—	—	ف.	٥/٣١
٢٤	ج.ش.ت.ف.	٥/٣٠	٢١٤٥	مطار اللد/تل ابيب	هجوم على مطار	اسلحة رشاشة وقنابل	٢٦	٧٨	تدمير طائرتين وتدمير قاعة الوصول	٢	—	١	هـ. العدد ١٥٤	٦/٣

(١) ضابط المخابرات زلمان زيلبرغ

(٢) لا بد في نهاية جدول شهر كانون الثاني من الاشارة الى عملية « الطرود المتفجرة » التي اعلنت كل من « فتح » و « الجبهة الشعبية ــ القيادة العامة » مسؤوليتها عنها حيث أثارت هذه العملية القلق والخوف في مختلف انحاء اسرائيل طوال هذا الشهر .

(٣) اعلنت جبهة التحرير الوطني الفلسطيني (ج. ت. ف.) مسؤوليتها عن الحادث في بيان نشرته « المقاومة » بتاريخ ٧٢/٢/١٩ .

(٤) هناك حدثان في شهر شباط يجب اضافتهما : ١ ــ نفذت منظمة ايلول الاسود يوم ٢/٦ عمليتين واحدة في بافنشتاين في هولندا واستهدفت شركة ضخ الغاز « نيدير لاندس غازونو » ، وأخرى في هامبورغ في المانيا الغربية واستهدفت مصانع شفريزر التي تنتج وحدات الكترونية ومعدات كهربائية ، وذلك لتعاون كلا المؤسستين مع اسرائيل . ٢ ــ قام العدو الاسرائيلي بهجوم شامل على العرقوب بين ٢/٢٥ ــ ٢/٢٩ وقد اسقطت للعدو طائرتا فانتوم وسكاي هوك كما تم تدمير ١١ آلية وخسر ١٣٠ جنديا وضابطا بين قتيل وجريح . هذا وسقط على ارض المعركة ٤٧ شهيدا من قوات الثورة وجرح ٦٤ آخرين . تفاصيل العدوان والمعارك يمكن مراجعتها خلال نشرة « فتح » ونشرة « المقاومة » .

تعريف بالمصطلحات والنشرات الوارد ذكرها

١ — ق.ع.ق.ث. : القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية

٢ — ط ح ت ش : طلائع حرب التحرير الشعبية — قوات الصاعقة

٣ — ج ش ت ف : الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

٤ — ج ش د : الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين

٥ — ج ش ق ع : الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين — القيادة العامة

٦ — ق ت ش : قوات التحرير الشعبية

٧ — ح.ع. : حصاد العاصفة : نشرة اخبارية كانت تصدر عن مكتب اعلام فتح في بيروت .

٨ — ص.ف. : صوت فلسطين : مجلة شهرية تصدرها ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي لجيش التحرير الفلسطيني .

٩ — ط. وج. : الطلائع والجماهير : مجلة شهرية تصدر عن طلائع حرب التحرير الشعبية في لبنان .

١٠ — هـ. : الهدف : مجلة اسبوعية تصدر عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في بيروت .

١١ — م. : المقاومة : نشرة اخبارية يومية تصدر عن الجبهة الشعبية الديمقراطية في بيروت .

١٢ — ط. : الطلائع : مجلة اسبوعية ناطقة بلسان اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية تصدر في دمشق .

١٣ — ف. : فتح : نشرة اخبارية يومية صدرت بعد توقف نشرة حصاد العاصفة عن الاعلام المركزي لحركة « فتح » .

١٤ — م. ا. ا. : منظمة ايلول الاسود .

اسرائيليات

محمود درويش

[١]

ستة أيام .. وخمسة أعوام

هل انتهت ؟

هل تحولت الى ذكريات ؟

لقد مرت خمس سنوات ، ومـا زالت الاسئلة ملتهبة . سكوت المدافع لا يكـون دائما نهاية الحرب . مرة يقولون : في الصيف القادم ، ومرة أخرى في الخريف القادم. وحين يستعيد الاسرائيليون أحداث معارك الخامس من حزيران فانهم لا يتكلمون عن شيء مضى وانقضى . انهم يتحدثون عن فصل له بقية ، ويتساءلون : متى تنشب الحرب القادمة؟ ويعترفون بأنهم أخطأوا التقدير حين اعتقدوا ان حرب الايام الستة هي خاتمة الحروب في هذه المرحلة التاريخية من صراعهم مع العرب . ومن هنا ، لا يحتاج المراقب الى كثير من الجهد حين يلاحظ ان الاسرائيليين يستعدون للحرب القادمة . ولكن ، ما هو شكل هذه الحرب ، هل هي نسخة عن حروبهم السابقة ؟

وحين ينظر الاسرائيليون الى الخامس من حزيران الاول ، فهل يكشفون كل اسرار الحرب ؟ في كل ذكرى يقدمون سرا جديدا . ولكن اسرار الحرب الاساسية لا تزال طي الكتمان لانها شديدة الصلة بالحرب القادمة . ومـن الاسرار التي كشفها مسؤولون اسرائيليون في حديثهم اليوم عن تلك الايام موضوعان هامان : الدور الامريكي ، أولا ، ودوافعهم الى شن الحرب ثانيا .

وحين يستعرض الاسرائيليون حصيلة السنوات الخمس ، فكيف يبدون ؟ قلقين أم راضين . وكيف يقيمون مكاسبهم ؟

وحين يراجع الاسرائيليون هذه المكاسب ، وعلى رأسها التوسـع الاقليمي ، فكيف يفكرون بمستقبل المناطق التي احتلوها ؟ وكيف يفهمون السلام ، وما هي شروطهم لاحلال السلام ؟

هذه الاسئلة ، وكثيرة غيرها أخذت شكلا ملحا من الطرح ، حين احتفلوا بالذكرى الخامسة لحرب حزيران. وسنحاول الاجابة عليها من خلال استقراء تصريحاتهم ومواقفهم التي أعلنوها أو جددوا اعلانها في هذه الذكرى . ولا ينبغي ان نمر دون تسجيل ملاحظة على جو الاحتفال الاسرائيلي بذكرى نصرهم العسكري . لقد كانت السنة التي سبقت الذكرى الاخيرة تشير ، لاسباب محلية وعربية ودولية ، الى ان احتفالهم الخامس سيكون « أجمل الاحتفالات » بالنسبة لهم ، وأكثرها أمانا واحساسا بالاستقرار والطمأنينة ، الى ان جاءت عملية مطار اللد وقلبت الحسابات النفسية رأسا على عقب ، **لانها لطمت الاسرائيليين بالسؤال التاريخي الشهير : أين الامن؟** ولقد أراد رئيس الاركان الجنرال دافيد اليعازر ان يلغي شرعية السؤال ، وان يطمئن الاسرائيليين الى ان هذه العملية ليست نهجا قتاليا أو طريقة في محاربة الاسرائيليين ، وانما هي بمثابة **« كارثة طبيعية »** . « قد تحدث كارثة طبيعية واحدة او أكثر ، ولكنها لا تشير الى أسلوب والى طريق حرب جديدة » . ولعل الجنرال الاسرائيلي لم يفطن الى ان تقديره للحادث بأنه « كارثة طبيعة » يسقط عن التهديدات الاسرائيلية التي أعقبتها كل المبررات القانونية والسياسية . **فليس من المنطق بشيء أن تقوم دولة بتهديد دول اخرى بسبب وقوع زلزال او هزة ارضية في تلك البلاد** . فان هذا السلوك يشبه التهديد باحتلال الالهة والسيطرة على القضاء والقدر . ليس الجنـرال الاسرائيلي ،

بالطبع ، ساذجا الى هذا الحد . فالاولوية عند الاسرائيليين ليست البحث عن شرعية الاعتداء ، وانما هي اختيار مناسبة للاعتداء ، مع الاستهانة الشديدة بقدرات الاخرين واهانتهم .

وهكذا ، تميز الاحتفال الاسرائيلي الخامس بذكرى الخامس من حزيران بالتساؤل عن الامن لدى المواطن العادي ، وباشاعة الجو الحربي وتنمية مشاعر الثأر من جانب السلطة .

« ستة أيام ، وخمس سنوات » .

تحت هذا الشعار أجرى الاسرائيليون حسابات الماضي والحاضر والمستقبل .

« ستة أيام من التقاط الانفاس ، بوحدة عجيبة ، ورأس منحنية ، وقبضة مطبقة نحو هدف واحد مشترك ... ستة أيام من الجهود الضخمة للفرد في خدمة المجموع . مجهود تكلل بالنجاح . وبعد ذلك خمس سنوات . كل واحدة منها تتميز بميزة خاصة . سنوات يتألم كل واحد فيها من مشاكله ، المواطن والدولة : سنة **من الانتظار لرنين التليفون من الجانب الاخر** . وسنة **من المعارك السياسية والضغوط من اجل الانسحاب دون قيد او شرط** . وسنة **من الاستنزاف انتهت بوقف اطلاق النار** . وسنة **من المبادرات الامريكية المرفوضة** . وسنة **من التعرض للنقل الجوي** » .

بهذا التحديد الدقيق لكل سنة من السنوات الخمس التي تلت المعارك ، احتفل راديو اسرائيل بالذكرى . ولم ينس تسجيل خيبة أمل واحدة تلهث وراءه كل هذه السنين ، وهو يزداد ابتعادا : السلام — السلام الذي انتظره ديان بمكالمة تليفونية من العرب . وقال الوزير يسرائيل غاليلي عشية الذكرى الخامسة : « لقد ارتكبنا خطأ في تقييم التطورات . لقد املنا بانه بعد الانتصار في حرب الايام الستة ستكون هنالك استجابة عربية للسلام ، حيث كان لهم ما يسترجعونه ، لكن هذا الامل لم يتحقق حتى الان » .

ولكن رئيسة وزراء اسرائيل غولدا مئير تعتقد انه بعد خمس سنوات من الحرب يبدو لها ان «اسرائيل والعرب أصبحوا أكثر اقترابا من السلام مما كانوا عليه في الماضي . ولا أقصد ان الزعماء العرب أصبحوا على استعداد للجلوس معنا ، ولكنني متفائلة مما يحدث في السنوات الاخيرة » (معريف ٧٢/٦/٥) .

وفي السنة الخامسة ، يبدو الاسرائيليون اكثر صراحة مما كانوا عليه في الماضي ، في ربطهم الوثيق بين السلام والتوسع الاقليمي . وقد نشأ ذلك عن غياب عوامل الضغط العملية عليهم خاصة في الفترة التي أعقبت انتهاء حرب الاستنزاف ومذبحة أيلول وتصاعد المساعدات الامريكية لهم .

وقد حدد وزير الدفاع الاسرائيلي موشه ديان في حديث نشرته معريف في ٧٢/٦/٦ الخطوط الاساسية التي تضعها اسرائيل شرطا للسلام بما يلي : « فيما يتعلق ببرنامج السلام الاسرائيلي ، فان خطوطه العامة واضحة . قالت اسرائيل انها لن تنزل عن هضبة الجولان ، وان نهر الاردن هو حدودها الامنية ، وانها لن تعود الى الحدود السابقة . وستبقى في شرم الشيخ » . وأوضح ديان أن هذه الخطوط ليست دقيقة ولكنها الخطوط التي ستكون اسرائيل « مستعدة » للتفاوض حولها. وقال بتحديد أكثر : « ان السلام ، بالنسبة لنا ، ليس استسلاما . **والبرنامج الذي سيقبله العرب شرطا للسلام لن تقبله اسرائيل** » .

وفي السنة الخامسة أيضا ، اضافت اسرائيل الى مطالبها الاقليمية مطلبا آخر لم تعلنه ، بشكل سافر ، من قبل وهو : قطاع غزة . **فلأول مرة ، تعلن غولدا مئير عن أن التغييرات الاقليمية التي تطالب بها تتضمن قطاع غزة** . وكان موشه ديان ويسرائيل غاليلي قد لمحا من قبل الى رغبة اسرائيل في الاحتفاظ بقطاع غزة (معريف ٦/٥) **اما غولدا مئير** فقد أعلنت ذلك صراحة في حديث أدلت به لمراسل مجلة « برايد » الامريكية بمناسبة الذكرى الخامسة لحرب حزيران . قالت غولدا مئير : **« ان قطاع غزة لن يعاد الى اي حكم عربي في نطاق اتفاقية السلام مع الدول العربية »** .

هذا عن السلام .

فكيف يواجه الاسرائيليون حقيقة استحالة هذا السلام ، واحتمال تجدد القتال ؟

الكلمة الاولى للجيش . يقول رئيس أركان الجيش الاسرائيلي بمناسبة الذكرى الخامسة للحرب الماضية : « اذا لم يطرأ تقدم سياسي ، فان هناك خطر العودة الى تجدد اطلاق النار . وعن طريق التعاظم الذي لا يتوقف لقوتنا العسكرية نتمكن من الحيلولة دون تجدد القتال . ولذلك ، سنضطر للمحافظة على التوظيفات الكبيرة في الامن . وفي السنة القادمة ، لن تكون الميزانية الامنية أقل مما

كانت عليه في هذه السنة » (معريف ٦/٥) . وقال : « ان الجيش الاسرائيلي قادر اليوم على ان يكون جيشا عصريا ذا قدرة تكنولوجية عالية بمستوى عالمي . جيش السبعينات مع استعدادات جادة لتحوله الى جيش الثمانينات » .

وكان موشه ديان قد تحدث في معهد وايزمن عن الجيش الاسرائيلي (نشر الحديث في صحيفة « دافار » ٥/٢٥) فأكد ان بناء قوته العسكرية يقوم الان على سلاح الطيران والمدرعات . وقال ان سلاح الطيران الاسرائيلي يحتل المرتبة الرابعة، من حيث الحجم ، في أوروبا ، والمرتبة الاولى في منطقة البحر الابيض المتوسط . وقال ديان ان سلاح الجو الاسرائيلي قد تضاعف منذ عام ١٩٦٧ (وامتنع عن ذكر عدد الطائرات التي تملكها اسرائيل) . اما قيمته المالية فقد ارتفعت بنسبة ستة أضعاف (من ١٢٠ مليون دولار عام ٦٧ الى ٦٦٠ مليون دولار عام ٧٢) . وكان سلاح الجو يحتل ٢٨ ٪ من ميزانية عام ٦٧ . اما اليوم فانه يحتل ٥١ ٪ من الميزانية . وقال ديان ان سلاح الجو وسلاح المدرعات يحتلان ٨٢ ٪ من ميزانية الامن « وهذا تغيير راديكالي في تركيب قوة اسرائيل » . وقال ان ميزانية وزارة الدفاع قد ازدادت ، في الفترة ذاتها ، ثلاثة أضعاف عما كانت عليه عام ٦٧ .

واعرب الوزير الاسرائيلي عن اعتقاده بأن القتال قد يتجدد في عام ١٩٧٣ للاسباب التالية : « المصريون يحتاجون الى وقت كبير لاستيعاب الاسلحة . وسوريا لا تستطيع القتال في شهور الشتاء . ولذلك ، يجب ان نكون مستعدين لتجدد القتال عن طريق المصريين في سنة ١٩٧٣ . وقد تحول اسباب دون تجدد القتال منها قضايا مصر الداخلية ، واسباب دولية يصعب فيها على الاتحاد السوفييتي تجديد القتال » . واعرب ديان عن تمنيه لحدوث اسباب أخرى منها « التقدم نحو تسوية جزئية غير مضمونة الاحتمال . ولكن اذا حدث ذلك فسيكون أكثر العناصر ايجابية للحيلولة دون تجدد القتال » .

وفي حديث آخر نشرته « معريف » في ٦/٦ ، قدم موشه ديان تصوره للحرب القادمة بأنها « لن تكون نسخة من الماضي . تغيرت أشياء ، تغير السلاح، وقبل هذا كله ، تغير التوجه العربي . لقد خسر العرب حرب الاستنزاف ، ولن يجددوها كما كانت في السابق » . وحدد مبدأين في خطة الحرب القادمة . الاول : ضرورة الانتصار الاسرائيلي . **« واذا كان يجب ان نعبر القناة ، فان كلمة « يجب » معناها انه بدون ذلك لا يمكن ان ننتصر في الحرب »** . وحدد معنى الانتصار بقوله : « الانتصار لا يعني ، بالذات ، الوصول الى عاصمة العدو ، وانما الوصول الى هزمه ودفعه الى التوقف عن القتال » . والمبدأ الثاني هو : « احراز النصر بدون توسيع الحرب ، بدون التوصل الى مجابهة **كبيرة مع الروس** . وفي هذه النقطة اقصد السوفييت واقصد دولا عربية . لماذا كانت هنالك دول عربية لن تنضم الى القتال ، يجب علينا أن ننتهج سياسة لا تلزم هذه الدول بالانضمام الى الحرب » .

ولعل كلام ديان هو أخطر كلام اسرائيلي قيل في هذا المعنى . **واذا جمعنا معطياته المكونة من : التركيز البالغ على قوة سلاح الطيران والمدرعات . ضرورة عبور القناة . عدم احتلال عاصمة العدو . عدم توسيع الحرب . عدم « المجابهة الكبيرة » مع السوفييت . وعدم دفع الدول العربية الى الاشتراك في المعركة ، لسهل علينا تحديد مسار الضربة الاسرائيلية القادمة** . ولاصبح من حقنا التشكيك بصحة الاراء القائلة ان احتفاظ اسرائيل بالمواقع الحالية نقلها من حالة الهجوم الى حالة الدفاع .



ما هي حصيلة السنوات الخمس ، كما يراها الاسرائيليون ؟ أو هل حلت الحرب مشاكل اسرائيل ؟

يعترف وزير الخارجية أبا ايبن بأن مظاهر عدم ارتياح تجتاح المجتمع الاسرائيلي في الذكرى الخامسة لحرب حزيران . ويعزو ابا ايبن هذه المظاهر ، في مقال نشرته « هآرتس » (٦/٢) الى انتقال المجتمع الاسرائيلي الى حياة تتضمن فترات طويلة من الهدوء . ويرد على القول ان « الحرب لم تحل مشاكل اسرائيل » بالقول ان الحرب لم تهدف الى حل هذه المشاكل ، وبأن الحرب حلت قضية واحدة هي قضية كيان اسرائيل .

وهنا ، ينشأ سؤال : **هل كان كيان اسرائيل مهددا فعلا ؟** وبصيغة اخرى : **هل كان الاسرائيليون معرضين لخطر الابادة ؟**

لا يزال الاسرائيليون مشغولين بتحليل هذا السؤال

واختيار الاجابة اللائقة عليه . ونحن نذكر ان اسرائيل استصرخت العالم كله بتظاهرها بانها معرضة للابادة ، وقد بررت عدوانها الشهير بوجود مثل هذا الخطر . فماذا نرى الان ؟ ان كبار المسؤولين الاسرائيليين مختلفون على هذه المسألة الان حين يتناولونها كمؤرخين . ولكنهم يتفقون عليها حين يتناولونها لتبرير الاعتداءات السابقة واللاحقة . ولعل الجنرال عيزر وايزمن الذي كان يشغل منصب رئيس شعبة العمليات في القيادة العامة للجيش الاسرائيلي خلال حرب ١٩٦٧ كان اول من أعلن ان اسرائيل لم تكن مهددة بخطر الابادة ، بقوله في مقابلة مع صحيفة « معريف » (٤/٤) : « لم يكن هناك خطر ابادة ! كان لا بد من مهاجمة المصريين ، ولم يكن مفر من ذلك . حتى لو كان المصريون هم البادئون بالهجوم لما هددنا بخطر ابادة . وكنا مهددين بخطر آخر هو التدهور السيء وضع مماثل لما حصل في تشيكوسلوفاكيا ، وكنا رضخنا لتهديد سياسي وعسكري دائم » . وكان وايزمن قد سئل في ذلك الحديث : « هل قلت قبل الحرب لرئيس الحكومة اشكول اننا غير مهددين بخطر الابادة ؟ فأجاب : لم تكن حاجة لذلك ، لانه لم يجر اي حديث في اي اجتماع عن مثل هذا الخطر » .

واليوم ، يكشف وزير الخارجية أبا ايبن النقاب عما هو أكثر من ذلك . انه يقول أن المصريين لم ينووا شن هجوم على اسرائيل ، وان تحشدات الجيش المصري عشية حرب حزيران ما كانت تشير الى نية مصرية في مهاجمة اسرائيل . وقال في حديث نشرته صحيفة معريف (٦/٢) : « وقبل لقائي بالرئيس نيكسون رفض الامريكيون ادعاءنا . انهم لم يوافقوا على تقديراتنا بأن التحشدات المصرية تشير الى هجوم مصري مفاجيء على اسرائيل . انهم وافقوا على أن اغلاق مضائق تيران عمل عدواني وأنه من الصعب توقع موافقة اسرائيل عليه » . وقال الامريكيون لابا ايبن « اذا نشبت الحرب فان اسرائيل ستنتصر في كل الظروف، ولتكن الضربة الاولى من أي مصدر كان » . وكان الامريكيون واثقين من انه حتى لو كان سلاح الجو المصري هو البادىء بالهجوم ، فان اسرائيل ستدمره في وقت قصير . ويروي أبا ايبن انه فور وصوله الى واشنطن تلقى برقية من ليفي اشكول تطالبه بأن يحدث الامريكيين عن خطر هجوم مصري مفاجيء . ويقول أبا ايبن انه لم يوافق على صيغة استبدال أولوية القلق الاسرائيلي بهذا الشكل : الحشود المصرية ثم اغلاق المضائق . وكان يصر على ان يكون موضوع اغلاق المضائق هو الذي يحتل المرتبة الاولى في سلم الاولويات ، لان من حق اية دولة ان تحشد جيوشها في أي مكان من اراضيها .

ومن هنا ، ينضم ايبن الى الرأي القائل ان اسرائيل لم تواجه خطر الابادة . مما يتناقض مع رأيه الذي أعلنه قبل قليل بأن الهدف من الحرب لم يكن حل مشاكل اسرائيل ، بل حل قضية كيان اسرائيل .

ولكن الجنرال يتسحاق رابين يعتقد أن الحرب كانت دفاعاً عن كيان اسرائيل . ويقدم رأيا خطيرا يفسر الحساب الاسرائيلي : « انني متأكد من انه لو لم تنشب حرب الايام الستة ، فان القضية لا تكون فقط مكانة اسرائيل او هيبتها او قدرتها على الردع او حرية الملاحة في مضائق تيران — وانما هي مسألة كيان الدولة . **ان تسلسل التطورات كان سيؤدي خلال فترة قصيرة الى حرب عصابات شاقة.** وفي وقت لاحق سيتطور الامر الى عمليات عسكرية بعيدة المدى من جانب الجيش المصري وجيوش عربية أخرى » . (معريف ٦/٢) . ويتحدث رابين عن برقية اشكول الى ابا ايبن ويقول ان هدف البرقية لم يكن عسكريا . وكان الهدف منها « أن نوضح لانفسنا اننا مسؤولون عن مستقبلنا وأن علينا ان نكون اكثر حرية في اتخاذ قراراتنا » . الامر الجديد في تصريحات رابين هو انه لاول مرة يعلن مسؤول اسرائيلي مثل هذه المخاوف من امكانية تطور حرب عصابات في الصراع العربي — الاسرائيلي ، ويعطيه مثل هذا الدور الخطير في الاعتبارات الاسرائيلية لشن حرب حزيران من أجل درء احتمال حرب عصابات ضد اسرائيل .

« لم يكن الهدف من الحرب حل مشاكل اسرائيل . الهدف هو حل قضية كيان اسرائيل » — كما يقول أبا ايبن ، في رده على صعود مشاكل اسرائيل الاقتصادية والاجتماعية الى سطح الحياة الاسرائيلية . ويقترح ابا ايبن استبدال المناقشة حول مدى ما حلته الحرب من مشاكل بمناقشة اخرى حول مدى ما حققته السنوات الخمس التي تلت الحرب من مكاسب . ما هي هذه المكاسب ؟ في مقاله المنشور في صحيفة « هآرتس » يعددها بالشكل التالي : الصمود في خطوط وقف اطلاق النار دون ضغط دولي شديد . تقليص خطر

التسوية المفروضة ، توسيع الصلة والتعاون مع جماهير عربية عبر الجسور والحدود المفتوحة ، واستمرار تنمية اسرائيل وتطويرها » . ويرى أبا ايبن أن خيبة هذه السنوات تنحصر في مسألـة واحدة : « غياب المفاوضات للسعي نحو تسوية محترمة وناجعــة » . ويقسم وزير الخارجيــة الاسرائيلي السنوات الخمس الى مرحلتين خاصتين من حيث المكاسب السياسية الاسرائيلية : الاول — المرحلة الاولى من المعركة السياسية بعد حرب حزيران . منذ ذلك الشهر حتى الشهر الاول من عام ١٩٦٨ تبلورت السياسة الدولية ضد الانسحاب بدون سلام ، وتحدد الموقف الامريكي ضد التسوية المفروضة ، وتقرر تزويد اسرائيل بطائرات الفانتوم كدليل على تواصل دور الولايات المتحدة كعامل يضمن المحافظة على توازن القوى . المرحلـة الثانية — الايجابية — استمرت من شهر آب ١٩٧٠ حتى اليوم . **فمنذ استجابتنا الى مبادرة السلام الامريكية ونحن نشهد توطيد وقف النار ، وابتعاد احتمال المواجهة بين الدولتين الكبريين على حساب سلام منطقتنا ، وتقوية طاقتنا العسكرية ، والخروج من ضائقة سياسية واعلامية »** . ملخص هذه المرحلة بالنسبة لاسرائيل : عامان مــن التوطد الامني وانفراج سياسي . ويعتقـد ابا ايبن ان القضيتين اللتين ينبغي ان تحتلا المرتبة الاولى من الاهتمام الاسرائيلي الان هما : كيفية التقدم نحو السلام ، وكيفية ضمان اسرائيليـة اسرائيل ؟ والمقصود بمصطلح « اسرائيلية اسرائيل » الذي يستخدمه ابا ايبن هو المحافظة على طابع الدولة اليهودية . وهذه المحافظة تمس مسألتين هامتين : مصير العرب في المناطق المحتلة ، والهجرة اليهودية الى اسرائيل . ولكن أبا ايبن يترك السـؤال مفتوحا ...

وأبا ايبــن الذي لا يحب ربط الحرب بمشاكـل اسرائيل لكي يشغل الناس بالفرح لانهم ما زالوا أحياء على ما يبدو ، يجد نفسه مدفوعا الى احصاء المكاسب الداخلية التي حققتها اسرائيل او مـا يسميه « النمو داخل الحصار » : اسرائيـل تستوعب الان ٤٢ ألف مهاجر يهودي مقابل ١٢ ألفا عام ١٩٦٧ . انتاجها القومي الان ٢٣ مليار ليرة اسرائيلية بدلا من ١٢ مليارا في ذلك العام . قيمة صادراتها الان ١٦٥٠ مليون دولار مقابل ٥٥٤ مليون دولار عام ١٩٦٧ . السياح القادمون اليها سنويا ٦٥٦ الف سائح مقابل ٢٩١ الفا في ذلك العام .

ماذا يعني ذلك ؟ « يجب اعتبار هذه الدولة دولة اخرى غير تلك الدولة التي خرجت منتصرة قبل خمس سنوات » كما يقول وزير خارجيتها .

ولكن الاقتصادي البروفيسور دان طبنكين يقول : « بالرغم من أننا اقتربنا وحققنا أهدافا معينــة وضعناها أمام أعيننا ، مثل هدف الامن ، وهدف استيعاب الهجرة ، فلقد ابتعدنا رغما عنا عن هدف آخر اوليناه ، ذات مرة ، أهمية كبيرة هو : تحقيق الاستقلال الاقتصادي » .

ومن أهم الاحداث الاقتصاديـة الاسرائيلية في السنوات الخمس الاخيرة هو تخفيض قيمة الليرة الذي رافقه ارتفاع الاسعار والضرائب . وقال اقتصادي اسرائيلي في حديث اذاعي من راديو اسرائيل في ذكرى الخامس من حزيران : « ان اعباء الامن قد ازدادت ضعفين بشكل نسبي عما كانت عليه قبل حرب الايام الستة . فميزانية الامن مستمرة في الارتفاع ، وهي لا ترتفع لمرة واحدة بسبب الحرب ثم تعود الى ما كانت عليه ، ولكنها آخذة في التزايد قبل وبعـد حرب الايام الستة وستستمر هكذا في المستقبل » . وقال احد المشتركين في الندوة الاذاعية : « ان المجتمع مليء بالفجوات ، فجوات في الاسكان ، في التعليم ، في نفقات الفرد ، وفي دخل العائلة . وما ان سكتت المدافع حتى تعالت صرخات المتظاهرين المطالبين بالاسكان والتعليم والدخل والمعونات الاجتماعية . وجاء الفهود السود ، وحدثت فضائح اخرى ، واتسعت الفجوة بين السلطة والشعب » .

وردا على سؤال حول طريق الخلاص من هذه الضائقة ، لم يقل احد من المتناقشين ان استمرار امتصاص وزارة الدفاع والنفقات العسكرية لكل الموارد يجعل حل المشكلة مستحيلا . وانما اعطى احدهم جوابا سحريا حين قال : « لا يوجد بالطبع شيء سحري . فبدون تجديد ايديولوجي اخلاقي سنستمر في السير على الطريق الذي لا يجب ان نسير عليه . ان الجانب الفكري العام والمفهوم اليهودي الصهيوني والحسم في القضية الاجتماعية هي مركبات ثلاثة تتعلق بها امكانية البعث الاجتماعي الفكري للمجتمع الاسرائيلي » .

●

وماذا عن ذكريات الحرب ، وبالتحديد عن الدور الامريكي في حرب حزيران ؟

كانوا يشربون الويسكي بالصودا ويبحثون التعاون الامريكي — الاسرائيلي في الحرب التي ستنشب بعد اسبوع : الرئيس الامريكي السابق جونسون ، وزير الحربية مكنمارا ، رؤساء أركان الحرب الامريكية ، وكبار المسؤولين في وزارة الخارجية . وضيفهم الاسرائيلي وزير الخارجية أبا ايبن .

وكان ابا ايبن ، قبل قليل ، قد أصدر تعليماته الى السفارة الاسرائيلية بابلاغ المسؤولين الامريكيين موافقته على رغبة الرئيس الامريكي بعدم نشر اي شيء عن مقابلته التاريخية القريبة مع جونسون . « هدفنا ليس النشر ، وانما هو ابلاغ الرئيس القرار الذي اتخذته اسرائيل وتذكير الولايات المتحدة بالتزاماتها تجاه اسرائيل » .

بعد خمس سنوات يروي أبا ايبن تفاصيل أطول مقابلة له مع رئيس امريكي ، في حديث لصحيفة معريف (٦/٢) . يسأله الصحفي : « **ألم تكن مدائح الامريكيين لقوة الجيش الاسرائيلي وقدرته على الانتصار الاكيد بمثابة « ضوء اخضر » تعني : « هاجموا ولا تنتظرونا » ؟**

أبا ايبن : كانت لهجتهم : لديكم وقت قرروا . ان الزمن لا يضغط عليكم . ان تفوقكم مؤكد . وبوسعكم ان تجروا تقييما سياسيا اذا رغبتم بذلك دونما خوف من خطر الانتظار . بوسعكم ان تنظموا أعمالكم بلا خوف . هكذا كانت اللهجة الامريكية . ولم اشعر بأن ادعاءنا « أوي .. سيهجمون علينا ! » كان سيضيف قوة لمهمتي التي كانت تستهدف المطالبة بتأييد سياسي من الولايات المتحدة استجابة لالتزاماتها . وكان لدي احساس واضح بانه ليس من المفيد ان نتقدم مطالب الطرف الضعيف .

— ماذا كان جوهر الامور التي جرى بحثها في لقائك بجونسون ؟

أبا ايبن : قلت له لقد نشأ وضع لا نستطيع التسليم به ، وان التدهور يتطلب منا ان نبلغ الولايات المتحدة بقرارنا . **ونحن لا نبحث فيما اذا كنا سنسلم بالوضع ام لا ، ولكن هل نكون وحدنا في عملنا ضد هذا الوضع ، ام سيؤيدنا أولئك الذين التزموا بمساندتنا ويحترمون التزاماتهم .** ولقد طلب مني جونسون تقريرا عن لقائي بديغول وويلسون . وعلق على أقوال ديغول بشأن ضرورة التنسيق بين الدول الاربع الكبرى بقوله انه يشك فيما اذا كانت هنالك اربع دول كبرى متساوية القوة ، وفيما اذا كان الاتحاد السوفييتي سيساهم في احباط نشاط مصري . وقال جونسون : « **اسرائيل هي ضحية عمل عدواني مصري** » . وعندما يقول رئيس الولايات المتحدة ان المتحرش للعدوان ، في نزاع ما ، هو الجانب المصري وان الضحية هي اسرائيل ، فان لذلك مدلولا بعيد المدى . ان كلمات رئيس الولايات المتحدة ذات وزن يختلف عن اقوال اي شخص آخر في العالم . ان كلماته موزونة ببخل كالذهب .

— ماذا كان رد جونسون على سؤالك عما اذا كانت اسرائيل ستضطر للعمل وحدها ام بمساندة أصدقائها ؟

قال ان الولايات المتحدة تحترم التزامها وانها تفكر بنشاط دولي . واضاف ان لدى اسرائيل الفرصة للظهور هذه المرة غير معزولة ، بل بصحبة حسنة ، وذلك سيؤثر في المدى الطويل على مكانتها . وأبلغني ان الولايات المتحدة تنسق مساعيها مع البريطانيين والكنديين والهولنديين والاستراليين لتشكيل قوة بحرية تعمل لتجديد حرية الملاحة في مضائق تيران . ولقد فهمت موقفه هكذا : **ليس لكم ما تخسرونه . اما ان نقرر العمل معا — وعندئذ لا تعملون وحدكم . واما لا نستطيع — وعندئذ على الاقل لا تكونون قد تضررتم من الانتظار القصير .** قلت اننا لا نستطيع الانتظار اسبوعين آخرين . ولم يكن يعتقد ان استقصاء النشاط الدولي سيستغرق مدة طويلة .

— كيف نظر الى الادعاء بأن مصر على وشك مهاجمة اسرائيل ؟

لم يقبل هذا الادعاء . قال جونسون : « استطيع ان أقول فقط ما يقوله مستشاري » . ومن المعروف ان المستشارين قالوا ان وضعنا صعب من ناحية اغلاق المضائق ، أما من ناحية القدرة المصرية على انزال ضربة ، فانهم لم يؤمنوا بالرغبة المصرية في مهاجمة اسرائيل ولا بالقدرة المصرية .

ويتابع أبا ايبن : سألت الرئيس عما ينبغي علي ان اقوله لاعضاء الحكومة الاسرائيلية . فأجاب جونسون : « تستطيع ان تقول لحكومتك ان رئيس الولايات المتحدة سيتخذ كل التدابير وكل الوسائل

لفتح مضائق تيران » . ورافقني جونسون الى المصعد . كان منفعلا — وسألني : ماذا تعتقد سيكون رد حكومتك على ما أبلغتك اياه ؟ **هل سيعطونني وقتا ؟** قلت انني لا استطيع الحكم . ويروي أبا ايبن ان اسرائيل أرسلت بعد ذلك مبعوثا الى الولايات المتحدة وكتب في برقيته الاولى: « ان الامريكيين توجهوا الى مسألة النشاط الدولي بجدية في البداية ، ولكن الان — كل ساعة تثبت أن لا جدوى من ذلك . وهناك امكانية متزايدة للحصول على مساندة سياسية أمريكية اذا قررنا العمل وحدنا » . فتوجه أبا ايبن الى القيادة العسكرية وأبلغها أنه لا يوجد الان جدول زمني يؤثر علينا . كل ما في الامر ان الاعتبارات أصبحت أمنية فقط .

[٢]

« قمة موسكو » .. بعيدة !

« يحق لاسرائيل ان تشعر بالرضا والارتياح » . هذا هو جوهر الصدى الاسرائيلي ، والمتحالف معه ، على نقطة الشرق الاوسط في مباحثات « قمة موسكو » بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية . وتنسب كافة الصحف الاسرائيلية الى الاوساط السياسية في القدس وواشنطن وباريس اجماعها على ان اسرائيل تملك كل الاسباب التي تجعلها راضية عن نتائج مؤتمر قمة موسكو فيما يتعلق بالشرق الاوسط . ففي واشنطن ، اعربت مصادر سياسية ، كما تقول المصادر الاسرائيلية ، عن رأيها في أن التأكيد على تسوية النزاع الاسرائيلي — العربي بالطرق السلمية يقلص خطر تجدد القتال في منطقة قناة السويس في المستقبل القريب ، « وان الرئيس نيكسون معني بالمحافظة على وقف اطلاق النار الى ما بعد انتخابات الرئاسة في نوفمبر » .

ولكن ، من أين يستمد الرضا الاسرائيلي أسبابه ؟ تقول الصحف الاسرائيلية الصادرة في الثلاثين من أيار الماضي : ان هذا الرضا ناشىء عن الافتراض بأن الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي لم يتوصلا الى اي اتفاق بينهما حول حل ازمة الشرق الاوسط ، واكتفيا بتأييد قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ومهمة يارينغ ، مع الاعلان عن استعدادهما لمساعدة يارينغ في مهمته . وتعتقد الاوساط السياسية الاسرائيلية ان نتائج مؤتمر القمة تؤكد صحة تقديراتها بأن الدولتين الكبيرتين لن تفرضا حلا على دول المنطقة . ومن المعروف ان مصطلح « الحل المفروض » كان يشكل كابوسا سياسيا للاوساط الاسرائيلية بعد معارك الايام الستة . « واتضح ان الرئيس الامريكي كان مخلصا للمبادىء التي اعلنها بشأن الشرق الاوسط قبل سفره الى موسكو » كما تقول « يديعوت احرونوت » .

وبكلمات اخرى ، يعود الارتياح الاسرائيلي الى استبعاد الحل المفروض اولا ، والى ان مؤتمر القمة في موسكو لم ينقل صراع الشرق الاوسط الى مرحلة جديدة ، ولم يساعد على اخراج الوضع من حالة الجمود والركود . اي — ان ابعاد العامل الدولي عن حلبة الصراع في المنطقة ، بشكل مباشر ، هو الذي دفع الدوائر الاسرائيلية الى الاحساس بالارتياح . ولكن صحيفة « معريب » تنقل عن بعض الاوساط السياسية الاسرائيلية رأيها بأن تمسك كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي بموقفه السابق من أزمة الشرق الاوسط وعدم توصلهما الى اتفاق لا يدل ، حتى الان ، على وجهة تطور الامور في المستقبل القريب لان الفقرة التي تعبر عن استعداد الدولتين لمساعدة يارينغ كانت تعني في الماضي ان واشنطن وموسكو توصلتا الى اتفاق تتضمنه مبادىء « مشروع روجرز » كفرضيات لغونار يارينغ. ومن هنا ، فان الرضا الاسرائيلي يكون صالحا بالمقارنة مع المخاوف التي انتشرت في اسرائيل عشية مؤتمر القمة ، اذ لم يتم الاتفاق في موسكو على شيء واضح تعارضه اسرائيل . ولكن ، يجب ان نراقب ، بيقظة الخطوات العملية القادمة ومغزى فقرة « الاستعداد لمساعدة يارينغ » .

ومن ناحية اخرى ، يعتقد المراقبون السياسيون في اسرائيل ، ان مؤتمر القمة خلق جوا اسهل للتخاطب بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي « لمنع تجدد القتال في الشرق الاوسط » .

وكتبت صحيفة « معريب » : « ان فقرة الشرق الاوسط في بيان موسكو لا تغير اي شيء في وضع الجمود السياسي في المنطقة . على العكس ، فانها قد تزيد الجمود . ولكن الطرفين لم يكتفيا

بهذا القول ، فقد وعدا ببذل جهود لتحقيق حل سياسي . ومن هنا ، يمكن الاستنتاج بأنهما لن يكتفيا بكلمات التشجيع ليارينغ ، وانما سيبذلان جهودا منفصلة خارج دائرة الامم المتحدة لتذويب التجمد في المنطقة . اما اسرائيل ، فيجب ان تكون راضية من مجرد دفع مسألة الشرق الاوسط الى مرتبة دنيا في جدول أعمال القمة ، على الرغم من محاولات مصر اظهار المنطقة وكأنها على وشك الاندلاع . ويجب ان تكون اسرائيل راضية أيضا عن التصريحات الكلامية التي تبعد خطر الحل المفروض » .

وتختتم الصحيفة مقالها : « ان مؤتمر القمة الذي اتخذت فيه خطوة اولية نحو السير على طريق جديد في العلاقات بين الدولتين العظميين — لم تضع اي طريق جديد بشأن منطقة الشرق الاوسط. وهذا ايضا حسن » . وتفسر الصحيفة كلمة مساعي الدولتين بأنها قد تعني تجدد المساعي الامريكية لفتح القناة . وتشترك صحيفة « دافار » في هذا الرأي بقولها : « ان نتائج مؤتمر القمة تقوي الانطباع الذي تكون في القدس قبل ذلك ، طبقا لتقارير اولية من واشنطن ، بأنه سيتضح بعد مدة بأن مصر لا مناص لها من تجديد المباحثات حول التسوية الجزئية لفتح قناة السويس » .

وكانت صحيفة « هآرتس » قد وصفت جو القلق السياسي الذي ساد اسرائيل قبل ظهور نتائج مؤتمر القمة ، وقبل تناول المجتمع الاسرائيلي « للاقراص المهدئة » على حد تعبير احد كبار كتاب « هآرتس » يوئيل ماركوس (في ٢٤/٥) الذي كتب : « لقد سيطر الهدوء على الجمهور الاسرائيلي بعدما تناول الاقراص المهدئة وكف عن ابداء رأيه في الابعاد المكثفة التي ستتركها على حياتنا ومستقبلنا نتائج مباحثات نيكسون وبريجنيف. ويبدو ان الحكومة قد قررت توزيع هذه الاقراص لا للتهدئة فقط ، وانما بدافع الافتراض بأن التظاهر بالخوف من شأنه ان يفسر بأنه دعوة لتخويفنا » . وامتدادا لهذا النهج على ما يبدو « فان الاوساط التي تغذت من مصادر حكومية حاولت كثيرا ان توضح بأن موضوع الشرق الاوسط لن يبحث في مؤتمر القمة . ولكن اتضح الان ان هذه الامال لم تنجح في تغيير جدول اعمال المؤتمر . ومع ذلك فان حكومة اسرائيل مرتاحة جدا باستنادها على تقدير الوضع الاساسي القائل انه في الظروف الراهنة لن تتمكن الدولتان الكبريان من التوصل الى اتفاق محدد من شأنه ان يؤدي الى حل مفروض — وهو الحل الذي يثير الغثيان في جسم كل وزير اسرائيلي » .

ويحذر الكاتب من الافراط في الارتياح الناشيء عن استحالة الحل المفروض في الظروف الراهنة ، بقوله : « ان مجرد عدم وقوع ما يبدو لنا انه الاسوأ ليس ضمانا لوقوع ما هو أقل سوءا نسبيا . لقد رأينا اناسا غير مرضى بالسرطان ولكنهم يموتون من التهاب الرئة » .

ويعتقد الكاتب في « هآرتس » بأن الطرفين السوفييتي والامريكي يجلسان على مائدة المفاوضات في حالة تعادل : كلاهما لا يريد ان يفقد هيبته السياسية او العسكرية . كلاهما لا يريد ان يفقد منجزاته ، وانما يريد ان يزيد نفوذه .

كلاهما لا يفرض على أصدقائه الصغار تسويات تتعارض مع ارادتهم . ليس لانهما غير قادرين على ذلك ، وانما لان مصلحتهما لا تستدعي ذلك في هذه اللحظة . وكلاهما لا يريد الوصول الى وضع المواجهة المباشرة . ومع ذلك فانهما يقظان لاحتمال عدم قدرتهما على الاشراف على كل المجريات العسكرية لاصدقائهما الصغار » . فهل يعني هذا التعادل انه لم يبق أمام نيكسون وبريجنيف الا الجلوس على ضفة نهر الفولغا وذرف الدموع على مصائبهما المشتركة ؟. يقول الكاتب : ان محاولة الزعيمين تعميق الاتفاق القائم بينهما على عدم الانجرار ، بأي حال من الاحوال ، الى المواجهة المباشرة بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة ، لا تعني انهما سيكتفيان بمجرد الكلام انهما سيسعيان الى خلق الاوضاع المادية التي بوسعها ان تحول ، بقدر المستطاع ، دون خطر المواجهة التي يخشيانها . وهذا الامر يجب ان يتم ، بالاساس ، عن طريق تطويق المواقد الملتهبة في العالم . ولانه ثمة موقدان خطيران ، فمن المنطقي ان يدور جزء كبير من المباحثات حول هاتين المنطقتين — فيتنام والشرق الاوسط .

عن الشرق الاوسط : « انها منطقة حيوية جدا للسوفييت ، ليس لان التمسك بها هو حلم روسي تاريخي تحقق ، ولكن لانها تقع في قلب تجمع الدفاع الغربي . وستبذل موسكو كل شيء لكي لا تفقد ما حققته هنا . أحد أبعاد هذا القرار الحازم هو ان الاتحاد السوفييتي لن يفعل شيئا يتعارض مع

المصلحة المصرية » . ويخلص الكاتب من هذا التحليل الى استنتاج يتعارض مع حالة الرضا والارتياح المنتشرة في اسرائيل بشأن مؤتمر القمة في موسكو ، بقوله : « قد تنشأ علاقة مباشرة بين فيتنام واسرائيل . اي ــ انه مقابل التزام سوفييتي بالتأثير على فيتنام الشمالية للتوصل الى تسوية ، والتزام باستمرار الهدوء في الشرق الاوسط ــ فان الولايات المتحدة قد تكون مطالبة بالضغط على اسرائيل للانسحاب ، لكي لا تصاب المنجزات السوفييتية في مصر بأذى ، اذ ان استمرار الوضع في المنطقة يهز ، تدريجيا ، مركز الاتحاد السوفييتي في مصر » .

ولكن المعلق السياسي لصحيفة « يديعوت احرونوت » ارئيل غينائي يتوصل الى استنتاج مختلف مع استنتاج زميله في « هآرتس » . اذ ان قضية فيتنام « اكثر الحاحا ، في هذه اللحظة ، من قضية الشرق الاوسط بسبب اندلاع المعارك فيها . ومن الصعب على الكرملين ان يؤثر على الجنرال جياب ، كما أنه من الصعب على حكومة نيكسون أن تؤثر على الجنرال ديان » (٥/٢٦) ويلاحظ أنه « اثناء انعقاد مؤتمر القمة في موسكو أوضحت هانوي انها لن ترضى بأي حل يحافظ على الرئيس تيو في سايغون . وهو الرئيس الذي لا يرضى نيكسون بالتخلي عنه في أي حال من الاحوال .. وفي هذا الوقت ايضا كرر الجنرال ديان تأكيده بأن اسرائيل يجب ان تستعد للبقاء عشر او خمس عشرة سنة اخرى في خطوط وقف اطلاق النار الحالية . الامر الذي يدل على قرار صارم بعدم التنازل لاي ضغط ممكن من الدول الكبرى » .

وفي وقت لاحق ، علق وزير الدفاع الاسرائيلي موشه ديان على نتائج مؤتمر القمة بقوله : « اذا كان الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة قد اتفقا على عدم الانجرار او الاشتراك في هذه الحرب ، فاني أعتقد أن ذلك قرار حكيم من جانبهما ، وليس لدينا ما نأسف عليه . واذا قرر الجانبان ان يفرضا علينا حلا مفروضا ، فانني افترض وآمل ألا يكونا قد توصلا الى مثل هذا الاتفاق . واذا قررا استخدام وسائل سياسية ومفاوضات بدلا من التوصل الى حالة تجدد القتال ، فان ذلك حسن أيضا ، حتى لو كانت قاعدة هذه المفاوضات هي قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الذي لا نحبه » .

وعلى الرغم من الاختلاف في التقدير بين الاسرائيليين ، الا انهم يجمعون على الاحساس بالارتياح في المرحلة الراهنة ، سواء كان هذا الارتياح صادرا عن اسباب تبرره ، او صادرا عن غياب أسباب تلغيه .

[٣]

« الشيوعية » الثانية

● كلمة « ماكي » باللغة العبرية معناها : الحزب الشيوعي الاسرائيلي . ولكنها ترمز في الحياة السياسية الاسرائيلية الى جماعة سنيه ــ ميكونيس التي استطاعت الاحتفاظ بالاسم الشيوعي اطارا للمضمون الصهيوني منذ عام ١٩٦٥ عندما وقع الانشقاق الشهير في صفوف الحزب الشيوعي الاسرائيلي . ولم يكن ذلك الانشقاق هو المناسبة الرسمية الوحيدة للبرهنة على الفكر السياسي الصهيوني لاثنين كانا يقودان الحركة الشيوعية في اسرائيل طيلة سنوات عديدة. فقد كان التعبير عن صهيونية هذه الجماعة او الكتلة يتسم بالحياء عشية الانشقاق . ولكن ممارستها السياسية ومواقفها اللاحقة ، وخاصة عشية حرب الخامس من حزيران وبعدها أعطت التعبير السافر ليس عن انحرافها نحو الصهيونية ، وانما عن رسوخها في الصهيونية . وكان مؤتمرها الاخير (السابع عشر) الذي انعقد في تل ابيب في ٢٠ ــ ٢٢ نيسان قمة التعبير عن تنافسها مع سائر الاحزاب الصهيونية اليمينية من جهة .. وكشفا عن تخبطاتها وازماتها الداخلية من جهة ثانية .

لقد عقد المؤتمر في ظل غياب « النبي » الايديولوجي للجماعة ، موشه سنيه ، وفي ظل حضور افكاره ومبادئه ، مما دفع المراقبين الاسرائيليين الى التساؤل عن مستقبل هذه الجماعة ذات اللون الباهت في الحياة السياسية ، خاصة بعد انقطاع علاقاتها مع العالم الاشتراكي باستثناء رومانيا ، وبعد انقطاع علاقاتها مع الحركة الشيوعية العالمية ، الامر الذي يثير الشك في جدوى المعنى السياسي لاستمرارها في البقاء .

وشهد مؤتمر هذه الجماعة خلافات

بين انصار روح موشه سنيه — وهم الاكثرية — وبين انصار ذكريات شموئيل ميكونيس الشيوعية — وهم الاقلية — . وتتركز الخلافات ، في المجال السياسي ، حول بعض البنود الواردة في رؤوس اقلام المؤتمر التي اعدها سنيه قبل وفاته . وقد جرى التصويت حول الفقرة التالية الواردة في رؤوس الاقلام : « ان ما يوحد ماكي مع الشعب كله هو الوقوف في جبهة الدفاع القومي — الدفاع العسكري والسياسي والايديولوجي — عن أمن اسرائيل وعن حقوق اسرائيل » .

ولكن ميكونيس يقترح استبدال هذه الفقرة بالفقرة التالية : « ان ما يوحد ماكي مع الشعب كله هو الوقوف المشترك للدفاع عن أمن اسرائيل في وجه أي عدوان كان ، ومن اي جانب كان ، والوقوف المشترك للدفاع عن حق كيان اسرائيل في وجه من يتعرض لهذا الحق ، من اي جانب كان ، وبأية وسائل ، والاعتراف المشترك بأن حرب الايام الستة هي حرب دفاعية عادلة » . واسفرت نتيجة الاقتراع عن فوز « وصية » سنيه على « حذلقة » ميكونيس بأكثرية ١٢٥ صوتا ضد ٣٣ صوتا وامتناع أربعة .

وتقول الصحف الاسرائيلية (يديعوت احرونوت) ان ثمة ريبة وقعت بين ميكونيس وسنيه قبل ذلك ، فقد اتضح لميكونيس ان سنيه قد استطاع ان يوطد مكانته في صفوف ماكي بشكل لا مثيل له ، فان الاكثرية في مؤسسات الحزب — المكتب السياسي ، واللجنة المركزية ، ولجنة الرقابة المركزية قد اختارها سنيه من انصاره ، وهذه الاكثرية قررت ان يراس سنيه قائمة الحزب لانتخابات الكنيست القادمة بدلا من ميكونيس .

وقد هاجم يائير تسبان (ربيب سنيه) زعماء الاقلية في الحزب بقوله ان الحزب لن يغفر لمن يحرض على سنيه « ويرفض الانحراف عن الخط السياسي للحزب » .

ما هو جوهر هذا الخط السياسي ؟

انه : « يقف ماكي في جبهة الدفاع القومي — الدفاع العسكري والسياسي والايديولوجي والادبي عن أمن اسرائيل وحقوقها » .

وتصدى للدفاع عن اعداء الصهيونية بقوله : « على الرغم من وجود خلافات معينة بين ماكي وبين احزاب صهيونية ، فليس هنالك أي قاسم مشترك بين ماكي وبين المحرضين السوفييت . اذا كانت الصهيونية هي النضال ضد اندماج الشعب اليهودي في المهجر ، واذا كانت الصهيونية هي النضال من اجل حق شعب اسرائيل في الحياة في دولة اسرائيل — فاننا جميعا صهيونيون » (هآرتس ٤/٢١) . وقال المتحدث نفسه : « لم تكن ثمة سابقة في التاريخ أن عاد الدافع الذي تحول الى منتصر الى الحدود السابقة . ان اسرائيل لن تعود الى الحدود السابقة ليحل السلام » .

وأقر المؤتمر وصية سنيه بشأن « ضرورة فتح ممر حر من ايلات الى شرم الشيخ » ، واعرب المحامي فيشل هرتسبرغ عن رأي الاكثرية باعتراضه على الانسحاب الاسرائيلي من المرتفعات السورية .

وقال الناطق الرسمي باسم ماكي — بيرل بلطي عن أسباب الانشقاق في الحزب الشيوعي الاسرائيلي عام ١٩٦٥ ، ان السبب يعود الى تغير موقف الاتحاد السوفييتي في نهاية الخمسينات ، عندما تحول الاتحاد السوفييتي من تأييد اسرائيل الى تأييد الدول العربية ، وقد حاول الشيوعيون العرب تحويل الحزب الشيوعي الاسرائيلي الى اداة لخدمة القومية العربية والاتحاد السوفييتي » .

وقال ممثل الاكثرية ورئيس اللجنة المركزية في ماكي: « في أية محاولة من جانب مصر ، وبتأييد من الاتحاد السوفييتي او بدونه ، لتغيير الوضع الراهن في المنطقة ، بالوسائل العسكرية ، فان ماكي سيهب للوقوف مع الشعب كله في حرب الدفاع ، كما فعل في حرب الايام الستة ، ان ماكي هو جزء من جبهة الدفاع القومية وسيبقى فيها طالما لم ينته هذا الفصل التاريخي من حرب الايام الستة بمعاهدة سلام » .

وهكذا ، يتحدد موقف ماكي بالمبايعة التامة للصهيونية ، واحتلال الاراضي العربية ، والهجوم الشديد على الاتحاد السوفييتي ، مما يجعله لا يختلف عن سائر الاحزاب الصهيونية اليمينية الاخرى ، ويخرجه من دائرة ما يسمى بقوى السلام والتقدم في اسرائيل .

ومما له دلالة في هذا السياق تلك التهنئة التي أرسلها الى المؤتمر رئيس الدولة زلمان شزار وقال فيها : « انني معكم بروحي حين تحييون ذكرى قائدكم وصديقي القديم المرحوم دكتور موشه سنيه » .

من هو موشه سنيه هذا ؟

من المعروف ان سنيه بدأ حياته الصهيونية في بولندا حيث كان مساعدا لقائد المؤسسة اليهودية الصهيونية عشية الحرب العالمية الثانية . وقد كرس مواهبه وطاقته في خدمة عملية الهجرة اليهودية من بولندا الى فلسطين . وعندما هرب قادة الحركة الصهيونية من بولندا كان سنيه بينهم. وفي فلسطين اصبح سنيه القائد السياسي لمنظمة الهاغاناه .

ويستعرض الصحفي الاسرائيلي المعروف اوري افنيري سيرة حياة موشه سنيه في مقال نشره في « هعولام هزه » (٨ — ٣) بعد وفاة سنيه فيقول : ان الطريق ، آنئذ ، كانت مفتوحة الى المباي والى السلطة . ولكن سنيه ارتكب خطأه الاول بانضمامه الى المبام الذي نشأ في تلك الايام بعد عملية توحيد « هشومير هتسعير » واحدوت هعبودا . لماذا انضم سنيه الى المبام ؟ لانه كان وقتها حزبا هاما يجمع كل قادة الهاغاناه والبلماح، مما يخلق احتمالا بأن هذا التجمع الكبير من القادة قد يرث المباي . انضم سنيه الى المبام ، ولكن البلماح حل نفسه ، فضاعت الفرصة على سنيه لانه لم يعد بوسع المبام ، بعد ذهاب البلماح ، أن يرث الحزب الكبير .

اي — ان عيني سنيه كانتا دائما ترصدان دورة الريح في اتجاه السلطة . وقدماه تنتقلان من يمين الى يسار طبقا لتقديراته الموصلة الى السلطة .

ومن هنا ، قام سنيه في بداية الخمسينات باعادة النظر الشاملة في موازين القوىوتقدير الاوضاع . ويقول اوري افنيري في مقالــه المشار اليه : ان سنيه توصل الى استنتاج بانه قد تنشب الحرب العالمية الثالثة ، وان الجيش السوفييتي سيستولي على المنطقة . فكان سنيه ينشر تعاليمه في خلايا شبيبة المبام بأن « البلاد ستقع في ايدي الجيش السوفييتي ، ومن الضروري تشكيل كوادر لمواجهة هذا الوضع » . وفي هذا الوقت انفجرت قضية الاطباء اليهود في الاتحاد السوفييتي ، فهب سنيه للدفاع عن ستالين . فاضطر المبام الى طرده من الحزب « قبل ان يكون سنيه مستعدا لذلك » . فقام بتشكيل « كتلة اليسار » ، وانتقل بها الى صفوف الحزب الشيوعي الاسرائيلي . وقد أعد نفسه للحصول على الثقة الشيوعية بكتابة كتابه الشهير في نقد الصهيونية .

لم تنجح حسابات سنيه . الحرب العالمية الثالثة لم تنشب . والجيش السوفييتي لم يستول على المنطقة . وبقي الحزب الشيوعي الاسرائيلي حزبا صغيرا ، فكيف يصل سنيه الى السلطة ؟ وماذا تبقى له من مصلحة في الشيوعية ؟!.

بعد عشر سنوات ، اجرى سنيه عملية اعادة نظر شاملة في موازين القوى وفي الاوضاع . فاكتشف أن الحزب ما زال صغيرا ، واكتشف انه قد بلغ الستين ، وان عليه ان يسرع الخطى نحو السلطة ، لان الفرصة تضيق . والطريق الوحيد، الان ، هي طريق « المعراخ » . فأحدث انشقاقا خطيرا في الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، واستولى على الاسم القديم للحزب . ويقول اوري أفنيري ان الاسم الحقيقي لحزب سنيه كان يجب ان يكون « ماكتس » ومعناها : « الحزب الشيوعي الصهيوني » . ويقول أفنيري : « ان سنيه الذي كتب أعنف نقد للصهيونية ، يدافع عنها الان بحماس شديد . ان حماسته القومية في خطبه لا تقل عن حماسة رجال اليمين . وليس هنالك محام أكثر موهبة منه في الدفاع عن مواقف التكتل القومي . لا بيغن ولا أبا ايبن يستطيعان منافسته في هذا الدفاع . لقد رفض حدود الرابع من حزيران رفضا تاما . ودافع عن عدالة الصهيونية كحركة تحرر للشعب اليهودي . وهاجم الاتحاد السوفييتي بعنف لم يجرؤ عليه أحد من رجال الحكومة . وقد انتخب للكنيست في الانتخابات الاخيرة بفضل المساعدة الفعالة من بعض الشخصيات اليمينية المتطرفة التي اعتبرت انتخابه واجبا قوميا . وقد تجاوز المبام ، وتجاوز الجناح اليميني في حزب العمل في طريقه الى اليمين. فالى اين كان سيصل؟ كان يريد العودة الى المبام ليصل معه الى حزب العمل ، ولا شك في انه اوهم نفسه بأنه سيصبح منافسا جديا لرئاسة الحكومة . ومن الممكن أن نصف سنيه ، في نهاية الطريق ، بانه اليميني — القومي — الديني » .

هذا هو موشه سنيه . وقد خلف وراءه انصارا يتابعون رسالته . جددوا مبايعة افكاره في مؤتمرهم الأخير الذي يبدو انه سيكون اخيرا فعلا ...

حين تبدأ غربة العربي
تنتهي غربة اليهودي

● لم يكن اهتمام الاسرائيليين ببعض نواحي الادب العربي مفاجئا ، ولكنه يأخذ طابع الاعلان كلما ارتبط الامر بنبأ سياسي ، فتتحدد ميزة هذا الاهتمام بمزيد من الوضوح والاختصاص . وعلى سبيل المثال ، ما كان الاسرائيلي العادي يعرف شيئا عن أدب المقاومة العربي ، حتى اجتمع وزير الدفاع الاسرائيلي بشاعرة مقاومة فلسطينية، وفسر هذا اللقاء بأنه سعي منه ومحاولة لدراسة نفسية المقاتل الفلسطيني عن طريق الشعر الذي يهزه ويحركه . وكانت « محاولة » ديان بمثابة ضوء أخضر لخبراء الشؤون العربية واللغة العربية لترجمة ودراسة بعض الانتاج الادبي ، الفلسطيني والعربي ، فأخذ هذا الاهتمام طابع الضجة والتعميم . وبلغنا ، في الاسابيع الاخيرة ، أن وزيرا اسرائيليا آخر هو يغال الون يدلي بدلوه في بئر الادب العربي ، فقد شكل لجنة خاصة لبحث الادب العربي في اسرائيل . ولعل مبادرة ألون هي أول مبادرة نحو طرح قضية الادب العربي الذي يكتبه ادباء الارض المحتلة منذ النكبة الاولى ، لان معظم الاهتمامات الاسرائيلية السابقة بالادب العربي كان يستثني الادب العربي المكتوب داخل اسرائيل ، لان تعميم قضية هذا الادب وجوهره على الرأي العام الاسرائيلي قد يطرح تساؤلات تمس الاعمدة الاساسية للدعاية الاسرائيلية الداخلية التي تتنافى مع قضية هذا الادب . ومن الواضح ان الوزير الاسرائيلي بتشكيله هذه اللجنة لن يبحث قضية الادب الحقيقي في الارض المحتلة الذي تعارف الناس على تسميته بأدب المقاومة ، ولكنه سيطرح ويعمم ادبا اخر في مواجهة الادب الذي عرفه العالم العربي واوساط واسعة من الرأي العام العالمي بعد ترجمة نماذج كثيرة منه الى اللغات العالمية . ان ألون يريد ان يصد تأثير أدب المقاومة وسمعته العربية والعالمية بالقول انه ليس الادب العربي «الاسرائيلي» الشائع ، بل ان ثمة أدبا آخر «ايجابيا» و«بناء» يتعايش بسلام مع نمط الحياة الاسرائيلية . اي — انه يسعى الى ضرب تيار « أدب المقاومة » بتيار « أدب الاستسلام » . وربما يمكن القول ، منذ الان ، ان الوزير الاسرائيلي الجنرال يغال الون الذي يحمل عقلية عسكرية لن يتمكن من خلق « أمر واقع » أدبي ، كما استطاع ان يخلق أمرا واقعا عسكريا . وقد ينصحه مستشار ذكي بالكف عن هذا الطموح الطائش ، لان الجيش الذي يستطيع احتلال ارض واقامة مستوطنات عليها لن يستطيع ان يقيم تيارا ادبيا يتلاءم معه حتى باستخدام العنف .

● ليس الوزراء الاسرائيليون ، وحدهم ، هم الذين يهتمون بالادب العربي ، فهنالك اساتذة جامعة وكتاب اسرائيليون يمارسون اهتمامات ادبية عربية . وقد اصدرت دار النشر التابعة لـ « هشومير هتسعير » مؤخرا مجموعة مختارات من القصص والقصائد العربية مترجمة الى اللغة العبرية ، تطرح عدة اسئلة حول نظرة الاسرائيلي الى هذه المختارات ، هل يتقبلها الاسرائيلي اولا ؟. وهل يقدر على التزام النظرة الادبية الى الادب العربي ؟ ماذا يعنيه في هذا الادب .. هل البحث عن نفسه ام عن نفوس الاخرين ؟. ثم ، ما هو الرأي الاسرائيلي المسبق عن الادب العربي ؟ سنفاجأ بعد قليل بمعرفة ان الاسرائيلي يشك بوجود ادب عربي .

هذه الاسئلة وغيرها نوقشت في ندوة خاصة دعا اليها الملحق الاسبوعي لصحيفة « عل همشمار » واشترك فيها عدد من الباحثين الاسرائيليين في الادب العربي ، واثنان من المثقفين العرب . (في أواخر نيسان الماضي) .

الجنرال الاحتياطي ، ماتي بيلد ، المهتم بالادب العربي يواجه الندوة بهذا السؤال : هل يوجد ادب عربي حديث ذو مستوى ادبي بارز ؟..

ان السؤال كبير ، خاصة اذا كانت مصادر الاجابة عليه محصورة في مجموعة مختارات واحدة لا نعرف ما تضمنته من النماذج الادبية العربية . فمن نافل القول ان الحكم على ادب شعوب من خلال نص أو مصدر واحد هو حكم بعيد عن التواضع النقدي وعن الاخلاق النقدية على الاقل .

وقد اقترب احد المثقفين العرب المشتركين في الندوة من الحقيقة حين قال : « ان الاسرائيليين يهتمون، بالدرجة الاولى ، بالادب الذي يعالج موضوع العلاقات بين العرب واليهود . ومن هنا ، نشأت

نظرة مشوهة الى هـذا الادب الذي يبدو أدبـا وثائقيا . ان هنالك ادبا عربيا حديثا ، غير وثائقي، ولكن يجب البحث عنه . من يبحث عنه يجده » .
ولفت مثقف عربي اخر انظار المشتركين في الندوة الى أن العرب لا يكتبون عن النزاع الاسرائيلي — العربي فقط . فالادباء العرب الشبـان يواجهون قضايا بلادهم الداخليـة وينتجون ادبا حديثـا ذا مستوى رفيع .

وكان الكـاتب الاسرائيلي أهود بن عيزر واضحـا وصريحـا في تقمص شخصية القارىء الاسرائيلي في موقفه من الادب العربي ، لانه لا يعرف اللغة العربية . وتتلخص معرفتـه بالادب العربي بمـا قراه من نماذج مترجمة الى العبرية ، مما يخوله حق التسـاؤل عن قيمة الادب العربي الفنية . انه يحمل معيارا للحكم او الانطباع مؤلفا من ثـلاث زوايا ، حددها كما يلي : « اولا — ما هي القيمة الجمالية للعمل الادبي . ثانيـا — ماذا يعني بالنسبة لي ، وثالثا — كيف يـراني العرب » .
وأضاف : « انك فيما اذا كنت قادرا ، كقارىء عبري ، على تناول عمل ادبي عزبي من خـلال الترجمة والحكم عليـه بموضوعية » وخلص الى القول : « ان الصرخـة القوميـة في القصائـد العربية تزعجني كقارىء » .

● وطرح سـؤال اخر : هل يوجد ادب عربي ، أم مجموعة اداب عربية ؟

يقول سـاسون سوميخ : ان هذا السـؤال لا يتطرق الى ما تضمنته المجموعـة فقط . فالاختيار كـان صدفة . جمعت المحررة ما جمعته ثم رتبتـه وفقا للبلدان . ولكن عندما نبحث السـؤال العام فـانه يتحول الى قضية خارج اطار الادب . هل يوجد ادب مصري وسوري وعراقي وفلسطيني ام أن ذلك كله أدب واحد . كله مكتوب بلغة واحدة وخاصة الشعر . ولكن النثر تعترضه قضية كبيرة ، وخاصة المسرح ، ففي كل بلد يكتبون بلغة عامية محلية . هل توجد روح اخرى وتوجه اخر ونظرة اخـرى مختلفة بين كل أدب وأدب من الاداب العربية ؟. طبعا يوجد . لماذا يميل العراقيون مثلا الى كتابة الشعر ويميـل المصريون الى النثر ؟ ان ذلك ، بحد ذاته ، يدل على اختلاف عقليات ، بالاضافة الى ذلك ، يختلف الواقع الذي يصدره هذا الادب عن الواقع الذي يصدره ادب اخر ، مما ينشىء أحيانا اشكالا ادبية مختلفة طبقا لاختلاف الواقع .

هذه هي وجوه الاختلاف بين الاداب العربية ، فما هي الوجوه المشتركة ؟ التراث الادبي الواحد ، ولكن الواقع يؤكد نقاط الاختلاف بالذات » .

ورد مثقف عربي على هذا الرأي بقوله : ان الاجابة على السـؤال حول « هل يوجد ادب عربي ام آداب عربية ؟ » هي : نعم ولا . فنحن لا نستطيع تجاهل حقيقة تاريخية هي ان العالم العربي كان مجزءا طيلة مئات السنـين . وفي السنوات العشرين او الثلاثين الاخيرة تعاظم الاحساس والميل الى تاكيد ما هو مشترك ، بفضل الميل الى الوحدة العربية والبعث القومي العربي الواحد . ولكن ، حتى لو تحققت الوحدة العربيـة من الناحية السياسيـة الكاملة ، سنشهد في المستقبل ايضا آدابا عربية.

● كيف تؤثر ترجمـة الادب العربي الى اللغـة العبرية على صورة العربي في نظر اليهودي ؟

يجيب أهود بن عيـزر على السؤال برواية قصة كتبت في الثلاثينات تنتهي بتصنيف الحالة التالية : اليهودي ، ما زال غريبا في فلسطين ، والعربي ، أصبح غريبا فيها . اي — ان اليهودي مـا زال يحمل احساس المنفى من اوروبا . والعربي بـدأ يحس بالمنفى داخل بلاده . قضيتهما ، اذن ، هي التمسك بالوطن من جديد .

ويخلـص الكاتب الى نتيجة واحـدة هي : « أن اليهود والعرب يشكلون بعضهم بعضا ، بشكل سلبي ، ويتحول كل طرف من الطرفين الى كابوس بالنسبة الى الاخر » . ويـوزع مسؤولية هـذه الحالة على الطرفين اليهودي والعربي بالتساوي.
ويرى ماتي بيلد ان صورة العربي في نظر اليهودي صورة خيالية جدا . فيتساءل : هل من شأن قراءة الادب العربي ان تغير صورة الانسان العربي في نظر اليهودي ؟

ويعترف أهود بن عيزر بأن توجه الاديب اليهودي، عندما يكتب عن العرب ، كان يتميـز بالكراهية والغربة والخوف . ولكنه يعتقد بصراحة : « ان الجمهور العربي هـو المخطىء لانه لا يرى النعمة التي تحملها الصهيونية » !.

عند هذه الصخرة تصطـدم دائما كل محـاولات الحوار بين الكاتب العـربي الملتزم بحقه القومي وبين الكاتب الاسرائيلي الملتزم بعقيدته الصهيونية. ومهما حاول الطرفان مداراة هذه الصخرة بالبحث عن نقاط التقاء حول بعض المطالب الديمقراطية او

الانسانية ، فان منطق الاشياء يقود دائما الى مواجهة القضية الاكثر جوهرية : الصراع بين الحق العربي وبين ما يدعيه الاسرائيلي من حق .

وعندما يستخدم كاتب مثل أهود بن عيزر كل مواهبه الفكرية ويضغط على أحاسيسه الانسانية المرهفة ليستخرج نقطة اعتراف بحق العربي فان النتيجة تكون : « اليهودي ما زال يحمل المنفى ، والعربي قد اصبح يشعر بالمنفى . وقضيتهما المشتركة هي التمسك بالوطن المشترك » . هذا هو اقصى التنازل من جانب ليبرالي صهيوني . ولكن ، لماذا أصبح العربي يشعر بالاغتراب .. لماذا بدأ احساس العربي بالاغتراب والمنفى على ارضه ، بينما لا يزال اليهودي يحمل بقايا المنفى من هناك .. من اوروبا ؟ أو بصيغة اخرى « لا يزال اليهودي غريبا ، بينما قد اصبح العربي يشعر بالغربة » ان تسلسل هذه المعادلة واستمرارها الطبيعي يعني ان خاتمة احساس اليهودي بالغربة في فلسطين هي اكتمال احساس العربي بالغربة فيها . ولماذا ؟ ألأن العربي « لا يعترف بالنعمة التي تحملها الصهيونية » ؟ كما يقول الكاتب . أم لان عنف الصهيونية المسلح هو الذي اجتث الجزء الاكبر من العرب الفلسطينيين ولم يكتف بدفعهم الى الاحساس بالغربة فقط . ولان الممارسة الصهيونية الاسرائيلية ضد العربي الباقي في فلسطين أوصلته ، احيانا ، الى الاحساس بالاغتراب ؟ ما هو مصدر هذا الاغتراب ؟ هل هو غياب الاعتراف العربي بالنعمة التي تحملها الصهيونية .. أم هو اضطهاد الصهيونية له ؟.

من هنا ، لا يكون السعي نحو التخلص من الغربة في الوطن — كما يطرحه الكاتب الاسرائيلي — هو القضية المشتركة بين العربي المتمسك بالدفاع عن انتمائه الوطني والقومي ، وبين الاسرائيلي المتمسك بالدفاع عن مكاسب عدوانه . انها ليست قضية مشتركة بقدر ما هي جبهة صراع . ومن هنا ايضا ، تثير « الصرخة القومية في الشعر العربي ازعاج الاسرائيلي » كما يقول الكاتب نفسه ، ليس بسبب ضعف المستوى الفني ، بل بسبب كون هذه الصرخة صرخة احتجاج ضد نتائج ممارسة الصهيونية . وعلى هذا الاساس ، يصعب على الاسرائيلي ان يتخذ موقف « الحياد الادبي » في قراءته الادب العربي ، ويكاد يستحيل عليه العثور على حاسة التعاطف مع هذا الادب بسبب جوهره المتناقض مع نفسية الاسرائيلي وسلوكه . ولهذا ، يصح القول ان الاسرائيلي عندما يقرأ نماذج من الادب العربي الذي يتعامل مع قضية الصراع فانه لا يقرأها بدافع الاستمتاع الفني بل بدافع الفضول . ويبقى القول ان من شأن تبادل قراءة الادب العربي والعبري أن يصلح من صورة الطرفين في نظري بعضهما الى بعض طموحا اخلاقيا هاربا من فهم الخلفيات . يصبح هذا الطموح واقعيا حين لا تكون المواجهة بين الطرفين في مثل هذا العنف ، او حين تكون العلاقات بينهما حيادية !. وذلك لا يتم بالطبع ما دامت حقوق الشعب العربي الفلسطيني عرضة للاغتصاب الصهيوني ، وما دامت قضية تحرر الشعوب العربية تشكل جوهرا حيويا في الادب العربي الحديث .

تحليل للموقف السياسي

كمال العدوان

في جلسة حوار بين عدد من قيادات المقاومة وعدد من الشخصيات الفلسطينية قالوا ما رأيكم لو تحركنا سياسيا ؟ ان بقاء الامور هكذا والملك يطحن شعبنا يشكل جريمة . لا بد لنا من ان نصنع شيئا ما لهذا الشعب . ولا يجوز مطلقا ان نكرر خطأ المسيرات القديمة التي ظلت تصر على كلمتها المشهورة « لا » دائما . واستمر الحوار في هـذا الاطار . وقلت لصاحبي ونحن نفترق : هل فهمت شيئا ؟ قال طبعا ، بقي ان تفهموا انتم . انكم قد تجيدون الثورة . ولكنكم بالتأكيد لا بد ان تعطوا الفرصة لمن يجيدون العمل السياسي ، لقد اهملتموه كثيرا ويوشك كل شيء ان يضيع منكم ، ومنا معكم .

قلت اسمع ، ما قيل اليوم اما ان يكون خلطا لا معنى له ، فليس في الثورة من يعارض العمل السياسي لحساب هدف ، أو يكون وراء الكلمات كلمات أخرى ، ويكون لهذه الكلمات في ذهنكم مدلول سياسي يعني بوضوح اكثر ، الدولة . نحن لا نعارض العمل السياسي ، ولكن ما هو مفهوم العمل السياسي ؟ ما هي عناصره ؟ ما قدرة فعله ؟ نحن نفهم العمل السياسي محصلة فعل تستثمر في اطار التعامل لحساب الهدف ، ولا نستطيع ان نفهم العمل السياسي كهدف عناصره الذكاء والعبقرية والخطابة .

كثيرون الذين اصبحوا في اعقاب ايلول يخلطون ، وارتفعت اصواتهم حتـى قال بعضهم لقد فشلت الثورة فليتركونا نتصرف . كثيرون الذين يمارسون الحلم والحوار الداخلي مع انفسهم ، ويظنون ان كل الامور معلقة بكلمة منهم يقولونها وينتهي كل شيء ، يخرج الاحتلال ، وتقوم الدولة ، ويعود الفلسطينيون . ونشأت بفعل هـذا الحلم مدارس فلسطينية تنظّر له ، تعددت وتكاثـرت واوشك أن يتبعثر بها الصـف الفلسطيني . ويساعد علىانتشار هذا الحلم سلسلة البعثات الامريكية التي تدفقت على المنطقة تدرس وتحلل وتبحث عن حل . وما زيارة فيشر الى المنطقة الا جزءا مـن الفعل الامريكي للخروج بالشعب الفلسطيني من اطار الثورة ، وبعدها ليس مهما الى اين . لقد جاء فيشر يقول : انتم ايها الفلسطينيون تحيرون ، في خياراتكـم الحدية . لماذا تحشرون انفسكم بين خيارين فقط : الثورة الشاملة (Total Revolution) او الاستسلام الكامـل (Total Surrender) بالتأكيد هناك خيارات اخرى كثيرة غير هذين الخيارين ، يمكنكم بينهما ان تجدوا بدائل متعددة ، لا تجعلكم تستسلمون ، ولا تجعلكم تنتحرون ، بالثورة ، وكان هذا الطرح يومها في اعقاب ايلول خطيرا . قلت للذين كانوا معي : فيشر يحاول ان يخرج بالعقل الفلسطيني من اطار الثورة الى اطار البدائل ويومها ستتعدد البدائل وسيكون لكل مجموعة فلسطينية طموح وتصـور ورأي . ويومهـا يتفتت الموقـف الفلسطيني ويتحقق للذين خلف فيشر طموحهم في الخروج بالانسان الفلسطيني من اطار الثورة . ومشاريع فيشر هي استمرار لمشاريع الدولة التي بدأت في مكتب القنصلية الاميركية في القـدس .

كثير من الفلسطينيين في مرحلة الانحسار اعجبهم التفاؤل الذي طرحه امامهم فيشر .

وغاصوا في عالم الاحلام الذي تقودهم اليه هذه البدائل ، وكأن الامور تبقى معلقة فقط بكلمة منهم وليس مهما كم فعلهم . وزاد في الاندفاع الى عالم الخيال هذا حرص الكثير من المسؤولين الاسرائيليين على التأكيد لزوارهم الفلسطينيين عن تعاطفهم مع الاماني الفلسطينية والتظاهر امامهم بأن سلطات الاحتلال مستعدة للتفاهم معهم فقط عليهم ان يتفقوا ويوافقوا ويبقى السؤال : يتفقون على ماذا ؟ ويوافقون على ماذا ؟ وهل حقيقة سيذهب الاحتلال وينتهي بالتفاهم معه ؟

هذا الانسياق في العقل الفلسطيني الى عالم الحلم والتخدير **والانشغال بالحوار** الداخلي وما يفرزه من تعدد في المواقف الفلسطينية **وانسحاب من موقع الثورة هو الهدف** الآن . ان القوى المعادية تعي بوضوح كبير ان القضية الفلسطينية ستظل دائما هي محور القضية العربية ، وهي القضية الوحيدة المؤهلة لتحريك المنطقة ودفعها . والثورة الفلسطينية باعتبارها أداة الفعل الفلسطيني ستظل الطليعة القادرة على استقطاب كافة طلائع الرفض والتغيير في المنطقة العربية . وهي بحكم موقعها تمثل محور الاستقطاب ومركز الفعل في القرار العربي . وتعرف هذه القوى بوضوح ان اهمية الثورة الفلسطينية لا تنبع من حجم عملياتها ولكن من قدرتها على الفعل في القرار العربي ، الذي يوجه مسيرة الفعل العربي . وقدرة الثورة على الفعل تنبع من ارادة الفعل عند الثورة . وارادة الفعل اليوم أساسها ارادة القتال . ويدرك كل الذين يقفون في الصف المعادي ان تصفية الوجود الفلسطيني لن يحسم وجود الثورة او قدرتها على الفعل ما استمرت ارادة القتال عند الانسان الفلسطيني . واستمرار ارادة القتال الفلسطينية يعني بالتأكيد تغييرا في القرار العربي لحساب الفعل ، أو في مواقع القرار العربي الذي شل هذا الفعل . وفي اطار هذا المفهوم تحركت القوى المعادية لتصفية الثورة الفلسطينية لتصفية قدرتها على الفعل . **لتصفية** ارادة **القتال** . وكانت الخطة التي اعتمدوها تقوم على : تصغير الدور الفلسطيني في المعركة : توسيع اطار القرار العربي ليتضاءل فيه الدور الفلسطيني ، انتزاع حق القرار من الفلسطينيين ، جر الاهتمام الفلسطيني بعيدا عن الارض الفلسطينية واشغاله بقضايا اوسع من اطاره الفلسطيني ، تمييع التركيز الفلسطيني على القضية الواحدة وتمييع ارادة الفعل وتنمية المدارس الفلسطينية بالاحلام والحوار الداخلي ، تمييع ارادة الرفض وتحييرها بحيث تتردد في القرار ، تصفية قوة الرفض ، الاستسلام ، استكمال ترتيبات التسوية والاستسلام ، تكريس شرعية الاستسلام ، استيعاب ادوات الرفض عناصر وقيادات ، استيعاب الوطنية الفلسطينية ، استيعاب الجماهير الفلسطينية .

ولقد مارسوا كثيرا في هذا الاتجاه . وما ايلول الا حلقة من حلقات التآمر على هذا الطريق . ولكن ايلول لم يحسم . وتطورت الامور بعدها بشكل بدا واضحا فيه ان تصفية الوجود المادي للثورة لن ينهي الوجود الفلسطيني ، ومن هنا بدأت خطة عملهم الجديدة والتي مهدت لها رحلات فيشر بما خلقته من اجواء . وتتابع بعدها مشروع الملك على نفس الطريق . ويجيء اليوم في اطار نفس العقلية مشروع شمعون بيرتز وشلومو هيلل . بعد كل ازمة يخرجون لنا بمشروع . في اعقاب ايلول واندفاع الشعب الفلسطيني من خلال احساسه بالظلم باجماع غير عادي الى الثورة جاء فيشر وهدفه ان يقول لماذا الثورة وامامكم احتمالات كثيرة .

بعد اعدام وصفي التل وعلى ابواب المؤتمر الشعبي الفلسطيني ، وقد بدأ يتبلور الموقف الفلسطيني الموحد الذي اتضحت امامه هوية النظام العميل ، جاء مشروع الملك ليستوعب الوطنية الفلسطينية ، ليقول : لماذا تجهدون أنفسكم ، تريدون وجودا فلسطينيا ، أنا اعطيكم فما لكم والثورة ؟ وخطورة مشروع الملك انه محاولة خداع كبيرة تريد ان تقنع الناس انه يمكن تصفية الاحتلال بالتفاهم مع الاحتلال . واليوم بعد

معركتي مطار اللد وتنامي الاحساس الوطني الفلسطيني في وجه الانحياز الدولي يجيء مشروع شلومو هيلل وشمعون بيرنز لدولـــة في الضفة الغربية . الجميـــع هدفهم أن يحولوا دون اندفاع الاجماع الفلسطيني الى الثورة . الجميع يريدون ان يخرجوا العقل الفلسطيني من اطار الثورة وبعدها ليس مهما ماذا يصنع . ان مجرد دخول العقـــل الفلسطيني اطار البدائل يكون قد دخل عالم المتاهة التي تتعدد فيها المدارس الفكرية الفلسطينية ويضيع الاجماع وينقسم الموقف ، وتتلاشى قدرة الفعل ، وقد تنتهي ارادة القتال . عندها تصبح البدائل هي اقصى الطموح ويتحول العمل السياسي الى هدف بدلا من ان يكون العمل السياسي هو استثمار للفعل في اطار التعامل لحساب الهدف .

تماما كما ضاعت او كما ضيعوا ارادة الفعل الفلسطيني في اعقاب ١٩٤٨ عندما تعددت المشاريع والقرارات الدولية التي تعلق بها العقل الفلسطيني يومها ، واحتار بينها ، وضاعت ارادة الفعل عنده ، في انتظار ان يفعل له الاخرون . وعاش الفلسطينيون يومها في انتظار الراديو ليسمعوا شيئا عن مصيرهم بعد ان انتهى فعلهم . تماما كما صنعوا يومها ، وسعوا دائرة القرار ، وانسحبوا ، وذهبـــوا الى رودس ، وصفت جيوشهم الوجود الثوري الفلسطيني ، واستوعبت القيادات الفلسطينية ، وتكـــرس الاستسلام في مؤتمر اريحا .

نفس القصة يريدون ان يعيدوا تكرارها من جديد تماما كما صنعوها في الماضي ، الفارق الوحيد الان ان الشعب الفلسطيني لا يزال من خلال تجربته يتمسك بارادة القتال ، والصراع اليوم قائم عليها . كثيرون هم الذين ينظرون بأمل للتسوية ، ولضرورة خروج الشعب الفلسطيني بشيء من هذه التسوية ، ليس هـــدفهم الحرص على الشعـــب الفلسطيني ، ولكن الهدف هو الخروج به من عقل الثورة الى عقل التسوية . وعقل التسوية عاجز عن الفعل يظل في انتظار ان يفعل الاخرون له ويومها ينتهي الوجـــود الفلسطيني بشكل حقيقي فمعادلة الوجـــود الفلسطيني هي باختصـــار : **الوجـــود الفلسطيني يعني قدرة الفعل الفلسطيني** ، وقدرة الفعل الفلسطيني هي ارادة القتال، ارادة الرفض والتغيير عند الانسان الفلسطيني . في أية لحظة يفرط الانسان الفلسطيني بارادة القتال ينتهي الوجود الفلسطيني بشكل حقيقي .

ان الطموح الهاشمي لتكرار قصة الاستسلام في رودس من جـــديد وما يحتاجه هـــذا الطموح من تغييب للطرف الفلسطيني ، والطموح الاسرائيلي لترتيب الوضع الراهن للاستمرار في الارض المحتلة ، يقوم في اساسه على فكرة غياب الطـــرف الفلسطيني الذي يملك حق الرفض لهذا الطموح . وبهذا تلتقي خطة العمل الاردنية وخطة العمـــل الاسرائيلية على محاولة خلق بعض الحقائق وطرح عدد من البدائل التي يفترض فيها ان تفتت ارادة الرفض الفلسطينية ، ارادة الفعل وتمييعها ، ويصير تطويقها واحتواؤها وتلاشيهـــا .

وان الرد الفلسطيني على هذا التخطيط المشترك للطرفين الاردني والاسرائيلي والذين يقفون من خلفهما يكون بارادة فعل فلسطينية تتحرك بسرعة لاحـــداث تغيير في حقائق المنطقة ، وقرارات الفعل فيها ، والقضية اليوم هي سباق بين ارادة الثورة الفلسطينية وما تعكسه من قدرة فعل ستقود المنطقة الى التمرد والتغيير ، وبين ارادة الاستسلام الاردنية والتكريس الاسرائيلية وما تعكسه من قدرة فعل سيقود المنطقة الى الانهيـــار والخضـــوع .

من أجل الوصول الى الهدف يقدم كل طرف تحليله لظروف المنطقة وواقعها هم يقولون ان القدرة على التغيير تكاد تكون مستحيلة ، من هذه النظرية تنطلق تحليلاتهم . ونحن نقول أن القدرة على التغيير لا تزال كبيرة جدا بشرط أن تتحرك ارادة الفعل وتتمرد .

هناك مدخلان دائما لاي عمل . المدخل الاول : يقوم على أساس ماذا اريد وعلي خلق جميع الظروف لتحقيق ارادتي . والمدخل الثاني ماذا يمكن او استطيع ضمن الظروف القائمة وعلي استغلال قدرتي في حدود الممكن والفرق بين المنطقين هو الفرق بين عقلية الثورة وعقلية التسوية بين الفاعل والمفعول من اجله .

في بداية اي تحليل لا بد من حصر عناصر هذا التحليل واطرافه ، وفي تحليلنا للموقف السياسي القائم الآن في المنطقة لا بد من تحديد اطراف الفعل فيه والمقدمات التي تقود الى النتائج وتصنعها . أطراف الفعل في الصراع القائم الآن هي : الطرف الفلسطيني ، الطرف العربي ، الطرف الاسرائيلي ، والطرفان الدوليان الاميركي والسوفييتي . هؤلاء هم الاطراف المؤهلون للفعل في صراع المنطقة وتقرير مصير الوضع السياسي فيها وان اختلفت قدرات الفعل عند كل طرف او اختلفت اشكال الفعل او النشاط فيه .

في اعقاب حزيران ١٩٦٧ وبعد انهيار القوة العربية ، والضياع الذي عاشه الوطن العربي والذي كانت اسرائيل تراهن عليه لتكريس الاستسلام العربي ، تحركت الطلائع الفلسطينية من جديد لتقاتل وتنتشل بقتالها الانسان العربي والنفسية العربية من حالة الضياع هذه . وخاضت سلسلة معارك كان طموحها الاخير العودة لتحريك ارادة القتال على الارض العربية .

ولقد نجحت الثورة الفلسطينية كطليعة لتحريك ارادة القتال في تحريك المنطقة العربية ، وتصاعد ارادة التحدي والرفض فيها بمشاركة الجبهة المصرية وتصاعد عملياتها ، ولقد ارتفعت حرارة المد القتالي العربي في النصف الاول لعام ١٩٧٠ على الجبهات المصرية والسورية والفلسطينية . وحتى الجبهة الاردنية (الجيش الاردني) شاركت يومها لاول مرة في قصف طبريا . ولقد بدا واضحا فعل هذا التصاعد القتالي العربي في واقع الاحتلال الاسرائيلي ، وفي تحريك الرأي العام الدولي ضد الاحتلال .

وجاء مشروع روجرز لوقف القتال كمحاولة لتأمين اجواء للتسوية . الا أن روجرز كان يدرك بوضوح أن أي وقف للقتال هو مدخل للخروج بالعقل العربي من اطار ارادة القتال . وبدخول العقل العربي اطار التسوية يضع روجرز الموقفين العربي والفلسطيني في حالة تعارض ويكون قد فصل بين العمل الفلسطيني والفعل العربي ودفع الامور بينهما الى حد الصدام . وبنتائج الصدام يكون المشروع الامريكي قد حقق تفريغ العمل السياسي العربي من عناصر الفعل فيه ومن ضمانات عودة الفعل العربي الى اجواء القتال تحت أي ظروف قادمة .

وهكذا تحول الدور الفلسطيني من طليعة لتحريك ارادة القتال ، الى حماية ارادة القتال من التصفية . وبقيام التعارض الفلسطيني العربي تورط الطرف العربي في مؤامرة تطويع ارادة الرفض الفلسطينية واضعاف قدرتها على الرفض التي كانت دائما تشكل ضمانة الفعل العربي .

وجاءت حرب ايلول في اطار النظرية التي خطط لها روجرز لتطويع ارادة الرفض الفلسطينية ، واندفعت لتصفيتها . ولما لم تنجح محاولة التصفية هذه في تطويع قدرة الفعل الفلسطيني ، كان لا بد من البحث عن أسلوب اخر لتفتيت هذه القدرة وبعثرتها واخراجها من مواقعها ، مواقع الثورة والرفض ، وتمييعها بسلسلة البدائل . وجاءت في هذا الاطار رحلات فيشر والاتصالات الامريكية والاسرائيلية مع بعض الشخصيات الفلسطينية . ويستطيع اي مراقب أن يلاحظ بوضوح توقيت هذه المشاريع التي كانت تأتي دائما في ظروف الاستقطاب الفلسطيني كلما توفر له الوضوح والتركيز .

وفي المجال العربي لم تعد عناصر الفعل في العمل السياسي العربي كما كانت قبل ايلول

ومشروع روجرز، وقاد هذا التدني في قدرة الفعل العربي الى سلسلة مشاريع التسويات الجزئية والتي التقت جميعا على التعبير عن الاستعداد العربي للاعتراف رسميا بالوجود الاسرائيلي على ارض فلسطين لاول مرة . واصبحت مشاريـــع التسويات الجزئيـــة والعروض العربية في هذا المجال هي البدائل التي يتميع بها الموقـــف العربي وتتفتت قدرته ويتضاعف عجزه ، حتى اصبحت هذه التسويات هي قمة الطموح العربي الذي لا يملك ارادة الفعل وينتظر من الاخرين ان يفعلوا له .

في فترة العجز العربي هذه ، تحرك الفعل الاسرائيلي ليخلق سلسلة حقائق في الارض المحتلة يعزز من وجوده فيها ، وقدرته على البقاء عليها واستيعابها . وكانت اهـــداف الفعل الاسرائيلي تتركز في اتجاهين : **الاول** : خلق ظروف تمكن من استيعاب الارض الفلسطينية المحتلة وتكرس واقع الاحتلال واستمراره فيها بشكل يفتح لها ابواب المنطقة العربية من غير ان يكون الاحتلال مشكلة اسرائيلية . **والثاني** : استعمال واقع الارض المحتلة والحقائق الجديدة فيها وسيلة ابتزاز يساوم بها المواطن العربي على تقديم مزيد من التنازلات لحساب الاحتلال وتحقيق شروط افضل فيما لو فكر يوما في تسوية الصراع لتكون الشروط يومها اسرائيلية .

ومن أجل هذا ، وفي هذا الاتجاه قامت سلطات الاحتلال بسلسلة اجراءات :

ــ بناء شبكة مستعمرات الحزام العازل حول الضفة الغربية وقطاع غزة بهدف تطويق قدرة الفعل العربي في الارض المحتلة .

ــ اقامة شبكة مستوطنات فيما بين القرى والمدن العربية لتكون نقاط مراقبة ومراكز حراسة وأمن في وسط التجمعات الفلسطينية تستطيع في المدن ان تشل تحركها أو تربكه وتشكل حقائق تفرض نفسها ضمن أي شروط أو تطلعات اسرائيلية للمستقبل .

ــ تسهيل سفر الطلبة الجامعيين بأعدادهم الكبيرة واستيعاب الاعـــداد الكبيرة مـــن العمال العرب لتفريغ الارض المحتلة من احتمالات الثـــورة التي يمثلها هـــذا الشباب المرشح للثورة والتجاوب معها .

ــ اعطاء افضلية تعامل لجماهير الارض المحتلة كمواطنين وعمال وسياح وتجار بهدف تمييع ارادة الرفض في أعمالهم ، واقامة المقارنات مع اساليب التعامل العربي ، وما يقود اليه هذا من توسيع لدائرة التعامل .

ــ فتح الجسور مع الاردن والعالم العربي للتعامل الاقتصادي والسياحي بهدف تطويع النفسية العربية على قبول الامر الواقع والتفاعل معه .

ــ خلق طبقة من القيادات والزعامات التي تقبل التعامل معها ، وفتح المجال لممارسات شكلية تلهي طموح الافراد بقضايا غير قضية الاحتلال وتحاول اعطاءهم ملامح خاصة تنمو بشكل يميزها ويعزل بينها وبين باقي التجمعات الفلسطينية من اجل شق وحدة الموقف الفلسطيني .

ولقد نجحت السياسة الاسرائيلية من خلال سياسة الجسور المفتوحة مع الارض المحتلة في خلق حالة من الصلح الواقعي الذي فتح بابا للتعامل الاقتصادي والسياحي لم يعد معه ممكنا ممارسة أي قيد أو ردع لتعامل جماهير الارض المحتلة مـــع سلطات الاحتلال . وبالعكس فقد ساعد هذا على توفير افضلية معاملة لجماهير الارض المحتلة على جانبي خط وقف اطلاق النار وخلق طبقة منتفعة بهذه الاوضاع ولا يعنيها التغيير فيها . ونمت مع هذا حالة الطفل المدلل في المنطقة حيث أصبح كثيرون من شباب الارض المحتلة يكتفون بالفخر انهم يتميزون بتواجدهم هناك يسافرون ويعملون ويعيشون بهذا الفخر وليس يعنيهم بعدها من يأتي ليناضل عنهم وكأنمـــا نجحت الممارسات الاسرائيلية والغبـــاء

والتورط العربي الرسمي المتهافت على اي شكل من العلاقات مع جماهير الارض المحتلة في خلق حالة تميع في ارادة الرفض وحالة لامبالاة وتحييد لقطاع واسع من طبقات انتفعت بهذه الاوضاع وفتحت ابوابها لها وتعايشت معها واتسعت دائرة تعاملها مع سلطات الاحتلال بما اوشك ان يخنق اصوات الثورة فيها .

كان هذا الطابع العام للضفة الغربية من نهر الاردن في وقت ظلت فيه غزة في موقف الرفض والتحدي لرغبة الاحتلال من خلق ظروف استيعاب مماثلة ، حتى استطاع اخيرا في ظل الصمت العربي والحصار الاردني وغياب الرؤية الواضحة لمستقبل الفعل العربي والاحساس بالانعزال والاستفراد والوحدة امتصاص التوتر الذي كان وظل الطابع العام لمدن وقرى القطاع . وباشر اليوم في فتح الطريق بتسهيلات كبيرة امام مواطني غزة الى جميع الارض المحتلة من اجل ان يخرج بهم من حالة « التمترس » التي عاشوا وناضلوا بها الى حالة استرخاء وتميع في النفسية تخفف من شراسة الرغبة في التحدي والرفض. تماما كما صنعت جسور الاردن مع مواطني الضفة الغربية تريد ان تصنع سلطات الاحتلال بفتح جسور غزة مع باقي الارض الفلسطينية المحتلة .

كان هذا هو الطابع العام للفعل الاسرائيلي في الارض المحتلة وقد تم التركيز فيه في غياب الفعل العربي ومن وراء الفعل الفلسطيني الذي انشغل بحالة التعارض التي صنعها مشروع روجرز في الموقفين العربي والفلسطيني ومعارك التصفية التي خاضها في الاردن دفاعا عن وجوده وحقه في الثورة والتحرير .. والامة العربية في مستواها الرسمي بين مشارك ومبارك او متفرج .

وهكذا اصبح الفعل الاسرائيلي هو الفعل الوحيد في الصراع القائم الان واصبحت قوات الاحتلال الاسرائيلية هي الفاعل الوحيد في الوضع السياسي القائم القادر عن ان يصنع حقائق ، ويملي شروطا ، ويضع مواصفات، ويرسم خرائط ، من غير ان يكون هناك من يستطيع ان يمارس قيدا على حريته في الفعل او التصرف .

احتمالات الموقف : كثيرون الذين يناقشون الامور بتبسيط كبير ويؤكدون ان هناك تسوية ويتصرفون على اساسها والخطورة فيما اذا كان هؤلاء في مواقع القرار الفلسطيني تكون قاتلة فهم : ١ . يخطئون في التحليل والحساب ، ٢ . يكونون بهذا قد الغوا دور الثورة في التغيير وتحريك الفعل وبالتالي مبرر وجودها ، ٣ . يكونون قد كرسوا ونهائيا وضع الفعل الفلسطيني في اطار العجز وتفريغ الثورة من طموح الفعل وارادة التغيير ويكونون بهذا قد تورطوا بانفسهم وبدون جهد معاد في تصفية الوجود الثوري الفلسطيني الذي يقوم في اساسه على ارادة القتال والفعل والتغيير عند الانسان الفلسطيني . وينساقون بعدها في سلسلة العمل المناور والعلاقات السطحية التي تبحث عن فاعل يفعل لهم وعنهم وينتهي طموحهم كما انتهى كل الطموح الفلسطيني الذي تعلق بفاعل غريب على طول المسيرات الماضية .

في بداية اي تحليل لا بد من الاتفاق على التسميات ومعاني الكلمات حتى يصبح مشتركا. التسوية مثلا هي « محصلة علاقات وقوى وحقائق فعل بين طرفين او اكثر تخلق الاحساس بالحاجة للاتفاق على شيء ما بشروط ومواصفات اما مشتركة او على الاقل مقبولة لدى جميع الاطراف » . واي تحليل واع للامور ، لعناصر الفعل واطرافه في المنطقة قادر على ان يرى ان الفاعل القائم الان وحيد،وليس هناك ما يلح عليه او يشعره بالحاجة الى اتفاق او تسوية وهو قادر على الاستمرار في هذا الوضع وان اي بديل لهذا الواقع لا بد ان يكون ضمن طموحه الخاص وبشروطه الخاصة.وبمعنى اكثر تحديدا ليس هناك تسوية ضمن معادلة القوى القائمة الان.والى حين التغيير في عناصر المعادلة هذه يظل مشروع الحل الاسرائيلي بالشروط الاسرائيلية هو الاكثر احتمالا في غياب اي قدرة

ردع . الموقف الاميركي يلقي بوزنه خلف هذه الترتيبات الاسرائيلية لتحقيق استسلام عربي بالشروط الاسرائيلية والشروط الاميركية التي تزايدت بفعل التغيير في معادلة القوى في المنطقة في اعقاب مشروع روجرز حتى اصبح الوجود السوفياتي نفسه مطلوبا ايضا . والموقف السوفييتي لا يريد ان يدفع الوضع الى التوتر ، ولا يريد الاستسلام ، وهو يحلم بتسوية بشروط مشتركة ، وفعله في المعادلة ليس بمستوى طموحه بحيث يظل الفعل الامريكي الاسرائيلي هو القادر على ان يملي شروطه ومواصفاته ويرسم خرائطه .

وهكذا يظل الحل الاسرائيلي الامريكي هو المشروع الاكثر احتمالا اذا ما توفرت له شروطه من التنازلات الرسمية العربية ، وشروطه غير معروفة او محددة ، وليس لها نهاية . والمزيد من التنازلات الرسمية العربية يدفع الى مزيد من الشروط وطلب التنازلات وتستمر سلسلة الانهيار الى حد لا يعود أي مسؤول عربي قادرا على احتمال هذه التنازلات او الموافقة عليها ، ويصبح الامر متصلا بوجوده نفسه واستمراره في موقعه. ولا يعود هناك خيار توفيقي ويفرض القتال يومها نفسه أو يكرس الاحتلال نفسه الى فترة أطول . هذا يعني ان أمكانية الحل الاسرائيلي ايضا غير واردة ، وانه ليس هناك ما يغري الاسرائيليين بالتنازل عن الواقع الذي صنعوه وتعايشوا معه ، لا سيما بعد ترتيب الامور بشكلها الحالي في الاردن واتساع دائرة التعامل معه في نوع من الصلح الواقعي الذي يجعله حصان طروادة العربي .

يبقى السؤال : كم من الوقت تحتاج عملية الاستكشاف هذه من اصحاب القرار العربي ؟ ما هي اوضاع القوة العربية بعد رحلة الاستكشاف هذه ، وما مدى قدرتها وقدرة النفسية العربية على العودة الى الحالة القتالية بعد سلسلة التنازلات الطويلة ؟

هذا التصور وهذه الرؤية لاحتمالات المستقبل تجعل من مسؤولية الثورة الفلسطينية وتحالفاتها النضالية باعتبارها ارادة رفض وتحدي مسؤولية العودة الى ذاتها وممارسة دورها في : —

— خلق الحقائق على الارض المحتلة لتطوير واقع الثورة الى مشكلة اسرائيلية تجعل صاحب القرار الاسرائيلي يعيد حساباته من بدايتها ، ويواجه مسؤولية التعامل مع هذه المشكلة ومسؤولية تصفيتها بعد ان عاش فترة طويلة يتفرج عليها باعتبارها مشكلة عربية تتولى الاطراف العربية تصفيتها .

— خلق حقائق في الارض العربية تحرك ارادة القتال ، تغير في القرار العربي الذي يحكم الفعل ، ويخطط له ، او يجعل موقع القرار العربي نفسه هدفا للتغيير . ان مجموعة الظواهر التي عبرت عن نفسها في الوطن العربي من بداية هذا العام تعكس حالة القلق والتمرد . ومدى الطموح الجماهيري لاحداث تغيير حقيقي في واقع الفعل العربي . والمنطقة بهذا التمرد وهذا الطموح مؤهلة للانفجار .وأي ممارسات تتجاهل ارادة التغيير في واقع المنطقة ستخلق حالة تعارض تعبر عن نفسها برد الفعل باتجاه القوى التي تتصدى لارادة التغيير .

وبفعل هذه الحقائق على الارض المحتلة وفي الواقع العربي سيصبح ممكنا تغيير معادلة القوة والدفع بأطراف الفعل فيها الى مواقع الصدام ويومها يعود الخيار امام الاتحاد السوفييتي كقوة حليفة ان يختار بين أحد احتمالين : ١. ان يلقي بوزنه خلف القرار العربي ليحقق لنفسه وجودا في اطار المعادلة القائمة كطرف يستطيع أن يشارك في صناعة الحقائق الجديدة أو ٢. ان يظل على موقف المتردد المقيد الفعل ، في مواجهة حرية الفعل الامريكي ، ويتحمل بالتالي نتائج هذا الموقف وانعكاسه على وجوده وعلاقاته في المنطقة وعلى موقعه في حركة التحرر العالمي .

ان الدفع الى الخيار الحدي بين الصدام او الاستسلام ، اصبح اليوم ضرورة لا يجوز القفز عنها ، حتى لا يزداد التورط العربي والتدهور في القوة العربية في ظـل احلام التسوية .

لقد استطاعت الدبلوماسية الامريكية ان تخرج بالطرف العربي من عقلية القتال الى عقلية التسوية وادخلتها في عالم البدائل التي عبرت عن نفسها في مجموعة مشروعات التسوية والتسويات الجزئية المقترحة . وقاد هذا الى تدهور قدرة الفعل العربي .

ان الجهد الرئيسي للثورة الفلسطينية يجب أن يتركز الان في العمل لاسقاط العقل العربي الذي يقول بتصفية الاحتلال بالتفاهم أو الاتفاق معه . والعودة بالعقل العربي من اطار التسوية الى أجواء القتال . ولا بد من خلق سلسلة الحقائق القتالية التي تقود الى هذا ، وتجعله واقعا لا خيار فيه .

رصد اذاعة اسرائيل

نشرة استماع يومية للاذاعة العبرية

يصدر قسم الدراسات الاسرائيلية في مركز الابحاث اعتبارا من اوائل تموز ٧٢ نشرة استماع يومية للاذاعة الاسرائيلية التي تبث برامجها باللغة العبرية ، وذلك بغية تزويد الجهات المعنية والمسؤولة والمختصة في البلاد العربية (العسكريون ، السياسيون ، الاعلاميون ، الصحافيون ، الاقتصاديون ، مكاتب المقاطعة ، الباحثون الخ ...) باخبار العدو ومواقف قادته واتجاهات سياسته والتطورات التي تطرأ عليه في مختلف الميادين ، بحيث يسهل على ذوي الشأن ، حين يطلعون على حقيقة ما يجري ويقال في اسرائيل ، اتخاذ الاجراءات اللازمة .

ستتضمن نشرة الاستماع تسجيلا لنشرات الاخبار والتعليقات والاحاديث والندوات واقوال الصحف . وستبوب هذه المواد على اساس الموضوعات (ويشار في نهاية كل مادة الى الساعة التي بثت فيها) ، أي أن النشرة ستقسم الى عدة ابواب (مثلا : الوضع العسكري ، الوضع الاقتصادي ، الوضع الاجتماعي ، المناطق المحتلة ، السياسة الخارجية ، العمل الفدائي ، الهجرة ، السياسة الداخلية الخ ...) ، تسهيلا لمهمة القارىء أو الباحث . وستطبع النشرة على الاوفست لضمان اخراجها بشكل جيد ومريح للقارىء .

وسيقوم المركز بتوزيع النشرة يوميا على المشتركين في بيروت . اما المشتركون خارج بيروت فسترسل لهم النشرات بالبريد الجوي ، أو بأية وسائل اسرع .

الاشتراك السنوي خمسماية ليرة لبنانية للحكومات والمؤسسات العامة ، وثلاثماية ليرة للمؤسسات الخاصة والصحافة أو ما يعادل ذلك بالعملات الاخرى.

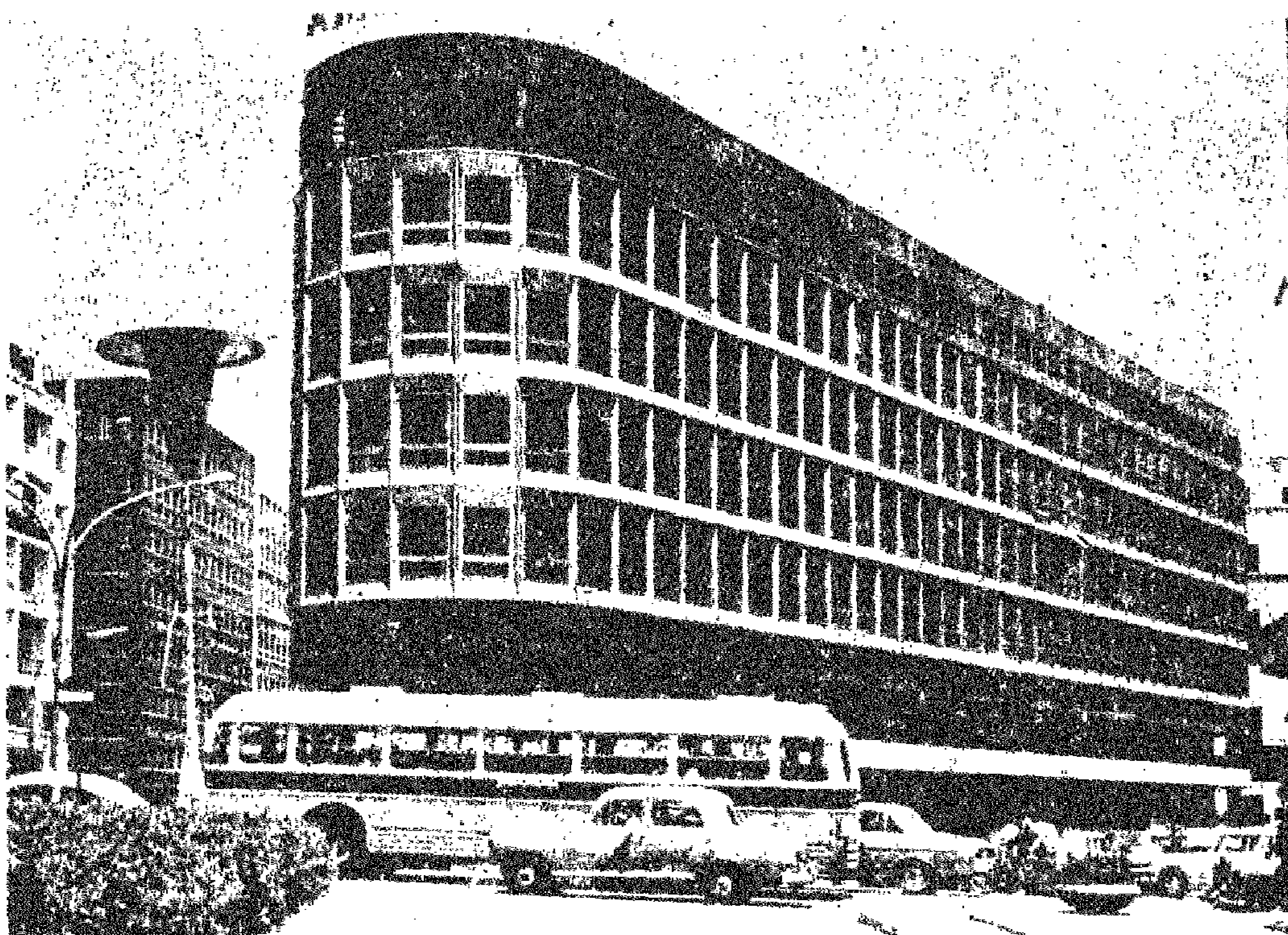
ترسل قيمة الاشتراكات على العنوان التالي :

مركز الابحاث ــ نشرة الاستماع

ص.ب ١٦٩١ ــ بيروت

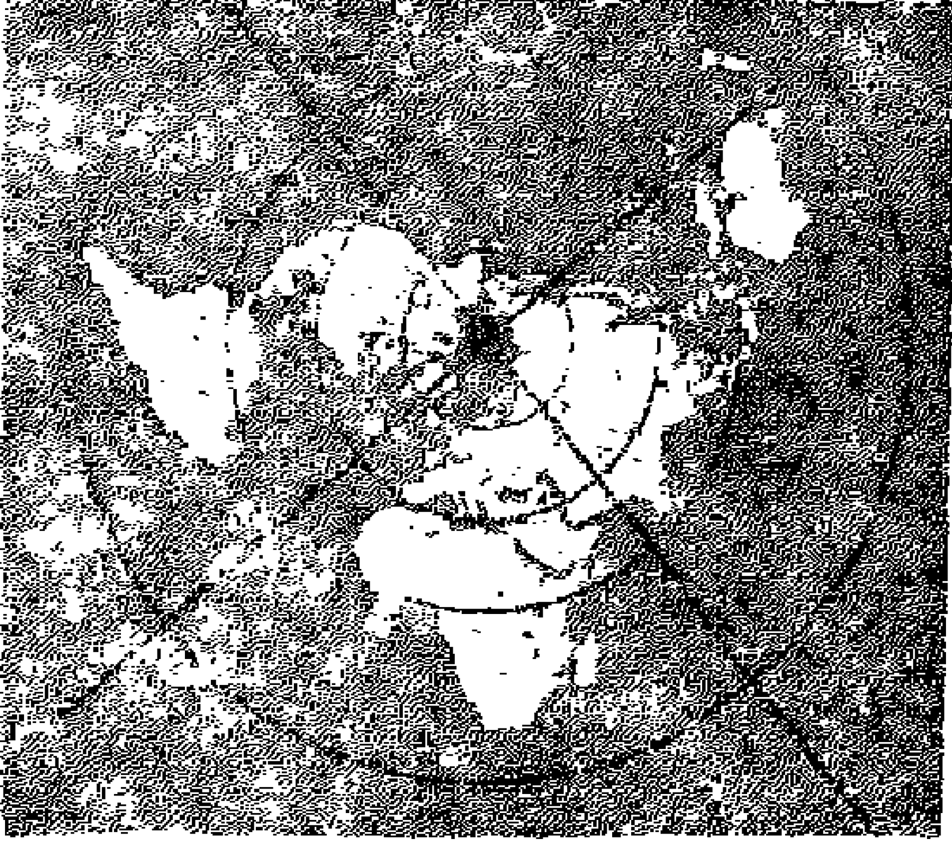
سوليكو
الشركة اللبنانية للبناء والمقاولات ش م ل

* *



* *

السياسة الدولية



مجلة دورية تصدر عن
مؤسسة الاهرام
كل ثلاثة أشهر

دراسة القضايا الدولية المعاصرة
بأسلوب علمي ونظرة موضوعية

- قضايا المجتمع الدولي ... بصراعاته واتجاهاته الجديدة
- قضايا العالم الثالث ... على طريق التنمية والتقدم
- قضايا الوطن العربي ... في أحسم سنوات مصيره

رئيس التحرير : د. بطرس بطرس غالي

اقرأ في عدد يوليو ١٩٧٢ الدراسات التالية :

- افريقيا في مواجهة العدوان الاسرائيلي .. د. ياسين العيوطي
- السياسة اليوغسلافية والصراع العربي الصهيوني .. محمد السيد سليم
- اللعبة الدبلوماسية الرومانية في الشرق الاوسط .. د. عدنان العمد

بخصوص الاشتراك السنوي وطلب الاعداد السابقة والمجلدات السنوية يرجى الاتصال بقسم الاشتراكات بمؤسسة الاهرام ، شارع الجلاء ، القاهرة ــ جمهورية مصر العربية .

أوفست زين ـ تلفون ٢٧١١١٣

Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor,* Dr. Anis Sayegh; *Annual Subscription* (airmail): LL. 30 in Lebanon and the Arab World, LL. 50 ($ 16) in Asia, Africa and Europe; LL. 80 ($ 26) in the Americas and Australia; *Annual Subscription* (Surface mail): LL. 40 ($ 13) in countries outside the Arab World. *Address:* P. O. Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351260; Cables: MARABHATH.

